|  |
| --- |
| ذِكْرُ عَزْلِ ابْنِ زِيَادٍ عَنِ الْبَصْرَةِ وَعَوْدِهِ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ عَنِ الْبَصْرَةِ وَأَعَادَهُ إِلَيْهَا. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فِي وُجُوهِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَفِيهِمُ الْأَحْنَفُ ، وَكَانَ سَيِّئَ الْمَنْزِلَةِ مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَلَمَّا دَخَلُوا رَحَّبَ مُعَاوِيَةُ بِالْأَحْنَفِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَأَحْسَنَ الْقَوْمُ الثَّنَاءَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ وَالْأَحْنَفُ سَاكِتٌ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ مَا لَكَ يَا أَبَا بَحْرٍ لَا تَتَكَلَّمُ ؟ |
| فَقَالَ إِنْ تَكَلَّمْتُ خَالَفْتُ الْقَوْمَ. |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ انْهَضُوا فَقَدْ عَزَلْتُهُ عَنْكُمْ وَاطْلُبُوا وَالِيًا تَرْضَوْنَهُ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا أَتَى رَجُلًا مَنْ بَنِي أُمَيَّةَ أَوْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَالْأَحْنَفُ لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَأْتِ أَحَدًا ، فَلَبِثُوا أَيَّامًا ، ثُمَّ جَمَعَهُمْ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ لَهُمْ مَنِ اخْتَرْتُمْ ؟ |
| فَاخْتَلَفَتْ كَلِمَتُهُمْ وَالْأَحْنَفُ سَاكِتٌ ، فَقَالَ مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟ |
| فَقَالَ إِنْ وَلَّيْتَ عَلَيْنَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ لَمْ نَعْدِلْ بِعُبَيْدِ اللَّهِ أَحَدًا ، وَإِنْ وَلَّيْتَ مِنْ غَيْرِهِمْ فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ. |
| فَرَدَّهُ مُعَاوِيَةُ عَلَيْهِمْ وَأَوْصَاهُ بِالْأَحْنَفِ وَقَبَّحَ رَأْيَهُ فِي مُبَاعَدَتِهِ ، فَلَمَّا هَاجَتِ الْفِتْنَةُ لَمْ يَفِ لَهُ غَيْرُ الْأَحْنَفِ. |
| ذِكْرُ هِجَاءِ يَزِيدَ بْنِ مُفَرِّغٍ الْحِمْيَرِيِّ بَنِي زِيَادٍ وَمَا كَانَ مِنْهُ كَانَ يَزِيدُ بْنُ مُفَرِّغٍ الْحِمْيَرِيُّ مَعَ عَبَّادِ بْنِ زِيَادٍ بِسِجِسْتَانَ ، فَاشْتَغَلَ عَنْهُ بِحَرْبِ التُّرْكِ ، فَاسْتَبْطَأَهُ ابْنُ مُفَرِّغٍ ، وَأَصَابَ الْجُنْدَ الَّذِينَ مَعَ عَبَّادٍ ضِيقٌ فِي عُلُوفَاتِ دَوَابِّهِمْ ، فَقَالَ ابْنُ مُفَرِّغٍ أَلَا لَيْتَ اللِّحَى كَانَتْ حَشِيشًا... |
| فَنَعْلِفَهَا خُيُولَ الْمُسْلَمِينَا وَكَانَ عَبَّادُ بْنُ زِيَادٍ عَظِيمَ اللِّحْيَةِ ، فَقِيلَ مَا أَرَادَ غَيْرَكَ. |
| فَطُلِبَ فَهَرَبَ مِنْهُ وَهَجَاهُ بِقَصَائِدَ ، وَكَانَ مِمَّا هَجَاهُ بِهِ قَوْلُهُ إِذَا أَوْدَى مُعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ... |
| فَبَشِّرْ شَعْبَ رَحْلِكَ بِانْصِدَاعِ فَأَشْهِدْ أَنَّ أُمَّكَ لَمْ تُبَاشِرْ... |
| أَبَا سُفْيَانَ وَاضِعَةَ الْقِنَاعِ وَلَكِنْ كَانَ أَمْرًا فِيهِ لَبْسٌ... |
| عَلَى وَجَلٍ شَدِيدٍ وَارْتِيَاعِ وَقَالَ أَيْضًا أَلَا أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ... |
| مُغَلْغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِي أَتَغْضَبُ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ... |
| وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانِ فَأَشْهَدُ أَنَّ رِحْمَكَ مِنْ زِيَادٍ... |
| كَرِحْمِ الْفِيلِ مِنْ وَلَدِ الْأَتَانِ وَقَدِمَ يَزِيدُ بْنُ مُفَرِّغٍ الْبَصْرَةَ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بِالشَّامِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَخُوهُ عَبَّادٌ بِمَا كَانَ مِنْهُ ، فَأَعْلَمَ عُبَيْدُ اللَّهِ مُعَاوِيَةَ بِهِ وَأَنْشَدَهُ الشِّعْرَ وَاسْتَأْذَنَهُ فِي قَتْلِ ابْنِ مُفَرِّغٍ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ وَأَمَرَهُ بِتَأْدِيبِهِ. |
| وَلَمَّا قَدِمَ ابْنُ مُفَرِّغٍ الْبَصْرَةَ اسْتَجَارَ بِالْأَحْنَفِ وَغَيْرِهِ مِنَ الرُّؤَسَاءِ فَلَمْ يُجِرْهُ أَحَدٌ ، فَاسْتَجَارَ بِالْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ فَأَجَارَهُ وَأَدْخَلَهُ دَارَهُ ، وَكَانَتِ ابْنَتُهُ عِنْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ الْبَصْرَةَ أُخْبِرَ بِمَكَانِ ابْنِ مُفَرِّغٍ ، وَأَتَى الْمُنْذِرَ عُبَيْدُ اللَّهِ مُسَلِّمًا ، فَأَرْسَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ الشُّرَطَ إِلَى دَارِ الْمُنْذِرِ فَأَخَذُوا ابْنَ مُفَرِّغٍ وَأَتَوْهُ بِهِ وَالْمُنْذِرُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمُنْذِرُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ! |
| فَقَالَ يَا مُنْذِرُ يَمْدَحُكَ وَأَبَاكَ وَيَهْجُونِي وَأَبِي وَتُجِيرُهُ عَلَيَّ! |
| ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُقِيَ دَوَاءً ثُمَّ حُمِلَ عَلَى حِمَارٍ وَطِيفَ بِهِ وَهُوَ يَسْلَحُ فِي ثِيَابِهِ ، فَقَالَ يَهْجُو الْمُنْذِرَ تَرَكْتُ قُرَيْشًا أَنْ أُجَاوِرَ فِيهِمُ... |
| وَجَاوَرَتْ عَبْدَ الْقَيْسِ أَهْلَ الْمُشَقَّرِ أُنَاسٌ أَجَارُونَا فَكَانَ جِوَارُهُمْ... |
| أَعَاصِيرَ مِنْ فَسْوِ الْعِرَاقِ الْمُبَذِّرَ فَأَصْبَحَ جَارِي مِنْ جُذَيْمَةَ نَائِمًا... |
| وَلَا يَمْنَعُ الْجِيرَانَ غَيْرُ الْمُشَمِّرِ فَقَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ يَغْسِلُ الْمَاءُ مَا صَنَعْتَ وَقَوْلِي... |
| رَاسِخٌ مِنْكَ فِي الْعِظَامِ الْبَوَالِي ثُمَّ سَيَّرَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى أَخِيهِ عَبَّادٍ بِسِجِسْتَانَ ، فَكَلَّمَتِ الْيَمَانِيَةُ بِالشَّامِ مُعَاوِيَةَ فِيهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبَّادٍ فَأَخَذَهُ مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَالَ فِي طَرِيقِهِ عَدَسْ مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ... |
| أَمِنْتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ لَعَمْرِي لَقَدْ نَجَّاكِ مِنْ هُوَّةِ الرَّدَى... |
| إِمَامٌ وَحَبْلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيقُ سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حُسْنِ نِعْمَةٍ... |
| وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُنْعِمِينَ حَقِيقُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بَكَى وَقَالَ رُكِبَ مِنِّي مَا لَمْ يُرْكَبْ مِنْ مُسْلِمٍ مِثْلُهُ عَلَى غَيْرِ حَدَثٍ ، قَالَ أَوَلَسْتَ الْقَائِلَ أَلَا أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ الْقَصِيدَةَ ؟ |
| فَقَالَ لَا وَاللَّهِ الَّذِي عَظَّمَ حَقَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا قُلْتُ هَذَا ، وَإِنَّمَا قَالَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ أَخُو مَرْوَانَ وَاتَّخَذَنِي ذَرِيعَةً إِلَى هِجَاءِ زِيَادٍ. |
| قَالَ أَلَسْتَ الْقَائِلَ فَأَشْهِدْ أَنَّ أُمَّكَ لَمْ تُبَاشِرْ... |
| أَبَا سُفْيَانَ وَاضِعَةَ الْقِنَاعِ فِي أَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ هَجَوْتَ بِهَا ابْنَ زِيَادٍ ؟ |
| اذْهَبْ فَقَدْ عَفَوْنَا عَنْكَ فَانْزِلْ أَيَّ أَرْضِ اللَّهِ شِئْتَ. |
| فَنَزَلَ الْمَوْصِلَ وَتَزَوَّجَ بِهَا. |
| فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ بِنَائِهِ بِامْرَأَتِهِ خَرَجَ حِينَ أَصْبَحَ إِلَى الصَّيْدِ فَلَقِيَ إِنْسَانًا عَلَى حِمَارٍ. |
| فَقَالَ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ |
| فَقَالَ مِنَ الْأَهْوَازِ. |
| قَالَ فَمَا فَعَلَ مَاءُ مَسْرُقَانَ ؟ |
| قَالَ عَلَى حَالِهِ. |
| فَارْتَاحَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَقَدِمَهَا وَدَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ فَآمَنَهُ. |
| وَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ فَكُلِّمَ فِيهِ فَقَالَ لَا أَرْضَى عَنْهُ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ ابْنُ زِيَادٍ. |
| فَقَدِمَ الْبَصْرَةَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ لَأَنْتَ زِيَادَةٌ فِي آلِ حَرْبٍ... |
| أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِحْدَى بَنَاتِي أَرَاكَ أَخًا وَعَمًّا وَابْنَ عَمٍّ... |
| فَلَا أَدْرِي بِغَيْبٍ مَا تَرَانِي فَقَالَ أَرَاكَ شَاعِرَ سُوءٍ! |
| وَرَضِيَ عَنْهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ حَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. |
| وَكَانَ الْوَالِي عَلَى الْكُوفَةِ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ ، وَعَلَى الْمَدِينَةِ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زِيَادٍ ، وَعَلَى سِجِسْتَانَ عَبَّادَ بْنَ زِيَادٍ ، وَعَلَى كَرْمَانَ شَرِيكَ بْنَ الْأَعْوَرِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ بِالْمَدِينَةِ ، وَقِيلَ سَنَةَ سِتِّينَ ، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ مَشَاهِدَهُ كُلَّهَا. |
| وَفِيهَا مَاتَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، وَوُلِدَ عَامَ الْهِجْرَةِ ، وَقُتِلَ أَبُوهُ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا. |
| وَفِيهَا مَاتَ مُرَّةُ بْنُ كَعْبٍ الْبَهْزِيُّ السُّلَمِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو مَحْذُورَةَ الْجُمَحِيُّ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ، وَلَمْ يَزَلْ يُؤْذِنُ بِهَا حَتَّى مَاتَ وَوَلَدُهُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ بِمَكَّةَ فَدُفِنَ بِعَرَفَاتٍ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَحَمَلَ جِنَازَتَهُ وَلَدُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ لِهَوَاهُ كَانَ فِي عُثْمَانَ. |
| غَزْوَةُ حِصْنِ كَمْخٍ وَفِيهَا غَزَا الْمُسْلِمُونَ حِصْنَ كَمْخٍ وَمَعَهُمْ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ السُّلَمِيُّ ، فَصَعِدَ عَمِيرٌ السُّورَ وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ حَتَّى كَشَفَ الرُّومَ فَصَعِدَ الْمُسْلِمُونَ ، فَفَتَحَهُ بِعُمَيْرٍ ، وَبِذَلِكَ كَانَ يَفْتَخِرُ وَيُفْخَرُ لَهُ بِذَلِكَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتِّينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتِّينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ غَزْوَةُ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ سُورِيَّةَ وَدُخُولُ جُنَادَةَ رُودِسَ وَهَدْمُهُ مَدِينَتَهَا فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَانَ قَدْ أَخَذَ عَلَى وَفْدِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ الْبَيْعَةَ لِيَزِيدَ . |
| ذِكْرُ وَفَاةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ خَطَبَ مُعَاوِيَةُ قَبْلَ مَرَضِهِ وَقَالَ إِنِّي كَزَرْعٍ مُسْتَحْصَدٍ وَقَدْ طَالَتْ إِمْرَتِي عَلَيْكُمْ حَتَّى مَلِلْتُكُمْ وَمَلِلْتُمُونِي وَتَمَنَّيْتُ فِرَاقَكُمْ وَتَمَنَّيْتُمْ فِرَاقِي ، وَلَنْ يَأْتِيَكُمْ بَعْدِي إِلَّا مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، كَمَا أَنَّ مَنْ قَبْلِي كَانَ خَيْرًا مِنِّي ، وَقَدْ قِيلَ « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ » ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ لِقَاءَكَ فَأَحْبِبْ لِقَائِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ! |
| فَلَمْ يَمْضِ غَيْرُ قَلِيلٍ حَتَّى ابْتَدَأَ بِهِ مَرَضُهُ ، فَلَمَّا مَرِضَ الْمَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ دَعَا ابْنَهُ يَزِيدَ فَقَالَ يَا بُنِيَّ إِنِّي قَدْ كَفَيْتُكَ الشَّدَّ وَالتَّرْحَالَ ، وَوَطَّأْتُ لَكَ الْأُمُورَ ، وَذَلَّلْتُ لَكَ الْأَعْدَاءَ ، وَأَخْضَعْتُ لَكَ رِقَابَ الْعَرَبِ ، وَجَمَعْتُ لَكَ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ أَحَدٌ ، فَانْظُرْ أَهْلَ الْحِجَازِ فَإِنَّهُمْ أَصْلُكَ ، وَأَكْرِمْ مَنْ قَدِمَ عَلَيْكَ مِنْهُمْ ، وَتَعَاهَدَ مَنْ غَابَ ، وَانْظُرْ أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنْ سَأَلُوكَ أَنْ تَعْزِلَ عَنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ عَامِلًا فَافْعَلْ ، فَإِنَّ عَزْلَ عَامِلٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يُشْهَرَ عَلَيْكَ مِائَةُ أَلْفِ سَيْفٍ ، وَانْظُرْ أَهْلَ الشَّامِ فَلْيَكُونُوا بِطَانَتَكَ وَعَيْبَتَكَ ، فَإِنْ رَابَكَ مَنْ عَدُّوِكَ شَيْءٌ فَانْتَصِرْ بِهِمْ ، فَإِذَا أَصَبْتَهُمْ فَارْدُدْ أَهْلَ الشَّامِ إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَقَامُوا بِغَيْرِ بِلَادِهِمْ تَغَيَّرَتْ أَخْلَاقُهُمْ ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ يُنَازِعَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا أَرْبَعَةُ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَمَّا ابْنُ عُمَرَ فَإِنَّهُ رَجُلٌ قَدْ وَقَذَتْهُ الْعِبَادَةُ ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ غَيْرُهُ بَايَعَكَ ، وَأَمَّا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فَهُوَ رَجُلٌ خَفِيفٌ وَلَنْ يَتْرُكَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ حَتَّى يُخْرِجُوهُ ، فَإِنْ خَرَجَ وَظَفِرْتَ بِهِ فَاصْفَحْ عَنْهُ ، فَإِنَّ لَهُ رَحِمًا مَاسَّةً وَحَقًّا عَظِيمًا وَقَرَابَةً مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا ابْنُ أَبِي بَكْرٍ فَإِنْ رَأَى أَصْحَابَهُ صَنَعُوا شَيْئًا صَنَعَ مِثْلَهُ ، لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا فِي النِّسَاءِ وَاللَّهْوِ ، وَأَمَّا الَّذِي يَجْثِمُ لَكَ جُثُومَ الْأَسَدِ وَيُرَاوِغُكَ مُرَاوَغَةَ الثَّعْلَبِ فَإِنْ أَمْكَنَتْهُ فُرْصَةٌ وَثَبَ فَذَاكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، فَإِنْ هُوَ فَعَلَهَا بِكَ فَظَفِرْتَ بِهِ فَقَطِّعْهُ إِرَبًا إِرَبًا ، وَاحْقِنْ دِمَاءَ قَوْمِكَ مَا اسْتَطَعْتَ. |
| هَكَذَا فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ ذُكِرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ، فَإِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ كَانَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ مُعَاوِيَةَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ يَزِيدَ كَانَ غَائِبًا فِي مَرَضِ أَبِيهِ وَمَوْتِهِ ، وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ أَحْضَرَ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ وَمُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ الْمُرِّيَّ فَأَمَرَهُمَا أَنْ يُؤَدِّيَا عَنْهُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ إِلَى يَزِيدَ ابْنِهِ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ. |
| ثُمَّ مَاتَ بِدِمَشْقَ لِهِلَالِ رَجَبٍ ، وَقِيلَ لِلنِّصْفِ مِنْهُ ، وَقِيلَ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْهُ ، وَكَانَ مُلْكُهُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا مُذِ اجْتَمَعَ لَهُ الْأَمْرُ وَبَايَعَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَقِيلَ كَانَ مُلْكُهُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ إِلَّا أَيَّامًا ، وَكَانَ عُمُرُهُ خَمْسًا وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً. |
| وَقِيلَ تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ خَمْسٌ وَثَمَانِينَ. |
| وَقِيلَ وَلَمَّا اشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ وَأُرْجِفَ بِهِ قَالَ لِأَهْلِهِ احْشُوا عَيْنِي إِثْمِدًا وَادْهُنُوا رَأْسِي. |
| فَفَعَلُوا وَبَرَّقُوا وَجْهَهُ بِالدُّهْنِ ثُمَّ مُهِّدَ لَهُ فَجَلَسَ وَأَذِنَ لِلنَّاسِ ، فَسَلَّمُوا قِيَامًا وَلَمْ يَجْلِسْ أَحَدٌ ، فَلَمَّا خَرَجُوا عَنْهُ قَالُوا هُوَ أَصَحُّ النَّاسِ. |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ عِنْدِهِ وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ... |
| أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعْضَعُ وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا... |
| أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ وَكَانَ بِهِ نُفَاثَاتٌ ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَانِي قَمِيصًا فَحَفِظْتُهُ ، وَقَلَّمَ أَظْفَارَهُ يَوْمًا فَأَخَذْتُ قُلَامَتَهُ فَجَعَلْتُهَا فِي قَارُورَةٍ ، فَإِذَا مُتُّ فَأَلْبِسُونِي ذَلِكَ الْقَمِيصَ وَاسْحَقُوا تِلْكَ الْقُلَامَةَ وَذَرُوهَا فِي عَيْنِي وَفَمِي فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَنِي بِبَرَكَتِهَا ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِشِعْرِ الْأَشْهَبِ بْنِ رُمَيْلَةَ النَّهْشَلِيِّ إِذَا مُتُّ مَاتَ الْجُودُ وَانْقَطَعَ النَّدَى... |
| مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرَّدِ وَرُدَّتْ أَكُفُّ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا... |
| مِنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِخُلْفٍ مُجَدَّدِ فَقَالَتْ إِحْدَى بَنَاتِهِ كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْكَ. |
| فَقَالَ مُتَمَثِّلًا بِشِعْرِ الْهُذَلِيِّ وَإِذَا الْمَنِيَّةُ ، الْبَيْتَ. |
| وَقَالَ لِأَهْلِهِ اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ لَا وَاقِيَ لِمَنْ لَا يَتَّقِي اللَّهَ. |
| ثُمَّ قَضَى وَأَوْصَى أَنْ يُرَدَّ نِصْفُ مَالِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ، كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَطِيبَ لَهُ الْبَاقِي لِأَنَّ عُمَرَ قَاسَمَ عُمَّالَهُ ، وَأَنْشَدَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ إِنْ تُنَاقِشْ يَكُنْ نِقَاشُكَ يَا رَ... |
| بِّ عَذَابًا لَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ أَوْ تُجَاوِزْ فَأَنْتَ رَبٌّ صَفُوحٌ... |
| عَنْ مُسِيءٍ ذُنُوبُهُ كَالتُّرَابِ وَلَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُهُ أَخَذَتِ ابْنَتُهُ رَمْلَةُ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهَا وَجَعَلَتْ تُفَلِّيهِ ، فَقَالَ إِنَّكِ لَتُفَلِّينَهُ حُوَّلًا قُلَّبًا ، جَمَعَ الْمَالَ مِنْ شُبٍّ إِلَى دُبٍّ ، فَلَيْتَهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ! |
| ثُمَّ تَمَثَّلَ لَقَدْ سَعَيْتُ لَكُمْ مِنْ سَعْيِ ذِي نَصَبٍ... |
| وَقَدْ كَفَيْتُكُمُ التَّطْوَافَ وَالرَّحَلَا وَبَلَغَهُ أَنَّ قَوْمًا يَفْرَحُونَ بِمَوْتِهِ ، فَأَنْشَدَ فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ إِنْ مَا هَلَكْنَا... |
| وَهَلْ بِالْمَوْتِ يَا لِلنَّاسِ عَارُ ؟ |
| وَكَانَ فِي مَرَضِهِ رُبَّمَا اخْتَلَطَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، فَقَالَ مَرَّةً كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْغُوطَةِ ؟ |
| فَصَاحَتْ بِنْتُهُ وَاحُزْنَاهُ! |
| فَأَفَاقَ فَقَالَ إِنْ تَنْفِرِي فَقَدْ رَأَيْتِ مَنْفَرَا. |
| فَلَمَّا مَاتَ خَرَجَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَأَكْفَانُ مُعَاوِيَةَ عَلَى يَدَيْهِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ عُودَ الْعَرَبِ وَحَدَّ الْعَرَبِ وَجَدَّ الْعَرَبِ ، قَطَعَ اللَّهُ بِهِ الْفِتْنَةَ وَمَلَّكَهُ عَلَى الْعِبَادِ وَفَتَحَ بِهِ الْبِلَادَ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ وَهَذِهِ أَكْفَانُهُ وَنَحْنُ مُدْرِجُوهُ فِيهَا وَمُدْخِلُوهُ قَبْرَهُ وَمُخَلُّونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمَلِهِ ثُمَّ هُوَ الْهَرْجُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَشْهَدَهُ فَعِنْدَ الْأُولَى. |
| وَصَلَّى عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ. |
| وَقِيلَ لَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُهُ ، أَيْ مَرَضُ مُعَاوِيَةَ ، كَانَ وَلَدُهُ يَزِيدُ بِحُوَّارِينَ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ يَحُثُّونَهُ عَلَى الْمَجِيءِ لِيُدْرِكَهُ ، فَقَالَ يَزِيدُ شِعْرًا جَاءَ الْبَرِيدُ بِقِرْطَاسٍ يَخُبُّ بِهِ... |
| فَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ قِرْطَاسِهِ فَزَعَا قُلْنَا لَكَ الْوَيْلُ مَاذَا فِي كِتَابِكُمُ ؟... |
| قَالَ الْخَلِيفَةُ أَمْسَى مُثْبَتًا وَجِعَا ثُمَّ انْبَعَثْنَا إِلَى خَوْضٍ مُزَمَّمَةٍ... |
| نَرْمِي الْفِجَاجَ بِهَا لَا نَأْتَلِي سِرَعَا فَمَادَتِ الْأَرْضُ أَوْ كَادَتْ تَمِيدُ بِنَا... |
| كَأَنَّ أَغْبَرَ مِنْ أَرْكَانِهَا انْقَطَعَا مَنْ لَمْ تَزَلْ نَفْسُهُ تُوفِي عَلَى شَرَفٍ... |
| تُوشِكْ مَقَالِيدُ تِلْكَ النَّفْسِ أَنْ تَقَعَا لَمَّا انْتَهَيْنَا وَبَابُ الدَّارِ مُنْصَفِقٌ... |
| وَصَوْتُ رَمْلَةَ رِيعَ الْقَلْبُ فَانْصَدَعَا ثُمَّ ارْعَوَى الْقَلْبُ شَيْئًا بَعْدَ طَيْرَتِهِ... |
| وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنْ قَدْ أُثْبِتَتْ جَزَعَا أَوْدَى ابْنُ هِنْدٍ وَأَوْدَى الْمَجْدُ يَتْبَعُهُ... |
| كَانَا جَمِيعًا فَمَاتَا قَاطِنَيْنِ مَعَا أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ... |
| لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحِسَابِهِمْ قَرَعَا فَأَقْبَلَ يَزِيدُ وَقَدْ دُفِنَ فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ. |
| ذِكْرُ نَسَبِهِ وَكُنْيَتِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَأَوْلَادِهِ أَمَّا نَسَبُهُ فَهُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَاسْمُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ. |
| وَأَمَّا نِسَاؤُهُ وَوَلَدُهُ ، فَمِنْهُنَّ مَيْسُونُ بِنْتُ بَحْدَلِ بْنِ أُنَيْفٍ الْكَلْبِيَّةِ أُمُّ يَزِيدَ ابْنِهِ ، وَقِيلَ وَلَدَتْ بِنْتًا اسْمُهَا أَمَةُ رَبِّ الْمَشَارِقِ فَمَاتَتْ صَغِيرَةً وَمِنْهُنَّ فَاخِتَةُ ابْنَةُ قَرَظَةَ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مُنَافٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنَيْ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَحْمَقَ ، اجْتَازَ يَوْمًا بِطَحَّانٍ وَبَغْلُهُ يَطْحَنُ ، وَفِي عُنُقِهِ جَلَاجِلُ فَسَأَلَ عَنِ الْجَلَاجِلِ فَقَالَ جَعَلْتُهَا فِي عُنُقِهِ لِأَعْلَمَ أَنْ قَدْ قَامَ فَلَمْ تَدُرِ الرَّحَا. |
| فَقَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ كَيْفَ تَعْلَمُ ؟ |
| فَقَالَ الطَّحَّانُ إِنَّ بَغْلِي لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ مِثْلُ عَقْلِ الْأَمِيرِ. |
| وَأَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَمَاتَ صَغِيرًا. |
| وَمِنْهُنَّ نَائِلَةُ ابْنَةُ عُمَارَةَ الْكِلَابِيَّةُ ، تَزَوَّجَهَا وَقَالَ لِمَيْسُونَ انْظُرِي إِلَيْهَا ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا وَقَالَتْ رَأَيْتُهَا جَمِيلَةً ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ تَحْتَ سُرَّتِهَا خَالًا ، لَيُوضَعَنَّ رَأْسُ زَوْجِهَا فِي حِجْرِهَا! |
| فَطَلَّقَهَا مُعَاوِيَةُ وَتَزَوَّجَهَا حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيُّ ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ، وَقُتِلَ فَوُضِعَ رَأْسُهُ فِي حِجْرِهَا. |
| وَمِنْهُنَّ كَتْوَةُ بِنْتُ قَرَظَةَ أُخْتُ فَاخِتَةَ ، وَغَزَا قُبْرُسَ وَهِيَ مَعَهُ فَمَاتَتْ هُنَاكَ. |
| ذِكْرُ بَعْضِ سِيرَتِهِ وَأَخْبَارِهِ وَقُضَاتِهِ وَكُتَّابِهِ لَمَّا بُويِعَ مُعَاوِيَةُ بِالْخِلَافَةِ اسْتَعْمَلَ عَلَى شُرْطَتِهِ قَيْسَ بْنَ حَمْزَةَ الْهَمْدَانِيَّ ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ زِمْلَ بْنَ عَمْرٍو الْعُذْرِيَّ ، وَقِيلَ السَّكْسَكِيَّ. |
| وَكَانَ كَاتِبُهُ وَصَاحِبُ أَمْرِهِ سَرْجُونَ الرُّومِيَّ ، وَعَلَى حَرَسِهِ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي يُقَالُ لَهُ الْمُخْتَارُ ، وَقِيلَ أَبُو الْمُخَارِقِ مَالِكٌ مَوْلَى حِمْيَرَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اتَّخَذَ الْحَرَسَ ، وَكَانَ عَلَى حُجَّابِهِ سَعْدٌ مَوْلَاهُ ، وَعَلَى الْقَضَاءِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، فَمَاتَ ، فَاسْتَقْضَى أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ. |
| وَكَانَ عَلَى دِيوَانِ الْخَاتَمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مِحْصَنٍ الْحِمْيَرِيُّ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اتَّخَذَ دِيوَانَ الْخَاتَمِ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَمَرَ لِعَمْرِو بْنِ الزُّبَيْرِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ إِلَى زِيَادٍ ، فَفَتَحَ عَمْرٌو الْكِتَابَ وَصَيَّرَ الْمِائَةَ مِائَتَيْنِ ، فَلَمَّا رَفَعَ زِيَادٌ حِسَابَهُ أَنْكَرَهَا مُعَاوِيَةُ وَطَلَبَهَا مِنْ عَمْرٍو وَحَبَسَهُ ، فَقَضَاهَا عَنْهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَأَحْدَثَ عَنْهُ ذَلِكَ مُعَاوِيَةُ دِيوَانَ الْخَاتَمِ وَحَزَمَ الْكُتُبَ ، وَلَمْ تَكُنْ تُحْزَمُ. |
| قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَذْكُرُونَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَدَهَاءَهُمَا وَعِنْدَكُمْ مُعَاوِيَةُ! |
| قِيلَ وَقَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ مِصْرَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَعَهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، فَقَالَ لَهُمْ عَمْرٌو لَا تُسَلِّمُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ بِالْخِلَافَةِ فَإِنَّهُ أَهْيَبُ لَكُمْ فِي قَلْبِهِ وَصَغِّرُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ. |
| فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ مُعَاوِيَةُ لِحُجَّابِهِ كَأَنِّي بِابْنِ النَّابِغَةِ وَقَدْ صَغَّرَ أَمْرِي عِنْدَ الْقَوْمِ ، فَانْظُرُوا إِذَا دَخَلَ الْقَوْمُ فَتَعْتِعُوهُمْ أَشَدَّ مَا يَحْضُرُكُمْ. |
| فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْخَيَّاطِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! |
| وَتَتَابَعَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ لَهُمْ عَمْرٌو لَعَنَكُمُ اللَّهُ! |
| نَهَيْتُكُمْ أَنْ تُسَلِّمُوا عَلَيْهِ بِالْإِمَارَةِ فَسَلَّمْتُمْ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ! |
| قِيلَ وَدَخَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَعَهُ وَلَدٌ لَهُ فَأَكْثَرَ مِنَ الْأَكْلِ ، فَلَحَظَهُ مُعَاوِيَةُ ، وَفَطِنَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَأَرَادَ أَنْ يَغْمِزَ ابْنَهُ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْأَكْلِ ، ثُمَّ عَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَلَيْسَ مَعَهُ ابْنُهُ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ مَا فَعَلَ ابْنُكَ التِّلْقَامَةُ ؟ |
| قَالَ اشْتَكَى. |
| قَالَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَكْلَهُ سَيُوَرِّثُهُ دَاءً. |
| قَالَ جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءٍ قَدِمَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ عَلَى مُعَاوِيَةَ فِي بُرْنُسٍ أَسْوَدَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللَّهِ! |
| قَالَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ. |
| فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ مُعَاوِيَةُ قَدِمَ الشَّيْخُ لِأُوَلِّيَهُ ، وَاللَّهِ لَا أُوَلِّيهِ! |
| وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمُعَاوِيَةَ أَلَسْتُ أَنْصَحَ النَّاسِ لَكَ ؟ |
| قَالَ بِذَلِكَ نِلْتَ مَا نِلْتَ. |
| قَالَ جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءٍ أَيْضًا كَانَ بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَنَالَ مِنْ عَلِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حَاضِرٌ ، وَأُمُّهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عَلِيٍّ ، فَعَلَاهُ بِالْعَصَا وَشَجَّهُ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِزَيْدٍ عَمَدْتَ إِلَى شَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِ أَهْلِ الشَّامِ فَضَرَبْتَهُ! |
| وَأَقْبَلَ عَلَى بُسْرٍ فَقَالَ تَشْتُمُ عَلِيًّا وَهُوَ جَدُّهُ وَابْنُ الْفَارُوقِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ! |
| أَتَرَى أَنْ يَصْبِرَ عَلَى ذَلِكَ ؟ |
| فَأَرْضَاهُمَا جَمِيعًا. |
| وَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنِّي لَأَرْفَعُ نَفْسِي مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي ، وَجَهْلٌ أَكْبَرَ مِنْ حِلْمِي ، وَعَوْرَةٌ لَا أُوَارِيهَا بِسَتْرِي ، وَإِسَاءَةٌ أَكْثَرَ مِنْ إِحْسَانِي. |
| وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ قَدْ لَهِجْتَ بِالشِّعْرِ ، فَإِيَّاكَ وَالتَّشْبِيبَ بِالنِّسَاءِ فَتَعُرَّ الشَّرِيفَةَ ، وَالْهِجَاءَ فَتَعُرَّ كَرِيمًا وَتَسْتَثِيرُ لَئِيمًا ، وَالْمَدْحَ فَإِنَّهُ طُعْمَةُ الْوَقَاحِ ، وَلَكِنِ افْخَرْ بِمَفَاخِرِ قَوْمِكَ وَقُلْ مِنَ الْأَمْثَالِ مَا تُزَيِّنُ بِهِ نَفْسَكَ وَتُؤَدِّبُ بِهِ غَيْرَكَ. |
| قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ قِيلَ لِمُعَاوِيَةَ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ |
| قَالَ أَشَدُّهُمْ لِي تَحْبِيبًا إِلَى النَّاسِ. |
| وَقَالَ مُعَاوِيَةُ الْعَقْلُ وَالْحِلْمُ وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْعِبَادُ ، فَإِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ ، وَإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ ، وَإِذَا غَضِبَ كَظَمَ ، وَإِذَا قَدَرَ غَفَرَ ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ. |
| قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ أَغْلَظَ لِمُعَاوِيَةَ رَجُلٌ فَأَكْثَرَ ، فَقِيلَ لَهُ أَتَحْلُمُ عَنْ هَذَا ؟ |
| فَقَالَ إِنِّي لَا أَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ أَلْسِنَتِهِمْ مَا لَمْ يَحُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُلْكِنَا. |
| وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَامِرٍ لَامَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ عَلَى الْغِنَاءِ ، فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَعَهُ بُدَيْحٌ وَمُعَاوِيَةُ وَاضِعٌ رِجْلًا عَلَى رِجْلٍ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِبُدَيْحٍ إِيهًا يَا بُدَيْحُ! |
| فَتَغَنَّى ، فَحَرَّكَ مُعَاوِيَةُ رِجْلَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ مَهْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّ الْكَرِيمَ طَرُوبٌ. |
| قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا رَأَيْتُ أَخْلَقَ لِلْمُلْكِ مِنْ مُعَاوِيَةَ ، إِنْ كَانَ لَيَرِدُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى أَرْجَاءِ وَادٍ رَحْبٍ ، وَلَمْ يَكُنْ كَالضَّيِّقِ الْحُصْحُصِ الْحَصِرِ ، يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ مُغْضَبًا. |
| وَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو وَقَفَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِقَبْرِ مُعَاوِيَةَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَتَرَحَّمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ قَبْرُ مَنْ هَذَا ؟ |
| فَقَالَ قَبْرُ رَجُلٍ كَانَ وَاللَّهِ فِيمَا عَلِمْتُهُ يَنْطِقُ عَنْ عِلْمٍ ، وَيَسْكُتُ عَنْ حِلْمٍ ، إِذَا أَعْطَى أَغْنَى ، وَإِذَا حَارَبَ أَفْنَى ، ثُمَّ عَجَّلَ لَهُ الدَّهْرُ مَا أَخَّرَهُ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ بَعْدَهُ ، هَذَا قَبْرُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاوِيَةَ. |
| وَمُعَاوِيَةُ أَوَّلُ خَلِيفَةٍ بَايَعَ لِوَلَدِهِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْبَرِيدَ ، وَأَوَّلُ مَنْ سَمَّى الْغَالِيَةَ الَّتِي تُطَيِّبُ مِنَ الطِّيبِ غَالِيَةً ، وَأَوَّلُ مَنْ عَمِلَ الْمَقْصُورَةَ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَأَوَّلُ مَنْ خَطَبَ جَالِسًا ، فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ. |
| ذِكْرُ بَيْعَةِ يَزِيدَ قِيلَ وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بُويِعَ يَزِيدُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ ، عَلَى مَا سَبَقَ مِنَ الْخِلَافِ فِيهِ ، فَلَمَّا تَوَلَّى كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَعَلَى مَكَّةَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَزِيدَ هِمَّةٌ إِلَّا بَيْعَةُ النَّفَرِ الَّذِينَ أَبَوْا عَلَى مُعَاوِيَةَ بَيْعَتَهُ ، فَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ يُخْبِرُهُ بِمَوْتِ مُعَاوِيَةَ ، وَكِتَابًا آخَرَ صَغِيرًا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَخُذْ حُسَيْنًا وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَابْنَ الزُّبَيْرِ بِالْبَيْعَةِ أَخْذًا لَيْسَ فِيهِ رُخْصَةٌ حَتَّى يُبَايِعُوا ، وَالسَّلَامُ. |
| فَلَمَّا أَتَاهُ نَعْيُ مُعَاوِيَةَ فُظِعَ بِهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِ وَبَعَثَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَدَعَاهُ. |
| وَكَانَ مَرْوَانُ عَامِلًا عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قَبْلِ الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا قَدِمَهَا الْوَلِيدُ كَانَ مَرْوَانُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ مُتَكَارِهًا ، فَلَمَّا رَأَى الْوَلِيدُ ذَلِكَ مِنْهُ شَتَمَهُ عِنْدَ جُلَسَائِهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مَرْوَانَ فَانْقَطَعَ عَنْهُ وَلَمْ يَزَلْ مُصَارِمًا لَهُ حَتَّى جَاءَ نَعْيُ مُعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا عَظُمَ عَلَى الْوَلِيدِ هَلَاكُهُ وَمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ بَيْعَةِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ ، اسْتَدْعَى مَرْوَانَ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ بِمَوْتِ مُعَاوِيَةَ اسْتَرْجَعَ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ ، وَاسْتَشَارَهُ الْوَلِيدُ كَيْفَ يَصْنَعُ. |
| قَالَ أَرَى أَنْ تَدْعُوَهُمُ السَّاعَةَ وَتَأْمُرَهُمْ بِالْبَيْعَةِ ، فَإِنْ فَعَلُوا قَبِلْتَ مِنْهُمْ وَكَفَفْتَ عَنْهُمْ ، وَإِنْ أَبَوْا ضَرَبْتَ أَعْنَاقَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِمَوْتِ مُعَاوِيَةَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ عَلِمُوا بِمَوْتِهِ وَثَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِنَاحِيَةٍ وَأَظْهَرَ الْخِلَافَ وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ ، أَمَّا ابْنُ عُمَرَ فَلَا يَرَى الْقِتَالَ وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَلِيَ عَلَى النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُدْفَعَ إِلَيْهِ هَذَا الْأَمْرُ عَفْوًا. |
| فَأَرْسَلَ الْوَلِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ ، وَهُوَ غُلَامٌ حَدَثٌ ، إِلَى الْحُسَيْنِ وَابْنِ الزُّبَيْرِ يَدْعُوهُمَا ، فَوَجَدَهُمَا فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا جَالِسَانِ ، فَأَتَاهُمَا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنِ الْوَلِيدُ يَجْلِسُ فِيهَا لِلنَّاسِ فَقَالَ أَجِيبَا الْأَمِيرَ. |
| فَقَالَا انْصَرِفِ ، الْآنَ نَأْتِيهِ. |
| وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِلْحُسَيْنِ مَا تَرَاهُ بَعَثَ إِلَيْنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ فِيهَا ؟ |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ أَظُنُّ أَنَّ طَاغِيَتَهُمْ قَدْ هَلَكَ فَبَعَثَ إِلَيْنَا لِيَأْخُذَنَا بِالْبَيْعَةِ قَبْلَ أَنْ يَفْشُوَ فِي النَّاسِ الْخَبَرُ. |
| فَقَالَ وَأَنَا مَا أَظُنُّ غَيْرَهُ ، فَمَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ ؟ |
| قَالَ الْحُسَيْنُ أَجْمَعُ فِتْيَانِي السَّاعَةَ ثُمَّ أَمْشِي إِلَيْهِ وَأُجْلِسُهُمْ عَلَى الْبَابِ وَأَدْخُلُ عَلَيْهِ. |
| قَالَ فَإِنِّي أَخَافُهُ عَلَيْكَ إِذَا دَخَلْتَ. |
| قَالَ لَا آتِيهِ إِلَّا وَأَنَا قَادِرٌ عَلَى الِامْتِنَاعِ. |
| فَقَامَ فَجَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى بَابِ الْوَلِيدِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي دَاخِلٌ فَإِذَا دَعَوْتُكُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ صَوْتِي قَدْ عَلَا فَادْخُلُوا عَلَيَّ بِأَجْمَعِكُمْ وَإِلَّا فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ. |
| ثُمَّ دَخَلَ فَسَلَّمَ ، وَمَرْوَانُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ الصِّلَةُ خَيْرٌ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، وَالصُّلْحُ خَيْرٌ مِنَ الْفَسَادِ ، وَقَدْ آنَ لَكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا ، أَصْلَحَ اللَّهُ ذَاتَ بَيْنِكُمَا ، وَجَلَسَ ، فَأَقْرَأَهُ الْوَلِيدُ الْكِتَابَ ، وَنَعَى لَهُ مُعَاوِيَةَ وَدَعَاهُ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَاسْتَرْجَعَ الْحُسَيْنُ وَتَرَحَّمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَالَ أَمَّا الْبَيْعَةُ فَإِنَّ مِثْلِي لَا يُبَايِعُ سِرًّا وَلَا يُجْتَزَأُ بِهَا مِنِّي سِرًّا ، فَإِذَا خَرَجْتَ إِلَى النَّاسِ وَدَعَوْتَهُمْ لِلْبَيْعَةِ وَدَعَوْتَنَا مَعَهُمْ كَانَ الْأَمْرُ وَاحِدًا. |
| فَقَالَ الْوَلِيدُ ، وَكَانَ يُحِبُّ الْعَافِيَةَ انْصَرِفْ. |
| فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ لَئِنْ فَارَقَكَ السَّاعَةَ وَلَمْ يُبَايِعْ لَا قَدَرْتَ مِنْهُ عَلَى مِثْلِهَا أَبَدًا حَتَّى تَكْثُرَ الْقَتْلَى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ، احْبِسْهُ فَإِنْ بَايَعَ وَإِلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ. |
| فَوَثَبَ عِنْدَ ذَلِكَ الْحُسَيْنُ وَقَالَ ابْنَ الزَّرْقَاءِ أَأَنْتَ تَقْتُلُنِي أَمْ هُوَ ؟ |
| كَذَبْتَ وَاللَّهِ وَلَؤُمْتَ! |
| ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ. |
| فَقَالَ مَرْوَانُ لِلْوَلِيدِ عَصَيْتَنِي ، لَا وَاللَّهِ لَا يُمَكِّنُكَ مِنْ نَفْسِهِ بِمِثْلِهَا أَبَدًا ، فَقَالَ الْوَلِيدُ وَبِّخْ غَيْرَكَ يَا مَرْوَانُ ، وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ عَنْهُ مِنْ مَالِ الدُّنْيَا وَمُلْكِهَا وَأَنِّي قَتَلْتُ حُسَيْنًا إِنْ قَالَ لَا أُبَايِعُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنَّ أَنَّ امْرَأً يُحَاسَبُ بِدَمِ الْحُسَيْنِ لَخَفِيفُ الْمِيزَانِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. |
| قَالَ مَرْوَانُ قَدْ أَصَبْتَ. |
| يَقُولُ لَهُ هَذَا وَهُوَ غَيْرُ حَامِدٍ لَهُ عَلَى رَأْيِهِ. |
| وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ الْآنَ آتِيكُمْ. |
| ثُمَّ أَتَى دَارَهُ فَكَمَنَ فِيهَا ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ فَوَجَدَهُ قَدْ جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَاحْتَرَزَ ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ وَهُوَ يَقُولُ أَمْهِلُونِي. |
| فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ مَوَالِيهِ ، فَشَتَمُوهُ وَقَالُوا لَهُ يَا ابْنَ الْكَاهِلِيَّةِ لَتَأْتِيَنَّ الْأَمِيرَ أَوْ لَيَقْتُلَنَّكَ! |
| فَقَالَ لَهُمْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَرَبْتُ لِكَثْرَةِ الْإِرْسَالِ ، فَلَا تُعَجِّلُونِي حَتَّى أَبْعَثَ إِلَى الْأَمِيرِ مَنْ يَأْتِينِي بِرَأْيِهِ. |
| فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَخَاهُ جَعْفَرَ بْنَ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ ، كُفَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فَإِنَّكَ قَدْ أَفْزَعْتَهُ وَذَعَرْتَهُ وَهُوَ يَأْتِيكَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَمُرْ رُسُلَكَ فَلْيَنْصَرِفُوا عَنْهُ. |
| فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ فَانْصَرَفُوا. |
| وَخَرَجَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَخَذَ طَرِيقَ الْفُرْعِ هُوَ وَأَخُوهُ جَعْفَرٌ لَيْسَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ وَسَارَا نَحْوَ مَكَّةَ ، فَسَرَّحَ الرِّجَالَ فِي طَلَبِهِ فَلَمْ يُدْرِكُوهُ ، فَرَجَعُوا وَتَشَاغَلُوا بِهِ عَنِ الْحُسَيْنِ لَيْلَتَهُمْ ، ثُمَّ أَرْسَلَ الرِّجَالَ إِلَى الْحُسَيْنِ فَقَالَ لَهُمْ أَصْبِحُوا ثُمَّ تَرَوْنَ وَنَرَى ، وَكَانُوا يُبْقُونَ عَلَيْهِ ، فَكَفُّوا عَنْهُ ، فَسَارَ مِنْ لَيْلَتِهِ وَكَانَ مَخْرَجُ ابْنِ الزُّبَيْرِ قَبْلَهُ بِلَيْلَةٍ ، وَأَخَذَ مَعَهُ بَنِيهِ وَإِخْوَتَهُ وَبَنِي أَخِيهِ وَجُلَّ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا مُحَمَّدَ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ يَا أَخِي أَنْتَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَعَزُّهُمْ عَلَيَّ وَلَسْتُ أَذَّخِرُ النَّصِيحَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ أَحَقَّ بِهَا مِنْكَ ، تَنَحَّ بِبَيْعَتِكَ عَنْ يَزِيدَ وَعَنِ الْأَمْصَارِ مَا اسْتَطَعْتَ وَابْعَثْ رُسُلَكَ إِلَى النَّاسِ وَادْعُهُمْ إِلَى نَفْسِكَ فَإِنْ بَايَعُوا لَكَ حَمِدْتَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِنْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى غَيْرِكَ لَمْ يَنْقُصِ اللَّهُ بِذَلِكَ دِينَكَ وَلَا عَقْلَكَ وَلَا تَذْهَبُ بِهِ مُرُوءَتُكَ وَلَا فَضْلُكَ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَأْتِيَ مِصْرًا وَجَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ فَيَخْتَلِفُوا عَلَيْكَ ، فَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ مَعَكَ وَأُخْرَى عَلَيْكَ ، فَيَقْتَتِلُونَ فَتَكُونُ لِأَوَّلِ الْأَسِنَّةِ ، فَإِذَا خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كُلِّهَا نَفْسًا وَأَبًا وَأُمًّا أَضْيَعُهَا دَمًا وَأَذَلُّهَا أَهْلًا. |
| قَالَ الْحُسَيْنُ فَأَيْنَ أَذْهَبُ يَا أَخِي ؟ |
| قَالَ انْزِلْ مَكَّةَ فَإِنِ اطْمَأَنَّتْ بِكَ الدَّارُ فَبِسَبِيلِ ذَلِكَ ، وَإِنْ نَأْتِ بِكَ لَحِقْتَ بِالرِّمَالِ وَشَعَفِ الْجِبَالِ وَخَرَجْتَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ حَتَّى تَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُ النَّاسِ ، وَيَفْرُقَ لَكَ الرَّأْيُ ، فَإِنَّكَ أَصْوَبُ مَا يَكُونُ رَأْيًا وَأَحْزَمُهُ عَمَلًا حِينَ تَسْتَقْبِلُ الْأُمُورَ اسْتِقْبَالًا ، وَلَا تَكُونُ الْأُمُورُ عَلَيْكَ أَبَدًا أَشْكَلَ مِنْهَا حِينَ تَسْتَدْبِرُهَا. |
| قَالَ يَا أَخِي قَدْ نَصَحْتَ وَأَشْفَقْتَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ رَأْيُكَ سَدِيدًا وَمُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. |
| ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَهُوَ يَتَمَثَّلُ بُقُولِ يَزِيدَ بْنِ مُفَرِّغٍ لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي شَفَقِ الصُّبْ... |
| حِ مُغِيرًا وَلَا دُعِيتُ يَزِيدَا يَوْمَ أُعْطَى مِنَ الْمَهَانَةِ ضَيْمًا... |
| وَالْمَنَايَا يَرْصُدْنَنِي أَنْ أَحِيدَا وَلَمَّا سَارَ الْحُسَيْنُ نَحْوَ مَكَّةَ قَرَأَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ القصص الْآيَةَ. |
| فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ قَرَأَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ القصص الْآيَةَ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْوَلِيدَ أَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ لِيُبَايِعَ فَقَالَ إِذَا بَايَعَ النَّاسُ بَايَعْتُ ، فَتَرَكُوهُ وَكَانُوا لَا يَتَخَوَّفُونَهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ هُوَ وَابْنُ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ فَعَادَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَقِيَهُمَا الْحُسَيْنُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ فَسَأَلَاهُمَا مَا وَرَاءَكُمَا ؟ |
| فَقَالَا مَوْتُ مُعَاوِيَةَ وَبَيْعَةُ يَزِيدَ. |
| فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لَا تُفَرِّقَا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ. |
| وَقَدِمَ هُوَ وَابْنُ عَبَّاسٍ الْمَدِينَةَ. |
| فَلَمَّا بَايَعَ النَّاسُ بَايَعَا. |
| قَالَ وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مَكَّةَ وَعَلَيْهَا عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ ، فَلَمَّا دَخَلَهَا قَالَ أَنَا عَائِذٌ بِالْبَيْتِ. |
| وَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِمْ وَلَا يَفِيضُ بِإِفَاضَتِهِمْ ، وَكَانَ يَقِفُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ نَاحِيَةً. |
| ذِكْرُ عَزْلِ الْوَلِيدِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَوِلَايَةِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، عَزَلَهُ يَزِيدُ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَمْرَو بْنَ سَعِيدٍ الْأَشْدَقَ ، فَقَدِمَهَا فِي رَمَضَانَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ عَظِيمَ الْكِبَرِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى شُرْطَتِهِ عَمْرَو بْنَ الزُّبَيْرِ لِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الْبَغْضَاءِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهُمْ ضَرْبًا شَدِيدًا لِهَوَاهُمْ فِي أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ، مِنْهُمْ أَخُوهُ الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَغَيْرُهُمْ ، فَضَرَبَهُمُ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الْخَمْسِينَ إِلَى السِّتِينَ. |
| فَاسْتَشَارَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَمْرَو بْنَ الزُّبَيْرِ فِيمَنْ يُرْسِلُهُ إِلَى أَخِيهِ. |
| فَقَالَ لَا تُوَجِّهْ إِلَيْهِ رَجُلًا أَنَكَأَ لَهُ مِنِّي. |
| فَجَهَّزَ مَعَهُ النَّاسَ وَفِيهِمْ أُنَيْسُ بْنُ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيُّ فِي سَبْعِمِائَةٍ ، فَجَاءَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فَقَالَ لَهُ لَا تَغْزُ مَكَّةَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُحِلَّ حُرْمَةَ الْبَيْتِ وَخَلُّوا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَقَدْ كَبِرَ وَلَهُ سِتُّونَ سَنَةً وَهُوَ لَجُوجٌ. |
| فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ وَاللَّهِ لَنَغْزُوَنَّهُ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ مِنْ رَغِمَ. |
| وَأَتَى أَبُو شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيُّ إِلَى عَمْرٍو فَقَالَ لَهُ لَا تَغْزُ مَكَّةَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إِنَّمَا أُذِنَ لِي بِالْقِتَالِ فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ عَادَتْ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ ». |
| فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو نَحْنُ أَعْلَمُ بِحُرْمَتِهَا مِنْكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ. |
| فَسَارَ أُنَيْسٌ فِي مُقَدِّمَتِهِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ يَزِيدَ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ لِيُرْسِلَ عَمْرَو بْنَ الزُّبَيْرِ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَفَعَلَ ، فَأَرْسَلَهُ وَمَعَهُ جَيْشٌ نَحْوُ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، فَنَزَلَ أُنَيْسٌ بِذِي طُوًى وَنَزَلَ عَمْرٌو بِالْأَبْطَحِ ، فَأَرْسَلَ عَمْرٌو إِلَى أَخِيهِ بِرَّ يَمِينَ يَزِيدَ ، وَكَانَ حَلَفَ أَنْ لَا يَقْبَلَ بَيْعَتَهُ إِلَّا أَنْ يُؤْتِيَ بِهِ فِي جَامِعَةٍ ، وَيُقَالُ حَتَّى أَجْعَلَ فِي عُنُقِكَ جَامِعَةً مِنْ فِضَّةٍ لَا تُرَى ، وَلَا يَضْرِبُ النَّاسُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا فَإِنَّكَ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ. |
| فَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ صَفْوَانَ نَحْوَ أُنَيْسٍ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِمَّنِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ ، فَهَزَمَهُ ابْنُ صَفْوَانَ بِذِي طُوًى وَأَجْهَزَ عَلَى جَرِيحِهِمْ وَقَتَلَ أُنَيْسَ بْنَ عَمْرٍو وَسَارَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى عَمْرِو بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَتَفَرَّقَ عَنْ عَمْرٍو أَصْحَابُهُ ، فَدَخَلَ دَارَ ابْنِ عَلْقَمَةَ ، فَأَتَاهُ أَخُوهُ عُبَيْدَةُ فَأَجَارَهُ ، ثُمَّ أَتَى عَبْدَ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ عَمْرًا ، فَقَالَ أَتُجِيرُ مِنْ حُقُوقِ النَّاسِ! |
| هَذَا مَا لَا يَصْلُحُ وَمَا أَمَرْتُكَ أَنْ تُجِيرَ هَذَا الْفَاسِقَ الْمُسْتَحِلَّ لِحُرُمَاتِ اللَّهِ. |
| ثُمَّ أَقَادَ عَمْرًا مِنْ كُلِّ مَنْ ضَرَبَهُ إِلَّا الْمُنْذِرَ وَابْنَهُ فَإِنَّهُمَا أَبَيَا أَنْ يَسْتَقِيدَا ، وَمَاتَ تَحْتَ السِّيَاطِ. |
| ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْ مُرَاسَلَةِ الْكُوفِيِّينَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ لِيَسِيرَ إِلَيْهِمْ وَقَتْلِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ لَمَّا خَرَجَ الْحُسَيْنُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ لَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ فَقَالَ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ! |
| أَيْنَ تُرِيدُ ؟ |
| قَالَ أَمَّا الْآنَ فَمَكَّةَ ، وَأَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَخِيرُ اللَّهَ. |
| قَالَ خَارَ اللَّهُ لَكَ وَجَعَلَنَا فِدَاكَ! |
| فَإِذَا أَتَيْتَ مَكَّةَ فَإِيَّاكَ أَنْ تَقْرَبَ الْكُوفَةَ فَإِنَّهَا بَلْدَةٌ مَشْئُومَةٌ ، بِهَا قُتِلَ أَبُوكَ وَخُذِلَ أَخُوكَ وَاغْتِيلَ بِطَعْنَةٍ كَادَتْ تَأْتِي عَلَى نَفْسِهِ ، الْزَمِ الْحَرَمَ فَإِنَّكَ سَيِّدُ الْعَرَبِ لَا يَعْدِلُ بِكَ أَهْلُ الْحِجَازِ أَحَدًا وَيَتَدَاعَى إِلَيْكَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، لَا تُفَارِقِ الْحَرَمَ ، فِدَاكَ عَمِّي وَخَالِي! |
| فَوَاللَّهِ لَئِنْ هَلَكْتَ لَنُسْتَرَقَنَّ بَعْدَكَ. |
| فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ مَكَّةَ وَأَهْلُهَا مُخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ وَيَأْتُونَهُ وَمَنْ بِهَا مِنَ الْمُعْتَمِرِينَ وَأَهْلِ الْآفَاقِ ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ بِهَا قَدْ لَزِمَ جَانِبَ الْكَعْبَةِ فَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَهَا عَامَّةَ النَّهَارِ وَيَطُوفُ وَيَأْتِي الْحُسَيْنَ فِيمَنْ يَأْتِيهِ وَلَا يَزَالُ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ ، وَهُوَ أَثْقَلُ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، لِأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ لَا يُبَايِعُونَهُ مَا دَامَ الْحُسَيْنُ بَاقِيًا بِالْبَلَدِ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَ الْكُوفَةِ مَوْتُ مُعَاوِيَةَ وَامْتِنَاعُ الْحُسَيْنِ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الزُّبَيْرِ عَنِ الْبَيْعَةِ أَرَجَفُوا بِيَزِيدَ ، وَاجْتَمَعَتِ الشِّيعَةُ فِي مَنْزِلِ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ الْخُزَاعِيِّ ، فَذَكَرُوا مَسِيرَ الْحُسَيْنِ إِلَى مَكَّةَ وَكَتَبُوا إِلَيْهِ عَنْ نَفَرٍ ، مِنْهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ الْخُزَاعِيُّ ، وَالْمُسَيَّبُ بْنُ نَجَبَةَ ، وَرِفَاعَةُ بْنُ شَدَّادٍ وَحَبِيبُ بْنُ مُطَهَّرٍ وَغَيْرُهُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنَّنَا نَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَصَمَ عَدُوَّكَ الْجَبَّارَ الْعَنِيدَ الَّذِي انْتَزَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فَابْتَزَّهَا أَمْرَهَا ، وَغَصَبَهَا فَيْئَهَا ، وَتَأَمَّرَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ رِضًى مِنْهَا ثُمَّ قَتَلَ خِيَارَهَا ، وَاسْتَبْقَى شِرَارَهَا ، وَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِمَامٌ فَأَقْبِلْ ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْحَقِّ ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ لَسْنَا نَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي جُمُعَةٍ وَلَا عِيدٍ ، وَلَوْ بَلَغَنَا إِقْبَالُكَ إِلَيْنَا أَخْرَجْنَاهُ حَتَّى نُلْحِقَهُ بِالشَّامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. |
| وَسَيَّرُوا الْكِتَابَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبُعٍ الْهَمْدَانِيِّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَالٍ ، ثُمَّ كَتَبُوا إِلَيْهِ كِتَابًا آخَرَ وَسَيَّرُوهُ بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ ، فَكَتَبَ النَّاسُ مَعَهُ نَحْوًا مِنْ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ صَحِيفَةً ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ رَسُولًا ثَالِثًا يَحُثُّونَهُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ وَحَجَّارُ بْنُ أَبْجَرَ وَيَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ وَيَزِيدُ بْنُ رُوَيْمٍ وَعُرْوَةُ بْنُ قَيْسٍ وَعَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ التَّمِيمِيُّ بِذَلِكَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِمُ الْحُسَيْنُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الْكُتُبِ عِنْدَهُ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ فَهِمْتُ كُلَّ الَّذِي اقْتَصَصْتُمْ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ أَخِي وَابْنَ عَمِّي وَثِقَتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَأَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيَّ بِحَالِكُمْ وَأَمْرِكُمْ وَرَأْيِكُمْ ، فَإِنْ كَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ قَدِ اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ وَذَوِي الْحِجَى مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ مَا قَدِمَتْ بِهِ رُسُلُكُمْ أَقْدَمُ إِلَيْكُمْ وَشِيكًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَعَمْرِي مَا الْإِمَامُ إِلَّا الْعَامِلُ بِالْكِتَابِ وَالْقَائِمُ بِالْقِسْطِ وَالدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ ، وَالسَّلَامُ. |
| وَاجْتَمَعَ نَاسٌ مِنَ الشِّيعَةِ بِالْبَصْرَةِ فِي مَنْزِلِ امْرَأَةٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ بِنْتُ سَعْدٍ ، وَكَانَتْ تَتَشَيَّعُ ، وَكَانَ مَنْزِلُهَا لَهُمْ مَأْلَفًا يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ. |
| فَعَزَمَ يَزِيدُ بْنُ نُبَيْطٍ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْحُسَيْنِ ، وَهُوَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ عَشْرَةٌ ، فَقَالَ أَيُّكُمْ يَخْرُجُ مَعِي ؟ |
| فَخَرَجَ مَعَهُ ابْنَانِ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَعُبَيْدُ اللَّهِ ، فَسَارُوا فَقَدِمُوا عَلَيْهِ بِمَكَّةَ ثُمَّ سَارُوا مَعَهُ فَقُتِلُوا مَعَهُ. |
| ثُمَّ دَعَا الْحُسَيْنُ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ فَسَيَّرَهُ نَحْوَ الْكُوفَةِ وَأَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَكِتْمَانِ أَمْرِهِ وَاللُّطْفِ ، فَإِنْ رَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ لَهُ عَجَّلَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ. |
| فَأَقْبَلَ مُسْلِمٌ إِلَى الْمَدِينَةِ فَصَلَّى فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَدَّعَ أَهْلَهُ وَاسْتَأْجَرَ دَلِيلَيْنِ مِنْ قَيْسٍ ، فَأَقْبَلَا بِهِ ، فَضَلَّا الطَّرِيقَ وَعَطِشُوا ، فَمَاتَ الدَّلِيلَانِ مِنَ الْعَطَشِ وَقَالَا لِمُسْلِمٍ هَذَا الطَّرِيقُ إِلَى الْمَاءِ. |
| فَكَتَبَ مُسْلِمٌ إِلَى الْحُسَيْنِ إِنِّي أَقْبَلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَاسْتَأْجَرْتُ دَلِيلَيْنِ فَضَلَّا الطَّرِيقَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمَا الْعَطَشُ فَمَاتَا ، وَأَقْبَلْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَاءِ فَلَمْ نَنْجُ إِلَّا بِحُشَاشَةِ أَنْفُسِنَا ، وَذَلِكَ الْمَاءُ بِمَكَانٍ يُدْعَى الْمَضِيقُ مِنْ بَطْنِ الْخُبَيْتِ ، وَقَدْ تَطَيَّرْتُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَعْفَيْتَنِي وَبَعَثْتَ غَيْرِي. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَكُونَ حَمَلَكَ عَلَى الْكِتَابِ إِلَيَّ إِلَّا الْجُبْنُ ، فَامْضِ لِوَجْهِكَ ، وَالسَّلَامُ. |
| فَسَارَ مُسْلِمٌ حَتَّى أَتَى الْكُوفَةَ وَنَزَلَ فِي دَارِ الْمُخْتَارِ ، وَقِيلَ غَيْرُهَا ، وَأَقْبَلَتِ الشِّيعَةُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ ، فَكُلَّمَا اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ قَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ الْحُسَيْنِ فَيَبْكُونَ وَيَعِدُونَهُ مِنْ أَنْفُسِهِمُ الْقِتَالَ وَالنُّصْرَةَ ، وَاخْتَلَفَتْ إِلَيْهِ الشِّيعَةُ حَتَّى عُلِمَ بِمَكَانِهِ وَبَلَغَ ذَلِكَ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَلَا تُسَارِعُو اإِلَى الْفِتْنَةِ وَالْفُرْقَةِ ، فَإِنَّ فِيهِمَا تَهْلِكُ الرِّجَالُ وَتُسْفَكُ الدِّمَاءُ وَتُغْصَبُ الْأَمْوَالُ. |
| وَكَانَ حَلِيمًا نَاسِكًا يُحِبُّ الْعَافِيَةَ ، ثُمَّ قَالَ إِنِّي لَا أُقَاتِلُ مَنْ لَمْ يُقَاتِلْنِي ، وَلَا أَثِبُ عَلَى مَنْ لَا يَثِبُ عَلَيَّ ، وَلَا أُنَبِّهُ نَائِمَكُمْ ، وَلَا أَتَحَرَّشُ بِكُمْ ، وَلَا آخُذُ بِالْقَرْفِ وَلَا الظِّنَّةِ وَلَا التُّهْمَةِ ، وَلَكِنَّكُمْ إِنْ أَبْدَيْتُمْ صَفْحَتَكُمْ ، وَنَكَثْتُمْ بَيْعَتَكُمْ ، وَخَالَفْتُمْ إِمَامَكُمْ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَأَضْرِبَنَّكُمْ بِسَيْفِي مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ بِيَدِي ، وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَاصِرٌ وَلَا مُعِينٌ ، أَمَا إِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ مِنْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّنْ يُرْدِيهِ الْبَاطِلُ. |
| فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ سَعِيدٍ الْحَضْرَمِيُّ حَلِيفُ بَنِي أُمَيَّةَ فَقَالَ إِنَّهُ لَا يُصْلِحُ مَا تَرَى إِلَّا الْغَشْمُ ، إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ رَأْيُ الْمُسْتَضْعَفِينَ. |
| فَقَالَ أَكُونُ مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْأَعَزِّينَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ. |
| وَنَزَلَ. |
| فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى يَزِيدَ يُخْبِرُهُ بِقُدُومِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ الْكُوفَةَ وَمُبَايَعَةِ النَّاسِ لَهُ ، وَيَقُولُ لَهُ إِنْ كَانَ لَكَ فِي الْكُوفَةِ حَاجَةٌ فَابْعَثْ إِلَيْهَا رَجُلًا قَوِيًّا يُنْفِذُ أَمْرَكَ وَيَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِكَ فِي عَدُوِّكَ ، فَإِنَّ النُّعْمَانَ رَجُلٌ ضَعِيفٌ أَوْ هُوَ يَتَضَعَّفُ. |
| وَكَانَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَعَمْرُو بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ بِنَحْوِ ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الْكُتُبُ عِنْدَ يَزِيدَ دَعَا سَرْجُونَ مَوْلَى مُعَاوِيَةَ فَأَقْرَأَهُ الْكُتُبَ وَاسْتَشَارَهُ فِيمَنْ يُوَلِّيهِ الْكُوفَةَ ، وَكَانَ يَزِيدُ عَاتِبًا عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ سَرْجُونُ أَرَأَيْتَ لَوْ نُشِرَ لَكَ مُعَاوِيَةُ كَنْتَ تَأْخُذُ بِرَأْيِهِ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ فَأَخْرِجْ عَهْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى الْكُوفَةِ. |
| فَقَالَ هَذَا رَأْيُ مُعَاوِيَةَ ، وَمَاتَ وَقَدْ أَمَرَ بِهَذَا الْكِتَابِ. |
| فَأَخَذَ بِرَأْيِهِ وَجَمَعَ الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِعَهْدِهِ وَسَيَّرَهُ إِلَيْهِ مَعَ مُسْلِمِ بْنِ عَمْرٍو الْبَاهِلِيِّ وَالِدِ قُتَيْبَةَ ، فَأَمَرَهُ بِطَلَبِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَبِقَتْلِهِ أَوْ نَفْيِهِ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُهُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ أُمِرَ بِالتَّجَهُّزِ لِيَبْرُزَ مِنَ الْغَدِ. |
| وَكَانَ الْحُسَيْنُ قَدْ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ نُسْخَةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَشْرَافِ ، فَكَتَبَ إِلَى مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ الْبَكْرِيِّ ، وَالْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، وَالْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ ، وَمَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو ، وَقَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ ، وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَأَنَّ السُّنَّةَ قَدْ مَاتَتْ وَالْبِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ ، فَكُلُّهُمْ كَتَمُوا كِتَابَهُ إِلَّا الْمُنْذِرَ بْنَ الْجَارُودِ فَإِنَّهُ خَافَ أَنْ يَكُونَ دَسِيسًا مِنِ ابْنِ زِيَادٍ ، فَأَتَاهُ بِالرَّسُولِ وَالْكِتَابِ فَضَرَبَ عُنُقَ الرَّسُولِ وَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ مَا بِي تُقْرَنُ الصَّعْبَةُ ، وَمَا يُقَعْقَعُ لِي بِالشِّنَانِ ، وَإِنِّي لَنَكِلٌ لِمَنْ عَادَانِي وَسَهْمٌ لِمَنْ حَارَبَنِي ، وَأَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَلَّانِي الْكُوفَةَ وَأَنَا غَادٍ إِلَيْهَا بِالْغَدَاةِ وَقَدِ اسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ أَخِي عُثْمَانَ بْنَ زِيَادٍ ، فَإِيَّاكُمْ وَالْخِلَافَ وَالْإِرْجَافَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْكُمْ خِلَافٌ لَأَقْتُلَنَّهُ وَعَرِيفَهُ وَوَلِيَّهُ ، وَلَآخُذَنَّ الْأَدْنَى بِالْأَقْصَى ، حَتَّى تَسْتَقِيمُوا وَلَا يَكُونَ فِيكُمْ مُخَالِفٌ وَلَا مُشَاقٌّ ، وَإِنِّي أَنَا ابْنُ زِيَادٍ أَشْبَهْتُهُ مِنْ بَيْنِ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَلَمْ يَنْتَزِعْنِي شَبَهُ خَالٍ وَلَا ابْنُ عَمٍّ. |
| ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ وَمَعَهُ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ وَشَرِيكُ بْنُ الْأَعْوَرِ الْحَارِثِيُّ وَحَشَمُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَكَانَ شَرِيكٌ شِيعِيًّا ، وَقِيلَ كَانَ مَعَهُ خَمْسُمِائَةٍ فَتَسَاقَطُوا عَنْهُ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ سَقَطَ شَرِيكٌ ، وَرَجَوْا أَنْ يَقِفَ عَلَيْهِمْ وَيَسْبِقَهُ الْحُسَيْنُ إِلَى الْكُوفَةِ فَلَمْ يَقِفْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ وَحْدَهُ ، فَجَعَلَ يَمُرُّ بِالْمَجَالِسِ فَلَا يَشُكُّونَ أَنَّهُ الْحُسَيْنُ فَيَقُولُونَ مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! |
| وَهُوَ لَا يُكَلِّمُهُمْ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ دُورِهِمْ ، فَسَاءَهُ مَا رَأَى مِنْهُمْ ، وَسَمِعَ النُّعْمَانُ فَأَغْلَقَ عَلَيْهِ الْبَابَ وَهُوَ لَا يَشُكُّ أَنَّهُ الْحُسَيْنُ ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ وَمَعَهُ الْخَلْقُ يَصِيحُونَ ، فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَلَّا تَنَحَّيْتَ عَنِّي! |
| فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِمُسْلِمٍ إِلَيْكَ أَمَانَتِي وَمَا لِي فِي قِتَالِكَ مِنْ حَاجَةٍ! |
| فَدَنَا مِنْهُ عُبَيْدُ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ افْتَحْ لَا فَتَحْتَ! |
| فَسَمِعَهَا إِنْسَانٌ خَلْفَهُ فَرَجَعَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ ابْنُ مَرْجَانَةَ. |
| فَفَتَحَ لَهُ النُّعْمَانُ فَدَخَلَ ، وَأَغْلَقُوا الْبَابَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ ، وَأَصْبَحَ فَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، وَقِيلَ بَلْ خَطَبَهُمْ مِنْ يَوْمِهِ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَّانِي مِصْرَكُمْ وَثَغْرَكُمْ وَفَيْئَكُمْ ، وَأَمَرَنِي بِإِنْصَافِ مَظْلُومِكُمْ ، وَإِعْطَاءِ مَحْرُومِكُمْ ، وَبِالْإِحْسَانِ إِلَى سَامِعِكُمْ وَمُطِيعِكُمْ ، وَبِالشِّدَّةِ عَلَى مُرِيبِكُمْ وَعَاصِيكُمْ ، وَأَنَا مُتَّبِعٌ فِيكُمْ أَمْرَهُ ، وَمُنَفِّذٌ فِيكُمْ عَهْدَهُ ، فَأَنَا لِمُحْسِنِكُمْ كَالْوَالِدِ الْبَرِّ ، وَلِمُطِيعِكُمْ كَالْأَخِ الشَّقِيقِ ، وَسَيْفِي وَسَوْطِي عَلَى مَنْ تَرَكَ أَمْرِي وَخَالَفَ عَهْدِي ، فَلْيُبْقِ امْرُؤٌ عَلَى نَفْسِهِ. |
| ثُمَّ نَزَلَ فَأَخَذَ الْعُرَفَاءَ وَالنَّاسَ أَخْذًا شَدِيدًا وَقَالَ اكْتُبُوا إِلَيَّ الْغُرَبَاءَ وَمَنْ فِيكُمْ مِنْ طَلِبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْ فِيكُمْ مِنَ الْحَرُورِيَّةِ وَأَهْلِ الرِّيَبِ الَّذِينَ رَأْيُهُمُ الْخِلَافُ وَالشِّقَاقُ ، فَمَنْ كَتَبَهُمْ إِلَيَّ فَبَرِيءٌ ، وَمَنْ لَمْ يَكْتُبْ لَنَا أَحَدًا فَلْيَضْمَنْ لَنَا مَا فِي عَرَافَتِهِ أَنْ لَا يُخَالِفَنَا فِيهِمْ مُخَالِفٌ وَلَا يَبْغِي عَلَيْنَا مِنْهُمْ بَاغٍ ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَبَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ وَحَلَّالُ لَنَا دَمُهُ وَمَالُهُ ، وَأَيُّمَا عَرِيفٍ وُجِدَ فِي عَرَافَتِهِ مِنْ بُغْيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدٌ لَمْ يَرْفَعْهُ إِلَيْنَا صُلِبَ عَلَى بَابِ دَارِهِ وَأُلْقِيَتْ تِلْكَ الْعَرَافَةُ مِنَ الْعَطَاءِ وَسُيِّرَ إِلَى مَوْضِعٍ بِعُمَانَ الزَّارَةِ. |
| ثُمَّ نَزَلَ. |
| وَسَمِعَ مُسْلِمٌ بِمَقَالَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ فَخَرَجَ مِنْ دَارِ الْمُخْتَارِ وَأَتَى دَارَ هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ الْمُرَادِيِّ فَدَخَلَ بَابَهُ وَاسْتَدْعَى هَانِئًا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ مَكَانَهُ فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ أَتَيْتُكَ لِتُجِيرَنِي وَتُضَيَّفَنِي. |
| فَقَالَ لَهُ هَانِئٌ لَقَدْ كَلَّفْتَنِي شَطَطًا ، وَلَوْلَا دُخُولُكَ دَارِي لَأَحْبَبْتُ أَنْ تَنْصَرِفَ عَنِّي ، غَيْرَ أَنَّهُ يَأْخُذُنِي مِنْ ذَلِكَ ذِمَامٌ ، ادْخُلْ. |
| فَآوَاهُ ، فَاخْتَلَفَتِ الشِّيعَةُ إِلَيْهِ فِي دَارِ هَانِئٍ. |
| وَدَعَا ابْنُ زِيَادٍ مَوْلًى لَهُ ، وَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَقَالَ لَهُ اطْلُبْ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَأَصْحَابَهُ وَالْقَهَمَ وَأَعْطِهِمْ هَذَا الْمَالَ وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّكَ مِنْهُمْ وَاعْلَمْ أَخْبَارَهُمْ. |
| فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأَتَى مُسْلِمَ بْنَ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيَّ بِالْمَسْجِدِ فَسَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَ هَذَا يُبَايِعُ لِلْحُسَيْنِ ، وَهُوَ يُصَلِّي ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلِيَّ بِحُبِّ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ ، وَهَذِهِ ثَلَاثُ آلَافِ دِرْهَمٍ أَرَدْتُ بِهَا لِقَاءَ رَجُلٍ مِنْهُمْ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدِمَ الْكُوفَةَ يُبَايِعُ لِابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سَمِعْتُ نَفَرًا يَقُولُونَ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَمْرَ هَذَا الْبَيْتِ وَإِنِّي أَتَيْتُكَ لِتَقْبِضَ الْمَالَ وَتُدْخِلَنِي عَلَى صَاحِبِكَ أُبَايِعُهُ ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَذْتُ بَيْعَتِي لَهُ قَبْلَ لِقَائِي إِيَّاهُ. |
| فَقَالَ لَقَدْ سَرَّنِي لِقَاؤُكَ إِيَّايَ لِتَنَالَ الَّذِي تُحِبُّ وَيَنْصُرُ اللَّهُ بِكَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّهِ ، وَقَدْ سَاءَنِي مَعْرِفَةُ النَّاسِ هَذَا الْأَمْرَ مِنِّي قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ مَخَافَةَ هَذَا الطَّاغِيَةِ وَسَطْوَتِهِ. |
| فَأَخَذَ بَيْعَتَهُ وَالْمَوَاثِيقَ الْمُعَظَّمَةَ لَيُنَاصِحَنَّ وَلَيَكْتُمَنَّ ، وَاخْتَلَفَ إِلَيْهِ أَيَّامًا لِيُدْخِلَهُ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ. |
| وَمَرِضَ هَانِئُ بْنُ عُرْوَةَ ، فَأَتَاهُ عُبَيْدُ اللَّهِ يَعُودُهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَارَةُ بْنُ عَبْدٍ السَّلُولِيُّ إِنَّمَا جَمَاعَتُنَا وَكَيْدُنَا قَتْلُ هَذَا الطَّاغِيَةِ وَقَدْ أَمْكَنَكَ اللَّهُ فَاقْتُلْهُ. |
| فَقَالَ هَانِئٌ مَا أُحِبُّ أَنْ يُقْتَلَ فِي دَارِي. |
| وَجَاءَ ابْنُ زِيَادٍ فَجَلَسَ عِنْدَهُ ثُمَّ خَرَجَ ، فَمَا مَكَثَ إِلَّا جُمُعَةً حَتَّى مَرِضَ شَرِيكُ بْنُ الْأَعْوَرِ ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ عَلَى هَانِئٍ وَكَانَ كَرِيمًا عَلَى ابْنِ زِيَادٍ وَعَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَكَانَ شَدِيدَ التَّشَيُّعِ ، قَدْ شَهِدَ صِفِّينَ مَعَ عَمَّارٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ إِنِّي رَائِحٌ إِلَيْكَ الْعَشِيَّةَ. |
| فَقَالَ لِمُسْلِمٍ إِنَّ هَذَا الْفَاجِرَ عَائِدِي الْعَشِيَّةَ فَإِذَا جَلَسَ اخْرُجْ إِلَيْهِ فَاقْتُلْهُ ثُمَّ اقْعُدْ فِي الْقَصْرِ لَيْسَ أَحَدٌ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَإِنْ بَرَأْتُ مِنْ وَجَعِي سِرْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ حَتَّى أَكْفِيَكَ أَمْرَهَا. |
| فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَشِيِّ أَتَاهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَقَامَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ لِيَدْخُلَ ، فَقَالَ لَهُ شَرِيكٌ لَا يَفُوتَنَّكَ إِذَا جَلَسَ. |
| فَقَالَ هَانِئُ بْنُ عُرْوَةَ لَا أُحِبُّ أَنْ يُقْتَلَ فِي دَارِي. |
| فَجَاءَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَجَلَسَ وَسَأَلَ شَرِيكًا عَنْ مَرَضِهِ ، فَأَطَالَ ، فَلَمَّا رَأَى شَرِيكٌ أَنَّ مُسْلِمًا لَا يَخْرُجُ خَشِيَ أَنْ يَفُوتَهُ فَأَخَذَ يَقُولُ مَا تَنْظُرُونَ بِسَلْمَى لَا تُحَيُوهَا... |
| اسْقُونِيهَا وَإِنْ كَانَتْ بِهَا نَفْسِي فَقَالَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ مَا شَأْنُهُ ؟ |
| أَتَرَوْنَهُ يَخْلِطُ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ هَانِئٌ نَعَمْ ، مَا زَالَ هَذَا دَأْبُهُ قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَتَّى سَاعَتِهِ هَذِهِ ، فَانْصَرَفَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ شَرِيكًا لَمَّا قَالَ اسْقُونِيهَا وَخَلَطَ كَلَامَهُ فَطِنَ بِهِ مِهْرَانُ فَغَمَزَ عُبَيْدَ اللَّهِ فَوَثَبَ ، فَقَالَ لَهُ شَرِيكٌ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوصِيَ إِلَيْكَ. |
| فَقَالَ أَعُودُ إِلَيْكَ. |
| فَقَالَ لَهُ مِهْرَانُ إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَكَ. |
| فَقَالَ وَكَيْفَ مَعَ إِكْرَامِي لَهُ وَفِي بَيْتِ هَانِئٍ وَيَدُ أَبِي عِنْدَهُ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ مِهْرَانُ هُوَ مَا قُلْتُ لَكَ. |
| فَلَمَّا قَامَ ابْنُ زِيَادٍ خَرَجَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ ، فَقَالَ لَهُ شَرِيكٌ مَا مَنَعَكَ مِنْ قَتْلِهِ ؟ |
| قَالَ خَصْلَتَانِ ، أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَكَرَاهِيَةُ هَانِئٍ أَنْ يُقْتَلَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَأَمَّا الْأُخْرَى فَحَدِيثٌ حَدَّثَهُ عَلِيٌّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ الْإِيمَانَ قَيَّدَ الْفَتْكَ ، فَلَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ بِمُؤْمِنٍ ». |
| فَقَالَ لَهُ هَانِئٌ لَوْ قَتَلْتَهُ لَقَتَلْتَ فَاسِقًا فَاجِرًا كَافِرًا غَادِرًا! |
| وَلِبَثَ شَرِيكٌ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثًا ثُمَّ مَاتَ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَنْ شَرِيكًا كَانَ حَرَّضَ مُسْلِمًا عَلَى قَتْلِهِ قَالَ وَاللَّهِ لَا أُصَلِّي عَلَى جِنَازَةِ عِرَاقِيٍّ أَبَدًا ، وَلَوْلَا أَنَّ قَبْرَ زِيَادٍ فِيهِمْ لَنَبَشْتُ شَرِيكًا. |
| ثُمَّ إِنَّ مَوْلَى ابْنِ زِيَادٍ الَّذِي دَسَّهُ بِالْمَالِ اخْتَلَفَ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ عَوْسَجَةَ بَعْدَ مَوْتِ شَرِيكٍ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ فَأَخَذَ بَيْعَتَهُ وَقَبَضَ مَالَهُ وَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ وَيَعْلَمُ أَسْرَارَهَمْ ، وَيَنْقِلُهَا إِلَى ابْنِ زِيَادٍ. |
| وَكَانَ هَانِئٌ قَدِ انْقَطَعَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بِعُذْرِ الْمَرَضِ ، فَدَعَا عُبَيْدُ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ وَأَسْمَاءَ بْنَ خَارِجَةَ ، وَقِيلَ دَعَا مَعَهُمَا بِعَمْرِو بْنِ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيِّ فَسَأَلَهُمْ عَنْ هَانِئٍ وَانْقِطَاعِهِ ، فَقَالُوا إِنَّهُ مَرِيضٌ. |
| فَقَالَ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَجْلِسَ عَلَى بَابِ دَارِهِ وَقَدْ بَرَأَ ، فَالْقَوْهُ فَمُرُوهُ أَنْ لَا يَدَعَ مَا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ. |
| فَأَتَوْهُ فَقَالُوا لَهُ إِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ سَأَلَ عَنْكَ وَقَالَ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّهُ شَاكٍ لَعُدْتُهُ ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّكَ تَجْلِسُ عَلَى بَابِ دَارِكَ ، وَقَدِ اسْتَبْطَأَكَ ، وَالْجَفَاءُ لَا يَحْتَمِلُهُ السُّلْطَانُ ، أَقْسَمْنَا عَلَيْكَ لَوْ رَكِبْتَ مَعَنَا. |
| فَلَبِسَ ثِيَابَهُ وَرَكِبَ مَعَهُمْ. |
| فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَصْرِ أَحَسَّتْ نَفْسُهُ بِالشَّرِّ فَقَالَ لِحَسَّانَ بْنِ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي لِهَذَا الرَّجُلِ لَخَائِفٌ ، فَمَا تَرَى ؟ |
| فَقَالَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ شَيْئًا فَلَا تَجْعَلْ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَسْمَاءُ مِمَّا كَانَ شَيْئًا. |
| وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فَإِنَّهُ عَلِمَ بِهِ ، قَالَ فَدَخَلَ الْقَوْمُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ وَهَانِئٌ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا رَآهُ ابْنُ زِيَادٍ قَالَ لِشُرَيْحٍ الْقَاضِي أَتَتْكَ بِحَائِنٍ رِجْلَاهُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ وَكَانَ ابْنُ زِيَادٍ مُكْرِمًا لَهُ ، فَقَالَ هَانِئٌ وَمَا ذَاكَ ؟ |
| فَقَالَ يَا هَانِئُ مَا هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي تَرَبَّصُ فِي دَارِكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ! |
| جِئْتَ بِمُسْلِمٍ فَأَدْخَلْتَهُ دَارَكَ وَجَمَعْتَ لَهُ السِّلَاحَ وَالرِّجَالَ وَظَنَنْتَ أَنَّ ذَلِكَ يَخْفَى عَلَيَّ! |
| قَالَ مَا فَعَلْتُ. |
| قَالَ بَلَى. |
| وَطَالَ بَيْنَهُمَا النِّزَاعُ ، فَدَعَا ابْنُ زِيَادٍ مَوْلَاهُ ذَاكَ الْعَيْنَ ، فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، وَعَلِمَ هَانِئٌ أَنَّهُ كَانَ عَيْنًا عَلَيْهِمْ ، فَسَقَطَ فِي يَدِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَاجَعَتْهُ نَفْسُهُ ، قَالَ اسْمَعْ مِنِّي وَصَدِّقْنِي ، فَوَاللَّهِ لَا أَكْذِبُكَ ، وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُهُ وَلَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ حَتَّى رَأَيْتُهُ جَالِسًا عَلَى بَابِي يَسْأَلُنِي النُّزُولَ عَلَيَّ ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَدِّهِ وَلَزِمَنِي مِنْ ذَلِكَ ذِمَامٌ فَأَدْخَلْتُهُ دَارِي وَضِفْتُهُ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ الَّذِي بَلَغَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتُكَ الْآنَ مَوْثِقًا تَطْمَئِنُّ بِهِ وَرَهِينَةً تَكُونُ فِي يَدِكَ حَتَّى أَنْطَلِقَ وَأُخْرِجَهُ مِنْ دَارِي وَأَعُودَ إِلَيْكَ. |
| فَقَالَ لَا وَاللَّهِ. |
| لَا تُفَارِقُنِي أَبَدًا حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ قَالَ لَا آتِيكَ بِضَيْفِي تَقْتُلُهُ أَبَدًا. |
| فَلَمَّا كَثُرَ الْكَلَامُ قَامَ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ ، وَلَيْسَ بِالْكُوفَةِ شَامِيٌّ وَلَا بَصْرِيٌّ غَيْرُهُ ، فَقَالَ خَلِّنِي وَإِيَّاهُ حَتَّى أُكَلِّمَهُ ، لِمَا رَأَى مِنْ لَجَاجِهِ ، وَأَخَذَ هَانِئًا وَخَلَا بِهِ نَاحِيَةً مِنِ ابْنِ زِيَادٍ بِحَيْثُ يَرَاهُمَا ، فَقَالَ لَهُ يَا هَانِئُ أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسَكَ وَتُدْخِلَ الْبَلَاءَ عَلَى قَوْمِكَ! |
| إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ ابْنُ عَمِّ الْقَوْمِ وَلَيْسُوا بِقَاتِلِيهِ وَلَا ضَائِرِيهِ ، فَادْفَعْهُ إِلَيْهِ فَلَيْسَ عَلَيْكَ بِذَلِكَ مَخْزَاةٌ وَلَا مَنْقَصَةٌ إِنَّمَا تَدْفَعُهُ إِلَى السُّلْطَانِ! |
| قَالَ بَلَى وَاللَّهِ إِنَّ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ خِزْيًا وَعَارًا ، لَا أَدْفَعُ ضَيْفِي وَأَنَا صَحِيحٌ شَدِيدُ السَّاعِدِ كَثِيرُ الْأَعْوَانِ ، وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ وَاحِدًا لَيْسَ لِي نَاصِرٌ لَمْ أَدْفَعْهُ حَتَّى أَمُوتَ دُونَهُ. |
| فَسَمِعَ ابْنُ زِيَادٍ ذَلِكَ فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي. |
| فَأَدْنَوْهُ مِنْهُ. |
| فَقَالَ وَاللَّهِ لَتَأْتِيَّنِي بِهِ أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ! |
| قَالَ إِذَنْ وَاللَّهِ تَكْثُرُ الْبَارِقَةُ حَوْلَ دَارِكَ! |
| وَهُوَ يَرَى أَنَّ عَشِيرَتَهُ سَتَمْنَعُهُ. |
| فَقَالَ أَبِالْبَارِقَةِ تُخَوِّفُنِي ؟ |
| وَقِيلَ إِنَّ هَانِئًا لَمَّا رَأَى ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ عَيْنًا لِعُبَيْدِ اللَّهِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ قَدْ كَانَ الَّذِي بَلَغَكَ ، وَلَنْ أُضَيِّعَ يَدَكَ عِنْدِي وَأَنْتَ آمِنٌ وَأَهْلُكَ فَسِرْ حَيْثُ شِئْتَ. |
| فَأَطْرَقَ عُبَيْدُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ وَمِهْرَانُ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ وَفِي يَدِهِ مِعْكَزَةٌ ، فَقَالَ وَاذُلَّاهُ! |
| هَذَا الْحَائِكُ يُؤَمِّنُكَ فِي سُلْطَانِكَ! |
| فَقَالَ خُذْهُ ، فَأَخَذَ مِهْرَانُ ضَفِيرَتَيْ هَانِئٍ وَأَخَذَ عُبَيْدُ اللَّهِ الْقَضِيبَ وَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُ أَنْفَهُ وَجَبِينَهُ وَخَدَّهُ حَتَّى كَسَرَ أَنْفَهُ وَسَيَّلَ الدِّمَاءَ عَلَى ثِيَابِهِ وَنَثَرَ لَحْمَ خَدَّيْهِ وَجَبِينِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ حَتَّى كَسَرَ الْقَضِيبَ ، وَضَرَبَ هَانِئٌ يَدَهُ إِلَى قَائِمِ سَيْفِ شُرْطِيٍّ وَجَبَذَهُ فَمُنِعَ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ أَحَرُورِيٌّ أَحْلَلْتَ بِنَفْسِكَ وَحَلَّ لَنَا قَتْلُكَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِي فِي بَيْتٍ وَأُغْلِقُ عَلَيْهِ. |
| فَقَامَ إِلَيْهِ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ فَقَالَ أَرْسِلْهُ يَا غَادِرُ! |
| أَمَرَتْنَا أَنْ نَجِيئَكَ بِالرَّجُلِ فَلَمَّا أَتَيْنَاكَ بِهِ هَشَّمْتَ وَجْهَهُ وَسَيَّلَتْ دِمَاءَهُ وَزَعَمْتَ أَنَّكَ تَقْتُلُهُ. |
| فَأَمَرَ بِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ فَلُهِزَ وَتُعْتِعَ ثُمَّ تُرِكَ فَجَلَسَ. |
| فَأَمَّا ابْنُ الْأَشْعَثِ فَقَالَ رَضِينَا بِمَا رَأَى الْأَمِيرُ ، لَنَا كَانَ أَوْ عَلَيْنَا. |
| وَبَلَغَ عَمْرَو بْنَ الْحَجَّاجِ أَنَّ هَانِئًا قَدْ قُتِلَ فَأَقْبَلَ فِي مَذْحِجٍ حَتَّى أَحَاطُوا بِالْقَصْرِ ، وَنَادَى أَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ ، هَذِهِ فُرْسَانُ مَذْحِجٍ وَوُجُوهُهَا ، لَمْ نَخْلَعْ طَاعَةً وَلَمْ نُفَارِقْ جَمَاعَةً. |
| فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ لِشُرَيْحٍ الْقَاضِي ، وَكَانَ حَاضِرًا ادْخُلْ عَلَى صَاحِبِهِمْ فَانْظُرْ إِلَيْهِ ثُمَّ اخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّهُ حَيٌّ. |
| فَفَعَلَ شُرَيْحٌ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ هَانِئٌ يَا لِلْمُسْلِمِينَ! |
| أَهَلَكَتْ عَشِيرَتِي ؟ |
| أَيْنَ أَهْلُ الدِّينِ ؟ |
| أَيْنَ أَهْلُ النَّصْرِ ؟ |
| أَيُخَلُّونَنِي وَعَدُوَّهُمْ وَابْنَ عَدُوِّهِمْ! |
| وَسَمِعَ الضَّجَّةَ فَقَالَ يَا شُرَيْحُ إِنِّي لَأَظُنُّهَا أَصْوَاتَ مَذْحِجٍ وَشِيعَتِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ عَشَرَةُ نَفَرٍ أَنْقَذُونِي. |
| فَخَرَجَ شُرَيْحٌ وَمَعَهُ عَيْنٌ أَرْسَلَهُ ابْنُ زِيَادٍ ، قَالَ شُرَيْحٌ لَوْلَا مَكَانُ الْعَيْنِ لَأَبْلَغْتُهُمْ قَوْلَ هَانِئٍ. |
| فَلَمَّا خَرَجَ شُرَيْحٌ إِلَيْهِمْ قَالَ قَدْ نَظَرْتُ إِلَى صَاحِبِكُمْ وَإِنَّهُ حَيٌّ لَمْ يُقْتَلْ. |
| فَقَالَ عَمْرٌو وَأَصْحَابُهُ فَأَمَّا إِذْ لَمْ يُقْتَلُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ! |
| ثُمَّ انْصَرَفُوا. |
| وَأَتَى الْخَبَرُ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ فَنَادَى فِي أَصْحَابِهِ يَا مَنْصُورُ أَمِتْ! |
| وَكَانَ شِعَارُهُمْ ، وَكَانَ قَدْ بَايَعَهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَحَوْلَهُ فِي الدُّورِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ ، فَعَقَدَ مُسْلِمٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُزَيْزٍ الْكِنْدِيِّ عَلَى رُبْعِ كِنْدَةَ وَقَالَ سِرْ أَمَامِي ، وَعَقَدَ لِمُسْلِمِ بْنِ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيِّ عَلَى رُبْعِ مَذْحِجٍ وَأَسَدٍ ، وَعَقَدَ لِأَبِي ثُمَامَةَ الصَّائِدِيِّ عَلَى رُبْعِ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ ، وَعَقَدَ لِعَبَّاسِ بْنِ جَعْدَةَ الْجَدَلِيِّ عَلَى رُبْعِ الْمَدِينَةِ ، وَأَقْبَلَ نَحْوَ الْقَصْرِ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ ابْنَ زِيَادٍ إِقْبَالُهُ تَحَرَّزَ فِي الْقَصْرِ. |
| وَأَغْلَقَ الْبَابَ ، وَأَحَاطَ مُسْلِمٌ بِالْقَصْرِ وَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ وَالسُّوقُ مِنَ النَّاسِ وَمَا زَالُوا يَجْتَمِعُونَ حَتَّى الْمَسَاءَ ، وَضَاقَ بِعُبَيْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ وَلَيْسَ مَعَهُ فِي الْقَصْرِ إِلَّا ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنَ الشُّرَطِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَشْرَافِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ ، وَأَقْبَلَ أَشْرَافُ النَّاسِ يَأْتُونَ ابْنَ زِيَادٍ مِنْ قِبَلِ الْبَابِ الَّذِي يَلِي دَارَ الرُّومِيِّينَ وَالنَّاسُ يَسُبُّونَ ابْنَ زِيَادٍ وَأَبَاهُ. |
| فَدَعَا ابْنُ زِيَادٍ كَثِيرَ بْنَ شِهَابٍ الْحَارِثِيَّ وَأَمَرَهُ أَنْ يَخْرُجَ فِيمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ مَذْحِجٍ فَيَسِيرَ وَيُخَذِّلَ النَّاسَ عَنِ ابْنِ عَقِيلٍ وَيُخَوِّفُهُمْ ، وَأَمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ أَنْ يَخْرُجَ فِيمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ كِنْدَةَ وَحَضْرَمَوْتَ فَيَرْفَعَ رَايَةَ أَمَانٍ لِمَنْ جَاءَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ لِلْقَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ الذُّهْلِيِّ وَشَبَثِ بْنِ رِبْعِيٍّ التَّمِيمِيِّ وَحَجَّارِ بْنِ أَبْجَرَ الْعِجْلِيِّ وَشَمِرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ الضَّبَابِيِّ وَتَرَكَ وُجُوهَ النَّاسِ عِنْدَهُ اسْتِئْنَاسًا بِهِمْ لِقِلَّةِ مَنْ مَعَهُ. |
| وَخَرَجَ أُولَئِكَ النَّفَرُ يُخَذِّلُونَ النَّاسَ ، وَأَمَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْأَشْرَافِ أَنْ يُشْرِفُوا عَلَى النَّاسِ مِنَ الْقَصْرِ فَيُمَنُّوا أَهْلَ الطَّاعَةِ وَيُخَوِّفُوا أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ ، فَفَعَلُوا ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ مَقَالَةَ أَشْرَافِهِمْ أَخَذُوا يَتَفَرَّقُونَ حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ تَأْتِي ابْنَهَا وَأَخَاهَا وَتَقُولُ انْصَرِفِ ، النَّاسُ يَكْفُونَكَ ، وَيَفْعَلُ الرَّجُلُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَمَا زَالُوا يَتَفَرَّقُونَ حَتَّى بَقِيَ ابْنُ عَقِيلٍ فِي الْمَسْجِدِ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا. |
| فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خَرَجَ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ ، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الْبَابِ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ أَحَدٌ ، فَمَضَى فِي أَزِقَّةِ الْكُوفَةِ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ ، فَانْتَهَى إِلَى بَابِ امْرَأَةٍ مِنْ كِنْدَةَ يُقَالُ لَهَا طَوْعَةُ أُمُّ وَلَدٍ كَانَتْ لِلْأَشْعَثِ وَأَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا أُسَيْدٌ الْحَضْرَمِيُّ فَوَلَدَتْ لَهُ بِلَالًا ، وَكَانَ بِلَالٌ قَدْ خَرَجَ مَعَ النَّاسِ وَهِيَ تَنْتَظِرُهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا ابْنُ عَقِيلٍ وَطَلَبَ الْمَاءَ فَسَقَتْهُ ، فَجَلَسَ ، فَقَالَتْ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ تَشْرَبْ ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَتْ فَاذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ ، فَسَكَتَ ، فَقَالَتْ لَهُ ثَلَاثًا فَلَمْ يَبْرَحْ ، فَقَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ! |
| إِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ الْجُلُوسَ عَلَى بَابِي. |
| فَقَالَ لَهَا لَيْسَ لِي فِي هَذَا الْمِصْرِ مَنْزِلٌ وَلَا عَشِيرَةٌ ، فَهَلْ لَكِ إِلَى أَجْرٍ وَمَعْرُوفٍ وَلَعَلِّي أُكَافِئُكِ بِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ ؟ |
| قَالَتْ وَمَا ذَاكَ ؟ |
| قَالَ أَنَا مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ ، كَذَبَنِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَغَرُّونِي. |
| قَالَتِ ادْخُلْ. |
| فَأَدْخَلَتْهُ بَيْتًا فِي دَارِهَا وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ الْعَشَاءَ فَلَمْ يَتَعَشَّ. |
| وَجَاءَ ابْنُهَا فَرَآهَا تُكْثِرُ الدُّخُولَ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ ، فَقَالَ لَهَا إِنَّ لَكِ لَشَأْنًا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ وَسَأَلَهَا فَلَمْ تُخْبِرْهُ ، فَأَلَحَّ عَلَيْهَا فَأَخْبَرَتْهُ وَاسْتَكْتَمَتْهُ وَأَخَذَتْ عَلَيْهِ الْأَيْمَانَ بِذَلِكَ ، فَسَكَتَ. |
| وَأَمَّا ابْنُ زِيَادٍ فَلَمَّا لَمْ يَسْمَعِ الْأَصْوَاتَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ مِنْهُمْ أَحَدًا ؟ |
| فَنَظَرُوا فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا ، فَنَزَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ قُبَيْلَ الْعَتَمَةِ وَأَجْلَسَ أَصْحَابَهُ حَوْلَ الْمِنْبَرِ وَأَمَرَ فَنُودِيَ أَلَا بَرِئَتِ الذِّمَّةُ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الشُّرَطِ وَالْعُرَفَاءِ وَالْمَنَاكِبِ وَالْمُقَاتِلَةِ صَلَّى الْعَتَمَةَ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ. |
| فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ ثُمَّ قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ابْنَ عَقِيلٍ السَّفِيهَ الْجَاهِلَ قَدْ أَتَى مَا رَأَيْتُمْ مِنَ الْخِلَافِ وَالشِّقَاقِ فَبَرِئَتِ الذِّمَّةُ مِنْ رَجُلٍ وَجَدْنَاهُ فِي دَارِهِ ، وَمَنْ أَتَانَا بِهِ فَلَهُ دِيَتُهُ. |
| وَأَمَرَهُمْ بِالطَّاعَةِ وَلُزُومِهَا ، وَأَمَرَ الْحُصَيْنَ بْنَ تَمِيمٍ أَنْ يُمْسِكَ أَبْوَابَ السِّكَكِ ثُمَّ يُفَتِّشَ الدُّورَ ، وَكَانَ عَلَى الشُّرَطِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ. |
| وَدَخَلَ ابْنُ زِيَادٍ وَعَقَدَ لِعَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ وَجَعَلَهُ عَلَى النَّاسِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَلَسَ لِلنَّاسِ. |
| وَلَمَّا أَصْبَحَ بِلَالٌ ابْنُ تِلْكَ الْعَجُوزِ الَّتِي آوَتْ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ أَتَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ فَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِ ابْنِ عَقِيلٍ ، فَأَتَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَبَاهُ ، وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ ، فَأَسَرَّ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، فَأَخْبَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ ابْنَ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ قُمْ فَأْتِنِي بِهِ السَّاعَةَ ، وَبَعَثَ مَعَهُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ السُّلَمِيَّ فِي سَبْعِينَ مِنْ قَيْسٍ حَتَّى أَتَوُا الدَّارَ الَّتِي فِيهَا ابْنُ عَقِيلٍ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ الْأَصْوَاتَ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ أُتِيَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الدَّارِ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَيْهِ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَأَخْرَجَهُمْ مِرَارًا ، وَضَرَبَ بُكَيْرُ بْنُ حُمْرَانَ الْأَحْمَرِيُّ فَمَ مُسْلِمٍ فَقَطَعَ شَفَتَهُ الْعُلْيَا وَسَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ ، وَضَرَبَهُ مُسْلِمٌ عَلَى رَأْسِهِ وَثَنَّى بِأُخْرَى عَلَى حَبْلِ الْعَاتِقِ كَادَتْ تَطَّلِعُ عَلَى جَوْفِهِ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ أَشْرَفُوا عَلَى سَطْحِ الْبَيْتِ وَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ وَيُلْهِبُونَ النَّارَ فِي الْقَصَبِ وَيُلْقُونَهَا عَلَيْهِ. |
| فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ بِسَيْفِهِ فَقَاتَلَهُمْ فِي السِّكَّةِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ لَكَ الْأَمَانُ فَلَا تَقْتُلْ نَفْسَكَ! |
| فَأَقْبَلَ يُقَاتِلُهُمْ وَهُوَ يَقُولُ أَقْسَمْتُ لَا أُقْتَلُ إِلَّا حُرًّا... |
| وَإِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ شَيْئًا نُكْرًا أَوْ يَخْلِطُ الْبَارِدُ سُخْنًا مُرًّا... |
| رَدَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ فَاسْتَقَرَّا كُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا يُلَاقِي شَرًّا... |
| أَخَافُ أَنْ أُكْذَبَ أَوْ أُغَرًّا فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ إِنَّكَ لَا تُكْذَبُ وَلَا تُخْدَعُ ، الْقَوْمُ بَنُو عَمِّكَ وَلَيْسُوا بِقَاتِلِيكَ وَلَا ضَارِبِيكَ. |
| وَكَانَ قَدْ أُثْخِنَ بِالْحِجَارَةِ وَعَجَزَ عَنِ الْقِتَالِ ، فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطِ تِلْكَ الدَّارِ ، فَآمَنَهُ ابْنُ الْأَشْعَثِ وَالنَّاسُ غَيْرَ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ السُّلَمِيِّ فَإِنَّهُ قَالَ لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ ، وَأُتِيَ بِبَغْلَةٍ فَحُمِلَ عَلَيْهَا وَانْتَزَعُوا سَيْفَهُ ، فَكَأَنَّهُ أَيِسَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ. |
| قَالَ مُحَمَّدٌ أَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ بَأْسٌ. |
| قَالَ وَمَا هُوَ إِلَّا الرَّجَاءُ ، أَيْنَ أَمَانُكُمْ ؟ |
| ثُمَّ بَكَى فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ السُّلَمِيُّ مَنْ يَطْلُبُ مِثْلَ الَّذِي تَطْلُبُ إِذَا نَزَلَ بِهِ مِثْلُ الَّذِي نَزَلَ بِكَ لَمْ يَبْكِ ؟! |
| فَقَالَ مَا أَبْكِي لِنَفْسِي وَلَكِنِّي أَبْكَى لِأَهْلِي الْمُنْقَلِبِينَ إِلَيْكُمْ ، أَبْكِي لِلْحُسَيْنِ وَآلِ الْحُسَيْنِ. |
| ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ إِنِّي أَرَاكَ سَتَعْجِزُ عَنْ أَمَانِي فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبْعَثَ مِنْ عِنْدِكَ رَجُلًا يُخْبِرُ الْحُسَيْنَ بِحَالِي وَيَقُولُ لَهُ عَنِّي لِيَرْجِعْ بِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا يَغُرُّهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ أَبِيكَ الَّذِينَ كَانَ يَتَمَنَّى فِرَاقَهُمْ بِالْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْأَشْعَثِ وَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ! |
| ثُمَّ كَتَبَ بِمَا قَالَ مُسْلِمٌ إِلَى الْحُسَيْنِ ، فَلَقِيَهُ الرَّسُولُ بِزُبَالَةَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ كُلَّمَا قُدِّرَ نَازِلٌ عِنْدَ اللَّهِ... |
| نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنَا وَفَسَادَ أُمَّتِنَا. |
| وَكَانَ سَبَبُ مَسِيرِهِ مِنْ مَكَّةَ كِتَابُ مُسْلِمٍ إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ أَنَّهُ بَايَعَهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَيَسْتَحِثُّهُ لِلْقُدُومِ. |
| وَأَمَّا مُسْلِمٌ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدِمَ بِهِ الْقَصْرَ ، وَدَخَلَ مُحَمَّدٌ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ فَأَخْبَرَهُ وَأَمَانَهُ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ مَا أَنْتَ وَالْأَمَانُ! |
| مَا أَرْسَلْنَاكَ لِتُؤَمِّنَهُ إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ لِتَأْتِيَنَا بِهِ! |
| فَسَكَتَ مُحَمَّدٌ ، وَلَمَّا جَلَسَ مُسْلِمٌ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ رَأَى جَرَّةً فِيهَا مَاءٌ بَارِدٌ ، فَقَالَ اسْقُونِي مِنْ هَذَا الْمَاءِ. |
| فَقَالَ لَهُ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيِّ أَتُرَاهَا مَا أَبْرَدَهَا! |
| وَاللَّهِ لَا تَذُوقُ مِنْهَا قَطْرَةً حَتَّى تَذُوقَ الْحَمِيمَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ! |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَقِيلٍ مَنْ أَنْتَ ؟ |
| قَالَ أَنَا مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ إِذْ تَرَكْتَهُ ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَالْإِمَامَ إِذْ غَشَشْتَهُ ، وَسَمِعَ وَأَطَاعَ إِذْ عَصَيْتَهُ ، أَنَا مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَقِيلٍ لِأُمِّكَ الثَّكْلُ مَا أَجَفَاكَ وَأَفَظَّكَ وَأَقْسَى قَلْبَكَ وَأَغْلَظَكَ! |
| أَنْتَ يَا ابْنَ بَاهِلَةَ أَوْلَى بِالْحَمِيمِ وَالْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مِنِّي! |
| قَالَ فَدَعَا عُمَارَةُ بْنُ عُقْبَةَ بِمَاءٍ بَارِدٍ فَصُبَّ لَهُ فِي قَدَحٍ فَأَخَذَ لِيَشْرَبَ فَامْتَلَأَ الْقَدَحُ دَمًا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، فَقَالَ لَوْ كَانَ مِنَ الرِّزْقِ الْمَقْسُومِ شَرِبْتُهُ. |
| وَأُدْخِلَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ فَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ بِالْإِمَارَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَرَسِيُّ أَلَا تُسَلِّمُ عَلَى الْأَمِيرِ ؟ |
| فَقَالَ إِنْ كَانَ يُرِيدُ قَتْلِي فَمَا سَلَامِي عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ لَا يُرِيدُ قَتْلِي فَلْيَكْثُرَنَّ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ لَعَمْرِي لَتُقْتَلَنَّ! |
| فَقَالَ كَذَلِكَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ فَدَعْنِي أُوصِي إِلَى بَعْضِ قَوْمِي. |
| قَالَ افْعَلْ. |
| فَقَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعْدٍ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَرَابَةً وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ وَهِيَ سِرٌّ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ مِنْ ذِكْرِهَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ لَا تَمْتَنِعْ مِنْ حَاجَةِ ابْنِ عَمِّكَ. |
| فَقَامَ مَعَهُ فَقَالَ إِنَّ عَلَيَّ بِالْكُوفَةِ دَيْنًا اسْتَدَنْتُهُ مُنْذُ قَدِمْتُ الْكُوفَةَ سَبْعَمِائَةِ دِرْهَمٍ فَاقْضِهَا عَنِّي وَانْظُرْ جُثَّتِي فَاسْتَوْهِبْهَا فَوَارِهَا وَابْعَثْ إِلَى الْحُسَيْنِ مَنْ يَرُدُّهُ. |
| فَقَالَ عُمَرُ لِابْنِ زِيَادٍ إِنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ لَا يَخُونُكَ الْأَمِينُ وَلَكِنْ قَدْ يُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ ، أَمَّا مَالُكَ فَهُوَ لَكَ تَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتَ ، وَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَإِنْ لَمْ يُرِدْنَا لَمْ نُرِدْهُ ، وَإِنْ أَرَادَنَا لَمْ نَكُفَّ عَنْهُ ، وَأَمَّا جُثَّتُهُ فَإِنَّا لَنْ نُشَفِّعَكَ فِيهَا ، وَقِيلَ إِنَّهُ قَالَ أَمَّا جُثَّتُهُ فَإِنَّا إِذَا قَتَلْنَاهُ لَا نُبَالِي مَا صُنِعَ بِهَا. |
| ثُمَّ قَالَ لِمُسْلِمٍ يَا ابْنَ عَقِيلٍ أَتَيْتَ النَّاسَ وَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ وَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ لِتُشَتِّتَ بَيْنِهِمْ وَتُفَرِّقَ كَلِمَتَهُمْ! |
| فَقَالَ كَلَّا وَلَكِنَّ أَهْلَ هَذَا الْمِصْرِ زَعَمُوا أَنَّ أَبَاكَ قَتَلَ خِيَارَهُمْ وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَعَمِلَ فِيهِمْ أَعْمَالَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فَأَتَيْنَاهُمْ لِنَأْمُرَ بِالْعَدْلِ وَنَدْعُوَ إِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. |
| فَقَالَ وَمَا أَنْتَ وَذَاكَ يَا فَاسِقُ ؟ |
| أَلَمْ يَكُنْ يُعْمَلُ بِذَلِكَ فِيهِمْ إِذْ أَنْتَ تَشْرَبُ الْخَمْرَ بِالْمَدِينَةِ ؟ |
| قَالَ أَنَا أَشْرَبُ الْخَمْرَ! |
| وَاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ غَيْرُ صَادِقٍ ، وَأَنِّي لَسْتُ كَمَا ذَكَرْتَ ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ مِنِّي مَنْ يَلَغُ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا عَلَى الْغَضَبِ وَالْعَدَاوَةِ ، وَهُوَ يَلْهُو وَيَلْعَبُ كَأَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ قِتْلَةً لَمْ يُقْتَلْهَا أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ! |
| قَالَ أَمَا إِنَّكَ أَحَقُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ فِيهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَا تَدَعُ سُوءَ الْقِتْلَةِ وَقُبْحَ الْمُثْلَةِ وَخُبْثَ السِّيرَةِ وَلُؤْمَ الْغَلَبَةِ وَلَا أَحَدَ مِنَ النَّاسِ أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ. |
| فَشَتَمَهُ ابْنُ زِيَادٍ وَشَتَمَ الْحُسَيْنَ وَعَلِيًّا وَعَقِيلًا ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُ مُسْلِمٌ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُصْعِدَ فَوْقَ الْقَصْرِ لِتُضْرَبَ رَقَبَتُهُ وَيُتْبِعُوا رَأْسَهُ جَسَدَهُ ، فَقَالَ مُسْلِمٌ لِابْنِ الْأَشْعَثِ وَاللَّهِ لَوْلَا أَمَانُكَ مَا اسْتَسْلَمْتُ ، قُمْ بِسَيْفِكَ دُونِي ، قَدْ أَخَفَرْتُ ذِمَّتَكَ. |
| فَأُصْعِدَ مُسْلِمٌ فَوْقَ الْقَصْرِ وَهُوَ يَسْتَغْفِرُ وَيُسَبِّحُ ، وَأُشْرِفَ بِهِ عَلَى مَوْضِعِ الْحَدَّائِينَ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ بُكَيْرُ بْنُ حُمْرَانَ الَّذِي ضَرَبَهُ مُسْلِمٌ ، ثُمَّ أَتْبَعَ رَأْسَهُ جَسَدَهُ. |
| فَلَمَّا نَزَلَ بُكَيْرٌ قَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ مَا كَانَ يَقُولُ وَأَنْتُمْ تَصْعَدُونَ بِهِ ؟ |
| قَالَ كَانَ يُسَبِّحُ وَيَسْتَغْفِرُ ، فَلَمَّا أَدْنَيْتُهُ لِأَقْتُلَهُ قُلْتُ لَهُ ادْنُ مِنِّي ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ وَأَقَادَنِي مِنْكَ! |
| فَضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً لَمْ تُغْنِ شَيْئًا ، فَقَالَ أَمَا تَرَى فِي خَدْشٍ تَخْدِشُنِيهِ وَفَاءً مِنْ دَمِكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ ؟ |
| فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ وَفَخْرًا عِنْدَ الْمَوْتِ! |
| قَالَ ثُمَّ ضَرَبْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقَتَلْتُهُ. |
| وَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فَكَلَّمُ ابْنَ زِيَادٍ فِي هَانِئٍ وَقَالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَتَهُ فِي الْمِصْرِ وَبَيْتَهُ ، وَقَدْ عَلِمَ قَوْمُهُ أَنِّي أَنَا وَصَاحِبِي سُقْنَاهُ إِلَيْكَ ، فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ لَمَا وَهَبْتَهُ لِي فَإِنِّي أَكْرَهُ عَدَاوَةَ قَوْمِهِ فَوَعَدَهُ أَنْ يَفْعَلَ. |
| فَلَمَّا كَانَ مِنْ مُسْلِمٍ مَا كَانَ ، بَدَا لَهُ فَأَمَرَ بِهَانِئٍ حِينَ قُتِلَ مُسْلِمٌ فَأُخْرِجَ إِلَى السُّوقِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، قَتَلَهُ مَوْلًى تُرْكِيٌّ لَابْنِ زِيَادٍ ، قَالَ فَبَصُرَ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحُصَيْنِ الْمُرَادِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَازِرٍ مَعَ ابْنِ زِيَادٍ فَقَتَلَهُ. |
| فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ الْأَسَدِيُّ فِي قَتْلِ هَانِئٍ وَمُسْلِمٍ ، وَقِيلَ قَالَهُ الْفَرَزْدَقُ ، الزَّبِيرُ بِفَتْحِ الزَّايِ وَكَسْرِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ فَإِنْ كُنْتِ لَا تَدْرِينَ مَا الْمَوْتُ فَانْظُرِي... |
| إِلَى هَانِئٍ فِي السُّوقِ وَابْنِ عَقِيلِ إِلَى بَطَلٍ قَدْ هَشَّمَ السَّيْفُ وَجْهَهُ... |
| وَآخَرَ يَهْوِي مِنْ طَمَارِ قَتِيلِ وَهِيَ أَبْيَاتٌ. |
| وَبَعَثَ ابْنُ زِيَادٍ بِرَأْسَيْهِمَا إِلَى يَزِيدَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَزِيدُ يَشْكُرُهُ وَيَقُولُ لَهُ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْعِرَاقِ ، فَضَعِ الْمَرَاصِدَ وَالْمَسَالِحَ وَاحْتَرِسْ وَاحْبِسْ عَلَى التُّهْمَةِ وَخُذْ عَلَى الظِّنَّةِ ، غَيْرَ أَنْ لَا تَقْتُلَ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ. |
| وَقِيلَ وَكَانَ مَخْرَجُ ابْنِ عَقِيلٍ بِالْكُوفَةِ لِثَمَانِي لَيَالٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتِّينَ ، وَقِيلَ لِتَسَعٍ مَضَيْنَ مِنْهُ ، قِيلَ وَكَانَ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَهُ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، فَطَلَبَهُمَا ابْنُ زِيَادٍ وَحَبَسَهُمَا ، وَكَانَ فِيمَنْ قَاتَلَ مُسْلِمًا مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ وَشَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ التَّمِيمِيُّ وَالْقَعْقَاعُ بْنُ شَوْرٍ ، وَجَعَلَ شَبَثٌ يَقُولُ انْتَظِرُوا بِهِمُ اللَّيْلَ يَتَفَرَّقُوا ، فَقَالَ لَهُ الْقَعْقَاعُ إِنَّكَ قَدْ سَدَدْتَ عَلَيْهِمْ وَجْهَ مَهْرَبِهِمْ فَافْرُجْ لَهُمْ يَتَفَرَّقُوا. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ الْحُسَيْنِ إِلَى الْكُوفَةِ قِيلَ لَمَّا أَرَادَ الْحُسَيْنُ الْمَسِيرَ إِلَى الْكُوفَةِ بِكُتُبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ أَتَاهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ وَهُوَ بِمَكَّةَ فَقَالَ لَهُ إِنِّي أَتَيْتُكَ لِحَاجَةٍ أُرِيدُ ذِكْرَهَا نَصِيحَةً لَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّكَ مُسْتَنْصِحِي قُلْتُهَا وَأَدَّيْتُ مَا عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ فِيهَا ، وَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّكَ لَا مُسْتَنْصِحِي كَفَفْتُ عَمَّا أُرِيدُ. |
| فَقَالَ لَهُ قُلْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَسَتَغِشُّكَ وَمَا أَظُنُّكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْهَوَى. |
| قَالَ لَهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ الْعِرَاقَ ، وَإِنِّي مُشْفِقٌ عَلَيْكَ ، إِنَّكَ تَأْتِي بَلَدًا فِيهِ عُمَّالُهُ وَأُمَرَاؤُهُ وَمَعَهُمْ بُيُوتُ الْأَمْوَالِ ، وَإِنَّمَا النَّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّرْهَمِ ، فَلَا آمَنُ عَلَيْكَ أَنْ يُقَاتِلَكَ مَنْ وَعَدَكَ نَصْرَهُ وَمَنْ أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّنْ يُقَاتِلُكَ مَعَهُ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا ابْنَ عَمِّ ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ مَشَيْتَ بِنُصْحٍ وَتَكَلَّمْتَ بِعَقْلٍ ، وَمَهْمَا يُقْضَ مِنْ أَمْرٍ يَكُنْ ، أَخَذْتُ بِرَأْيِكَ أَوْ تَرَكْتُهُ ، فَأَنْتَ عِنْدِي أَحْمَدُ مُشِيرٍ ، وَأَنْصَحُ نَاصِحٍ. |
| قَالَ وَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَهُ قَدْ أَرْجَفَ النَّاسُ أَنَّكَ سَائِرٌ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَبَيِّنْ لِي مَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ قَدْ أَجْمَعْتُ السَّيْرَ فِي أَحَدِ يَوْمَيَّ هَذَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَإِنِّي أُعِيذُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، خَبِّرْنِي ، رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَتَسِيرُ إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَمِيرَهُمْ وَضَبَطُوا بِلَادَهُمْ وَنَفَوْا عَدُوَّهُمْ ؟ |
| فَإِنْ كَانُوا فَعَلُوا ذَلِكَ فَسِرْ إِلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا دَعَوْكَ إِلَيْهِمْ وَأَمِيرُهُمْ عَلَيْهِمْ قَاهِرٌ لَهُمْ وَعُمَّالُهُ تَجْبِي بِلَادَهُمْ فَإِنَّمَا دَعَوْكَ إِلَى الْحَرْبِ ، وَلَا آمَنُ عَلَيْكَ أَنْ يَغُرُّوكَ وَيُكَذِّبُوكَ وَيُخَالِفُوكَ وَيَخْذُلُوكَ وَيَسْتَنْفِرُوا إِلَيْكَ فَيَكُونُوا أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْكَ. |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ فَإِنِّي أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَنْظُرُ مَا يَكُونُ. |
| فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَتَاهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَحَدَّثَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ مَا أَدْرِي مَا تَرْكُنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَكَفُّنَا عَنْهُمْ وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَوُلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ دُونَهُمْ ، خَبِّرْنِي مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ ؟ |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ لَقَدْ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِإِتْيَانِ الْكُوفَةِ ، وَلَقَدْ كَتَبَتْ إِلَيَّ شِيعَتِي بِهَا وَأَشْرَافُ النَّاسِ وَأَسْتَخِيرُ اللَّهَ. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَمَا لَوْ كَانَ لِي بِهَا مِثْلُ شِيعَتِكَ لَمَا عَدَلْتُ عَنْهَا. |
| ثُمَّ خَشِيَ أَنْ يَتَّهِمَهُ فَقَالَ لَهُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَقَمْتَ بِالْحِجَازِ ثُمَّ أَرَدْتَ هَذَا الْأَمْرَ هَا هُنَا لَمَا خَالَفْنَا عَلَيْكَ وَسَاعَدْنَاكَ وَبَايَعْنَاكَ وَنَصَحْنَا لَكَ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي أَنَّ لَهَا كَبْشًا بِهِ تُسْتَحَلُّ حُرْمَتُهَا ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْكَبْشَ. |
| قَالَ فَأَقِمْ إِنْ شِئْتَ وَتُوَلِّينِي أَنَا الْأَمْرَ فَتُطَاعُ وَلَا تُعْصَى. |
| قَالَ وَلَا أُرِيدُ هَذَا أَيْضًا ثُمَّ إِنَّهُمَا أَخْفَيَا كَلَامَهُمَا دُونَنَا ، فَالْتَفَتَ الْحُسَيْنُ إِلَى مَنْ هُنَاكَ وَقَالَ أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ ؟ |
| قَالُوا لَا نَدْرِي ، جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاكَ! |
| قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ أَقِمْ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ أَجْمَعُ لَكَ النَّاسَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ وَاللَّهِ لَئِنْ أُقْتَلْ خَارِجًا مِنْهَا بِشِبْرٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَ فِيهَا ، وَلَأَنْ أُقْتَلَ خَارِجًا مِنْهَا بِشِبْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ خَارِجًا مِنْهَا بِشِبْرٍ ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ فِي جُحْرِ هَامَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْهَوَامِّ لَاسْتَخْرَجُونِي حَتَّى يَقْضُوا بِي حَاجَتَهُمْ! |
| وَاللَّهِ لَيَعْتَدُنَّ عَلَيَّ كَمَا اعْتَدَتِ الْيَهُودُ فِي السَّبْتِ فَقَامَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ. |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ إِنَّ هَذَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْحِجَازِ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ النَّاسَ لَا يَعْدِلُونَهُ بِي فَوَدَّ أَنِّي خَرَجْتُ حَتَّى يَخْلُوَ لَهُ. |
| قَالَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَشِيِّ أَوْ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ يَا ابْنَ عَمِّ ، إِنِّي أَتَصَبَّرُ وَلَا أَصْبِرُ ، إِنِّي أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْهَلَاكَ وَالِاسْتِئْصَالَ ، إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَوْمٌ غُدُرٌ فَلَا تَقْرَبَنَّهُمْ ، أَقِمْ فِي هَذَا الْبَلَدِ فَإِنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْحِجَازِ ، فَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يُرِيدُونَكَ كَمَا زَعَمُوا فَاكْتُبْ إِلَيْهِمْ فَلْيَنْفُوا عَامِلَهُمْ وَعَدُّوَهُمْ ثُمَّ أَقْدِمْ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ فَسِرْ إِلَى الْيَمَنِ فَإِنَّ بِهَا حُصُونًا وَشِعَابًا ، وَهِيَ أَرْضٌ عَرِيضَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَلِأَبِيكَ بِهَا شِيعَةٌ ، وَأَنْتَ عَنِ النَّاسِ فِي عُزْلَةٍ ، فَتَكْتُبُ إِلَى النَّاسِ وَتُرْسِلُ وَتَبُثُّ دُعَاءَكَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَأْتِيَكَ عِنْدَ ذَلِكَ الَّذِي تُحِبُّ فِي عَافِيَةٍ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ يَا ابْنَ عَمِّ إِنِّي وَاللَّهِ لَأَعْلَمُ أَنَّكَ نَاصِحٌ مُشْفِقٌ ، وَقَدْ أَزْمَعْتُ وَأَجْمَعْتُ الْمَسِيرَ. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَإِنْ كُنْتَ سَائِرًا فَلَا تَسِرْ بِنِسَائِكَ وَصِبْيَتِكَ فَإِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ تُقْتَلَ كَمَا قُتِلَ عُثْمَانُ وَنِسَاؤُهُ وَوَلَدُهُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ. |
| ثُمَّ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ لَقَدْ أَقْرَرْتَ عَيْنَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بِخُرُوجِكَ مِنَ الْحِجَازِ وَهُوَ الْيَوْمَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مَعَكَ ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ إِذَا أَخَذْتُ بِشَعْرِكَ وَنَاصِيَتِكَ حَتَّى يَجْتَمِعَ عَلَيْنَا النَّاسُ أَطَعْتَنِي فَأَقَمْتَ ، لَفَعَلْتُ ذَلِكَ. |
| ثُمَّ خَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ عِنْدِهِ فَمَرَّ بِابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ قَرَّتْ عَيْنُكَ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ! |
| ثُمَّ أَنْشَدَ قَائِلًا يَا لَكَ مِنْ قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ... |
| خَلَا لَكِ الْجَوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي وَنَقِّرِي مَا شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِي هَذَا الْحُسَيْنُ يَخْرُجُ إِلَى الْعِرَاقِ وَيُخَلِّيكَ وَالْحِجَازَ. |
| قِيلَ وَكَانَ الْحُسَيْنُ يَقُولُ وَاللَّهِ لَا يَدَعُونَنِي حَتَّى يَسْتَخْرِجُوا هَذِهِ الْعَلَقَةَ مِنْ جَوْفِي ، فَإِذَا فَعَلُوا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُذِلُّهُمْ حَتَّى يَكُونُوا أَذَلَّ مَنْ فَرْمِ الْمَرْأَةِ. |
| قَالَ وَالْفَرْمُ خِرْقَةٌ تَجْعَلُهَا الْمَرْأَةُ فِي قُبُلِهَا إِذَا حَاضَتْ. |
| ثُمَّ خَرَجَ الْحُسَيْنُ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ ، فَاعْتَرَضَهُ رُسُلُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْحِجَازِ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ أَخِيهِ يَحْيَى ، يَمْنَعُونَهُ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَمَضَى ، وَتَضَارَبُوا بِالسِّيَاطِ ، وَامْتَنَعَ الْحُسَيْنُ وَأَصْحَابُهُ وَسَارُوا فَمَرُّوا بِالتَّنْعِيمِ ، فَرَأَى بِهَا عِيرًا قَدْ أَقْبَلَتْ مِنَ الْيَمَنِ بَعَثَ بِهَا بَحِيرُ بْنُ رَيْسَانَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْيَمَنِ ، وَعَلَى الْعِيرِ الْوَرْسُ وَالْحُلَلُ ، فَأَخَذَهَا الْحُسَيْنُ وَقَالَ لِأَصْحَابِ الْإِبِلِ مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَمْضِيَ مَعَنَا إِلَى الْعِرَاقِ أَوْفَيْنَا كِرَاءَهُ وَأَحْسَنَّا صُحْبَتَهُ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفَارِقَنَا مِنْ مَكَانِنَا أَعْطَيْنَاهُ نَصِيبَهُ مِنَ الْكِرَاءِ ، فَمَنْ فَارَقَ مِنْهُمْ أَعْطَاهُ حَقَّهُ ، وَمَنْ سَارَ مَعَهُ أَعْطَاهُ كِرَاءَهُ وَكَسَاهُ. |
| ثُمَّ سَارَ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الصِّفَاحِ لَقِيَهُ الْفَرَزْدَقُ الشَّاعِرُ فَقَالَ لَهُ أَعْطَاكَ اللَّهُ سُؤْلَكَ وَأَمَلَكَ فِيمَا تُحِبُّ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنِ بَيِّنْ لِي خَبَرَ النَّاسِ خَلْفَكَ. |
| قَالَ الْخَبِيرَ سَأَلْتَ ، قُلُوبُ النَّاسِ مَعَكَ ، وَسُيُوفُهُمْ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَالْقَضَاءُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ صَدَقْتَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَكُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَأْنٍ ، إِنْ نَزَلَ الْقَضَاءُ بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نَعْمَائِهِ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَدَاءِ الشُّكْرِ ، وَإِنْ حَالَ الْقَضَاءُ دُونَ الرَّجَاءِ فَلَمْ يَعْتَدِ مَنْ كَانَ الْحَقُّ نِيَّتَهُ ، وَالتَّقْوَى سَرِيرَتَهُ. |
| قَالَ وَأَدْرَكَ الْحُسَيْنَ كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ مَعَ ابْنَيْهِ عَوْنٍ وَمُحَمَّدٍ ، وَفِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ لَمَا انْصَرَفْتَ حِينَ تَقْرَأُ كِتَابِي هَذَا ، فَإِنِّي مُشْفِقٌ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ هَلَاكُكَ وَاسْتِئْصَالُ أَهْلِ بَيْتِكَ ، إِنْ هَلَكْتَ الْيَوْمَ طُفِئَ نُورُ الْأَرْضِ ، فَإِنَّكَ عَلَمُ الْمُهْتَدِينَ وَرَجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَا تَعْجَلْ بِالسَّيْرِ فَإِنِّي فِي إِثْرِ كِتَابِي ، وَالسَّلَامُ. |
| وَقِيلَ وَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ لِلْحُسَيْنِ كِتَابًا تَجْعَلُ لَهُ الْأَمَانَ فِيهِ وَتُمَنِّيهِ فِيهِ الْبِرَّ وَالصِّلَةَ وَاسْأَلْهُ الرُّجُوعَ. |
| وَكَانَ عَمْرٌو عَامِلَ يَزِيدَ عَلَى مَكَّةَ ، فَفَعَلَ عَمْرٌو ذَلِكَ وَأَرْسَلَ الْكِتَابَ مَعَ أَخِيهِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ وَمَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَلَحِقَاهُ وَقَرَآ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَجَهِدَا أَنْ يَرْجِعَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَكَانَ مِمَّا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِمَا أَنْ قَالَ إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا رَأَيْتُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمِرْتُ فِيهَا بِأَمْرٍ أَنَا مَاضٍ لَهُ ، عَلَيَّ كَانَ أَوْ لِي. |
| فَقَالَا مَا تِلْكَ الرُّؤْيَا ؟ |
| قَالَ مَا حَدَّثْتُ بِهَا أَحَدًا وَمَا أَنَا مُحَدِّثٌ بِهَا أَحَدًا حَتَّى أَلْقَى رَبِّي. |
| وَلَمَّا بَلَغَ ابْنَ زِيَادٍ مَسِيرُ الْحُسَيْنِ مِنْ مَكَّةَ بَعَثَ الْحُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ التَّمِيمِيَّ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ فَنَزَلَ الْقَادِسِيَّةَ وَنَظَّمَ الْخَيْلَ مَا بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى خَفَّانِ ، وَمَا بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى الْقُطْقُطَانَةِ وَإِلَى جَبَلِ لَعْلَعَ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْحُسَيْنُ الْحَاجِزَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَ قَيْسِ بْنِ مُسْهِرٍ الصَّيْدَاوِيِّ يُعَرِّفُهُمْ قُدُومَهُ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْجِدِّ فِي أَمْرِهِمْ ، فَلَمَّا انْتَهَى قَيْسٌ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ أَخَذَهُ الْحُصَيْنُ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ اصْعَدِ الْقَصْرَ فَسُبَّ الْكَذَّابَ ابْنَ الْكَذَّابِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ. |
| فَصَعِدَ قَيْسٌ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ ، ابْنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا رَسُولُهُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ فَارَقْتُهُ بِالْحَاجِرِ فَأَجِيبُوهُ ، ثُمَّ لَعَنَ ابْنَ زِيَادٍ وَأَبَاهُ وَاسْتَغْفَرَ لَعَلِيٍّ. |
| فَأَمَرَ بِهِ ابْنُ زِيَادٍ فَرُمِيَ مِنْ أَعْلَى الْقَصْرِ فَتَقَطَّعَ فَمَاتَ. |
| ثُمَّ أَقْبَلَ الْحُسَيْنُ يَسِيرُ نَحْوَ الْكُوفَةِ فَانْتَهَى إِلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ ، فَإِذَا عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! |
| مَا أَقْدَمَكَ ؟ |
| فَاحْتَمَلَهُ فَأَنْزَلَهُ ، فَأَخْبَرَهُ الْحُسَيْنُ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ أُذَكِّرُكَ اللَّهَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَحُرْمَةَ الْإِسْلَامِ أَنْ تُنْتَهَكَ ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ فِي حُرْمَةِ قُرَيْشٍ ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ فِي حُرْمَةِ الْعَرَبِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ طَلَبْتَ مَا فِي أَيْدِي بَنِي أُمَيَّةَ لَيَقْتُلُنَّكَ ، وَلَئِنْ قَتَلُوكَ لَا يَهَابُونَ بَعْدَكَ أَحَدًا أَبَدًا ، وَاللَّهِ إِنَّهَا لَحُرْمَةُ الْإِسْلَامِ تُنْتَهَكُ وَحُرْمَةُ قُرَيْشٍ وَحُرْمَةُ الْعَرَبِ ، فَلَا تَفْعَلْ وَلَا تَأْتِ الْكُوفَةَ وَلَا تُعَرِّضْ نَفْسَكَ لِبَنِي أُمَيَّةَ! |
| فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَمْضِيَ. |
| وَكَانَ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ الْبَجَلِيُّ قَدْ حَجَّ ، وَكَانَ عُثْمَانِيًّا ، فَلَمَّا عَادَ جَمَعَهُمَا الطَّرِيقُ ، وَكَانَ يُسَايِرُ الْحُسَيْنَ مِنْ مَكَّةَ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ مَعَهُ ، فَاسْتَدْعَاهُ يَوْمًا الْحُسَيْنُ فَشُقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ ثُمَّ أَجَابَهُ عَلَى كُرْهٍ ، فَلَمَّا عَادَ مِنْ عِنْدِهِ نَقَلَ ثَقَلَهُ إِلَى ثَقَلِ الْحُسَيْنِ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتْبَعَنِي وَإِلَّا فَإِنَّهُ آخِرُ الْعَهْدِ ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا ، غَزَوْنَا بَلَنْجَرَ فَفُتِحَ عَلَيْنَا وَأَصَبْنَا غَنَائِمَ فَفَرِحْنَا وَكَانَ مَعَنَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ فَقَالَ لَنَا إِذَا أَدْرَكْتُمْ سَيِّدَ شَبَابِ أَهْلِ مُحَمَّدٍ فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحًا بِقِتَالِكُمْ مَعَهُ بِمَا أَصَبْتُمُ الْيَوْمَ مِنَ الْغَنَائِمِ ، فَأَمَّا أَنَا فَأَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ! |
| ثُمَّ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ وَقَالَ لَهَا الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ يُصِيبَكِ فِي سَبَبِي إِلَّا خَيْرٌ. |
| وَلَزِمَ الْحُسَيْنَ حَتَّى قُتِلَ مَعَهُ. |
| وَأَتَاهُ خَبَرُ قَتْلِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ بِالثَّعْلَبِيَّةِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ نَنْشُدُكَ إِلَّا رَجَعْتَ مِنْ مَكَانِكَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِالْكُوفَةِ نَاصِرٌ وَلَا شِيعَةٌ بَلْ نَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْكَ! |
| فَوَثَبَ بَنُو عَقِيلٍ وَقَالُوا وَاللَّهِ لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُدْرِكَ ثَأْرَنَا أَوْ نَذُوقَ كَمَا ذَاقَ مُسْلِمٌ! |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَنْتَ مِثْلَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ ، وَلَوْ قَدِمْتَ الْكُوفَةَ لَكَانَ النَّاسُ إِلَيْكَ أَسْرَعَ. |
| ثُمَّ ارْتَحَلُوا فَانْتَهَوْا إِلَى زُبَالَةَ ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِمَاءٍ إِلَّا اتَّبَعَهُ مَنْ عَلَيْهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى زُبَالَةَ ، فَأَتَاهُ خَبَرُ مَقْتَلِ أَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُقْطُرَ ، وَكَانَ سَرَّحَهُ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ مِنَ الطَّرِيقِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ بِقَتْلِهِ ، فَأَخَذَتْهُ خَيْلُ الْحُصَيْنِ ، فَسَيَّرَهُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ اصْعَدْ فَوْقَ الْقَصْرِ وَالْعَنِ الْكَذَّابَ ابْنَ الْكَذَّابِ ثُمَّ انْزِلْ حَتَّى أَرَى فِيكَ رَأْيِي. |
| فَصَعِدَ فَأَعْلَمَ النَّاسَ بِقُدُومِ الْحُسَيْنِ وَلَعَنَ ابْنَ زِيَادٍ وَأَبَاهُ ، فَأَلْقَاهُ مِنَ الْقَصْرِ فَتَكَسَّرَتْ عِظَامُهُ وَبَقِيَ بِهِ رَمَقٌ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ اللَّخْمِيُّ فَذَبَحَهُ فَلَمَّا عِيبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ قَالَ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُرِيحَهُ. |
| قَالَ بَعْضُهُمْ لَمْ يَكُنِ الَّذِي ذَبَحَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ يُشْبِهُ عَبْدَ الْمَلِكِ. |
| فَلَمَّا أَتَى الْحُسَيْنَ خَبَرُ قَتْلِ أَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَمُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ أَعْلَمَ النَّاسَ ذَلِكَ وَقَالَ قَدْ خَذَلَنَا شِيعَتُنَا ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ فَلْيَنْصَرِفْ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنَّا ذِمَامٌ. |
| فَتَفَرَّقُوا يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى بَقِيَ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الْأَعْرَابَ ظَنُّوا أَنَّهُ يَأْتِي بَلَدًا قَدِ اسْتَقَامَتْ لَهُ طَاعَةُ أَهْلِهِ فَأَرَادَ أَنْ يَعْلَمُوا عَلَامَ يَقَدَمُونَ. |
| ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ بَطْنَ الْعَقَبَةِ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالَ لَهُ أَنْشُدُكَ اللَّهَ لَمَا انْصَرَفْتَ فَوَاللَّهِ مَا تَقَدَمُ إِلَّا عَلَى الْأَسِنَّةِ وَحَدِّ السُّيُوفِ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَعَثُوا إِلَيْكَ لَوْ كَانُوا كَفَوْكَ مَئُونَةَ الْقِتَالِ وَوَطَّئُوا لَكَ الْأَشْيَاءَ فَقَدِمْتَ عَلَيْهِمْ لَكَانَ ذَلِكَ رَأَيًا ، فَأَمَّا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي تُذْكَرُ فَلَا أَرَى أَنْ تَفْعَلَ. |
| فَقَالَ إِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لَا يُغْلَبُ عَلَى أَمْرِهِ. |
| ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْهَا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ حَجَّ بِالنَّاسِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْأَشْدَقُ ، وَكَانَ الْعَامِلَ عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ جُرْهُدٌ الْأَسْلَمِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ . |
| وَفِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ مَاتَ حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَهُوَ بَدْرِيٌّ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ أَيْضًا مَاتَ دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيُّ الَّذِي يُشَبِّهُ جِبْرَائِيلَ إِذَا أُنْزِلَ بِالْوَحْيِ. |
| وَفِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ مَاتَ رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَكَانَ بَدْرِيًّا ، وَشَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ الْجَمَلَ وَصِفِّينَ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ بِالْمَدِينَةِ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيُّ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ عُتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ ، شَهِدَا بَدْرًا. |
| وَفِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ مَاتَ سَهْلُ بْنُ الْحَنْظَلِيَّةِ ، وَهُوَ ابْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ ، بِدِمَشْقَ ، وَفِي أَيَّامِهِ بَعْدَ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ مَاتَ السَّائِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ السَّهْمِيُّ. |
| وَمَاتَ فِي أَيَّامِهِ سُرَاقَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ ، وَهُوَ بَدْرِيٌّ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ فِي أَوَّلِهَا ، وَهُوَ بَدْرِيٌّ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ الْمُزَنِيُّ ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ نَهْرُ مَعْقِلٍ بِالْبَصْرَةِ ، وَقِيلَ مَاتَ فِي أَيَّامِ يَزِيدَ. |
| مَعْقِلٌ بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالْقَافِ. |
| وَيَسَارٌ بِالْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ . |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ نَاجِيَةُ بْنُ جُنْدَبِ بْنِ عُمَيْرٍ صَاحِبُ بُدْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| وَفِيهَا مَاتَ نُعَيْمَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ رِفَاعَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ فِيهِ مُزَاحٌ وَدُعَابَةٌ ، وَشَهِدَ بَدْرًا ، وَقِيلَ بَلِ الَّذِي مَاتَ ابْنُهُ. |
| وَفِي آخِرِ أَيَّامِهِ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ ابْنُ بُحَيْنَةَ ، لَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُغَفَّلِ بْنِ عَبْدِ غُنْمٍ الْمُزَنِيُّ بِالْبَصْرَةِ. |
| وَمُغَفَّلٌ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الْفَاءِ الْمُشَدَّدَةِ . |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ هِنْدُ بْنُ جَارِيَةَ بْنِ هِنْدٍ الْأَسْلَمِيُّ. |
| وَفِي سَنَةِ سِتِّينَ تُوُفِّيَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَلَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، سِتُّونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَسِتُّونَ فِي الْإِسْلَامِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ ، وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَهُوَ بَدْرِيٌّ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ ، وَلَا يَصِحُّ. |
| وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ مَاتَ أَبُو بُرْدَةَ هَانِئُ بْنُ نِيَارٍ الْبَلَوِيُّ حَلِيفُ الْأَنْصَارِ ، وَهُوَ عَقَبِيُّ بَدْرِيٌّ ، وَشَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ حُرُوبَهُ كُلَّهَا. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ ، لَهُ صُحْبَةٌ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ أَبُو جَهْمِ بْنُ حُذَيْفَةَ الْعَدَوِيُّ الْقُرَشِيُّ فِي آخِرِهَا ، وَقِيلَ شَهِدَ بُنْيَانَ الْكَعْبَةِ أَيَّامَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ قُرَيْشًا حِينَ بَنَتْهَا. |
| وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِهِ مَاتَ أَبُو حَثْمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَالِدُ سَهْلٍ . |
| وَفِي آخِرِ أَيَّامِهِ مَاتَ أَبُو قَيْسٍ الْجُهَنِيُّ ، شَهِدَ الْفَتْحَ وَفِي سَنَةِ سِتِّينَ تُوُفِّيَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ بِسُمَيْسَاطَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ قُتِلَ شَهِيدًا قَبْلَ هَذَا . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَتِ الْكِلَابِيَّةُ الَّتِي اسْتَعَاذَتْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تَزَوَّجَهَا فَفَارَقَهَا ، وَكَانَتْ قَدْ أَصَابَهَا جُنُونٌ ، وَتُوُفِّيَ بِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُزَنِيُّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ. |
| وَفِي آخِرِ أَيَّامِهِ مَاتَ وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ الْحَضْرَمِيُّ ، وَأَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ هِنْدُ بْنُ جَارِيَةَ بِالْجِيمِ ، وَالْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا. |
| وَحَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ. |
| أَبُو أُسَيْدٍ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ السِّينِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ ذِكْرُ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَارَ الْحُسَيْنُ بْنُ شَرَّافٍ ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ كَبَّرَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِمَّ كَبَّرْتَ ؟ |
| قَالَ رَأَيْتُ النَّخْلَ. |
| فَقَالَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مَا بِهَذِهِ الْأَرْضِ نَخْلَةٌ قَطُّ! |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ فَمَا هُوَ ؟ |
| فَقَالَا لَا نَرَاهُ إِلَّا هَوَادِي الْخَيْلِ. |
| فَقَالَ وَأَنَا أَيْضًا أَرَاهُ ذَلِكَ. |
| وَقَالَ لَهُمَا أَمَا لَنَا مَلْجَأٌ نَلْجَأُ إِلَيْهِ نَجْعَلُهُ فِي ظُهُورِنَا وَنَسْتَقْبِلُ الْقَوْمَ مَنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ ؟ |
| فَقَالَا بَلَى ، هَذَا ذُو حُسُمٍ إِلَى جَنْبِكَ تَمِيلُ إِلَيْهِ عَنْ يَسَارِكَ فَإِنْ سَبَقْتَ الْقَوْمَ إِلَيْهِ فَهُوَ كَمَا تُرِيدُ. |
| فَمَالَ إِلَيْهِ ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ طَلَعَتِ الْخَيْلُ وَعَدَلُوا إِلَيْهِمْ ، فَسَبَقَهُمُ الْحُسَيْنُ إِلَى الْجَبَلِ فَنَزَلَ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ وَهُمْ أَلْفُ فَارِسٍ مَعَ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ التَّمِيمِيُّ ثُمَّ الْيَرْبُوعِيُّ ، فَوَقَفُوا مُقَابِلَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ فِي حَرِّ الظَّهِيرَةِ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ لِأَصْحَابِهِ وَفِتْيَانِهِ اسْقُوا الْقَوْمَ وَرَشِّفُوا الْخَيْلَ تَرْشِيفًا. |
| فَفَعَلُوا ، وَكَانَ مَجِيءُ الْقَوْمِ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ ، أَرْسَلَهُمُ الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ التَّمِيمِيُّ فِي هَذِهِ الْأَلِفِ يَسْتَقْبِلُ الْحُسَيْنَ ، فَلَمْ يَزَلْ مُوَاقِفًا الْحُسَيْنَ حَتَّى حَضَرَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ ، فَأَمْرَ الْحُسَيْنُ مُؤَذِّنَهُ بِالْأَذَانِ فَأَذَّنَ ، وَخَرَجَ الْحُسَيْنُ إِلَيْهِمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهَا مَعْذِرَةٌ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ ، إِنِّي لَمْ آتِكُمْ حَتَّى أَتَتْنِي كُتُبُكُمْ وَرُسُلُكُمْ أَنْ أَقْدِمْ إِلَيْنَا فَلَيْسَ لَنَا إِمَامٌ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا بِكَ عَلَى الْهُدَى ، فَقَدْ جِئْتُكُمْ ، فَإِنْ تُعْطُونِي مَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنْ عُهُودِكُمْ أَقْدَمُ مِصْرَكُمْ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا أَوْ كُنْتُمْ لِمَقَدَمِي كَارِهِينَ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ. |
| فَسَكَتُوا وَقَالُوا لِلْمُؤَذِّنِ أَقِمْ ، فَأَقَامَ ، وَقَالَ الْحُسَيْنُ لِلْحُرِّ أَتُرِيدُ أَنْ تُصَلِّيَ أَنْتَ بِأَصْحَابِكَ ؟ |
| فَقَالَ بَلْ صَلِّي أَنْتَ وَنُصَلِّي بِصَلَاتِكَ. |
| فَصَلَّى بِهِمُ الْحُسَيْنُ ، ثُمَّ دَخَلَ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَانْصَرَفَ الْحُرُّ إِلَى مَكَانِهِ ، ثُمَّ صَلَّى بِهِمُ الْحُسَيْنُ الْعَصْرَ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُمْ بِوَجْهِهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّكُمْ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ يَكُنْ أَرْضَى لِلَّهِ ، وَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ أَوْلَى بِوِلَايَةِ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ وَالسَّائِرِينَ فِيكُمْ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ ، فَإِنْ أَنْتُمْ كَرِهْتُمُونَا وَجَهِلْتُمْ حَقَّنَا وَكَانَ رَأْيُكُمْ غَيْرَ مَا أَتَتْنِي بِهِ كُتُبُكُمْ وَرُسُلُكُمُ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ. |
| فَقَالَ الْحُرُّ إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي مَا هَذِهِ الْكُتُبُ وَالرُّسُلُ الَّتِي تَذْكُرُ. |
| فَأَخْرَجَ خُرْجَيْنِ مَمْلُوءَيْنِ صُحُفًا فَنَثَرَهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ. |
| فَقَالَ الْحُرُّ فَإِنَّا لَسْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَتَبُوا إِلَيْكَ ، وَقَدْ أُمِرْنَا أَنَّا إِذَا نَحْنُ لَقِينَاكَ أَنْ لَا نُفَارِقَكَ حَتَّى نُقْدِمَكَ الْكُوفَةَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ. |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ الْمَوْتُ أَدْنَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ! |
| ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ فَرَكِبُوا لِيَنْصَرِفُوا فَمَنْعَهُمُ الْحُرُّ مِنْ ذَلِكَ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! |
| مَا تُرِيدُ ؟ |
| قَالَ لَهُ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ غَيْرُكَ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُهَا لِي مَا تَرَكْتُ ذِكْرَ أُمِّهِ بِالثَّكْلِ كَائِنًا مَنْ كَانَ ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا لِي إِلَى ذِكْرِ أُمِّكَ مِنْ سَبِيلٍ إِلَّا بِأَحْسَنِ مَا يُقْدَرُ عَلَيْهِ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ مَا تُرِيدُ ؟ |
| قَالَ الْحُرُّ أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ. |
| قَالَ الْحُسَيْنُ إِذَنْ وَاللَّهِ لَا أَتْبَعُكَ. |
| قَالَ الْحُرُّ إِذَنْ وَاللَّهِ لَا أَدَعُكَ. |
| فَتَرَادَّا الْكَلَامَ ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِقِتَالِكَ وَإِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ لَا أُفَارِقَكَ حَتَّى أُقْدِمَكَ الْكُوفَةَ ، فَإِذَا أَبَيْتَ فَخُذْ طَرِيقًا لَا تُدْخِلُكَ الْكُوفَةَ وَلَا تَرُدُّكَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى أَكْتُبَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ وَتَكْتُبُ أَنْتَ إِلَى يَزِيدَ أَوْ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَلَعَلَّ اللَّهَ يَأْتِي بِأَمْرٍ يَرْزُقُنِي فِيهِ الْعَافِيَةَ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ. |
| فَتَيَاسَرَ عَنْ طَرِيقِ الْعُذَيْبِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَالْحُرُّ يُسَايِرُهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ خَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحُرَمِ اللَّهِ نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَلَمْ يُغَيِّرْ مَا عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلُهُ ». |
| أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ وَأَحَلُّوا حَرَامَ اللَّهِ وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ ، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ ، وَقَدْ أَتَتْنِي كُتُبُكُمْ وَرُسُلُكُمْ بِبَيْعَتِكُمْ ، وَأَنَّكُمْ لَا تُسَلِّمُونِي وَلَا تَخْذُلُونِي فَإِنْ تَمَّمْتُمْ عَلَى بَيْعَتِكُمْ تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ ، وَأَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ ، وَأَهْلِي مَعَ أَهْلِكُمْ ، فَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدِي وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتِي فَلَعَمْرِي مَا هِيَ لَكُمْ بِنَكِيرٍ ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَابْنِ عَمِّي مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ ، وَالْمَغْرُورُ مَنِ اغْتَرَّ بِكُمْ ، فَحَظَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ ، وَنَصِيبَكُمْ ضَيَّعْتُمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ الفتح وَسَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ ، وَالسَّلَامُ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ إِنِّي أَذَكِّرُكَ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ، فَإِنِّي أَشْهَدُ لَئِنْ قَاتَلَتْ لَتُقْتَلَنَّ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ أَبِالْمَوْتِ تُخَوِّفُنِي ؟ |
| وَهَلْ يَعْدُو بِكُمُ الْخَطْبُ أَنْ تَقْتُلُونِي ؟ |
| وَمَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ! |
| وَلَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو الْأَوْسِيِّ لِابْنِ عَمِّهِ وَهُوَ يُرِيدُ نُصْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ |
| فَإِنَّكَ مَقْتُولٌ فَقَالَ سَأَمْضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى... |
| إِذَا مَا نَوَى خَيْرًا وَجَاهَدَ مُسْلِمَا وَوَاسَى رِجَالًا صَالِحِينَ بِنَفْسِهِ... |
| وَخَالَفَ مَثْبُورًا وَفَارَقَ مُجْرِمَا فَإِنْ عِشْتُ لَمْ أَنْدَمْ وَإِنْ مُتُّ لَمْ أُلَمْ... |
| كَفَى بِكَ ذُلًّا أَنْ تَعِيشَ وَتُرْغَمَا فَلَمَّا سَمَّعَ ذَلِكَ الْحُرُّ تَنَحَّى عَنْهُ فَكَانَ يَسِيرُ نَاحِيَةً عَنْهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عُذَيْبِ الْهِجَانَاتِ ، كَانَ بِهِ هَجَائِنُ النُّعْمَانِ تُرْعَى هُنَاكَ فَنُسِبَ إِلَيْهَا ، فَإِذَا هُوَ بِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الْكُوفَةِ عَلَى رَوَاحِلِهِمْ يُجَنِّبُونَ فَرَسًا لِنَافِعِ بْنِ هِلَالٍ يُقَالُ لَهُ الْكَامِلُ وَمَعَهُمْ دَلِيلُهُمُ الطِّرِمَّاحُ بْنُ عَدِيٍّ وَانْتَهَوْا إِلَى الْحُسَيْنِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمُ الْحُرُّ وَقَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَنَا حَابِسُهُمْ أَوْ رَادُّهُمْ. |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ لَأَمْنَعَنَّهُمْ مِمَّا أَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسِي ، إِنَّمَا هَؤُلَاءِ أَنْصَارِي وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ جَاءَ مَعِي ، فَإِنْ تَمَّمْتَ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَإِلَّا نَاجَزْتُكَ. |
| فَكَفَّ الْحُرُّ عَنْهُمْ ، فَقَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ أَخْبَرُونِي فِي خَبَرِ النَّاسِ خَلْفَكُمْ. |
| فَقَالَ لَهُ مَجْمَعُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَائِذِيُّ ، وَهُوَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَشْرَافُ النَّاسِ فَقَدْ أُعْظِمَتْ رِشْوَتُهُمْ ، وَمُلِئَتْ غَرَائِرُهُمْ ، فَهُمْ أَلْبٌ وَاحِدٌ عَلَيْكَ ، وَأَمَّا سَائِرُ النَّاسِ بَعْدَهُمْ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ تَهْوَى إِلَيْكَ وَسُيُوفَهُمْ غَدًا مَشْهُورَةٌ عَلَيْكَ. |
| وَسَأَلَهُمْ عَنْ رَسُولِهِ قَيْسِ بْنِ مُسْهِرٍ ، فَأَخْبَرُوهُ بِقَتْلِهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ ، فَتَرَقْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ وَلَمْ يَمْلِكْ دَمْعَتَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا الأحزاب ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا وَلَهُمُ الْجَنَّةَ وَاجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِكَ وَرَغَائِبِ مَذْخُورِ ثَوَابِكَ. |
| وَقَالَ لَهُ الطِّرِمَّاحُ بْنُ عَدِيٍّ وَاللَّهِ مَا أَرَى مَعَكَ كَثِيرَ أَحَدٍ ، وَلَوْ لَمْ يُقَاتِلْكَ إِلَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرَاهُمْ مُلَازِمِيكَ لَكَانَ كَفَى بِهِمْ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَبْلَ خُرُوجِي مِنَ الْكُوفَةِ بِيَوْمٍ ظَهْرَ الْكُوفَةِ وَفِيهِ مِنَ النَّاسِ مَا لَمْ تَرَ عَيْنَايَ جَمْعًا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ أَكْثَرَ مِنْهُ قَطُّ لِيَسِيرُوا إِلَيْكَ ، فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ لَا تَقَدَمَ إِلَيْهِمْ شِبْرًا فَافْعَلْ ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَنْزِلَ بَلَدًا يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِ حَتَّى تَرَى رَأْيَكَ وَيَسْتَبِينَ لَكَ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فَسِرْ حَتَّى أُنْزِلَكَ جَبَلَنَا أَجَأَ ، فَهُوَ وَاللَّهِ جَبَلٌ امْتَنَعْنَا بِهِ مِنْ مُلُوكِ غَسَّانَ وَحِمْيَرَ وَالنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَمِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَبْيَضِ ، وَاللَّهِ مَا إِنْ دَخَلَ عَلَيْنَا ذُلٌّ قَطُّ ، فَأَسِيرُ مَعَكَ حَتَّى أُنْزِلَكَ الْقُرَيَّةَ ، ثُمَّ تَبْعَثُ إِلَى الرِّجَالِ مِمَّنْ بِأَجَأَ وَسَلْمَى مِنْ طَيِّئٍ ، فَوَاللَّهِ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ عَشَرَةُ أَيَّامٍ حَتَّى يَأْتِيَكَ طَيِّئٌ رِجَالًا وَرُكْبَانًا ، ثُمَّ أَقِمْ فِينَا مَا بَدَا لَكَ ، فَإِنَّ هَاجَكَ هَيْجٌ فَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِعِشْرِينَ أَلْفِ طَائِيٍّ يَضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِأَسْيَافِهِمْ ، فَوَاللَّهِ لَا يُوصَلُ إِلَيْكَ أَبَدًا وَفِيهِمْ عَيْنٌ تَطَرُفُ. |
| فَقَالَ لَهُ جَزَاكَ اللَّهُ وَقَوْمَكَ خَيْرًا! |
| إِنَّهُ قَدْ كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قَوْلٌ لَسْنَا نَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى الِانْصِرَافِ وَلَا نَدْرِي عَلَامَ تَتَصَرَّفُ بِنَا وَبِهِمُ الْأُمُورُ. |
| فَوَدَّعَهُ وَسَارَ إِلَى أَهْلِهِ وَوَعَدَهُ أَنْ يُوصِلَ الْمِيرَةَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَعُودَ إِلَى نَصْرِهِ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْحُسَيْنِ ، فَلَمَّا بَلَغَ عُذَيْبَ الْهِجَانَاتِ لَقِيَهُ خَبَرُ قَتْلِهِ فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ. |
| ثُمَّ سَارَ الْحُسَيْنُ حَتَّى بَلَغَ قَصْرَ مُقَاتِلٍ فَرَأَى فُسْطَاطًا مَضْرُوبًا فَقَالَ لِمَنْ هَذَا ؟ |
| فَقِيلَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ الْجُعْفِيِّ. |
| فَقَالَ ادْعُوهُ لِي. |
| فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ يَدْعُوهُ قَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَّا كَرَاهِيَةَ أَنْ يَدْخُلَهَا الْحُسَيْنُ وَأَنَا بِهَا ، وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ أَنْ أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي. |
| فَعَادَ الرَّسُولُ إِلَى الْحُسَيْنِ فَأَخْبَرَهُ ، فَلَبِسَ الْحُسَيْنُ نَعْلَيْهِ ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَدَعَاهُ إِلَى نَصْرِهِ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ابْنُ الْحُرِّ تِلْكَ الْمَقَالَةَ ، قَالَ فَإِنْ لَا تَنْصُرْنِي فَاتَّقِ اللَّهَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يُقَاتِلُنَا ، فَوَاللَّهِ لَا يَسْمَعُ وَاعِيَتَنَا أَحَدٌ ثُمَّ لَا يَنْصُرُنَا إِلَّا هَلَكَ. |
| فَقَالَ لَهُ أَمَّا هَذَا فَلَا يَكُونُ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ثُمَّ قَامَ الْحُسَيْنُ فَخَرَجَ إِلَى رَحْلِهِ ثُمَّ سَارَ لَيْلًا سَاعَةً فَخَفَقَ بِرَأْسِهِ خَفْقَةً ثُمَّ انْتَبَهَ وَهُوَ يَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. |
| فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَقَالَ يَا أَبَتِ جُعِلْتُ فِدَاكَ! |
| مِمَّ حَمِدْتَ وَاسْتَرْجَعْتَ ؟ |
| قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي خَفَقْتُ بِرَأْسِي خَفْقَةً فَعَنَّ لِي فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ ، فَقَالَ الْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَالْمَنَايَا تَسِيرُ إِلَيْهِمْ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ أَنْفُسَنَا نُعِيَتَ إِلَيْنَا. |
| فَقَالَ يَا أَبَتِ لَا أَرَاكَ اللَّهُ سُوءًا. |
| أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ؟ |
| قَالَ بَلَى وَالَّذِي يُرْجَعُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ. |
| قَالَ إِذَنْ لَا نُبَالِي أَنْ نَمُوتَ مُحِقِّينَ. |
| فَقَالَ لَهُ جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ خَيْرًا مَا جَزَى وَلَدًا عَنْ وَالِدِهِ. |
| فَلَمَّا أَصْبَحَ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ عَجَّلَ الرُّكُوبَ فَأَخَذَ يَتَيَاسَرُ بِأَصْحَابِهِ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَهُمْ ، فَأَتَى الْحُرُّ فَرَدَّهُ وَأَصْحَابَهُ ، فَجَعَلَ إِذَا رَدَّهُمْ نَحْوَ الْكُوفَةِ رَدًّا شَدِيدًا امْتَنَعُوا عَلَيْهِ وَارْتَفَعُوا ، فَلَمْ يَزَالُوا يَتَيَاسَرُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى نِينَوَى ، الْمَكَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْحُسَيْنُ ، فَلَمَّا نَزَلُوا إِذَا رَاكِبٌ مُقْبِلٌ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَوَقَفُوا يَنْتَظِرُونَهُ ، فَسَلَّمَ عَلَى الْحُرِّ وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ ، وَدَفَعَ إِلَى الْحُرِّ كِتَابًا مِنِ ابْنِ زِيَادٍ ، فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَجَعْجِعْ بِالْحُسَيْنِ حِينَ يَبْلُغُكَ كِتَابِي وَيَقْدَمُ عَلَيْكَ رَسُولِي فَلَا تُنْزِلْهُ إِلَّا بِالْعَرَاءِ فِي غَيْرِ حِصْنٍ وَعَلَى غَيْرِ مَاءٍ ، وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَلْزَمَكَ فَلَا يُفَارِقَكَ حَتَّى يَأْتِيَنِي بِإِنْفَاذِكَ أَمْرِي ، وَالسَّلَامُ. |
| فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ لَهُمُ الْحُرُّ هَذَا كِتَابُ الْأَمِيرِ يَأْمُرُنِي أَنْ أُجَعْجِعَ بِكُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَأْتِينِي فِيهِ كِتَابُهُ ، وَقَدْ أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ لَا يُفَارِقَنِي حَتَّى أُنْفِذَ رَأْيَهُ وَأَمْرَهُ. |
| وَأَخَذَهُمُ الْحُرُّ بِالنُّزُولِ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ وَلَا فِي قَرْيَةٍ ، فَقَالُوا دَعْنَا نَنْزِلْ فِي نِينَوَى أَوِ الْغَاضِرِيَّةَ أَوْ شُفَيَّةَ. |
| فَقَالَ لَا أَسْتَطِيعُ ، هَذَا الرَّجُلُ قَدْ بَعَثَ عَيْنًا عَلَيَّ. |
| فَقَالَ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ لِلْحُسَيْنِ إِنَّهُ لَا يَكُونُ وَاللَّهِ بَعْدَ مَا تَرَوْنَ إِلَّا مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَإِنَّ قِتَالَ هَؤُلَاءِ السَّاعَةَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ قِتَالِ مَنْ يَأْتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَلَعَمْرِي لَيَأْتِيَنَّا مِنْ بَعْدِهِمْ مَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ! |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ مَا كُنْتُ لِأَبْدَأَهُمْ بِالْقِتَالِ. |
| فَقَالَا لَهُ زُهَيْرٌ سِرْ بِنَا إِلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ حَتَّى نَنْزِلَهَا فَإِنَّهَا حَصِينَةٌ وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ، فَإِنْ مَنَعُونَا قَاتَلْنَاهُمْ فَقِتَالُهُمْ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ قِتَالِ مَنْ يَجِيءُ بَعْدَهُمْ. |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ مَا هِيَ ؟ |
| قَالَ الْعَقْرُ. |
| قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَقْرِ! |
| ثُمَّ نَزَلَ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّانِي مِنْ مُحَرَّمٍ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قِدَمَ عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مِنَ الْكُوفَةِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَكَانَ سَبَبُ مَسِيرِهِ إِلَيْهِ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ كَانَ قَدْ بَعَثَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ إِلَى دَسْتَبَى ، وَكَانَتِ الدَّيْلَمُ قَدْ خَرَجُوا إِلَيْهَا وَغَلَبُوا عَلَيْهَا وَكَتَبَ لَهُ عَهْدَهُ عَلَى الرَّيِّ ، فَعَسْكَرَ بِالنَّاسِ فِي حَمَّامِ أَعْيَنَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحُسَيْنِ مَا كَانَ دَعَا ابْنُ زِيَادٍ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَقَالَ لَهُ سِرْ إِلَى الْحُسَيْنِ فَإِذَا فَرَغْنَا مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِرْتَ إِلَى عَمَلِكَ. |
| فَاسْتَعْفَاهُ. |
| فَقَالَ نَعَمْ ، عَلَى أَنْ تَرُدَّ عَهْدَنَا. |
| فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ أَمْهِلْنِي الْيَوْمَ حَتَّى أَنْظُرَ. |
| فَاسْتَشَارَ نُصَحَاءَهُ فَكُلُّهُمْ نَهَاهُ ، وَأَتَاهُ حَمْزَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهِ ، فَقَالَ أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا خَالِيَ أَنْ تَسِيرَ إِلَى الْحُسَيْنِ فَتَأْثَمَ وَتَقْطَعَ رَحِمَكَ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُنْيَاكَ وَمَالِكَ وَسُلْطَانِ الْأَرْضِ لَوْ كَانَ لَكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ بِدَمِ الْحُسَيْنِ! |
| فَقَالَ أَفْعَلُ. |
| وَبَاتَ لَيْلَتَهُ مُفَكِّرًا فِي أَمْرِهِ ، فَسُمِعَ وَهُوَ يَقُولُ أَأُتْرَكُ مُلْكَ الرَّيِّ وَالرَّيُّ رَغْبَةٌ... |
| أَمْ أَرْجِعُ مَذْمُومًا بِقَتْلِ حُسَيْنِ وَفِي قَتْلِهِ النَّارُ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا... |
| حِجَابٌ وَمُلْكُ الرَّيِّ قُرَّةُ عَيْنِ ثُمَّ أَتَى ابْنَ زِيَادٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ قَدْ وَلَّيْتَنِي هَذَا الْعَمَلَ وَسَمِعَ النَّاسُ بِهِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَنْفُذَ لِي ذَلِكَ فَافْعَلْ وَابْعَثْ إِلَى الْحُسَيْنِ مِنْ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ مَنْ لَسْتُ أَغْنَى فِي الْحَرْبِ مِنْهُ ، وَسَمَّى أُنَاسًا. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ لَسْتُ أَسْتَأْمِرُكَ فِيمَنْ أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَ ، فَإِنْ سَرْتَ بِجُنْدِنَا وَإِلَّا فَابْعَثْ إِلَيْنَا بِعَهْدِنَا. |
| قَالَ فَإِنِّي سَائِرٌ. |
| فَأَقْبَلَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ حَتَّى نَزَلَ بِالْحُسَيْنِ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا يَسْأَلُهُ مَا الَّذِي جَاءَ بِهِ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ كَتَبَ إِلَيَّ أَهْلُ مِصْرِكُمْ هَذَا أَنْ أَقْدَمَ عَلَيْهِمْ ، فَأَمَّا إِذْ كَرِهُونِي فَإِنِّي أَنْصَرِفُ عَنْهُمْ. |
| فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ يُعَرِّفُهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا قَرَأَ ابْنُ زِيَادٍ الْكِتَابَ قَالَ الْآنَ إِذْ عَلَقَتْ مَخَالِبُنَا بِهِ... |
| يَرْجُو النَّجَاةَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَعْرِضَ عَلَى الْحُسَيْنِ بَيْعَةَ يَزِيدَ فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ رَأَيْنَا رَأْيَنَا ، وَأَنْ يَمْنَعَهُ وَمَنْ مَعَهُ الْمَاءَ. |
| فَأَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَمْرَو بْنَ الْحَجَّاجِ عَلَى خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ ، فَنَزَلُوا عَلَى الشَّرِيعَةِ وَحَالُوا بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَبَيْنَ الْمَاءِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَنَادَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْحُصَيْنِ الْأَزْدِيُّ وَعِدَادُهُ فِي بُجَيْلَةَ يَا حُسَيْنُ أَمَا تَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ ؟ |
| لَا تَذُوقُ مِنْهُ قَطْرَةً حَتَّى تَمُوتَ عَطَشًا! |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ اللَّهُمَّ اقْتُلْهُ عَطَشًا وَلَا تَغْفِرْ لَهُ أَبَدًا. |
| قَالَ فَمَرِضَ فِيمَا بَعْدُ فَكَانَ يَشْرَبُ الْمَاءَ الْقُلَّةَ ثُمَّ يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَبْغَرَ ثُمَّ يَقِيءُ ثُمَّ يَشْرَبُ فِيمَا يُرْوَى ، فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ. |
| فَلَمَّا اشْتَدَّ الْعَطَشُ عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ أَمَرَ أَخَاهُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَلِيٍّ فَسَارَ فِي عِشْرِينَ رَاجِلًا يَحْمِلُونَ الْقِرَبَ وَثَلَاثِينَ فَارِسًا فَدَنَوْا مِنَ الْمَاءِ فَقَاتَلُوا عَلَيْهِ وَمَلَئُوا الْقِرَبَ وَعَادُوا ، ثُمَّ بَعَثَ الْحُسَيْنُ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ عَمْرَو بْنَ قَرَظَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيَّ أَنِ الْقَنِي اللَّيْلَةَ بَيْنَ عَسْكَرِي وَعَسْكَرِكَ. |
| فَخَرَجَ إِلَيْهِ عُمَرُ ، فَاجْتَمَعَا وَتَحَادَثَا طَوِيلًا ثُمَّ انْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ الْحُسَيْنَ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ سَعْدٍ اخْرُجْ مَعِي إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَنَدَعُ الْعَسْكَرَيْنِ. |
| فَقَالَ عُمَرُ أَخْشَى أَنْ تُهْدَمَ دَارِي. |
| قَالَ أَبْنِيهَا لَكَ خَيْرًا مِنْهَا. |
| قَالَ تُؤْخَذُ ضِيَاعِي. |
| قَالَ أُعْطِيكَ خَيْرًا مِنْهَا مِنْ مَالِي بِالْحِجَازِ. |
| فَكَرَهُ ذَلِكَ عُمَرُ. |
| وَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِذَلِكَ وَلَمْ يَسْمَعُوهُ ، وَقِيلَ بَلْ قَالَ لَهُ اخْتَارُوا مِنِّي وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ أَرْجِعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ أَضَعَ يَدِي فِي يَدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَيَرَى فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ رَأْيَهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَسِيرُوا بِي إِلَى أَيِّ ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ شِئْتُمْ فَأَكُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ لِي مَا لَهُمْ وَعَلَيَّ مَا عَلَيْهِمْ. |
| وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ سَمْعَانَ أَنَّهُ قَالَ صَحِبْتُ الْحُسَيْنَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ وَمِنْ مَكَّةَ إِلَى الْعِرَاقِ وَلَمْ أُفَارِقْهُ حَتَّى قُتِلَ ، وَسَمِعْتُ جَمِيعَ مُخَاطِبَاتِهِ لِلنَّاسِ إِلَى يَوْمِ مَقْتَلِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ مَا يَتَذَاكَرُ النَّاسُ أَنَّهُ يَضَعُ يَدَهُ فِي يَدِ يَزِيدَ ، وَلَا أَنْ يُسَيِّرُوهُ إِلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ دَعُونِي أَرْجِعُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ وَدَعُونِي أَذْهَبْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُ النَّاسِ فَلَمْ يَفْعَلُوا. |
| ثُمَّ الْتَقَى الْحُسَيْنُ وَعُمَرُ بْنُ سَعْدٍ مِرَارًا ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ أَطْفَأَ النَّائِرَةَ ، وَجَمَعَ الْكَلِمَةَ ، وَقَدْ أَعْطَانِي الْحُسَيْنَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلَ مِنْهُ أَوْ أَنْ نُسَيِّرَهُ إِلَى أَيِّ ثَغْرٍ مِنَ الثُّغُورِ شِئْنَا ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَ يَزِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ، وَفِي هَذَا لَكُمْ رِضًى ، وَلِلْأُمَّةِ صَلَاحٌ ، فَلَمَّا قَرَأَ ابْنُ زِيَادٍ الْكِتَابَ قَالَ هَذَا كِتَابُ رَجُلٍ نَاصِحٍ لِأَمِيرِهِ ، مُشْفِقٍ عَلَى قَوْمِهِ ، نَعَمْ قَدْ قَبِلْتُ. |
| فَقَامَ إِلَيْهِ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ فَقَالَ أَتَقْبَلُ هَذَا مِنْهُ وَقَدْ نَزَلَ بِأَرْضِكَ وَإِلَى جَنْبِكَ ؟ |
| وَاللَّهِ لَئِنْ رَحَلَ مِنْ بِلَادِكَ وَلَمْ يَضَعْ يَدَهُ فِي يَدِكَ لَيَكُونَنَّ أَوْلَى بِالْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ وَلَتَكُونَنَّ أَوْلَى بِالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ ، فَلَا تُعْطِهِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فَإِنَّهَا مِنَ الْوَهَنِ ، وَلَكِنْ لِيَنْزِلْ عَلَى حُكْمِكَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَإِنْ عَاقَبْتَ كُنْتَ وَلِيَّ الْعُقُوبَةِ ، وَإِنْ عَفَوْتَ كَانَ ذَلِكَ لَكَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ وَعُمَرَ يَتَحَدَّثَانِ عَامَّةَ اللَّيْلِ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ. |
| فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ نِعْمَ مَا رَأَيْتَ! |
| اخْرُجْ بِهَذَا الْكِتَابِ إِلَى عُمَرَ فَلْيَعْرِضْ عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ النُّزُولَ عَلَى حُكْمِي ، فَإِنْ فَعَلُوا فَلْيَبْعَثْ بِهِمْ إِلَيَّ سِلْمًا ، وَإِنْ أَبَوْا فَلْيُقَاتِلْهُمْ ، وَإِنْ فَعَلَ فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ ، وَإِنْ أَبَى فَأَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَيْهِ وَعَلَى النَّاسِ وَاضْرِبْ عُنُقَهُ وَابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِهِ. |
| وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ إِلَى الْحُسَيْنِ لِتَكُفَّ عَنْهُ وَلَا لِتُمَنِّيَهُ وَلَا لِتَطَاوِلَهُ وَلَا لِتَقْعُدَ لَهُ عِنْدِي شَافِعًا ، انْظُرْ فَإِنْ نَزَلَ الْحُسَيْنُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْحَكَمِ وَاسْتَسْلَمُوا فَابْعَثْ بِهِمْ إِلَيَّ سِلْمًا ، وَإِنْ أَبَوْا فَازْحَفْ إِلَيْهِمْ حَتَّى تَقْتُلَهُمْ وَتُمَثِّلَ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ مُسْتَحِقُّونَ ، فَإِنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَوْطِئِ الْخَيْلَ صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ فَإِنَّهُ عَاقٌّ شَاقٌّ قَاطِعٌ ظَلُومٌ ، فَإِنْ أَنْتَ مَضَيْتَ لِأَمْرِنَا جَزَيْنَاكَ جَزَاءَ السَّامِعِ الْمُطِيعِ ، وَإِنْ أَنْتَ أَبَيْتَ فَاعْتَزِلْ جُنْدَنَا وَخَلِّ بَيْنَ شَمِرٍ وَبَيْنَ الْعَسْكَرِ ، وَالسَّلَامُ. |
| فَلَمَّا أَخَذَ شَمِرُ الْكِتَابَ كَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْمَحَلِّ بْنِ حِزَامٍ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ ، وَكَانَتْ عَمَّتُهُ أُمُّ الْبَنِينَ بِنْتُ حِزَامٍ عِنْدَ عَلِيٍّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ الْعَبَّاسَ وَعَبْدَ اللَّهِ وَجَعْفَرًا وَعُثْمَانَ ، فَقَالَ لِابْنِ زِيَادٍ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكْتُبَ لِبَنِي أُخْتِنَا أَمَانًا فَافْعَلْ ، فَكَتَبَ لَهُمْ أَمَانًا فَبَعَثَ بِهِ مَعَ مَوْلًى لَهُ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوُا الْكِتَابَ قَالُوا لَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَمَانِكُمْ ، أَمَانُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَمَانِ ابْنِ سُمَيَّةَ. |
| فَلَمَّا أَتَى شَمِرٌ بِكِتَابِ ابْنِ زِيَادٍ إِلَى عُمَرَ قَالَ لَهُ مَا لَكَ وَيْلَكَ قَبَّحَ اللَّهُ مَا جِئْتَ بِهِ! |
| وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ أَنْتَ ثَنَيْتَهُ أَنْ يَقْبَلَ مَا كُنْتُ كَتَبْتُ إِلَيْهِ بِهِ ، أَفْسَدْتَ عَلَيْنَا أَمْرًا كُنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَصْلُحَ ، وَاللَّهِ لَا يَسْتَسْلِمُ الْحُسَيْنُ أَبَدًا ، وَاللَّهِ إِنَّ نَفْسَ أَبِيهِ لَبَيْنَ جَنْبَيْهِ. |
| فَقَالَ لَهُ شَمِرٌ مَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ |
| قَالَ أَتَوَلَّى ذَلِكَ. |
| وَنَهَضَ إِلَيْهِ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ لِتِسْعٍ مَضَيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، وَجَاءَ شَمِرٌ فَدَعَا الْعَبَّاسَ بْنَ عَلِيٍّ وَإِخْوَتَهُ فَخَرَجُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ أَنْتُمْ يَا بَنِي أُخْتِي آمِنُونَ. |
| فَقَالُوا لَهُ لَعَنَكَ اللَّهُ وَلَعَنَ أَمَانَكَ! |
| لَئِنْ كُنْتَ خَالَنَا أَتُؤَمِّنُنَا وَابْنُ رَسُولِ اللَّهِ لَا أَمَانَ لَهُ ؟ |
| ثُمَّ رَكِبَ عُمَرُ وَالنَّاسُ مَعَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ وَالْحُسَيْنُ جَالِسٌ أَمَامَ بَيْتِهِ مُحْتَبِيًا بِسَيْفِهِ إِذْ خَفَقَ بِرَأْسِهِ عَلَى رُكْبَتِهِ ، وَسَمِعَتْ أُخْتُهُ زَيْنَبُ الضَّجَّةَ فَدَنَتْ مِنْهُ فَأَيْقَظَتْهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، فَقَالَ إِنَّكَ تَرُوحُ إِلَيْنَا. |
| قَالَ فَلَطَمَتْ أُخْتُهُ وَجْهَهَا وَقَالَتْ يَا وَيْلَتَاهُ! |
| قَالَ لَيْسَ لَكِ الْوَيْلُ يَا أُخَيَّةُ ، اسْكُتِي رَحِمَكِ اللَّهُ! |
| قَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ أَخُوهُ يَا أَخِي أَتَاكَ الْقَوْمُ. |
| فَنَهَضَ فَقَالَ يَا أَخِي أَرْكَبُ بِنَفْسِي. |
| فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بَلْ أَرُوحُ أَنَا. |
| فَقَالَ ارْكَبْ أَنْتَ حَتَّى تَلْقَاهُمْ فَتَقُولَ مَا لَكُمْ ؟ |
| وَمَا بَدَا لَكُمْ ؟ |
| وَتَسْأَلَهُمْ عَمَّا جَاءَ بِهِمْ. |
| فَأَتَاهُمْ فِي نَحْوِ عِشْرِينَ فَارِسًا فِيهِمْ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ فَسَأَلَهُمْ ، فَقَالُوا جَاءَ أَمْرُ الْأَمِيرِ بِكَذَا وَكَذَا. |
| قَالَ فَلَا تَعْجَلُوا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَأَعْرِضَ عَلَيْهِ مَا ذَكَرْتُمْ. |
| فَوَقَفُوا وَرَجَعَ الْعَبَّاسُ إِلَيْهِ بِالْخَبَرِ ، وَوَقَفَ أَصْحَابُهُ يُخَاطِبُونَ الْقَوْمَ وَيُذَكِّرُونَهُمُ اللَّهَ ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ الْعَبَّاسُ بِقَوْلِهِمْ قَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُؤَخِّرَهُمْ إِلَى غُدْوَةٍ لَعَلَّنَا نُصَلِّي لِرَبِّنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَنَدْعُوهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ فَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ الصَّلَاةَ لَهُ وَتِلَاوَةَ كِتَابِهِ وَكَثْرَةَ الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ . |
| وَأَرَادَ الْحُسَيْنُ أَيْضًا أَنْ يُوصِيَ أَهْلَهُ. |
| فَرَجَعَ إِلَيْهِمُ الْعَبَّاسُ وَقَالَ لَهُمُ انْصَرِفُوا عَنَّا الْعَشِيَّةَ حَتَّى نَنْظُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَإِذَا أَصْبَحْنَا الْتَقَيْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَإِمَّا رَضِينَاهُ وَإِمَّا رَدَدْنَاهُ. |
| فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ مَا تَرَى يَا شَمِرُ ؟ |
| قَالَ أَنْتَ الْأَمِيرُ. |
| فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ مَا تَرَوْنَ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيُّ سُبْحَانَ اللَّهِ! |
| وَاللَّهِ لَوْ كَانُوا مِنَ الدَّيْلَمِ ثُمَّ سَأَلُوكُمْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُجِيبُوهُمْ. |
| وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ أَجِبْهُمْ لَعَمْرِي لَيُصْبِحُنَّكَ بِالْقِتَالِ غُدْوَةً. |
| فَقَالَ لَوْ أَعْلَمُ أَنْ يَفْعَلُوا مَا أَخَّرْتُهُمُ الْعَشِيَّةَ. |
| ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُمْ. |
| فَجَمَعَ الْحُسَيْنُ أَصْحَابَهُ بَعْدَ رُجُوعِ عُمَرَ فَقَالَ أُثْنِي عَلَى اللَّهِ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمَتْنَا بِالنُّبُوَّةِ وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً وَعَلَّمْتَنَا الْقُرْآنَ وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ فَاجْعَلْنَا لَكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي ، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا عَنِّي خَيْرًا ، أَلَا وَإِنِّي لَأَظُنُّ يَوْمَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ غَدًا ، وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ جَمِيعًا فَانْطَلِقُوا فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا وَلْيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَجَزَاكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ فِي سَوَادِكُمْ وَمَدَائِنِكُمْ حَتَّى يُفَرِّجَ اللَّهُ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يَطْلُبُونِي وَلَوْ أَصَابُونِي لَهَوْا عَنْ طَلَبِ غَيْرِي. |
| فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ وَأَبْنَاءُ إِخْوَتِهِ وَأَبْنَاءُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لِمَ نَفْعَلُ هَذَا ؟ |
| لِنَبْقَى بَعْدَكَ! |
| لَا أَرَانَا اللَّهُ ذَلِكَ أَبَدًا! |
| فَقَالَ الْحُسَيْنُ يَا بَنِي عَقِيلٍ حَسْبُكُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِمُسْلِمٍ ، اذْهَبُوا فَقَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ. |
| قَالُوا وَمَا نَقُولُ لِلنَّاسِ ؟ |
| نَقُولُ تَرَكْنَا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَبَنِي عُمُومَتِنَا خَيْرَ الْأَعْمَامِ وَلَمْ نَرْمِ مَعَهُمْ بِسَهْمٍ وَلَمْ نَطْعَنْ مَعَهُمْ بِرُمْحٍ وَلَمْ نَضْرِبْ بِسَيْفٍ وَلَا نَدْرِي مَا صَنَعُوا ؟ |
| لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ وَلَكِنَّا نَفْدِيكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَهْلِينَا وَنُقَاتِلُ مَعَكَ حَتَّى نَرِدَ مَوْرِدَكَ ، فَقَبَّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ! |
| وَقَامَ إِلَيْهِ مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيُّ فَقَالَ أَنْحَنُ نَتَخَلَّى عَنْكَ وَلَمْ نُعْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي أَدَاءِ حَقِّكَ ؟ |
| أَمَا وَاللَّهِ لَا أُفَارِقُكَ حَتَّى أَكْسِرَ فِي صُدُورِهِمْ رُمْحِي وَأَضْرِبَهُمْ بِسَيْفِي مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ بِيَدِي ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَعِي سِلَاحِي لَقَذْفَتُهُمْ بِالْحِجَارَةِ دُونَكَ حَتَّى أَمُوتَ مَعَكَ. |
| وَتَكَلَّمَ أَصْحَابُهُ بِنَحْوِ هَذَا ، فَجَزَاهُمُ اللَّهُ خَيْرًا. |
| وَسَمِعَتْهُ أُخْتُهُ زَيْنَبُ تِلْكَ الْعَشِيَّةَ وَهُوَ فِي خِبَاءٍ لَهُ يَقُولُ ، وَعِنْدَهُ حُوَيٌّ مَوْلَى أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ يُعَالِجُ سَيْفَهُ يَا دَهْرُ أُفٍّ لَكَ مِنْ خَلِيلِ... |
| كَمْ لَكَ بِالْإِشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ مِنْ صَاحِبٍ أَوْ طَالِبٍ قَتِيلِ... |
| وَالدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ... |
| وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكُ السَّبِيلِ فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَلَمَّا سَمِعَتْهُ لَمْ تَمْلِكْ نَفْسَهَا أَنْ وَثَبَتْ تَجُرُّ ثَوْبَهَا حَتَّى انْتَهَتَ إِلَيْهِ وَنَادَتْ وَاثَكْلَاهُ! |
| لَيْتَ الْمَوْتَ أَعْدَمَنِي الْحَيَاةَ الْيَوْمَ! |
| مَاتَتْ فَاطِمَةُ أُمِّي وَعَلِيٌّ أَبِي وَالْحَسَنُ أَخِي يَا خَلِيفَةَ الْمَاضِي وَثِمَالَ الْبَاقِي! |
| فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ يَا أُخَيَّةُ لَا يُذْهِبَنَّ حِلْمَكِ الشَّيْطَانُ. |
| قَالَتْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي اسْتُقْتِلْتَ! |
| نَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفِدَى! |
| فَرَدَّدَ غُصَّتَهُ وَتَرَقْرَقَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ لَوْ تُرِكَ الْقَطَا لَيْلًا لَنَامَ. |
| فَلَطَمَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ وَاوَيْلَتَاهُ! |
| أَفَتُغْصِبُكَ نَفْسُكَ اغْتِصَابًا ، فَذَلِكَ أَقْرَحُ لِقَلْبِي وَأَشَدُّ عَلَى نَفْسِي! |
| ثُمَّ لَطَمَتْ وَجْهَهَا وَشَقَّتْ جَيْبَهَا وَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا ، فَقَامَ إِلَيْهَا الْحُسَيْنُ فَصَبَّ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِهَا وَقَالَ اتَّقِي اللَّهَ وَتَعَزَّيْ بِعَزَاءِ اللَّهِ وَاعْلَمِي أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ يَمُوتُونَ وَأَهْلَ السَّمَاءِ لَا يَبْقَوْنَ ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ ، أَبِي خَيْرٌ مِنِّي وَأُمِّي خَيْرٌ مِنِّي وَأَخِي خَيْرٌ مِنِّي ، وَلِي وَلَهُمْ وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ بِرَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ. |
| فَعَزَّاهَا بِهَذَا وَنَحْوِهِ وَقَالَ لَهَا يَا أُخَيَّةُ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكِ لَا تَشُقِّي عَلَيَّ جَيْبًا ، وَلَا تَخْمِشِي عَلَيَّ وَجْهًا ، وَلَا تَدْعِي عَلَيَّ بِالْوَيْلِ وَالثَّبُورِ إِنْ أَنَا هَلَكْتُ. |
| ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقَرِّبُوا بَعْضَ بُيُوتِهِمْ مِنْ بَعْضٍ وَأَنْ يُدْخِلُوا الْأَطْنَابَ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ وَيَكُونُوا بَيْنَ يَدَيِ الْبُيُوتِ ، فَيَسْتَقْبِلُونَ الْقَوْمَ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ ، وَالْبُيُوتُ عَلَى أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَمِنْ وَرَائِهِمْ. |
| فَلَمَّا أَمْسَوْا قَامُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ يُصَلُّونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ وَيَدْعُونَ. |
| فَلَمَّا صَلَّى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ الْغَدَاةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَقِيلَ الْجُمُعَةِ ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، خَرَجَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَعَبَّى الْحُسَيْنُ أَصْحَابَهُ وَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْغَدَاةِ ، وَكَانَ مَعَهُ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا ، وَأَرْبَعُونَ رَاجِلًا ، فَجَعَلَ زُهَيْرَ بْنَ الْقَيْنِ فِي مَيْمَنَةِ أَصْحَابِهِ ، وَحَبِيبَ بْنَ مُطَهِّرٍ فِي مَيْسَرَتِهِمْ ، وَأَعْطَى رَايَتَهُ الْعَبَّاسَ أَخَاهُ ، وَجَعَلُوا الْبُيُوتَ فِي ظُهُورِهِمْ ، وَأَمَرَ بِحَطَبٍ وَقَصَبٍ فَأُلْقِي فِي مَكَانٍ مُنْخَفِضٍ مِنْ وَرَائِهِمْ كَأَنَّهُ سَاقِيَةٌ عَمِلُوهُ فِي سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، لِئَلَّا يُؤْتَوْا مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَضْرَمَ نَارًا فَنَفَعَهُمْ ذَلِكَ. |
| وَجَعَلَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى رُبُعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زُهَيْرٍ الْأَزْدِيَّ ، وَعَلَى رُبُعِ رَبِيعَةَ وَكِنْدَةَ قَيْسَ بْنَ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ ، وَعَلَى رُبُعِ مَذْحِجٍ وَأَسَدٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي سَبْرَةَ الْجُعْفِيَّ ، وَعَلَى رُبُعِ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ الْحُرَّ بْنَ يَزِيدَ الرِّيَاحِيَّ ، فَشَهِدَ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ إِلَّا الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ فَإِنَّهُ عَدَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ وَقُتِلَ مَعَهُ ، وَجَعَلَ عُمَرُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ عَمْرَو بْنَ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيَّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ شَمِرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ ، وَعَلَى الْخَيْلِ عُرْوَةَ بْنَ قَيْسٍ الْأَحْمَسِيَّ ، وَعَلَى الرِّجَالِ شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ الْيَرْبُوعِيَّ التَّمِيمِيَّ ، وَأَعْطَى الرَّايَةَ مَوْلَاهُ. |
| فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْحُسَيْنِ أَمَرَ فَضُرِبَ لَهُ فُسْطَاطٌ ، ثُمَّ أَمَرَ بِمِسْكٍ فَمِيثَ فِي جَفْنَةٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُسَيْنُ فَاسْتَعْمَلَ النُّورَةَ ، وَوَقَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَبُرَيْرُ بْنُ خُضَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ عَلَى بَابِ الْفُسْطَاطِ وَازْدَحَمَا أَيُّهُمَا يَطْلِي بَعْدَهُ ، فَجَعَلَ بُرَيْرٌ يُهَازِلُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ لَهُ وَاللَّهِ مَا هَذِهِ بِسَاعَةِ بَاطِلٍ. |
| فَقَالَ بُرَيْرٌ وَاللَّهِ إِنَّ قَوْمِي لَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي مَا أَحْبَبْتُ الْبَاطِلَ شَابًّا وَلَا كَهْلًا ، وَلَكِنَّنِي مُسْتَبْشِرٌ بِمَا نَحْنُ لَاقُونَ ، وَاللَّهِ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحُورِ الْعِينِ إِلَّا أَنْ يَمِيلَ هَؤُلَاءِ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِهِمْ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ الْحُسَيْنُ دَخَلَا ، ثُمَّ رَكِبَ الْحُسَيْنُ دَابَّتَهُ وَدَعَا بِمُصْحَفٍ فَوَضَعَهُ أَمَامَهُ ، وَاقْتَتَلَ أَصْحَابُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ ، كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ فِيهِ الْفُؤَادُ وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ وَيَشْمَتُ بِهِ الْعَدُوُّ أَنْزَلْتُهُ بِكَ وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ رَغْبَةً إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ وَكَفَيْتَنِيهِ ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ. |
| فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ عُمَرَ النَّارَ تَلْتَهِبُ فِي الْقَصَبِ نَادَى شَمِرُ الْحُسَيْنَ تَعَجَّلْتَ النَّارَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْقِيَامَةِ! |
| فَعَرَفَهُ الْحُسَيْنُ فَقَالَ أَنْتَ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا! |
| ثُمَّ رَكِبَ الْحُسَيْنُ رَاحِلَتَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَى النَّاسِ وَنَادَى بِصَوْتٍ عَالٍ يَسْمَعُهُ كُلُّ النَّاسِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَلَا تُعَجِّلُونِي حَتَّى أَعِظَهُمْ بِمَا يَجِبُ لَكُمْ عَلَيَّ وَحَتَّى أَعْتَذِرَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ عُذْرِي وَصَدَّقْتُمْ قَوْلِي وَأَنْصَفْتُمُونِي كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ سَبِيلٌ ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي الْعُذْرَ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ يونس ، إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ الأعراف ! |
| قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ أَخَوَاتُهُ قَوْلَهُ بَكَيْنَ وَصِحْنَ وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُنَّ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِنَّ أَخَاهُ الْعَبَّاسَ وَابْنَهُ عَلِيًّا لِيُسْكِتَاهُنَّ ، وَقَالَ لَعَمْرِي لَيَكْثُرَنَّ بُكَاؤُهُنَّ! |
| فَلَمَّا ذَهَبَا قَالَ لَا يَبْعَدُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَإِنَّمَا قَالَهَا حِينَ سَمِعَ بُكَاءَهُنَّ لِأَنَّهُ كَانَ نَهَاهُ أَنْ يَخْرُجَ بِهِنَّ مَعَهُ. |
| فَلَمَّا سَكَتْنَ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَقَالَ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، فَمَا سُمِعَ أَبْلَغُ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَانْسِبُونِي فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا ثُمَّ رَاجِعُوا أَنْفُسَكُمْ فَعَاتِبُوهَا وَانْظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ وَيَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي وَانْتِهَاكُ حُرْمَتِي ، أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وَابْنَ وَصِيِّهِ وَابْنِ عَمِّهِ ، وَأَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْمُصَدِّقِ لِرَسُولِهِ ؟ |
| أَوَلَيِسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمُّ أَبِي ؟ |
| أَوَلَيِسَ جَعْفَرٌ الشَّهِيدُ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ عَمِّي ؟ |
| أَوْلَمَ يَبْلُغْكُمْ قَوْلُ مُسْتَفِيضٍ فِيكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِي وَلِأَخِي « أَنْتُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَقُرَّةُ عَيْنِ أَهْلِ السُّنَّةِ » ؟ |
| فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ ، وَهُوَ الْحَقُّ ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبًا مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمْقُتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ ، سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَوْ أَبَا سَعِيدٍ أَوْ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ أَوْ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ أَوْ أَنَسًا يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا فِي هَذَا حَاجِزٌ يَحْجِزُكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي ؟ |
| فَقَالَ لَهُ شَمِرٌ هُوَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ إِنْ كَانَ يَدْرِي مَا يَقُولُ! |
| فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مُطَهِّرٍ وَاللَّهِ إِنِّي أَرَاكَ تَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى سَبْعِينَ حَرْفًا ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ طَبَعَ عَلَى قَلْبِكَ فَلَا تَدْرِي مَا تَقُولُ. |
| ثُمَّ قَالَ الْحُسَيْنُ فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَقُولُ أَوْ تَشُكُّونَ فِي أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ ؟ |
| فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي مِنْكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِكُمْ. |
| أَخْبَرُونِي أَتَطْلُبُونِي بِقَتِيلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ ، أَوْ بِمَالٍ لَكُمُ اسْتَهْلَكْتُهُ أَوْ بِقِصَاصٍ مِنْ جِرَاحَةٍ ؟ |
| فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ ، فَنَادَى يَا شَبَثُ بْنَ رِبْعِيٍّ! |
| وَيَا حَجَّارُ بْنَ أَبْجَرَ! |
| وَيَا قَيْسُ بْنَ الْأَشْعَثِ! |
| وَيَا زَيْدُ بْنَ الْحَارِثِ! |
| أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ فِي الْقُدُومِ عَلَيْكُمْ ؟ |
| قَالُوا لَمْ نَفْعَلْ. |
| ثُمَّ قَالَ بَلَى فَعَلْتُمْ. |
| ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِذْ كَرِهْتُمُونِي فَدَعُونِي أَنْصَرِفْ إِلَى مَأْمَنِي مِنَ الْأَرْضِ. |
| قَالَ فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ أَوَلَا تَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ ابْنِ عَمِّكَ ، يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى إِلَّا مَا تُحِبُّ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ أَنْتَ أَخُو أَخِيكَ ، أَتُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَكَ بَنُو هَاشِمٍ بِأَكْثَرَ مِنْ دَمِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ ؟ |
| لَا وَاللَّهِ وَلَا أُعْطِيهِمْ بِيَدِي عَطَاءَ الذَّلِيلِ ، وَلَا أُقِرُّ إِقْرَارَ الْعَبْدِ. |
| عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ثُمَّ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ وَنَزَلَ عَنْهَا. |
| وَخَرَجَ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فِي السِّلَاحِ فَقَالَ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، نَذَارِ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ نَذَارِ ، إِنَّ حَقًّا عَلَى الْمُسْلِمِ نَصِيحَةُ الْمُسْلِمِ ، وَنَحْنُ حَتَّى الْآنَ إِخْوَةٌ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ مَا لَمْ يَقَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ السَّيْفُ ، فَإِذَا وَقَعَ السَّيْفُ انْقَطَعَتِ الْعِصْمَةُ وَكُنَّا نَحْنُ أُمَّةٌ وَأَنْتُمْ أُمَّةٌ ، إِنَّ اللَّهَ قَدِ ابْتَلَانَا وَإِيَّاكُمْ بِذُرِّيَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَنْظُرَ مَا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَامِلُونَ ، إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى نَصْرِهِ وَخِذْلَانِ الطَّاغِيَةِ ابْنِ الطَّاغِيَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَإِنَّكُمْ لَا تُدْرِكُونَ مِنْهُمَا إِلَّا سُوءًا ، يُسْمِلَانِ أَعْيُنَكُمْ ، وَيَقْطَعَانِ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ، وَيُمَثِّلَانِ بِكُمْ ، وَيَرْفَعَانِكُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ ، وَيَقْتُلَانِ أَمَاثِلَكُمْ وَقُرَّاءَكُمْ ، أَمْثَالَ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ وَأَصْحَابِهِ ، وَهَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ وَأَشْبَاهِهِ! |
| قَالَ فَسَبُّوهُ وَأَثْنَوْا عَلَى ابْنِ زِيَادٍ وَقَالُوا وَاللَّهِ لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَقْتُلَ صَاحِبَكَ وَمَنْ مَعَهُ أَوْ نَبْعَثَ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ إِلَى الْأَمِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ سِلْمًا. |
| فَقَالَ لَهُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ وَلَدَ فَاطِمَةَ أَحَقُّ بِالْوُدِّ وَالنَّصْرِ مِنِ ابْنِ سُمَيَّةَ ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَنْصُرُوهُمْ فَأُعِيذُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَقْتُلُوهُمْ ، خَلُّوا بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّهِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَلَعَمْرِي إِنَّ يَزِيدَ لَيَرْضَى مِنْ طَاعَتِكُمْ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ. |
| فَرَمَاهُ شَمِرُ بِسَهْمٍ وَقَالَ اسْكُتْ أَسْكَتَ اللَّهُ نَأْمَتَكَ ، أَبْرَمْتَنَا بِكَثْرَةِ كَلَامِكَ! |
| فَقَالَ زُهَيْرٌ يَا ابْنَ الْبَوَّالِ عَلَى عَقِبَيْهِ! |
| مَا إِيَّاكَ أُخَاطِبُ ، إِنَّمَا أَنْتَ بَهِيمَةٌ! |
| وَاللَّهِ مَا أَظُنُّكَ تُحْكِمُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ آيَتَيْنِ فَأَبْشِرْ بِالْخِزْيِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ. |
| فَقَالَ شَمِرٌ إِنَّ اللَّهَ قَاتِلُكَ وَصَاحِبَكَ عَنْ سَاعَةٍ. |
| قَالَ أَفَبِالْمَوْتِ تُخَوِّفُنِي ؟ |
| وَاللَّهِ لَلْمَوْتُ مَعَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْخُلْدِ مَعَكُمْ! |
| ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ عِبَادَ اللَّهِ لَا يَغُرَّنَّكُمْ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا الْجِلْفُ الْجَافِي ، فَوَاللَّهِ لَا تَنَالُ شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ قَوْمًا أَهْرَقُوا دِمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَقَتَلُوا مَنْ نَصَرَهُمْ وَذَبَّ عَنْ حَرِيمِهِمْ. |
| فَأَمَرَهُ الْحُسَيْنُ فَرَجَعَ. |
| وَلَمَّا زَحَفَ عُمَرُ نَحْوَ الْحُسَيْنِ أَتَاهُ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ فَقَالَ لَهُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ! |
| أَمُقَاتِلٌ أَنْتَ هَذَا الرَّجُلُ ؟ |
| قَالَ لَهُ إِي إِي وَاللَّهِ قِتَالًا أَيْسَرُهُ أَنْ تَسْقُطَ الرُّءُوسُ وَتُطِيحَ الْأَيْدِي. |
| قَالَ أَفَمَا لَكُمْ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الْخِصَالِ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْكُمْ رِضًى ؟ |
| فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ إِلَيَّ لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنَّ أَمِيرَكَ قَدْ أَبَى ذَلِكَ. |
| فَأَقْبَلَ يَدْنُو نَحْوَ الْحُسَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا ، وَأَخَذَتْهُ رِعْدَةٌ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهُ الْمُهَاجِرُ بْنُ أَوْسٍ وَاللَّهِ إِنَّ أَمْرَكَ لَمُرِيبٌ! |
| وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ فِي مَوْقِفٍ قَطُّ مِثْلَ مَا أَرَاهُ الْآنَ! |
| وَلَوْ قِيلَ مَنْ أَشْجَعُ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَمَا عَدَوْتُكَ. |
| فَقَالَ لَهُ إِنِّي وَاللَّهِ أُخَيِّرُ نَفْسِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَلَا أَخْتَارُ عَلَى الْجَنَّةِ شَيْئًا وَلَوْ قُطِّعْتُ وَحُرِّقْتُ. |
| ثُمَّ ضَرَبَ فَرَسَهُ فَلَحِقَ بِالْحُسَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! |
| أَنَا صَاحِبُكَ الَّذِي حَبَسْتُكَ عَنِ الرُّجُوعِ وَسَايَرْتُكَ فِي الطَّرِيقِ وَجَعْجَعْتُ بِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، وَوَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ يَرُدُّونَ عَلَيْكَ مَا عَرَضْتَ عَلَيْهِمْ أَبَدًا ، وَلَا يَبْلُغُونَ مِنْكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ أَبَدًا فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَا أُبَالِي أَنْ أُطِيعَ الْقَوْمَ فِي بَعْضِ أَمْرِهِمْ وَلَا يَرَوْنَ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ طَاعَتِهِمْ ، وَأَمَّا هُمْ فَيَقْبَلُونَ بَعْضَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، وَوَاللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَهَا مِنْكَ مَا رَكِبْتُهَا مِنْكَ ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُكَ تَائِبًا مِمَّا كَانَ مِنِّي إِلَى رَبِّي مُؤَاسِيًا لَكَ بِنَفْسِي حَتَّى أَمُوتَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، أَفْتَرَى ذَلِكَ تَوْبَةً ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَيَغْفِرُ لَكَ. |
| وَتَقَدَّمَ الْحُرُّ أَمَامَ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا الْقَوْمُ أَلَا تَقْبَلُونَ مِنَ الْحُسَيْنِ خَصْلَةً مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْكُمْ فَيُعَافِيَكُمُ اللَّهُ مِنْ حَرْبِهِ وَقِتَالِهِ ؟ |
| فَقَالَ عُمَرُ لَقَدْ حَرَصْتُ لَوْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا فَقَالَ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ لِأُمِّكُمُ الْهَبَلُ وَالْعُبْرُ! |
| أَدَعَوْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا أَتَاكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُ وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ قَاتِلُوا أَنْفُسَكُمْ دُونَهُ ثُمَّ عَدَوْتُمْ لِتَقْتُلُوهُ ؟ |
| أَمْسَكْتُمْ بِنَفْسِهِ وَأَحَطْتُمْ بِهِ وَمَنَعْتُمُوهُ مِنَ التَّوَجُّهِ فِي بِلَادِ اللَّهِ الْعَرِيضَةِ حَتَّى يَأْمَنَ وَيَأْمَنَ أَهْلُ بَيْتِهِ ، فَأَصْبَحَ كَالْأَسِيرِ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا ضُرًّا ، وَمَنَعْتُمُوهُ وَمَنْ مَعَهُ عَنْ مَاءِ الْفُرَاتِ الْجَارِي يَشْرَبُهُ الْيَهُودِيُّ وَالنَّصْرَانِيُّ وَالْمَجُوسِيُّ وَيَتَمَرَّغُ فِيهِ خَنَازِيرُ السَّوَادِ وَكِلَابُهُ وَهَا هُوَ وَأَهْلُهُ قَدْ صَرَعَهُمُ الْعَطَشُ! |
| بِئْسَمَا خَلَفْتُمْ مُحَمَّدًا فِي ذُرِّيَّتِهِ! |
| لَا سَقَاكُمُ اللَّهُ يَوْمَ الظَّمَأِ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا وَتَنْزِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ! |
| فَرَمَوْهُ بِالنَّبْلِ ، فَرَجَعَ حَتَّى وَقَفَ أَمَامَ الْحُسَيْنِ. |
| ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بِرَايَتِهِ ، وَأَخَذَ سَهْمًا فَرَمَى بِهِ وَقَالَ اشْهَدُوا لِي أَنِّي أَوَّلُ رَامٍ! |
| ثُمَّ رَمَى النَّاسَ ، وَبَرَزَ يَسَارٌ ، مَوْلَى زِيَادٍ ، وَسَالِمٌ ، مَوْلَى عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَطَلَبَا الْبِرَازَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ الْكَلْبِيُّ ، وَكَانَ قَدْ أَتَى الْحُسَيْنَ مِنَ الْكُوفَةِ وَسَارَتْ مَعَهُ امْرَأَتُهُ ، فَقَالَا لَهُ مَنْ أَنْتِ ؟ |
| فَانْتَسَبَ لَهُمَا. |
| فَقَالَا لَا نَعْرِفُكَ ، لِيَخْرُجْ إِلَيْنَا زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ ، أَوْ حَبِيبُ بْنُ مُطَهِّرٍ ، أَوْ بُرَيْرُ بْنُ خُضَيْرٍ. |
| وَكَانَ يَسَارٌ أَمَامَ سَالِمٍ ، فَقَالَ لَهُ الْكَلْبِيُّ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ ، وَبِكَ رَغْبَةٌ عَنْ مُبَارَزَةِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَمَا يَخْرُجُ إِلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ! |
| ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ حَتَّى بَرَدَ فَاشْتَغَلَ بِهِ يَضْرِبُهُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ سَالِمٌ ، فَلَمْ يَأْبَهْ لَهُ حَتَّى غَشِيَهُ فَضَرَبَهُ ، فَاتَّقَاهُ الْكَلْبِيُّ بِيَدِهِ فَأَطَارَ أَصَابِعَ كَفِّهِ الْيُسْرَى ، ثُمَّ مَالَ عَلَيْهِ الْكَلْبِيُّ فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَأَخَذَتِ امْرَأَتُهُ عَمُودًا ، وَكَانَتْ تُسَمَّى أُمَّ وَهْبٍ ، وَأَقْبَلَتْ نَحْوَ زَوْجِهَا وَهِيَ تَقُولُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! |
| قَاتِلْ دُونَ الطَّيِّبِينَ ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ! |
| فَرَدَّهَا نَحْوَ النِّسَاءِ ، فَامْتَنَعَتْ وَقَالَتْ لَنْ أَدَعَكَ دُونَ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ. |
| فَنَادَاهَا الْحُسَيْنُ فَقَالَ جُزِيتُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا! |
| ارْجِعِي رَحِمَكِ اللَّهُ ، لَيْسَ الْجِهَادُ إِلَى النِّسَاءِ. |
| فَرَجَعَتْ. |
| فَزَحَفَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ فِي مَيْمَنَةِ عُمَرَ ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْحُسَيْنِ جَثَوْا لَهُ عَلَى الرُّكَبِ وَأَشْرَعُوا الرِّمَاحَ نَحْوَهُمْ ، فَلَمْ تَقْدَمْ خَيْلُهُمْ عَلَى الرِّمَاحِ ، فَذَهَبَتِ الْخَيْلُ لِتَرْجِعَ فَرَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ فَصَرَعُوا مِنْهُمْ رِجَالًا وَجَرَحُوا آخَرِينَ. |
| وَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ ابْنُ حَوْزَةَ فَقَالَ أَفِيكُمُ الْحُسَيْنُ ؟ |
| فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، فَقَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالُوا نَعَمْ ، فَمَا حَاجَتُكَ ؟ |
| قَالَ يَا حُسَيْنُ أَبْشِرْ بِالنَّارِ! |
| قَالَ لَهُ كَذَبْتَ بَلْ أَقْدَمُ عَلَى رَبٍّ رَحِيمٍ وَشَفِيعٍ مُطَاعٍ ، فَمَنْ أَنْتَ ، قَالَ ابْنُ حَوْزَةَ. |
| فَرَفَعَ الْحُسَيْنُ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ حُزَّهُ إِلَى النَّارِ! |
| فَغَضِبَ ابْنُ حَوْزَةَ فَأَقْحَمَ فَرَسَهُ فِي نَهْرٍ بَيْنَهُمَا فَتَعَلَّقَتْ قَدَمُهُ بِالرِّكَابِ وَجَالَتْ بِهِ الْفَرَسُ فَسَقَطَ عَنْهَا فَانْقَطَعَتْ فَخِذُهُ وَسَاقُهُ وَقَدَمُهُ وَبَقِيَ جَنْبُهُ الْآخَرُ مُتَعَلِّقًا بِالرِّكَابِ يُضْرَبُ بِهِ كُلُّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ حَتَّى مَاتَ. |
| وَكَانَ مَسْرُوقُ بْنُ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيُّ قَدْ خَرَجَ مَعَهُمْ وَقَالَ لَعَلِّي أُصِيبَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ ، فَأُصِيبَ بِهِ مَنْزِلَةً عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ ، فَلَمَّا رَأَى مَا صَنَعَ اللَّهُ بِابْنِ حَوْزَةَ بِدُعَاءِ الْحُسَيْنِ رَجَعَ وَقَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ شَيْئًا ، لَا أُقَاتِلُهُمْ أَبَدًا. |
| وَنَشِبَ الْقِتَالُ وَخَرَجَ يَزِيدُ بْنُ مَعْقِلٍ حَلِيفُ عَبْدِ الْقَيْسِ فَقَالَ يَا بُرَيْرُ بْنُ خُضَيْرٍ كَيْفَ تَرَى اللَّهَ صَنَعَ بِكَ ؟ |
| قَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ صَنَعَ بِي خَيْرًا وَصَنَعَ بِكَ شَرًّا. |
| فَقَالَ كَذَبْتَ ، وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا كُنْتَ كَذَّابًا ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنَ الضَّالِّينَ. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ خُضَيْرٍ هَلْ لَكَ أَنْ أُبَاهِلَكَ ، أَنْ يَلْعَنَ اللَّهُ الْكَاذِبَ وَيَقْتُلَ الْمُبْطِلَ ، ثُمَّ أَخْرُجَ أُبَارِزَكَ! |
| فَخَرَجَا فَتَبَاهَلَا أَنْ يَلْعَنَ اللَّهُ الْكَاذِبَ وَيَقْتُلَ الْمُحِقُّ الْمُبْطِلَ ثُمَّ تَبَارَزُوا فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَضَرَبَ يَزِيدُ بْنُ مَعْقِلٍ بُرَيْرَ بْنَ خُضَيْرٍ فَلَمْ يَضُرَّهُ شَيْئًا وَضَرَبَهُ ابْنُ خُضَيْرٍ ضَرْبَةً قَدَّتِ الْمِغْفَرَ وَبَلَغْتِ الدِّمَاغَ فَسَقَطَ وَالسَّيْفُ فِي رَأْسِهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ رَضِيُّ بْنُ مُنْقِذٍ الْعَبْدِيُّ ، فَاعْتَنَقَ ابْنَ خُضَيْرٍ ، فَاعْتَرَكَا سَاعَةً ثُمَّ إِنَّ ابْنَ خُضَيْرٍ قَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ ، فَحَمَلَ كَعْبُ بْنُ جَابِرٍ الْأَزْدِيُّ عَلَيْهِ بِالرُّمْحِ فَوَضَعَهُ فِي ظَهْرِهِ حَتَّى غَيَّبَ السِّنَانَ فِيهِ ، فَلَمَّا وَجَدَ مَسَّ الرُّمْحِ نَزَلَ عَنْ رَضِيٍّ فَعَضَّ أَنْفَهُ وَقَطَعَ طَرَفَهُ ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ كَعْبُ بْنُ جَابِرٍ فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَقَامَ رَضِيٌّ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْ قَبَائِهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ كَعْبٌ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَعَنْتَ عَلَى ابْنِ فَاطِمَةَ وَقَتَلَتْ بُرَيْرًا سَيِّدَ الْقُرَّاءِ ، وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا! |
| وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ قَرَظَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَاتَلَ دُونَ الْحُسَيْنِ فَقُتِلَ ، وَكَانَ أَخُوهُ مَعَ عَمْرِوِ بْنِ سَعْدٍ ، فَنَادَى يَا حُسَيْنُ يَا كَذَّابُ ابْنَ الْكَذَّابِ! |
| أَضْلَلْتَ أَخِي وَغَرَرْتَهُ حَتَّى قَتَلْتَهُ! |
| فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُضِلَّ أَخَاكَ بَلْ هَدَّاهُ وَأَضَلَّكَ. |
| قَالَ قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ أَوْ أَمُوتَ دُونَكَ. |
| فَحَمَلَ وَاعْتَرَضَهُ نَافِعُ بْنُ هِلَالٍ الْمُرَادِيُّ فَطَعَنَهُ فَصَرَعَهُ ، فَحَمَلَ أَصْحَابُهُ فَاسْتَنْقَذُوهُ فَدُووِيَ بَعْدُ فَبَرَأَ. |
| وَقَاتَلَ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ مَعَ الْحُسَيْنِ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَبَرَزَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ سُفْيَانَ فَقَتْلَهُ الْحُرُّ ، وَقَاتَلَ نَافِعُ بْنُ هِلَالٍ مَعَ الْحُسَيْنِ أَيْضًا فَبَرَزَ إِلَيْهِ مُزَاحِمُ بْنُ حُرَيْثٍ فَقَتَلَهُ نَافِعٌ. |
| فَصَاحَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ بِالنَّاسِ أَتَدْرُونَ مَنْ تُقَاتِلُونَ ؟ |
| فُرْسَانُ الْمِصْرِ ، قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ ، لَا يَبْرُزُ إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ فَإِنَّهُمْ قَلِيلٌ وَقَلَّ مَا يَبْقَوْنَ ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَرْمُوهُمْ إِلَّا بِالْحِجَارَةِ لَقَتَلْتُمُوهُمْ. |
| يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ الْزَمُوا طَاعَتَكُمْ وَجَمَاعَتَكُمْ ، لَا تَرْتَابُوا فِي قَتْلِ مَنْ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ وَخَالَفَ الْإِمَامَ. |
| فَقَالَ عُمَرُ الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ ، وَمَنَعَ النَّاسَ مِنَ الْمُبَارَزَةِ. |
| قَالَ وَسَمِعَهُ الْحُسَيْنُ فَقَالَ يَا عَمْرُو بْنَ الْحَجَّاجِ أَعَلَيَّ تُحَرِّضُ النَّاسَ ؟ |
| أَنْحَنُ مَرَقْنَا مِنَ الدِّينِ أَمْ أَنْتُمْ ؟ |
| وَاللَّهِ لَتَعْلَمُنَّ لَوْ قُبِضَتْ أَرْوَاحُكُمْ وَمُتُّمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ أَيُّنَا الْمَارِقُ. |
| ثُمَّ حَمَلَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ عَلَى الْحُسَيْنِ مِنْ نَحْوِ الْفُرَاتِ فَاضْطَرَبُوا سَاعَةً ، فَصُرِعَ مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيُّ ، وَانْصَرَفَ عَمْرٌو وَمُسْلِمٌ صَرِيعٌ ، فَمَشَى إِلَيْهِ وَبِهِ رَمَقٌ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ يَا مُسْلِمُ بْنَ عَوْسَجَةَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ الأحزاب . |
| وَدَنَا مِنْهُ حَبِيبُ بْنُ مُطَهِّرٍ وَقَالَ عَزَّ عَلَيَّ مَصْرَعُكَ ، أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ ، وَلَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي فِي أَثَرِكَ لَاحِقٌ بِكَ لَأَحْبَبْتُ أَنْ تُوصِيَنِي حَتَّى أَحْفَظَكَ بِمَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ. |
| فَقَالَ أُوصِيكَ بِهَذَا ، رَحِمَكَ اللَّهُ ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْحُسَيْنِ ، أَنْ تَمُوتَ دُونَهُ. |
| فَقَالَ أَفْعَلُ. |
| ثُمَّ مَاتَ مُسْلِمٌ وَصَاحَتْ جَارِيَةٌ لَهُ فَقَالَتْ يَا ابْنَ عَوْسَجَةَ! |
| فَيُنَادِي أَصْحَابُ عَمْرٍو قَتَلْنَا مُسْلِمًا. |
| فَقَالَ شَبَثٌ لِبَعْضِ مَنْ حَوْلَهُ ثَكِلَتْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ إِنَّمَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ بَأَيْدِيكُمْ وَتُذِلُّونَ أَنْفُسَكُمْ لِغَيْرِكُمْ ، أَتَفْرَحُونَ بِقَتْلِ مِثْلِ مُسْلِمٍ ؟ |
| أَمَا وَالَّذِي أَسْلَمْتُ لَهُ لَرُبَّ مَوْقِفٍ لَهُ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ سَلَقَ أَذْرَبِيجَانَ قَتَلَ سِتَّةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَ أَنْ تَنَامَ خُيُولُ الْمُسْلِمِينَ ، أَفَيُقْتَلُ مِثْلُهُ وَتَفْرَحُونَ ؟ |
| وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ مُسْلِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبَابِيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي خُشْكَارَةَ الْبَجَلِيُّ. |
| وَحَمَلَ شَمِرٌ فِي الْمَيْسَرَةِ فَثَبَتُوا لَهُ وَحَمَلُوا عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَقُتِلَ الْكَلْبِيُّ وَقَدْ قَتَلَ رَجُلَيْنِ بَعْدَ الرَّجُلَيْنِ الْأَوَّلِينَ وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَتَلَهُ هَانِئُ بْنُ ثُبَيْتٍ الْحَضْرَمِيُّ وَبُكَيْرُ بْنُ حَيٍّ التَّيْمِيُّ مِنْ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَقَاتَلَ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ قِتَالًا شَدِيدًا وَهُمُ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا ، فَلَمْ تَحْمِلْ عَلَى جَانِبٍ مِنْ خَيْلِ الْكُوفَةِ إِلَّا كَشَفَتْهُ. |
| فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَزْرَةُ بْنُ قَيْسٍ ، وَهُوَ عَلَى خَيْلِ الْكُوفَةِ ، بَعَثَ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ أَلَا تَرَى مَا تَلْقَى خَيْلِي هَذَا الْيَوْمَ مِنْ هَذِهِ الْعِدَّةِ الْيَسِيرَةِ ؟ |
| ابْعَثْ إِلَيْهِمُ الرِّجَالَ وَالرُّمَاةَ. |
| فَقَالَ لِشَبَثِ بْنِ رِبْعِيٍّ أَلَا تَقْدَمُ إِلَيْهِمْ! |
| فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ! |
| شَيْخُ مُضَرَ وَأَهْلِ الْمِصْرِ عَامَّةً تَبْعَثُهُ فِي الرُّمَاةِ ، لَمْ تَجِدْ لِهَذَا غَيْرِي! |
| وَلَمْ يَزَالُوا يَرَوْنَ مَنْ شَبَثٍ الْكَرَاهَةَ لِلْقِتَالِ حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي إِمَارَةِ مُصْعَبٍ لَا يُعْطِي اللَّهُ أَهْلَ هَذَا الْمِصْرِ خَيْرًا أَبَدًا وَلَا يُسَدِّدُهُمْ لِرُشْدٍ ، أَلَا تَعْجَبُونَ أَنَّا قَاتَلْنَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَ ابْنِهِ آلَ أَبِي سُفْيَانَ خَمْسَ سِنِينَ ثُمَّ عَدَوْنَا عَلَى ابْنِهِ وَهُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ نُقَاتِلُهُ مَعَ آلِ مُعَاوِيَةَ وَابْنِ سُمَيَّةَ الزَّانِيَةِ ، ضَلَالٌ يَا لَكَ مِنْ ضَلَالٍ! |
| فَلَمَّا قَالَ شَبَثٌ ذَلِكَ دَعَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ الْحُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ فَبَعَثَ مَعَهُ الْمُجَفَّفَةَ وَخَمْسَمِائَةٍ مِنَ الْمُرَامِيَةِ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ رَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ عَقَرُوا خُيُولَهُمْ وَصَارُوا رَجَّالَةً كُلُّهُمْ ، وَقَاتَلَ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ رَاجِلًا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَاتَلُوهُمْ ، إِلَى أَنِ انْتَصَفَ النَّهَارُ ، أَشَدَّ قِتَالٍ خَلَقَهُ اللَّهُ ، لَا يَقْدِرُونَ يَأْتُونَهُمْ إِلَّا مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ لِاجْتِمَاعِ مَضَارِبِهِمْ. |
| فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ أَرْسَلَ رِجَالًا يُقَوِّضُونَهُمْ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَشَمَائِلِهِمْ لِيُحِيطُوا بِهِمْ ، فَكَانَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الثَّلَاثَةُ وَالْأَرْبَعَةُ يَتَخَلَّلُونَ الْبُيُوتَ فَيَقْتُلُونَ الرَّجُلَ وَهُوَ يُقَوِّضُ وَيَنْهَبُ ، وَيَرْمُونَهُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ يَعْقِرُونَهُ ، فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فَأُحْرِقَتْ ، فَقَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ دَعَوْهُمْ فَلْيَحْرِقُوهَا فَإِنَّهُمْ إِذَا حَرَقُوهَا لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجُوزُوا إِلَيْكُمْ مِنْهَا. |
| فَكَانَ كَذَلِكَ. |
| وَخَرَجَتِ امْرَأَةُ الْكَلْبِيِّ فَجَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ تَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ وَتَقُولُ هَنِيئًا لَكَ الْجَنَّةَ! |
| فَأَمَرَ شَمِرٌ غُلَامًا اسْمُهُ رُسْتُمُ فَضَرَبَ رَأْسَهَا بِالْعَمُودِ فَمَاتَتْ مَكَانَهَا. |
| وَحَمَلَ شَمِرٌ حَتَّى بَلَغَ فُسْطَاطَ الْحُسَيْنِ وَنَادَى عَلَيَّ بِالنَّارِ حَتَّى أَحُرِّقَ هَذَا الْبَيْتَ عَلَى أَهْلِهِ. |
| فَصَاحَ النِّسَاءُ وَخَرَجْنَ ، وَصَاحَ بِهِ الْحُسَيْنُ أَنْتَ تَحْرِقُ بَيْتِي عَلَى أَهْلِي ؟ |
| حَرَقَكَ اللَّهُ بِالنَّارِ! |
| فَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ مُسْلِمٍ لِشَمِرٍ إِنَّ هَذَا لَا يَصْلُحُ لَكَ ، تُعَذِّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ وَتَقْتُلُ الْوِلْدَانَ وَالنِّسَاءَ ، وَاللَّهِ إِنَّ فِي قَتْلِ الرِّجَالِ مَا يَرْضَى بِهِ أَمِيرُكَ! |
| فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، فَجَاءَهُ شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ فَنَهَاهُ فَانْتَهَى ، وَذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ فَحَمَلَ عَلَيْهِ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ فِي عَشْرَةٍ فَكَشَفَهُمْ عَنِ الْبُيُوتِ وَقَتَلُوا أَبَا عَزَّةَ الضَّبَابِيَّ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ شَمِرٍ. |
| وَعَطَفَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ فَكَثَّرُوهُمْ ، وَكَانُوا إِذَا قُتِلَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ يَبِينُ فِيهِمْ لِقِلَّتِهِمْ ، وَإِذَا قُتِلَ فِي أُولَئِكَ لَا يَبِينُ فِيهِمْ لِكَثْرَتِهِمْ. |
| وَلَمَّا حَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ قَالَ أَبُو ثُمَامَةَ الصَّائِدِيُّ لِلْحُسَيْنِ نَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفِدَاءُ! |
| أَرَى هَؤُلَاءِ قَدِ اقْتَرَبُوا مِنْكَ ، وَاللَّهِ لَا تُقْتَلُ حَتَّى أُقْتَلَ دُونَكَ ، وَأُحِبَّ أَنَّ أَلْقَى رَبِّي وَقَدْ صَلَّيْتُ هَذِهِ الصَّلَاةَ! |
| فَرَفَعَ الْحُسَيْنُ رَأَسَهُ وَقَالَ ذَكَرْتَ الصَّلَاةَ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الذَّاكِرِينَ ، نَعَمْ هَذَا أَوَّلُ وَقْتِهَا ، ثُمَّ قَالَ سَلُوهُمْ أَنْ يَكُفُّوا عَنَّا حَتَّى نُصَلِّيَ. |
| فَفَعَلُوا ، فَقَالَ لَهُمُ الْحُصَيْنُ إِنَّهَا لَا تُقْبَلُ. |
| فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مُطَهِّرٍ زَعَمْتَ لَا تُقْبَلُ الصَّلَاةُ مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُقْبَلُ مِنْكَ يَا حِمَارُ! |
| فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْحُصَيْنُ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَبِيبٌ فَضَرَبَ وَجْهَ فَرَسِهِ بِالسَّيْفِ فَشَبَّ فَسَقَطَ عَنْهُ الْحُصَيْنُ فَاسْتَنْقَذَهُ أَصْحَابُهُ ، وَقَاتَلَ حَبِيبٌ قِتَالًا شَدِيدًا فَقَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ اسْمُهُ بُدَيْلُ بْنُ صُرَيْمٍ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ آخِرُ مَنْ تَمِيمٍ فَطَعَنَهُ فَذَهَبَ لِيَقُومَ فَضَرَبَهُ الْحُصَيْنُ عَلَى رَأْسِهِ بِالسَّيْفِ فَوَقَعَ وَنَزَلَ إِلَيْهِ التَّمِيمِيُّ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحُصَيْنُ أَنَا شَرِيكٌ فِي قَتْلِهِ. |
| فَقَالَ الْآخَرُ لَا وَاللَّهِ! |
| فَقَالَ لَهُ الْحُصَيْنُ أَعْطِنِيهِ أُعَلِّقُهُ فِي عُنُقِ فَرَسِي كَيْمَا يَرَى النَّاسُ أَنِّي شَرِكْتُ فِي قَتْلِهِ ثُمَّ خُذْهُ وَامْضِ بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيمَا تُعْطَاهُ. |
| فَفَعَلَ وَجَالَ بِهِ فِي النَّاسِ ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْكُوفَةِ أَخَذَ الرَّأْسَ وَجَعَلَهُ فِي عُنُقِ فَرَسِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فِي الْقَصْرِ فَبَصَرَ بِهِ الْقَاسِمُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَقَدْ رَاهَقَ ، فَأَقْبَلَ مَعَ الْفَارِسِ لَا يُفَارِقُهُ ، فَارْتَابَ بِهِ الرَّجُلُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، فَأَخْبَرَهُ وَطَلَبَ الرَّأْسَ لِيَدْفِنَهُ ، فَقَالَ إِنَّ الْأَمِيرَ لَا يَرْضَى أَنْ يُدْفَنَ وَأَرْجُو أَنْ يُثِيبَنِي الْأَمِيرُ. |
| فَقَالَ لَهُ لَكِنَّ اللَّهَ لَا يُثِيبُكَ إِلَّا أَسْوَأَ الثَّوَابِ. |
| وَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُ غِرَّةَ قَاتِلِ أَبِيهِ حَتَّى كَانَ زَمَانُ مُصْعَبٍ ، وَغَزَا مُصْعَبٌ بَاجُمَيْرَى ، وَدَخَلَ الْقَاسِمُ عَسْكَرَهُ فَإِذَا قَاتِلُ أَبِيهِ فِي فُسْطَاطِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ نِصْفَ النَّهَارِ فَقَتَلَهُ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ حَبِيبٌ هَدَّ ذَلِكَ الْحُسَيْنَ ، وَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ أَحْتَسِبُ نَفْسِي وَحُمَاةَ أَصْحَابِي. |
| وَحَمَلَ الْحُرُّ وَزُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ فَقَاتَلَا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَكَانَ إِذَا حَمَلَ أَحَدُهُمَا وَغَاضَ فِيهِمْ حَمَلَ الْآخَرُ حَتَّى يُخَلِّصَهُ ، فَعَلَا ذَلِكَ سَاعَةً ثُمَّ إِنَّ رَجَّالَةً حَمَلَتْ عَلَى الْحُرِّ بْنِ يَزِيدَ فَقَتَلَتْهُ ، وَقَتَلَ أَبُو ثُمَامَةَ الصَّائِدِيُّ ابْنَ عَمٍّ لَهُ كَانَ عَدُوَّهُ ، ثُمَّ صَلَّوُا الظُّهْرَ ، صَلَّى بِهِمُ الْحُسَيْنُ صَلَاةَ الْخَوْفِ ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا بَعْدَ الظُّهْرِ ، فَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ ، وَوُصِلَ إِلَى الْحُسَيْنِ ، فَاسْتَقْدَمَ الْحَنَفِيُّ أَمَامَهُ فَاسْتُهْدِفَ لَهُمْ يَرْمُونَهُ بِالنَّبْلِ وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى سَقَطَ. |
| وَقَاتَلَ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ كَثِيرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الشَّعْبِيُّ وَمُهَاجِرُ بْنُ أَوْسٍ فَقَتْلَاهُ ، وَكَانَ نَافِعُ بْنُ هِلَالٍ الْجَمَلِيُّ قَدْ كَتَبَ اسْمَهُ عَلَى أَفَوَاهِ نَبْلِهِ ، وَكَانَتْ مَسْمُومَةً ، فَقَتَلَ بِهَا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا سِوَى مَنْ جُرِحَ ، فَضُرِبَ حَتَّى كُسِرَتْ عَضُدَاهُ وَأُخِذَ أَسِيرًا ، فَأَخَذَهُ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ فَأَتَى بِهِ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَالدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ لَقَدْ قَتَلْتُ مِنْكُمُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا سِوَى مَنْ جَرَحْتُ ، وَلَوْ بَقِيَتْ لِي عَضُدٌ وَسَاعِدٌ مَا أَسَرْتُمُونِي. |
| فَانْتَضَى شَمِرٌ سَيْفَهُ لِيَقْتُلَهُ ، فَقَالَ لَهُ نَافِعٌ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَعَظُمَ عَلَيْكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ بِدِمَائِنَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَنَايَانَا عَلَى يَدَيْ شَرَارِ خَلْقِهِ! |
| فَقَتَلَهُ شَمِرٌ ثُمَّ حَمَلَ عَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ. |
| فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ كَثُرُوا ، وَأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ يَمْنَعُونَ الْحُسَيْنَ وَلَا أَنْفُسَهُمْ تَنَافَسُوا أَنْ يُقْتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَا عَزْرَةَ الْغِفَارِيَّانِ إِلَيْهِ فَقَالَا قَدْ حَازَنَا النَّاسُ إِلَيْكَ. |
| فَجَعَلَا يُقَاتِلَانِ بَيْنَ يَدِهِ ، وَأَتَاهُ الْفَتَيَانِ الْجَابِرِيَّانِ وَهُمَا سَيْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ سُرَيْعٍ وَمَالِكُ بْنُ عَبْدِ بْنِ سُرَيْعٍ ، وَهُمَا ابْنَا عَمٍّ وَأَخَوَانِ لِأُمٍّ وَهُمَا يَبْكِيَانِ ، فَقَالَ لَهُمَا مَا يُبْكِيكُمَا ؟ |
| إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَا عَنْ سَاعَةٍ قَرِيرَيْ عَيْنٍ. |
| فَقَالَا وَاللَّهِ مَا عَلَى أَنْفُسِنَا نَبْكِي وَلَكِنْ نَبْكِي عَلَيْكَ ، نَرَاكَ قَدْ أُحِيطُ بِكَ وَلَا نَقْدِرُ أَنْ نَمْنَعَكَ! |
| فَقَالَ جَزَاكُمَا اللَّهُ جَزَاءَ الْمُتَّقِينَ! |
| وَجَاءَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَسْعَدَ الشِّبَامِيُّ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْحُسَيْنِ وَجَعَلَ يُنَادِي يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ غافر . |
| يَا قَوْمِ لَا تَقْتُلُوا الْحُسَيْنَ فَيُسْحِتَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى طه ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ رَحِمَكَ اللَّهُ! |
| إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ حِينَ رَدُّوا مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَنَهَضُوا لِيَسْتَبِيحُوكَ وَأَصْحَابَكَ فَكَيْفَ بِهِمُ الْآنَ قَدْ قَتَلُوا إِخْوَانَكَ الصَّالِحِينَ! |
| فَسَلَّمَ عَلَى الْحُسَيْنِ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَتَقَدَّمَ وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. |
| وَتَقَدَمَ الْفَتَيَانِ الْجَابِرِيَّانِ فَوَدَّعَا الْحُسَيْنَ وَقَاتَلَا حَتَّى قُتِلَا. |
| وَجَاءَ عَابِسُ بْنُ أَبِي شَيْبٍ الشَّاكِرِيُّ وَشَوْذَبٌ مَوْلَى شَاكِرٍ إِلَى الْحُسَيْنِ فَسَلَّمَا عَلَيْهِ وَتَقَدَّمَا فَقَاتَلَا فَقُتِلَ شَوْذَبٌ ، وَأَمَّا عَابِسٌ فَطَلَبَ الْبِرَازَ فَتَحَامَاهُ النَّاسُ لِشَجَاعَتِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ عُمَرُ ارْمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ، فَرَمَوْهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَلْقَى دِرْعَهُ وَمِغْفَرَهُ وَحَمَلَ عَلَى النَّاسِ فَهَزَمَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ رَجَعُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَادَّعَى قَتْلَهُ جَمَاعَةٌ. |
| وَجَاءَ الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُشْرِفِيُّ إِلَى الْحُسَيْنِ فَقَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي قُلْتُ لَكَ إِنِّي أُقَاتِلُ عَنْكَ مَا رَأَيْتُ مُقَاتِلًا ، فَإِذَا لَمْ أَرَ مُقَاتِلًا فَأَنَا فِي حِلٍّ مِنْ الِانْصِرَافِ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ صَدَقْتَ ، وَكَيْفَ لَكَ بِالنَّجَاءِ ؟ |
| إِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ فَأَنْتَ فِي حِلٍّ. |
| قَالَ فَأَقْبَلْتُ إِلَى فَرَسِي ، وَكُنْتُ قَدْ تَرَكْتُهُ فِي خِبَاءٍ حَيْثُ رَأَيْتُ خَيْلَ أَصْحَابِنَا تُعْقَرُ ، وَقَاتَلْتُ رَاجِلًا وَقَتَلْتُ رَجُلَيْنِ وَقَطَعْتُ يَدَ آخَرَ ، وَدَعَا إِلَى الْحُسَيْنِ مِرَارًا ، قَالَ وَاسْتَخْرَجْتُ فَرَسِي وَاسْتَوَيْتُ عَلَيْهِ وَحَمَلْتُ عَلَى عَرْضِ الْقَوْمِ فَأَفْرَجُوا لِي وَتَبِعَنِي مِنْهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَفُتُّهُمْ وَسَلِمْتُ. |
| وَجَثَا أَبُو الشَّعْثَاءِ الْكِنْدِيُّ ، وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ ، بَيْنَ يَدَيِ الْحُسَيْنِ ، فَرَمَى بِمِائَةِ سَهْمٍ مَا سَقَطَ مِنْهَا خَمْسَةُ أَسْهُمٍ ، وَكُلَّمَا رَمَى يَقُولُ لَهُ الْحُسَيْنُ اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ وَاجْعَلْ ثَوَابَهُ الْجَنَّةَ! |
| وَكَانَ يَزِيدُ هَذَا فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ، فَلَمَّا رَدُّوا الشُّرُوطَ عَلَى الْحُسَيْنِ عَدَلَ إِلَيْهِ فَقَاتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قُتِلَ. |
| وَأَمَّا الصَّيْدَاوِيُّ عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ وَجَبَّارُ بْنُ الْحَارِثِ السَّلْمَانِيُّ وَسَعْدٌ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ خَالِدٍ وَمُجَمَّعُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَائِذِيُّ فَإِنَّهُمْ قَاتَلُوا أَوَّلَ الْقِتَالِ ، فَلَمَّا وَغَلُوا فِيهِمْ عَطَفُوا إِلَيْهِمْ فَقَطَعُوهُمْ عَنْ أَصْحَابِهِمْ ، فَحَمَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ فَاسْتَنْقَذَهُمْ وَقَدْ جُرِحُوا ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ عَدُوُّهُمْ حَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَقَاتَلُوا فَقُتِلُوا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. |
| وَكَانَ آخِرَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ سُوِيدُ بْنُ أَبِي الْمُطَاعِ الْخَثْعَمِيُّ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آلِ بَنِي أَبِي طَالِبٍ يَوْمَئِذٍ عَلِيٌّ الْأَكْبَرُ ابْنُ الْحُسَيْنِ ، وَأُمُّهُ لَيْلَى بِنْتُ أَبِي مُرَّةَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّةُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَمَلَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ... |
| نَحْنُ وَرَبِّ الْبَيْتِ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ تَاللَّهِ لَا يَحْكُمُ فِينَا ابْنُ الدَّعِيِّ فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ مُرَّةُ بْنُ مُنْقِذٍ الْعَبْدِيُّ فَطَعَنَهُ فَصُرِعَ وَقَطَّعَهُ النَّاسُ بِسُيُوفِهِمْ ، فَلَمَّا رَآهُ الْحُسَيْنُ قَالَ قَتَلَ اللَّهُ قَوْمًا قَتَلُوكَ يَا بُنَيَّ! |
| مَا أَجْرَأَهُمْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى انْتِهَاكِ حُرْمَةِ الرَّسُولِ عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَاءُ. |
| وَأَقْبَلَ الْحُسَيْنُ إِلَيْهِ وَمَعَهُ فِتْيَانُهُ ، فَقَالَ احْمِلُوا أَخَاكُمْ ، فَحَمَلُوهُ حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيِ الْفُسْطَاطِ الَّذِي كَانُوا يُقَاتِلُونَ أَمَامَهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَمْرَو بْنَ صُبَيْحٍ الصُّدَائِيَّ رَمَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ بِسَهْمٍ فَوَضَعَ كَفَّهُ عَلَى جَبْهَتِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحَرِّكَهَا ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَقَتَلَهُ. |
| وَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَحَمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُطْبَةَ الطَّائِيُّ عَلَى عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَقَتَلَهُ ، وَحَمَلَ عُثْمَانُ بْنُ خَالِدِ بْنِ أُسَيْرٍ الْجُهَنِيُّ وَبِشْرُ بْنُ سَوْطٍ الْهَمْدَانِيُّ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَاهُ ، وَرَمَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ الْخَثْعَمِيُّ جَعْفَرَ بْنَ عَقِيلٍ فَقَتَلَهُ. |
| ثُمَّ حَمَلَ الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ وَبِيَدِهِ السَّيْفُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ سَعْدِ بْنِ نُفَيْلٍ الْأَزْدِيُّ فَضَرَبَ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ فَسَقَطَ الْقَاسِمُ إِلَى الْأَرْضِ لِوَجْهِهِ وَقَالَ يَا عَمَّاهُ! |
| فَانْقَضَّ الْحُسَيْنُ إِلَيْهِ كَالصَّقْرِ ثُمَّ شَدَّ شِدَّةَ لَيْثٍ أُغْضِبَ فَضَرَبَ عَمْرًا بِالسَّيْفِ فَاتَّقَاهُ بِيَدِهِ فَقَطَعَ يَدَهُ مِنَ الْمِرْفَقِ فَصَاحَ ، وَحَمَلَتْ خَيْلُ الْكُوفَةِ لِيَسْتَنْقِذُوا عَمْرًا فَاسْتَقْبَلَتْهُ بِصُدُورِهَا وَجَالَتْ عَلَيْهِ فَوَطِئَتْهُ حَتَّى مَاتَ ، وَانْجَلَتِ الْغَبَرَةُ وَالْحُسَيْنُ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ الْقَاسِمِ وَهُوَ يَفْحَصُ بِرِجْلَيْهِ وَالْحُسَيْنُ يَقُولُ بُعْدًا لِقَوْمٍ قَتَلُوكَ ، وَمَنْ خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيكَ جَدُّكَ! |
| ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَاللَّهِ عَلَى عَمِّكَ أَنْ تَدْعُوَهُ فَلَا يُجِيبُكَ أَوْ يُجِيبُكَ ثُمَّ لَا يَنْفَعُكَ صَوْتُهُ ، وَاللَّهِ هَذَا الْيَوْمَ كَثُرَ وَاتِرُهُ وَقَلَّ نَاصِرُهُ! |
| ثُمَّ احْتَمَلَهُ عَلَى صَدْرِهِ حَتَّى أَلْقَاهُ مَعَ ابْنِهِ عَلِيٍّ وَمَنْ قُتِلَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ. |
| وَمَكَثَ الْحُسَيْنُ طَوِيلًا مِنَ النَّهَارِ كُلَّمَا انْتَهَى إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ رَجَعَ عَنْهُ وَكَرِهَ أَنْ يَتَوَلَّى قَتْلَهُ وَعَظُمَ إِثْمُهُ عَلَيْهِ ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنْ كِنْدَةَ يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ النُّسَيْرِ أَتَاهُ فَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَ الْبُرْنُسَ ، وَأَدْمَى رَأْسَهُ وَامْتَلَأَ الْبُرْنُسُ دَمًا ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ لَا أَكَلْتَ بِهَا وَلَا شَرِبْتَ وَحَشَرَكَ اللَّهُ مَعَ الظَّالِمِينَ! |
| وَأَلْقَى الْبُرْنُسَ وَلَبِسَ الْقَلَنْسُوَةَ ، وَأَخَذَ الْكِنْدِيُّ الْبُرْنُسَ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَهْلِهِ أَخَذَ الْبُرْنُسَ يَغْسِلُ الدَّمَ عَنْهُ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَسَلَبَ ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ تُدْخِلُ بَيْتِي ؟ |
| أَخْرِجْهُ عَنِّي! |
| قَالَ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقِيرًا بِشَرٍّ حَتَّى مَاتَ. |
| وَدَعَا الْحُسَيْنُ بِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ صَغِيرٌ فَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَذَبَحَهُ ، فَأَخَذَ الْحُسَيْنُ دَمَهُ فَصَبَّهُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ رَبِّي إِنْ تَكُنْ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ مِنَ السَّمَاءِ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ وَانْتَقِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ. |
| وَرَمَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُقْبَةَ الْغَنَوِيُّ أَبَا بَكْرِ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ لِإِخْوَتِهِ مِنْ أَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ وَجَعْفَرٍ وَعُثْمَانَ تَقَدَّمُوا حَتَّى أَرِثَكُمْ فَإِنَّهُ لَا وَلَدَ لَكُمْ. |
| فَفَعَلُوا فَقُتِلُوا ، وَحَمَلَ هَانِئُ بْنُ ثُبَيْتٍ الْحَضْرَمِيُّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَتَلَهُ ، وَرَمَى خَوَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْأَصْبَحِيُّ عُثْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبَانِ بْنِ دَارِمٍ فَقَتَلَهُ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ ، وَرَمَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبَانٍ أَيْضًا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَهُ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ. |
| وَخَرَجَ غُلَامٌ مِنْ خِبَاءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَخْبِيَةِ فَأَخَذَ بِعُودٍ مِنْ عِيدَانِهِ وَهُوَ يَنْظُرُ كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ قِيلَ إِنَّهُ هَانِئٌ بْنُ ثُبَيْتٍ الْحَضْرَمِيُّ فَقَتَلَهُ. |
| وَاشْتَدَّ عَطَشُ الْحُسَيْنِ فَدَنَا مِنَ الْفُرَاتِ لِيَشْرَبَ فَرَمَاهُ حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي فَمِهِ فَجَعَلَ يَتَلَقَّى الدَّمَ بِيَدِهِ وَرَمَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ مَا يُصْنَعُ بِابْنِ بِنْتِ نَبِيِّكَ! |
| اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا ، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا! |
| وَقِيلَ الَّذِي رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبَانِ بْنِ دَارِمٍ ، فَمَكَثَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَسِيرًا ثُمَّ صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِ الظَّمَأَ فَجَعَلَ لَا يَرْوَى ، فَكَانَ يُرَوَّحُ عَنْهُ وَيُبَرَّدُ لَهُ الْمَاءُ فِيهِ السُّكَّرُ وَعِسَاسٌ فِيهَا اللَّبَنُ وَيَقُولُ اسْقُونِي ، فَيُعْطَى الْقُلَّةَ أَوِ الْعُسَّ فَيَشْرَبُهُ ، فَإِذَا شَرِبَهُ اضْطَجَعَ هُنَيْهَةً ثُمَّ يَقُولُ اسْقُونِي قَتَلَنِي الظَّمَأُ ، فَمَا لَبِثَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى انْقَدَّتْ بَطْنُهُ انْقِدَادَ بَطْنِ الْبَعِيرِ. |
| ثُمَّ إِنَّ شَمِرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ أَقْبَلَ فِي نَفَرٍ نَحْوِ عَشَرَةٍ مِنْ رِجَالِهِمْ نَحْوَ مَنْزِلِ الْحُسَيْنِ فَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْلِهِ ، فَقَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ وَيْلَكُمُ! |
| إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَلَا تَخَافُونَ يَوْمَ الْمَعَادِ فَكُونُوا أَحْرَارًا ذَوِي أَحْسَابٍ ، امْنَعُوا رَحْلِي وَأَهْلِي مِنْ طُغَاتِكُمْ وَجُهَّالِكُمْ. |
| فَقَالُوا ذَلِكَ لَكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ. |
| وَأَقْدَمَ عَلَيْهِ شَمِرٌ بِالرَّجَّالَةِ مِنْهُمْ أَبُو الْجَنُوبِ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجُعْفِيُّ ، وَالْقَشْعَمُ بْنُ نُذَيْرٍ الْجُعْفِيُّ ، وَصَالِحُ بْنُ وَهْبٍ الْيَزَنِيُّ ، وَسِنَانُ بْنُ أَنَسٍ النَّخَعِيُّ ، وَخَوَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْأَصْبَحِيُّ ، وَجَعَلَ شَمِرٌ يُحَرِّضُهُمْ عَلَى الْحُسَيْنِ وَهُوَ يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ فَيَنْكَشِفُونَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَحَاطُوا بِهِ. |
| وَأَقْبَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ غُلَامٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقَامَ إِلَى جَنْبِهِ وَقَدْ أَهْوَى بَحْرُ بْنُ كَعْبِ بْنِ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ إِلَى الْحُسَيْنِ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ الْغُلَامُ يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ أَتَقْتُلُ عَمِّي! |
| فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ ، فَاتَّقَاهُ الْغُلَامُ بِيَدِهِ فَأَطَنَّهَا إِلَى الْجِلْدَةِ ، فَنَادَى الْغُلَامُ يَا أُمَّتَاهُ! |
| فَاعْتَنَقَهُ الْحُسَيْنُ وَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ أَخِي اصْبِرْ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يُلْحِقُكَ بِآبَائِكَ الطَّاهِرِينَ الصَّالِحِينَ ، بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٍّ وَحَمْزَةَ وَجَعْفَرٍ وَالْحَسَنِ. |
| وَقَالَ الْحُسَيْنُ اللَّهُمَّ أَمْسِكْ عَنْهُمْ قَطْرَ السَّمَاءِ وَامْنَعْهُمْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ! |
| اللَّهُمَّ فَإِنْ مَتَّعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ فَفَرِّقْهُمْ فِرَقًا وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قِدَدًا وَلَا تُرْضِ عَنْهُمُ الْوُلَاةَ أَبَدًا ، فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَا فَعَدَوْا عَلَيْنَا فَقَتَلُونَا! |
| ثُمَّ ضَارَبَ الرَّجَّالَةَ حَتَّى انْكَشَفُوا عَنْهُ ، وَلَمَّا بَقِيَ الْحُسَيْنُ فِي ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ دَعَا بِسَرَاوِيلَ فَفَزَّرَهُ وَنَكَثَهُ لِئَلَّا يُسْلَبَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ لَوْ لَبِسْتَ تَحْتَهُ التُّبَّانَ. |
| قَالَ ذَلِكَ ثَوْبُ مَذَلَّةٍ وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَلْبَسَهُ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ سَلَبَهُ بَحْرُ بْنُ كَعْبٍ ، وَكَانَتْ يَدَاهُ فِي الشِّتَاءِ تَنْضَحَانِ بِالْمَاءِ ، وَفِي الصَّيْفِ تَيْبَسَانِ كَأَنَّهُمَا عُودٌ. |
| وَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، فَحَمَلَ عَلَى الَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ فَتَفَرَّقُوا ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الَّذِينَ عَنْ يَسَارِهِ فَتَفَرَّقُوا ، فَمَا رُئِيَ مَكْثُورٌ قَطُّ قَدْ قُتِلَ وَلَدُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَصْحَابُهُ أَرْبَطَ جَأْشًا مِنْهُ ، وَلَا أَمْضَى جَنَانًا وَلَا أَجْرَأَ مَقْدَمًا مِنْهُ ، إِنْ كَانَتِ الرَّجَّالَةُ لَتَنْكَشِفُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ انْكِشَافَ الْمِعْزَى إِذَا شَدَّ فِيهَا الذِّئْبُ. |
| فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَتْ زَيْنَبُ وَهِيَ تَقُولُ لَيْتَ السَّمَاءَ انْطَبَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ! |
| وَقَدْ دَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ ، فَقَالَتْ يَا عُمَرُ أَيُقْتَلُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ؟ |
| فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ وَلِحْيَتِهِ وَصَرَفَ وَجْهَهُ عَنْهَا. |
| وَكَانَ عَلَى الْحُسَيْنِ جُبَّةٌ مِنْ خَزٍّ ، وَكَانَ مُعْتَمًّا مَخْضُوبًا بِالْوَسْمَةِ ، وَقَاتَلَ رَاجِلًا قِتَالَ الْفَارِسِ الشُّجَاعِ يَتَّقِي الرَّمْيَةَ وَيَفْتَرِصُ الْعَوْرَةَ وَيَشُدُّ عَلَى الْخَيْلِ وَهُوَ يَقُولُ أَعَلَى قَتْلِي تَجْتَمِعُونَ ؟ |
| أَمَا وَاللَّهِ لَا تَقْتُلُونَ بَعْدِي عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، اللَّهُ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ لِقَتْلِهِ مِنِّي! |
| وَايْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُكْرِمَنِي اللَّهُ بِهَوَانِكُمْ ثُمَّ يَنْتَقِمَ لِي مِنْكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُونَ! |
| أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُمُونِي لَأَلْقَى اللَّهُ بَأْسَكُمْ بَيْنَكُمْ وَسَفَكَ دِمَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ مِنْكُمْ حَتَّى يُضَاعِفَ لَكُمُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. |
| قَالَ وَمَكَثَ طَوِيلًا مِنَ النَّهَارِ ، وَلَوْ شَاءَ النَّاسُ أَنْ يَقْتُلُوهُ لَقَتَلُوهُ وَلَكِنَّهُمْ كَانَ يَتَّقِي بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَيُحِبُّ هَؤُلَاءِ أَنْ يَكْفِيَهُمْ هَؤُلَاءِ ، فَنَادَى شَمِرٌ فِي النَّاسِ وَيْحَكُمْ مَاذَا تَنْتَظِرُونَ بِالرَّجُلِ ؟ |
| اقْتُلُوهُ ثَكِلَتْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ! |
| فَحَمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَضَرَبَ زُرْعَةُ بْنُ شَرِيكٍ التَّمِيمِيُّ عَلَى كَفِّهِ الْيُسْرَى وَضَرَبَ أَيْضًا عَلَى عَاتِقِهِ ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ وَهُوَ يَقُومُ وَيَكْبُو ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ سِنَانُ بْنُ أَنَسٍ النَّخَعِيُّ فَطَعَنَهُ بِالرُّمْحِ فَوَقَعَ ، وَقَالَ لِخَوَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ الْأَصْبَحِيِّ احْتَزَّ رَأْسَهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ فَضَعُفَ وَأُرْعِدَ ، فَقَالَ لَهُ سِنَانٌ ، فَتَّ اللَّهُ عَضُدَكَ! |
| وَنَزَلَ إِلَيْهِ فَذَبَحَهُ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ فَدَفَعَهُ إِلَى خَوَلِيِّ ، وَسَلَبَ الْحُسَيْنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ سَرَاوِيلَهُ بَحْرُ بْنُ كَعْبٍ وَأَخَذَ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ قَطِيفَتَهُ ، وَهِيَ مِنْ خَزٍّ ، فَكَانَ يُسَمَّى بَعْدُ قَيْسَ قَطِيفَةَ ، وَأَخَذَ نَعْلَيْهِ الْأَوْدِيُّ ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ رَجُلٌ مِنْ دَارِمٍ ، وَمَالَ النَّاسُ عَلَى الْوَرْسِ وَالْحُلَلِ وَالْإِبِلِ فَانْتَهَبُوهَا وَنَهَبُوا ثَقَلَهُ وَمَتَاعَهُ وَمَا عَلَى النِّسَاءِ حَتَّى إِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ لَتَنْزِعُ ثَوْبَهَا مِنْ ظَهْرِهَا فَيُؤْخَذُ مِنْهَا. |
| وَوُجِدَ بِالْحُسَيْنِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ طَعْنَةً وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ ضَرْبَةً غَيْرَ الرَّمْيَةِ . |
| وَأَمَّا سُوِيدُ بْنُ الْمُطَاعِ فَكَانَ قَدْ صُرِعَ فَوَقَعَ بَيْنَ الْقَتْلَى مُثْخَنًا بِالْجِرَاحَاتِ ، فَسَمِعَهُمْ يَقُولُونَ قُتِلَ الْحُسَيْنُ! |
| فَوَجَدَ خِفَّةً فَوَثَبَ وَمَعَهُ سِكِّينٌ ، وَكَانَ سَيْفُهُ قَدْ أُخِذَ فَقَاتَلَهُمْ بِسِكِّينِهِ سَاعَةً ثُمَّ قُتِلَ ، قَتَلَهُ عُرْوَةُ بْنُ بَطَّانٍ الثَّعْلَبِيُّ وَزَيْدُ بْنُ رُقَادٍ الْجُنُبِيُّ ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ. |
| ثُمَّ انْتَهَوْا إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ فَأَرَادَ شَمِرٌ قَتْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ حُمَيْدُ بْنُ مُسْلِمٍ سُبْحَانَ اللَّهُ أَتَقْتُلُ الصِّبْيَانَ! |
| وَكَانَ مَرِيضًا ، وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فَقَالَ لَا يَدْخُلَنَّ بَيْتَ هَذِهِ النِّسْوَةِ أَحَدٌ وَلَا يَعْرِضُ لِهَذَا الْغُلَامِ الْمَرِيضِ ، وَمَنْ أَخَذَ مِنْ مَتَاعِهِمْ شَيْئًا فَلْيَرُدُّهُ ، فَلَمْ يَرُدَّ أَحَدٌ شَيْئًا. |
| فَقَالَ النَّاسُ لِسِنَانِ بْنِ أَنَسٍ النَّخَعِيِّ قَتَلْتَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَابْنَ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلْتَ أَعْظَمَ الْعَرَبِ خَطَرًا ، أَرَادَ أَنْ يُزِيلَ مُلْكَ هَؤُلَاءِ ، فَأْتِ أُمَرَاءَكَ فَاطْلُبْ ثَوَابَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ لَوْ أَعْطَوْكَ بُيُوتَ أَمْوَالِهِمْ فِي قَتْلِهِ كَانَ قَلِيلًا. |
| فَأَقْبَلَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَكَانَ شُجَاعًا شَاعِرًا بِهِ لَوْثَةٌ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ فُسْطَاطِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَوْقِرْ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبَا... |
| إِنِّي قَتَلْتُ السَّيِّدَ الْمُحَجَّبَا قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا... |
| وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبَا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ أَشْهَدُ أَنَّكَ مَجْنُونٌ ، أَدْخِلُوهُ عَلَيَّ. |
| فَلَمَّا دَخَلَ حَذَفَهُ بِالْقَضِيبِ وَقَالَ يَا مَجْنُونُ أَتَتَكَلَّمُ بِهَذَا الْكَلَامِ ؟ |
| وَاللَّهِ لَوْ سَمِعَكَ ابْنُ زِيَادٍ لَضَرَبَ عُنُقَكَ! |
| وَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عُقْبَةَ بْنَ سِمْعَانَ مَوْلَى الرَّبَابِ ابْنَةِ امْرِئِ الْقَيْسِ الْكَلْبِيَّةِ امْرَأَةِ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ مَا أَنْتِ ؟ |
| فَقَالَ أَنَا عَبْدٌ مَمْلُوكٌ. |
| فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ غَيْرُهُ وَغَيْرُ الْمُرَقَّعِ بْنِ ثُمَامَةَ الْأَسَدِيِّ ، وَكَانَ قَدْ نَثَرَ نَبْلَهُ فَقَاتَلَ ، فَجَاءَ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ فَآمَنُوهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أُخْبِرَ ابْنُ زِيَادٍ خَبَرَهُ نَفَاهُ إِلَى الزَّارَةِ. |
| ثُمَّ نَادَى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فِي أَصْحَابِهِ مَنْ يُنْتَدَبُ إِلَى الْحُسَيْنِ فَيُوطِئُهُ فَرَسَهُ ، فَانْتَدَبَ عَشْرَةً ، مِنْهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ حَيْوَةَ الْحَضْرَمِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي سَلَبَ قَمِيصَ الْحُسَيْنِ ، فَبَرِصَ بَعْدُ ، فَأَتَوْا فَدَاسُوا الْحُسَيْنَ بِخُيُولِهِمْ حَتَّى رَضُّوا ظَهْرَهُ وَصَدْرَهُ. |
| وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا. |
| وَدَفَنَ الْحُسَيْنَ وَأَصْحَابَهُ أَهْلُ الْغَاضِرِيَّةِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بَعْدَ قَتْلِهِمْ بِيَوْمٍ. |
| وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ثَمَانِيَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا سِوَى الْجَرْحَى فَصَلَّى عَلَيْهِمْ عُمَرُ وَدَفَنَهُمْ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ أُرْسِلَ رَأْسُهُ وَرُءُوسُ أَصْحَابِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ مَعَ خَوَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ وَحُمَيْدِ بْنِ مُسْلِمٍ الْأَزْدِيِّ ، فَوَجَدَ خَوَلِيٌّ الْقَصْرَ مُغْلَقًا فَأَتَى مَنْزِلَهُ فَوَضَعَ الرَّأْسَ تَحْتَ إِجَّانَةٍ فِي مَنْزِلِهِ وَدَخَلَ فِرَاشَهُ وَقَالَ لِامْرَأَتِهِ النَّوَّارِ جِئْتُكِ بِغِنَى الدَّهْرِ ، هَذَا رَأْسُ الْحُسَيْنِ مَعَكِ فِي الدَّارِ. |
| فَقَالَتْ وَيْلَكَ! |
| جَاءَ النَّاسُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَجِئْتَ بِرَأْسِ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! |
| وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ رَأْسِي وَرَأَسَكَ بَيْتٌ أَبَدًا! |
| وَقَامَتْ مِنَ الْفِرَاشِ فَخَرَجَتْ إِلَى الدَّارِ ، قَالَتْ فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ إِلَى نُورٍ يَسْطَعُ مِثْلِ الْعَمُودِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْإِجَّانَةِ ، وَرَأَيْتُ طَيْرًا أَبْيَضَ يُرَفْرِفُ حَوْلَهَا. |
| فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا بِالرَّأْسِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ. |
| وَقِيلَ بَلِ الَّذِي حَمَلَ الرُّءُوسَ كَانَ شَمِرٌ وَقَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ وَعَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ وَعُرْوَةُ بْنُ قَيْسٍ فَجَلَسَ ابْنُ زِيَادٍ وَأُذِّنَ لِلنَّاسِ فَأُحْضِرَتِ الرُّءُوسُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَنْكُتُ بِقَضِيبٍ بَيْنَ ثَنِيَّتِهِ سَاعَةً ، فَلَمَّا رَآهُ زَيْدُ بْنُ الْأَرْقَمِ لَا يَرْفَعُ قَضِيبَهُ قَالَ أَعْلِ هَذَا الْقَضِيبَ عَنْ هَاتَيْنِ الثَّنِيَّتَيْنِ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ رَأَيْتُ شَفَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَاتَيْنِ الشَّفَتَيْنِ يُقَبِّلُهُمَا! |
| ثُمَّ بَكَى ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ أَبْكَى اللَّهُ عَيْنَيْكَ! |
| فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرِفْتَ وَذَهَبَ عَقْلُكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ. |
| فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ الْعَبِيدُ بَعْدَ الْيَوْمِ ، قَتَلْتُمُ ابْنَ فَاطِمَةَ ، وَأَمَّرْتُمُ ابْنَ مَرْجَانَةَ ، فَهُوَ يُقَتِّلُ خِيَارَكُمْ وَيَسْتَعْبِدُ شِرَارَكُمْ ، فَرَضِيتُمْ بِالذُّلِّ ، فَبُعْدًا لِمَنْ يَرْضَى بِالذُّلِّ! |
| فَأَقَامَ عُمَرُ بَعْدَ قَتْلِهِ يَوْمَيْنِ ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى الْكُوفَةِ وَحَمَلَ مَعَهُ بَنَاتِ الْحُسَيْنِ وَأَخَوَاتِهِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الصِّبْيَانِ ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ مَرِيضٌ ، فَاجْتَازُوا بِهِمْ عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ صَرْعَى ، فَصَاحَ النِّسَاءُ وَلَطَمْنَ خُدُودَهُنَّ ، وَصَاحَتْ زَيْنَبُ أُخْتُهُ يَا مُحَمَّدَاهُ صَلَّى عَلَيْكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ! |
| هَذَا الْحُسَيْنُ بِالْعَرَاءِ ، مُرَمَّلٌ بِالدِّمَاءِ ، مُقَطَّعُ الْأَعْضَاءِ ، وَبَنَاتُكَ سَبَايَا ، وَذُرِّيَّتُكَ مُقَتَّلَةٌ تَسْفِي عَلَيْهَا الصَّبَا! |
| فَأَبْكَتْ كُلَّ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ. |
| فَلَمَّا أَدْخَلُوهُمْ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ لَبِسَتْ زَيْنَبُ أَرْذَلَ ثِيَابِهَا وَتَنَكَّرَتْ وَحُفَّتْ بِهَا إِمَاؤُهَا ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ مَنْ هَذِهِ الْجَالِسَةُ ؟ |
| فَلَمْ تُكَلِّمْهُ ، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَهِيَ لَا تُكَلِّمُهُ ، فَقَالَ بَعْضُ إِمَائِهَا هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ فَاطِمَةَ. |
| فَقَالَ لَهَا ابْنُ زِيَادٍ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَقَتَلَكُمْ وَأَكْذَبَ أُحْدُوثَتَكُمْ! |
| فَقَالَتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمْنَا بِمُحَمَّدٍ وَطَهَّرَنَا تَطْهِيرًا ، لَا كَمَا تَقُولُ ، وَإِنَّمَا يُفْتَضَحُ الْفَاسِقُ وَيُكَذَّبُ الْفَاجِرُ. |
| فَقَالَ فَكَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللَّهِ بِأَهْلِ بَيْتِكِ ؟ |
| قَالَتْ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وَسَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَتَخْتَصِمُونَ عِنْدَهُ. |
| فَغَضِبَ ابْنُ زِيَادٍ وَقَالَ قَدْ شَفَى اللَّهُ غَيْظِي مِنْ طَاغِيَتِكِ وَالْعُصَاةِ الْمَرَدَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكِ. |
| فَبَكَتْ وَقَالَتْ لَعَمْرِي لَقَدْ قَتَلْتَ كَهْلِي ، وَأَبْرَزْتَ أَهْلِي ، وَقَطَعْتَ فَرْعِي ، وَاجْتَثَثْتَ أَصْلِي ، فَإِنْ يَشْفِكَ هَذَا فَقَدِ اشْتَفَيْتَ. |
| فَقَالَ لَهَا هَذِهِ شَجَاعَةٌ ، لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ أَبُوكِ شُجَاعًا! |
| فَقَالَتْ مَا لِلْمَرْأَةِ وَالشَّجَاعَةُ! |
| وَلَمَّا نَظَرَ ابْنُ زِيَادٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ مَا اسْمُكَ ؟ |
| قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ. |
| قَالَ أَوَلَمَ يَقْتُلِ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ؟ |
| فَسَكَتَ. |
| فَقَالَ مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟ |
| فَقَالَ كَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَيْضًا عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ النَّاسُ. |
| فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُ. |
| فَسَكَتَ عَلِيٌّ. |
| فَقَالَ مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟ |
| فَقَالَ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا الزمر ، وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ آل عمران . |
| قَالَ أَنْتَ وَاللَّهِ مِنْهُمْ. |
| ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ وَيْحَكَ! |
| انْظُرْ هَذَا هَلْ أَدْرَكَ ؟ |
| إِنِّي لَأَحْسَبُهُ رَجُلًا. |
| قَالَ فَكَشَفَ عَنْهُ مُرِّيُّ بْنُ مُعَاذٍ الْأَحْمَرِيُّ فَقَالَ نَعَمْ قَدْ أَدْرَكَ. |
| قَالَ اقْتُلْهُ. |
| فَقَالَ عَلِيٌّ مَنْ تُوكِلُ بِهَذِهِ النِّسْوَةِ ؟ |
| وَتَعَلَّقَتْ بِهِ زَيْنَبُ فَقَالَتْ يَا ابْنَ زِيَادٍ حَسْبُكَ مِنَّا ، أَمَا رَوِيتَ مِنْ دِمَائِنَا ، وَهَلْ أَبْقَيْتَ مِنَّا أَحَدًا! |
| وَاعْتَنَقَتْهُ وَقَالَتْ أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا إِنْ قَتَلْتَهُ لَمَا قَتَلْتَنِي مَعَهُ! |
| وَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ يَا ابْنَ زِيَادٍ إِنْ كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنَّ قَرَابَةٌ فَابْعَثْ مَعَهُنَّ رَجُلًا تَقِيًّا يَصْحَبُهُنَّ بِصُحْبَةِ الْإِسْلَامِ. |
| فَنَظَرَ إِلَيْهَا سَاعَةً ثُمَّ قَالَ عَجَبًا لِلرَّحِمِ! |
| وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّهَا وَدَّتْ لَوْ أَنِّي قَتَلْتُهُ أَنِّي قَتَلْتُهَا مَعَهُ ، دَعُوا الْغُلَامَ يَنْطَلِقُ مَعَ نِسَائِهِ. |
| ثُمَّ نَادَى الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ ، وَنَصَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ وَحِزْبَهُ ، وَقَتَلَ الْكَذَّابَ ابْنَ الْكَذَّابِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَشِيعَتَهُ. |
| فَوَثَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَفِيفٍ الْأَزْدِيُّ ثُمَّ الْوَالِبِيُّ ، وَكَانَ ضَرِيرًا قَدْ ذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ يَوْمَ الْجَمَلِ مَعَ عَلِيٍّ وَالْأُخْرَى بِصِفِّينَ مَعَهُ أَيْضًا ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُ الْمَسْجِدَ يُصَلِّي فِيهِ إِلَى اللَّيْلِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ ، فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَةَ ابْنِ زِيَادٍ قَالَ يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ! |
| إِنَّ الْكَذَّابَ ابْنَ الْكَذَّابِ أَنْتَ وَأَبُوكَ وَالَّذِي وَلَّاكَ وَأَبُوهُ! |
| يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ أَتَقْتُلُونَ أَبْنَاءَ النَّبِيِّينَ وَتَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ الصِّدِّيقِينَ ؟ |
| فَقَالَ عَلَيَّ بِهِ. |
| فَأَخَذُوهُ ، فَنَادَى بِشِعَارِ الْأَزْدِ يَا مَبْرُورُ! |
| فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَتْيَةٌ مِنَ الْأَزْدِ فَانْتَزَعُوهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ أَتَاهُ بِهِ فَقَتَلَهُ وَأَمَرَ بِصَلْبِهِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَصُلِبَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ. |
| وَأَمَرَ ابْنُ زِيَادٍ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ فَطَيْفَ بِهِ فِي الْكُوفَةِ ، وَكَانَ رَأْسُهُ أَوَّلَ رَأْسِ حُمِلَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى خَشَبَةٍ فِي قَوْلٍ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ رَأْسٍ حُمِلَ فِي الْإِسْلَامِ رَأْسُ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ. |
| ثُمَّ أَرْسَلَ ابْنُ زِيَادٍ رَأْسَ الْحُسَيْنِ وَرُءُوسَ أَصْحَابِهِ مَعَ زَحْرِ بْنِ قَيْسٍ إِلَى الشَّامِ إِلَى يَزِيدَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ ، وَقِيلَ مَعَ شَمِرٍ وَجَمَاعَةٍ مَعَهُ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ ، وَفِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَدْ جَعَلَ ابْنُ زِيَادٍ الْغُلَّ فِي يَدَيْهِ وَرَقَبَتِهِ ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى الْأَقْتَابِ ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى بَلَغُوا الشَّامَ ، فَدَخَلَ زَحْرُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى يَزِيدَ ، فَقَالَ مَا وَرَاءَكَ ؟ |
| فَقَالَ أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَتْحِ اللَّهِ وَبِنَصْرِهِ ، وَرَدَ عَلَيْنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَسِتِّينَ مِنْ شِيعَتِهِ ، فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ فَسَأَلْنَاهُمْ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ الْأَمِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَوِ الْقِتَالِ فَاخْتَارُوا الْقِتَالَ فَعَدَوْنَا عَلَيْهِمْ مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ فَأَحَطْنَا بِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا مِنْ هَامِّ الْقَوْمِ جَعَلُوا يَهْرَبُونَ إِلَى غَيْرِ وَزَرٍ ، وَيَلُوذُونَ بِالْإِكَامِ وَالْحُفَرِ ، كَمَا لَاذَ الْحَمَائِمُ مِنْ صَقَرٍ ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا جَزْرَ جَزُورٍ ، أَوْ نَوْمَةَ قَائِلٍ ، حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى آخِرِهِمْ! |
| فَهَاتِيكَ أَجْسَادُهُمْ مُجَرَّدَةٌ ، وَثِيَابُهُمْ مُرَمَّلَةٌ ، وَخُدُودُهُمْ مُعَفَّرَةٌ ، تَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ ، وَتَسْفِي عَلَيْهِمُ الرِّيحُ ، زُوَّارُهُمُ الْعُقْبَانُ وَالرَّخَمُ بِقِيِّ سَبْسَبٍ. |
| قَالَ فَدَمَعَتْ عَيْنَا يَزِيدَ وَقَالَ كُنْتُ أَرْضَى مِنْ طَاغِيَتِكُمْ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ، لَعَنَ اللَّهُ ابْنَ سُمَيَّةَ! |
| أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي صَاحِبُهُ لَعَفَوْتُ عَنْهُ ، فَرَحِمَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ! |
| وَلَمْ يَصِلْهُ بِشَيْءٍ. |
| وَقِيلَ إِنَّ آلَ الْحُسَيْنِ لَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْكُوفَةِ حَبَسَهُمُ ابْنُ زِيَادٍ وَأَرْسَلَ إِلَى يَزِيدَ بِالْخَبَرِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي الْحَبْسِ إِذْ سَقَطَ عَلَيْهِمْ حَجَرٌ فِيهِ كِتَابٌ مَرْبُوطٌ وَفِيهِ إِنَّ الْبَرِيدَ سَارَ بِأَمْرِكُمْ إِلَى يَزِيدَ فَيَصِلُ يَوْمَ كَذَا وَيَعُودُ يَوْمَ كَذَا ، فَإِنْ سَمِعْتُمُ التَّكْبِيرَ فَأَيْقِنُوا بِالْقَتْلِ ، وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا تَكْبِيرًا فَهُوَ الْأَمَانُ. |
| فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ قُدُومِ الْبَرِيدِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ إِذَا حَجَرٌ قَدْ أُلْقِيَ وَفِيهِ كِتَابٌ يَقُولُ فِيهِ أَوْصُوا وَاعْهَدُوا فَقَدْ قَارَبَ وُصُولُ الْبَرِيدِ. |
| ثُمَّ جَاءَ الْبَرِيدُ بِأَمْرِ يَزِيدَ بِإِرْسَالِهِمْ إِلَيْهِ ، فَدَعَا ابْنُ زِيَادٍ مُحَفِّرَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَشَمِرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ وَسَيَّرَهُمَا بِالثَّقَلِ وَالرَّأْسِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى دِمَشْقَ نَادَى مُحَفِّرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ عَلَى بَابِ يَزِيدَ جِئْنَا بِرَأْسِ أَحْمَقِ النَّاسِ وَأَلْأَمِهِمْ! |
| فَقَالَ يَزِيدُ مَا وَلَدَتْ أُمُّ مُحَفِّرٍ أَلْأَمَ وَأَحْمَقَ مِنْهُ ، وَلَكِنَّهُ قَاطِعٌ ظَالِمٌ. |
| ثُمَّ دَخَلُوا عَلَى يَزِيدَ فَوَضَعُوا الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَحَدَّثُوهُ ، فَسَمِعَتِ الْحَدِيثَ هِنْدَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُرَيْزٍ ، وَكَانَتْ تَحْتَ يَزِيدَ ، فَتَقَنَّعَتْ بِثَوْبِهَا وَخَرَجَتْ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرْأَسُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ ابْنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، فَأَعْوِلِي عَلَيْهِ ، وَحُدِّي عَلَى ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَرِيحَةِ قُرَيْشٍ ، عَجَّلَ عَلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ فَقَتَلَهُ ، قَتَلَهُ اللَّهُ! |
| ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَالرَّأْسُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَعَهُ قَضِيبٌ وَهُوَ يَنْكُتُ بِهِ ثَغْرَهُ ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا وَإِيَّانَا كَمَا قَالَ الْحُصَيْنُ بْنُ الْحُمَامِ أَبَى قَوْمُنَا أَنْ يُنْصِفُونَا فَأَنْصَفَتْ... |
| قَوَاضِبُ فِي أَيْمَانِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا يُفَلِّقْنَ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ... |
| عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ أَتَنْكُتُ بِقَضِيبِكَ فِي ثَغْرِ الْحُسَيْنِ ؟ |
| أَمَا لَقَدْ أَخَذَ قَضِيبُكَ فِي ثَغْرِهِ مَأْخَذًا ، لَرُبَّمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْشُفُهُ ، أَمَا إِنَّكَ يَا يَزِيدُ تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَابْنُ زِيَادٍ شَفِيعُكَ ، وَيَجِيءُ هَذَا وَمُحَمَّدٌ شَفِيعُهُ ثُمَّ قَامَ فَوَلَّى. |
| فَقَالَ يَزِيدُ وَاللَّهِ يَا حُسَيْنُ لَوْ كُنْتُ أَنَا صَاحِبُكَ مَا قَتَلْتُكَ. |
| ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ أَتَى هَذَا ؟ |
| قَالَ أَبِي عَلِيٌّ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ ، وَفَاطِمَةُ أُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ ، وَجَدِّي رَسُولُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ جَدِّهِ ، وَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ وَأَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ ، فَأَمَّا قَوْلُهُ أَبُوهُ خَيْرٌ مِنْ أَبِي فَقَدْ حَاجَّ أَبِي أَبَاهُ إِلَى اللَّهِ وَعَلِمَ النَّاسُ أَيَّهُمَا حُكِمَ لَهُ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ أُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ فَلَعَمْرِي فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أُمِّي ، وَأَمَّا قَوْلُهُ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ جَدِّهِ فَلَعَمْرِي مَا أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَرَى لِرَسُولِ اللَّهِ فِينَا عِدْلًا وَلَا نِدًّا ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ فِقْهِهِ ، وَلَمْ يَقْرَأْ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ آل عمران . |
| ثُمَّ أُدْخِلَ نِسَاءُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ وَالرَّأْسُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَتْ فَاطِمَةُ وَسُكَيْنَةُ ابْنَتَا الْحُسَيْنِ تَتَطَاوَلَانِ لِتَنْظُرَا إِلَى الرَّأْسِ ، وَجَعَلَ يَزِيدُ يَتَطَاوَلُ لِيَسْتُرَ عَنْهُمَا الرَّأْسَ. |
| فَلَمَّا رَأَيْنَ الرَّأْسَ صِحْنَ ، فَصَاحَ نِسَاءُ يَزِيدَ وَوَلْوَلَ بَنَاتُ مُعَاوِيَةَ. |
| فَقَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَتْ أَكْبَرَ مِنْ سُكَيْنَةَ أَبَنَاتُ رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا يَا يَزِيدُ ؟ |
| فَقَالَ يَا ابْنَةَ أَخِي أَنَا لِهَذَا كُنْتُ أَكْرَهُ. |
| قَالَتْ وَاللَّهِ مَا تُرِكَ لَنَا خُرْصٌ. |
| فَقَالَ مَا أَتَى إِلَيْكُنَّ أَعْظَمُ مِمَّا أُخِذَ مِنْكُنَّ. |
| فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ هَبْ لِي هَذِهِ ، يَعْنِي فَاطِمَةَ ، فَأَخَذَتْ بِثِيَابِ أُخْتِهَا زَيْنَبَ ، وَكَانَتْ أَكْبَرَ مِنْهَا ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ كَذَبْتَ وَلَؤُمْتَ ، مَا ذَلِكَ لَكَ وَلَا لَهُ. |
| فَغَضِبَ يَزِيدُ وَقَالَ كَذَبْتِ وَاللَّهِ ، إِنَّ ذَلِكَ لِي وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ لَفَعَلْتُهُ. |
| قَالَتْ كَلَّا وَاللَّهِ ، مَا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مِلَّتِنَا وَتَدِينَ بِغَيْرِ دِينِنَا. |
| فَغَضَبَ يَزِيدُ وَاسْتَطَارَ ، ثُمَّ قَالَ إِيَّايَ تَسْتَقْبِلِينَ بِهَذَا ؟ |
| إِنَّمَا خَرَجَ مِنَ الدِّينِ أَبُوكِ وَأَخُوكِ! |
| قَالَتْ زَيْنَبُ بِدِينِ اللَّهِ وَدِينِ أَبِي وَأَخِي وَجَدِّي اهْتَدَيْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ وَجَدُّكَ. |
| قَالَ كَذَبْتِ يَا عَدُوَّةَ اللَّهِ! |
| قَالَتْ أَنْتَ أَمِيرٌ تَشْتُمُ ظَالِمًا وَتَقْهَرُ بِسُلْطَانِكَ ؟ |
| فَاسْتَحَى وَسَكَتَ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُنَّ وَأَدْخَلَهُنَّ دُورَ يَزِيدَ ، فَلَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ آلِ يَزِيدَ إِلَّا أَتَتْهُنَّ وَأَقَمْنَ الْمَأْتَمَ ، وَسَأَلَهُنَّ عَمَّا أُخِذَ مِنْهُنَّ فَأَضْعَفَهُ لَهُنَّ ، فَكَانَتْ سُكَيْنَةُ تَقُولُ مَا رَأَيْتُ كَافِرًا بِاللَّهِ خَيْرًا مِنْ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ. |
| ثُمَّ أَمَرَ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَأُدْخِلَ مَغْلُولًا فَقَالَ لَوْ رَآنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَغْلُولِينِ لَفَكَّ عَنَّا. |
| قَالَ صَدَقْتَ. |
| وَأَمَرَ بِفَكِّ غُلِّهِ عَنْهُ. |
| فَقَالَ عَلِيٌّ لَوْ رَآنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعَدَاءَ لَأَحَبَّ أَنْ يُقَرِّبَنَا. |
| فَأَمَرَ بِهِ فَقُرِّبَ مِنْهُ ، وَقَالَ لَهُ يَزِيدُ إِيهِ يَا عَلِيُّ بْنَ الْحُسَيْنِ ، أَبُوكَ الَّذِي قَطَعَ رَحِمِي ، وَجَهِلَ حَقِّي ، وَنَازَعَنِي سُلْطَانِي ، فَصَنَعَ اللَّهُ بِهِ مَا رَأَيْتَ. |
| فَقَالَ عَلِيٌّ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الحديد . |
| فَقَالَ يَزِيدُ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ الشورى . |
| ثُمَّ سَكَتَ عَنْهُ وَأَمَرَ بِإِنْزَالِهِ وَإِنْزَالِ نِسَائِهِ فِي دَارِ عَلِيٍّ جَدِّهِ ، وَكَانَ يَزِيدُ لَا يَتَغَدَّى وَلَا يَتَعَشَّى إِلَّا دَعَا عَلِيًّا إِلَيْهِ ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَمَعَهُ عَمْرُو بْنُ الْحَسَنِ ، وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ ، فَقَالَ لِعَمْرٍو أَتُقَاتِلُ هَذَا ؟ |
| يَعْنِي خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ. |
| فَقَالَ عَمْرٌو أَعْطِنِي سِكِّينًا وَأَعْطِهِ سِكِّينًا حَتَّى أُقَاتِلَهُ. |
| فَضَمَّهُ يَزِيدُ إِلَيْهِ وَقَالَ شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمَ ، هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةَ إِلَّا حَيَّةً! |
| وَقِيلَ وَلَمَّا وَصَلَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ إِلَى يَزِيدَ حَسُنَتْ حَالُ ابْنِ زِيَادٍ عِنْدَهُ وَزَادَهُ وَوَصَلَهُ وَسَرَّهُ مَا فَعَلَ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى بَلَغَهُ بُغْضُ النَّاسِ لَهُ وَلَعْنُهُمْ وَسَبُّهُمْ ، فَنَدِمَ عَلَى قَتْلِ الْحُسَيْنِ ، فَكَانَ يَقُولُ وَمَا عَلَيَّ لَوِ احْتَمَلْتُ الْأَذَى وَأَنْزَلْتُ الْحُسَيْنَ مَعِي فِي دَارِي وَحَكَّمْتُهُ فِيمَا يُرِيدُ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ وَهَنٌ فِي سُلْطَانِي حِفْظًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِعَايَةً لِحَقِّهِ وَقَرَابَتِهِ ، لَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ فَإِنَّهُ اضْطَرَّهُ ، وَقَدْ سَأَلَهُ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِي أَوْ يَلْحَقَ بِثَغْرٍ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ اللَّهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ فَقَتَلَهُ ، فَبَغَّضَنِي بِقَتْلِهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَزَرَعَ فِي قُلُوبِهِمُ الْعَدَاوَةَ ، فَأَبْغَضَنِي الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ بِمَا اسْتَعْظَمُوهُ مِنْ قَتْلِي الْحُسَيْنَ ، مَا لِي وَلِابْنِ مَرْجَانَةَ ، لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ! |
| وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ أَمَرَ يَزِيدُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ أَنْ يُجَهِّزَهُمْ بِمَا يُصْلِحُهُمْ وَيُسَيِّرَ مَعَهُمْ رَجُلًا أَمِينًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَمَعَهُ خَيْلٌ يَسِيرُ بِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَدَعَا عَلِيًّا لِيُوَدِّعَهُ وَقَالَ لَهُ لَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ! |
| أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي صَاحِبُهُ مَا سَأَلَنِي خَصْلَةً أَبَدًا إِلَّا أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا وَلَدَفَعْتُ الْحَتْفَ عَنْهُ بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُ وَلَوْ بِهَلَاكِ بَعْضِ وَلَدِي ، وَلَكِنْ قَضَى اللَّهُ مَا رَأَيْتَ. |
| يَا بُنَيَّ كَاتِبْنِي حَاجَةً تَكُونُ لَكَ. |
| وَأَوْصَى بِهِمْ هَذَا الرَّسُولَ ، فَخَرَجَ بِهِمْ فَكَانَ يُسَايِرُهُمْ لَيْلًا فَيَكُونُونَ أَمَامَهُ بِحَيْثُ لَا يَفُوتُونَ طَرْفَهُ ، فَإِذَا نَزَلُوا تَنَحَّى عَنْهُمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَكَانُوا حَوْلَهُمْ كَهَيْئَةِ الْحَرَسِ ، وَكَانَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ حَاجَتِهِمْ وَيَلْطُفُ بِهِمْ حَتَّى دَخَلُوا الْمَدِينَةَ. |
| فَقَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَلِيٍّ لِأُخْتِهَا زَيْنَبَ لَقَدْ أَحْسَنَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَيْنَا فَهَلْ لَكِ أَنْ نَصِلَهُ بِشَيْءٍ ؟ |
| فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا مَعَنَا مَا نَصِلُهُ بِهِ إِلَّا حُلِيُّنَا ، فَأَخْرَجَتَا سِوَارَيْنِ وَدُمْلُجَيْنِ لَهُمَا فَبَعَثَتَا بِهَا إِلَيْهِ وَاعْتَذَرَتَا ، فَرَدَّ الْجَمِيعَ وَقَالَ لَوْ كَانَ الَّذِي صَنَعْتُ لِلدُّنْيَا لَكَانَ فِي هَذَا مَا يُرْضِينِي ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُهُ إِلَّا لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِكُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| وَكَانَ مَعَ الْحُسَيْنِ امْرَأَتُهُ الرَّبَابُ بِنْتُ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وَهِيَ أُمُّ ابْنَتِهِ سُكَيْنَةَ ، وَحُمِلَتْ إِلَى الشَّامِ فِيمَنْ حُمِلَ مِنْ أَهْلِهِ ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَخَطَبَهَا الْأَشْرَافُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لِأَتَّخِذَ حَمْوًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَقِيَتْ بَعْدَهُ سَنَةً لَمْ يُظِلَّهَا سَقْفُ بَيْتٍ حَتَّى بَلِيَتْ وَمَاتَتْ كَمَدًا ، وَقِيلَ إِنَّهَا أَقَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ سَنَةً وَعَادَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَمَاتَتْ أَسَفًا عَلَيْهِ. |
| فَأَرْسَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مُبَشِّرًا إِلَى الْمَدِينَةِ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ مَا الْخَبَرُ ؟ |
| فَقَالَ الْخَبَرُ عِنْدَ الْأَمِيرِ. |
| فَقَالَ الْقُرَشِيُّ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، قُتِلَ الْحُسَيْنُ. |
| وَدَخَلَ الْبَشِيرُ عَلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فَقَالَ مَا وَرَاءَكَ ؟ |
| قَالَ مَا سَرَّ الْأَمِيرَ ، قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ. |
| فَقَالَ نَادِ بِقَتْلِهِ ، فَنَادَى ، فَصَاحَ نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ وَخَرَجَتِ ابْنَةُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَهَا نِسَاؤُهَا حَاسِرَةً تَلْوِي ثَوْبَهَا وَهِيَ تَقُولُ مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ... |
| مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ بِعِتْرَتِي وَبِأَهْلِي بَعْدَ مُفْتَقَدِي... |
| مِنْهُمْ أُسَارَى وَقَتْلَى ضُرِّجُوا بِدَمِ مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ... |
| أَنْ تُخْلِفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي فَلَمَّا سَمِعَ عَمْرٌو أَصْوَاتَهُنَّ ضَحِكَ وَقَالَ عَجَّتْ نِسَاءُ بَنِي زِيَادٍ عَجَّةً... |
| كَعَجِيجِ نِسْوَتِنَا غَدَاةَ الْأَرْنَبِ وَالْأَرْنَبُ وَقْعَةٌ كَانَتْ لَبَنِي زُبَيْدٍ عَلَى بَنِي زِيَادٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، وَهَذَا الْبَيْتُ لِعَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ. |
| ثُمَّ قَالَ عَمْرٌو وَاعِيَةٌ كَوَاعِيَةِ عُثْمَانَ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَأَعْلَمَ النَّاسَ قَتْلَهُ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ قَتْلُ ابْنَيْهِ مَعَ الْحُسَيْنِ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَوَالِيهِ يُعَزِّيهِ وَالنَّاسُ يُعَزُّونَهُ ، فَقَالَ مَوْلَاهُ هَذَا مَا لَقِينَاهُ مِنَ الْحُسَيْنِ! |
| فَحَذَفَهُ ابْنُ جَعْفَرٍ بِنَعْلِهِ وَقَالَ يَا ابْنَ اللَّخْنَاءِ ، الْحُسَيْنُ ، تَقُولُ هَذَا ؟ |
| وَاللَّهِ لَوْ شَهِدْتُهُ لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أُفَارِقَهُ حَتَّى أُقْتَلَ مَعَهُ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمِمَّا يُسَخِّي بِنَفْسِي عَنْهُمَا ، وَيُهَوِّنُ عَلَيَّ الْمُصَابَ بِهِمَا أَنَّهُمَا أُصِيبَا مَعَ أَخِي وَابْنِ عَمِّي مُوَاسِيَيْنِ لَهُ صَابِرَيْنِ مَعَهُ. |
| ثُمَّ قَالَ إِنْ لَمْ تَكُنْ آسَتِ الْحُسَيْنَ يَدِي فَقَدْ آسَاهُ وَلَدِي. |
| وَلَمَّا وَفَدَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِالرَّأْسِ إِلَى الشَّامِ وَدَخَلُوا مَسْجِدَ دِمَشْقَ أَتَاهُمْ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَسَأَلَهُمْ كَيْفَ صَنَعُوا ؟ |
| فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَامَ عَنْهُمْ ثُمَّ أَتَاهُمْ أَخُوهُ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ فَسَأَلَهُمْ فَأَعَادُوا عَلَيْهِ الْكَلَامَ ، فَقَالَ حُجِبْتُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَنْ أُجَامِعَكُمْ عَلَى أَمْرٍ أَبَدًا! |
| ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ. |
| فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يَزِيدَ قَالَ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ لُهَامٌ بِجَنْبِ الطَّفِّ أَدْنَى قَرَابَةً... |
| مِنِ ابْنِ زِيَادٍ الْعَبْدِ ذِي الْحَسَبِ الْوَغْلِ سُمَيَّةُ أَمْسَى نَسْلُهَا عَدَدَ الْحَصَى... |
| وَلَيْسَ لِآلِ الْمُصْطَفَى الْيَوْمَ مِنْ نَسْلِ فَضَرَبَ يَزِيدُ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ اسْكُتْ. |
| قِيلَ وَسَمِعَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَيْلَةَ قُتِلَ الْحُسَيْنُ مُنَادِيًا يُنَادِي أَيُّهَا الْقَاتِلُونَ جَهْلًا حُسَيْنَا... |
| أَبْشِرُوا بِالْعَذَابِ وَالتَّنْكِيلِ كُلُّ أَهْلِ السَّمَاءِ يَدْعُو عَلَيْكُمْ... |
| مِنْ نَبِيٍّ وَمَلْأَكٍ وَقَبِيلِ قَدْ لُعِنْتُمْ عَلَى لِسَانِ ابْنِ دَاوُدَ... |
| وَمُوسَى وَصَاحِبِ الْإِنْجِيلِ وَمَكَثَ النَّاسُ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً كَأَنَّمَا تُلَطَّخُ الْحَوَائِطُ بِالدِّمَاءِ سَاعَةَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ. |
| قَالَ رَأْسُ جَالُوتَ ذَلِكَ الزَّمَانِ مَا مَرَرْتُ بِكَرْبَلَاءَ إِلَّا وَأَنَا أُرَكِّضُ دَابَّتِي حَتَّى أَخْلُفَ الْمَكَانَ ، لِأَنَّا كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ وَلَدَ نَبِيٍّ يُقْتَلُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَكُنْتُ أَخَافُ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ أَمِنْتُ فَكُنْتُ أَسِيرُ وَلَا أُرَكِّضُ. |
| قِيلَ وَكَانَ عُمُرُ الْحُسَيْنِ يَوْمَ قُتِلَ خَمْسًا وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَسِتِّينَ ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ. |
| وَكَانَ قَتْلُهُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ. |
| بُرَيْرُ بْنُ خُضَيْرٍ بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا ، وَآخِرُهُ رَاءٌ. |
| وَخُضَيْرٌ بِالْخَاءِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَتَيْنِ. |
| ثُبَيْتٌ بِضَمِّ الثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ ، وَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا ، وَآخِرُهُ تَاءٌ مُثَنَّاةٌ مِنْ فَوْقِهَا. |
| وَمُحَفِّرٌ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ الْمَكْسُورَةِ ، وَآخِرُهُ رَاءٌ . |
| وَقَالَ ... |
| التَّيْمِيُّ تَيْمُ مُرَّةَ يَرْثِي الْحُسَيْنَ وَأَهْلَهُ وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى بَنِي هَاشِمٍ مَرَرْتُ عَلَى أَبْيَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ... |
| فَلَمْ أَرَهَا أَمْثَالَهَا يَوْمَ حَلَّتِ فَلَا يُبْعِدِ اللَّهُ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا... |
| وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهِلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ وَإِنَّ قَتِيلَ الطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ... |
| أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتِ وَكَانُوا رَجَاءً ثُمَّ أَضْحَوْا رَزِيَّةً... |
| لَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَايَا وَجَلَّتِ وَعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا... |
| سَنَجْزِيهِمْ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتِ إِذَا افْتَقَرَتْ قَيْسٌ جَبَرْنَا فَقِيرَهَا... |
| تُقَتِّلُنَا قَيْسٌ إِذَا النَّعْلُ زِلَّتِ ذِكْرُ أَسْمَاءِ مَنْ قُتِلَ مَعَهُ قَالَ سُلَيْمَانُ لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ وَمَنْ مَعَهُ حُمِلَتْ رُءُوسُهُمْ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَجَاءَتْ كِنْدَةُ بِثَلَاثَةَ عَشَرَ رَأْسًا ، وَصَاحِبُهُمْ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وَجَاءَتْ هَوَازِنُ بِعِشْرِينَ رَأْسًا ، وَصَاحِبُهُمْ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ الضَّبَابِيُّ ، وَجَاءَتْ بَنُو تَمِيمٍ بِسَبْعَةَ عَشَرَ رَأْسًا ، وَجَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ بِسِتَّةِ أَرْؤُسٍ ، وَجَاءَتْ مَذْحِجٌ بِسَبْعَةِ أَرْؤُسٍ ، وَجَاءَ سَائِرُ الْجَيْشِ بِسَبْعَةِ أَرْؤُسٍ ، فَذَلِكَ سَبْعُونَ رَأْسًا. |
| وَقُتِلَ الْحُسَيْنُ ، قَتَلَهُ سِنَانُ بْنُ أَنَسٍ النَّخَعِيُّ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَقُتِلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأُمُّهُ أُمُّ الْبَنِينَ بِنْتُ حِزَامٍ ، قَتَلَهُ زَيْدُ بْنُ رُقَادٍ الْجُنُبِيُّ وَحَكِيمُ بْنُ الطُّفَيْلِ السِّنْبِسِيُّ. |
| وَقُتِلَ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأُمُّهُ أُمُّ الْبَنِينَ أَيْضًا. |
| وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأُمُّهُ أُمُّ الْبَنِينَ أَيْضًا. |
| وَقُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأُمُّهُ أُمُّ الْبَنِينَ أَيْضًا ، رَمَاهُ خَوَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ. |
| وَقُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي دَارِمٍ. |
| وَقُتِلَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأُمُّهُ لَيْلَى بِنْتُ مَسْعُودٍ الدَّارِمِيَّةُ ، وَقَدْ شُكَّ فِي قَتْلِهِ. |
| وَقُتِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَأُمُّهُ لَيْلَى ابْنَةُ أَبِي مُرَّةَ بْنِ عُرْوَةَ الثَّقَفِيِّ ، وَأُمُّهَا مَيْمُونَةُ ابْنَةُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، قَتَلَهُ مُنْقِذُ بْنُ النُّعْمَانِ الْعَبْدِيُّ ، وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَأُمُّهُ الرَّبَابُ ابْنَةُ امْرِئِ الْقَيْسِ الْكَلْبِيِّ ، قَتَلَهُ هَانِئُ بْنُ ثُبَيْتٍ الْحَضْرَمِيُّ. |
| وَقُتِلَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ أَخِيهِ الْحَسَنِ أَيْضًا ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ قَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُقْبَةَ الْغَنَوِيُّ ، وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ قَتَلَهُ حَرْمَلَةُ بْنُ الْكَاهِنِ ، رَمَاهُ بِسَهْمٍ. |
| وَقُتِلَ الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ أَيْضًا ، قَتَلَهُ سَعْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ الْأَزْدِيُّ. |
| وَقُتِلَ عَوْنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأُمُّهُ جُمَانَةُ بِنْتُ الْمُسَيَّبِ بْنِ نَجَبَةَ الْفَزَارِيِّ ، قَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُطْبَةَ الطَّائِيُّ. |
| وَقُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَأُمُّهُ الْخَوْصَاءُ بِنْتُ خَصَفَةَ بْنِ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، قَتَلَهُ عَامِرُ بْنُ نَهْشَلٍ التَّيْمِيُّ. |
| وَقُتِلَ جَعْفَرُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأُمُّهُ أُمُّ بَنِينَ ابْنَةِ الشُّقْرِ بْنِ الْهِضَابِ ، قَتَلَهُ بِشْرُ بْنُ الْخُوطِ الْهَمْدَانِيُّ. |
| وَقُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَقِيلٍ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ ، قَتَلَهُ عُثْمَانُ بْنُ خَالِدٍ الْجُهَنِيُّ. |
| وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَقِيلٍ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ ، رَمَاهُ عَمْرُو بْنُ صُبَيْحٍ الصَّيْدَاوِيُّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ. |
| وَقُتِلَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ بِالْكُوفَةِ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ. |
| وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ ، وَأُمُّهُ رُقْيَةُ ابْنَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ صُبَيْحٍ الصَّيْدَاوِيُّ ، وَيُقَالُ قَتَلَهُ مَالِكُ بْنُ أُسَيْدٍ الْحَضْرَمِيُّ. |
| وَقُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَقِيلٍ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ ، قَتَلَهُ لَقِيطُ بْنُ يَاسِرٍ الْجُهَنِيُّ. |
| وَاسْتُصْغِرَ الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَأُمُّهُ خَوْلَةُ بِنْتُ مَنْظُورِ بْنِ زَبَّانَ الْفَزَارِيِّ ، وَاسْتُصْغِرَ عَمْرُو بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ ، فَلَمْ يُقْتَلَا. |
| وَقَتِلَ مِنَ الْمَوَالِي سُلَيْمَانُ مَوْلَى الْحُسَيْنِ ، قَتَلَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَوْفٍ الْحَضْرَمِيُّ ، وَقُتِلَ مُنْجِحٌ مَوْلَى الْحُسَيْنِ أَيْضًا ، وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُقْطُرٍ رَضِيعُ الْحُسَيْنِ. |
| قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّيْلَةَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْحُسَيْنُ وَبِيَدِهِ قَارُورَةٌ وَهُوَ يَجْمَعُ فِيهَا دَمًا. |
| فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا ؟ |
| قَالَ هَذِهِ دِمَاءُ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ أَرْفَعُهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. |
| فَأَصْبَحَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَعْلَمَ النَّاسَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ وَقَصِّ رُؤْيَاهُ ، فَوُجِدَ قَدْ قُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. |
| وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى أُمَّ سَلَمَةَ تُرَابًا مِنْ تُرْبَةِ الْحُسَيْنِ حَمَلَهُ إِلَيْهِ جِبْرَائِيلُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمِّ سَلَمَةَ إِذَا صَارَ هَذَا التُّرَابُ دَمًا فَقَدْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ. |
| فَحَفِظَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ذَلِكَ التُّرَابَ فِي قَارُورَةٍ عِنْدَهَا ، فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ صَارَ التُّرَابُ دَمًا ، فَأَعْلَمَتِ النَّاسَ بِقَتْلِهِ أَيْضًا. |
| وَهَذَا يَسْتَقِيمُ عَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ أُمُّ سَلَمَةَ تُوُفِّيَتْ بَعْدَ الْحُسَيْنِ. |
| ثُمَّ إِنَّ ابْنَ زِيَادٍ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ سَعْدٍ بَعْدَ عَوْدِهِ مِنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ يَا عُمَرُ ائْتِنِي بِالْكِتَابِ الَّذِي كَتَبْتُهُ إِلَيْكَ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ. |
| قَالَ مَضَيْتُ لِأَمْرِكَ وَضَاعَ الْكِتَابُ. |
| قَالَ لِتَجِئْنِي بِهِ. |
| قَالَ ضَاعَ. |
| قَالَ لِتَجِئْنِي بِهِ. |
| قَالَ تُرِكَ وَاللَّهِ يُقْرَأُ عَلَى عَجَائِزِ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ اعْتِذَارًا إِلَيْهِنَّ ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ نَصَحْتُكَ فِي الْحَسَنِ نَصِيحَةً لَوْ نَصَحْتُهَا أَبِي سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ لَكُنْتُ قَدْ أَدَّيْتَ حَقَّهُ. |
| فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ زِيَادٍ ، أَخُو عُبَيْدِ اللَّهِ صَدَقَ وَاللَّهِ! |
| لَوَدِدْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَنِي زِيَادٍ رَجُلٌ إِلَّا وَفِي أَنْفِهِ خِزَامَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَّ الْحُسَيْنَ لَمْ يُقْتَلْ! |
| فَمَا أَنْكَرَ ذَلِكَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ. |
| آخِرُ الْمَقْتَلِ. |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ أَبِي بِلَالٍ مِرْدَاسِ بْنِ حُدَيْرٍ الْحَنْظَلِيِّ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ سَبَبِ خُرُوجِهِ وَتَوْجِيهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ الْعَسَاكِرَ إِلَيْهِ فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ فَالْتِقَائِهِمْ بِآسَكَ وَهَزِيمَةِ عَسْكَرِ ابْنِ زِيَادٍ ، فَلَمَّا هَزَمَهُمْ أَبُو بِلَالٍ وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ زِيَادٍ ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ عَبَّادُ بْنُ الْأَخْضَرِ ، وَالْأَخْضَرُ زَوْجُ أُمِّهِ ، نُسِبَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ عَبَّادُ بْنُ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبَّادٍ التَّمِيمِيُّ ، فَاتَّبَعَهُ حَتَّى لَحِقَهُ بِتَوَّجَ ، فَصَفَّ لَهُ عَبَّادٌ وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بِلَالٍ فِيمَنْ مَعَهُ ، فَثَبَتُوا وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ حَتَّى دَخَلَ وَقْتُ الْعَصْرِ ، فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ هَذَا يَوْمُ جُمُعَةٍ وَهُوَ يَوْمٌ عَظِيمٌ وَهَذَا وَقْتُ الْعَصْرِ فَدَعُونَا حَتَّى نُصَلِّيَ. |
| فَأَجَابَهُمُ ابْنُ الْأَخْضَرِ وَتَحَاجَزُوا ، فَعَجَّلَ ابْنُ الْأَخْضَرِ الصَّلَاةَ ، وَقِيلَ قَطَعَهَا ، وَالْخَوَارِجُ يُصَلُّونَ ، فَشَدَّ عَلَيْهِمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَهُمْ مَا بَيْنَ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُمْ أَحَدٌ مِنْ حَالِهِ ، فَقُتِلُوا مِنْ آخِرِهِمْ وَأُخِذَ رَأْسُ أَبِي بِلَالٍ. |
| وَرَجَعَ عَبَّادٌ إِلَى الْبَصْرَةِ فَرَصَدَهُ بِهَا عُبَيْدُ بْنُ هِلَالٍ وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ ، فَأَقْبَلَ عَبَّادٌ يُرِيدُ قَصْرَ الْإِمَارَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ ابْنًا صَغِيرًا لَهُ ، فَقَالُوا لَهُ قِفْ حَتَّى نَسْتَفْتِيَكَ. |
| فَوَقَفَ ، فَقَالُوا نَحْنُ إِخْوَةٌ أَرْبَعَةٌ قُتِلَ أَخُونَا فَمَا تَرَى ؟ |
| قَالَ اسْتَعْدُوا الْأَمِيرَ. |
| قَالُوا قَدِ اسْتَعْدَيْنَاهُ فَلَمْ يُعْدِنَا. |
| قَالَ فَاقْتُلُوهُ قَتَلَهُ اللَّهُ! |
| فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَحَكَّمُوا بِهِ فَأَلْقَى ابْنَهُ فَنَجَا وَقُتِلَ هُوَ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى الْخَوَارِجِ فَقُتِلُوا غَيْرَ عُبَيْدَةَ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ عَبَّادٍ كَانَ ابْنُ زِيَادٍ بِالْكُوفَةِ وَنَائِبُهُ بِالْبَصْرَةِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَتَّبِعَ الْخَوَارِجَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَجَعَلَ يَأْخُذُهُمْ ، فَإِذَا شُفِّعَ فِي أَحَدِهِمْ ضَمِنَهُ إِلَى أَنْ يَقْدَمَ ابْنُ زِيَادٍ ، وَمَنْ لَمْ يَكْفُلْهُ أَحَدٌ حَبَسَهُ ، وَأُتِيَ بِعُرْوَةَ بْنِ أُدَيَّةَ فَأَطْلَقَهُ وَقَالَ أَنَا كَفِيلُكَ. |
| فَلَمَّا قَدِمَ ابْنُ زِيَادٍ أَخَذَ مَنْ فِي الْحَبْسِ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَتَلَهُمْ وَطَلَبَ الْكُفَلَاءِ بِمَنْ كُفِّلُوا بِهِ فَمَنْ أَتَى بِخَارِجِيٍّ أَطْلَقَهُ وَقَتَلَ الْخَارِجِيَّ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِالْخَارِجِيِّ قَتَلَهُ ، ثُمَّ طَلَبَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ بِعُرْوَةَ بْنِ أُدَيَّةَ ، قَالَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ. |
| فَقَالَ إِذَنْ أَقْتُلَكَ بِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْحَثُ عَنْهُ حَتَّى ظَفِرَ بِهِ وَأَحْضَرَهُ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ لَأُمَثِّلَنَّ بِكَ. |
| فَقَالَ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ مِنَ الْقِصَاصِ مَا شِئْتَ بِهِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُطِّعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ وَصَلَبَهُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ قُتِلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ سَلْمِ بْنِ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ قِيلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ يَزِيدُ سَلْمَ بْنَ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ سَلْمًا قَدِمَ عَلَى يَزِيدَ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ يَا أَبَا حَرْبٍ أُوَلِّيكَ عَمَلَ أَخَوَيْكَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَبَّادٍ. |
| فَقَالَ مَا أَحَبَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَوَلَّاهُ خُرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ ، فَوَجَّهَ سَلْمٌ الْحَارِثَ بْنَ مُعَاوِيَةَ الْحَارِثِيَّ جَدَّ عِيسَى بْنِ شَبِيبٍ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَقَدِمَ سَلْمٌ الْبَصْرَةَ فَتَجَهَّزَ مِنْهَا ، فَوَجَّهَ أَخَاهُ يَزِيدَ إِلَى سِجِسْتَانَ ، فَكَتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ إِلَى أَخِيهِ عَبَّادٍ يُخْبِرُهُ بِوِلَايَةِ سَلْمٍ ، فَقَسَّمَ عَبَّادٌ مَا فِي بَيْتِ الْمَالِ عَلَى عَبِيدِهِ وَفَضَلَ فَضْلٌ فَنَادَى مَنْ أَرَادَ سَلَفًا فَلْيَأْخُذْ ، فَأَسْلَفَ كُلَّ مَنْ أَتَاهُ ، وَخَرَجَ عَبَّادٌ مِنْ سِجِسْتَانَ. |
| فَلَمَّا كَانَ بِجِيرَفْتَ بَلَغَهُ مَكَانُ سَلْمٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ ، فَعَدَلَ عَنْهُ ، فَذَهَبَ لِعَبَّادٍ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَلْفُ مَمْلُوكٍ أَقَلُّ مَا مَعَ أَحَدِهِمْ عَشَرَةُ آلَافٍ. |
| وَسَارَ عَبَّادٌ عَلَى فَارِسَ فَقَدِمَ عَلَى يَزِيدَ فَسَأَلَهُ عَنِ الْمَالِ ، فَقَالَ كُنْتُ صَاحِبَ ثَغْرٍ فَقَسَمْتُ مَا أَصَبْتُ بَيْنَ النَّاسِ. |
| وَلَمَّا سَارَ سَلْمٌ إِلَى خُرَاسَانَ كَتَبَ مَعَهُ يَزِيدُ إِلَى أَخِيهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَنْتَخِبُ لَهُ سِتَّةَ آلَافِ فَارِسٍ ، وَقِيلَ أَلْفَيْ فَارِسٍ ، وَكَانَ سَلْمٌ يَنْتَخِبُ الْوُجُوهَ ، فَخَرَجَ مَعَهُ عِمْرَانُ بْنُ الْفُضَيْلِ الْبُرْجُمِيُّ وَالْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ السُّلَمِيُّ وَطَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلَفٍ الْخُزَاعِيُّ وَحَنْظَلَةُ بْنُ عَرَادَةَ وَيَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ الْعُدْوَانِيُّ وَصِلَةُ بْنُ أَشْيَمٍ الْعَدَوِيُّ وَغَيْرُهُمْ. |
| وَسَارَ سَلْمٌ إِلَى خُرَاسَانَ وَعَبَرَ النَّهْرَ غَازِيًا ، وَكَانَ عُمَّالُ خُرَاسَانَ قَبْلَهُ يَغْزُونَ ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّتَاءُ رَجَعُوا إِلَى مَرْوِ الشَّاهِجَانِ ، فَإِذَا انْصَرَفَ الْمُسْلِمُونَ اجْتَمَعَ مُلُوكُ خُرَاسَانَ بِمَدِينَةٍ مِمَّا يَلِي خُوَارِزْمَ فَيَتَعَاقَدُونَ أَنْ لَا يَغْزُوَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَتَشَاوَرُونَ فِي أُمُورِهِمْ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَطْلُبُونَ إِلَى أُمَرَائِهِمْ غَزْوَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ فَيَأْبَوْنَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ سَلْمٌ غَزَا فَشَتَا فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ وَسَأَلَهُ التَّوَجُّهَ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، فَوَجَّهَهُ فِي سِتَّةِ آلَافٍ ، وَقِيلَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، فَحَاصَرَهُمْ ، فَطَلَبُوا أَنْ يُصَالِحَهُمْ عَلَى أَنْ يَفْدُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَصَالَحُوهُ عَلَى نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفٍ ، وَكَانَ فِي صُلْحِهِمْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ عُرُوضًا ، فَكَانَ يَأْخُذُ الرَّأْسَ وَالدَّابَّةَ وَالْمَتَاعَ بِنِصْفِ ثَمَنِهِ ، فَبَلَغَتْ قِيمَةُ مَا أَخَذَ مِنْهُمْ خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ ، فَحَظِيَ بِهَا الْمُهَلَّبُ عِنْدَ سَلْمٍ ، وَأَخَذَ سَلْمٌ مِنْ ذَلِكَ مَا أَعْجَبَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى يَزِيدَ. |
| وَغَزَا سَلْمٌ سَمَرْقَنْدَ وَعَبَرَتْ مَعَهُ النَّهْرَ امْرَأَتُهُ أُمُّ مُحَمَّدٍ ابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيَّةُ ، وَهِيَ أَوَّلُ امْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ قُطِعَ بِهَا النَّهْرُ ، فَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا سَمَّاهُ صُغْدَى ، وَاسْتَعَارَتِ امْرَأَتُهُ مِنَ امْرَأَةِ صَاحِبِ الصُّغْدِ حُلِيَّهَا فَلَمْ تُعِدْهُ إِلَيْهَا وَذَهَبَتْ بِهِ. |
| وَوَجَّهَ جَيْشًا إِلَى خُجَنْدَةَ فِيهِمْ أَعْشَى هَمْدَانَ فَهُزِمُوا ، فَقَالَ الْأَعْشَى لَيْتَ خَيْلِي يَوْمَ الْخُجَنْدَةِ لَمْ تُهْ... |
| زَمْ وَغُودِرَتْ فِي الْمَكَرِّ سَلِيبَا تَحْضُرُ الطَّيْرُ مَصْرَعِي وَتَرَوَّحْ... |
| تُ إِلَى اللَّهِ بِالدِّمَاءِ خَضِيبَا ذِكْرُ وِلَايَةِ يَزِيدَ بْنِ زِيَادٍ وَطَلْحَةِ الطَّلَحَاتِ سِجِسْتَانَ وَلَمَّا اسْتَعْمَلَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ سَلْمَ بْنَ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ اسْتَعْمَلَ أَخَاهُ يَزِيدَ عَلَى سِجِسْتَانَ ، فَغَدَرَ أَهْلُ كَابُلَ فَنَكَثُوا وَأَسَرُوا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ زِيَادٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ فِي جَيْشٍ فَاقْتَتَلُوا وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ، فَمِمَّنْ قُتِلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ وَصِلَةُ بْنُ أَشْيَمٍ أَبُو الصَّهْبَاءِ الْعَدَوِيُّ زَوْجُ مُعَاذَةَ الْعَدَوِيَّةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ سَلْمَ بْنَ زِيَادٍ سَيَّرَ طَلْحَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلَفٍ الْخُزَاعِيَّ ، وَهُوَ طَلْحَةُ الطَّلَحَاتِ ، فَفَدَى أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ زِيَادٍ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَسَارَ طَلْحَةُ مِنْ كَابُلَ إِلَى سِجِسْتَانَ وَالِيًا عَلَيْهَا ، فَجَبَى الْمَالَ وَأَعْطَى زُوَّارَهُ ، وَمَاتَ بِسِجِسْتَانَ وَاسْتَخْلَفَ رَجُلًا مِنْ بَنِي يَشْكُرَ ، فَأَخْرَجَتْهُ الْمُضَرِيَّةُ وَوَقَعَتِ الْعَصَبِيَّةُ فَطَمِعَ فِيهِمْ رِتْبِيلُ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ الْمَدِينَةَ وَالْحِجَازَ وَعَزْلِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ يَزِيدُ عَمْرَو بْنَ سَعْدٍ عَنِ الْمَدِينَةِ وَوَلَّاهَا الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ أَظْهَرَ الْخِلَافَ عَلَى يَزِيدَ وَبُويِعَ بِمَكَّةَ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ الْحُسَيْنِ قَامَ فِي النَّاسِ فَعَظَّمَ قَتْلَهُ وَعَابَ أَهْلَ الْكُوفَةِ خَاصَّةً وَأَهْلَ الْعِرَاقِ عَامَّةً ، فَقَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ غُدُرٌ فُجُرٌ إِلَّا قَلِيلًا ، وَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ شِرَارُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَإِنَّهُمْ دَعَوُا الْحُسَيْنَ لِيَنْصُرُوهُ وَيُوَلُّوهُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ ثَارُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا إِمَّا أَنْ تَضَعَ يَدَكَ فِي أَيْدِينَا ، فَنَبْعَثُ بِكَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ابْنِ سُمَيَّةَ فَيُمْضِي فِيكَ حُكْمَهُ ، وَإِمَّا أَنْ تُحَارَبَ ، فَرَأَى وَاللَّهِ أَنَّهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قَلِيلٌ فِي كَثِيرٍ ، فَإِنْ كَانَ اللَّهُ لَمْ يُطْلِعْ عَلَى الْغَيْبِ أَحَدًا أَنَّهُ مَقْتُولٌ وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ الْمِيتَةَ الْكَرِيمَةَ عَلَى الْحَيَاةِ الذَّمِيمَةِ ، فَرَحِمَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ وَأَخْزَى قَاتِلَهُ! |
| لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ مِنْ خِلَافِهِمْ إِيَّاهُ وَعِصْيَانِهِمْ مَا كَانَ فِي مِثْلِهِ وَاعِظٌ وَنَاهٍ عَنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُ مَا قُرِّرَ نَازِلٌ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا لَمْ يُدْفَعْ ، أَفَبَعْدَ الْحُسَيْنِ نَطْمَئِنُّ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَنُصَدِّقُ قَوْلَهُمْ وَنَقْبَلُ لَهُمْ عَهْدًا ؟ |
| لَا وَاللَّهِ لَا نَرَاهُمْ لِذَلِكَ أَهْلًا ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ قَتَلُوهُ طَوِيلًا بِاللَّيْلِ قِيَامُهُ ، كَثِيرًا فِي النَّهَارِ صِيَامُهُ ، أَحَقُّ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْهُمْ وَأَوْلَى بِهِ فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ ، أَمَا وَاللَّهِ مَا كَانَ يُبَدِّلُ بِالْقُرْآنِ الْغِنَاءَ ، وَلَا بِالْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ الْحُدَاءَ ، وَلَا بِالصِّيَامِ شُرْبَ الْخَمْرِ ، وَلَا بِالْمَجَالِسِ فِي حَلَقِ الذِّكْرِ تِطْلَابِ الصَّيْدِ ، يُعَرِّضُ بِيَزِيدَ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا مريم . |
| فَثَارَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا أَظْهِرْ بَيْعَتَكَ فَإِنَّكَ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِذْ هَلَكَ الْحُسَيْنُ يُنَازِعُكَ هَذَا الْأَمْرَ. |
| وَقَدْ كَانَ يُبَايِعُ سِرًّا وَيُظْهِرُ أَنَّهُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ. |
| فَقَالَ لَهُمْ لَا تُعَجِّلُوا ، وَعَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ يَوْمَئِذٍ عَامِلُ مَكَّةَ ، وَهُوَ أَشَدُّ شَيْءٍ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُدَارِي وَيَرْفُقُ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ عِنْدَ يَزِيدَ مَا قَدْ جَمَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ مِنَ الْجُمُوعِ أَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا لَيُوثِقَنَّهُ فِي سِلْسِلَةٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ مَعَ ابْنِ عِضَاهٍ الْأَشْعَرِيِّ وَسَعْدٍ وَأَصْحَابِهِمَا لَيَأْتُوهُ بِهِ فِيهَا ، وَبَعَثَ مَعَهُمْ بُرْنُسَ خَزٍّ لِيُلْبِسُوهُ عَلَيْهَا لِئَلَّا تَظْهَرَ لِلنَّاسِ. |
| فَاجْتَازَ ابْنُ عِضَاهٍ بِالْمَدِينَةِ وَبِهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَأَخْبَرَهُ مَا قَدِمَ لَهُ ، فَأَرْسَلَ مَرْوَانُ مَعَهُ وَلَدَيْنِ لَهُ أَحَدُهُمَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَقَالَ إِذَا بَلَغَتْهُ رُسُلُ يَزِيدَ فَتَعَرَّضَا لَهُ وَلْيَتَمَثَّلْ أَحَدُكُمَا بِهَذَا الْقَوْلِ ، فَقَالَ فَخُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ... |
| وَفِيهَا فِعَالٌ لِامْرِئٍ مُتَذَلِّلٍ أَعَامِرُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً... |
| وَذَلِكَ فِي الْجِيرَانِ غَزْلٌ بِمِغْزَلِ أَرَاكَ إِذَا مَا كُنْتَ لِلْقَوْمِ نَاصِحًا... |
| يُقَالُ لَهُ بِالدَّلْوِ أَدْبِرْ وَأَقْبِلِ فَلَمَّا بَلَّغَهُ الرَّسُولُ الرِّسَالَةَ قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْأَبْيَاتَ ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَا بَنِي مَرْوَانَ قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتُمَا فَأَخْبِرَا أَبَاكُمَا إِنِّي لَمِنْ نَبْعَةٍ صُمٍّ مَكَاسِرُهَا... |
| إِذَا تَنَاوَحَتِ الْقَصْبَاءُ وَالْعُشَرُ فَلَا أَلِينُ لِغَيْرِ الْحَقِّ أَسْأَلُهُ... |
| حَتَّى يَلِينَ لِضِرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ وَامْتَنَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ رُسُلِ يَزِيدَ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ وَنَاسٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ لِيَزِيدَ لَوْ شَاءَ عَمْرٌو لَأَخَذَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَسَرَّحَهُ إِلَيْكَ. |
| فَعُزِلَ عَمْرٌو وَوَلِيَ الْوَلِيدُ الْحِجَازَ ، وَأَخَذَ الْوَلِيدُ غِلْمَانَ عَمْرٍو وَمَوَالِيهِ فَحَبَسَهُمْ ، فَكَلَّمَهُ عَمْرٌو فَأَبَى أَنْ يُخَلِّيَهُمْ ، فَسَارَ عَنِ الْمَدِينَةِ لَيْلَتَيْنِ وَأَرْسَلَ إِلَى غِلْمَانِهِ بِعِدَّتِهِمْ مِنَ الْإِبِلِ ، فَكَسَرُوا الْحَبْسَ وَسَارُوا إِلَيْهِ فَلَحِقُوهُ عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى الشَّامِ ، فَدَخَلَ عَلَى يَزِيدَ وَأَعْلَمَهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ مُكَايَدَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَعَذَرَهُ وَعَلِمَ صِدْقَهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ حَجَّ بِالنَّاسِ الْوَلِيدُ هَذِهِ السَّنَةَ. |
| وَكَانَ الْأَمِيرُ بِالْعِرَاقِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ سَلْمُ بْنُ زِيَادٍ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْحٌ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ هِشَامُ بْنُ هُبَيْرَةَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ النَّخَعِيُّ صَاحِبُ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ ، وَقِيلَ خَمْسٍ ، وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْمُنْذِرُ بْنُ الْجَارُودِ الْعَبْدِيُّ. |
| وَجَابِرُ بْنُ عَتِيكٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَقِيلَ حُرٌّ وَكَانَ عُمُرُهُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَشَهِدَ بَدْرًا. |
| وَفِيهَا مَاتَ حَمْزَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيُّ ، وَعُمُرُهُ إِحْدَى وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ ثَمَانُونَ سَنَةً ، لَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ خَالِدُ بْنُ عُرْفُطَةَ اللَّيْثِيُّ ، وَقِيلَ الْعُذْرِيُّ ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ سِتِّينَ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ذِكْرُ وَفْدِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ لَمَّا وَلِيَ الْوَلِيدُ الْحِجَازَ أَقَامَ يُرِيدُ غِرَّةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَلَا يَجِدُهُ إِلَّا مُحْتَرِزًا مُمْتَنِعًا ، وَثَارَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ النَّخَعِيُّ بِالْيَمَامَةِ حِينَ قُتِلَ الْحُسَيْنُ ، وَثَارَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِالْحِجَازِ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ يُفِيضُ مِنَ الْمُعَرَّفِ وَيُفِيضُ مَعَهُ سَائِرُ النَّاسِ ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَاقِفٌ وَأَصْحَابُهُ ، وَنَجْدَةُ وَاقِفٌ فِي أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ يُفِيضُ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِأَصْحَابِهِ وَنَجْدَةُ بِأَصْحَابِهِ ، وَكَانَ نَجْدَةُ يَلْقَى ابْنَ الزُّبَيْرِ فَيُكْثِرُ ، حَتَّى ظَنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ أَنَّهُ سَيُبَايِعُهُ ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَمِلَ بِالْمَكْرِ فِي أَمْرِ الْوَلِيدِ ، فَكَتَبَ إِلَى يَزِيدَ إِنَّكَ بَعَثْتَ إِلَيْنَا رَجُلًا أَخْرَقَ لَا يَتَّجِهُ لِرُشْدٍ وَلَا يَرْعَوِي لِعِظَةِ الْحَكِيمِ ، فَلَوْ بَعَثْتَ رَجُلًا سَهْلَ الْخُلُقِ رَجَوْتُ أَنْ يَسْهُلَ مِنَ الْأُمُورِ مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهَا ، وَأَنْ يَجْتَمِعَ مَا تَفَرَّقَ. |
| فَعَزَلَ يَزِيدُ الْوَلِيدَ وَوَلَّى عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانٍ ، وَهُوَ فَتًى غِرٌّ حَدَثٌ لَمْ يُجَرِّبِ الْأُمُورَ وَلَمْ يُحَنِّكْهُ السِّنُّ ، لَا يَكَادُ يَنْظُرُ فِي شَيْءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ وَلَا عَمَلِهِ ، فَبَعَثَ إِلَى يَزِيدَ وَفْدًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ غَسِيلِ الْمَلَائِكَةِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عَمْرِو بْنِ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَرِجَالًا كَثِيرًا مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَقَدِمُوا عَلَى يَزِيدَ ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَأَعْظَمَ جَوَائِزَهُمْ ، فَأَعْطَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ ، وَكَانَ شَرِيفًا فَاضِلًا عَابِدًا سَيِّدًا ، مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ مَعَهُ ثَمَانِيَةُ بَنِينَ ، فَأَعْطَى كُلَّ وَلَدٍ عَشْرَةَ آلَافٍ. |
| فَلَمَّا رَجَعُوا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ كُلُّهُمْ إِلَّا الْمُنْذِرَ بْنَ الزُّبَيْرِ ، فَإِنَّهُ قَدِمَ الْعِرَاقَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ ، وَكَانَ يَزِيدُ قَدْ أَجَازَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ أُولَئِكَ النَّفَرُ الْوَفْدُ الْمَدِينَةَ قَامُوا فِيهِمْ فَأَظْهَرُوا شَتْمَ يَزِيدَ وَعَيْبَهُ وَقَالُوا قَدِمْنَا مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ دِينٌ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَيَضْرِبُ بِالطَّنَابِيرِ وَيَعْزِفُ عِنْدَهُ الْقِيَانُ وَيَلْعَبُ بِالْكِلَابِ وَيَسْمُرُ عِنْدَهُ الْحُرَّابُ ، وَهُمُ اللُّصُوصُ ، وَإِنَّا نُشْهِدُكُمْ أَنَّا قَدْ خَلَعْنَاهُ. |
| وَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ فَقَالَ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا بَنِيَّ هَؤُلَاءِ لَجَاهَدْتُهُ بِهِمْ ، وَقَدْ أَعْطَانِي وَأَكْرَمَنِي وَمَا قَبِلْتُ مِنْهُ عَطَاءَهُ إِلَّا لِأَتَقَوَّى بِهِ. |
| فَخَلَعَهُ النَّاسُ وَبَايَعُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ عَلَى خَلْعِ يَزِيدَ وَوَلَّوْهُ عَلَيْهِمْ. |
| وَأَمَّا الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهُ قَدِمَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ فَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ صَدِيقَ زِيَادٍ ، فَأَتَاهُ كِتَابُ يَزِيدَ حَيْثُ بَلَغَهُ أَمْرُ الْمَدِينَةِ يَأْمُرُهُ بِحَبْسِ الْمُنْذِرِ ، فَكَرِهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ ضَيْفُهُ وَصَدِيقُ أَبِيهِ ، فَدَعَاهُ وَأَخْبَرَهُ بِالْكِتَابِ ، فَقَالَ لَهُ إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدِي فَقُمْ وَقُلِ ائْذَنْ لِي لِأَنْصَرِفَ إِلَى بِلَادِي ، فَإِذَا قُلْتُ بَلْ أَقِمْ عِنْدِي فَلَكَ الْكَرَامَةُ وَالْمُوَاسَاةُ ، فَقُلْ إِنَّ لِي ضَيْعَةً وَشُغْلًا وَلَا أَجِدُ بُدًّا لِي مِنْ الِانْصِرَافِ ، فَإِنِّي آذَنُ لَكَ فِي الِانْصِرَافِ فَتَلْحَقُ بِأَهْلِكَ. |
| فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ فَعَلَ الْمُنْذِرُ ذَلِكَ فَأَذِنَ لَهُ فِي الِانْصِرَافِ ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَكَانَ مِمَّنْ يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى يَزِيدَ ، وَقَالَ إِنَّهُ قَدْ أَجَازَنِي بِمِائَةِ أَلْفٍ وَلَا يَمْنَعُنِي مَا صَنَعَ بِي أَنْ أُخْبِرَكُمْ خَبَرَهُ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَسْكَرُ حَتَّى يَدَعَ الصَّلَاةَ! |
| وَعَابَهُ بِمِثْلِ مَا عَابَهُ بِهِ أَصْحَابُهُ وَأَشَدَّ. |
| فَبَعَثَ يَزِيدُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ لَهُ إِنَّ عَدَدَ النَّاسِ بِالْمَدِينَةِ قَوْمُكَ ، فَإِنَّهُمْ مَا يَمْنَعُهُمْ شَيْءٌ عَمَّا يُرِيدُونَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَنْهَضُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ لَمْ يَجْتَرِئِ النَّاسُ عَلَى خِلَافِي . |
| فَأَقْبَلَ النُّعْمَانُ فَأَتَى قَوْمَهُ فَأَمَرَهُمْ بِلُزُومِ الطَّاعَةِ وَخَوَّفَهُمُ الْفِتْنَةَ ، قَالَ لَهُمْ إِنَّكُمْ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِأَهْلِ الشَّامِ. |
| فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ الْعَدَوِيُّ يَا نُعْمَانُ مَا يَحْمِلُكَ عَلَى فَسَادِ مَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِنَا وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِنَا ؟ |
| فَقَالَ النُّعْمَانُ وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِكَ لَوْ نَزَلَ بِكَ الْجُمُوعُ وَقَامَتْ لَكَ عَلَى الرُّكَبِ تَضْرِبُ مَفَارِقَ الْقَوْمِ وَجِبَاهَهُمْ بِالسَّيْفِ وَدَارَتْ رَحَا الْمَوْتِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ رَكِبْتَ بَغْلَتَكَ إِلَى مَكَّةَ وَخَلَّفْتَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ ، يَعْنِي الْأَنْصَارَ ، يُقْتَلُونَ فِي سِكَكِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ وَعَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ. |
| فَعَصَاهُ النَّاسُ وَانْصَرَفَ ، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ إِفْرِيقِيَّةَ ثَانِيَةً وَمَا افْتَتَحَهُ فِيهَا وَقَتْلِهِ قَدْ ذَكَرْنَا عَزْلَ عُقْبَةَ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ وَعَوْدَهُ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَعَدَهُ بِإِعَادَتِهِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَتُوُفِّي مُعَاوِيَةُ وَعُقْبَةُ فِي الشَّامِ ، فَاسْتَعْمَلَهُ يَزِيدُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَأَرْسَلَهُ إِلَيْهَا ، فَوَصَلَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ مُجِدًّا ، وَقَبَضَ أَبَا الْمُهَاجِرِ أَمِيرَهَا وَأَوْثَقَهُ فِي الْحَدِيدِ وَتَرَكَ بِالْقَيْرَوَانِ جُنْدًا مَعَ الذَّرَارِيِّ وَالْأَمْوَالِ وَاسْتَخْلَفَ بِهَا زُهَيْرَ بْنَ قَيْسٍ الْبَلَوِيَّ ، وَأَحْضَرَ أَوْلَادَهُ ، فَقَالَ لَهُ إِنِّي قَدْ بِعْتُ نَفْسِي مِنَ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَا أَزَالُ أُجَاهِدُ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ. |
| وَأَوْصَى بِمَا يُفْعَلُ بَعْدَهُ. |
| ثُمَّ سَارَ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ حَتَّى دَخَلَ مَدِينَةَ بَاغَايَةَ ، وَقَدِ اجْتَمَعَ بِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الرُّومِ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا وَانْهَزَمُوا عَنْهُ وَقَتَلَ فِيهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا وَغَنِمَ مِنْهُمْ غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، وَدَخَلَ الْمُنْهَزِمُونَ الْمَدِينَةَ وَحَاصَرَهُمْ عُقْبَةُ. |
| ثُمَّ كَرِهَ الْمُقَامَ عَلَيْهِمْ فَسَارَ إِلَى بِلَادِ الزَّابِ ، وَهِيَ بِلَادٌ وَاسِعَةٌ فِيهَا عِدَّةُ مُدُنٍ وَقُرًى كَثِيرَةٌ ، فَقَصَدَ مَدِينَتَهَا الْعُظْمَى وَاسْمُهَا أَرَبَةُ ، فَامْتَنَعَ بِهَا مَنْ هُنَاكَ مِنَ الرُّومِ وَالنَّصَارَى ، وَهَرَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْجِبَالِ ، فَاقْتَتَلَ الْمُسْلِمُونَ وَمَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنَ النَّصَارَى عِدَّةَ دَفَعَاتٍ ثُمَّ انْهَزَمَ النَّصَارَى وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ فُرْسَانِهِمْ ، وَرَحَلَ إِلَى تَاهَرْتَ . |
| فَلَمَّا بَلَغَ الرُّومَ خَبَرُهُ اسْتَعَانُوا بِالْبَرْبَرِ فَأَجَابُوهُمْ وَنَصَرُوهُمْ ، فَاجْتَمَعُوا فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ وَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِكَثْرَةِ الْعَدُوِّ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَصَرَهُمْ فَانْهَزَمَتِ الرُّومُ وَالْبَرْبَرُ وَأَخَذَهُمُ السَّيْفُ وَكَثُرَ فِيهِمُ الْقَتْلُ وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ أَمْوَالَهُمْ وَسِلَاحَهُمْ. |
| ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى طَنْجَةَ فَلَقِيَهُ بِطْرِيقٌ مِنَ الرُّومِ اسْمُهُ يَلْيَانُ فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً حَسَنَةً وَنَزَلَ عَلَى حُكْمِهِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ الْأَنْدَلُسِ فَعَظُمَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْبَرْبَرِ ، فَقَالَ هُمْ كَثِيرُونَ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، وَهُمْ بِالسُّوسِ الْأَدْنَى ، وَهُمْ كُفَّارٌ لَمْ يَدْخُلُوا فِي النَّصْرَانِيَّةِ وَلَهُمْ بَأْسٌ شَدِيدٌ. |
| فَسَارَ عُقْبَةُ إِلَيْهِمْ نَحْوَ السُّوسِ الْأَدْنَى ، وَهِيَ مَغْرِبُ طَنْجَةَ ، فَانْتَهَى إِلَى أَوَائِلِ الْبَرْبَرِ ، فَلَقَوْهُ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَقَتَلَ فِيهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا وَبَعَثَ خَيْلَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ هَرَبُوا إِلَيْهِ ، وَسَارَ هُوَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى السُّوسِ الْأَقْصَى ، وَقَدِ اجْتَمَعَ لَهُ الْبَرْبَرُ فِي عَالَمٍ لَا يُحْصَى ، فَلَقِيَهُمْ وَقَاتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ ، وَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ حَتَّى مَلُّوا وَغَنِمُوا مِنْهُمْ وَسَبَوْا سَبْيًا كَثِيرًا ، وَسَارَ حَتَّى بَلَغَ مَالِيَانَ وَرَأَى الْبَحْرَ الْمُحِيطَ ، فَقَالَ يَا رَبِّ لَوْلَا هَذَا الْبَحْرُ لَمَضَيْتُ فِي الْبِلَادِ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِكَ. |
| ثُمَّ عَادَ فَنَفَرَ الرُّومُ وَالْبَرْبَرُ عَنْ طَرِيقِهِ خَوْفًا مِنْهُ ، وَاجْتَازَ بِمَكَانٍ يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِمَاءِ الْفَرَسِ فَنَزَلَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ مَاءٌ ، فَلَحِقَ النَّاسَ عَطَشٌ كَثِيرٌ أَشْرَفُوا مِنْهُ عَلَى الْهَلَاكِ ، فَصَلَّى عُقْبَةُ رَكْعَتَيْنِ وَدَعَا فَبَحَثَ فَرَسٌ لَهُ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ فَكَشَفَ لَهُ عَنْ صَفَاةٍ فَانْفَجَرَ الْمَاءُ ، فَنَادَى عُقْبَةُ فِي النَّاسِ فَحَفَرُوا أَحْسَاءَ كَثِيرَةً وَشَرِبُوا ، فَسُمِّيَ مَاءَ الْفَرَسِ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ طُبْنَةَ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَيْرَوَانِ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ ، أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَتَقَدَّمُوا فَوْجًا فَوْجًا ثِقَةً مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَأَنَّهُ لَمْ يُبْقِ أَحَدًا يَخْشَاهُ ، وَسَارَ إِلَى تَهُوذَةَ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، فَلَمَّا رَآهُ الرُّومُ فِي قِلَّةٍ طَمِعُوا فِيهِ فَأَغْلَقُوا بَابَ الْحِصْنِ وَشَتَمُوهُ وَقَاتَلُوهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ كُسَيْلَةَ بْنِ لَمْزَمَ الْبَرْبَرِيِّ عَلَى عُقْبَةَ هَذَا كُسَيْلَةُ بْنُ لَمْزَمَ الْبَرْبَرِيُّ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ لَمَّا وَلِيَ أَبُو الْمُهَاجِرِ إِفْرِيقِيَّةَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ الْبَرْبَرِ وَأَبْعَدِهِمْ صَوْتًا ، وَصَحِبَ أَبَا الْمُهَاجِرِ ، فَلَمَّا وَلِيَ عُقْبَةُ عَرَّفَهُ أَبُو الْمُهَاجِرِ مَحَلَّ كُسَيْلَةَ وَأَمَرَهُ بِحِفْظِهِ فَلَمْ يَقْبَلْ وَاسْتَخَفَّ بِهِ ، وَأَتَى عُقْبَةُ بِغَنَمٍ فَأَمَرَ كُسَيْلَةَ بِذَبْحِهَا وَسَلْخِهَا مَعَ السَّلَّاخِينَ. |
| فَقَالَ كُسَيْلَةُ هَؤُلَاءِ فِتْيَانِي وَغِلْمَانِي يَكْفُونَنِي الْمُئُونَةَ. |
| فَشَتَمَهُ وَأَمَرَهُ بِسَلْخِهَا ، فَفَعَلَ ، فَقَبَّحَ أَبُو الْمُهَاجِرِ هَذَا عِنْدَ عُقْبَةَ ، فَلَمْ يَرْجِعْ ، فَقَالَ لَهُ أَوْثِقِ الرَّجُلَ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ! |
| فَتَهَاوَنَ بِهِ عُقْبَةُ. |
| فَأَضْمَرَ كُسَيْلَةُ الْغَدْرَ ، فَلَمَّا كَانَ الْآنُ وَرَأَى الرُّومُ قِلَّةَ مَنْ مَعَ عُقْبَةَ أَرْسَلُوا إِلَى كُسَيْلَةَ وَأَعْلَمُوهُ حَالَهُ ، وَكَانَ فِي عَسْكَرِ عُقْبَةَ مُضْمِرًا لِلْغَدْرِ ، وَقَدْ أَعْلَمَ الرُّومَ ذَلِكَ وَأَطْمَعَهُمْ. |
| فَلَمَّا رَاسَلُوهُ أَظْهَرَ مَا كَانَ يُضْمِرُهُ وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَبَنِي عَمِّهِ وَقَصَدَ عُقْبَةَ ، فَقَالَ أَبُو الْمُهَاجِرِ عَاجِلْهُ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى جَمْعُهُ. |
| وَكَانَ أَبُو الْمُهَاجِرِ مُوَثَّقًا فِي الْحَدِيدِ مَعَ عُقْبَةَ. |
| فَزَحَفَ عُقْبَةُ إِلَى كُسَيْلَةَ ، فَتَنَحَّى كُسَيْلَةُ عَنْ طَرِيقِهِ لِيَكْثُرَ جَمْعُهُ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو الْمُهَاجِرِ ذَلِكَ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ أَبِي مِحْجَنٍ الثَّقَفِيِّ كَفَى حَزَنًا أَنْ تُمْرَغَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا... |
| وَأُتْرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا إِذَا قُمْتُ عَنَّانِي الْحَدِيدُ وَأُغْلِقَتْ... |
| مَصَارِعُ مَنْ دُونِي تُصِمُّ الْمُنَادِيَا فَبَلَغَ عُقْبَةُ ذَلِكَ فَأَطْلَقَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَقْ بِالْمُسْلِمِينَ وَقُمْ بِأَمْرِهِمْ وَأَنَا أَغْتَنِمُ الشَّهَادَةَ. |
| فَلَمْ يَفْعَلْ وَقَالَ وَأَنَا أَيْضًا أُرِيدُ الشَّهَادَةَ. |
| فَكَسَّرَ عُقْبَةُ وَالْمُسْلِمُونَ أَجْفَانَ سُيُوفِهِمْ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْبَرْبَرِ وَقَاتَلُوهُمْ ، فَقُتِلَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ لَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَأُسِرَ مُحَمَّدُ بْنُ أَوْسٍ الْأَنْصَارِيُّ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، فَخَلَّصَهُمْ صَاحِبُ قَفْصَةَ وَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى الْقَيْرَوَانِ. |
| فَعَزَمَ زُهَيْرُ بْنُ قَيْسٍ الْبَلَوِيُّ عَلَى الْقِتَالِ ، فَخَالَفَهُ حَنَشٌ الصَّنْعَانِيُّ وَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، فَتَبِعَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ ، فَاضْطَرَّ زُهَيْرٌ إِلَى الْعَوْدِ مَعَهُمْ ، فَسَارَ إِلَى بَرْقَةَ وَأَقَامَ بِهَا. |
| وَأَمَّا كُسَيْلَةُ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَقَصَدَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَبِهَا أَصْحَابُ الْأَنْفَالِ وَالذَّرَارِيِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَطَلَبُوا الْأَمَانَ مِنْ كُسَيْلَةَ فَآمَنَهُمْ وَدَخَلَ الْقَيْرَوَانَ وَاسْتَوْلَى عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ قَوِيَ أَمْرُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَاسْتَعْمَلَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ زُهَيْرَ بْنَ قَيْسٍ الْبَلَوِيَّ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِبَرْقَةَ مُرَابِطًا. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ زُهَيْرِ بْنِ قَيْسٍ إِفْرِيقِيَّةَ وَقَتْلِهِ وَقَتْلِ كُسَيْلَةَ لَمَّا وَلِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ذُكِرَ عِنْدَهُ مَنْ بِالْقَيْرَوَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِإِنْفَاذِ الْجُيُوشِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ لِاسْتِنْقَاذِهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَى زُهَيْرِ بْنِ قَيْسٍ الْبَلَوِيِّ بِوِلَايَةَ إِفْرِيقِيَّةَ وَجَهَّزَ لَهُ جَيْشًا كَثِيرًا ، فَسَارَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ. |
| فَبَلَغَ خَبَرُهُ إِلَى كُسَيْلَةَ ، فَاحْتَفَلَ وَجَمَعَ وَحَشَدَ الْبَرْبَرَ وَالرُّومَ وَأَحْضَرَ أَشْرَافَ أَصْحَابِهِ وَقَالَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرْحَلَ إِلَى مَمْشَ فَأَنْزِلَهَا فَإِنَّ بِالْقَيْرَوَانِ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَهُمْ عَلَيْنَا عَهْدٌ فَلَا نَغْدِرُ بِهِمْ وَنَخَافُ إِنْ قَاتَلْنَا زُهَيْرًا أَنْ يَثِبَ هَؤُلَاءِ مِنْ وَرَائِنَا ، فَإِذَا نَزَلْنَا مَمْشَ أَمِنَّاهُمْ وَقَاتَلْنَا زُهَيْرًا ، فَإِنْ ظَفِرْنَا بِهِمْ تَبِعْنَاهُمْ إِلَى طَرَابُلْسَ وَقَطَعْنَا أَثَرَهُمْ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَإِنْ ظَفِرُوا بِنَا تَعَلَّقْنَا بِالْجِبَالِ وَنَجَوْنَا. |
| فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَرَحَلَ إِلَى مَمْشَ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ زُهَيْرًا فَلَمْ يَدْخُلِ الْقَيْرَوَانَ بَلْ أَقَامَ ظَاهِرَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَرَاحَ وَاسْتَرَاحَ ، وَرَحَلَ فِي طَلَبِ كُسَيْلَةَ ، فَلَمَّا قَارَبَهُ نَزَلَ وَعَبَّى أَصْحَابَهُ وَرَكِبَ إِلَيْهِ ، فَالْتَقَى الْعَسْكَرَانِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي الْفَرِيقَيْنِ ، حَتَّى أَيِسَ النَّاسُ مِنَ الْحَيَاةِ ، فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ أَكْثَرَ النَّهَارِ ، ثُمَّ نَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ وَانْهَزَمَ كُسَيْلَةُ وَأَصْحَابُهُ وَقُتِلَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ بِمَمْشَ ، وَتَبِعَ الْمُسْلِمُونَ الْبَرْبَرَ وَالرُّومَ فَقَتَلُوا مَنْ أَدْرَكُوا مِنْهُمْ فَأَكْثَرُوا ، وَفِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ ذَهَبَ رِجَالُ الْبَرْبَرِ وَالرُّومِ وَمُلُوكُهُمْ وَأَشْرَافُهُمْ ، وَعَادَ زُهَيْرٌ إِلَى الْقَيْرَوَانِ. |
| ثُمَّ إِنَّ زُهَيْرًا رَأَى بِإِفْرِيقِيَّةَ مُلْكًا عَظِيمًا فَأَبَى أَنْ يُقِيمَ وَقَالَ إِنَّمَا قَدِمْتُ لِلْجِهَادِ فَأَخَافُ أَنْ أَمِيلَ إِلَى الدُّنْيَا فَأَهْلِكَ. |
| وَكَانَ عَابِدًا زَاهِدًا ، فَتَرَكَ بِالْقَيْرَوَانِ عَسْكَرًا وَهُمْ آمِنُونَ لِخُلُوِّ الْبِلَادِ مِنْ عَدْوٍ أَوْ ذِي شَوْكَةٍ ، وَرَحَلَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ إِلَى مِصْرَ. |
| وَكَانَ قَدْ بَلَغَ الرُّومَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَسِيرُ زُهَيْرٍ مِنْ بَرْقَةَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ لِقِتَالِ كُسَيْلَةَ ، فَاغْتَنَمُوا خُلُوَّهَا فَخَرَجُوا إِلَيْهَا فِي مَرَاكِبَ كَثِيرَةٍ وَقُوَّةٍ قَوِيَّةٍ مِنْ جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ وَأَغَارُوا عَلَى بَرْقَةَ ، فَأَصَابُوا مِنْهَا سَبْيًا كَثِيرًا ، وَقَتَلُوا وَنَهَبُوا ، وَوَافَقَ ذَلِكَ قُدُومَ زُهَيْرٍ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى بَرْقَةَ ، فَأُخْبِرَ الْخَبَرَ ، فَأَمَرَ الْعَسْكَرَ بِالسُّرْعَةِ وَالْجِدِّ فِي قِتَالِهِمْ ، وَرَحَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَكَانَ الرُّومُ خَلْقًا كَثِيرًا ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ اسْتَغَاثُوا بِهِ فَلَمْ يُمْكِنْهُ الرُّجُوعُ وَبَاشَرَ الْقِتَالُ وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ وَعَظُمَ الْخَطْبُ وَتَكَاثَرَ الرُّومُ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوا زُهَيْرًا وَأَصْحَابَهُ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَعَادَ الرُّومُ بِمَا غَنِمُوا إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ. |
| وَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِقَتْلِ زُهَيْرٍ عَظُمَ عَلَيْهِ وَاشْتَدَّ ثُمَّ سَيَّرَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ حَسَّانَ بْنَ النُّعْمَانِ الْغَسَّانِيَّ ، وَسَنَذْكُرُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. |
| وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَذْكُرَ وِلَايَةَ زُهَيْرٍ وَقَتْلَهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهُ هَا هُنَا لِيَتَّصِلَ خَبَرُ كُسَيْلَةَ وَمَقْتَلُهُ ، فَإِنَّ الْحَادِثَةَ وَاحِدَةٌ وَإِذَا تَفَرَّقَتْ لَمْ تُعْلَمْ حَقِيقَتُهَا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ حَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ. |
| وَفِيهَا وُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَالِدُ السَّفَّاحِ وَالْمَنْصُورِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ الْهَاشِمِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَمَسْلَمَةُ بْنُ مُخَلَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَكَانَ عُمُرُهُ لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ. |
| وَتُوُفِّيَ بِمِصْرَ مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. |
| مُخَلَّدٌ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ اللَّامِ وَتَشْدِيدِهَا . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ذِكْرُ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ كَانَ أَوَّلُ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ خَلْعِ يَزِيدَ ، فَلَمَّا كَانَ هَذِهِ السَّنَةُ أَخْرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَامِلَ يَزِيدَ وَحَصَرُوا بَنِي أُمَيَّةَ بَعْدَ بَيْعَتِهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ ، فَاجْتَمَعَ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَوَالِيهِمْ وَمَنْ يَرَى رَأْيَهُمْ فِي أَلْفِ رَجُلٍ حَتَّى نَزَلُوا دَارَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَكَتَبُوا إِلَى يَزِيدَ يَسْتَغِيثُونَ بِهِ ، فَقَدِمَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ وَقَدْ وَضَعَ قَدَمَيْهِ فِي طَشْتٍ فِيهِ مَاءٌ لِنَقْرَسٍ كَانَ بِهِمَا ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ تَمَثَّلَ لَقَدْ بَدَّلُوا الْحِلْمَ الَّذِي فِي سَجِيَّتِي... |
| فَبَدَّلْتُ قَوْمِي غِلْظَةً بِلِيَانِ ثُمَّ قَالَ أَمَا يَكُونُ بَنُو أُمَيَّةَ أَلْفَ رَجُلٍ ؟ |
| فَقَالَ الرَّسُولُ بَلَى وَاللَّهِ وَأَكْثَرُ. |
| قَالَ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُقَاتِلُوا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ! |
| فَبَعَثَ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِمْ فِي النَّاسِ ، فَقَالَ قَدْ كُنْتُ ضَبَطْتُ لَكَ الْأُمُورَ وَالْبِلَادَ ، فَأَمَّا الْآنَ إِذْ صَارَتْ دِمَاءُ قُرَيْشٍ تُهْرَقُ بِالصَّعِيدِ فَلَا أُحِبُّ أَنْ أَتَوَلَّى ذَلِكَ. |
| وَبَعَثَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمُحَاصَرَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَا جَمَعْتَهُمَا لِلْفَاسِقِ ، قَتْلَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ وَغَزْوَ الْكَعْبَةِ. |
| ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يَعْتَذِرُ. |
| فَبَعَثَ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ الْمُرِّيِّ ، وَهُوَ الَّذِي سُمِّيَ مُسْرِفًا ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَرِيضٌ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ أَمَا يَكُونُ بَنُو أُمَيَّةَ أَلْفَ رَجُلٍ ؟ |
| فَقَالَ الرَّسُولُ بَلَى. |
| قَالَ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُقَاتِلُوا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ! |
| لَيْسَ هَؤُلَاءِ بِأَهْلٍ أَنْ يُنْصَرُوا فَإِنَّهُمُ الْأَذِلَّاءُ ، دَعْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يُجْهِدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَيَتَبَيَّنَ لَكَ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى طَاعَتِكَ وَمَنْ يَسْتَسْلِمُ. |
| قَالَ وَيْحَكَ! |
| إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ ، فَاخْرُجْ بِالنَّاسِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لِيَزِيدَ إِنَّ لَكَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَوْمًا ، فَإِنْ فَعَلُوا فَارْمِهِمْ بِمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ قَدْ عَرَفْتُ نَصِيحَتَهُ. |
| فَلَمَّا خَلَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَمَرَ مُسْلِمًا بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ ، فَنَادَى فِي النَّاسِ بِالتَّجَهُّزِ إِلَى الْحِجَازِ وَأَنْ يَأْخُذُوا عَطَاءَهُمْ وَمَعُونَةً مِائَةَ دِينَارٍ ، فَانْتُدِبَ لِذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ، وَخَرَجَ يَزِيدُ يَعْرِضُهُمْ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا مُتَنَكِّبٌ قَوْسًا عَرَبِيَّةً ، وَهُوَ يَقُولُ أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ إِذَا اللَّيْلُ سَرَى... |
| وَهَبَطَ الْقَوْمُ عَلَى وَادِي الْقُرَى أَجَمْعَ سَكْرَانَ مِنَ الْقَوْمِ تَرَى... |
| أَمْ جَمْعَ يَقْظَانَ نَفَى عَنْهُ الْكَرَى يَا عَجَبًا مِنْ مُلْحِدٍ يَا عَجَبَا... |
| مُخَادِعٍ بِالدِّينِ يَعْفُو بِالْعَرَى وَسَارَ الْجَيْشُ وَعَلَيْهِمْ مُسْلِمٌ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ إِنْ حَدَثَ بِكَ حَدَثٌ فَاسْتَخْلِفِ الْحُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ السَّكُونِيَّ ، وَقَالَ لَهُ ادْعُ الْقَوْمَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا فَقَاتِلْهُمْ ، فَإِذَا ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ فَانْهَبْهَا ثَلَاثًا ، فَكُلُّ مَا فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ دَابَّةٍ أَوْ سِلَاحٍ أَوْ طَعَامٍ فَهُوَ لِلْجُنْدِ ، فَإِذَا مَضَتِ الثَّلَاثُ فَاكْفُفْ عَنِ النَّاسِ ، وَانْظُرْ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ فَاكْفُفْ عَنْهُ وَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ مَعَ النَّاسِ ، وَإِنَّهُ قَدْ أَتَانِي كِتَابُهُ. |
| وَقَدْ كَانَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ كَلَّمَ ابْنَ عُمَرَ لَمَّا أَخْرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَامِلَ يَزِيدَ وَبَنِي أُمَيَّةَ فِي أَنْ يُغَيِّبَ أَهْلَهُ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَكَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ إِنَّ لِي حُرَمًا وَحُرَمِي تَكُونُ مَعَ حُرَمِكَ. |
| فَقَالَ أَفْعَلُ ، فَبَعَثَ بِامْرَأَتِهِ ، وَهِيَ عَائِشَةُ ابْنَةُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَحُرَمُهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ بِحُرَمِهِ وَحُرَمِ مَرْوَانَ إِلَى يَنْبُعَ ، وَقِيلَ بَلْ أَرْسَلَ حُرَمَ مَرْوَانَ وَأَرْسَلَ مَعَهُمُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ إِلَى الطَّائِفِ. |
| وَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَنَّ يَزِيدَ قَدْ سَيَّرَ الْجُنُودَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ لَيْتَ السَّمَاءَ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ ، إِعْظَامًا لِذَلِكَ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ ابْتُلِيَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنْ وَجَّهَ الْحَجَّاجَ فَحَصَرَ مَكَّةَ وَرَمَى الْكَعْبَةَ بِالْمَنْجَنِيقِ وَقَتَلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ. |
| وَأَمَّا مُسْلِمٌ فَإِنَّهُ أَقْبَلَ بِالْجَيْشِ فَبَلَغَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ خَبَرَهُمْ ، فَاشْتَدَّ حِصَارُهُمْ لِبَنِي أُمَيَّةَ بِدَارِ مَرْوَانَ ، وَقَالُوا وَاللَّهِ لَا نَكُفُّ عَنْكُمْ حَتَّى نَسْتَنْزِلَكُمْ وَنَضْرِبَ أَعْنَاقَكُمْ أَوْ تُعْطُونَا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَنْ لَا تَبْغُونَا غَائِلَةً ، وَلَا تَدُلُّوا لَنَا عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا تُظَاهِرُوا عَلَيْنَا عَدُوًّا ، فَنَكُفَّ عَنْكُمْ وَنُخْرِجَكُمْ عَنَّا فَعَاهَدُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَدْ جَعَلُوا فِي كُلِّ مَنْهَلٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّامِ زِقًّا مِنْ قَطْرَانٍ وَعُوَّرٍ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَسْتَقُوا بِدَلْوٍ حَتَّى وَرَدُوا الْمَدِينَةَ. |
| فَلَمَّا أَخْرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بَنِي أُمَيَّةَ سَارُوا بِأَثْقَالِهِمْ حَتَّى لَقُوا مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ بِوَادِي الْقُرَى فَدَعَا بِعَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَوَّلِ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ خَبِّرْنِي مَا وَرَاءَكَ وَأَشِرْ عَلَيَّ ، فَقَالَ لَا أَسْتَطِيعُ ، قَدْ أُخِذَ عَلَيْنَا الْعُهُودُ وَالْمَوَاثِيقُ أَنْ لَا نَدُلَّ عَلَى عَوْرَةٍ وَلَا نُظَاهِرَ عَدُوَّنَا. |
| فَانْتَهَرَهُ وَقَالَ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ ابْنَ عُثْمَانَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ ، وَايْمُ اللَّهِ لَا أُقِيلُهَا قُرَشِيًّا بَعْدَكَ! |
| فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ خَبَرَهُ ، فَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لِابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ ادْخُلْ قَبْلِي لَعَلَّهُ يَجْتَزِئُ بِكَ عَنِّي. |
| فَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ فَقَالَ هَاتِ مَا عِنْدَكَ. |
| فَقَالَ نَعَمْ ، أَرَى أَنْ تَسِيرَ بِمَنْ مَعَكَ ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ إِلَى ذِي نَخْلَةٍ نَزَلْتَ ، فَاسْتَظَلَّ النَّاسُ فِي ظِلِّهِ فَأَكَلُوا مِنْ صَقْرِهِ ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ مِنَ الْغَدِ مَضَيْتَ وَتَرَكْتَ الْمَدِينَةَ ذَاتَ الْيَسَارِ ثُمَّ دُرْتَ بِهَا حَتَّى تَأْتِيَهُمْ مِنْ قِبَلِ الْحَرَّةِ مُشَرِّقًا ثُمَّ تَسْتَقْبِلُ الْقَوْمَ ، فَإِذَا اسْتَقْبَلْتَهُمْ وَقَدْ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ طَلَعْتَ بَيْنَ أَكْتَافِ أَصْحَابِكَ فَلَا تُؤْذِيهِمْ وَيُصِيبُهُمْ أَذَاهَا وَيَرَوْنَ مِنِ ائْتِلَافِ بَيْضِكُمْ وَأَسِنَّةِ رِمَاحِكُمْ وَسُيُوفِكُمْ وَدُرُوعِكُمْ مَا لَا تَرَوْنَهُ أَنْتُمْ مَا دَامُوا مُغَرِّبِينَ ، ثُمَّ قَاتِلْهُمْ وَاسْتَعِنِ اللَّهَ عَلَيْهِمْ. |
| فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ لِلَّهِ أَبُوكَ أَيَّ امْرِئٍ وَلَدَ! |
| ثُمَّ إِنَّ مَرْوَانَ دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ إِيهِ! |
| فَقَالَ أَلَيْسَ قَدْ دَخَلَ عَلَيْكَ عَبْدُ الْمَلِكِ ؟ |
| قَالَ بَلَى ، وَأَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ الْمَلِكِ! |
| قَلَّ مَا كَلَّمْتُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ رَجُلًا بِهِ شَبِيهًا. |
| فَقَالَ مَرْوَانُ إِذَا لَقِيتَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَقَدْ لَقِيتَنِي. |
| ثُمَّ إِنَّهُ صَارَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَصْنَعُ مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَجَاءَهُمْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ مُسْلِمٌ فَقَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزْعُمُ أَنَّكُمُ الْأَصْلُ ، وَإِنِّي أَكْرَهُ إِرَاقَةَ دِمَائِكُمْ ، وَإِنِّي أُؤَجِّلُكُمْ ثَلَاثًا ، فَمَنِ ارْعَوَى وَرَاجَعَ الْحَقَّ قَبِلْنَا مِنْهُ وَانْصَرَفْتُ عَنْكُمْ وَسِرْتُ إِلَى هَذَا الْمَحَلِّ الَّذِي بِمَكَّةَ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ كُنَّا قَدْ أَعْذَرْنَا إِلَيْكُمْ. |
| فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ قَالَ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَا تَصْنَعُونَ ، أَتُسَالِمُونَ أَمْ تُحَارِبُونَ ؟ |
| فَقَالُوا بَلْ نُحَارِبُ. |
| فَقَالَ لَهُمْ لَا تَفْعَلُوا بَلِ ادْخُلُوا فِي الطَّاعَةِ وَنَجْعَلُ جِدَّنَا وَشَوْكَتَنَا عَلَى أَهْلِ هَذَا الْمُلْحِدِ الَّذِي قَدْ جَمَعَ إِلَيْهِ الْمُرَّاقَ وَالْفُسَّاقَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ. |
| فَقَالُوا لَهُ يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ لَوْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَجُوزُوا إِلَيْهِ مَا تَرَكْنَاكُمْ ، نَحْنُ نَدَعُكُمْ أَنْ تَأْتُوا بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ فَتُخِيفُوا أَهْلَهُ وَتُلْحِدُوا فِيهِ وَتَسْتَحِلُّوا حُرْمَتَهُ ؟! |
| لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ. |
| وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَدِ اتَّخَذُوا خَنْدَقًا وَعَلَيْهِ جَمْعٌ مِنْهُمْ ، وَكَانَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ عَلَى رُبُعٍ آخَرَ ، وَهُمْ قُرَيْشٌ فِي جَانِبِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ الْأَشْجَعِيُّ ، وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، عَلَى رُبُعٍ آخَرَ ، وَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ ، وَكَانَ أَمِيرُ جَمَاعَتِهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ الْأَنْصَارِيَّ فِي أَعْظَمِ تِلْكَ الْأَرْبَاعِ ، وَهُمُ الْأَنْصَارُ. |
| وَصَمَدَ مُسْلِمٌ فِيمَنْ مَعَهُ ، فَأَقْبَلَ مِنْ نَاحِيَةِ الْحَرَّةِ حَتَّى ضَرَبَ فُسْطَاطَهُ عَلَى طَرِيقِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ مَرِيضًا ، فَأَمَرَ فَوُضِعَ لَهُ كُرْسِيٌّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَقَالَ يَا أَهْلَ الشَّامِ قَاتِلُوا عَنْ أَمِيرِكُمْ وَادْعُوا. |
| فَأَخَذُوا لَا يَقْصِدُونَ رُبُعًا مِنْ تِلْكَ الْأَرْبَاعِ إِلَّا هَزَمُوهُ ، ثُمَّ وَجَّهَ الْخَيْلَ نَحْوَ ابْنِ الْغَسِيلِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ ابْنُ الْغَسِيلِ فِيمَنْ مَعَهُ فَكَشَفَهُمْ ، فَانْتَهَوْا إِلَى مُسْلِمٍ ، فَنَهَضَ فِي وُجُوهِهِمْ بِالرِّجَالِ وَصَاحَ بِهِمْ ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا. |
| ثُمَّ إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَاءَ إِلَى ابْنِ الْغَسِيلِ فَقَاتَلَ مَعَهُ فِي نَحْوٍ مِنْ عِشْرِينَ فَارِسًا قِتَالًا حَسَنًا ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ الْغَسِيلِ مَنْ كَانَ مَعَكَ فَارِسًا فَلْيَأْتِنِي فَلْيَقِفْ مَعِي ، فَإِذَا حَمَلْتُ فَلْيَحْمِلُوا ، فَوَاللَّهِ لَا أَنْتَهِي حَتَّى أَبْلَغَ مُسْلِمًا فَأَقْتُلَهُ أَوْ أُقْتَلَ دُونَهُ. |
| فَفَعَلَ ذَلِكَ وَجَمَعَ الْخَيْلَ إِلَيْهِ ، فَحَمَلَ بِهِمُ الْفَضْلُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَانْكَشَفُوا ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ احْمِلُوا أُخْرَى جُعِلْتُ فَدَاكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ عَايَنْتُ أَمِيرَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُ أَوْ أُقْتَلَ دُونَهُ. |
| إِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الصَّبْرِ إِلَّا النَّصْرُ! |
| ثُمَّ حَمَلَ وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ ، فَانْفَرَجْتُ خَيْلُ الشَّامِ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ وَمَعَهُ نَحْوُ خَمْسِمِائَةِ رَاجِلٍ جُثَاةٌ عَلَى الرُّكَبِ مُشَرِّعِي الْأَسِنَّةِ نَحْوَ الْقَوْمِ ، وَمَضَى الْفَضْلُ كَمَا هُوَ نَحْوَ رَايَةِ مُسْلِمٍ فَضَرَبَ رَأْسَ صَاحِبِهَا ، فَقَطَّ الْمِغْفَرَ وَفَلَقَ هَامَتَهُ وَخَرَّ مَيِّتًا ، وَقَالَ خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! |
| وَظَنَّ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، فَقَالَ قَتَلْتُ طَاغِيَةَ الْقَوْمِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! |
| فَقَالَ أَخْطَأَتِ اسْتُكَ الْحُفْرَةَ! |
| وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ غُلَامًا رُومِيًّا وَكَانَ شُجَاعًا ، فَأَخَذَ مُسْلِمٌ رَايَتَهُ وَحَرَّضَ أَهْلَ الشَّامِ وَقَالَ شُدُّوا مَعَ هَذِهِ الرَّايَةِ. |
| فَمَشَى بِرَايَتِهِ وَشَدَّتْ تِلْكَ الرِّجَالُ أَمَامَ الرَّايَةِ ، فَصُرِعَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ ، فَقُتِلَ وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَطْنَابِ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ إِلَّا نَحْوٌ مِنْ عَشْرَةِ أَذْرُعٍ ، وَقُتِلَ مَعَهُ زَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ. |
| وَأَقْبَلَتْ خَيْلُ مُسْلِمٍ وَرَجَّالَتُهُ نَحْوَ ابْنِ الْغَسِيلِ ، وَهُوَ يُحَرِّضُ أَصْحَابَهُ وَيَذُمُّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، وَيُقَدِّمُ الْخَيْلَ إِلَى ابْنِ الْغَسِيلِ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَمْ تَقْدَمْ عَلَيْهِمْ لِلرِّمَاحِ الَّتِي بِأَيْدِهِمْ وَالسُّيُوفِ ، وَكَانَتْ تَتَفَرَّقُ عَنْهُمْ ، فَنَادَى مُسْلِمٌ الْحُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عِضَاهٍ الْأَشْعَرِيَّ وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَنْزِلَا فِي جُنْدِهِمَا ، فَفَعَلَا وَتَقَدَّمَا إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ ابْنُ الْغَسِيلِ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ عَدُوَّكُمْ قَدْ أَصَابَ وَجْهَ الْقِتَالِ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَاتِلَكُمْ بِهِ ، وَإِنِّي قَدْ ظَنَنْتُ أَلَّا يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً حَتَّى يَفْصِلَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ إِمَّا لَكُمْ وَإِمَّا عَلَيْكُمْ ، أَمَا إِنَّكُمْ أَهْلُ النُّصْرَةِ وَدَارُ الْهِجْرَةِ وَمَا أَظُنُّ أَنَّ رَبَّكُمْ أَصْبَحَ عَنْ أَهْلِ بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ بِأَرْضَى مِنْهُ عَنْكُمْ ، وَلَا عَلَى أَهْلِ بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِ الْعَرَبِ بِأَسْخَطَ مِنْهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ، وَإِنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مِيتَةً هُوَ مَيِّتٌ بِهَا لَا مَحَالَةَ ، وَوَاللَّهِ مَا مِنْ مِيتَةٍ أَفْضَلُ مِنْ مَيْتَةِ الشَّهَادَةِ ، وَقَدْ سَاقَهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ فَاغْتِنَمُوهَا. |
| ثُمَّ دَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَخَذَ أَهْلُ الشَّامِ يَرْمُونَهُمْ بِالنَّبْلِ ، فَقَالَ ابْنُ الْغَسِيلِ لِأَصْحَابِهِ عَلَامَ تُسْتَهْدَفُونَ لَهُمْ! |
| مَنْ أَرَادَ التَّعْجِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ هَذِهِ الرَّايَةَ. |
| فَقَالَ إِلَيْهِ كُلُّ مُسْتَمِيتٍ فَنَهَضَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ رُؤِيَ لِأَهْلِ هَذَا الْقِتَالِ ، وَأَخَذَ ابْنُ الْغَسِيلِ يُقَدِّمُ بَنِيهِ وَاحِدًا وَاحِدًا ، حَتَّى قُتِلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَضْرِبُ بِسَيْفِهِ وَيَقُولُ بُعْدًا لِمَنْ رَامَ الْفَسَادَ وَطَغَى... |
| وَجَانَبَ الْحَقَّ وَآيَاتِ الْهُدَى لَا يُبْعِدُ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَنْ عَصَى ثُمَّ قُتِلَ وَقُتِلَ مَعَهُ أَخُوهُ لِأُمِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، فَقَالَ مَا أُحِبُّ أَنَّ الدَّيْلَمَ قَتَلُونِي مَكَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ! |
| وَقُتِلَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ وَمُحَمَّدُ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ الْأَنْصَارِيُّ. |
| فَمَرَّ بِهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ! |
| رُبَّ سَارِيَةٍ قَدْ رَأَيْتُكُ تُطِيلُ الْقِيَامَ فِي الصَّلَاةِ إِلَى جَنْبِهَا. |
| وَانْهَزَمَ النَّاسُ ، وَكَانَ فِيمَنِ انْهَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ بَعْدَمَا أَبْلَى. |
| وَأَبَاحَ مُسْلِمٌ الْمَدِينَةَ ثَلَاثًا يَقْتُلُونَ النَّاسَ وَيَأْخُذُونَ الْمَتَاعَ وَالْأَمْوَالَ ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ مَنْ بِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ. |
| فَخَرَجَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ حَتَّى دَخَلَ فِي كَهْفِ الْجَبَلِ ، فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَاقْتَحَمَ عَلَيْهِ الْغَارَ ، فَانْتَضَى أَبُو سَعِيدٍ سَيْفَهُ يُخَوِّفُ بِهِ الشَّامِيَّ ، فَلَمْ يَنْصَرِفْ عَنْهُ ، فَعَادَ أَبُو سَعِيدٍ وَأَغْمَدَ سَيْفَهُ وَقَالَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ. |
| فَقَالَ مَنْ أَنْتَ ؟ |
| قَالَ أَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ. |
| قَالَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| فَتَرَكَهُ وَمَضَى. |
| وَقِيلَ إِنَّ مُسْلِمًا لَمَّا نَزَلَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا بِجُمُوعٍ كَثِيرَةٍ وَهَيْئَةٍ حَسَنَةٍ ، فَهَابَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ وَكَرِهُوا أَنْ يُقَاتِلُوهُمْ ، فَلَمَّا رَآهُمْ مُسْلِمٌ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْوَجَعِ ، سَبَّهُمْ وَذَمَّهُمْ وَحَرَّضَهُمْ ، فَقَاتَلُوهُمْ. |
| فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي قِتَالِهِمْ إِذْ سَمِعُوا تَكْبِيرًا مِنْ خَلْفِهِمْ فِي جَوْفِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ أَدْخَلُوا أَهْلَ الشَّامِ الْمَدِينَةَ فَانْهَزَمَ النَّاسُ ، فَكَانَ مَنْ أُصِيبَ فِي الْخَنْدَقِ أَكْثَرَ مِمَّنْ قُتِلَ. |
| وَدَعَا مُسْلِمٌ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ عَلَى أَنَّهُمْ خَوَلٌ لَهُ يَحْكُمُ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ مَنْ شَاءَ ، فَمَنِ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ قَتَلَهُ ، وَطَلَبَ الْأَمَانَ لِيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ ، وَلِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ بْنِ حُذَيْفَةَ ، وَلِمَعْقِلِ بْنِ سِنَانٍ الْأَشْجَعِيِّ ، فَأُتِيَ بِهِمْ بَعْدَ الْوَقْعَةِ بِيَوْمٍ ، فَقَالَ بَايِعُوا عَلَى الشَّرْطِ. |
| فَقَالَ الْقُرَشِيَّانِ نُبَايِعُكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ. |
| فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمَا. |
| فَقَالَ مَرْوَانُ سُبْحَانَ اللَّهِ! |
| أَتَقْتُلُ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ أَتَيَا بِأَمَانٍ ؟ |
| فَطَعَنَ بِخَاصِرَتِهِ بِالْقَضِيبِ ، فَقَالَ وَأَنْتَ وَاللَّهِ لَوْ قُلْتَ بِمَقَالَتِهِمَا لَقَتَلْتُكَ! |
| وَجَاءَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ فَجَلَسَ مَعَ الْقَوْمِ فَدَعَا بِشَرَابٍ لِيُسْقَى ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ أَيُّ الشَّرَابِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ |
| قَالَ الْعَسَلُ. |
| قَالَ اسْقُوهُ ، فَشَرِبَ حَتَّى ارْتَوَى ، فَقَالَ لَهُ أَرَوِيتَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ وَاللَّهِ لَا تَشْرَبُ بَعْدَهَا شَرْبَةً إِلَّا فِي نَارِ جَهَنَّمَ. |
| فَقَالَ أَنْشُدُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ! |
| فَقَالَ لَهُ أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِطَبَرِيَّةَ لَيْلَةَ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ فَقُلْتَ سِرْنَا شَهْرًا ، وَرَجَعْنَا شَهْرًا ، وَأَصْبَحْنَا صِفْرًا ، نَرْجِعُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَنَخْلَعُ هَذَا الْفَاسِقَ ابْنَ الْفَاسِقِ وَنُبَايِعُ لِرَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَوِ الْأَنْصَارِ فِيمَ غَطَفَانُ وَأَشْجَعُ مِنَ الْخَلْقِ وَالْخِلَافَةِ! |
| إِنَّنِي آلَيْتُ بِيَمِينٍ لَا أَلْقَاكَ فِي حَرْبٍ أَقْدِرُ مِنْهُ عَلَى قَتْلِكَ إِلَّا فَعَلْتُ . |
| ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ. |
| وَأُتِيَ بِيَزِيدَ بْنِ وَهْبٍ ، فَقَالَ لَهُ بَايِعْ. |
| قَالَ أُبَايِعُكَ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. |
| قَالَ اقْتُلُوهُ. |
| قَالَ أَنَا أُبَايِعُكَ! |
| قَالَ لَا وَاللَّهِ ، فَتَكَلَّمَ فِيهِ مَرْوَانُ لِصِهْرٍ كَانَ بَيْنَهُمَا ، فَأَمَرَ بِمَرْوَانَ فُوُجِئَتْ عُنُقُهُ ثُمَّ قُتِلَ يَزِيدُ. |
| ثُمَّ أَتَى مَرْوَانُ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَجَاءَ يَمْشِي بَيْنَ مَرْوَانَ وَابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَهُمَا عِنْدَهُ ، فَدَعَا مَرْوَانُ بِشَرَابٍ لِيَتَحَرَّمَ بِذَلِكَ مِنْ مُسْلِمٍ ، فَشَرِبَ مِنْهُ يَسِيرًا ثُمَّ نَاوَلَهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ، فَلَمَّا وَقَعَ فِي يَدِهِ قَالَ لَهُ مُسْلِمٌ لَا تَشْرَبْ مِنْ شَرَابِنَا! |
| فَارْتَعَدَتْ كَفُّهُ وَلَمْ يَأْمَنْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَمْسَكَ الْقَدَحَ ، فَقَالَ لَهُ أَجِئْتَ تَمَشِّي بَيْنَ هَؤُلَاءِ لِتَأْمَنَ عِنْدِي ؟ |
| وَاللَّهِ لَوْ كَانَ إِلَيْهِمَا أَمْرٌ لَقَتَلْتُكَ! |
| وَلَكِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْصَانِي بِكَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ كَاتَبْتَهُ ، فَإِنْ شِئْتَ فَاشْرَبْ. |
| فَشَرِبَ ثُمَّ أَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ ثُمَّ قَالَ لَهُ لَعَلَّ أَهْلَكَ فَزِعُوا ؟ |
| قَالَ إِي وَاللَّهِ. |
| فَأَمَرَ بِدَابَّةٍ فَأُسْرِجَتْ لَهُ فَحَمَلَهُ عَلَيْهَا فَرُدَّ وَلَمْ يُلْزِمْهُ بِالْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ عَلَى مَا شَرَطَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ. |
| وَأُحْضِرَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لِيُبَايِعَ ، فَقَالَ الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ السَّكُونِيُّ لَا يُبَايِعُ ابْنُ أُخْتِنَا إِلَّا كَبَيْعَةِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَتْ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كِنْدِيَّةً ، فَقَامَتْ كِنْدَةُ مَعَ الْحُصَيْنِ ، فَتَرَكَهُ مُسْلِمٌ ، فَقَالَ عَلِيٌّ أَبِي الْعَبَّاسُ قَرْمُ بَنِي قُصَيٍّ... |
| وَأَخْوَالِي الْمُلُوكُ بَنُو وَلِيعَهْ هُمُ مَنَعُوا ذِمَارِي يَوْمَ جَاءَتْ... |
| كَتَائِبُ مُسْرِفٍ وَبَنُو اللَّكِيعَهْ أَرَادُونِي الَّتِي لَا عِزَّ فِيهَا... |
| فَحَالَتْ دُونَهُ أَيْدٌ سَرِيعَهْ يَعْنِي بِقَوْلِهِ مُسْرِفٌ مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ ، فَإِنَّهُ سُمِّي بَعْدَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ مُسْرِفًا ، وَبَنُو وَلَيْعَةَ بَطْنٌ مِنْ كِنْدَةَ ، مِنْهُمْ أُمُّهُ ، وَاللَّكِيعَةُ أُمُّ أُمِّهِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ عَمْرَو بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ لَمْ يَكُنْ فِيمَنْ خَرَجَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمَئِذٍ إِلَى مُسْلِمٍ فَقَالَ يَا أَهْلَ الشَّامِ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ |
| قَالُوا لَا. |
| قَالَ هَذَا الْخَبِيثُ ابْنُ الطَّيِّبِ ، هَذَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ ، هِيهِ يَا عَمْرُو إِذَا ظَهَرَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قُلْتَ أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، وَإِنْ ظَهَرَ أَهْلُ الشَّامِ قُلْتَ أَنَا ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ. |
| فَأَمَرَ بِهِ فَنُتِفَتْ لِحْيَتُهُ ، ثُمَّ قَالَ يَا أَهْلَ الشَّامِ إِنَّ أُمَّ هَذَا كَانَتْ تُدْخِلُ الْجُعَلَ فِي فِيهَا ثُمَّ تَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَاجَيْتُكَ مَا فِي فَمِي ؟ |
| وَفِي فَمِهَا مَا شَاهَا وَبَاهَا ، وَكَانَتْ مِنْ دَوْسٍ ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ. |
| وَكَانَتْ وَقْعَةُ الْحَرَّةِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. |
| قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ قَدِمْتُ الشَّامَ فِي تِجَارَةٍ فَقَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ |
| فَقُلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ. |
| فَقَالَ خَبِيثَةٌ. |
| فَقُلْتُ يُسَمِّيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَيْبَةَ وَتُسَمِّيهَا خَبِيثَةً! |
| فَقَالَ إِنَّ لِي وَلَهَا لَشَأْنًا ، لَمَّا خَرَجَ النَّاسُ إِلَى وَقْعَةِ الْحَرَّةِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي قَتَلْتُ رَجُلًا اسْمُهُ مُحَمَّدٌ أَدْخُلُ بِقَتْلِهِ النَّارَ ، فَاجْتَهَدْتُ فِي أَنِّي لَا أَسِيرُ مَعَهُمْ فَلَمْ يُقْبَلْ مِنِّي ، فَسِرْتُ مَعَهُمْ وَلَمْ أُقَاتِلْ حَتَّى انْقَضَتِ الْوَقْعَةُ ، فَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ فِي الْقَتْلَى بِهِ رَمَقٌ فَقَالَ تَنَحَّ يَا كَلْبُ! |
| فَأَنِفْتُ مِنْ كَلَامِهِ وَقَتَلْتُهُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ رُؤْيَايَ فَجِئْتُ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَتَصَفَّحُ الْقَتْلَى ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلَ الَّذِي قَتَلْتُهُ قَالَ إِنَّا لِلَّهِ ، لَا يَدْخُلُ قَاتِلُ هَذَا الْجَنَّةَ. |
| قُلْتُ وَمَنْ هَذَا ؟ |
| قَالَ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وُلِدَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا وَكَنَّاهُ أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقْتُلُونَنِي فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الدِّيَةَ فَلَمْ يَأْخُذُوا. |
| وَمِمَّنْ قُتِلَ بِالْحَرَّةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَلَيْسَ بِصَاحِبِ الْأَذَانِ ، ذَاكَ ابْنُ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. |
| وَقُتِلَ أَيْضًا فِيهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ. |
| وَوَهْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ. |
| وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ. |
| وَزُبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ. |
| وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ الْكُوفِيُّ الزَّاهِدُ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ يُسَمَّى يَوْمَئِذٍ الْعَائِذُ ، وَيَرَوْنَ الْأَمْرَ شُورَى ، وَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِوَقْعَةِ الْحَرَّةِ هِلَالَ الْمُحَرَّمِ مَعَ سَعِيدٍ مَوْلَى الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، فَجَاءَهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، فَاسْتَعَدَّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَعَرَفُوا أَنَّ مُسْلِمًا نَازِلٌ بِهِمْ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ذِكْرُ مَسِيرِ مُسْلِمٍ لِحِصَارِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَمَوْتِهِ فَلَمَّا فَرَغَ مُسْلِمٌ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَنَهْبِهَا ، شَخَصَ بِمَنْ مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ يُرِيدُ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَمَنْ مَعَهُ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ رَوْحَ بْنَ زِنْبَاعٍ الْجُذَامِيُّ ، وَقِيلَ اسْتَخْلَفَ عَمْرَو بْنَ مَخْرَمَةَ الْأَشْجَعِيَّ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمُشَلَّلِ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ ، وَقِيلَ مَاتَ بِثَنِيَّةِ هَرْشَى ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَحْضَرَ الْحُصَيْنَ بْنَ النُّمَيْرِ وَقَالَ يَا بْنَ بَرْذَعَةِ الْحِمَارِ! |
| لَوْ كَانَ الْأَمْرُ إِلَيَّ مَا وَلَّيْتُكَ هَذَا الْجُنْدَ ، وَلَكِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَّاكَ. |
| خُذْ عَنِّي أَرْبَعًا اسْرِعِ السَّيْرَ ، وَعَجِّلِ الْمُنَاجَزَةَ ، وَعَمِّ الْأَخْبَارَ ، وَلَا تُمَكِّنْ قُرَشِيًّا مِنْ أُذُنِكَ. |
| ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَعْمَلْ قَطُّ بَعْدَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَلَا أَرْجَى عِنْدِي فِي الْآخِرَةِ. |
| فَلَمَّا مَاتَ سَارَ الْحُصَيْنُ بِالنَّاسِ فَقَدِمَ مَكَّةَ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَقَدْ بَايَعَ أَهْلُهَا وَأَهْلُ الْحِجَازِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، وَلَحِقَ بِهِ الْمُنْهَزِمُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ الْحَنَفِيُّ فِي النَّاسِ مِنَ الْخَوَارِجِ يَمْنَعُونَ الْبَيْتَ ، وَخَرَجَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى لِقَاءِ أَهْلِ الشَّامِ وَمَعَهُ أَخُوهُ الْمُنْذِرُ ، فَبَارَزَ الْمُنْذِرُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَضَرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ضَرْبَةً مَاتَ مِنْهَا ، ثُمَّ حَمَلَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَيْهِمْ حَمْلَةً انْكَشَفَ مِنْهَا أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَثَرَتْ بَغْلَةُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ تَعْسًا! |
| ثُمَّ نَزَلَ فَصَاحَ بِأَصْحَابِهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ الْمِسْوِرُ بْنُ مَخْرَمَةَ وَمُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَاتَلَا حَتَّى قُتِلَا جَمِيعًا ، وَضَارَبَهُمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى اللَّيْلِ ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ. |
| هَذَا فِي الْحَصْرِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ أَقَامُوا عَلَيْهِ يُقَاتِلُونَهُ بَقِيَّةَ الْمُحَرَّمِ وَصَفَرَ كُلَّهُ حَتَّى إِذَا مَضَتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ رَمَوُا الْبَيْتَ بِالْمَجَانِيقِ وَحَرَقُوهُ بِالنَّارِ وَأَخَذُوا يَرْتَجِزُونَ وَيَقُولُونَ خَطَّارَةٌ مِثْلُ الْفَنِيقِ الْمُزْبِدِ... |
| نَرْمِي بِهَا أَعْوَادَ هَذَا الْمَسْجِدِ وَقِيلَ إِنَّ الْكَعْبَةَ احْتَرَقَتْ مِنْ نَارٍ كَانَ يُوقِدُهَا أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَأَقْبَلَتْ شَرَرَةٌ هَبَّتْ بِهَا الرِّيحُ فَاحْتَرَقَتْ ثِيَابُ الْكَعْبَةِ وَاحْتَرَقَ خَشَبُ الْبَيْتِ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ ، لِأَنَّ الْبُخَارِيَّ قَدْ ذَكَرَ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ تَرَكَ الْكَعْبَةَ لِيَرَاهَا النَّاسُ مُحْتَرِقَةً يُحَرِّضُهُمْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ . |
| وَأَقَامَ أَهْلُ الشَّامِ يُحَاصِرُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ حَتَّى بَلَغَهُمْ نَعْيُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لِهِلَالِ رَبِيعٍ الْآخَرِ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بِحُوَّارِينَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَقِيلَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ، وَكَانَ عُمُرُهُ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. |
| وَأُمُّهُ مَيْسُونُ بِنْتُ بِحَدْلِ بْنِ أُنَيْفٍ الْكَلْبِيَّةُ. |
| وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ مُعَاوِيَةُ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَبُو لَيْلَى ، وَهُوَ الَّذِي وَلِيَ بَعْدَهُ ، وَخَالِدٌ وَيُكْنَى أَبَا هَاشِمٍ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ أَصَابَ عَمَلَ الْكِيمْيَا ، وَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ لِأَحَدٍ ، وَأَبُو سُفْيَانَ ، وَأُمُّهُمْ أُمُّ هَاشِمٍ بِنْتُ أَبِي هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَلَهُ أَيْضًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ ، كَانَ أَرَمَى الْعَرَبِ ، وَأُمُّهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ، وَهُوَ الْأُسْوَارُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ الْأَصْغَرُ وَعُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُتْبَةُ وَحَرْبٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَمُحَمَّدٌ لِأُمَّهَاتٍ شَتًّى. |
| ذِكْرُ بَعْضِ سِيرَتِهِ وَأَخْبَارِهِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو الْعُتْبِيُّ نَظَرَ مُعَاوِيَةُ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ ابْنَةُ قَرَظَةَ إِلَى يَزِيدَ وَأُمُّهُ تُرَجِّلُهُ ، فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْهُ قَبَّلَتْهُ ، فَقَالَتِ ابْنَةُ قَرَظَةَ لَعَنَ اللَّهُ سَوَادَ سَاقَيْ أُمِّكِ! |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَمَّا وَاللَّهِ لَمَّا تَفَرَّجَتْ عَنْهُ وِرْكَاهَا خَيْرٌ مِمَّا تَفَرَّجَتْ عَنْهُ وِرْكَاكِ! |
| وَكَانَ لِمُعَاوِيَةَ مِنِ ابْنَةِ قَرَظَةَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَكَانَ أَحْمَقَ ، فَقَالَتْ لَا وَاللَّهِ وَلَكِنَّكَ تُؤْثِرُ هَذَا. |
| فَقَالَ سَوْفَ أُبَيِّنُ لَكَ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ فَدُعِيَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ أَيْ بُنِيَّ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُعْطِيَكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَسْتَ بِسَائِلٍ شَيْئًا إِلَّا أَجَبْتُكَ إِلَيْهِ. |
| فَقَالَ حَاجَتِي أَنْ تَشْتَرِيَ لِي كَلْبًا فَارِهًا وَحِمَارًا. |
| فَقَالَ أَيْ بُنَيَّ ، أَنْتَ حِمَارٌ وَأَشْتَرِي لَكَ حِمَارًا! |
| قُمْ فَاخْرُجْ. |
| ثُمَّ أَحْضَرَ يَزِيدَ وَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِهِ لِأَخِيهِ ، فَخَرَّ سَاجِدًا ثُمَّ قَالَ حِينَ رَفَعَ رَأْسَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَلَّغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْمُدَّةَ وَأَرَاهُ فِيَّ هَذَا الرَّأْيِ ، حَاجَتِي أَنْ تُعْتِقَنِي مِنَ النَّارِ لِأَنَّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْأُمَّةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ، فَتَعْقِدَ لِيَ الْعَهْدَ بِعْدَكَ ، وَتُوَلِّيَنِي الْعَامَ الصَّائِفَةَ ، وَتَأْذَنَ لِي فِي الْحَجِّ إِذَا رَجَعْتُ ، وَتُوَلِّيَنِي الْمَوْسِمَ ، وَتَزِيدَ لِأَهْلِ الشَّامِ كُلَّ رَجُلٍ عَشَرَةَ دَنَانِيرَ ، وَتَفْرِضَ لِأَيْتَامِ بَنِي جُمَحٍ وَبَنِي سَهْمٍ وَبَنِي عَدِيٍّ لِأَنَّهُمْ حُلَفَائِي . |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ قَدْ فَعَلْتُ ، وَقَبَّلَ وَجْهَهُ. |
| فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ ابْنَةِ قَرَظَةَ كَيْفَ رَأَيْتِ ؟ |
| قَالَتْ أَوْصِهِ بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَفَعَلَ. |
| وَقَالَ عُمَرُ بْنُ سُبَيْنَةَ حَجَّ يَزِيدُ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَدِينَةَ جَلَسَ عَلَى شَرَابٍ لَهُ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحُسَيْنُ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ إِنْ وَجَدَ رِيحَ الشَّرَابِ عَرَفَهُ ، فَحَجَبَهُ وَأَذِنَ لِلْحُسَيْنِ ، فَلَمَّا دَخَلَ وَجَدَ رَائِحَةَ الشَّرَابِ مَعَ الطِّيبِ فَقَالَ لِلَّهِ دَرُّ طِيبِكَ مَا أَطْيَبَهُ! |
| فَمَا هَذَا ؟ |
| قَالَ هُوَ طِيبٌ يُصْنَعُ بِالشَّامِ ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ فَشَرِبَهُ ، ثُمَّ دَعَا بِآخِرٍ فَقَالَ اسْقِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْكَ شَرَابَكَ أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا عَيْنَ عَلَيْكَ مِنِّي ، فَقَالَ يَزِيدُ أَلَا يَا صَاحِ لِلْعَجَبْ... |
| دَعْوَتُكَ وَلَمْ تُجِبْ إِلَى الْفَتَيَاتِ وَالشَّهَوَاتِ... |
| وَالصَّهْبَاءِ وَالطَّرَبْ بَاطِيَةٌ مُكَلَّلَهْ... |
| عَلَيْهَا سَادَةُ الْعَرَبْ وَفِيهِنَّ الَّتِي تَبِلَتْ... |
| فُؤَادَكَ ثُمَّ لَمْ تَثِبْ فَنَهَضَ الْحُسَيْنُ وَقَالَ بَلْ فُؤَادُكَ يَا ابْنَ مُعَاوِيَةَ تَبِلَتْ. |
| وَقَالَ شَفِيقُ بْنُ سَلَمَةَ لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ ثَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَدَعَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِلَى بَيْعَتِهِ ، فَامْتَنَعَ وَظَنَّ يَزِيدُ أَنَّ امْتِنَاعَهُ تَمَسُّكٌ مِنْهُ بِبَيْعَتِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْمُلْحِدَ ابْنَ الزُّبَيْرِ دَعَاكَ إِلَى بَيْعَتِهِ وَأَنَّكَ اعْتَصَمْتَ بِبَيْعَتِنَا وَفَاءً مِنْكَ لَنَا ، فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ ذِي رَحِمٍ خَيْرَ مَا يَجْزِي الْوَاصِلِينَ لِأَرْحَامِهِمُ الْمُوفِينَ بِعُهُودِهِمْ ، فَمَا أَنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَلَسْتُ بِنَاسٍ بِرَّكَ وَتَعْجِيلَ صِلَتِكَ بِالَّذِي أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ ، فَانْظُرْ مَنْ طَلَعَ عَلَيْكَ مِنَ الْآفَاقِ مِمَّنْ سَحَرَهُمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِلِسَانِهِ فَأَعْلِمْهُمْ بِحَالِهِ فَإِنَّهُمْ مِنْكَ أَسْمَعُ النَّاسِ وَلَكَ أَطْوَعُ مِنْهُمْ لِلْمُحِلِّ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ ، فَأَمَّا تَرْكِي بَيْعَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو بِذَلِكَ بِرَّكَ وَلَا حَمْدَكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بِالَّذِي أَنْوِي عَلِيمٌ ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَاسٍ بِرِّي ، فَاحْبِسْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِرَّكَ عَنِّي فَإِنِّي حَابِسٌ عَنْكَ بِرِّي ، وَسَأَلْتَ أَنْ أُحَبِّبَ النَّاسَ إِلَيْكَ وَأُبَغِّضَهُمْ وَأُخَذِّلَهُمْ لِابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَلَا وَلَا سُرُورَ وَلَا كَرَامَةَ ، كَيْفَ وَقَدْ قَتَلْتَ حُسَيْنًا وَفِتْيَانَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَصَابِيحَ الْهُدَى وَنُجُومَ الْأَعْلَامِ غَادَرَتْهُمْ خُيُولُكَ بِأَمْرِكَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ مُرَمَّلِينَ بِالدِّمَاءِ ، مَسْلُوبِينَ بِالْعَرَاءِ ، مَقْتُولِينَ بِالظِّمَاءِ ، لَا مُكَفَّنِينَ وَلَا مُوَسَّدِينَ ، تَسْفِي عَلَيْهِمُ الرِّيَاحُ ، وَيَنْشَى بِهِمْ عَرْجُ الْبِطَاحِ ، حَتَّى أَتَاحَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَمْ يُشْرَكُوا فِي دِمَائِهِمْ كَفَّنُوهُمْ وَأَجَنُّوهُمْ ، وَبِي وَبِهِمْ لَوْ عَزَزْتَ وَجَلَسْتَ مَجْلِسَكَ الَّذِي جَلَسْتَ ، فَمَا أَنَسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَلَسْتُ بِنَاسٍ اطِّرَادَكَ حُسَيْنًا مِنْ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ ، وَتَسْيِيرَكَ الْخُيُولَ إِلَيْهِ ، فَمَا زِلْتَ بِذَلِكَ حَتَّى أَشْخَصْتَهُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَخَرَجَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، فَنَزَلَتْ بِهِ خَيْلُكَ عَدَاوَةً مِنْكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا ، فَطَلَبَ إِلَيْكُمُ الْمُوَادَعَةَ وَسَأَلَكُمُ الرَّجْعَةَ ، فَاغْتَنَمْتُمْ قِلَّةَ أَنْصَارِهِ وَاسْتِئْصَالَ أَهْلِ بَيْتِهِ وَتَعَاوَنْتُمْ عَلَيْهِ كَأَنَّكُمْ قَتَلْتُمْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ ، فَلَا شَيْءَ أَعْجَبُ عِنْدِي مِنْ طِلَبْتِكَ وُدِّي وَقَدْ قَتَلْتَ وَلَدَ أَبِي وَسَيْفُكَ يَقْطُرُ مِنْ دَمِيَ وَأَنْتَ أَحَدُ ثَأْرِي وَلَا يُعْجِبُكَ أَنْ ظَفِرْتَ بِنَا الْيَوْمَ فَلَنَظْفَرَنَّ بِكَ يَوْمًا ، وَالسَّلَامُ. |
| قَالَ الشَّرِيفُ أَبُو يَعْلَى حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ الْعَلَوِيُّ ، وَقَدْ جَرَى عِنْدَهُ ذِكْرُ يَزِيدَ أَنَا لَا أُكَفِّرُ يَزِيدَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَى بَنِيَّ أَحَدًا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ . |
| ذِكْرُ بَيْعَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بُويِعَ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بِالْخِلَافَةِ بِالشَّامِ ، وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِالْحِجَازِ ، وَلَمَّا هَلَكَ يَزِيدُ بَلَغَ الْخَبَرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ عَسْكَرِ الشَّامِ ، وَكَانَ الْحِصَارُ قَدِ اشْتَدَّ مِنَ الشَّامِيِّينَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَنَادَاهُمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَأَهْلُ مَكَّةَ عَلَامَ تُقَاتِلُونَ وَقَدْ هَلَكَ طَاغِيَتُكُمْ ؟ |
| فَلَمْ يُصَدِّقُوهُمْ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْحُصَيْنَ خَبَرُ مَوْتِهِ بَعَثَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ مَوْعِدُ مَا بَيْنَنَا اللَّيْلَةَ الْأَبْطَحِ ، فَالْتَقَيَا وَتَحَادَثَا ، فَرَاثَ فَرَسُ الْحُصَيْنِ ، فَجَاءَ حَمَامُ الْحَرَمِ يَلْتَقِطُ رَوْثَ الْفَرَسِ ، فَكَفَّ الْحُصَيْنُ فَرَسَهُ عَنْهُنَّ وَقَالَ أَخَافَ أَنْ يَقْتُلَ فَرَسِي حَمَامَ الْحَرَمِ. |
| فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ تَتَحَرَّجُونَ مِنْ هَذَا وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَرَمِ ؟ |
| فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُ الْحُصَيْنُ أَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ ، هَلُمَّ فَلْنُبَايِعْكَ ثُمَّ اخْرُجْ مَعَنَا إِلَى الشَّامِ ، فَإِنَّ هَذَا الْجُنْدَ الَّذِينَ مَعِي هُمْ وُجُوهُ الشَّامِ وَفُرْسَانُهُمْ ، فَوَاللَّهِ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ اثْنَانِ وَتُؤَمِّنُ النَّاسَ وَتُهْدِرُ هَذِهِ الدِّمَاءَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ أَهْلِ الْحَرَمِ. |
| فَقَالَ لَهُ أَنَا لَا أُهْدِرُ الدِّمَاءَ ، وَاللَّهِ لَا أَرْضَى أَنْ أَقْتُلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عِشْرَةً مِنْكُمْ. |
| وَأَخْذَ الْحُصَيْنُ يُكَلِّمُهُ سِرًّا ، وَهُوَ يَجْهَرُ وَيَقُولُ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحُصَيْنُ قَبَّحَ اللَّهُ مَنْ يَعُدُّكَ بَعْدُ دَاهِيًا وَأَرِيبًا قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ لَكَ رَأْيًا ، وَأَنَا أُكَلِّمُكَ سِرًّا وَتُكَلِّمُنِي جَهْرًا ، وَأَدْعُوكَ إِلَى الْخِلَافَةِ وَأَنْتَ لَا تُرِيدُ إِلَّا الْقَتْلَ وَالْهَلَكَةَ. |
| ثُمَّ فَارَقَهُ وَرَحَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، وَنَدِمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى مَا صَنَعَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَمَّا الْمَسِيرُ إِلَى الشَّامِ فَلَا أَفْعَلُهُ وَلَكِنْ بَايِعُوا لِي هُنَاكَ فَإِنِّي مُؤَمِّنُكُمْ وَعَادِلٌ فِيكُمْ. |
| فَقَالَ الْحُصَيْنُ إِنْ لَمْ تَقْدَمْ بِنَفْسِكَ لَا يَتِمُّ الْأَمْرُ ، فَإِنَّ هُنَاكَ نَاسًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يَطْلُبُونَ هَذَا الْأَمْرَ. |
| وَسَارَ الْحُصَيْنُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَاجْتَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، فَكَانَ لَا يَنْفَرِدُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أُخِذَتْ دَابَّتُهُ ، فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ بَنُو أُمَيَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ ، وَلَوْ خَرَجَ مَعَهُمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ أَحَدٌ. |
| فَوَصَلَ أَهْلُ الشَّامِ دِمَشْقَ وَقَدْ بُويِعَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى هَلَكَ ، وَقِيلَ بَلْ مَلَكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَمَاتَ. |
| وَعُمُرُهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا. |
| وَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ إِمَارَتِهِ أَمَرَ فَنُودِيَ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي ضَعُفْتُ عَنْ أَمْرِكُمْ فَابْتَغَيْتُ لَكُمْ مِثْلَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حِينَ اسْتَخْلَفَهُ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ أَجِدْهُ ، فَابْتَغَيْتُ سِتَّةً مِثْلَ سِتَّةِ الشُّورَى فَلَمْ أَجِدْهُمْ ، فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِأَمْرِكُمْ فَاخْتَارُوا لَهُ مَنْ أَحْبَبْتُمْ. |
| ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَتَغَيَّبَ حَتَّى مَاتَ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ مَاتَ مَسْمُومًا ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، ثُمَّ أَصَابَهُ الطَّاعُونُ مِنْ يَوْمِهِ فَمَاتَ أَيْضًا ، وَقِيلَ لَمْ يَمُتْ ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ أَوْصَى أَنْ يُصَلِّيَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بِالنَّاسِ حَتَّى يَقُومَ لَهُمْ خَلِيفَةٌ ، وَقِيلَ لِمُعَاوِيَةَ لَوِ اسْتَخْلَفْتَ ؟ |
| فَقَالَ لَا أَتَزَوَّدُ مَرَارَتَهَا وَأَتْرُكُ لِبَنِي أُمَيَّةَ حَلَاوَتَهَا. |
| ذِكْرُ حَالِ ابْنِ زِيَادٍ بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ لَمَّا مَاتَ يَزِيدُ وَأَتَى الْخَبَرُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ مَعَ مَوْلَاهُ حُمْرَانَ ، وَكَانَ رَسُولُهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، ثُمَّ إِلَى يَزِيدَ بَعْدَهُ ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْخَبَرُ أَسَرَّهُ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ فِي الشَّامِ ، فَأَمَرَ فَنُودِيَ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَنَعَى يَزِيدَ وَثَلَّبَهُ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ إِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِيَزِيدَ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةٌ ، وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ أَعْرَضَ عَنْ ذِي فَنَنٍ ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ، وَقَالَ يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ إِنَّ مُهَاجِرَنَا إِلَيْكُمْ وَدَارَنَا فِيكُمْ ، وَمَوْلِدِي فِيكُمْ ، وَلَقَدْ وَلِيتُكُمْ وَمَا يُحْصِي دِيوَانُ مُقَاتَلَتِكُمْ إِلَّا سَبْعِينَ أَلْفًا ، وَلَقَدْ أَحْصَى الْيَوْمَ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَمَا كَانَ يُحْصَى دِيوَانُ عُمَّالِكُمْ إِلَّا تِسْعِينَ أَلْفًا ، وَلَقَدْ أَحْصَى الْيَوْمَ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَمَا تَرَكْتُ لَكُمْ ذَا ظِنَّةٍ أَخَافُهُ عَلَيْكُمْ إِلَّا وَهُوَ فِي سِجْنِكُمْ ، وَإِنَّ يَزِيدَ قَدْ تُوُفِّيَ وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ بِالشَّامِ وَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَدَدًا وَأَعْرَضُهُمْ فَنَاءً وَأَغْنَاهُمْ عَنِ النَّاسِ وَأَوْسَعُهُمْ بِلَادًا ، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ رَجُلًا تَرْضَوْنَهُ لِدِينِكُمْ وَجَمَاعَتِكُمْ ، فَأَنَا أَوَّلُ رَاضٍ مَنْ رَضِيتُمُوهُ ، فَإِنِ اجْتَمَعَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى رَجُلٍ تَرْضَوْنَهُ لِدِينِكُمْ وَجَمَاعَتِكُمْ دَخَلْتُمْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ ذَلِكَ كُنْتُمْ عَلَى جَدِيلَتِكُمْ حَتَّى تُعْطُوا حَاجَتَكُمْ ، فَمَا بِكُمْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبُلْدَانِ حَاجَةٌ وَلَا يَسْتَغْنِي النَّاسُ عَنْكُمْ. |
| فَقَامَ خُطَبَاءُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقَالُوا قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكَ وَمَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَقْوَى عَلَيْهَا مِنْكَ ، فَهَلُمَّ فَلْنُبَايِعْكَ. |
| فَقَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ. |
| فَكَرَّرُوا عَلَيْهِ فَأَبَى عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَمَسَحُوا أَيْدِيَهُمْ بِالْحِيطَانِ وَقَالُوا أَيُظَنُّ ابْنُ مَرْجَانَةَ أَنَّنَا نَنْقَادُ لَهُ فِي الْجَمَاعَةِ وَالْفُرْقَةِ! |
| فَلَمَّا بَايَعُوهُ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَ عَمْرِو بْنِ مِسْمَعٍ وَسَعْدِ بْنِ الْقَرْحَاءِ التَّمِيمِيِّ يُعْلِمُ أَهْلَ الْكُوفَةِ مَا صَنَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ لَهُ ، فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى الْكُوفَةِ ، وَكَانَ خَلِيفَتُهُ عَلَيْهَا عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ ، جَمَعَ النَّاسَ وَقَامَ الرَّسُولَانِ فَخَطَبَا أَهْلَ الْكُوفَةِ وَذَكَرَا لَهُمْ ذَلِكَ ، فَقَامَ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ الشَّيْبَانِيُّ ، وَهُوَ ابْنُ رُوَيْمٍ ، فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَاحَنَا مِنِ ابْنِ سُمَيَّةَ! |
| أَنَحْنُ نُبَايِعُهُ ؟ |
| لَا وَلَا كَرَامَةَ! |
| وَحَصَبَهُمَا أَوَّلَ النَّاسِ ثُمَّ حَصَبَهُمَا النَّاسُ بَعْدَهُ ، فَشَرَّفَتْ تِلْكَ الْفَعْلَةُ يَزِيدَ بْنَ رُوَيْمٍ فِي الْكُوفَةِ وَرَفَعَتْهُ. |
| وَرَجَعَ الرَّسُولَانِ إِلَى الْبَصْرَةِ فَأَعْلَمَاهُ الْحَالَ ، فَقَالَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَيَخْلَعُهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَنُوَلِّيهِ نَحْنُ! |
| فَضَعُفَ سُلْطَانُهُ عِنْدَهُمْ ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِالْأَمْرِ فَلَا يُقْضَى ، وَيَرَى الرَّأْيَ فَيُرَدُّ عَلَيْهِ ، وَيَأْمُرُ بِحَبْسِ الْمُخْطِئِ فَيُحَالُ بَيْنَ أَعْوَانِهِ وَبَيْنَهُ. |
| ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْبَصْرَةِ سَلَمَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ الْحَنْظَلِيُّ التَّمِيمِيُّ فَوَقَفَ فِي السُّوقِ وَبِيَدِهِ لِوَاءٌ وَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَيَّ ، إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى مَا لَمْ يَدْعُكُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَائِذِ بِالْحَرَمِ ، يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ. |
| فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ وَجَعَلُوا يُصَفِّقُونَ عَلَى يَدَيْهِ يُبَايِعُونَهُ. |
| فَبَلَغَ الْخَبَرُ ابْنَ زِيَادٍ ، فَجَمَعَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ وَذَكَرَ لَهُمْ أَمْرَهُ مَعَهُمْ وَأَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى مَنْ يَرْتَضُونَهُ ، فَبَايَعَهُ مِنْهُمْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَأَنَّهُمْ أَبَوْا غَيْرَهُ ، وَقَالَ إِنِّي بَلَغَنِي أَنَّكُمْ مَسَحْتُمْ أَكُفَّكُمْ بِالْحِيطَانِ وَبَابِ الدَّارِ وَقُلْتُمْ مَا قُلْتُمْ ، وَإِنِّي آمِرٌ بِالْأَمْرِ فَلَا يَنْفُذُ وَيُرَدُّ عَلَيَّ رَأْيِي وَيُحَالُ بَيْنَ أَعْوَانِي وَبَيْنَ طِلْبَتِي ، ثُمَّ إِنَّ هَذَا سَلَمَةَ بْنَ ذُؤَيْبٍ يَدْعُو إِلَى الْخِلَافِ عَلَيْكُمْ لِيُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ وَيَضْرِبَ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ. |
| فَقَالَ الْأَحْنَفُ وَالنَّاسُ نَحْنُ نَأْتِيكَ بِسَلَمَةَ ، فَأَتَوْهُ بِسَلَمَةَ فَإِذَا جَمْعُهُ قَدْ كُثِفَ وَالْفَتْقُ قَدِ اتَّسَعَ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَعَدُوا عَنِ ابْنِ زِيَادٍ فَلَمْ يَأْتُوهُ. |
| فَدَعَا عُبَيْدُ اللَّهِ رُؤَسَاءَ مُحَارَبَةِ السُّلْطَانِ وَأَرَادَهُمْ لِيُقَاتِلُوا مَعَهُ ، قَالُوا إِنْ أَمَرَنَا فُؤَادُنَا فَعَلْنَا. |
| فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ مَا مِنْ خَلِيفَةٍ فَتُقَاتِلُ عَنْهُ فَإِنْ هُزِمْتَ رَجَعْتَ إِلَيْهِ فَأَمَدَّكَ ، وَلَعَلَّ الْحَرْبَ تَكُونُ عَلَيْكَ وَقَدِ اتَّخَذْنَا بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالًا فَإِنْ ظَفِرُوا بِنَا أَهْلَكُونَا وَأَهْلَكُوهَا فَلَمْ تَبْقَ لَكَ بَقِيَّةٌ. |
| فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَرْسَلَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ صَهْبَاءَ الْجَهْضَمِيِّ الْأَزْدِيِّ فَأَحْضَرَهُ ، وَقَالَ لَهُ يَا حَارِثُ إِنَّ أَبِي أَوْصَانِي أَنِّي إِنِ احْتَجْتُ إِلَى الْهَرَبِ يَوْمًا أَنْ أَخْتَارَكُمْ. |
| فَقَالَ الْحَارِثُ إِنْ قُومِي قَدِ اخْتَبَرُوا أَبَاكَ ، فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُ مَكَانًا ، وَلَا عِنْدَكَ مُكَافَأَةً ، وَلَا أَرُدُّكَ إِذَا اخْتَرْتَنَا ، وَمَا أَدْرِي كَيْفَ أَمَانِي لَكَ ، إِنْ أَخْرَجْتُكَ نَهَارًا أَخَافُ أَنْ تُقْتَلَ وَأُقْتَلَ ، وَلَكِنِّي أُقِيمُ مَعَكَ إِلَى اللَّيْلِ ثُمَّ أُرْدِفُكَ خَلْفِي لِئَلَّا تُعْرَفَ. |
| فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ نِعْمَ مَا رَأَيْتَ. |
| فَأَقَامَ عِنْدَهُ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ حَمَلَهُ خَلْفَهُ. |
| وَكَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ ، فَفَرَّقَ ابْنُ زِيَادٍ بَعْضَهَا فِي مَوَالِيهِ وَادَّخَرَ الْبَاقِي فَبَقِيَ لِآلِ زِيَادٍ. |
| وَسَارَ الْحَارِثُ بِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَكَانَ يَمُرُّ بِهِ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ يَتَحَارَسُونَ مَخَافَةَ الْحَرُورِيَّةِ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ يَسْأَلُهُ أَيْنَ نَحْنُ ؟ |
| وَالْحَارِثُ يُخْبِرُهُ ، فَلَمَّا كَانُوا فِي بَنِي سُلَيْمٍ قَالَ أَيْنَ نَحْنُ ؟ |
| قَالَ فِي بَنِي سُلَيْمٍ. |
| قَالَ سَلِمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. |
| فَلَمَّا أَتَى بَنِي نَاجِيَةَ قَالَ أَيْنَ نَحْنُ ؟ |
| قَالَ فِي بَنِي نَاجِيَةَ. |
| قَالَ نَجَوْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. |
| فَقَالَ بَنُو نَاجِيَةَ مَنْ أَنْتَ ؟ |
| قَالَ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ ، وَكَانَ يَعْرِفُ رَجُلٌ مِنْهُمْ عُبَيْدَ اللَّهِ ، فَقَالَ ابْنُ مَرْجَانَةَ! |
| وَأَرْسَلَ سَهْمًا فَوَقَعَ فِي عِمَامَتِهِ. |
| وَمَضَى بِهِ الْحَارِثُ فَأَنْزَلَهُ فِي دَارِ نَفْسِهِ فِي الْجَهَاضِمِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ يَا حَارِثُ إِنَّكَ أَحْسَنْتَ فَاصْنَعْ مَا أُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ ، قَدْ عَلِمْتَ مَنْزِلَةَ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو فِي قَوْمِهِ وَشَرَفِهِ وَسِنَّهُ وَطَاعَةَ قَوْمِهِ لَهُ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَذْهَبَ بِي إِلَيْهِ فَأَكُونَ فِي دَارِهِ فَهِيَ فِي وَسَطِ الْأَزْدِ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فُرِّقَ عَلَيْكَ أَمْرُ قَوْمِكَ. |
| فَأَخَذَهُ الْحَارِثُ فَدَخَلَا عَلَى مَسْعُودٍ ، وَلَمْ يَشْعُرْ وَهُوَ جَالِسٌ يُصْلِحُ خُفًّا لَهُ ، فَلَمَّا رَآهُمَا عَرَفَهُمَا فَقَالَ الْحَارِثُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرٍّ طَرَقْتَنِي بِهِ! |
| قَالَ مَا طَرَقْتُكَ إِلَّا بِخَيْرٍ ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ قَوْمَكَ أَنْجَوْا زِيَادًا وَوَفَوْا لَهُ فَصَارَتْ مَكْرَمَةً يَفْتَخِرُونَ بِهَا عَلَى الْعَرَبِ ، وَقَدْ بَايَعْتُمْ عُبَيْدَ اللَّهِ بَيْعَةَ الرِّضَى عَنْ مَشُورَةٍ وَبَيْعَةٍ أُخْرَى قَبْلَ هَذِهِ ، يَعْنِي بَيْعَةَ الْجَمَاعَةِ. |
| قَالَ مَسْعُودٌ أَتُرَى لَنَا أَنْ نُعَادِيَ أَهْلَ مِصْرِنَا فِي عُبَيْدِ اللَّهِ وَلَمْ نَجِدْ مِنْ أَبِيهِ مُكَافَأَةً وَلَا شُكْرًا فِيمَا صَنَعْنَا مَعَهُ ؟ |
| قَالَ الْحَارِثُ إِنَّهُ لَا يُعَادِيكَ أَحَدٌ عَلَى الْوَفَاءِ عَلَى بَيْعَتِكَ حَتَّى تُبْلِغَهُ مَأْمَنَهُ ، أَفَتُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِكَ بَعْدَمَا دَخَلَهُ عَلَيْكَ ؟ |
| وَأَمَرَهُ مَسْعُودٌ فَدَخَلَ بَيْتَ أَخِيهِ عَبْدِ الْغَافِرِ بْنِ عَمْرٍو ، ثُمَّ رَكِبَ مَسْعُودٌ مِنْ لَيْلَتِهِ وَمَعَهُ الْحَارِثُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَطَافُوا فِي الْأَزْدِ فَقَالُوا إِنَّ ابْنَ زِيَادٍ فُقِدَ وَإِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ تَلْحَظُوا بِهِ. |
| فَأَصْبِحُوا فِي السِّلَاحِ. |
| وَفَقَدَ النَّاسُ ابْنَ زِيَادٍ فَقَالُوا مَا هُوَ إِلَّا فِي الْأَرْضِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْحَارِثَ لَمْ يُكَلِّمْ مَسْعُودًا بَلْ أَمَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَحَمَلَ مَعَهُ مِائَةَ أَلْفٍ وَأَتَى بِهَا أُمَّ بِسِطَامٍ امْرَأَةَ مَسْعُودٍ ، وَهِيَ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ ، وَمَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا فَأَذِنَتْ لَهُ فَقَالَ لَهَا قَدْ أَتَيْتُكِ بِأَمْرٍ تَسُودِينَ بِهِ نِسَاءَ الْعَرَبِ وَتَتَعَجَّلِينَ بِهِ الْغِنَى. |
| وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ ، وَأَمَرَهَا أَنْ تُدْخِلَ ابْنَ زِيَادٍ الْبَيْتَ وَتُلْبِسَهُ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ مَسْعُودٍ ، فَفَعَلَتْ ، وَلَمَّا جَاءَ مَسْعُودٌ أَخَذَ بِرَأْسِهَا يَضْرِبُهَا ، فَخَرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَالْحَارِثُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ قَدْ أَجَارْتَنِي وَهَذَا ثَوْبُكَ عَلَيَّ وَطَعَامُكَ فِي بَطْنِي. |
| وَشَهِدَ الْحَارِثُ وَتَلَطَّفُوا بِهِ حَتَّى رَضِيَ ، فَلَمْ يَزَلِ ابْنُ زِيَادٍ فِي بَيْتِهِ حَتَّى قُتِلَ مَسْعُودٌ فَسَارَ إِلَى الشَّامِ. |
| وَلَمَّا فُقِدَ ابْنُ زِيَادٍ بَقِيَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فِي غَيْرِ أَمِيرٍ فَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ يُؤَمِّرُونَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ تَرَاضَوْا بِقَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ السُّلَمِيِّ وَبِالنُّعْمَانِ بْنِ سُفْيَانَ الرَّاسِبِيِّ الْحَرَمِيِّ لِيَخْتَارَا مَنْ يَرْضَيَانِ لَهُمْ ، وَكَانَ رَأْيُ قَيْسٍ فِي بَنِي أُمَيَّةَ ، وَرَأْيُ النُّعْمَانِ فِي بَنِي هَاشِمٍ ، فَقَالَ النُّعْمَانُ مَا أَرَى أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ فُلَانٍ ، لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَقِيلَ بَلْ ذَكَرَ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْأَسْوَدِ الزُّهْرِيَّ ، وَكَانَ هَوَى قَيْسٍ فِيهِ ، وَإِنَّمَا قَالَ النُّعْمَانُ ذَلِكَ خَدِيعَةً وَمَكْرًا بِقَيْسٍ ، فَقَالَ قَيْسٌ قَدْ قَلَّدْتُكَ أَمْرِي وَرَضِيتُ مَنْ رَضِيتَ ، ثُمَّ خَرَجَا إِلَى النَّاسِ ، فَقَالَ قَيْسٌ قَدْ رَضِيتُ مَنْ رَضِيَ النُّعْمَانُ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الْبَصْرَةَ لَمَّا اتَّفَقَ قَيْسٌ وَالنُّعْمَانُ وَرَضِيَ قَيْسٌ بِمَنْ يُؤَمِّرُهُ النُّعْمَانُ أَشْهَدَ عَلَيْهِ النُّعْمَانُ بِذَلِكَ وَأَخَذَ عَلَى قَيْسٍ وَعَلَى النَّاسِ الْعُهُودَ بِالرِّضَى ، ثُمَّ أَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْأَسْوَدِ وَأَخَذَ بِيَدِهِ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ بَايَعَهُ ثُمَّ تَرَكَهُ وَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْمُلَقَّبِ بِبَبَّةَ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَقَّ أَهْلِ بَيْتِهِ وَقَرَابَتِهِ وَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ مَا تَنْقِمُونَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَمِّ نَبِيِّكُمْ وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِمْ ، فَهُوَ ابْنُ أُخْتِكُمْ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ رَضِيتُ لَكُمْ بِهِ ، فَنَادَوْهُ قَدْ رَضِينَا ، وَبَايَعُوهُ وَأَقْبَلُوا بِهِ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ حَتَّى نَزَلَهَا ، وَذَلِكَ أَوَّلُ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ. |
| وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي بَيْعَتِهِ وَبَايَعْتُ أَقْوَامًا وَفَيْتُ بِعَهْدِهِمْ... |
| وَبَبَّةُ قَدْ بَايَعَتْهُ غَيْرَ نَادِمِ ذِكْرُ هَرَبِ ابْنِ زِيَادٍ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ إِنَّ الْأَزْدَ وَرَبِيعَةَ جَدَّدُوا الْحِلْفَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَمَاعَةِ ، وَأَنْفَقَ ابْنُ زِيَادٍ مَالًا كَثِيرًا فِيهِمْ حَتَّى تَمَّ الْحِلْفُ وَكَتَبُوا بِذَلِكَ بَيْنَهُمْ كِتَابَيْنِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو. |
| فَلَمَّا سَمِعَ الْأَحْنَفُ أَنَّ الْأَزْدَ طَلَبَتْ إِلَى رَبِيعَةَ ذَلِكَ ، قَالَ لَا يَزَالُونَ لَهُمْ أَتْبَاعًا إِذَا أَتَوْهُمْ. |
| فَلَمَّا تَحَالَفُوا اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَرُدُّوا ابْنَ زِيَادٍ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ ، فَسَارُوا ، وَرَئِيسُهُمْ مَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو ، وَقَالُوا لِابْنِ زِيَادٍ سِرْ مَعَنَا ، فَلَمْ يَفْعَلْ وَأَرْسَلَ مَعَهُ مَوَالِيَهُ عَلَى الْخَيْلِ وَقَالَ لَهُمْ لَا تَتَحَدَّثُوا بِخَيْرٍ وَلَا بِشَرٍّ إِلَّا أَتَيْتُمُونِي بِهِ ، فَجَعَلَ مَسْعُودٌ لَا يَأْتِي سِكَّةً وَلَا يَتَجَاوَزُ قَبِيلَةً إِلَّا أَتَى بَعْضُ أُولَئِكَ الْغِلْمَانِ ابْنَ زِيَادٍ بِالْخَبَرِ ، وَسَارَتْ رَبِيعَةُ ، وَعَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ ، فَأَخَذُوا سِكَّةَ الْمِرْبَدِ ، وَجَاءَ مَسْعُودٌ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ مَسْعُودًا وَأَهْلَ الْيَمَنِ وَرَبِيعَةَ قَدْ سَارُوا وَسَيُهَيَّجُ بَيْنَ النَّاسِ شَرٌّ ، فَلَوْ أَصْلَحْتَ بَيْنَهُمْ أَوْ رَكِبْتَ فِي بَنِي تَمِيمٍ عَلَيْهِمْ. |
| فَقَالَ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ ، لَا وَاللَّهِ لَا أُفْسِدَنَّ نَفْسِي فِي إِصْلَاحِهِمْ! |
| وَجَعَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مَسْعُودٍ يَقُولُ لَأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ جَارِيَةً فِي قُبَّهْ... |
| تَمْشُطُ رَأْسَ لُعْبَهْ هَذَا قَوْلُ الْأَزْدِ ، وَأَمَّا قَوْلُ مُضَرَ فَيَقُولُونَ إِنَّ أُمَّهُ كَانَتْ تُرَقِّصُهُ وَتَقُولُ هَذَا. |
| وَصَعِدَ مَسْعُودٌ الْمِنْبَرَ وَسَارَ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ نَحْوَ دُورِ بَنِي تَمِيمٍ حَتَّى دَخَلَ سِكَّةَ بَنِي الْعَدَوِيَّةِ فَحَرَّقَ دُورَهُمْ لِمَا فِي نَفْسِهِ لِاسْتِعْرَاضِ ابْنِ خَازِمٍ رَبِيعَةَ بِهَرَاةَ. |
| وَجَاءَ بَنُو تَمِيمٍ إِلَى الْأَحْنَفِ فَقَالُوا يَا أَبَا بَحْرٍ ، إِنَّ رَبِيعَةَ وَالْأَزْدَ قَدْ تَحَالَفُوا وَقَدْ سَارُوا إِلَى الرَّحْبَةِ فَدَخَلُوهَا. |
| فَقَالَ لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِالْمَسْجِدِ مِنْهُمْ. |
| فَقَالُوا قَدْ دَخَلُوا الدَّارَ. |
| فَقَالَ لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِالدَّارِ مِنْهُمْ. |
| فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِمِجْمَرٍ وَقَالَتْ لَهُ مَا لَكَ وَلِلرِّيَاسَةِ ، إِنَّمَا أَنْتَ امْرَأَةٌ تَتَجَمَّرُ! |
| فَقَالَ اسْتُ الْمَرْأَةِ أَحَقُّ بِالْمِجْمَرِ ، فَمَا سُمِعَ مِنْهُ كَلِمَةٌ أَسْوَأُ مِنْهَا ، ثُمَّ أَتَوْهُ فَقَالُوا إِنَّ امْرَأَةً مِنَّا قَدْ سُلِبَتْ خَلْخَالَهَا ، وَقَدْ قَتَلُوا الصَّبَّاغَ الَّذِي عَلَى طَرِيقِكَ وَقَتَلُوا الْمُقْعَدَ الَّذِي عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ دَخَلَ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ سِكَّةَ بَنِي الْعَدَوِيَّةِ فَحَرَّقَ. |
| فَقَالَ الْأَحْنَفُ أَقِيمُوا الْبَيِّنَةَ عَلَى هَذَا ، فَفِي دُونِ هَذَا مَا يُحِلُّ قِتَالَهُمْ. |
| فَشَهِدُوا عِنْدَهُ عَلَى ذَلِكَ. |
| فَقَالَ الْأَحْنَفُ أَجَاءَ عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ ؟ |
| قَالُوا لَا ، وَهُوَ عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ، ثُمَّ قَالَ أَجَاءَ عَبَّادٌ ؟ |
| قَالُوا لَا. |
| قَالَ أَهَاهُنَا عَبْسُ بْنُ طَلْقِ بْنِ رَبِيعَةَ الصُّرَيْمِيُّ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ؟ |
| قَالُوا نَعَمْ ، فَدَعَاهُ فَانْتَزَعَ مِعْجَرًا فِي رَأْسِهِ فَعَقَدَهُ فِي رُمْحٍ ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ سِرْ ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ اللَّهُمَّ لَا تُخْزِهَا الْيَوْمَ فَإِنَّكَ لَمْ تُخْزِهَا فِيمَا مَضَى ، وَصَاحَ النَّاسُ هَاجَتْ زَبْرَاءُ! |
| وَهِيَ أَمَةٌ لِلْأَحْنَفِ كَنَّوْا بِهَا عَنْهُ. |
| فَسَارَ عَبْسٌ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا سَارَ عَبْسٌ جَاءَ عَبَّادٌ فَقَالَ مَا صَنَعَ النَّاسُ ؟ |
| فَقِيلَ سَارَ بِهِمْ عَبْسٌ. |
| فَقَالَ لَا أَسِيرُ تَحْتَ لِوَاءِ عَبْسٍ ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ وَمَعَهُ سِتُّونَ فَارِسًا. |
| فَلَمَّا وَصَلَ عَبْسٌ إِلَى الْمَسْجِدِ قَاتَلَ الْأَزْدُ عَلَى أَبْوَابِهِ ، وَمَسْعُودٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يُحَضِّضُ النَّاسَ ، فَقَاتَلَ غَطَفَانُ بْنُ أُنَيْفٍ التَّمِيمِيُّ وَهُوَ يَقُولُ يَالَ تَمِيمٍ إِنَّهَا مَذْكُورَهْ... |
| إِنْ فَاتَ مَسْعُودٌ بِهَا مَشْهُورَهْ فَاسْتَمْسِكُوا بِجَانِبِ الْمَقْصُورَهْ أَيْ لَا يَهْرُبُ فَيَفُوتَ . |
| وَأَتَوْا مَسْعُودًا وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَاسْتَنْزَلُوهُ فَقَتَلُوهُ ، وَذَلِكَ أَوَّلُ شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَهَرَبَ أَشْيَمُ بْنُ شَقِيقِ بْنِ ثَوْرٍ فَطَعَنَهُ أَحَدُهُمْ فَنَجَا بِهَا ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ لَوْ أَنَّ أَشْيَمَ لَمْ يَسْبِقْ أَسِنَّتَنَا... |
| وَأَخْطَأَ الْبَابَ إِذْ نِيرَانُنَا تَقِدُ إِذًا لَصَاحَبَ مَسْعُودًا وَصَاحِبَهُ... |
| وَقَدْ تَهَافَتَتِ الْأَعْفَاجُ وَالْكَبِدُ وَلَمَّا صَعِدَ مَسْعُودٌ الْمِنْبَرَ أَتَى ابْنُ زِيَادٍ فَقِيلَ لَهُ ذَلِكَ ، فَتَهَيَّأَ لِيَجِيءَ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ ، فَأَتَوْهُ وَقَالُوا لَهُ إِنَّهُ قُتِلَ مَسْعُودٌ ، فَرَكِبَ وَلَحِقَ بِالشَّامِ. |
| فَأَمَّا مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ فَأَتَاهُ مِنْ مُضَرَ فَحَصَرُوهُ فِي دَارِهِ وَحَرَّقُوا دَارَهُ. |
| وَلَمَّا هَرَبَ ابْنُ زِيَادٍ تَبِعُوهُ فَأَعْجَزَهُمْ فَنَهَبُوا مَا وَجَدُوا لَهُ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ وَاقَدُ بْنُ خَلِيفَةَ التَّمِيمِيُّ يَا رُبَّ جَبَّارٍ شَدِيدِ كَلْبُهْ... |
| قَدْ صَارَ فِينَا تَاجُهُ وَسَلَبُهْ مِنْهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ يَوْمَ نَسْلُبُهْ... |
| جِيَادَهُ وَبَزَّهُ وَنَنْهَبُهْ يَوْمَ الْتَقَى مِقْنَبُنَا وَمِقْنَبُهْ... |
| لَوْ لَمْ يُنَجِّ ابْنَ زِيَادٍ هَرَبُهْ وَقَدْ قِيلَ فِي قَتْلِ مَسْعُودٍ وَمَسِيرِ ابْنِ زِيَادٍ غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ ، هُوَ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَجَارَ ابْنُ زِيَادٍ بِمَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو أَجَارَهُ ، ثُمَّ سَارَ ابْنُ زِيَادٍ إِلَى الشَّامِ وَأَرْسَلَ مَعَهُ مَسْعُودٌ مِائَةً مِنَ الْأَزْدِ حَتَّى قَدِمُوا بِهِ إِلَى الشَّامِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَالَ قَدْ ثَقُلَ عَلَيَّ رُكُوبُ الْإِبِلِ فَوَطِّئُوا لِي عَلَى ذِي حَافِرٍ ، فَجَعَلُوا لَهُ قَطِيفَةً عَلَى حِمَارٍ ، فَرَكِبَهُ ثُمَّ سَارَ وَسَكَتَ طَوِيلًا. |
| قَالَ مُسَافِرُ بْنُ شُرَيْحٍ الْيَشْكُرِيُّ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَئِنْ كَانَ نَائِمًا لَأُنَغِّصَنَّ عَلَيْهِ نَوْمَهُ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ أَنَائِمٌ أَنْتَ ؟ |
| قَالَ لَا ، كُنْتُ أُحَدِّثَ نَفْسِي. |
| قُلْتُ أَفَلَا أُحَدِّثُكَ بِمَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ ؟ |
| قَالَ هَاتِ. |
| قُلْتُ كُنْتَ تَقُولُ لَيْتَنِي لَمْ أَقْتُلْ حُسَيْنًا. |
| قَالَ وَمَاذَا ؟ |
| قُلْتُ تَقُولُ لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ قَتَلْتُ مَنْ قَتَلْتُ. |
| قَالَ وَمَاذَا ؟ |
| قُلْتُ تَقُولُ لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ بَنَيْتُ الْبَيْضَاءَ. |
| قَالَ وَمَاذَا ؟ |
| قُلْتُ تَقُولُ لَيْتَنِي لَمْ أَكُنِ اسْتَعْمَلْتُ الدَّهَاقِينَ. |
| قَالَ وَمَاذَا ؟ |
| قُلْتُ تَقُولُ لَيْتَنِي كُنْتُ أَسْخَى مِمَّا كُنْتُ. |
| قَالَ أَمَّا قَتْلِي الْحُسَيْنَ فَإِنَّهُ أَشَارَ إِلَيَّ يَزِيدُ بِقَتْلِهِ أَوْ قَتْلِي فَاخْتَرْتُ قَتْلَهُ ، وَأَمَّا الْبَيْضَاءُ فَإِنِّي اشْتَرَيْتُهَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ الثَّقَفِيِّ وَأَرْسَلَ إِلَيَّ يَزِيدُ بِأَلْفِ أَلْفٍ فَأَنْفَقَهَا عَلَيْهَا ، فَإِنْ بَقِيَتْ فَلِأَهْلِي ، وَإِنْ هَلَكْتُ لَمْ آسَ عَلَيْهَا ، وَأَمَّا اسْتِعْمَالُ الدَّهَاقِينِ فَإِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ وَزَاذَانَ فَرُّوخٍ وَقَعَا فِيَّ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ حَتَّى ذَكَرُوا قُشُورَ الْأَرُزِّ فَبَلَغَا بِخَرَاجِ الْعِرَاقِ مِائَةَ أَلْفِ أَلْفٍ ، فَخَيَّرَنِي مُعَاوِيَةُ بَيْنَ الْعَزْلِ وَالضَّمَانِ ، فَكَرِهْتُ الْعَزْلَ ، فَكُنْتُ إِذَا اسْتَعْمَلْتُ الْعَرَبِيَّ كَسَرَ الْخَرَاجَ ، فَإِنْ أَغْرَمْتُ عَشِيرَتَهُ أَوْ طَالَبْتُهُ أَوْغَرْتُ صُدُورَهُمْ ، وَإِنْ تَرَكْتُهُ تَرَكْتُ مَالَ اللَّهِ وَأَنَا أَعْرِفُ مَكَانَهُ ، فَوَجَدْتُ الدَّهَاقِينَ أَبْصَرَ بِالْجِبَايَةِ وَأَوْفَى بِالْأَمَانَةِ وَأَهْوَنَ بِالْمُطَالَبَةِ مِنْكُمْ ، مَعَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُكُمْ أُمَنَاءَ عَلَيْهِمْ لِئَلَّا يَظْلِمُوا أَحَدًا ، وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي السَّخَاءِ فَمَا كَانَ لِي مَالٌ فَأَجُودَ بِهِ عَلَيْكُمْ ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَخَذْتُ بَعْضَ مَالِكُمْ فَخَصَصْتُ بِهِ بَعْضَكُمْ دُونَ بَعْضٍ فَيَقُولُونَ مَا أَسْخَاهُ. |
| وَأَمَّا قَوْلُكَ لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ قَتَلْتُ مَنْ قَتَلْتُ فَمَا عَمِلْتُ بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ عَمَلًا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ عِنْدِي مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَلَكِنِّي سَأُخْبِرُكَ بِمَا حَدَّثْتُ بِهِ نَفْسِي ، قُلْتُ لَيْتَنِي كُنْتُ قَاتَلْتُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ فَإِنَّهُمْ بَايَعُونِي طَائِعِينَ ، وَلَقَدْ حَرَصْتُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ بَنِي زِيَادٍ قَالُوا إِنْ قَاتَلْتَهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْكَ لَمْ يُبْقُوا مِنَّا أَحَدًا ، وَإِنَّ تَرَكْتَهُمْ تَغَيَّبَ الرَّجُلُ مِنَّا عِنْدَ أَخْوَالِهِ وَأَصْهَارِهِ فَوَقَعْتُ بِهِمْ ، فَكُنْتُ أَقُولُ لَيْتَنِي أَخْرَجْتُ أَهْلَ السِّجْنِ فَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ ، وَأَمَّا إِذْ فَاتَتْ هَاتَانِ فَلَيْتَنِي أَقْدَمُ الشَّامَ وَلَمْ يُبْرِمُوا أَمْرًا. |
| قَالَ فَقَدِمَ الشَّامَ وَلَمْ يُبْرِمُوا أَمْرًا ، فَكَأَنَّمَا كَانُوا مَعَهُ صِبْيَانًا ، وَقِيلَ بَلْ قَدِمَ وَقَدْ أَبْرَمُوا فَنَقَضَ عَلَيْهِمْ مَا أَبْرَمُوا. |
| فَلَمَّا سَارَ مِنَ الْبَصْرَةِ اسْتَخْلَفَ مَسْعُودًا عَلَيْهَا ، فَقَالَ بَنُو تَمِيمٍ وَقَيْسٌ لَا نَرْضَى بِهِ ، وَلَا نُوَلِّي إِلَّا رَجُلًا تَرْضَاهُ جَمَاعَتُنَا. |
| فَقَالَ مَسْعُودٌ قَدِ اسْتَخْلَفَنِي وَلَا أَدَعُ ذَلِكَ أَبَدًا. |
| وَخَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَصْرِ وَدَخَلَهُ ، وَاجْتَمَعَتْ تَمِيمٌ إِلَى الْأَحْنَفِ فَقَالُوا لَهُ إِنَّ الْأَزْدَ قَدْ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ. |
| قَالَ إِنَّمَا هُوَ لَهُمْ وَلَكُمْ. |
| قَالُوا قَدْ دَخَلُوا الْقَصْرَ وَصَعِدَ مَسْعُودٌ الْمِنْبَرَ ، وَكَانَتْ خَوَارِجُ قَدْ خَرَجُوا فَنَزَلُوا نَهْرَ الْأَسَاوِرَةِ حِينَ خَرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى الشَّامِ ، فَزَعَمَ النَّاسُ أَنَّ الْأَحْنَفَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ دَخَلَ الْقَصْرَ هُوَ لَنَا وَلَكُمْ عَدُوٌّ فَمَا يَمْنَعُكُمْ عَنْهُ! |
| فَجَاءَتْ عِصَابَةٌ مِنْهُمْ حَتَّى دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَمَسْعُودٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يُبَايِعُ مَنْ أَتَاهُ ، فَرَمَاهُ عِلْجٌ يُقَالُ لَهُ مُسْلِمٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ ، دَخَلَ الْبَصْرَةَ فَأَسْلَمَ ثُمَّ دَخَلَ فِي الْخَوَارِجِ ، فَأَصَابَ قَلْبَهُ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ النَّاسُ قَتَلَهُ الْخَوَارِجُ ، فَخَرَجَتِ الْأَزْدُ إِلَى تِلْكَ الْخَوَارِجِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَجَرَحُوا فَطَرَدُوهُمْ عَنِ الْبَصْرَةِ. |
| ثُمَّ قِيلَ لِلْأَزْدِ إِنَّ تَمِيمًا قَتَلُوا مَسْعُودًا ، فَأَرْسَلُوا يَسْأَلُونَ ، فَإِذَا نَاسٌ مِنْ تَمِيمٍ تَقُولُهُ ، فَاجْتَمَعَتِ الْأَزْدُ عِنْدَ ذَلِكَ فَرَأَّسُوا عَلَيْهِمْ زِيَادَ بْنَ عَمْرٍو أَخَا مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو وَمَعَهُمْ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ فِي رَبِيعَةَ ، وَجَاءَتْ تَمِيمٌ إِلَّا الْأَحْنَفَ يَقُولُونَ قَدْ خَرَجَ الْقَوْمُ ، وَهُوَ يَتَمَكَّثُ لَا يَخِفُّ لِلْفِتْنَةِ ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ بِمِجْمَرٍ فَقَالَتُ اجْلِسْ عَلَى هَذَا ، أَيْ إِنَّمَا أَنْتَ امْرَأَةٌ. |
| فَخَرَجَ الْأَحْنَفُ فِي بَنِي تَمِيمٍ وَمَعَهُمْ مَنْ بِالْبَصْرَةِ مِنْ قَيْسٍ فَالْتَقَوْا ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةٌ ، فَقَالَ لَهُمْ بَنُو تَمِيمٍ اللَّهَ اللَّهَ يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ فِي دِمَائِنَا وَدِمَائِكُمْ ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْقُرْآنُ وَمَنْ شِئْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا بَيِّنَةً ، فَاخْتَارُوا أَفْضَلَ رَجُلٍ فِينَا فَاقْتُلُوهُ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ بَيِّنَةٌ فَإِنَّا نَحْلِفُ بِاللَّهِ مَا قَتَلْنَا وَلَا أَمَرْنَا وَلَا نَعْلَمُ لَهُ قَاتِلًا ، وَإِنْ لَمْ تُرِيدُوا ذَلِكَ فَنَحْنُ نَدِي صَاحِبَكُمْ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. |
| وَأَتَاهُمُ الْأَحْنَفُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ مِمَّا قِيلَ ، وَسَفَرَ بَيْنَهُمْ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، فَطَلَبُوا عَشْرَ دِيَاتٍ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَاصْطَلَحُوا عَلَيْهِ. |
| وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بَبَّةُ فَإِنَّهُ أَقَامَ يُصَلِّي بِهِمْ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ أَمِيرًا مِنْ قِبَلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ. |
| وَقِيلَ بَلْ كَتَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى عُمَرَ بِعَهْدِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَتَاهُ الْكِتَابُ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْعُمْرَةِ ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَخِيهِ عُبَيْدِ اللَّهِ يَأْمُرُهُ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَصَلَّى بِهِمْ حَتَّى قَدِمَ عُمَرُ ، فَبَقِيَ عُمَرُ أَمِيرًا شَهْرًا حَتَّى قَدِمَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ بِعَزْلِهِ وَوَلِيَهَا الْحَارِثُ ، وَهُوَ الْقُبَاعُ. |
| وَقِيلَ اعْتَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بَبَّةُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ بَعْدَ قَتْلِ مَسْعُودٍ بِسَبَبِ الْعَصَبِيَّةِ وَانْتِشَارِ الْخَوَارِجِ ، فَكَتَبَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَكَتَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَصَلَّى بِهِمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ يَقُولُ مَا أُحِبُّ أَنْ أُصْلِحَ النَّاسَ بِفَسَادِ نَفْسِي ، وَكَانَ يَتَدَيَّنُ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ سَارَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ إِلَى الْأَهْوَازِ مِنَ الْبَصْرَةِ. |
| وَأَمَّا أَهْلُ الْكُوفَةِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَدُّوا رُسُلَ ابْنِ زِيَادٍ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ ، عَزَلُوا خَلِيفَتَهُ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَقَالُوا نُؤَمِّرُ عَلَيْنَا رَجُلًا إِلَى أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى خَلِيفَةٍ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ، فَجَاءَتْ نِسَاءُ هَمْدَانَ يَبْكِينَ الْحُسَيْنَ ، وَرِجَالُهُمْ مُتَقَلَّدُو السُّيُوفِ ، فَأَطَافُوا بِالْمِنْبَرِ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ جَاءَ أَمْرٌ غَيْرُ مَا كُنَّا فِيهِ. |
| وَكَانَتْ كِنْدَةُ تَقُومُ بِأَمْرِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ لِأَنَّهُمْ أَخْوَالُهُ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى عَامِرِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ الْجُمَحِيِّ ، فَخَطَبَ أَهْلَ الْكُوفَةِ فَقَالَ إِنْ لِكُلِّ قَوْمٍ أَشْرِبَةً وَلَذَّاتٍ فَاطْلُبُوهَا فِي مَظَانِّهَا ، وَعَلَيْكُمْ بِمَا يَحِلُّ وَيُحْمَدُ ، وَاكْسِرُوا شَرَابَكُمْ بِالْمَاءِ ، وَتَوَارَوْا عَنِّي بِهَذِهِ الْجُدْرَانِ ، فَقَالَ ابْنُ هَمَّامٍ اشْرَبْ شَرَابَكَ وَانْعَمْ غَيْرَ مَحْسُودِ وَاكْسِرْهُ بِالْمَاءِ لَا تَعْصِ ابْنَ مَسْعُودِ إِنَّ الْأَمِيرَ لَهُ فِي الْخَمْرِ مَأْرَبَةٌ فَاشْرَبْ هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ مَرْصُودِ مَنْ ذَا يُحَرِّمُ مَاءَ الْمُزْنِ خَالَطَهُ فِي قَعْرِ خَابِيَةٍ مَاءُ الْعَنَاقِيدِ إِنِّي لَأَكْرَهُ تَشْدِيدَ الرُّوَاةِ لَنَا فِيهَا وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودِ وَلَمَّا بَايَعَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ أَقَرَّهُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ يُلَقَّبُ دُحْرُوجَةَ الْجُعَلِ ، وَكَانَ قَصِيرًا ، فَمَكَثَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ مِنْ مَهْلِكِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْخَطْمِيُّ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ عَلَى الْخَرَاجِ مِنْ عِنْدِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَاسْتَعْمَلَ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَبِ بْنَ قَيْسٍ عَلَى الْمَوْصِلِ ، فَاجْتَمَعَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، وَمَنْ بِالْقِبْلَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَهْلِ الْجَزِيرَةِ وَأَهْلِ الشَّامِ إِلَّا أَهْلَ الْأُرْدُنِّ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ. |
| وَكَانَ طَاعُونُ الْجَارِفِ بِالْبَصْرَةِ ، فَمَاتَتْ أُمُّهُ فَمَا وُجِدَ لَهَا مَنْ يَحْمِلُهَا حَتَّى اسْتَأْجَرُوا لَهَا أَرْبَعَةَ أَعْلَاجٍ فَحَمَلُوهَا. |
| ذِكْرُ خِلَافِ أَهْلِ الرَّيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ خَالَفَ أَهْلُ الرَّيِّ ، وَكَانَ عَلَيْهِمُ الْفَرُّخَانُ الرَّازِيُّ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَامِرُ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ ، مُحَمَّدَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ عُطَارِدِ بْنِ حَاجِبِ بْنِ زُرَارَةَ بْنِ عُدَسِ التَّمِيمِيَّ ، فَلَقِيَهُ أَهْلُ الرَّيِّ ، فَانْهَزَمَ مُحَمَّدٌ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَامِرٌ عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ الرِّيَاحِيَّ التَّمِيمِيَّ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فَقُتِلَ الْفَرُّخَانُ وَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، وَكَانَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ مَعَ عَلِيٍّ بِصِفِّينَ عَلَى تَمِيمِ الْكُوفَةِ ، ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا وَلِيَ الْحَجَّاجُ الْكُوفَةَ فَارَقَهَا وَسَارَ إِلَى الشَّامِ لِكَرَاهَتِهِ وِلَايَةَ الْحَجَّاجِ. |
| ذِكْرُ بَيْعَةِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بُويِعَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بِالشَّامِ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِيهَا أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ وَلَّى عُبَيْدَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ الْمَدِينَةَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جَحْدَمٍ الْفِهْرِيَّ مِصْرَ ، وَأَخْرَجَ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ إِلَى الشَّامِ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا قَدِمَ الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ أَخْبَرَ مَرْوَانَ بِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَقَالَ لَهُ وَلِبَنِي أُمَيَّةَ نَرَاكُمْ فِي اخْتِلَاطٍ فَأَقِيمُوا أَمِيرَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكُمْ شَأْمَكُمْ فَتَكُونَ فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ. |
| وَكَانَ مِنْ رَأْيِ مَرْوَانَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَيُبَايِعَهُ بِالْخِلَافَةِ ، فَقَدِمَ ابْنُ زِيَادٍ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَبَلَغَهُ مَا يُرِيدُ مَرْوَانُ أَنْ يَفْعَلَ ، فَقَالَ لَهُ قَدِ اسْتَحْيَيْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ ، أَنْتَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا تَمْضِي إِلَى أَبِي خُبَيْبٍ فَتُبَايِعُهُ ، يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُكْنَى بِابْنِهِ خُبَيْبٍ! |
| فَقَالَ مَا فَاتَ شَيْءٌ بَعْدُ ، فَقَامَ مَعَهُ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَوَالِيهِمْ وَتَجَمَّعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ فَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ وَهُوَ يَقُولُ مَا فَاتَ شَيْءٌ بَعْدُ ، فَقَدِمَ دِمَشْقَ وَالضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ قَدْ بَايَعَهُ أَهْلُهَا عَلَى أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ وَيُقِيمَ لَهُ أَمْرَهُمْ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ سِرًّا. |
| وَكَانَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ بِقَنْسَرِينَ يُبَايِعُ لِابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ بِحِمْصَ يُبَايِعُ لَهُ أَيْضًا ، وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ بِحَدْلٍ الْكَلْبِيُّ بِفِلَسْطِينَ عَامِلًا لِمُعَاوِيَةَ وَلِابْنِهِ يَزِيدَ وَهُوَ يُرِيدُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَسَارَ إِلَى الْأُرْدُنِّ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى فِلَسْطِينَ رَوْحَ بْنَ زِنْبَاعٍ الْجُذَامِيَّ ، فَثَارَ نَاتِلُ بْنُ قَيْسٍ بِرَوْحٍ فَأَخْرَجَهُ مِنْ فِلَسْطِينَ وَبَايَعَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ. |
| وَكَانَ حَسَّانُ فِي الْأُرْدُنِّ يَدْعُو إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَالَ لِأَهْلِ الْأُرْدُنِّ مَا شَهَادَتُكُمْ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَتْلَى الْحَرَّةِ ؟ |
| قَالَ نَشْهَدُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ وَأَنَّ قَتْلَى الْحَرَّةِ فِي النَّارِ. |
| قَالَ فَمَا شَهَادَتُكُمْ عَلَى يَزِيدَ وَقَتْلَاكُمْ بِالْحَرَّةِ ؟ |
| قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَأَنَّ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ. |
| قَالَ فَأَنَا أَشْهَدُ لَئِنْ كَانَ يَزِيدُ وَشِيعَتُهُ عَلَى حَقٍّ إِنَّهُمُ الْيَوْمَ عَلَى حَقٍّ ، وَلَئِنْ كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَشِيعَتُهُ عَلَى بَاطِلٍ إِنَّهُمُ الْيَوْمَ عَلَيْهِ. |
| قَالُوا لَهُ صَدَقْتَ ، نَحْنُ نُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ نُقَاتِلَ مَنْ خَالَفَكَ وَأَطَاعَ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى أَنْ تُجَنِّبَنَا هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ ، يَعْنُونَ ابْنَيْ يَزِيدَ عَبْدَ اللَّهِ وَخَالِدًا ، فَإِنَّا نَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَنَا النَّاسُ بِشَيْخٍ وَنَأْتِيَهُمْ بِصَبِيٍّ. |
| وَكَتَبَ حِسَانُ إِلَى الضَّحَّاكِ كِتَابًا يُعَظِّمُ فِيهِ حَقَّ بَنِيَ أُمَيَّةَ وَحُسْنَ بَلَائِهِمْ عِنْدَهُ وَيَذُمُّ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَنَّهُ خَلَعَ خَلِيفَتَيْنِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ كِتَابَهُ عَلَى النَّاسِ ، وَكَتَبَ كِتَابًا آخَرَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الرَّسُولِ ، وَاسْمُهُ بَاغِضَةُ ، وَقَالَ لَهُ إِنْ قَرَأَ كِتَابِي عَلَى النَّاسِ وَإِلَّا فَاقْرَأْ هَذَا الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ. |
| وَكَتَبَ حَسَّانُ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَحْضُرُوا ذَلِكَ ، فَقَدَمَ بَاغِضَةُ فَدَفَعَ كِتَابَ الضَّحَّاكِ إِلَيْهِ وَكِتَابَ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ صَعِدَ الضَّحَّاكُ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ لَهُ بَاغِضَةُ لِيُقْرَأْ كِتَابُ حَسَّانَ عَلَى النَّاسِ. |
| فَقَالَ لَهُ الضَّحَّاكُ اجْلِسْ ، فَقَامَ إِلَيْهِ الثَّانِيَةَ وَالثَّالِثَةَ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ اجْلِسْ ، فَأَخْرَجَ بَاغِضَةُ الْكِتَابَ وَقَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَدَقَ حَسَّانُ وَكَذَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، وَشَتَمَهُ. |
| وَقِيلَ كَانَ الْوَلِيدُ قَدْ مَاتَ بَعْدَ مَوْتِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ وَقَامَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي الْغِمْسِ الْغَسَّانِيُّ وَسُفْيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيُّ فَصَدَّقَا حَسَّانَ وَشَتَمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَقَامَ عَمْرُو بْنُ يَزِيدَ الْحَكَمِيُّ فَشَتَمَ حَسَّانَ وَأَثْنَى عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَأَمَرَ الضَّحَّاكُ بِالْوَلِيدِ وَيَزِيدَ بْنِ أَبِي الْغِمْسِ فَحُبِسُوا ، وَجَالَ النَّاسُ وَوَثَبَتْ كَلْبٌ عَلَى عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ الْحَكَمِيِّ فَضَرَبُوهُ وَمَزَّقُوا ثِيَابَهُ ، وَقَامَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ فَصَعِدَ مِرْقَاتَيْنِ مِنَ الْمِنْبَرِ وَسَكَنَ النَّاسُ ، وَنَزَلَ الضَّحَّاكُ فَصَلَّى الْجُمُعَةَ وَدَخَلَ الْقَصْرَ. |
| فَجَاءَتْ كَلْبٌ فَأَخْرَجُوا سُفْيَانَ ، وَجَاءَتْ غَسَّانُ فَأَخْرَجُوا يَزِيدَ ، وَجَاءَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ مَعَهُمَا أَخْوَالُهُمَا مِنْ كَلْبٍ فَأَخْرَجُوا الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ يُسَمُّونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ جَيْرُونَ الْأَوَّلِ. |
| ثُمَّ خَرَجَ الضَّحَّاكُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَجَلَسَ فِيهِ وَذَكَرَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ فَسَبَّهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ شَابٌّ مِنْ كَلْبٍ فَضَرَبَهُ بِعَصَا ، فَقَامَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَاقْتَتَلُوا ، قِيسٌ تَدْعُو إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَنُصْرَةِ الضَّحَّاكِ ، وَكَلْبٌ تَدْعُو إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ثُمَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ لِأَنَّهُ ابْنُ أُخْتِهِمْ. |
| وَدَخَلَ الضَّحَّاكُ دَارَ الْإِمَارَةِ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْغَدِ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَبَعَثَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ وَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ مَا يَكْرَهُونَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكْتُبُوا إِلَى حَسَّانَ وَيَكْتُبَ مَعَهُمْ لِيَسِيرَ مِنَ الْأُرْدُنِّ إِلَى الْجَابِيَةِ وَيَسِيرُونَ هُمْ مِنْ دِمَشْقَ فَيَجْتَمِعُونَ مَعَهُ بِالْجَابِيَةِ وَيُبَايِعُونَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَرَضُوا وَكَتَبُوا إِلَى حَسَّانَ ، وَسَارَ الضَّحَّاكُ وَبَنُو أُمَيَّةَ نَحْوَ الْجَابِيَةِ ، فَأَتَاهُ ثَوْرُ بْنُ مَعْنٍ السُّلَمِيُّ فَقَالَ دَعَوْتَنَا إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَبَايَعْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ وَأَنْتَ تَسِيرُ إِلَى هَذَا الْأَعْرَابِيِّ مِنْ كَلْبٍ تَسْتَخْلِفُ ابْنَ أُخْتِهِ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ! |
| قَالَ الضَّحَّاكُ فَمَا الرَّأْيُ ؟ |
| قَالَ الرَّأْيُ أَنْ تُظْهِرَ مَا كُنَّا نَكْتُمُ وَتَدْعُوَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ. |
| فَرَجَعَ الضَّحَّاكُ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ فَنَزَلَ بِمَرْجِ رَاهِطٍ وَدِمَشْقَ بِيَدِهِ ، وَاجْتَمَعَ بَنُو أُمَيَّةَ وَحَسَّانُ وَغَيْرُهُمْ بِالْجَابِيَةِ ، فَكَانَ حَسَّانُ يُصَلِّي بِهِمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَالنَّاسُ يَتَشَاوَرُونَ ، وَكَانَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ السَّكُونِيُّ يَهْوَى خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ ، وَالْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ يَمِيلُ إِلَى مَرْوَانَ ، فَقَالَ مَالِكٌ لِلْحُصَيْنِ هَلْ نُبَايِعُ هَذَا الْغُلَامَ الَّذِي نَحْنُ وَلَدْنَا أَبَاهُ وَقَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَتَنَا مِنْ أَبِيهِ فَإِنَّهُ يَحْمِلُنَا عَلَى رِقَابِ الْعَرَبِ غَدًا ؟ |
| يَعْنِي خَالِدًا. |
| فَقَالَ الْحُصَيْنُ لَا وَاللَّهِ لَا تَأْتِينَا الْعَرَبُ بِشَيْخٍ وَنَأْتِيهَا بِصَبِيٍّ. |
| فَقَالَ مَالِكٌ وَاللَّهِ لَئِنِ اسْتَخْلَفْتَ مَرْوَانَ لَيَحْسُدُكَ عَلَى سَوْطِكَ وَشِرَاكِ نَعْلِكَ وَظِلِّ شَجَرَةٍ تَسْتَظِلُّ بِهَا ، إِنَّ مَرْوَانَ أَبُو عَشِيرَةٍ وَأَخُو عَشِيرَةٍ فَإِنْ بَايَعْتُمُوهُ كُنْتُمْ عَبِيدًا لَهُمْ ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِابْنِ أُخْتِكُمْ ، فَقَالَ الْحُصَيْنُ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ قِنْدِيلًا مُعَلَّقًا مِنَ السَّمَاءِ وَأَنَّ مَنْ يَلِي الْخِلَافَةَ يَتَنَاوَلُهُ فَلَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ إِلَّا مَرْوَانَ ، وَاللَّهِ لَنَسْتَخْلِفَنَّهُ. |
| وَقَامَ رَوْحُ بْنُ زِنْبَاعٍ الْجُذَامِيُّ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَذْكُرُونَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَصُحْبَتَهُ وَقِدَمَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ كَمَا تَذْكُرُونَ ، وَلَكِنَّهُ ضَعِيفٌ ، وَلَيْسَ بِصَاحِبِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ الضَّعِيفُ ، وَتَذْكُرُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ كَمَا تَذْكُرُونَ أَنَّهُ ابْنُ حَوَارِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ ابْنُ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ ، وَلَكِنَّهُ مُنَافِقٌ قَدْ خَلَعَ خَلِيفَتَيْنِ يَزِيدَ وَابْنَهُ مُعَاوِيَةَ وَسَفَكَ الدِّمَاءَ وَشَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَيْسَ الْمُنَافِقُ بِصَاحِبِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، وَأَمَّا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَوَاللَّهِ مَا كَانَ فِي الْإِسْلَامِ صَدْعٌ إِلَّا كَانَ مِمَّنْ يُشَعِّبُهُ ، وَهُوَ الَّذِي قَاتَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَإِنَّا نَرَى لِلنَّاسِ أَنْ يُبَايِعُوا الْكَبِيرَ وَيَسْتَشِيرُوا الصَّغِيرَ ، يَعْنِي بِالْكَبِيرِ مَرْوَانَ ، وَبِالصَّغِيرِ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ. |
| فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى الْبَيْعَةِ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، ثُمَّ لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ، ثُمَّ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ مِنْ بَعْدِ خَالِدٍ ، عَلَى أَنَّ إِمْرَةَ دِمَشْقَ لِعَمْرٍو وَإِمْرَةَ حِمْصَ لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ. |
| فَدَعَا حَسَّانُ خَالِدًا فَقَالَ يَا بْنَ أُخْتِي ؛ إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَبَوْكَ لِحَدَاثَةِ سِنِّكَ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ وَمَا أُبَايِعُ مَرْوَانَ إِلَّا نَظَرًا لَكُمْ. |
| فَقَالَ خَالِدٌ بَلْ عَجَزْتَ عَنَّا. |
| قَالَ وَاللَّهِ مَا عَجَزْتُ عَنْكُمْ وَلَكِنَّ الرَّأْيَ لَكَ مَا رَأَيْتُ. |
| ثُمَّ بَايَعُوا مَرْوَانَ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، وَقَالَ مَرْوَانُ حِينَ بُويِعَ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا نَهْبَا... |
| يَسَّرْتُ غَسَّانَ لَهُمْ وَكَلْبَا وَالسَّكْسَكِيِّينَ رِجَالًا غُلْبَا... |
| وَطِيِّئًا تَأْبَاهُ إِلَّا ضَرْبَا وَالِقِينُ تَمْشِي فِي الْحَدِيدِ نُكْبَا وَمِنْ تَنُوخَ مُشَمْخِرًّا صَعْبَا... |
| لَا يَأْخُذُونَ الْمُلْكَ إِلَّا غَصْبَا فَإِنْ دَنَتْ قَيْسٌ فَقُلْ لَا قُرْبَا خُبَيْبٌ بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ، وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ . |
| ذِكْرُ وَقْعَةِ مَرْجِ رَاهِطٍ وَقَتْلِ الضَّحَّاكِ وَالنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ثُمَّ إِنَّ مَرْوَانَ لَمَّا بَايَعَهُ النَّاسُ سَارَ مِنَ الْجَابِيَةِ إِلَى مَرْجِ رَاهِطٍ ، وَبِهِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ وَمَعَهُ أَلْفُ فَارِسٍ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَمَدَّ الضَّحَّاكُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ وَهُوَ عَلَى حِمْصَ فَأَمَدَّهُ بِشُرَحْبِيلَ بْنِ ذِي الْكُلَاعِ ، وَاسْتَمَدَّ أَيْضًا زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ وَهُوَ عَلَى قِنَّسْرِينَ فَأَمَدَّهُ بِأَهْلِ قِنَّسْرِينَ ، وَأَمَدَّهُ نَاتِلُ بِأَهْلِ فِلَسْطِينَ ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ ، وَاجْتَمَعَ عَلَى مَرْوَانَ كَلْبٌ وَغَسَّانُ وَالسَّكَاسِكُ وَالسَّكُونُ ، وَجَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ عَمْرَو بْنَ سَعِيدٍ وَعَلَى مَسِيرَتِهِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ ، وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي الْغِمْسِ الْغَسَّانِيُّ مُخْتَفِيًا بِدِمَشْقَ لَمْ يَشْهَدِ الْجَابِيَةَ ، فَغَلَبَ عَلَى دِمَشْقَ وَأَخْرَجَ عَامِلَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ وَغَلَبَ عَلَى الْخَزَائِنِ وَبَيْتِ الْمَالِ وَبَايَعَ لِمَرْوَانَ وَأَمَدَّهُ بِالْأَمْوَالِ وَالرِّجَالِ وَالسِّلَاحِ ، فَكَانَ أَوَّلَ فَتْحٍ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ. |
| وَتَحَارَبَ مَرْوَانُ وَالضَّحَّاكُ بِمَرْجِ رَاهِطٍ عِشْرِينَ لَيْلَةً وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ الضَّحَّاكُ ، قَتَلَهُ دِحْيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقُتِلَ مَعَهُ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَقُتِلَ أَهْلُ الشَّامِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَقُتِلَتْ قَيْسٌ مَقْتَلَةً لَمْ يُقْتَلْ مِثْلَهَا فِي مَوْطِنٍ قَطُّ ، وَكَانَ فِيمَنْ قُتِلَ هَانِئُ بْنُ قَبِيصَةَ النُّمَيْرِيُّ سَيِّدُ قَوْمِهِ ، كَانَ مَعَ الضَّحَّاكِ ، قَتَلَهُ وَازِعُ بْنُ ذُؤَالَةَ الْكَلْبِيُّ ، فَلَمَّا سَقَطَ جَرِيحًا قَالَ تَعِسْتَ ابْنَ ذَاتِ النَّوْفِ أَجْهِزْ عَلَى... |
| فَتًى يَرَى الْمَوْتَ خَيْرًا مِنْ فِرَارٍ وَأَلْزَمَا وَلَا تَتْرُكَنِّي بِالْحُشَاشَةِ إِنَّنِي... |
| صَبُورٌ إِذَا مَا النِّكْسُ مِثْلُكَ أَحْجَمَا فَعَادَ إِلَيْهِ وَازِعٌ فَقَتَلَهُ . |
| وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، وَقِيلَ بَلْ كَانَتْ فِي آخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ. |
| وَلَمَّا رَأَى مَرْوَانُ رَأْسَ الضَّحَّاكِ سَاءَهُ ذَلِكَ وَقَالَ الْآنَ حِينَ كَبِرَتْ سِنِّي وَدَقَّ عَظْمِي وَصِرْتُ فِي مِثْلِ ظِمْءِ الْحِمَارِ ، أَقْبَلْتُ بِالْكَتَائِبِ أَضْرِبُ بَعْضَهَا بَعْضًا! |
| وَلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ مِنَ الْمَرْجِ لَحِقُوا بِأَجْنَادِهِمْ ، فَانْتَهَى أَهْلُ حِمْصَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ خَرَجَ هَارِبًا لَيْلًا وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ نَائِلَةُ بِنْتُ عُمَارَةَ الْكَلْبِيَّةُ وَثَقَلُهُ وَأَوْلَادُهُ ، فَتَحَيَّرَ لَيْلَتَهُ كُلَّهَا ، وَأَصْبَحَ أَهْلُ حِمْصَ فَطَلَبُوهُ ، وَكَانَ طَلَبَهُ عَمْرُو بْنُ الْجَلِيِّ الْكَلَاعِيُّ ، فَقَتَلَهُ وَرَدَّ أَهْلَهُ وَالرَّأْسَ مَعَهُ ، وَجَاءَتْ كَلْبٌ مِنْ أَهْلِ حِمْصَ فَأَخَذُوا نَائِلَةَ وَوَلَدَهَا مَعَهَا. |
| وَلَمَّا بَلَغَتِ الْهَزِيمَةُ زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ الْكِلَابِيَّ بِقِنِّسْرِينَ هَرَبَ مِنْهَا فَلَحِقَ بِقَرْقِيسْيَا وَعَلَيْهَا عِيَاضٌ الْحَرَشِيُّ ، وَكَانَ يَزِيدُ وَلَّاهُ إِيَّاهَا ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ الْحَمَّامَ ، وَيَحْلِفَ لَهُ بِالطَّلِاقِ وَالْعِتَاقِ عَلَى أَنَّهُ حِينَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَمَّامِ لَا يُقِيمُ بِهَا ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَهَا فَغَلَبَ عَلَيْهَا وَتَحَصَّنَ بِهَا وَلَمْ يَدْخُلْ حَمَّامَهَا ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قِيسٌ. |
| وَهَرَبَ نَاتِلُ بْنُ قَيْسٍ الْجُذَامِيُّ عَنْ فِلَسْطِينَ فَلَحِقَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ ، وَاسْتَعْمَلَ مَرْوَانُ بَعْدَهُ عَلَى فِلَسْطِينَ رَوْحَ بْنَ زِنْبَاعٍ وَاسْتَوْثَقَ الشَّامُ لِمَرْوَانَ وَاسْتَعْمَلَ عُمَّالَهُ عَلَيْهَا. |
| وَقِيلَ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ إِنَّمَا جَاءَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ وَهُمْ بِتَدْمُرَ ، وَمَرْوَانُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ لِيُبَايِعَهُ وَيَأْخُذَ مِنْهُ الْأَمَانَ لِبَنِي أُمَيَّةَ ، فَرَدَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ بِأَهْلِ تَدْمُرَ إِلَى الضَّحَّاكِ فَيُقَاتِلَهُ ، وَوَافَقَهُ عَمْرُو بْنَ سَعِيدٍ وَأَشَارَ عَلَى مَرْوَانَ بِأَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ لِيَسْقُطَ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ فَتَزَوَّجَهَا ، وَهِيَ فَاخِتَةُ ابْنَةُ أَبِي هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ ، ثُمَّ جَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ فَبَايَعُوهُ وَبَايَعَهُ أَهْلُ تَدْمُرَ ، وَسَارَ إِلَى الضَّحَّاكِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ ، فَخَرَجَ الضَّحَّاكُ إِلَيْهِ فَتَقَاتَلَا فَانْهَزَمَ الضَّحَّاكُ وَمَنْ مَعَهُ وَقُتِلَ الضَّحَّاكُ. |
| وَسَارَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ إِلَى قَرْقِيسْيَا ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ قَيْسٌ ، وَصَحِبَهُ فِي هَزِيمَتِهِ إِلَى قَرْقِيسْيَا شَابَّانِ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، فَجَاءَتْ خَيْلُ مَرْوَانَ تَطْلُبُهُمْ ، فَقَالَ الشَّابَّانِ لِزُفَرَ انْجُ بِنَفْسِكَ فَإِنَّا نَحْنُ نُقْتَلُ ، فَمَضَى زُفَرُ وَتَرَكَهُمَا فَقُتِلَا ، وَقَالَ زُفَرُ فِي ذَلِكَ أَرِينِي سِلَاحِي لَا أَبَا لَكِ إِنَّنِي... |
| أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا أَتَانِي عَنْ مَرْوَانَ بِالْغَيْبِ أَنَّهُ... |
| مُقَيِّدٌ دَمِي أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِيَا فَفِي الْعِيسِ مَنْجَاةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَهْرَبٌ... |
| إِذَا نَحْنُ رَفَّعْنَا لَهُنَّ الْمَثَانِيَا فَلَا تَحْسَبُونِي إِنْ تَغَيَّبْتُ غَافِلًا... |
| وَلَا تَفْرَحُوا إِنْ جِئْتُكُمْ بِلِقَائِيَا فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى... |
| لَهُ وَرَقٌ مِنْ تَحْتِهِ الشَّرُّ بَادِيَا وَنَمْضِي وَلَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ دِمْنَةٌ... |
| وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَا لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْقَتْ وَقِيعَةُ رَاهِطٍ... |
| لِحَسَّانَ صَدْعًا بَيِّنًا مُتَنَائِيَا فَلَمْ تُرَ مِنِّي نَبْوَةٌ قَبْلَ هَذِهِ فِرَارِي... |
| وَتَرْكِي صَاحِبَيَّ وَرَائِيَا عَشِيَّةَ أَدْعُو فِي الْقِرَانِ فَلَا أَرَى... |
| مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَلَيَّ وَلَا لِيَا أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأْتُهُ... |
| بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بَلَائِيَا فَلَا صُلْحَ حَتَّى تَنْحِطَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا... |
| وَتَثْأَرَ مِنْ نِسْوَانِ كَلْبٍ نِسَائِيَا أَلَا لَيْتَ شِعْرِي. |
| هَلْ تُصِيبَنَّ غَارَتِي... |
| تَنُوخًا وَحَيَّيْ طَيِّئٍ مِنْ شِفَائِيَا فَأَجَابَهُ جَوَّاسُ بْنُ الْقَعْطَلِ لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْقَتْ وَقِيعَةُ رَاهِطٍ... |
| عَلَى زُفَرٍ مُرًّا مِنَ الدَّاءِ بَاقِيَا مُقِيمًا ثَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ مَحَلُّهُ... |
| وَبَيْنَ الْحَشَا أَعْيَا الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا تَبْكِي عَلَى قَتْلَى سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ... |
| وَذُبْيَانَ مَعْذُورًا وَتُبْكِي الْبَوَاكِيَا دَعَا بِالسِّلَاحِ ثُمَّ أَحْجَمَ إِذْ رَأَى... |
| سُيُوفَ جَنَابٍ وَالطَّوَالَ الْمُذَاكِيَا عَلَيْهَا كَأُسْدِ الْغَابِ فِتْيَانُ نَجْدَةٍ... |
| إِذَا شَرَعُوا نَحْوَ الطِّعَانِ الْعَوَالِيَا وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْجَلِيِّ الْكَلْبِيُّ بَكَى زُفَرُ الْقَيْسِيُّ مِنْ هُلْكِ قَوْمِهِ... |
| بِعَبْرَةِ عَيْنٍ مَا يَجِفُّ سُجُومُهَا يَبْكِي عَلَى قَتْلَى أُصِيبَتْ بِرَاهِطٍ... |
| تُجَاوِبُهُ هَامُ الْقِفَارِ وَبُومُهَا أَبَحْنَا حِمًى لِلْحَيِّ قِيسٍ بِرَاهِطٍ... |
| وَوَلَّتْ شِلَالًا وَاسْتُبِيحَ حَرِيمُهَا يُبَكِّيهِمْ حَرَّانَ تَجْرِي دُمُوعُهُ... |
| يُرَجِّي نِزَارًا أَنْ تَئُوِبَ حُلُومُهَا فَمُتْ كَمَدًا أَوْ عِشْ ذَلِيلًا مُهَضَّمًا... |
| بِحَسْرَةِ نَفْسٍ لَا تَنَامُ هُمُومُهَا فِي أَبْيَاتِ. |
| يَزِيدَ بْنِ أَبِي الْغِمْسِ بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، وَقِيلَ بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَانَ قَدِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَدَخَلَ الرُّومَ مَعَ جَبَلَةَ بْنِ الْأَيْهَمِ ثُمَّ عَاوَدَ الْإِسْلَامَ وَشَهِدَ صِفِّينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ وَعَاشَ إِلَى أَيَّامِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. |
| وَنَاتِلُ بِالنُّونِ ، وَالتَّاءِ الْمُعْجَمَةِ مِنْ فَوْقَ بِاثْنَتَيْنِ . |
| ذِكْرُ فَتْحِ مَرْوَانَ مِصْرَ فَلَمَّا قُتِلَ الضَّحَّاكُ وَأَصْحَابُهُ وَاسْتَقَرَّ الشَّامُ لِمَرْوَانَ سَارَ إِلَى مِصْرَ فَقَدِمَهَا وَعَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَحْدَمٍ الْقُرَشِيُّ يَدْعُو إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَخَرَجَ إِلَى مَرْوَانَ فِيمَنْ مَعَهُ ، وَبَعَثَ مَرْوَانُ عَمْرَو بْنَ سَعِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ حَتَّى دَخَلَ مِصْرَ ، فَقِيلَ لِابْنِ جَحْدَمٍ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ وَبَايَعَ النَّاسُ مَرْوَانَ وَرَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ. |
| فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ أَخَاهُ مُصْعَبًا فِي جَيْشٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَرْوَانُ عَمْرَو بْنَ سَعِيدٍ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الشَّامَ ، فَقَتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ مُصْعَبٌ وَأَصْحَابُهُ ، وَكَانَ مُصْعَبٌ شُجَاعًا. |
| ثُمَّ عَادَ مَرْوَانُ إِلَى دِمَشْقَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا. |
| وَقَدْ كَانَ الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ وَمَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ قَدِ اشْتَرَطَا عَلَى مَرْوَانَ شُرُوطًا لَهُمَا وَلِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ، فَلَمَّا تَوَطَّنَ مُلْكَهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ وَمَالِكٌ عِنْدَهُ إِنَّ قَوْمًا يَدَّعُونَ شُرُوطًا ، مِنْهُمْ عَطَّارَةٌ مُكَحَّلَةٌ ، يَعْنِي مَالِكًا وَكَانَ يَتَطَيَّبُ وَيَتَكَحَّلُ ، فَقَالَ مَالِكٌ هَذَا وَلَمَّا تَرِدِي تِهَامَةَ وَيَبْلُغَ الْحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ. |
| فَقَالَ مَرْوَانُ مَهْلًا يَا أَبَا سُلَيْمَانَ ، إِنَّمَا دَاعَبْنَاكَ! |
| فَقَالَ هُوَ ذَاكَ. |
| ذِكْرُ بَيْعَةِ أَهْلِ خُرَاسَانَ سَلْمَ بْنَ زِيَادٍ وَأَمْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ وَلَمَّا بَلَغَ سَلْمَ بْنَ زِيَادٍ ، وَهُوَ بِخُرَاسَانَ ، مَوْتُ يَزِيدَ كَتَمَ ذَلِكَ ، فَقَالَ ابْنُ عَرَادَةَ يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُغَلِّقُ بَابَهُ... |
| حَدَثَتْ أُمُورٌ شَأْنُهُنَّ عَظِيمُ قَتْلَى بِحَرَّةَ وَالَّذِينَ بِكَابُلٍ... |
| وَيَزِيدُ أُعْلِنَ شَأْنُهُ الْمَكْتُومُ أَبَنِي أُمَيَّةَ إِنَّ آخِرَ مَلْكِكُمْ... |
| جَسَدٌ بِحُوَّارِينَ ثُمَّ مُقِيمُ طَرَقَتْ مَنِيَّتُهُ وَعِنْدَ وِسَادِهِ... |
| كُوبُ وَزِقٌّ رَاعِفٌ مَرْثُومُ وَمُرِنَّةٌ تَبْكِي عَلَى نَشْوَانِهِ... |
| بِالصُّبْحِ تَقْعُدُ مَرَّةً وَتَقُومُ فَلَمَّا أَظْهَرَ شِعْرَهُ أَظْهَرَ سَلْمٌ مَوْتَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَابْنِهِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ عَلَى الرِّضَى حَتَّى يَسْتَقِيمَ أَمْرُ النَّاسِ عَلَى خَلِيفَةٍ ، فَبَايَعُوهُ ثُمَّ نَكَثُوا بِهِ بَعْدَ شَهْرَيْنِ ، وَكَانَ مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ مَحْبُوبًا فِيهِمْ ، فَلَمَّا خُلِعَ عَنْهُمُ اسْتُخْلِفَ عَلَيْهِمُ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ ، وَلَمَّا كَانَ بِسَرَخْسَ لَقِيَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مَرْثَدٍ ، أَحَدُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، فَقَالَ لَهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ نِزَارٌ حَتَّى خَلَّفْتَ عَلَى خُرَاسَانَ رَجُلًا مِنَ الْيَمَنِ ؟ |
| يَعْنِي الْمُهَلَّبَ ، وَكَانَ أَزْدِيًّا وَالْأَزْدُ مِنَ الْيَمَنِ ، فَوَلَّاهُ مَرْوَ الرُّوذِ وَالْفَارَيَابَ وَالطَّالَقَانَ وَالْجُوزَجَانَ ، وَوَلَّى أَوْسَ بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنَ زُفَرَ ، وَهُوَ صَاحِبُ قَصْرِ أَوْسٍ بِالْبَصْرَةِ ، هَرَاةَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى نَيْسَابُورَ لِقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ فَقَالَ مَنْ وَلَّيْتَ خُرَاسَانَ ؟ |
| فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ أَمَا وَجَدْتَ فِي الْمِصْرِ مَنْ تَسْتَعْمِلُهُ حَتَّى فَرَّقْتَ خُرَاسَانَ بَيْنَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَالْيَمَنِ ؟ |
| اكْتُبْ لِي عَهْدًا عَلَى خُرَاسَانَ. |
| فَكَتَبَ لَهُ وَأَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. |
| وَسَارَ ابْنُ خَازِمٍ إِلَى مَرْوَ ، وَبَلَغَ خَبَرُهُ الْمُهَلَّبَ فَأَقْبَلَ وَاسْتَخْلَفَ رَجُلًا مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، فَلَمَّا وَصَلَهَا ابْنُ خَازِمٍ مَنَعَهُ الْجُشَمِيُّ وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مُنَاوَشَةٌ ، فَأَصَابَتِ الْجُشَمِيَّ رَمْيَةٌ بِحَجَرٍ فِي جَبْهَتِهِ ، وَتَحَاجَزُوا ، وَدَخَلَهَا ابْنُ خَازِمٍ ، وَمَاتَ الْجُشَمِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمَيْنِ. |
| ثُمَّ سَارَ ابْنُ خَازِمٍ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ مَرْثَدٍ بِمَرْوِ الرُّوذِ فَقَاتَلَهُ أَيَّامًا فَقُتِلَ سُلَيْمَانُ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ وَهُوَ بِالطَّالَقَانِ فَاقْتَتَلُوا طَوِيلًا فَقُتِلَ عَمْرُو بْنُ مَرْثَدٍ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ فَلَحِقُوا بِهَرَاةَ بِأَوْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَرَجَعَ ابْنُ خَازِمٍ إِلَى مَرْوَ وَهَرَبَ مَنْ كَانَ بِمَرْوِ الرُّوذِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ إِلَى هَرَاةَ وَانْضَمَّ إِلَيْهَا مَنْ كَانَ بِكُوَرِ خُرَاسَانَ مِنْ بَكْرٍ وَكَثُرَ جَمْعُهُمْ وَقَالُوا لِأَوْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ نُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَسِيرَ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ وَتُخْرِجَ مُضَرَ مِنْ خُرَاسَانَ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ بَنُو صُهَيْبٍ ، وَهُمْ مَوَالِي بَنِي جَحْدَمٍ لَا نَرْضَى أَنْ نَكُونَ نَحْنُ وَمُضَرُ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ وَقَدْ قَتَلُوا سُلَيْمَانَ وَعَمْرًا ابْنِي مَرْثَدٍ ، فَإِمَّا أَنْ تُبَايِعَنَا عَلَى هَذَا وَإِلَّا بَايَعْنَا غَيْرَكَ. |
| فَأَجَابَهُمْ ، فَبَايَعُوهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ ابْنُ خَازِمٍ فَنَزَلَ عَلَى وَادٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَرَاةَ ، فَأَشَارَ الْبَكْرِيُّونَ بِالْخُرُوجِ مِنْ هَرَاةَ وَعَمَلِ خَنْدَقٍ ، فَقَالَ أَوْسٌ بَلْ نَلْزَمُ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا حَصِينَةٌ وَنُطَاوِلُ ابْنَ خَازِمٍ لِيَضْجَرَ وَيُعْطِيَنَا مَا نُرِيدُ. |
| فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، فَخَرَجُوا وَخَنْدَقُوا خَنْدَقًا ، وَقَاتَلَهُمُ ابْنُ خَازِمٍ نَحْوَ سَنَةٍ ، وَقَالَ لَهُ هِلَالٌ الضَّبِّيُّ إِنَّمَا تُقَاتِلُ إِخْوَتَكَ وَبَنِي أَبِيكَ ، فَإِنْ نِلْتَ مِنْهُمُ الَّذِي تُرِيدُ فَمَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ ، فَلَوْ أَعْطَيْتَهُمْ شَيْئًا يَرْضَوْنَ بِهِ وَأَصْلَحْتَ هَذَا الْأَمْرَ. |
| قَالَ وَاللَّهُ لَوْ خَرَجْنَا لَهُمْ مِنْ خُرَاسَانَ مَا رَضُوا. |
| قَالَ هِلَالٌ وَاللَّهِ لَا أُقَاتِلُ مَعَكَ أَنَا وَلَا رَجُلٌ أَوْ تُطِيعُنِي حَتَّى تَعْتَذِرَ إِلَيْهِمْ. |
| قَالَ فَأَنْتَ رَسُولِي إِلَيْهِمْ فَأَرْضِهِمْ. |
| فَأَتَى هِلَالٌ أَوْسَ بْنَ ثَعْلَبَةَ فَنَاشَدَهُ اللَّهَ وَالْقَرَابَةَ فِي نِزَارٍ وَأَنْ يَحْفَظَ وَلَاءَهَا. |
| فَقَالَ هَلْ لَقِيتَ بَنِي صُهَيْبٍ ؟ |
| قَالَ لَا. |
| قَالَ فَالْقَهَمُ. |
| قَالَ فَخَرَجَ فَلَقِيَ جَمَاعَةً مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ مَا أَتَى لَهُ. |
| فَقَالُوا لَهُ هَلْ لَقِيتَ بَنِي صُهَيْبٍ ؟ |
| فَقَالَ لَقَدْ عَظُمَ أَمْرُ بَنِي صُهَيْبٍ عِنْدَكُمْ ، فَأَتَاهُمْ ، فَقَالُوا لَوْلَا أَنَّكَ رَسُولٌ لَقَتَلْنَاكَ. |
| قَالَ فَهَلْ يُرْضِيكُمْ شَيْءٌ ؟ |
| قَالُوا وَاحِدَةٌ مِنِ اثْنَتَيْنِ إِمَّا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْ خُرَاسَانَ ، وَإِمَّا أَنْ تُقِيمُوا وَتَخْرُجُوا لَنَا عَنْ كُلِّ سِلَاحٍ وَكُرَاعٍ وَذَهَبٍ وَفِضَّةٍ. |
| فَرَجَعَ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ ، فَقَالَ مَا عَنْكَ ؟ |
| فَأَخْبَرَهُ. |
| فَقَالَ إِنَّ رَبِيعَةَ لَمْ تَزَلْ غِضَابًا عَلَى رَبِّهَا مُنْذُ بَعَثَ نَبِيَّهُ مِنْ مُضَرَ. |
| وَأَقَامَ ابْنُ خَازِمٍ يُقَاتِلُهُمْ ، فَقَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ قَدْ طَالَ مُقَامُنَا ، وَنَادَاهُمْ يَا مَعْشَرَ رَبِيعَةَ أَرَضِيْتُمْ مِنْ خُرَاسَانَ بِخَنْدَقِكُمْ! |
| فَأَحْفَظَهُمْ ذَلِكَ ، فَتَنَادَوْا لِلْقِتَالِ ، فَنَهَاهُمْ أَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ عَنِ الْخُرُوجِ بِجَمَاعَتِهِمْ وَأَنْ يُقَاتِلُوا كَمَا كَانُوا يُقَاتِلُونَ ، فَعَصَوْهُ. |
| فَقَالَ ابْنُ خَازِمٍ لِأَصْحَابِهِ اجْعَلُوهُ يَوْمَكُمْ فَيَكُونُ الْمُلْكُ لِمَنْ غَلَبَ ، وَإِذَا لَقِيتُمُ الْخَيْلَ فَاطْعَنُوهَا فِي مَنَاخِرِهَا. |
| فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً وَانْهَزَمَتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى خَنْدَقِهِمْ وَتَفَرَّقُوا يَمِينًا وَشِمَالًا وَسَقَطَ النَّاسُ فِي الْخَنْدَقِ وَقُتِلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا وَهَرَبَ أَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ إِلَى سِجِسْتَانَ فَمَاتَ بِهَا أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا ، وَقُتِلَ مِنْ بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ ، وَغَلَبَ ابْنُ خَازِمٍ عَلَى هَرَاةَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا ابْنَهُ مُحَمَّدًا وَضَمَّ إِلَيْهِ شَمَّاسَ بْنَ دِثَارٍ الْعُطَارِدِيَّ ، وَجَعَلَ بُكَيْرَ بَنَ وَسَّاجٍ الثَّقَفِيَّ عَلَى شُرْطَتِهِ وَرَجَعَ ابْنُ خَازِمٍ إِلَى مَرْوَ. |
| وَأَغَارَتِ التُّرْكُ عَلَى قَصْرِ اسْغَادَ ، وَابْنُ خَازِمٍ عَلَى هَرَاةَ ، وَكَانَ فِيهِ نَاسٌ مِنَ الْأَزْدِ ، فَحَصَرُوهُمْ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ خَازِمٍ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ زُهَيْرَ بْنَ حَيَّانَ فِي بَنِي تَمِيمٍ وَقَالَ لَهُ إِيَّاكَ وَمُنَاوَأَةَ التُّرْكِ ، إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاحْمِلُوا عَلَيْهِمْ. |
| فَوَافَاهُمْ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ ، فَلَمَّا الْتَقَوْا حَمَلَ عَلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمَتِ التُّرْكُ وَاتَّبَعُوهُمْ حَتَّى مَضَى عَامَّةُ اللَّيْلِ ، فَرَجَعَ زُهَيْرٌ وَقَدْ يَبَسَتْ يَدُهُ عَلَى رُمْحِهِ مِنَ الْبَرْدِ ، فَجَعَلُوا يُسَخِّنُونَ الشَّحْمَ فَيَضَعُهُ عَلَى يَدِهِ وَدَهَنُوهُ وَأَوْقَدُوا لَهُ نَارًا فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى هَرَاةَ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ ثَابِتُ قُطْنَةَ فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ... |
| عَلَى مَا كَانَ مِنْ ضَنْكِ الْمُقَامِ بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ وَقَدْ أَرَانِي... |
| أُحَامِي حِينَ قَلَّ بِهِ الْمُحَامِي بِسَيْفِي بَعْدَ كَسْرِ الرُّمْحِ فِيهِمْ... |
| أَذُودُهُمُ بِذِي شَطَبٍ حُسَامِ أَكُرُّ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرَّا... |
| كَكَرِّ الشُّرْبِ آنِيَةَ الْمُدَامِ فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ... |
| وَضَرْبِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْهُمَامِ إِذَا فَاظَتْ نِسَاءُ بَنِي دِثَارٍ... |
| أَمَامَ التُّرْكِ بَادِيَةَ الْخِدَامِ ذِكْرُ أُمِّ التَّوَّابِينَ قِيلَ لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ وَرَجَعَ ابْنُ زِيَادٍ مِنْ مُعَسْكَرِهِ بِالنُّخَيْلَةِ وَدَخَلَ الْكُوفَةَ تَلَاقَتِ الشِّيعَةُ بِالتَّلَاوُمِ وَالتَّنَدُّمِ ، وَرَأَتْ أَنْ قَدْ أَخْطَأَتْ خَطَأً كَبِيرًا بِدُعَائِهِمُ الْحُسَيْنَ وَتَرْكِهِمْ نُصْرَتَهُ وَإِجَابَتَهُ حَتَّى قُتِلَ إِلَى جَانِبِهِمْ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ لَا يَغْسِلُ عَارَهُمْ وَالْإِثْمَ عَلَيْهِمْ إِلَّا قَتْلُ مَنْ قَتَلَهُ أَوِ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، فَاجْتَمَعُوا بِالْكُوفَةِ إِلَى خَمْسَةِ نَفَرٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الشِّيعَةِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ الْخُزَاعِيِّ ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ وَإِلَى الْمُسَيَّبِ بْنِ نَجَبَةَ الْفَزَارِيِّ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ نُفَيْلٍ الْأَزْدِيِّ ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَالٍ التَّيْمِيِّ ، تَيْمِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَإِلَى رِفَاعَةَ بْنِ شَدَّادٍ الْبَجَلِيِّ ، وَكَانُوا مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، فَاجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ الْخُزَاعِيِّ ، فَبَدْأَهُمُ الْمُسَيَّبُ بْنُ نَجَبَةَ فَقَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا ابْتُلِينَا بِطُولِ الْعُمُرِ وَالتَّعَرُّضِ لِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ ، فَنَرْغَبُ إِلَى رَبِّنَا أَنْ لَا يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَقُولُ لَهُ غَدًا أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ فاطر ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا قَالَ الْعُمُرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللَّهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً ، وَلَيْسَ فِينَا رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ بَلَغَهُ ، وَقَدْ كُنَّا مُغْرَمِينَ بِتَزْكِيَةِ أَنْفُسِنَا فَوَجَدَنَا اللَّهُ كَاذِبِينَ فِي كُلِّ وَطَنٍ مِنْ مَوَاطِنِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ بَلَغَنَا قَبْلَ ذَلِكَ كُتُبُهُ وَرُسُلُهُ وَأَعْذَرَ إِلَيْنَا فَسَأَلَنَا نَصْرَهُ عَوْدًا وَبَدْءًا وَعَلَانِيَةً فَبَخِلْنَا عَنْهُ بِأَنْفُسِنَا حَتَّى قُتِلَ إِلَى جَانِبِنَا لَا نَحْنُ نَصَرْنَاهُ بِأَيْدِينَا وَلَا جَادَلْنَا عَنْهُ بِأَلْسِنَتِنَا وَلَا قَوَّيْنَاهُ بِأَمْوَالِنَا وَلَا طَلَبْنَا لَهُ النُّصْرَةَ إِلَى عَشَائِرِنَا ، فَمَا عُذْرُنَا عِنْدَ رَبِّنَا وَعِنْدَ لِقَاءِ نَبِيِّنَا وَقَدْ قُتِلَ فِينَا وَلَدُ حَبِيبِهِ وَذُرِّيَّتُهُ وَنَسْلُهُ ؟ |
| لَا وَاللَّهِ لَا عُذْرَ دُونَ أَنْ تَقْتُلُوا قَاتِلَهُ وَالْمُوَالِينَ عَلَيْهِ ، أَوْ تُقْتَلُوا فِي طَلَبِ ذَلِكَ ، فَعَسَى رَبُّنَا أَنْ يَرْضَى عَنَّا عِنْدَ ذَلِكَ ، وَلَا أَنَا بَعْدَ لِقَائِهِ لِعُقُوبَتِهِ بِآمِنٍ . |
| أَيُّهَا الْقَوْمُ وَلُّوا عَلَيْكُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ أَمِيرٍ تَفْزَعُونَ إِلَيْهِ وَرَايَةٍ تَحِفُّونَ بِهَا. |
| وَقَامَ رِفَاعَةُ بْنُ شَدَّادٍ وَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكَ لِأَصْوَبِ الْقَوْلِ وَبَدَأْتَ بِأَرْشَدِ الْأُمُورِ بِدُعَائِكَ إِلَى جِهَادِ الْفَاسِقِينَ وَإِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ ، فَمَسْمُوعٌ مِنْكَ مُسْتَجَابٌ إِلَى قَوْلِكَ ، وَقُلْتَ وَلُّوا أَمْرَكُمْ رَجُلًا تَفْزَعُونَ إِلَيْهِ وَتَحِفُّونَ بِرَايَتِهِ وَقَدْ رَأَيْنَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتَ ، فَإِنْ تَكُنْ أَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ تَكُنْ عِنْدَنَا مَرْضِيًّا ، وَفِينَا مُنْتَصِحًا ، وَفِي جَمَاعَتِنَا مَحْبُوبًا ، وَإِنْ رَأَيْتَ وَرَأَى أَصْحَابُنَا ذَلِكَ وَلَّيْنَا هَذَا الْأَمْرَ شَيْخَ الشِّيعَةِ وَصَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَا السَّابِقَةِ وَالْقَدَمِ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ الْخُزَاعِيَّ ، الْمَحْمُودَ فِي بَأْسِهِ وَدِينِهِ ، الْمَوْثُوقَ بِحَزْمِهِ. |
| وَتَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بِنَحْوِ ذَلِكَ وَأَثْنَيَا عَلَى الْمُسَيَّبِ وَسُلَيْمَانَ. |
| فَقَالَ الْمُسَيَّبُ قَدْ أَصَبْتُمْ فَوَلُّوا أَمْرَكُمْ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ. |
| فَتَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ فَقَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَخَائِفٌ أَلَّا يَكُونَ آخِرُنَا إِلَى هَذَا الدَّهْرِ الَّذِي نَكِدَتْ فِيهِ الْمَعِيشَةُ وَعَظُمَتْ فِيهِ الرَّزِيَّةُ وَشَمِلَ فِيهِ الْجَوْرُ أُولِي الْفَضْلِ مِنْ هَذِهِ الشِّيعَةِ لِمَا هُوَ خَيْرٌ ، إِنَّا كُنَّا نَمُدُّ أَعْنَاقَنَا إِلَى قُدُومِ آلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُمَنِّيهِمُ النَّصْرَ وَنُحِثُّهُمْ عَلَى الْقُدُومِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا وَنَيْنَا وَعَجَزْنَا وَأَدْهَنَّا وَتَرَبَّصْنَا حَتَّى قُتِلَ فِينَا وَلَدُ نَبِيِّنَا وَسُلَالَتُهُ وَعُصَارَتُهُ وَبَضْعَةٌ مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ إِذْ جَعَلَ يَسْتَصْرِخُ وَيَسْأَلُ النَّصَفَ فَلَا يُعْطَى ، اتَّخَذَهُ الْفَاسِقُونَ غَرَضًا لِلنَّبْلِ وَدَرِيئَةً لِلرِّمَاحِ حَتَّى أَقْصَدُوهُ ، وَعَدَوْا عَلَيْهِ ، فَسَلَبُوهُ أَلَا انْهَضُوا ، فَقَدْ سَخِطَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ وَلَا تَرْجِعُوا إِلَى الْحَلَائِلِ وَالْأَبْنَاءِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ ، وَاللَّهِ مَا أَظُنُّهُ رَاضِيًا دُونَ أَنْ تُنَاجِزُوا مَنْ قَتَلَهُ ، أَلَا لَا تَهَابُوا الْمَوْتَ فَمَا هَابَهُ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا ذُلَّ ، وَكُونُوا كَبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ البقرة فَفَعَلُوا وَجَثَوْا عَلَى الرُّكَبِ وَمَدُّوا الْأَعْنَاقَ حِينَ عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَا يُنْجِيهِمْ مِنْ عَظِيمِ الذَّنْبِ إِلَّا الْقَتْلُ ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ دُعِيتُمْ إِلَى مَا دُعُوا! |
| أَحِدُّوا السُّيُوفَ وَرَكِّبُوا الْأَسِنَّةَ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ الأنفال حَتَّى تُدْعَوْا وَتُسْتَنْفَرُوا. |
| فَقَالَ خَالِدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ نُفَيْلٍ أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّهُ يُنْجِينِي مِنْ ذَنْبِي وَيُرْضِي رَبِّي عَنِّي قَتْلِي نَفْسِي لَقَتَلْتُهَا ، وَأَنَا أُشْهِدُ كُلَّ مَنْ حَضَرَ أَنَّ كُلَّ مَا أَصْبَحْتُ أَمْلِكُهُ سِوَى سِلَاحِي الَّذِي أُقَاتِلُ بِهِ عَدُوِّي صَدَقَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أُقَوِّيهِمْ بِهِ عَلَى قِتَالِ الْفَاسِقِينَ. |
| قَالَ أَبُو الْمُعْتَمِرِ بْنُ حَنَشِ بْنِ رَبِيعَةَ الْكِنَانِيُّ مِثْلَ ذَلِكَ. |
| فَقَالَ سُلَيْمَانُ حَسْبُكُمْ ، مَنْ أَرَادَ مِنْ هَذَا شَيْئًا فَلْيَأْتِ بِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَالٍ التَّيْمِيَّ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ كُلُّ مَا تُرِيدُونَ إِخْرَاجَهُ جَهَّزْنَا بِهِ ذَوِي الْخَلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ مِنْ أَشْيَاعِكُمْ. |
| وَكَتَبَ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ إِلَى سَعْدِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ يُعْلِمُهُ بِمَا عَزَمُوا عَلَيْهِ وَيَدْعُوهُ إِلَى مُسَاعَدَتِهِمْ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الشِّيعَةِ بِالْمَدَائِنِ ، فَقَرَأَ سَعْدُ بْنُ حُذَيْفَةَ الْكِتَابَ عَلَى مَنْ بِالْمَدَائِنِ مِنَ الشِّيعَةِ ، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ ، فَكَتَبُوا إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ يُعْلِمُونَهُ أَنَّهُمْ عَلَى الْحَرَكَةِ إِلَيْهِ وَالْمُسَاعَدَةِ لَهُ. |
| وَكَتَبَ سُلَيْمَانُ أَيْضًا كِتَابًا إِلَى الْمُثَنَّى بْنِ مُخَرِّبَةَ الْعَبْدِيِّ بِالْبَصْرَةِ مِثْلَ مَا كَتَبَ إِلَى سَعْدِ بْنِ حُذَيْفَةَ ، فَأَجَابَهُ الْمُثَنَّى إِنَّنَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ حَمِدْنَا اللَّهَ عَلَى مَا عَزَمْتُمْ عَلَيْهِ وَنَحْنُ مُوَافُوكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلْأَجَلِ الَّذِي ضَرَبْتَ. |
| وَكَتَبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ تَبَصَّرْ كَأَنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ مُعْلِمًا... |
| عَلَى أَتْلَعِ الْهَادِي أَجَشَّ هَزِيمِ طَوِيلِ الْقَرَا نَهْدِ الشَّوَاةِ مُقَلَّصٍ... |
| مُلِحٍّ عَلَى فَأْسِ اللِّجَامِ أَزُومِ بِكُلِّ فَتًى لَا يَمْلَأُ الرَّوْعُ قَلْبَهُ... |
| مِحَشٍّ لِنَارِ الْحَرْبِ غَيْرِ سَئُومِ أَخِي ثِقَةٍ ، يَنْوِي الْإِلَهَ بِسَعْيِهِ... |
| ضَرُوبٍ بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرِ أَثِيمِ فَكَانَ أَوَّلَ مَا ابْتَدَءُوا بِهِ أَمْرَهُمْ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ ، فَمَا زَالُوا بِجَمْعِ آلَةِ الْحَرْبِ وَدُعَاءِ النَّاسِ فِي السِّرِّ إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ الْحُسَيْنِ ، فَكَانَ يُجِيبُهُمُ النَّفَرُ ، وَلَمْ يَزَالُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ هَلَكَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، فَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ جَاءَ إِلَى سُلَيْمَانَ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا قَدْ هَلَكَ هَذَا الطَّاغِيَةُ وَالْأَمْرُ ضَعِيفٌ ، فَإِنْ شِئْتَ وَثَبْنَا عَلَى عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ ، وَكَانَ خَلِيفَةَ ابْنِ زِيَادٍ عَلَى الْكُوفَةِ ، ثُمَّ أَظْهَرْنَا الطَّلَبَ بِدَمِ الْحُسَيْنِ وَتَتَبَّعْنَا قَتَلَتَهُ وَدَعَوْنَا النَّاسَ إِلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الْمُسْتَأْثِرِ عَلَيْهِمُ الْمَدْفُوعِينَ عَنْ حَقِّهِمْ. |
| فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ لَا تُعَجِّلُوا ، إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِيمَا ذَكَرْتُمْ فَرَأَيْتُ أَنَّ قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ هُمْ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ وَفُرْسَانُ الْعَرَبِ وَهُمُ الْمُطَالَبُونَ بِدَمِهِ ، وَمَتَى عَلِمُوا مَا تُرِيدُونَ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْكُمْ ، وَنَظَرْتُ فِيمَنْ تَبِعَنِي مِنْكُمْ فَعَلِمْتُ أَنَّهُمْ لَوْ خَرَجُوا لَمْ يُدْرِكُوا ثَأْرَهُمْ وَلَمْ يَشْفُوا نُفُوسَهُمْ وَكَانُوا جُزُرًا لِعَدُوِّهِمْ ، وَلَكِنْ بُثُّوا دُعَاتَكُمْ وَادْعُوا إِلَى أَمْرِكُمْ. |
| فَفَعَلُوا وَاسْتَجَابَ لَهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ بَعْدَ هَلَاكِ يَزِيدَ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَخْرَجُوا عَمْرَو بْنَ حُرَيْثٍ وَبَايَعُوا لِابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَسُلَيْمَانُ وَأَصْحَابُهُ يَدْعُونَ النَّاسَ. |
| فَلَمَّا مَضَتْ سِتَّةُ أَشْهُرٍ بَعْدَ هَلَاكِ يَزِيدَ قَدِمَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الْكُوفَةَ فِي النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ وَقَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيُّ أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ مِنْ قِبَلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَقَدِمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ مَعَهُ عَلَى خَرَاجِ الْكُوفَةِ. |
| فَأَخَذَ الْمُخْتَارُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى قِتَالِ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ وَيَقُولُ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ الْمَهْدِيِّ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَزِيرًا أَمِينًا. |
| فَرَجَعَ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ الشِّيعَةِ ، وَكَانَ يَقُولُ إِنَّمَا يُرِيدُ سُلَيْمَانُ أَنْ يَخْرُجَ فَيَقْتُلَ نَفْسَهُ وَمَنْ مَعَهُ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرٌ بِالْحَرْبِ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِ بِالْكُوفَةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَقِيلَ لَهُ لِيَحْبِسَهُ ، وَخُوِّفَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ إِنْ تَرَكَهُ. |
| فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ إِنْ هُمْ قَاتَلُونَا قَاتَلْنَاهُمْ ، وَإِنْ تَرَكُونَا لَمْ نَطْلُبْهُمْ. |
| إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَطْلُبُونَ بِدَمِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَرَحِمَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ ، إِنَّهُمْ آمِنُونَ ، فَلْيَخْرُجُوا ظَاهِرِينَ وَلْيَسِيرُوا إِلَى مَنْ قَاتَلَ الْحُسَيْنَ ، فَقَدْ أَقْبَلَ إِلَيْهِمْ ، يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ ، وَأَنَا لَهُمْ ظَهِيرٌ ، هَذَا ابْنُ زِيَادٍ قَاتِلُ الْحُسَيْنِ وَقَاتِلُ أَخْيَارِكُمْ وَأَمَاثِلِكُمْ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْكُمْ ، وَقَدْ فَارَقُوهُ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ جِسْرِ مَنْبِجَ ، فَقِتَالُهُ وَالِاسْتِعْدَادُ إِلَيْهِ أَوْلَى مِنْ أَنْ تَجْعَلُوا بَأْسَكُمْ بَيْنَكُمْ فَيَقْتُلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، فَيَلْقَاكُمْ عَدُوُّكُمْ وَقَدْ ضَعُفْتُمْ ، وَتِلْكَ أُمْنِيَتُهُ ، وَقَدْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ أَعْدَى خَلْقِ اللَّهِ لَكُمْ ، مَنْ وَلِيَ عَلَيْكُمْ هُوَ وَأَبُوهُ سَبْعَ سِنِينَ لَا يُقْلِعَانِ عَنْ قَتْلِ أَهْلِ الْعَفَافِ وَالدِّينِ ، هُوَ الَّذِي قَتَلَكُمْ ، وَمِنْ قِبَلِهِ أُتِيتُمْ ، وَالَّذِي قَتَلَ مَنْ تُنَادُونَ بِدَمِهِ قَدْ جَاءَكُمْ فَاسْتَقْبِلُوهُ بِحَدِّكُمْ وَشَوْكَتِكُمْ وَاجْعَلُوهَا بِهِ وَلَا تَجْعَلُوهَا بِأَنْفُسِكُمْ ، إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ. |
| وَكَانَ مَرْوَانُ قَدْ سَيَّرَ ابْنَ زِيَادٍ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، ثُمَّ إِذَا فَرَغَ مِنْهَا سَارَ إِلَى الْعِرَاقِ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ مِنْ قَوْلِهِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَغُرَّنَّكُمْ مِنَ السَّيْفِ وَالْغَشْمِ مَقَالَةُ هَذَا الْمُدَاهِنِ ، وَاللَّهِ لَئِنْ خَرَجَ عَلَيْنَا خَارِجٌ لَنَقْتُلَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَيْقَنَّا أَنَّ قَوْمًا يُرِيدُونَ الْخُرُوجَ عَلَيْنَا لَنَأْخُذَنَّ الْوَالِدَ بِوَلَدِهِ وَالْمَوْلُودَ بِوَالِدِهِ وَالْحَمِيمَ بِالْحَمِيمِ وَالْعَرِيفَ بِمَا فِي عَرَافَتِهِ حَتَّى يَدِينُوا لِلْحَقِّ وَيَذِلُّوا لِلطَّاعَةِ. |
| فَوَثَبَ إِلَيْهِ الْمُسَيَّبُ بْنُ نَجَبَةَ فَقَطَعَ عَلَيْهِ مَنْطِقَهُ ثُمَّ قَالَ يَا ابْنَ النَّاكِثِينَ! |
| أَنْتَ تُهَدِّدُنَا بِسَيْفِكَ وَغَشْمِكَ! |
| أَنْتَ وَاللَّهِ أَذَلُّ مِنْ ذَلِكَ! |
| إِنَّا لَا نَلُومُكَ عَلَى بُغْضِنَا وَقَدْ قَتَلْنَا أَبَاكَ وَجَدَّكَ ، وَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فَقَدْ قُلْتَ قَوْلًا سَدِيدًا. |
| فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ وَاللَّهِ لُتُقْتَلَنَّ وَقَدْ أَدْهَنَ هَذَا ، يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ. |
| فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَالٍ مَا اعْتِرَاضُكَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَمِيرِنَا ؟ |
| مَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِأَمِيرٍ إِنَّمَا أَنْتَ أَمِيرُ هَذِهِ الْجِزْيَةِ ، فَأَقْبِلْ عَلَى خَرَاجِكَ ، وَلَئِنْ أَفْسَدْتَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَفْسَدَهُ وَالِدَاكَ وَكَانَتْ عَلَيْهِمَا دَائِرَةُ السَّوْءِ! |
| فَشَتَمَهُمْ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ مَعَ إِبْرَاهِيمَ فَشَاتَمُوهُ ، فَنَزَلَ الْأَمِيرُ مِنْ عَلَى الْمِنْبَرِ ، وَتَهَدَّدَهُ إِبْرَاهِيمُ بِأَنَّهُ يَكْتُبُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ يَشْكُوهُ ، فَجَاءَهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي مَنْزِلِهِ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبْلَ عُذْرَهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ سُلَيْمَانَ خَرَجُوا يَنْشُرُونَ السِّلَاحَ ظَاهِرِينَ وَيَتَجَهَّزُونَ. |
| ذِكْرُ فِرَاقِ الْخَوَارِجِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَمَا كَانَ مِنْهُمْ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ فَارَقَ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ كَانُوا قَدِمُوا مَكَّةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وَكَانُوا قَدْ قَاتَلُوا مَعَهُ أَهْلَ الشَّامِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قُدُومِهِمْ عَلَيْهِ أَنَّهُمْ لَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ ابْنُ زِيَادٍ بَعْدَ قَتْلِ أَبِي بِلَالٍ اجْتَمَعُوا فَتَذَاكَرُوا ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ ، وَفَرَضَ عَلَيْكُمُ الْجِهَادَ ، وَاحْتَجَّ عَلَيْكُمْ بِالْبَيَانِ ، وَقَدْ جَرَّدَ أَهْلُ الظُّلْمِ فِيكُمُ السُّيُوفَ فَاخْرُجُوا بِنَا إِلَى هَذَا الَّذِي قَدْ ثَارَ بِمَكَّةَ فَإِنْ كَانَ عَلَى رَأْيِنَا جَاهَدْنَا مَعَهُ ، وَإِنْ يَكُنْ عَلَى غَيْرِ رَأْيِنَا دَافَعْنَاهُ عَنِ الْبَيْتِ. |
| وَكَانَ عَسْكَرُ الشَّامِ قَدْ سَارَ نَحْوَ ابْنِ الزُّبَيْرِ. |
| فَسَارَ الْخَوَارِجُ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَسُرَّ بِمَقْدَمِهِمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَفْتِيشٍ. |
| فَقَاتَلُوا مَعَهُ أَهْلَ الشَّامِ حَتَّى مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَانْصَرَفَ أَهْلُ الشَّامِ. |
| ثُمَّ إِنَّهُمُ اجْتَمَعُوا وَقَالُوا إِنَّ الَّذِي صَنَعْتُمْ أَمْسِ لَغَيْرُ رَأْيٍ ، تُقَاتِلُونَ مَعَ رَجُلٍ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّهُ لَيْسَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِكُمْ ، وَقَدْ كَانَ أَمْسِ يُقَاتِلُكُمْ هُوَ وَأَبُوهُ وَيُنَادِي يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَ! |
| فَأْتُوهُ وَاسْأَلُوهُ عَنْ عُثْمَانَ فَإِنْ بَرِئَ مِنْهُ كَانَ وَلِيَّكُمْ ، وَإِنْ أَبَى كَانَ عَدُوَّكُمْ. |
| فَأَتَوْهُ فَسَأَلُوهُ ، فَنَظَرَ فَإِذَا أَصْحَابُهُ حَوْلَهُ قَلِيلٌ ، فَقَالَ إِنَّكُمْ أَتَيْتُمُونِي حِينَ أَرَدْتُ الْقِيَامَ ، وَلَكِنْ رَوِّحُوا إِلَيَّ الْعَشِيَّةَ حَتَّى أُعْلِمَكُمْ. |
| فَانْصَرَفُوا ، وَبَعَثَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَجَمَعَهُمْ حَوْلَهُ بِالسِّلَاحِ ، وَجَاءَتِ الْخَوَارِجُ وَأَصْحَابُهُ حَوْلَهُ وَعَلَى رَأْسِهِ وَبِأَيْدِيهِمُ الْعَمَدُ ، فَقَالَ ابْنُ الْأَزْرَقِ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ الرَّجُلَ قَدْ أَزْمَعَ خِلَافَكُمْ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَعُبَيْدَةُ بْنُ هِلَالٍ فَقَالَ عُبَيْدَةُ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا يَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ ، فَدَعَا إِلَى ذَلِكَ فَأَجَابَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَعَمِلَ فِيهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ وَاسْتَخْلَفَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ وَاسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ ، فَكِلَاهُمَا عَمِلَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، ثُمَّ إِنِ النَّاسَ اسْتَخْلَفُوا عُثْمَانَ ، فَحَمَى الْأَحْمَاءَ ، وَآثَرَ الْقُرْبَى ، وَاسْتَعْمَلَ الْفَتَى وَرَفَعَ الدِّرَّةَ وَوَضَعَ السَّوْطَ وَمَزَّقَ الْكِتَابَ وَضَرَبَ مُنْكَرَ الْجَوْرِ ، وَآوَى طَرِيدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَرَبَ السَّابِقِينَ بِالْفَضْلِ وَحَرَمَهُمْ ، وَأَخَذَ فَيْءَ اللَّهِ الَّذِي أَفَاءَ عَلَيْهِمْ فَقَسَمَهُ فِي فُسَّاقِ قُرَيْشٍ وَمُجَّانِ الْعَرَبِ ، فَسَارَتْ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ فَقَتَلُوهُ ، فَنَحْنُ لَهُمْ أَوْلِيَاءُ وَمِنَ ابْنِ عَفَّانَ وَأَوْلِيَائِهِ بُرَآءُ ، فَمَا تَقُولُ أَنْتَ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ ؟ |
| فَقَالَ قَدْ فَهِمْتُ الَّذِي ذَكَرْتَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ فَوْقَ مَا ذَكَرْتَ وَفَوْقَ مَا وَصَفْتَ ، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ بِهِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَقَدْ وُفِّقْتَ وَأَصَبْتَ ، وَفَهِمْتُ الَّذِي ذَكَرْتَ بِهِ عُثْمَانَ ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْيَوْمَ أَعْلَمَ بِابْنِ عَفَّانَ وَأَمْرِهِ مِنِّي ، كُنْتُ مَعَهُ حَيْثُ نَقَمَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ وَاسْتَعْتَبُوهُ فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا إِلَّا أَعْتَبَهُمْ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْهِ بِكِتَابٍ لَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَتَبَهُ يَأْمُرُ فِيهِ بِقَتْلِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ مَا كَتَبْتُهُ فَإِنْ شِئْتُمْ فَهَاتُوا بَيِّنَتَكُمْ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَلَفْتُ لَكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا جَاءُوهُ بِبَيِّنَةٍ وَلَا اسْتَحْلَفُوهُ وَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا عَتَبْتَهُ بِهِ ، فَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ لِكُلِّ خَيْرٍ أَهْلٌ ، وَأَنَا أُشْهِدُكُمْ وَمَنْ حَضَرَنِي أَنِّي وَلِيٌّ لِابْنِ عَفَّانَ وَعَدُوُّ أَعْدَائِهِ فَبَرِئَ اللَّهُ مِنْكُمْ. |
| وَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ فَأَقْبَلَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ الْحَنْظَلِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّفَّارِ السَّعْدِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبَاضٍ وَحَنْظَلَةُ بْنُ بَيْهَسٍ وَبَنُو الْمَاحُوزِ عَبْدُ اللَّهِ وَعُبَيْدُ اللَّهِ وَالزُّبَيْرُ مِنْ بَنِي سَلِيطِ بْنِ يَرْبُوعٍ ، وَكُلُّهُمْ مِنْ تَمِيمٍ ، حَتَّى أَتَوُا الْبَصْرَةَ ، وَانْطَلَقَ أَبُو طَالُوتَ ، مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَأَبُو فُدَيْكٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَعَطِيَّةُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْيَشْكُرِيُّ إِلَى الْيَمَامَةِ ، فَوَثَبُوا بِهَا مَعَ أَبِي طَالُوتَ ، ثُمَّ أَجْمَعُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى نَجْدَةَ بْنِ عَامِرٍ الْحَنَفِيِّ وَتَرَكُوا أَبَا طَالُوتَ. |
| فَأَمَّا نَافِعٌ وَأَصْحَابُهُ فَإِنَّهُمْ قَدِمُوا الْبَصْرَةَ وَهُمْ عَلَى رَأْيِ أَبِي بِلَالٍ ، وَاجْتَمَعُوا وَتَذَاكَرُوا فَضِيلَةَ الْجِهَادِ ، فَخَرَجَ نَافِعٌ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ ، وَذَلِكَ عِنْدَ وُثُوبِ النَّاسِ بِابْنِ زِيَادٍ وَكَسْرِ الْخَوَارِجِ بَابَ السِّجْنِ ، وَخَرَجُوا وَاشْتَغَلَ النَّاسُ عَنْهُمْ بِحَرْبِ الْأَزْدِ وَرَبِيعَةَ وَتَمِيمٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ نَافِعٌ تَبِعُوهُ ، وَاصْطَلَحَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ، فَتَجَرَّدَ النَّاسُ لِلْخَوَارِجِ وَأَخَافُوهُمْ ، فَلَحِقَ نَافِعٌ بِالْأَهْوَازِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، وَخَرَجَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بِالْبَصْرَةِ إِلَى ابْنِ الْأَزْرَقِ إِلَّا مَنْ لَمْ يُرِدِ الْخُرُوجَ يَوْمَهُ ذَلِكَ ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّفَّارِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبَاضٍ ، وَرِجَالٌ مَعَهُمَا عَلَى رَأْيِهِمَا ، وَنَظَرَ نَافِعٌ فَرَأَى أَنَّ وِلَايَةَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنِ الْجِهَادِ مِنَ الَّذِينَ قَعَدُوا مِنَ الْخَوَارِجِ لَا تَحِلُّ لَهُ ، وَأَنَّ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ لَا نَجَاةَ لَهُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ ذَلِكَ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَحِلُّ لَهُمْ مُنَاكَحَتُهُمْ وَلَا أَكْلُ ذَبَائِحِهِمْ ، وَلَا يَجُوزُ قَبُولُ شَهَادَتِهِمْ وَأَخْذُ عِلْمِ الدِّينِ عَنْهُمْ ، وَلَا يَحِلُّ مِيرَاثُهُمْ ، وَرَأَى قَتْلَ الْأَطْفَالِ وَالِاسْتِعْرَاضَ ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ كُفَّارٌ مِثْلُ كُفَّارِ الْعَرَبِ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامُ أَوِ الْقَتْلُ. |
| فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُهُمْ وَفَارَقَهُ بَعْضُهُمْ ، وَمِمَّنْ فَارَقَهُ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ ، وَسَارَ إِلَى الْيَمَامَةِ ، فَأَطَاعَهُ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ بِهَا وَتَرَكُوا أَبَا طَالُوتَ ، فَكَتَبَ نَافِعٌ إِلَى ابْنِ إِبَاضٍ وَابْنِ الصَّفَّارِ يَدْعُوهُمَا وَمَنْ مَعَهُمَا إِلَى ذَلِكَ ، فَقَرَأَ ابْنُ الصَّفَّارِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَقْرَأْهُ عَلَى أَصْحَابِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا وَيَخْتَلِفُوا ، فَأَخَذَهُ ابْنُ إِبَاضٍ فَقَرَأَهُ ، فَقَالَ قَاتَلَهُ اللَّهُ أَيَّ رَأْيٍ رَأَى! |
| صَدَقَ نَافِعٌ ، لَوْ كَانَ الْقَوْمُ مُشْرِكِينَ كَانَ أَصْوَبَ النَّاسِ رَأْيًا وَكَانَتْ سِيرَتُهُ كَسِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُشْرِكِينَ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ كَذَبَ فِيمَا يَقُولُ ، إِنَّ الْقَوْمَ بُرَآءُ مِنَ الشِّرْكِ وَلَكِنَّهُمْ كُفَّارٌ بِالنِّعَمِ وَالْأَحْكَامِ وَلَا يَحِلُّ لَنَا إِلَّا دِمَاؤُهُمْ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ حَرَامٌ عَلَيْنَا. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ الصَّفَّارِ بَرِئَ اللَّهُ مِنْكَ فَقَدْ قَصَّرْتَ ، وَبَرِئَ اللَّهُ مِنِ ابْنِ الْأَزْرَقِ فَقَدْ غَلَا. |
| فَقَالَ الْآخَرُ بَرِئَ اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْهُ. |
| فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ وَاشْتَدَّتْ شَوْكَةُ ابْنِ الْأَزْرَقِ وَكَثُرَتْ جُمُوعُهُ وَأَقَامَ بِالْأَهْوَازِ يَجْبِي الْخَرَاجَ وَيَتَقَوَّى بِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ الْبَصْرَةِ حَتَّى دَنَا مِنَ الْجِسْرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ مُسْلِمَ بْنَ عُبَيْسِ بْنِ كُرَيْزِ بْنِ رَبِيعَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ. |
| عُبَيْسٌ بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ الْمَضْمُومَةِ ، وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَالْيَاءِ الْمُعْجَمَةِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتُ ، وَبِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ. |
| وَعُبَيْدَةُ بْنُ بِلَالٍ بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ . |
| ذِكْرُ قُدُومِ الْمُخْتَارِ الْكُوفَةَ كَانَتِ الشِّيعَةُ تَسُبُّ الْمُخْتَارَ وَتَعِيبُهُ لِمَا كَانَ مِنْهُ فِي أَمْرِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ طُعِنَ فِي سَابَاطَ وَحُمِلَ إِلَى أَبْيَضِ الْمَدَائِنِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ زَمَنُ الْحُسَيْنِ ، بَعَثَ الْحُسَيْنُ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَكَانَ الْمُخْتَارُ فِي قَرْيَةٍ لَهُ تُدْعَى لَفَغَا ، فَجَاءَهُ خَبَرُ ابْنِ عَقِيلٍ عِنْدَ الظُّهْرِ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ ، وَلَمْ يَكُنْ خُرُوجُهُ عَنْ مِيعَادٍ كَمَا سَبَقَ ، فَأَقْبَلَ الْمُخْتَارُ فِي مَوَالِيهِ فَانْتَهَى إِلَى بَابِ الْفِيلِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ ، وَقَدْ أَقْعَدَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ عَمْرَو بْنَ حُرَيْثٍ بِالْمَسْجِدِ وَمَعَهُ رَايَةٌ ، فَوَقَفَ الْمُخْتَارُ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ ، فَبَلَغَ خَبَرُهُ عَمْرًا فَاسْتَدْعَاهُ وَآمَنَهُ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ذَكَرَ عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ أَمْرَهُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ ، فَأَحْضَرَهُ فِيمَنْ دَخَلَ وَقَالَ لَهُ أَنْتَ الْمُقْبِلُ فِي الْجُمُوعِ لِتَنْصُرَ ابْنَ عَقِيلٍ ؟ |
| قَالَ لَمْ أَفْعَلْ وَلَكِنِّي أَقْبَلْتُ وَنَزَلْتُ تَحْتَ رَايَةِ عَمْرٍو ، فَشَهِدَ لَهُ عَمْرٌو ، فَضَرَبَ وَجْهَ الْمُخْتَارِ فَشَتَرَ عَيْنَهُ وَقَالَ لَوْلَا شَهَادَةُ عَمْرٍو لَقَتَلْتُكَ! |
| ثُمَّ حَبَسَهُ حَتَّى قُتِلَ الْحُسَيْنُ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ تَزَوَّجَ أُخْتَ الْمُخْتَارِ صَفِيَّةَ بِنْتَ أَبِي عُبَيْدٍ ، فَكَتَبَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى يَزِيدَ يَشْفَعُ فِيهِ ، فَأَرْسَلَ يَزِيدُ إِلَى زِيَادٍ يَأْمُرُهُ بِإِطْلَاقِهِ ، فَأَطْلَقَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يُقِيمَ غَيْرَ ثَلَاثٍ. |
| فَخَرَجَ الْمُخْتَارُ إِلَى الْحِجَازِ ، فَلَقِيَهُ ابْنُ الْعِرْقِ وَرَاءَ وَاقِصَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ عَيْنِهِ ، فَقَالَ خَبَطَهَا ابْنُ الزَّانِيَةِ بِالْقَضِيبِ فَصَارَتْ كَمَا تَرَى ، ثُمَّ قَالَ قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْطَعْ أَنَامِلَهُ وَأَعْضَاءَهُ إِرَبًا إِرَبًا! |
| ثُمَّ سَأَلَهُ الْمُخْتَارُ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ إِنَّهُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ وَإِنَّهُ يُبَايَعُ سِرًّا وَلَوِ اشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ وَكَثُرَتْ رِجَالُهُ لَظَهَرَ. |
| فَقَالَ الْمُخْتَارُ إِنَّهُ رَجُلُ الْعَرَبِ الْيَوْمَ وَإِنِ اتَّبَعَ رَأْيِي أَكْفِهِ أَمْرَ النَّاسِ. |
| إِنَّ الْفِتْنَةَ أَرْعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ وَكَأَنْ قَدِ انْبَعَثَتْ ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِمَكَانٍ قَدْ ظَهَرَتْ بِهِ فَقُلْ إِنَّ الْمُخْتَارَ فِي عِصَابَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَطْلُبُ بِدَمِ الشَّهِيدِ الْمَظْلُومِ الْمَقْتُولِ بِالطَّفِّ ، سَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ وَابْنِ بِنْتِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَابْنِ سَيِّدِهَا ، الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَوَرَبِّكَ لَأَقْتُلَنَّ بِقَتْلِهِ عِدَّةَ مَنْ قُتِلَ عَلَى دَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ. |
| ثُمَّ سَارَ وَابْنُ الْعِرْقِ يَعْجَبُ مِنْ قَوْلِهِ ، قَالَ ابْنُ الْعِرْقِ فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مَا ذَكَرَهُ وَحَدَّثْتُ بِهِ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ ، فَضَحِكَ وَقَالَ لِلَّهِ دَرُّهُ أَيَّ رَجُلٍ دِينًا ، وَمِسْعَرَ حَرْبٍ ، وَمُقَارِعَ أَعْدَاءٍ كَانَ! |
| ثُمَّ قَدِمَ الْمُخْتَارُ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَكَتَمَ عَنْهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَمْرَهُ ، فَفَارَقَهُ وَغَابَ عَنْهُ سَنَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقِيلَ إِنَّهُ بِالطَّائِفِ وَإِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ صَاحِبُ الْغَضَبِ وَمُسَيِّرُ الْجَبَّارِينَ. |
| فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مَا لَهُ قَاتَلَهُ اللَّهُ ؟ |
| لَقَدِ انْبَعَثَ كَذَّابًا مُتَكَهِّنًا ، إِنْ يُهْلِكِ اللَّهُ الْجَبَّارِينَ يَكُنِ الْمُخْتَارُ أَوَّلَهُمْ. |
| فَهُوَ فِي حَدِيثِهِ إِذْ دَخَلَ الْمُخْتَارُ الْمَسْجِدَ فَطَافَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَجَلَسَ ، فَأَتَاهُ مَعَارِفُهُ يُحَدِّثُونَهُ ، وَلَمْ يَأْتِ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، فَوَضَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَيْهِ عَبَّاسَ بْنَ سَهْلِ بْنِ مِسْعَرٍ ، فَأَتَاهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ مِثْلُكَ يَغِيبُ عَنِ الَّذِي قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْأَشْرَافُ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَثَقِيفٍ! |
| لَمْ تَبْقَ قَبِيلَةٌ إِلَّا وَقَدْ أَتَاهُ زَعِيمُهَا فَبَايَعَ هَذَا الرَّجُلَ. |
| فَقَالَ إِنِّي أَتَيْتُهُ الْعَامَ الْمَاضِي وَكَتَمَ عَنِّي خَبَرَهُ ، فَلَمَّا اسْتَغْنَى عَنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أُرِيَهُ أَنِّي مُسْتَغْنٍ عَنْهُ. |
| فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ الْقَهُ اللَّيْلَةَ وَأَنَا مَعَكَ. |
| فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ حَضَرَ عِنْدَ ابْنِ الزُّبَيْرِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ ، فَقَالَ الْمُخْتَارُ أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا تَقْضِيَ الْأُمُورَ دُونِي ، وَعَلَى أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ دَاخِلٍ ، وَإِذَا ظَهَرْتَ اسْتَعَنْتَ بِي عَلَى أَفْضَلِ عَمَلِكَ. |
| فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أُبَايِعُكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ. |
| فَقَالَ وَشَرُّ غِلْمَانِي تُبَايِعُهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَاللَّهِ لَا أُبَايِعُكَ أَبَدًا إِلَّا عَلَى ذَلِكَ. |
| فَبَايَعَهُ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ قِتَالَ الْحُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرٍ وَأَبْلَى أَحْسَنَ بَلَاءٍ وَقَاتَلَ أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ. |
| فَلَمَّا هَلَكَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَأَطَاعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَقَامَ عِنْدَهُ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ ، فَلَمَّا رَآهُ لَا يَسْتَعْمِلُهُ جَعَلَ لَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَّا سَأَلَهُ عَنْ حَالِ النَّاسِ ، فَأَخْبَرَهُ هَانِئُ بْنُ جُبَّةَ الْوَدَاعِيُّ بِاتِّسَاقِ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ إِلَّا أَنَّ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ هُمْ عَدَدُ أَهْلِهَا لَوْ كَانَ لَهُمْ مَنْ يَجْمَعُهُمْ عَلَى رَأْيِهِمْ أَكَلَ بِهِمُ الْأَرْضَ إِلَى يَوْمٍ مَا . |
| فَقَالَ الْمُخْتَارُ أَنَا أَبُو إِسْحَاقَ ، أَنَا وَاللَّهِ لَهُمْ أَنْ أَجْمَعَهُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَأُلْقِيَ بِهِمْ رُكْبَانَ الْبَاطِلِ ، وَأُهْلِكَ بِهِمْ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. |
| ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ نَحْوَ الْكُوفَةِ فَوَصَلَ إِلَى نَهْرِ الْحِيرَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَاغْتَسَلَ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ ثُمَّ رَكِبَ فَمَرَّ بِمَسْجِدِ السَّكُونِ وَجَبَّانَةِ كِنْدَةَ ، لَا يَمُرُّ عَلَى مَجْلِسٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَى أَهْلِهِ وَقَالَ أَبْشِرُوا بِالنُّصْرَةِ وَالْفَلْجِ ، أَتَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ. |
| وَمَرَّ بِبَنِي بَدَاءَ فَلَقِيَ عُبَيْدَةَ بْنَ عَمْرٍو الْبَدِّيَّ مِنْ كِنْدَةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ أَبْشِرْ بِالنَّصْرِ وَالْفَلْجِ ، إِنَّكَ أَبَا عَمْرٍو عَلَى رَأْيٍ حَسَنٍ ، لَنْ يَدَعَ اللَّهُ لَكَ مَعَهُ إِثْمًا إِلَّا غَفَرَهُ لَكَ ، وَلَا ذَنْبًا إِلَّا سَتَرَهُ. |
| وَكَانَ عُبَيْدَةُ مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ وَأَشْعَرِهِمْ وَأَشَدِّهِمْ تَشَيُّعًا وَحُبًّا لِعَلِيٍّ ، وَكَانَ لَا يَصْبِرُ عَنِ الشَّرَابِ ، فَقَالَ لَهُ بَشَّرَكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ! |
| فَهَلْ أَنْتَ مُبَيِّنٌ لَنَا ؟ |
| قَالَ نَعَمِ ، الْقَنِي اللَّيْلَةَ. |
| ثُمَّ سَافَرَ بِبَنِي هِنْدٍ فَلَقِيَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ كَثِيرٍ فَرَحَّبَ بِهِ وَقَالَ لَهُ الْقَنِي أَنْتَ وَأَخُوكَ اللَّيْلَةَ فَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِمَا تُحِبُّونَ. |
| وَمَرَّ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ هَمْدَانَ فَقَالَ قَدْ قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ بِمَا يَسُرُّكُمْ ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ وَاسْتَشْرَفَ لَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ إِلَى سَارِيَةٍ فَصَلَّى عِنْدَهَا حَتَّى أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَصَلَّى مَعَ النَّاسِ ثُمَّ صَلَّى مَا بَيْنَ الْجُمُعَةِ وَالْعَصْرِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ ، وَاخْتَلَفَ إِلَيْهِ الشِّيعَةُ ، وَأَتَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ كَثِيرٍ وَأَخُوهُ وَعُبَيْدَةُ بْنُ عَمْرٍو ، فَسَأَلَهُمْ فَأَخْبَرُوهُ خَبَرَ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ وَأَنَّهُ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْمَهْدِيَّ ابْنَ الْوَصِيِّ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ أَمِينًا وَوَزِيرًا وَمُنْتَخَبًا وَأَمِيرًا وَأَمَرَنِي بِقَتْلِ الْمُلْحِدِينَ وَالطَّلَبِ بِدَمِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَالدَّفْعِ عَنِ الضُّعَفَاءِ ، فَكُونُوا أَوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ إِجَابَةً. |
| فَضَرَبُوا عَلَى يَدِهِ وَبَايَعُوهُ ، وَبَعَثَ إِلَى الشِّيعَةِ وَقَدِ اجْتَمَعَتْ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ وَقَالَ لَهُمْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ سُلَيْمَانَ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ بِالْحَرْبِ وَلَا تَجْرِبَةٌ بِالْأُمُورِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ فَيَقْتُلَكُمْ وَيَقْتُلَ نَفْسَهُ ، وَأَنَا أَعْمَلُ عَلَى مِثَالٍ مُثِّلَ لِي وَأَمْرٍ بُيِّنَ لِي عَنْ وَلِيِّكُمْ ، وَأَقْتُلُ عَدُوَّكُمْ وَأَشْفِي صُدُورَكُمْ ، فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ، ثُمَّ انْتَشِرُوا. |
| وَمَا زَالَ بِهَذَا وَنَحْوِهِ حَتَّى اسْتَمَالَ طَائِفَةً مِنَ الشِّيعَةِ وَصَارُوا يَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ وَيُعَظِّمُونَهُ ، وَعُظَمَاءُ الشِّيعَةِ مَعَ سُلَيْمَانَ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ أَحَدًا ، وَهُوَ أَثْقَلُ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى الْمُخْتَارِ ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُ سُلَيْمَانَ. |
| فَلَمَّا خَرَجَ سُلَيْمَانُ نَحْوَ الْجَزِيرَةِ قَالَ عَمْرُو بْنُ سَعْدٍ وَشَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رُوَيْمٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْحَطَمِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ إِنَّ الْمُخْتَارَ أَشَدُّ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ ، إِنَّمَا خَرَجَ يُقَاتِلُ عَدُوَّكُمْ ، وَإِنَّ الْمُخْتَارَ يُرِيدُ أَنْ يَثِبَ عَلَيْكُمْ فِي مِصْرِكُمْ ، فَأَوْثِقُوهُ وَاسْجُنُوهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ أَمْرُ النَّاسِ. |
| فَأَتَوْهُ فَأَخَذُوهُ بَغْتَةً ، فَلَمَّا رَآهُمْ قَالَ مَا لَكُمْ ؟ |
| فَوَاللَّهِ مَا ظَفِرَتْ أَكُفُّكُمْ! |
| فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ شُدَّهُ كِتَافًا وَمَشِّهِ حَافِيًا. |
| فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ هَذَا بَرْجَلٍ لَمْ يَظْهَرْ لَنَا غَدْرُهُ ، إِنَّمَا أَخَذْنَاهُ عَلَى الظَّنِّ. |
| فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ هَذَا بِعُشِّكِ فَادْرُجِي. |
| مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنَا عَنْكَ يَا ابْنَ أَبِي عُبَيْدٍ ؟ |
| فَقَالَ مَا بَلَغَكَ عَنِّي إِلَّا بَاطِلٌ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غِشٍّ كَغِشِّ أَبِيكَ وَجَدِّكَ! |
| ثُمَّ حُمِلَ إِلَى السِّجْنِ غَيْرَ مُقَيَّدٍ ، وَقِيلَ بَلْ كَانَ مُقَيَّدًا ، فَكَانَ يَقُولُ فِي السِّجْنِ أَمَا وَرَبِّ الْبِحَارِ ، وَالنَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ ، وَالْمَهَامِهِ وَالْقِفَارِ ، وَالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ ، وَالْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ، لَأَقْتُلَنَّ كُلَّ جَبَّارٍ ، بِكُلِّ لَدْنٍ خَطَّارٍ ، وَمُهَنَّدٍ بَتَّارٍ ، بِجُمُوعِ الْأَنْصَارِ ، لَيْسُوا بِمِيلٍ أَغْمَارٍ ، وَلَا بِعُزَّلٍ أَشْرَارٍ ، حَتَّى إِذَا أَقَمْتُ عَمُودَ الدِّينِ ، وَزَايَلْتُ شَعْبَ صَدْعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَفَيْتُ غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَدْرَكْتُ ثَأْرَ النَّبِيِّينَ ، لَمْ يَكْبُرْ عَلَيَّ زَوَالُ الدُّنْيَا ، وَلَمْ أَحْفِلْ بِالْمَوْتِ إِذَا أَتَى. |
| وَقِيلَ فِي خُرُوجِ الْمُخْتَارِ إِلَى الْكُوفَةِ وَسَبَبِهِ غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ ، وَهُوَ أَنَّ الْمُخْتَارَ قَالَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ عِنْدَهُ إِنِّي لَأَعْلَمُ قَوْمًا لَوْ أَنَّ لَهُمْ رَجُلًا لَهُ فِقْهٌ وَعِلْمٌ بِمَا يَأْتِي وَيَذَرُ لَاسْتَخْرَجَ لَكَ مِنْهُمْ جُنْدًا تُقَاتِلُ بِهِمْ أَهْلَ الشَّامِ. |
| قَالَ مَنْ هُمْ ؟ |
| قَالَ شِيعَةُ عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ. |
| قَالَ فَكُنْ أَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ. |
| فَبَعَثَهُ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَنَزَلَ نَاحِيَةً مِنْهَا يَبْكِي عَلَى الْحُسَيْنِ وَيَذْكُرُ مُصَابَهُ حَتَّى لَقُوهُ وَأَحَبُّوهُ فَنَقَلُوهُ إِلَى وَسَطِ الْكُوفَةِ وَأَتَاهُ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا قَوِيَ أَمْرُهُ سَارَ إِلَى ابْنِ مُطِيعٍ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ حَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فِيهَا أَخُوهُ عُبَيْدَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْحَطَمِيُّ ، وَعَلَى قَضَائِهَا هِشَامُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ التَّيْمِيُّ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ بِمَكَّةَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ خَبَرُ مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ أَصَابَتْهُ فِلْقَةُ حَجَرِ مَنْجَنِيقٍ فِي جَانِبِ وَجْهِهِ فَمَرِضَ أَيَّامًا وَمَاتَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ بِخُرَاسَانَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فِي قَوْلٍ. |
| وَفِي أَيَّامِ يَزِيدَ مَاتَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ، لَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ أَيْضًا مَاتَ عَائِذُ بْنُ عَمْرٍو الْمُزَنِيُّ بِالْبَصْرَةِ ، وَشَهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ . |
| وَفِي أَيَّامِ ابْنِ زِيَادٍ بِالْكُوفَةِ مَاتَ قَيْسُ بْنُ خَرَشَةَ ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ ، وَخَبَرُ مَوْتِهِ عَجِيبٌ مَعَ ابْنِ زِيَادٍ لِأَنَّهُ كَانَ قَوَّالًا بِالْحَقِّ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ نَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو الدُّئِلِيُّ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، شَهِدَ أُحُدًا ، وَذِكْرُهُ فِي تَبُوكَ مَشْهُورٌ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ عِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ ، وَهُوَ بَدْرِيٌّ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ شَقِيقُ بْنُ ثَوْرٍ السُّدُوسِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ذِكْرُ مَسِيرِ التَّوَّابِينَ وَقَتْلِهِمْ لَمَّا أَرَادَ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ الْخُزَاعِيُّ الشُّخُوصَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ بَعَثَ إِلَى رُءُوسِ أَصْحَابِهِ فَأَتَوْهُ ، فَلَمَّا أَهَلَّ رَبِيعٌ الْآخِرُ خَرَجَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، وَكَانُوا تَوَاعَدُوا لِلْخُرُوجِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَلَمَّا أَتَى النُّخَيْلَةَ دَارَ فِي النَّاسِ فَلَمْ يُعْجِبْهُ عَدَدُهُمْ ، فَأَرْسَلَ حَكِيمَ بْنَ مُنْقِذٍ الْكِنْدِيَّ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُصَيْرٍ الْكِنَانِيَّ ، فَنَادَيَا فِي الْكُوفَةِ يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ! |
| فَكَانَا أَوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ دَعَوْا يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ. |
| فَأَصْبَحَ مِنَ الْغَدِ وَقَدْ أَتَاهُ نَحْوٌ مِمَّا فِي عَسْكَرِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي دِيوَانِهِ فَوَجَدَهُمْ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا مِمَّنْ بَايَعَهُ ، فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ! |
| مَا وَافَانَا مِنْ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا إِلَّا أَرْبَعَةُ آلَافٍ. |
| فَقِيلَ لَهُ إِنَّ الْمُخْتَارَ يُثَبِّطُ النَّاسَ عَنْكَ ، إِنَّهُ قَدْ تَبِعَهُ أَلْفَانِ. |
| فَقَالَ قَدْ بَقِيَ عَشَرَةُ آلَافٍ ، أَمَا هَؤُلَاءِ بِمُؤْمِنِينَ ؟ |
| أَمَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَالْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ ؟ |
| فَأَقَامَ بِالنُّخَيْلَةِ ثَلَاثًا يَبْعَثُ إِلَى مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ نَحْوٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ. |
| فَقَامَ إِلَيْهِ الْمُسَيَّبُ بْنُ نَجَبَةَ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ! |
| إِنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ الْكَارِهُ وَلَا يُقَاتِلُ مَعَكَ إِلَّا مَنْ أَخْرَجَتْهُ النِّيَّةُ ، فَلَا تَنْتَظِرْ أَحَدًا وَجِدَّ فِي أَمْرِكَ. |
| قَالَ نِعْمَ مَا رَأَيْتَ. |
| ثُمَّ قَامَ سُلَيْمَانُ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ خَرَجَ يُرِيدُ بِخُرُوجِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَالْآخِرَةَ فَذَلِكَ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُ فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَمَنْ كَانَ إِنَّمَا يُرِيدُ الدُّنْيَا فَوَاللَّهِ مَا نَأْتِي فَيْئًا نَأْخُذُهُ وَغَنِيمَةً نَغْنَمُهَا مَا خَلَا رِضْوَانَ اللَّهِ ، وَمَا مَعَنَا مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ وَلَا مَتَاعٍ ، وَمَا هِيَ إِلَّا سُيُوفُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا ، وَزَادٌ قَدْرُ الْبُلْغَةِ ، فَمَنْ كَانَ يَنْوِي غَيْرَ هَذَا فَلَا يَصْحَبُنَا. |
| فَتَنَادَى أَصْحَابُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِنَّا لَا نَطْلُبُ الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهَا خَرَجْنَا إِنَّمَا خَرَجْنَا نَطْلُبُ التَّوْبَةَ وَالطَّلَبَ بِدَمِ ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| فَلَمَّا عَزَمَ سُلَيْمَانُ عَلَى الْمَسِيرِ قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ نُفَيْلٍ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا إِنْ يَكُنْ صَوَابًا فَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ ، وَإِنْ يَكُنْ لَيْسَ صَوَابًا فَمِنْ قِبَلِي ، إِنَّا خَرَجْنَا نَطْلُبُ بِدَمِ الْحُسَيْنِ ، وَقَتَلَتُهُ كُلُّهُمْ بِالْكُوفَةِ ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ وَرُءُوسُ الْأَرْبَاعِ وَالْقَبَائِلِ ، فَأَيْنَ نَذْهَبُ هَا هُنَا وَنَدَعُ الْأَوْتَارَ ؟ |
| فَقَالَ أَصْحَابُهُ كُلُّهُمْ هَذَا هُوَ الرَّأْيُ. |
| فَقَالَ سُلَيْمَانُ لَكِنْ أَنَا لَا أَرَى ذَلِكَ ، إِنَّ الَّذِي قَتَلَهُ وَعَبَّأَ الْجُنُودَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَا أَمَانَ لَهُ عِنْدِي دُونَ أَنْ يَسْتَسْلِمَ فَأُمْضِي فِيهِ حُكْمِي ، هَذَا الْفَاسِقُ ابْنُ الْفَاسِقِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، فَسِيرُوا إِلَيْهِ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ فَإِنْ يُظْهِرْكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ مَنْ بَعْدَهُ أَهْوَنَ عَلَيْنَا مِنْهُ ، وَرَجَوْنَا أَنْ يَدِينَ لَكُمْ أَهْلُ مِصْرِكُمْ فِي عَافِيَةٍ فَيَنْظُرُونَ إِلَى كُلِّ مَنْ شَرَكَ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ فَيَقْتُلُونَهُ وَلَا يَغْشِمُوا ، وَإِنْ تُسْتَشْهَدُوا فَإِنَّمَا قَاتَلْتُمُ الْمُحِلِّينَ ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ، إِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَجْعَلُوا جِدَّكُمْ بِغَيْرِ الْمُحِلِّينَ ، وَلَوْ قَاتَلْتُمْ أَهْلَ مِصْرِكُمْ مَا عَدَمَ رَجُلٌ أَنْ يَرَى رَجُلًا قَدْ قَتَلَ أَخَاهُ وَأَبَاهُ وَحَمِيمَهُ وَرَجُلًا يُرِيدُ قَتْلَهُ ، فَاسْتَخِيرُوا اللَّهَ وَسِيرُوا. |
| وَبَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ خُرُوجُ ابْنِ صُرَدٍ ، فَأَتَيَاهُ فِي أَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَصْحَبْهُمْ مَنْ شَرَكَ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ خَوْفًا مِنْهُ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ يَبِيتُ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ خَوْفًا مِنْهُمْ. |
| فَلَمَّا أَتَيَاهُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَخُونُهُ وَلَا يَغُشُّهُ ، وَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ بَلَدِنَا وَأَحَبُّ أَهْلِ مِصْرٍ خَلَقَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا ، فَلَا تَفْجَعُونَا بِأَنْفُسِكُمْ وَلَا تَنْقُصُوا عَدَدَنَا بِخُرُوجِكُمْ مِنْ جَمَاعَتِنَا ، أَقِيمُوا مَعَنَا حَتَّى نَتَهَيَّأَ ، فَإِذَا سَارَ عَدُّونَا إِلَيْنَا خَرَجْنَا إِلَيْهِ بِجَمَاعَتِنَا فَقَاتَلْنَاهُ. |
| وَجَعَلَ لِسُلَيْمَانَ وَأَصْحَابِهِ خَرَاجَ جُوخَى إِنْ أَقَامُوا. |
| وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ مِثْلَهُ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لَهُمَا قَدْ مَحَّضْتُمَا النَّصِيحَةَ وَاجْتَهَدْتُمَا فِي الْمَشُورَةِ ، فَنَحْنُ بِاللَّهِ وَلَهُ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَلَا نَرَانَا إِلَّا سَائِرِينَ. |
| فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَأَقِيمُوا حَتَّى نُعَبِّي مَعَكُمْ جَرِيدًا كَثِيفًا فَتَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ بِجَمْعٍ كَثِيفٍ. |
| وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُمْ إِقْبَالُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ مِنَ الشَّامِ فِي جُنُودٍ. |
| فَلَمْ يُقِمْ سُلَيْمَانُ ، فَسَارَ عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ لِخَمْسٍ مَضَيْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، فَوَصَلَ دَارَ الْأَهْوَازِ وَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْهُ نَاسٌ كَثِيرٌ ، فَقَالَ مَا أُحِبُّ أَنَّ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْكُمْ مَعَكُمْ ، لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا التوبة ، إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ، وَاخْتَصَّكُمْ بِفَضْلِ ذَلِكَ . |
| ثُمَّ سَارُوا فَانْتَهَوْا إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا صَاحُوا صَيْحَةً وَاحِدَةً ، فَمَا رُئِيَ أَكْثَرَ بَاكِيًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ وَتَابُوا عِنْدَهُ مِنْ خِذْلَانِهِ ، وَتَرْكِ الْقِتَالِ مَعَهُ وَأَقَامُوا عِنْدَهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً يَبْكُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ وَيَتَرَحَّمُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِمْ عِنْدَ ضَرِيحِهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْ حُسَيْنًا الشَّهِيدَ ابْنَ الشَّهِيدِ ، الْمَهْدِيَّ ابْنَ الْمَهْدِيِّ ، الصِّدِّيقَ ابْنَ الصِّدِّيقِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نُشْهِدُكَ أَنَّا عَلَى دِينِهِمْ وَسَبِيلِهِمْ وَأَعْدَاءُ قَاتِلِيهِمْ وَأَوْلِيَاءُ مُحِبِّيهِمُ ، اللَّهُمَّ إِنَّا خَذَلْنَا ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى مِنَّا وَتُبْ عَلَيْنَا وَارْحَمْ حُسَيْنًا وَأَصْحَابَهُ الشُّهَدَاءَ الصِّدِّيقِينَ ، وَإِنَّا نُشْهِدُكَ أَنَّا عَلَى دِينِهِمْ وَعَلَى مَا قُتِلُوا عَلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ! |
| وَزَادَهُمُ النَّظَرُ إِلَيْهِ حَنَقًا . |
| ثُمَّ سَارُوا بَعْدَ أَنْ كَانَ الرَّجُلُ يَعُودُ إِلَى ضَرِيحِهِ كَالْمُوَدِّعِ لَهُ ، فَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنِ ازْدِحَامِهِمْ عَلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، ثُمَّ أَخَذُوا عَلَى الْأَنْبَارِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ كِتَابًا ، مِنْهُ يَا قَوْمَنَا لَا تُطِيعُوا عَدُوَّكُمْ ، أَنْتُمْ فِي أَهْلِ بِلَادِكُمْ خِيَارٌ كُلُّكُمْ ، وَمَتَى يُصِبْكُمْ عَدُوُّكُمْ يَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَعْلَامُ مِصْرِكُمْ ، فَيُطْمِعُهُمْ ذَلِكَ فِيمَنْ وَرَاءَكُمْ ، يَا قَوْمَنَا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا الكهف ، يَا قَوْمِ إِنَّ أَيْدِيَنَا وَأَيْدِيَكُمْ وَاحِدَةٌ وَعَدُوَّنَا وَعَدُوَّكُمْ وَاحِدٌ وَمَتَى تَجْتَمِعُ كَلِمَتُنَا عَلَى عَدُوِّنَا نَظْهَرُ عَلَى عَدُوِّنَا وَمَتَى تَخْتَلِفُ تَهُنْ شَوْكَتُنَا عَلَى مَنْ خَالَفْنَا ، يَا قَوْمَنَا لَا تَسْتَغِشُّوا نُصْحِيَ ، وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي وَأَقْبِلُوا حِينَ يُقْرَأُ كِتَابِي عَلَيْكُمْ. |
| وَالسَّلَامُ. |
| فَقَالَ سُلَيْمَانُ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَبَيْنَا هَذَا وَنَحْنُ فِي مِصْرِنَا ، فَحِينَ وَطَّنَا أَنْفُسَنَا عَلَى الْجِهَادِ وَدَنَوْنَا مِنْ أَرْضِ عَدُوِّنَا ، مَا هَذَا بِرَأْيٍ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ يَشْكُرُهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ وَيَقُولُ إِنَّ الْقَوْمَ قَدِ اسْتَبْشَرُوا بِبَيْعِهِمْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَإِنَّهُمْ قَدْ تَابُوا مِنْ عَظِيمِ ذَنْبِهِمْ وَتَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَرَضُوا بِمَا قَضَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ. |
| فَلَمَّا جَاءَ الْكِتَابُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ قَالَ اسْتَمَاتَ الْقَوْمُ ، أَوَّلُ خَبَرٍ يَأْتِيكُمْ عَنْهُمْ قَتْلُهُمْ ، وَاللَّهِ لَيُقْتَلُنَّ كِرَامًا مُسْلِمِينَ. |
| ثُمَّ سَارُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى قَرْقِيسْيَا عَلَى تَعْبِيَةٍ ، وَبِهَا زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ قَدْ تَحَصَّنَ بِهَا مِنْهُمْ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُسَيَّبَ بْنَ نَجَبَةَ يَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ سُوقًا ، فَأَتَى الْمُسَيَّبُ إِلَى بَابِ قَرْقِيسْيَا فَعَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ وَطَلَبَ الْإِذْنَ عَلَى زُفَرَ ، فَأَتَى هُذَيْلَ بْنِ زُفَرَ أَبَاهُ فَقَالَ هَذَا رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ اسْمُهُ الْمُسَيَّبُ بْنُ نَجَبَةَ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ. |
| فَقَالَ أَبُوهُ أَمَا تَدْرِي يَا بُنَيَّ مَنْ هَذَا ؟ |
| هَذَا فَارِسُ مُضَرَ الْحَمْرَاءِ كُلِّهَا ، إِذَا عُدَّ مِنْ أَشْرَافِهَا عَشْرَةٌ كَانَ أَحَدَهُمْ هُوَ ، وَهُوَ بَعْدُ رَجُلٌ نَاسِكٌ لَهُ دِينٌ ، إِيذَنْ لَهُ. |
| فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ وَسَأَلَهُ ، فَعَرَّفَهُ الْمُسَيَّبُ حَالَهُ وَمَا عَزَمُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ زُفَرُ إِنَّا لَمْ نُغْلِقْ أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ إِلَّا لِنَعْلَمَ إِيَّانَا تُرِيدُونَ أَمْ غَيْرَنَا ، وَمَا بِنَا عَجْزٌ عَنِ النَّاسِ وَمَا نُحِبُّ قِتَالَكُمْ ، وَقَدْ بَلَغَنَا عَنْكُمْ صَلَاحٌ وَسِيرَةٌ جَمِيلَةٌ. |
| ثُمَّ أَمَرَ ابْنَهُ فَأَخْرَجَ لَهُمْ سُوقًا ، وَأَمَرَ لِلْمُسَيَّبِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ وَفَرَسٍ ، فَرَدَّ الْمَالَ وَأَخَذَ الْفَرَسَ وَقَالَ لَعَلِّي أَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِنَّ عَرَجَ فَرَسِي. |
| وَبَعَثَ زُفَرُ إِلَيْهِمْ بِخُبْزٍ كَثِيرٍ وَعَلَفٍ وَدَقِيقٍ حَتَّى اسْتَغْنَى النَّاسُ عَنِ السُّوقِ ، إِلَّا أَنَّ الرَّجُلُ كَانَ يَشْتَرِي سَوْطًا أَوْ ثَوْبًا. |
| ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنَ الْغَدِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ زُفَرُ يُشَيِّعُهُمْ وَقَالَ لِسُلَيْمَانَ إِنَّهُ قَدْ سَارَ خَمْسَةُ أُمَرَاءَ مِنَ الرَّقَّةِ هُمُ الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ ذِي الْكَلَاعِ ، وَأَدْهَمُ بْنُ مُحْرِزٍ ، وَجَبَلَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَثْعَمِيُّ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ مِثْلِ الشَّوْكِ وَالشَّجَرِ ، فَإِنْ شِئْتُمْ دَخَلْتُمْ مَدِينَتَنَا وَكَانَتْ أَيْدِينَا وَاحِدَةً ، فَإِذَا جَاءَنَا هَذَا الْعَدُوُّ قَاتَلْنَاهُمْ جَمِيعًا. |
| فَقَالَ سُلَيْمَانُ قَدْ طَلَبَ أَهْلُ مِصْرِنَا ذَلِكَ مِنَّا فَأَبَيْنَا عَلَيْهِمْ. |
| قَالَ زُفَرُ فَبَادِرُوهُمْ إِلَى عَيْنِ الْوَرْدَةِ وَهِيَ رَأْسُ عَيْنٍ فَاجْعَلُوا الْمَدِينَةَ فِي ظُهُورِكُمْ وَيَكُونُ الرُّسْتَاقُ وَالْمَاءُ وَالْمَادَّةُ فِي أَيْدِيكُمْ ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فَأَنْتُمْ آمِنُونَ مِنْهُ ، فَاطْوُوا الْمَنَازِلَ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ جَمَاعَةً قَطُّ أَكْرَمَ مِنْكُمْ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَسْبِقُوهُمْ ، وَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ فَلَا تُقَاتِلُوهُمْ فِي فَضَاءٍ تُرَامُونَهُمْ وَتُطَاعِنُونَهُمْ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْكُمْ ، وَلَا آمَنُ أَنْ يُحِيطُوا بِكُمْ ، فَلَا تَقِفُوا لَهُمْ فَيَصْرَعُوكُمْ ، وَلَا تَصِفُّوا لَهُمْ ، فَإِنِّي لَا أَرَى مَعَكُمْ رَجَّالَةً وَمَعَهُمُ الرَّجَّالَةُ وَالْفُرْسَانُ بَعْضُهُمْ يَحْمِي بَعْضًا ، وَلَكِنِ الْقُوهُمْ فِي الْكَتَائِبِ وَالْمَقَانِبِ ثُمَّ بُثُّوهَا فِيمَا بَيْنَ مَيَمَنَتِهِمْ وَمَيْسَرَتِهِمْ وَاجْعَلُوا مَعَ كُلِّ كَتِيبَةٍ أُخْرَى إِلَى جَانِبِهَا ، فَإِنْ حُمِلَ عَلَى إِحْدَى الْكَتِيبَتَيْنِ رَحَلَتِ الْأُخْرَى فَنَفَّسَتْ عَنْهَا ، وَمَتَى شَاءَتْ كَتِيبَةٌ ارْتَفَعَتْ ، وَمَتَى شَاءَتْ كَتِيبَةٌ انْحَطَّتْ ، وَلَوْ كُنْتُمْ صَفًّا وَاحِدًا فَزَحَفَتْ إِلَيْكُمُ الرَّجَّالَةُ فَدَفَعْتُمْ عَنِ الصَّفِّ انْتَقَضَ فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ. |
| ثُمَّ وَدَّعَهُمْ وَدَعَا لَهُمْ وَدَعَوْا لَهُ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ. |
| ثُمَّ سَارُوا مُجِدِّينَ فَانْتَهَوْا إِلَى عَيْنِ الْوَرْدَةِ فَنَزَلُوا غَرْبَيَّهَا وَأَقَامُوا خَمْسًا فَاسْتَرَاحُوا وَأَرَاحُوا. |
| وَأَقْبَلَ أَهْلُ الشَّامِ فِي عَسَاكِرِهِمْ حَتَّى كَانُوا مِنْ عَيْنِ الْوَرْدَةِ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَقَامَ سُلَيْمَانُ فِي أَصْحَابِهِ وَذَكَرَ الْآخِرَةَ وَرَغَّبَ فِيهَا ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَاكُمْ عَدُوُّكُمُ الَّذِي دَأَبْتُمْ إِلَيْهِ فِي السَّيْرِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْدُقُوهُمُ الْقِتَالَ وَاصْبِرُوا ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ، وَلَا يُوَلِّيَنَّهُمُ امْرُؤٌ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ، وَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَقْتُلُوا أَسِيرًا مِنْ أَهْلِ دَعْوَتِكُمْ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلَكُمْ بَعْدَ أَنْ تَأْسِرُوهُ ، فَإِنَّ هَذِهِ كَانَتْ سِيرَةُ عَلِيٍّ فِي أَهْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ. |
| ثُمَّ قَالَ إِنْ أَنَا قُتِلْتُ فَأَمِيرُ النَّاسِ مُسَيَّبُ بْنُ نَجَبَةَ ، فَإِنْ قُتِلَ فَالْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ نُفَيْلٍ ، فَإِنْ قُتِلَ فَالْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَالٍ ، فَإِنْ قُتِلَ فَالْأَمِيرُ رِفَاعَةُ بْنُ شَدَّادٍ ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَدَقَ مَا عَاهَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ. |
| ثُمَّ بَعَثَ الْمُسَيَّبَ فِي أَرْبَعِمِائَةِ فَارِسٍ ثُمَّ قَالَ سِرْ حَتَّى تَلْقَى أَوَّلَ عَسَاكِرِهِمْ فَشُنَّ عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ مَا تُحِبُّهُ وَإِلَّا رَجَعْتَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَنْزِلَ أَوْ تَدَعَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ يَنْزِلُ أَوْ يَسْتَقْبِلُ آخِرَ ذَلِكَ ، حَتَّى لَا تَجِدَ مِنْهُ بُدًّا. |
| فَسَارَ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ ثُمَّ نَزَلَ السَّحَرَ. |
| فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَرْسَلَ أَصْحَابَهُ فِي الْجِهَاتِ لِيَأْتُوهُ بِمَنْ يَلْقَوْنَ ، فَأَتَوْهُ بِأَعْرَابِيٍّ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَدْنَى الْعَسَاكِرِ مِنْهُ ، فَقَالَ أَدْنَى عَسْكَرٍ مِنْ عَسَاكِرِهِمْ مِنْكَ عَسْكَرُ شُرَحْبِيلَ بْنِ ذِي الْكَلَاعِ ، وَهُوَ مِنْكَ عَلَى رَأْسِ مِيلٍ ، وَقَدِ اخْتَلَفَ هُوَ وَالْحُصَيْنُ ، ادَّعَى الْحُصَيْنُ أَنَّهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَأَبَى شُرَحْبِيلُ ذَلِكَ ، وَهُمَا يَنْتَظِرَانِ أَمْرَ ابْنِ زِيَادٍ. |
| فَسَارَ الْمُسَيَّبُ وَمَنْ مَعَهُ مُسْرِعِينَ فَأَشْرَفُوا عَلَيْهِمْ وَهُمْ غَارُّونَ ، فَحَمَلُوا فِي جَانِبِ عَسْكَرِهِمْ ، فَانْهَزَمَ الْعَسْكَرُ وَأَصَابَ الْمُسَيَّبُ مِنْهُمْ رِجَالًا ، فَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْجِرَاحَ وَأَخَذُوا الدَّوَابَّ ، وَخَلَّى الشَّامِيُّونَ عَسْكَرَهُمْ وَانْهَزَمُوا ، فَغَنِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ الْمُسَيَّبِ مَا أَرَادُوا ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى سُلَيْمَانَ مَوْفُورِينَ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ ابْنَ زِيَادٍ فَسَرَّحَ الْحُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ مُسْرِعًا حَتَّى نَزَلَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، فَخَرَجَ أَصْحَابُ سُلَيْمَانَ إِلَيْهِ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِمُ الْمُسَيَّبُ بْنُ نَجَبَةَ ، وَسُلَيْمَانُ فِي الْقَلْبِ ، وَجَعَلَ الْحُصَيْنُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ جَمَلَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ رَبِيعَةَ بْنَ الْمُخَارِقِ الْغَنَوِيَّ ، فَلَمَّا دَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ دَعَاهُمْ أَهْلُ الشَّامِ إِلَى الْجَمَاعَةِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَدَعَاهُمْ أَصْحَابُ سُلَيْمَانَ إِلَى خَلْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَتَسْلِيمِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِلَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ يُخْرِجُونَ مَنْ بِالْعِرَاقِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ثُمَّ يُرَدُّ الْأَمْرُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| فَأَبَى كُلٌّ مِنْهُمْ ، فَحَمَلَتْ مَيْمَنَةُ سُلَيْمَانَ عَلَى مَيْسَرَةِ الْحُصَيْنِ ، وَالْمَيْسَرَةُ أَيْضًا عَلَى الْمَيْمَنَةِ ، وَحَمَلَ سُلَيْمَانُ فِي الْقَلْبِ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَمَا زَالَ الظَّفَرُ لِأَصْحَابِ سُلَيْمَانَ إِلَى أَنْ حَجَزَ بَيْنِهِمُ اللَّيْلُ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ صَبَّحَ الْحُصَيْنَ جَيْشٌ مَعَ ابْنِ ذِي الْكَلَاعِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ ، أَمَدَّهُمْ بِهِمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، وَخَرَجَ أَصْحَابُ سُلَيْمَانَ فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا لَمْ يَكُنْ أَشَدَّ مِنْهُ جَمِيعَ النَّهَارِ ، لَمْ يَحْجِزْ بَيْنَهُمْ إِلَّا الصَّلَاةُ ، فَلَمَّا أَمْسَوْا تَحَاجَزُوا وَقَدْ كَثُرَتِ الْجِرَاحُ فِي الْفَرِيقَيْنِ ، وَطَافَ الْقُصَّاصُ عَلَى أَصْحَابِ سُلَيْمَانَ يُحَرِّضُونَهُمْ. |
| فَلَمَّا أَصْبَحَ أَهْلُ الشَّامِ أَتَاهُمْ أَدْهَمُ بْنُ مُحْرِزٍ الْبَاهِلِيُّ فِي نَحْوٍ مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ مِنِ ابْنِ زِيَادٍ ، فَاقْتَتَلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ قِتَالًا شَدِيدًا إِلَى ارْتِفَاعِ الضُّحَى ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ كَثَّرُوهُمْ وَتَعَطَّفُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَرَأَى سُلَيْمَانُ مَا لَقِيَ أَصْحَابُهُ ، فَنَزَلَ وَنَادَى عِبَادَ اللَّهِ مَنْ أَرَادَ الْبُكُورَ إِلَى رَبِّهِ وَالتَّوْبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ فَإِلَيَّ! |
| ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَةَ سَيْفِهِ وَنَزَلَ مَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ وَكَسَرُوا جُفُونَ سُيُوفِهِمْ وَمَشَوْا مَعَهُ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَجَرَّحُوا فِيهِمْ فَأَكْثَرُوا الْجِرَاحَ. |
| فَلَمَّا رَأَى الْحُصَيْنُ صَبْرَهُمْ وَبَأْسَهُمْ بَعَثَ الرَّجَّالَةَ تَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ وَاكْتَنَفَتْهُمُ الْخَيْلُ وَالرِّجَالُ ، فَقُتِلَ سُلَيْمَانُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، رَمَاهُ يَزِيدُ بْنُ الْحُصَيْنِ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ ، ثُمَّ وَثَبَ ثُمَّ وَقَعَ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ سُلَيْمَانُ أَخَذَ الرَّايَةَ الْمُسَيَّبُ بْنُ نَجَبَةَ وَتَرَحَّمَ عَلَى سُلَيْمَانَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ بِهَا سَاعَةً ثُمَّ رَجَعَ ثُمَّ حَمَلَ ، فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا ، ثُمَّ قُتِلَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، بَعْدَ أَنْ قَتَلَ رِجَالًا. |
| فَلَمَّا قُتِلَ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ نُفَيْلٍ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمَا ، ثُمَّ قَرَأَ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا الأحزاب . |
| وَحَفَّ بِهِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَزْدِ. |
| فَبَيْنَمَا هُمْ فِي الْقِتَالِ أَتَاهُمْ فُرْسَانٌ ثَلَاثَةٌ مِنْ سَعْدِ بْنِ حُذَيْفَةَ يُخْبِرُونَ بِمَسِيرِهِمْ فِي سَبْعِينَ وَمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدَائِنِ وَيُخْبِرُونَ أَيْضًا بِمَسِيرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مَعَ الْمُثَنَّى بْنِ مُخَرِّبَةَ الْعَبْدِيِّ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَسُرَّ النَّاسُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ ذَلِكَ لَوْ جَاءُونَا وَنَحْنُ أَحْيَاءٌ. |
| فَلَمَّا نَظَرَ الرُّسُلُ إِلَى مُصَارِعِ إِخْوَانِهِمْ سَاءَهُمْ ذَلِكَ وَاسْتَرْجَعُوا وَقَاتَلُوا مَعَهُمْ ، وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ نُفَيْلٍ ، قَتَلَهُ ابْنُ أَخِي رَبِيعَةَ بْنِ مُخَارِقٍ ، وَحَمَلَ خَالِدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ نُفَيْلٍ عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ فَطَعَنَهُ بِالسَّيْفِ ، وَاعْتَنَقَهُ الْآخَرُ فَحَمَلَ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ فَخَلَّصُوهُ بِكَثْرَتِهِمْ وَقَتَلُوا خَالِدًا ، وَبَقِيَتِ الرَّايَةُ لَيْسَ عِنْدَهَا أَحَدٌ ، فَنَادَوْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَالٍ فَإِذَا هُوَ قَدِ اصْطَلَى الْحَرْبَ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ ، فَحَمَلَ رِفَاعَةُ بْنُ شَدَّادٍ فَكَشَفَ أَهْلَ الشَّامِ عَنْهُ ، فَأَتَى فَأَخَذَ الرَّايَةَ وَقَاتَلَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ مَنْ أَرَادَ الْحَيَاةَ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا مَوْتٌ وَالرَّاحَةَ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا نَصَبٌ ، وَالسُّرُورَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ حُزْنٌ ، فَلْيَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ الْمُحِلِّينَ ، وَالرَّوَاحِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْعَصْرِ ، فَحَمَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَقَتَلُوا رِجَالًا وَكَشَفُوهُمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ تَعَطَّفُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى رَدُّوهُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ ، وَكَانَ مَكَانُهُمْ لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ تَوَلَّى قِتَالَهُمْ أَدْهَمُ بْنُ مُحْرِزٍ الْبَاهِلِيُّ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فِي خَيْلِهِ وَرَجْلِهِ ، فَوَصَلَ ابْنُ مُحْرِزٍ إِلَى ابْنِ وَالٍ وَهُوَ يَتْلُو وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا آل عمران الْآيَةَ ، فَغَاظَ ذَلِكَ أَدْهَمَ بْنَ مُحْرِزٍ فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَضَرَبَ يَدَهُ فَأَبَانَهَا ثُمَّ تَنَحَّى عَنْهُ وَقَالَ إِنِّي أَظُنُّكَ وَدِدْتَ أَنَّكَ عِنْدَ أَهْلِكَ. |
| قَالَ ابْنُ وَالٍ بِئْسَ مَا ظَنَنْتَ ، وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَدُكَّ مَكَانَهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِي مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا فِي يَدِي لِيَعْظُمَ وِزْرُكَ وَيَعْظُمَ أَجْرِي. |
| فَغَاظَهُ ذَلِكَ أَيْضًا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ وَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ مَا يَزُولُ. |
| وَكَانَ ابْنُ وَالٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْعُبَّادِ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَتَوْا رِفَاعَةَ بْنَ شَدَّادٍ الْبَجَلِيَّ وَقَالُوا لِتَأْخُذِ الرَّايَةَ. |
| فَقَالَ ارْجِعُوا بِنَا لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُنَا لِيَوْمِ شَرِّهِمْ. |
| فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْفِ بْنِ الْأَحْمَرِ هَلَكْنَا وَاللَّهِ ، لَئِنِ انْصَرَفْتَ لَيَرْكَبُنَّ أَكْتَافَنَا فَلَا نَبْلُغُ فَرْسَخًا حَتَّى نَهْلِكَ عَنْ آخِرِنَا ، وَإِنْ نَجَا مِنَّا نَاجٍ أَخَذَتْهُ الْعَرَبُ يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَيْهِمْ فَقُتِلَ صَبْرًا ، هَذِهِ الشَّمْسُ قَدْ قَارَبَتِ الْغُرُوبَ فَنُقَاتِلُهُمْ عَلَى خَيْلِنَا ، فَإِذَا غَسَقَ اللَّيْلُ رَكِبْنَا خُيُولَنَا أَوَّلَ اللَّيْلِ وَسِرْنَا حَتَّى نُصْبِحَ وَنَسِيرُ عَلَى مَهَلٍ ، وَيَحْمِلُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ وَجَرِيحَهُ وَنَعْرِفُ الْوَجْهَ الَّذِي نَأْخُذُهُ. |
| فَقَالَ رِفَاعَةُ نِعْمَ مَا رَأَيْتَ! |
| وَأَخَذَ الرَّايَةَ وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَرَامَ أَهْلُ الشَّامِ إِهْلَاكَهُمْ قَبْلَ اللَّيْلِ فَلَمْ يَصِلُوا إِلَى ذَلِكَ لِشِدَّةِ قِتَالِهِمْ ، وَتَقَدَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُزَيْزٍ الْكِنَانِيُّ فَقَاتَلَ أَهْلَ الشَّامِ وَمَعَهُ وَلَدُهُ مُحَمَّدُ وَهُوَ صَغِيرٌ ، فَنَادَى بَنِي كِنَانَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَسَلَّمَ وَلَدَهُ إِلَيْهِمْ لِيُوصِلُوهُ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَعَرَضُوا عَلَيْهِ الْأَمَانَ ، فَأَبَى ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. |
| وَتَقَدَّمَ كَرِبُ بْنُ يَزِيدَ الْحِمْيَرِيُّ عِنْدَ الْمَسَاءِ فِي مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ابْنُ ذِي الْكَلَاعِ الْحِمْيَرِيُّ الْأَمَانَ ، قَالَ قَدْ كُنَّا آمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا خَرَجْنَا نَطْلُبُ أَمَانَ الْآخِرَةِ. |
| فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلُوا. |
| وَتَقَدَّمَ صَخْرُ بْنُ هِلَالٍ الْمُزَنِيُّ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ مُزَيْنَةَ فَقَاتَلُوا حَتَّى قُتِلُوا. |
| فَلَمَّا أَمْسَوْا رَجَعَ أَهْلُ الشَّامِ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ ، وَنَظَرَ رِفَاعَةُ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ قَدْ عُقِرَ بِهِ فَرَسُهُ وَجُرِحَ فَدَفَعَهُ إِلَى قَوْمِهِ ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ لَيْلَتَهُ ، وَأَصْبَحَ الْحُصَيْنُ لِيَلْتَقِيَهُمْ فَلَمْ يَرَهُمْ ، فَلَمْ يَبْعَثْ فِي آثَارِهِمْ ، وَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا قَرْقِيسْيَا ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ زُفَرُ الْإِقَامَةَ ، فَأَقَامُوا ثَلَاثًا ، فَأَضَافَهُمْ ثُمَّ زَوَّدَهُمْ وَسَارُوا إِلَى الْكُوفَةِ. |
| ثُمَّ أَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ فِي أَهْلِ الْمَدَائِنِ فَبَلَغَ هِيتَ ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ ، فَرَجَعَ فَلَقِيَ الْمُثَنَّى بْنَ مُخَرِّبَةَ الْعَدَوِيَّ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِصَنْدَوْدَاءَ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَقَامُوا حَتَّى أَتَاهُمْ رِفَاعَةُ فَاسْتَقْبَلُوهُ ، وَبَكَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَقَامُوا يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ تَفَرَّقُوا ، فَسَارَ كُلُّ طَائِفَةٍ إِلَى بَلَدِهِمْ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ رِفَاعَةُ الْكُوفَةَ كَانَ الْمُخْتَارُ مَحْبُوسًا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَمَّا بَعْدُ فَمَرْحَبًا بِالْعُصْبَةِ الَّذِينَ عَظَّمَ اللَّهُ لَهُمُ الْأَجْرَ حِينَ انْصَرَفُوا وَرَضِيَ فِعْلَهُمْ حِينَ قُتِلُوا ، أَمَا وَرَبِّ الْبَيْتِ مَا خَطَا خَاطٍ مِنْكُمْ خُطْوَةً وَلَا رَبَا رَبْوَةً إِلَّا كَانَ ثَوَابُ اللَّهِ لَهُ أَعْظَمَ مِنَ الدُّنْيَا! |
| إِنَّ سُلَيْمَانَ قَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ وَجَعَلَ وَجْهَهُ مَعَ أَرْوَاحِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ بِصَاحِبِكُمُ الَّذِي بِهِ تُنْصَرُونَ ، إِنِّي أَنَا الْأَمِيرُ الْمَأْمُورُ ، وَالْأَمِينُ الْمَأْمُونُ ، وَقَاتِلُ الْجَبَّارِينَ ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ ، الْمُقَيَّدُ مِنَ الْأَوْتَارِ ، فَأَعِدُّوا وَاسْتَعِدُّوا وَأَبْشِرُوا ، أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَالطَّلَبِ بِدَمِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَالدَّفْعِ عَنِ الضُّعَفَاءِ ، وَجِهَادِ الْمُحِلِّينَ ، وَالسَّلَامُ. |
| وَكَانَ قَتْلُ سُلَيْمَانَ وَمَنْ مَعَهُ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ . |
| وَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِقَتْلِ سُلَيْمَانَ وَانْهِزَامِ أَصْحَابِهِ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ رُءُوسِ أَهْلِ الْعِرَاقِ مُلْقِحَ فِتْنَةٍ وَرَأْسَ ضَلَالَةٍ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ ، أَلَا وَإِنَّ السُّيُوفَ تَرَكْنَ رَأْسَ الْمُسَيَّبِ خَذَارِيفَ ، وَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ رَأْسَيْنِ عَظِيمَيْنِ ضَالَّيْنِ مُضِلَّيْنِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ الْأَزْدِيَّ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَالٍ الْبَكْرِيَّ ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُمْ مَنْ عِنْدَهُ امْتِنَاعٌ ، وَفِي هَذَا نَظَرٌ ، فَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ حَيًّا ، قَالَ أَعْشَى هَمْدَانَ فِي ذَلِكَ ، وَهِيَ مِمَّا يُكَتَّمُ ذَلِكَ الزَّمَانَ أَلَمَّ خَيَالٌ مِنْكِ يَا أُمَّ غَالِبِ... |
| فَحُيِّيتِ عَنَّا مِنْ حَبِيبٍ مُجَانِبِ وَمَا زِلْتُ فِي شَجْوٍ وَمَا زِلْتُ مُقْصَدًا... |
| لِهَمٍّ عَرَانِي مِنْ فِرَاقِكِ نَاصِبِ فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ انْفِتَالَكِ فِي الضُّحَى... |
| إِلَيْنَا مَعَ الْبِيضِ الْحِسَانِ الْخَرَاعِبِ تَرَاءَتْ لَنَا هَيْفَاءَ مَهْضُومَةَ الْحَشَا... |
| لَطِيفَةَ طَيِّ الْكَشْحِ رَيَّا الْحَقَائِبِ مُبَتَّلَةً غَرَّاءَ رُؤْدٌ شَبَابُهَا... |
| كَشَمْسِ الضُّحَى تَنْكَلُّ بَيْنَ السَّحَائِبِ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا السَّحَابُ وَحَوْلَهُ بَدَا... |
| حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ فَتِلْكَ الْهَوَى وَهْيَ الْجَوَى لِي وَالْمُنَى... |
| فَأَحْبِبْ بِهَا مِنْ خُلَّةٍ لَمْ تُصَاقِبِ وَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الشَّبَابَ وَذِكْرَهُ... |
| وَحُبَّ تَصَافِي الْمُعْصِرَاتِ الْكَوَاعِبِ وَيَزْدَادُ مَا أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِتَابِنَا... |
| لُعَابًا وَسُقْيًا لِلْخَدِينِ الْمُقَارِبِ فَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَنْسَهُنَّ لَذَاكِرٌ... |
| رَزِيئَةَ مِخْبَاتٍ كَرِيمِ الْمَنَاصِبِ تَوَسَّلَ بِالتَّقْوَى إِلَى اللَّهِ صَادِقًا... |
| وَتَقْوَى الْإِلَهِ خَيْرُ تِكْسَابِ كَاسِبِ وَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا فَلَمْ يَلْتَبِسْ بِهَا... |
| وَتَابَ إِلَى اللَّهِ الرَّفِيعِ الْمَرَاتِبِ تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا وَقَالَ اطَّرَحْتُهَا... |
| فَلَسْتُ إِلَيْهَا مَا حَيِيتُ بِآيِبِ وَمَا أَنَا فِيمَا يَكْرَهُ النَّاسُ فَقْدَهُ... |
| وَيَسْعَى لَهُ السَّاعُونَ فِيهَا بِرَاغِبِ فَوَجَّهَهُ نَحْوَ الثَّوِيَّةِ سَائِرًا... |
| إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فِي الْجُمُوعِ الْكَتَائِبِ بِقَوْمٍ هُمْ أَهْلُ التَّقِيَّةِ وَالنُّهَى... |
| مَصَالِيتُ أَنْجَادٌ سَرَاةُ مَنَاجِبِ مَضَوْا تَارِكِي رَأْيِ ابْنِ طَلْحَةَ حِسْبَةً... |
| وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلْأَمِيرِ الْمُخَاطِبِ فَسَارُوا وَهُمْ مَا بَيْنَ مُلْتَمِسِ الْتُقَى... |
| وَآخَرَ مِمَّا جَرَّ بِالْأَمْسِ تَائِبِ فَلَاقَوْا بِعَيْنِ الْوَرْدَةِ الْجَيْشَ فَاصِلًا... |
| إِلَيْهِمْ فَحَسُّوهُمْ بِبِيضٍ قَوَاضِبِ يَمَانِيَةٍ تَذَرِي الْأَكُفَّ وَتَارَةً... |
| بَخِيلٍ عِتَاقٍ مُقْرَبَاتٍ سَلَاهِبِ فَجَاءَهُمُ جَمْعٌ مِنَ الشَّامِ بَعْدَهُ... |
| جُمُوعٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ فَمَا بَرِحُوا حَتَّى أُبِيدَتْ سُرَاتُهُمْ... |
| فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ ثَمَّ غَيْرُ عَصَائِبِ وَغُودِرَ أَهْلُ الصَّبْرِ صَرْعَى فَأَصْبَحُوا... |
| تَعَاوَرَهُمْ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ فَأَضْحَى الْخُزَاعِيُّ الرَّئِيسُ مُجَدَّلًا... |
| كَأَنْ لَمْ يُقَاتِلْ مَرَّةً وَيُحَارِبِ وَرَأْسُ بَنِي شَمْخٍ وَفَارِسُ قَوْمِهِ... |
| شَنُوءَةَ وَالتَّيْمِيُّ هَادِي الْكَتَائِبِ وَعَمْرُو بْنُ بِشْرٍ وَالْوَلِيدُ وَخَالِدٌ... |
| وَزَيْدُ بْنُ بَكْرٍ وَالْحُلَيْسُ بْنُ غَالِبِ وَضَارِبُ مِنْ هَمْدَانَ كُلَّ مُشَيِّعٍ... |
| إِذَا شَدَّ لَمْ يَنْكِلْ كَرِيمُ الْمَكَاسِبِ وَمِنْ كُلِّ قَوْمٍ قَدْ أُصِيبَ زَعِيمُهُمْ... |
| وَذُو حَسَبٍ فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ ثَاقِبِ أَبَوْا غَيْرَ ضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ وَقْعُهُ... |
| وَطَعْنٍ بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ صَائِبِ وَإِنَّ سَعِيدًا يَوْمَ يَدْمُرُ عَامِرًا... |
| لَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بِدَرْبٍ مُوَاثِبِ فَيَا خَيْرَ جَيْشٍ بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ... |
| سَقَيْتُمْ رَوَايَا كُلِّ أَسْحَمَ سَاكِبِ فَلَا يَبْعَدَنْ فُرْسَانُنَا وَحُمَاتُنَا... |
| إِذَا الْبِيضُ أَبْدَتْ عَنْ خِدَامِ الْكَوَاعِبِ وَمَا قُتِلُوا حَتَّى أَثَارُوا عِصَابَةً... |
| مُحِلِّينَ نُورًا كَالشُّمُوسِ الضَّوَارِبِ وَقِيلَ قُتِلَ سُلَيْمَانُ وَمَنْ مَعَهُ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخَرِ. |
| الْخُزَاعِيُّ الَّذِي هُوَ فِي هَذَا الشِّعْرِ هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ الْخُزَاعِيُّ. |
| وَرَأْسُ بَنِي شَمْخٍ هُوَ الْمُسَيَّبُ بْنُ نَجَبَةَ الْفَزَارِيُّ. |
| وَرَأْسُ شَنُوءَةَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ نُفَيْلٍ الْأَزْدِيُّ ، أَزِدُ شَنُوءَةَ. |
| وَالتَّيْمِيُّ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَالٍ التَّيْمِيُّ مِنْ تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ. |
| وَالْوَلِيدُ هُوَ ابْنُ عُصَيْرٍ الْكِنَانِيُّ. |
| وَخَالِدٌ هُوَ خَالِدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ نُفَيْلٍ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ. |
| نَجَبَةُ بِالنُّونِ وَالْجِيمِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ الْمَفُتُوحَاتِ . |
| ذِكْرُ بَيْعَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنَيْ مَرْوَانَ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمَرَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بِالْبَيْعَةِ لِابْنَيْهِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عَمْرَو بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ لَمَّا هَزَمَ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ حِينَ وَجَّهَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى فِلَسْطِينَ رَجَعَ إِلَى مَرْوَانَ وَهُوَ بِدِمَشْقَ قَدْ غَلَبَ عَلَى الشَّامِ وَمِصْرَ ، فَبَلَغَ مَرْوَانَ أَنَّ عَمْرًا يَقُولُ إِنَّ الْأَمْرَ لِي بَعْدَ مَرْوَانَ ، فَدَعَا مَرْوَانُ حَسَّانَ بْنَ مَالِكِ بْنِ بِحَدْلٍ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُبَايِعَ لِابْنَيْهِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا بَلَغَهُ عَنْ عَمْرٍو ، فَقَالَ أَنَا أَكْفِيكَ عَمْرًا ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ مَرْوَانَ عَشِيًّا قَامَ حَسَّانُ فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ رِجَالًا يَتَمَنَّوْنَ أَمَانِيَّ ، قَوْمُوا فَبَايِعُوا لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَبَايَعُوا عَنْ آخِرِهِمْ. |
| ذِكْرُ بَعْثِ ابْنِ زِيَادٍ وُحُبَيْشٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بَعْثَيْنِ أَحَدُهُمَا مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَمُحَارَبَةِ زُفَرَ بْنِ الْحَارِثِ بِقَرْقِيسْيَا وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى كُلِّ مَا يَفْتَحُهُ ، فَإِذَا فَرَغَ مِنَ الْجَزِيرَةِ تَوَجَّهَ لِقَصْدِ الْعِرَاقِ وَأَخْذِهِ مِنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْجَزِيرَةِ بَلَغَهُ مَوْتُ مَرْوَانَ وَأَتَاهُ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَا اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهِ أَبُوهُ وَيَحُثُّهُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ. |
| وَالْبَعْثُ الْآخَرُ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ حُبَيْشِ بْنِ دَلَجَةَ الْقَيْنِيِّ ، فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَدِينَةِ وَعَلَيْهَا جَابِرُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفِ ابْنُ أَخِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ مِنْ قِبَلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَهَرَبَ مِنْهُ جَابِرٌ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهُوَ أَخُو عَمْرِو بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَجَّهَ جَيْشًا مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهَا ، لِابْنِ الزُّبَيْرِ وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ الْحُنَيْفَ بْنَ النَّحَفِ التَّيْمِيِّ لِحَرْبِ حُبَيْشٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ حُبَيْشٌ سَارَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْعَبَّاسَ بْنَ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ إِلَى الْمَدِينَةِ أَمِيرًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ فِي طَلَبِ حُبَيْشٍ حَتَّى يُوَافِيَ الْجُنْدَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الْحُنَيْفُ ، فَأَقْبَلَ عَبَّاسٌ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى لَحِقَهُمْ بِالرَّبَذَةِ ، فَقَاتَلَهُمْ حُبَيْشٌ ، فَرَمَاهُ يَزِيدُ بْنُ سِنَانٍ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ يُوسُفُ بْنُ الْحَكَمِ وَابْنُهُ الْحَجَّاجُ ، وَهَمَّا عَلَى جَمَلٍ وَاحِدٍ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، فَتَحَرَّزَ مِنْهُمْ خَمْسُمِائَةٍ بِالْمَدِينَةِ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ انْزِلُوا عَلَى حُكْمِي ، فَنَزَلُوا ، فَقَتَلَهُمْ ، وَرَجَعَ فَلُّ حُبَيْشٍ إِلَى الشَّامِ ، وَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ سِنَانٍ الْمَدِينَةَ كَانَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ فَاسْوَدَّتْ مِمَّا مَسَحَهُ النَّاسُ وَمِمَّا صَبُّوا عَلَيْهِ مِنَ الطِّيبِ. |
| ذِكْرُ مَوْتِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ لَمْ يَسْتَخْلِفْ أَحَدًا ، وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ بِحَدْلٍ يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ فِي أَخِيهِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَكَانَ صَغِيرًا ، وَحَسَّانُ خَالُ أَبِيهِ يَزِيدَ ، فَبَايَعَ حَسَّانُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ لِخَالِدٍ ، فَلَمَّا بَايَعَهُ هُوَ وَأَهْلُ الشَّامِ قِيلَ لِمَرْوَانَ تَزَوَّجْ أُمَّ خَالِدٍ ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ ، حَتَّى يَصْغُرَ شَأْنُهُ فَلَا يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، فَتَزَوَّجَهَا ، فَدَخَلَ خَالِدٌ يَوْمًا عَلَى مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ وَهُوَ يَمْشِي بَيْنَ صَفَّيْنِ ، فَقَالَ مَرْوَانُ وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَحْمَقُ! |
| تَعَالَ يَا ابْنَ الرَّطْبَةِ الِاسْتِ! |
| يُقَصِّرُ بِهِ لِيُسْقِطَهُ مِنْ أَعْيُنِ أَهْلِ الشَّامِ. |
| فَرَجَعَ خَالِدٌ إِلَى أُمِّهِ فَأَخْبَرَهَا ، فَقَالَتْ لَهُ لَا يَعْلَمَنَّ ذَلِكَ مِنْكَ إِلَّا أَنَا ، أَنَا أَكْفِيكَهُ. |
| فَدَخَلَ عَلَيْهَا مَرْوَانُ فَقَالَ لَهَا هَلْ قَالَ لَكِ خَالِدٌ فِيَّ شَيْئًا ؟ |
| قَالَتْ لَا ، إِنَّهُ أَشَدُّ لَكَ تَعْظِيمًا مِنْ أَنْ يَقُولَ فِيكَ شَيْئًا. |
| فَصَدَّقَهَا وَمَكَثَ أَيَّامًا ، ثُمَّ إِنَّ مَرْوَانَ نَامَ عِنْدَهَا يَوْمًا ، فَغَطَّتْهُ بِوِسَادَةٍ حَتَّى قَتَلَتْهُ ، فَمَاتَ بِدِمَشْقَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَقِيلَ إِحْدَى وَسِتِّينَ. |
| وَأَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَتْلَ أُمِّ خَالِدٍ ، فَقِيلَ لَهُ يَظْهَرُ عِنْدَ الْخَلْقِ أَنَّ امْرَأَةً قَتَلَتْ أَبَاكَ ، فَتَرَكَهَا. |
| وَلَمَّا تُوُفِّيَ مَرْوَانُ قَامَ بِأَمْرِ الشَّامِ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَكَانَ بِمِصْرَ ابْنُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِطَاعَةِ أَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ وُلِدَ لِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ ، فَكَانَ النَّاسُ يَذُمُّونَهُ لِذَلِكَ ، قِيلَ إِنَّهُ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ قَوْمٌ مِنَ الْأَشْرَافِ ، فَقَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ الْبَكْرِيِّ بَلَغَنِي أَنَّكَ لَا تُشْبِهُ أَبَاكَ ، فَقَالَ بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأَشْبَهُ بِهِ مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ وَالْغُرَابِ بِالْغُرَابِ ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بِمَنْ لَمْ تُنْضِجْهُ الْأَرْحَامُ ، وَلَمْ يُولَدْ بِالتَّمَامِ ، وَلَمْ يُشْبِهِ الْأَخْوَالَ وَالْأَعْمَامَ. |
| قَالَ مَنْ ذَلِكَ ؟ |
| قَالَ سُوِيدُ بْنُ مَنْجُوفٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَسُوِيدٌ قَالَ لَهُ سُوِيدٌ مَا سَرَّنِي بِمَقَالَتِكَ لَهُ حُمْرُ النَّعَمِ. |
| فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَمَا سَرَّنِي وَاللَّهِ بِاحْتِمَالِكَ إِيَّايَ وَسُكُوتِكَ سُودُهَا. |
| ذِكْرُ صِفَتِهِ وَنَسَبِهِ وَأَخْبَارِهِ هُوَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ وَأُمُّهُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ مِنْ كِنَانَةَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ ، وَنَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ لِأَنَّهُ يَتَجَسَّسُ عَلَيْهِ ، وَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يَمْشِي وَيَتَخَلَّجُ فِي مَشْيِهِ كَأَنَّهُ يَحْكِيهِ ، فَقَالَ لَهُ كُنْ كَذَلِكَ ، فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ. |
| وَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَّمَ عُثْمَانُ أَبَا بَكْرٍ فِي رَدِّهِ ، لِأَنَّهُ عَمَّهُ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ وَوَلِيَ عُمَرُ كَلَّمَهُ أَيْضًا فِي رَدِّهِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ رَدَّهُ وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَنِي أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا أَنْكَرَ النَّاسُ عَلَيْهِ. |
| وَتُوُفِّيَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَقَدْ رُوِيَتُ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ فِي لَعْنِهِ وَلَعْنِ مَنْ فِي صُلْبِهِ ، رَوَاهَا الْحَافِظُ ، فِي أَسَانِيدِهَا كَلَامٌ. |
| وَكَانَ مَرْوَانُ قَصِيرًا أَحْمَرَ أَوْقَصَ ، يُكَنَّى أَبَا الْحَكَمِ ، وَأَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَأَعْتَقَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِائَةَ رَقَبَةٍ ، وَوَلِيَ الْمَدِينَةَ لِمُعَاوِيَةَ مَرَّاتٍ ، فَكَانَ إِذَا وَلِيَ يُبَالِغُ فِي سَبِّ عَلِيٍّ ، وَإِذَا عُزِلَ وَوَلِيَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ كَفَّ عَنْهُ ، فَسُئِلَ عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ وَعَنْ سَعِيدٍ ، فَقَالَ كَانَ مَرْوَانُ خَيْرًا لَنَا فِي السِّرِّ ، وَسَعِيدٌ خَيْرًا لَنَا فِي الْعَلَانِيَةِ. |
| وَقَدْ أُخْرِجَ حَدِيثُ مَرْوَانَ فِي الصَّحِيحِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يُصَلِّيَانِ خَلْفَهُ وَلَا يُعِيدَانِ الصَّلَاةَ. |
| وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ الْخُطْبَةَ فِي صَلَاةِ الْعِيدِ وَقَبْلَ الصَّلَاةِ. |
| وَلَمَّا مَاتَ بُويِعَ لِوَلَدِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ وَلِوَلَدِهِ بَنُو الزَّرْقَاءِ ، يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يُرِيدُ ذَمَّهُمْ وَعَيْبَهُمْ ، وَهِيَ الزَّرْقَاءُ بِنْتُ مَوْهَبٍ ، جَدَّةُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ لِأَبِيهِ ، وَكَانَتْ مِنْ ذَوَاتِ الرَّايَاتِ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى بُيُوتِ الْبِغَاءِ ، فَلِهَذَا كَانُوا يُذَمُّونَ بِهَا ، وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا أَبُو الْعَاصِ بْنُ أُمَيَّةَ وَالِدُ الْحَكَمِ ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، لَا يَكُونُ هَذَا مِنِ امْرَأَةٍ لَهُ وَهِيَ عِنْدُهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. |
| حُبَيْشُ بْنُ دَلَجَةَ بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، ثُمَّ الْيَاءِ مِنْ تَحْتُ ، وَآخِرُهُ شِينٌ مُعْجَمَةٌ ، وَدَلَجَةُ بِفَتْحِ الدَّالِ وَاللَّامِ . |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اشْتَدَّتْ شَوْكَةُ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ ، وَهُوَ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ الْأَزَارِقَةُ مِنَ الْخَوَارِجِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قُوَّتِهِ اشْتِغَالُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَاخْتِلَافُهُمْ بِسَبَبِ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو وَقَتْلِهِ ، وَكَثُرَتْ جُمُوعُهُ وَأَقْبَلَ نَحْوَ الْجِسْرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ مُسْلِمَ بْنَ عُبَيْسِ بْنِ كُرَيْزِ بْنِ رَبِيعَةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَرَفَعَهُ عَنْ أَرْضِ الْبَصْرَةِ حَتَّى بَلَغَ دُولَابَ مِنْ أَرْضِ الْأَهْوَازِ ، فَاقْتَتَلُوا هُنَاكَ ، وَجَعَلَ مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْسٍ عَلَى مَيْمَنَتِهِ الْحَجَّاجَ بْنَ بَابٍ الْحِمْيَرِيَّ ، وَعَلَى مَسِيرَتِهِ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرٍ الْغُدَانِيَّ وَجَعَلَ ابْنُ الْأَزْرَقِ عَلَى مَيْمَنَتِهِ عُبَيْدَ بْنَ هِلَالٍ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ الزُّبَيْرَ بْنَ الْمَاحُوزِ التَّمِيمِيَّ ، وَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ ، فَقُتِلَ مُسْلِمٌ أَمِيرُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَقُتِلَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ أَمِيرُ الْخَوَارِجِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَأَمَّرَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلَيْهِمُ الْحَجَّاجَ بْنَ بَابٍ الْحِمْيَرِيَّ ، وَأَمَّرْتِ الْخَوَارِجُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمَاحُوزِ التَّمِيمِيَّ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ وَالْحَجَّاجُ ، فَأَمَّرَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلَيْهِمْ رَبِيعَةَ بْنَ الْأَجْرَمِ التَّمِيمِيَّ ، وَأَمَّرَتِ الْخَوَارِجُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْمَاحُوِزِ التَّمِيمِيَّ ، ثُمَّ عَادُوا فَاقْتَتَلُوا حَتَّى أَمْسَوْا وَقَدْ كَرِهَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَمَلُّوا الْقِتَالَ. |
| فَإِنَّهُمْ كَذَلِكَ مُتَوَاقِفُونَ مُتَحَاجِزُونَ إِذْ جَاءَتِ الْخَوَارِجُ سَرِيَّةٌ مُسْتَرِيحَةٌ لَمْ تَشْهَدِ الْقِتَالَ ، فَحَمَلَتِ عَلَى النَّاسِ مِنْ نَاحِيَةِ عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ وَقُتِلَ أَمِيرُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ رَبِيعَةُ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ أَيْضًا دُغْفُلُ بْنُ حَنْظَلَةَ الشَّيْبَانِيُّ النَّسَّابَةُ ، وَأَخَذَ الرَّايَةَ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ ، فَقَاتَلَ سَاعَةً ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ عَنْهُ ، فَقَاتَلَ وَحَمَى النَّاسَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ بِالْأَهْوَازِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ فَأَفْزَعَهُمْ ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَزَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ ، فَأَقْبَلَتِ الْخَوَارِجُ نَحْوَ الْبَصْرَةِ. |
| ذِكْرُ مُحَارِبَةِ الْمُهَلَّبِ الْخَوَارِجَ لَمَّا قَرُبَتِ الْخَوَارِجُ مِنَ الْبَصْرَةِ أَتَى أَهْلُهَا الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَتَوَلَّى حَرْبَهُمْ ، فَأَشَارَ بِالْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ لِمَا يَعْلَمُ فِيهِ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْحَرْبِ ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ مِنْ عِنْدِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَدْ وَلَّاهُ خُرَاسَانَ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ مَا لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرُ الْمُهَلَّبِ. |
| فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَشْرَافُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَكَلَّمُوهُ ، فَأَبَى ، فَكَلَّمَهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَاعْتَذَرَ بِعَهْدِهِ عَلَى خُرَاسَانَ ، فَوَضَعَ الْحَارِثُ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ كِتَابًا إِلَيْهِ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ يَأْمُرُهُ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ وَأَتَوْهُ بِالْكِتَابِ ، فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ وَاللَّهِ لَا أَسِيرُ إِلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ تَجْعَلُوا لِي مَا غُلِبْتُ عَلَيْهِ وَتُقْطِعُونِي مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا أُقَوِّي بِهِ مَنْ مَعِي. |
| فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ وَكَتَبُوا لَهُ بِهِ كِتَابًا ، وَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَمْضَاهُ ، فَاخْتَارَ الْمُهَلَّبُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِمَّنْ يَعْرِفُ نَجْدَتَهُ وَشَجَاعَتَهُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِيَاحٍ الْأَنْصَارِيُّ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ الْمُزَنِيُّ وَأَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ ، وَخَرَجَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْخَوَارِجِ وَهُمْ عِنْدَ الْجِسْرِ الْأَصْغَرِ ، فَحَارَبَهُمْ وَهُوَ فِي وُجُوهِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ ، فَدَفَعَهُمْ عَنِ الْجِسْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَدْخُلُوا ، فَارْتَفَعُوا إِلَى الْجِسْرِ الْأَكْبَرِ إِلَيْهِمْ فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ. |
| فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدْ قَارَبَهُمُ ارْتَفَعُوا فَوْقَ ذَلِكَ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرٍ تَأْمِيرُ الْمُهَلَّبِ عَلَى قِتَالِ الْأَزَارِقَةِ قَالَ لِمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ كَرْنِبُوا وَدَوْلِبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ فَاذْهَبُوا فَأَقْبَلَ بِمَنْ مَعَهُ نَحْوَ الْبَصْرَةِ فَرَدَّ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، وَرَكِبَ حَارِثَةُ فِي سَفِينَةٍ فِي نَهْرِ دُجَيْلٍ يُرِيدُ الْبَصْرَةَ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ تَمِيمٍ وَعَلَيْهِ سِلَاحُهُ وَالْخَوَارِجُ وَرَاءَهُ ، فَصَاحَ التَّمِيمِيُّ بِحَارِثَةَ يَسْتَغِيثُ بِهِ لِيَحْمِلَهُ مَعَهُ ، فَقَرَّبَ السَّفِينَةَ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ ، وَهُوَ جُرْفٌ ، فَوَثَبَ التَّمِيمِيُّ إِلَيْهَا فَغَاصَتْ بِجَمِيعِ مَنْ فِيهَا فَغَرِقُوا. |
| وَأَمَّا الْمُهَلَّبُ فَإِنَّهُ سَارَ حَتَّى نَزَلَ بِالْخَوَارِجِ وَهُمْ بِنَهْرِ تِيرَى وَتَنَحَّوْا عَنْهُ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَسَيَّرَ الْمُهَلَّبُ إِلَى عَسْكَرِهِمُ الْجَوَاسِيسَ تَأْتِيهِ بِأَخْبَارِهِمْ ، فَلَمَّا أَتَاهُ خَبَرُهُمْ سَارَ نَحْوَهُمْ وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ الْمُعَارِكَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ عَلَى نَهْرِ تِيرَى ، فَلَمَّا وَصَلَ الْأَهْوَازَ قَاتَلَتِ الْخَوَارِجُ مُقَدِّمَتَهُ ، وَعَلَيْهِمُ ابْنُهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، فَجَالَ أَصْحَابُهُ ثُمَّ عَادُوا. |
| فَلَمَّا رَأَى الْخَوَارِجُ صَبْرَهُمْ سَارُوا عَنْ سُوقِ الْأَهَاوِزِ إِلَى مَنَاذِرَ ، فَسَارَ يُرِيدُهُمْ ، فَلَمَّا قَارَبَهُمْ سَيَّرَ الْخَوَارِجُ جَمْعًا عَلَيْهِمْ وَاقَدٌ مَوْلَى أَبِي صُفْرَةَ إِلَى نَهْرِ تِيرَى وَبِهَا الْمَعَارِكُ فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْمُهَلَّبِ فَسَيَّرَ ابْنَهُ الْمُغِيرَةَ إِلَى نَهْرِ تِيرَى ، فَأَنْزَلَ عَمَّهُ الْمُعَارِكَ وَدَفَنَهُ وَسَكَنَ النَّاسُ وَاسْتَخْلَفَ بِهَا جَمَاعَةً وَعَادَ إِلَى أَبِيهِ وَقَدْ نَزَلَ سُولَافَ. |
| وَكَانَ الْمُهَلَّبُ شَدِيدَ الِاحْتِيَاطِ وَالْحَذَرِ ، لَا يَنْزِلُ إِلَّا فِي خَنْدَقٍ وَهُوَ عَلَى تَعْبِيَةٍ وَيَتَوَلَّى الْحَرَسَ بِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا نَازَلَ الْخَوَارِجَ بِسُولَافَ رَكِبُوا وَوَقَفُوا لَهُ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا صَبَرَ فِيهِ الْفَرِيقَانِ ، ثُمَّ حَمَلَتِ الْخَوَارِجُ حَمْلَةً صَادِقَةً عَلَى الْمُهَلَّبِ وَأَصْحَابِهِ فَانْهَزَمُوا وَقُتِلَ مِنْهُمْ ، وَثَبَتَ الْمُهَلَّبُ وَأَبْلَى ابْنُهُ الْمُغِيرَةَ يَوْمَئِذٍ بَلَاءً حَسَنًا ظَهَرَ فِيهِ أَثَرُهُ ، وَنَادَى الْمُهَلَّبُ أَصْحَابَهُ فَعَادُوا إِلَيْهِ مَعَهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ نَحْوَ أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَرَادَ الْقِتَالَ بِمَنْ مَعَهُ فَنَهَاهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ لِضَعْفِهِمْ وَكَثْرَةِ الْجِرَاحِ فِيهِمْ ، فَتَرَكَ الْقِتَالَ وَسَارَ وَقَطَعَ دُجَيْلَ وَنَزَلَ بِالْعَاقُولِ لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَفِي يَوْمِ سُولَافَ يَقُولُ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ أَلَا طَرَقَتْ مِنْ آلِ مَيَّةَ طَارِقَهْ... |
| عَلَى أَنَّهَا مَعْشُوقَةُ الدَّلِّ عَاشِقَهْ تَمِيسُ وَأَرْضُ السُّوسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا... |
| وَسُولَافُ رُسْتَاقٌ حَمَتْهُ الْأَزَارِقَهْ إِذَا نَحْنُ شَتَّى صَادَفَتْنَا عِصَابَةٌ... |
| حَرُورِيَّةٌ أَضْحَتْ مِنَ الدِّينِ مَارِقَهْ أَجَازَتْ إِلَيْنَا الْعَسْكَرَيْنِ كِلَيْهِمَا... |
| فَبَاتَتْ لَنَا دُونَ اللِّحَافِ مُعَانِقَهْ وَقَالَ فِيهِ بَعْضُ الْخَوَارِجِ وَكَائِنْ تَرَكْنَا يَوْمَ سُولَافَ مِنْهُمُ... |
| أُسَارَى وَقَتْلَى فِي الْجَحِيمِ مَصِيرُهَا وَأَكْثَرَ الشُّعَرَاءُ فِيهِ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْعَاقُولِ نَزَلَ فِيهِ وَأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ وَسَارَ نَحْوَ الْخَوَارِجِ ، وَهُمْ بِسِلَّى وَسِلَّبْرَى ، فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْهُمْ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَفْعَلُ أَشْيَاءَ يُحَدِّثُ بِهَا النَّاسَ لِيَنْشَطُوا إِلَى الْقِتَالِ فَلَا يَرَوْنَ لَهَا أَثَرًا ، حَتَّى قَالَ الشَّاعِرُ أَنْتَ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى... |
| لَوْ كُنْتَ تَصْدُقُ مَا تَقُولُ وَسَمَّاهُ بَعْضُهُمُ الْكَذَّابَ ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّهُ كَذَّابٌ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَكَايَدَةً لِلْعَدُوِّ. |
| فَلَمَّا نَزَلَ الْمُهَلَّبُ قَرِيبًا مِنَ الْخَوَرِاجِ وَخَنْدَقَ عَلَيْهِ ، وَضَعَ الْمَسَالِحَ وَأَذْكَى الْعُيُونَ وَالْحَرَسَ وَالنَّاسَ عَلَى رَايَاتِهِمْ وَمَوَاقِفِهِمْ ، وَأَبْوَابُ الْخَنْدَقِ مَحْفُوظَةٌ ، فَكَانَ الْخَوَارِجُ إِذَا أَرَادُوا بَيَاتَهُ وَغِرَّتَهُ وَجَدُوا أَمْرًا مُحْكَمًا فَرَجَعُوا ، فَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ إِنْسَانٌ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْخَوَارِجَ أَرْسَلُوا عُبَيْدَةَ بْنَ هِلَالٍ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْمَاحُوزِ فِي عَسْكَرٍ لَيْلًا إِلَى عَسْكَرِ الْمُهَلَّبِ لِيُبَيِّتُوهُ ، فَصَاحُوا بِالنَّاسِ عَنْ يَمِينِهِمْ وَيَسَارِهِمْ فَوَجَدُوهُمْ عَلَى تَعْبِيَةٍ قَدْ حَذِرُوا ، فَلَمْ يَنَالُوا مِنْهُمْ شَيْئًا ، وَأَصْبَحَ الْمُهَلَّبُ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي تَعْبِيَةٍ ، وَجَعَلَ الْأَزْدَ وَتَمِيمًا مَيْمَنَةً ، وَبَكْرَ بْنَ وَائِلٍ وَعَبْدَ الْقَيْسِ مَيْسَرَةً ، وَأَهْلَ الْعَالِيَةِ فِي الْقَلْبِ ، وَخَرَجَتِ الْخَوَارِجُ وَعَلَى مَيْمَنَتِهِمْ عُبَيْدَةُ بْنُ هِلَالٍ الْيَشْكُرِيُّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِمُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْمَاحُوزِ ، وَكَانُوا أَحْسَنَ عُدَّةً وَأَكْرَمَ خَيْلًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لِأَنَّهُمْ مَخَرُوا الْأَرْضَ وَجَرَّدُوهَا مَا بَيْنَ كَرْمَانَ إِلَى الْأَهْوَازِ. |
| فَالْتَقَى النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ عَامَّةَ النَّهَارِ ، ثُمَّ إِنَّ الْخَوَارِجَ شَدَّتْ عَلَى النَّاسِ شَدَّةً مُنْكَرَةً ، فَأَجْفَلُوا وَانْهَزَمُوا لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٌ ، حَتَّى بَلَغَتِ الْهَزِيمَةُ الْبَصْرَةَ ، وَخَافَ أَهْلُهَا السِّبَاءَ. |
| وَأَسْرَعَ الْمُهَلَّبُ حَتَّى سَبَقَ الْمُنْهَزِمِينَ إِلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ ، ثُمَّ نَادَى إِلَيَّ عِبَادِ اللَّهِ! |
| فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ أَكْثَرُهُمْ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْأَزْدِ ، فَلَمَّا رَآهُمْ رَضِيَ عِدَّتَهُمْ فَخَطَبَهُمْ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَوَعَدَهُمُ النَّصْرَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَشَرَةَ أَحْجَارٍ ، وَقَالَ سِيرُوا بِنَا نَحْوَ عَسْكَرِهِمْ فَإِنَّهُمُ الْآنَ آمِنُونَ وَقَدْ خَرَجَتْ خَيْلُهُمْ فِي طَلَبِ إِخْوَانِكُمْ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ خَيْلُهُمْ حَتَّى تَسْتَبِيحُوا عَسْكَرَهُمْ وَتَقْتُلُوا أَمِيرَهُمْ. |
| فَأَجَابُوهُ ، فَأَقْبَلَ بِهِمْ رَاجِعًا ، فَمَا شَعَرَتِ الْخَوَارِجُ إِلَّا وَالْمُهَلَّبُ يُقَاتِلُهُمْ فِي جَانِبِ عَسْكَرِهِمْ ، فَلَقِيَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَاحُوزِ وَالْخَوَارِجُ ، فَرَمَاهُمْ أَصْحَابُ الْمُهَلَّبِ بِالْأَحْجَارِ حَتَّى أَثْخَنُوهُمْ ثُمَّ طَعَنُوهُمْ بِالرِّمَاحِ وَضَرَبُوهُمْ بِالسُّيُوفِ ، فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً ، فَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَاحُوزِ وَكَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَغَنِمَ الْمُهَلَّبُ عَسْكَرَهُمْ ، وَأَقْبَلَ مَنْ كَانَ فِي طَلَبِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ رَاجِعًا ، وَقَدْ وَضَعَ لَهُمْ خَيْلًا وَرِجَالًا تَخْطَفُهُمْ وَتَقْتُلُهُمْ ، وَانْكَفَئُوا رَاجِعِينَ مَذْلُولِينَ ، فَارْتَفَعُوا إِلَى كَرْمَانَ وَجَانِبَ أَصْبَهَانَ. |
| قَالَ بَعْضُ الْخَوَارِجِ لَمَّا رَأَى قِتَالَ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ بِالْحِجَارَةِ أَتَانَا بِأَحْجَارٍ لِيَقْتُلَنَا بِهَا... |
| وَهَلْ تُقْتَلُ الْأَقْرَانُ وَيْحَكَ بِالْحَجَرِ! |
| وَلَمَّا فَرَغَ الْمُهَلَّبُ مِنْهُمْ أَقَامَ مَكَانَهُ حَتَّى قَدِمَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى الْبَصْرَةِ أَمِيرًا ، وَعَزَلَ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ يَقُولُ الصَّلَتَانِ الْعَبْدِيُّ بِسِلَّى وَسِلَّبْرَى مَصَارِعُ فِتْيَةٍ... |
| كِرَامٍ وَقَتْلَى لَمْ تُوَسَّدْ خُدُودُهَا فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَاحُوزِ اسْتَخْلَفَ الْخَوَارِجُ الزُّبَيْرَ بْنَ الْمَاحُوزِ وَكَتَبَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ يُعَرِّفُهُ ظَفَرَهُ ، فَأَرْسَلَ الْحَارِثُ الْكِتَابَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ لِيَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ هُنَاكَ ، وَكَتَبَ الْحَارِثُ إِلَى الْمُهَلَّبِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ نَصْرَ اللَّهِ وَظَفَرَ الْمُسْلِمِينَ ، فَهَنِيئًا لَكَ يَا أَخَا الْأَزْدِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَعِزُّهَا وَثَوَابُ الْآخِرَةِ وَفَضْلُهَا. |
| فَلَمَّا قَرَأَ الْمُهَلَّبُ كِتَابَهُ ضَحِكَ وَقَالَ أَمَا يَعْرِفُنِي إِلَّا بِأَخِي الْأَزْدِ! |
| مَا هُوَ إِلَّا أَعْرَابِيٌّ جَافٍ . |
| وَقِيلَ إِنَّ عُثْمَانَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ قَاتَلَ الْخَوَارِجَ وَنَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ قَبْلَ مُسْلِمٍ ، فَقُتِلَ عُثْمَانُ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ مِنَ الْخَوَارِجِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَسُيِّرَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَصْرَةِ بَعْدَهُ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ الْغُدَانِيُّ ، فَلَمَّا رَآهُمْ عَرَفَ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِمْ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ كَرْنِبُوا وَدَوْلِبُوا كَيْفَ شِئْتُمْ فَاذْهَبُوا يَعْنِي مَا شَاءَ ، ثُمَّ سَارَ بَعْدَهُ مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْسٍ . |
| وَقِيلَ إِنَّ الْمُهَلَّبَ لَمَّا دَفَعَ الْخَوَارِجَ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى نَاحِيَةِ الْأَهْوَازِ أَقَامَ بَقِيَّةَ سَنَتِهِ يَجْبِي كُوَرَ دِجْلَةَ ، وَرَزَقَ أَصْحَابَهُ ، وَأَتَاهُ الْمَدَدُ مِنَ الْبَصْرَةِ حَتَّى بَلَغَ أَصْحَابُهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا. |
| فَعَلَى هَذَا يَكُونُ هَزِيمَةُ الْخَوَارِجِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ. |
| ذِكْرُ نَجْدَةَ بْنِ عَامِرٍ الْحَنَفِيِّ هُوَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَادِ بْنِ الْمُفَرِّجِ الْحَنَفِيُّ ، وَكَانَ مَعَ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ ، فَفَارَقَهُ لِإِحْدَاثِهِ فِي مَذْهَبِهِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَسَارَ إِلَى الْيَمَامَةِ ، وَدَعَا أَبَا طَالُوتَ إِلَى نَفْسِهِ ، فَمَضَى إِلَى الْحَضَارِمِ فَنَهَبَهَا ، وَكَانَتْ لِبَنِي حَنِيفَةَ ، فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِيهَا مِنَ الرَّقِيقِ مَا عِدَّتُهُمْ وَعِدَّةُ أَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، فَغَنِمَ ذَلِكَ وَقَسَّمَهَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وَذَلِكَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ فَكَثُرَ جَمْعُهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ عِيرًا خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، وَقِيلَ مِنَ الْبَصْرَةِ ، تَحْمِلُ مَالًا وَغَيْرَهُ يُرَادُ بِهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ ، فَاعْتَرَضَهَا نَجْدَةُ فَأَخَذَهَا وَسَاقَهَا حَتَّى أَتَى بِهَا أَبَا طَالُوتَ بِالْخَضَارِمِ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وَقَالَ اقْتَسِمُوا هَذَا الْمَالَ وَرُدُّوا هَؤُلَاءِ الْعَبِيدَ وَاجْعَلُوهُمْ يَعْمَلُونَ الْأَرْضَ لَكُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَعُ. |
| فَاقْتَسَمُوا الْمَالَ وَقَالُوا نَجْدَةُ خَيْرٍ لَنَا مِنْ أَبِي طَالُوتَ ، فَخَلَعُوا أَبَا طَالُوتَ وَبَايَعُوا نَجْدَةَ وَبَايَعَهُ أَبُو طَالُوتَ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ ، وَنَجْدَةُ يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً. |
| ثُمَّ سَارَ فِي جَمْعٍ إِلَى بَنِي كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، فَلَقِيَهُمْ بِذِي الْمَجَازِ فَهَزَمَهُمْ وَقَتَلَهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَصَبَرَ كِلَابٌ وَعُطَيْفٌ ابْنَا قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الْقُشَيْرِيَّانِ وَقَاتَلَا حَتَّى قُتِلَا ، وَانْهَزَمَ قَيْسُ بْنُ الرُّقَادِ الْجَعْدِيُّ فَلَحِقَهُ أَخُوهُ لِأَبِيهِ مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ أَنْ يَحْمِلَهُ رِدْفًا فَلَمْ يَفْعَلْ. |
| وَرَجَعَ نَجْدَةُ إِلَى الْيَمَامَةِ فَكَثُرَ أَصْحَابُهُ فَصَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، ثُمَّ سَارَ نَجْدَةُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ ، فَقَالَتِ الْأَزْدُ نَجْدَةُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ وُلَاتِنَا لِأَنَّهُ يُنْكِرُ الْجُورَ وَوُلَاتُنَا يُجَوِّزُونَهُ ، فَعَزَمُوا عَلَى مُسَالَمَتِهِ ، وَاجْتَمَعَتْ عَبْدُ الْقَيْسِ وَمَنْ بِالْبَحْرَيْنِ غَيْرَ الْأَزْدِ عَلَى مُحَارَبَتِهِ ، فَقَالَ بَعْضُ الْأَزْدِ نَجْدَةُ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنْهُ إِلَيْنَا لِأَنَّكُمْ كُلُّكُمْ مِنْ رَبِيعَةَ فَلَا تُحَارِبُوهُ! |
| وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نَدَعُ نَجْدَةَ وَهُوَ حَرُورِيٌّ مَارِقٌ تَجْرِي عَلَيْنَا أَحْكَامُهُ. |
| فَالْتَقَوْا بِالْقَطِيفِ فَانْهَزَمَتْ عَبْدُ الْقَيْسِ وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَسَبَى نَجْدَةُ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْقَطِيفِ ، فَقَالَ الشَّاعِرُ نَصَحْتُ لِعَبْدِ الْقَيْسِ يَوْمَ قَطِيفِهَا... |
| وَمَا نَفْعُ نُصْحٍ ، قِيلَ ، لَا يُتَقَبَّلُ وَأَقَامَ نَجْدَةُ بِالْقَطِيفِ وَوَجَّهَ ابْنَهُ الْمُطَّرِحَ فِي جَمْعٍ إِلَى الْمُنْهَزِمِينَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَقَاتَلُوهُ بِالثُّوَيْرِ ، فَقُتِلَ الْمُطَّرِحُ بْنُ نَجْدَةَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. |
| وَأَرْسَلَ نَجْدَةُ سَرِيَّةً إِلَى الْخَطِّ فَظَفِرَ بِأَهْلِهِ ، وَأَقَامَ نَجْدَةُ بِالْبَحْرَيْنِ. |
| فَلَمَّا قَدِمَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى الْبَصْرَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ بَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيَّ الْأَعْوَرَ فِي أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا فَجَعَلَ يَقُولُ اثْبُتْ نَجْدَةُ فَإِنَّا لَا نَفِرُّ ، فَقَدِمَ وَنَجْدَةُ بِالْقَطِيفِ ، فَأَتَى نَجْدَةُ إِلَى ابْنِ عُمَيْرٍ ، وَهُوَ غَافِلٌ ، فَقَاتَلَ طَوِيلًا وَافْتَرَقُوا ، وَأَصْبَحَ ابْنُ عُمَيْرٍ فَهَالَهُ مَا رَأَى فِي عَسْكَرِهِ مِنَ الْقَتْلَى وَالْجَرْحَى ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ نَجْدَةُ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنِ انْهَزَمُوا ، فَلَمْ يُبْقِ عَلَيْهِمْ نَجْدَةُ وَغَنِمَ مَا فِي عَسْكَرِهِمْ وَأَصَابَ جِوَارِيَ فِيهِنَّ أُمُّ وَلَدٍ لِابْنِ عُمَيْرٍ ، فَعَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ يُرْسِلَهَا إِلَى مَوْلَاهَا فَقَالَتْ لَا حَاجَةَ بِي إِلَى مَنْ فَرَعَنِي وَتَرَكَنِي. |
| وَبَعَثَ نَجْدَةُ أَيْضًا بَعْدَ هَزِيمَةِ ابْنِ عُمَيْرٍ جَيْشًا إِلَى عُمَانَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَطِيَّةَ بْنَ الْأَسْوَدِ الْحَنَفِيَّ ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا عَبَّادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَابْنَاهُ سَعِيدٌ وَسُلَيْمَانُ يُعَشِّرَانِ السُّفُنَ وَيُجْبِيَانِ الْبِلَادَ ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ عَطِيَّةُ قَاتَلُوهُ فَقُتِلَ عَبَّادٌ وَاسْتَوْلَى عَطِيَّةُ عَلَى الْبِلَادِ فَأَقَامَ بِهَا أَشْهُرًا ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا وَاسْتَخْلَفَ رَجُلًا يُكَنَّى أَبَا الْقَاسِمِ ، فَقَتَلَهُ سَعِيدُ وَسُلَيْمَانُ ابْنَا عَبَّادٍ وَأَهْلُ عُمَانَ. |
| ثُمَّ خَالَفَ عَطِيَّةُ نَجْدَةَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَعَادَ إِلَى عُمَانَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا فَرَكِبَ فِي الْبَحْرِ وَأَتَى كَرْمَانَ وَضَرَبَ بِهَا دَرَاهِمَ سَمَّاهَا الْعَطَوِيَّةَ وَأَقَامَ بِكَرْمَانَ. |
| فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُهَلَّبُ جَيْشًا ، فَهَرَبَ إِلَى سِجِسْتَانَ ثُمَّ إِلَى السِّنْدِ ، فَلَقِيَهُ خَيْلُ الْمُهَلَّبِ بِقَنْدَابِيلَ فَقَتَلَهُ ، وَقِيلَ قَتَلَهُ الْخَوَارِجُ. |
| ثُمَّ بَعَثَ نَجْدَةُ إِلَى الْبَوَادِي بَعْدَ هَزِيمَةِ ابْنِ عُمَيْرٍ أَيْضًا مَنْ يَأْخُذُ مِنْ أَهْلِهَا الصَّدَقَةَ ، فَقَاتَلَ أَصْحَابُهُ بَنِي تَمِيمٍ بِكَاظِمَةَ ، وَأَعَانَ أَهْلُ طُوَيْلِعَ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَتَلُوا مِنَ الْخَوَارِجِ رَجُلًا ، فَأَرْسَلَ نَجْدَةُ إِلَى أَهْلِ طُوَيْلِعَ مَنْ أَغَارَ عَلَيْهِمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ نَيِّفًا وَثَلَاثِينَ رَجُلًا وَسَبَى. |
| ثُمَّ إِنَّهُ دَعَاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَجَابُوهُ ، فَأَخَذَ مِنْهُمُ الصَّدَقَةَ ، ثُمَّ سَارَ نَجْدَةُ إِلَى صَنْعَاءَ فِي خُفٍّ مِنَ الْجَيْشِ ، فَبَايَعَهُ أَهْلُهَا وَظَنُّوا أَنَّ وَرَاءَهُ جَيْشًا كَثِيرًا ، فَلَمَّا لَمْ يَرَوْا مَدَدًا يَأْتِيهِ نَدِمُوا عَلَى بَيْعَتِهِ ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَالَ إِنْ شِئْتُمْ أَقَلْتُكُمْ بَيْعَتَكُمْ وَجَعَلْتُكُمْ فِي حِلٍّ مِنْهَا وَقَاتَلْتُكُمْ. |
| فَقَالُوا لَا نَسْتَقِيلُ بَيْعَتَنَا. |
| فَبَعَثَ إِلَى مُخَالِفِيهَا مِنْهُمُ الصَّدَقَةَ ، وَبَعَثَ نَجْدَةُ أَبَا فُدَيْكٍ إِلَى حَضْرَمَوْتَ فَجَبَى صَدَقَاتِ أَهْلِهَا. |
| وَحَجَّ نَجْدَةُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ، وَهُوَ فِي ثَمَانِمِائَةٍ وَسِتِّينَ رَجُلًا ، وَقِيلَ فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ وَسِتِّمِائَةِ رَجُلٍ ، وَصَالَحَ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى أَنْ يُصَلِّيَ كُلَّ وَاحِدٍ بِأَصْحَابِهِ وَيَقِفَ بِهِمْ وَيَكُفَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ. |
| فَلَمَّا صَدَرَ نَجْدَةُ عَنِ الْحَجِّ سَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَتَأَهَّبَ أَهْلُهَا لِقِتَالِهِ ، وَتَقَلَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ سَيْفًا ، فَلَمَّا كَانَ نَجْدَةُ بِنَخْلٍ أُخْبِرَ بِلُبْسِ ابْنِ عُمَرَ السِّلَاحَ ، فَرَجَعَ إِلَى الطَّائِفِ وَأَصَابَ بِنْتًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ كَانَتْ عِنْدَ ظِئْرٍ لَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِنَّ نَجْدَةَ لَيَتَعَصَّبُ لِهَذِهِ الْجَارِيَةِ فَامْتَحَنُوهُ ، فَسَأَلَهُ بَعْضُهُمْ بَيْعَهَا مِنْهُ ، فَقَالَ قَدْ أَعْتَقْتُ نَصِيبِي مِنْهَا فَهِيَ حُرَّةٌ. |
| قَالَ فَزَوِّجْنِي إِيَّاهَا. |
| قَالَ هِيَ بَالِغٌ وَهِيَ أَمْلَكُ بِنَفْسِهَا فَأَنَا أَسْتَأْمِرُهَا ، فَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ دَعَا ، قَالَ قَدِ اسْتَأْمَرْتُهَا وَكَرِهَتِ الزَّوَاجَ. |
| فَقِيلَ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَوْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ كَتَبَ إِلَيْهِ وَاللَّهِ لَئِنْ أَحْدَثْتُ فِيهَا حَدَثًا لَأَطَأَنَّ بِلَادَكَ وَطْأَةً لَا يَبْقَى مَعَهَا بِكْرِيٌّ. |
| وَكَتَبَ نَجْدَةُ إِلَى ابْنِ عُمَرَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ ، فَقَالَ سَلُوا ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَسَأَلُوهُ ، وَمُسَاءَلَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ مَشْهُورَةٌ. |
| وَلَمَّا سَارَ نَجْدَةُ مِنَ الطَّائِفِ أَتَاهُ عَاصِمُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ فَبَايَعَهُ عَنْ قَوْمِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ نَجْدَةُ الطَّائِفَ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْحَجَّاجُ الطَّائِفَ لِمُحَارَبَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ لِعَاصِمٍ يَا ذَا الْوَجْهَيْنِ بَايَعْتَ نَجْدَةَ! |
| قَالَ إِي وَاللَّهِ وَذُو عَشْرَةِ أَوْجُهٍ ، أَعْطَيْتُ نَجْدَةَ الرِّضَى وَدَفَعْتُهُ عَنْ قَوْمِي وَبَلَدِي. |
| وَاسْتَعْمَلَ الْحَارُوقَ ، وَهُوَ حَرَّاقٌ ، عَلَى الطَّائِفِ وَتَبَالَةَ وَالسَّرَاةِ ، وَاسْتَعْمَلَ سَعْدَ الطَّلَائِعِ عَلَى مَا يَلِي نَجْرَانَ ، وَرَجَعَ نَجْدَةُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ فَقَطَعَ الْمِيرَةَ عَنْ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ مِنْهَا وَمِنَ الْيَمَامَةِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ ثُمَامَةَ بْنَ أُثَالٍ لَمَّا أَسْلَمَ قَطَعَ الْمِيرَةَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَهُمْ مُشْرِكُونَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَهْلُ اللَّهِ فَلَا تَمْنَعْهُمُ الْمِيرَةَ ، فَجَعَلَهَا لَهُمْ ، وَإِنَّكَ قَطَعْتَ الْمِيرَةَ عَنَّا وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ. |
| فَجَعَلَهَا نَجْدَةُ لَهُمْ. |
| وَلَمْ يَزَلْ عُمَّالُ نَجْدَةَ عَلَى النَّوَاحِي حَتَّى اخْتَلَفَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَطَمِعَ فِيهِمُ النَّاسُ ، فَأَمَّا الْحَارُوقُ فَطَلَبُوهُ بِالطَّائِفِ فَهَرَبَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَقَبَةِ فِي طَرِيقِهِ لَحِقَهُ قَوْمٌ يَطْلُبُونَهُ فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ. |
| ذِكْرُ الِاخْتِلَافِ عَلَى نَجْدَةَ وَقَتْلِهِ وَوِلَايَةِ أَبِي فُدَيْكٍ ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ نَجْدَةَ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ لِأَسْبَابٍ نَقَمُوهَا مِنْهُ ، فَمِنْهَا أَنَّ أَبَا سِنَانٍ حَيَّ بْنَ وَائِلٍ أَشَارَ عَلَى نَجْدَةَ بِقَتْلِ مَنْ أَجَابَهُ تَقِيَّةً ، فَشَتَمَهُ نَجْدَةُ ، فَهَمَّ بِالْفَتْكِ بِهِ فَقَالَ لَهُ نَجْدَةُ كَلَّفَ اللَّهُ أَحَدًا عِلْمَ الْغَيْبِ ؟ |
| قَالَ لَا. |
| قَالَ فَإِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَحْكُمَ بِالظَّاهِرِ. |
| فَرَجَعَ أَبُو سِنَانٍ إِلَى نَجْدَةَ. |
| وَمِنْهَا أَنَّ عَطِيَّةَ بْنَ الْأَسْوَدِ خَالَفَ عَلَى نَجْدَةَ ، وَسَبَبُهُ أَنَّ نَجْدَةَ سَيَّرَ سَرِيَّةَ بَحْرًا وَسَرِيَّةً بَرًّا ، فَأَعْطَى سَرِيَّةَ الْبَحْرِ أَكْثَرَ مِنْ سَرِيَّةِ الْبَرِّ ، فَنَازَعَهُ عَطَيَّةُ حَتَّى أَغْضَبَهُ ، فَشَتَمَهُ نَجْدَةُ ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ وَأَلَّبَ النَّاسَ عَلَيْهِ. |
| وَكُلِّمَ نَجْدَةُ فِي رَجُلٍ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي عَسْكَرِهِ فَقَالَ هُوَ رَجُلٌ شَدِيدُ النِّكَايَةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَقَدِ اسْتَنْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِالْمُشْرِكِينَ. |
| وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى نَجْدَةَ يَدَعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَيُوَلِّيهِ الْيَمَامَةَ وَيُهْدِرَ لَهُ مَا أَصَابَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالدِّمَاءِ ، فَطَعَنَ عَلَيْهِ عَطِيَّةُ وَقَالَ مَا كَاتَبَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى عَلِمَ مِنْهُ دِهَانًا فِي الدِّينِ ، وَفَارَقَهُ إِلَى عُمَانَ. |
| وَمِنْهَا أَنَّ قَوْمًا فَارَقُوا نَجْدَةَ وَاسْتَنَابُوهُ فَحَلَفَ أَنْ لَا يَعُودَ ، ثُمَّ نَدِمُوا عَلَى اسْتِنَابَتِهِ وَتَفَرَّقُوا وَنَقَمُوا عَلَيْهِ أَشْيَاءَ أَخَرَ ، فَخَالَفَ عَلَيْهِ عَامَّةُ مَنْ مَعَهُ فَانْحَازُوا عَنْهُ وَوَلَّوْا أَمْرَهُمْ أَبَا فُدَيْكٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ ثَوْرٍ ، أَحَدَ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَاسْتَخْفَى نَجْدَةُ ، فَأَرْسَلَ أَبُو فُدَيْكٍ فِي طَلَبِهِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَالَ إِنْ ظَفِرْتُمْ بِهِ فَجِيئُونِي بِهِ. |
| وَقِيلَ لِأَبِي فُدَيْكٍ إِنْ لَمْ تَقْتُلْ نَجْدَةَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْكَ ، فَأَلَحَّ فِي طَلَبِهِ. |
| وَكَانَ نَجْدَةُ مُسْتَخْفِيًا فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى حُجْرٍ ، وَكَانَ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ اخْتَفَى عِنْدَهُمْ جَارِيَةٌ يُخَالِفُ إِلَيْهَا رَاعٍ لَهُمْ ، فَأَخَذَتِ الْجَارِيَةُ مِنْ طِيبٍ كَانَ مَعَ نَجْدَةَ ، فَسَأَلَهَا الرَّاعِي عَنْ أَمْرِ الطِّيبِ ، فَأَخْبَرَتْهُ ، فَأَخْبَرَ الرَّاعِي أَصْحَابَ أَبِي فُدَيْكٍ بِنَجْدَةَ ، فَطَلَبُوهُ ، فَنَذَرَ بِهِمْ ، فَأَتَى أَخْوَالَهُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَاسْتَخْفَى عِنْدَهُمْ. |
| ثُمَّ أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَتَى بَيْتَهُ لِيَعْهَدَ إِلَى زَوْجَتِهِ ، فَعَلِمَ بِهِ الْفُدَيْكِيَّةُ وَقَصَدُوهُ ، فَسَبَقَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَأَعْلَمُهُ ، فَخَرَجَ وَبِيَدِهِ السَّيْفُ ، فَنَزَلَ الْفُدَيْكِيُّ عَنْ فَرَسِهِ وَقَالَ إِنَّ فَرَسِي هَذَا لَا يُدْرَكُ فَارْكَبْهُ فَلَعَلَّكَ تَنْجُو عَلَيْهِ. |
| فَقَالَ مَا أُحِبُّ الْبَقَاءَ وَلَقَدْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّهَادَةِ فِي مَوَاطِنَ مَا هَذَا بِأَحْسَنِهَا ، وَغَشِيَهُ أَصْحَابُ أَبِي فُدَيْكٍ فَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ شُجَاعًا كَرِيمًا وَهُوَ يَقُولُ وَإِنْ جَرَّ مَوْلَانَا عَلَيْنَا جَرِيرَةً... |
| صَبَرْنَا لَهَا ، إِنَّ الْكِرَامَ الدَّعَائِمُ وَلَمَّا قُتِلَ نَجْدَةُ سَخَّطَ قَتْلُهُ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي فُدَيْكٍ فَفَارَقُوهُ ، وَثَارَ بِهِ مُسْلِمُ بْنُ جُبَيْرٍ فَضَرَبَهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ضَرْبَةً بِسِكِّينٍ فَقُتِلَ مُسْلِمٌ وَحُمِلَ أَبُو فُدَيْكٍ إِلَى مَنْزِلِهِ فَبَرَأَ. |
| ذِكْرُ اسْتِعْمَالِ مُصْعَبٍ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَخَاهُ عُبَيْدَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَاسْتَعْمَلَ أَخَاهُ مُصْعَبًا. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عُبَيْدَةَ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ لَهُمْ قَدْ تَرَوْنَ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِقَوْمٍ فِي نَاقَةٍ قِيمَتُهَا خَمْسَةُ دَرَاهِمَ ، فَسُمِّيَ مُقَوِّمَ النَّاقَةِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ مُصْعَبًا. |
| ذِكْرُ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ الْكَعْبَةَ لَمَّا احْتَرَقَتِ الْكَعْبَةُ غَزَا أَهْلُ الشَّامِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ أَيَّامَ يَزِيدَ تَرَكَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ يُشَنِّعُ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، فَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِابْنِ الزُّبَيْرِ شَرَعَ فِي بِنَائِهَا ، فَأَمَرَ بِهَدْمِهَا حَتَّى أُلْحِقَتْ بِالْأَرْضِ ، وَكَانَتْ قَدْ مَالَتْ حِيطَانُهَا مِنْ حِجَارَةِ الْمَنْجَنِيقِ ، وَجَعَلَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ عِنْدَهُ ، وَكَانَ النَّاسُ يَطْفُونَ مِنْ وَرَاءِ الْأَسَاسِ ، وَضَرَبَ عَلَيْهَا السُّورَ وَأَدْخَلَ فِيهَا الْحَجَرَ وَاحْتَجَّ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَائِشَةَ "« لَوْلَا حِدْثَانُ عَهْدِ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ ، لَرَدَدْتُ الْكَعْبَةَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَزِيدُ فِيهَا الْحَجَرَ » . |
| فَحَفَرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَوَجَدَ أَسَاسًا أَمْثَالَ الْجِمَالِ فَحَرَّكُوا مِنْهَا صَخْرَةً فَبَرَقَتْ بَارِقَةٌ فَقَالَ أَقِرُّوهَا عَلَى أَسَاسِهَا وَبِنَائِهَا ، وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ ، يُدْخَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَيُخْرَجُ مِنَ الْآخَرِ. |
| وَقِيلَ كَانَتْ عِمَارَتُهَا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ ابْنِ خَازِمٍ وَبَنِي تَمِيمٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ ابْنِ خَازِمٍ السُّلَمِيِّ وَبَنِي تَمِيمٍ بِخُرَاسَانَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ كَانَ بِخُرَاسَانَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَعَانُوا ابْنَ خَازِمٍ عَلَى مَنْ بِهَا مِنْ رَبِيعَةَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا صَفَتْ لَهُ خُرَاسَانُ جَفَا بَنِي تَمِيمٍ ، وَكَانَ قَدْ جَعَلَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا عَلَى هَرَاةَ ، وَجَعَلَ عَلَى شُرْطَتِهِ بُكَيْرَ بْنَ وَسَّاجٍ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ شَمَّاسَ بْنَ دِثَارٍ الْعُطَارِدِيَّ ، وَكَانَتْ أُمُّ مُحَمَّدٍ تَمِيمِيَّةً ، فَلَمَّا جَفَا ابْنُ خَازِمٍ بَنِي تَمِيمٍ أَتَوُا ابْنَهُ مُحَمَّدًا بِهَرَاةَ ، فَكَتَبَ ابْنُ خَازِمٍ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ وَإِلَى بُكَيْرٍ وَشَمَّاسٍ يِأْمُرُهُمْ بِمَنْعِهِمْ عَنْ هَرَاةَ ، فَأَمَّا شَمَّاسٌ فَصَارَ مَعَ بَنِي تَمِيمٍ ، وَأَمَّا بُكَيْرٍ فَإِنَّهُ مَنَعَهُمْ ، فَأَقَامُوا بِبِلَادٍ هَرَاةَ ، فَأَرْسَلَ بُكَيْرٌ إِلَى شَمَّاسٍ إِنِّي أَعْطَيْتُكَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَعْطِ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَلْفًا عَلَى أَنْ يَنْصَرِفُوا. |
| فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا يَتَرَصَّدُونَ مُحَمَّدًا ، فَخَرَجَ يَتَصَيَّدُ فَأَخَذُوهُ وَشَدُّوهُ وِثَاقًا وَشَرِبُوا لَيْلَتَهُمْ وَجَعَلُوا يَبُولُونَ عَلَيْهِ كُلَّمَا أَرَادُوا الْبَوْلَ ، فَقَالَ لَهُمْ شَمَّاسٌ أَمَّا إِذْ بَلَغْتُمْ هَذَا مِنْهُ فَاقْتُلُوهُ بِصَاحِبَيْكُمَا اللَّذَيْنِ قَتَلَهُمَا بِالسِّيَاطِ. |
| وَكَانَ قَدْ ضَرَبَ رَجُلَيْنِ مِنْ تَمِيمٍ بِالسِّيَاطِ حَتَّى مَاتَا. |
| فَقَامُوا إِلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ ، فَنَهَاهُمْ عَنْهُ جَيْهَانُ بْنُ مَشْجَعَةَ الضَّبِّيُّ وَأَلْقَى نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَقَتَلُوا مُحَمَّدًا. |
| فَشَكَرَ ابْنُ خَازِمٍ لِجَيْهَانَ ذَلِكَ فَلَمْ يَقْتُلْهُ فِيمَنْ قَتَلَ يَوْمَ فَرْتَنَا. |
| وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَ مُحَمَّدٍ رَجُلَانِ اسْمُ أَحَدِهِمَا عَجَلَةُ وَاسْمُ الْآخَرِ كُسَيْبٌ. |
| فَقَالَ ابْنُ خَازِمٍ بِئْسَ مَا اكْتَسَبَ كُسَيْبٌ لِقَوْمِهِ ، وَلَقَدْ جَعَلَ عَجَلَةُ لِقَوْمِهِ شَرًّا. |
| وَأَقْبَلَتْ تَمِيمٌ إِلَى مَرْوَ وَأَمَّرُوا عَلَيْهِمُ الْحَرِيشَ بْنَ هِلَالٍ الْقُرَيْعِيَّ ، وَأَجْمَعَ أَكْثَرُهُمْ عَلَى قِتَالِ ابْنِ خَازِمٍ ، فَقَاتَلَ الْحَرِيشُ بْنُ هِلَالٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَازِمٍ سَنَتَيْنِ فَلَمَّا طَالَتِ الْحَرْبُ خَرَجَ الْحَرِيشُ فَنَادَى ابْنَ خَازِمٍ وَقَالَ لَهُ طَالَتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا فَعَلَامَ تَقْتُلُ قَوْمِي وَقَوْمَكَ ؟ |
| ابْرُزْ إِلَيَّ فَأَيُّنَا قَتَلَ صَاحِبَهُ صَارَتِ الْأَرْضُ لَهُ. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ خَازِمٍ قَدْ أَنْصَفْتَ. |
| فَبَرَزَ إِلَيْهِ فَتَضَارَبَا وَتَصَاوَلَا تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ لَا يَقْدِرُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، ثُمَّ غَفَلَ ابْنُ خَازِمٍ فَضَرَبَهُ الْحَرِيشُ عَلَى رَأْسِهِ فَأَلْقَى فَرْوَةَ رَأْسِهِ عَلَى وَجْهِهِ وَانْقَطَعَ رِكَابُ الْحَرِيشِ وَانْتَزَعَ السَّيْفَ ، وَلَزِمَ ابْنُ خَازِمٍ عُنُقَ فَرَسِهِ رَاجِعًا إِلَى أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ غَادَاهُمُ الْقِتَالُ ، فَمَكَثُوا بِذَلِكَ بَعْدَ الضَّرْبَةِ أَيَّامًا ثُمَّ مَلَّ الْفَرِيقَانِ فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ فِرْقَةً إِلَى نَيْسَابُورَ مَعَ بَحِيرِ بْنِ وَرْقَاءَ ، وَفِرْقَةً إِلَى نَاحِيَةٍ أُخْرَى ، وَفِرْقَةً فِيهَا الْحَرِيشُ إِلَى مَرْوِ الرُّوذِ ، فَاتَّبَعَهُ ابْنُ خَازِمٍ إِلَى قَرْيَةٍ تُسَمَّى الْمَلْحَمَةَ ، وَالْحَرِيشُ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، وَقَدْ تَفَرَّقَتْ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَهُمْ فِي خَرِبَةٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ ابْنُ خَازِمٍ خَرَجَ إِلَيْهِ فِي أَصْحَابِهِ ، فَحَمَلَ مَوْلًى لِابْنِ خَازِمٍ عَلَى الْحَرِيشِ فَضَرَبَهُ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، فَقَالَ الْحَرِيشُ لِرَجُلٍ مَعَهُ إِنَّ سَيْفِي لَا يَصْنَعُ فِي سِلَاحِهِ شَيْئًا فَأَعْطِنِي خَشَبَةً ، فَأَعْطَاهُ عُودًا مِنْ عُنَّابٍ ، فَحَمَلَ عَلَى الْمَوْلَى فَضَرَبَهُ فَسَقَطَ وَقِيذًا ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ خَازِمٍ مَا تُرِيدُ مِنِّي وَقَدْ خَلَّيْتُكَ وَالْبِلَادَ ؟ |
| قَالَ إِنَّكَ تَعُودُ إِلَيْهَا. |
| قَالَ لَا أَعُودُ ، فَصَالَحَهُ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ خُرَاسَانَ وَلَا يَعُودَ إِلَى قِتَالِهِ ، فَأَعْطَاهُ ابْنُ خَازِمٍ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَفَتَحَ لَهُ الْحَرِيشُ بَابَ الْقَصْرِ ، فَدَخَلَهُ ابْنُ خَازِمٍ وَضَمِنَ لَهُ وَفَاءَ دَيْنِهِ وَتَحَدَّثَا طَوِيلَا. |
| وَطَارَتْ قُطْنَةٌ عَنِ الضَّرْبَةِ الَّتِي بِرَأْسِ ابْنِ خَازِمٍ ، فَأَخْذَهَا الْحَرِيشُ وَوَضَعَهَا مَكَانَهَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ خَازِمٍ مَسُّكَ الْيَوْمَ أَلْيَنُ مِنْ مَسِّكِ أَمْسِ. |
| فَقَالَ الْحَرِيشُ مَعْذِرَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ رِكَابِيَ انْقَطَعَ لَخَالَطَ السَّيْفُ رَأْسَكَ ، قَالَ الْحَرِيشُ فِي ذَلِكَ أَزَالَ عُظْمَ ذِرَاعِي عَنْ مُرَكَّبِهِ... |
| حَمْلُ الرُّدَيْنِيِّ فِي الْإِدْلَاجِ بِالسَّحَرِ حَوْلَيْنِ مَا اغْتَمَضَتْ عَيْنِي بِمَنْزِلَةٍ... |
| إِلَّا وَكَفِّي وِسَادٌ لِي عَلَى حَجَرِ بَزِّي الْحَدِيدُ وَسِرْبَالِي إِذَا هَجَعَتْ... |
| عَنِّي الْعُيُونُ مِحَالُ الْقَارِحِ الذَّكَرِ بَحِيرُ بْنُ وَرْقَاءَ بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ الْمَكْسُورَةِ. |
| وَالْحَرِيشُ بِالْحَاءِ وَالرَّاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ ، وَالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ . |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَ طَاعُونُ الْجَارِفِ بِالْبَصْرَةِ وَعَلَيْهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْمَرٍ ، فَهَلَكَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَمَاتَتْ أُمُّ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مَنْ يَحْمِلُهَا حَتَّى اسْتَأْجَرُوا مَنْ حَمَلَهَا ، وَهُوَ الْأَمِيرُ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ. |
| وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُصْعَبٌ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ ابْنُ مُطِيعٍ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ السَّهْمِيُّ ، وَكَانَ قَدْ عَمِيَ آخِرَ عُمُرِهِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمِصْرَ ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسِتِّينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسِتِّينَ ذِكْرُ وُثُوبِ الْمُخْتَارِ بِالْكُوفَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ رَابِعَ عَشَرَ رَبِيعَ الْأَوَّلِ وَثَبَ الْمُخْتَارُ بِالْكُوفَةِ وَأَخْرَجَ عَنْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُطِيعٍ عَامِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ لَمَّا قُتِلَ قَدِمَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا وَجَدُوا الْمُخْتَارَ مَحْبُوسًا قَدْ حَبَسَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْحَطَمِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَبْسِ يُثْنِي عَلَيْهِمْ وَيَمِينِّهِمُ الظَّفَرَ وَيُعَرِّفُهُمْ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَّرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، يَطْلُبُ الثَّأْرَ ، فَقَرَأَ كِتَابَهُ رِفَاعَةُ بْنُ شَدَّادٍ وَالْمُثَنَّى بْنُ مُخَرِّبَةَ الْعَبْدِيُّ وَسَعْدُ بْنُ حُذَيْفَةَ بْنُ الْيَمَانِ وَيَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ وَأَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ الْأَحْمَسِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ الْبَجَلِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَامِلٍ ، فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ بَعَثُوا إِلَيْهِ ابْنَ كَامِلٍ يَقُولُونَ لَهُ إِنَّنَا بِحَيْثُ يَسُرُّكَ ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ نَأْتِيَكَ وَنُخْرِجَكَ مِنَ الْحَبْسِ فَعَلْنَا. |
| فَأَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ ، فَسُّرَ بِذَلِكَ وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي أَخْرُجُ فِي أَيَّامِي هَذِهِ. |
| وَكَانَ الْمُخْتَارُ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ يَقُولُ لَهُ إِنَّنِي قَدْ حُبِسْتُ مَظْلُومًا ، وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا ابْنُ عُمَرَ فِي أَمْرِهِ ، فَشَفَّعَاهُ وَأَخْرَجَاهُ مِنَ السِّجْنِ وَضَمِنَاهُ ، وَحَلَّفَاهُ أَنَّهُ لَا يَبْغِيهِمَا غَائِلَةً وَلَا يَخْرُجُ عَلَيْهِمَا مَا كَانَ لَهُمَا سُلْطَانٌ ، فَإِنْ فَعَلَ فَعَلَيْهِ أَلْفُ بَدَنَةٍ يَنْحَرُهَا عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَمَمَالِيكُهُ أَحْرَارٌ ، ذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ. |
| فَلَمَّا خَرَجَ نَزَلَ بِدَارِهِ ، فَقَالَ لِمَنْ يَثِقُ بِهِ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ مَا أَحْمَقَهُمْ حِينَ يَرَوْنَ أَنِّي أَفِي لَهُمْ! |
| أَمَّا حَلِفِي بِاللَّهِ فَإِنَّنِي إِذَا حَلَفْتُ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتُ خَيْرًا مِنْهَا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي ، وَخُرُوجِي عَلَيْهِمْ خَيْرٌ مِنْ كَفِّي عَنْهُمْ ، وَأَمَّا هَدْيُ الْبُدْنِ وَعَتْقُ الْمَمَالِيكِ فَهُوَ أَهْوَنُ عَلِيَّ مِنْ بَصْقَةٍ ، فَوَدِدْتُ أَنْ تَمَّ لِي أَمْرِي وَلَا أَمَلِكُ بَعْدَهُ مَمْلُوكًا أَبَدًا. |
| ثُمَّ اخْتَلَفَتْ إِلَيْهِ الشِّيعَةُ وَاتَّفَقُوا عَلَى الرِّضَى بِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ أَصْحَابُهُ يَكْثُرُونَ ، وَأَمْرُهُ يَقْوَى حَتَّى عَزَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ الْحَطَمِيَّ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُطِيعٍ عَلَى عَمَلِهِمَا بِالْكُوفَةِ ، فَلَقِيَهُ بِحَيْرُ بْنُ رَيْسَانَ الْحِمْيَرِيُّ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الْكُوفَةِ فَقَالَ لَهُ لَا تَسِرِ اللَّيْلَةَ فَإِنَّ الْقَمَرَ بِالنَّاطِحِ فَلَا تَسِرْ ، فَقَالَ لَهُ وَهَلْ نَطْلُبُ إِلَّا النَّطْحَ! |
| فَلَقِيَ نَطْحًا كَمَا يُرِيدُ ، فَكَانَ الْبَلَاءُ مُوَكَّلًا بِمَنْطِقِهِ ، وَكَانَ شُجَاعًا. |
| وَسَارَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَسَرَ الْخَوَارِجُ وَقَالَ كَانَتْ فِتْنَةً ، فَسَكَتَ عَنْهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ. |
| وَكَانَ قُدُومُ ابْنِ مُطِيعٍ فِي رَمَضَانَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ عَلَى شُرْطَتِهِ إِيَاسَ بْنَ مُضَارِبٍ الْعِجْلِيَّ ، وَأَمَرَهُ بِحُسْنِ السِّيرَةِ وَالشِّدَّةِ عَلَى الْمُرِيبِ ، وَلَمَّا قَدِمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَنِي عَلَى مِصْرِكُمْ وَثُغُورِكُمْ ، وَأَمَرَنِي بِجِبَايَةِ فَيْئِكُمْ وَأَنْ لَا أَحْمِلَ فَضْلَ فَيْئِكُمْ عَنْكُمْ إِلَّا بِرِضًى مِنْكُمْ ، وَأَنْ أَتَّبِعَ وَصِيَّةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الَّتِي أَوْصَى بِهَا عِنْدَ وَفَاتِهِ ، وَسِيرَةَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا وَخُذُوا عَلَى أَيْدِي سُفَهَائِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَلُومُونِي فَوَاللَّهِ لَأُوقِعَنَّ بِالسَّقِيمِ الْعَاصِيَ ، وَلَأُقِيمَنَّ دَرْءَ الْأَصْعَرِ الْمُرْتَابِ. |
| فَقَامَ إِلَيْهِ السَّائِبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ أَمَّا حَمْلُ فَيْئِنَا بِرِضَانَا فَإِنَّا نَشْهَدُ أَنَا لَا نَرْضَى أَنْ يُحْمَلَ عَنَّا فَضْلُهُ وَأَنْ لَا يُقْسَمَ إِلَّا فِينَا ، وَأَنْ لَا يُسَارَ فِينَا إِلَّا بِسِيرَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّتِي سَارَ بِهَا فِي بِلَادِنَا هَذِهِ حَتَّى هَلَكَ ، وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي سِيرَةِ عُثْمَانَ فِي فَيْئِنَا وَلَا فِي أَنْفُسِنَا ، وَلَا فِي سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِينَا ، وَإِنْ كَانَتْ أَهْوَنَ السِّيرَتَيْنِ عَلَيْنَا ، وَقَدْ كَانَ يَفْعَلُ بِالنَّاسِ خَيْرًا. |
| فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ صَدَقَ السَّائِبُ وَبَرَّ. |
| فَقَالَ ابْنُ مُطِيعٍ نَسِيرُ فِيكُمْ بِكُلِّ سِيرَةٍ أَحْبَبْتُمُوهَا. |
| ثُمَّ نَزَلَ. |
| وَجَاءَ إِيَاسُ بْنُ مُضَارِبٍ إِلَى ابْنِ مُطِيعٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّ السَّائِبَ بْنَ مَالِكٍ مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ ، فَابْعَثْ إِلَى الْمُخْتَارِ فَلْيَأْتِكَ ، فَإِذَا جَاءَ فَاحْبِسْهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ أَمْرُ النَّاسِ ، فَإِنَّ أَمْرَهُ قَدِ اسْتَجْمَعَ لَهُ وَكَأَنَّهُ قَدْ وَثَبَ بِالْمِصْرِ. |
| فَبَعَثَ ابْنُ مُطِيعٍ إِلَى الْمُخْتَارِ زَائِدَةَ بْنَ قُدَامَةَ وَحُسَيْنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْسَمِيَّ مِنْ هَمْدَانَ ، فَقَالَا أَجِبِ الْأَمِيرَ ، فَعَزَمَ عَلَى الذَّهَابِ ، فَقَرَأَ زَائِدَةُ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ الأنفال الْآيَةَ ، فَأَلْقَى الْمُخْتَارُ ثِيَابَهُ وَقَالَ أَلْقُوا عَلَيَّ قَطِيفَةً فَقَدْ وُعِكْتُ ، إِنِّي لَأَجِدُ بَرْدًا شَدِيدًا ، ارْجِعَا إِلَى الْأَمِيرِ فَأَعْلِمَاهُ حَالِي. |
| فَعَادَا إِلَى ابْنِ مُطِيعٍ فَأَعْلَمَاهُ ، فَتَرَكَهُ. |
| وَوَجَّهَ الْمُخْتَارُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَجَمَعَهُمْ حَوْلَهُ فِي الدُّورِ وَأَرَادَ أَنْ يَثِبَ فِي الْكُوفَةِ فِي الْمُحَرَّمِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ شِبَامٍ ، وَشِبَامٌ حَيٌّ مِنْ هَمْدَانَ ، وَكَانَ شَرِيفًا اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ ، فَلَقِيَ سَعِيدَ بْنَ مُنْقِذٍ الثَّوْرِيَّ وَسِعْرَ بْنَ أَبِي سِعْرٍ الْحَنَفِيَّ وَالْأَسْوَدَ بْنَ جَرَادٍ الْكِنْدِيَّ وَقَدَامَةَ بْنَ مَالِكٍ الْجُشَمِيَّ فَقَالَ لَهُمْ إِنِ الْمُخْتَارَ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ بِنَا وَلَا نَدْرِي أَرْسَلَهُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ أَمْ لَا ، فَانْهَضُوا بِنَا إِلَى ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ نُخْبِرُهُ بِمَا قَدِمَ عَلَيْنَا بِهِ الْمُخْتَارُ ، فَإِنْ رَخَّصَ لَنَا فِي اتِّبَاعِهِ تَبِعْنَاهُ وَإِنْ نَهَانَا عَنْهُ اجْتَنَبْنَاهُ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا آثَرَ عِنْدَنَا مِنْ سَلَامَةِ دِينِنَا. |
| قَالُوا لَهُ أَصَبْتَ. |
| فَخَرَجُوا إِلَى ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ سَأَلَهُمْ عَنْ حَالِ النَّاسِ فَأَخْبَرُوهُ عَنْ حَالِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُوهُ حَالَ الْمُخْتَارِ وَمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَاسْتَأْذَنُوهُ فِي اتِّبَاعِهِ. |
| فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ كَلَامِهِمْ قَالَ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ فَضِيلَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالْمُصِيبَةَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِمَّنْ دَعَاكُمْ إِلَى الطَّلَبِ بِدِمَائِنَا فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ انْتَصَرَ لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا بِمَنْ شَاءَ مَنْ خَلْقِهِ ، وَلَوْ كَرِهَ لَقَالَ لَا تَفْعَلُوا. |
| فَعَادُوا وَنَاسٌ مِنَ الشِّيعَةِ يَنْتَظِرُونَهُمْ مِمَّنْ أَعْلَمُوهُ بِحَالِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ قَدْ شَقَّ عَلَى الْمُخْتَارِ وَخَافَ أَنْ يَعُودُوا بِأَمْرٍ يُخَذِّلُ الشِّيعَةَ عَنْهُ ، فَلَمَّا قَدِمُوا الْكُوفَةَ دَخَلُوا عَلَى الْمُخْتَارِ قَبْلَ دُخُولِهِمْ إِلَى بُيُوتِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ مَا وَرَاءَ كَمْ فَقَدَ فُتِنْتُمْ وَارْتَبْتُمْ! |
| فَقَالُوا لَهُ إِنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِنَصْرِكَ. |
| فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ ، اجْمَعُوا إِلَيَّ الشِّيعَةَ ، فَجَمَعَ مَنْ كَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ نَفَرًا قَدْ أَحَبُّوا أَنْ يَعْلَمُوا مِصْدَاقَ مَا جِئْتُ بِهِ فَرَحَلُوا إِلَى الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا قَدِمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ ، فَنَبَّأَهُمْ أَنِّي وَزِيرُهُ وَظَهِيرُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِي وَطَاعَتِي فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ قِتَالِ الْمُحِلِّينَ وَالطَّلَبِ بِدِمَاءِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمُ الْمُصْطَفَيْنَ. |
| فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ وَأَخْبَرَهُمْ بِحَالِهِمْ وَمَسِيرِهِمْ وَأَنَّ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ أَمَرَهُمْ بِمُظَاهَرَتِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ لِيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ وَاسْتَعِدُّوا وَتَأَهَّبُوا. |
| وَقَامَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالُوا نَحْوًا مِنْ كَلَامِهِ. |
| فَاسْتَجْمَعَتْ لَهُ الشِّيعَةُ ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهِمُ الشَّعْبِيُّ وَأَبُوهُ شَرَاحِيلُ ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ أَمْرُهُ لِلْخُرُوجِ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِنَّ أَشْرَافَ أَهْلِ الْكُوفَةِ مُجْمِعُونَ عَلَى قِتَالِكُمْ مَعَ ابْنِ مُطِيعٍ ، فَإِنْ أَجَابَنَا إِلَى أَمْرِنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ رَجَوْنَا الْقُوَّةَ عَلَى عَدُوِّنَا ، فَإِنَّهُ فَتًى رَئِيسٌ ، وَابْنُ رَجُلٍ شَرِيفٍ ، لَهُ عَشِيرَةٌ ذَاتُ عِزٍّ وَعَدَدٍ. |
| فَقَالَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ فَالْقَوْهُ وَادْعُوهُ. |
| فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَمَعَهُمُ الشَّعْبِيُّ فَأَعْلَمُوهُ حَالَهُمْ وَسَأَلُوهُ مُسَاعَدَتَهُمْ عَلَيْهِ وَذَكَرُوا لَهُ مَا كَانَ أَبُوهُ عَلَيْهِ مِنْ وَلَاءٍ عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. |
| فَقَالَ لَهُمْ إِنِّي قَدْ أَجَبْتُكُمْ إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَى أَنْ تُوَلُّونِي الْأَمْرَ فَقَالُوا لَهُ أَنْتَ لِذَلِكَ أَهْلٌ وَلَكِنْ لَيْسَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، هَذَا الْمُخْتَارُ قَدْ جَاءَنَا مِنْ قِبَلِ الْمَهْدِيِّ وَهُوَ الْمَأْمُورُ بِالْقِتَالِ وَقَدْ أُمِرْنَا بِطَاعَتِهِ. |
| فَسَكَتَ إِبْرَاهِيمُ وَلَمْ يُجِبْهُمْ ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ فَأَخْبَرُوا الْمُخْتَارَ ، فَمَكَثَ ثَلَاثًا ثُمَّ سَارَ فِي بِضْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَالشَّعْبِيُّ وَأَبُوهُ فِيهِمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَأَلْقَى لَهُمُ الْوَسَائِدَ ، فَجَلَسُوا عَلَيْهَا وَجَلَسَ الْمُخْتَارُ مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ هَذَا كِتَابٌ مِنَ الْمَهْدِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ الْيَوْمَ وَابْنُ خَيْرِ أَهْلِهَا قَبْلَ الْيَوْمِ بَعْدَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَهُوَ يَسْأَلُكَ أَنْ تَنْصُرَنَا وَتُؤَازِرَنَا. |
| قَالَ الشَّعْبِيُّ وَكَانَ الْكِتَابُ مَعِي ، فَلَمَّا قَضَى كَلَامَهُ قَالَ لِي ادْفَعِ الْكِتَابَ إِلَيْهِ ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ الشَّعْبِيُّ ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ مِنْ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْتَرِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ وَزِيرِي وَأَمِينِي الَّذِي ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي وَأَمَرْتُهُ بِقِتَالِ عَدُوِّي ، وَالطَّلَبِ بِدِمَاءِ أَهْلِ بَيْتِي ، فَانْهَضْ مَعَهُمْ بِنَفْسِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَمَنْ أَطَاعَكَ فَإِنَّكَ إِنْ نَصَرْتَنِي وَأَجَبْتَ دَعْوَتِي ، كَانَتْ لَكَ بِذَلِكَ عِنْدِي فَضِيلَةٌ ، وَلَكَ أَعِنَّةُ الْخَيْلِ وَكُلُّ جَيْشٍ غَازٍ وَكُلُّ مِصْرٍ وَمِنْبَرٍ وَثَغْرٍ ظَهَرْتَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَأَقْصَى بِلَادِ الشَّامِ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ قَالَ قَدْ كَتَبَ إِلَيَّ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ قَبْلَ الْيَوْمِ وَكَتَبْتُ فَلَمْ يَكْتُبْ إِلَيَّ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ. |
| قَالَ الْمُخْتَارُ إِنَّ ذَلِكَ زَمَانٌ وَهَذَا زَمَانٌ. |
| قَالَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كِتَابُهُ إِلَيَّ ؟ |
| فَشَهِدَ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ مَعَهُ ، مِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ أَنَسٍ وَأَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَامِلٍ وَجَمَاعَتُهُمْ إِلَّا الشَّعْبِيَّ. |
| فَلَمَّا شَهِدُوا تَأَخَّرَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ صَدْرِ الْفِرَاشِ وَأَجْلَسَ الْمُخْتَارَ عَلَيْهِ وَبَايَعَهُ ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلشَّعْبِيِّ قَدْ رَأَيْتُكَ لَمْ تَشْهَدْ مَعَ الْقَوْمِ أَنْتَ وَلَا أَبُوكَ ، أَفَتَرَى هَؤُلَاءِ شَهِدُوا عَلَى حَقٍّ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ هَؤُلَاءِ سَادَةُ الْقُرَّاءِ وَمَشْيَخَةُ الْمِصْرِ وَفُرْسَانُ الْعَرَبِ وَلَا يَقُولُ مِثْلُهُمْ إِلَّا حَقًّا. |
| فَكَتَبَ أَسْمَاءَهُمْ وَتَرَكَهَا عِنْدَهُ ، وَدَعَا إِبْرَاهِيمُ عَشِيرَتَهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ وَأَقْبَلَ يَخْتَلِفُ إِلَى الْمُخْتَارِ كُلَّ عَشِيَّةٍ عِنْدَ الْمَسَاءِ يُدَبِّرُونَ أُمُورَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ. |
| فَلَمَّا كَانَ تِلْكَ اللَّيْلَةُ عِنْدَ الْمَغْرِبِ صَلَّى إِبْرَاهِيمُ بِأَصْحَابِهِ ثُمَّ خَرَجَ يُرِيدُ الْمُخْتَارَ وَعَلَيْهِ عَلَى أَصْحَابِهِ السِّلَاحُ ، وَقَدْ أَتَى إِيَاسُ بْنُ مُضَارِبٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُطِيعٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْمُخْتَارَ خَارِجٌ عَلَيْكَ بِإِحْدَى هَاتَيْنِ اللَّيْلَتَيْنِ وَقَدْ بَعَثَ ابْنِي إِلَى الْكُنَاسَةِ فَلَوْ بَعَثْتَ فِي كُلِّ جَبَّانَةٍ عَظِيمَةٍ بِالْكُوفَةِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ لَهَابَ الْمُخْتَارُ وَأَصْحَابُهُ الْخُرُوجَ عَلَيْكَ. |
| فَبَعَثَ ابْنُ مُطِيعٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ الْهَمْدَانِيَّ إِلَى جَبَّانَةِ السَّبِيعِ ، وَقَالَ اكْفِنِي قَوْمَكَ وَلَا تُحْدِثَنَّ بِهَا حَدَثًا. |
| وَبَعَثَ كَعْبَ بْنَ أَبِي كَعْبٍ الْخَثْعَمِيَّ إِلَى جَبَّانَةِ بِشْرٍ. |
| وَبَعَثَ زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ الْجُعْفِيَّ إِلَى جَبَّانَةِ كِنْدَةَ. |
| وَبَعَثَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مِخْنَفٍ إِلَى جَبَّانَةِ الصَّائِدِيِّينَ. |
| وَبَعَثَ شَمِرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ إِلَى جَبَّانَةِ سَالِمٍ. |
| وَبَعَثَ يَزِيدَ بْنَ رُوَيْمٍ إِلَى جَبَّانَةِ الْمُرَادِ ، وَأَوْصَى كُلًّا مِنْهُمْ أَنْ لَا يُؤْتَى مِنْ قِبَلِهِ. |
| وَبَعَثَ شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ إِلَى السَّبَخَةِ وَقَالَ إِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ الْقَوْمِ فَوَجِّهْ نَحْوَهُمْ. |
| وَكَانَ خُرُوجُهُمْ إِلَى الْجَبَابِينَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ، وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ يُرِيدُ الْمُخْتَارَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ الْجَبَابِينَ قَدْ مُلِئَتْ رِجَالًا ، وَأَنَّ إِيَاسَ بْنَ مُضَارِبٍ فِي الشُّرَطِ قَدْ أَحَاطَ بِالسُّوقِ وَالْقَصْرِ ، فَأَخَذَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوَ مِائَةِ دَارِعٍ ، وَقَدْ لَبِسُوا عَلَيْهَا الْأَقْبِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ تَجَنَّبِ الطَّرِيقَ. |
| فَقَالَ وَاللَّهِ لَأُمَرَّنَ وَسَطَ السُّوقِ بِجَنْبِ الْقَصْرِ وَلَأُرْعِبَنَّ عَدُوَّنَا وَلَأُرِيَنَّهُمْ هَوَانَهُمْ عَلَيْنَا. |
| فَسَارَ عَلَى بَابِ الْفِيلِ ثُمَّ عَلَى دَارِ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ ، فَلَقِيَهُمْ إِيَاسُ بْنُ مُضَارِبٍ فِي الشُّرَطِ مُظْهِرِينِ السِّلَاحَ. |
| فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ ؟ |
| فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ. |
| فَقَالَ إِيَاسٌ مَا هَذَا الْجَمْعُ الَّذِي مَعَكَ وَمَا تُرِيدُ ؟ |
| لَسْتُ بِتَارِكِكَ حَتَّى آتِيَ بِكَ الْأَمِيرَ. |
| فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ خَلِّ سَبِيلًا. |
| قَالَ لَا أَفْعَلُ ، وَكَانَ مَعَ إِيَاسِ بْنِ مُضَارِبٍ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ يُقَالُ لَهُ أَبُو قَطَنٍ ، وَكَانَ يُكْرِمُهُ ، وَكَانَ صَدِيقًا لِابْنِ الْأَشْتَرِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْأَشْتَرِ ادْنُ مِنِّي يَا أَبَا قَطَنٍ ، فَدَنَا مِنْهُ ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ إِلَى إِيَاسٍ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَخَذَ رُمْحًا كَانَ مَعَهُ وَطَعَنَ بِهِ إِيَاسًا فِي ثَغْرَةِ نَحْرِهِ فَصَرَعَهُ ، وَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ إِيَاسٍ وَرَجَعُوا إِلَى ابْنِ مُطِيعٍ. |
| فَبَعَثَ مَكَانَهُ ابْنَهُ رَاشِدَ بْنَ إِيَاسٍ عَلَى الشُّرَطِ ، وَبَعَثَ مَكَانَ رَاشِدٍ إِلَى الْكُنَاسَةِ سُوِيدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمِنْقَرِيَّ أَبَا الْقَعْقَاعِ بْنَ سُوَيْدٍ. |
| وَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ إِلَى الْمُخْتَارِ وَقَالَ لَهُ إِنَّا اتَّعَدْنَا لِلْخُرُوجِ الْقَابِلَةَ ، وَقَدْ جَاءَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنَ الْخُرُوجِ اللَّيْلَةَ ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَفَرِحَ الْمُخْتَارُ بِقَتْلِ إِيَاسٍ وَقَالَ هَذَا أَوَّلُ الْفَتْحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى! |
| ثُمَّ قَالَ لِسَعِيدِ بْنِ مُنْقِذٍ قُمْ فَأَشْعِلِ النِّيرَانَ فِي الْهَوَادِي وَالْقَصَبَ وَارْفَعْهَا وَسِرْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَّادٍ فَنَادِ يَا مَنْصُورُ أَمِتْ ، وَقُمْ أَنْتَ يَا سُفْيَانُ بْنَ لَيْلَى وَأَنْتَ يَا قُدَامَةُ بْنَ مَالِكٍ فَنَادِيَا يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ! |
| ثُمَّ لَبِسَ سِلَاحَهُ. |
| فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي الْجَبَابِينِ يَمْنَعُونَ أَصْحَابَنَا مِنْ إِتْيَانِنَا فَلَوْ سِرْتُ إِلَى قَوْمِي بِمَنْ مَعِي وَدَعَوْتُ مَنْ أَجَابَنِي وَسِرْتُ بِهِمْ فِي نَوَاحِي الْكُوفَةِ وَدَعَوْتُ بِشِعَارِنَا لَخَرَجَ إِلَيْنَا مَنْ أَرَادَ الْخُرُوجَ وَمَنْ أَتَاكَ حَبَسْتَهُ عِنْدَكَ إِلَى مَنْ مَعَكَ ، فَإِنْ عُوجِلْتَ كَانَ عِنْدَكَ مَنْ يَمْنَعُكَ إِلَى أَنْ آتِيَكَ. |
| فَقَالَ لَهُ افْعَلْ وَعَجِّلْ وَإِيَّاكَ أَنْ تَسِيرَ إِلَى أَمِيرِهِمْ تُقَاتِلُهُ وَلَا تُقَاتِلْ أَحَدًا وَأَنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ لَا تُقَاتِلَهُ إِلَّا أَنْ يَبْدَأَكَ أَحَدٌ بِقِتَالٍ. |
| فَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى أَتَى قَوْمَهُ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُلُّ مَنْ كَانَ أَجَابَهُ ، وَسَارَ بِهِمْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ لَيْلًا طَوِيلًا وَهُوَ يَنْتَخِبُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي فِيهَا الْأُمَرَاءُ الَّذِينَ وَضَعَهُمُ ابْنُ مُطِيعٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ السَّكُونِ أَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ خَيْلِ زَحْرِ بْنِ قَيْسٍ الْجُعْفِيِّ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَمِيرٌ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ فَكَشَفَهُمْ حَتَّى أَدْخَلَهُمْ جَبَّانَةَ كِنْدَةَ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَا غَضِبْنَا لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ وَثُرْنَا لَهُمْ فَانْصُرْنَا عَلَى هَؤُلَاءِ. |
| ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ هَزَمَهُمْ ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى جَبَّانَةَ أُثَيْرٍ ، فَتَنَادَوْا بِشِعَارِهِمْ ، فَوَقَفَ فِيهَا ، فَأَتَاهُ سُوِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمِنْقَرِيُّ وَرَجَا أَنْ يُصِيبَهُمْ فَيَحْظَى بِهَا عِنْدَ ابْنِ مُطِيعٍ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَصْحَابِهِ يَا شُرْطَةَ اللَّهِ انْزِلُوا فَإِنَّكُمْ أَوْلَى بِالنَّصْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقِ الَّذِينَ خَاضُوا فِي دِمَاءِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، فَنَزَلُوا ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ إِلَى الصَّحْرَاءِ فَانْهَزَمُوا ، فَرَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهُمْ يَتَلَاوَمُونَ ، وَتَبِعَهُمْ حَتَّى أَدْخَلَهُمُ الْكُنَاسَةَ ، فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ أَصْحَابُهُ اتْبَعْهُمْ وَاغْتَنِمْ مَا دَخَلَهُمْ مِنَ الرُّعْبِ. |
| فَقَالَ لَا وَلَكِنْ نَأْتِي صَاحِبَنَا يُؤَمِّنُ اللَّهُ بِنَا وَحْشَتَهُ ، وَيَعْلَمُ مَا كَانَ مِنْ نَصْرِنَا لَهُ فَيَزْدَادُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قُوَّةً ، مَعَ أَنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أُتِيَ. |
| ثُمَّ سَارَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى أَتَى بَابَ الْمُخْتَارِ ، فَسَمِعَ الْأَصْوَاتَ عَالِيَةً وَالْقَوْمَ يَقْتَتِلُونَ ، وَقَدْ جَاءَ شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ مِنْ قِبَلِ السَّبَخَةِ ، فَعَبَّأَ لَهُ الْمُخْتَارُ يَزِيدَ بْنَ أَنَسٍ. |
| وَجَاءَ حَجَّارُ بْنُ أَبْجَرَ الْعِجْلِيُّ فَجَعَلَ الْمُخْتَارُ فِي وَجْهِهِ أَحْمَرَ بْنَ شُمَيْطٍ. |
| فَبَيْنَمَا النَّاسُ يَقْتَتِلُونَ إِذْ جَاءَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ قِبَلِ الْقَصْرِ فَبَلَغَ حَجَّارًا وَأَصْحَابَهُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ أَتَاهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَزِقَّةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ ، وَجَاءَ قَيْسُ بْنُ طِهْفَةَ النَّهْدِيُّ فِي قَرِيبٍ مِنْ مِائَةٍ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ ، فَحَمَلَ عَلَى شَبَثِ بْنِ رِبْعِيٍّ وَهُوَ يُقَاتِلُ يَزِيدَ بْنَ أَنَسٍ ، فَخَلَّى لَهُمُ الطَّرِيقَ حَتَّى اجْتَمَعُوا وَأَقْبَلَ شَبَثٌ إِلَى ابْنِ مُطِيعٍ وَقَالَ لَهُ اجْمَعِ الْأُمَرَاءَ الَّذِينَ بِالْجَبَابِينِ وَجَمِيعَ النَّاسِ ثُمَّ أَنْفِذْ إِلَى هَؤُلَاءِ فَقَاتِلْهُمْ ، فَإِنَّ أَمْرَهُمْ قَدْ قَوِيَ وَقَدْ خَرَجَ الْمُخْتَارُ وَظَهَرَ وَاجْتَمَعَ لَهُ أَمْرُهُ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُهُ الْمُخْتَارَ خَرَجَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ فِي ظَهْرِ دَيْرِ هِنْدٍ فِي السَّبَخَةِ وَخَرَجَ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ فَنَادَى فِي شَاكِرٍ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي دُورِهِمْ يَخَافُونَ أَنْ يَظْهَرُوا لِقُرْبِ كَعْبٍ الْخَثْعَمِيِّ مِنْهُمْ ، وَكَانَ قَدْ أَخَذَ عَلَيْهِمْ أَفْوَاهَ السِّكَكِ. |
| فَلَمَّا أَتَاهُمْ أَبُو عُثْمَانَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ نَادَى يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ! |
| يَا مَنْصُورُ أَمِتْ أَمِتْ! |
| يَا أَيُّهَا الْحَيُّ الْمُهْتَدُونَ ، إِنَّ أَمِينَ آلِ مُحَمَّدٍ وَوَزِيرَهُمْ قَدْ خَرَجَ فَنَزَلَ دَيْرَ هِنْدٍ وَبَعَثَنِي إِلَيْكُمْ دَاعِيًا وَمُبَشِّرًا ، فَاخْرُجُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ! |
| فَخَرَجُوا يَتَدَاعُونَ يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ! |
| وَقَاتَلُوا كَعْبًا حَتَّى خَلَّى لَهُمُ الطَّرِيقَ ، فَأَقْبَلُوا إِلَى الْمُخْتَارِ فَنَزَلُوا مَعَهُ ، وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَتَادَةَ فِي نَحْوٍ مِنْ مِائَتَيْنِ فَنَزَلَ مَعَ الْمُخْتَارِ ، وَكَانَ قَدْ تَعَرَّضَ لَهُمْ كَعْبٌ ، فَلَمَّا عَرَّفَهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ قَوْمِهِ خَلَّى عَنْهُمْ. |
| وَخَرَجَتْ شِبَامٌ ، وَهُمْ حَيٌّ مِنْ هَمْدَانَ ، مِنْ آخَرِ لَيْلَتِهِمْ ، فَبَلَغَ خَبَرُهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيَّ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْمُخْتَارَ فَلَا تَمُرُّوا عَلَى جَبَّانَةِ السَّبِيعِ. |
| فَلَحِقُوا بِالْمُخْتَارِ ، فَتَوَافَى إِلَى الْمُخْتَارِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَثَمَانُمِائَةٍ مِنَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا كَانُوا بَايَعُوهُ ، فَاجْتَمَعُوا لَهُ قَبْلَ الْفَجْرِ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ فَرَغَ مِنْ تَعْبِيَتِهِ وَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ بِغَلَسَ. |
| وَأَرْسَلَ ابْنُ مُطِيعٍ إِلَى الْجَبَابِينِ فَأَمَرَ مَنْ بِهَا أَنْ يَأْتُوا الْمَسْجِدَ ، وَأَمَرَ رَاشِدَ بْنَ إِيَاسٍ فَنَادَى فِي النَّاسِ بَرِئَتِ الذِّمَّةُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَأْتِ الْمَسْجِدَ اللَّيْلَةَ. |
| فَاجْتَمَعُوا فَبَعَثَ ابْنُ مُطِيعٍ شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ فِي نَحْوِ ثَلَاثَةِ آلَافٍ إِلَى الْمُخْتَارِ ، وَبَعَثَ رَاشِدَ بْنَ إِيَاسٍ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الشُّرَطِ. |
| فَسَارَ شَبَثٌ إِلَى الْمُخْتَارِ ، فَبَلَغَهُ خَبَرُهُ وَقَدْ فَرَغَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، فَأَرْسَلَ مَنْ أَتَاهُ بِخَبَرِهِمْ ، وَأَتَى إِلَى الْمُخْتَارِ ذَلِكَ الْوَقْتَ سِعْرُ بْنُ أَبِي سِعْرٍ الْحَنَفِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِتْيَانِهِ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ ، فَرَأَى رَاشِدَ بْنَ إِيَاسٍ فِي طَرِيقِهِ فَأَخْبَرَ الْمُخْتَارَ خَبَرَهُ أَيْضًا ، فَبَعَثَ الْمُخْتَارُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ إِلَى رَاشِدٍ فِي سَبْعِ مِائَةٍ ، وَقِيلَ فِي سِتِّمِائَةِ فَارِسٍ وَسِتِّمِائَةِ رَاجِلٍ ، وَبَعَثَ نُعَيْمَ بْنَ هُبَيْرَةَ ، أَخَا مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ وَسِتِّمِائَةِ رَاجِلٍ وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ شَبَثِ بْنِ رِبْعِيٍّ وَمَنْ مَعَهُ ، وَأَمَرَهُمَا بِتَعْجِيلِ الْقِتَالِ وَأَنْ لَا يُسْتَهْدَفَا لِعَدُوِّهِمَا فَإِنَّهُ أَكْثَرُ مِنْهُمَا ، فَتَوَجَّهَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى رَاشِدٍ ، وَقَدَّمَ الْمُخْتَارُ يَزِيدَ بْنَ أَنَسٍ فِي مَوْضِعِ مَسْجِدِ شَبَثِ بْنِ رِبْعِيٍّ فِي تِسْعِمِائَةٍ أَمَامَهُ ، فَتَوَجَّهَ نُعَيْمٌ إِلَى شَبَثٍ فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَجَعَلَ نُعَيْمٌ سِعْرَ بْنَ أَبِي سِعْرٍ عَلَى الْخَيْلِ وَمَشَى هُوَ فِي الرَّجَّالَةِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَانْبَسَطَتْ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ شَبَثٍ حَتَّى دَخَلُوا الْبُيُوتَ ، فَنَادَاهُمْ شَبَثٌ وَحَرَّضَهُمْ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، فَحَمَلُوا عَلَى أَصْحَابِ نُعَيْمٍ وَقَدْ تَفَرَّقُوا ، فَهَزَمَهُمْ ، وَصَبَرَ نُعَيْمٌ فَقُتِلَ ، وَأَسِرُ سِعْرُ بْنُ أَبِي سِعْرٍ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَطْلَقَ الْعَرَبَ وَقَتَلَ الْمَوَالِي ، وَجَاءَ شَبَثٌ حَتَّى أَحَاطَ بِالْمُخْتَارِ ، وَكَانَ قَدْ وَهَنَ لِقَتْلِ نُعَيْمٍ. |
| وَبَعَثَ ابْنُ مُطِيعٍ يَزِيدَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ رُوَيْمٍ فِي أَلْفَيْنِ ، فَوَقَفُوا فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ ، وَوَلَّى الْمُخْتَارُ يَزِيدَ بْنَ أَنَسٍ خَيْلَهُ وَخَرَجَ هُوَ فِي الرَّجَّالَةِ ، فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ خَيْلُ شَبَثٍ فَلَمْ يَبْرَحُوا مَكَانَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تُقْتَلُونَ وَتُقْطَعُ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ وَتُسْمَلُ أَعْيُنُكُمْ وَتُرْفَعُونَ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ فِي حُبِّ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ فِي بُيُوتِكُمْ وَطَاعَةِ عَدُوِّكُمْ ، فَمَا ظَنَّكُمْ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِذَا ظَهَرُوا عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ؟ |
| وَاللَّهِ لَا يَدَعُونَ مِنْكُمْ عَيْنًا تَطْرُفُ ، وَلَيُقَتِّلُنَّكُمْ صَبْرًا ، وَلَتَرَوْنَ مِنْهُمْ فِي أَوْلَادِكُمْ وَأَزْوَاجِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ مَا الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَاللَّهِ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا الصِّدْقُ وَالصَّبْرُ وَالطَّعْنُ الصَّائِبُ وَالضَّرْبُ الدِّرَاكُ ، تَهَيَّئُوا لِلْحَمْلَةِ ، فَتَيَسَّرُوا يَنْتَظِرُونَ أَمْرَهُ وَجَثَوْا عَلَى رُكَبِهِمْ. |
| وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ فَإِنَّهُ لَقِيَ رَاشِدًا فَإِذَا مَعَهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَصْحَابِهِ لَا يَهُولَنَّكُمْ كَثْرَةُ هَؤُلَاءِ ، فَوَاللَّهِ لَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةٍ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ. |
| وَقَدِمَ خُزَيْمَةُ بْنُ نَصْرٍ إِلَيْهِمْ فِي الْخَيْلِ ، وَنَزَلَ هُوَ يَمْشِي فِي الرَّجَّالَةِ ، وَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ لِصَاحِبِ رَايَتِهِ تَقَدَّمَ بِرَايَتِكَ ، امْضِ بِهَؤُلَاءِ وَبِهَا. |
| وَاقْتَتَلَ النَّاسُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَمَلَ خُزَيْمَةُ بْنُ نَصْرٍ الْعَبْسِيُّ عَلَى رَاشِدٍ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ نَادَى قَتَلْتُ رَاشِدًا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! |
| وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ رَاشِدٍ ، وَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ وَخُزَيْمَةُ وَمَنْ مَعَهُمَا بَعْدَ قَتْلِ رَاشِدٍ نَحْوَ الْمُخْتَارِ ، وَأَرْسَلَ الْبَشِيرُ إِلَى الْمُخْتَارِ بِقَتْلِ رَاشِدٍ ، فَكَبَّرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَقَوِيَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَدَخَلَ أَصْحَابَ ابْنِ مُطِيعٍ الْفَشَلُ. |
| وَأَرْسَلَ ابْنُ مُطِيعٍ حَسَّانَ بْنَ فَائِدِ بْنِ بَكْرٍ الْعَبْسِيَّ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ نَحْوِ أَلْفَيْنِ ، فَاعْتَرَضَ إِبْرَاهِيمَ لِيَرُدَّهُ عَمَّنْ بِالسَّبَخَةِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مُطِيعٍ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ ، فَانْهَزَمُوا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ، وَتَأَخَّرَ حَسَّانُ يَحْمِي أَصْحَابَهُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ خُزَيْمَةُ ، فَعَرَفَهُ فَقَالَ يَا حَسَّانُ لَوْلَا الْقَرَابَةُ لَقَتَلْتُكَ ، فَانْجُ بِنَفْسِكَ. |
| فَعَثَرَ بِهِ فَرَسُهُ فَوَقَعَ ، فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ ، فَقَاتَلَ سَاعَةً ، قَالَ لَهُ خُزَيْمَةُ أَنْتَ آمِنٌ فَلَا تَقْتُلْ نَفْسَكَ ، وَكَفَّ عَنْهُ النَّاسُ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا ابْنُ عَمِّي وَقَدْ آمَنْتُهُ ، فَقَالَ أَحْسَنْتَ! |
| وَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُحْضِرَ فَأُرْكِبَهُ وَقَالَ الْحَقْ بِأَهْلِكَ. |
| وَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ نَحْوَ الْمُخْتَارِ وَشَبَثُ بْنِ رِبْعِيٍّ مُحِيطٌ بِهِ ، فَلَقِيَهُ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ عَلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ الَّتِي تَلِي السَّبَخَةَ ، فَأَقْبَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ لِيَصُدَّهُ عَنْ شَبَثٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَبَعَثَ إِبْرَاهِيمُ إِلَيْهِ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ نَصْرٍ وَسَارَ نَحْوَ الْمُخْتَارِ وَشَبِثٍ فِيمَنْ بَقِيَ مَعَهُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ حَمَلَ عَلَى شَبَثٍ ، وَحَمَلَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ ، فَانْهَزَمَ شَبَثٌ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى أَبْيَاتِ الْكُوفَةِ ، وَحَمَلَ خُزَيْمَةُ بْنُ نَصْرٍ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْحَارِثِ فَهَزَمَهُ ، وَازْدَحَمُوا عَلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ وَفَوْقَ الْبُيُوتِ وَأَقْبَلَ الْمُخْتَارُ. |
| فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ رَمَتْهُ الرُّمَاةُ بِالنَّبْلِ فَصَدُّوهُ عَنِ الدُّخُولِ إِلَى الْكُوفَةِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ. |
| وَرَجَعَ النَّاسُ مِنَ السَّبَخَةِ مُنْهَزِمِينَ إِلَى ابْنِ مُطِيعٍ ، وَجَاءَهُ قَتْلُ رَاشِدِ بْنِ إِيَاسٍ فَسَقَطَ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيُّ أَيُّهَا الرَّجُلُ لَا تُلْقِ بِيَدِكَ وَاخْرُجْ إِلَى النَّاسِ وَانْدُبْهُمْ إِلَى عَدُوِّكَ ، فَإِنَّ النَّاسَ كَثِيرٌ وَكُلُّهُمْ مَعَكَ إِلَّا هَذِهِ الطَّائِفَةَ الَّتِي خَرَجَتْ وَاللَّهُ يُخْزِيهَا ، وَأَنَا أَوَّلُ مُنْتَدَبٍ ، فَانْتَدِبْ مَعِي طَائِفَةً وَمَعَ غَيْرِي طَائِفَةً. |
| فَخَرَجَ ابْنُ مُطِيعٍ فَقَامَ فِي النَّاسِ وَوَبَّخَهُمْ عَلَى هَزِيمَتِهِمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمُخْتَارِ وَأَصْحَابِهِ. |
| وَلَمَّا رَأَى الْمُخْتَارُ أَنَّهُ قَدْ مَنَعَهُ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ دُخُولِ الْكُوفَةِ عَدَلَ إِلَى بُيُوتٍ مُزَيْنَةَ وَأَحْمَسَ وَبَارِقَ ، وَبُيُوتُهُمْ مُنْفَرِدَةٌ ، فَسَقَوْا أَصْحَابَهُ الْمَاءَ وَلَمْ يَشْرَبْ هُوَ ، فَإِنَّهُ كَانَ صَائِمًا ، فَقَالَ أَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ لِابْنِ كَامِلٍ أَتُرَاهُ صَائِمًا ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ لَوْ أَفْطَرَ كَانَ أَقْوَى لَهُ. |
| قَالَ إِنَّهُ مَعْصُومٌ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَصْنَعُ. |
| فَقَالَ أَحْمَرُ صَدَقْتَ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. |
| فَقَالَ الْمُخْتَارُ نِعْمَ الْمَكَانُ لِلْقِتَالِ هَذَا. |
| فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ هَزَمَهُمُ اللَّهُ وَأَدْخَلَ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ، سِرْ بِنَا ، فَوَاللَّهِ مَا دُونَ الْقَصْرِ مَانِعٌ. |
| فَتَرَكَ الْمُخْتَارُ هُنَاكَ كُلَّ شَيْخٍ ضَعِيفٍ ذِي عِلَّةٍ وَنَقَلَهُمْ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُثْمَانَ النَّهْدِيَّ ، وَقَدِمَ إِبْرَاهِيمُ أَمَامَهُ ، وَبَعَثَ ابْنُ مُطِيعٍ عَمْرَو بْنَ الْحَجَّاجِ فِي أَلْفَيْنِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ ، فَأَرْسَلَ الْمُخْتَارُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَنِ اطْوِهِ وَلَا تَقُمْ عَلَيْهِ ، فَطَوَاهُ وَأَقَامَ ، وَأَمَرَ الْمُخْتَارُ يَزِيدَ بْنَ أَنَسٍ أَنْ يُوَاقِفَ عَمْرَو بْنَ الْحَجَّاجِ ، فَمَضَى إِلَيْهِ ، وَسَارَ الْمُخْتَارُ فِي أَثَرِ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ وَقَفَ فِي مَوْضِعِ مُصَلَّى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَمَضَى إِبْرَاهِيمُ لِيَدْخُلَ الْكُوفَةَ مِنْ نَحْوِ الْكُنَاسَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ فِي أَلْفَيْنِ ، فَسَرَّحَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارُ سَعِيدَ بْنَ مُنْقِذٍ الْهَمْدَانِيَّ فَوَاقَعَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ ، فَسَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سِكَّةَ شَبَثٍ ، فَإِذَا نَوْفَلُ بْنُ مُسَاحِقٍ فِي أَلْفَيْنِ ، وَقِيلَ خَمْسَةِ آلَافٍ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَقَدْ أَمَرَ ابْنُ مُطِيعٍ مُنَادِيًا فَنَادَى فِي النَّاسِ أَنِ الْحَقُوا بِابْنِ مُسَاحِقٍ. |
| وَخَرَجَ ابْنُ مُطِيعٍ فَوَقَفَ بِالْكُنَاسَةِ وَاسْتَخْلَفَ شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ عَلَى الْقَصْرِ ، فَدَنَا ابْنُ الْأَشْتَرِ مِنِ ابْنِ مُطِيعٍ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالنُّزُولِ وَقَالَ لَهُمْ لَا يَهُولَنَّكُمْ أَنْ يُقَالَ جَاءَ شَبَثٌ وَآلُ عُتَيْبَةَ بْنُ النَّهَّاسِ وَآلُ الْأَشْعَثِ وَآلُ يَزِيدَ بْنُ الْحَارِثِ وَآلُ فُلَانٍ ، فَسَمَّى بُيُوتَاتِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَوْ وَجَدُوا حَرَّ السُّيُوفِ لَانْهَزَمُوا عَنِ ابْنِ مُطِيعٍ انْهِزَامَ الْمَعْزَى مِنَ الذِّئْبِ. |
| فَفَعَلُوا ذَلِكَ. |
| وَأَخَذَ ابْنُ الْأَشْتَرِ أَسْفَلَ قَبَائِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي مِنْطَقَتِهِ ، وَكَانَ الْقَبَاءُ عَلَى الدِّرْعِ ، فَلَمْ يَلْبَثُوا حِينَ حَمَلَ عَلَيْهِمْ أَنِ انْهَزَمُوا يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ وَازْدَحَمُوا ، وَانْتَهَى ابْنُ الْأَشْتَرِ إِلَى ابْنِ مُسَاحِقٍ ، فَأَخَذَ بِعِنَانِ دَابَّتِهِ وَرَفَعَ السَّيْفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ الْأَشْتَرِ أَنْشُدُكَ اللَّهَ هَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ إِحْنَةٍ أَوْ تَطْلُبُنِي بِثَأْرٍ ؟ |
| فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، وَقَالَ اذْكُرْهَا. |
| فَكَانَ يَذْكُرُهَا لَهُ. |
| وَدَخَلُوا الْكُنَاسَةَ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى دَخَلُوا السُّوقَ وَالْمَسْجِدَ وَحَصَرُوا ابْنَ مُطِيعٍ وَمَعَهُ الْأَشْرَافُ مِنَ النَّاسِ غَيْرَ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ ، فَإِنَّهُ أَتَى دَارَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبَرِّ ، وَجَاءَ الْمُخْتَارُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ السُّوقِ. |
| وَوَلَّى إِبْرَاهِيمَ حِصَارَ الْقَصْرِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ وَأَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ ، فَحَصَرُوهُمْ ثَلَاثًا ، فَاشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ شَبَثٌ لِابْنِ مُطِيعٍ انْظُرْ لِنَفْسِكَ وَلِمَنْ مَعَكَ فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَهُمْ غَنَاءٌ عَنْكَ وَلَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ. |
| فَقَالَ أَشِيرُوا عَلَيَّ. |
| فَقَالَ شَبَثٌ الرَّأْيُ أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ وَلَنَا أَمَانًا وَنَخْرُجَ وَلَا تُهْلِكَ نَفْسَكَ وَمَنْ مَعَكَ. |
| فَقَالَ ابْنُ مُطِيعٍ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ آخُذَ مِنْهُ أَمَانًا ، وَالْأُمُورُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَقِيمَةٌ بِالْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ. |
| قَالَ فَتَخْرُجُ وَلَا يَشْعُرُ بِكَ أَحَدٌ ، فَتَنْزِلُ بِالْكُوفَةِ عِنْدَ مَنْ تَثِقُ بِهِ حَتَّى تَلْحَقَ بِصَاحِبِكَ. |
| وَأَشَارَ بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدٍ وَأَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ وَابْنُ مِخْنَفٍ وَأَشْرَافُ الْكُوفَةِ ، فَأَقَامَ حَتَّى أَمْسَى وَقَالَ لَهُمْ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِينَ صَنَعُوا هَذَا بِكُمْ أَرَاذِلُكُمْ وَأَخِسَّاؤُكُمْ وَأَنَّ أَشْرَافَكُمْ وَأَهْلَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ سَامِعُونَ مُطِيعُونَ ، وَأَنَا مُبَلِّغٌ ذَلِكَ صَاحِبِي وَمُعْلِمُهُ طَاعَتَكُمْ وَجِهَادَكُمْ حَتَّى كَانَ اللَّهُ الْغَالِبَ عَلَى أَمْرِهِ. |
| فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيْرًا. |
| وَخَرَجَ عَنْهُمْ وَأَتَى دَارَ أَبِي مُوسَى ، فَجَاءَ ابْنُ الْأَشْتَرِ وَنَزَلَ الْقَصْرَ ، فَفَتَحَ أَصْحَابُهُ الْبَابَ وَقَالُوا يَا ابْنَ الْأَشْتَرِ آمَنُونَ نَحْنُ ؟ |
| قَالَ أَنْتُمْ آمِنُونَ. |
| فَخَرَجُوا فَبَايَعُوا الْمُخْتَارَ ، وَدَخَلَ الْمُخْتَارُ الْقَصْرَ فَبَاتَ فِيهِ ، وَأَصْبَحَ أَشْرَافُ النَّاسِ فِي الْمَسْجِدِ وَعَلَى بَابِ الْقَصْرِ ، وَخَرَجَ الْمُخْتَارُ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَعَدَ وَلِيَّهُ النَّصْرَ وَعَدُوَّهُ الْخُسْرَ ، وَجَعَلَهُ فِيهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَعْدًا مَفْعُولًا وَقَضَاءً مَقْضِيًّا ، وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا رُفِعَتْ لَنَا رَايَةٌ وَمُدَّتْ لَنَا غَايَةٌ ، فَقِيلَ لَنَا فِي الرَّايَةِ أَنِ ارْفَعُوهَا وَفِي الْغَايَةِ أَنِ اجْرُوا إِلَيْهَا وَلَا تَعْدُوهَا ، فَسَمِعْنَا دَعْوَةَ الدَّاعِي وَمَقَالَةَ الْوَاعِي ، فَكَمْ مِنْ نَاعٍ وَنَاعِيَةٍ لِقَتْلَى فِي الْوَاعِيَةِ ، وَبُعْدًا لِمَنْ طَغَى وَأَدْبَرَ وَعَصَى وَكَذَّبَ وَتَوَلَّى ، أَلَا فَادْخُلُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَبَايِعُوا بَيْعَةَ هُدًى ، فَلَا وَالَّذِي جَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفًا مَكْفُوفًا ، وَالْأَرْضَ فِجَاجًا سُبُلًا ، مَا بَايَعْتُمْ بَعْدَ بَيْعَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَآلِ عَلِيٍّ أَهْدَى مِنْهَا! |
| ثُمَّ نَزَلَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ فَبَايَعُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالطَّلَبِ بِدِمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَجِهَادِ الْمُحِلِّينَ ، وَالدَّفْعِ عَنِ الضُّعَفَاءِ ، وَقِتَالِ مَنْ قَاتَلَنَا ، وَسِلْمِ مَنْ سَالَمَنَا. |
| وَكَانَ مِمَّنْ بَايَعَهُ الْمُنْذِرُ بْنُ حَسَّانَ وَابْنُهُ حَسَّانُ ، فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ اسْتَقْبَلَهُ سَعِيدُ بْنُ مُنْقِذٍ الثَّوْرِيُّ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الشِّيعَةِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمَا قَالُوا هَذَانِ وَاللَّهِ مِنْ رُءُوسِ الْجَبَّارِينَ ، فَقَتَلُوا الْمُنْذِرَ وَابْنَهُ حَسَّانَ ، فَنَهَاهُمْ سَعِيدٌ حَتَّى يَأْخُذُوا أَمْرَ الْمُخْتَارِ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمُخْتَارُ ذَلِكَ كَرِهَهُ ، وَأَقْبَلَ الْمُخْتَارُ يُمَنِّي النَّاسَ ، وَيَسْتَجِرُّ مَوَدَّةَ الْأَشْرَافِ ، وَيُحْسِنُ السِّيرَةَ. |
| وَقِيلَ لَهُ إِنَّ ابْنَ مُطِيعٍ فِي دَارِ أَبِي مُوسَى ، فَسَكَتَ ، فَلَمَّا أَمْسَى بَعَثَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَقَالَ تَجَهَّزْ بِهَذِهِ فَقَدْ عَلِمْتُ مَكَانَكَ ، وَأَنَّكَ لَمْ يَمْنَعْكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَّا عَدَمُ النَّفَقَةِ. |
| وَكَانَ بَيْنَهُمَا صَدَاقَةٌ. |
| وَوَجَدَ الْمُخْتَارُ فِي بَيْتِ الْمَالِ تِسْعَةَ آلَافِ أَلْفٍ ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ الَّذِينَ قَاتَلَ بِهِمْ حِينَ حَصَرَ ابْنَ مُطِيعٍ فِي الْقَصْرِ ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَخَمْسُمِائَةٍ ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَأَعْطَى سِتَّةَ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَتَوْهُ بَعْدَمَا أَحَاطَ بِالْقَصْرِ ، وَأَقَامُوا مَعَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَتِلْكَ الْأَيَّامَ الثَّلَاثَةَ مِائَتَيْنِ مِائَتَيْنِ ، وَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِخَيْرٍ ، وَجَعَلَ الْأَشْرَافَ جُلَسَاءَهُ ، وَجَعَلَ عَلَى شُرَطَتِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَامِلٍ الشَّاكِرِيَّ ، وَعَلَى حَرَسِهِ كَيْسَانَ أَبَا عَمْرَةَ. |
| فَقَامَ أَبُو عَمْرَةَ عَلَى رَأْسِهِ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى الْأَشْرَافِ بِحَدِيثِهِ وَوَجْهِهِ ، فَقَالَ لِأَبِي عَمْرَةَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمَوَالِي أَمَا تَرَى أَبَا إِسْحَاقَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى الْعَرَبِ مَا يَنْظُرُ إِلَيْنَا ؟ |
| فَسَأَلَهُ الْمُخْتَارُ عَمَّا قَالُوا ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ قُلْ لَهُمْ لَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، فَأَنْتُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْكُمْ ، وَسَكَتَ طَوِيلًا ثُمَّ قَرَأَ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ السجدة . |
| فَلَمَّا سَمِعُوهَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَبْشِرُوا ، كَأَنَّكُمْ وَاللَّهِ قَدْ قُتِلْتُمْ. |
| يَعْنِي الرُّؤَسَاءَ. |
| وَكَانَ أَوَّلُ رَايَةٍ عَقَدَهَا الْمُخْتَارُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ أَخِي الْأَشْتَرِ عَلَى أَرْمِينِيَّةَ ، وَبَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ عُطَارِدٍ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَبَعَثَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ عَلَى الْمَوْصِلِ ، وَبَعَثَ إِسْحَاقَ بْنَ مَسْعُودٍ عَلَى الْمَدَائِنِ وَأَرْضِ جُوخَى ، وَبَعَثَ قُدَامَةَ بْنَ أَبِي عِيسَى بْنِ زَمْعَةَ النَّصْرِيَّ حَلِيفَ ثَقِيفٍ عَلَى بِهْقُبَاذَ الْأَعْلَى ، وَبَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ بْنِ قَرَظَةَ عَلَى بِهْقُبَاذَ الْأَوْسَطِ ، وَبَعَثَ سَعْدَ بْنَ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَلَى حُلْوَانَ ، وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ الْأَكْرَادِ وَإِقَامَةِ الطُّرُقِ. |
| وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ قَدِ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَوْصِلِ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمُخْتَارُ وَبَعَثَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَعِيدٍ إِلَى الْمَوْصِلِ أَمِيرًا سَارَ مُحَمَّدٌ عَنْهَا إِلَى تَكْرِيتَ ، يَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْمُخْتَارِ فَبَايَعَهُ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ الْمُخْتَارُ مِمَّا يُرِيدُ صَارَ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ لِي فِيمَا أُحَاوِلُ لَشُغْلًا عَنِ الْقَضَاءِ ، ثُمَّ أَقَامَ شُرَيْحًا يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ خَافَهُمْ شُرَيْحٌ فَتَمَارَضَ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ إِنَّهُ عُثْمَانِيٌّ ، وَإِنَّهُ شَهِدَ عَلَى حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ ، وَإِنَّهُ لَمْ يُبْلِغْ هَانِئَ بْنَ عُرْوَةَ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ ، وَإِنَّ عَلِيًّا عَزَلَهُ عَنِ الْقَضَاءِ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ شُرَيْحًا ذَلِكَ مِنْهُمْ تَمَارَضَ ، فَجَعَلَ الْمُخْتَارُ مَكَانَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ مَرِضَ ، فَجَعَلَ مَكَانَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَالِكٍ الطَّائِيَّ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ الْمُخْتَارِ قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَثَبَ الْمُخْتَارُ بِمَنْ بِالْكُوفَةِ مِنْ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ لَمَّا اسْتَوْسَقَ لَهُ الشَّامُ بَعَثَ جَيْشَيْنِ أَحَدُهُمَا إِلَى الْحِجَازِ عَلَيْهِ حُبَيْشُ بْنُ دَلَجَةَ الْقَيْنِيُّ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَمْرَهُ وَقَتْلَهُ ، وَالْجَيْشُ الْآخَرُ إِلَى الْعِرَاقِ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ التَّوَّابِينَ ، وَكَانَ قَدْ جَعَلَ لِابْنِ زِيَادٍ مَا غَلَبَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْهَبَ الْكُوفَةَ ثَلَاثًا ، فَاحْتُبِسَ بِالْجَزِيرَةِ وَبِهَا قَيْسُ عَيْلَانَ مَعَ زُفَرَ بْنِ الْحَارِثِ عَلَى طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَلَمْ يَزَلْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مُشْتَغِلًا بِهِمْ عَنِ الْعِرَاقِ نَحْوَ سَنَةٍ. |
| فَتُوُفِّيَ مَرْوَانُ وَوُلِّيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، فَأَقَرَّ ابْنَ زِيَادٍ عَلَى مَا كَانَ أَبُوهُ وَلَّاهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْجِدِّ فِي أَمْرِهِ. |
| فَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهُ فِي زُفَرَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَيْسٍ شَيْءٌ أَقْبَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَكَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدٍ عَامِلُ الْمُخْتَارِ إِلَى الْمُخْتَارِ يُخْبِرُهُ بِدُخُولِ ابْنِ زِيَادٍ أَرْضَ الْمَوْصِلِ ، وَأَنَّهُ قَدْ تَنَحَّى لَهُ عَنِ الْمَوْصِلِ إِلَى تَكْرِيتَ. |
| فَدَعَا الْمُخْتَارُ يَزِيدَ بْنَ أَنَسٍ الْأَسَدِيَّ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَيَنْزِلَ بِأَدَانِي أَرْضِهَا حَتَّى يَمُدَّهُ بِالْجُنُودِ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ خَلِّنِي أَنْتَخِبُ ثَلَاثَةَ آلَافِ فَارِسٍ ، وَخَلِّنِي مِمَّا تُوَجِّهُنِي إِلَيْهِ ، فَإِنِ احْتَجْتُ كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَسْتَمِدُّكَ. |
| فَأَجَابَهُ الْمُخْتَارُ ، فَانْتَخَبَ لَهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَسَارَ عَنِ الْكُوفَةِ ، وَسَارَ مَعَهُ الْمُخْتَارُ وَالنَّاسُ يُشَيِّعُونَهُ ، فَلَمَّا وَدَّعَهُ قَالَ لَهُ إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ فَلَا تُنَاظِرْهُمْ ، وَإِذَا مَكَّنَتْكَ الْفُرْصَةُ فَلَا تُؤَخِّرْهَا ، وَلْيَكُنْ خَبَرُكَ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدِي ، وَإِنِ احْتَجْتَ إِلَى مَدَدٍ فَاكْتُبْ إِلَيَّ ، مَعَ أَنِّي مُمِدُّكَ وَإِنْ لَمْ تَسْتَمِدَّ; لِأَنَّهُ أَشَدُّ لِعَضُدِكَ ، وَأَرْعَبُ لِعَدُوِّكَ. |
| وَدَعَا لَهُ النَّاسُ بِالسَّلَامَةِ ، وَدَعُوا لَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ اسْأَلُوا اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ فَاتَنِيَ النَّصْرُ لَا تَفُوتُنِي الشَّهَادَةُ. |
| فَكَتَبَ الْمُخْتَارُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ أَنْ خَلِّ بَيْنَ يَزِيدَ وَبَيْنَ الْبِلَادِ. |
| فَسَارَ يَزِيدُ إِلَى الْمَدَائِنِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى أَرْضِ جُوخَى وَالرَّاذَانَاتِ إِلَى أَرْضِ الْمَوْصِلِ ، فَنَزَلَ بِبَاتِلَى ، وَبَلَغَ خَبَرُهُ ابْنَ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَأَبْعَثَنَّ إِلَى كُلِّ أَلْفٍ أَلْفَيْنِ. |
| فَأَرْسَلَ رَبِيعَةَ بْنَ مُخَارِقٍ الْغَنَوِيَّ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُمْلَةَ الْخَثْعَمِيَّ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، فَسَارَ رَبِيعَةُ قَبْلَ عَبْدِ اللَّهِ بِيَوْمٍ فَنَزَلَ بِيَزِيدَ بْنِ أَنَسٍ بِبَاتِلَى ، فَخَرَجَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ وَهُوَ مَرِيضٌ شَدِيدُ الْمَرَضِ ، رَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ يُمْسِكُهُ الرِّجَالُ ، فَوَقَفَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَعَبَّأَهُمْ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، وَقَالَ إِنْ هَلَكْتُ فَأَمِيرُكُمْ وَرْقَاءُ بْنُ الْعَازِبِ الْأَسَدِيُّ ، فَإِنْ هَلَكَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضَمْرَةَ الْعُذْرِيُّ ، فَإِنْ هَلَكَ فَأَمِيرُكُمْ سِعْرُ بْنُ أَبِي سِعْرٍ الْحَنَفِيُّ ، وَجَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ عَبْدَ اللَّهِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ سِعْرًا ، وَعَلَى الْخَيْلِ وَرْقَاءَ ، وَنَزَلَ هُوَ ، فَوُضِعَ بَيْنَ الرِّجَالِ عَلَى سَرِيرٍ ، وَقَالَ قَاتِلُوا عَنْ أَمِيرِكُمْ إِنْ شِئْتُمْ أَوْ فِرُّوا عَنْهُ. |
| وَهُوَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِمَا يَفْعَلُونَ ، ثُمَّ يُغْمَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُفِيقُ. |
| وَاقْتَتَلَ النَّاسُ عِنْدَ فَلَقِ الصُّبْحِ يَوْمَ عَرَفَةَ ، وَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ إِلَى ارْتِفَاعِ الضُّحَى ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ وَأُخِذَ عَسْكَرُهُمْ ، وَانْتَهَى أَصْحَابُ يَزِيدَ إِلَى رَبِيعَةَ بْنِ مُخَارِقٍ وَقَدِ انْهَزَمَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَهُوَ نَازِلٌ يُنَادِي يَا أَوْلِيَاءَ الْحَقِّ ، أَنَا ابْنُ مُخَارِقٍ ، إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ الْعَبِيدَ الْأُبَّاقَ وَمَنْ تَرَكَ الْإِسْلَامَ وَخَرَجَ مِنْهُ! |
| فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ ، فَقَاتَلُوا مَعَهُ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ وَقُتِلَ رَبِيعَةُ بْنُ مُخَارِقٍ ، وَقَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَرْقَاءَ الْأَسَدِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضَمْرَةَ الْعُذْرِيُّ ، فَلَمْ يَسِرِ الْمُنْهَزِمُونَ غَيْرَ سَاعَةٍ حَتَّى لَقِيَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَمَلَةَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ فَرَدَّ مَعَهُ الْمُنْهَزِمِينَ. |
| وَنَزَلَ يَزِيدُ بِبَاتِلَى ، فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ يَتَحَارَسُونَ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا يَوْمَ الْأَضْحَى خَرَجُوا إِلَى الْقِتَالِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ نَزَلُوا فَصَلُّوا الظُّهْرَ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْقِتَالِ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ وَتُرِكَ ابْنُ جَمَلَةَ فِي جَمَاعَةٍ ، فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادٍ الْخَثْعَمِيُّ فَقَتَلَهُ ، وَحَوَى أَهْلُ الْكُوفَةِ عَسْكَرَهُمْ ، وَقَتَلُوا فِيهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَأَسَرُوا مِنْهُمْ ثَلَاثَمِائَةِ أَسِيرٍ ، وَأَمَرَ يَزِيدُبْنُ أَنَسٍ بِقَتْلِهِمْ ، وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ ، فَقُتِلُوا ، ثُمَّ مَاتَ آخِرَ النَّهَارِ ، فَدَفَنَهُ أَصْحَابُهُ وَسُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ. |
| وَكَانَ قَدِ اسْتَخْلَفَ وَرْقَاءَ بْنَ عَازِبٍ الْأَسَدِيَّ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ مَاذَا تَرَوْنَ ؟ |
| إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا ، وَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ، فَإِنِّي لَا أَرَى لَنَا بِأَهْلِ الشَّامِ طَاقَةً عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، وَقَدْ هَلَكَ يَزِيدُ وَتَفَرَّقَ عَنَّا بَعْضُ مَنْ مَعَنَا ، فَلَوِ انْصَرَفْنَا الْيَوْمَ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِنَا لَقَالُوا إِنَّمَا رَجَعْنَا عَنْهُمْ لِمَوْتِ أَمِيرِنَا ، وَلَمْ يَزَالُوا لَنَا هَائِبِينَ ، وَإِنْ لَقِينَاهُمُ الْيَوْمَ كُنَّا مُخَاطِرِينَ ، فَإِنْ هَزَمُونَا الْيَوْمَ لَمْ تَنْفَعْنَا هَزِيمَتُنَا إِيَّاهُمْ بِالْأَمْسِ. |
| فَقَالُوا نِعْمَ مَا رَأَيْتَ. |
| فَانْصَرَفُوا. |
| فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُخْتَارَ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ ، فَأَرْجَفَ النَّاسُ بِالْمُخْتَارِ وَقَالُوا إِنَّ يَزِيدَ قُتِلَ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُ مَاتَ. |
| فَدَعَا الْمُخْتَارُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ ، وَأَمَّرَهُ عَلَى سَبْعَةِ آلَافٍ وَقَالَ لَهُ سِرْ ، فَإِذَا لَقِيتَ جَيْشَ يَزِيدَبْنِ أَنَسٍ فَأَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَيْهِمْ ، فَارْدُدْهُمْ مَعَكَ حَتَّى تَلْقَى ابْنَ زِيَادٍ وَأَصْحَابَهُ فَتُنَاجِزَهُمْ. |
| فَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ فَعَسْكَرَ بِحَمَّامِ أَعْيَنَ وَسَارَ ، فَلَمَّا سَارَ اجْتَمَعَ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ عِنْدَ شَبَثِ بْنِ رِبْعِيٍّ وَقَالُوا وَاللَّهِ إِنَّ الْمُخْتَارَ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا بِغَيْرِ رِضًى مِنَّا ، وَلَقَدْ أَدْنَى مَوَالِينَا ، فَحَمَلَهُمْ عَلَى الدَّوَابِّ وَأَعْطَاهُمْ فَيْئَنَا. |
| وَكَانَ شَبَثٌ شَيْخَهُمْ ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا إِسْلَامِيًّا ، فَقَالَ لَهُمْ شَبَثٌ دَعُونِي حَتَّى أَلْقَاهُ. |
| فَذَهَبَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا أَنْكَرُوهُ إِلَّا ذَكَرَهُ لَهُ ، فَأَخَذَ لَا يَذْكُرُ خَصْلَةً إِلَّا قَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ أَنَا أُرْضِيهِمْ فِي هَذِهِ الْخَصْلَةِ ، وَآتِي لَهُمْ كُلَّ مَا أَحَبُّوا. |
| وَذَكَرَ لَهُ الْمَوَالِيَ وَمُشَارَكَتَهُمْ فِي الْفَيْءِ ، فَقَالَ لَهُ إِنْ أَنَا تَرَكْتُ مَوَالِيَكُمْ ، وَجَعَلْتُ فَيْئَكُمْ لَكُمْ ، تُقَاتِلُونَ مَعِي بَنِي أُمَيَّةَ وَابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَتُعْطُونِي عَلَى الْوَفَاءِ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ ، وَمَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنَ الْأَيْمَانِ ؟ |
| فَقَالَ شَبَثٌ حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى أَصْحَابِي ، فَأَذْكُرَ لَهُمْ ذَلِكَ. |
| فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ ، وَأُجْمِعَ رَأْيُهُمْ عَلَى قِتَالِهِ. |
| فَاجْتَمَعَ شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ ، وَشَمِرٌ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى كَعْبِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ الْخَثْعَمِيِّ ، فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ ، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ الْأَزْدِيِّ ، فَدَعَوْهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ إِنْ أَطَعْتُمُونِي لَمْ تَخْرُجُوا. |
| فَقَالُوا لَهُ لِمَ ؟ |
| فَقَالَ لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ تَتَفَرَّقُوا وَتَخْتَلِفُوا ، وَمَعَ الرَّجُلِ شُجْعَانُكُمْ وَفُرْسَانُكُمْ مِثْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، ثُمَّ مَعَهُ عَبِيدُكُمْ وَمَوَالِيكُمْ ، وَكَلِمَةُ هَؤُلَاءِ وَاحِدَةٌ ، وَمَوَالِيكُمْ أَشُدُّ حَنَقًا عَلَيْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، فَهُمْ مُقَاتِلُوكُمْ بِشَجَاعَةِ الْعَرَبِ وَعَدَاوَةِ الْعَجَمِ ، وَإِنِ انْتَظَرْتُمُوهُ قَلِيلًا كُفِيتُمُوهُ بِقُدُومِ أَهْلِ الشَّامِ ، أَوْ مَجِيءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَتَكُونُوا قَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ ، وَلَمْ تَجْعَلُوا بَأْسَكُمْ بَيْنَكُمْ. |
| فَقَالُوا نَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تُخَالِفَنَا وَتُفْسِدَ عَلَيْنَا رَأَيْنَا ، وَمَا أَجْمَعْنَا عَلَيْهِ! |
| فَقَالَ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، فَإِذَا شِئْتُمْ فَاخْرُجُوا. |
| فَوَثَبُوا بِالْمُخْتَارِ بَعْدَ مَسِيرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ ، وَخَرَّجُوا بِالْجَبَابِينَ ، كُلُّ رَئِيسٍ بِجَبَّانَةٍ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْمُخْتَارَ خُرُوجُهُمْ أَرْسَلَ قَاصِدًا مُجِدًّا إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ ، فَلَحِقَهُ وَهُوَ بِسَابَاطَ يَأْمُرُهُ بِالرُّجُوعِ وَالسُّرْعَةِ ، وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ أَخْبِرُونِي مَاذَا تُرِيدُونَ ، فَإِنِّي صَانِعٌ كُلَّ مَا أَحْبَبْتُمْ. |
| قَالُوا نُرِيدُ أَنْ تَعْتَزِلَنَا ، فَإِنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ بَعَثَكَ ، وَلَمْ يَبْعَثْكَ. |
| قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ وَفْدًا مِنْ قِبَلِكُمْ ، وَأُرْسِلُ أَنَا إِلَيْهِ وَفْدًا ، ثُمَّ انْظُرُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى يَظْهَرَ لَكُمْ. |
| وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُرَيِّثَهُمْ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَكَفُّوا أَيْدِيَهُمْ ، وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ ، فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ إِلَّا الْقَلِيلُ. |
| وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبِيعٍ فِي الْمَيْدَانِ ، فَقَاتَلَهُ بَنُو شَاكِرٍ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَجَاءَهُ عُقْبَةُ بْنُ طَارِقٍ الْجُشَمِيُّ فَقَاتَلَ مَعَهُ سَاعَةً حَتَّى رَدَّهُمْ عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلُ فَنَزَلَ عُقْبَةُ مَعَ شَمِرٍ وَمَعَهُ قَيْسُ عَيْلَانَ فِي جَبَّانَةِ سَلُولَ ، وَنَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبِيعٍ مَعَ أَهْلِ الْيَمَنِ فِي جَبَّانَةِ السَّبِيعِ. |
| وَلَمَّا سَارَ رَسُولُ الْمُخْتَارِ وَصَلَ إِلَى ابْنِ الْأَشْتَرِ عَشِيَّةَ يَوْمِهِ ، فَرَجَعَ ابْنُ الْأَشْتَرِ بَقِيَّةَ عَشِيَّتِهِ تِلْكَ ، ثُمَّ نَزَلَ حِينَ أَمْسَى ، فَتَعَشَّى أَصْحَابُهُ وَأَرَاحُوا دَوَابَّهُمْ قَلِيلًا ، ثُمَّ سَارَ لَيْلَتَهُ كُلَّهَا وَمِنَ الْغَدِ ، فَوَصَلَ الْعَصْرَ وَبَاتَ لَيْلَتَهُ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَهْلُ الْقُوَّةَ. |
| وَلَمَّا اجْتَمَعَ أَهْلُ الْيَمَنِ بِجَبَّانَةِ السَّبِيعِ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَكَرِهَ كُلُّ رَأْسٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ أَنْ يَتَقَدَّمَهُ صَاحِبُهُ ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مِخْنَفٍ هَذَا أَوَّلُ الِاخْتِلَافِ ، قَدِّمُوا الرِّضَى فِيكُمْ سَيِّدَ الْقُرَّاءِ رَفَاعَةَ بْنَ شَدَّادٍ الْبَجَلِيَّ. |
| فَفَعَلُوا ، فَلَمْ يَزَلْ يُصَلِّي بِهِمْ حَتَّى كَانَتِ الْوَقْعَةُ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ عَبَّأَ أَصْحَابَهُ فِي السُّوقِ ، وَلَيْسَ فِيهِ بُنْيَانٌ ، فَأَمَرَ ابْنَ الْأَشْتَرِ فَسَارَ إِلَى مُضَرَ وَعَلَيْهِمْ شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ عُطَارِدٍ ، وَهُمْ بِالْكُنَاسَةِ ، وَخَشِيَ أَنْ يُرْسِلَهُ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَلَا يُبَالِغُ فِي قِتَالِ قَوْمِهِ. |
| وَسَارَ الْمُخْتَارُ نَحْوَ أَهْلِ الْيَمَنِ بِجَبَّانَةِ السَّبِيعِ ، وَوَقَفَ عِنْدَ دَارِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، وَسَرَّحَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَحْمَرَ بْنَ شُمَيْطٍ الْبَجَلِيَّ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَامِلٍ الشَّاكِرِيَّ ، وَأَمَرَ كُلًّا مِنْهُمَا بِلُزُومِ طَرِيقٍ ذَكَرَهُ لَهُ يَخْرُجُ إِلَى جَبَّانَةِ السَّبِيعِ ، وَأَسَرَّ إِلَيْهِمَا أَنَّ شِبَامًا قَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يُخْبِرُونَهُ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ الْقَوْمَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَمَضَيَا كَمَا أَمَرَهُمَا. |
| فَبَلَغَ أَهْلَ الْيَمَنِ مَسِيرُهُمَا ، فَافْتَرَقُوا إِلَيْهِمَا ، وَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ رَآهُ النَّاسُ ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَصْحَابُ أَحْمَرَ بْنِ شُمَيْطٍ وَأَصْحَابُ ابْنِ كَامِلٍ ، وَوَصَلُوا إِلَى الْمُخْتَارِ ، فَقَالَ مَا وَرَاءَكُمْ ؟ |
| قَالُوا هُزِمْنَا ، وَقَدْ نَزَلَ أَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. |
| وَقَالَ أَصْحَابُ ابْنِ كَامِلٍ مَا نَدْرِي مَا فَعَلَ ابْنُ كَامِلٍ. |
| فَأَقْبَلَ بِهِمُ الْمُخْتَارُ نَحْوَ الْقَوْمِ حَتَّى بَلَغَ دَارَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ ، فَوَقَفَ ، ثُمَّ أَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قُرَادٍ الْخَثْعَمِيَّ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى ابْنِ كَامِلٍ وَقَالَ لَهُ إِنْ كَانَ قَدْ هَلَكَ فَأَنْتَ مَكَانَهُ وَقَاتِلِ الْقَوْمَ ، وَإِنْ كَانَ حَيًّا فَاتْرُكْ عِنْدَهُ ثَلَاثَمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَامْضِ فِي مِائَةٍ حَتَّى تَأْتِيَ جَبَّانَةَ السَّبِيعِ ، فَتَأْتِيَ أَهْلَهَا مِنْ نَاحِيَةِ حَمَّامِ قَطَنٍ. |
| فَمَضَى فَوَجَدَ ابْنَ كَامِلٍ يُقَاتِلُهُمْ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ صَبَرُوا مَعَهُ ، فَتَرَكَ عِنْدَهُ ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ ، وَسَارَ فِي مِائَةٍ حَتَّى أَتَى مَسْجِدَ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَظْهَرَ الْمُخْتَارُ ، وَأَكْرَهُ أَنْ تَهْلِكَ أَشْرَافُ عَشِيرَتِي الْيَوْمَ ، وَوَاللَّهِ لَأَنْ أَمُوتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَهْلِكُوا عَلَى يَدَيَّ ، وَلَكِنْ قِفُوا ، فَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ شِبَامًا يَأْتُونَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَلَعَلَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَنُعَافَى نَحْنُ مِنْهُ. |
| فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَبَاتَ عِنْدَ مَسْجِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ. |
| وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ مَالِكَ بْنَ عَمْرٍو النَّهْدِيَّ ، وَكَانَ شُجَاعًا ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَرِيكٍ النَّهْدِيَّ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى أَحْمَرَ بْنِ شُمَيْطٍ ، فَانْتَهَوْا إِلَيْهِ وَقَدْ عَلَاهُ الْقَوْمُ وَكَثُرُوهُ ، فَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ. |
| وَأَمَّا ابْنُ الْأَشْتَرِ ، فَإِنَّهُ مَضَى إِلَى مُضَرَ فَلَقِيَ شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ وَمَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَيْحَكُمُ انْصَرِفُوا ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ يُصَابَ مِنْ مُضَرَ عَلَى يَدَيَّ. |
| فَأَبَوْا وَقَاتَلُوهُ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَجُرِحَ حَسَّانُ بْنُ فَائِدٍ الْعَبْسِيُّ ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ فَمَاتَ ، فَكَانَ مَعَ شَبَثٍ ، وَجَاءَتِ الْبِشَارَةُ إِلَى الْمُخْتَارِ بِهَزِيمَةِ مُضَرَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَحْمَرَ بْنِ شُمَيْطٍ وَابْنِ كَامِلٍ يُبَشِّرُهُمَا ، فَاشْتَدَّ أَمْرُهُمَا. |
| فَاجْتَمَعَ شِبَامٌ ، وَقَدْ رَأَّسُوا عَلَيْهِمْ أَبَا الْقَلُوصِ ، لِيَأْتُوا أَهْلَ الْيَمَنِ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَوْ جَعَلْتُمْ جِدَّكُمْ عَلَى مُضَرَ وَرَبِيعَةَ لَكَانَ أَصْوَبَ ، وَأَبُو الْقَلُوصِ سَاكِتٌ ، فَقَالُوا مَا تَقُولُ ؟ |
| فَقَالَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ التوبة . |
| فَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى جَبَّانَةِ السَّبِيعِ لَقِيَهُمْ عَلَى فَمِ السِّكَّةِ الْأَعْسَرُ الشَّاكِرِيُّ ، فَقَتَلُوهُ وَنَادُوا فِي الْجَبَّانَةِ ، وَقَدْ دَخَلُوهَا يَا لِثَارَاتِ الْحُسَيْنِ! |
| فَسَمِعَهَا يَزِيدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ ذِي مُرَّانَ الْهَمْدَانِيُّ فَقَالَ يَا لِثَارَاتِ عُثْمَانَ! |
| فَقَالَ لَهُمْ رِفَاعَةُ بْنُ شَدَّادٍ مَا لَنَا وَلِعُثْمَانَ! |
| لَا أُقَاتِلُ مَعَ قَوْمٍ يَبْغُونَ دَمَ عُثْمَانَ. |
| فَقَالَ لَهُ نَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ جِئْتَ بِنَا وَأَطَعْنَاكَ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْنَا قَوْمَنَا تَأْخُذُهُمُ السُّيُوفُ قُلْتَ انْصَرِفُوا وَدَعُوهُمْ! |
| فَعَطَفَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ ، شِعْرٌ أَنَا ابْنُ شَدَّادٍ عَلَى دِينِ عَلِي... |
| لَسْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ أَرْوَى بِوَلِي لَأَصْلِيَنَّ الْيَوْمَ فِيمَنْ يَصْطَلِي... |
| بِحَرِّ نَارِ الْحَرْبِ غَيْرُ مُؤْتَلِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. |
| وَكَانَ رِفَاعَةُ مَعَ الْمُخْتَارِ ، فَلَمَّا رَأَى كَذِبَهُ أَرَادَ قَتْلَهُ غِيلَةً ، قَالَ فَمَنَعَنِي قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنِ ائْتَمَنَهُ رَجُلٌ عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ ». |
| فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْيَوْمُ قَاتَلَ مَعَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا سَمِعَ يَزِيدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ يَا لِثَارَاتِ عُثْمَانَ عَادَ عَنْهُمْ ، فَقَاتَلَ مَعَ الْمُخْتَارِ حَتَّى قُتِلَ ، وَقُتِلَ يَزِيدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ ذِي مُرَّانَ ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ صَهْبَانَ الْجَرْمِيُّ ، وَكَانَ نَاسِكًا ، وَقُتِلَ الْفُرَاتُ بْنُ زَحْرِ بْنِ قَيْسٍ ، وَجُرِحَ أَبُوهُ زَحْرٌ ، وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ ، وَقُتِلَ عُمَرُ بْنُ مِخْنَفٍ ، وَقَاتَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مِخْنَفٍ حَتَّى جُرِحَ ، وَحَمَلَتْهُ الرِّجَالُ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَمَا يَشْعُرُ ، وَقَاتَلَ حَوْلَهُ رِجَالٌ مِنَ الْأَزْدِ ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ الْيَمَنِ هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَأَخَذَ مِنْ دُورِ الْوَادِعِيِّينَ خَمْسَمِائَةِ أَسِيرٍ ، فَأَتَى بِهِمُ الْمُخْتَارَ مُكَتَّفِينَ ، فَأَمَرَ الْمُخْتَارُ بِإِحْضَارِهِمْ وَعَرْضِهِمْ عَلَيْهِ ، وَقَالَ انْظُرُوا مَنْ شَهِدَ مِنْهُمْ قَتْلَ الْحُسَيْنِ فَأَعْلِمُونِي. |
| فَقَتَلَ كُلَّ مَنْ شَهِدَ قَتْلَ الْحُسَيْنِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مِائَتَيْنِ وَثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ قَتِيلًا ، وَأَخَذَ أَصْحَابُهُ يَقْتُلُونَ كُلَّ مَنْ كَانَ يُؤْذِيهِمْ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ الْمُخْتَارُ بِذَلِكَ أَمَرَ بِإِطْلَاقِ كُلِّ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْأُسَارَى ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يُجَامِعُوا عَلَيْهِ عَدُوًّا ، وَلَا يَبْغُوهُ وَأَصْحَابَهُ غَائِلَةً ، وَنَادَى مُنَادِي الْمُخْتَارِ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، إِلَّا مَنْ شَرِكَ فِي دِمَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيُّ مِمَّنْ شَهِدَ قَتْلَ الْحُسَيْنِ ، فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَأَخَذَ طَرِيقَ وَاقِصَةَ ، فَلَمْ يُرَ لَهُ خَبَرٌ حَتَّى السَّاعَةِ ، وَقِيلَ أَدْرَكَهُ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ وَقَدْ سَقَطَ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ ، فَذَبَحُوهُ وَأَخَذُوا رَأْسَهُ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ فُرَاتُ بْنُ زَحْرِ بْنِ قَيْسٍ أَرْسَلَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ خَلِيفَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُعْفِيَّةُ ، وَكَانَتِ امْرَأَةَ الْحُسَيْنِ ، إِلَى الْمُخْتَارِ تَسْأَلُهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهَا فِي دَفْنِهِ ، فَفَعَلَ ، فَدَفَنَتْهُ. |
| وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ غُلَامًا لَهُ يُدْعَى زُرْبَى فِي طَلَبِ شَمِرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ قَالَ شَمِرٌ لِأَصْحَابِهِ تَبَاعَدُوا عَنِّي ، لَعَلِّي يَطْمَعُ فِيَّ ، فَتَبَاعَدُوا عَنْهُ ، فَطَمِعَ زُرْبَى عَنْ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ شَمِرٌ فَقَتَلَهُ ، وَسَارَ شَمِرٌ حَتَّى نَزَلَ مَسَاءً سَاتِيدَمَا ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ مِنْهُ قَرْيَةً يُقَالُ لَهَا الْكِلْتَانِيَّةُ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ إِلَى جَانِبِ تَلٍّ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ ، فَأَخَذَ مِنْهَا عِلْجًا فَضَرَبَهُ وَقَالَ امْضِ بِكِتَابِي هَذَا إِلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ. |
| فَمَضَى الْعِلْجُ حَتَّى دَخَلَ قَرْيَةً فِيهَا أَبُو عَمْرَةَ صَاحِبُ الْمُخْتَارِ ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَهُ الْمُخْتَارُ إِلَى تِلْكَ الْقَرْيَةِ لِيَكُونَ مَسْلَحَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَلَقِيَ ذَلِكَ الْعِلْجُ عِلْجًا آخَرَ مِنْ تِلْكَ الْقَرْيَةِ ، فَشَكَا إِلَيْهِ مَا لَقِيَ مَنْ شَمِرٍ ، فَبَيْنَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَمْرَةَ اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْكَنُودِ ، فَرَأَى الْكِتَابَ وَعُنْوَانُهُ لِمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ مِنْ شَمِرٍ ، فَقَالُوا لِلْعِلْجِ أَيْنَ هُوَ ؟ |
| فَأَخْبَرَهُمْ ، فَإِذَا لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ ، قَالَ فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ إِلَيْهِ. |
| وَكَانَ قَدْ قَالَ لِشَمِرٍ أَصْحَابُهُ لَوِ ارْتَحَلْتَ بِنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، فَإِنَّا نَتَخَوَّفُ بِهَا ، فَقَالَ أَوَكُلُّ هَذَا فَزَعًا مِنَ الْكَذَّابِ ؟! |
| وَاللَّهِ لَا أَتَحَوَّلُ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، مَلَأَ اللَّهُ قُلُوبَكُمْ رُعْبًا. |
| فَإِنَّهُمْ لَنِيَامٌ إِذْ سُمِعَ وَقْعُ الْحَوَافِرِ ، فَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ هَذَا صَوْتُ الدِّبَا. |
| ثُمَّ اشْتَدَّ ، فَذَهَبَ أَصْحَابُهُ لِيَقُومُوا فَإِذَا بِالْخَيْلِ قَدْ أَشْرَفَتْ مِنَ التَّلِّ ، فَكَبَّرُوا وَأَحَاطُوا بِالْأَبْيَاتِ ، فَوَلَّى أَصْحَابُهُ هَارِبِينَ وَتَرَكُوا خُيُولَهُمْ ، وَقَامَ شَمِرٌ وَقَدِ اتَّزَرَ بِبُرْدٍ ، وَكَانَ أَبْرَصَ ، فَظَهَرَ بَيَاضُ بَرَصِهِ مِنْ فَوْقِ الْبُرْدِ وَهُوَ يُطَاعِنُهُمْ بِالرُّمْحِ ، وَقَدْ عَجَّلُوهُ عَنْ لُبْسِ ثِيَابِهِ وَسِلَاحِهِ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ قَدْ فَارَقُوهُ ، فَلَمَّا أَبْعَدُوا عَنْهُ سَمِعُوا التَّكْبِيرَ وَقَائِلًا يَقُولُ قُتِلَ الْخَبِيثُ ، قَتَلَهُ ابْنُ أَبِي الْكَنُودِ. |
| وَهُوَ الَّذِي رَأَى الْكِتَابَ مَعَ الْعِلْجِ ، وَأُلْقِيَتْ جُثَّتُهُ لِلْكِلَابِ ، قَالَ وَسَمِعْتُهُ بَعْدَ أَنْ قَاتَلَنَا بِالرُّمْحِ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ وَأَخَذَ السَّيْفَ ، فَقَاتَلَنَا بِهِ وَهُوَ يَرْتَجِزُ ، شِعْرٌ نَبَّهْتُمُ لَيْثَ عَرِينٍ بَاسِلًا... |
| جَهْمًا مُحَيَّاهُ يَدُقُّ الْكَاهِلَا لَمْ يُرَ يَوْمًا عَنْ عَدُوٍّ نَاكِلًا... |
| إِلَّا كَذَا مُقَاتِلًا أَوْ قَاتِلَا يُبْرِحُهُمْ ضَرْبًا وَيُرْوِي الْعَامِلَا وَأَقْبَلَ الْمُخْتَارُ إِلَى الْقَصْرِ مِنْ جَبَّانَةِ السَّبِيعِ وَمَعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مِرْدَاسٍ الْبَارِقِيُّ أَسِيرًا فَنَادَاهُ ، شِعْرٌ امْنُنْ عَلَيَّ الْيَوْمَ يَا خَيْرَ مَعَدْ وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشِحْرٍ وَالْجَنَدْ وَخَيْرَ مَنْ لَبَّى وَحَيَّا وَسَجَدْ فَأَرْسَلَهُ الْمُخْتَارُ إِلَى السِّجْنِ ثُمَّ أَحْضَرَهُ مِنَ الْغَدِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ ، شِعْرٌ أَلَا أَبْلِغْ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَّا... |
| نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا خَرَجْنَا لَا نَرَى الضُّعَفَاءَ شَيْئًا... |
| وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطَرًا وَحَيْنَا لَقِينَا مِنْهُمُ ضَرْبًا طِلَحْفًا... |
| وَطَعْنًا صَائِبًا حَتَّى انْثَنَيْنَا نُصِرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ كُلَّ يَوْمٍ... |
| بِكُلِّ كَتِيبَةٍ تَنْعَى حُسَيْنَا كَنَصْرِ مُحَمَّدٍ فِي يَوْمِ بَدْرٍ... |
| وَيَوْمِ الشِّعْبِ إِذْ لَاقَى حُنَيْنَا فَأَسْجِحْ إِذْ مَلَكْتَ فَلَوْ مَلَكْنَا... |
| لَجُرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَاعْتَدَيْنَا تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنِّي فَإِنِّي... |
| سَأَشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ النَّقْدَ دَيْنَا قَالَ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمُخْتَارِ قَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَحَلِفُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تُقَاتِلُ مَعَكَ عَلَى الْخُيُولِ الْبُلْقِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. |
| فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ اصْعَدِ الْمِنْبَرَ فَأَعْلِمِ النَّاسَ. |
| فَصَعِدَ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ ثُمَّ نَزَلَ ، فَخَلَا بِهِ الْمُخْتَارُ فَقَالَ لَهُ إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تَرَ شَيْئًا ، وَإِنَّمَا أَرَدْتَ مَا قَدْ عَرَفْتُ أَنْ لَا أَقْتُلَكَ ، فَاذْهَبْ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ لَا تُفْسِدْ عَلَيَّ أَصْحَابِي. |
| فَخَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَنَزَلَ عِنْدَ مُصْعَبٍ وَقَالَ ، شِعْرٌ أَلَا أَبْلِغْ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّي... |
| رَأَيْتُ الْبُلْقَ دُهْمًا مُصْمَتَاتِ كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا... |
| عَلَيَّ قِتَالَكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ أُرِي عَيْنَيَّ مَا لَمْ تُبْصِرَاهُ... |
| كِلَانَا عَالِمٌ بِالتُّرَّهَاتِ وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ الْهَمْدَانِيُّ ، وَادَّعَى قَتْلَهُ سِعْرُ بْنُ أَبِي سِعْرٍ ، وَأَبُو الزُّبَيْرِ الشِّبَامِيُّ ، وَشِبَامٌ ، مِنْ هَمْدَانَ ، وَرَجُلٌ آخَرُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِأَبِي الزُّبَيْرِ الشِّبَامِيِّ أَتَقْتُلُ أَبِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ سَيِّدَ قَوْمِكَ ؟ |
| فَقَرَأَ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ المجادلة الْآيَةَ. |
| وَانْجَلَتِ الْوَقْعَةُ عَنْ سَبْعِمِائَةٍ وَثَمَانِينَ قَتِيلًا مِنْ قَوْمِهِ ، وَكَانَ أَكْثَرُ الْقَتْلِ ذَلِكَ الْيَوْمَ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ. |
| وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ لِسِتِّ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ. |
| وَخَرَجَ أَشْرَافُ النَّاسِ فَلَحِقُوا بِالْبَصْرَةِ ، وَتَجَرَّدَ الْمُخْتَارُ لِقَتَلَةِ الْحُسَيْنِ ، وَقَالَ مَا مِنْ دِينِنَا أَنْ نَتْرُكَ قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ أَحْيَاءً ، بِئْسَ نَاصِرُ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا إِذًا فِي الدُّنْيَا ، أَنَا إِذًا الْكَذَّابُ كَمَا سَمَّوْنِي ، وَإِنِّي أَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ فَسَمُّوهُمْ لِي ، ثُمَّ اتْبَعُوهُمْ حَتَّى تَقْتُلُوهُمْ ، فَإِنِّي لَا يَسُوغُ لِيَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ حَتَّى أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْهُمْ. |
| فَدُلَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُسَيْدٍ الْجُهَنِيِّ ، وَمَالِكِ بْنِ بَشِيرٍ الْبَدِّيِّ ، وَحَمَلِ بْنِ مَالِكٍ الْمُحَارِبِيِّ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْمُخْتَارُ فَأَحْضَرَهُمْ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ ، فَلَمَّا رَآهُمْ قَالَ يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ! |
| أَيْنَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ؟ |
| أَدُّوا إِلَيَّ الْحُسَيْنَ ، قَتَلْتُمْ مَنْ أُمِرْتُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ. |
| فَقَالُوا رَحِمَكَ اللَّهُ! |
| بُعِثْنَا كَارِهِينَ فَامْنُنْ عَلَيْنَا وَاسْتَبْقِنَا. |
| فَقَالَ لَهُمْ هَلَّا مَنَنْتُمْ عَلَى الْحُسَيْنِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ فَاسْتَبْقَيْتُمُوهُ وَسَقَيْتُمُوهُ ؟ |
| وَكَانَ الْبَدِّيُّ صَاحِبَ بُرْنُسِهِ ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَتُرِكَ يَضْطَرِبُ حَتَّى مَاتَ ، وَقَتَلَ الْآخَرِينَ ، وَأَمَرَ بِزِيَادِ بْنِ مَالِكٍ الضُّبَعِيِّ ، وَبِعِمْرَانَ بْنِ خَالِدٍ الْقُشَيْرِيِّ ، وَبِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي خِشْكَارَةَ الْبَجَلِيِّ ، وَبِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْخَوْلَانِيِّ ، فَأُحْضِرُوا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا رَآهُمْ قَالَ يَا قَتْلَةَ الصَّالِحِينَ ، وَقَتَلَةَ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، قَدْ أَقَادَ اللَّهُ مِنْكُمُ الْيَوْمَ ، لَقَدْ جَاءَكُمُ الْوَرْسُ فِي يَوْمِ نَحْسٍ. |
| وَكَانُوا نَهَبُوا مِنَ الْوَرْسِ الَّذِي كَانَ مَعَ الْحُسَيْنِ. |
| ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَقُتِلُوا. |
| وَأُحْضِرَ عِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَا صَلْخَتٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبِ بْنِ عَمْرٍو الْهَمْدَانِيُّ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ أَعْشَى هَمْدَانَ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، فَقُتِلُوا ، وَأُحْضِرَ عِنْدَهُ عُثْمَانُ بْنُ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ الدُّهْمَانِيُّ الْجُهَنِيُّ ، وَأَبُو أَسْمَاءَ بِشْرُ بْنُ شُمَيْطٍ الْقَانِصِيُّ ، وَكَانَا قَدِ اشْتَرَكَا فِي قَتْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَقِيلٍ وَفِي سَلْبِهِ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهَمَا ، وَأُحْرِقَا بِالنَّارِ. |
| ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَوَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ الْأَصْبَحِيِّ ، وَهُوَ صَاحِبُ رَأْسِ الْحُسَيْنِ ، فَاخْتَفَى فِي مَخْرَجِهِ ، فَدَخَلَ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ يُفَتِّشُونَ عَنْهُ ، فَخَرَجَتِ امْرَأَتُهُ ، وَاسْمُهَا الْعَيُوفُ بِنْتُ مَالِكٍ ، وَكَانَتْ تُعَادِيهِ مُنْذُ جَاءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَتْ لَهُمْ مَا تُرِيدُونَ ؟ |
| فَقَالُوا لَهَا أَيْنَ زَوْجُكِ ؟ |
| قَالَتْ لَا أَدْرِي ، وَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى الْمَخْرَجِ ، فَدَخَلُوا فَوَجَدُوهُ وَعَلَى رَأْسِهِ قَوْصَرَّةٌ ، فَأَخْرَجُوهُ وَقَتَلُوهُ إِلَى جَانِبِ أَهْلِهِ ، وَأَحْرَقُوهُ بِالنَّارِ. |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ شَهِدَ قَتْلَ الْحُسَيْنِ ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ لَأَقْتُلَنَّ غَدًا رَجُلًا عَظِيمَ الْقَدَمَيْنِ ، غَائِرَ الْعَيْنَيْنِ ، مُشْرِفَ الْحَاجِبَيْنِ ، يَسُرُّ قَتْلُهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ. |
| وَكَانَ عِنْدَهُ الْهَيْثَمُ بْنُ الْأَسْوَدِ النَّخَعِيُّ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ يَعْنِي عَمْرَو بْنَ سَعْدٍ ، فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَمْرٍو مَعَ ابْنِهِ الْعُرْيَانِ يُعَرِّفُهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا قَالَهُ لَهُ قَالَ جَزَى اللَّهُ أَبَاكَ خَيْرًا ، كَيْفَ يَقْتُلُنِي بَعْدَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ ؟ |
| وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ أَكْرَمَ النَّاسِ عَلَى الْمُخْتَارِ لِقَرَابَتِهِ بِعَلِيٍّ ، وَكَلَّمَهُ عَمْرُو بْنُ سَعْدٍ لِيَأْخُذَ لَهُ أَمَانًا مِنَ الْمُخْتَارِ ، فَفَعَلَ وَكَتَبَ لَهُ الْمُخْتَارُ أَمَانًا ، وَشَرَطَ فِيهِ أَنْ لَا يُحْدِثَ ، وَعَنَى بِالْحَدَثِ دُخُولَ الْخَلَاءِ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَمْرَو بْنَ سَعْدٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ بَعْدَ عَوْدِ الْعُرْيَانِ عَنْهُ ، فَأَتَى حَمَّامَهُ ، فَأَخْبَرَ مَوْلًى لَهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ وَبِأَمَانِهِ. |
| فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ وَأَيُّ حَدَثٍ أَعْظَمُ مِمَّا صَنَعْتَ ؟ |
| تَرَكْتَ أَهْلَكَ وَرَحْلَكَ وَأَتَيْتَ إِلَى هَاهُنَا ، ارْجِعْ وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْكَ سَبِيلًا. |
| فَرَجَعَ وَأَتَى الْمُخْتَارَ فَأَخْبَرَهُ بِانْطِلَاقِهِ ، فَقَالَ كَلَّا ، إِنَّ فِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةً سَتَرُدَّهُ. |
| وَأَصْبَحَ الْمُخْتَارُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا عَمْرَةَ فَأَتَاهُ وَقَالَ أَجِبِ الْأَمِيرَ. |
| فَقَامَ عَمْرٌو فَعَثَرَ فِي جُبَّةٍ لَهُ ، فَضَرَبَهُ أَبُو عَمْرَةَ بِسَيْفِهِ فَقَتَلَهُ ، وَأَخَذَ رَأْسَهُ فَأَحْضَرَهُ عِنْدَ الْمُخْتَارِ. |
| فَقَالَ الْمُخْتَارُ لِابْنِهِ حَفْصِ بْنِ عَمْرٍو وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَهُ أَتَعْرِفُ مَنْ هَذَا. |
| قَالَ نَعَمْ ، وَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ! |
| فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ، وَقَالَ الْمُخْتَارُ هَذَا بِحُسَيْنٍ ، وَهَذَا بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَلَا سَوَاءَ ، وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُ بِهِ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ قُرَيْشٍ مَا وَفُّوا أُنْمُلَةً مِنْ أَنَامِلِهِ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِي تَهَيُّجِ الْمُخْتَارِ عَلَى قَتْلِهِ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ شَرَاحِيلَ الْأَنْصَارِيَّ أَتَى مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنَفِيَّةِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَجَرَى الْحَدِيثُ إِلَى أَنْ تَذَاكَرَا الْمُخْتَارَ ، فَقَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَنَا شِيعَةٌ ، وَقَتَلَةُ الْحُسَيْنِ عِنْدَهُ عَلَى الْكَرَاسِيِّ يُحَدِّثُونَهُ. |
| فَلَمَّا عَادَ يَزِيدُ أَخْبَرَ الْمُخْتَارَ بِذَلِكَ ، فَقَتَلَ عَمْرَو بْنَ سَعْدٍ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ وَرَأْسِ ابْنِهِ إِلَى ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ فِي طَلَبِ الْبَاقِينَ مِمَّنْ حَضَرَ قَتْلَ الْحُسَيْنِ. |
| قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَرِيكٍ أَدْرَكْتُ أَصْحَابَ الْأَرْدِيَةِ الْمُعَلَّمَةِ ، وَأَصْحَابَ الْبَرَانِسِ السُّودِ مِنْ أَصْحَابِ السَّوَارِي ، إِذَا مَرَّ بِهِمْ عَمْرُو بْنُ سَعْدٍ قَالُوا هَذَا قَاتِلُ الْحُسَيْنِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَهُ. |
| وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ قَالَ عَلِيٌّ لِعَمْرِو بْنِ سَعْدٍ كَيْفَ كُنْتَ إِذَا قُمْتَ مَقَامًا تُخَيَّرُ فِيهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَتَخْتَارُ النَّارَ ؟ |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ أَرْسَلَ إِلَى حَكِيمِ بْنِ طُفَيْلٍ الطَّائِيِّ ، وَكَانَ أَصَابَ سَلْبَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ وَرَمَى الْحُسَيْنَ بِسَهْمٍ ، وَكَانَ يَقُولُ تَعَلَّقَ سَهْمِي بِسِرْبَالِهِ وَمَا ضَرَّهُ. |
| فَأَتَاهُ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ فَأَخَذُوهُ ، وَذَهَبَ أَهْلُهُ فَشَفَعُوا بِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، فَكَلَّمَهُمْ عَدِيٌّ فِيهِ ، فَقَالُوا ذَلِكَ إِلَى الْمُخْتَارِ. |
| فَمَضَى عَدِيٌّ إِلَى الْمُخْتَارِ لِيَشْفَعَ فِيهِ ، وَكَانَ الْمُخْتَارُ قَدْ شَفَّعَهُ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ أَصَابَهُمْ يَوْمَ جَبَّانَةِ السَّبِيعِ ، فَقَالَتِ الشِّيعَةُ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُشَفِّعَهُ الْمُخْتَارُ فِيهِ ، فَقَتَلُوهُ رَمْيًا بِالسِّهَامِ كَمَا رَمَى الْحُسَيْنَ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ الْقُنْفُذُ ، وَدَخَلَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ عَلَى الْمُخْتَارِ ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ ، فَشَفَعَ فِيهِ عَدِيٌّ ، فَقَالَ الْمُخْتَارَ أَتَسْتَحِلُّ أَنْ تَطْلُبَ فِي قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ ؟ |
| فَقَالَ عَدِيٌّ إِنَّهُ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ. |
| قَالَ إِذًا نَدَعُهُ لَكَ. |
| فَدَخَلَ ابْنُ كَامِلٍ فَأَخْبَرَ الْمُخْتَارَ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ مَا أَعْجَلَكُمْ إِلَى ذَلِكَ ؟ |
| أَلَا أَحْضَرْتُمُوهُ عِنْدِي ؟ |
| وَكَانَ قَدْ سَرَّهُ قَتْلُهُ. |
| فَقَالَ ابْنُ كَامِلٍ غَلَبَتْنِي عَلَيْهِ الشِّيعَةُ. |
| فَقَالَ عَدِيٌّ لِابْنِ كَامِلٍ كَذَبْتَ ، وَلَكِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ سَيُشَفِّعُنِي فَقَتَلْتَهُ. |
| فَسَبَّهُ ابْنُ كَامِلٍ ، فَنَهَاهُ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَلِكَ. |
| وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى قَاتِلِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَهُوَ مُرَّةُ بْنُ مُنْقِذٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَكَانَ شُجَاعًا ، فَأَحَاطُوا بِدَارِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَلَى فَرَسِهِ وَبِيَدِهِ رُمْحُهُ ، فَطَاعَنَهُمْ ، فَضَرَبَ عَلَى يَدِهِ وَهَرَبَ مِنْهُمْ فَنَجَا ، وَلَحِقَ بِمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَشُلَّتْ يَدُهُ بَعْدَ ذَلِكَ. |
| وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى زَيْدِ بْنِ رُقَادٍ الْجُنُبِيِّ ، كَانَ يَقُولُ لَقَدْ رَمَيْتُ فَتًى مِنْهُمْ بِسَهْمٍ وَكَفُّهُ عَلَى جَبْهَتِهِ يَتَّقِي النَّبْلَ ، فَأَثْبَتَ كَفَّهُ فِي جَبْهَتِهِ فَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُزِيلَ كَفَّهُ عَنْ جَبْهَتِهِ وَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَإِنَّهُ قَالَ حِينَ رَمَيْتُهُ اللَّهُمَّ إِنَّهُمُ اسْتَقَلُّونَا وَاسْتَذَلُّونَا ، فَاقْتُلْهُمْ كَمَا قَتَلُونَا. |
| ثُمَّ إِنَّهُ رَمَى الْغُلَامَ بِسَهْمٍ آخَرَ وَكَانَ يَقُولُ جِئْتُهُ وَهُوَ مَيِّتٌ ، فَنَزَعْتُ سَهْمِي الَّذِي قَتَلْتُهُ بِهِ مِنْ جَوْفِهِ ، فَلَمْ أَزَلْ أُنَضْنِضُهُ مِنْ جَبْهَتِهِ حَتَّى أَخَذْتُهُ وَبَقِيَ النَّصْلُ ، فَلَمَّا أَتَاهُ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ خَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ لَهُمُ ابْنُ كَامِلٍ لَا تَطْعَنُوهُ وَلَا تَضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ ، ارْمُوهُ بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ. |
| فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ ، فَسَقَطَ ، فَأَحْرَقُوهُ حَيًّا. |
| وَطَلَبَ الْمُخْتَارُ سِنَانَ بْنَ أَنَسٍ الَّذِي كَانَ يَدَّعِي قَتْلَ الْحُسَيْنِ ، فَرَآهُ قَدْ هَرَبَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَهَدَمَ دَارَهُ. |
| وَطَلَبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُقْبَةَ الْغَنَوِيَّ ، فَوَجَدَهُ قَدْ هَرَبَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، فَهَدَمَ دَارَهُ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ مِنْهُمْ غُلَامًا. |
| وَطَلَبَ آخَرَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ حَرْمَلَةُ بْنُ الْكَاهِنِ ، كَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مَنْ أَهْلِ الْحُسَيْنِ ، فَفَاتَهُ. |
| وَطَلَبَ أَيْضًا رَجُلًا مِنْ خَثْعَمٍ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ الْخَثْعَمِيُّ ، كَانَ يَقُولُ رَمَيْتُ فِيهِمْ بِاثْنَيْ عَشَرَ سَهْمًا. |
| فَفَاتَهُ وَلَحِقَ بِمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَهَدَمَ دَارَهُ. |
| وَطَلَبَ أَيْضًا عَمْرَو بْنَ الصُّبَيْحِ الصُّدَائِيَّ ، كَانَ يَقُولُ لَقَدْ طَعَنْتُ فِيهِمْ وَجَرَحْتُ ، وَمَا قَتَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. |
| فَأُتِيَ لَيْلًا فَأُخِذَ ، وَأُحْضِرَ عِنْدَ الْمُخْتَارِ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الرِّمَاحِ ، وَطُعِنَ بِهَا حَتَّى مَاتَ. |
| وَأَرْسَلَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَبِ ، وَهُوَ فِي قَرْيَةٍ لَهُ إِلَى جَنْبِ الْقَادِسِيَّةِ ، فَطَلَبُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، وَكَانَ قَدْ هَرَبَ إِلَى مُصْعَبٍ ، فَهَدَمَ الْمُخْتَارُ دَارَهُ ، وَبَنَى بِلَبِنِهَا وَطِينِهَا دَارَ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ الْكِنْدِيِّ ، كَانَ زِيَادٌ قَدْ هَدَمَهَا. |
| بَحِيرُ بْنُ رِيسَانَ بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ. |
| شِبَامٌ بِكَسْرِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ بَطْنٌ مِنْ هَمْدَانَ ، وَهَمْدَانُ بِسُكُونِ الْمِيمِ ، وَبِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ. |
| وَسِعْرٌ بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ. |
| وَأَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشُمَيْطٌ بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ. |
| وَشَبَثٌ بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ. |
| جَبَّانَةُ أُثِيرٍ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ ، وَبِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ ، وَبِالْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتُ ، وَبِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ. |
| عُتَيْبَةُ بْنُ النَّهَّاسِ بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَبِالتَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقُ ، ثُمَّ بِالْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتُ ، وَبِالْيَاءِ الْمُوَحَّدَةِ. |
| حَسَّانُ بْنُ فَائِدٍ بِالْفَاءِ . |
| ذِكْرُ بَيْعَةِ الْمُثَنَّى الْعَبْدِيِّ لِلْمُخْتَارِ بِالْبَصْرَةِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ دَعَا الْمُثَنَّى بْنُ مُخَرِّبَةَ الْعَبْدِيُّ بِالْبَصْرَةِ إِلَى رَبِيعَةَ الْمُخْتَارِ ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ عَيْنَ الْوَرْدَةِ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ ، ثُمَّ رَجَعَ فَبَايَعَ لِلْمُخْتَارِ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ يَدْعُو بِهَا إِلَيْهِ ، فَقَدِمَ الْبَصْرَةَ وَدَعَا بِهَا ، فَأَجَابَهُ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ ، ثُمَّ أَتَى مَدِينَةَ الرِّزْقِ فَعَسْكَرَ عِنْدَهَا ، وَجَمَعُوا الْمِيرَةَ بِالْمَدِينَةِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْقُبَاعُ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ ، وَدَعَا بِهَا عَبَّادَ بْنَ حُصَيْنٍ ، وَهُوَ عَلَى شُرْطَتِهِ ، وَقَيْسَ بْنَ الْهَيْثَمِ فِي الشُّرَطِ وَالْمُقَاتِلَةِ ، فَخَرَجُوا إِلَى السَّبْخَةِ ، وَلَزِمَ النَّاسُ بُيُوتَهُمْ فَلَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ ، وَأَقْبَلَ عَبَّادٌ فِيمَنْ مَعَهُ ، فَتَوَاقَفَ هُوَ وَالْمُثَنَّى ، فَسَارَ عَبَّادٌ نَحْوَ مَدِينَةِ الرِّزْقِ ، وَتَرَكَ قَيْسًا مَكَانَهُ. |
| فَلَمَّا أَتَى عَبَّادٌ مَدِينَةَ الرِّزْقِ أَصْعَدَ عَلَى سُورِهَا ثَلَاثِينَ رَجُلًا وَقَالَ لَهُمْ إِذَا سَمِعْتُمُ التَّكْبِيرَ فَكَبِّرُوا. |
| وَرَجَعَ عَبَّادٌ إِلَى قَيْسٍ ، وَأَنْشَبُوا الْقِتَالَ مَعَ الْمُثَنَّى ، وَسَمِعَ الرِّجَالُ الَّذِينَ فِي دَارِ الرِّزْقِ التَّكْبِيرَ فَكَبَّرُوا ، وَهَرَبَ مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ ، وَسَمِعَ الْمُثَنَّى التَّكْبِيرَ مِنْ وَرَائِهِمْ فَهَرَبَ فِيمَنْ مَعَهُ ، فَكَفَّ عَنْهُمْ قَيْسٌ وَعَبَّادٌ وَلَمْ يَتْبَعَاهُمْ. |
| وَأَتَى الْمُثَنَّى قَوْمَهُ عَبْدَ الْقَيْسِ ، فَأَرْسَلَ الْقُبَاعُ عَسْكَرًا إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ لِيَأْتُوهُ بِالْمُثَنَّى وَمَنْ مَعَهُ. |
| فَلَمَّا رَأَى زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو الْعَتَكِيُّ ذَلِكَ أَقْبَلَ إِلَى الْقُبَاعِ فَقَالَ لَهُ لَتَرُدَّنَّ خَيْلَكَ عَنْ إِخْوَانِنَا أَوْ لَنُقَاتِلَنَّهُمْ. |
| فَأَرْسَلَ الْقُبَاعُ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ ، وَعُمَرَ بْنَ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيَّ; لِيُصْلِحَا بَيْنَ النَّاسِ ، فَأَصْلَحَ الْأَحْنَفُ الْأَمْرَ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ الْمُثَنَّى وَأَصْحَابُهُ عَنْهُمْ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَخْرَجُوهُمْ عَنْهُمْ ، فَسَارَ الْمُثَنَّى إِلَى الْكُوفَةِ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. |
| مُخَرِّبَةُ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَكَسْرِهَا ، ثُمَّ بَاءٍ مَفْتُوحَةٍ . |
| ذِكْرُ مَكْرِ الْمُخْتَارِ بِابْنِ الزُّبَيْرِ فَلَمَّا أَخْرَجَ الْمُخْتَارُ عَامِلَ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَنِ الْكُوفَةِ ، وَهُوَ ابْنُ مُطِيعٍ ، سَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَأْتِيَ ابْنَ الزُّبَيْرِ مَهْزُومًا ، فَلَمَّا اسْتَجْمَعَ لِلْمُخْتَارِ أَمْرُ الْكُوفَةِ أَخَذَ يُخَادِعُ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَدْ عَرَفْتَ مُنَاصَحَتِي إِيَّاكَ ، وَجُهْدِي عَلَى أَهْلِ عَدَاوَتِكَ ، وَمَا كُنْتَ أَعْطَيْتَنِي إِذَا أَنَا فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَلَمَّا وَفَّيْتُ لَكَ لَمْ تَفِ بِمَا عَاهَدْتَنِي عَلَيْهِ ، فَإِنْ تُرِدْ مُرَاجَعَتِي وَمُنَاصَحَتِي فَعَلْتُ ، وَالسَّلَامُ. |
| وَكَانَ قَصْدُ الْمُخْتَارِ أَنْ يَكُفَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَنْهُ لِيَتِمَّ أَمْرُهُ ، وَالشِّيعَةُ لَا يَعْلَمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، فَأَرَادَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ أَسِلْمٌ هُوَ أَمْ حَرْبٌ ، فَدَعَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيَّ فَوَلَّاهُ الْكُوفَةَ وَقَالَ لَهُ إِنَّ الْمُخْتَارَ سَامِعٌ مُطِيعٌ. |
| فَتَجَهَّزَ بِمَا بَيْنَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ إِلَى أَرْبَعِينَ أَلْفًا وَسَارَ نَحْوَ الْكُوفَةِ. |
| وَأَتَى الْخَبَرُ إِلَى الْمُخْتَارِ بِذَلِكَ ، فَدَعَا الْمُخْتَارُ زَائِدَةَ بْنَ قُدَامَةَ ، وَأَعْطَاهُ سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَقَالَ لَهُ هَذَا ضِعْفُ مَا أَنْفَقَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي طَرِيقِهِ إِلَيْنَا. |
| وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ خَمْسَمِائَةِ فَارِسٍ وَيَسِيرَ حَتَّى يَلْقَاهُ بِالطَّرِيقِ ، وَيُعْطِيَهُ النَّفَقَةَ وَيَأْمُرَهُ بِالْعَوْدِ ، فَإِنْ فَعَلَ وَإِلَّا فَلْيُرِهِ الْخَيْلَ. |
| فَأَخَذَ زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ الْمَالَ وَسَارَ حَتَّى لَقِيَ عُمَرَ ، فَأَعْطَاهُ الْمَالَ وَأَمَرَهُ بِالِانْصِرَافِ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَلَّانِي الْكُوفَةَ ، وَلَا بُدَّ مِنْ إِتْيَانِهَا. |
| فَدَعَا زَائِدَةُ الْخَيْلَ ، وَكَانَ قَدْ كَمَّنَهَا ، فَلَمَّا رَآهَا قَدْ أَقْبَلَتْ أَخَذَ الْمَالَ وَسَارَ نَحْوَ الْبَصْرَةِ ، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَابْنُ مُطِيعٍ فِي إِمَارَةِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَذَلِكَ قَبْلَ وُثُوبِ الْمُثَنَّى بْنِ مُخَرِّبَةَ الْعَبْدِيِّ بِالْبَصْرَةِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْمُخْتَارَ كَتَبَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ إِنِّي اتَّخَذْتُ الْكُوفَةَ دَارًا ، فَإِنْ سَوَّغْتَنِي ذَلِكَ وَأَمَرْتَ لِي بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ سِرْتُ إِلَى الشَّامِ ، فَكَفَيْتُكَ ابْنَ مَرْوَانَ. |
| فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى مَتَى أُمَاكِرُ كَذَّابَ ثَقِيفٍ وَيُمَاكِرُنِي ؟ |
| ثُمَّ تَمَثَّلَ ، شِعْرٌ عَارِي الْجَوَاعِرِ مَنْ ثَمُودٌ أَصْلُهُ عَبْدٌ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مَنْ يَقْدُمُ وَكَتَبَ إِلَيْهِ وَاللَّهِ وَلَا دِرْهَمٌ وَلَا أَمْتَرِي عَبْدَ الْهَوَانِ بِبَدْرَتِي وَإِنِّي لَآتِي الْحَتْفَ مَا دُمْتُ أَسْمَعُ ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ إِلَى وَادِي الْقُرَى ، وَكَانَ الْمُخْتَارُ قَدْ وَادَعَ الزُّبَيْرَ لِيَكُفَّ عَنْهُ لِيَتَفَرَّغَ لِأَهْلِ الشَّامِ. |
| فَكَتَبَ الْمُخْتَارُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ مَرْوَانَ قَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ جَيْشًا ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَمْدَدْتُكَ بِمَدَدٍ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِنْ كُنْتَ عَلَى طَاعَتِي فَبَايِعْ لِيَ النَّاسَ قِبَلَكَ ، وَعَجِّلْ إِنْقَاذَ الْجَيْشِ ، وَمُرْهُمْ لِيَسِيرُوا إِلَى مَنْ بِوَادِي الْقُرَى مِنْ جُنْدِ ابْنِ مَرْوَانَ فَلْيُقَاتِلُوهُمْ ، وَالسَّلَامُ. |
| فَدَعَا الْمُخْتَارُ شُرَحْبِيلَ بْنَ وَرْسٍ الْهَمْدَانِيَّ ، فَسَيَّرَهُ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْمَوَالِي ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا سَبْعُمِائَةِ رَجُلٍ ، وَقَالَ سِرْ حَتَّى تَدْخُلَ الْمَدِينَةَ ، فَإِذَا دَخَلْتَهَا فَاكْتُبْ إِلَيَّ بِذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي. |
| وَهُوَ يُرِيدُ إِذَا دَخَلُوا الْمَدِينَةَ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْهِمْ أَمِيرًا ، ثُمَّ يَأْمُرَ ابْنَ وَرْسٍ بِمُحَاصَرَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ. |
| وَخَشِيَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَنْ يَكُونَ الْمُخْتَارُ إِنَّمَا يَكِيدُهُ ، فَبَعَثَ مِنْ مَكَّةَ عَبَّاسَ بْنَ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فِي أَلْفَيْنِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَنْفِرَ الْأَعْرَابَ ، وَقَالَ لَهُ إِنْ رَأَيْتَ الْقَوْمَ عَلَى طَاعَتِي ، وَإِلَّا فَكَايِدْهُمْ حَتَّى تُهْلِكَهُمْ. |
| فَأَقْبَلَ عَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ حَتَّى لَقِيَ ابْنَ وَرْسٍ بِالرَّقِيمِ وَقَدْ عَبَّأَ ابْنُ وَرْسٍ أَصْحَابَهُ ، وَأَتَى عَبَّاسٌ وَقَدْ تَقَطَّعَ أَصْحَابُهُ ، وَرَأَى ابْنَ وَرْسٍ عَلَى الْمَاءِ وَقَدْ عَبَّأَ أَصْحَابَهُ ، فَدَنَا مِنْهُمْ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ وَرْسٍ سِرًّا أَلَسْتُمْ عَلَى طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَ فَسِرْ بِنَا عَلَى عَدُوِّهِ الَّذِي بِوَادِي الْقُرَى. |
| فَقَالَ ابْنُ وَرْسٍ مَا أُمِرْتُ بِطَاعَتِكُمْ ، إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ آتِيَ الْمَدِينَةَ ، فَإِذَا أَتَيْتُهَا رَأَيْتُ رَأْيِي. |
| فَقَالَ لَهُ عَبَّاسٌ إِنْ كُنْتُمْ فِي طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُسَيِّرَكُمْ إِلَى وَادِي الْقُرَى. |
| فَقَالَ لَا أَتْبَعُكَ ، أَقْدُمُ الْمَدِينَةَ وَأَكْتُبُ إِلَى صَاحِبِي ، فَيَأْمُرُنِي بِأَمْرِهِ. |
| فَقَالَ عَبَّاسٌ رَأْيُكَ أَفْضَلُ. |
| وَفَطِنَ لِمَا يُرِيدُ وَقَالَ أَمَّا أَنَا فَسَائِرٌ إِلَى وَادِي الْقُرَى . |
| وَنَزَلَ عَبَّاسٌ وَبَعَثَ إِلَى ابْنِ وَرْسٍ بِجَزَائِرَ وَغَنَمٍ مُسَلَّخَةٍ ، وَكَانُوا قَدْ مَاتُوا جُوعًا ، فَذَبَحُوا وَاشْتَغَلُوا بِهَا وَاخْتَلَطُوا عَلَى الْمَاءِ ، وَجَمَعَ عَبَّاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوَ أَلْفِ رَجُلٍ مِنَ الشُّجْعَانِ وَأَقْبَلَ نَحْوَ فُسْطَاطِ ابْنِ وَرْسٍ ، فَلَمَّا رَآهُمْ نَادَى فِي أَصْحَابِهِ ، فَلَمْ يَجْتَمِعْ إِلَيْهِ مِائَةُ رَجُلٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ عَبَّاسٌ ، وَاقْتَتَلُوا يَسِيرًا ، فَقُتِلَ ابْنُ وَرْسٍ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ ، وَرَفَعَ عَبَّاسٌ رَايَةَ أَمَانٍ لِأَصْحَابِ ابْنِ وَرْسٍ ، فَأَتَوْهَا إِلَّا نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ حِمْيَرٍ الْهَمْدَانِيِّ وَعَبَّاسِ بْنِ جَعْدَةَ الْجَدَلِيِّ ، فَظَفِرَ ابْنُ سَهْلٍ مِنْهُمْ بِنَحْوٍ مِنْ مِائَتَيْنِ فَقَتَلَهُمْ ، وَأَفْلَتَ الْبَاقُونَ فَرَجَعُوا ، فَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ فِي الطَّرِيقِ. |
| وَكَتَبَ الْمُخْتَارُ بِخَبَرِهِمْ إِلَى ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ يَقُولُ إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ جَيْشًا لِيُذِلُّوا لَكَ الْأَعْدَاءَ ، وَيُحْرِزُوا الْبِلَادَ ، فَلَمَّا قَارَبُوا طَيْبَةَ فُعِلَ بِهِمْ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ أَبْعَثَ إِلَى الْمَدِينَةِ جَيْشًا كَثِيفًا ، وَتَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ قِبَلِكَ رَجُلًا حَتَّى يَعْلَمُوا أَنِّي فِي طَاعَتِكَ فَافْعَلْ ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُهُمْ بِحَقِّكُمْ أَعَرَفَ ، وَبِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ أَرْأَفَ مِنْهُمْ بِآلِ الزُّبَيْرِ ، وَالسَّلَامُ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ ، وَعَرَفْتُ تَعْظِيمَكَ لِحَقِّي وَمَا تَنْوِيهِ مِنْ سُرُورِي ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيَّ مَا أُطِيعَ اللَّهُ فِيهِ ، فَأَطِعِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَإِنِّي لَوْ أَرَدْتُ الْقِتَالَ لَوَجَدْتُ النَّاسَ إِلَيَّ سِرَاعًا ، وَالْأَعْوَانَ لِي كَثِيرًا ، وَلَكِنْ أَعْتَزِلُكُمْ وَأَصْبِرُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. |
| وَأَمَرَهُ بِالْكَفِّ عَنِ الدِّمَاءِ. |
| ذِكْرُ حَالِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَمَسِيرِ الْجَيْشِ مِنَ الْكُوفَةِ ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ دَعَا مُحَمَّدَ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَشِيعَتِهِ وَسَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، مِنْهُمْ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ ، لَهُ صُحْبَةٌ لِيُبَايِعُوهُ ، فَامْتَنَعُوا وَقَالُوا لَا نُبَايِعُ حَتَّى تَجْتَمِعَ الْأُمَّةُ. |
| فَأَكْثَرَ الْوَقِيعَةَ فِي ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَذَمَّهُ ، فَأَغْلَظَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَانِئٍ الْكِنْدِيُّ وَقَالَ لَئِنْ لَمْ يَضُرَّكَ إِلَّا تَرْكُنَا بَيْعَتَكَ لَا يَضُرُّكَ شَيْءٌ ، وَإِنَّ صَاحِبَنَا يَقُولُ لَوْ بَايَعَتْنِي الْأُمَّةُ كُلُّهَا غَيْرَ سَعْدٍ مَوْلَى مُعَاوِيَةَ مَا قَبِلْتُهُ. |
| وَإِنَّمَا عَرَّضَ بِذِكْرِ سَعْدٍ لِأَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، فَسَبَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَسَبَّ أَصْحَابَهُ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَخْبَرُوا ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ ، فَأَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ ، وَلَمْ يُلِحَّ عَلَيْهِمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ. |
| فَلَمَّا اسْتَوْلَى الْمُخْتَارُ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَصَارَتِ الشِّيعَةُ تَدْعُو لِابْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، خَافَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَنْ يَتَدَاعَى النَّاسُ إِلَى الرِّضَا بِهِ ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ فِي الْبَيْعَةِ لَهُ ، فَحَبَسَهُمْ بِزَمْزَمَ وَتَوَعَّدَهُمْ بِالْقَتْلِ وَالْإِحْرَاقِ وَإِعْطَاءِ اللَّهِ عَهْدًا إِنْ لَمْ يُبَايِعُوا أَنْ يُنَفِّذَ فِيهِمْ مَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ ، وَضَرَبَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ أَجَلًا. |
| فَأَشَارَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ عَلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَى الْمُخْتَارِ يُعْلِمُهُ حَالَهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُخْتَارِ بِذَلِكَ وَطَلَبَ مِنْهُ النَّجْدَةَ. |
| فَقَرَأَ الْمُخْتَارُ الْكِتَابَ عَلَى النَّاسِ وَقَالَ إِنَّ هَذَا مَهْدِيُّكُمْ وَصَرِيحُ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَقَدْ تَرَكُوا مَحْظُورًا عَلَيْهِمْ كَمَا يُحْظَرُ عَلَى الْغَنَمُ ، يَنْتَظِرُونَ الْقَتْلَ وَالتَّحْرِيقَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، لَسْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِنْ لَمْ أَنْصُرْهُمْ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، وَإِنْ لَمْ أُسَرِّبِ الْخَيْلَ فِي أَثَرِ الْخَيْلِ كَالسَّيْلِ يَتْلُوهُ السَّيْلُ ، حَتَّى يَحِلَّ بِابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ الْوَيْلُ! |
| يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّ خُوَيْلِدٍ أَبِي الْعَوَّامِ زُهْرَةَ بِنْتَ عَمْرٍو مِنْ بَنِي كَاهِلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ. |
| فَبَكَى النَّاسُ وَقَالُوا سَرِّحْنَا إِلَيْهِ وَعَجِّلْ. |
| فَوَجَّهَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيَّ فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ ، وَوَجَّهَ ظَبْيَانَ بْنَ عُمَارَةَ أَخَا بَنِي تَمِيمٍ وَمَعَهُ أَرْبَعُمِائَةٍ ، وَبَعَثَ مَعَهُ لِابْنِ الْحَنَفِيَّةِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَسَيَّرَ أَبَا الْمُعَمِّرِ فِي مِائَةٍ ، وَهَانِئَ بْنَ قَيْسٍ فِي مِائَةٍ ، وَعُمَيْرَ بْنَ طَارِقٍ فِي أَرْبَعِينَ ، وَيُونُسَ بْنَ عِمْرَانَ فِي أَرْبَعِينَ. |
| فَوَصَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ إِلَى ذَاتِ عِرْقٍ ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى أَتَاهُ عُمَيْرٌ وَيُونُسُ فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا ، فَبَلَغُوا مِائَةً وَخَمْسِينَ رَجُلًا ، فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى دَخَلُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَمَعَهُمُ الرَّايَاتُ ، وَهُمْ يُنَادُونَ يَا لِثَارَاتِ الْحُسَيْنِ! |
| حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى زَمْزَمَ ، وَقَدْ أَعَدَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحَطَبَ لِيَحْرِقَهُمْ ، وَكَانَ قَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ يَوْمَانِ ، فَكَسَرُوا الْبَابَ وَدَخَلُوا عَلَى ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ فَقَالُوا خَلِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ! |
| فَقَالَ لَهُمْ إِنِّي لَا أَسْتَحِلُّ الْقِتَالَ فِي الْحَرَامِ. |
| فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَاعْجَبًا لِهَذِهِ الْخَشَبِيَّةِ! |
| يَنْعُونَ الْحُسَيْنَ كَأَنِّي أَنَا قَتَلْتُهُ ، وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ عَلَى قَتَلَتِهِ لَقَتَلْتُهُمْ. |
| وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمْ خَشَبِيَّةٌ; لِأَنَّهُمْ دَخَلُوا مَكَّةَ وَبِأَيْدِيهِمُ الْخَشَبُ ، كَرَاهَةَ شَهْرِ السُّيُوفِ فِي الْحَرَمِ ، وَقِيلَ لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا الْحَطَبَ الَّذِي أَعَدَّهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ. |
| وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَتَحْسَبُونَ أَنِّي أُخَلِّي سَبِيلَهُمْ دُونَ أَنْ يُبَايِعَ وَيُبَايِعُوا ؟ |
| فَقَالَ الْجَدَلِيُّ إِي وَرَبِّ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، لَتُخَلِّيَنَّ سَبِيلَهُ أَوْ لَنُجَالِدَنَّكَ بِأَسْيَافِنَا جِلَادًا يَرْتَابُ مِنْهُ الْمُبْطِلُونَ! |
| فَكَفَّ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ أَصْحَابَهُ ، وَحَذَّرَهُمُ الْفِتْنَةَ. |
| ثُمَّ قَدِمَ بَاقِي الْجُنْدِ وَمَعَهُمُ الْمَالُ حَتَّى دَخَلُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَكَبَّرُوا وَقَالُوا يَا لِثَارَاتِ الْحُسَيْنِ! |
| فَخَافَهُمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، وَخَرَجَ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى شِعْبِ عَلِيٍّ وَهُمْ يَسُبُّونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَيَسْتَأْذِنُونَ مُحَمَّدًا فِيهِ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ. |
| فَاجْتَمَعَ مَعَ مُحَمَّدٍ فِي الشِّعْبِ أَرْبَعَةُ آلَافِ رَجُلٍ ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمُ الْمَالَ وَعَزُّوا وَامْتَنَعُوا. |
| فَلَمَّا قُتِلَ الْمُخْتَارُ تَضَعْضَعُوا وَاحْتَاجُوا. |
| ثُمَّ إِنَّ الْبِلَادَ اسْتَوْثَقَتْ لِابْنِ الزُّبَيْرِ بَعْدَ قَتْلِ الْمُخْتَارِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ ادْخُلْ فِي بَيْعَتِي وَإِلَّا نَابَذْتُكَ. |
| وَكَانَ رَسُولَهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ. |
| فَقَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ بُؤْسًا لِأَخِيكَ ، مَا أَلَجَّهُ فِيمَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَأَغْفَلَهُ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ! |
| وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ يُرِيدُ أَنْ يَثُورَ بِنَا ، وَقَدْ أَذِنْتُ لِمَنْ أَحَبَّ الِانْصِرَافَ عَنَّا ، فَإِنَّهُ لَا ذِمَامَ عَلَيْهِ مِنَّا وَلَا لَوْمَ ، فَإِنِّي مُقِيمٌ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ. |
| فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ وَغَيْرُهُ ، فَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُفَارِقِيهِ. |
| وَبَلَغَ خَبَرُهُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ أَنَّهُ إِنْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى الشَّامِ إِنْ أَرَادَ حَتَّى يَسْتَقِيمَ أَمْرُ النَّاسِ ، فَخَرَجَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الشَّامِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ كُثَيِّرُ عَزَّةَ وَهُوَ يَقُولُ ، شِعْرٌ هُدِيتَ يَا مَهْدِيَّنَا ابْنَ الْمُهْتَدِيِ... |
| أَنْتَ الَّذِي نَرْضَى بِهِ وَنَرْتَجِي أَنْتَ ابْنُ خَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِي... |
| أَنْتَ إِمَامُ الْحَقِّ لَسْنَا نَمْتَرِي يَا ابْنَ عَلِيٍّ سِرْ وَمَنْ مِثْلُ عَلِي فَلَمَّا وَصَلَ مَدْيَنَ بَلَغَهُ غَدْرُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، فَنَدِمَ عَلَى إِتْيَانِهِ وَخَافَهُ ، فَنَزَلَ أَيْلَةَ ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِفَضْلِ مُحَمَّدٍ وَكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ وَزُهْدِهِ وَحُسْنِ هَدْيِهِ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ نَدِمَ عَلَى إِذْنِهِ لَهُ فِي قُدُومِهِ بَلَدَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنَّهُ لَا يَكُونُ فِي سُلْطَانِي مَنْ لَمْ يُبَايِعْنِي. |
| فَارْتَحَلَ إِلَى مَكَّةَ وَنَزَلَ شِعْبَ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَأْمُرُهُ بِالرَّحِيلِ عَنْهُ ، وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَأْمُرُهُ أَنْ يُسَيِّرَ نِسَاءَ مَنْ مَعَ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، فَسَيَّرَ نِسَاءً ، مِنْهُنَّ امْرَأَةُ أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ ، فَجَاءَتْ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ الطُّفَيْلُ ، شِعْرٌ إِنْ يَكُ سَيَّرَهَا مُصْعَبُ... |
| فَإِنِّي إِلَى مُصْعَبٍ مُتْعَبُ أَقُودُ الْكَتِيبَةَ مُسْتَلْئِمًا... |
| كَأَنِّي أَخُو عِزَّةٍ أَحْرَبُ وَهِيَ عِدَّةُ أَبْيَاتٍ. |
| وَأَلَحَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ بِالِانْتِقَالِ إِلَى مَكَّةَ ، فَاسْتَأْذَنَهُ أَصْحَابُهُ فِي قِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَلْبِسِ ابْنَ الزُّبَيْرِ لِبَاسَ الذُّلِّ وَالْخَوْفِ ، وَسَلِّطْ عَلَيْهِ وَعَلَى أَشْيَاعِهِ مَنْ يَسُومُهُمُ الَّذِي يَسُومُ النَّاسَ. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى الطَّائِفِ ، فَدَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَغْلَظَ لَهُ ، فَجَرَى بَيْنَهُمَا كَلَامٌ كَرِهْنَا ذِكْرَهُ. |
| وَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا فَلَحِقَ بِالطَّائِفِ ، ثُمَّ تُوُفِّيَ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا ، وَبَقِيَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ حَتَّى حَصَرَ الْحَجَّاجُ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فَأَقْبَلَ مِنَ الطَّائِفِ فَنَزَلَ الشِّعْبَ ، فَطَلَبَهُ الْحَجَّاجُ لِيُبَايِعَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَامْتَنَعَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ كَتَبَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْأَمَانَ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يَأْمُرُهُ بِالْبَيْعَةِ ، فَأَبَى وَقَالَ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَإِذَا جَاءَنِي جَوَابُهُ بَايَعْتُ. |
| وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ يُوصِيهِ بِابْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، فَتَرَكَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ ، وَمَعَهُ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِأَمَانِهِ وَبَسْطِ حَقِّهِ وَتَعْظِيمِ أَهْلِهِ ، حَضَرَ عِنْدَ الْحَجَّاجِ ، وَبَايَعَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ الشَّامَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ لِلْحَجَّاجِ عَلَيْهِ سَبِيلًا ، فَأَزَالَ حُكْمَ الْحَجَّاجِ عَنْهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ الْحَنَفِيَّةِ أَنْ يُبَايِعَا ، فَقَالَا حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ ثُمَّ نُبَايِعُ ، فَإِنَّكَ فِي فِتْنَةٍ. |
| فَعَظُمَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا ، وَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ ، وَحَبَسَ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ فِي زَمْزَمَ ، وَضَيَّقَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فِي مَنْزِلِهِ ، وَأَرَادَ إِحْرَاقَهُمَا ، فَأَرْسَلَ الْمُخْتَارُ جَيْشًا ، كَمَا تَقَدَّمَ ، فَأَزَالَ عَنْهُمَا ضَرَرَ ابْنِ الزُّبَيْرِ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ الْمُخْتَارُ قَوِيَ عَلَيْهِمَا ابْنُ الزُّبَيْرِ وَقَالَ لَا تُجَاوِرَانِي ، فَخَرَجَا إِلَى الطَّائِفِ ، وَأَرْسَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ ابْنَهُ عَلِيًّا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِالشَّامِ وَقَالَ لَئِنْ يُرَبِّنِي بَنُو عَمِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُرَبِّنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ. |
| يَعْنِي بِبَنِي عَمِّهِ بَنِي أُمَيَّةَ; لِأَنَّهُمْ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَيَعْنِي بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فَإِنَّهُ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ. |
| وَلَمَّا وَصَلَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، سَأَلَهُ عَنِ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ ، فَقَالَ اسْمِي عَلِيٌّ ، وَالْكُنْيَةُ أَبُو الْحَسَنِ. |
| فَقَالَ لَا يَجْتَمِعُ هَذَا الِاسْمُ وَهَذِهِ الْكُنْيَةُ فِي عَسْكَرِيٍّ ، أَنْتَ أَبُو مُحَمَّدٍ. |
| وَلَمَّا وَصَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الطَّائِفِ تُوُفِّيَ بِهِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ. |
| ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِخُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ حِصَارُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ مَنْ كَانَ بِخُرَاسَانَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، بِسَبَبِ قَتْلِهِمُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَتْ بَنُو تَمِيمٍ بِخُرَاسَانَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، أَتَى قَصْرَ فَرْتَنَا عِدَّةٌ مِنْ فُرْسَانِهِمْ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ ، فَوَلُّوا أَمْرَهُمْ عُثْمَانَ بْنَ بِشْرِ بْنِ الْمُحْتَفِزِ الْمَازِنِيَّ ، وَمَعَهُ شُعْبَةُ بْنُ ظَهِيرٍ النَّهْشَلِيُّ ، وَوَرْدُ بْنُ الْفَلَقِ الْعَنْبَرِيُّ ، وَزُهَيْرُ بْنُ ذُؤَيْبٍ الْعَدَوِيُّ ، وَجَيْهَانُ بْنُ مَشْجَعَةَ الضَّبِّيُّ ، وَالْحَجَّاجُ بْنُ نَاشِبٍ الْعَدَوِيُّ ، وَرَقَبَةُ بْنُ الْحُرِّ ، فِي فُرْسَانٍ مِنْ تَمِيمٍ وَشُجْعَانِهِمْ ، فَحَاصَرَهُمُ ابْنُ خَازِمٍ ، فَكَانُوا يَخْرُجُونَ إِلَيْهِ فَيُقَاتِلُونَهُ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى الْقَصْرِ. |
| فَخَرَجَ ابْنُ خَازِمٍ يَوْمًا فِي سِتَّةِ آلَافٍ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْقَصْرِ ، فَقَالَ لَهُمْ عُثْمَانُ بْنُ بِشْرٍ ارْجِعُوا فَلَنْ تُطِيقُوهُ. |
| فَحَلَفَ زُهَيْرُ بْنُ ذُؤَيْبٍ بِالطَّلَاقِ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَنْقُضَ صُفُوفَهُمْ. |
| فَاسْتَبْطَنَ نَهْرًا قَدْ يَبِسَ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى حَمَلَ عَلَيْهِمْ ، فَحَطَّ أَوَّلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ ، وَاسْتَدَارَ وَكَرَّ رَاجِعًا ، وَاتَّبَعُوهُ يَصِيحُونَ بِهِ ، وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَنْزِلَ إِلَيْهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، فَأَفْرَجُوا لَهُ حَتَّى رَجَعَ. |
| فَقَالَ ابْنُ خَازِمٍ لِأَصْحَابِهِ إِذَا طَاعَنْتُمْ زُهَيْرًا فَاجْعَلُوا فِي رِمَاحِكُمْ كَلَالِيبَ ، ثُمَّ عَلِّقُوهَا فِي سِلَاحِهِ. |
| فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ يَوْمًا فَطَاعَنَهُمْ ، فَأَعْلَقُوا فِيهِ أَرْبَعَةَ أَرْمَاحٍ بِالْكَلَالِيبِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ لِيَحْمِلَ عَلَيْهِمْ ، فَاضْطَرَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَخَلُّوا رِمَاحَهُمْ ، فَعَادَ يَجُرُّ أَرْبَعَةَ أَرْمَاحٍ حَتَّى دَخَلَ الْقَصْرَ. |
| فَأَرْسَلَ ابْنُ خَازِمٍ إِلَى زُهَيْرٍ يَضْمَنُ لَهُ مِائَةَ أَلْفٍ وَمَيْسَانَ طُعْمَةً لِيُنَاصِحَهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ. |
| فَلَمَّا طَالَ الْحِصَارُ عَلَيْهِمْ أَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ خَازِمٍ لِيُمَكِّنَهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ لِيَتَفَرَّقُوا ، فَقَالَ لَا إِلَّا عَلَى حُكْمِي ، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ. |
| فَقَالَ زُهَيْرٌ ثَكِلَتْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ! |
| وَاللَّهِ لَيَقْتُلَنَّكُمْ عَنْ آخِرِكُمْ ، وَإِنْ طِبْتُمْ بِالْمَوْتِ نَفْسًا فَمُوتُوا كِرَامًا ، اخْرُجُوا بِنَا جَمِيعًا ، فَإِمَّا أَنْ تَمُوتُوا كِرَامًا ، وَإِمَّا يَنْجُو بَعْضُكُمْ وَيَهْلِكُ بَعْضُكُمْ ، وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ شَدَدْتُمْ عَلَيْهِمْ شَدَّةً صَادِقَةً لَيُفْرِجُنَّ لَكُمْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ كُنْتُ أَمَامَكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ كُنْتُ خَلْفَكُمْ. |
| فَأَبَوْا عَلَيْهِ. |
| فَقَالَ سَأُرِيكُمْ. |
| ثُمَّ خَرَجَ هُوَ وَرَقَبَةُ بْنُ الْحُرِّ وَغُلَامٌ تُرْكِيٌّ وَابْنُ ظَهِيرٍ ، فَحَمَلُوا عَلَى الْقَوْمِ حَمْلَةً مُنْكَرَةً ، فَأَفْرَجُوا لَهُمْ ، فَمَضَوْا ، فَأَمَّا زُهَيْرٌ فَرَجَعَ وَنَجَا أَصْحَابُهُ. |
| فَلَمَّا رَجَعَ زُهَيْرٌ إِلَى مَنْ بِالْقَصْرِ قَالَ قَدْ رَأَيْتُمْ ، أَطِيعُونِي. |
| قَالُوا إِنَّا نَضْعُفُ عَنْ هَذَا وَنَطْمَعُ فِي الْحَيَاةِ. |
| فَقَالَ لَا أَكُونُ أَعْجَزَكُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ. |
| فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ ابْنِ خَازِمٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَقَيَّدَهُمْ وَحُمِلُوا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا ، فَأَرَادَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ فَأَبَى عَلَيْهِ ابْنُهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُمْ قَتَلْتُ نَفْسِي ، فَقَتَلَهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةً أَحَدُهُمُ الْحَجَّاجُ بْنُ نَاشِبٍ ، فَشَفَعَ فِيهِ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ ، فَأَطْلَقَهُ ، وَالْآخَرُ جَيْهَانُ بْنُ مَشْجَعَةَ الضَّبِّيُّ الَّذِي أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ، وَالْآخَرُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ مِنْ تَمِيمٍ ، وَهُوَ الَّذِي رَدَّ النَّاسَ عَنِ ابْنِ خَازِمٍ يَوْمَ لَحِقُوهُ ، وَقَالَ انْصَرِفُوا عَنْ فَارِسِ مُضَرَ. |
| وَقَالَ وَلَمَّا أَرَادُوا حَمْلَ زُهَيْرِ بْنِ ذُؤَيْبٍ وَهُوَ مُقَيَّدٌ أَبَى ، وَاعْتَمَدَ عَلَى رُمْحِهِ فَوَثَبَ الْخَنْدَقَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ يَحْجِلُ فِي قُيُودِهِ ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ خَازِمٍ كَيْفَ شُكْرُكَ إِنْ أَطْلَقْتُكَ وَأَطْعَمْتُكَ مَيْسَانَ ؟ |
| قَالَ لَوْ لَمْ تَصْنَعْ بِي إِلَّا حَقْنَ دَمِي لَشَكَرْتُكَ. |
| فَلَمْ يُمَكِّنْهُ ابْنُهُ مُوسَى مِنْ إِطْلَاقِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ وَيْحَكَ نَقْتُلُ مِثْلَ زُهَيْرٍ! |
| مَنْ لِقِتَالِ عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ ؟ |
| مَنْ لِحِمَى نِسَاءِ الْعَرَبِ ؟ |
| فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ شَرَكْتَ فِي دَمِ أَخِي لَقَتَلْتُكَ! |
| فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ. |
| فَقَالَ زُهَيْرٌ إِنَّ لِي حَاجَةً ، لَا تَقْتُلْنِي وَيُخْلَطُ دَمِي بِدِمَاءِ هَؤُلَاءِ اللِّئَامِ ، فَقَدْ نَهَيْتُهُمْ عَمَّا صَنَعُوا ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَمُوتُوا كِرَامًا وَيَخْرُجُوا عَلَيْكُمْ مُصْلِتِينَ ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ فَعَلُوا لَأَذْعَرُوا بُنَيَّكَ هَذَا ، وَشَغَلُوهُ بِنَفْسِهِ عَنْ طَلَبِ ثَأْرِ أَخِيهِ ، فَأَبَوْا ، وَلَوْ فَعَلُوا مَا قُتِلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى يَقْتُلَ رِجَالًا. |
| فَأَمَرَ بِهِ ابْنُ خَازِمٍ فَقُتِلَ نَاحِيَةً. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْحَرِيشَ قَتْلُهُمْ قَالَ أَعَاذِلَ إِنِّي لَمْ أُلِمْ فِي قِتَالِهِمْ... |
| وَقَدْ عَضَّ سَيْفِي كَبْشَهُمْ ثُمَّ صَمَّمَا أَعَاذِلَ مَا وُلِّيتُ حَتَّى تَبَدَّدَتْ... |
| رِجَالٌ وَحَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَقَدِّمَا أَعَاذِلَ أَفْنَانِي السِّلَاحُ ، وَمَنْ يُطِلْ... |
| مُقَارَعَةَ الْأَبْطَالِ يَرْجِعْ مُكَلَّمَا أَعَيْنَيَّ إِنْ أَنَزَفْتُمَا الدَّمْعَ فَاسْكُبَا... |
| دَمًا لَازِمًا لِي دُونَ أَنْ تَسْكُبَا دَمَا أَبْعَدَ زُهَيْرٍ وَابْنِ بِشْرٍ تَتَابُعًا... |
| وَوَرْدٍ أُرَجِّي فِي خُرَاسَانَ مَغْنَمَا أَعَاذِلَ كَمْ مِنْ يَوْمِ حَرْبٍ شَهِدْتُهُ... |
| أَكُرُّ إِذَا مَا فَارِسُ السَّوْءِ أَحْجَمَا يَعْنِي زُهَيْرَ بْنَ ذُؤَيْبٍ ، وَابْنُ بِشْرٍ هُوَ عُثْمَانُ ، وَوَرْدَ بْنَ الْفَلَقِ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ ابْنِ الْأَشْتَرِ إِلَى قِتَالِ ابْنِ زِيَادٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَارَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ لِقِتَالِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، وَكَانَ مَسِيرُهُ بَعْدَ فَرَاغِ الْمُخْتَارِ مِنْ وَقْعَةِ السَّبِيعِ بِيَوْمَيْنِ ، وَأَخْرَجَ الْمُخْتَارُ مَعَهُ فُرْسَانَ أَصْحَابِهِ وَوُجُوهَهُمْ وَأَهْلَ الْبَصَائِرِ مِنْهُمْ مِمَّنْ لَهُ تَجْرِبَةٌ ، وَخَرَجَ مَعَهُ الْمُخْتَارُ يُشَيِّعُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ دَيْرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ لَقِيَهُ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ مَعَهُ الْكُرْسِيُّ يَحْمِلُونَهُ عَلَى بَغْلٍ أَشْهَبَ وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ لَهُ بِالنَّصْرِ وَيَسْتَنْصِرُونَهُ ، وَكَانَ سَادِنَ الْكُرْسِيِّ حَوْشَبٌ الْبَرْسَمِيُّ ، فَلَمَّا رَآهُمُ الْمُخْتَارُ قَالَ أَمَا وَرَبِّ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفَا... |
| لَنَقْتُلَنَّ بَعْدَ صَفٍّ صَفَّا وَبَعْدَ أَلْفٍ قَاسِطِينَ أَلْفَا ثُمَّ وَدَّعَهُ الْمُخْتَارُ وَقَالَ لَهُ خُذْ عَنِّي ثَلَاثًا خَفِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلَانِيَتِكَ ، وَعَجِّلِ السَّيْرَ ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ فَنَاجِزْهُمْ سَاعَةَ تَلْقَاهُمْ. |
| وَرَجَعَ الْمُخْتَارُ ، وَسَارَ إِبْرَاهِيمُ فَانْتَهَى إِلَى أَصْحَابِ الْكُرْسِيِّ ، وَهُمْ عُكُوفٌ عَلَيْهِ قَدْ رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَدْعُونَ اللَّهَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، هَذِهِ سُنَّةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِذْ عَكَفُوا عَلَى عِجْلِهِمْ ، ثُمَّ رَجَعُوا وَسَارَ إِلَى قَصْدِهِ. |
| ذِكْرُ حَالِ الْكُرْسِيِّ الَّذِي كَانَ الْمُخْتَارُ يَسْتَنْصِرُ بِهِ قَالَ الطُّفَيْلُ بْنُ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ أَضَقْنَا إِضَاقَةً شَدِيدَةً ، فَخَرَجْتُ يَوْمًا فَإِذَا جَارٌ لِي زَيَّاتٌ عِنْدَهُ كُرْسِيٌّ رَكِبَهُ الْوَسَخُ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَوْ قُلْتُ لِلْمُخْتَارِ فِي هَذَا شَيْئًا. |
| فَأَخَذْتُهُ مِنَ الزَّيَّاتِ وَغَسَلْتُهُ ، فَخَرَجَ عُودُ نُضَارٍ قَدْ شَرِبَ الدُّهْنَ وَهُوَ يَبِصٌ ، قَالَ فَقُلْتُ لِلْمُخْتَارِ إِنِّي كُنْتُ أَكْتُمُكَ شَيْئًا ، وَقَدْ بَدَا لِي أَنْ أَذْكُرَهُ لَكَ ، إِنَّ أَبِي جَعْدَةَ كَانَ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيٍّ عِنْدَنَا ، وَيَرْوِي أَنَّ فِيهِ أَثَرًا مِنْ عَلِيٍّ. |
| قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ! |
| أَخَّرْتَهُ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ ، ابْعَثْ بِهِ. |
| فَأَحْضَرْتُهُ عِنْدَهُ وَقَدْ غُشِّيَ ، فَأَمَرَ لِي بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، ثُمَّ دَعَا الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَقَالَ الْمُخْتَارُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ أَمْرٌ إِلَّا وَهُوَ كَائِنٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلُهُ ، وَإِنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ التَّابُوتُ ، وَإِنَّ هَذَا فِينَا مِثْلَ التَّابُوتِ. |
| فَكَشَفُوا عَنْهُ ، وَقَامَتِ السَّبَئِيَّةُ فَكَبَّرُوا. |
| ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ أَرْسَلَ الْمُخْتَارُ الْجُنْدَ لِقِتَالِ ابْنِ زِيَادٍ ، وَخَرَجَ بِالْكُرْسِيِّ عَلَى بَغْلٍ وَقَدْ غُشِّيَ ، فَقُتِلَ أَهْلُ الشَّامِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ فِتْنَةً ، فَارْتَفَعُوا حَتَّى تَعَاطَوُا الْكُفْرَ. |
| فَنَدِمْتُ عَلَى مَا صَنَعْتُ وَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ تَعِيبُهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْمُخْتَارَ قَالَ لِآلِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، وَكَانَتْ أُمُّ جَعْدَةَ أُمُّ هَانِئٍ أُخْتَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِأَبَوَيْهِ ايتُونِي بِكُرْسِيِّ عَلِيٍّ. |
| فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا هُوَ عِنْدَنَا. |
| فَقَالَ لَتَكُونُنَّ حَمْقَى ، اذْهَبُوا فَأْتُونِي بِهِ. |
| قَالَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يَأْتُونَهُ بِكُرْسِيٍّ إِلَّا قَالَ هَذَا هُوَ ، وَقَبِلَهُ مِنْهُمْ. |
| فَأَتَوْهُ بِكُرْسِيٍّ وَقَبَضَهُ مِنْهُمْ ، وَخَرَجَتْ شِبَامٌ وَشَاكِرٌ وَرُءُوسُ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ وَقَدْ جَعَلُوا عَلَيْهِ الْحَرِيرَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَدَنَهُ مُوسَى بنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، كَانَ يُلِمُّ بِالْمُخْتَارِ لِأَنَّ أُمَّهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، فَعَتَبَ النَّاسُ عَلَى مُوسَى ، فَتَرَكَهُ وَسَدَنَهُ حَوْشَبٌ الْبَرْسَمِيُّ حَتَّى هَلَكَ الْمُخْتَارُ ، وَقَالَ أَعْشَى هَمْدَانَ فِي ذَلِكَ ، شِعْرٌ شَهِدْتُ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ سَبَئِيَّةٌ... |
| وَإِنِّي بِكُمْ يَا شُرْطَةَ الشِّرْكِ عَارِفُ فَأُقْسِمُ مَا كُرْسِيُّكُمْ بِسَكِينَةٍ... |
| وَإِنْ كَانَ قَدْ لُفَّتْ عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ وَأَنْ لَيْسَ كَالتَّابُوتِ فِينَا وَإِنْ سَعَتْ... |
| شِبَامٌ حَوَالَيْهِ وَنَهْدٌ وَخَارِفُ وَإِنِّي امْرُؤٌ أَحْبَبْتُ آلَ مُحَمَّدٍ... |
| وَتَابَعْتُ وَحْيًا ضُمِّنَتْهُ الْمَصَاحِفُ وَبَايَعْتُ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا تَتَابَعَتْ... |
| عَلَيْهِ قُرَيْشٌ شُمْطُهَا وَالْغَطَارِفُ وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ اللَّيْثِيُّ أَبْلِغْ أَبَا إِسْحَاقَ إِنْ جِئْتَهُ... |
| أَنِّي بِكُرْسِيِّكُمْ كَافِرُ تَرَوْا شِبَامَ حَوْلَ أَعْوَادِهِ... |
| وَتَحْمِلُ الْوَحْيَ لَهُ شَاكِرُ مُحْمَرَّةً أَعْيُنُهُمْ حَوْلَهُ... |
| كَأَنَّهُنَّ الْحِمَّصُ الْحَادِرُ ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ. |
| وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَامِلًا لِأَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ لِابْنِ الزُّبَيْرِ أَيْضًا ، وَكَانَ بِالْكُوفَةِ الْمُخْتَارُ مُتَغَلِّبًا عَلَيْهَا ، وَبِخُرَاسَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَسْمَاءُ بْنُ حَارِثَةَ الْأَسْلَمِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ ، وَقِيلَ بَلْ مَاتَ بِالْبَصْرَةِ فِي إِمَارَةِ ابْنِ زِيَادٍ. |
| وَتُوُفِّيَ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَقِيلَ مَاتَ فِي إِمَارَةِ بِشْرِ بْنِ هَارُونَ. |
| وَتُوُفِّيَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ سَيِّدُ قَوْمِهِ. |
| حَارِثَةُ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ ذِكْرُ مَقْتَلِ ابْنِ زِيَادٍ وَلَمَّا سَارَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ مِنَ الْكُوفَةِ أَسْرَعَ السَّيْرَ لِيَلْقَوُا ابْنَ زِيَادٍ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ أَرْضَ الْعِرَاقِ ، وَكَانَ ابْنُ زِيَادٍ قَدْ سَارَ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ مِنَ الشَّامِ ، فَبَلَغَ الْمَوْصِلَ وَمَلَكَهَا ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا ، فَسَارَ إِبْرَاهِيمُ وَخَلَّفَ أَرْضَ الْعِرَاقِ وَأَوْغَلَ فِي أَرْضِ الْمَوْصِلِ ، وَجَعَلَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ الطُّفَيْلَ بْنَ لَقِيطٍ النَّخَعِيَّ ، وَكَانَ شُجَاعًا. |
| فَلَمَّا دَنَا ابْنُ زِيَادٍ عَبَّأَ أَصْحَابَهُ وَلَمْ يَسِرْ إِلَّا عَلَى تَعْبِيَةٍ وَاجْتِمَاعٍ ، إِلَّا أَنَّهُ يَبْعَثُ الطُّفَيْلَ عَلَى الطَّلَائِعِ حَتَّى يَبْلُغَ نَهْرَ الْخَازِرِ مِنْ بَلَدِ الْمَوْصِلِ ، فَنَزَلَ بِقَرْيَةِ بَارِشْيَا. |
| وَأَقْبَلَ ابْنُ زِيَادٍ إِلَيْهِ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنْهُمْ عَلَى شَاطِئِ الْخَازِرِ. |
| وَأَرْسَلَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ السُّلَمِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ زِيَادٍ ، إِلَى ابْنِ الْأَشْتَرِ أَنِ الْقَنِي ، وَكَانَتْ قَيْسٌ كُلُّهَا مُضْطَغِنَةً عَلَى ابْنِ مَرْوَانَ وَقْعَةَ مَرْجِ رَاهِطٍ ، وَجُنْدُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَوْمَئِذٍ كَلْبٌ. |
| فَاجْتَمَعَ عُمَيْرٌ وَابْنُ الْأَشْتَرِ ، فَأَخْبَرَهُ عُمَيْرٌ أَنَّهُ عَلَى مَيْسَرَةِ ابْنِ زِيَادٍ ، وَوَاعَدَهُ أَنْ يَنْهَزِمَ بِالنَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْأَشْتَرِ مَا رَأْيُكَ ؟ |
| أُخَنْدِقُ عَلَيَّ وَأَتَوَقَّفُ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ؟ |
| فَقَالَ عُمَيْرٌ لَا تَفْعَلْ ، وَهَلْ يُرِيدُونَ إِلَّا هَذَا ؟ |
| فَإِنَّ الْمُطَاوَلَةَ خَيْرٌ لَهُمْ ، وَهُمْ كَثِيرٌ أَضْعَافُكُمْ ، وَلَيْسَ يُطِيقُ الْقَلِيلُ الْكَثِيرَ فِي الْمُطَاوَلَةِ ، وَلَكِنْ نَاجِزِ الْقَوْمَ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ مُلِئُوا مِنْكُمْ رُعْبًا ، وَإِنْ هُمْ شَامُّوا أَصْحَابَكَ ، وَقَاتَلُوهُمْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، وَمَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ أَنِسُوا بِهِمْ وَاجْتَرَءُوا عَلَيْهِمْ. |
| وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ لِي مُنَاصِحٌ ، وَبِهَذَا أَوْصَانِي صَاحِبِي. |
| قَالَ عُمَيْرٌ أَطِعْهُ فَإِنَّ الشَّيْخَ قَدْ ضَرَّسَتْهُ الْحَرْبُ وَقَاسَى مِنْهَا مَا لَمْ يُقَاسِهِ أَحَدٌ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَنَاهِضْهُمْ. |
| وَعَادَ عُمَيْرٌ إِلَى أَصْحَابِهِ وَأَذْكَى ابْنُ الْأَشْتَرِ حَرَسَهُ ، وَلَمْ يَدْخُلْ عَيْنَهُ غَمْضٌ ، حَتَّى إِذَا كَانَ السَّحَرُ الْأَوَّلُ عَبَّأَ أَصْحَابَهُ ، وَكَتَّبَ كَتَائِبَهُ ، وَأَمَرَ أُمَرَاءَهُ ، فَجَعَلَ سُفْيَانَ بْنَ يَزِيدَ الْأَزْدِيَّ عَلَى مَيْمَنَتِهِ ، وَعَلِيَّ بْنَ مَالِكٍ الْجُشَمِيَّ عَلَى مَيْسَرَتِهِ ، وَهُوَ أَخُو الْأَحْوَصِ ، وَجَعَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ أَخُو إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ لِأُمِّهِ ، عَلَى الْخَيْلِ ، وَكَانَتْ خَيْلُهُ قَلِيلَةً ، وَجَعَلَ الطُّفَيْلَ بْنَ لَقِيطٍ عَلَى الرَّجَّالَةِ ، وَكَانَتْ رَايَتُهُ مَعَ مُزَاحِمِ بْنِ مَالِكٍ. |
| فَلَمَّا انْفَجَرَ الْفَجْرُ صَلَّى الصُّبْحَ بِغَلَسٍ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَفَّ أَصْحَابَهُ ، وَأَلْحَقَ كُلَّ أَمِيرٍ بِمَكَانِهِ ، وَنَزَلَ إِبْرَاهِيمُ يَمْشِي وَيُحَرِّضُ النَّاسَ وَيُمَنِّيهِمُ الظَّفَرَ ، وَسَارَ بِهِمْ رُوَيْدًا ، فَأَشْرَفَ عَلَى تَلٍّ عَظِيمٍ مُشْرِفٍ عَلَى الْقَوْمِ ، وَإِذَا أُولَئِكَ الْقَوْمُ لَمْ يَتَحَرَّكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَأَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زُهَيْرٍ السَّلُولِيَّ لِيَأْتِيَهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، فَعَادَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ قَدْ خَرَجَ الْقَوْمُ عَلَى دَهَشٍ وَفَشَلٍ ، لَقِيَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُ كَلَامٌ إِلَّا يَا شِيعَةَ أَبِي تُرَابٍ! |
| يَا شِيعَةَ الْمُخْتَارِ الْكَذَّابِ! |
| قَالَ فَقُلْتُ لَهُ الَّذِي بَيْنَنَا أَجَلُّ مِنَ الشَّتْمِ. |
| وَرَكِبَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَ عَلَى الرَّايَاتِ يُحِثُّهُمْ ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ فِعْلَ ابْنِ زِيَادٍ بِالْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، مِنَ السَّبْيِ وَالْقَتْلِ وَمَنْعِ الْمَاءِ ، وَحَرَّضَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ. |
| وَتَقَدَّمَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ جَعَلَ ابْنُ زِيَادٍ عَلَى مَيْمَنَتِهِ الْحُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ السَّكُونِيَّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ عُمَيْرَ بْنَ الْحُبَابِ السُّلَمِيَّ ، وَعَلَى الْخَيْلِ شُرَحْبِيلَ بْنَ ذِي الْكُلَاعِ الْحِمْيَرِيَّ. |
| فَلَمَّا تَدَانَى الصَّفَّانِ حَمَلَ الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ فِي مَيْمَنَةِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى مَيْسَرَةِ إِبْرَاهِيمَ ، فَثَبَتَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ مَالِكٍ الْجُشَمِيُّ فَقُتِلَ ، ثُمَّ أَخَذَ رَايَتَهُ قُرَّةُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَقُتِلَ فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْبَأْسِ وَانْهَزَمَتِ الْمَيْسَرَةُ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَرْقَاءَ بْنِ جُنَادَةَ السَّلُولِيُّ ابْنُ أَخِي حُبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَقْبَلَ الْمُنْهَزِمِينَ ، فَقَالَ إِلَيَّ يَا شُرْطَةَ اللَّهِ. |
| فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ أَكْثَرُهُمْ. |
| فَقَالَ هَذَا أَمِيرُكُمْ يُقَاتِلُ ابْنَ زِيَادٍ ، ارْجِعُوا بِنَا إِلَيْهِ فَرَجَعُوا ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ كَاشِفٌ رَأْسَهُ يُنَادِي إِلَيَّ شُرْطَةَ اللَّهِ ، أَنَا ابْنُ الْأَشْتَرِ ، إِنَّ خَيْرَ فُرَّارِكُمْ كُرَّارُكُمْ ، لَيْسَ مُسِيئًا مَنْ أَعْتَبَ. |
| فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَحَمَلَتْ مَيْمَنَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى مَيْسَرَةِ ابْنِ زِيَادٍ وَهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يَنْهَزِمَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ ، كَمَا زَعَمَ ، فَقَاتَلَهُمْ عُمَيْرٌ قِتَالًا شَدِيدًا وَأَنِفَ مِنَ الْفِرَارِ. |
| فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ اقْصِدُوا هَذَا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ هَزَمْنَاهُ لَانْجَفَلَ مَنْ تَرَوْنَ يَمْنَةً وَيَسْرَةً انْجِفَالَ طَيْرٍ ذَعَرْتَهَا. |
| فَمَشَى أَصْحَابُهُ إِلَيْهِمْ فَتَطَاعَنُوا ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى السُّيُوفِ وَالْعُمُدِ ، فَاضْطَرَبُوا بِهَا مَلِيًّا ، وَكَانَ صَوْتُ الضَّرْبِ بِالْحَدِيدِ كَصَوْتِ الْقَصَّارِينَ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ لِصَاحِبِ رَايَتِهِ انْغَمِسْ بِرَايَتِكَ فِيهِمْ. |
| فَيَقُولُ لَيْسَ لِي مُتَقَدَّمٌ. |
| فَيَقُولُ بَلَى. |
| فَإِذَا تَقَدَّمَ شَدَّ إِبْرَاهِيمُ بِسَيْفِهِ ، فَلَا يَضْرِبُ بِهِ رَجُلًا إِلَّا صَرَعَهُ ، وَكَرَدَ إِبْرَاهِيمُ الرَّجَّالَةَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ كَأَنَّهُمُ الْحِمْلَانُ ، وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ. |
| وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ زِيَادٍ ، وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ قَتْلَى كَثِيرَةٌ. |
| وَقِيلَ إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ الْحُبَابِ أَوَّلُ مَنِ انْهَزَمَ ، وَإِنَّمَا كَانَ قِتَالُهُ أَوَّلًا تَعْذِيرًا. |
| فَلَمَّا انْهَزَمُوا قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ رَجُلًا تَحْتَ رَايَةٍ مُنْفَرِدَةٍ عَلَى شَاطِئِ نَهْرِ الْخَازِرِ ، فَالْتَمِسُوهُ ، فَإِنِّي شَمَمْتُ مِنْهُ رَائِحَةَ الْمِسْكِ ، شَرَّقَتْ يَدَاهُ ، وَغَرَّبَتْ رِجْلَاهُ. |
| فَالْتَمَسُوهُ فَإِذَا هُوَ ابْنُ زِيَادٍ قَتِيلًا بِضَرْبَةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَدْ قَدَّتْهُ بِنِصْفَيْنِ وَسَقَطَ ، كَمَا ذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ ، فَأَخَذَ رَأْسَهُ وَأُحْرِقَتْ جُثَّتُهُ. |
| وَحَمَلَ شَرِيكُ بْنُ جَدِيرٍ التَّغْلِبِيُّ عَلَى الْحُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرٍ السَّكُونِيِّ وَهُوَ يَظُنُّهُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ ، فَاعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَنَادَى التَّغْلِبِيُّ اقْتُلُونِي وَابْنَ الزَّانِيَةِ! |
| فَقَتَلُوا الْحُصَيْنَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي قَتَلَ ابْنَ زِيَادٍ شَرِيكُ بْنُ جَدِيرٍ ، وَكَانَ هَذَا شَرِيكٌ شَهِدَ صِفِّينَ مَعَ عَلِيٍّ ، وَأُصِيبَتْ عَيْنُهُ ، فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُ عَلِيٍّ لَحِقَ شَرِيكٌ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَقَامَ بِهِ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ عَاهَدَ اللَّهَ تَعَالَى إِنْ ظَهَرَ مَنْ يَطْلُبُ بِدَمِهِ لَيَقْتُلَنَّ ابْنَ زِيَادٍ أَوْ لَيَمُوتَنَّ دُونَهُ. |
| فَلَمَّا ظَهَرَ الْمُخْتَارُ لِلطَّلَبِ بِثَأْرِ الْحُسَيْنِ أَقْبَلَ إِلَيْهِ ، وَسَارَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ ، فَلَمَّا الْتَقَوْا حَمَلَ عَلَى خَيْلِ الشَّامِ يَهْتِكُهَا صَفًّا صَفًّا مَعَ أَصْحَابِهِ مِنْ رَبِيعَةَ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، وَثَارَ الرَّهْجُ ، فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا وَقْعُ الْحَدِيدِ ، فَانْفَرَجَتْ عَنِ النَّاسِ وَهُمَا قَتِيلَانِ ، شَرِيكٌ وَابْنُ زِيَادٍ. |
| وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. |
| وَشَرِيكٌ هُوَ الْقَائِلُ كُلُّ عَيْشٍ قَدْ أَرَاهُ بَاطِلًا غَيْرَ رَكْزِ الرُّمْحِ فِي ظِلِّ الْفَرَسْ قَالَ وَقُتِلَ شُرَحْبِيلُ بْنُ ذِي الْكُلَاعِ الْحِمْيَرِيُّ ، وَادَّعَى قَتْلَهُ سُفْيَانُ بْنُ يَزِيدَ الْأَزْدِيُّ ، وَوَرْقَاءُ بْنُ عَازِبٍ الْأَسَدِيُّ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زُهَيْرٍ السُّلَمِيُّ ، وَكَانَ عُيَيْنَةُ بْنُ أَسْمَاءَ مَعَ ابْنِ زِيَادٍ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ أَصْحَابُهُ حَمَلَ أُخْتَهُ هِنْدَ بِنْتَ أَسْمَاءَ ، وَكَانَتْ زَوْجَةَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَذَهَبَ بِهَا وَهُوَ يَرْتَجِزُ إِنْ تَصْرِمِي حِبَالَنَا فَرُبَّمَا... |
| أَرْدَيْتُ فِي الْهَيْجَا الْكَمِيَّ الْمُعْلِمَا وَلَمَّا انْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ زِيَادٍ تَبِعَهُمْ أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ ، فَكَانَ مَنْ غَرِقَ أَكْثَرَ مِمَّنْ قُتِلَ ، وَأَصَابُوا عَسْكَرَهُمْ وَفِيهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. |
| وَأَرْسَلَ إِبْرَاهِيمُ الْبِشَارَةَ إِلَى الْمُخْتَارِ وَهُوَ بِالْمَدَائِنِ ، وَأَنْفَذَ إِبْرَاهِيمُ عُمَّالَهُ إِلَى الْبِلَادِ ، فَبَعَثَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى نَصِيبِينَ ، وَغَلَبَ عَلَى سِنْجَارَ وَدَارَا وَمَا وَالَاهُمَا مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ ، فَوَلَّى زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ قَرْقِيسِيَا ، وَحَاتِمَ بْنَ النُّعْمَانِ الْبَاهِلِيَّ حَرَّانَ ، وَالرُّهَاءَ ، وَسُمَيْسَاطَ ، وَنَاحِيَتَهَا ، وَوَلَّى عُمَيْرَ بْنَ الْحُبَابِ السُّلَمِيَّ كَفْرَتُوثَا ، وَطُورَ عَبْدِينَ. |
| وَأَقَامَ إِبْرَاهِيمُ بِالْمَوْصِلِ ، وَأَنْفَذَ رَأْسَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِلَى الْمُخْتَارِ وَمَعَهُ رُءُوسُ قُوَّادِهِ ، فَأُلْقِيَتْ فِي الْقَصْرِ ، فَجَاءَتْ حَيَّةٌ دَقِيقَةٌ ، فَتَخَلَّلَتِ الرُّءُوسَ حَتَّى دَخَلَتْ فِي فَمِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، ثُمَّ خَرَجَتْ مِنْ مَنْخَرِهِ ، وَدَخَلَتْ فِي مِنْخَرِهِ وَخَرَجَتْ مِنْ فِيهِ ، فَعَلَتْ هَذَا مِرَارًا ، أَخْرَجَ هَذَا التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ. |
| وَقَالَ الْمُغِيرَةُ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الزُّيُوفَ فِي الْإِسْلَامِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، وَقَالَ بَعْضُ حُجَّابِ ابْنِ زِيَادٍ دَخَلْتُ مَعَهُ الْقَصْرَ حِينَ قُتِلَ الْحُسَيْنُ ، فَاضْطَرَمَ فِي وَجْهِهِ نَارًا ، فَقَالَ بِكُمِّهِ هَكَذَا عَلَى وَجْهِهِ وَقَالَ لَا تُحَدِّثَنَّ بِهَذَا أَحَدًا. |
| وَقَالَ الْمُغِيرَةُ قَالَتْ مُرْجَانَةُ لِابْنِهَا عُبَيْدِ اللَّهِ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ يَا خَبِيثُ ، قَتَلْتَ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَرَى الْجَنَّةَ أَبَدًا! |
| وَقَالَ ابْنُ مُفَرَّغٍ حِينَ قُتِلَ ابْنُ زِيَادٍ إِنَّ الْمَنَايَا إِذَا مَا زُرْنَ طَاغِيَةً... |
| هَتَّكْنَ أَسْتَارَ حِجَّابٍ وَأَبْوَابِ أَقُولُ بُعْدًا وَسُحْقًا عِنْدَ مَصْرَعِهِ... |
| لِابْنِ الْخَبِيثَةِ وَابْنِ الْكَوْدَنِ الْكَابِي لَا أَنْتَ زُوحِمْتَ عَنْ مُلْكٍ فَتَمْنَعُهُ... |
| وَلَا مَتَتَّ إِلَى قَوْمٍ بِأَسْبَابٍ لَا مِنْ نِزَارٍ وَلَا مِنْ جَذْمِ ذِي يَمَنٍ... |
| جُلْمُودَ ذَا أُلْقِيتْ مِنْ بَيْنِ أَلْهَابِ لَا تَقْبَلُ الْأَرْضُ مَوْتَاهُمْ إِذَا قُبِرُوا... |
| وَكَيْفَ تَقْبَلُ رِجْسًا بَيْنَ أَثْوَابِ ؟ |
| وَقَالَ سُرَاقَةُ الْبَارِقِيُّ يَمْدَحُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ أَتَاكُمْ غُلَامٌ مِنْ عَرَانِينَ مَذْحِجٍ... |
| جَرِيٌّ عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرُ نَكُولِ فَيَا ابْنَ زِيَادٍ بُؤْ بِأَعْظَمِ مَالِكٍ... |
| وَذُقْ حَدَّ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلِ جَزَى اللَّهُ خَيْرًا شُرْطَةَ اللَّهِ إِنَّهُمْ... |
| شَفَوْا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَمْسِ غَلِيلِي وَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ السُّلَمِيُّ يَذُمُّ جَيْشَ ابْنِ زِيَادٍ وَمَا كَانَ جَيْشٌ يَجْمَعُ الْخَمْرَ وَالزِّنَا... |
| مُحِلًّا إِذَا لَاقَى الْعَدُوَّ لِيُنْصَرَا ذِكْرُ وِلَايَةِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْبَصْرَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهُوَ الْقُبَاعُ ، عَنِ الْبَصْرَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَخَاهُ مُصْعَبًا. |
| فَقَدِمَهَا مُصْعَبٌ مُتَلَثِّمًا ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ النَّاسُ أَمِيرٌ أَمِيرٌ! |
| وَجَاءَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ ، فَسَفَرَ مُصْعَبُ لِثَامَهُ فَعَرَفُوهُ ، وَأَمَرَ مُصْعَبٌ الْحَارِثَ بِالصُّعُودِ إِلَيْهِ ، فَأَجْلَسَهُ تَحْتَهُ بِدَرَجَةٍ ، ثُمَّ قَامَ مُصْعَبٌ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ القصص إِلَى قَوْلِهِ مِنَ الْمُفْسِدِينَ القصص ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ ، وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ القصص ، وَأَشَارَ نَحْوَ الْحِجَازِ ، وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ القصص ، وَأَشَارَ نَحْوَ الْكُوفَةِ ، وَقَالَ يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُلَقِّبُونَ أُمَرَاءَكُمْ ، وَقَدْ لَقَّبْتُ نَفْسِي بِالْجَزَّارِ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ مُصْعَبٍ إِلَى الْمُخْتَارِ وَقَتْلِ الْمُخْتَارِ وَلَمَّا هَرَبَ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ مِنْ وَقْعَةِ السَّبِيعِ أَتَى جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ إِلَى مُصْعَبٍ ، فَأَتَاهُ شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ عَلَى بَغْلَةٍ قَدْ قَطَعَ ذَنَبَهَا وَطَرَفَ أُذُنَهَا ، وَشَقَّ قَبَاءَهُ وَهُوَ يُنَادِي يَا غَزْوَتَاهُ! |
| فَرُفِعَ خَبَرُهُ إِلَى مُصْعَبٍ ، فَقَالَ هَذَا شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ. |
| فَأُدْخِلَ عَلَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَأَخْبَرُوهُ بِمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، وَسَأَلُوهُ النَّصْرَ لَهُمْ ، وَالْمَسِيرَ إِلَى الْمُخْتَارِ مَعَهُمْ. |
| وَقَدِمَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ أَيْضًا وَاسْتَحَثَّهُ عَلَى الْمَسِيرِ ، فَأَدْنَاهُ مُصْعَبٌ وَأَكْرَمَهُ لِشَرَفِهِ ، وَقَالَ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ حِينَ أَكْثَرُوا عَلَيْهِ لَا أَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَنِي الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ. |
| وَكَتَبَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى فَارِسَ ، يَسْتَدْعِيهِ لِيَشْهَدَ مَعَهُمْ قِتَالَ الْمُخْتَارِ ، فَأَبْطَأَ الْمُهَلَّبُ ، وَاعْتَلَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَرَاجِ لِكَرَاهِيَةِ الْخُرُوجِ ، فَأَمَرَ مُصْعَبٌ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُهَلَّبِ يَسْتَحِثَّهُ ، فَأَتَاهُ مُحَمَّدٌ وَمَعَهُ كِتَابُ مُصْعَبٍ ، فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ أَمَا وَجَدَ مُصْعَبٌ بَرِيدًا غَيْرَكَ ؟ |
| فَقَالَ مَا أَنَا بِبَرِيدٍ لِأَحَدٍ ، غَيْرَ أَنَّ نِسَاءَنَا وَأَبْنَائَنَا وَحَرَمَنَا غَلَبَنَا عَلَيْهِمْ عَبِيدُنَا. |
| فَأَقْبَلَ الْمُهَلَّبُ مَعَهُ بِجُمُوعٍ كَثِيرَةٍ وَأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ ، فَقَدِمَ الْبَصْرَةَ ، وَأَمَرَ مُصْعَبٌ بِالْعَسْكَرِ عِنْدَ الْجِسْرِ الْأَكْبَرِ ، وَأَرْسَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مِخْنَفٍ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُخْرِجَ إِلَيْهِ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُثَبِّطَ النَّاسَ عَنِ الْمُخْتَارِ ، وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى بَيْعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ سِرًّا ، فَفَعَلَ ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ مُسْتَتِرًا ، ثُمَّ سَارَ مُصْعَبٌ فَقَدَّمَ أَمَامَهُ عَبَّادَ بْنَ الْحُصَيْنِ الْحَطَمِيَّ التَّمِيمِيَّ ، وَبَعَثَ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ عَلَى مَيْمَنَتِهِ ، وَالْمُهَلَّبَ عَلَى مَسِيرَتِهِ ، وَجَعَلَ مَالِكَ بْنَ مِسْمَعٍ عَلَى بَكْرٍ ، وَمَالِكَ بْنَ الْمُنْذِرِ عَلَى عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَالْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ عَلَى تَمِيمٍ ، وَزِيَادَ بْنَ عَمْرٍو الْعَتَكِيَّ عَلَى الْأَزْدِ ، وَقَيْسَ بْنَ الْهَيْثَمِ عَلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ الْمُخْتَارَ ، فَقَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَأَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ ، وَنَدَبَهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَ أَحْمَرَ بْنِ شُمَيْطٍ ، فَخَرَجَ وَعَسْكَرَ بِحَمَّامِ أَعْيَنَ ، وَدَعَا الْمُخْتَارُ رُءُوسَ الْأَرْبَاعِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ ابْنِ الْأَشْتَرِ ، فَبَعَثَهُمْ مَعَ أَحْمَرَ بْنِ شُمَيْطٍ ، فَسَارَ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ ابْنُ كَامِلٍ الشَّاكِرِيُّ ، فَوَصَلُوا إِلَى الْمَذَارِ ، وَأَتَى مُصْعَبٌ فَعَسْكَرَ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَعَبَّأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جُنْدَهُ ثُمَّ تَزَاحَفَا ، فَجَعَلَ ابْنُ شُمَيْطٍ ابْنَ كَامِلٍ عَلَى مَيْمَنَتِهِ ، وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ وُهَيْبٍ الْجُشَمِيَّ ، وَجَعَلَ أَبَا عَمْرَةَ مَوْلَى عُرَيْنَةَ عَلَى الْمَوَالِي. |
| فَجَاءَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ وُهَيْبٍ الْجُشَمِيُّ إِلَى ابْنِ شُمَيْطٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْمَوَالِيَ وَالْعَبِيدَ أُولُوا خَوَرٍ عِنْدَ الْمَصْدُوقَةِ ، وَإِنَّ مَعَهُمْ رِجَالًا كَثِيرًا عَلَى الْخَيْلِ وَأَنْتَ تَمْشِي ، فَمُرْهُمْ فَلْيَمْشُوا مَعَكَ ، فَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ يَطِيرُوا عَلَيْهَا وَيُسْلِمُوكَ. |
| وَكَانَ هَذَا غِشًّا مِنْهُ لِلْمَوَالِي ، لِمَا كَانُوا لَقُوا مِنْهُمْ بِالْكُوفَةِ ، فَأَحَبَّ أَنْ كَانَتْ عَلَيْهِمُ الْهَزِيمَةُ ، وَأَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهُمْ أَحَدٌ. |
| فَلَمْ يَتَّهِمْهُ ابْنُ شُمَيْطٍ ، فَفَعَلَ مَا أَشَارَ بِهِ ، فَنَزَلَ الْمَوَالِي مَعَهُ. |
| وَجَاءَ مُصْعَبٌ وَقَدْ جَعَلَ عَبَّادَ بْنَ الْحُصَيْنِ عَلَى الْخَيْلِ ، فَدَنَا عَبَّادٌ مِنْ أَحْمَرَ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَالَ إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَإِلَى بَيْعَةِ الْمُخْتَارِ ، وَإِلَى أَنْ نَجْعَلَ هَذَا الْأَمْرَ شُورَى فِي آلِ الرَّسُولِ. |
| فَرَجَعَ عَبَّادٌ فَأَخْبَرَ مُصْعَبًا ، فَقَالَ لَهُ ارْجِعْ فَاحْمِلْ عَلَيْهِمْ. |
| فَرَجَعَ وَحَمَلَ عَلَى ابْنِ شُمَيْطٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَمْ يَنْزِلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَوْقِفِهِ ، وَحَمَلَ الْمُهَلَّبُ عَلَى ابْنِ كَامِلٍ ، فَجَالَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ، فَنَزَلَ ابْنُ كَامِلٍ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُهَلَّبُ ، ثُمَّ قَالَ الْمُهَلَّبُ لِأَصْحَابِهِ كِرُّوا عَلَيْهِمْ كَرَّةً صَادِقَةً. |
| فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ حَمْلَةً مُنْكَرَةً ، فَوَلَّوْا ، وَصَبَرَ ابْنُ كَامِلٍ فِي رِجَالٍ مِنْ هَمْدَانَ سَاعَةً ثُمَّ انْهَزَمَ ، وَحَمَلَ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ ، فَصَبَرَ سَاعَةً ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَحَمَلَ النَّاسُ جَمِيعًا عَلَى ابْنِ شُمَيْطٍ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَتَنَادَوْا يَا مَعْشَرَ بَجِيلَةَ وَخَثْعَمٍ ، الصَّبْرَ! |
| فَنَادَاهُمُ الْمُهَلَّبُ الْفِرَارُ الْيَوْمَ أَنْجَى لَكُمْ ، عَلَامَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ مَعَ هَذِهِ الْعَبِيدِ ؟ |
| ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ مَا أَرَى كَثْرَةَ الْقَتْلِ الْيَوْمَ إِلَّا فِي قَوْمِي. |
| وَمَالَتِ الْخَيْلُ عَلَى رَجَّالَةِ ابْنِ شُمَيْطٍ فَانْهَزَمَتْ ، وَبَعَثَ مُصْعَبٌ عَبَّادًا عَلَى الْخَيْلِ ، فَقَالَ أَيُّمَا أَسِيرٍ أَخَذْتَهُ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ. |
| وَسَرَّحَ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ فِي خَيْلٍ عَظِيمَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَالَ دُونَكُمْ ثَأْرُكُمْ. |
| فَكَانُوا أَشَدَّ عَلَى الْمُنْهَزِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، لَا يُدْرِكُونَ مُنْهَزِمًا إِلَّا قَتَلُوهُ ، وَلَا يَأْخُذُونَ أَسِيرًا فَيَعْفُونَ عَنْهُ ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ إِلَّا طَائِفَةُ أَصْحَابِ الْخَيْلِ ، وَأَمَّا الرَّجَّالَةُ فَأُبِيدُوا إِلَّا قَلِيلًا. |
| قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ الْمُزَنِيُّ انْتَهَيْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَأَدْخَلْتُ السِّنَانَ فِي عَيْنِهِ ، فَأَخَذْتُ أُخَضْخِضُ عَيْنَهُ بِهِ. |
| فَقِيلَ لَهُ أَفَعَلْتَ هَذَا ؟ |
| فَقَالَ نَعَمْ ، إِنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَنَا أَحَلَّ دِمَاءً مِنَ التُّرْكِ وَالدَّيْلَمِ. |
| وَكَانَ مُعَاوِيَةُ هَذَا قَاضِي الْبَصْرَةِ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ مُصْعَبٌ مِنْهُمْ أَقْبَلَ حَتَّى قَطَعَ مِنْ تِلْقَاءِ وَاسِطٍ ، وَلَمْ تَكُنْ بُنِيَتْ بَعْدُ ، فَأَخَذَ فِي كَسْكَرٍ ، ثُمَّ حَمَلَ الرِّجَالَ وَأَثْقَالَهُمْ وَالضُّعَفَاءَ فِي السُّفُنِ ، فَأُخِذُوا فِي نَهْرِ خَرْشَادَ إِلَى نَهْرِ قُوسَانَ ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى الْفُرَاتِ. |
| وَأَتَى الْمُخْتَارَ خَبَرُ الْهَزِيمَةِ وَمَنْ قُتِلَ بِهَا فِي فُرْسَانِ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ مَا مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ ، وَمَا مِنْ مَيْتَةٍ أُمُوتُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ مَيْتَةَ ابْنِ شُمَيْطٍ. |
| فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَبْلُغْ مَا يُرِيدُ يُقَاتِلْ حَتَّى يُقْتَلَ. |
| وَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ مُصْعَبًا قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ سَارَ حَتَّى وَصَلَ السَّيْلَحِينَ ، وَنَظَرَ إِلَى مُجْتَمَعِ الْأَنْهَارِ نَهْرِ الْحَيْرَةِ ، وَنَهْرِ السَّيْلَحِينَ ، وَنَهْرِ الْقَادِسِيَّةِ ، وَنَهْرِ يُوسُفَ ، فَسَكَّرَ الْفُرَاتَ ، فَذَهَبَ مَاؤُهَا فِي هَذِهِ الْأَنْهَارِ ، وَبَقِيَتْ سُفُنُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي الطِّينِ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ خَرَجُوا مِنَ السُّفُنِ إِلَى ذَلِكَ السَّكْرِ ، فَأَصْلَحُوهُ وَقَصَدُوا الْكُوفَةَ ، وَسَارَ الْمُخْتَارُ إِلَيْهِمْ فَنَزَلَ حَرُورَاءَ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ قَدْ حَصَّنَ الْقَصْرَ وَالْمَسْجِدَ ، وَأَدْخَلَ إِلَيْهِ عُدَّةَ الْحِصَارِ. |
| وَيُقْبِلُ مُصْعَبٌ وَقَدْ جَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ الْمُهَلَّبَ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى الْخَيْلِ عَبَّادَ بْنَ الْحُصَيْنِ ، وَجَعَلَ الْمُخْتَارُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ سُلَيْمَ بْنَ يَزِيدَ الْكِنْدِيَّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ سَعِيدَ بْنَ مُنْقِذٍ الْهَمْدَانِيَّ ، وَعَلَى الْخَيْلِ عَمْرَو بْنَ عَبْدِ اللَّهِ النَّهْدِيَّ ، وَعَلَى الرِّجَالِ مَالِكَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ النَّهْدِيَّ. |
| وَأَقْبَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فِيمَنْ هَرَبَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَنَزَلَ بَيْنَ مُصْعَبٍ وَالْمُخْتَارِ. |
| فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمُخْتَارُ بَعَثَ إِلَى كُلِّ جَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَتَدَانَى النَّاسُ ، فَحَمَلَ سَعِيدُ بْنُ مُنْقِذٍ عَلَى بَكْرٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ ، وَهُمْ فِي مَيْمَنَةِ مُصْعَبٍ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَأَرْسَلَ مُصْعَبٌ إِلَى الْمُهَلَّبِ لِيَحْمِلَ عَلَى مَنْ بِإِزَائِهِ ، فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَجْزُرَ الْأَزْدَ خَشْيَةَ أَهْلِ الْكُوفَةِ حَتَّى أَرَى فُرْصَتِي. |
| وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الْمَخْزُومِيِّ ، فَحَمَلَ عَلَى مَنْ بِإِزَائِهِ ، وَهُمْ أَهْلُ الْعَالِيَةِ ، فَكَشَفَهُمْ ، فَانْتَهَوْا إِلَى مُصْعَبٍ ، فَجَثَا مُصْعَبٌ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَبَرَكَ النَّاسُ عِنْدَهُ ، فَقَاتَلُوا سَاعَةً وَتَحَاجَزُوا. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُهَلَّبَ حَمَلَ فِي أَصْحَابِهِ عَلَى مَنْ بِإِزَائِهِ ، فَحَطَمُوا أَصْحَابَ الْمُخْتَارِ حَطْمَةً مُنْكَرَةً ، فَكَشَفُوهُمْ. |
| وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو النَّهْدِيُّ ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ صِفِّينَ اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ بِصِفِّينَ ، اللَّهُمَّ أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ فِعْلِ هَؤُلَاءِ لِأَصْحَابِهِ حِينَ انْهَزَمُوا وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ يَعْنِي أَصْحَابَ مُصْعَبٍ ثُمَّ جَالَدَ بِسَيْفِهِ حَتَّى قُتِلَ. |
| وَانْقَصَفَ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ كَأَنَّهُمْ أَجَمَةُ قَصَبٍ فِيهَا نَارٌ ، وَحَمَلَ مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو النَّهْدِيُّ ، وَهُوَ عَلَى الرَّجَّالَةِ ، وَمَعَهُ نَحْوُ خَمْسِينَ رَجُلًا ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْمَسَاءِ ، عَلَى أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ حَمْلَةً مُنْكَرَةً ، فَقُتِلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ ، وَقُتِلَ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ. |
| وَقَاتَلَ الْمُخْتَارُ عَلَى فَمِ سِكَّةِ شَبَثٍ عَامَّةَ لَيْلَتِهِ ، وَقَاتَلَ مَعَهُ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْبَأْسِ ، وَقَاتَلَتْ مَعَهُ هَمْدَانُ أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنِ الْمُخْتَارِ ، فَقَالَ لَهُ مَنْ مَعَهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، اذْهَبْ إِلَى الْقَصْرِ ، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَلَمْ تَكُنْ وَعَدْتَنَا الظَّفَرَ ، وَأَنَّا سَنَهْزِمُهُمْ ؟ |
| فَقَالَ أَمَا قَرَأْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ الرعد فَقِيلَ إِنَّ الْمُخْتَارَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِالْبَدَاءِ. |
| فَلَمَّا أَصْبَحَ مُصْعَبٌ أَقْبَلَ يَسِيرُ فِيمَنْ مَعَهُ نَحْوَ السَّبْخَةِ ، فَمَرَّ بِالْمُهَلَّبِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ يَا لَهُ فَتْحًا ، مَا أَهْنَأَهُ لَوْ لَمْ يُقْتَلْ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ. |
| قَالَ صَدَقْتَ. |
| ثُمَّ قَالَ مُصْعَبٌ لِلْمُهَلَّبِ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَدْ قُتِلَ ، فَاسْتَرْجَعَ الْمُهَلَّبُ ، فَقَالَ مُصْعَبٌ قَدْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يَشْهَدَ هَذَا الْفَتْحَ ، أَتَدْرِي مَنْ قَتَلَهُ ؟ |
| إِنَّمَا قَتَلَهُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ شِيعَةٌ لِأَبِيهِ. |
| ثُمَّ نَزَلَ السَّبْخَةَ فَقَطَعَ عَنْهُمُ الْمَاءَ وَالْمَادَّةَ ، وَقَاتَلَهُمُ الْمُخْتَارُ وَأَصْحَابُهُ قِتَالًا ضَعِيفًا ، وَاجْتَرَأَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ ، فَكَانُوا إِذَا خَرَجُوا رَمَاهُمُ النَّاسُ مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ ، وَصَبُّوا عَلَيْهِمُ الْمَاءَ الْقَذِرَ ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَعَاشِهِمْ مِنَ النِّسَاءِ ، تَأْتِي الْمَرْأَةُ مُتَخَفِّيَةً وَمَعَهَا الْقَلِيلُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَى أَهْلِهَا. |
| فَفَطِنَ مُصْعَبٌ بِالنِّسَاءِ فَمَنَعَهُنَّ ، فَاشْتَدَّ عَلَى الْمُخْتَارِ وَأَصْحَابِهِ الْعَطَشُ ، وَكَانُوا يَشْرَبُونَ مَاءَ الْبِئْرِ يَعْمَلُونَ فِيهِ الْعَسَلَ ، فَكَانَ ذَلِكَ مَا يَرْوِي بَعْضَهُمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ مُصْعَبًا أَمَرَ أَصْحَابَهُ ، فَاقْتَرَبُوا مِنَ الْقَصْرِ وَاشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ وَيْحَكُمُ إِنَّ الْحِصَارَ لَا يَزِيدُكُمْ إِلَّا ضَعْفًا ، فَانْزِلُوا بِنَا فَنُقَاتِلُ حَتَّى نُقْتَلَ كِرَامًا إِنْ نَحْنُ قُتِلْنَا ، فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِآيِسٍ إِنْ صَدَقْتُمُوهُمْ أَنْ يَنْصُرَكُمُ اللَّهُ. |
| فَضَعُفُوا وَلَمْ يَفْعَلُوا. |
| فَقَالَ لَهُمْ أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أُعْطِي بِيَدِي ، وَلَا أُحَكِّمُكُمْ فِي نَفْسِي ، وَإِذَا خَرَجْتُ فَقُتِلْتُ لَمْ تَزْدَادُوا إِلَّا ضَعْفًا وَذُلًّا ، فَإِنْ نَزَلْتُمْ عَلَى حُكْمِهِمْ ، وَثَبَتَ أَعْدَاؤُكُمْ فَقَتَلُوكُمْ ، وَبَعْضُكُمْ يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ فَتَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا الْمُخْتَارَ ، وَلَوْ أَنَّكُمْ خَرَجْتُمْ مَعِي كُنْتُمْ إِنْ أَخْطَأْتُمُ الظَّفَرَ مُتُّمْ كِرَامًا. |
| فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ الْمُخْتَارُ تَدَلَّى مِنَ الْقَصْرِ ، فَلَحِقَ بِنَاسٍ مِنْ إِخْوَانِهِ ، فَاخْتَفَى عِنْدَهُمْ سِرًّا. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ تَطَيَّبَ وَتَحَنَّطَ وَخَرَجَ مِنَ الْقَصْرِ فِي تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَمِنْهُمُ السَّائِبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ عَمْرَةُ بِنْتُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا اسْمُهُ مُحَمَّدٌ ، فَلَمَّا أُخِذَ الْقَصْرُ وُجِدَ صَبِيًّا فَتَرَكُوهُ. |
| فَلَمَّا خَرَجَ الْمُخْتَارُ قَالَ لِلسَّائِبِ مَاذَا تَرَى ؟ |
| قَالَ مَا تَرَى أَنْتَ. |
| قَالَ وَيْحَكَ يَا أَحْمَقُ ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ رَأَيْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَدْ وَثَبَ بِالْحِجَازِ ، وَرَأَيْتُ ابْنَ نَجْدَةَ وَثَبَ بِالْيَمَامَةِ ، وَمَرْوَانُ بِالشَّامِ ، وَكُنْتُ فِيهَا كَأَحَدِهِمْ ، إِلَّا أَنِّي قَدْ طَلَبْتُ بِثَأْرِ أَهْلِ الْبَيْتِ إِذْ نَامَتْ عَنْهُ الْعَرَبُ ، فَقَاتِلْ عَلَى حَسْبِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ نِيَّةٌ. |
| فَقَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَا كُنْتُ أَصْنَعُ أَنْ أُقَاتِلَ عَلَى حَسْبِي. |
| ثُمَّ تَقَدَّمَ الْمُخْتَارُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، قَتَلَهُ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ أَخَوَانِ ، أَحَدُهُمَا طَرَفَةُ ، وَالْآخَرُ طَرَّافٌ ، ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَجَاجَةَ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ قَتْلِهِ دَعَاهُمْ بَحِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمِسْكِيُّ وَمَنْ مَعَهُ بِالْقَصْرِ إِلَى مَا دَعَاهُمُ الْمُخْتَارُ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، وَأَمْكَنُوا أَصْحَابَ مُصْعَبٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ ، فَأَخْرَجُوهُمْ مُكَتَّفِينَ ، فَأَرَادَ إِطْلَاقَ الْعَرَبِ وَقَتْلَ الْمَوَالِي ، فَأَبَى أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ ، فَعُرِضُوا عَلَيْهِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ بَحِيرٌ الْمِسْكِيُّ ، فَقَالَ لِمُصْعَبٍ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ابْتَلَانَا بِالْأَسْرِ ، وَابْتَلَاكَ بِأَنْ تَعْفُوَ عَنَّا ، هُمَا مَنْزِلَتَانِ إِحْدَاهُمَا رِضَاءُ اللَّهِ ، وَالْأُخْرَى سُخْطُهُ ، مَنْ عَفَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَزَادَ عِزًّا ، وَمَنْ عَاقَبَ لَمْ يَأْمَنِ الْقِصَاصَ ، يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ نَحْنُ أَهْلُ قِبْلَتِكُمْ وَعَلَى مِلَّتِكُمْ ، وَلَسْنَا تُرْكًا وَلَا دَيْلَمًا ، فَإِنْ خَالَفْنَا إِخْوَانَنَا مِنْ أَهْلِ مِصْرِنَا ، فَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَصَبْنَا وَأَخْطَؤُوا ، وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَخْطَأْنَا وَأَصَابُوا ، فَاقْتَتَلْنَا بَيْنَنَا كَمَا اقْتَتَلَ أَهْلُ الشَّامِ بَيْنَهُمْ ثُمَّ اجْتَمَعُوا ، وَكَمَا اقْتَتَلَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَاصْطَلَحُوا وَاجْتَمَعُوا ، وَقَدْ مَلَكْتُمْ فَأَسْجِحُوا ، وَقَدْ قَدَرْتُمْ فَاعْفُوا. |
| فَمَا زَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى رَقَّ لَهُمُ النَّاسُ وَمُصْعَبٌ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهُمْ. |
| فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ فَقَالَ أَتُخَلِّي سَبِيلَهُمْ ؟ |
| اخْتَرْنَا أَوِ اخْتَرْهُمْ. |
| وَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيُّ فَقَالَ مِثْلَهُ ، وَقَامَ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ فَقَالُوا مِثْلَهُمَا ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ ، لَا تَقْتُلْنَا وَاجْعَلْنَا عَلَى مُقَدِّمَتِكَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ غَدًا ، فَمَا بِكُمْ عَنَّا غِنًى ، فَإِنْ قُتِلْنَا لَمْ نُقْتَلْ حَتَّى نُضْعِفَهُمْ لَكُمْ ، وَإِنْ ظَفَرْنَا بِهِمْ كَانَ ذَلِكَ لَكُمْ. |
| فَأَبَى عَلَيْهِمْ. |
| فَقَالَ بَحِيرٌ الْمِسْكِيُّ لَا تَخْلِطْ دَمِي بِدِمَائِهِمْ إِذْ عَصَوْنِي. |
| فَقَتَلَهُمْ. |
| وَقَالَ مُسَافِرُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ نَمِرَانَ النَّاعِطِيُّ مَا تَقُولُ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ لِرَبِّكَ غَدًا وَقَدْ قَتَلْتَ أُمَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَكَّمُوكَ فِي أَنْفُسِهِمْ صَبْرًا ؟ |
| اقْتُلُوا مِنَّا بِعِدَّةِ مَنْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ ، فَفِينَا رِجَالٌ لَمْ يَشْهَدُوا مَوْطِنًا مِنْ حَرْبِنَا يَوْمًا وَاحِدًا ، كَانُوا فِي السَّوَادِ وَجِبَايَةِ الْخَرَاجِ وَحِفْظِ الطُّرُقِ. |
| فَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ. |
| وَلَمَّا أَرَادَ قَتْلَهُمُ اسْتَشَارَ مُصْعَبٌ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ ، فَقَالَ أَرَى أَنْ تَعْفُوَ ، فَإِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى. |
| فَقَالَ أَشْرَافُ أَهْلِ الْكُوفَةِ اقْتُلْهُمْ. |
| وَضَجُّوا ، فَقَتَلَهُمْ. |
| فَلَمَّا قُتِلُوا قَالَ الْأَحْنَفُ مَا أَدْرَكْتُمْ بِقَتْلِهِمْ ثَأْرًا ، فَلَيْتَهُ لَا يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ وَبَالًا. |
| وَبَعَثَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ امْرَأَةُ مُصْعَبٍ إِلَيْهِ فِي إِطْلَاقِهِمْ ، فَوَجَدَهُمُ الرَّسُولُ قَدْ قُتِلُوا. |
| وَأَمَرَ مُصْعَبٌ بِكَفِّ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقُطِعَتْ وَسُمِّرَتْ بِمِسْمَارٍ إِلَى جَانِبِ الْمَسْجِدِ ، فَبَقِيَتْ حَتَّى قَدِمَ الْحَجَّاجُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَسَأَلَ عَنْهَا فَقِيلَ هَذِهِ كَفُّ الْمُخْتَارِ ، فَأَمَرَ بِنَزْعِهَا. |
| وَبَعَثَ مُصْعَبٌ عُمَّالَهُ عَلَى الْجِبَالِ وَالسَّوَادِ ، وَكَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَيَقُولُ لَهُ إِنْ أَطَعْتَنِي فَلَكَ الشَّامُ وَأَعِنَّةُ الْخَيْلِ وَمَا غَلَبْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَرْضِ الْمَغْرِبِ مَا دَامَ لِآلِ الزُّبَيْرِ سُلْطَانٌ. |
| وَأَعْطَاهُ عَهْدَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ. |
| وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى ابْنِ الْأَشْتَرِ يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَيَقُولُ إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنِي فَلَكَ الْعِرَاقُ. |
| فَاسْتَشَارَ إِبْرَاهِيمُ أَصْحَابَهُ فَاخْتَلَفُوا ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لَوْ لَمْ أَكُنْ أَصَبْتُ ابْنَ زِيَادٍ وَأَشْرَافَ الشَّامِ لَأَجَبْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ ، مَعَ أَنِّي لَا أَخْتَارُ عَلَى أَهْلِ مِصْرِي وَعَشِيرَتِي غَيْرَهُمْ. |
| فَكَتَبَ إِلَى مُصْعَبٍ بِالدُّخُولِ مَعَهُ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُصْعَبٌ أَنْ أَقْبِلْ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ مُصْعَبًا إِقْبَالُهُ إِلَيْهِ بَعَثَ الْمُهَلَّبَ عَلَى عَمَلِهِ بِالْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ. |
| ثُمَّ إِنَّ مُصْعَبًا دَعَا أُمَّ ثَابِتٍ بِنْتَ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ امْرَأَةَ الْمُخْتَارِ ، وَعَمْرَةَ بِنْتَ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّةَ امْرَأَتَهُ الْأُخْرَى ، فَأَحْضَرَهُمَا وَسَأَلَهُمَا عَنِ الْمُخْتَارِ. |
| فَقَالَتْ أُمُّ ثَابِتٍ نَقُولُ فِيهِ بِقَوْلِكَ أَنْتَ. |
| فَأَطْلَقَهَا ، وَقَالَتْ عَمْرَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ ، كَانَ عَبْدًا لِلَّهِ صَالِحًا. |
| فَحَبَسَهَا ، وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ إِنَّهَا تَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَأَمَرَهُ بِقَتْلِهَا ، فَقُتِلَتْ لَيْلًا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْحِيرَةِ ، قَتَلَهَا بَعْضُ الشُّرَطِ ، ضَرَبَهَا ثَلَاثَ ضَرَبَاتٍ بِالسَّيْفِ وَهِيَ تَقُولُ يَا أَبَتَاهُ! |
| يَا عَثْرَتَاهُ! |
| فَرَفَعَ رَجُلٌ يَدَهُ فَلَطَمَ الْقَاتِلَ وَقَالَ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ ، عَذَّبْتَهَا! |
| ثُمَّ تَشَحَّطَتْ فَمَاتَتْ ، فَتَعَلَّقَ الشُّرْطِيُّ بِالرَّجُلِ وَحَمَلَهُ إِلَى مُصْعَبٍ ، فَقَالَ خَلُّوهُ فَقَدْ رَأَى أَمْرًا فَظِيعًا. |
| فَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ فِي ذَلِكَ إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي... |
| قَتْلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عُطْبُولِ قُتِلَتْ هَكَذَا عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ إِنَّ لِلَّهِ دَرُّهَا مِنْ قَتِيلِ... |
| كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ فِي ذَلِكَ أَيْضًا أَتَى رَاكِبٌ بِالْأَمْرِ ذِي النَّبَإِ الْعَجَبْ... |
| بِقَتْلِ ابْنَةِ النُّعْمَانِ ذِي الدِّينِ وَالْحَسَبْ بِقَتْلِ فَتَاةٍ ذَاتِ دَلٍّ سَتِيرَةٍ... |
| مُهَذَّبَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْخِيمِ وَالنَّسَبْ مُطَهَّرَةٍ مِنْ نَسْلِ قَوْمٍ أَكَارِمٍ... |
| مِنَ الْمُؤْثِرِينَ الْخَيْرَ فِي سَالِفِ الْحِقَبْ خَلِيلُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَنَصِيرُهُ... |
| وَصَاحِبُهُ فِي الْحَرْبِ وَالضَّرْبِ وَالْكُرَبْ أَتَانِي بِأَنَّ الْمُلْحِدِينَ تَوَافَقُوا... |
| عَلَى قَتْلِهَا لَا جُنِّبُوا الْقَتْلَ وَالسَّلَبْ فَلَا هَنَأَتْ آلَ الزُّبَيْرِ مَعِيشَةٌ... |
| وَذَاقُوا لِبَاسَ الذُّلِّ وَالْخَوْفِ وَالْحَرَبْ كَأَنَّهُمُ إِذْ أَبْرَزُوهَا وَقُطِّعَتْ... |
| بِأَسْيَافِهِمْ فَازُوا بِمَمْلَكَةِ الْعَرَبِ أَلَمْ تَعْجَبِ الْأَقْوَامُ مِنْ قَتْلِ حُرَّةٍ... |
| مِنَ الْمُحْصَنَاتِ الدِّينِ مَحْمُودَةِ الْأَدَبْ مِنَ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ بَرِيئَةٍ... |
| مِنَ الذَّمِّ وَالْبُهْتَانِ وَالشَّكِّ وَالْكَذِبْ عَلَيْنَا كِتَابُ الْقَتْلِ وَالْبَأْسِ وَاجِبٌ... |
| وَهُنَّ الْعَفَافُ فِي الْحِجَالِ وَفِي الْحُجُبْ عَلَى دِينِ أَجْدَادٍ لَهَا وَأُبُوَّةٍ كِرَامٍ مَضَتْ لَمْ تُخْزِ أَهْلًا وَلَمْ تُرِبْ... |
| مِنَ الْخَفِرَاتِ لَا خَرُوجٌ بَذِيَّةٌ مُلَائِمَةٌ تَبْغِي عَلَى جَارِهَا الْجُنُبْ... |
| وَلَا الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَلَمْ تَدْرِ مَا الْخَنَا وَلَمْ تَزْدَلِفْ يَوْمًا بِسُوءٍ وَلَمْ تُجِبْ... |
| عَجِبْتُ لَهَا إِذْ كُتِّفَتْ وَهْيَ حَيَّةٌ أَلَا إِنَّ هَذَا الْخَطْبَ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبْ وَقِيلَ إِنَّ الْمُخْتَارَ إِنَّمَا أَظْهَرَ الْخِلَافَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ عِنْدَ قُدُومِ مُصْعَبٍ الْبَصْرَةَ ، وَإِنَّ مُصْعَبًا لَمَّا سَارَ إِلَيْهِ فَبَلَغَهُ مَسِيرُهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَحْمَرَ بْنَ شُمَيْطٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُوَاقِعَهُ بِالْمَذَارِ ، وَقَالَ إِنَّ الْفَتْحَ بِالْمَذَارِ; لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ ثَقِيفٍ يُفْتَحُ عَلَيْهِ بِالْمَذَارِ فَتْحٌ عَظِيمٌ ، فَظَنَّ أَنَّهُ هُوَ ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِلْحَجَّاجِ فِي قِتَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ. |
| وَأَمَرَ مُصْعَبٌ عَبَّادًا الْحَطَمِيَّ بِالْمَسِيرِ إِلَى جَمْعِ الْمُخْتَارِ ، فَتَقَدَّمَ وَتَقَدَّمَ مَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَبَقِيَ مُصْعَبٌ عَلَى نَهْرِ الْبَصْرِيِّينَ ، وَخَرَجَ الْمُخْتَارُ فِي عِشْرِينَ أَلْفًا ، وَزَحَفَ مُصْعَبٌ وَمَنْ مَعَهُ ، فَوَافُوهُ مَعَ اللَّيْلِ ، فَقَالَ الْمُخْتَارُ لِأَصْحَابِهِ لَا يَبْرَحَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى يَسْمَعَ مُنَادِيًا يُنَادِي يَا مُحَمَّدُ ، فَإِذَا سَمِعْتُمُوهُ فَاحْمِلُوا. |
| فَلَمَّا طَلَعَ الْقَمَرُ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى يَا مُحَمَّدُ ، فَحَمَلُوا عَلَى أَصْحَابِ مُصْعَبٍ ، فَهَزَمُوهُمْ وَأَدْخَلُوهُمْ عَسْكَرَهُمْ ، فَلَمْ يَزَالُوا يُقَاتِلُونَهُمْ حَتَّى أَصْبَحُوا ، وَأَصْبَحَ الْمُخْتَارُ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَوْغَلُوا فِي أَصْحَابِ مُصْعَبٍ ، فَانْصَرَفَ الْمُخْتَارُ مُنْهَزِمًا حَتَّى دَخَلَ قَصْرَ الْكُوفَةِ ، وَجَاءَ أَصْحَابُهُ حِينَ أَصْبَحُوا فَوَقَفُوا مَلِيًّا ، فَلَمْ يَرَوُا الْمُخْتَارَ فَقَالُوا قَدْ قُتِلَ ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ مَنْ أَطَاقَ الْهَرَبَ ، فَاخْتَفُوا بِدُورِ الْكُوفَةِ ، وَتَوَجَّهَ مِنْهُمْ نَحْوَ الْقَصْرِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ ، فَوَجَدُوا الْمُخْتَارَ فِي الْقَصْرِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَكَانُوا قَدْ قَتَلُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ أَصْحَابِ مُصْعَبٍ خَلْقًا كَثِيرًا ، مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ. |
| وَأَقْبَلَ مُصْعَبٌ فَأَحَاطَ بِالْقَصْرِ ، وَحَاصَرَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، يَخْرُجُ الْمُخْتَارُ كُلَّ يَوْمٍ فَيُقَاتِلُهُمْ فِي سُوقِ الْكُوفَةِ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ الْمُخْتَارُ بَعَثَ مَنْ فِي الْقَصْرِ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، فَأَبَى مُصْعَبٌ ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ ، فَقَتَلَ مِنَ الْعَرَبِ سَبْعُمِائَةٍ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، وَسَائِرُهُمْ مِنَ الْعَجَمِ ، وَكَانَ عِدَّةُ الْقَتْلَى سِتَّةَ آلَافِ رَجُلٍ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ الْمُخْتَارُ كَانَ عُمُرُهُ سَبْعًا وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَكَانَ قَتْلُهُ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ. |
| قِيلَ إِنَّ مُصْعَبًا لَقِيَ ابْنَ عُمَرَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ أَنَا ابْنُ أَخِيكَ مُصْعَبٍ. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ أَنْتَ الْقَاتِلُ سَبْعَةَ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ غَيْرَ مَا بَدَا لَكَ. |
| فَقَالَ مُصْعَبٌ إِنَّهُمْ كَانُوا كَفَرَةً فَجَرَةً. |
| فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَ عِدَّتَهُمْ غَنَمًا مِنْ تُرَاثِ أَبِيكَ لَكَانَ ذَلِكَ سَرَفًا. |
| وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَلَمْ يَبْلُغْكَ قَتْلُ الْكَذَّابِ ؟ |
| قَالَ وَمَنِ الْكَذَّابُ ؟ |
| قَالَ ابْنُ أَبِي عُبَيْدٍ. |
| قَالَ قَدْ بَلَغَنِي قَتْلُ الْمُخْتَارِ. |
| قَالَ كَأَنَّكَ نَكَرْتَ تَسْمِيَتَهُ كَذَّابًا ، وَمُتَوَجِّعٌ لَهُ. |
| قَالَ ذَاكَ رَجُلٌ قَتَلَ قَتَلَتَنَا ، وَطَلَبَ ثَأْرَنَا ، وَشَفَى غَلِيلَ صُدُورِنَا ، وَلَيْسَ جَزَاؤُهُ مِنَّا الشَّتْمَ وَالشَّمَاتَةَ. |
| وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ لِابْنِ عَبَّاسٍ قَدْ قُتِلَ الْكَذَّابُ الْمُخْتَارُ ، وَهَذَا رَأْسُهُ. |
| فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَدْ بَقِيَتْ لَكُمْ عَقَبَةٌ كَئُودٌ فَإِنْ صَعِدْتُمُوهَا فَأَنْتُمْ أَنْتُمْ ، وَإِلَّا فَلَا. |
| يَعْنِي عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ. |
| وَكَانَتْ هَدَايَا الْمُخْتَارِ تَأْتِي ابْنَ عُمَرَ وَابْنَ الْحَنَفِيَّةِ فَيَقْبَلَانِهَا ، وَقِيلَ رَدَّ ابْنُ عُمَرَ هَدِيَّتَهُ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَوِلَايَةِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَخَاهُ مُصْعَبًا عَنِ الْعِرَاقِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ الْمُخْتَارَ ، وَوَلَّى مَكَانَهُ ابْنَهُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ حَمْزَةُ جَوَّادًا مُخَلَّطًا ، يَجُودُ أَحَيَانًا حَتَّى لَا يَدَعَ شَيْئًا يَمْلِكُهُ ، وَيَمْنَعُ أَحْيَانًا مَا لَا يَمْنَعُ مِثْلُهُ ، وَظَهَرَ مِنْهُ بِالْبَصْرَةِ خِفَّةٌ وَضَعْفٌ ، فَيُقَالُ إِنَّهُ رَكِبَ يَوْمًا فَرَأَى فَيْضَ الْبَصْرَةِ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الْغَدِيرَ إِنْ رَفَقُوا بِهِ لَيَكْفِيَنَّهُمْ صَيَفَهُمْ. |
| فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ رَآهُ جَازِرًا فَقَالَ قَدْ قُلْتُ لَوْ رَفَقُوا بِهِ لَكَفَاهُمْ. |
| وَظَهَرَ مِنْهُ غَيْرُ ذَلِكَ ، فَكَتَبَ الْأَحْنَفُ إِلَى أَبِيهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَعْزِلَهُ عَنْهُمْ وَيُعِيدَ مُصْعَبًا ، فَعَزَلَهُ ، فَاحْتَمَلَ مَالًا كَثِيرًا مِنْ مَالِ الْبَصْرَةِ ، فَعَرَضَ لَهُ مَالِكُ بْنُ مَسْمَعٍ فَقَالَ لَهُ لَا نَدَعُكَ تَخْرُجُ بِعَطَايَانَا. |
| فَضَمِنَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَطَاءَ ، فَكَفَّ عَنْهُ ، وَشَخَصَ حَمْزَةُ بِالْمَالِ ، وَأَتَى الْمَدِينَةَ فَأَوْدَعَهُ رِجَالًا ، فَجَحَدُوهُ إِلَّا رَجُلًا وَاحَدًا فَوَفَى لَهُ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَاهُ فَقَالَ أَبْعَدَهُ اللَّهُ! |
| أَرَدْتُ أَنْ أُبَاهِيَ بِهِ بَنِي مَرْوَانَ فَنَكَصَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ مُصْعَبًا أَقَامَ بِالْكُوفَةِ سَنَةً بَعْدَ قَتْلِ الْمُخْتَارِ مَعْزُولًا عَنِ الْبَصْرَةِ ، عَزَلَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا ابْنَهُ حَمْزَةَ ، ثُمَّ إِنَّ مُصْعَبًا وَفَدَ عَلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَرَدَّهُ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَقِيلَ بَلِ انْصَرَفَ مُصْعَبٌ إِلَى الْبَصْرَةِ بَعْدَ قَتْلِ الْمُخْتَارِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْكُوفَةِ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَكَانَتَا فِي عَمَلِهِ ، فَعَزَلَهُ أَخُوهُ عَنِ الْبَصْرَةِ وَاسْتَعْمَلَ ابْنَهُ حَمْزَةَ ، ثُمَّ عَزَلَ حَمْزَةَ بِكِتَابِ الْأَحْنَفِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَرَدَّ مُصْعَبًا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ عَامِلُهُ عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ هِشَامُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَبِالشَّامِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَبِخُرَاسَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكُوفَةِ مَعَ مُصْعَبٍ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ بِالْكُوفَةِ لَمَّا سَارَ مُصْعَبٌ إِلَى قِتَالِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. |
| وَقُتِلَ هُبَيْرَةُ بْنُ مَرْيَمَ مَوْلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بِالْخَازَرِ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ وَثِقَاتِ الْمُحَدِّثِينَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَأَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ ، وَلَيْسَتْ لَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَقَتَلَ مُصْعَبٌ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَعَبْدَ الرَّبِّ ابْنَيْ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ ، وَعِمْرَانَ بْنَ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ، قَتَلَهُمْ صَبْرًا بَعْدَ قَتْلِ الْمُخْتَارِ ، وَبَعْدَ قَتْلِ أَصْحَابِهِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ ذِكْرُ عَزْلِ حَمْزَةَ وَوِلَايَةِ مُصْعَبٍ الْبَصْرَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ رَدَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَخَاهُ مُصْعَبًا إِلَى الْعِرَاقِ. |
| وَسَبَبُهُ أَنَّ الْأَحْنَفَ رَأَى مِنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اخْتِلَاطًا وَحُمْقًا ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِيهِ ، فَعَزَلَهُ وَرَدَّ مُصْعَبًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْكُوفَةِ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ. |
| وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ عَزْلِهِ حَمْزَةَ أَنَّهُ قَصَّرَ بِالْأَشْرَافِ وَبَسَطَ يَدَهُ ، فَفَزِعُوا إِلَى مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ ، فَضَرَبَ خَيْمَتَهُ عَلَى الْجِسْرِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَمْزَةَ الْحَقْ بِأَبِيكَ. |
| وَأَخْرَجَهُ عَنِ الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ الْعُدَيْلُ الْعِجْلِيُّ إِذَا مَا خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلَامَةً... |
| دَعَوْنَا أَبَا سُفْيَانَ يَوْمًا فَعَسْكَرَا ذِكْرُ حُرُوبِ الْخَوَارِجِ بِفَارِسَ وَالْعِرَاقِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ مُصْعَبٌ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ عَلَى فَارِسَ ، وَوَلَّاهُ حَرْبَ الْأَزَارِقَةِ ، وَكَانَ الْمُهَلَّبُ عَلَى حَرْبِهِمْ أَيَّامَ مُصْعَبٍ الْأُولَى ، وَأَيَّامَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ. |
| فَلَمَّا عَادَ مُصْعَبٌ أَرَادَ أَنْ يُوَلِّيَ الْمُهَلَّبَ بِلَادَ الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَّةَ; لِيَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِفَارِسَ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ ، فَقَدِمَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى عَمَلِهِ ابْنَهُ الْمُغِيرَةَ ، وَوَصَّاهُ بِالِاحْتِيَاطِ ، وَقَدِمَ الْبَصْرَةَ ، فَعَزَلَهُ مُصْعَبٌ عَنْ حَرْبِ الْخَوَارِجِ وَبِلَادِ فَارِسَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمَا عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ الْخَوَارِجُ بِهِ قَالَ قَطَرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ قَدْ جَاءَكُمْ شُجَاعٌ ، وَهُوَ شُجَاعٌ وَبَطَلٌ ، جَاءَ يُقَاتِلُ لِدِينِهِ وَمُلْكِهِ بِطَبِيعَةٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهَا لِأَحَدٍ ، مَا حَضَرَ حَرْبًا إِلَّا كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ يَقْتُلُ قِرْنَهُ. |
| وَكَانَ الْخَوَارِجُ قَدِ اسْتَعْمَلُوا عَلَيْهِمْ بَعْدَ قَتْلِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَاحُوزِ الزُّبَيْرَ بْنَ الْمَاحُوزِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، فَجَاءَتِ الْخَوَارِجُ إِلَى إِصْطَخْرَ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ ابْنَهُ عُبَيْدَ اللَّهِ فِي خَيْلٍ ، فَاقْتَتَلُوا فَقُتِلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَأَرَادَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْمَاحُوزِ قِتَالَ عُمَرَ فَقَالَ لَهُ قَطَرِيٌّ إِنَّ عُمَرَ مَأْثُورٌ فَلَا نُقَاتِلُهُ. |
| فَأَبَى فَقَاتَلَهُ ، فَقُتِلَ مِنْ فُرْسَانِ الْخَوَارِجِ تِسْعُونَ رَجُلًا ، وَطَعَنَ عُمَرُ صَالِحَ بْنَ مُخَارِقٍ ، فَشَتَرَ عَيْنَهُ ، وَضَرَبَ قَطَرِيًّا عَلَى جَبِينِهِ فَفَلَقَهُ ، وَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ وَسَارُوا إِلَى سَابُورَ ، فَعَادَ عُمَرُ وَلَقِيَهُمْ بِهَا وَمَعَهُ مُجَّاعَةُ بْنُ سِعْرٍ ، فَقَتَلَ مُجَّاعَةُ بِعَمُودٍ كَانَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَكَادَ عُمَرُ يَهْلِكُ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ ، فَدَافَعَ عَنْهُ مُجَّاعَةُ ، فَوَهَبَ لَهُ عُمَرُ تِسْعَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقِيلَ فِي ذَلِكَ قَدْ ذُدْتُ عَادِيَةَ الْكَتِيبَةِ عَنْ فَتًى قَدْ كَادَ يُتْرَكُ لَحْمُهُ أَقْطَاعَا وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ، فَسَارُوا وَقَطَعُوا قَنْطَرَةً بَيْنَهُمَا لِيَمْتَنِعَ مِنْ طَلَبِهِمْ ، وَقَصَدُوا نَحْوَ أَصْبَهَانَ ، فَأَقَامُوا عِنْدَهَا حَتَّى قَوَوْا وَاسْتَعَدُّوا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا حَتَّى مَرُّوا بِفَارِسَ وَبِهَا عُمَرُ ، فَقَطَعُوهَا فِي غَيْرِ الْمَوْضِعِ الَّذِي هُمْ بِهِ ، أَخَذُوا عَلَى سَابُورَ ، ثُمَّ عَلَى أَرَّجَانَ ، حَتَّى أَتَوُا الْأَهْوَازَ. |
| فَقَالَ مُصْعَبٌ الْعَجَبُ لِعُمَرَ! |
| قَطَعَ الْعَدُوُّ الَّذِي هُوَ بِصَدَدِ مُحَارَبَتِهِ أَرْضَ فَارِسَ فَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ ، وَلَوْ قَاتَلَهُمْ وَفَرَّ كَانَ أَعْذَرَ لَهُ. |
| وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ مَعْمَرٍ مَا أَنْصَفْتَنِي ، تَجْبِي الْفَيْءَ وَتَحِيدُ عَنِ الْعَدُوِّ ، فَاكْفِنِي أَمْرَهُمْ. |
| فَسَارَ عُمَرُ مِنْ فَارِسَ فِي أَثَرِهِمْ مُجِدًّا يَرْجُو أَنْ يَلْحَقَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْعِرَاقَ ، وَخَرَجَ مُصْعَبٌ فَعَسْكَرَ عِنْدَ الْجِسْرِ الْأَكْبَرِ ، وَعَسْكَرَ النَّاسُ مَعَهُ ، وَبَلَغَ الْخَوَارِجَ وَهُمْ بِالْأَهْوَازِ إِقْبَالُ عُمَرَ إِلَيْهِمْ ، وَأَنَّ مُصْعَبًا قَدْ خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْمَاحُوزِ مِنْ سُوءِ الرَّأْيِ وُقُوعُكُمْ بَيْنَ هَاتَيْنِ الشَّوْكَتَيْنِ ، انْهَضُوا بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا نَلْقَهُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ. |
| فَسَارَ بِهِمْ فَقَطَعَ بِهِمْ أَرْضَ جُوخَى وَالنَّهْرَوَانَاتِ ، فَأَتَى الْمَدَائِنَ وَبِهَا كَرْدَمُ بْنُ مَرْثَدٍ الْقُرَادِيُّ ، فَشَنُّوا الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ الْمَدَائِنِ يَقْتُلُونَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالْوِلْدَانَ ، وَيَشُقُّونَ أَجْوَافَ الْحُبَالَى. |
| فَهَرَبَ كَرْدَمُ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى سَابَاطَ ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ فِي النَّاسِ يَقْتُلُونَ ، وَأَرْسَلُوا جَمَاعَةً إِلَى الْكَرْخِ ، فَلَقُوا أَبَا بَكْرِ بْنَ مِخْنَفٍ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ أَبُو بَكْرٍ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَأَفْسَدَ الْخَوَارِجُ فِي الْأَرْضِ. |
| فَأَتَى أَهْلُ الْكُوفَةِ أَمِيرَهُمْ ، وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَلَقَبُهُ الْقُبَاعُ ، فَصَاحُوا بِهِ وَقَالُوا اخْرُجْ فَإِنَّ الْعَدُوَّ قَدْ أَظَلَّ عَلَيْنَا لَيْسَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ. |
| فَخَرَجَ حَتَّى نَزَلَ النُّخَيْلَةَ فَأَقَامَ أَيَّامًا ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ ، فَحَثَّهُ عَلَى الْمَسِيرِ ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ دَيْرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَأَقَامَ بِهِ حَتَّى دَخَلَ إِلَيْهِ شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ ، فَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ بُطْءَ مَسِيرِهِ رَجَزُوا بِهِ فَقَالُوا سَارَ بِنَا الْقُبَاعُ سَيْرًا نُكْرَا... |
| يَسِيرُ يَوْمًا وَيُقِيمُ شَهْرَا فَسَارَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَكَانَ كُلَّمَا نَزَلَ مَنْزِلًا أَقَامَ بِهِ حَتَّى يَصِيحَ بِهِ النَّاسُ ، فَبَلَغَ الْفُرَاتَ فِي بِضْعَةِ عَشْرَ يَوْمًا ، فَأَتَاهَا وَقَدِ انْتَهَى إِلَيْهَا الْخَوَارِجُ ، فَقَطَعُوا الْجِسْرَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَأَخَذُوا رَجُلًا اسْمُهُ سِمَاكُ بْنُ يَزِيدَ وَمَعَهُ بِنْتٌ لَهُ ، فَأَخَذُوهَا لِيَقْتُلُوهَا ، فَقَالَتْ لَهُمْ يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ! |
| إِنَّ أَبِي مُصَابٌ فَلَا تَقْتُلُوهُ ، وَأَمَّا أَنَا فَجَارِيَةٌ ، وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُ فَاحِشَةً قَطُّ ، وَلَا آذَيْتُ جَارَةً لِي ، وَلَا تَطَلَّعْتُ وَلَا تَشَرَّفْتُ قَطُّ. |
| فَلَمَّا أَرَادُوا قَتْلَهَا سَقَطَتْ مَيِّتَةً ، فَقَطَّعُوهَا بِأَسْيَافِهِمْ ، وَبَقِيَ سِمَاكٌ مَعَهُمْ حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَى الصَّرَاةِ ، فَاسْتَقْبَلَ أَهْلَ الْكُوفَةِ فَنَادَاهُمُ اعْبُرُوا إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ قَلِيلٌ خَبِيثٌ. |
| فَضَرَبُوا عُنُقَهُ وَصَلَبُوهُ. |
| فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ لِلْحَارِثِ انْدُبْ مَعِيَ النَّاسَ حَتَّى أَعْبُرَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْكِلَابِ فَأَجِيئَكَ بِرُءُوسِهِمْ. |
| فَقَالَ شَبَثٌ ، وَأَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَغَيْرُهُمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، دَعْهُمْ فَلْيَذْهَبُوا. |
| وَكَأَنَّهُمْ حَسَدُوا إِبْرَاهِيمَ. |
| فَلَمَّا رَأَى الْخَوَارِجُ كَثْرَةَ النَّاسِ قَطَعُوا الْجِسْرَ ، وَاغْتَنَمَ ذَلِكَ الْحَارِثُ فَتَحَبَّسَ ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَ الْقِتَالِ الرَّمْيَةُ بِالنَّبْلِ وَإِشْرَاعُ الرِّمَاحِ وَالطَّعْنُ ، ثُمَّ الطَّعْنُ شَزْرًا ، ثُمَّ السَّلَّةُ آخِرُ ذَلِكَ كُلِّهِ. |
| فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ قَدْ أَحْسَنَ الْأَمِيرُ الصِّفَةَ ، وَلَكِنْ مَتَى نَصْنَعُ هَذَا وَهَذَا الْبَحْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟ |
| فَمُرْ بِهَذَا الْجِسْرِ فَلْيُعْقَدْ ، ثُمَّ عَبِّرْنَا إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُرِيكَ مَا تُحِبُّ. |
| فَعَقَدَ الْجِسْرَ وَعَبَرَ النَّاسُ ، فَطَارَدَ الْخَوَارِجَ حَتَّى أَتَوُا الْمَدَائِنَ ، وَطَارَدَتْ بَعْضُ خَيْلِهِمْ عِنْدَ الْجِسْرِ طِرَادًا ضَعِيفًا فَرَجَعُوا ، فَأَتْبَعَهُمُ الْحَارِثُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مِخْنَفٍ فِي سِتَّةِ آلَافٍ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ الْكُوفَةِ ، وَقَالَ لَهُ إِذَا وَقَعُوا فِي أَرْضِ الْبَصْرَةِ فَاتْرُكْهُمْ. |
| فَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتْبَعُهُمْ حَتَّى وَقَعُوا فِي أَرْضٍ أَصْبَهَانَ ، فَرَجَعَ عَنْهُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ ، وَقَصَدُوا الرَّيَّ وَعَلَيْهَا يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رُوَيْمٍ الشَّيْبَانِيُّ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَأَعَانَ أَهْلُ الرَّيِّ الْخَوَارِجَ ، فَقُتِلَ يَزِيدُ وَهَرَبَ ابْنُهُ حَوْشَبٌ ، وَدَعَاهُ أَبُوهُ لِيَدْفَعَ عَنْهُ فَلَمْ يَرْجِعْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَوْ كَانَ حُرًّا حَوْشَبٌ ذَا حَفِيظَةٍ... |
| رَأَى مَا رَأَى فِي الْمَوْتِ عِيسَى بْنُ مُصْعَبِ يَعْنِي أَنَّ عِيسَى بْنَ مُصْعَبٍ لَمْ يَفِرَّ عَنْ أَبِيهِ ، بَلْ قَاتَلَ عَنْهُ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ. |
| وَقَالَ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمًا وَعِنْدَهُ حَوْشَبٌ هَذَا وَعِكْرِمَةُ بْنُ رِبْعِيٍّ مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى فَرَسٍ جَوَادٍ ؟ |
| فَقَالَ عِكْرِمَةُ فَرَسُ حَوْشَبٍ ، فَإِنَّهُ نَجَا عَلَيْهِ يَوْمَ الرَّيِّ. |
| وَقَالَ بِشْرٌ أَيْضًا يَوْمًا مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى بَغْلَةٍ قَوِيَّةِ الظَّهْرِ ؟ |
| فَقَالَ حَوْشَبٌ بَغْلَةُ وَاصِلِ بْنِ مُسَافِرٍ. |
| كَانَ عِكْرِمَةُ يُتَّهَمُ بِامْرَأَةِ وَاصِلٍ ، فَتَبَسَّمَ بِشْرٌ وَقَالَ لَقَدِ انْتَصَفْتَ. |
| وَلَمَّا فَرَغَ الْخَوَارِجُ مِنَ الرَّيِّ انْحَطُّوا إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَحَاصَرُوهَا وَبِهَا عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ، فَصَبَرَ لَهُمْ ، وَكَانَ يُقَاتِلُهُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، وَيَرْمُونَ مِنَ السُّورِ بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ. |
| وَكَانَ مَعَ عَتَّابٍ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ يُقَالُ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَكَانَ يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُ كَيْفَ تَرَوْنَ يَا كِلَابَ النَّارِ... |
| شَدَّ أَبِي هُرَيْرَةَ الْهَرَّارِ يُهِرُّكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... |
| يَا ابْنَ أَبِي الْمَاحُوزِ وَالْأَشْرَارِ كَيْفَ تَرَى حَرْبِي عَلَى الْمِضْمَارِ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى الْخَوَارِجِ كَمُنَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ فَصَرَعَهُ ، فَاحْتَمَلَهُ أَصْحَابُهُ وَدَاوُوهُ حَتَّى بَرِأَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَلَى عَادَتِهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْخَوَارِجَ أَقَامَتْ عَلَيْهِمْ أَشْهُرًا حَتَّى نَفِدَتْ أَطْعِمَتُهُمْ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحِصَارُ ، وَأَصَابَهُمُ الْجُهْدُ الشَّدِيدُ ، فَقَالَ لَهُمْ عَتَّابٌ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْجُهْدِ مَا تَرَوْنَ ، وَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ أَحَدُكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَيَدْفِنَهُ أَخُوهُ إِنِ اسْتَطَاعَ ، ثُمَّ يَمُوتُ هُوَ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَدْفِنُهُ وَلَا يُصَلِّي عَلَيْهِ ، وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ بِالْقَلِيلِ ، وَإِنَّكُمُ الْفُرْسَانُ الصُّلَحَاءُ ، فَاخْرُجُوا بِنَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَبِكُمْ قُوَّةٌ وَحَيَاةٌ ، قَبْلَ أَنْ تَضْعُفُوا عَنِ الْحَرَكَةِ مِنَ الْجُهْدِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو إِنْ صَدَقْتُمُوهُمْ أَنْ تَظْفَرُوا بِهِمْ. |
| فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ ابْنِ الْمَاحُوزِ وَإِمَارَةِ قَطَرِيِّ بْنِ الْفُجَاءَةِ لَمَّا أَمَرَ عَتَّابٌ أَصْحَابَهُ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ وَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ جَمَعَ النَّاسَ ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِطَعَامٍ كَثِيرٍ ، ثُمَّ خَرَجَ حِينَ أَصْبَحَ ، فَأَتَى الْخَوَارِجَ وَهُمْ آمِنُونَ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنْ عَسْكَرِهِمْ ، وَانْتَهَوْا إِلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْمَاحُوزِ ، فَنَزَلَ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَانْحَازَتِ الْأَزَارِقَةُ إِلَى قَطَرِيِّ بْنِ الْفُجَاءَةِ الْمَازِنِيِّ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو نَعَامَةَ ، فَبَايَعُوهُ ، وَأَصَابَ عَتَّابٌ وَأَصْحَابُهُ مِنْ عَسْكَرِهِ مَا شَاءُوا ، وَجَاءَ قَطَرِيٌّ فَنَزَلَ فِي عَسْكَرِ الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ سَارَ عَنْ أَصْبَهَانَ وَتَرَكَهَا ، وَأَتَى نَاحِيَةَ كَرْمَانَ وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ ، وَجَبَى الْمَالَ وَقَوِيَ. |
| ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى أَصْبَهَانَ ، ثُمَّ أَتَى إِلَى أَرْضِ الْأَهْوَازِ ، فَأَقَامَ بِهَا وَالْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عَامِلُ مُصْعَبٍ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَكَتَبَ إِلَى مُصْعَبٍ يُخْبِرُهُ بِالْخَوَارِجِ وَأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْمُهَلَّبُ. |
| فَبَعَثَ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَهُوَ عَلَى الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ فَأَمَرَهُ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ ، وَبَعَثَ إِلَى الْمَوْصِلِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ ، وَجَاءَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَانْتَخَبَ النَّاسَ وَسَارَ بِهِمْ نَحْوَ الْخَوَارِجِ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا إِلَيْهِ حَتَّى الْتَقَوْا بِسُولَافَ ، فَاقْتَتَلُوا بِهَا ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ أَشَدَّ قِتَالٍ رَآهُ النَّاسُ. |
| ذِكْرُ حِصَارِ الرَّيِّ وَفِيهَا أَمَرَ مُصْعَبٌ عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ الرِّيَاحِيَّ ، عَامِلَهُ عَلَى أَصْبَهَانَ ، بِالْمَسِيرِ إِلَى الرَّيِّ وَقِتَالِ أَهْلِهَا لِمُسَاعَدَتِهِمُ الْخَوَارِجَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ رُوَيْمٍ ، وَامْتِنَاعِهِمْ مِنْ مَدِينَتِهِمْ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ عَتَّابٌ فَنَازَلَهُمْ وَقَاتَلَهُمْ وَعَلَيْهِمُ الْفَرُّخَانُ ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ عَتَّابٌ بِالْقِتَالِ ، فَفَتَحَهَا عَنْوَةً وَغَنِمَ مَا فِيهَا ، وَافْتَتَحَ سَائِرَ قِلَاعِ نَوَاحِيهَا. |
| وَفِيهَا كَانَ بِالشَّامِ قَحْطٌ شَدِيدٌ ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا مِنْ شِدَّتِهِ عَلَى الْغَزْوِ. |
| وَفِيهَا عَسْكَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِبُطْنَانَ حَبِيبٍ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ قِنَّسْرِينَ ، وَشَتَّى بِهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ. |
| ذِكْرُ خَبَرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ وَمَقْتَلِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُرِّ الْجُعْفِيُّ ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ قَوْمِهِ صَلَاحًا وَفَضْلًا وَاجْتِهَادًا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ قَصَدَ مُعَاوِيَةَ ، فَكَانَ مَعَهُ لِمَحَبَّتِهِ عُثْمَانَ ، وَشَهِدَ مَعَهُ صِفِّينَ هُوَ وَمَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ ، وَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ. |
| وَكَانَ لَهُ زَوْجَةٌ بِالْكُوفَةِ ، فَلَمَّا طَالَتْ غَيْبَتُهُ زَوَّجَهَا أَخُوهَا رَجُلًا يُقَالُ لَهُ عِكْرِمَةُ بْنُ الْخَبِيصِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ ، فَأَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ ، فَخَاصَمَ عِكْرِمَةَ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ ظَاهَرْتَ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا فَغُلْتَ. |
| فَقَالَ لَهُ أَيَمْنَعُنِي ذَلِكَ مِنْ عَدْلِكَ ؟ |
| قَالَ لَا ، فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ امْرَأَتَهُ ، وَكَانَتْ حُبْلَى ، فَوَضَعَهَا عِنْدَ مَنْ يَثِقُ إِلَيْهِ حَتَّى وَضَعَتْ ، فَأَلْحَقَ الْوَلَدَ بِعِكْرِمَةَ ، وَدَفَعَ الْمَرْأَةَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَعَادَ إِلَى الشَّامِ فَأَقَامَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ عَلِيٌّ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَقْبَلَ إِلَى الْكُوفَةِ فَأَتَى إِخْوَانَهُ فَقَالَ مَا أَرَى أَحَدًا يَنْفَعُهُ اعْتِزَالُهُ ، كُنَّا بِالشَّامِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِ مُعَاوِيَةَ كَيْتُ وَكَيْتُ ، فَقَالُوا وَكَانَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ كَيْتُ وَكَيْتُ ، وَكَانُوا يَلْتَقُونَ بِذَلِكَ. |
| فَلَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ وَقُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ لَمْ يَكُنْ عُبَيْدُ اللَّهِ فِيمَنْ حَضَرَ قَتْلَهُ ، يَغِيبُ عَنْ ذَلِكَ تَعَمُّدًا ، فَلَمَّا قُتِلَ جَعَلَ ابْنُ زِيَادٍ يَتَفَقَّدُ الْأَشْرَافَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَرَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُرِّ ، ثُمَّ جَاءَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أَيْنَ كُنْتَ يَا ابْنَ الْحُرِّ ؟ |
| قَالَ كُنْتُ مَرِيضًا. |
| قَالَ مَرِيضَ الْقَلْبِ أَمْ مَرِيضَ الْبَدَنِ ؟ |
| فَقَالَ أَمَّا قَلْبِي فَلَمْ يَمْرَضْ ، وَأَمَّا بَدَنِي فَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ بِالْعَافِيَةِ. |
| قَالَ ابْنُ زِيَادٍ كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ كُنْتَ مَعَ عَدُوِّنَا. |
| فَقَالَ لَوْ كُنْتُ مَعَهُ لَرَأَى مَكَانِي. |
| وَغَفَلَ عَنْهُ ابْنُ زِيَادٍ ، فَخَرَجَ فَرَكِبَ فَرَسَهُ ، ثُمَّ طَلَبَهُ ابْنُ زِيَادٍ فَقَالُوا رَكِبَ السَّاعَةَ. |
| فَقَالَ عَلَيَّ بِهِ. |
| فَأَحْضَرَ الشُّرَطُ خَلْفَهُ ، فَقَالُوا أَجِبِ الْأَمِيرَ. |
| فَقَالَ أَبْلِغُوهُ عَنِّي أَنِّي لَا آتِيهِ طَائِعًا أَبَدًا. |
| ثُمَّ أَجْرَى فَرَسَهُ ، وَأَتَى مَنْزِلَ أَحْمَدَ بْنِ زِيَادٍ الطَّائِيِّ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى كَرْبِلَاءَ ، فَنَظَرَ إِلَى مُصَارِعِ الْحُسَيْنِ وَمَنْ قُتِلَ مَعَهُ ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى الْمَدَائِنِ وَقَالَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ أَمِيرٌ غَادِرٌ وَابْنُ غَادِرٍ أَلَا كُنْتَ قَاتَلْتَ الْحُسَيْنَ بْنَ فَاطِمَهْ... |
| وَنَفْسِي عَلَى خِذْلَانِهِ وَاعْتِزَالِهِ وَبَيْعَةِ هَذَا النَّاكِثِ الْعَهْدَ لَائِمَهْ... |
| فَيَا نَدَمِي أَنْ لَا أَكُونَ نَصَرْتُهُ أَلَا كُلُّ نَفْسٍ لَا تُشَدِّدُ نَادِمَهْ... |
| وَإِنِّي لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهِ لَذُو حَسْرَةٍ أَنْ لَا تُفَارِقَ لَازِمَهْ سَقَى اللَّهُ أَرْوَاحَ الَّذِينَ تَبَادَرُوا... |
| إِلَى نَصْرِهِ سُقْيًا مِنَ الْغَيْثِ دَائِمَهْ وَقَفْتُ عَلَى أَجْدَاثِهِمْ وَمَحَالِّهِمْ... |
| فَكَادَ الْحَشَا يَنْقَضُّ وَالْعَيْنُ سَاجِمَهْ لَعَمْرِي لَقَدْ كَانُوا مَصَالِيتَ فِي الْوَغَى... |
| سِرَاعًا إِلَى الْهَيْجَا حُمَاةً خَضَارِمَهْ تَأَسَّوْا عَلَى نَصْرِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ... |
| بِأَسْيَافِهِمْ آسَادُ غِيلٍ ضَرَاغِمَهْ فَإِنْ يَقْتُلُوا فِي كُلِّ نَفْسٍ بَقِيَّةً... |
| عَلَى الْأَرْضِ قَدْ أَضْحَتْ لِذَلِكَ وَاجِمَهْ وَمَا إِنْ رَأَى الرَّاءُونَ أَفْضَلَ مِنْهُمُ... |
| لَدَى الْمَوْتِ سَادَاتٍ وَزُهْرًا قَمَاقِمَهْ يُقَتِّلُهُمْ ظُلْمًا وَيَرْجُو وِدَادَنَا... |
| فَدَعْ خُطَّةً لَيْسَتْ لَنَا بِمُلَائِمَهْ لَعَمْرِي لَقَدْ رَاغَمْتُمُونَا بِقَتْلِهِمْ... |
| فَكَمْ نَاقِمٍ مِنَّا عَلَيْكُمْ وَنَاقِمَهْ أَهِمُّ مِرَارًا أَنْ أَسِيرَ بِجَحْفَلٍ إِلَى فِئَةٍ... |
| زَاغَتْ عَنِ الْحَقِّ ظَالِمَهْ فَكُفُّوا وَإِلَّا زِدْتُكُمْ فِي كَتَائِبٍ أَشُدَّ عَلَيْكُمْ مِنْ زُحُوفِ الدَّيَالِمَهْ وَأَقَامَ ابْنُ الْحُرِّ بِمَنْزِلِهِ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ إِلَى أَنْ مَاتَ يَزِيدُ وَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ ، فَقَالَ مَا أَرَى قُرَيْشًا تُنْصِفُ ، أَيْنَ أَبْنَاءُ الْحَرَائِرِ ؟ |
| فَأَتَاهُ كُلُّ خَلِيعٍ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَدَائِنِ فَلَمْ يَدَعْ مَالًا قُدِمَ بِهِ لِلسُّلْطَانِ إِلَّا أَخَذَ مِنْهُ عَطَاءَهُ وَعَطَاءَ أَصْحَابِهِ ، وَيَكْتُبُ لِصَاحِبِ الْمَالِ بِذَلِكَ ، ثُمَّ جَعَلَ يَتَقَصَّى الْكُوَرَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَالِ أَحَدٍ وَلَا ذِمَّةٍ. |
| فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى ظَهَرَ الْمُخْتَارُ وَسَمِعَ مَا يَعْمَلُ فِي السَّوَادِ ، فَأَخَذَ امْرَأَتَهُ فَحَبَسَهَا ، فَأَقْبَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي أَصْحَابِهِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَكَسَرَ بَابَ السِّجْنِ وَأَخْرَجَهَا ، وَأَخْرَجَ كُلَّ امْرَأَةٍ فِيهِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمَّ تَوْبَةَ أَنَّنِي... |
| أَنَا الْفَارِسُ الْحَامِي حَقَائِقَ مَذْحِجِ وَأَنِّي صَبَحْتُ السِّجْنَ فِي سَوْرَةِ الضُّحَى بِكُلِّ فَتًى حَامِي الذِّمَارِ مُدَجَّجِ... |
| فَمَا إِنْ بَرِحْنَا السَّجْنَ حَتَّى بَدَا لَنَا جَبِينٌ كَقَرْنِ الشَّمْسِ غَيْرُ مُشَنَّجِ... |
| وَخَدٌّ أَسِيلٌ عَنْ فَتَاةٍ حَبِيبَةٍ إِلَيْنَا سَقَاهَا كُلُّ دَانٍ مُشَجَّجِ... |
| فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ أَزُورَكِ آمِنًا كَعَادَتِنَا مِنْ قَبْلِ حَرْبِي وَمُخْرَجِي... |
| وَمَا زِلْتُ مَحْبُوسًا لِحَبْسِكِ وَاجِمًا وَإِنِّي بِمَا تَلْقِينَ مِنْ بَعْدِهِ شَجِي وَهِيَ طَوِيلَةٌ. |
| وَجَعَلَ يَعْبَثُ بِعُمَّالِ الْمُخْتَارِ وَأَصْحَابِهِ ، فَأُحْرِقَتْ بِهَمَذَانَ دَارُهُ ، وَنَهَبُوا ضَيْعَتَهُ ، فَسَارَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى ضِيَاعِ هَمَذَانَ ، فَنَهَبَهَا جَمِيعَهَا ، وَكَانَ يَأْتِي الْمَدَائِنَ فَيَمُرُّ بِعُمَّالِ جُوخَى ، فَيَأْخُذُ مَا مَعَهُمْ مِنَ الْمَالِ ، ثُمَّ يَمِيلُ إِلَى الْجَبَلِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ الْمُخْتَارُ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ بَايَعَ الْمُخْتَارَ بَعْدَ امْتِنَاعٍ ، وَأَرَادَ الْمُخْتَارُ أَنْ يَسْطُوَ بِهِ فَامْتَنَعَ لِأَجْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ. |
| ثُمَّ سَارَ مَعَ ابْنِ الْأَشْتَرِ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَلَمْ يَشْهَدْ مَعَهُ قِتَالَ ابْنِ زِيَادٍ ، أَظْهَرَ الْمَرَضَ. |
| ثُمَّ فَارَقَ ابْنَ الْأَشْتَرِ وَأَقْبَلَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى الْأَنْبَارِ ، فَأَغَارَ عَلَيْهَا وَأَخَذَ مَا فِي بَيْتِ مَالِهَا. |
| فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ أَمَرَ الْمُخْتَارُ بِهَدْمِ دَارِهِ وَأَخْذِ امْرَأَتِهِ ، فَفَعَلَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. |
| وَحَضَرَ مَعَ مُصْعَبٍ قِتَالَ الْمُخْتَارِ وَقَتْلَهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْمُخْتَارُ قَالَ النَّاسُ لِمُصْعَبٍ فِي وِلَايَتِهِ الثَّانِيَةِ إِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ يَثِبَ ابْنُ الْحُرِّ بِالسَّوَادِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ بِابْنِ زِيَادٍ وَالْمُخْتَارِ ، فَحَبَسَهُ ، فَقَالَ فَمَنْ مُبْلِغُ الْفِتْيَانِ أَنَّ أَخَاهُمُ... |
| أَتَى دُونَهُ بَابٌ شَدِيدٌ وَحَاجِبُهْ بِمَنْزِلَةٍ مَا كَانَ يَرْضَى بِمِثْلِهَا... |
| إِذَا قَامَ عَنَّتْهُ كُبُولٌ تُجَاذِبُهْ عَلَى السَّاقِ فَوْقَ الْكَعْبِ أَسْوَدُ صَامِتٌ... |
| شَدِيدٌ يُدَانِي خَطْوَهُ وَيُقَارِبُهْ وَمَا كَانَ ذَا مِنْ عُظْمِ جُرْمٍ... |
| جَرَمْتُهُ وَلَكِنْ سَعَى السَّاعِي بِمَا هُوَ كَاذِبُهْ وَقَدْ كَانَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ مَسْلَكٌ وَأَيُّ امْرِئٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهْ وَقَالَ بِأَيِّ بَلَاءٍ أَمْ بِأَيَّةِ نِعْمَةٍ... |
| تَقَدَّمَ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمُهَلَّبُ ؟ |
| يَعْنِي مُسْلِمَ بْنَ عَمْرٍو وَالِدَ قُتَيْبَةَ ، وَالْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ. |
| وَكَلَّمَ عُبَيْدُ اللَّهِ قَوْمًا مِنْ وُجُوهِ مَذْحِجٍ لِيَشْفَعُوا لَهُ إِلَى مُصْعَبٍ ، وَأَرْسَلَ إِلَى فِتْيَانِ مَذْحِجٍ وَقَالَ الْبَسُوا السِّلَاحَ وَاسْتُرُوهُ ، فَإِنْ شَفَّعَهُمْ مُصْعَبٌ فَلَا تَعْتَرِضُوا لِأَحَدٍ ، وَإِنْ خَرَجُوا وَلَمْ يُشَفِّعْهُمْ فَاقْصِدُوا السِّجْنَ ، فَإِنِّي سَأُعِينُكُمْ مِنْ دَاخِلٍ. |
| فَلَمَّا شَفَعَ أُولَئِكَ النَّفَرُ فِيهِ شَفَّعَهُمْ مُصْعَبٌ وَأَطْلَقَهُ ، فَأَتَى مَنْزِلَهُ وَأَتَاهُ النَّاسُ يُهَنِّئُونَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِمِثْلِ الْخُلَفَاءِ الْمَاضِينَ الْأَرْبَعَةِ ، وَلَمْ نَرَ لَهُمْ فِينَا شَبِيهًا فَنُلْقِي إِلَيْهِ أَزِمَّتَنَا ، فَإِنْ كَانَ مَنْ عَزَّ بَزَّ فَعَلَامَ نَعْقِدُ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةً ، وَلَيْسُوا بِأَشْجَعَ مِنَّا لِقَاءً وَلَا أَعْظَمَ مَنَاعَةً ؟ |
| وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى » ، وَكُلُّهُمْ عَاصٍ مُخَالِفٌ ، قَوِيُّ الدُّنْيَا ضَعِيفُ الْآخِرَةِ ، فَعَلَامَ تُسْتَحَلُّ حُرْمَتُنَا وَنَحْنُ أَصْحَابُ النُّخَيْلَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَجَلُولَاءَ وَنَهَاوَنْدَ ؟ |
| نَلْقَى الْأَسِنَّةَ بِنُحُورِنَا ، وَالسُّيُوفَ بِجِبَاهِنَا ، ثُمَّ لَا يُعْرَفُ حَقُّنَا وَفَضْلُنَا ؟ |
| فَقَاتِلُوا عَنْ حَرِيمِكُمْ ، فَإِنِّي قَدْ قَلَبْتُ ظَهْرَ الْمِجَنِّ ، وَأَظْهَرْتُ لَهُمُ الْعَدَاوَةَ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. |
| وَخَرَجَ عَنِ الْكُوفَةِ وَحَارَبَهُمْ وَأَغَارَ. |
| فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُصْعَبٌ سَيْفَ بْنَ هَانِئٍ الْمُرَادِيَّ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ خَرَاجَ بَادُورَيَا وَغَيْرِهَا ، وَيَدْخُلُ فِي الطَّاعَةِ ، فَلَمْ يُجِبْ إِلَى ذَلِكَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُصْعَبٌ الْأَبْرَدَ بْنَ قُرَّةَ الرِّيَاحِيَّ فَقَاتَلَهُ ، فَهَزَمَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ وَضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَيْضًا حُرَيْثَ بْنَ يَزِيدَ ، فَقَتَلَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُصْعَبٌ الْحَجَّاجَ بْنَ جَارِيَةَ الْخَثْعَمِيَّ وَمُسْلِمَ بْنَ عَمْرٍو ، فَلَقِيَاهُ بِنَهْرِ صَرْصَرَ ، فَقَاتَلَهُمَا فَهَزَمَهُمَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُصْعَبٌ يَدْعُوهُ إِلَى الْأَمَانِ وَالصِّلَةِ ، وَأَنْ يُوَلِّيَهُ أَيَّ بَلَدٍ شَاءَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَأَتَى نَرْسَى فَفَرَّ دِهْقَانُهَا بِمَالِ الْفَلُّوجَةِ ، فَتَبِعَهُ ابْنُ الْحُرِّ حَتَّى مَرَّ بِعَيْنِ تَمْرٍ وَعَلَيْهَا بِسْطَامُ بْنُ مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيُّ ، فَالْتَجَأَ إِلَيْهِمُ الدِّهْقَانُ ، فَخَرَجُوا إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ فَقَاتَلُوهُ ، وَوَافَاهُمُ الْحَجَّاجُ بْنُ جَارِيَةَ الْخَثْعَمِيُّ فَحَمَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَأَسَرَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ وَأَسَرَ أَيْضًا بِسْطَامَ بْنَ مَصْقَلَةَ وَنَاسًا كَثِيرًا ، وَبَعَثَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَخَذُوا الْمَالَ الَّذِي مَعَ الدِّهْقَانِ ، وَأَطْلَقَ الْأَسْرَى. |
| ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ أَتَى تَكْرِيتَ ، فَأَقَامَ يَجْبِي الْخَرَاجَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُصْعَبٌ الْأَبْرَدَ بْنَ قُرَّةَ الرِّيَاحِيَّ ، وَالْجَوْنَ بْنَ كَعْبٍ الْهَمْدَانِيَّ ، فِي أَلْفٍ ، وَأَمَدَّهُمُ الْمُهَلَّبُ بِيَزِيدَ بْنِ الْمُغَفَّلِ فِي خَمْسِمِائَةٍ ، فَقَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ أَتَاكَ جَمْعٌ كَثِيرٌ فَلَا تُقَاتِلْهُمْ. |
| فَقَالَ يُخَوِّفُنِي بِالْقَتْلِ قَوْمِي وَإِنَّمَا... |
| أَمُوتُ إِذَا جَاءَ الْكِتَابُ الْمُؤَجَّلُ لَعَلَّ الْقَنَا تُدْنِي بِأَطْرَافِهَا الْغِنَى... |
| فَنَحْيَا كِرَامًا أَوْ نَكُرَّ فَنُقْتَلُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ... |
| وَأَنَّ الْغِنَى فِيهِ الْعُلَى وَالتَّجَمُّلُ وَإِنَّكَ إِلَّا تَرْكَبِ الْهَوْلَ لَا تَنَلْ... |
| مِنَ الْمَالِ مَا يُرْضِي الصَّدِيقَ وَيَفْضُلُ وَقَاتَلَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ يَوْمَيْنِ وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، وَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ تَحَاجَزُوا ، وَخَرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْ تَكْرِيتَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي سَائِرٌ بِكُمْ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَتَجَهَّزُوا ، وَقَالَ إِنِّي خَائِفٌ أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَذْعَرْ مُصْعَبًا وَأَصْحَابَهُ. |
| وَسَارَ نَحْوَ الْكُوفَةِ فَبَلَغَ كَسْكَرَ ، فَأَخَذَ بَيْتَ مَالِهَا ، ثُمَّ أَتَى الْكُوفَةَ فَنَزَلَ بِحَمَّامِ جَرِيرٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُصْعَبٌ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ فَقَاتَلَهُ ، فَخَرَجَ إِلَى دَيْرِ الْأَعْوَرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُصْعَبٌ حَجَّارَ بْنَ أَبْجَرَ ، فَانْهَزَمَ حَجَّارٌ ، فَشَتَمَهُ مُصْعَبٌ وَضَمَّ إِلَيْهِ الْجَوْنَ بْنَ كَعْبٍ الْهَمْدَانِيَّ وَعُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، فَقَاتَلُوهُ بِأَجْمَعِهِمْ ، وَكَثُرَتِ الْجِرَاحَاتُ فِي عَسْكَرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ ، وَعُقِرَتْ خُيُولُهُمْ ، فَانْهَزَمَ حَجَّارٌ ، ثُمَّ رَجَعَ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى أَمْسَوْا ، وَخَرَجَ ابْنُ الْحُرِّ مِنَ الْكُوفَةِ. |
| وَكَتَبَ مُصْعَبٌ إِلَى زَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ رُوَيْمٍ الشَّيْبَانِيِّ ، وَهُوَ بِالْمَدَائِنِ ، يَأْمُرُهُ بِقِتَالِ ابْنِ الْحُرِّ ، فَقَدَّمَ ابْنَهُ حَوْشَبًا ، فَلَقِيَهُ بِبَاجِسْرَى ، فَهَزَمَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ وَقَتَلَ فِيهِمْ ، وَأَقْبَلَ ابْنُ الْحُرِّ إِلَى الْمَدَائِنِ فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ ، فَخَرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْجَوْنَ بْنَ كَعْبٍ الْهَمْدَانِيَّ وَبِشْرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيَّ ، فَنَزَلَ الْجَوْنُ بِحَوْلَايَا ، وَقَدِمَ بِشْرٌ إِلَى تَامَرَّا فَلَقِيَ ابْنَ الْحُرِّ ، فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحُرِّ وَهَزَمَ أَصْحَابَهُ ، ثُمَّ لَقِيَ الْجَوْنَ بْنَ كَعْبٍ بِحَوْلَايَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحُرِّ وَهَزَمَ أَصْحَابَهُ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ بَشِيرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشِيرٍ الْعِجْلِيُّ ، فَقَاتَلَهُ بِسُورَاءَ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَرَجَعَ عَنْهُ بَشِيرٌ ، وَأَقَامَ ابْنُ الْحُرِّ بِالسَّوَادِ ، يُغِيرُ وَيَجْبِي الْخَرَاجَ. |
| ثُمَّ لَحِقَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِ أَكْرَمَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، وَأَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَالًا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْحُرِّ لِيُوَجِّهَ مَعَهُ جُنْدًا يُقَاتِلُ بِهِمْ مُصْعَبًا ، فَقَالَ لَهُ سِرْ بِأَصْحَابِكَ ، وَادْعُ مَنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ ، وَأَنَا مُمِدُّكَ بِالرِّجَالِ. |
| فَسَارَ بِأَصْحَابِهِ نَحْوَ الْكُوفَةِ ، فَنَزَلَ بِقَرْيَةٍ إِلَى جَانِبِ الْأَنْبَارِ ، فَاسْتَأْذَنَهُ أَصْحَابُهُ فِي إِتْيَانِ الْكُوفَةِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُخْبِرُوا أَصْحَابَهُ بِقُدُومِهِ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ. |
| فَبَلَغَ ذَلِكَ الْقَيْسِيَّةَ فَأَتَوُا الْحَارِثَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ عَامِلَ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِالْكُوفَةِ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُمْ جَيْشًا يُقَاتِلُونَ عُبَيْدَ اللَّهِ ، وَيَغْتَنِمُونَ الْفُرْصَةَ فِيهِ بِتَفَرُّقِ أَصْحَابِهِ ، فَبَعَثَ مَعَهُمْ جَيْشًا كَثِيفًا ، فَسَارُوا فَلَقُوا ابْنَ الْحُرِّ ، فَقَالَ لِابْنِ الْحُرِّ أَصْحَابُهُ نَحْنُ نَفَرٌ يَسِيرٌ ، وَهَذَا الْجَيْشُ لَا طَاقَةَ لَنَا فِيهِ. |
| فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَدَعَهُمْ. |
| وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ يَا لَكَ يَوْمًا فَاتَ فِيهِ نَهْبِي... |
| وَغَابَ عَنِّي ثِقَتِي وَصَحْبِي ثُمَّ عَطَفُوا عَلَيْهِ فَكَشَفُوا أَصْحَابَهُ وَحَاوَلُوا أَنْ يَأْسِرُوهُ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَأَذِنَ لِأَصْحَابِهِ فِي الذَّهَابِ ، فَذَهَبُوا فَلَمْ يَعْرِضْ لَهُمْ أَحَدٌ ، وَجَعَلَ يُقَاتِلُ وَحْدَهُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ يُكَنَّى أَبَا كُدَيَّةَ فَطَعَنَهُ ، وَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ وَيُكَتَّبُونَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَدْنُونَ مِنْهُ ، وَهُوَ يَقُولُ أَهَذِهِ نَبْلٌ أَمْ مَغَازِلُ ؟ |
| فَلَمَّا أَثْخَنَتْهُ الْجِرَاحُ خَاضَ إِلَى مَعْبَرٍ هُنَاكَ ، فَدَخَلَهُ وَلَمْ يَدْخُلْ فَرَسُهُ ، فَرَكِبَ السَّفِينَةَ وَمَضَى بِهِ الْمَلَّاحُ حَتَّى تَوَسَّطَ الْفُرَاتَ ، فَأَشْرَفَتْ عَلَيْهِ الْخَيْلُ ، وَكَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ نَبَطٌ ، فَقَالُوا لَهُمْ إِنَّ فِي السَّفِينَةِ طَلِبَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ فَاتَكُمْ قَتَلْنَاكُمْ ، فَوَثَبَ ابْنُ الْحُرِّ لِيَرْمِيَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَلْقِ ، فَقَبَضَ عَلَى يَدَيْهِ وَجِرَاحَاتُهُ تَجْرِي دَمًا ، وَضَرَبَهُ الْبَاقُونَ بِالْمَجَاذِيفِ ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ يُقْصَدُ بِهِ نَحْوَ الْقَيْسِيَّةِ قَبَضَ عَلَى الَّذِي مَعَهُ ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ مَعَهُ فِي الْمَاءِ فَغَرِقَا. |
| وَقِيلَ فِي قَتْلِهِ إِنَّهُ كَانَ يَغْشَى مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ بِالْكُوفَةِ ، فَرَآهُ يُقَدِّمُ عَلَيْهِ غَيْرَهُ ، فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَصِيدَةً يُعَاتِبُ فِيهَا مُصْعَبًا وَيُخَوِّفُهُ مَسِيرَهُ إِلَى ابْنِ مَرْوَانَ ، يَقُولُ فِيهَا أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً... |
| فَلَسْتُ عَلَى رَأْيٍ قَبِيحٍ أُوَارِبُهْ أَفِي الْحَقِّ أَنْ أُجْفَى وَيَجْعَلُ مُصْعَبٌ... |
| وَزِيرًا لَهُ مَنْ كُنْتُ فِيهِ أُحَارِبُهْ فَكَيْفَ وَقَدْ آتَيْتُكُمْ حَقَّ بَيْعَتِي... |
| وَحَقِّي يُلَوَّى عِنْدَكُمْ وَأُطَالِبُهْ وَأَبْلَيْتُكُمْ مَالًا يُضَيَّعُ مِثْلُهُ... |
| وَآسَيْتُكُمْ وَالْأَمْرُ صَعْبٌ مَرَاتِبُهْ فَلَمَّا اسْتَنَارَ الْمُلْكَ وَانْقَادَتِ الْعِدَى... |
| وَأُدْرِكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ رَغَائِبُهْ جَفَا مُصْعَبٌ عَنِّي وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ... |
| لَأَصْبَحَ فِيمَا بَيْنَنَا لَا أُعَاتِبُهُ لَقَدْ رَابَنِي مِنْ مُصْعَبٍ أَنَّ مُصْعَبًا... |
| أَرَى كُلَّ ذِي غِشِّ لَنَا هُوَ صَاحِبُهُ وَمَا أَنَا إِنْ حَلَأْتُمُونِي بِوَارِدٍ... |
| عَلَى كَدَرٍ قَدْ غُصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهْ وَمَا لِامْرِئٍ إِلَّا الَّذِي اللَّهُ سَائِقٌ... |
| إِلَيْهِ وَمَا قَدْ خَطَّ فِي الزَّبْرِ كَاتِبُهْ إِذَا قُمْتُ عِنْدَ الْبَابِ أَدْخَلَ مُسْلِمًا... |
| وَيَمْنَعُنِي أَنْ أَدْخُلَ الْبَابَ حَاجِبُهْ فَحَبَسَهُ مُصْعَبٌ ، وَلَهُ مَعَهُ مُعَاتَبَاتٌ مِنَ الْحَبْسِ ، ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ قَصِيدَةً يَهْجُو فِيهَا قَيْسَ عَيْلَانَ ، مِنْهَا أَلَمْ تَرَ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ بَرْقَعَتْ... |
| لِحَاهَا وَبَاعَتْ نَبْلَهَا بِالْمَغَازِلِ فَأَرْسَلَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلَّائِيُّ إِلَى مُصْعَبٍ إِنِّي قَدْ كَفَيْتُكَ قِتَالَ ابْنِ الزَّرْقَاءِ يَعْنِي عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَابْنُ الْحُرِّ يَهْجُو قَيْسًا ، ثُمَّ إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ أَسَرُوا ابْنَ الْحُرِّ ، فَقَالَ إِنَّمَا قُلْتُ أَلَمْ تَرَ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْبَلَتْ... |
| وَسَارَتْ إِلَيْنَا فِي الْقَنَا وَالْقَنَابِلِ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ عَيَّاشٌ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ قِيلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَافَى عَرَفَاتٍ أَرْبَعَةُ أَلْوِيَةٍ لِوَاءٌ لِابْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَأَصْحَابِهِ ، وَلِوَاءٌ لِابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَصْحَابِهِ ، وَلِوَاءٌ لِبَنِي أُمَيَّةَ ، وَلِوَاءٌ لِنَجْدَةَ الْحَرُورِيِّ ، وَلَمْ يَجْرِ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ وَلَا فِتْنَةٌ ، وَكَانَ أَصْحَابُ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ أَسْلَمَ الْجَمَاعَةِ. |
| وَكَانَ الْعَامِلَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى الْمَدِينَةِ هَذِهِ السَّنَةَ جَابِرُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ مُصْعَبٌ أَخُوهُ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ هِشَامُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِالشَّامِ مُشَاقِقًا لِابْنِ الزُّبَيْرِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَعُمُرُهُ أَرْبَعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ الطَّائِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ ، وَعُمُرُهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً. |
| وَمَاتَ أَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ وَاسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيُّ ، وَاسْمُهُ خُوَيْلِدُ بْنُ عَمْرٍو ، وَهُوَ الْكَعْبِيُّ. |
| شُرَيْحٌ بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ وُلِدَ زَمَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| حَاطِبٌ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ. |
| وَبَلْتَعَةُ بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَالتَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقُ ، وَالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، الْمَفْتُوحَاتِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ذِكْرُ قَتْلِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْأَشْدَقِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَالَفَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَغَلَبَ عَلَى دِمَشْقَ ، فَقَتَلَهُ ، وَقِيلَ كَانَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ سَنَةَ سَبْعِينَ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ أَقَامَ بِدِمَشْقَ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ قِنَّسْرِينَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُقِيمَ ، ثُمَّ سَارَ يُرِيدُ قَرْقِيسِيَا وَبِهَا زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلَّائِيُّ ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا بَلَغَ بُطْنَانَ حَبِيبٍ رَجَعَ عَمْرٌو لَيْلًا وَمَعَهُ حُمَيْدُ بْنُ حُرَيْثٍ الْكَلْبِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيُّ ، فَأَتَى دِمَشْقَ وَعَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ رُجُوعُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ هَرَبَ عَنْهَا ، وَدَخَلَهَا عَمْرٌو فَغَلَبَ عَلَيْهَا وَعَلَى خَزَائِنِهَا ، وَهَدَمَ دَارَ ابْنِ أُمِّ الْحَكَمِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَخَطَبَهُمْ وَمَنَّاهُمْ وَوَعَدَهُمْ. |
| وَأَصْبَحَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَفَقَدَ عَمْرًا ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأُخْبِرَ خَبَرَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ فَقَاتَلَهُ أَيَّامًا ، وَكَانَ عَمْرٌو إِذَا أَخْرَجَ حُمَيْدَ بْنَ حُرَيْثٍ عَلَى الْخَيْلِ أَخْرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ سُفْيَانَ بْنَ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيَّ ، وَإِذَا أَخْرَجَ عَمْرٌو زُهَيْرَ بْنَ الْأَبْرَدِ أَخْرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ حَسَّانَ بْنَ مَالِكِ بْنِ بَحْدَلٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ وَعَمْرًا اصْطَلَحَا وَكَتَبَا كِتَابًا وَآمَنَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَخَرَجَ عَمْرٌو فِي الْخَيْلِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَوْطَأَ فَرَسَهُ أَطْنَابَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَانْقَطَعَتْ وَسَقَطَ السُّرَادِقُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَاجْتَمَعَا. |
| وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ دِمَشْقَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ دُخُولِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ أَرْسَلَ إِلَى عَمْرٍو أَنِ ائْتِنِي ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ اسْتَشَارَ كُرَيْبَ بْنَ أَبْرَهَةَ الْحِمْيَرِيَّ فِي قَتْلِ عَمْرٍو ، فَقَالَ لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ ، فِي مِثْلِ هَذَا هَلَكَتْ حِمْيَرٌ. |
| فَلَمَّا أَتَى الرَّسُولُ عَمْرًا يَدْعُوهُ صَادَفَ عِنْدَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لِعَمْرٍو يَا أَبَا أُمَيَّةَ ، أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمْعِي وَمِنْ بَصَرِي ، وَأَرَى لَكَ أَنْ لَا تَأْتِيَهُ. |
| فَقَالَ عَمْرٌو لِمَ ؟ |
| قَالَ لِأَنَّ تُبَيْعَ ابْنَ امْرَأَةِ كَعْبِ الْأَحْبَارِ قَالَ إِنَّ عَظِيمًا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ يَرْجِعُ فَيَغْلِقُ أَبْوَابَ دِمَشْقَ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يُقْتَلَ. |
| فَقَالَ عَمْرٌو وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ نَائِمًا مَا انْتَهَبَنِي ابْنُ الزَّرْقَاءِ وَلَا اجْتَرَأَ عَلَيَّ ، أَمَا إِنِّي رَأَيْتُ عُثْمَانَ الْبَارِحَةَ فِي الْمَنَامِ فَأَلْبَسَنِي قَمِيصَهُ. |
| وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ زَوْجَ ابْنَةِ عَمْرٍو. |
| ثُمَّ قَالَ عَمْرٌو لِلرَّسُولِ أَنَا رَائِحٌ الْعَشِيَّةَ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْعِشَاءُ لَبِسَ عَمْرٌو دِرْعًا وَلَبِسَ عَلَيْهَا الْقَبَاءَ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ ، وَعِنْدَهُ حُمَيْدُ بْنُ حُرَيْثٍ الْكَلْبِيُّ ، فَلَمَّا نَهَضَ مُتَوَجِّهًا عَثُرَ بِالْبُسَاطِ ، فَقَالَ لَهُ حُمَيْدٌ وَاللَّهِ لَوْ أَطَعْتَنِي لَمْ تَأْتِهِ. |
| وَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ الْكَلْبِيَّةُ كَذَلِكَ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ وَمَضَى فِي مِائَةٍ مِنْ مَوَالِيهِ. |
| وَقَدْ جَمَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ عِنْدَهُ بَنِي مَرْوَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ أُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَلَمْ يَزَلْ أَصْحَابُهُ يُحْبَسُونَ عِنْدَ كُلِّ بَابٍ حَتَّى بَلَغَ قَارِعَةَ الدَّارِ وَمَا مَعَهُ إِلَّا وَصِيفٌ لَهُ ، فَنَظَرَ عَمْرٌو إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَإِذَا حَوْلَهُ بَنُو مَرْوَانَ ، وَحَسَّانُ بْنُ بَحْدَلٍ الْكَلْبِيُّ ، وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ الْخُزَاعِيُّ ، فَلَمَّا رَأَى جَمَاعَتَهُمْ أَحَسَّ بِالشَّرِّ ، فَالْتَفَتَ إِلَى وَصِيفِهِ وَقَالَ انْطَلِقْ إِلَى أَخِي يَحْيَى فَقُلْ لَهُ يَأْتِنِي ، فَلَمْ يَفْهَمِ الْوَصِيفُ فَقَالَ لَهُ لَبَّيْكَ! |
| فَقَالَ عَمْرٌو اغْرُبْ عَنِّي فِي حَرْقِ اللَّهِ وَنَارِهِ! |
| وَأَذِنَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِحَسَّانَ وَقَبِيصَةَ ، فَقَامَا فَلَقِيَا عَمْرًا فِي الدَّارِ ، فَقَالَ عَمْرٌو لِوَصِيفِهِ انْطَلِقْ إِلَى يَحْيَى فَمُرْهُ أَنْ يَأْتِيَنِي. |
| فَقَالَ لَبَّيْكَ! |
| فَقَالَ عَمْرٌو اغْرُبْ عَنِّي. |
| فَلَمَّا خَرَجَ حَسَّانُ وَقَبِيصَةُ أُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ وَدَخَلَ عَمْرٌو ، فَرَحَّبَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ هَاهُنَا هَاهُنَا يَا أَبَا أُمَيَّةَ! |
| فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، وَجَعَلَ يُحَادِثُهُ طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ يَا غُلَامُ ، خُذِ السَّيْفَ عَنْهُ. |
| فَقَالَ عَمْرٌو إِنَّا لِلَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَتَطْمَعُ أَنْ تَجْلِسَ مَعِي مُتَقَلِّدًا سَيْفَكَ ؟ |
| فَأَخَذَ السَّيْفَ عَنْهُ ، ثُمَّ تَحَدَّثَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ يَا أَبَا أُمَيَّةَ ، إِنَّكَ حَيْثُ خَلَعْتَنِي أَلَيْتُ بِيَمِينٍ إِنْ أَنَا مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْكَ وَأَنَا مَالِكٌ لَكَ أَنْ أَجْعَلَكَ فِي جَامِعَةٍ. |
| فَقَالَ لَهُ بَنُو مَرْوَانَ ثُمَّ تُطْلِقُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَصْنَعَ بِأَبِي أُمَيَّةَ ؟ |
| فَقَالَ بَنُو مَرْوَانَ أَبِرَّ قَسَمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ عَمْرٌو قَدْ أَبَرَّ اللَّهُ قَسَمَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَأَخْرَجَ مِنْ تَحْتِ فِرَاشِهِ جَامِعَةً وَقَالَ يَا غُلَامُ ، قُمْ فَاجْمَعْهُ فِيهَا. |
| فَقَامَ الْغُلَامُ فَجَمَعَهُ فِيهَا. |
| فَقَالَ عَمْرٌو أُذَكِّرُكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُخْرِجَنِي فِيهَا عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ. |
| فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَمَكْرًا يَا أَبَا أُمَيَّةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ؟ |
| لَا وَاللَّهِ مَا كُنَّا لِنُخْرِجَكَ فِي جَامِعَةٍ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ. |
| ثُمَّ جَذَبَهُ جَذْبَةً أَصَابَ فَمَهُ السَّرِيرُ فَكَسَرَ ثَنِيَّتَيْهِ. |
| فَقَالَ عَمْرٌو أُذَكِّرُكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كُسِرَ عَظْمٌ مِنِّي فَلَا تَرْكَبْ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ. |
| فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تُبْقِي عَلَيَّ إِنْ أَنَا أَبْقَيْتُ عَلَيْكَ وَتَصْلُحُ قُرَيْشٌ لَأَطْلَقْتُكَ ، وَلَكِنْ مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ فِي بَلَدِهِ قَطُّ عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ. |
| فَلَمَّا رَأَى عَمْرٌو أَنَّهُ يُرِيدُ قَتْلَهُ قَالَ أَغَدْرًا يَا ابْنَ الزَّرْقَاءِ! |
| وَقِيلَ إِنَّ عَمْرًا لَمَّا سَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ جَعَلَ يَمَسُّهُمَا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَا عَمْرُو ، أَرَى ثَنِيَّتَيْكَ قَدْ وَقَعَتَا مِنْكَ مَوْقِعًا لَا تَطِيبُ نَفْسُكَ بَعْدَهُ. |
| وَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ الْعَصْرَ فَخَرَجَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ وَأَمَرَ أَخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ عَمْرٌو أُذَكِّرُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ أَنْ تَلِيَ قَتْلِي ، لِيَقْتُلْنِي مَنْ هُوَ أَبْعَدُ رَحِمًا مِنْكَ. |
| فَأَلْقَى السَّيْفَ وَجَلَسَ ، وَصَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ صَلَاةً خَفِيفَةً وَدَخَلَ وَغُلِّقَتِ الْأَبْوَابُ. |
| وَرَأَى النَّاسُ عَبْدَ الْمَلِكِ حِينَ خَرَجَ وَلَيْسَ مَعَهُ عَمْرٌو ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، فَأَقْبَلَ فِي النَّاسِ وَمَعَهُ أَلْفُ عَبْدٍ لِعَمْرٍو ، وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرٌ ، فَجَعَلُوا يَصِيحُونَ بِبَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَسْمِعْنَا صَوْتَكَ يَا أَبَا أُمَيَّةَ! |
| فَأَقْبَلَ مَعَ يَحْيَى حُمَيْدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَزُهَيْرُ بْنُ الْأَبْرَدِ ، فَكَسَرُوا بَابَ الْمَقْصُورَةِ وَضَرَبُوا النَّاسَ بِالسُّيُوفِ ، وَضُرِبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى رَأْسِهِ ، وَاحْتَمَلَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَرَبِيٍّ صَاحِبُ الدِّيوَانِ ، فَأَدْخَلَهُ بَيْتَ الْقَرَاطِيسِ. |
| وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ حِينَ صَلَّى فَرَأَى عَمْرًا بِالْحَيَاةِ ، فَقَالَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ ؟ |
| فَقَالَ إِنَّهُ نَاشَدَنِي اللَّهَ وَالرَّحِمَ فَرَقَقْتُ لَهُ. |
| فَقَالَ لَهُ أَخْزَى اللَّهُ أُمَّكَ الْبَوَّالَةَ عَلَى عَقِبَيْهَا ، فَإِنَّكَ لَمْ تُشْبِهْ غَيْرَهَا! |
| ثُمَّ أَخَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْحَرْبَةَ فَطَعَنَ بِهَا عَمْرًا ، فَلَمْ تَجُزْ ، ثُمَّ ثَنَى فَلَمْ تَجُزْ ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى عَضُدِهِ فَرَأَى الدِّرْعَ فَقَالَ وَدِرْعٌ أَيْضًا ؟ |
| إِنْ كُنْتَ لَمُعِدًّا! |
| فَأَخَذَ الصَّمْصَامَةَ ، وَأَمَرَ بِعَمْرٍو فَصُرِعَ ، وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ فَذَبَحَهُ وَهُوَ يَقُولُ يَا عَمْرُو إِنْ لَا تَدَعْ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي... |
| أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي وَانْتَفَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ رِعْدَةً ، فَحُمِلَ عَنْ صَدْرِهِ فَوُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَقَالَ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ، قَتَلَهُ صَاحِبُ دُنْيَا وَلَا طَالِبُ آخِرَةٍ. |
| وَدَخَلَ يَحْيَى وَمَنْ مَعَهُ عَلَى بَنِي مَرْوَانَ يُخْرِجُهُمْ وَمَنْ كَانَ مِنْ مَوَالِيهِمْ ، فَقَاتَلُوا يَحْيَى وَأَصْحَابَهُ ، وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الرَّأْسَ ، فَأَلْقَاهُ إِلَى النَّاسِ ، وَقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ وَأَخَذَ الْمَالَ فِي الْبِدَرِ ، فَجَعَلَ يُلْقِيهَا إِلَى النَّاسِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الرَّأْسَ وَالْأَمْوَالَ انْتَهَبُوا الْأَمْوَالَ وَتَفَرَّقُوا ، ثُمَّ أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ فَجُبِيَتْ حَتَّى عَادَتْ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ إِنَّمَا أَمَرَ بِقَتْلِ عَمْرٍو حِينَ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ غُلَامَهُ أَبَا الزُّعَيْزِعَةِ ، فَقَتَلَهُ وَأَلْقَى رَأْسَهُ إِلَى النَّاسِ ، وَرُمِيَ يَحْيَى بِصَخْرَةٍ فِي رَأْسِهِ ، وَأَخْرَجَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَرِيرَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَخَرَجَ وَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَفَقَدَ الْوَلِيدَ ابْنَهُ فَقَالَ وَاللَّهِ لَئِنْ كَانُوا قَتَلُوهُ لَقَدْ أَدْرَكُوا ثَأْرَهُمْ. |
| فَأَتَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَرَبِيٍّ الْكِنَانِيُّ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ عِنْدِي ، وَقَدْ جُرِحَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ بَأْسٌ. |
| وَأُتِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ فَقَالَ جُعِلْتُ فَدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! |
| أَتَرَاكَ قَاتِلًا بَنِي أُمَيَّةَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ! |
| فَأَمَرَ بِيَحْيَى فَحُبِسَ. |
| وَأَرَادَ قَتْلَ عَنْبَسَةَ بْنِ سَعِيدٍ ، فَشَفَعَ فِيهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ أَيْضًا ، وَأَرَادَ قَتْلَ عَامِرِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْكَلْبِيِّ ، فَشَفَعَ فِيهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَأَمَرَ بِبَنِي عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فَحُبِسُوا ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مَعَ عَمِّهِمْ يَحْيَى ، فَأَلْحَقَهُمْ بِمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ. |
| ثُمَّ بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى امْرَأَةِ عَمْرٍو الْكَلْبِيَّةِ ابْعَثِي إِلَيَّ كِتَابَ الصُّلْحِ الَّذِي كَتَبْتُهُ لِعَمْرٍو. |
| فَقَالَتْ لِرَسُولِهِ ارْجِعْ فَأَعْلِمْهُ أَنَّ ذَلِكَ الصُّلْحَ مَعَهُ فِي أَكْفَانِهِ لِيُخَاصِمَكَ عِنْدَ رَبِّهِ. |
| وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَعَمْرٌو يَلْتَقِيَانِ فِي النَّسَبِ فِي أُمَيَّةَ ، هَذَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَذَاكَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَكَانَتْ أُمُّ عَمْرٍو أُمُّ الْبَنِينَ بِنْتُ الْحَكَمِ عَمَّةَ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| فَلَمَّا قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُصْعَبًا ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ دَخَلَ أَوْلَادُ عَمْرٍو عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَهُمْ أَرْبَعَةٌ أُمَيَّةُ ، وَسَعِيدٌ ، وَإِسْمَاعِيلُ ، وَمُحَمَّدٌ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمْ قَالَ لَهُمْ إِنَّكُمْ أَهْلُ بَيْتٍ لَمْ تَزَالُوا تَرَوْنَ لَكُمْ عَلَى جَمِيعِ قَوْمِكُمْ فَضْلًا لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَإِنَّ الَّذِي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيكُمْ لَمْ يَكُنْ حَدِيثًا ، وَلَكِنْ كَانَ قَدِيمًا فِي أَنْفُسِ أَوَّلِيكُمْ عَلَى أَوَّلِينَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. |
| فَأُقْطِعَ بِأُمَيَّةَ ، وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو ، وَكَانَ الْأَوْسَطَ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا تَنْعَى عَلَيْنَا أَمْرًا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَهَدَمَ ذَلِكَ وَوَعَدَ جَنَّةً وَحَذَّرَ نَارًا ، وَأَمَّا الَّذِي كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ ابْنَ عَمِّكَ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا صَنَعْتَ ، وَقَدْ وَصَلَ عَمْرٌو إِلَى اللَّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ أَخَذْتَنَا بِمَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ لَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَنَا مِنْ ظَهْرِهَا. |
| فَرَقَّ لَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ إِنَّ أَبَاكُمْ خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يَقْتُلَنِي أَوْ أَقْتُلَهُ ، فَاخْتَرْتُ قَتْلَهُ عَلَى قَتْلِي ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَمَا أَرْغَبَنِي فِيكُمْ ، وَأَوْصَلَنِي لِقَرَابَتِكُمْ! |
| وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُمْ وَوَصَلَهُمْ وَقَرَّبَهُمْ. |
| وَقِيلَ إِنَّ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ قَالَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ذَاتَ يَوْمٍ عَجِبْتُ كَيْفَ أَصَبْتَ غِرَّةَ عَمْرٍو. |
| فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَدْنَيْتُهُ مِنِّي لِيَسْكُنَ رَوْعُهُ... |
| فَأَصُولُ صَوْلَةَ حَازِمٍ مُسْتَمْكِنِ غَضَبًا وَمَحْمِيَةً لِدِينِي إِنَّهُ... |
| لَيْسَ الْمُسِيءُ سَبِيلُهُ كَالْمُحْسِنِ وَقِيلَ إِنَّمَا خَلْعُ عَمْرٍو وَقَتْلُهُ حِينَ سَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ نَحْوَ الْعِرَاقِ لِقِتَالِ مُصْعَبٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو إِنَّكَ تَخْرُجُ إِلَى الْعِرَاقِ وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ جَعَلَ لِي هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَهُ ، وَعَلَى ذَلِكَ قَاتَلْتُ مَعَهُ ، فَاجْعَلْ هَذَا الْأَمْرَ لِي بَعْدَكَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى ذَلِكَ ، فَرَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَكَانَ مِنْ قَتْلِهِ مَا تَقَدَّمَ. |
| وَقِيلَ بَلْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدِ اسْتَخْلَفَ عَمْرًا عَلَى دِمَشْقَ ، فَخَالَفَهُ وَتَحَصَّنَ بِهَا. |
| وَاللَّهُ أَعْلَمُ. |
| وَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بِقَتْلِ عَمْرٍو قَالَ إِنَّ ابْنَ الزَّرْقَاءِ قَتَلَ لَطِيمَ الشَّيْطَانِ ، وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ الأنعام وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ فَقَالَ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ الفتح يُرْفَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِوَاءٌ عَلَى قَدْرِ غَدْرَتِهِ. |
| ذِكْرُ عِصْيَانِ الْجَرَاجِمَةِ بِالشَّامِ لَمَّا امْتَنَعَ عَمْرُوبْنُ سَعِيدٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ خَرَجَ أَيْضًا قَائِدٌ مِنْ قُوَّادِ الضَّوَاحِي فِي جَبَلِ اللُّكَّامِ ، وَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْجَرَاجِمَةِ وَالْأَنْبَاطِ وَأُبَّاقِ عَبِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى لُبْنَانَ ، فَلَمَّا فَرَغَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ عَمْرٍو أَرْسَلَ إِلَى هَذَا الْخَارِجِ عَلَيْهِ ، فَبَذَلَ لَهُ كُلَّ جُمُعَةٍ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَرَكَنَ إِلَى ذَلِكَ وَلَمْ يُفْسِدْ فِي الْبِلَادِ ، ثُمَّ وَضَعَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ سُحَيْمَ بْنَ الْمُهَاجِرِ ، فَتَلَطَّفَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ مُتَنَكِّرًا ، فَأَظْهَرَ لَهُ مُمَالَأَتَهُ ، وَذَمَّ عَبْدَ الْمَلِكِ وَشَتَمَهُ ، وَوَعَدَهُ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى عَوْرَاتِهِ وَمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الصُّلْحِ. |
| فَوَثِقَ بِهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ سُحَيْمًا عَطَفَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ غَارُّونَ غَافِلُونَ بِجَيْشٍ مَعَ مَوَالِي عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَنِي أُمَيَّةَ وَجُنْدٍ مِنْ ثِقَاتِ جُنْدِهِ وَشُجْعَانِهِمْ كَانَ أَعَدَّهُمْ بِمَكَانٍ خَفِيٍّ قَرِيبٍ ، وَأَمَرَ فَنُودِيَ مَنْ أَتَانَا مِنَ الْعَبِيدِ ، يَعْنِي الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ، فَهُوَ حُرٌّ وَيُثَبَّتَ فِي الدِّيوَانِ ، فَانْفَضَّ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، فَكَانُوا مِمَّنْ قَاتَلَ مَعَهُ ، فَقُتِلَ الْخَارِجُ وَمَنْ أَعَانَهُ مِنَ الرُّومِ ، وَقُتِلَ نَفَرٌ مِنَ الْجَرَاجِمَةِ وَالْأَنْبَاطِ ، وَنَادَى الْمُنَادِي بِالْأَمَانِ فِيمَنْ لَقِيَ مِنْهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا فِي قُرَاهُمْ وَسُدَّ الْخَلَلُ ، وَعَادَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَوَفَى لِلْعَبِيدِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ زُهَيْرُ بْنُ قَيْسٍ أَمِيرُ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، وَفِيهَا حُكِّمَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ بِمِنًى وَسَلَّ سَيْفَهُ ، وَكَانُوا جَمَاعَةً ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ أَيْدِيهِمْ فَقُتِلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ لَهُ أَخُوهُ مُصْعَبٌ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْحٌ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ هِشَامُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ ، وَلَهُ خَمْسٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَتِ الرُّومُ وَاسْتَجَاشُوا عَلَى مَنْ بِالشَّامِ ، فَصَالَحَ عَبْدُ الْمَلِكِ مَلِكَهُمْ عَلَى أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهِ كُلَّ جُمُعَةٍ أَلْفَ دِينَارٍ خَوْفًا مِنْهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. |
| وَفِيهَا شَخَصَ مُصْعَبٌ إِلَى مَكَّةَ ، فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَمَعَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ وَدَوَابُّ كَثِيرَةٌ ، قَسَّمَهَا فِي قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ ، وَنَهَضَ وَنَحَرَ بُدْنًا كَثِيرَةً. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ عُمَّالُهُ فِيهَا مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| ذِكْرُ يَوْمِ الْجُفْرَةِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يُرِيدُ مُصْعَبًا ، فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ إِنْ وَجَّهْتَنِي إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَأَتْبَعْتَنِي خَيْلًا يَسِيرَةً رَجَوْتُ أَنْ أَغْلِبَ لَكَ عَلَيْهَا. |
| فَوَجَّهَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَقَدِمَهَا مُسْتَخْفِيًا فِي خَاصَّتِهِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى عَمْرِو بْنِ أَصْمَعَ ، وَقِيلَ نَزَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَصْمَعَ الْبَاهِلِيِّ ، فَأَرْسَلَ عَمْرٌو إِلَى عَبَّادِ بْنِ الْحُصَيْنِ ، وَهُوَ عَلَى شُرْطَةِ ابْنِ مَعْمَرٍ ، وَكَانَ مُصْعَبٌ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَرَجَا ابْنُ أَصْمَعَ أَنْ يُبَايِعَهُ عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ وَقَالَ لَهُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ خَالِدًا ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَعْلَمَ ذَلِكَ لِتَكُونَ ظَهْرًا لِي. |
| فَوَافَاهُ الرَّسُولُ حِينَ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ ، فَقَالَ عَبَّادٌ قُلْ لَهُ وَاللَّهِ لَا أَضَعُ لَبِدَ فَرَسِي حَتَّى آتِيكَ فِي الْخَيْلِ. |
| فَقَالَ ابْنُ أَصْمَعَ لِخَالِدٍ إِنَّ عَبَّادًا يَأْتِينَا السَّاعَةَ ، وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَمْنَعَكَ عَنْهُ ، فَعَلَيْكَ بِمَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ. |
| فَخَرَجَ خَالِدٌ يَرْكُضُ وَقَدْ أَخْرَجَ رِجْلَيْهِ مِنَ الرِّكَابَيْنِ حَتَّى أَتَى مَالِكًا ، فَقَالَ أَجِرْنِي. |
| فَأَجَارَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَالْأَزْدِ ، فَكَانَ أَوَّلَ رَايَةٍ أَتَتْهُ رَايَةُ بَنِي يَشْكُرَ ، وَأَقْبَلَ عَبَّادٌ فِي الْخَيْلِ ، فَتَوَاقَفُوا وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ عَدَوْا إِلَى جُفْرَةِ نَافِعِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَمَعَ خَالِدٍ رِجَالٌ مِنْ تَمِيمٍ ، مِنْهُمْ صَعْصَعَةُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بِشْرٍ ، وَمُرَّةُ بْنُ مِحْكَانٍ وَغَيْرُهُمْ ، وَكَانَ أَصْحَابُ خَالِدٍ جُفْرِيَّةً يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْجُفْرَةِ ، وَأَصْحَابُ ابْنِ مَعْمَرٍ زُبَيْرِيَّةً ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ خَالِدٍ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ ، وَحُمْرَانُ بْنُ أَبَانٍ ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، وَمِنَ الزُّبَيْرِيَّةِ قَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ السُّلَمِيُّ. |
| وَوَجَّهَ مُصْعَبٌ زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ الْجُعْفِيَّ مَدَدًا لِابْنِ مَعْمَرٍ فِي أَلْفٍ ، وَوَجَّهْ عَبْدُ الْمَلِكِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ مَدَدًا لِخَالِدٍ. |
| فَأَرْسَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى الْبَصْرَةِ مَنْ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ بِتَفَرُّقِ الْقَوْمِ ، فَرَجَعَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| فَاقْتَتَلُوا أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَأُصِيبَتْ عَيْنُ مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ ، وَضَجِرَ مِنَ الْحَرْبِ ، وَمَشَتْ بَيْنَهُمُ السُّفَرَاءُ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يَخْرُجَ خَالِدٌ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَأَخْرَجَهُ مَالِكٌ. |
| ثُمَّ لَحِقَ مَالِكٌ بِثَأَجٍ. |
| وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ رَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَلَمْ يَكُنْ لِمُصْعَبٍ هِمَّةٌ إِلَّا الْبَصْرَةُ ، وَطَمِعَ أَنْ يُدْرِكَ بِهَا خَالِدًا ، فَوَجَدَهُ قَدْ خَرَجَ ، وَسَخِطَ مُصْعَبٌ عَلَى ابْنِ مَعْمَرٍ ، وَأَحْضَرَ أَصْحَابَ خَالِدٍ فَشَتَمَهُمْ وَسَبَّهُمْ ، فَقَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ يَا ابْنَ مَسْرُوحٍ ، إِنَّمَا أَنْتَ ابْنُ كَلْبَةٍ تَعَاوَرَهَا الْكِلَابُ ، فَجَاءَتْ بِأَحْمَرَ وَأَصْفَرَ وَأَسْوَدَ مِنْ كُلِّ كَلْبٍ بِمَا يُشْبِهُهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ أَبُوكَ عَبْدًا نَزَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حِصْنِ الطَّائِفِ ، ثُمَّ ادَّعَيْتُمْ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ زَنَى بِأُمِّكُمْ ، وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَأُلْحِقَنَّكُمْ بِنَسَبِكُمْ. |
| ثُمَّ دَعَا حُمْرَانَ فَقَالَ لَهُ إِنَّمَا أَنْتَ ابْنُ يَهُودِيَّةٍ عِلْجٌ نَبَطِيٌّ سُبِيتَ مِنْ عَيْنِ التَّمْرِ. |
| وَقَالَ لِلْحَكَمِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ ، وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضَالَةَ الزَّهْرَانِيِّ ، وَلِعَلِيِّ بْنِ أَصْمَعَ ، وَلِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بِشْرٍ ، وَغَيْرِهِمْ نَحْوَ هَذَا مِنَ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ ، وَضَرْبِهِمْ مِائَةَ مِائَةٍ ، وَحَلَقَ رُءُوسَهُمْ وَلِحَاهُمْ ، وَهَدَمَ دُورَهُمْ وَصَحَّرَهُمْ فِي الشَّمْسِ ثَلَاثًا ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى طَلَاقِ نِسَائِهِمْ ، وَجَمَّرَ أَوْلَادَهُمْ فِي الْبُعُوثِ ، وَطَافَ بِهِمْ فِي أَقْطَارِ الْبَصْرَةِ ، وَأَحْلَفَهُمْ أَنْ لَا يَنْكِحُوا الْحَرَائِرَ ، وَهَدَمَ دَارَ مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ وَأَخَذَ مَا فِيهَا ، فَكَانَ مِمَّا أَخَذَ جَارِيَةٌ وَلَدَتْ لَهُ عَمْرَو بْنَ مُصْعَبٍ. |
| وَأَقَامَ مُصْعَبٌ بِالْبَصْرَةِ ، ثُمَّ شَخَصَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى حَرْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. |
| الْمُغِيرَةُ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَبِالْغَيْنِ ، وَالرَّاءِ. |
| خَالِدُ بْنُ أَسِيدٍ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَكَسْرِ السِّينِ. |
| وَالْجُفْرَةُ بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ . |
| وَفَاةُ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَهُوَ جَدُّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِأُمِّهِ ، وَوُلِدَ قَبْلَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَنَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ عُمَيْرِ بْنِ الْحُبَابِ بْنِ جَعْدَةَ السُّلَمِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ بْنِ جَعْدَةَ السُّلَمِيُّ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ سَبَبَ الْحَرْبِ بَيْنَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ حَتَّى آلَ الْأَمْرُ إِلَى قَتْلِ عُمَيْرٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا انْقَضَى أَمْرُ مَرْجِ رَاهِطٍ ، وَسَارَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلَّائِيُّ إِلَى قَرْقِيسِيَا ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَبَايَعَ عُمَيْرُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَفِي نَفْسِهِ مَا فِيهَا بِسَبَبِ قَتْلِ قَيْسٍ بِالْمَرْجِ ، فَلَمَّا سَيَّرَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقِ كَانَ عُمَيْرٌ مَعَهُ ، فَلَقُوا سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ بِعَيْنِ الْوَرْدَةِ ، وَسَارَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى قَرْقِيسِيَا لِقِتَالِ زُفَرَ ، فَثَبَّطَهُ عُمَيْرٌ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْمَوْصِلِ قَبْلَ وُصُولِ جَيْشِ الْمُخْتَارِ إِلَيْهَا ، وَسَارَ إِلَيْهَا وَلَقِيَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ بِالْخَازِرِ ، فَمَالَ عُمَيْرٌ مَعَهُ ، فَانْهَزَمَ جَيْشُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَقُتِلَ هُوَ ، فَأَتَى عُمَيْرٌ قَرْقِيسِيَا وَصَارَ مَعَ زُفَرَ ، فَجَعَلَا يَطْلُبَانِ كَلْبًا وَالْيَمَانِيَةَ بِمَنْ قَتَلُوا مِنْ قَيْسٍ ، وَكَانَ مَعَهُمَا قَوْمٌ مِنْ تَغْلِبَ يُقَاتِلُونَ مَعَهُمَا وَيَدُلُّونَهُمَا. |
| وَشُغِلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْهُمَا بِمُصْعَبٍ ، وَتَغَلَّبَ عُمَيْرٌ عَلَى نَصِيبِينَ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ مَلَّ الْمُقَامَ بِقَرْقِيسِيَا ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَآمَنَهُ ، ثُمَّ غَدَرَ بِهِ فَحَبَسَهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ الرَّيَّانِ ، فَسَقَاهُ عُمَيْرٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْحَرَسِ خَمْرًا حَتَّى أَسْكَرَهُمْ ، وَتَسَلَّقَ فِي سُلَّمٍ مِنْ حِبَالٍ ، وَخَرَجَ مِنَ الْحَبْسِ وَعَادَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَنَزَلَ عَلَى نَهْرِ الْبَلِيخِ بَيْنَ حَرَّانَ وَالرَّقَّةِ ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قَيْسٌ ، فَكَانَ يُغِيرُ بِهِمْ عَلَى كَلْبٍ وَالْيَمَانِيَةِ ، وَكَانَ مَنْ مَعَهُ يَسْتَأْوُونَ جَوَارِيَ تَغْلِبَ ، وَيُسَخِّرُونَ مَشَايِخَهُمْ مِنَ النَّصَارَى ، فَهَاجَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ شَرًّا لَمْ يَبْلُغِ الْحَرْبَ ، وَذَلِكَ قَبْلَ مَسِيرِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى مُصْعَبٍ وَزُفَرَ. |
| ثُمَّ إِنَّ عُمَيْرًا أَغَارَ عَلَى كَلْبٍ ، ثُمَّ رَجَعَ فَنَزَلَ عَلَى الْخَابُورِ ، وَكَانَتْ مَنَازِلُ تَغْلِبَ بَيْنَ الْخَابُورِ وَالْفُرَاتِ وَدِجْلَةَ. |
| وَكَانَتْ بِحَيْثُ نَزَلَ عُمَيْرٌ امْرَأَةٌ مِنْ تَمِيمٍ نَاكِحٌ فِي تَغْلِبَ يُقَالُ لَهَا أُمُّ دُوَيْلٍ ، فَأَخَذَ غُلَامٌ مِنْ بَنِي الْحَرِيشِ أَصْحَابِ عُمَيْرٍ عَدَدًا مِنْ غَنَمِهَا ، فَشَكَتْ إِلَى عُمَيْرٍ ، فَلَمْ يَمْنَعْ عَنْهَا ، فَأَخَذُوا الْبَاقِيَ ، فَمَانَعَهُمْ قَوْمٌ مِنْ تَغْلِبَ ، فَقُتِلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مُجَاشِعٌ التَّغْلِبِيُّ ، وَجَاءَ دُوَيْلٌ فَشَكَتْ أُمُّهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ فَارِسًا مِنْ فُرْسَانِ تَغْلِبَ ، فَسَارَ فِي قَوْمِهِ ، وَجَعَلَ يُذَكِّرُهُمْ مَا تَصْنَعُ بِهِمْ قَيْسٌ ، وَيَشْكُوا إِلَيْهِمْ مَا أُخِذَ مِنْ غَنَمِ أُمِّهِ ، فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ شُعَيْثَ بْنَ مُلَيْكٍ التَّغْلِبِيَّ ، وَأَغَارُوا عَلَى بَنِي الْحَرِيشِ وَمَعَهُمْ قَوْمٌ مِنْ نُمَيْرٍ ، فَقَتَلَ فِيهِمُ التَّغْلِبِيُّونَ ، وَاسْتَاقُوا ذَوْدًا لِامْرَأَةٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا أُمُّ الْهَيْثَمِ ، فَمَانَعَهُمُ الْقَيْسِيُّونَ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مَنْعِهِمْ ، فَقَالَ الْأَخْطَلُ فَإِنْ تَسْأَلُونَا بِالْحَرِيشِ فَإِنَّنَا... |
| مُنِينَا بِنُوكٍ مِنْهُمُ وَفُجُورِ غَدَاةَ تَحَامَتْنَا الْحَرِيشُ كَأَنَّهَا... |
| كِلَابٌ بَدَتْ أَنْيَابُهَا لِهَرِيرِ وَجَاؤُوا بِجَمْعٍ نَاصِرٍ أُمَّ هَثْيَمٍ... |
| فَمَا رَجَعُوا مِنْ ذَوْدِهَا بِبَعِيرِ يَوْمُ مَاكِسِينَ وَلَمَّا اسْتَحْكَمَ الشَّرُّ بَيْنَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ ، وَعَلَى قَيْسٍ عُمَيْرٌ ، وَعَلَى تَغْلِبَ شُعَيْثٌ ، غَزَا عُمَيْرٌ بَنِي تَغْلِبَ وَجَمَاعَتَهُمْ بِمَاكِسِينَ مِنَ الْخَابُورِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَهِيَ أَوَّلُ وَقْعَةٍ لَهُمْ ، فَقُتِلَ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ خَمْسُمِائَةٍ ، وَقُتِلَ شُعَيْثٌ ، وَكَانَتْ رِجْلُهُ قُطِعَتْ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ يَقُولُ قَدْ عَلِمَتْ قَيْسٌ وَنَحْنُ نَعْلَمْ... |
| أَنَّ الْفَتَى يَقْتُلُ وَهُوَ أَجْذَمْ يَوْمُ الثَّرْثَارِ الْأَوَّلِ وَالثَّرْثَارُ نَهَرٌ أَصْلُ مَنْبَعِهِ شَرْقِيُّ سِنْجَارَ ، وَبِالْقُرْبِ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا سُرَّقَ ، وَيُفْرِغُ فِي دِجْلَةَ بَيْنَ الْكَحِيلِ وَرَأْسِ الْأَيْلِ مِنْ عَمَلِ الْفَرَجِ. |
| لَمَّا قُتِلَ بِمَاكِسِينَ مَنْ ذَكَرْنَا اسْتَمَدَّتْ تَغْلِبُ وَحَشَدَتْ ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهَا النَّمِرُ بْنُ قَاسِطٍ ، وَأَتَاهَا الْمُشَجَّرُ بْنُ الْحَارِثِ الشَّيْبَانِيُّ ، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِهِمْ بِالْجَزِيرَةِ ، وَأَتَاهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ مُنْجِدًا لَهُمْ عَلَى قَيْسٍ ، فَلِذَلِكَ حَقَدَ عَلَيْهِ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى قَتَلَ أَخَاهُ النَّابِئَ بْنَ زِيَادٍ ، وَاسْتَنْجَدَ عُمَيْرٌ تَمِيمًا وَأَسَدًا ، فَلَمْ يُنْجِدْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ. |
| فَالْتَقَوْا عَلَى الثَّرْثَارِ ، وَقَدْ جَعَلَتْ تَغْلِبُ عَلَيْهَا بَعْدَ شُعَيْبٍ زِيَادَ بْنَ هَوْبَرٍ ، وَيُقَالُ يَزِيدَ بْنَ هَوْبَرٍ التَّغْلِبِيَّ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَتْ قَيْسٌ ، وَقَتَلَتْ تَغْلِبُ وَمَنْ مَعَهَا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَبَقَرُوا بُطُونَ ثَلَاثِينَ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، وَقَالَتْ لَيْلَى بِنْتُ الْحَارِسِ التَّغْلِبِيَّةُ ، وَقِيلَ هِيَ لِلْأَخْطَلِ لَمَّا رَأَوْنَا وَالصَّلِيبَ طَالِعَا... |
| وَمَارَسَرْجِيسَ وَسُمًّا نَاقِعَا وَالْخَيْلَ لَا تَحْمِلُ إِلَّا دَارِعَا... |
| وَالْبِيضَ فِي أَيْمَانِنَا قَوَاطِعَا خَلَّوْا لَنَا الثَّرْثَارَ وَالْمَزَارِعَا... |
| وَحِنْطَةً طَيْسًا وَكَرْمًا يَانِعَا يَوْمُ الثَّرْثَارِ الثَّانِي ثُمَّ إِنَّ قَيْسًا تَجَمَّعَتْ وَاسْتَمَدَّتْ وَاسْتَعَدَّتْ وَعَلَيْهَا عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ ، وَأَتَاهُمْ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ قَرْقِيسِيَا ، وَكَانَ رَئِيسَ بَنِي تَغْلِبَ ، وَالنَّمِرِ ، وَمَعَهُمَا ابْنُ هَوْبَرٍ ، فَالْتَقَوْا بِالثَّرْثَارِ ، وَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ اقْتَتَلَهُ النَّاسُ ، وَانْهَزَمَتْ بَنُو عَامِرٍ ، وَكَانَتْ عَلَى مُجَنَّبَةِ قَيْسٍ ، وَصَبَرَتْ سُلَيْمٌ وَأَعْصَرَتْ حَتَّى انْهَزَمَتْ تَغْلِبُ وَمَنْ مَعَهَا ، وَقُتِلَ ابْنَا عَبْدِ يَشُوعَ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَشْرَافِ تَغْلِبَ ، فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ فِدًا لِفَوَارِسِ الثَّرْثَارِ نَفْسِي... |
| وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ أَهْلٍ وَمَالِ وَوَلَّتْ عَامِرٌ عَنَّا فَأَجْلَتْ... |
| وَحَوْلِي مِنْ رَبِيعَةَ كَالْجِبَالِ أُكَاوِحُهُمْ بِدُهْمٍ مِنْ سُلَيْمٍ... |
| وَأُعْصِرُ كَالْمَصَاعِيبِ النِّهَالِ وَقَالَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عُمَيْرًا... |
| رِسَالَةَ نَاصِحٍ وَعَلَيْهِ زَارِي أَنَتْرُكُ حَيَّ ذِي يَمَنٍ وَكَلْبًا... |
| وَنَجْعَلُ جِدَّنَا بِكَ فِي نِزَارِ كَمُعْتَمِدٍ عَلَى إِحْدَى يَدَيْهِ... |
| فَخَانَتْهُ بِوَهْنٍ وَانْكِسَارِ يَوْمُ الْفُدَيْنِ وَأَغَارَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ عَلَى الْفُدَيْنِ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ عَلَى الْخَابُورِ ، وَقَتَلَ مَنْ بِهَا مِنْ بَنِي تَغْلِبَ ، فَهَزَمَهُمْ ، فَقَالَ نُفَيْعُ بْنُ صَفَّارٍ الْمُحَارِبِيُّ لَوْ تُسْأَلُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ عَلَيْكُمُ... |
| شَهِدَ الْفُدَيْنُ بِهُلْكِكُمْ وَالصُّوَّرُ وَالصُّوَّرُ قَرْيَةٌ مِنَ الْفُدَيْنِ. |
| يَوْمُ السُّكَيْرِ وَهُوَ عَلَى الْخَابُورِ ، يُسَمَّى سُكَيْرَ الْعَبَّاسِ. |
| ثُمَّ اجْتَمَعُوا وَالْتَقَوْا بِالسُّكَيْرِ ، وَعَلَى قَيْسٍ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ ، وَعَلَى تَغْلِبَ وَالنَّمِرِ يَزِيدُ بْنُ هَوْبَرٍ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَتْ تَغْلِبُ وَالنَّمِرُ ، وَهَرَبَ عُمَيْرُ بْنُ جَنْدَلٍ ، وَهُوَ مِنْ فُرْسَانِ تَغْلِبَ ، فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ وَأَفْلَتَنَا يَوْمَ السُّكَيْرِ ابْنُ جَنْدَلٍ... |
| عَلَى سَابِحٍ عُوجِ اللَّبَانِ مُثَابِرِ وَنَحْنُ كَرَرْنَا الْخَيْلَ قِدْمًا شَوَاذِبًا... |
| دِقَاقَ الْهَوَادِي دَامِيَاتِ الدَّوَائِرِ وَقَالَ ابْنُ صَفَّارٍ صَبَحْنَاكُمْ بِهِنَّ عَلَى سُكَيْرٍ... |
| وَلَاقَيْتُمْ هُنَاكَ الْأَقْوَرِينَا يَوْمُ الْمَعَارِكِ وَالْمَعَارِكُ بَيْنَ الْحَضْرِ وَالْعَتِيقِ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ ، اجْتَمَعَتْ تَغْلِبُ بِهَذَا الْمَكَانِ فَالْتَقَوْا هُمْ وَقَيْسٌ ، فَاقْتَتَلُوا بِهِ فَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ ، فَانْهَزَمَتْ تَغْلِبُ ، وَقَالَ ابْنُ صَفَّارٍ وَلَقَدْ تَرَكْنَا بِالْمَعَارِكِ مِنْكُمُ... |
| وَالْحَضْرِ وَالثَّرْثَارِ أَجْسَادًا جُثَا فَيُقَالُ إِنَّ يَوْمَ الْمَعَارِكِ وَالْحَضْرِ وَاحِدٌ ، هَزَمُوهُمْ إِلَى الْحَضْرِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ بَشَرًا كَثِيرًا. |
| وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُمَا يَوْمَانِ كَانَا لِقَيْسٍ. |
| وَاللَّهُ أَعْلَمُ. |
| يَوْمُ لِبَّى وَالْتَقَوْا أَيْضًا بِلِبَّى فَوْقَ تَكْرِيتَ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ ، فَتَنَاصَفُوا ، فَقَيْسٌ تَقُولُ كَانَ الْفَضْلُ لَنَا ، وَتَغْلِبُ تَقُولُ كَانَ الْفَضْلُ لَنَا. |
| يَوْمُ الشَّرْعَبِيَّةِ ثُمَّ الْتَقَوْا بِالشَّرْعَبِيَّةِ ، وَعَلَى قَيْسٍ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ ، وَعَلَى تَغْلِبَ وَأَلْفَافِهَا ابْنُ هَوْبَرٍ ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ ، قُتِلَ يَوْمَئِذٍ عَمَّارُ بْنُ الْمُهَزَّمِ السُّلَمِيُّ ، وَكَانَ لِتَغْلِبَ عَلَى قَيْسٍ ، قَالَ الْأَخْطَلُ وَلَقَدْ بَكَى الْجَحَّافُ لَمَّا أَوْقَعَتْ... |
| بِالشَّرْعَبِيَّةِ إِذْ رَأَى الْأَهْوَالَا يَعْنِي أَوْقَعَتِ الْخَيْلُ. |
| وَالشَّرْعَبِيَّةُ مِنْ بِلَادِ تَغْلِبَ. |
| وَالشَّرْعَبِيَّةُ أَيْضًا بِبِلَادِ مَنْبِجَ ، فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْوَقْعَةَ كَانَتْ بِبِلَادِ مَنْبِجَ ، وَذَلِكَ خَطَأٌ. |
| يَوْمُ الْبَلِيخِ وَاجْتَمَعَتْ تَغْلِبُ وَسَارَتْ إِلَى الْبَلِيخِ ، وَهُنَاكَ عُمَيْرٌ فِي قَيْسٍ ، وَالْبَلِيخُ نَهْرٌ بَيْنَ حَرَّانَ وَالرَّقَّةِ ، فَالْتَقَوْا وَانْهَزَمَتْ تَغْلِبُ وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهَا ، وَبُقِرَتْ بُطُونُ النِّسَاءِ كَمَا فَعَلُوا يَوْمَ الثَّرْثَارِ ، فَقَالَ ابْنُ صَفَّارٍ زُرْقُ الرِّمَاحِ وَوَقْعُ كُلِّ مُهَنَّدٍ... |
| زَلْزَلْنَ قَلْبَكَ بِالْبَلِيخِ فَزَالَا يَوْمُ الْحَشَّاكِ ، وَمَقْتَلُ عُمَيْرِ بْنِ الْحُبَابِ السُّلَمِيِّ وَابْنِ هَوْبَرٍ التَّغْلِبِيِّ لَمَّا رَأَتْ تَغْلِبُ إِلْحَاحَ عُمَيْرِ بْنِ الْحُبَابِ عَلَيْهَا جَمَعَتْ حَاضِرَتَهَا وَبَادِيَتَهَا ، وَسَارُوا إِلَى الْحَشَّاكِ ، وَهُوَ تَلٌّ قَرِيبٌ مِنَ الشَّرْعَبِيَّةِ ، وَإِلَى جَنْبِهِ بِرَاقٌ ، وَدَلَفَ إِلَيْهِ عُمَيْرٌ فِي قَيْسٍ وَمَعَهُ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلَّائِيُّ وَابْنُهُ الْهُذَيْلُ بْنُ زُفَرَ ، وَعَلَى تَغْلِبَ ابْنُ هَوْبَرٍ ، وَاقْتَتَلُوا عِنْدَ تَلِّ الْحَشَّاكِ أَشَدَّ قِتَالٍ وَأَبْرَحَهُ ، حَتَّى جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا وَاقْتَتَلُوا مِنَ الْغَدِ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ تَحَاجَزُوا. |
| وَأَصْبَحَتْ تَغْلِبُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، فَتَعَاقَدُوا أَنْ لَا يَفِرُّوا ، فَلَمَّا رَأَى عُمَيْرٌ حَدَّهُمْ ، وَأَنَّ نِسَاءَهُمْ مَعَهُمْ قَالَ لِقَيْسٍ يَا قَوْمِ ، أَرَى لَكُمْ أَنْ تَنْصَرِفُوا عَنْ هَؤُلَاءِ ، فَإِنَّهُمْ مُسْتَقْتِلُونَ ، فَإِذَا اطْمَأَنُّوا وَصَارُوا إِلَى سَرْحِهِمْ وَجَّهْنَا إِلَى كُلِّ قَوْمٍ مِنْهُمْ مَنْ يُغِيرُ عَلَيْهِمْ. |
| فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ حَاتِمِ بْنِ النُّعْمَانِ الْبَاهِلِيُّ قَتَلْتَ فُرْسَانَ قَيْسٍ أَمْسِ وَأَوَّلَ أَمْسِ ، ثُمَّ مُلِئَ سَحْرُكَ وَجَبُنْتَ! |
| وَيُقَالُ إِنَّ عُيَيْنَةَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيَّ قَالَ لَهُ ذَلِكَ ، وَكَانَ أَتَاهُ مُنْجِدًا ، فَغَضِبُ عُمَيْرٌ وَقَالَ كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ حَمِسَ الْوَغَى أَوَّلُ فَارٍّ! |
| فَنَزَلَ عُمَيْرٌ وَجَعَلَ يُقَاتِلُ رَاجِلًا وَهُوَ يَقُولُ أَنَا عُمَيْرٌ وَأَبُو الْمُغَلِّسْ... |
| قَدْ أَحْبِسُ الْقَوْمَ بِضَنْكٍ فَاحْبِسْ وَانْهَزَمَ زُفَرُ يَوْمَئِذٍ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ ، فَلَحِقَ بِقَرْقِيسِيَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْحَرَكَةِ إِلَيْهِ بِقَرْقِيسِيَا ، فَبَادَرَ لِلتَّأَهُّبِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ ادَّعَى ذَلِكَ حِينَ فَرَّ اعْتِذَارًا ، وَانْهَزَمَتْ قَيْسٌ وَرَكِبَتْ تَغْلِبُ وَمَنْ مَعَهَا أَكْتَافَهُمْ يَقُولُونَ أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ تَغْلِبَ تَغْلِبُ ؟ |
| وَشَدَّ عَلَى عُمَيْرٍ جُمَيْلُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ فَقَتَلَهُ ، وَقِيلَ بَلْ تَغَاوَى عَلَى عُمَيْرٍ غُلَامَانِ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ فَرَمَيَاهُ بِالْحِجَارَةِ ، وَقَدْ أَعْيَا فَأَثْخَنَاهُ ، وَكَرَّ عَلَيْهِ ابْنُ هَوْبَرٍ فَقَتَلَهُ. |
| وَأَصَابَتِ ابْنَ هَوْبَرٍ يَوْمَئِذٍ جِرَاحَةٌ ، فَلَمَّا انْقَضَتِ الْحَرْبُ أَوْصَى بَنِي تَغْلِبَ بِأَنْ يُوَلُّوا أَمْرَهُمْ مُرَادَ بْنَ عَلْقَمَةَ الزُّهَيْرِيَّ. |
| وَقِيلَ خَرَجَ ابْنُ هَوْبَرٍ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِهِمْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ ، وَأَوْصَى أَنْ يُوَلُّوا أَمْرَهُمْ مُرَادًا ، وَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ ، وَكَانَ مُرَادٌ رَئِيسَهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، فَعَبَّأَهُمْ عَلَى رَايَاتِهِمْ ، وَأَمَرَ كُلَّ بَنِي أَبٍ أَنْ يَجْعَلُوا نِسَاءَهُمْ خَلْفَهُمْ ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُمْ عُمَيْرٌ قَالَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ أَرِقْتُ بِأَثْنَاءِ الْفُرَاتِ وَشَفَّنِي... |
| نَوَائِحُ أَبْكَاهَا قَتِيلُ ابْنِ هَوْبَرِ وَلَمْ تَظْلِمِي إِنْ نُحْتِ أُمَّ مُغَلِّسٍ... |
| قَتِيلَ النَّصَارَى فِي نَوَائِحِ حُسَّرِ وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ يُنْكِرُ قَتْلَ ابْنِ هَوْبَرٍ عُمَيْرًا وَإِنَّ عُمَيْرًا يَوْمَ لَاقَتْهُ تَغْلِبُ... |
| قَتِيلُ جُمَيْلٍ لَا قَتِيلُ ابْنِ هَوْبَرِ وَكَثُرَ الْقَتْلُ يَوْمَئِذٍ فِي بَنِي سُلَيْمٍ وَغَنِيٍّ خَاصَّةً ، وَقُتِلَ مِنْ قَيْسٍ أَيْضًا يَوْمَئِذٍ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، وَبَعَثَتْ بَنُو تَغْلِبَ رَأْسَ عُمَيْرِ بْنِ الْحُبَابِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِدِمَشْقَ ، فَأَعْطَى الْوَفْدَ وَكَسَاهُمْ. |
| فَلَمَّا صَالَحَ عَبْدُ الْمَلِكِ زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ الْأَخْطَلُ بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ تَنَاضَلَتْ دُونَكُمُ... |
| أَبْنَاءُ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا وَقَيْسُ عَيْلَانَ حَتَّى أَقْبَلُوا رَقَصًا... |
| فَبَايَعُوا لَكَ قَسْرًا بَعْدَمَا قُهِرُوا ضَجُّوا مِنَ الْحَرْبِ إِذْ عُضَّتْ غَوَارِبُهُمْ وَقَيْسُ عَيْلَانَ مِنْ أَخْلَاقِهَا الضَّجَرُ فِي أَبْيَاتٍ كَثِيرَةٍ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ قَتَلَتْ بَنُو تَغْلِبَ عُمَيْرَ بْنَ الْحُبَابِ. |
| فَقَالَ لَا بَأْسَ ، إِنَّمَا قُتِلَ الرَّجُلُ فِي دِيَارِ الْقَوْمِ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ ، ثُمَّ قَالَ يَدِي رَهْنٌ عَلَى سُلَيْمٍ بِغَارَةٍ... |
| تَشِيبُ لَهَا أَصْدَاغُ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ وَتَتْرُكُ أَوْلَادَ الْفَدَوْكَسِ عَالَةً... |
| يَتَامَى أَيَامَى نُهْزَةً لِلْقَبَائِلِ يَوْمُ الْكُحَيْلِ وَهُوَ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ فِي جَانِبِ دِجْلَةَ الْغَرْبِيِّ. |
| وَسَبَبُهُ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ السُّلَمِيُّ أَتَى تَمِيمُ بْنُ عُمَيْرٍ زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَطْلُبَ لَهُ بِثَأْرِهِ ، فَامْتَنَعَ ، فَقَالَ الْهُذَيْلُ بْنُ زُفَرَ لِأَبِيهِ وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفِرَتْ بِهِمْ تَغْلِبُ ، إِنَّ ذَلِكَ لَعَارٌ عَلَيْكَ ، وَلَئِنْ ظَفِرُوا بِتَغْلِبَ وَقَدْ خَذَلَتْهُمْ إِنَّ ذَلِكَ لَأَشَدُّ. |
| فَاسْتَخْلَفَ زُفَرُ عَلَى قَرْقِيسِيَا أَخَاهُ أَوْسَ بْنَ الْحَارِثِ ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُغِيرَ عَلَى بَنِي تَغْلِبَ وَيَغْزُوهُمْ ، فَوَجَّهَ خَيْلًا إِلَى بَنِي فَدَوْكَسَ بَطْنٍ مِنْ تَغْلِبَ ، فَقُتِلَ رِجَالُهُمْ ، وَاسْتُبِيحَتْ أَمْوَالُهُمْ وَنِسَائُهُمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ غَيْرُ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ اسْتَجَارَتْ ، فَأَجَارَهَا يَزِيدُ بْنُ حُمْرَانَ. |
| وَوَجَّهَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ابْنَهُ الْهُذَيْلَ فِي جَيْشٍ إِلَى بَنِي كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ ، فَقَتَلَ فِيهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَبَعَثَ زُفَرُ أَيْضًا مُسْلِمَ بْنَ رَبِيعَةَ الْعُقَيْلِيَّ إِلَى قَوْمِ تَغْلِبَ مُجْتَمِعِينَ ، فَأَكْثَرَ فِيهِمُ الْقَتْلَ. |
| ثُمَّ قَصَدَ زُفَرُ لِبَنِي تَغْلِبَ وَقَدِ اجْتَمَعُوا بِالْعَقِيقِ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ ، فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِهِ ارْتَحَلَتْ تُرِيدُ عُبُورَ دِجْلَةَ ، فَلَمَّا صَارَتْ بِالْكُحَيْلِ لَحِقَهُمْ زُفَرُ فِي الْقَيْسِيَّةِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَتَرَجَّلَ أَصْحَابُ زُفَرَ أَجْمَعُونَ ، وَبَقِيَ زُفَرُ عَلَى بَغْلٍ لَهُ ، فَقَتَلُوهُمْ لَيْلَتَهُمْ ، وَبَقَرُوا بُطُونَ نِسَاءٍ مِنْهُمْ ، وَغَرِقَ فِي دِجْلَةَ أَكْثَرُ مِمَّنْ قُتِلَ بِالسَّيْفِ ، فَأَتَى فَلُّهُمْ لِبَّى ، فَوَجَّهَ زُفَرُ ابْنَهُ الْهُذَيْلَ فَأَوْقَعَ بِهِمْ ، إِلَّا مَنْ عَبَرَ فَنَجَا ، وَأَسَرَ زُفَرُ مِنْهُمْ مِائَتَيْنِ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا ، فَقَالَ زُفَرُ أَلَا يَا عَيْنِ بَكِّي بِانْسِكَابٍ... |
| وَبَكِّي عَاصِمًا وَابْنَ الْحُبَابِ فَإِنْ تَكُ تَغْلِبٌ قَتَلَتْ عُمَيْرًا... |
| وَرَهْطًا مِنْ غَنِيٍّ فِي الْحِرَابِ فَقَدْ أَفْنَى بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ... |
| وَنَمْرَهُمُ فَوَارِسَ مِنْ كِلَابِ قَتَلْنَا مِنْهُمُ مِائَتَيْنِ صَبْرًا... |
| وَمَا عَدَلُوا عُمَيْرَ بْنَ الْحُبَابِ وَقَالَ ابْنُ صَفَّارٍ الْمُحَارِبِيُّ أَلَمْ تَرَ حَرْبَنَا تَرَكَتْ حُبَيْبًا... |
| مُحَالِفُهَا الْمَذَلَّةُ وَالصَّغَارُ وَقَدْ كَانُوا أُولِي عِزٍّ فَأَضْحَوْا... |
| وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الذُّلِّ انْتِصَارُ وَأُسِرَ الْقَطَامِيُّ التَّغْلِبِيُّ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهِمْ وَأُخِذَ مَالُهُ ، فَقَامَ زُفَرُ بِأَمْرِهِ حَتَّى رَدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ وَوَصَلَهُ ، فَقَالَ فِيهِ إِنِّي وَإِنْ كَانَ قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمُ... |
| وَبَيْنَ قَوْمِكَ إِلَّا ضَرْبَةُ الْهَادِي مُثْنٍ عَلَيْكَ بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ... |
| وَقَدْ تَعَرَّضَ لِي مِنْ مَقْتَلٍ بَادِي حُبَيْبٌ الَّذِي فِي الشِّعْرِ هُوَ بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمِلَةِ ، وَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَهُوَ فِي نَسَبِ بَنِي تَغْلِبَ . |
| يَوْمُ الْبِشْرِ لِمَا اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، وَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ قَدِمَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ الشَّاعِرُ التَّغْلِبِيُّ ، وَعِنْدَهُ الْجَحَّافُ بْنُ حُكَيْمٍ السُّلَمِيُّ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ أَتَعْرِفُ هَذَا يَا أَخْطَلُ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، هَذَا الَّذِي أَقُولُ فِيهِ أَلَا سَائِلِ الْجَحَّافَ هَلْ هُوَ ثَائِرٌ... |
| بِقَتْلَى أُصِيبَتْ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرِ وَأَنْشَدَ الْقَصِيدَةَ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا ، وَكَانَ الْجَحَّافُ يَأْكُلُ رُطَبًا ، فَجَعَلَ النَّوَى يَتَسَاقَطُ مِنْ يَدِهِ غَيْظًا ، وَأَجَابَهُ وَقَالَ بَلَى سَوْفَ نُبْكِيهِمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ... |
| وَنَنْعَى عُمَيْرًا بِالرِّمَاحِ الشَّوَاجِرِ ثُمَّ قَالَ يَا ابْنَ النَّصْرَانِيَّةِ ، مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ تَجْتَرِئَ عَلَيَّ بِمِثْلِ هَذَا! |
| فَأُرْعِدَ الْأَخْطَلُ مِنْ خَوْفِهِ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَمْسَكَ ذَيْلَهُ وَقَالَ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ. |
| فَقَالَ أَنَا لَكَ مُجِيرٌ. |
| ثُمَّ قَامَ الْجَحَّافُ وَمَشَى وَهُوَ يَجُرُّ ثَوْبَهُ وَلَا يَعْقِلُ بِهِ ، فَتَلَطَّفَ لِبَعْضِ كُتَّابِ الدِّيوَانِ حَتَّى اخْتَلَقَ لَهُ عَهْدًا عَلَى صَدَقَاتِ تَغْلِبَ وَبَكْرٍ بِالْجَزِيرَةِ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَلَّانِي هَذِهِ الصَّدَقَاتِ ، فَمَنْ أَرَادَ اللِّحَاقَ بِي فَلْيَفْعَلْ. |
| ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى رُصَافَةَ هِشَامٍ فَأَعْلَمَ أَصْحَابَهُ مَا كَانَ مِنَ الْأَخْطَلِ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ افْتَعَلَ كِتَابًا ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِوَالٍ ، فَمَنْ كَانَ أَحَبَّ أَنْ يَغْسِلَ عَنِّي الْعَارَ وَعَنْ نَفْسِي فَلْيَصْحَبْنِي ، فَإِنِّي قَدْ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَغْسِلَ رَأْسِي حَتَّى أُوقِعَ فِي بَنِي تَغْلِبَ. |
| فَرَجَعُوا عَنْهُ غَيْرَ ثَلَاثِمِائَةٍ قَالُوا لَهُ نَمُوتُ بِمَوْتِكَ ، وَنَحْيَا بِحَيَاتِكَ. |
| فَسَارَ لَيْلَتَهُ حَتَّى صَبَّحَ الرَّحُوبَ ، وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ مِنْ تَغْلِبَ ، فَصَادَفَ عَلَيْهِ جَمَاعَةً عَظِيمَةً مِنْهُمْ ، فَقَتَلَ فِيهِمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأُسِرَ الْأَخْطَلُ وَعَلَيْهِ عَبَاءَةٌ وَسِخَةٌ ، فَظَنَّهُ الَّذِي أَسَرَهُ عَبْدًا ، فَسَأَلَهُ مَنْ هُوَ ، فَقَالَ عَبْدٌ. |
| فَأَطْلَقَهُ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ فِي جُبٍّ ، فَخَافَ أَنْ يَرَاهُ مَنْ يَعْرِفُهُ فَيَقْتُلَهُ. |
| فَلَمَّا انْصَرَفَ الْجَحَّافُ خَرَجَ مِنَ الْجُبِّ ، وَأَسْرَفَ الْجَحَّافُ فِي الْقَتْلِ ، وَبَقَرَ الْبُطُونَ عَنِ الْأَجِنَّةِ ، وَفَعَلَ أَمْرًا عَظِيمًا ، فَلَمَّا عَادَ عَنْهُمْ قَدِمَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَّافُ بِالْبِشْرِ وَقْعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكَى وَالْمُعَوَّلِ فَهَرَبَ الْجَحَّافُ ، فَطَلَبَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَلَحِقَ بِبِلَادِ الرُّومِ ، وَقَالَ بَعْدَ وَقْعَةِ الْبِشْرِ يُخَاطِبُ الْأَخْطَلَ أَبَا مَالِكٍ هَلْ لُمْتَنِي أَوْ حَضَضْتَنِي... |
| عَلَى الْقَتْلِ أَمْ هَلْ لَامَنِي كُلُّ لَائِمِ أَلَمْ أُفْنِكُمْ قَتْلًا وَأَجْدَعَ أَنْفَكُمْ... |
| بِفِتْيَانِ قَيْسٍ وَالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ بِكُلِّ فَتًى يَنْعَى عُمَيْرًا بِسَيْفِهِ... |
| إِذَا اعْتَصَمَتْ أَيْمَانُهُمْ بِالْقَوَائِمِ فَإِنْ تَطْرُدُونِي تَطْرُدُونِي وَقَدْ جَرَى... |
| بِيَ الْوَرْدُ يَوْمًا فِي دِمَاءِ الْأَرَاقِمِ نَكَحْتُ بِسَيْفِي فِي زُهَيْرٍ وَمَالِكٍ... |
| نِكَاحَ اغْتِصَابٍ لَا نِكَاحَ دَرَاهِمِ فِي أَبْيَاتٍ. |
| وَلَمْ يَزَلِ الْجَحَّافُ يَتَرَدَّدُ فِي بِلَادِ الرُّومِ مِنْ طَرَابِزُنْدَةَ إِلَى قَالِيقَلَا ، وَبَعَثَ إِلَى بِطَانَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ قَيْسٍ حَتَّى أَخَذُوا لَهُ الْأَمَانَ ، فَآمَنَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَأَلْزَمَهُ دِيَاتِ مَنْ قَتَلَ ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْكُفَلَاءَ وَسَعَى فِيهَا ، فَأَتَى الْحَجَّاجَ مِنَ الشَّامِ فَطَلَبَ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ مَتَى عَهِدْتَنِي خَائِنًا ؟ |
| فَقَالَ لَهُ وَلَكِنَّكَ سَيِّدُ قَوْمِكَ وَلَكَ عِمَالَةٌ وَاسِعَةٌ. |
| فَقَالَ لَقَدْ أُلْهِمْتَ الصِّدْقَ. |
| فَأَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَجَمَعَ الدِّيَاتِ فَأَوْصَلَهَا. |
| ثُمَّ تَنَسَّكَ بَعْدُ وَصَلُحَ ، وَمَضَى حَاجًّا ، فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَجَعَلَ يُنَادِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَمَا أَظُنُّ تَفْعَلُ. |
| فَسَمِعَهُ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ فَقَالَ يَا شَيْخُ ، قُنُوطُكَ شَرٌّ مِنْ ذَنْبِكَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ سَبَبَ عَوْدِهِ كَانَ أَنَّ الْجَحَّافَ أَكْرَمَهُ مَلِكُ الرُّومِ وَقَرَّبَهُ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ وَيُعْطِيهِ مَا شَاءَ ، فَقَالَ مَا أَتَيْتُكَ رَغْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ. |
| وَلَقِيَ الرُّومُ تِلْكَ السَّنَةَ عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ صَائِفَةً ، فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ ، وَأَخْبَرُوا عَبْدَ الْمَلِكِ أَنَّهُمْ هَزَمَهُمُ الْجَحَّافُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ يُؤَمِّنُهُ ، فَسَارَ وَقَصَدَ الْبِشْرَ وَبِهِ حَيٌّ مِنْ بِشْرٍ ، وَقَدْ لَبِسَ أَكْفَانَهُ وَقَالَ قَدْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ أُعْطِي الْقَوَدَ مِنْ نَفْسِي. |
| وَأَرَادَ شَبَابُهُمْ قَتْلَهُ ، فَنَهَاهُمْ شُيُوخُهُمْ ، فَعَفَوْا عَنْهُ وَحَجَّ ، فَسَمِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَهُوَ يَطُوفُ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَمَا أَظُنُّكَ تَفْعَلُ ؟ |
| فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لَوْ كُنْتَ الْجَحَّافَ مَا زِدْتَ عَلَى هَذَا. |
| قَالَ فَأَنَا الْجَحَّافُ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ ذِكْرُ مَقْتَلِ مُصْعَبٍ وَمُلْكِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعِرَاقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَاسْتَوْلَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى الْعِرَاقِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَّا قُتِلَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَضَعَ السَّيْفَ فَقَتَلَ مَنْ خَالَفَهُ ، فَصَفَا لَهُ الشَّامُ. |
| فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ لَهُ مُخَالِفٌ فِيهِ أَجْمَعَ الْمَسِيرَ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِالْعِرَاقِ ، فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي ذَلِكَ ، فَأَشَارَ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ عَمُّهُ بِأَنْ يَقْنَعَ بِالشَّامِ وَيَتْرُكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَالْعِرَاقَ ، وَكَانَ يَقُولُ عَبْدُ الْمَلِكِ مَنْ أَرَادَ صَوَابَ الرَّأْيِ فَلْيُخَالِفْ يَحْيَى. |
| وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَامَ جَدْبٌ ، وَقَدْ غَزَوْتَ سَنَتَيْنِ فَلَمْ تَظْفَرْ ، فَأَقِمْ عَامَكَ هَذَا. |
| فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ الشَّامُ بَلَدٌ قَلِيلُ الْمَالِ ، وَلَا آمَنُ نَفَادَهُ ، وَقَدْ كَتَبَ كَثِيرٌ مِنْ أَشْرَافِ الْعِرَاقِ يَدْعُونَنِي إِلَيْهِمْ. |
| وَقَالَ أَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الرَّأْيُ أَنْ تَطْلُبَ حَقَّكَ وَتَسِيرَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُكَ. |
| وَقَالَ بَعْضُهُمْ الرَّأْيُ أَنْ تُقِيمَ وَتَبْعَثَ بَعْضَ أَهْلِكَ وَتَمُدَّهُ بِالْجُنُودِ. |
| فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِنَّهُ لَا يَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا قُرَشِيٌّ لَهُ رَأْيٌ ، وَلَعَلِّي أَبْعَثُ مَنْ لَهُ شَجَاعَةٌ وَلَا رَأْيَ لَهُ ، وَإِنِّي بَصِيرٌ بِالْحَرْبِ شُجَاعٌ بِالسَّيْفِ إِنِ احْتَجْتُ إِلَيْهِ ، وَمُصْعَبٌ شُجَاعٌ مِنْ بَيْتِ شَجَاعَةٍ ، وَلَكِنَّهُ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ يُحِبُّ الْخَفْضَ ، وَمَعَهُ مَنْ يُخَالِفُهُ ، وَمَعِي مَنْ يَنْصَحُ لِي. |
| فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ وَدَّعَ زَوْجَتَهُ عَاتِكَةَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَبَكَتْ وَبَكَى جَوَارِيهَا لِبُكَائِهَا ، فَقَالَ قَاتَلَ اللَّهُ كُثَيِّرَ عَزَّةَ! |
| لَكَأَنَّهُ يُشَاهِدُنَا حِينَ يَقُولُ إِذَا مَا أَرَادَ الْغَزْوَ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ... |
| حَصَانٌ عَلَيْهَا عِقْدُ دُرٍّ يَزِينُهَا نَهَتْهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ... |
| بَكَتْ وَبَكَى مِمَّا عَنَاهَا قَطِينُهَا وَسَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَلَمَّا بَلَغَ مُصْعَبًا مَسِيرُهُ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ أَرْسَلَ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، وَهُوَ يُقَاتِلُ الْخَوَارِجَ ، يَسْتَشِيرُهُ ، وَقِيلَ بَلْ أَحْضَرَهُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لِمُصْعَبٍ اعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ كَاتَبُوا عَبْدَ الْمَلِكِ وَكَاتَبَهُمْ ، فَلَا تُبْعِدْنِي عَنْكَ. |
| فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ قَدْ أَبَوْا أَنْ يَسِيرُوا حَتَّى أَجْعَلَكَ عَلَى قِتَالِ الْخَوَارِجِ ، وَهُمْ قَدْ بَلَغُوا سُوقَ الْأَهْوَازِ ، وَأَنَا أَكْرَهُ إِذْ سَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَيَّ أَنْ لَا أَسِيرَ إِلَيْهِ ، فَاكْفِنِي هَذَا الثَّغْرَ. |
| فَعَادَ إِلَيْهِمْ ، وَسَارَ مُصْعَبٌ إِلَى الْكُوفَةِ وَمَعَهُ الْأَحْنَفُ ، فَتُوُفِّيَ بِالْكُوفَةِ ، وَأَحْضَرَ مُصْعَبٌ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ ، وَكَانَ عَلَى الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ ، فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَهُ جَعَلَهُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ ، وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بَاجُمَيْرَى ، وَهِيَ قَرِيبٌ مِنْ أَوَانَا ، وَهِيَ مِنْ مَسْكِنٍ ، فَعَسْكَرَ هُنَاكَ. |
| وَسَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ أَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ ، وَخَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ، فَنَزَلُوا بِقَرْقِيسِيَا ، وَحَصَرُوا زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ الْكَلَّائِيَّ ، ثُمَّ صَالَحَهُمْ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . |
| وَسَيَّرَ زُفَرُ ابْنَهُ الْهُذَيْلَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ مَعَهُ ، ثُمَّ لَحِقَ بِمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ. |
| فَلَمَّا اصْطَلَحَا سَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَمَنْ مَعَهُ ، فَنَزَلُوا بِمَسْكِنٍ قَرِيبًا مِنْ عَسْكَرِ مُصْعَبٍ ، بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ ، وَيُقَالُ فَرْسَخَانِ ، وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مَنْ كَاتَبَهُ وَمَنْ لَمْ يُكَاتِبْهُ ، وَبَذَلَ لِجَمِيعِهِمْ أَصْبَهَانَ طُعْمَةً ، وَقِيلَ إِنَّ كُلَّ مَنْ كَاتَبَهُ طَلَبَ مِنْهُ إِمْرَةَ أَصْبَهَانَ ، فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ هَذِهِ أَصْبَهَانُ حَتَّى كُلُّهُمْ يَطْلُبُهَا! |
| فَكُلٌّ مِنْهُمْ أَخْفَى كِتَابَهُ ، إِلَّا إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ ، فَإِنَّهُ أَحْضَرَ كِتَابَهُ عِنْدَ مُصْعَبٍ مَخْتُومًا ، فَقَرَأَهُ مُصْعَبٌ ، فَإِذَا هُوَ يَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهِ وَيَجْعَلُ لَهُ وِلَايَةَ الْعِرَاقِ ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ أَتَدْرِي مَا فِيهِ. |
| قَالَ لَا. |
| قَالَ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا ، وَإِنَّ هَذَا لَمَا يُرْغَبُ فِيهِ. |
| فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ مَا كُنْتُ لِأَتَقَلَّدَ الْغَدْرَ وَالْخِيَانَةَ ، وَوَاللَّهِ مَا عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بِأَيْأَسَ مِنْهُ مِنِّي ، وَلَقَدْ كَتَبَ إِلَى أَصْحَابِكَ كُلِّهِمْ مِثْلَ الَّذِي كَتَبَ إِلَيَّ ، فَأَطِعْنِي وَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ. |
| قَالَ إِذًا لَا يُنَاصِحُنِي عَشَائِرُهُمْ. |
| قَالَ فَأَوْقِرْهُمْ حَدِيدًا وَابْعَثْ بِهِمْ إِلَى أَبْيَضِ كِسْرَى ، وَاحْبِسْهُمْ هُنَاكَ ، وَوَكِّلْ بِهِمْ مَنْ إِنْ غُلِبْتَ وَتَفَرَّقَتْ عَشَائِرُهُمْ عَنْكَ ضَرَبَ رِقَابَهُمْ ، وَإِنْ ظَهَرْتَ مَنَنْتَ عَلَى عَشَائِرِهِمْ بِإِطْلَاقِهِمْ. |
| فَقَالَ إِنِّي لَفِي شُغُلٍ عَنْ ذَلِكَ ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَحْرٍ ، يَعْنِي الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ ، إِنْ كَانَ لَيُحَذِّرُنِي غَدْرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَيَقُولُ هُمْ كَالْمُومِسَةِ تُرِيدُ كُلَّ يَوْمٍ بَعْلًا ، وَهُمْ يُرِيدُونَ كُلَّ يَوْمٍ أَمِيرًا. |
| فَلَمَّا رَأَى قَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ مَا عَزَمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدْرِ لِمُصْعَبٍ قَالَ لَهُمْ وَيْحَكُمُ! |
| لَا تُدْخِلُوا أَهْلَ الشَّامِ عَلَيْكُمْ! |
| فَوَاللَّهِ لَئِنْ يُطْعَمُوا بِعَيْشِكُمْ لَيُضَيِّقُنَّ عَلَيْكُمْ مَنَازِلَكُمْ ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ سَيِّدَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ يَفْرَحُ إِنْ أَرْسَلَهُ فِي حَاجَةٍ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا فِي الصَّوَائِفِ وَإِنَّ زَادَ أَحَدِنَا عَلَى عِدَّةِ أَجَمَالٍ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْ وُجُوهِهِمْ لِيَغْزُو عَلَى فَرَسِهِ وَزَادُهُ خَلْفَهُ. |
| فَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ. |
| فَلَمَّا تَدَانَى الْعَسْكَرَانِ أَرْسَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مُصْعَبٍ رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ وَقَالَ لَهُ أَقْرِئِ ابْنَ أُخْتِكَ السَّلَامَ وَكَانَتْ أُمُّ مُصْعَبٍ كَلْبِيَّةً وَقُلْ لَهُ يَدَعُ دُعَاءَهُ إِلَى أَخِيهِ ، وَأَدَعُ دُعَائِي إِلَى نَفْسِي ، وَيَجْعَلُ الْأَمْرَ شُورَى. |
| فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ قُلْ لَهُ السَّيْفُ بَيْنَنَا. |
| فَقَدَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَخَاهُ مُحَمَّدًا ، وَقَدَّمَ مُصْعَبٌ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ ، فَالْتَقَيَا ، فَتَنَاوَشَ الْفَرِيقَانِ ، فَقُتِلَ صَاحِبُ لِوَاءِ مُحَمَّدٍ ، وَجَعَلَ مُصْعَبٌ يَمُدُّ إِبْرَاهِيمَ ، فَأَزَالَ مُحَمَّدًا عَنْ مَوْقِفِهِ ، فَوَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَقُتِلَ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ وَالِدُ قُتَيْبَةَ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ مُصْعَبٍ ، وَأَمَدَّ مُصْعَبٌ إِبْرَاهِيمَ بِعَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ ، فَسَاءَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ قَدْ قُلْتُ لَهُ لَا تَمُدَّنِي بِعَتَّابٍ وَضُرَبَائِهِ ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! |
| فَانْهَزَمَ عَتَّابٌ بِالنَّاسِ ، وَكَانَ قَدْ كَاتَبَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَبَايَعَهُ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ صَبَرَ ابْنُ الْأَشْتَرِ فَقُتِلَ ، قَتَلَهُ عُبَيْدُ بْنُ مَيْسَرَةَ مَوْلَى بَنِي عُذْرَةَ ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَتَقَدَّمَ أَهْلُ الشَّامِ فَقَاتَلَهُمْ مُصْعَبٌ ، وَقَالَ لِقَطْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ قَدِّمْ خَيْلَكَ أَبَا عُثْمَانَ. |
| فَقَالَ أَكْرَهُ أَنْ تُقْتَلَ مَذْحِجٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ. |
| فَقَالَ لِحَجَّارِ بْنِ أَبْخَرَ يَا أَبَا أَسِيدٍ ، قَدِّمْ خَيْلَكَ. |
| قَالَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَنْتَانِ! |
| قَالَ مَا تَتَأَخَّرُ إِلَيْهِ أَنْتَنُ! |
| فَقَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ مَا فَعَلَ أَحَدٌ هَذَا فَأَفْعَلُهُ. |
| فَقَالَ مُصْعَبٌ يَا إِبْرَاهِيمُ ، وَلَا إِبْرَاهِيمَ لِيَ الْيَوْمَ! |
| ثُمَّ الْتَفَتَ فَرَأَى عُرْوَةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، فَاسْتَدْنَاهُ فَقَالَ لَهُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ كَيْفَ صَنَعَ بِامْتِنَاعِهِ عَنِ النُّزُولِ عَلَى حُكْمِ ابْنِ زِيَادٍ وَعَزْمِهِ عَلَى الْحَرْبِ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ إِنَّ الْأُلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ... |
| تَأَسَّوْا فَسَنُّوا لِلْكِرَامِ التَّأَسِّيَا قَالَ عُرْوَةُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَبْرَحُ حَتَّى يُقْتَلَ. |
| ثُمَّ دَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ مِنْ مُصْعَبٍ وَنَادَاهُ أَنَا ابْنُ عَمِّكَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ ، فَاقْبَلْ أَمَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَكَّةَ ، يَعْنِي أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ. |
| قَالَ فَإِنَّ الْقَوْمَ خَاذِلُوكَ. |
| فَأَبَى مَا عَرَضَ عَلَيْهِ. |
| فَنَادَى مُحَمَّدٌ عِيسَى بْنَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ انْظُرْ مَا يُرِيدُ مِنْكَ. |
| فَدَنَا مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ إِنِّي لَكَ وَلِأَبِيكَ نَاصِحٌ وَلَكُمَا الْأَمَانُ. |
| فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ إِنِّي أَظُنُّ الْقَوْمَ يَفُونَ لَكَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ فَافْعَلْ. |
| فَقَالَ لَا تَتَحَدَّثُ نِسَاءُ قُرَيْشٍ أَنِّي خَذَلْتُكَ ، وَرَغِبْتُ بِنَفْسِي عَنْكَ. |
| قَالَ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ إِلَى عَمِّكَ بِمَكَّةَ ، فَأَخْبِرْهُ بِمَا صَنَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَدَعْنِي فَإِنِّي مَقْتُولٌ. |
| فَقَالَ لَا أُخْبِرُ عَنْكَ قُرَيْشًا أَبَدًا ، وَلَكِنْ يَا أَبَهِ الْحَقْ بِالْبَصْرَةِ ، فَإِنَّهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ، أَوِ الْحَقْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ مُصْعَبٌ لَا تَتَحَدَّثُ قُرَيْشٌ أَنِّي فَرَرْتُ. |
| وَقَالَ لِابْنِهِ عِيسَى تَقَدَّمْ إِذَنْ أَحْتَسِبُكَ ، فَتَقَدَّمَ وَمَعَهُ نَاسٌ فَقُتِلَ وَقُتِلُوا ، وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لِيَحْتَزَّ رَأْسَ عِيسَى ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ مُصْعَبٌ فَقَتَلَهُ وَشَدَّ عَلَى النَّاسِ ، فَانْفَرَجُوا لَهُ ، وَعَادَ ثُمَّ حَمَلَ ثَانِيَةً فَانْفَرَجُوا لَهُ ، وَبَذَلَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ الْأَمَانَ وَقَالَ إِنَّهُ يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُقْتَلَ ، فَاقْبَلْ أَمَانِي وَلَكَ حُكْمُكَ فِي الْمَالِ وَالْعَمَلِ. |
| فَأَبَى وَجَعَلَ يُضَارِبُ. |
| فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ هَذَا وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الْكُمَاةُ نِزَالَهُ... |
| لَا مُمْعِنًا هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمَا وَدَخَلَ مُصْعَبٌ سُرَادِقَهُ ، فَتَحَنَّطَ وَرَمَى السُّرَادِقَ وَخَرَجَ فَقَاتَلَ ، فَأَتَاهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ ، فَدَعَاهُ إِلَى الْمُبَارَزَةِ ، فَقَالَ لَهُ يَا كَلْبُ ، اعْزَبْ! |
| مِثْلِي يُبَارِزُ مِثْلَكَ! |
| وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُصْعَبٌ فَضَرَبَهُ عَلَى الْبَيْضَةِ ، فَهَشَّمَهَا وَجَرَحَهُ ، فَرَجَعَ وَعَصَبَ رَأْسَهُ ، وَتَرَكَ النَّاسُ مُصْعَبًا وَخَذَلُوهُ حَتَّى بَقِيَ فِي سَبْعَةِ أَنْفُسٍ ، وَأُثْخِنَ مُصْعَبٌ بِالرَّمْيِ وَكَثُرَتِ الْجِرَاحَاتُ فِيهِ ، فَعَادَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ ، فَضَرَبَهُ مُصْعَبٌ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا لِضَعْفِهِ بِكَثْرَةِ الْجِرَاحَاتِ ، وَضَرَبَهُ ابْنُ ظَبْيَانَ فَقَتَلَهُ. |
| وَقِيلَ بَلْ نَظَرَ إِلَيْهِ زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ الثَّقَفِيُّ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ ، وَقَالَ يَا لِثَارَاتِ الْمُخْتَارِ! |
| فَصَرَعَهُ ، وَأَخَذَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ رَأْسَهُ ، وَحَمَلَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْشَدَ نُعَاطِي الْمُلُوكَ الْحَقَّ مَا قَسَّطُوا لَنَا... |
| وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمِ فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ الرَّأْسَ سَجَدَ. |
| قَالَ ابْنُ ظَبْيَانَ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْتُلَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكُونُ قَدْ قَتَلْتُ مَلِكَيِ الْعَرَبِ وَأَرَحْتُ النَّاسَ مِنْهُمَا. |
| وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْتُلَ ابْنَ ظَبْيَانَ فَأَكُونُ قَدْ قَتَلْتُ أَفْتَكَ النَّاسِ بِأَشْجَعِ النَّاسِ. |
| وَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنِ ظَبْيَانَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ لَمْ أَقْتُلْهُ عَلَى طَاعَتِكَ ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ عَلَى قَتْلِ أَخِي النَّابِئِ بْنِ زِيَادٍ. |
| وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا. |
| وَكَانَ قَتْلُ مُصْعَبٍ بِدَيْرِ الْجَاثَلِيقِ عِنْدَ نَهْرِ دُجَيْلٍ ، فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِهِ وَبِابْنِهِ عِيسَى فَدُفِنَا ، وَقَالَ كَانَتِ الْحُرْمَةُ بَيْنَنَا قَدِيمَةً ، وَلَكِنَّ الْمُلْكَ عَقِيمٌ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِ النَّابِئِ أَنَّهُ قَطَعَ الطَّرِيقَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ ، فَأُحْضِرَا عِنْدَ مُطَرِّفِ بْنِ سَيْدَانَ الْبَاهِلِيِّ صَاحِبِ شُرْطَةِ مُصْعَبٍ ، فَقَتَلَ النَّابِئَ ، وَضَرَبَ النُّمَيْرِيَّ وَأَطْلَقَهُ ، فَجَمَعَ عُبَيْدُ اللَّهِ جَمْعًا ، وَقَصَدَ مُطَرِّفًا بَعْدَ أَنْ عَزَلَهُ مُصْعَبٌ عَنْ شُرْطَتِهِ وَوَلَّاهُ الْأَهْوَازَ ، وَسَارَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى الْمُطَرِّفِ فَقَتَلَهُ ، فَبَعَثَ مُصْعَبٌ مُكْرَمَ بْنَ مُطَرِّفٍ فِي طَلَبِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ عَسْكَرَ مُكْرَمٍ ، فَنُسِبَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَلْقَ عُبَيْدَ اللَّهِ ، كَانَ قَدْ لَحِقَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَقِيلَ فِي قَتْلِهِ غَيْرُ ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا أُتِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِرَأْسِ مُصْعَبٍ نَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ مَتَى تَغْذُو قُرَشِيَّةٌ مِثْلَكَ! |
| وَكَانَا يَتَحَدَّثَانِ إِلَى حُبَّى وَهُمَا بِالْمَدِينَةِ ، فَقِيلَ لَهَا قُتِلَ مُصْعَبٌ. |
| فَقَالَتْ تَعِسَ قَاتِلُهُ! |
| فَقِيلَ قَتَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ. |
| فَقَالَتْ وَا بِأَبِي الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ! |
| ثُمَّ دَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ جُنْدَ الْعِرَاقِ إِلَى بَيْعَتِهِ فَبَايَعُوهُ ، وَسَارَ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ ، فَأَقَامَ بِالنُّخَيْلَةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَخَطَبَ النَّاسَ بِالْكُوفَةِ ، فَوَعَدَ الْمُحْسِنَ وَتَوَعَّدَ الْمُسِيءَ ، فَقَالَ إِنَّ الْجَامِعَةَ الَّتِي وُضِعَتْ فِي عُنُقِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عِنْدِي ، وَوَاللَّهِ لَا أَضَعُهَا فِي عُنُقِ رَجُلٍ فَأَنْتَزِعُهَا إِلَّا صُعُدًا ، لَا أَفُكُّهَا عَنْهُ فَكًّا ، فَلَا يُبْقِيَنَّ امْرُؤٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يُولِغَنَّ دَمَهُ ، وَالسَّلَامُ. |
| وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ فَبَايَعُوهُ ، فَحَضَرَتْ قُضَاعَةُ ، فَقَالَ لَهُمْ كَيْفَ سَلِمْتُمْ وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ مَعَ مُضَرَ ؟ |
| فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَعْلَى النَّهْدِيُّ نَحْنُ أَعَزُّ مِنْهُمْ ، وَأَمْنَعُ بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ مِنَّا. |
| ثُمَّ جَاءَتْ مَذْحِجٌ فَقَالَ مَا أَرَى لِأَحَدٍ مَعَ هَؤُلَاءِ بِالْكُوفَةِ شَيْئًا. |
| ثُمَّ جَاءَتْ جُعْفَى فَقَالَ إِيتُونِي بِابْنِ أُخْتِكُمْ ، يَعْنِي يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مَذْحِجِيَّةً ، فَقَالُوا هُوَ آمِنٌ ؟ |
| فَقَالَ وَتَشْتَرِطُونَ أَيْضًا ؟! |
| فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِنَّا مَا نَشْتَرِطُ جَهْلًا بِحَقِّكَ ، وَلَكِنَّا نَتَسَحَّبُ عَلَيْكَ تَسَحُّبَ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ. |
| فَقَالَ نِعْمَ أَنْتُمُ الْحَيُّ! |
| إِنْ كُنْتُمْ لَفُرْسَانًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، لِيَحْضُرْ فَهُوَ آمِنٌ. |
| فَأَتَوْهُ بِهِ فَبَايَعَهُ. |
| ثُمَّ أَتَتْهُ عَدْوَانُ ، فَقَدَّمُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رَجُلًا جَمِيلًا وَسِيمًا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدْوَا... |
| نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ بَغَى بَعْضُهُمُ بَعْضًا... |
| فَلَمْ يَرْعُوا عَلَى بَعْضِ وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ... |
| وَالْمُوفُونَ بِالْقَرْضِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ فَقَالَ إِيهِ! |
| فَقَالَ لَا أَدْرِي. |
| فَقَالَ مَعْبَدُ بْنُ خَالِدٍ الْجَدَلِيُّ ، وَكَانَ خَلْفَهُ وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي... |
| فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ الْحَجَّ... |
| بِالسُّنَّةِ وَالْفَرْضِ وَهُمْ مُذْ وُلِدُوا شَبُّوا... |
| بِسِرِّ النَّسَبِ الْمَحْضِ فَأَقْبَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى ذَلِكَ الْجَمِيلِ فَقَالَ مَنْ هُوَ ؟ |
| فَقَالَ لَا أَدْرِي. |
| فَقَالَ مَعْبَدٌ مِنْ وَرَائِهِ هُوَ ذُو الْإِصْبَعِ. |
| فَأَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ فَقَالَ لِمَ تُسَمَّى ذَا الْإِصْبَعِ ؟ |
| فَقَالَ لَا أَدْرِي. |
| فَقَالَ مَعْبَدٌ لِأَنَّ حَيَّةً نَهَشَتْ إِصْبَعَهُ فَقَطَعَتْهَا. |
| فَأَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ فَقَالَ مَا كَانَ اسْمُهُ ؟ |
| قَالَ لَا أَدْرِي. |
| فَقَالَ مَعْبَدٌ حَرْثَانُ بْنُ الْحَارِثِ. |
| فَقَالَ لِلْجَمِيلِ مِنْ أَيِّكُمْ هُوَ ؟ |
| قَالَ لَا أَدْرِي. |
| فَقَالَ مَعْبَدٌ مِنْ بَنِي نَاجٍ. |
| ثُمَّ قَالَ لِلْجَمِيلِ كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ |
| قَالَ سَبْعُمِائَةٍ. |
| قَالَ لِمَعْبَدٍ كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ |
| قَالَ ثَلَاثُمِائَةٍ. |
| فَقَالَ لِكَاتِبِهِ اجْعَلْ مَعْبَدًا فِي سَبْعِمِائَةٍ ، وَانَقُصْ مِنْ عَطَاءِ هَذَا أَرْبَعَمِائَةٍ. |
| فَفَعَلَ. |
| ثُمَّ جَاءَتْ كِنْدَةُ فَنَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ فَأَوْصَى بِهِ أَخَاهُ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ. |
| وَأَقْبَلَ دَاوُدُ بْنُ قَحْذَمٍ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، عَلَيْهِمُ الْأَقْبِيَةُ الدَّاوُدِيَّةُ ، وَبِهِ سُمِّيَتْ ، فَجَلَسَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ نَهَضَ وَنَهَضُوا مَعَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقُ ، لَوْلَا أَنَّ صَاحِبَهُمْ جَاءَنِي مَا أَعْطَانِي أَحَدٌ مِنْهُمْ طَاعَةً. |
| ثُمَّ وَلَّى قَطَنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيَّ الْكُوفَةَ ، ثُمَّ عَزَلَهُ فَاسْتَعْمَلَ أَخَاهُ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيَّ عَلَى هَمَذَانَ ، وَيَزِيدَ بْنَ رُوَيْمٍ عَلَى الرَّيِّ ، وَلَمْ يَفِ لِأَحَدٍ شَرَطَ لَهُ أَصْبَهَانَ ، وَقَالَ عَلَيَّ بِهَؤُلَاءِ الْفُسَّاقِ الَّذِينَ أَنْغَلُوا الشَّامَ ، وَأَفْسَدُوا الْعِرَاقَ. |
| فَقِيلَ قَدْ أَجَارَهُمْ رُؤَسَاءُ عَشَائِرِهِمْ. |
| فَقَالَ وَهَلْ يُجِيرُ عَلَيَّ أَحَدٌ ؟ |
| وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ أَسَدٍ وَالِدُ خَالِدٍ الْقَسْرِيِّ قَدْ لَجَأَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ أَيْضًا يَحْيَى بْنُ مَعْيُوفٍ الْهَمْدَانِيُّ ، وَلَجَأَ الْهُذَيْلُ بْنُ زُفَرَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَكَانَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَعَمْرُو بْنُ يَزِيدَ الْحَكَمِيُّ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ، فَآمَنَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ فَظَهَرُوا. |
| فَصَنَعَ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ لِعَبْدِ الْمَلِكِ طَعَامًا كَثِيرًا ، وَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْخَوَرْنَقِ ، وَأَذِنَ إِذْنًا عَامًّا ، فَدَخَلَ النَّاسُ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ ، فَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، ثُمَّ جَاءَتِ الْمَوَائِدُ فَأَكَلُوا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ مَا أَلَذَّ عَيْشَنَا لَوْ دَامَ ، وَلَكِنَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ وَكُلُّ جَدِيدٍ يَا أُمَيْمَ إِلَى بِلًى... |
| وَكُلُّ امْرِئٍ يَصِيرُ يَوْمًا إِلَى كَانْ فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الطَّعَامِ طَافَ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي الْقَصْرِ وَعَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ مَعَهُ وَهُوَ يَسْأَلُهُ لِمَنْ هَذَا الْبَيْتُ ؟ |
| وَمَنْ بَنَى هَذَا الْبَيْتَ ؟ |
| وَعَمْرٌو يُخْبِرُهُ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ اعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ... |
| وَاكْدَحْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانْ فَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكُ إِذْ مَضَى... |
| وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ قَدْ كَانْ وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَازِمٍ مَسِيرُ مُصْعَبٍ لِقِتَالِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ أَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ؟ |
| قِيلَ لَا ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَى فَارِسَ. |
| قَالَ أَمَعَهُ الْمُهَلَّبُ ؟ |
| قِيلَ لَا ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْخَوَارِجِ. |
| قَالَ أَمَعَهُ عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ ؟ |
| قِيلَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ. |
| قَالَ وَأَنَا بِخُرَاسَانَ. |
| خُذِينِي فَجُرِّينِي جَعَارِ وَأَبْشِرِي... |
| بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدِ الْيَوْمَ نَاصِرُهْ وَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبٌ بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَأَسَهُ إِلَى الْكُوفَةِ ، أَوْ حَمَلَهُ مَعَهُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بِمِصْرَ ، فَلَمَّا رَآهُ وَقَدْ قَطَعَ السَّيْفُ أَنْفَهُ قَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ! |
| أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَحْسَنِهِمْ خُلُقًا ، وَأَشَدِّهِمْ بَأْسًا ، وَأَسْخَاهُمْ نَفْسًا. |
| ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى الشَّامِ فَنُصِبَ بِدِمَشْقَ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهِ فِي نَوَاحِي الشَّامِ ، فَأَخَذَتْهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ زَوْجَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَهِيَ أُمُّ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَغَسَّلَتْهُ وَدَفَنَتْهُ وَقَالَتْ أَمَا رَضِيتُمْ بِمَا صَنَعْتُمْ حَتَّى تَطُوفُوا بِهِ فِي الْمُدُنِ ؟ |
| هَذَا بَغْيٌ. |
| وَكَانَ عُمُرُ مُصْعَبٍ حِينَ قُتِلَ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً. |
| قَالَ يَوْمًا عَبْدُ الْمَلِكِ لِجُلَسَائِهِ مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ ؟ |
| قَالُوا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. |
| قَالَ اسْلُكُوا غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ. |
| قَالُوا عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ. |
| قَالَ قَبَّحَ اللَّهُ عُمَيْرًا! |
| لِصٌّ ، ثَوْبٌ يُنَازِعُ عَلَيْهِ أَعَزُّ عِنْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَدِينِهِ. |
| قَالُوا فَشَبِيبٌ. |
| قَالَ إِنَّ لِلْحَرُورِيَّةِ لَطَرِيقًا. |
| قَالُوا فَمَنْ ؟ |
| قَالَ مُصْعَبٌ ، كَانَ عِنْدَهُ عَقِيلَتَا قُرَيْشٍ سُكَيْنَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ وَعَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ ، ثُمَّ هُوَ أَكْثَرُ النَّاسِ مَالًا ، جَعَلْتُ لَهُ الْأَمَانَ وَوِلَايَةَ الْعِرَاقِ ، وَعَلِمَ أَنِّي سَأَفِي لَهُ لِلْمَوَدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَنَا ، فَحَمَى أَنْفًا وَأَبَى وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. |
| فَقَالَ رَجُلٌ كَانَ مُصْعَبٌ يَشْرَبُ النَّبِيذَ. |
| قَالَ كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَ الْمُرُوءَةَ ، فَأَمَّا مُذْ طَلَبَهَا فَلَوْ عَلِمَ أَنَّ الْمَاءَ يُنْقِصُ مُرُوءَتَهُ مَا ذَاقَهُ. |
| قَالَ الْأُقَيْشِرُ الْأَسَدِيُّ حَمَى أَنْفَهُ أَنْ يَقْبَلَ الضَّيْمَ مُصْعَبٌ... |
| فَمَاتَ كَرِيمًا لَمْ تُذَمَّ خَلَائِقُهُ وَلَوْ شَاءَ أَعْطَى الضَّيْمَ مَنْ رَامَ هَضْمَهُ... |
| فَعَاشَ مَلُومًا فِي الرِّجَالِ طَرَائِقُهْ وَلَكِنْ مَضَى وَالْبَرْقُ يَبْرُقُ خَالُهُ... |
| يُشَاوِرُهُ مَرًّا وَمَرًّا يُعَانِقُهُ فَوَلَّى كَرِيمًا لَمْ تَنَلْهُ مَذَمَّةٌ... |
| وَلَمْ يَكُ رَغْدًا تَطَّبِيهِ نَمَارِقُهْ وَقَالَ عَرْفَجَةُ بْنُ شَرِيكٍ مَا لِابْنِ مَرْوَانَ أَعْمَى اللَّهُ نَاظِرَهُ... |
| وَلَا أَصَابَ رَغِيبَاتٍ وَلَا نَفَلَا يَرْجُو الْفَلَاحَ ابْنُ مَرْوَانَ وَقَدْ قَتَلَتْ... |
| خَيْلُ ابْنِ مَرْوَانَ حُرًّا مَاجِدًا بَطَلًا يَا ابْنَ الْحَوَارِيِّ كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لَكُمُ... |
| لَوْ رَامَ غَيْرُكُمُ أَمْثَالَهَا شُغِلَا حُمِّلْتُمُ فَحَمَلْتُمْ كُلَّ مُعْضِلَةٍ... |
| إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا حَمَّلْتَهُ حَمَلَا وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ هَذَا الزَّبِيرُ بِفَتْحِ الزَّايِ وَكَسْرِ الْبَاءِ سَأَبْكِي وَإِنْ لَمْ تَبْكِ فِتْيَانُ مَذْحِجٍ فَتَاهَا إِذَا اللَّيْلُ التِّمَامُ تَأَوَّبَا... |
| فَتًى لَمْ يَكُنْ فِي مِرَّةِ الْحَرْبِ جَاهِلًا وَلَا بِمُطِيعٍ فِي الْوَغَى مَنْ تَهَيَّبَا أَبَانَ أُنُوفَ الْحَيِّ قَحْطَانَ قَتْلُهُ وَأَنْفَ نِزَارٍ قَدْ أَبَانَ فَأَوْعَبَا... |
| فَمَنْ يَكُ أَمْسَى خَائِنًا لِأَمِيرِهِ فَمَا خَانَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْمَوْتِ مُصْعَبَا وَحِينَ قُتِلَ مُصْعَبٌ كَانَ الْمُهَلَّبُ يُحَارِبُ الْأَزَارِقَةَ بِسُولَافَ ، بَلَدٌ بِفَارِسَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، فَبَلَغَ قَتْلُهُ الْأَزَارِقَةَ قَبْلَ الْمُهَلَّبِ ، فَصَاحُوا بِأَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ مَا قَوْلُكُمْ فِي مُصْعَبٍ ؟ |
| قَالُوا أَمِيرُ هُدًى ، وَهُوَ وَلِيُّنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ. |
| قَالُوا فَمَا قَوْلُكُمْ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ |
| قَالُوا ذَاكَ ابْنُ اللَّعِينِ ، نَحْنُ نَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ ، وَهُوَ أَحَلُّ دَمًا مِنْكُمْ. |
| قَالُوا فَإِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَتَلَ مُصْعَبًا ، وَسَتَجْعَلُونَ غَدًا عَبْدَ الْمَلِكِ إِمَامَكُمْ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ سَمِعَ الْمُهَلَّبُ وَأَصْحَابُهُ قَتْلَ مُصْعَبٍ ، فَبَايَعَ الْمُهَلَّبُ النَّاسَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَصَاحَ بِهِمُ الْخَوَارِجُ يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ! |
| مَا تَقُولُونَ فِي مُصْعَبٍ ؟ |
| قَالُوا يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، لَا نُخْبِرُكُمْ. |
| وَكَرِهُوا أَنْ يُكَذِّبُوا أَنْفُسَهُمْ. |
| قَالُوا وَمَا قَوْلُكُمْ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ |
| قَالُوا خَلِيفَتُنَا. |
| وَلَمْ يَجِدُوا بُدًّا إِذْ بَايَعُوهُ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ. |
| قَالُوا يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ! |
| أَنْتُمْ بِالْأَمْسِ تَبْرَأُونَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَهُوَ الْيَوْمَ إِمَامُكُمْ ، وَقَدْ قَتَلَ أَمِيرَكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوَلُّونَهُ! |
| فَأَيُّهُمَا الْمُهْتَدِي وَأَيُّهُمَا الْمُبْطِلُ ؟ |
| قَالُوا يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، رَضِينَا بِذَلِكَ إِذْ كَانَ يَتَوَلَّى أَمْرَنَا وَنَرْتَضِي بِهَذَا. |
| قَالُوا لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنَّكُمْ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ وَعَبِيدُ الدُّنْيَا. |
| وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ قَتْلُ أَخِيهِ مُصْعَبٍ قَامَ فِي النَّاسِ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، أَلَا وَإِنَّهُ لَمْ يُذْلِلِ اللَّهُ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ وَإِنْ كَانَ فَرْدًا ، وَلَمْ يُعْزِزْ مَنْ كَانَ وَلِيَّهُ الشَّيْطَانُ وَإِنْ كَانَ النَّاسُ مَعَهُ طُرًّا ، أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ أَتَانَا مِنَ الْعِرَاقِ خَبَرٌ أَحْزَنَنَا وَأَفْرَحَنَا ، أَتَانَا قَتْلُ مُصْعَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَمَّا الَّذِي أَفْرَحَنَا فَعِلْمُنَا أَنَّ قَتْلَهُ شَهَادَةٌ ، وَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنَنَا فَإِنَّ لِفُرَاقِ الْحَمِيمِ لَوْعَةٌ يَجِدُهَا حَمِيمُهُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ ، يَرْعَوِي بَعْدَهَا ذَوُو الرَّأْيِ الْجَمِيلِ إِلَى الصَّبْرِ وَكَرِيمِ الْعَزَاءِ ، وَمَا مُصْعَبٌ إِلَّا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ وَعَوْنٌ مِنْ أَعْوَانِي ، أَلَا وَإِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلُ الْغَدْرِ وَالنِّفَاقِ أَسْلَمُوهُ وَبَاعُوهُ بِأَقَلِّ الثَّمَنِ ، فَإِنْ يُقْتَلْ فَمَهْ! |
| وَاللَّهِ مَا نَمُوتُ عَلَى مَضَاجِعِنَا كَمَا يَمُوتُ بَنُو أَبِي الْعَاصِ! |
| وَاللَّهِ مَا قُتِلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فِي زَحْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَا نَمُوتُ إِلَّا قَعْصًا بِالرِّمَاحِ وَتَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَةٌ مِنَ الْمُلْكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَا يَزُولُ سُلْطَانُهُ ، وَلَا يَبِيدُ مُلْكُهُ ، فَإِنْ تُقْبِلْ لَا آخُذُهَا أَخْذَ الْبَطِرِ ، وَإِنْ تُدْبِرْ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهَا بُكَاءَ الضَّرْعِ الْمَهِينِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ. |
| حَجَّارُ بْنُ أَبْجَرَ بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَتَشْدِيدِ الْجِيمِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو أُسَيْدٍ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ ، وَفَتْحِ السِّينِ. |
| وَحُبَّى بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَبِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ الْمُشَدَّدَةِ الْمُمَالَةِ ، وَآخِرُهُ يَاءٌ مُثْنَّاةٌ مِنْ تَحْتِهَا. |
| وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَالزَّايِ . |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَنَازَعَ وِلَايَةَ الْبَصْرَةِ حُمْرَانُ بْنُ أَبَانٍ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ أَنَا أَعْظَمُ مِنْكَ ، كُنْتُ أُنْفِقُ عَلَى أَصْحَابِ خَالِدٍ يَوْمَ الْجُفْرَةِ. |
| فَقِيلَ لَحُمْرَانَ إِنَّكَ لَا تَقْوَى عَلَى ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، فَاسْتَعِنْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَهْيَمِ. |
| فَاسْتَعَانَ بِهِ ، فَغَلَبَ عَلَى الْبَصْرَةِ وَعَبْدُ اللَّهِ عَلَى شُرَطِهَا ، وَكَانَ لَحُمْرَانَ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُنَازَعَةُ بَعْدَ قَتْلِ مُصْعَبٍ. |
| فَلَمَّا اسْتَوْلَى عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى الْعِرَاقِ بَعْدَ قَتْلِهِ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْبَصْرَةِ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ ، فَوَجَّهَ خَالِدٌ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ إِلَيْهَا خَلِيفَةً لَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى حُمْرَانَ قَالَ أَقَدْ جِئْتَ لَا جِئْتَ! |
| فَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَيْهَا حَتَّى قَدِمَ خَالِدٌ ، وَلَمَّا فَرَغَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَمْرِ الْعِرَاقِ عَادَ إِلَى الشَّامِ. |
| ذِكْرُ أَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَزُفَرَ بْنِ الْحَارِثِ قَدْ ذَكَرْنَا فِي وَقْعَةِ رَاهِطٍ مَسِيرَ زُفَرَ إِلَى قَرْقِيسِيَا وَاجْتِمَاعَ قَيْسٍ عَلَيْهِ ، وَالسَّبَبَ فِي اسْتِيلَائِهِ عَلَيْهَا وَمَا كَانَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكَانَ عَلَى بَيْعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَفِي طَاعَتِهِ. |
| فَلَمَّا مَاتَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَوَلِيَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى أَبَانَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَهُوَ عَلَى حِمْصٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى زُفَرَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمِيتٍ الطَّائِيُّ ، فَوَاقَعَ عَبْدُ اللَّهِ زُفَرَ قَبْلَ وُصُولِ أَبَانَ ، وَكَثُرَ فِي أَصْحَابِهِ الْقَتْلُ ، قُتِلَ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ ، فَلَامَهُ أَبَانُ عَلَى عَجَلَتِهِ ، وَأَقْبَلَ أَبَانُ فَوَاقَعَ زُفَرَ ، فَقُتِلَ ابْنُهُ وَكِيعُ بْنُ زُفَرَ ، وَأَدْرَكَتْ طَيِّءٌ ثَقَلَ زُفَرَ وَنِسَاءِهِ ، فَاسْتَوْهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ حُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرٍ النِّسَاءَ وَأَلْحَقَهُنَّ بِزُفَرَ بِقَرْقِيسِيَا ، فَقَالَ زُفَرُ عَلِقْنَ بِحَبْلٍ مِنْ حُصَيْنٍ لَوَ انَّهُ... |
| تَغَيَّبَ حَالَتْ دُونَهُنَّ الْمَصَائِرُ أَبُوكُمْ أَبُونَا فِي الْقَدِيمِ وَإِنَّنِي... |
| لِغَابِرُكُمْ فِي آخِرِ الدَّهْرِ شَاكِرُ وَكَانَ يُقَالُ لِزُفَرَ إِنَّهُ مِنْ كِنْدَةَ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى مُصْعَبٍ سَارَ إِلَى قَرْقِيسِيَا ، فَحَصَرَ زُفَرَ فِيهَا وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ ، فَأَمَرَ زُفَرُ أَنْ يُنَادِيَ فِي عَسْكَرِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِمَ نَصَبْتُمْ عَلَيْنَا الْمَجَانِيقَ ؟ |
| قَالَ لِنَثْلِمَ ثُلْمَةً نُقَاتِلُكُمْ عَلَيْهَا. |
| فَقَالَ زُفَرُ قُولُوا لَهُمْ فَإِنَّا لَا نُقَاتِلُكُمْ مِنْ وَرَاءِ الْحِيطَانِ ، وَلَكِنَّا نَخْرُجُ إِلَيْكُمْ. |
| وَثَلَمَتِ الْمَنْجَنِيقُ مِنَ الْمَدِينَةِ بُرْجًا مِمَّا يَلِي حُرَيْثَ بْنَ بَحْدَلٍ ، فَقَالَ زُفَرُ لَقَدْ تَرَكَتْنِي مَنْجَنِيقُ ابْنِ بَحْدَلٍ... |
| أَحِيدُ عَنِ الْعُصْفُورِ حِينَ يَطِيرُ وَكَانَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مُجِدًّا فِي قِتَالِهِمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ زُفَرَ مِنْ بَنِي كَلَابٍ لَأَقُولَنَّ لِخَالِدٍ كَلَامًا لَا يَعُودُ إِلَى مَا يَصْنَعُ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ خَرَجَ خَالِدٌ لِلْمُحَارَبَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْكَلَابِيُّ مَاذَا ابْتِغَاءُ خَالِدٍ وَهَمُّهْ إِذْ سَلَبَ الْمُلْكَ وَنِيكَتُ امُّهْ فَاسْتَحْيَا وَعَادَ وَلَمْ يَرْجِعْ يُقَاتِلُهُمْ. |
| وَقَالَتْ كَلْبٌ لِعَبْدِ الْمَلِكِ إِنَّا إِذَا لَقِيَنَا زُفَرَ انْهَزَمَتِ الْقَيْسِيَّةُ الَّذِينَ مَعَكَ ، فَلَا تَخْلِطْهُمْ مَعَنَا. |
| فَفَعَلَ ، فَكَتَبَتِ الْقَيْسِيَّةُ عَلَى نَبْلِهَا إِنَّهُ لَيْسَ يُقَاتِلُكُمْ غَدًا مُضَرِيٌّ ، وَرَمَوُا النَّبْلَ إِلَى قَرْقِيسِيَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ زُفَرُ دَعَا ابْنَهُ الْهُذَيْلَ ، وَبِهِ كَانَ يُكَنَّى ، وَقِيلَ كَانَ يُكَنَّى أَبَا الْكَوْثَرِ ، فَقَالَ اخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَشُدَّ عَلَيْهِمْ شَدَّةً لَا تَرْجِعْ حَتَّى تَضْرِبَ فُسْطَاطَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْتَ دُونَ أَنْ تَطَأَ أَطْنَابَ فُسْطَاطِهِ لَأَقْتُلَنَّكَ. |
| فَجَمَعَ الْهُذَيْلُ خَيْلَهُ وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، فَصَبَرُوا قَلِيلًا ثُمَّ انْكَشَفُوا ، وَتَبِعَهُمُ الْهُذَيْلُ بِخَيْلِهِ حَتَّى وَطِئُوا أَطْنَابَ الْفُسْطَاطِ وَقَطَعُوا بَعْضَهَا ثُمَّ رَجَعُوا ، فَقَبَّلَ زُفَرُ رَأَسَ الْهُذَيْلِ وَقَالَ لَا يَزَالُ عَبْدُ الْمَلِكِ يُحِبُّكَ بَعْدَهَا أَبَدًا. |
| فَقَالَ الْهُذَيْلُ وَاللَّهِ لَوْ شِئْتَ أَنْ أَدْخُلَ الْفُسْطَاطَ لَفَعَلْتُ. |
| فَقَالَ زُفَرُ أَلَا لَا أُبَالِي مَنْ أَتَاهُ حِمَامُهُ... |
| إِذَا مَا الْمَنَايَا عَنْ هُذَيْلٍ تَجَلَّتِ تَرَاهُ أَمَامَ الْخَيْلِ أَوَّلَ فَارِسٍ... |
| وَيَضْرِبُ فِي أَعْجَازِهَا إِنْ تَوَلَّتِ وَلَمَّا ثُلِمَ بُرْجُ قَرْقِيسِيَا قَالَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بَعْضُ أَهْلِهِ لَوْ قَاتَلْتَهُمْ بِقُضَاعَةَ لَمَلَكْتَهُمْ. |
| فَفَعَلَ وَقَاتَلَهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ انْكَشَفَتْ قُضَاعَةُ وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، وَأَقْبَلَ رُوحُ بْنُ زِنْبَاعٍ الْجُذَامِيُّ إِلَى بُرْجٍ مِنْهَا ، فَسَأَلَ أَهْلَهُ وَقَالَ نَشَدْتُكُمُ اللَّهَ كَمْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ ؟ |
| قَالُوا وَاللَّهِ لَمْ يُقْتَلْ مِنَّا أَحَدٌ ، وَلَمْ يُجْرَحْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ. |
| ثُمَّ قَالُوا نَشَدْنَاكَ اللَّهَ كَمْ قُتِلَ مِنْكُمْ ؟ |
| قَالَ عِدَّةُ فُرْسَانٍ ، وَجَرَحْتُمْ مَا لَا يُحْصَى ، فَلَعَنَ اللَّهُ ابْنَ بَحْدَلٍ! |
| وَرَجَعَ رَوْحٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ إِنَّ ابْنَ بَحْدَلٍ يُمَنِّيكَ الْبَاطِلَ ، فَأَعْرِضْ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ. |
| وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ يُقَالُ لَهُ الذَّيَّالُ يَخْرُجُ فَيَسُبُّ زُفَرَ فَيُكْثِرُ ، فَقَالَ زُفَرُ لِلْهُذَيْلِ ابْنِهِ أَوْ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ أَمَا تَكْفِينِي هَذَا ؟ |
| قَالَ أَنَا أَجِيئُكَ بِهِ. |
| فَدَخَلَ عَسْكَرَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَيْلًا فَجَعَلَ يُنَادَى مَنْ يَعْرِفُ بَغْلًا مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا ؟ |
| حَتَّى انْتَهَى إِلَى خِبَاءِ الرَّجُلِ وَقَدْ عَرَفَهُ. |
| فَقَالَ الرَّجُلُ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ. |
| فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ عَيِيتُ فَلَوْ أَذِنْتَ لِي فَاسْتَرَحْتُ قَلِيلًا. |
| قَالَ ادْخُلْ ، فَدَخَلَ وَالرَّجُلُ وَحْدَهُ فِي خِبَائِهِ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ وَنَامَ صَاحِبُ الْخِبَاءِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَيْقَظَهُ وَقَالَ وَاللَّهِ لَئِنْ تَكَلَّمْتَ لَأَقْتُلَنَّكَ. |
| قَالَ قُتِلْتُ أَوْ سَلِمْتُ فَمَاذَا يَنْفَعُكَ قَتْلِي ؟ |
| قَالَ لَئِنْ سَكَتَّ وَجِئْتَ مَعِي إِلَى زُفَرَ ، فَلَكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ أَرُدَّكَ إِلَى عَسْكَرِكَ بَعْدَ أَنْ يَصِلَكَ زُفَرُ وَيُحْسِنَ إِلَيْهِ. |
| فَخَرَجَا وَهُوَ يُنَادِي مَنْ دَلَّ عَلَى بَغْلٍ مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا ؟ |
| حَتَّى أَتَى زُفَرَ وَالرَّجُلُ مَعَهُ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ آمَنَهُ ، فَوَهَبَ لَهُ زُفَرُ دَنَانِيرَ ، وَحَمَلَهُ عَلَى رِحَالَةِ النِّسَاءِ ، وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَهُنَّ ، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلًا حَتَّى دَنَوْا مِنْ عَسْكَرِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| فَنَادَوْا هَذِهِ جَارِيَةٌ قَدْ بَعَثَ بِهَا زُفَرُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَانْصَرَفُوا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعَسْكَرِ عَرَفُوهُ ، وَأَخْبَرُوا عَبْدَ الْمَلِكِ الْخَبَرَ ، فَضَحِكَ وَقَالَ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ رَجُلًا نُصِرَ ، وَاللَّهِ إِنَّ قَتْلَهُمْ لَذُلٌّ ، وَإِنَّ تَرْكَهُمْ لَحَسْرَةٌ. |
| وَكَفَّ الرَّجُلُ فَلَمْ يَعُدْ يَسُبُّ زُفَرَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ هَرَبَ مِنَ الْعَسْكَرِ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَمَرَ أَخَاهُ مُحَمَّدًا أَنْ يَعْرِضَ عَلَى زُفَرَ وَابْنِهِ الْهُذَيْلِ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَمَنْ مَعَهُمَا وَمَالِهِمْ ، وَأَنْ يُعْطَيَا مَا أَحَبَّا. |
| فَفَعَلَ مُحَمَّدٌ ذَلِكَ ، فَأَجَابَ الْهُذَيْلُ وَكَلَّمَ أَبَاهُ وَقَالَ لَهُ لَوْ صَالَحْتَ هَذَا الرَّجُلَ فَقَدْ أَطَاعَهُ النَّاسُ ، وَهُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ. |
| فَأَجَابَ عَلَى أَنَّ لَهُ الْخِيَارَ فِي بَيْعَتِهِ سَنَةً ، وَأَنْ يَنْزِلَ حَيْثُ شَاءَ ، وَلَا يُعِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ عَلَى قِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ. |
| فَبَيْنَا الرُّسُلُ تَخْتَلِفُ بَيْنَهُمَا إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، فَقَالَ قَدْ هُدِمَ مِنَ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَةُ أَبْرَاجٍ. |
| فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَا أُصَالِحُهُمْ. |
| وَزَحَفَ إِلَيْهِمْ ، فَهَزَمُوا أَصْحَابَهُ حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ عَسْكَرَهُمْ. |
| فَقَالَ أَعْطُوهُمْ مَا أَرَادُوا. |
| فَقَالَ زُفَرُ لَوْ كَانَ قَبْلَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ. |
| وَاسْتَقَرَّ الصُّلْحُ عَلَى أَمَانِ الْجَمِيعِ ، وَوَضْعِ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ ، وَأَنْ لَا يُبَايِعَ عَبْدَ الْمَلِكِ حَتَّى يَمُوتَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِلْبَيْعَةِ لَهُ فِي عُنُقِهِ ، وَأَنْ يُعْطَى مَالًا يُقَسِّمُهُ فِي أَصْحَابِهِ. |
| وَخَافَ زُفَرُ أَنْ يَغْدِرَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ كَمَا غَدَرَ بِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، فَلَمْ يَنْزِلْ إِلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِقَضِيبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَانًا لَهُ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَقَالَ ابْنُ عِضَاةَ الْأَشْعَرِيُّ أَنَا كُنْتُ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْهُ. |
| فَقَالَ زُفَرُ كَذَبْتَ هُنَاكَ ، إِنِّي عَادَيْتُ فَضَرَرْتُ ، وَوَالَيْتُ فَنَفَعْتُ. |
| وَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ قِلَّةَ مَنْ مَعَ زُفَرَ قَالَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْقِلَّةِ لَحَاصَرْتُهُ أَبَدًا حَتَّى يَنْزِلَ عَلَى حُكْمِي. |
| فَبَلَغَ قَوْلُهُ زُفَرَ فَقَالَ إِنْ شِئْتَ رَجَعْنَا وَرَجَعْتَ. |
| فَقَالَ بَلْ نَفِي لَكَ يَا أَبَا الْهُذَيْلِ. |
| وَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا بَلَغَنِي أَنَّكَ مِنْ كِنْدَةَ. |
| فَقَالَ وَمَا خَيْرُ مَنْ لَا يَبْغِي حَسَدًا ، وَلَا يَدَّعِي رَغْبَةً! |
| وَتَزَوَّجَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الرَّبَابَ بِنْتَ زُفَرَ ، فَكَانَ يُؤْذَنُ لِأَخَوَيْهَا الْهُذَيْلِ وَالْكَوْثَرِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ. |
| وَأَمَرَ زُفَرُ ابْنَهُ الْهُذَيْلَ أَنْ يَسِيرَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى قِتَالِ مُصْعَبٍ وَقَالَ لَهُ أَنْتَ لَا عَهْدَ عَلَيْكَ. |
| فَسَارَ مَعَهُ ، فَلَمَّا قَارَبَ مُصْعَبًا هَرَبَ إِلَيْهِ ، وَقَاتَلَ مَعَ ابْنِ الْأَشْتَرِ ، فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الْأَشْتَرِ اخْتَفَى الْهُذَيْلُ بِالْكُوفَةِ حَتَّى اسْتُؤْمِنَ لَهُ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ فَآمَنَهُ ، كَمَا تَقَدَّمَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ افْتَتَحَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَيْسَارِيَّةَ ، فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ. |
| وَفِيهَا نَزَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفٍ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ ، وَهُوَ آخِرُ وَالٍ كَانَ لَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، حَتَّى أَتَاهُ طَارِقُ بْنُ عَمْرٍو مَوْلَى عُثْمَانَ ، فَهَرَبَ طَلْحَةُ ، وَأَقَامَ طَارِقٌ بِهَا حَتَّى سَارَ لِقِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي إِمَارَةِ مُصْعَبٍ مَاتَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ بِالْكُوفَةِ ، وَيَزِيدُ بْنُ مُفَرِّغٍ الْحِمْيَرِيُّ الشَّاعِرُ بِهَا أَيْضًا. |
| وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيُّ ، شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ وَخَيْبَرَ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ شُتَيْرُ بْنُ شَكَلٍ الْقَيْسِيُّ الْكُوفِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ. |
| شُتَيْرٌ بِضَمِّ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ التَّاءِ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ ، وَبَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ. |
| وَشَكَلٌ بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَالْكَافِ ، وَآخِرُهُ لَامٌ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ذِكْرُ أَمْرِ الْخَوَارِجِ لَمَّا اسْتَقَرَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ قَتْلِ مُصْعَبٍ اسْتَعْمَلَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَهَا خَالِدٌ كَانَ الْمُهَلَّبُ يُحَارِبُ الْأَزَارِقَةَ ، فَجَعَلَهُ عَلَى خَرَاجِ الْأَهْوَازِ وَمَعُونَتِهَا ، وَسَيَّرَ أَخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى قِتَالِ الْخَوَارِجِ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ مُقَاتِلَ بْنَ مِسْمَعٍ ، فَخَرَجَا يَطْلُبَانِ الْأَزَارِقَةَ ، فَأَتَتِ الْخَوَارِجُ مِنْ نَاحِيَةِ كَرْمَانَ إِلَى دَارَبْجِرْدَ ، وَأَرْسَلَ قَطَرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ الْمَازِنِيُّ مَعَ صَالِحِ بْنِ مُخَارِقٍ تِسْعَمِائَةِ فَارِسٍ ، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ بِهِمْ حَتَّى اسْتَقْبَلَ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَهُوَ يَسِيرُ مَهَلًا عَلَى غَيْرِ تَعْبِيَةٍ ، فَانْهَزَمَ بِالنَّاسِ ، وَنَزَلَ مُقَاتِلُ بْنُ مِسْمَعٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَانْهَزَمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَأُخِذَتِ امْرَأَتُهُ ابْنَةُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ ، فَأُقِيمَتْ فِيمَنْ يَزِيدُ ، فَبَلَغَتْ قِيمَتُهَا مِائَةَ أَلْفٍ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهَا مِنْ رُءُوسِ الْخَوَارِجِ فَقَالَ تَنَحُّوا هَكَذَا ، مَا أَرَى هَذِهِ الْمُشْرِكَةَ إِلَّا قَدْ فَتَنَتْكُمْ! |
| وَضَرَبَ عُنُقَهَا ، وَلَحِقَ بِالْبَصْرَةِ ، فَرَآهُ آلُ الْمُنْذِرِ فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي أَنَحْمِدُكَ أَمْ نَذُمُّكَ! |
| فَكَانَ يَقُولُ مَا فَعَلْتُهُ إِلَّا غَيْرَةً وَحَمِيَّةً. |
| وَانْتَهَى عَبْدُ الْعَزِيزِ إِلَى رَامَهُرْمُزَ ، وَأَتَى الْمُهَلَّبَ خَبَرُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ شَيْخًا مِنَ الْأَزْدِ وَقَالَ لَهُ إِنْ كَانَ مُنْهَزِمًا فَعَزِّهِ. |
| فَأَتَاهُ الرَّجُلُ فَرَآهُ نَازِلًا فِي نَحْوِ ثَلَاثِينَ فَارِسًا كَئِيبًا حَزِينًا ، فَأَبْلَغَهُ الرِّسَالَةَ ، وَعَادَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بِالْخَبَرِ ، فَأَرْسَلَ الْمُهَلَّبُ إِلَى أَخِيهِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يُخْبِرُهُ بِهَزِيمَتِهِ. |
| فَقَالَ لِلرَّسُولِ كَذَبْتَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ ، فَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَاضْرِبْ عُنُقِي ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَأَعْطِنِي جُبَّتَكَ وَمُطْرَفَكَ. |
| قَالَ قَدْ رَضِيتَ مِنَ الْخَطَرِ الْعَظِيمِ بِالْخَطَرِ الْيَسِيرِ. |
| وَحَبَسَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ حَتَّى صَحَّ خَبَرُ الْهَزِيمَةِ. |
| قَالَ ابْنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتُ فِي هَزِيمَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَفِرَارِهِ عَنِ امْرَأَتِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ فَضَحْتَ جَيْشَكَ كُلَّهُمْ... |
| وَتَرَكْتَهُمْ صَرْعَى بِكُلِّ سَبِيلِ مِنْ بَيْنِ ذِي عَطَشٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ... |
| وَمُلَحَّبٍ بَيْنَ الرِّجَالِ قَتِيلِ هَلَّا صَبَرْتَ مَعَ الشَّهِيدِ مُقَاتِلًا... |
| إِذْ رُحْتَ مُنْتَكِثَ الْقُوَى بِأَصِيلِ وَتَرَكْتَ جَيْشَكَ لَا أَمِيرَ عَلَيْهِمُ... |
| فَارْجِعْ بِعَارٍ فِي الْحَيَاةِ طَوِيلِ وَنَسِيتَ عُرْسَكَ إِذْ تُقَادُ سَبِيَّةً... |
| تَبْكِي الْعُيُونُ بِرَنَّةٍ وَعَوِيلِ فَكَتَبَ خَالِدٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ ، وَسَأَلْتُ رَسُولَكَ عَنِ الْمُهَلَّبِ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ عَامِلٌ عَلَى الْأَهْوَازِ ، فَقَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَكَ حِينَ تَبْعَثُ أَخَاكَ أَعْرَابِيًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى الْقِتَالِ وَتَدَعُ الْمُهَلَّبَ يَجْبِي الْخَرَاجَ ، وَهُوَ الْمَيْمُونُ النَّقِيبَةُ ، الْمُقَاسِي لِلْحَرْبِ ، ابْنُهَا وَابْنُ أَبْنَائِهَا ، أَرْسِلْ إِلَى الْمُهَلَّبِ يَسْتَقْبِلْهُمْ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَى بِشْرٍ بِالْكُوفَةِ لِيَمُدَّكَ بِجَيْشٍ ، فَسِرْ مَعَهُمْ ، وَلَا تَعْمَلْ فِي عَدُوِّكَ بِرَأْيٍ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمُهَلَّبُ ، وَالسَّلَامُ. |
| وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بِشْرٍ أَخِيهِ بِالْكُوفَةِ يَأْمُرُهُ بِإِنْفَاذِ خَمْسَةِ آلَافٍ مَعَ رَجُلٍ يَرْضَاهُ لِقِتَالِ الْخَوَارِجِ ، فَإِذَا قَضَوْا غَزْوَتَهُمْ سَارُوا إِلَى الرَّيِّ ، فَقَاتَلُوا عَدُوَّهُمْ ، وَكَانُوا مَسْلَحَةً. |
| فَبَعَثَ بِشْرٌ خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَعَلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، فَكَتَبَ لَهُ عَهْدًا عَلَى الرَّيِّ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنْ قِتَالِهِ. |
| وَخَرَجَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتَّى قَدِمَ الْأَهْوَازَ ، وَقَدِمَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَجَاءَتِ الْأَزَارِقَةُ حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْأَهْوَازِ ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِخَالِدٍ إِنِّي أَرَى هَاهُنَا سُفُنًا كَثِيرَةً ، فَضُمَّهَا إِلَيْكَ فَإِنَّهُمْ سَيَحْرِقُونَهَا. |
| فَلَمْ يَمْضِ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى أَرْسَلُوا إِلَيْهَا فَأَحْرَقُوهَا. |
| وَجَعَلَ خَالِدٌ الْمُهَلَّبَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ دَاوُدَ بْنَ قَحْذَمٍ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَمَرَّ الْمُهَلَّبُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَلَمْ يُخَنْدِقْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْخَنْدَقِ ؟ |
| فَقَالَ هُمْ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ ضَرْطَةِ الْجَمَلِ. |
| فَقَالَ لَا يَهُونُوا عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُمْ سِبَاعُ الْعَرَبِ. |
| وَلَمْ يَبْرَحِ الْمُهَلَّبُ حَتَّى خَنْدَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ ، فَأَقَامُوا نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ زَحَفَ إِلَيْهِمْ بِالنَّاسِ ، فَرَأَوْا أَمْرًا هَالَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ النَّاسِ ، فَكَثُرَتْ عَلَيْهِمُ الْخَيْلُ وَزَحَفَتْ إِلَيْهِمْ ، فَانْصَرَفُوا كَأَنَّهُمْ عَلَى حَامِيَةٍ وَهُمْ مُوَلُّونَ ، لَا يَرَوْنَ طَاقَةً بِقِتَالِ جَمَاعَةِ النَّاسِ ، فَأَرْسَلَ خَالِدٌ دَاوُدَ بْنَ قَحْذَمٍ فِي آثَارِهِمْ ، وَانْصَرَفَ خَالِدٌ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى الرَّيِّ ، وَأَقَامَ الْمُهَلَّبُ بِالْأَهْوَازِ ، وَكَتَبَ خَالِدٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِذَلِكَ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ بِشْرٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْعَثَ أَرْبَعَةَ آلَافِ فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَ رَجُلٍ بَصِيرٍ بِالْحَرْبِ إِلَى فَارِسَ فِي طَلَبِ الْأَزَارِقَةِ ، وَيَأْمُرُ صَاحِبَهُ بِمُوَافَقَةِ دَاوُدَ بْنِ قَحْذَمٍ إِنِ اجْتَمَعَا. |
| فَبَعَثَ بِشْرٌ عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَسَارُوا حَتَّى لَحِقُوا دَاوُدَ فَاجْتَمَعُوا ، ثُمَّ اتَّبَعُوا الْخَوَارِجَ حَتَّى هَلَكَتْ خُيُولُ عَامَّتِهِمْ ، وَأَصَابَهُمُ الْجُوعُ وَالْجُهْدُ ، وَرَجَعَ عَامَّةُ الْجَيْشَيْنِ مُشَاةً إِلَى الْأَهْوَازِ. |
| خُرُوجُ أَبِي فُدَيْكٍ الْخَارِجِيِّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ خُرُوجُ أَبِي فُدَيْكٍ الْخَارِجِيِّ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَغَلَبَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَقَتَلَ نَجْدَةَ بْنَ عَامِرٍ الْحَنَفِيَّ ، فَاجْتَمَعَ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ نُزُولُ قَطَرِيٍّ الْأَهْوَازَ وَأَمْرُ أَبِي فُدَيْكٍ ، فَبَعَثَ أَخَاهُ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي جُنْدٍ كَثِيفٍ إِلَى أَبِي فُدَيْكٍ ، فَهَزَمَهُ أَبُو فُدَيْكٍ ، وَأَخَذَ جَارِيَةً لَهُ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ ، فَكَتَبَ خَالِدٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِذَلِكَ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ وَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبٌ كَانَ ابْنُ خَازِمٍ يُقَاتِلُ بَحِيرَ بْنَ وَرْقَاءَ الصُّرَيْمِيَّ التَّمِيمِيَّ بِنَيْسَابُورَ ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ يَدْعُوهُ إِلَى الْبَيْعَةِ لَهُ وَيُطْعِمُهُ خُرَاسَانَ سَبْعَ سِنِينَ ، وَأَرْسَلَ الْكِتَابَ مَعَ سَوَادَةَ بْنِ أَشْتَمَ النُّمَيْرِيِّ ، وَقِيلَ مَعَ مُكَمِّلٍ الْغَنَوِيِّ. |
| فَقَالَ ابْنُ خَازِمٍ لَوْلَا أَنْ أُضَرِّبَ بَيْنَ بَنِي سُلَيْمٍ وَ بَنِي عَامِرٍ لَقَتَلْتُكَ ، وَلَكِنْ كُلْ كِتَابَكَ. |
| فَأَكَلَهُ. |
| وَقِيلَ بَلْ كَانَ الْكِتَابُ مَعَ سَوَادَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ النُّمَيْرِيِّ ، وَقِيلَ مَعَ مُكَمِّلٍ الْغَنَوِيِّ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ خَازِمٍ إِنَّمَا بَعَثَكَ أَبُو الذِّبَّانِ لِأَنَّكَ مِنْ غَنِيٍّ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنِّي لَا أَقْتُلُ رَجُلًا مِنْ قَيْسٍ ، وَلَكِنْ كُلْ كِتَابَهُ. |
| وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بُكَيْرِ بْنِ وَسَّاجٍ ، وَكَانَ خَلِيفَةَ ابْنِ خَازِمٍ عَلَى مَرْوَ ، بِعَهْدِهِ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَوَعْدِهِ وَمُنَاهُ ، فَخَلَعَ بُكَيْرٌ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَدَعَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَجَابَهُ أَهْلُ مَرْوَ ، وَبَلَغَ ابْنَ خَازِمٍ ، فَخَافَ أَنْ يَأْتِيَهُ بُكَيْرٌ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ مَرْوَ وَأَهْلُ نَيْسَابُورَ ، فَتَرَكَ بَحِيرًا وَأَقْبَلَ إِلَى مَرْوَ وَيَزِيدُ ابْنُهُ بِتِرْمِذَ ، فَاتَّبَعَهُ بَحِيرٌ ، فَلَحِقَهُ بِقَرْيَةٍ عَلَى ثَمَانِيَةِ فَرَاسِخَ مِنْ مَرْوَ ، فَقَاتَلَهُ ابْنُ خَازِمٍ ، فَقُتِلَ ابْنُ خَازِمٍ ، وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ وَكِيعُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَيْعِيُّ ، أَعْثَرَهُ وَكِيعٌ ، وَبَحِيرُ بْنُ وَرْقَاءَ ، وَعَمَّارُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَطَعَنُوهُ فَصَرَعُوهُ ، وَقَعَدَ وَكِيعٌ عَلَى صَدْرِهِ فَقَتَلَهُ. |
| فَقَالَ بَعْضُ الْوُلَاةِ لِوَكِيعٍ كَيْفَ قَتَلْتَهُ ؟ |
| قَالَ غَلَبْتُهُ بِفَضْلِ الْقَنَا ، فَلَمَّا صُرِعَ قَعَدْتُ عَلَى صَدْرِهِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَقُومَ ، قُلْتُ يَا لِثَارَاتِ دُوَيْلَةَ! |
| وَهُوَ أَخُو وَكِيعٍ لِأُمِّهِ ، قُتِلَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْحُرُوبِ. |
| قَالَ وَكِيعٌ فَتَنَخَّمَ فِي وَجْهِي وَقَالَ لَعَنَكَ اللَّهُ! |
| أَتَقْتُلُ كَبْشَ مُضَرَ بِأَخِيكَ وَهُوَ لَا يُسَاوِي كَفًّا مِنْ نَوًى ؟ |
| أَوْ قَالَ مِنْ تُرَابٍ. |
| قَالَ فَمَا رَأَيْتُ أَكْثَرَ رِيقًا مِنْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ عِنْدَ الْمَوْتِ. |
| وَبَعَثَ بَحِيرٌ سَاعَةَ قَتْلِ ابْنِ خَازِمٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُخْبِرُهُ بِقَتْلِهِ ، وَلَمْ يَبْعَثْ بِالرَّأْسِ ، وَبَعَثَ بَحِيرٌ بُكَيْرَ بْنَ وَسَّاجٍ فِي أَهْلِ مَرْوَ ، فَوَافَاهُمْ حِينَ قُتِلَ ابْنُ خَازِمٍ ، فَأَرَادَ أَخْذَ الرَّأْسِ وَإِنْفَاذَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَمَنَعَهُ بَحِيرٌ ، فَضَرَبَهُ بُكَيْرٌ بِعَمُودٍ وَحَبَسَهُ ، وَسَيَّرَ الرَّأْسَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ. |
| فَلَمَّا قَدِمَ الرَّأْسُ دَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ بِرَسُولِ بَحِيرٍ وَقَالَ مَا هَذَا ؟ |
| قَالَ لَا أَدْرِي ، وَمَا فَارَقْتُ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ ابْنُ خَازِمٍ. |
| وَقِيلَ إِنَّ ابْنَ خَازِمٍ إِنَّمَا قُتِلَ بَعْدَ قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَإِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَنْفَذَ إِلَيْهِ رَأْسَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَدَعَاهُ إِلَى نَفْسِهِ ، فَغَسَّلَ الرَّأْسَ وَكَفَّنَهُ وَبَعَثَهُ إِلَى أَهْلِهِ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَطْعَمَ الرَّسُولَ الْكِتَابَ ، وَقَالَ لَوْلَا أَنَّكَ رَسُولٌ لَقَتَلْتُكَ. |
| وَقِيلَ بَلْ قَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَتَلَهُ ، وَحَلَفَ أَنْ لَا يُطِيعَ عَبْدَ الْمَلِكِ أَبَدًا. |
| بَحِيرٌ بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ . |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ كَانَ الْعَامِلُ عَلَى الْمَدِينَةِ طَارِقًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ ، وَعَلَى قَضَائِهَا عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى قَضَائِهَا هِشَامَ بْنَ هُبَيْرَةَ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ ، فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، بُكَيْرَ بْنَ وَسَّاجٍ ، وَفِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَازِمٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ. |
| عَبِيدَةُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَكَسْرِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ذِكْرُ قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لَمَّا بُويِعَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِالشَّامِ بَعَثَ إِلَى الْمَدِينَةِ عُرْوَةَ بْنَ أُنَيْفٍ فِي سِتَّةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ ، وَأَنْ يُعَسْكِرَ بِالْعَرْصَةِ ، وَكَانَ عَامِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى الْمَدِينَةِ الْحَارِثُ بْنُ حَاطِبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ ، فَهَرَبَ الْحَارِثُ ، وَكَانَ ابْنُ أُنَيْفٍ يَدْخُلُ وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مُعَسْكَرِهِ ، فَأَقَامَ شَهْرًا وَلَمْ يَبْعَثْ إِلَيْهِمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَحَدًا. |
| وَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بِالْعَوْدِ إِلَيْهِ ، فَعَادَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدٍ الْقُرَظِيُّ ، ثُمَّ عَادَ الْحَارِثُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَبَعَثَ ابْنُ الزُّبَيْرِ سُلَيْمَانَ بْنَ خَالِدٍ الزُّرَقِيَّ الْأَنْصَارِيَّ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا عَامِلًا عَلَى خَيْبَرَ وَفَدَكَ ، فَنَزَلَ فِي عَمَلِهِ ، فَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ وَقِيلَ اسْمُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَهُوَ أَصَحُّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ وَادِي الْقُرَى ، وَسَيَّرَ سَرِيَّةً عَلَيْهَا أَبُو الْقَمْقَامِ فِي خَمْسِمِائَةٍ إِلَى سُلَيْمَانَ ، فَوَجَدَهُ قَدْ هَرَبَ ، فَطَلَبُوهُ فَأَدْرَكُوهُ ، فَقَتَلُوهُ وَمَنْ مَعَهُ. |
| فَاغْتَمَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِقَتْلِهِ وَقَالَ قَتَلُوا رَجُلًا مُسْلِمًا صَالِحًا بِغَيْرِ ذَنْبٍ. |
| وَعَزَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحَارِثَ ، وَاسْتَعْمَلَ مَكَانَهُ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيَّ ، فَوَجَّهَ جَابِرٌ أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي قَيْسٍ فِي سِتِّمِائَةِ فَارِسٍ وَأَرْبَعِينَ فَارِسًا إِلَى خَيْبَرَ ، فَوَجَدُوا أَبَا الْقَمْقَامِ وَمَنْ مَعَهُ مُقِيمِينَ بِفَدَكَ يَعْسِفُونَ النَّاسَ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ أَبِي الْقَمْقَامِ ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا ، فَقُتِلُوا صَبْرًا. |
| وَقِيلَ بَلْ قُتِلَ الْخَمْسُمِائَةِ أَوْ أَكْثَرُهُمْ. |
| وَوَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ طَارِقَ بْنَ عَمْرٍو مَوْلَى عُثْمَانَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْزِلَ بَيْنَ أَيْلَةَ وَوَادِي الْقُرَى ، وَيَمْنَعَ عُمَّالَ ابْنِ الزُّبَيْرِ مِنَ الِانْتِشَارِ ، وَيَسُدَّ خَلَلًا إِنْ ظَهَرَ لَهُ. |
| فَوَجَّهَ طَارِقٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ خَيْلًا ، فَاقْتَتَلُوا ، فَأُصِيبَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَأُصِيبَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ. |
| وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ كَتَبَ إِلَى الْقُبَاعِ أَيَّامَ كَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ يَأْمُرُهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ أَلْفَيْ فَارِسٍ لِيُعِينُوا عَامِلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُو بَكْرٍ أَمَرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ أَنْ يُسَيِّرَ جَيْشَ الْبَصْرَةِ إِلَى قِتَالِ طَارِقٍ ، فَسَارَ الْبَصْرِيُّونَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَبَلَغَ طَارِقًا الْخَبَرُ ، فَسَارَ نَحْوَهُ ، فَالْتَقَيَا ، فَقُتِلَ مُقَدِّمُ الْبَصْرِيِّينَ ، وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَطَلَبَ طَارِقٌ مُدْبِرَهُمْ ، وَأَجْهَزُ عَلَى جَرِيحِهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَبْقِ أَسِيرَهُمْ. |
| وَرَجَعَ طَارِقٌ إِلَى وَادِي الْقُرَى ، وَكَانَ عَامِلَ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِالْمَدِينَةِ جَابِرُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَعَزَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ جَابِرًا ، وَاسْتَعْمَلَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ ، الَّذِي يُعْرَفُ بِطَلْحَةِ النَّدَى ، سَنَةَ سَبْعِينَ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى أَخْرَجَهُ طَارِقٌ. |
| فَلَمَّا قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُصْعَبًا وَأَتَى الْكُوفَةَ ، وَجَّهَ مِنْهَا الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ فِي أَلْفَيْنِ ، وَقِيلَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، لِقِتَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِي تَسْيِيرِهِ دُونَ غَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَخَذْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ فَسَلَخْتُهُ ، فَابْعَثْنِي إِلَيْهِ وَوَلِّنِي قِتَالَهُ. |
| فَبَعَثَهُ وَكَتَبَ مَعَهُ أَمَانًا لِابْنِ الزُّبَيْرِ وَمَنْ مَعَهُ إِنْ أَطَاعُوا ، فَسَارَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَلَمْ يَعْرِضْ لِلْمَدِينَةِ ، وَنَزَلَ الطَّائِفَ ، وَكَانَ يَبْعَثُ الْخَيْلَ إِلَى عَرَفَةَ ، وَيَبْعَثُ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَيْضًا فَيَقْتَتِلُونَ بِعَرَفَةَ ، فَتَنْهَزِمُ خَيْلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي كُلِّ ذَلِكَ ، وَتَعُودُ خَيْلُ الْحَجَّاجِ بِالظَّفَرِ. |
| ثُمَّ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي دُخُولِ الْحَرَمِ وَحَصْرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَيُخْبِرُهُ بِضَعْفِهِ وَتَفَرُّقِ أَصْحَابِهِ ، وَيَسْتَمِدُّهُ ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى طَارِقٍ يَأْمُرُهُ بِاللِّحَاقِ بِالْحَجَّاجِ ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَأَخْرَجَ عَامِلَ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَنْهَا ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ ثَعْلَبَةُ ، فَكَانَ ثَعْلَبَةُ يُخْرِجُ الْمُخَّ وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَأْكُلُهُ وَيَأْكُلُ عَلَيْهِ التَّمْرَ لِيَغِيظَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ شَدِيدًا عَلَى أَهْلِ الزُّبَيْرِ ، وَقَدِمَ طَارِقٌ عَلَى الْحَجَّاجِ بِمَكَّةَ فِي سَلْخِ ذِي الْحِجَّةِ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ. |
| وَأَمَّا الْحَجَّاجُ فَإِنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَقَدْ أَحْرَمَ بِحَجَّةٍ ، فَنَزَلَ بِئْرَ مَيْمُونٍ ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ تِلْكَ السَّنَةَ الْحَجَّاجُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَطُفْ بِالْكَعْبَةِ ، وَلَا سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، مَنَعَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَانَ يَلْبَسُ السِّلَاحَ وَلَا يَقْرُبُ النِّسَاءَ وَلَا الطِّيبَ إِلَى أَنْ قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، وَلَمْ يَحُجَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَلَا أَصْحَابُهُ; لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقِفُوا بِعَرَفَةَ ، وَلَمْ يَرْمُوا الْجِمَارَ ، وَنَحَرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بُدْنَهُ بِمَكَّةَ. |
| وَلَمَّا حَصَرَ الْحَجَّاجُ ابْنَ الزُّبَيْرِ نَصَبَ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ ، وَرَمَى بِهِ الْكَعْبَةَ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُنْكِرُ ذَلِكَ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ ، فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ خُذِلَ فِي دِينِهِ. |
| وَحَجَّ ابْنُ عُمَرَ تِلْكَ السَّنَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْحَجَّاجِ أَنِ اتَّقِ اللَّهَ ، وَاكْفُفْ هَذِهِ الْحِجَارَةَ عَنِ النَّاسِ ، فَإِنَّكَ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ وَبَلَدٍ حَرَامٍ ، وَقَدْ قَدِمَتْ وُفُودُ اللَّهِ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ لِيُؤَدُّوا فَرِيضَةَ اللَّهِ وَيَزْدَادُوا خَيْرًا ، وَإِنَّ الْمَنْجَنِيقَ قَدْ مَنَعَهُمْ عَنِ الطَّوَافِ ، فَاكْفُفْ عَنِ الرَّمْيِ حَتَّى يَقْضُوا مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ بِمَكَّةَ. |
| فَبَطَّلَ الرَّمْيَ حَتَّى عَادَ النَّاسُ مِنْ عَرَفَاتٍ وَطَافُوا وَسَعَوْا ، وَلَمْ يَمْنَعِ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحَاجَّ مِنَ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ طَوَافِ الزِّيَارَةِ نَادَى مُنَادِي الْحَجَّاجِ انْصَرِفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ ، فَإِنَّا نَعُودُ بِالْحِجَارَةِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ الْمُلْحِدِ. |
| وَأَوَّلُ مَا رُمِيَ بِالْمَنْجَنِيقِ إِلَى الْكَعْبَةِ رَعَدَتِ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ ، وَعَلَا صَوْتُ الرَّعْدِ عَلَى الْحِجَارَةِ ، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ أَهْلُ الشَّامِ وَأَمْسَكُوا أَيْدِيَهُمْ ، فَأَخَذَ الْحَجَّاجُ حَجَرَ الْمَنْجَنِيقِ بِيَدِهِ ، فَوَضَعَهُ فِيهِ وَرَمَى بِهِ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَاءَتِ الصَّوَاعِقُ فَقَتَلَتْ مِنْ أَصْحَابِهِ اثْنَيْ عَشْرَ رَجُلًا ، فَانْكَسَرَ أَهْلُ الشَّامِ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ يَا أَهْلَ الشَّامِ ، لَا تُنْكِرُوا هَذَا ، فَإِنِّي ابْنُ تِهَامَةَ وَهَذِهِ صَوَاعِقُهَا ، وَهَذَا الْفَتْحُ قَدْ حَضَرَ ، فَأَبْشِرُوا. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ جَاءَتِ الصَّاعِقَةُ ، فَأَصَابَتْ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ عِدَّةً ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُصَابُونَ وَأَنْتُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَهُمْ عَلَى خِلَافِهَا ؟ |
| وَكَانَ الْحَجَرُ يَقَعُ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَلَا يَنْصَرِفُ ، وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ يَقُولُونَ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ طَالَمَا عَصَيْكَا وَطَالَمَا عَنَّيْتَنَا إِلَيْكَا لَتُجْزَيَنَّ بِالَّذِي أَتَيْكَا يَعْنُونَ عَصَيْتَ وَأَتَيْتَ. |
| وَقَدِمَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَالُوا قَدِمْنَا لِلْقِتَالِ مَعَكَ ، فَنَظَرَ فَإِذَا مَعَ كُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ سَيْفٌ كَأَنَّهُ شَفْرَةٌ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ غِمْدِهِ ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَعْرَابِ ، لَا قَرَّبَكُمُ اللَّهُ! |
| فَوَاللَّهِ إِنَّ سِلَاحَكُمْ لَرَثٌّ ، وَإِنَّ حَدِيثَكُمْ لَغَثٌّ ، وَإِنَّكُمْ لَقُتَّالٌ فِي الْجَدْبِ ، أَعْدَاءٌ فِي الْخِصْبِ. |
| فَتَفَرَّقُوا ، وَلَمْ يَزَلِ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ دَائِمًا ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ عِنْدَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَأَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ حَتَّى ذَبَحَ فَرَسَهُ ، وَقَسَّمَ لَحْمَهَا فِي أَصْحَابِهِ ، وَبِيعَتِ الدَّجَاجَةُ بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ ، وَالْمُدُّ الذُّرَةُ بِعِشْرِينَ دِرْهَمًا ، وَإِنَّ بُيُوتَ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَمَمْلُوءَةٌ قَمْحًا وَشَعِيرًا وَذُرَةً وَتَمْرًا ، وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ يَنْتَظِرُونَ فَنَاءَ مَا عِنْدَهُ ، وَكَانَ يَحْفَظُ ذَلِكَ وَلَا يُنْفِقُ مِنْهُ إِلَّا مَا يُمْسِكُ الرَّمَقَ ، وَيَقُولُ أَنْفُسُ أَصْحَابِي قَوِيَّةٌ مَا لَمْ يَفْنَ. |
| فَلَمَّا كَانَ قُبَيْلَ مَقْتَلِهِ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ وَخَرَجُوا إِلَى الْحَجَّاجِ بِالْأَمَانِ ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ نَحْوُ عَشَرَةِ آلَافٍ ، وَكَانَ مِمَّنْ فَارَقَهُ ابْنَاهُ حَمْزَةُ وَخُبَيْبٌ ، أَخَذَا لِأَنْفُسِهِمَا أَمَانًا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِابْنِهِ الزُّبَيْرِ خُذْ لِنَفْسِكَ أَمَانًا كَمَا فَعَلَ أَخَوَاكَ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ بَقَاءَكُمْ. |
| فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْكَ. |
| فَصَبَرَ مَعَهُ فَقُتِلَ. |
| وَلَمَّا تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ خَطَبَ الْحَجَّاجُ النَّاسَ وَقَالَ قَدْ تَرَوْنَ قِلَّةَ مَنْ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْدِ وَالضِّيقِ. |
| فَفَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا ، فَتَقَدَّمُوا ، فَمَلَئُوا مَا بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الْأَبْوَاءِ. |
| فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ يَا أُمَّاهُ ، قَدْ خَذَلَنِي النَّاسُ حَتَّى وَلَدَيَّ وَأَهْلِي ، وَلَمْ يَبْقَ مَعِي إِلَّا الْيَسِيرُ ، وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ ، وَالْقَوْمُ يُعْطُونِي مَا أَرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَا رَأْيُكِ ؟ |
| فَقَالَتْ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو ، فَامْضِ لَهُ ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ ، وَلَا تُمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتَلَعَّبْ بِهَا غِلْمَانُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ الدُّنْيَا ، فَبِئْسَ الْعَبْدُ أَنْتَ ، أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ وَمَنْ قُتِلَ مَعَكَ ، وَإِنْ قُلْتَ كُنْتُ عَلَى حَقٍّ ، فَلَمَّا وَهَنَ أَصْحَابِي ضَعُفْتُ فَهَذَا لَيْسَ فِعْلُ الْأَحْرَارِ وَلَا أَهْلِ الدِّينِ ، كَمْ خُلُودُكَ فِي الدُّنْيَا! |
| الْقَتْلُ أَحْسَنُ! |
| فَقَالَ يَا أُمَّاهُ ، أَخَافُ إِنْ قَتَلَنِي أَهْلُ الشَّامِ أَنْ يُمَثِّلُوا بِي وَيَصْلُبُونِي. |
| قَالَتْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّ الشَّاةَ إِذَا ذُبِحَتْ لَا تَتَأَلَّمُ بِالسَّلْخِ ، فَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ. |
| فَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَقَالَ هَذَا رَأْيَيٌ وَالَّذِي قُمْتُ بِهِ دَاعِيًا إِلَى يَوْمِي هَذَا ، مَا رَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا أَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ فِيهَا ، وَمَا دَعَانِي إِلَى الْخُرُوجِ إِلَّا الْغَضَبُ لِلَّهِ ، وَأَنْ تُسْتَحَلَّ حُرُمَاتُهُ ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ رَأْيَكِ ، فَقَدْ زِدْتِنِي بَصِيرَةً ، فَانْظُرِي يَا أُمَّاهُ ، فَإِنِّي مَقْتُولٌ فِي يَوْمِي هَذَا ، فَلَا يَشْتَدَّ حُزْنُكِ ، وَسَلِّمِي الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ ابْنَكَ لَمْ يَتَعَمَّدْ إِتْيَانَ مُنْكَرٍ ، وَلَا عَمَلًا بِفَاحِشَةٍ ، وَلَمْ يَجُرْ فِي حُكْمِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَغْدِرْ فِي أَمَانٍ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ ظُلْمَ مُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهَدٍ ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي ظُلْمٌ عَنْ عُمَّالِي فَرَضِيتُ بِهِ ، بَلْ أَنْكَرْتُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ آثَرَ عِنْدِي مِنْ رِضَا رَبِّي ، اللَّهُمَّ لَا أَقُولُ هَذَا تَزْكِيَةً لِنَفْسِي ، وَلَكِنِّي أَقُولُهُ تَعْزِيَةً لِأُمِّي حَتَّى تَسْلُوَ عَنِّي!. |
| فَقَالَتْ أُمُّهُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ عَزَائِي فِيكَ جَمِيلًا ، إِنْ تَقَدَّمْتَنِي احْتَسَبْتُكَ ، وَإِنْ ظَفَرْتَ سُرِرْتُ بِظَفَرِكَ ، اخْرُجْ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُكَ. |
| فَقَالَ جَزَاكِ اللَّهُ خَيْرًا ، فَلَا تَدَعِي الدُّعَاءَ لِي. |
| قَالَتْ لَا أَدَعُهُ لَكَ أَبَدًا ، فَمَنْ قُتِلَ عَلَى بَاطِلٍ فَقَدْ قُتِلْتَ عَلَى حَقٍّ. |
| ثُمَّ قَالَتْ اللَّهُمَّ ارْحَمْ طُولَ ذَاكَ الْقِيَامِ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ ، وَذَلِكَ النَّحِيبَ وَالظَّمَأَ فِي هَوَاجِرِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَبِرَّهُ بِأَبِيهِ وَبِي! |
| اللَّهُمَّ قَدْ سَلَّمْتُهُ لِأَمْرِكَ فِيهِ ، وَرَضِيتُ بِمَا قَضَيْتَ ، فَأَثِبْنِي فِيهِ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ!. |
| فَتَنَاوَلَ يَدَيْهَا لِيُقَبِّلَهُمَا فَقَالَتْ هَذَا وَدَاعٌ فَلَا تَبْعَدْ. |
| فَقَالَ لَهَا جِئْتُ مُوَدِّعًا; لِأَنِّي أَرَى هَذَا آخِرَ أَيَّامِي مِنَ الدُّنْيَا. |
| قَالَتْ امْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ ، وَادْنُ مِنِّي حَتَّى أُوَدِّعَكَ. |
| فَدَنَا مِنْهَا فَعَانَقَهَا وَقَبَّلَهَا ، فَوَقَعَتْ يَدُهَا عَلَى الدِّرْعِ فَقَالَتْ مَا هَذَا صَنِيعُ مَنْ يُرِيدُ مَا تُرِيدُ. |
| فَقَالَ مَا لَبِسْتُهُ إِلَّا لِأَشُدَّ مِنْكِ. |
| قَالَتْ فَإِنَّهُ لَا يَشُدُّ مِنِّي. |
| فَنَزَعَهَا ثُمَّ دَرَجَ كُمَّيْهِ ، وَشَدَّ أَسْفَلَ قَمِيصِهِ وُجَبَّةَ خَزٍّ تَحْتَ أَثْنَاءِ السَّرَاوِيلِ ، وَأَدْخَلَ أَسْفَلَهَا تَحْتَ الْمِنْطَقَةِ ، وَأُمُّهُ تَقُولُ لَهُ الْبَسْ ثِيَابَكَ مُشَمَّرَةً. |
| فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرْ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمَهُ الْحُرُّ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرْ فَسَمِعَتْهُ فَقَالَتْ تَصْبِرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، أَبَوَاكَ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ ، وَأُمُّكَ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبَدِ الْمُطَّلِبِ. |
| فَحَمَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ حَمْلَةً مُنْكَرَةً فَقَتَلَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ انْكَشَفَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ لَوْ لَحِقْتَ بِمَوْضِعِ كَذَا. |
| قَالَ بِئْسَ الشَّيْخُ أَنَا إِذًا فِي الْإِسْلَامِ لَئِنْ أَوْقَعْتُ قَوْمًا فَقُتِلُوا ثُمَّ فَرَرْتُ عَنْ مِثْلِ مَصَارِعِهِمْ. |
| وَدَنَا أَهْلُ الشَّامِ حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْهُمُ الْأَبْوَابُ ، وَكَانُوا يَصِيحُونَ بِهِ يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ ، فَيَقُولُ وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا وَجَعَلَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ كُلِّ بَلَدٍ ، فَكَانَ لِأَهْلِ حِمْصٍ الْبَابُ الَّذِي يُوَاجِهُ بَابَ الْكَعْبَةِ ، وَلِأَهْلِ دِمَشْقَ بَابُ بَنِي شَيْبَةَ ، وَلِأَهْلِ الْأُرْدُنِّ بَابُ الصَّفَا ، وَلِأَهْلِ فَلَسْطِينَ بَابُ بَنِي جُمَحٍ ، وَلِأَهْلِ قِنَّسْرِينَ بَابُ بَنِي تَمِيمٍ ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ وَطَارِقٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ إِلَى الْمَرْوَةِ ، فَمَرَّةً يَحْمِلُ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ وَمَرَّةً فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، فَكَأَنَّهُ أَسَدٌ فِي أَجَمَةٍ مَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ ، يَعْدُو فِي أَثَرِ الْقَوْمِ حَتَّى يُخْرِجَهُمْ ، ثُمَّ يَصِيحُ أَبَا صَفْوَانَ! |
| وَيْلُ أُمِّهِ فَتْحًا لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ لَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ! |
| فَيَقُولُ أَبُو صَفْوَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ إِي وَاللَّهِ وَأَلْفُ. |
| فَلَمَّا رَأَى الْحَجَّاجُ أَنَّ النَّاسَ لَا يُقْدِمُونَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ غَضِبَ وَتَرَجَّلَ ، وَأَقْبَلَ يَسُوقُ النَّاسَ وَيَصْمُدُ بِهِمْ صَمْدَ صَاحِبِ عَلَمِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ. |
| فَتَقَدَّمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى صَاحِبِ عَلَمِهِ وَضَارَبَهُمْ وَانْكَشَفُوا ، وَعَرَجَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْمَقَامِ ، فَحَمَلُوا عَلَى صَاحِبِ عَلَمِهِ فَقَتَلُوهُ عِنْدَ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ ، وَصَارَ الْعَلَمُ بِأَيْدِي أَصْحَابِ الْحَجَّاجِ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ بِغَيْرِ عَلَمٍ ، فَضَرَبَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَقَالَ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْحَوَارِيِّ! |
| وَضَرَبَ آخَرُ وَكَانَ حَبَشِيًّا ، فَقَطَعَ يَدَهُ وَقَالَ اصْبِرْ أَبَا حُمَمَةَ ، اصْبِرِ ابْنَ حَامٍ. |
| وَقَاتَلَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ وَهُوَ يَقُولُ أَنَا الَّذِي فَرَرْتُ يَوْمَ الْحَرَّهْ... |
| وَالْحُرُّ لَا يَفِرُّ إِلَّا مَرَّهْ وَالْيَوْمَ أَجْزِي فَرَّةً بِكَرَّهْ وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ أَصَابَتْهُ جِرَاحٌ فَمَاتَ مِنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ. |
| وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِأَصْحَابِهِ وَأَهْلِهِ يَوْمَ قُتِلَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ اكْشِفُوا وُجُوهَكُمْ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمُ الْمَغَافِرُ . |
| فَفَعَلُوا. |
| فَقَالَ يَا آلَ الزُّبَيْرِ ، لَوْ طِبْتُمْ بِي نَفْسًا عَنْ أَنْفُسِكُمْ كُنَّا أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ اصْطَلَحْنَا فِي اللَّهِ ، فَلَا يَرُعْكُمْ وَقْعُ السُّيُوفِ ، فَإِنَّ أَلَمَ الدَّوَاءِ لِلْجِرَاحِ أَشَدُّ مِنْ أَلَمِ وَقْعِهَا ، صُونُوا سُيُوفَكُمْ كَمَا تَصُونُونَ وُجُوهَكُمْ ، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ مِنَ الْبَارِقَةِ ، وَلْيَشْغَلْ كُلَّ امْرِئٍ قِرْنُهُ ، وَلَا تَسْأَلُوا عَنِّي ، فَمَنْ كَانَ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، احْمِلُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. |
| ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى بَلَغَ بِهِمُ الْحَجُونَ ، فَرُمِيَ بِآجُرَّةٍ ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنَ السَّكُونِ ، فَأَصَابَتْهُ فِي وَجْهِهِ ، فَأُرْعِشَ لَهَا وَدَمِيَ وَجْهُهُ ، فَلَمَّا وَجَدَ الدَّمَ عَلَى وَجْهِهِ قَالَ فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تُدْمَى كُلُومُنَا... |
| وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَتَعَاوَرُوا عَلَيْهِ ، فَقَتَلُوهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَلَهُ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَتَوَلَّى قَتْلَهُ رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ فَسَجَدَ ، وَوَفَّدَ السَّكُونِيَّ وَالْمُرَادِيَّ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخَبَرِ ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ. |
| وَسَارَ الْحَجَّاجُ وَطَارِقٌ حَتَّى وَقَفَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ طَارِقٌ مَا وَلَدَتِ النِّسَاءُ أَذْكَرَ مِنْ هَذَا. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ أَتَمْدَحُ مُخَالِفَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ هُوَ أَعْذَرُ لَنَا ، وَلَوْلَا هَذَا لَمَا كَانَ لَنَا عُذْرٌ ، إِنَّا مُحَاصِرُوهُ مُنْذُ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ وَهُوَ فِي غَيْرِ جُنْدٍ وَلَا حِصْنٍ وَلَا مَنَعَةٍ ، فَيَنْتَصِفُ مِنَّا ، بَلْ يَفْضُلُ عَلَيْنَا. |
| فَبَلَغَ كَلَامُهُمَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَصَوَّبَ طَارِقًا. |
| وَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ كَبَّرَ أَهْلُ الشَّامِ فَرَحًا بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ انْظُرُوا إِلَى هَؤُلَاءِ ، وَلَقَدْ كَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ فَرَحًا بِوِلَادَتِهِ ، وَهَؤُلَاءِ يُكَبِّرُونَ فَرَحًا بِقَتْلِهِ. |
| وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ بِرَأْسِهِ وَرَأْسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ وَرَأْسِ عِمَارَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ ذُهِبَ بِهَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَأَخَذَ جُثَّتَهُ فَصَلَبَهَا عَلَى الثَّنِيَّةِ الْيُمْنَى بِالْحَجُونِ. |
| فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَسْمَاءُ قَاتَلَكَ اللَّهُ! |
| عَلَى مَاذَا صَلَبْتَهُ ؟ |
| قَالَ اسْتَبَقْتُ أَنَا وَهُوَ إِلَى هَذِهِ الْخَشَبَةِ وَكَانَتْ لَهُ. |
| فَاسْتَأْذَنَتْهُ فِي تَكْفِينِهِ وَدَفْنِهِ ، فَأَبَى وَوَكَّلَ بِالْخَشَبَةِ مَنْ يَحْرُسُهَا ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُخْبِرُهُ بِصَلْبِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَلُومُهُ وَيَقُولُ أَلَا خَلَّيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُمِّهِ! |
| فَأَذِنَ لَهَا الْحَجَّاجُ ، فَدَفَنَتْهُ بِالْحَجُونِ ، فَمَرَّ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا خُبَيْبٍ! |
| أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا ، وَلَقَدْ كُنْتَ صَوَّامًا قَوَّامًا وَصُولًا لِلرَّحِمِ ، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ قَوْمًا أَنْتَ شَرُّهُمْ لَنِعْمَ الْقَوْمُ. |
| وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ قَبْلَ قَتْلِهِ بَقِيَ أَيَّامًا يَسْتَعْمِلُ الصَّبْرَ وَالْمِسْكَ لِئَلَّا يُنْتِنَ ، فَلَمَّا صُلِبَ ظَهَرَتْ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ ، فَقِيلَ إِنَّ الْحَجَّاجَ صَلَبَ مَعَهُ كَلْبًا مَيِّتًا ، فَغَلَبَ عَلَى رِيحِ الْمِسْكِ ، وَقِيلَ بَلْ صَلَبَ مَعَهُ سِنَّوْرًا . |
| وَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ رَكِبَ أَخُوهُ عُرْوَةُ نَاقَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا ، فَسَارَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَدِمَ الشَّامَ قَبْلَ وُصُولِ رُسُلِ الْحَجَّاجِ بِقَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَتَى بَابَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ وَرَحَّبَ بِهِ وَعَانَقَهُ ، وَأَجْلَسَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، فَقَالَ عُرْوَةُ مَتَّتْ بِأَرْحَامٍ إِلَيْكَ قَرِيبَةٍ... |
| وَلَا قُرْبَ لِلْأَرْحَامِ مَا لَمْ تُقَرَّبِ ثُمَّ تَحَدَّثَا حَتَّى جَرَى ذِكْرُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ عُرْوَةُ إِنَّهُ كَانَ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَمَا فَعَلَ ؟ |
| قَالَ قُتِلَ. |
| فَخَرَّ سَاجِدًا ، فَقَالَ عُرْوَةُ إِنَّ الْحَجَّاجَ صَلَبَهُ ، فَهَبْ جُثَّتَهُ لِأُمِّهِ. |
| قَالَ نَعَمْ. |
| وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ يُعَظِّمُ صَلْبَهُ. |
| وَكَانَ الْحَجَّاجُ لَمَّا فَقَدَ عُرْوَةَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَقُولُ لَهُ إِنَّ عُرْوَةَ كَانَ مَعَ أَخِيهِ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ أَخَذَ مَالًا مِنْ مَالِ اللَّهِ فَهَرَبَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ إِنَّهُ لَمْ يَهْرَبْ ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي مُبَايِعًا وَقَدْ آمَنْتُهُ وَحَلَّلْتُهُ مِمَّا كَانَ ، وَهُوَ قَادِمٌ عَلَيْكَ فَإِيَّاكَ وَعُرْوَةَ. |
| وَعَادَ عُرْوَةُ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ عَنْهَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا. |
| فَأَنْزَلَ الْحَجَّاجُ جُثَّةَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْخَشَبَةِ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ ، فَغَسَّلَتْهُ ، فَلَمَّا أَصَابَهُ الْمَاءُ تَقَطَّعَ ، فَغَسَّلَتْهُ عُضْوًا عُضْوًا فَاسْتَمْسَكَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُرْوَةُ ، فَدَفَنَتْهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ عُرْوَةَ لَمَّا كَانَ غَائِبًا عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ وَعَاوَدَهُ فِي إِنْفَاذِ عُرْوَةَ إِلَيْهِ ، فَهَمَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بِإِنْفَاذِهِ فَقَالَ عُرْوَةُ لَيْسَ الذَّلِيلُ مَنْ قَتَلْتُمُوهُ ، وَلَكِنَّ الذَّلِيلَ مَنْ مَلَكْتُمُوهُ ، وَلَيْسَ بِمَلُومٍ مَنْ صَبَرَ فَمَاتَ ، وَلَكِنَّ الْمَلُومَ مَنْ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ. |
| فَسَمِعَ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، لَنْ تَسْمَعَ مِنَّا شَيْئًا تَكْرَهُهُ. |
| وَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، مَنَعَ الْحَجَّاجُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ إِنَّمَا أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِدَفْنِهِ ، وَقِيلَ صَلَّى عَلَيْهِ غَيْرُ عُرْوَةَ ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ أُلْقِيَ فِي مَقَابِرِ الْيَهُودِ ، وَعَاشَتْ أُمُّهُ بَعْدَهُ قَلِيلًا وَمَاتَتْ ، وَكَانَتْ قَدْ أُضِرَّتْ ، وَهِيَ أُمُّ عُرْوَةَ أَيْضًا. |
| فَلَمَّا فَرَغَ الْحَجَّاجُ مِنْ أَمْرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ دَخَلَ مَكَّةَ ، فَبَايَعَهُ أَهْلُهَا لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَأَمَرَ بِكَنْسِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالدَّمِ ، وَسَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَقَامَ بِهَا شَهْرًا أَوْ شَهْرَيْنِ ، فَأَسَاءَ إِلَى أَهْلِهَا وَاسْتَخَفَّ بِهِمْ ، وَقَالَ أَنْتُمْ قَتَلَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ، وَخَتَمَ أَيْدِي جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالرُّصَاصِ اسْتِخْفَافًا بِهِمْ ، كَمَا يُفْعَلُ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ ، مِنْهُمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ حِينَ خَرَجَ مِنْهَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْ أُمِّ نَتَنٍ ، أَهْلُهَا أَخْبَثُ بَلَدٍ وَأَغَشُّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَحْسَدُهُمْ لَهُ عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَوْ مَا كَانَتْ تَأْتِينِي كُتُبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِمْ لَجَعَلْتُهَا مِثْلَ جَوْفِ الْحِمَارِ أَعْوَادًا يَعُودُونَ بِهَا ، وَرِمَّةً قَدْ بَلِيَتْ ، يَغُولُونَ مِنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| فَبَلَغَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَوْلُهُ فَقَالَ إِنَّ وَرَاءَهُ مَا يَسُوءُهُ ، قَدْ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا قَالَ ، ثُمَّ أَخَذَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ أَنْظَرَهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ وِلَايَةَ الْحَجَّاجِ الْمَدِينَةَ وَمَا فَعَلَهُ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ فِي صَفَرٍ. |
| خُبَيْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَبِبَائَيْنِ مُوَحَّدَتَيْنِ بَيْنَهُمَا يَاءٌ مُثَنَّاةٌ مِنْ تَحْتٍ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُكَنَّى بِهِ وَبِأَبِي بَكْرٍ أَيْضًا . |
| ذِكْرُ عُمُرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَسِيرَتِهِ كَانَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ حِينَ قُتِلَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ تِسْعَ سِنِينَ ، لِأَنَّهُ بُويِعَ لَهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، وَكَانَتْ لَهُ جَمَّةٌ مَفْرُوقَةٌ طَوِيلَةٌ. |
| قَالَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا سَجَدَ وَقَعَتِ الْعَصَافِيرُ عَلَى ظَهْرِهِ ، تَظُنُّهُ حَائِطًا لِسُكُونِهِ وَطُولِ سُجُودِهِ. |
| وَقَالَ غَيْرُهُ قَسَّمَ عَبْدُ اللَّهِ الدَّهْرَ ثَلَاثَ حَالَاتٍ فَلَيْلَةٌ قَائِمٌ حَتَّى الصَّبَاحِ ، وَلَيْلَةٌ رَاكِعٌ حَتَّى الصَّبَاحِ ، وَلَيْلَةٌ سَاجِدٌ حَتَّى الصَّبَاحِ. |
| وَقِيلَ أَوَّلُ مَا عُلِمَ مِنْ هِمَّةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ وَهُوَ صَبِيٌّ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَصَاحَ عَلَيْهِمْ فَفَرُّوا ، وَمَشَى ابْنُ الزُّبَيْرِ الْقَهْقَرَى وَقَالَ يَا صِبْيَانُ ، اجْعَلُونِي أَمِيرَكُمْ ، وَشُدُّوا بِنَا عَلَيْهِ. |
| فَفَعَلُوا. |
| وَمَرَّ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَلْعَبُ ، فَفَرَّ الصِّبْيَانُ وَوَقَفَ هُوَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ مَا لَكَ لَمْ تَفِرَّ مَعَهُمْ ؟ |
| فَقَالَ لَمْ أُجْرِمْ فَأَخَافَكَ ، وَلَمْ تَكُنِ الطَّرِيقُ ضَيِّقَةً فَأُوَسِّعَ لَكَ. |
| وَقَالَ قَطَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُوَاصِلُ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ. |
| قَالَ خَالِدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُفْطِرُ فِي الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَمَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَنْزِعْ ثِيَابَهُ عَنْ ظَهْرِهِ . |
| وَقَالَ مُجَاهِدٌ لَمْ يَكُنْ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْعِبَادَةِ يَعْجِزُ عَنْهُ النَّاسُ إِلَّا تَكَلَّفَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، وَلَقَدْ جَاءَ سَيْلٌ طَبَّقَ الْبَيْتَ ، فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَطُوفُ سِبَاحَةً. |
| قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ كَانَ أَوَّلَ مَا أَفْصَحَ بِهِ عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَهُوَ صَغِيرٌ السَّيْفُ ، فَكَانَ لَا يَضَعُهُ مِنْ يَدِهِ ، فَكَانَ الزُّبَيْرُ يَقُولُ وَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لَكَ مِنْهُ يَوْمٌ وَأَيَّامٌ. |
| قَالَ ابْنُ سِيرِينَ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مَا شَيْءٌ كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ كَعْبٌ إِلَّا وَقَدْ جَاءَ عَلَى مَا قَالَ إِلَّا قَوْلَهُ فَتَى ثَقِيفٍ يَقْتُلُنِي ، وَهَذَا رَأْسُهُ بَيْنَ يَدَيَّ يَعْنِي الْمُخْتَارَ . |
| قَالَ ابْنُ سِيرِينَ وَلَا يَشْعُرُ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ الْحَجَّاجَ قَدْ خُبِّئَ لَهُ. |
| وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي جَمِيلَةَ الْأَنْصَارِيُّ إِنَّ ابْنَ عُمَرَ مَرَّ بِابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ مَصْلُوبٌ بَعْدَ قَتْلِهِ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا خُبَيْبٍ! |
| إِنَّكَ كُنْتَ لَصَوَّامًا قَوَّامًا ، وَلَقَدْ أَفْلَحَتْ قُرَيْشٌ إِنْ كُنْتَ شَرَّهَا. |
| وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ صَلَبَهُ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ فِي مَقَابِرِ الْيَهُودِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ يَسْتَحْضِرُهَا ، فَلَمْ تَحْضُرْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ. |
| فَلَمْ تَأْتِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهَا. |
| فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهَا كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَبْدِ اللَّهِ ؟ |
| قَالَتْ رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَى ابْنِي دُنْيَاهُ ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا « أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا » ، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَقَدْ رَأَيْنَاهُ تَعْنِي الْمُخْتَارَ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَأَنْتَ هُوَ. |
| وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ. |
| وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ أَتَذْكُرُ يَوْمَ لَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَأَنْتَ ، فَأَخَذَ ابْنَيْ فَاطِمَةَ ؟ |
| فَقَالَ نَعَمْ فَحَمَلَنَا وَتَرَكَكَ. |
| وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُ هَذَا مَا سَأَلَهُ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ الْجَزِيرَةَ وَأَرْمِينِيَّةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَخَاهُ مُحَمَّدًا عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَّةَ ، فَغَزَا مِنْهَا وَأَثْخَنَ فِي الْعَدُوِّ ، وَكَانَتْ بُحَيْرَةُ الطِّرِّيخِ الَّتِي بِأَرْمِينِيَّةَ مُبَاحَةً لَمْ يَعْرِضْ لَهَا أَحَدٌ ، بَلْ يَأْخُذُ مِنْهَا مَنْ شَاءَ ، فَمَنَعَ مِنْ صَيْدِهَا ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا مَنْ يَأْخُذُهُ وَيَبِيعُهُ وَيَأْخُذُ ثَمَنَهُ ، ثُمَّ صَارَتْ بَعْدَهُ لِابْنِهِ مَرْوَانَ ، ثُمَّ أُخِذَتْ مِنْهُ لَمَّا انْتَقَلَتِ الدَّوْلَةُ عَنْهُمْ ، وَهِيَ إِلَى الْآنَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْحَجَرِ ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ. |
| وَهَذَا الطِّرِّيخُ مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا; لِأَنَّ سَمَكَهُ صَغِيرٌ ، لَهُ كُلُّ سَنَةٍ مَوْسِمٌ ، يَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ فِي نَهْرٍ يَصُبُّ إِلَيْهَا كَثِيرًا ، يُؤْخَذُ بِالْأَيْدِي وَالْآلَاتِ الْمَصْنُوعَةِ لَهُ ، فَإِذَا انْقَضَى مَوْسِمُهُ لَا يُوجَدُ مِنْهُ شَيْءٌ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي فُدَيْكٍ الْخَارِجِيِّ قَدْ ذَكَرْنَا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ قَتْلَ نَجْدَةَ بْنِ عَامِرٍ الْخَارِجِيِّ وَطَاعَةَ أَصْحَابِهِ أَبَا فُدَيْكٍ ، وَثَبَتَ قَدَمُ أَبِي فُدَيْكٍ إِلَى الْآنَ ، فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ أَنْ يَنْدُبَ النَّاسَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، وَيَسِيرُ إِلَى قِتَالِهِ ، فَنَدَبَهُمْ وَانْتَدَبَ مَعَهُ عَشَرَةَ آلَافٍ ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ ، ثُمَّ سَارَ بِهِمْ ، وَجَعَلَ أَهْلَ الْكُوفَةِ عَلَى الْمَيْمَنَةِ ، وَعَلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَأَهْلَ الْبَصْرَةِ عَلَى الْمَيْسَرَةِ وَعَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ مُوسَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي عُمَرَ ، وَجَعَلَ خَيْلَهُ فِي الْقَلْبِ ، وَسَارُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَالْتَقَوْا وَاصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ ، فَحَمَلَ أَبُو فُدَيْكٍ وَأَصْحَابُهُ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَكَشَفُوا مَيْسَرَةَ عُمَرَ حَتَّى أَبْعَدُوا ، إِلَّا الْمُغِيرَةَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، وَمُجَّاعَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَفُرْسَانَ النَّاسِ ، فَإِنَّهُمْ مَالُوا إِلَى صَفِّ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِالْمَيْمَنَةِ ، وَجُرِحَ عُمَرُ بْنُ مُوسَى. |
| فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْمَيْسَرَةِ أَهْلَ الْمَيْمَنَةِ لَمْ يَنْهَزِمُوا رَجَعُوا وَقَاتَلُوا وَمَا عَلَيْهِمْ أَمِيرٌ ، لِأَنَّ أَمِيرَهُمْ عُمَرَ بْنَ مُوسَى كَانَ جَرِيحًا ، فَحَمَلُوهُ مَعَهُمْ ، وَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ حَتَّى دَخَلُوا عَسْكَرَ الْخَوَارِجِ ، وَحَمَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ مِنَ الْمَيْمَنَةِ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَيْسَرَةِ حَتَّى اسْتَبَاحُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَقَتَلُوا أَبَا فُدَيْكٍ ، وَحَصَرُوا أَصْحَابَهُ بِالْمُشَقَّرِ ، فَنَزَلُوا عَلَى الْحُكْمِ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ نَحْوُ سِتَّةِ آلَافٍ وَأُسِرَ ثَمَانُمِائَةٍ ، وَوَجَدُوا جَارِيَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ حُبْلَى مِنْ أَبِي فُدَيْكٍ ، وَعَادُوا إِلَى الْبَصْرَةِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْبَصْرَةِ ، وَوَلَّاهَا أَخَاهُ بِشْرًا ، فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ الْمِصْرَانِ الْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ ، فَسَارَ بِشْرٌ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرَو بْنَ حُرَيْثٍ. |
| وَفِيهَا غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الرُّومَ صَائِفَةً فَهَزَمَهُمْ ، وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةُ عُثْمَانَ بْنِ الْوَلِيدِ بِالرُّومِ مِنْ نَاحِيَةِ أَرْمِينِيَّةَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَالرُّومُ فِي سِتِّينَ أَلْفًا ، فَهَزَمَهُمْ وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ الْحَجَّاجُ ، وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ وَالْيَمَنِ وَالْيَمَامَةِ. |
| وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ ، وَقِيلَ كَانَ عَلَى الْكُوفَةِ بِشْرٌ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ هِشَامُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ بُكَيْرُ بْنُ وَسَّاجٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بِمَكَّةَ ، وَدُفِنَ بِذِي طَوًى ، وَقِيلَ بِفَخٍّ ، وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّ الْحَجَّاجَ أَمَرَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَضَرَبَ ظَهْرَ قَدَمِهِ بِزُجِّ رُمْحٍ مَسْمُومٍ ، فَمَاتَ مِنْهَا ، وَعَادَهُ الْحَجَّاجُ فِي مَرَضِهِ ، فَقَالَ مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا ؟ |
| قَالَ أَنْتَ; لِأَنَّكَ أَمَرْتَ بِحَمْلِ السِّلَاحِ فِي بَلَدٍ لَا يَحِلُّ حَمْلُهُ فِيهِ. |
| وَكَانَ مَوْتُهُ بَعْدَ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَانَ عُمُرُهُ سَبْعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا مَاتَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ. |
| وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ. |
| وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ. |
| وَمَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ أَبُو غَسَّانَ الْبَكْرِيُّ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، وَوُلِدَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| وَتُوُفِّيَ سَلْمُ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ قَبْلَ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ. |
| وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ ابْنِهَا بِقَلِيلٍ ، وَكَانَتْ قَدْ عَمِيَتْ ، وَكَانَتْ مُطَلَّقَةً مِنَ الزُّبَيْرِ ، قِيلَ إِنَّ ابْنَهَا عَبْدَ اللَّهِ قَالَ لَهُ مِثْلِي لَا تُوطَأُ أُمُّهُ ، فَطَلَّقَهَا. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَشَاهِدِهِ خَيْبَرُ. |
| وَمُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ قَبْلَ ابْنِ عُمَرَ بِيَسِيرٍ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مَعْبَدُ بْنُ خَالِدٍ الْجُهَنِيُّ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَلَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِيهَا قُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ. |
| رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ. |
| وَمُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ بِضَمِّ الْحَاءِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ الْمُهْمَلَتَيْنِ ، وَآخِرُهُ جِيمٌ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ طَارِقًا عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا الْحَجَّاجَ ، فَأَقَامَ بِهَا شَهْرًا ، وَفَعَلَ بِالصَّحَابَةِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَخَرَجَ عَنْهَا مُعْتَمِرًا. |
| وَفِيهَا هَدَمَ الْحَجَّاجُ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ الَّذِي كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بَنَاهُ ، وَأَعَادَهَا إِلَى الْبِنَاءِ الْأَوَّلِ ، وَأَخْرَجَ الْحِجْرَ مِنْهَا ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقُولُ كَذَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى عَائِشَةَ فِي أَنَّ الْحِجْرَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَلَمَّا قِيلَ لَهُ قَالَ غَيْرُ ابْنِ الزُّبَيْرِ إِنَّهَا رَوَتْ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُهُ وَمَا يُحَمَّلُ. |
| وَفِيهَا اسْتَقْضَى عَبْدُ الْمَلِكِ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ الْمُهَلَّبِ حَرْبَ الْأَزَارِقَةِ لَمَّا اسْتَعْمَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَخَاهُ بِشْرًا عَلَى الْبَصْرَةِ سَارَ إِلَيْهَا ، فَأَتَاهُ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْعَثَ الْمُهَلَّبَ إِلَى حَرْبِ الْأَزَارِقَةِ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَوُجُوهِهِمْ ، وَكَانَ يَنْتَخِبُ مِنْهُمْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتْرُكَهُ وَرَاءَهُ فِي الْحَرْبِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَبْعَثَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ رَجُلًا شَرِيفًا مَعْرُوفًا بِالْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ وَالتَّجْرِبَةِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتْبَعُوا الْخَوَارِجَ أَيْنَ كَانُوا حَتَّى يُهْلِكُوهُمْ. |
| فَأَرْسَلَ الْمُهَلَّبُ جُدَيْعَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ قَبِيصَةَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْتَخِبَ النَّاسَ مِنَ الدِّيوَانِ ، وَشَقَّ عَلَى بِشْرٍ أَنَّ إِمْرَةَ الْمُهَلَّبِ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَوْغَرَتْ صَدْرَهُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّهُ أَذْنَبَ إِلَيْهِ ، فَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مِخْنَفٍ فَقَالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَتَكَ عِنْدِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُوَلِّيَكَ هَذَا الْجَيْشَ الَّذِي أُسَيِّرُهُ مِنَ الْكُوفَةِ لِلَّذِي عَرَفْتُهُ مِنْكَ ، فَكُنْ عِنْدَ أَحْسَنِ ظَنِّي بِكَ ، وَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْكَذَا كَذَا ، يَقَعُ فِي الْمُهَلَّبِ ، فَاسْتَبِدَّ عَلَيْهِ بِالْأَمْرِ ، وَلَا تَقْبَلَنَّ لَهُ مَشُورَةً وَلَا رَأْيًا ، وَتَنَقَّصْهُ. |
| قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَتَرَكَ أَنْ يُوصِيَنِي بِالْجَيْشِ ، وَقِتَالِ الْعَدُوِّ ، وَالنَّظَرِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَأَقْبَلَ يُغْرِينِي بِابْنِ عَمِّي كَأَنِّي مِنَ السُّفَهَاءِ ، مَا رَأَيْتُ شَخْصًا مِثْلِي طُمِعَ مِنْهُ فِي مِثْلِ هَذَا ، قَالَ فَلَمَّا رَأَى أَنِّي لَسْتُ بِنَشِيطٍ إِلَى جَوَابِهِ قَالَ لِي مَا لَكَ ؟ |
| قُلْتُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، وَهَلْ يَسَعُنِي إِلَّا إِنْفَاذُ أَمْرِكَ فِيمَا أَحْبَبْتُ وَكَرِهْتُ! |
| وَسَارَ الْمُهَلَّبُ حَتَّى نَزَلَ رَامَهُرْمُزَ ، فَلَقِيَ بِهَا الْخَوَارِجَ فَخَنْدَقَ عَلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ وَمَعَهُ بِشْرُ بْنُ جَرِيرٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَزَحْرُ بْنُ قَيْسٍ ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى مِيلٍ مِنَ الْمُهَلَّبِ ، حَيْثُ يَتَرَاءَى الْعَسْكَرَانِ بِرَامَهُرْمُزَ ، فَلَمْ يَلْبَثِ الْعَسْكَرُ إِلَّا عَشْرًا حَتَّى أَتَاهُمْ نَعْيُ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ ، تُوُفِّيَ بِالْبَصْرَةِ ، فَتَفَرَّقَ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ بِشْرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ، وَكَانَ خَلِيفَتَهُ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ. |
| وَكَانَ الَّذِينَ انْصَرَفُوا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ زَحْرُ بْنُ قَيْسٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ ، فَأَتَوُا الْأَهْوَازَ ، فَاجْتَمَعَ بِهَا نَاسٌ كَثِيرٌ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ يَأْمُرُهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، وَيُهَدِّدُهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا بِالضَّرْبِ وَالْقَتْلِ ، وَيُحَذِّرُهُمْ عُقُوبَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا قَرَأَ الرَّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ عَلَيْهِمْ سَطْرًا أَوْ سَطْرَيْنِ قَالَ زَحْرٌ أَوْجِزْ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ لَمْ يَلْتَفِتِ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ زَحْرٌ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى نَزَلُوا إِلَى جَانِبِ الْكُوفَةِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ إِنَّ النَّفَرَ لَمَّا بَلَغَهُمْ وَفَاةُ الْأَمِيرِ تَفَرَّقُوا ، فَأَقْبَلْنَا إِلَى مِصْرِنَا وَأَحْبَبْنَا أَلَّا نَدْخُلَ إِلَّا بِإِذْنِ الْأَمِيرِ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ عَوْدَهُمْ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْكُوفَةِ ، فَانْتَظَرُوا اللَّيْلَ ثُمَّ دَخَلُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ ، فَأَقَامُوا حَتَّى قَدِمَ الْحَجَّاجُ أَمِيرًا. |
| ذِكْرُ عَزْلِ بُكَيْرٍ عَنْ خُرَاسَانَ ، وَوِلَايَةِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بُكَيْرَ بْنَ وَسَّاجٍ عَنْ خُرَاسَانَ ، وَوَلَّاهَا أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ، وَكَانَتْ وِلَايَةُ بُكَيْرٍ سَنَتَيْنِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِهِ أَنَّ تَمِيمًا اخْتَلَفَتْ بِهَا ، فَصَارَتْ مُقَاعِسُ وَالْبُطُونُ يَتَعَصَّبُونَ لِبَحِيرٍ ، وَيَطْلُبُونَ بُكَيْرًا ، وَصَارَتْ عَوْفٌ وَالْأَبْنَاءُ يَتَعَصَّبُونَ لِبُكَيْرٍ ، وَكُلُّ هَذِهِ بُطُونٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَخَافَ أَهْلُ خُرَاسَانَ أَنْ تَعُودَ الْحَرْبُ وَتَفْسَدَ الْبِلَادُ وَيَقْهَرَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، فَكَتَبُوا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِذَلِكَ ، وَأَنَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَى رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَا يَحْسُدُونَهُ وَلَا يَتَعَصَّبُونَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَشَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ فِيمَنْ يُوَلِّيهِ ، فَقَالَ أُمَيَّةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَدَارَكْهُمْ بِرَجُلٍ مِنْكَ. |
| قَالَ لَوْلَا انْهِزَامُكَ عَنْ أَبِي فُدَيْكٍ كُنْتَ لَهَا. |
| قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ مَا انْهَزَمْتُ حَتَّى خَذَلَنِيَ النَّاسُ ، وَلَمْ أَجِدْ مُقَاتِلًا ، فَرَأَيْتُ أَنَّ انْحِيَازِي إِلَى فِئَةٍ أَفْضَلُ مِنْ تَعْرِيضِي عُصْبَةً بَقِيَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِلْهَلَكَةِ ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْكَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِعُذْرِي ، وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ ذَلِكَ. |
| فَوَلَّاهُ خُرَاسَانَ. |
| وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُحِبُّهُ ، فَقَالَ النَّاسُ مَا رَأَيْنَا أَحَدًا عُوِّضَ مِنْ هَزِيمَةٍ مَا عُوِّضَ أُمَيَّةُ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ بُكَيْرٌ بِمَسِيرِهِ أَرْسَلَ إِلَى بَحِيرٍ وَهُوَ فِي حَبْسِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي مَقْتَلِ ابْنِ خَازِمٍ ، يَطْلُبُ مِنْهُ الصُّلْحَ ، فَامْتَنَعَ بَحِيرٌ وَقَالَ ظَنَّ بُكَيْرٌ أَنَّ خُرَاسَانَ تَبْقَى لَهُ فِي الْجَمَاعَةِ. |
| وَمَشَتِ السُّفَرَاءُ بَيْنَهُمْ ، فَأَبَى ذَلِكَ بَحِيرٌ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنٍ الضَّبِّيُّ فَقَالَ أَرَاكَ أَحْمَقَ! |
| يُرْسِلُ إِلَيْكَ ابْنُ عَمِّكَ يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ ، وَأَنْتَ أَسِيرُهُ وَالسَّيْفُ بِيَدِهِ ، وَلَوْ قَتَلَكَ مَا حَبِقْتَ ، فَلَا تَقْبَلُ مِنْهُ ؟! |
| اقْبَلِ الصُّلْحَ ، وَاخْرُجْ وَأَنْتَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِكَ. |
| فَقَبِلَ مِنْهُ وَصَالَحَ بُكَيْرًا. |
| فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بُكَيْرٌ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَلَّا يُقَاتِلَهُ ، وَخَرَجَ بَحِيرٌ فَأَقَامَ يَسْأَلُ عَنْ مَسِيرِ أُمَيَّةَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ قَدْ قَارَبَ نَيْسَابُورَ سَارَ إِلَيْهِ وَلَقِيَهُ بِهَا ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ خُرَاسَانَ وَمَا يَحْسُنُ بِهِ طَاعَةُ أَهْلِهَا ، وَرَفَعَ عَلَى بُكَيْرٍ أَمْوَالًا أَخَذَهَا ، وَحَذَّرَهُ غَدْرَهُ وَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَ مَرْوَ ، وَكَانَ أُمَيَّةُ كَرِيمًا ، وَلَا يَعَرِضُ لِبُكَيْرٍ وَلَا لِعُمَّالِهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ شُرْطَتَهُ فَأَبَى ، فَوَلَّاهَا بَحِيرَ بْنَ وَرْقَاءَ ، فَلَامَ بُكَيْرًا رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَ كُنْتُ بِالْأَمْسِ أَمِيرًا تُحْمَلُ الْحِرَابُ بَيْنَ يَدَيَّ ، فَأَصِيرُ الْيَوْمَ أَحْمِلُ الْحَرْبَةَ! |
| ثُمَّ خَيَّرَ أُمَيَّةُ بُكَيْرًا أَنْ يُوَلِّيَهُ مَا شَاءَ مِنْ خُرَاسَانَ ، فَاخْتَارَ طَخَارِسْتَانَ ، قَالَ فَتَجَهَّزَ لَهَا ، فَأَنْفَقَ مَالًا كَثِيرًا. |
| فَقَالَ بَحِيرٌ لِأُمَيَّةَ إِنْ أَتَى طَخَارِسْتَانَ خَلَعَكَ. |
| وَحَذَّرَهُ ، فَلَمْ يُولِّهِ. |
| أَسِيدٌ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَكَسْرِ السِّينِ. |
| وَبَحِيرٌ بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَكَسْرِ الْحَاءِ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ سِجِسْتَانَ لَمَّا وَصَلَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى كَرْمَانَ اسْتَعْمَلَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ عَلَى سِجِسْتَانَ ، فَلَمَّا قَدِمَهَا غَزَا رُتْبِيلَ الَّذِي مَلَكَ بَعْدَ الْمَقْتُولِ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ رُتْبِيلُ هَائِبًا لِلْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا وَصَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى بُسْتٍ أَرْسَلَ رُتْبِيلُ يَطْلُبُ الصُّلْحَ وَبَذَلَ أَلْفَ أَلْفٍ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهَدَايَا وَرَقِيقٍ ، فَأَبَى عَبْدُ اللَّهِ قَبُولَ ذَلِكَ وَقَالَ إِنْ مَلَأَ لِي هَذَا الرِّوَاقَ ذَهَبًا ، وَإِلَّا فَلَا صُلْحَ. |
| وَكَانَ غِرًّا ، فَخَلَى لَهُ رُتْبِيلُ الْبِلَادَ حَتَّى أَوْغَلَ فِيهَا ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الشِّعَابَ وَالْمَضَايِقَ ، وَطَلَبَ أَنْ يُخَلِّيَ عَنْهُ وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَأَبَى رُتْبِيلُ وَقَالَ بَلْ يَأْخُذُ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ صُلْحًا ، وَيَكْتُبُ لَنَا بِهِ كِتَابًا ، وَلَا يَغْزُو بِلَادَنَا مَا كُنْتُ أَمِيرًا ، وَلَا يَحْرِقْ وَلَا يُخَرِّبْ. |
| فَفَعَلَ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَعَزَلَهُ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ حَسَّانَ بْنِ النُّعْمَانِ إِفْرِيقِيَّةَ قَدْ ذَكَرْنَا وِلَايَةَ زُهَيْرِ بْنِ قَيْسٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، وَكَانَ قَتْلُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ، فَلَمَّا عَلِمَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَتْلَهُ عَظُمَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَهَمَّهُ ذَلِكَ ، وَشَغَلَهُ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ ، جَهَّزَ جَيْشًا كَثِيرًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى إِفْرِيقِيَّةَ حَسَّانَ بْنَ النُّعْمَانِ الْغَسَّانِيَّ ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَلَمْ يَدْخُلْ إِفْرِيقِيَّةَ قَطُّ جَيْشٌ مِثْلُهُ. |
| فَلَمَّا وَرَدَ الْقَيْرَوَانَ تَجَهَّزَ مِنْهَا وَسَارَ إِلَى قَرْطَاجَنَّةَ ، وَكَانَ صَاحِبُهَا أَعْظَمَ مُلُوكِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَلَمْ يَكُنِ الْمُسْلِمُونَ قَطُّ حَارَبُوهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا رَأَى بِهَا مِنَ الرُّومِ وَالْبَرْبَرِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، فَقَاتَلَهُمْ وَحَصَرَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ اجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى الْهَرَبِ ، فَرَكِبُوا فِي مَرَاكِبِهِمْ ، وَسَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى صِقِلِّيَةَ ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَدَخَلَهَا حَسَّانُ بِالسَّيْفِ ، فَسَبَى وَنَهَبَ ، وَقَتَلَهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَأَرْسَلَ الْجُيُوشَ فِيمَا حَوْلَهَا ، فَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ خَوْفًا ، فَأَمَرَهُمْ فَهَدَمُوا مِنْ قَرْطَاجَنَّةَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ. |
| ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ الرُّومَ وَالْبَرْبَرَ قَدِ اجْتَمَعُوا لَهُ فِي صَطْفُورَةَ وَبَنْزِرْتَ ، وَهُمَا مَدِينَتَانِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَقَاتَلَهُمْ ، وَلَقِيَ مِنْهُمْ شِدَّةً وَقُوَّةً ، فَصَبَرَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَانْهَزَمَتِ الرُّومُ وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى بِلَادِهِمْ ، وَلَمْ يَتْرُكْ حَسَّانُ مَوْضِعًا مِنْ بِلَادِهِمْ إِلَّا وَطِئَهُ ، وَخَافَهُ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ خَوْفًا شَدِيدًا ، وَلَجَأَ الْمُنْهَزِمُونَ مِنَ الرُّومِ إِلَى مَدِينَةِ بَاجَةَ ، فَتَحَصَّنُوا بِهَا ، وَتَحَصَّنَ الْبَرْبَرُ بِمَدِينَةِ بُونَةَ ، فَعَادَ حَسَّانُ إِلَى الْقَيْرَوَانِ لِأَنَّ الْجِرَاحَ قَدْ كَثُرَتْ فِي أَصْحَابِهِ ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى صَحُّوا. |
| ذِكْرُ تَخْرِيبِ إِفْرِيقِيَّةَ لَمَّا صَلُحَ النَّاسُ قَالَ حَسَّانُ دُلُّونِي عَلَى أَعْظَمِ مَنْ بَقِيَ مِنْ مُلُوكِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَدَلُّوهُ عَلَى امْرَأَةٍ تَمْلِكُ الْبَرْبَرَ تُعْرَفُ بِالْكَاهِنَةِ ، وَكَانَتْ تُخْبِرُهُمْ بِأَشْيَاءَ مِنَ الْغَيْبِ ، وَلِهَذَا سُمِّيَتِ الْكَاهِنَةَ ، وَكَانَتْ بَرْبَرِيَّةً ، وَهِيَ بِجَبَلِ أُورَاسَ ، وَقَدِ اجْتَمَعَ حَوْلَهَا الْبَرْبَرُ بَعْدَ قَتْلِ كُسَيْلَةَ ، فَسَأَلَ أَهْلَ إِفْرِيقِيَّةَ عَنْهَا ، فَعَظَّمُوا مَحَلَّهَا وَقَالُوا لَهُ إِنْ قَتَلْتَهَا لَمْ تَخْتَلِفِ الْبَرْبَرُ بَعْدَهَا عَلَيْكَ. |
| فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا قَارَبَهَا هَدَمَتْ حِصْنَ بَاغَايَةَ ظَنًّا مِنْهَا أَنَّهُ يُرِيدُ الْحُصُونَ ، فَلَمْ يُعَرِّجْ حَسَّانُ عَلَى ذَلِكَ وَسَارَ إِلَيْهَا ، فَالْتَقَوْا عَلَى نَهْرِ نِينِي ، وَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ رَآهُ النَّاسُ ، فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَانْهَزَمَ حَسَّانُ وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ أَطْلَقَتْهُمُ الْكَاهِنَةُ ، سِوَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ الْقَيْسِيِّ ، وَكَانَ شَرِيفًا شُجَاعًا ، فَاتَّخَذَتْهُ وَلَدًا. |
| وَسَارَ حَسَّانُ حَتَّى فَارَقَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَأَقَامَ وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعْلِمُهُ الْحَالَ ، فَأَمَرَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بِالْمُقَامِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ أَمْرُهُ. |
| فَأَقَامَ بِعَمَلِ بَرْقَةَ خَمْسَ سِنِينَ ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَكَانُ قُصُورَ حَسَّانَ إِلَى الْآنِ ، وَمَلَكَتِ الْكَاهِنَةُ إِفْرِيقِيَّةَ كُلَّهَا ، وَأَسَاءَتِ السِّيرَةَ فِي أَهْلِهَا وَعَسَفَتْهُمْ وَظَلَمَتْهُمْ. |
| ثُمَّ سَيَّرَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ الْجُنُودَ وَالْأَمْوَالَ ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَقِتَالِ الْكَاهِنَةِ ، فَأَرْسَلَ حَسَّانُ رَسُولًا سِرًّا إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَهُوَ عِنْدَ الْكَاهِنَةِ ، بِكِتَابٍ يَسْتَعْلِمُ مِنْهُ الْأُمُورَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ خَالِدٌ جَوَابَهُ فِي رُقْعَةٍ يُعَرِّفُهُ تَفَرُّقَ الْبَرْبَرِ ، وَيَأْمُرُهُ بِالسُّرْعَةِ ، وَجَعَلَ الرُّقْعَةَ فِي خُبْزَةٍ ، وَعَادَ الرَّسُولُ ، فَخَرَجَتِ الْكَاهِنَةُ نَاشِرَةً شَعْرَهَا تَقُولُ ذَهَبَ مُلْكُهُمْ فِيمَا يَأْكُلُ النَّاسُ. |
| فَطُلِبَ الرَّسُولُ فَلَمْ يُوجَدْ ، فَوَصَلَ إِلَى حَسَّانَ وَقَدِ احْتَرَقَ الْكِتَابُ بِالنَّارِ ، فَعَادَ إِلَى خَالِدٍ وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِمَا كَتَبَ أَوَّلًا ، وَأَوْدَعَهُ قَرَبُوسَ السَّرْجِ. |
| فَسَارَ حَسَّانُ ، فَلَمَّا عَلِمَتِ الْكَاهِنَةُ بِمَسِيرِهِ إِلَيْهَا قَالَتْ إِنَّ الْعَرَبَ يُرِيدُونَ الْبِلَادَ وَالذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، وَنَحْنُ إِنَّمَا نُرِيدُ الْمَزَارِعَ وَالْمَرَاعِيَ ، وَلَا أَرَى إِلَّا أَنْ أُخَرِّبَ إِفْرِيقِيَّةَ حَتَّى يَيْأَسُوا مِنْهَا. |
| وَفَرَّقَتْ أَصْحَابَهَا لِيُخَرِّبُوا الْبِلَادَ ، فَخَرَّبُوهَا وَهَدَمُوا الْحُصُونَ وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ ، وَهَذَا هُوَ الْخَرَابُ الْأَوَّلُ لِإِفْرِيقِيَّةَ. |
| فَلَمَّا قَرُبَ حَسَّانُ مِنَ الْبِلَادِ لَقِيَهُ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِهَا مِنَ الرُّومِ يَسْتَغِيثُونَ مِنَ الْكَاهِنَةِ ، وَيَشْكُونَ إِلَيْهِ مِنْهَا ، فَسَرَّهُ ذَلِكَ وَسَارَ إِلَى قَابِسَ ، فَلَقِيَهُ أَهْلُهَا بِالْأَمْوَالِ وَالطَّاعَةِ ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَتَحَصَّنُونَ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَجَعَلَ فِيهَا عَامِلًا ، وَسَارَ إِلَى قَفْصَةَ لِيَتَقَرَّبَ الطَّرِيقَ ، فَأَطَاعَهُ مَنْ بِهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَعَلَى قَسْطِيلِيَةَ وَنَفْزَاوَةَ. |
| وَبَلَغَ الْكَاهِنَةَ قُدُومُهُ ، فَأَحْضَرَتْ وَلَدَيْنِ لَهَا وَخَالِدَ بْنَ يَزِيدَ ، وَقَالَتْ لَهُمْ إِنَّنِي مَقْتُولَةٌ ، فَامْضُوا إِلَى حَسَّانَ ، وَخُذُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْهُ أَمَانًا. |
| فَسَارُوا إِلَيْهِ وَبَقُوا مَعَهُ ، وَسَارَ حَسَّانُ نَحْوَهَا ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ الْفَنَاءُ ، ثُمَّ نَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ ، وَانْهَزَمَ الْبَرْبَرُ وَقُتِلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَانْهَزَمَتِ الْكَاهِنَةُ ، ثُمَّ أُدْرِكَتْ فَقُتِلَتْ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْبَرْبَرَ اسْتَأْمَنُوا إِلَى حَسَّانَ ، فَآمَنَهُمْ وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ عَسْكَرٌ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عُدَّتَهُمُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا يُجَاهِدُونَ الْعَدُوَّ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَجَعَلَ عَلَى هَذَا الْعَسْكَرِ ابْنَيِ الْكَاهِنَةِ. |
| ثُمَّ فَشَا الْإِسْلَامُ فِي الْبَرْبَرِ ، وَعَادَ حَسَّانُ إِلَى الْقَيْرَوَانِ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ ، وَأَقَامَ لَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ عَبْدُ الْمَلِكِ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَّى إِفْرِيقِيَّةَ عَمَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَرْوَانَ ، فَعَزَلَ عَنْهَا حَسَّانَ ، وَاسْتَعْمَلَ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. |
| وَقَدْ ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ الْكَاهِنَةَ خَرَجَتْ غَضَبًا لِقَتْلِ كُسَيْلَةَ ، وَمَلَكَتْ إِفْرِيقِيَّةَ جَمِيعَهَا ، وَعَمِلَتْ بِأَهْلِهَا الْأَفَاعِيلَ الْقَبِيحَةَ ، وَظَلَمَتْهُمُ الظُّلْمَ الشَّنِيعَ ، وَنَالَ مَنْ بِالْقَيْرَوَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَذًى شَدِيدًا بَعْدَ قَتْلِ زُهَيْرِ بْنِ قَيْسٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ ، فَاسْتَعْمَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ حَسَّانَ بْنَ النُّعْمَانِ ، فَسَارَ فِي جُيُوشٍ كَثِيرَةٍ وَقَصَدَ الْكَاهِنَةَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَعَادَ حَسَّانُ مُنْهَزِمًا إِلَى نَوَاحِي بَرْقَةَ ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ جَيْشًا كَثِيفًا ، وَأَمَرَهُ بِقَصْدِ الْكَاهِنَةِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَقَاتَلَهَا فَهَزَمَهَا ، وَقَتَلَهَا وَقَتَلَ أَوْلَادَهَا ، وَعَادَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا قَتَلَ الْكَاهِنَةَ عَادَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ رَجُلًا اسْمُهُ أَبُو صَالِحٍ ، إِلَيْهِ يُنْسَبُ فَحْصُ صَالِحٍ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ حَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ ، وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْحٌ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ هِشَامُ بْنُ هُبَيْرَةَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ اعْتَمَرَ هَذِهِ السَّنَةَ. |
| وَلَا يَصِحُّ. |
| وَفِيهَا غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الرُّومَ صَائِفَةً ، فَبَلَغَ أَنْدُولِيَّةَ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ السُّوَائِيُّ فِي إِمَارَةِ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ بِالْكُوفَةِ ، وَفِي إِمَارَتِهِ أَيْضًا مَاتَ أَبُو جُحَيْفَةَ بِالْكُوفَةِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونَ الْأَوْدِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ، وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ ، وَهُوَ مِنَ الْمُعَمِّرِينَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَكَانَ مِنْ عُمَّالِ عُمَرَ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ التَّيْمِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبِ بْنِ الْحَارِثِ الْجُمَحِيُّ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو سَعِيدِ بْنُ مُعَلَّى الْأَنْصَارِيُّ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَوْسُ بْنُ ضَمْعَجٍ الْكُوفِيُّ. |
| ضَمْعَجٌ بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ وَالْجِيمِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الصَّائِفَةَ حِينَ خَرَجَتِ الرُّومُ مِنْ قِبَلِ مَرْعَشٍ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الْعِرَاقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ الْعِرَاقَ دُونَ خُرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بِعَهْدِهِ عَلَى الْعِرَاقِ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَسَارَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَاكِبًا عَلَى النَّجَائِبِ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ حِينَ انْتَشَرَ النَّهَارُ ، فَجْأَةً ، وَقَدْ كَانَ بِشْرٌ بَعَثَ الْمُهَلَّبَ إِلَى الْخَوَارِجِ ، فَبَدَأَ الْحَجَّاجُ بِالْمَسْجِدِ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَهُوَ مُتَلَثِّمٌ بِعِمَامَةِ خَزٍّ حَمْرَاءَ فَقَالَ عَلَيَّ بِالنَّاسِ ، فَحَسِبُوهُ وَأَصْحَابَهُ خَارِجِيَّةً ، فَهَمُّوا بِهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَنْتَظِرُ اجْتِمَاعَهُمْ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَهُوَ سَاكِتٌ قَدْ أَطَالَ السُّكُوتَ ، فَتَنَاوَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ حَصْبَاءَ وَأَرَادَ أَنْ يَحْصِبَهُ بِهَا وَقَالَ قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَغْبَاهُ وَأَذَمَّهُ! |
| وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسَبُ خَبَرَهُ كَرُوَائِهِ. |
| فَلَمَّا تَكَلَّمَ الْحَجَّاجُ جَعَلَتِ الْحَصْبَاءُ تَنْتَثِرُ مِنْ يَدِهِ وَهُوَ لَا يَعْقِلُ بِهِ ، قَالَ ثُمَّ كَشَفَ الْحَجَّاجُ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا... |
| مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْمِلُ الشَّرَّ مَحْمَلَهُ ، وَأَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ ، وَأَجْزِيهِ بِمِثْلِهِ ، وَإِنِّي لَأَرَى رُؤُوسًا قَدْ أَيْنَعَتْ وَقَدْ حَانَ قِطَافُهَا ، إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ بَيْنَ الْعَمَائِمِ وَاللِّحَى قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا تَشْمِيرًا... |
| هَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ فَاشْتَدِّي زِيَمْ قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ... |
| لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمْ وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ ثُمَّ قَالَ قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصْلَبِيٍّ... |
| أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِّيِّ مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيِّ... |
| لَيْسَ أَوَانَ بَكْرَةِ الْخِلَاطِ جَاءَتْ بِهِ وَالْقُلُّصِ الْأَعْلَاطِ... |
| تَهْوِي هُوِيَّ سَابِقِ الْغَطَاطِ إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أُغْمَزُ كَتِغْمَازِ التِّينِ ، وَلَا يُقَعْقَعُ لِي بِالشِّنَانِ ، وَلَقَدْ فُرِرْتُ عَنْ ذَكَاءٍ ، وَجَرَيْتُ إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى. |
| ثُمَّ قَرَأَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ النحل ، وَأَنْتُمْ أُولَئِكَ وَأَشْبَاهُ أُولَئِكَ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ نَثَرَ كِنَانَتَهُ ، فَعَجَمَ عِيدَانَهَا ، فَوَجَدَنِي أَمَرَّهَا عُودًا ، وَأَصْلَبَهَا مَكْسَرًا ، فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ ، وَرَمَى بِي فِي نُحُورِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ أَهْلُ بَغْيٍ وَخِلَافٍ وَشِقَاقٍ وَنِفَاقٍ ، فَإِنَّكُمْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِي الشَّرِّ ، وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ الْغَيِّ ، فَاسْتَوْثِقُوا وَاسْتَقِيمُوا ، فَوَاللَّهِ لَأُذِيقَنَّكُمُ الْهَوَانَ ، وَلَأُمْرِيَنَّكُمْ بِهِ حَتَّى تَدِرُّوا ، وَلَأَلْحُوَنَّكُمْ لَحْوَ الْعُودِ ، وَلَأَعْصُبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّلَمَةِ حَتَّى تُذَلُّوا ، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ حَتَّى تَذَرُوا الْعِصْيَانَ وَتَنْقَادُوا ، وَلَأَقْرَعَنَّكُمْ قَرْعَ الْمَرْوَةِ حَتَّى تَلِينُوا ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعِدُ إِلَّا وَفَيْتُ ، وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ ، فَإِيَّايَ وَهَذِهِ الْجَمَاعَاتِ ، فَلَا يَرْكَبَنَّ رَجُلٌ إِلَّا وَحْدَهُ ، أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُقْبِلُنَّ عَلَى الْإِنْصَافِ ، وَلَتَدَعُنَّ الْإِرْجَافَ ، وَقِيلًا وَقَالًا وَمَا تَقُولُ وَمَا يَقُولُ وَأَخْبَرَنِي فُلَانٌ ، أَوْ لَأَدَعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ! |
| فِيمَ أَنْتُمْ وَذَاكَ ؟ |
| وَاللَّهِ لَتَسْتَقِيمُنَّ عَلَى الْحَقِّ ، أَوْ لَأَضْرِبَنَّكُمْ بِالسَّيْفِ ضَرْبًا يَدَعُ النِّسَاءَ أَيَامَى ، وَالْوِلْدَانَ يَتَامَى ، حَتَّى تَذَرُوا السُّمَّهَى ، وَتُقْلِعُوا عَنْ هَا وَهَا ، أَلَا إِنَّهُ لَوْ سَاغَ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَتُهُمْ مَا جُبِيَ فَيْءٌ ، وَلَا قُوتِلَ عَدُوٌّ ، وَلَعُطِّلَتِ الثُّغُورُ ، وَلَوْلَا أَنَّهُمْ يُغْزَوْنَ كَرْهًا مَا غُزُوا طَوْعًا! |
| وَقَدْ بَلَغَنِي رَفْضُكُمُ الْمُهَلَّبَ ، وَإِقْبَالُكُمْ عَلَى مِصْرِكُمْ عَاصِينَ مُخَالِفِينَ ، وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أَجِدُ أَحَدًا مِنْ عَسْكَرِهِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَأَنْهَبْتُ دَارَهُ! |
| ثُمَّ أَمَرَ بِكِتَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقُرِئَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا قَالَ الْقَارِئُ أَمَّا بَعْدُ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ ، قَالَ لَهُ اقْطَعْ ، ثُمَّ قَالَ يَا عَبِيدَ الْعَصَا ، يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يَرُدُّ رَادٌّ مِنْكُمُ السَّلَامَ! |
| أَمَا وَاللَّهِ لَأُؤَدِّبَنَّكُمْ غَيْرَ هَذَا الْأَدَبِ! |
| ثُمَّ قَالَ لِلْقَارِئِ اقْرَأْ ، فَلَمَّا قَرَأَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ سَلَامُ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. |
| ثُمَّ دَخَلَ مُنْزِلَهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ دَعَا الْعُرَفَاءَ وَقَالَ أَلْحِقُوا النَّاسَ بِالْمُهَلَّبِ ، وَائْتُونِي بِالْبَرَاءَاتِ بِمُوَافَاتِهِمْ ، وَلَا تَغْلِقُنَّ أَبْوَابَ الْجِسْرِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا حَتَّى تَنْقَضِيَ هَذِهِ الْمُدَّةُ. |
| تَفْسِيرُ هَذِهِ الْخُطْبَةِ قَوْلُهُ أَنَا ابْنُ جَلَا ، فَابْنُ جَلَا هُوَ الصُّبْحُ لِأَنَّهُ يَجْلُو الظُّلْمَةَ. |
| وَقَوْلُهُ فَاشْتَدِّي زِيَمْ ، هُوَ اسْمٌ لِلْحَرْبِ. |
| وَالْحُطَمُ الَّذِي يَحْطِمُ كُلَّ مَا مَرَّ بِهِ. |
| وَالْوَضَمُ مَا وُقِيَ بِهِ اللَّحْمُ عَنِ الْأَرْضِ. |
| وَالْعَصْلَبِيُّ الشَّدِيدُ. |
| وَالْأَعْلَاطُ مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي لَا أَرْسَانَ عَلَيْهَا. |
| وَقَوْلُهُ فَعَجَمَ عِيدَانَهَا ، أَيْ عَضَّهَا وَاخْتَبَرَهَا. |
| وَقَوْلُهُ لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّلَمَةِ ، فَالْعَصْبُ الْقَطْعُ ، وَالسَّلَمُ شَجَرٌ مِنَ الْعِضَاهِ. |
| وَقَوْلُهُ لَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ ، فَالْخَلْقُ التَّقْدِيرُ ، وَيُقَالُ فَرَيْتُ الْأَدِيمَ إِذَا أَصْلَحْتُهُ. |
| وَالسُّمَّهَى الْبَاطِلُ ، وَأَصْلُهُ مَا تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ مُخَاطَ الشَّيْطَانِ. |
| وَالْعُطَاطُ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ ، وَقِيلَ بِفَتْحِهَا ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ سَمِعَ تَكْبِيرًا فِي السُّوقِ ، فَخَرَجَ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَأَهْلَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، وَمَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ! |
| إِنِّي سَمِعْتُ تَكْبِيرًا لَيْسَ بِالتَّكْبِيرِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ، وَلَكِنَّهُ التَّكْبِيرُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ التَّرْهِيبُ ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا عَجَاجَةٌ تَحْتَهَا قَصْفٌ ، يَا بَنِي اللَّكِيعَةِ وَعَبِيدَ الْعَصَا ، وَأَبْنَاءَ الْأَيَامَى ، أَلَا يَرْبَعُ رَجُلٌ مِنْكُمْ عَلَى ظَلْعِهِ ، وَيُحْسِنُ حَقْنَ دَمِهِ ، وَيَعْرِفُ مَوْضِعَ قَدَمِهِ! |
| فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَأُوشِكُ أَنْ أُوقِعَ بِكُمْ وَقْعَةً تَكُونُ نَكَالًا لِمَا قَبْلَهَا ، وَأَدَبًا لِمَا بَعْدَهَا. |
| فَقَامَ عُمَيْرُ بْنُ ضَابِئٍ الْحَنْظَلِيُّ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَنَا فِي هَذَا الْبَعْثِ ، وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ ، وَابْنِي هَذَا أَشَبُّ مِنِّي. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ هَذَا خَيْرٌ لَنَا مِنْ أَبِيهِ ، ثُمَّ قَالَ وَمَنْ أَنْتَ ؟ |
| قَالَ أَنَا عُمَيْرُ بْنُ ضَابِئٍ. |
| قَالَ أَسَمِعْتَ كَلَامَنَا بِالْأَمْسِ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ أَلَسْتَ الَّذِي غَزَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَفَلَا إِلَى عُثْمَانَ بُعِثْتَ بَدَلًا ؟ |
| وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ |
| قَالَ إِنَّهُ حَبَسَ أَبِي ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا. |
| قَالَ أَوَلَسْتَ الْقَائِلَ هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي... |
| تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهْ إِنِّي لَأَحْسَبُ أَنَّ فِي قَتْلِكَ صَلَاحَ الْمِصْرَيْنِ. |
| وَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ رَقَبَتُهُ ، وَأُنْهِبَ مَالُهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ عَنْبَسَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ لِلْحَجَّاجِ أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ |
| قَالَ لَا. |
| قَالَ هَذَا أَحَدُ قَتَلَةِ عُثْمَانَ. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ! |
| أَفَلَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بُعِثْتَ بَدِيلًا ؟ |
| ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى أَلَا إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ ضَابِئٍ أَتَى بَعْدَ ثَلَاثَةٍ ، وَكَانَ سَمِعَ النِّدَاءَ فَأَمَرْنَا بِقَتْلِهِ ، أَلَا إِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ بَرِيئَةٌ مِمَّنْ لَمْ يَأْتِ اللَّيْلَةَ مِنْ جُنْدِ الْمُهَلَّبِ. |
| فَخَرَجَ النَّاسُ فَازْدَحَمُوا عَلَى الْجِسْرِ ، وَخَرَجَ الْعُرَفَاءُ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، وَهُوَ بِرَامَهُرْمُزَ ، فَأَخَذُوا كُتُبَهُ بِالْمُوَافَاةِ. |
| فَقَالَ الْمُهَلَّبُ قَدِمَ الْعِرَاقَ الْيَوْمَ رَجُلٌ ذَكَرٌ ، الْيَوْمَ قُوتِلَ الْعَدُوُّ. |
| فَلَمَّا قَتَلَ الْحَجَّاجُ عُمَيْرًا لَقِيَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَامِرٍ الْأَسَدِيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْخَبَرِ ، فَقَالَ أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيتُهُ... |
| أَرَى الْأَمْرَ أَضْحَى مُنْصِبًا مُتَشَعِّبَا تَجَهَّزْ وَأَسْرِعْ فَالْحَقِ الْجَيْشَ لَا أَرَى... |
| سِوَى الْجَيْشِ إِلَّا فِي الْمَهَالِكِ مَذْهَبَا تَخَيَّرْ فَإِمَّا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِئٍ... |
| عُمَيْرًا وَإِمَّا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلَّبَا هُمَا خُطَّتَا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا... |
| رُكُوبُكَ حَوْلِيًّا مِنَ الثَّلْجِ أَشْهَبَا فَحَالَ وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ... |
| رَآهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا فَكَائِنْ تَرَى مِنْ مُكْرَهِ الْغَزْوِ مُسْمِرًا... |
| تَحَمَّمَ حِنْوَ السَّرْجِ حَتَّى تَحَنَّبَا تَحَمَّمَ ، أَيْ لَزِمَهُ حَتَّى صَارَ كَالْحَمِيمِ. |
| وَتَحَنَّبَ اعْوَجَّ. |
| وَالزَّبِيرُ هَاهُنَا بِفَتْحِ الزَّايِ وَكَسْرِ الْبَاءِ. |
| قِيلَ وَكَانَ قُدُومُ الْحَجَّاجِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَوَجَّهَ الْحَكَمَ بْنَ أَيُّوبَ الثَّقَفِيَّ عَلَى الْبَصْرَةِ أَمِيرًا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتَدَّ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَبَلَغَ خَالِدًا الْخَبَرُ فَخَرَجَ عَنِ الْبَصْرَةِ ، فَنَزَلَ الْجَلْحَاءَ ، وَشَيَّعَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فَقَسَّمَ فِيهِمْ أَلْفَ أَلْفٍ. |
| فَكَانَ الْحَجَّاجُ أَوَّلَ مَنْ عَاقَبَ بِالْقَتْلِ عَلَى التَّخَلُّفِ عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي يُكْتَبُ إِلَيْهِ. |
| قَالَ الشَّعْبِيُّ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَخَلَّ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُكْتَبُ إِلَيْهِ زَمَنَ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ نُزِعَتْ عِمَامَتُهُ ، وَيُقَامُ لِلنَّاسِ ، وَيُشْهَرُ أَمْرُهُ ، فَلَمَّا وَلِيَ مُصْعَبٌ قَالَ مَا هَذَا بِشَيْءٍ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ حَلْقَ الرُّءُوسِ وَاللِّحَى ، فَلَمَّا وَلِيَ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ زَادَ فِيهِ ، فَصَارَ يَرْفَعُ الرَّجُلَ عَنِ الْأَرْضِ وَيُسَمَّرُ فِي يَدَيْهِ مِسْمَارَانِ فِي حَائِطٍ ، فَرُبَّمَا مَاتَ وَرُبَّمَا خَرَقَ الْمِسْمَارُ كَفَّهُ فَسَلِمَ ، فَقَالَ شَاعِرٌ لَوْلَا مَخَافَةُ بِشْرٍ أَوْ عُقُوبَتِهِ... |
| وَأَنْ يُنَوَّطَ فِي كَفَّيَّ مِسْمَارُ إِذًا لَعَطَّلْتُ ثَغْرِي ثُمَّ زُرْتُكُمُ... |
| إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ فَلَمَّا كَانَ الْحَجَّاجُ قَالَ هَذَا لَعِبٌ ، أَضْرِبُ عُنُقَ مَنْ يَخْلُ مَكَانُهُ مِنَ الثَّغْرِ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ سَعِيدِ بْنِ أَسْلَمَ السِّنْدَ وَقَتْلِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى السِّنْدِ سَعِيدَ بْنَ أَسْلَمَ بْنِ زُرْعَةَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ مُعَاوِيَةُ وَمُحَمَّدٌ ابْنَا الْحَارِثِ الْعِلَاقِيَّانِ فَقَتَلَاهُ ، وَغَلَبَا عَلَى الْبِلَادِ ، فَأَرْسَلَ الْحَجَّاجُ مُجَّاعَةَ بْنَ سِعْرٍ التَّمِيمِيَّ إِلَى السِّنْدِ ، فَغَلَبَ عَلَى ذَلِكَ الثَّغْرِ ، وَغَزَا وَفَتَحَ أَمَاكِنَ مِنْ قَنْدَابِيلَ ، وَمَاتَ مُجَّاعَةُ بَعْدَ سَنَةٍ بِمُكْرَانَ ، فَقِيلَ فِيهِ مَا مِنْ مَشَاهِدِكَ الَّتِي شَاهَدْتَهَا... |
| إِلَّا يَزِيدُكَ ذِكْرُهَا مُجَّاعَا ذِكْرُ وُثُوبِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِالْحَجَّاجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ الْحَجَّاجُ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ عُرْوَةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْبَصْرَةَ خَطَبَهُمْ بِمِثْلِ خُطْبَتِهِ بِالْكُوفَةِ ، وَتَوَعَّدَ مَنْ رَآهُ مِنْهُمْ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ وَلَمْ يَلْحَقْ بِالْمُهَلَّبِ ، فَأَتَاهُ شَرِيكُ بْنُ عَمْرٍو الْيَشْكُرِيُّ ، وَكَانَ بِهِ فَتْقٌ ، وَكَانَ أَعْوَرَ يَضَعُ عَلَى عَيْنِهِ قِطْعَةً ، فَلُقِّبَ ذَا الْكُرْسُفَةِ ، فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّ بِي فَتْقًا ، وَقَدْ رَآهُ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ فَعَذَرَنِي ، وَهَذَا عَطَائِي مَرْدُودٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ. |
| فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، فَلَمْ يَبْقَ بِالْبَصْرَةِ أَحَدٌ مِنْ عَسْكَرِ الْمُهَلَّبِ إِلَّا لَحِقَ بِهِ. |
| فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لَقَدْ أَتَى الْعِرَاقَ رَجُلٌ ذَكَرٌ. |
| وَتَتَابَعَ النَّاسُ مُزْدَحِمِينَ إِلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ جَمْعُهُ. |
| ثُمَّ سَارَ الْحَجَّاجُ إِلَى رُسْتَقْبَاذَ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُهَلَّبِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فَرْسَخًا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَشُدَّ ظَهْرَ الْمُهَلَّبِ وَأَصْحَابِهِ بِمَكَانِهِ ، فَقَامَ بِرُسْتَقْبَاذَ خَطِيبًا حِينَ نَزَلَهَا فَقَالَ يَا أَهْلَ الْمِصْرَيْنِ! |
| هَذَا الْمَكَانُ وَاللَّهِ مَكَانُكُمْ شَهْرًا بَعْدَ شَهْرٍ وَسَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ ، حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ عَدُوَّكُمْ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجَ الْمُطِلِّينَ عَلَيْكُمْ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ خَطَبَ يَوْمًا فَقَالَ إِنَّ الزِّيَادَةَ الَّتِي زَادَكُمْ إِيَّاهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ إِنَّمَا هِيَ زِيَادَةٌ مُخْسِرَةٌ بَاطِلَةٌ مِنْ مُلْحِدٍ فَاسِقٍ مُنَافِقٍ ، وَلَسْنَا نُجِيزُهَا! |
| وَكَانَ مُصْعَبٌ قَدْ زَادَ النَّاسَ فِي الْعَطَاءِ مِائَةَ مِائَةٍ. |
| فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَارُودِ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِزِيَادَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، إِنَّمَا هِيَ زِيَادَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ أَنْفَذَهَا وَأَجَازَهَا عَلَى يَدِ أَخِيهِ بِشْرٍ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ مَا أَنْتَ وَالْكَلَامُ! |
| لَتُحْسِنَنَّ حَمْلَ رَأْسِكَ أَوْ لَأَسْلُبَنَّكَ إِيَّاهُ! |
| فَقَالَ وَلِمَ ؟ |
| إِنِّي لَكَ لَنَاصِحٌ ، وَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ وَرَائِي. |
| فَنَزَلَ الْحَجَّاجُ وَمَكَثَ أَشْهُرًا لَا يَذْكُرُ الزِّيَادَةَ ، ثُمَّ أَعَادَ الْقَوْلَ فِيهَا ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْجَارُودِ مِثْلَ رَدِّهِ الْأَوَّلِ. |
| فَقَامَ مَصْقَلَةُ بْنُ كَرِبٍ الْعَبْدِيُّ أَبُو رَقَبَةَ بْنُ مَصْقَلَةَ الْمُحَدِّثُ عَنْهُ ، فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ لِلرَّعِيَّةِ أَنْ تَرُدَّ عَلَى رَاعِيهَا ، وَقَدْ سَمِعْنَا مَا قَالَ الْأَمِيرُ ، فَسَمْعًا وَطَاعَةً فِيمَا أَحْبَبْنَا وَكَرِهْنَا. |
| فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَارُودِ يَا ابْنَ الْجَرْمَقَانِيَّةِ! |
| مَا أَنْتَ وَهَذَا! |
| وَمَتَى كَانَ مِثْلُكَ يَتَكَلَّمُ وَيَنْطِقُ فِي مِثْلِ هَذَا ؟ |
| وَأَتَى الْوُجُوهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْجَارُودِ فَصَوَّبُوا رَأْيَهُ وَقَوْلَهُ ، وَقَالَ الْهُذَيْلُ بْنُ عِمْرَانَ الْبَرْجَمِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَكِيمِ بْنِ زِيَادٍ الْمُجَاشِعِيُّ وَغَيْرُهُمَا نَحْنُ مَعَكَ وَأَعْوَانُكَ ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ غَيْرُ كَافٍّ حَتَّى يُنْقِصَنَا هَذِهِ الزِّيَادَةَ ، فَهَلُمَّ نُبَايِعُكَ عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنَ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ نَكْتُبُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ نَسْأَلُهُ أَنْ يُوَلِّيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ، فَإِنْ أَبَى خَلَعْنَاهُ ، فَإِنَّهُ هَائِبٌ لَنَا مَا دَامَتِ الْخَوَارِجُ. |
| فَبَايَعَهُ النَّاسُ سِرًّا وَأَعْطَوْهُ الْمَوَاثِيقَ عَلَى الْوَفَاءِ ، وَأَخَذَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِهِمُ الْعُهُودَ. |
| وَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَا هُمْ فِيهِ فَأَحْرَزَ بَيْتَ الْمَالِ وَاحْتَاطَ فِيهِ. |
| فَلَمَّا تَمَّ لَهُمْ أَمْرُهُمْ أَظْهَرُوهُ ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ ، وَأَخْرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَارُودِ عَبْدَ الْقَيْسِ عَلَى رَايَاتِهِمْ ، وَخَرَجَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى بَقِيَ الْحَجَّاجُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا خَاصَّتُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، فَخَرَجُوا قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَقَطَعَ ابْنُ الْجَارُودِ وَمَنْ مَعَهُ الْجِسْرَ ، وَكَانَتْ خَزَائِنُ الْحَجَّاجِ وَالسِّلَاحُ مِنْ وَرَائِهِ. |
| فَأَرْسَلَ الْحَجَّاجُ أَعْيَنَ ، صَاحِبَ حَمَّامِ أَعْيَنَ بِالْكُوفَةِ ، إِلَى ابْنِ الْجَارُودِ يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُ الْجَارُودِ وَمَنِ الْأَمِيرُ! |
| لَا وَلَا كَرَامَةَ لِابْنِ أَبِي رِغَالٍ! |
| وَلَكِنْ لِيَخْرُجَ عَنَّا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاهُ! |
| فَقَالَ أَعْيَنُ فَإِنَّهُ يَقُولُ لَكَ أَتَطِيبُ نَفْسًا بِقَتْلِكَ وَقَتْلِ أَهْلِ بَيْتِكَ وَعَشِيرَتِكَ ؟ |
| وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِنِي لَأَدَعَنَّ قَوْمَكَ عَامَّةً وَأَهْلَكَ خَاصَّةً حَدِيثًا لِلْغَابِرِينَ. |
| وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ حَمَّلَ أَعْيَنَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ. |
| فَقَالَ ابْنُ الْجَارُودِ لَوْلَا أَنَّكَ رَسُولٌ لَقَتَلْتُكَ يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ! |
| وَأَمَرَ فَوُجِئَ فِي عُنُقِهِ ، وَأُخْرِجَ. |
| وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِابْنِ الْجَارُودِ ، فَأَقْبَلَ بِهِمْ زَحْفًا نَحْوَ الْحَجَّاجِ ، وَكَانَ رَأْيُهُمْ أَنْ يُخْرِجُوهُ عَنْهُمْ وَلَا يُقَاتِلُوهُ ، فَلَمَّا صَارُوا إِلَيْهِ نَهَبُوهُ فِي فُسْطَاطِهِ ، وَأَخَذُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ مَتَاعِهِ وَدَوَابِّهِ ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ فَأَخَذُوا امْرَأَتَهُ ابْنَةَ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، وَجَاءَتْ مُضَرُ ، فَأَخَذُوا امْرَأَتَهُ الْأُخْرَى أُمَّ سَلَمَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو أَخِي سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو. |
| فَخَافَهُ السُّفَهَاءُ ، ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ انْصَرَفُوا عَنِ الْحَجَّاجِ وَتَرَكُوهُ ، فَأَتَاهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَصَارُوا مَعَهُ خَائِفِينَ مِنْ مُحَارَبَةِ الْخَلِيفَةِ. |
| فَجَعَلَ الْغَضْبَانُ بْنُ الْقَبَعْثَرَى الشَّيْبَانِيُّ يَقُولُ لِابْنِ الْجَارُودِ تَعَشَّ بِالْجَدْيِ قَبْلَ أَنْ يَتَغَدَّى بِكَ ، أَمَا تَرَى مَنْ قَدْ أَتَاهُ مِنْكُمْ ؟ |
| وَلَئِنْ أَصْبَحَ لَيَكْثُرَنَ نَاصِرُهُ ، وَلَتَضْعُفَنَّ مُنَّتُكُمْ! |
| فَقَالَ قَدْ قَرُبَ الْمَسَاءُ ، وَلَكِنَّا نُعَاجِلُهُ بِالْغَدَاةِ. |
| وَكَانَ مَعَ الْحَجَّاجِ عُثْمَانُ بْنُ قَطَنٍ ، وَزِيَادُ بْنُ عَمْرٍو الْعَتَكِيُّ ، وَكَانَ زِيَادٌ عَلَى شُرْطَةِ الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ لَهُمَا مَا تَرَيَانِ ؟ |
| أَنْ آخُذَ لَكَ مِنَ الْقَوْمِ أَمَانًا ، وَتَخْرُجَ حَتَّى تَلْحَقَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدَ ارْفَضَّ أَكْثَرُ النَّاسِ عَنْكَ ، وَلَا أَرَى لَكَ أَنْ تُقَاتِلَ بِمَنْ مَعَكَ. |
| فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ قَطَنٍ الْحَارِثِيُّ لَكِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ شَرِكَكَ فِي أَمْرِكَ ، وَخَلَطَكَ بِنَفْسِهِ ، وَاسْتَنْصَحَكَ وَسَلَّطَكَ ، فَسِرْتَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَرًا ، فَقَتَلْتَهُ ، فَوَلَّاكَ اللَّهُ شَرَفَ ذَلِكَ وَسَنَاهُ ، وَوَلَّاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحِجَازَ ، ثُمَّ رُفِعْتَ فَوَلَّاكَ الْعِرَاقَيْنِ ، فَحَيْثُ جَرَيْتَ إِلَى الْمَدَى ، وَأَصَبْتَ الْغَرَضَ الْأَقْصَى ، تَخْرُجُ عَلَى قَعُودٍ إِلَى الشَّامِ ، وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتَ لَا نِلْتَ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ مِثْلَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانٍ أَبَدًا ، وَلَيَتَّضِعَنَّ شَأْنُكَ ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ نَمْشِيَ بِسُيُوفِنَا مَعَكَ فَنُقَاتِلُ حَتَّى نَلْقَى ظَفَرًا ، أَوْ نَمُوتَ كِرَامًا. |
| فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ. |
| وَحَفِظَ هَذَا لِعُثْمَانَ ، وَحَقَدَهَا عَلَى زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو. |
| وَجَاءَ عَامِلُ ابْنِ مِسْمَعٍ إِلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ إِنِّي قَدْ أَخَذْتُ لَكَ أَمَانًا مِنَ النَّاسِ ، فَجَعَلَ الْحَجَّاجُ يَرْفَعُ صَوْتَهُ لِيَسْمَعَ النَّاسُ وَيَقُولَ وَاللَّهِ لَا أُؤَمِّنُهُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْتُوا بِالْهُذَيْلِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَكِيمٍ. |
| وَأَرْسَلَ إِلَى عُبَيْدِ بْنِ كَعْبٍ النُّمَيْرِيِّ يَقُولُ هَلُمَّ إِلَيَّ فَامْنَعْنِي. |
| فَقَالَ قُلْ لَهُ إِنْ أَتَيْتَنِي مَنَعْتُكَ. |
| فَقَالَ لَا وَلَا كَرَامَةَ! |
| وَبَعَثَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عُطَارِدٍ كَذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ مِثْلَ الْجَوَابِ الْأَوَّلِ ، فَقَالَ لَا نَاقَتِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلِي. |
| وَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَكِيمٍ الْمُجَاشِعِيِّ فَأَجَابَهُ كَذَلِكَ أَيْضًا. |
| وَمَرَّ عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبَطِيُّ بِابْنِ الْجَارُودِ وَابْنِ الْهُذَيْلِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَكِيمٍ وَهُمْ يَتَنَاجَوْنَ ، فَقَالَ أَشْرِكُونَا فِي نَجْوَاكُمْ. |
| فَقَالُوا هَيْهَاتَ أَنْ يَدْخُلَ فِي نَجْوَانَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي الْحَبَطِ! |
| فَغَضِبَ وَصَارَ إِلَى الْحَجَّاجِ فِي مِائَةِ رَجُلٍ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ مَا أُبَالِي مَنْ تَخَلَّفَ بَعْدَكَ. |
| وَسَعَى قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ فِي قَوْمِهِ فِي بَنِي أَعْصُرَ ؟ |
| وَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا نَدَعُ قَيْسًا يُقْتَلُ وَلَا يُنْهَبُ مَالُهُ ، يَعْنِي الْحَجَّاجَ ، وَأَقْبَلَ إِلَى الْحَجَّاجِ. |
| وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ ، فَلَمَّا جَاءَهُ هَؤُلَاءِ اطْمَأَنَّ ، ثُمَّ جَاءَهُ سَبْرَةُ بْنُ عَلِيٍّ الْكِلَابِيُّ ، وَسَعِيدُ بْنُ أَسْلَمَ بْنِ زُرْعَةَ الْكِلَابِيُّ فَسَلَّمَ ، فَأَدْنَاهُ مِنْهُ ، وَأَتَاهُ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ الْأَزْدِيُّ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مِسْمَعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ إِنْ شِئْتَ أَتَيْتُكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَقَمْتُ وَثَبَّطْتُ النَّاسَ عَنْكَ. |
| فَقَالَ أَقِمْ وَثَبِّطِ النَّاسَ عَنِّي. |
| فَلَمَّا اجْتَمَعَ إِلَى الْحَجَّاجِ جَمْعٌ يُمْنَعُ بِمِثْلِهِمْ ، خَرَجَ فَعَبَّأَ أَصْحَابَهُ ، وَتَلَاحَقَ النَّاسُ بِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ إِذَا حَوْلَهُ نَحْوُ سِتَّةِ آلَافٍ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. |
| فَقَالَ ابْنُ الْجَارُودِ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانِ مَا الرَّأْيُ ؟ |
| قَالَ تَرَكْتَ الرَّأْيَ أَمْسِ حِينَ قَالَ لَكَ الْغَضْبَانُ تَعَشَّ بِالْجَدْيِ قَبْلَ أَنْ يَتَغَدَّى بِكَ ، وَقَدْ ذَهَبَ الرَّأْيُ وَبَقِيَ الصَّبْرُ. |
| فَدَعَا ابْنُ الْجَارُودِ بِدِرْعٍ فَلَبِسَهَا مَقْلُوبَةً ، فَتَطَيَّرَ. |
| وَحَرَّضَ الْحَجَّاجُ أَصْحَابَهُ وَقَالَ لَا يَهُولَنَّكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ كَثْرَتِهِمْ. |
| وَتَزَاحَفَ الْقَوْمُ وَعَلَى مَيْمَنَةِ ابْنِ الْجَارُودِ الْهُذَيْلُ بْنُ عِمْرَانَ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ ، وَعَلَى مَيْمَنَةِ الْحَجَّاجِ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَيُقَالُ عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ سَعِيدُ بْنُ أَسْلَمَ ، فَحَمَلَ ابْنُ الْجَارُودِ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى جَازَ أَصْحَابَ الْحَجَّاجِ ، فَعَطَفَ الْحَجَّاجُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا سَاعَةً ، وَكَادَ ابْنُ الْجَارُودِ يَظْفَرُ ، فَأَتَاهُ سَهْمُ غَرْبٍ فَأَصَابَهُ فَوَقَعَ مَيِّتًا. |
| وَنَادَى مُنَادِي الْحَجَّاجِ بِأَمَانِ النَّاسِ إِلَّا الْهُذَيْلَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَكِيمٍ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يُتْبَعَ الْمُنْهَزِمُونَ ، وَقَالَ الِاتِّبَاعُ مِنْ سُوءِ الْغَلَبَةِ. |
| فَانْهَزَمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ ، وَأَتَى سَعِيدَ بْنَ عِيَاذِ بْنِ الْجُلُنْدِيِّ الْأَزْدِيَّ بِعُمَانَ ، فَقِيلَ لِسَعِيدٍ إِنَّهُ رَجُلٌ فَاتِكٌ فَاحْذَرْهُ ، فَلَمَّا جَاءَ الْبِطِّيخُ بَعَثَ إِلَيْهِ بِنِصْفِ بِطِّيخَةٍ مَسْمُومَةٍ وَقَالَ هَذَا أَوَّلُ شَيْءٍ جَاءَ مِنَ الْبِطِّيخِ ، وَقَدْ أَكَلْتُ نِصْفَ بِطِّيخَةٍ وَبَعَثْتُ بِنِصْفِهَا ، فَأَكَلَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ فَأَحَسَّ بِالشَّرِّ ، فَقَالَ أَرَدْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ فَقَتَلَنِي. |
| وَحُمِلَ رَأْسُ ابْنِ الْجَارُودِ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَأْسًا مِنْ وُجُوهِ أَصْحَابِهِ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، فَنُصِبَتْ لِيَرَاهَا الْخَوَارِجُ وَيَيْأَسُوا مِنَ الِاخْتِلَافِ. |
| وَحَبَسَ الْحَجَّاجُ عُبَيْدَ بْنَ كَعْبٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عُمَيْرٍ; حَيْثُ قَالَا لِلْحَجَّاجِ تَأْتِينَا لِنَمْنَعَكَ. |
| وَحَبَسَ الْغَضْبَانَ بْنَ الْقَبَعْثَرَى وَقَالَ لَهُ أَنْتَ الْقَائِلُ تَعَشَّ بِالْجَدْيِ قَبْلَ أَنْ يَتَغَدَّى بِكَ ؟ |
| فَقَالَ مَا نُفِعْتُ مِنْ قِيلَتِي لَهُ ، وَلَا ضُرِرْتُ مِنْ قِيلَتِي فِيكَ. |
| فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ بِإِطْلَاقِهِ. |
| وَقُتِلَ مَعَ ابْنِ الْجَارُودِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ أَلَا أَرَى أَنَسًا يُعِينُ عَلَيَّ! |
| فَلَمَّا دَخَلَ الْبَصْرَةَ أَخَذَ مَالَهُ ، فَحِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ أَنَسٌ قَالَ لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا بِكَ يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ! |
| شَيْخُ ضَلَالَةٍ ، جَوَّالٌ فِي الْفِتَنِ ، مَرَّةً مَعَ أَبِي تُرَابٍ ، وَمَرَّةً مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَمَرَّةً مَعَ ابْنِ الْجَارُودِ! |
| أَمَا وَاللَّهِ لَأُجَرِّدَنَّكَ جَرْدَ الْقَضِيبِ ، وَلَأَعْصِبَنَّكَ عَصْبَ السَّلَمَةِ ، وَلَأَقْلَعَنَّكَ قَلْعَ الصَّمْغَةِ! |
| فَقَالَ أَنَسٌ مَنْ يَعْنِي الْأَمِيرُ ؟ |
| قَالَ إِيَّاكَ أَعْنِي ، ، أَصَمَّ اللَّهُ صَدَاكَ! |
| فَرَجَعَ أَنَسٌ فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ كِتَابًا يَشْكُو فِيهِ الْحَجَّاجَ وَمَا صَنَعَ بِهِ. |
| فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ أَمَّا بَعْدُ ، يَا ابْنَ أُمِّ الْحَجَّاجِ ، فَإِنَّكَ عَبْدٌ طَمَتْ بِكَ الْأُمُورُ ، فَعَلَوْتَ فِيهَا حَتَّى عَدَوْتَ طَوْرَكَ ، وَجَاوَزْتَ قَدْرَكَ ، يَا ابْنَ الْمُسْتَفْرِمَةِ بِعَجَمِ الزَّبِيبِ ، لَأَغْمِزَنَّكَ غَمْزَةً كَبَعْضِ غَمَزَاتِ اللُّيُوثِ الثَّعَالِبَ ، وَلَأَخْبِطَنَّكَ خَبْطَةً تَوَدُّ لَهَا أَنَّكَ رَجَعْتَ فِي مَخْرَجِكَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ ، أَمَا تَذْكُرُ حَالَ آبَائِكَ فِي الطَّائِفِ حَيْثُ كَانُوا يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى ظُهُورِهِمْ ، وَيَحْتَفِرُونَ الْآبَارَ بِأَيْدِيهِمْ فِي أَوْدِيَتِهِمْ وَمِيَاهِهِمْ ؟ |
| أَنَسِيتَ حَالَ آبَائِكَ فِي اللُّؤْمِ وَالدَّنَاءَةِ فِي الْمُرُوَّةِ وَالْخُلُقِ ؟ |
| وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي كَانَ مِنْكَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ جُرْأَةً وَإِقْدَامًا ، وَأَظُنُّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَسْبُرَ مَا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِهِ ، فَتَعْلَمَ إِنْكَارَهُ ذَلِكَ وَإِغْضَاءَهُ عَنْكَ ، فَإِنْ سَوَّغَكَ مَا كَانَ مِنْكَ مَضَيْتَ عَلَيْهِ قُدُمًا ، فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ أَخْفَشِ الْعَيْنَيْنِ ، أَصَكِّ الرِّجْلَيْنِ ، مَمْسُوحِ الْجَاعِرَتَيْنِ! |
| وَلَوْلَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَظُنُّ أَنَّ الْكَاتِبَ أَكْثَرَ فِي الْكِتَابَةِ عَنِ الشَّيْخِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ لَأَرْسَلَ مَنْ يَسْحَبُكَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، حَتَّى يَأْتِيَ بِكَ أَنَسًا فَيَحْكُمُ فِيكَ ، فَأَكْرِمْ أَنَسًا وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَاعْرِفْ لَهُ حَقَّهُ وَخِدْمَتَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تُقَصِّرَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ حَوَائِجِهِ ، وَلَا يَبْلُغَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ خِلَافُ مَا تَقَدَّمَ فِيهِ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ أَنَسٍ وَبِرِّهِ وَإِكْرَامِهِ ، فَيَبْعَثُ إِلَيْكَ مَنْ يَضْرِبُ ظَهْرَكَ ، وَيَهْتِكُ سِتْرَكَ ، وَيُشْمِتُ بِكَ عَدُوَّكَ ، وَالْقَهُ فِي مَنْزِلِهِ مُتَنَصِّلًا إِلَيْهِ ، وَلْيَكْتُبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرِضَاهُ عَنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ. |
| وَبَعَثَ بِالْكِتَابِ مَعَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ ، فَأَتَى إِسْمَاعِيلُ أَنَسًا بِكِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ فَقَرَأَهُ ، وَأَتَى الْحَجَّاجَ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِ ، فَجَعَلَ يَقْرَؤُهُ وَوَجْهُهُ يَتَغَيَّرُ وَيَتَغَبَّرُ ، وَجَبِينُهُ يَرْشَحُ عَرَقًا وَيَقُولُ يَغْفِرُ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| ثُمَّ اجْتَمَعَ بِأَنَسٍ ، فَرَحَّبَ بِهِ الْحَجَّاجُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ أَرَدْتُ أَنْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ إِذْ كَانَ مِنَ ابْنِكَ مَا كَانَ ، وَإِذْ بَلَغْتُ مِنْكَ مَا بَلَغْتُ أَنِّي إِلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ أَسْرَعُ. |
| فَقَالَ أَنَسٌ مَا شَكَوْتُ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ، وَحَتَّى زَعَمْتَ أَنَّا الْأَشْرَارُ وَقَدْ سَمَّانَا اللَّهُ الْأَنْصَارَ ، وَزَعَمْتَ أَنَّا أَهْلُ النِّفَاقِ وَنَحْنُ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ، وَسَيَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، فَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى التَّغْيِيرِ ، لَا يُشْبِهُ الْحَقُّ عِنْدَهُ الْبَاطِلَ ، وَلَا الصِّدْقُ الْكَذِبَ ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ اتَّخَذْتَنِي ذَرِيعَةً وَسُلَّمًا إِلَى مَسَاءَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ بِاسْتِحْلَالِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنِّي ، وَلَمْ يَكُنْ لِي عَلَيْكَ قُوَّةٌ ، فَوَكَّلْتُكَ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَحَفِظَ مِنْ حَقِّي مَا لَمْ تَحْفَظْ ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ النَّصَارَى عَلَى كُفْرِهِمْ رَأَوْا رَجُلًا خَدَمَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ يَوْمًا وَاحِدًا ، لَعَرَفُوا مِنْ حَقِّهِ مَا لَمْ تَعْرِفْ أَنْتَ مِنْ حَقِّي ، وَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ. |
| وَبَعْدُ فَإِنْ رَأَيْنَا خَيْرًا حَمِدْنَا اللَّهَ عَلَيْهِ وَأَثْنَيْنَا ، وَإِنْ رَأَيْنَا غَيْرَ ذَلِكَ صَبَرْنَا ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. |
| وَرَدَّ عَلَيْهِ الْحَجَّاجُ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُ. |
| ذِكْرُ شِيرَ زَنْجِي وَالزَّنْجِ مَعَهُ اجْتَمَعَ الزَّنْجُ بِفُرَاتِ الْبَصْرَةِ فِي آخِرِ أَيَّامِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَلَمْ يَكُونُوا بِالْكَثِيرِ ، فَأَفْسَدُوا وَتَنَاوَلُوا الثِّمَارَ ، وَوَلِيَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ الْبَصْرَةَ وَقَدْ كَثُرُوا ، فَشَكَا النَّاسُ إِلَيْهِ مَا نَالَهُمْ مِنْهُمْ ، فَجَمَعَ لَهُمْ جَيْشًا ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ تَفَرَّقُوا ، وَأَخَذَ بَعْضَهُمْ فَقَتَلَهُمْ وَصَلَبَهُمْ. |
| فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ ابْنِ الْجَارُودِ مَا ذَكَرْنَا خَرَجَ الزَّنْجُ أَيْضًا ، فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ بِالْفُرَاتِ ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا اسْمُهُ رَبَاحٌ ، وَيُلَقَّبُ شِيرَ زَنْجِي ، يَعْنِي أَسَدَ الزَّنْجِ ، فَأَفْسَدُوا ، فَلَمَّا فَرَغَ الْحَجَّاجُ مِنَ ابْنِ الْجَارُودِ أَمَرَ زِيَادَ بْنَ عَمْرٍو ، وَهُوَ عَلَى شُرْطَةِ الْبَصْرَةِ ، أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا يُقَاتِلُهُمْ ، فَفَعَلَ وَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا عَلَيْهِ ابْنُهُ حَفْصُ بْنُ زِيَادٍ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَقَتَلُوهُ وَهَزَمُوا أَصْحَابَهُ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا آخَرَ ، فَهَزَمَ الزَّنْجَ وَقَتَلَهُمْ ، وَاسْتَقَامَتِ الْبَصْرَةُ. |
| ذِكْرُ إِجْلَاءِ الْخَوَارِجِ عَنْ رَامَهُرْمُزَ وَقَتْلِ ابْنِ مِخْنَفٍ لَمَّا أَتَى كِتَابُ الْحَجَّاجِ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَابْنِ مِخْنَفٍ يَأْمُرُهُمَا بِمُنَاهَضَةِ الْخَوَارِجِ ، زَحَفُوا إِلَيْهِمْ ، وَقَاتَلُوهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، فَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ كَأَنَّهُمْ عَلَى حَامِيَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ قِتَالٌ ، وَسَارَ الْخَوَارِجُ حَتَّى نَزَلُوا كَازَرُونَ ، وَسَارَ الْمُهَلَّبُ وَابْنُ مِخْنَفٍ حَتَّى نَزَلُوا بِهِمْ ، وَخَنْدَقَ الْمُهَلَّبُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَقَالَ لِابْنِ مِخْنَفٍ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَنْدِقَ عَلَيْكَ فَافْعَلْ. |
| فَقَالَ أَصْحَابُهُ نَحْنُ خَنْدَقْنَا سُيُوفَنَا. |
| فَأَتَى الْخَوَارِجُ الْمُهَلَّبَ لِيُبَيِّتُوهُ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ تَحَرَّزَ ، فَمَالُوا نَحْوَ ابْنِ مِخْنَفٍ ، فَوَجَدُوهُ لَمْ يُخَنْدِقْ فَقَاتَلُوهُ ، فَانْهَزَمَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، فَنَزَلَ فَقَاتَلَ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقُتِلَ وَقُتِلُوا حَوْلَهُ ، فَقَالَ شَاعِرُهُمْ لِمَنِ الْعَسْكَرُ الْمُكَلَّلُ بِالصَّرْ... |
| عَى فَهُمْ بَيْنَ مَيِّتٍ وَقَتِيلِ فَتَرَاهُمْ تَسْفِي الرِّيَاحُ عَلَيْهِمْ... |
| حَاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جَرِّ الذُّيُولِ هَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ. |
| فَأَمَّا أَهْلُ الْكُوفَةِ فَإِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ كِتَابُ الْحَجَّاجِ بِمُنَاهَضَةِ الْخَوَارِجِ نَاهَضَهُمُ الْمُهَلَّبُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَمَالَتِ الْخَوَارِجُ إِلَى الْمُهَلَّبِ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى عَسْكَرِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ الظُّهْرِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ. |
| فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ وَرَأَتِ الْخَوَارِجُ مَا يَجِيءُ مِنْ عَسْكَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ الرِّجَالِ ، ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ خَفَّ أَصْحَابُهُ ، فَجَعَلُوا بِإِزَاءِ الْمُهَلَّبِ مَنْ يَشْغَلُهُ ، وَانْصَرَفُوا بِجُنْدِهِمْ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَلَمَّا رَآهُمْ قَدْ قَصَدُوهُ نَزَلَ وَنَزَلَ مَعَهُ الْقُرَّاءُ ، مِنْهُمْ أَبُو الْأَحْوَصِ ، صَاحِبُ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَخُزَيْمَةُ بْنُ نَصْرٍ أَبُو نَصْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ الْعَبْسِيُّ ، الَّذِي قُتِلَ مَعَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَصُلِبَ مَعَهُ بِالْكُوفَةِ ، وَنَزَلَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَحَدٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا ، وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْكَشَفَ النَّاسُ عَنْهُ ، وَبَقِيَ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الصَّبْرِ ثَبَتُوا مَعَهُ ، وَكَانَ ابْنُهُ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِيمَنْ بَعَثَهُ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، فَنَادَى فِي النَّاسِ لِيَتْبَعُوهُ إِلَى أَبِيهِ ، فَلَمْ يَتْبَعْهُ إِلَّا نَاسٌ قَلِيلٌ ، فَجَاءَ حَتَّى دَنَا مِنْ أَبِيهِ ، فَحَالَتِ الْخَوَارِجُ بَيْنَهُمَا ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ. |
| وَقَاتَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ ، حَتَّى ذَهَبَ نَحْوٌ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ قُتِلَ فِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَاءَ الْمُهَلَّبُ فَدَفَنَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِذَلِكَ فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ ، وَذَمَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ. |
| وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَسْكَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْمَعَ لِلْمُهَلَّبِ ، فَسَاءَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ طَاعَتِهِ ، فَجَاءَ إِلَى الْعَسْكَرِ ، وَقَاتَلَ الْخَوَارِجَ وَأَمْرُهُ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَهُوَ يَقْضِي أُمُورَهُ ، وَلَا يَكَادُ يَسْتَشِيرُ الْمُهَلَّبَ. |
| فَوَضَعَ عَلَيْهِ الْمُهَلَّبُ رِجَالًا اصْطَنَعَهُمْ وَأَغْرَاهُمْ بِهِ ، مِنْهُمْ بِسْطَامُ بْنُ مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ. |
| وَجَرَى بَيْنَ عَتَّابٍ وَالْمُهَلَّبِ ذَاتَ يَوْمٍ كَلَامٌ أَغْلَظَ كُلٌّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ ، وَرَفَعَ الْمُهَلَّبُ الْقَضِيبَ عَلَى عَتَّابٍ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ ابْنُهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، فَقَبَضَ الْقَضِيبَ وَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! |
| شَيْخٌ مِنْ أَشْيَاخِ الْعَرَبِ ، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، إِنْ سَمِعْتَ مِنْهُ بَعْضَ مَا تَكْرَهُ ، فَاحْتَمِلْهُ لَهُ فَإِنَّهُ لِذَلِكَ أَهْلٌ. |
| فَفَعَلَ ، فَافْتَرَقَا ، فَأَرْسَلَ عَتَّابٌ إِلَى الْحَجَّاجِ يَشْكُو الْمُهَلَّبَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالْعَوْدِ إِلَيْهِ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ حَاجَةً مِنَ الْحَجَّاجِ إِلَيْهِ فِيمَا لَقِيَ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ مِنْ شَبِيبٍ ، فَاسْتَقْدَمَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتْرُكَ ذَلِكَ الْجَيْشَ مَعَ الْمُهَلَّبِ ، فَجَعَلَ الْمُهَلَّبُ عَلَيْهِمُ ابْنَهُ حَبِيبًا. |
| وَقَالَ سُرَاقَةُ بْنُ مِرْدَاسٍ الْبَارِقِيُّ يَرْثِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مِخْنَفٍ ثَوَى سَيِّدُ الْأَزْدَيْنِ أَزْدِ شَنُوءَةَ... |
| وَأَزْدِ عُمَانَ رَهْنَ رَمْسٍ بِكَازِرِ وَضَارَبَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ... |
| بِأَبْيَضَ صَافٍ كَالْعَقِيقَةِ بَاتِرِ وَصُرِّعَ عِنْدَ التَّلِّ تَحْتَ لِوَائِهِ... |
| كِرَامُ الْمَسَاعِي مِنْ كِرَامِ الْمَعَاشِرِ قَضَى نَحْبَهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ ابْنُ مِخْنَفٍ... |
| وَأَدْبَرَ عَنْهُ كُلُّ أَلْوَثَ دَاثِرِ أَمَدَّ وَلَمْ يُمْدَدْ فَرَاحَ مُشَمِّرًا... |
| إِلَى اللَّهِ لَمْ يَذْهَبْ بِأَثْوَابِ غَادِرِ وَأَقَامَ الْمُهَلَّبُ بِسَابُورَ يُقَاتِلُهُمْ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَحَرَّكَ صَالِحُ بْنُ مُسَرَّحٍ أَحَدُ بَنِي امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ مِنْ تَمِيمٍ ، وَكَانَ يَرَى رَأْيَ الصُّفْرِيَّةِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ فِيهِمْ ، وَحَجَّ هَذِهِ السَّنَةَ وَمَعَهُ شَبِيبُ بْنُ يَزِيدَ ، وَسُوَيْدٌ ، وَالْبَطِينُ ، وَأَشْبَاهُهُمْ ، وَحَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الْمَلِكِبْنُ مَرْوَانَ ، فَهَمَّ شَبِيبٌ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ خَبَرِهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ بَعْدَ انْصِرَافِهِ يَأْمُرُهُ بِطَلَبِهِمْ ، وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا يَأْتِي الْكُوفَةَ ، فَيُقِيمُ بِهَا الشَّهْرَ وَنَحْوَهُ ، فَيَلْقَى أَصْحَابَهُ وَيُعِدُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا طَلَبَهُ الْحَجَّاجُ نَبَتْ بِهِ الْكُوفَةُ ، فَتَرَكَهَا. |
| وَفِيهَا غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الصَّائِفَةَ عِنْدَ خُرُوجِ الرُّومِ إِلَى الْعُمْقِ مِنْ نَاحِيَةِ مَرْعَشٍ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَخَطَبَ النَّاسَ بِالْمَدِينَةِ ، فَقَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي لَسْتُ بِالْخَلِيفَةِ الْمُسْتَضْعَفِ ، يَعْنِي عُثْمَانَ ، وَلَا بِالْخَلِيفَةِ الْمُدَاهِنِ ، يَعْنِي مُعَاوِيَةَ ، وَلَا بِالْخَلِيفَةِ الْمَأْفُونِ ، يَعْنِي يَزِيدَ ، أَلَا وَإِنِّي لَا أُدَاوِي هَذِهِ الْأُمَّةَ إِلَّا بِالسَّيْفِ حَتَّى تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ ، وَإِنَّكُمْ تُحَفِّظُونَنَا أَعْمَالَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَلَا تَعْمَلُونَ مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ ، وَإِنَّكُمْ تَأْمُرُونَنَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَنْسَوْنَ ذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَاللَّهِ لَا يَأْمُرُنِي أَحَدٌ بِتَقْوَى اللَّهِ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ. |
| ثُمَّ نَزَلَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ الْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ السُّلَمِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ ، وَقِيلَ بَلْ مَاتَ بِالشَّامِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَعِيُّ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسَبْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسَبْعِينَ ذِكْرُ خُرُوجِ صَالِحِ بْنِ مُسَرِّحٍ كَانَ صَالِحُ بْنُ مُسَرِّحٍ التَّمِيمِيُّ رَجُلًا نَاسِكًا ، مُصْفَرَّ الْوَجْهِ ، صَاحِبَ عِبَادَةٍ ، وَكَانَ بِدَارَا وَأَرْضِ الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ ، وَلَهُ أَصْحَابٌ يَقْرَأُ بِهِمُ الْقُرْآنَ وَالْفِقْهَ وَيَقُصُّ عَلَيْهِمْ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ وَإِنْكَارِ الظُّلْمِ وَجِهَادِ الْمُخَالِفِينَ لَهُمْ ، فَأَجَابُوهُ ، وَحَثَّهُمْ عَلَيْهِمْ ، فَرَاسَلَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَتَلَاقَوْا بِهِ ، فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ كِتَابُ شَبِيبٍ يَقُولُ لَهُ إِنَّكَ كُنْتَ تُرِيدُ الْخُرُوجَ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِكَ الْيَوْمَ ، فَأَنْتَ شَيْخُ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَنْ نَعْدِلَ بِكَ أَحَدًا ، وَإِنْ أَرَدْتَ تَأْخِيرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَعْلِمْنِي ، فَإِنَّ الْآجَالَ غَادِيَةٌ وَرَائِحَةٌ ، وَلَا آمَنُ أَنْ تَخْتَرِمَنِيَ الْمَنِيَّةُ وَلَمْ أُجَاهِدِ الظَّالِمِينَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ صَالِحٌ إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَّا انْتِظَارُكَ ، فَأَقْبِلْ إِلَيْنَا ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ لَا يُسْتَغْنَى عَنْ رَأْيِهِ ، وَلَا تُقْضَى دُونَهُ الْأُمُورُ. |
| فَلَمَّا قَرَأَ شَبِيبٌ كِتَابَهُ دَعَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، مِنْهُمْ أَخُوهُ مُصَادُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ نُعَيْمٍ الشَّيْبَانِيُّ ، وَالْمُحَلِّلُ بْنُ وَائِلٍ الْيَشْكُرِيُّ ، وَغَيْرُهُمَا ، وَخَرَجَ بِهِمْ حَتَّى قَدِمَ عَلَى صَالِحٍ بِدَارَا ، فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ اخْرُجْ بِنَا رَحِمَكَ اللَّهُ ، فَوَاللَّهِ مَا تَزْدَادُ السُّنَّةُ إِلَّا دُرُوسًا ، وَلَا يَزْدَادُ الْمُجْرِمُونَ إِلَّا طُغْيَانًا. |
| فَبَثَّ صَالِحٌ رُسُلَهُ ، وَوَاعَدَ أَصْحَابَهُ الْخُرُوجَ إِلَى ذَلِكَ هِلَالَ صَفَرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَسَأَلَهُ بَعْضُهُمْ عَنِ الْقِتَالِ قَبْلَ الدُّعَاءِ أَمْ بَعْدَهُ ؟ |
| فَقَالَ بَلْ نَدْعُوهُمْ ، فَإِنَّهُ أَقْطَعُ لِحُجَّتِهِمْ. |
| فَقَالَ لَهُ كَيْفَ تَرَى فِيمَنْ قَاتَلَنَا فَظَفِرْنَا بِهِ ، مَا تَقُولُ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ؟ |
| فَقَالَ لَهُمْ إِنْ قَتَلْنَا وَغَنِمْنَا فَلَنَا ، وَإِنْ عَفَوْنَا فَمُوَسَّعٌ عَلَيْنَا. |
| ثُمَّ وَعَظَ أَصْحَابَهُ وَأَمَرَهُمْ بِأَمْرِهِ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَكْثَرَكُمْ رَجَّالَةٌ ، وَهَذِهِ دَوَابٌّ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَابْدَؤُوا بِهَا فَاحْمِلُوا عَلَيْهَا رِجَالَكُمْ ، وَتَقَوَّوْا بِهَا عَلَى عَدُوِّكُمْ. |
| فَخَرَجُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَأَخَذُوا الدَّوَابَّ فَاحْتَمَلُوا عَلَيْهَا ، وَأَقَامُوا بِأَرْضِ دَارَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً. |
| وَتَحَصَّنَ مِنْهُمْ أَهْلُهَا وَأَهْلُ نَصِيبِينَ وَسِنْجَارَ ، وَكَانَ خُرُوجُهُ وَهُوَ فِي مِائَةٍ وَعِشْرِينَ ، وَقِيلَ وَعَشْرَةٍ. |
| وَبَلَغَ مُحَمَّدًا مَخْرَجُهُمْ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْجَزِيرَةِ ، فَأَرْسَلَ عَدِيَّ بْنَ عَدِيٍّ الْكِنْدِيَّ إِلَيْهِمْ فِي أَلْفِ فَارِسٍ ، فَسَارَ مِنْ حَرَّانَ ، فَنَزَلَ دَوْغَانَ ، وَكَانُوا أَوَّلَ جَيْشٍ سَارَ إِلَى صَالِحٍ ، وَسَارَ عَدِيٌّ وَكَأَنَّهُ يُسَاقُ إِلَى الْمَوْتِ. |
| وَأَرْسَلَ إِلَى صَالِحٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ وَيُعْلِمُهُ أَنَّهُ يَكْرَهُ قِتَالَهُ ، وَكَانَ عَدِيٌّ نَاسِكًا ، فَأَعَادَ صَالِحٌ إِنْ كُنْتَ تَرَى رَأْيَنَا خَرَجْنَا عَنْكَ ، وَإِلَّا فَنَرَى رَأْيَنَا. |
| فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَدِيٌّ إِنِّي لَا أَرَى رَأْيَكَ ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ قِتَالَكَ وَقِتَالَ غَيْرِكَ. |
| فَقَالَ صَالِحٌ لِأَصْحَابِهِ ارْكَبُوا. |
| فَرَكِبُوا ، وَحَبَسَ الرَّسُولَ عِنْدَهُ وَمَضَى بِأَصْحَابِهِ ، فَأَتَى عَدِيًّا وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحَى ، فَلَمْ يَشْعُرُوا إِلَّا وَالْخَيْلُ طَالِعَةٌ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهَا تَنَادَوْا ، وَجَعَلَ صَالِحٌ شَبِيبًا فِي مَيْمَنَتِهِ ، وَسُوَيْدَ بْنَ سُلَيْمٍ فِي مَيْسَرَتِهِ ، وَوَقَفَ فِي الْقَلْبِ ، فَأَتَاهُمْ وَهُمْ عَلَى غَيْرِ تَعْبِيَةٍ ، وَبَعْضُهُمْ يَجُولُ فِي بَعْضٍ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ شَبِيبٌ وَسُوَيْدٌ فَانْهَزَمُوا ، وَأُتِيَ عَدِيُّ بْنُ عَدِيٍّ بِدَابَّتِهِ فَرَكِبَهَا وَانْهَزَمَ ، وَجَاءَ صَالِحٌ وَنَزَلَ فِي مُعَسْكَرِهِ ، وَأَخَذُوا مَا فِيهِ. |
| وَدَخَلَ أَصْحَابُ عَدِيٍّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَغَضِبَ عَلَى عَدِيٍّ ، ثُمَّ دَعَا خَالِدَ بْنَ جَزْءٍ السُّلَمِيَّ ، فَبَعَثَهُ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَدَعَا الْحَارِثَ بْنَ جَعْوَنَةَ الْعَامِرِيَّ ، فَبَعَثَهُ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ وَقَالَ اخْرُجَا إِلَى هَذِهِ الْمَارِقَةِ ، وَأَغِذَّا السَّيْرَ ، فَأَيُّكُمَا سَبَقَ فَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى صَاحِبِهِ. |
| فَخَرَجَا مُتَسَانِدَيْنِ يَسْأَلَانِ عَنْ صَالِحٍ ، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهُ نَحْوَ آمِدَ ، فَقَصَدَاهُ ، فَوَجَّهَ صَالِحٌ شَبِيبًا فِي شَطْرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ جَعْوَنَةَ ، وَتَوَجَّهَ هُوَ نَحْوَ خَالِدٍ ، فَاقْتَتَلُوا مِنْ وَقْتِ الْعَصْرِ أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَلَمْ تَثْبُتْ خَيْلُ مُحَمَّدٍ لِخَيْلِ صَالِحٍ ، فَلَمَّا رَأَى أَمِيرَاهُمْ ذَلِكَ تَرَجَّلَا ، وَتَرَجَّلَ مَعَهُمَا أَكْثَرُ أَصْحَابِهِمَا ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَصْحَابُ صَالِحٍ حِينَئِذٍ عَلَيْهِمْ ، وَكَانُوا إِذَا حَمَلُوا اسْتَقْبَلَتْهُمُ الرَّجَّالَةُ بِالرِّمَاحِ ، وَرَمَاهُمُ الرُّمَاةُ بِالنَّبْلِ ، وَطَارَدَهُمْ خَيَّالَتُهُمْ ، فَقَاتَلُوهُمْ إِلَى الْمَسَاءِ ، فَكَثُرَتِ الْجِرَاحُ فِي الْفَرِيقَيْنِ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ صَالِحٍ نَحْوُ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَمِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ. |
| فَلَمَّا أَمْسَوْا تَرَاجَعُوا ، فَاسْتَشَارَ صَالِحٌ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ شَبِيبٌ إِنَّ الْقَوْمَ قَدِ اعْتَصَمُوا بِخَنْدَقِهِمْ ، فَلَا أَرَى أَنْ نُقِيمَ عَلَيْهِمْ. |
| فَقَالَ صَالِحٌ وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ. |
| فَخَرَجُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ سَائِرِينَ ، فَقَطَعُوا أَرْضَ الْجَزِيرَةِ وَأَرْضَ الْمَوْصِلِ ، وَانْتَهَوْا إِلَى الدَّسْكَرَةِ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْحَجَّاجَ سَرَّحَ إِلَيْهِمُ الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرَةَ بْنِ ذِي الشِّعَارِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَسَارَ حَتَّى دَنَا مِنَ الدَّسْكَرَةِ ، وَخَرَجَ صَالِحُ بْنُ مُسَرِّحٍ حَتَّى أَتَى قَرْيَةً يُقَالُ لَهَا مَدْبَجُ عَلَى تُخُومِ مَا بَيْنَ الْمَوْصِلِ وَجُوخَى ، وَصَالِحٌ فِي تِسْعِينَ رَجُلًا ، فَلَقِيَهُمُ الْحَارِثُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ سُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ فِي مَيْسَرَةِ صَالِحٍ ، وَثَبَتَ صَالِحٌ ، فَقُتِلَ ، وَقَاتَلَ شَبِيبٌ حَتَّى صُرِعَ عَنْ فَرَسِهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ رَاجِلًا ، فَانْكَشَفُوا عَنْهُ ، فَجَاءَ إِلَى مَوْقِفٍ صَالِحٍ فَأَصَابَهُ قَتِيلًا ، فَنَادَى إِلَيَّ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَاذُوا بِهِ. |
| فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ لِيَجْعَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ظَهْرَهُ إِلَى ظَهْرِ صَاحِبِهِ ، وَلِيُطَاعِنْ عَدُوَّهُ حَتَّى يَدْخُلَ هَذَا الْحُصَيْنَ وَنَرَى رَأْيَنَا ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَدَخَلُوا الْحُصَيْنَ جَمِيعُهُمْ ، وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْحَارِثُ وَأَحْرَقَ عَلَيْهِمُ الْبَابَ ، وَقَالَ إِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهُ. |
| مُسَرِّحٌ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَكَسْرِهَا ، وَبِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ. |
| وَجَعْوَنَةُ بِفَتْحِ الْجِيمِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ الْوَاوِ ، وَآخِرُهُ نُونٌ . |
| ذِكْرُ بَيْعَةِ شَبِيبٍ الْخَارِجِيِّ وَمُحَارَبَةِ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ فَلَمَّا أَحْرَقَ الْحَارِثُ الْبَابَ عَلَى شَبِيبٍ وَمَنْ مَعَهُ وَقَالَ إِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهُ ، وَنُصَبِّحُهُمْ غَدًا فَنُقَتِّلُهُمْ ، وَانْصَرَفَ إِلَى عَسْكَرِهِ قَالَ شَبِيبٌ لِأَصْحَابِهِ مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ |
| فَوَاللَّهِ لَئِنْ صَبَّحَكُمْ هَؤُلَاءِ غَدْوَةً إِنَّهُ لَهَلَاكُكُمْ. |
| فَقَالُوا مُرْنَا بِأَمْرِكَ. |
| فَقَالَ بَايِعُونِي أَوْ مَنْ شِئْتُمْ مِنْ أَصْحَابِكُمْ ، وَاخْرُجُوا بِنَا حَتَّى نَشُدَّ عَلَيْهِمْ فِي عَسْكَرِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ آمِنُونَ. |
| فَبَايَعُوا شَبِيبًا ، وَهُوَ شَبِيبُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ نُعَيْمٍ الشَّيْبَانِيُّ ، وَأَتَوْا بِاللُّبُودِ فَبَلُّوهَا ، وَجَعَلُوهَا عَلَى جَمْرِ الْبَابِ وَخَرَجُوا ، فَلَمْ يَشْعُرِ الْحَارِثُ إِلَّا وَشَبِيبٌ وَأَصْحَابُهُ يُضَارِبُونَهُمْ بِالسُّيُوفِ فِي جَوْفِ الْعَسْكَرِ ، فَصُرِعَ الْحَارِثُ ، فَاحْتَمَلَهُ أَصْحَابُهُ وَانْهَزَمُوا نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، وَحَوَى شَبِيبٌ عَسْكَرَهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ الْجَيْشُ أَوَّلَ جَيْشٍ هَزَمَهُ شَبِيبٌ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ أَصْحَابِ شَبِيبٍ وَغَيْرِهِ ثُمَّ إِنَّ شَبِيبًا لَقِيَ سَلَامَةَ بْنَ سِنَانٍ التَّيْمِيَّ ، تَيْمِ شَيْبَانَ ، بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ ، فَدَعَاهُ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ ، فَشَرَطَ عَلَيْهِ سَلَامَةُ أَنْ يَنْتَخِبَ فَارِسًا يَنْطَلِقُ بِهِمْ نَحْوَ عَنَزَةَ ، فَيَشْفِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَتَلُوا أَخَاهُ فَضَالَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ فَضَالَةَ كَانَ خَرَجَ فِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا حَتَّى نَزَلَ مَاءً يُقَالُ لَهُ الشَّجَرَةُ ، عَلَيْهِ أَثْلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَعَلَيْهِ عَنَزَةُ نَازِلُونَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا نَقْتُلُ هَؤُلَاءِ ، وَنَغْدُو عَلَى أَمِيرِنَا فَيُعْطِينَا شَيْئًا. |
| فَقَالَ أَخْوَالُهُ مِنْ بَنِي نَصْرٍ لَا نُسَاعِدُكُمْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ أَخِينَا. |
| فَنَهَضَتْ عَنَزَةُ فَقَتَلُوهُمْ ، وَأَتَوْا بِرُءُوسِهِمْ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ ، فَلِذَلِكَ أَنْزَلَهُمْ بَانِقْيَا وَفَرَضَ لَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ فَرَائِضُ إِلَّا قَلِيلَةً ، فَقَالَ سَلَامَةُ أَخُو فَضَالَةَ يَذْكُرُ قَتْلَ أَخِيهِ وَخُذْلَانَ أَخْوَالِهِ إِيَّاهُ وَمَا خِلْتُ أَخْوَالَ الْفَتَى يُسْلِمُونَهُ... |
| لِوَقْعِ السِّلَاحِ قَبْلَ مَا فَعَلَتْ نَصْرُ وَكَانَ خُرُوجُ فَضَالَةَ قَبْلَ خُرُوجِ صَالِحٍ. |
| فَأَجَابَهُ شَبِيبٌ ، فَخَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَنَزَةَ ، فَجَعَلَ يَقْتُلُ مَحَلَّةً بَعْدَ مَحَلَّةٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى فَرِيقٍ مِنْهُمْ فِيهِمْ خَالَتُهُ قَدْ أَكَبَّتْ عَلَى ابْنٍ لَهَا ، وَهُوَ غُلَامٌ حِينَ احْتَلَمَ ، فَأَخْرَجَتْ ثَدْيَهَا وَقَالَتْ أَنْشُدُكَ بِرَحِمِ هَذَا يَا سَلَامَةُ! |
| فَقَالَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فَضَالَةَ مُذْ أَنَاخَ بِأَصْلِ الشَّجَرَةِ يَعْنِي أَخَاهُ لَتَقُومِنَّ عَنْهُ أَوْ لَأَجْمَعَنَّكُمَا بِالرُّمْحِ! |
| فَقَامَتْ عَنْهُ فَقَتَلَهُ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ شَبِيبٍ إِلَى بَنِي شَيْبَانَ وَإِيقَاعِهِ بِهِمْ ثُمَّ أَقْبَلَ شَبِيبٌ فِي خَيْلِهِ نَحْوَ رَاذَانَ ، فَهَرَبَ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ وَمَعَهُمْ نَاسٌ مِنْ غَيْرِهِمْ قَلِيلٌ ، حَتَّى نَزَلُوا دَيْرَ خُرَّزَادَ إِلَى جَنْبِ حَوْلَايَا ، وَهُمْ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَشَبِيبٌ فِي نَحْوِ سَبْعِينَ رَجُلًا أَوْ يَزِيدُونَ قَلِيلًا ، فَنَزَلَ بِهِمْ فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ شَبِيبًا سَرَى فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا إِلَى أُمِّهِ ، وَكَانَتْ فِي صَفْحِ جَبَلِ سَاتِيدَمَا ، فَقَالَ لَآتِيَنَّ بِهَا تَكُونُ فِي عَسْكَرِي لَا تُفَارِقُنِي حَتَّى تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ. |
| فَسَارَ بِهِمْ سَاعَةً ، وَإِذَا هُوَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ فِي أَمْوَالِهِمْ مُقِيمِينَ ، لَا يَرَوْنَ أَنَّ شَبِيبًا يَمُرُّ بِهِمْ وَلَا يَشْعُرُ بِهِمْ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، فَقَتَلَ ثَلَاثِينَ شَيْخًا فِيهِمْ حَوْثَرَةُ بْنُ أَسَدٍ ، وَمَضَى شَبِيبٌ إِلَى أُمِّهِ فَحَمَلَهَا ، وَأَشْرَفَ رَجُلٌ مِنَ الدَّيْرِ عَلَى أَصْحَابِ شَبِيبٍ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَخْلَفَ شَبِيبٌ عَلَيْهِمْ أَخَاهُ مُصَادَ بْنَ يَزِيدَ ، وَهُمْ قَدْ حَصَرُوا مَنْ فِي الدَّيْرِ ، فَقَالَ يَا قَوْمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْقُرْآنُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ التوبة ، فَكُفُّوا عَنَّا حَتَّى نَخْرُجَ إِلَيْكُمْ عَلَى أَمَانٍ ، وَتَعْرِضُوا عَلَيْنَا أَمْرَكُمْ ، فَإِنْ قَبِلْنَاهُ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ دِمَاؤُنَا وَأَمْوَالُنَا ، وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَقْبَلْهُ رَدَدْتُمُونَا إِلَى مَأْمَنِنَا ، ثُمَّ رَأَيْتُمْ رَأْيَكُمْ. |
| فَأَجَابُوهُمْ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ شَبِيبٍ قَوْلَهُمْ ، فَقَبِلُوهُ كُلَّهُ ، ثُمَّ خَالَطُوهُ وَنَزَلُوا إِلَيْهِمْ ، وَجَاءَ شَبِيبٌ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ أَصَبْتُمْ وَوُفِّقْتُمْ. |
| ذِكْرُ الْوَقْعَةِ بَيْنَ شَبِيبٍ وَسُفْيَانَ الْخَثْعَمِيِّ ثُمَّ إِنَّ شَبِيبًا ارْتَحَلَ ، فَخَرَجَ مَعَهُ طَائِفَةٌ وَأَقَامَتْ طَائِفَةٌ ، وَسَارَ شَبِيبٌ فِي أَرْضِ الْمَوْصِلِ نَحْوَ أَذْرَبِيجَانَ ، وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى سُفْيَانَ بْنِ أَبِي الْعَالِيَةِ الْخَثْعَمِيِّ يَأْمُرُهُ بِالْقُفُولِ ، وَكَانَ مَعَهُ أَلْفُ فَارِسٍ ، يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا طَبَرِسْتَانَ. |
| فَلَمَّا أَتَاهُ كِتَابُ الْحَجَّاجِ صَالَحَ صَاحِبَ طَبَرِسْتَانَ وَرَجَعَ ، فَأَمَرَهُ الْحَجَّاجُ بِنُزُولِ الدَّسْكَرَةِ حَتَّى يَأْتِيَهُ جَيْشُ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ الْهَمْدَانِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ صَالِحًا ، وَحَتَّى تَأْتِيَهُ خَيْلُ الْمَنَاظِرِ ، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى شَبِيبٍ. |
| فَأَقَامَ بِالدَّسْكَرَةِ ، وَنُودِيَ فِي جَيْشِ الْحَارِثِ الْحَرْبُ بِالْكُوفَةِ وَالْمَدَائِنِ ، فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا سُفْيَانَ ، وَأَتَتْهُ خَيْلُ الْمَنَاظِرِ عَلَيْهِمْ سَوْرَةُ بْنُ الْحُرِّ التَّمِيمِيُّ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَوْرَةُ بِالتَّوَقُّفِ حَتَّى يَلْحَقَهُ ، فَعَجَّلَ سُفْيَانُ فِي طَلَبِ شَبِيبٍ ، فَلَحِقَهُ بِخَانِقِينَ ، وَارْتَفَعَ شَبِيبٌ عَنْهُمْ حَتَّى كَأَنَّهُ يَكْرَهُ قِتَالَهُمْ ، وَأَكْمَنَ أَخَاهُ مُصَادًا فِي هَزْمٍ مِنَ الْأَرْضِ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا فَارِسًا ، وَمَضَى فِي سَفْحِ الْجَبَلِ ، فَقَالُوا هَرَبَ عَدُوُّ اللَّهِ ، فَاتَّبَعُوهُ ، فَقَالَ لَهُمْ عَدِيُّ بْنُ عُمَيْرَةَ الشَّيْبَانِيُّ لَا تُعَجِّلُوا حَتَّى نُبْصِرَ الْأَرْضَ لِئَلَّا يَكُونَ قَدْ كَمَّنَ فِيهَا كَمِينًا. |
| فَلَمْ يَلْتَفِتُوا ، فَاتَّبَعُوهُ ، فَلَمَّا جَازُوا الْكَمِينَ رَجَعَ عَلَيْهِمْ شَبِيبٌ ، وَخَرَجَ أَخُوهُ فِي الْكَمِينِ ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ بِغَيْرِ قِتَالٍ ، وَثَبَتَ سُفْيَانُ فِي نَحْوٍ مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَمَلَ سُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ عَلَى سُفْيَانَ فَطَاعَنَهُ ، ثُمَّ تَضَارَبَا بِالسُّيُوفِ ، وَاعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَوَقَعَا إِلَى الْأَرْضِ. |
| ثُمَّ تَحَاجَزُوا ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ شَبِيبٌ فَانْكَشَفُوا ، وَأَتَى سُفْيَانَ غُلَامٌ لَهُ ، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَأَرْكَبَهُ وَقَاتَلَ دُونَهُ ، فَقُتِلَ الْغُلَامُ وَنَجَا سُفْيَانُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابِلَ مَهْرُوذَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِالْخَبَرِ ، وَيُعَرِّفُهُ وُصُولَ الْجُنْدِ إِلَّا سَوْرَةَ بْنَ الْحُرِّ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ مَعِيَ الْقِتَالَ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْحَجَّاجُ الْكِتَابَ أَثْنَى عَلَيْهِ. |
| ذِكْرُ الْوَقْعَةَ بَيْنَ شَبِيبٍ وَسَوْرَةَ بْنِ الْحُرِّ فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ سُفْيَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ كَتَبَ إِلَى سَوْرَةَ بْنِ الْحُرِّ يَلُومُهُ وَيَتَهَدَّدُهُ ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَنْتَخِبَ مِنَ الْمَدَائِنِ خَمْسَمِائَةِ فَارِسٍ ، وَيَسِيرَ بِهِمْ وَبِمَنْ مَعَهُ إِلَى شَبِيبٍ. |
| فَفَعَلَ ذَلِكَ سَوْرَةُ وَسَارَ نَحْوَ شَبِيبٍ ، وَشَبِيبٌ يَجُولُ فِي جُوخَى ، وَسَوْرَةُ فِي طَلَبِهِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَدَائِنِ ، فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ ، وَأَخَذَ مِنْهَا دَوَابَّ وَقَتَلَ مَنْ ظَهَرَ لَهُ ، فَأَتَى فَقِيلَ لَهُ هَذَا سَوْرَةُ قَدْ أَقْبَلَ. |
| فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى النَّهْرَوَانَ ، فَصَلُّوا وَتَرَحَّمُوا عَلَى أَصْحَابِهِمُ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ ، وَتَبَرَّءُوا مِنْ عَلِيٍّ وَأَصْحَابِهِ. |
| وَأَخْبَرَتْ سَوْرَةَ عُيُونُهُ بِمَنْزِلِ شَبِيبٍ ، فَدَعَا أَصْحَابَهُ فَقَالَ إِنَّ شَبِيبًا لَا يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ رَجُلٍ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَنْتَخِبَكُمْ فَأَسِيرُ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ شُجْعَانِكُمْ ، فَآتِيهِ وَهُوَ آمِنٌ بَيَاتَكُمْ ، فَإِنِّي أَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَصْرَعَهُمْ. |
| فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ ، فَانْتَخَبَ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسَارَ بِهِمْ نَحْوَ النَّهْرَوَانِ ، وَبَاتَ شَبِيبٌ وَقَدْ أَذْكَى الْحَرَسَ ، فَلَمَّا دَنَا أَصْحَابُ سَوْرَةَ عَلِمُوا بِهِمْ ، فَاسْتَوَوْا عَلَى خُيُولِهِمْ ، وَتَعَبَّوْا تَعْبِيَتَهُمْ لِلْحَرْبِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ سَوْرَةُ رَآهُمْ قَدْ حَذِرُوا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، فَثَبَتُوا لَهُ وَضَارَبُوهُمْ ، وَصَاحَ شَبِيبٌ بِأَصْحَابِهِ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى تَرَكُوا الْعَرْصَةَ ، وَشَبِيبٌ يَقُولُ مَنْ يَنِكِ الْعَيْرَ يَنِكْ نَيَّاكَا جَنْدَلَتَانِ اصْطَكَّتَا اصْطِكَاكَا فَرَجَعَ سَوْرَةُ إِلَى عَسْكَرِهِ وَقَدْ هُزِمَ الْفُرْسَانُ وَأَهْلُ الْقُوَّةِ ، فَتَحَمَّلَ بِهِمْ وَأَقْبَلَ نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، وَاتَّبَعَهُ شَبِيبٌ يَرْجُو أَنْ يُدْرِكَهُ فَيُصِيبَ عَسْكَرَهُ. |
| فَوَصَلَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ الْمَدَائِنَ ، وَخَرَجَ ابْنُ أَبِي الْعُصَيْفِرِ أَمِيرُ الْمَدَائِنِ فِي أَهْلِ الْمَدَائِنِ ، فَرَمَوْا أَصْحَابَ شَبِيبٍ بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ ، فَارْتَفَعَ شَبِيبٌ عَنِ الْمَدَائِنِ ، فَمَرَّ عَلَى كَلْوَاذَى ، فَأَصَابَ بِهَا دَوَابَّ كَثِيرَةً لِلْحَجَّاجِ ، فَأَخَذَهَا وَمَضَى إِلَى تَكْرِيتَ ، وَأُرْجِفَ النَّاسُ بِالْمَدَائِنِ بِوُصُولِ شَبِيبٍ إِلَيْهِمْ ، فَهَرَبَ مَنْ بِهَا مِنَ الْجُنْدِ نَحْوَ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ شَبِيبٌ بِتَكْرِيتَ ، وَلَامَ الْحَجَّاجُ سَوْرَةَ وَحَبَسَهُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ شَبِيبٍ وَالْجَزْلِ بْنِ سَعِيدٍ ، وَقَتْلِ سَعِيدِ بْنِ مُجَالِدٍ فَلَمَّا قَدِمَ الْفَلُّ الْكُوفَةَ سَيَّرَ الْحَجَّاجُ الْجَزْلَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ شُرَحْبِيلَ الْكِنْدِيَّ ، وَاسْمُهُ عُثْمَانُ ، نَحْوَ شَبِيبٍ ، وَأَوْصَاهُ بِالِاحْتِيَاطِ وَتَرْكِ الْعَجَلَةِ ، فَقَالَ لَهُ لَا تَبْعَثْ مَعِي مِنَ الْجُنْدِ الْمَهْزُومِ أَحَدًا ، فَإِنَّهُمْ قَدْ دَخَلَهُمُ الرُّعْبُ ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ. |
| قَالَ قَدْ أَحْسَنْتَ. |
| فَأَخْرَجَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، فَسَارُوا مَعَهُ ، فَقَدَّمَ الْجَزْلُ بَيْنَ يَدَيْهِ عِيَاضَ بْنَ أَبِي لُبْنَةَ الْكِنْدِيَّ ، فَسَارُوا فِي طَلَبِ شَبِيبٍ ، وَجَعَلَ شَبِيبٌ يُرِيهِ الْهَيْبَةَ لَهُ ، فَيَخْرُجُ مِنْ رُسْتَاقٍ إِلَى رُسْتَاقٍ وَلَا يُقِيمُ ، إِرَادَةَ أَنْ يُفَرِّقَ الْجَزْلُ أَصْحَابَهُ ، فَيَلْقَاهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ تَعْبِيَةٍ. |
| فَجَعَلَ الْجَزْلُ لَا يَسِيرُ إِلَّا عَلَى تَعْبِيَةٍ ، وَلَا يَنْزِلُ إِلَّا خَنْدَقَ عَلَى نَفْسِهِ. |
| فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى شَبِيبٍ دَعَا أَصْحَابَهُ ، وَكَانُوا مِائَةً وَسِتِّينَ رَجُلًا ، فَفَرَّقَهُمْ أَرْبَعَ فِرَقٍ ، عَلَى كُلِّ أَرْبَعِينَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَجَعَلَ أَخَاهُ مُصَادًا فِي أَرْبَعِينَ ، وَسُوَيْدَ بْنَ سُلَيْمٍ فِي أَرْبَعِينَ ، وَالْمُحَلِّلَ بْنَ وَائِلٍ فِي أَرْبَعِينَ ، وَبَقِيَ هُوَ فِي أَرْبَعِينَ ، وَأَتَتْهُ عُيُونُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْجَزْلَ بِدَيْرِ يَزْدَجِرْدَ ، فَأَمَرَ شَبِيبٌ أَصْحَابَهُ فَعَلَّقُوا عَلَى دَوَابِّهِمْ ، ثُمَّ سَارَ بِهِمْ ، وَأَمَرَ كُلَّ رَأْسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَأْتِيَ الْجَزْلَ مِنْ جِهَةٍ ذَكَرَهَا لَهُ ، وَقَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُبَيِّتَهُ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ فِي الْقِتَالِ ، فَسَارَ أَخُوهُ فَانْتَهَى إِلَى دَيْرِ الْخَرَّارَةِ ، فَرَأَى لِلْجَزْلِ مَسْلَحَةً مَعَ ابْنِ أَبِي لُبْنَةَ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ مُصَادٌ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَقَاتَلُوهُ سَاعَةً ، ثُمَّ انْدَفَعُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَدْ أَدْرَكَهُمْ شَبِيبٌ ، فَقَالَ ارْكَبُوا أَكْتَافَهُمْ لِتَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ عَسْكَرَهُمْ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ. |
| وَاتَّبَعُوهُمْ مُلِحِّينَ ، فَانْتَهَوْا إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، فَمَنَعَهُمْ أَصْحَابُهُ مِنْ دُخُولِ خَنْدَقِهِمْ ، وَكَانَ لِلْجَزْلِ مَسَالِحُ أُخْرَى ، فَرَجَعَتْ فَمَنَعَتْهُمْ مِنْ دُخُولِ الْخَنْدَقِ ، وَقَالَ انْضَحُوا عَنْكُمْ بِالنَّبْلِ. |
| وَجَعَلَ شَبِيبٌ يَحْمِلُ عَلَى الْمَسَالِحِ حَتَّى اضْطَرَّهُمْ إِلَى الْخَنْدَقِ ، وَرَشَقَهُمْ أَهْلُ الْعَسْكَرِ بِالنَّبْلِ. |
| فَلَمَّا رَأَى شَبِيبٌ أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ سِيرُوا وَدَعُوهُمْ. |
| فَمَضَى عَلَى الطَّرِيقِ ، ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَاسْتَرَاحُوا ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ رَاجِعًا إِلَى الْجَزْلِ أَيْضًا عَلَى التَّعْبِيَةِ الْأُولَى وَقَالَ أَطِيفُوا بِعَسْكَرِهِمْ. |
| فَأَقْبَلُوا وَقَدْ أَدْخَلَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ مَسَالِحَهُمْ إِلَيْهِمْ وَقَدْ أَمِنُوا ، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا بِوَقْعِ حَوَافِرِ الْخَيْلِ ، فَانْتَهَوْا إِلَيْهِمْ قَبْلَ الصُّبْحِ ، وَأَحَاطُوا بِعَسْكَرِهِمْ مِنْ جِهَاتِهِ الْأَرْبَعِ ، فَقَاتَلُوهُمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ شَبِيبًا أَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ مُصَادٍ ، وَهُوَ يُقَاتِلُهُمْ مِنْ نَحْوِ الْكُوفَةِ ، أَنْ أَقْبِلْ إِلَيْنَا وَخَلِّ لَهُمُ الطَّرِيقَ ، فَفَعَلَ ، وَقَاتَلُوهُمْ مِنَ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ حَتَّى أَصْبَحُوا ، فَسَارَ شَبِيبٌ وَتَرَكَهُمْ وَلَمْ يَظْفَرْ بِهِمْ ، فَنَزَلَ عَلَى مِيلٍ وَنِصْفٍ ، ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى جَرْجَرَايَا. |
| وَأَقْبَلَ الْجَزْلُ فِي طَلَبِهِمْ عَلَى تَعْبِيَةٍ وَلَا يَنْزِلُ إِلَّا فِي خَنْدَقٍ. |
| وَسَارَ شَبِيبٌ فِي أَرْضِ جُوخَى وَغَيْرِهَا يَكْسِرُ الْخَرَاجَ ، فَطَالَ ذَلِكَ عَلَى الْحَجَّاجِ ، فَكَتَبَ إِلَى الْجَزْلِ يُنْكِرُ عَلَيْهِ إِبْطَاءَهُ ، وَيَأْمُرُهُ بِمُنَاهَضَتِهِمْ ، فَجَدَّ فِي طَلَبِهِمْ ، وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ سَعِيدَ بْنَ مُجَالِدٍ عَلَى جَيْشِ الْجَزْلِ ، وَأَمَرَهُ بِالْجِدِّ فِي قِتَالِ شَبِيبٍ وَتَرْكِ الْمُطَاوَلَةِ. |
| فَوَصَلَ سَعِيدٌ إِلَى الْجَزْلِ ، وَهُوَ بِالنَّهْرَوَانِ قَدْ خَنْدَقَ عَلَيْهِ ، وَقَامَ فِي الْعَسْكَرِ وَوَبَّخَهُمْ وَعَجَّزَهُمْ ، ثُمَّ خَرَجَ وَأَخْرَجَ مَعَهُ النَّاسَ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ خُيُولَ أَهْلِ الْعَسْكَرِ لِيَسِيرَ بِهِمْ جَرِيدَةً إِلَى شَبِيبٍ ، وَيَتْرُكَ الْبَاقِينَ مَكَانَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ الْجَزْلُ مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ ؟ |
| قَالَ أَقْدَمُ عَلَى شَبِيبٍ فِي هَذِهِ الْخَيْلِ. |
| فَقَالَ لَهُ الْجَزْلُ أَقِمْ أَنْتَ فِي جَمَاعَةِ النَّاسِ فَارِسِهِمْ وَرَاجِلِهِمْ وَأَبْرُزْ لَهُمْ ، فَوَاللَّهِ لَيَقْدُمُنَّ عَلَيْكَ ، وَلَا تُفَرِّقْ أَصْحَابَكَ. |
| فَقَالَ قِفْ أَنْتَ فِي الصَّفِّ. |
| فَقَالَ الْجَزْلُ يَا سَعِيدُ ، لَيْسَ لِي فِي مَا صَنَعْتَ رَأْيٌ ، أَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ. |
| وَوَقَفَ الْجَزْلُ فَصَفَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَقَدْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْخَنْدَقِ. |
| وَتَقَدَّمَ سَعِيدُ بْنُ مُجَالِدٍ وَمَعَهُ النَّاسُ ، وَقَدْ أَخَذَ شَبِيبٌ إِلَى قَطِيطِيَا فَدَخَلَهَا ، وَأَمَرَ دِهْقَانًا أَنْ يُصْلِحَ لَهُمْ غَدَاءً ، فَفَعَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ ، فَلَمْ يَفْرَغْ مِنَ الْغَدَاءِ حَتَّى أَتَاهُ سَعِيدٌ فِي ذَلِكَ الْعَسْكَرِ ، فَأَقْبَلَ الدِّهْقَانُ فَأَعْلَمَ شَبِيبًا بِهِمْ ، فَقَالَ لَا بَأْسَ ، قَرِّبِ الْغَدَاءَ. |
| فَقَرَّبَهُ ، فَأَكَلَ وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وَرَكِبَ بَغْلًا لَهُ وَخَرَجَ عَلَيْهِ ، وَسَعِيدٌ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلْحَكَمِ الْحَكِيمِ ، أَنَا أَبُو مُدَلِّهِ ، اثْبُتُوا إِنْ شِئْتُمْ. |
| وَجَعَلَ سَعِيدٌ يَقُولُ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا هُمْ أَكَلَةُ رَأْسٍ ، وَجَعَلَ يَجْمَعُ خَيْلَهُ وَيُرْسِلُهَا فِي أَثَرِ شَبِيبٍ ، فَلَمَّا رَأَى شَبِيبٌ تَفَرُّقَهُمْ جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ اسْتَعْرِضُوهُمْ ، فَوَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّ أَمِيرَهُمْ أَوْ لَيَقْتُلَنِّي. |
| وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ مُسْتَعْرِضًا ، فَهَزَمَهُمْ ، وَثَبَتَ سَعِيدٌ وَنَادَى أَصْحَابَهُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ شَبِيبٌ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ ، وَانْهَزَمَ ذَلِكَ الْجَيْشُ ، وَقُتِلُوا كُلَّ قِتْلَةٍ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْجَزْلِ ، فَنَادَاهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، إِلَيَّ إِلَيَّ! |
| وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى حُمِلَ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى جَرِيحًا ، وَقَدِمَ الْمُنْهَزِمُونَ الْكُوفَةَ ، وَكَتَبَ الْجَزْلُ إِلَى الْحَجَّاجِ بِالْخَبَرِ ، وَيُخْبِرُهُ بِقَتْلِ سَعِيدٍ ، وَأَقَامَ بِالْمَدَائِنِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيَشْكُرُهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ حَيَّانَ بْنَ أَبْجَرَ لِيُدَاوِيَ جِرَاحَتَهُ ، وَأَلْفَيْ دِرْهَمٍ لِيُنْفِقَهَا ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عُصَيْفِرٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَكَانَ يَعُودُهُ وَيَتَعَاهَدُهُ بِالْهَدِيَّةِ. |
| وَسَارَ شَبِيبٌ نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى أَهْلِهَا مَعَ الْمَدِينَةِ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْكَرْخِ ، فَعَبَرَ دِجْلَةَ إِلَيْهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَى سُوقِ بَغْدَادَ فَآمَنَهُمْ ، وَكَانَ يَوْمَ سُوقِهِمْ ، وَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ يَخَافُونَهُ ، وَاشْتَرَى أَصْحَابُهُ دَوَابَّ وَأَشْيَاءَ يُرِيدُونَهَا. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ شَبِيبٍ إِلَى الْكُوفَةِ ثُمَّ سَارَ شَبِيبٌ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَنَزَلَ عِنْدَ حَمَّامِ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَجَّاجَ مَكَانُهُ بَعَثَ سُوَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيَّ فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ الْقَ شَبِيبًا ، فَإِنِ اسْتَطْرَدَ لَكَ فَلَا تَتْبَعْهُ. |
| فَخَرَجَ وَعَسْكَرَ بِالسَّبْخَةِ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ شَبِيبًا قَدْ أَقْبَلَ ، فَسَارَ نَحْوَهُ ، فَكَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ، فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ عُثْمَانَ بْنَ قَطَنٍ ، فَعَسْكَرَ بِالنَّاسِ فِي السَّبْخَةِ ، وَسَارَ سُوَيْدٌ إِلَى زُرَارَةَ ، فَهُوَ يُعَبِّئُ أَصْحَابَهُ إِذْ قِيلَ قَدْ أَتَاكَ شَبِيبٌ ، فَنَزَلَ وَنَزَلَ مَعَهُ جُلُّ أَصْحَابِهِ ، فَأُخْبِرَ أَنَّ شَبِيبًا قَدْ تَرَكَكَ وَعَبَرَ الْفُرَاتَ وَهُوَ يُرِيدُ الْكُوفَةَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ ، فَنَادَى فِي أَصْحَابِهِ فَرَكِبُوا فِي آثَارِهِمْ ، وَبَلَغَ مَنْ بِالسَّبْخَةِ مَعَ عُثْمَانَ إِقْبَالُ شَبِيبٍ إِلَيْهِمْ ، فَصَاحَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَهَمُّوا أَنْ يَدْخُلُوا الْكُوفَةَ حَتَّى قِيلَ لَهُمْ إِنَّ سُوَيْدًا فِي آثَارِهِمْ قَدْ لَحِقَهُمْ وَهُوَ يُقَاتِلُهُمْ ، وَحَمَلَ شَبِيبٌ عَلَى سُوَيْدٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ حَمْلَةً مُنْكَرَةً ، فَلَمْ يَقْدِرْ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَأَخَذَ عَلَى بُيُوتِ الْكُوفَةِ نَحْوَ الْحِيرَةِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْمَسَاءِ ، وَتَبِعَهُ سُوَيْدٌ إِلَى الْحِيرَةِ ، فَرَآهُ قَدْ تَرَكَ الْحِيرَةَ وَذَهَبَ ، فَتَرَكَهُ سُوَيْدٌ وَأَقَامَ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْحَجَّاجِ يُعْلِمُهُ بِمَسِيرِ شَبِيبٍ. |
| ذِكْرُ مُحَارَبَةِ شَبِيبٍ أَهْلَ الْبَادِيَةِ وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى سُوَيْدٍ يَأْمُرُهُ بِاتِّبَاعِهِ ، فَاتَّبَعَهُ ، وَمَضَى شَبِيبٌ حَتَّى أَغَارَ أَسْفَلَ الْفُرَاتِ عَلَى مَنْ وَجَدَ مِنْ قَوْمِهِ ، وَارْتَفَعَ فِي الْبَرِّ وَرَاءَ خَفَّانِ ، فَأَصَابَ رِجَالًا مِنْ بَنِي الْوَرَثَةِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، مِنْهُمْ حَنْظَلَةُ بْنُ مَالِكٍ ، وَمَضَى شَبِيبٌ حَتَّى أَتَى بَنِي أَبِيهِ عَلَى اللَّصَفِ ، وَعَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ الْفِزْرُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي الصَّلْتِ ، وَكَانَ يَنْهَى شَبِيبًا عَنْ رَأْيِهِ ، وَكَانَ شَبِيبٌ يَقُولُ لَئِنْ مَلَكْتُ سَبْعَةَ أَعِنَّةٍ لَأَغْزُوَنَّ الْفِزْرَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ خَبَرُ شَبِيبٍ رَكِبَ الْفِزْرُ فَرَسًا ، وَخَرَجَ مِنْ وَرَاءِ الْبُيُوتِ ، وَانْهَزَمَ مِنْهُ الرِّجَالُ ، وَرَجَعَ وَقَدْ أَخَافَ أَهْلَ الْبَادِيَةِ ، فَأَخَذَ عَلَى الْقُطْقُطَانَةِ ، ثُمَّ عَلَى قَصْرِ بَنِي مُقَاتِلٍ ، ثُمَّ عَلَى الْحَصَّاصَةِ ، ثُمَّ عَلَى الْأَنْبَارِ ، وَمَضَى حَتَّى دَخَلَ دَقُوقَاءَ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ إِلَى أَدَانِي أَذْرَبِيجَانَ. |
| فَلَمَّا أَبْعَدَ سَارَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ عُرْوَةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ. |
| فَمَا شَعَرَ النَّاسُ إِلَّا وَقَدْ أَتَاهُمْ كِتَابُ دِهْقَانِ بَابِلَ مَهْرُوذَ إِلَى عُرْوَةَ يَذْكُرُ لَهُ أَنَّ بَعْضَ جُبَاةِ الْخَرَاجِ أَخْبَرَهُ أَنْ شَبِيبًا قَدْ نَزَلَ خَانِيجَارَ ، وَهُوَ عَلَى قَصْدِ الْكُوفَةِ ، فَأَرْسَلَ عُرْوَةُ الْكِتَابَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِالْبَصْرَةِ ، فَأَقْبَلَ مُجِدًّا نَحْوَ الْكُوفَةِ يُسَابِقُ شَبِيبًا إِلَيْهَا. |
| ذِكْرُ دُخُولِ شَبِيبٍ الْكُوفَةَ وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ إِلَى قَرْيَةٍ اسْمُهَا حَرْبَى ، فَقَالَ حَرْبٌ يُصْلَى بِهَا عَدُوُّكُمْ. |
| ثُمَّ سَارَ فَنَزَلَ عَقْرَقُوفَ ، فَقَالَ لَهُ سُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ تَحَوَّلْتَ مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الْمَشْئُومَةِ الِاسْمِ. |
| قَالَ وَقَدْ تَطَيَّرْتَ أَيْضًا! |
| وَاللَّهِ لَا أَسِيرُ إِلَى عَدُوِّي إِلَّا مِنْهَا ، إِنَّمَا شُؤْمُهَا عَلَى عَدُوِّنَا ، وَالْعَقْرُ لَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. |
| ثُمَّ سَارَ مِنْهَا يُبَادِرُ الْحَجَّاجَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَكَانَتْ كُتُبُ عُرْوَةَ تَرِدُ عَلَيْهِ ، أَعْنِي الْحَجَّاجَ ، يَحُثُّهُ عَلَى الْعَجَلِ إِلَيْهِمْ ، فَطَوَى الْحَجَّاجُ الْمَنَازِلَ ، فَنَزَلَهَا الْحَجَّاجُ صَلَاةَ الْعَصْرِ ، وَنَزَلَ شَبِيبٌ بِالسَّبْخَةِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ ، فَأَكَلُوا شَيْئًا ثُمَّ رَكِبُوا خُيُولَهُمْ ، فَدَخَلُوا الْكُوفَةَ وَبَلَغُوا السُّوقَ ، وَضَرَبَ شَبِيبٌ بَابَ الْقَصْرِ بِعَمُودِهِ ، فَأَثَّرَ فِيهِ أَثَرًا عَظِيمًا ، ثُمَّ وَقَفَ عِنْدَ الْمِصْطَبَةِ وَقَالَ عَبْدٌ دَعِيٌّ مِنْ ثَمُودٍ أَصْلُهُ... |
| لَا بَلْ يُقَالُ أَبُو أَبِيهِمْ يَقْدُمُ يَعْنِي الْحَجَّاجَ ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ إِنَّ ثَقِيفًا بَقَايَا ثَمُودٍ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ هُمْ مِنْ نَسْلِ يَقْدُمَ الْإِيَادِيِّ. |
| ثُمَّ اقْتَحَمُوا الْمَسْجِدَ الْأَعْظَمَ ، وَكَانَ لَا يَزَالُ فِيهِ قَوْمٌ يُصَلُّونَ ، فَقَتَلُوا عَقِيلَ بْنَ مُصْعَبٍ الْوَادِعِيَّ ، وَعَدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الثَّقَفِيَّ ، وَأَبَا لَيْثِ بْنَ أَبِي سُلَيْمٍ ، وَمَرُّوا بِدَارِ حَوْشَبٍ ، وَهُوَ عَلَى الشَّرْطِ ، فَقَالُوا إِنَّ الْأَمِيرَ يَطْلُبُهُ ، فَأَرَادَ الرُّكُوبَ ، ثُمَّ أَنْكَرَهُمْ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ، فَقَتَلُوا غُلَامَهُ ، ثُمَّ أَتَى الْجَحَّافَ بْنَ نُبَيْطٍ الشَّيْبَانِيَّ فَقَالَ لَهُ انْزِلْ لِنَقْضِيَكَ ثَمَنَ الْبَكْرَةِ الَّتِي اشْتَرَيْتُ مِنْكَ بِالْبَادِيَةِ. |
| فَقَالَ الْجَحَّافُ أَمَا ذَكَرْتَ أَمَانَتَكَ إِلَّا وَاللَّيْلُ أَظْلَمُ وَأَنْتَ عَلَى فَرَسِكَ يَا سُوَيْدٌ ؟ |
| قَبَّحَ اللَّهُ دِينًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ وَقَتْلِ الْقَرَابَةِ. |
| ثُمَّ مَرُّوا بِمَسْجِدِ ذُهْلٍ فَرَأَوْا ذُهْلَ بْنَ الْحَارِثِ ، وَكَانَ يُطِيلُ الصَّلَاةَ فِيهِ ، فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ الْكُوفَةِ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّضْرُ بْنُ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ الذُّهْلِيُّ ، فَقَالَ لَهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ. |
| فَقَالَ لَهُ سُوَيْدٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيْلَكَ! |
| فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ لَهُ شَبِيبٌ يَا نَضْرُ ، لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَرَادَ يَلْعَنُهُ ، فَقَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. |
| فَشَدَّ أَصْحَابُ شَبِيبٍ عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ قَدْ أَقْبَلَ مَعَ الْحَجَّاجِ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَتَخَلَّفَ عَنْهُ ، وَكَانَتْ أُمُّ النَّضْرِ نَاجِيَةَ بِنْتَ هَانِئِ بْنِ قَبِيصَةَ الشَّيْبَانِيِّ ، فَأَحَبَّ شَبِيبٌ نَجَاتَهُ. |
| ثُمَّ خَرَجُوا نَحْوَ الْمَرْدَمَةِ ، وَأَمَرَ الْحَجَّاجُ مُنَادِيًا فَنَادَى يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي ، وَهُوَ فَوْقَ بَابِ الْقَصْرِ ، وَعِنْدَهُ مِصْبَاحٌ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَتَاهُ عُثْمَانُ بْنُ قَطَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُصَيْنِ ذِي الْغُصَّةِ ، فَقَالَ أَعْلِمُوا الْأَمِيرَ بِمَكَانِي. |
| فَقَالَ لَهُ غُلَامٌ لِلْحَجَّاجِ قِفْ بِمَكَانِكَ. |
| وَجَاءَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْحَجَّاجَ بَعَثَ بِشْرَ بْنَ غَالِبٍ الْأَسَدِيَّ فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ ، وَزَائِدَةَ بْنَ قُدَامَةَ الثَّقَفِيَّ فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ ، وَأَبَا الضُّرَيْسِ مَوْلَى بَنِي تَمِيمٍ فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ ، وَعَبْدَ الْأَعْلَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ، وَزِيَادَ بْنَ عَمْرٍو الْعَتَكِيَّ. |
| وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ قَدِ اسْتَعْمَلَ مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى سِجِسْتَانَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ لِيُجَهِّزَهُ وَيُسَيِّرَهُ سَرِيعًا فِي أَلْفِ رَجُلٍ إِلَى عَمَلِهِ ، فَأَقَامَ يَتَجَهَّزُ ، وَحَدَثَ مِنْ أَمْرِ شَبِيبٍ مَا حَدَثَ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ تَلْقَى شَبِيبًا وَهَذِهِ الْخَارِجَةَ فَتُجَاهِدُهُمْ ، وَيَكُونُ الظَّفَرُ لَكَ وَيَطِيرُ اسْمُكَ ، ثُمَّ تَمْضِي إِلَى عَمَلِكَ. |
| فَسَيَّرَهُ مَعَهُمْ ، وَقَالَ لِهَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ إِنْ كَانَ حَرْبٌ فَأَمِيرُكُمْ زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ. |
| فَسَارَ هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءُ فَنَزَلُوا أَسْفَلَ الْفُرَاتِ ، فَتَرَكَ شَبِيبٌ الْوَجْهَ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، وَأَخَذَ نَحْوَ الْقَادِسِيَّةِ. |
| ذِكْرُ مُحَارَبَةِ شَبِيبٍ زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ وَوَجَّهَ الْحَجَّاجُ جَرِيدَةَ خَيْلٍ نَقَاوَةَ أَلْفِ وَثَمَانِمِائَةِ فَارِسٍ مَعَ زَحْرِ بْنِ قَيْسٍ ، وَقَالَ لَهُ اتْبَعْ شَبِيبًا حَتَّى تُوَاقِعَهُ أَيْنَ أَدْرَكْتَهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَاهِبًا ، فَاتْرُكْهُ مَا لَمْ يَعْطِفْ عَلَيْكَ أَوْ يُقِيمُ. |
| فَخَرَجَ زَحْرٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّيْلَحِينِ ، وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ نَحْوَهُ ، فَالْتَقَيَا ، فَجَمَعَ شَبِيبٌ خَيْلَهُ ، ثُمَّ اعْتَرَضَ بِهِمُ الصَّفَّ حَتَّى انْتَهَى إِلَى زَحْرٍ ، فَقَاتَلَ زَحْرٌ حَتَّى صُرِعَ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ وَأَصَابَهُ الْبَرْدُ قَامَ يَتَمَشَّى حَتَّى دَخَلَ قَرْيَةً فَبَاتَ بِهَا ، وَحُمِلَ مِنْهَا إِلَى الْكُوفَةِ ، وَبِوَجْهِهِ وَبِرَأْسِهِ بِضْعَ عَشْرَةَ جِرَاحَةً ، فَمَكَثَ أَيَّامًا ثُمَّ أَتَى الْحَجَّاجَ فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ شَهِيدٌ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. |
| ذِكْرُ مُحَارَبَةِ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُمْ وَقَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ فَلَمَّا هُزِمَ أَصْحَابُ زَحْرٍ قَالَ أَصْحَابُ شَبِيبٍ لِشَبِيبٍ قَدْ هَزَمْنَا لَهُمْ جُنْدًا ، انْصَرِفْ بِنَا الْآنَ وَافْرِينَ. |
| فَقَالَ لَهُمْ هَذِهِ الْهَزِيمَةُ قَدْ أَرْعَبَتْ هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءَ وَالْجُنُودَ الَّذِينَ فِي طَلَبِكُمْ ، فَاقْصُدُوا بِنَا نَحْوَهُمْ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَاتَلْنَاهُمْ فَمَا دُونَ الْحَجَّاجِ مَانِعٌ ، وَنَأْخُذُ الْكُوفَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . |
| فَقَالُوا نَحْنُ لِرَأْيِكَ تَبَعٌ. |
| فَسَارَ وَسَأَلَ عَنِ الْأُمَرَاءِ فَأُخْبِرَ أَنَّهُمْ بِرُوذْبَارَ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ فَرْسَخًا مِنَ الْكُوفَةِ ، فَقَصَدَهُمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْحَجَّاجُ يُعْلِمُهُمْ بِمَسِيرِهِ وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ أَمِيرَ الْجَمَاعَةِ زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ. |
| وَانْتَهَى إِلَيْهِمْ شَبِيبٌ وَقَدْ تَعَبَّؤُوا لِلْحَرْبِ ، فَكَانَ عَلَى مَيْمَنَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو الْعَتَكِيُّ ، وَفِي مَيْسَرَتِهِمْ بِشْرُ بْنُ غَالِبٍ الْأَسَدِيُّ ، وَكُلُّ أَمِيرٍ وَاقِفٌ فِي أَصْحَابِهِ ، وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ عَلَى فَرَسٍ كُمَيْتٍ أَغَرَّ فِي ثَلَاثِ كَتَائِبَ ، كَتِيبَةٍ فِيهَا سُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ ، فَوَقَفَ بِإِزَاءِ الْمَيْمَنَةِ ، وَكَتِيبَةٍ فِيهَا مُصَادٌ ، أَخُو شَبِيبٍ ، فَوَقَفَ بِإِزَاءِ الْمَيْسَرَةِ ، وَوَقَفَ شَبِيبٌ مُقَابِلَ الْقَلْبِ. |
| فَخَرَجَ زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ يَسِيرُ فِي النَّاسِ ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ لِعَدُوِّهِمْ وَالْقِتَالِ ، وَيُطْمِعُهُمْ فِي عَدُوِّهِمْ لِقِلَّتِهِ وَبَاطِلِهِ ، وَكَثْرَتِهِمْ وَأَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَوْقِفِهِ ، فَحَمَلَ سُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ عَلَى زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو ، فَانْكَشَفُوا ، وَثَبَتَ زِيَادٌ فِي نَحْوٍ مِنْ نِصْفِ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ عَنْهُمْ سُوَيْدٌ قَلِيلًا ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً ، فَتَطَاعَنُوا سَاعَةً ، وَصَبَرَ زِيَادٌ سَاعَةً ، وَقَاتَلَ زِيَادٌ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَقَاتَلَ سُوَيْدٌ أَيْضًا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَإِنَّهُ لَأَشْجَعُ الْعَرَبِ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ سُوَيْدٌ عَنْهُمْ ، وَإِذَا أَصْحَابُ زِيَادٍ يَتَفَرَّقُونَ ، فَقَالَ لِسُوَيْدٍ أَصْحَابُهُ أَلَا تَرَاهُمْ يَتَفَرَّقُونَ ؟ |
| احْمِلْ عَلَيْهِمْ. |
| فَقَالَ لَهُمْ شَبِيبٌ خَلُّوهُمْ حَتَّى يَخِفُّوا. |
| فَتَرَكَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ حَمَلَ الثَّالِثَةَ فَانْهَزَمُوا ، وَأَخَذَتْ زِيَادَ بْنَ عَمْرٍو السُّيُوفُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَمَا ضَرَّهُ مِنْهَا شَيْءٌ لِلُّبْسَةِ الَّتِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ انْهَزَمَ وَقَدْ جُرِحَ جِرَاحَةً يَسِيرَةً ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْمَسَاءِ. |
| ثُمَّ حَمَلُوا عَلَى عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ فَهَزَمُوهُ ، وَلَمْ يُقَاتِلْ كَثِيرًا ، وَلَحِقَ بِزِيَادِ بْنِ عَمْرٍو ، فَمَضَيَا مُنْهَزِمَيْنِ ، وَحَمَلَتِ الْخَوَارِجُ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا وَصَبَرَ لَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ مُصَادًا أَخَا شَبِيبٍ حَمَلَ عَلَى بِشْرِ بْنِ غَالِبٍ وَهُوَ فِي مَيْسَرَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَصَبَرَ بِشْرٌ وَنَزَلَ ، وَنَزَلَ مَعَهُ نَحْوُ خَمْسِينَ رَجُلًا ، فَقَاتَلُوا حَتَّى قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ. |
| وَحَمَلَتِ الْخَوَارِجُ عَلَى أَبِي الضُّرَيْسِ مَوْلَى بَنِي تَمِيمٍ ، وَهُوَ يَلِي بِشْرَ بْنَ غَالِبٍ ، فَهَزَمُوهُ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَوْقِفِ أَعْيَنَ فَهَزَمُوهُمَا ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِمَا إِلَى زَائِدَةَ بْنِ قُدَامَةَ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ نَادَى يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ! |
| الْأَرْضَ الْأَرْضَ ، لَا يَكُونُوا عَلَى كُفْرِهِمْ أَصْبَرُ مِنْكُمْ عَلَى إِيمَانِكُمْ. |
| فَقَاتَلَهُمْ عَامَّةَ اللَّيْلِ حَتَّى كَانَ السَّحَرُ. |
| ثُمَّ إِنَّ شَبِيبًا حَمَلَ عَلَيْهِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ ، وَتَرَكَهُمْ رِبْضَةً حَوْلَهُ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ زَائِدَةُ دَخَلَ أَبُو الضُّرَيْسِ وَأَعْيَنَ جَوْسَقًا عَظِيمًا ، وَقَالَ شَبِيبٌ لِأَصْحَابِهِ ارْفَعُوا السَّيْفَ عَنِ النَّاسِ وَادْعُوهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ. |
| فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ عِنْدَ الْفَجْرِ فَبَايَعُوهُ. |
| وَكَانَ فِيمَنْ بَايَعَهُ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى ، فَقَالَ شَبِيبٌ لِأَصْحَابِهِ هَذَا ابْنُ أَحَدِ الْحَكَمَيْنِ. |
| فَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَقَالَ شَبِيبٌ مَا ذَنْبُ هَذَا ؟ |
| وَتَرَكَهُ ، وَسَلَّمُوا عَلَى شَبِيبٍ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، فَبَقُوا كَذَلِكَ حَتَّى انْفَجَرَ الْفَجْرُ ، فَلَمَّا ظَهَرَ الْفَجْرُ أَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى مُؤَذِّنَهُ فَأَذَّنَ ، وَكَانَ لَمْ يَنْهَزِمْ ، فَسَمِعَ شَبِيبٌ الْأَذَانَ فَقَالَ مَا هَذَا ؟ |
| قَالُوا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ لَمْ يَبْرَحْ. |
| فَقَالَ قَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ حُمْقَهُ وَخُيَلَاءَهُ يَحْمِلُهُ عَلَى هَذَا. |
| ثُمَّ نَزَلَ شَبِيبٌ فَأَذَّنَ هُوَ وَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الصُّبْحَ ، ثُمَّ رَكِبُوا فَحَمَلُوا عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَانْهَزَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ وَثَبَتَتْ مَعَهُ طَائِفَةٌ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَخَذَتِ الْخَوَارِجُ مَا كَانَ فِي الْعَسْكَرِ ، وَانْهَزَمَ الَّذِينَ كَانُوا بَايَعُوا شَبِيبًا ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ. |
| ثُمَّ أَتَى شَبِيبٌ الْجَوْسَقَ الَّذِي فِيهِ أَعْيَنَ وَأَبُو الضُّرَيْسِ فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ ، فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَسَارَ عَنْهُمْ. |
| فَقَالَ أَصْحَابُهُ مَا دُونَ الْكُوفَةِ أَحَدٌ يَمْنَعُ. |
| فَنَظَرَ وَإِذَا أَصْحَابُهُ قَدْ جُرِحُوا ، فَقَالَ لَهُمْ مَا عَلَيْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلْتُمْ. |
| فَخَرَجَ بِهِمْ عَلَى نِفَّرَ ، ثُمَّ عَلَى الصَّرَاةِ ، فَأَتَى خَانِيجَارَ فَأَقَامَ بِهَا. |
| فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَسِيرُهُ نَحْوَ نِفَّرَ فَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ الْمَدَائِنَ ، وَهِيَ بَابُ الْكُوفَةِ ، وَمَنْ أَخَذَهَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنَ السَّوَادِ أَكْثَرُهُ ، فَهَالَ ذَلِكَ الْحَجَّاجَ ، فَبَعَثَ عُثْمَانَ بْنَ قَطَنٍ أَمِيرًا عَلَى الْمَدَائِنِ وَجُوخَى وَالْأَنْبَارِ ، وَعَزَلَ عَنْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي عُصَيْفِرٍ ، وَكَانَ بِهَا الْجَزْلُ يُدَاوِي جِرَاحَتَهُ ، فَلَمْ يَتَعَهَّدْهُ عُثْمَانُ كَمَا كَانَ ابْنُ أَبِي عُصَيْفِرٍ يَفْعَلُ ، فَقَالَ الْجَزْلُ اللَّهُمَّ زِدِ ابْنَ أَبِي عُصَيْفِرٍ جُودًا وَفَضْلًا ، وَزِدْ عُثْمَانَ بْنَ قَطَنٍ بُخْلًا وَضِيقًا. |
| وَقَدْ قِيلَ فِي مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى غَيْرُ هَذَا ، وَالَّذِي ذُكِرَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى كَانَ قَدْ شَهِدَ مَعَ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ قِتَالَ أَبِي فُدَيْكٍ ، وَكَانَ شُجَاعًا ذَا بَأْسٍ ، فَزَوَّجَهُ عُمَرُ ابْنَتَهُ ، وَكَانَتْ أُخْتُهُ تَحْتَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَوَلَّاهُ سِجِسْتَانَ ، فَمَرَّ بِالْكُوفَةِ وَفِيهَا الْحَجَّاجُ فَقِيلَ لَهُ إِنْ صَارَ هَذَا بِسِجِسْتَانَ مَعَ صِهْرِهِ ، لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَجَأَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِمَّنْ تَطْلُبُ مَنَعَكَ مِنْهُ فَقَالَ وَمَا الْحِيلَةُ ؟ |
| قَالَ تَأْتِيهِ وَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَتَذْكُرُ نَجْدَتَهُ وَبَأْسَهُ ، وَأَنَّ شَبِيبًا فِي طَرِيقِهِ ، وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَاكَ ، وَتَرْجُو أَنْ يُرِيحَ اللَّهُ مِنْهُ عَلَى يَدِهِ ، فَيَكُونُ لَهُ ذِكْرُهُ وَفَخْرُهُ. |
| فَفَعَلَ الْحَجَّاجُ ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ مُحَمَّدٌ وَعَدَلَ إِلَى شَبِيبٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ شَبِيبٌ إِنَّكَ مَخْدُوعٌ ، وَإِنَّ الْحَجَّاجَ قَدِ اتَّقَى بِكَ وَأَنْتَ جَارٌ لَكَ حَقٌّ ، فَانْطَلِقْ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ ، وَلَكَ اللَّهُ لَا أُوذِيكَ. |
| فَأَبَى إِلَّا مُحَارَبَتَهُ ، فَوَاقَفَهُ شَبِيبٌ وَأَعَادَ إِلَيْهِ الرَّسُولَ ، فَأَبَى وَطَلَبَ الْبِرَازَ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ الْبَطِينُ بْنُ قَعْنَبٍ ، وَسُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ ، فَأَبَى إِلَّا شَبِيبًا ، فَقَالُوا ذَلِكَ لِشَبِيبٍ ، فَبَرَزَ شَبِيبٌ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ أَنْشُدُكَ اللَّهَ فِي دَمِكَ ، فَإِنَّ لَكَ جِوَارًا. |
| فَأَبَى ، فَحَمَلَ شَبِيبٌ عَلَيْهِ فَضَرَبَهُ بِعَمُودٍ حَدِيدٍ وَزْنُهُ اثْنَا عَشَرَ رَطْلًا بِالشَّامِيِّ ، فَهَشَّمَ الْبَيْضَةَ وَرَأْسَهُ ، فَسَقَطَ مَيِّتًا ، ثُمَّ كَفَّنَهُ وَدَفَنَهُ ، وَابْتَاعَ مَا غَنِمُوا مِنْ عَسْكَرِهِ فَبَعَثَهُ إِلَى أَهْلِهِ وَاعْتَذَرَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، وَقَالَ هُوَ جَارِي ، وَلِي أَنْ أَهَبَ مَا غَنِمْتُ لِأَهْلِ الرِّدَّةِ. |
| ذِكْرُ مُحَارَبَةِ شَبِيبٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَقَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ قَطَنٍ ثُمَّ إِنَّ الْحَجَّاجَ دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْتَخِبَ مِنَ النَّاسِ سِتَّةَ آلَافِ فَارِسٍ ، وَيَسِيرُ فِي طَلَبِ شَبِيبٍ أَيْنَ كَانَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَسَارَ نَحْوَهُ ، وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ يَتَهَدَّدُهُمْ بِالْقَتْلِ وَالتَّنْكِيدِ إِنِ انْهَزَمُوا. |
| فَوَصَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى الْمَدَائِنِ ، فَأَتَى الْجَزْلَ يَعُودُهُ مِنْ جِرَاحَتِهِ ، فَأَوْصَاهُ الْجَزْلُ بِالِاحْتِيَاطِ ، وَحَذَّرَهُ مِنْ شَبِيبٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَعْطَاهُ فَرَسًا كَانَتْ لَهُ تُسَمَّى الْفُسَيْفِسَاءَ ، وَكَانَتْ لَا تُجَارَى ، ثُمَّ وَدَّعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَسَارَ إِلَى شَبِيبٍ. |
| فَسَارَ شَبِيبٌ إِلَى دَقُوقَاءَ وَشَهْرَزُورَ ، فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي طَلَبِهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالتُّخُومِ وَقَفَ وَقَالَ هَذِهِ أَرْضُ الْمَوْصِلِ فَلْيُقَاتِلُوا عَنْهَا. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ أَمَّا بَعْدُ ، فَاطْلُبْ شَبِيبًا وَاسْلُكْ فِي أَثَرِهِ أَيْنَ سَلَكَ ، حَتَّى تُدْرِكَهُ فَتَقْتُلَهُ أَوْ تَنْفِيهِ ، فَإِنَّمَا السُّلْطَانُ سُلْطَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْجُنْدُ جُنْدُهُ ، وَالسَّلَامُ. |
| فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي أَثَرِ شَبِيبٍ ، فَكَانَ شَبِيبٌ يَدَعُهُ حَتَّى يَدْنُوَ مِنْهُ فَيُبَيِّتُهُ ، فَيَجِدُهُ قَدْ خَنْدَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَحَذِرَ ، فَيَتْرُكُهُ وَيَسِيرُ ، فَيَتْبَعُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ. |
| فَإِذَا بَلَغَ شَبِيبًا مَسِيرُهُ أَتَاهُمْ وَهُمْ سَائِرُونَ ، فَيَجِدُهُمْ عَلَى تَعْبِيَةٍ فَلَا يُصِيبُ مِنْهُ غِرَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ إِذَا دَنَا مِنْهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَسِيرُ عِشْرِينَ فَرْسَخًا أَوْ مَا يُقَارِبُهَا فَيَنْزِلُ فِي أَرْضٍ خَشِنَةٍ غَلِيظَةٍ وَيَتْبَعُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَإِذَا دَنَا مِنْهُ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى عَذَّبَ ذَلِكَ الْجَيْشَ وَشَقَّ عَلَيْهِ وَأَحْفَى دَوَابَّهُمْ ، وَلَقُوا مِنْهُ كُلَّ بَلَاءٍ ، وَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتْبَعُهُ حَتَّى مَرَّ بِهِ عَلَى خَانِقِينَ وَجَلُولَاءَ وَسَامِرَّا ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى الْبَتِّ ، وَهِيَ مِنْ قُرَى الْمَوْصِلِ ، لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَوَادِ الْكُوفَةِ إِلَّا نَهْرُ حَوْلَايَا ، وَهُوَ فِي رَاذَانَ الْأَعْلَى مِنْ أَرْضِ جُوخَى ، وَنَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي عَوَاقِيلَ مِنَ النَّهْرِ; لِأَنَّهَا مِثْلُ الْخَنْدَقِ. |
| فَأَرْسَلَ شَبِيبٌ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ عِيدٌ لَنَا وَلَكُمْ ، يَعْنِي عِيدَ النَّحْرِ ، فَهَلْ لَكَ فِي الْمُوَادَعَةِ حَتَّى تَمْضِيَ هَذِهِ الْأَيَّامُ ؟ |
| فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ يُحِبُّ الْمُطَاوَلَةَ ، وَكَتَبَ عُثْمَانُ بْنُ قَطَنٍ إِلَى الْحَجَّاجِ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ قَدْ حَفَرَ جُوخَى كُلَّهَا خَنْدَقًا وَاحِدًا ، وَكَسَرَ خَرَاجَهَا ، وَخَلَّى شَبِيبًا يَأْكُلُ أَهْلَهَا ، وَالسَّلَامُ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْجَيْشِ ، وَجَعَلَهُ أَمِيرَهُمْ ، وَعَزَلَ عَنْهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْمَدَائِنِ مُطَرِّفَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، وَسَارَ عُثْمَانُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَسْكَرِ الْكُوفَةِ ، فَوَصَلَ عَشِيَّةَ الثُّلَاثَاءِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ ، فَنَادَى النَّاسَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ أَيُّهَا النَّاسُ ، اخْرُجُوا إِلَى عَدُوِّكُمْ. |
| فَوَثَبَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَقَالُوا هَذَا الْمَسَاءُ قَدْ غَشِيَنَا ، وَالنَّاسُ لَمْ يُوَطِّنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْحَرْبِ ، فَبِتِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ اخْرُجْ عَلَى تَعْبِيَةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ لَأُنَاجِزَنَّهُمْ ، فَلَتَكُونَنَّ الْفُرْصَةُ لِي أَوْ لَهُمْ. |
| فَأَتَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَنْزَلَهُ. |
| وَكَانَ شَبِيبٌ قَدْ نَزَلَ بِبَيْعَةِ الْبَتِّ ، فَأَتَاهُ أَهْلُهَا فَقَالُوا لَهُ أَنْتَ تَرْحَمُ الضُّعَفَاءَ وَأَهْلَ الذِّمَّةِ ، وَيُكَلِّمُكَ مَنْ تَلِي عَلَيْهِ وَيَشْكُونَ إِلَيْكَ فَتَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ جَبَابِرَةٌ لَا يُكَلِّمُونَ وَلَا يَقْبَلُونَ الْعُذْرَ ، وَاللَّهِ لَئِنْ بَلَغَهُمْ أَنَّكَ مُقِيمٌ فِي بَيْعَتِنَا لَيَقْتُلُنَّنَا إِذَا ارْتَحَلْتَ عَنَّا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَنْزِلَ جَانِبَ الْقَرْيَةِ وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا مَقَالًا فَافْعَلْ. |
| فَخَرَجَ عَنِ الْبَيْعَةِ فَنَزَلَ جَانِبَ الْقَرْيَةِ. |
| وَبَاتَ عُثْمَانُ لَيْلَتَهُ كُلَّهَا يُحَرِّضُ أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ خَرَجَ بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ ، فَاسْتَقْبَلَتْهُمْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَغَبَرَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا لَهُ نَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَخْرُجَ بِنَا وَالرِّيحُ عَلَيْنَا. |
| فَأَقَامَ بِهِمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَقَدْ عَبَّأَ النَّاسَ ، فَجَعَلَ فِي الْمَيْمَنَةِ خَالِدَ بْنَ نَهِيكِ بْنِ قَيْسٍ ، وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ عَقِيلَ بْنَ شَدَّادٍ السَّلُولِيَّ ، وَنَزَلَ هُوَ فِي الرَّجَّالَةِ ، وَعَبَرَ شَبِيبٌ النَّهْرَ إِلَيْهِمْ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٌ فِي مِائَةٍ وَأَحَدٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا ، فَوَقَفَ هُوَ فِي الْمَيْمَنَةِ ، وَجَعَلَ أَخَاهُ مُصَادًا فِي الْقَلْبِ ، وَجَعَلَ سُوَيْدَ بْنَ سُلَيْمٍ فِي الْمَيْسَرَةِ ، وَزَحَفَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. |
| وَقَالَ شَبِيبٌ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي حَامِلٌ عَلَى مَيْسَرَتِهِمْ مِمَّا يَلِي النَّهْرَ ، فَإِذَا هَزَمْتُهَا فَلْيَحْمِلْ صَاحِبُ مَيْسَرَتِي عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ ، وَلَا يَبْرَحْ صَاحِبُ الْقَلْبِ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرِي. |
| وَحَمَلَ عَلَى مَيْسَرَةِ عُثْمَانَ فَانْهَزَمُوا ، وَنَزَلَ عَقِيلُ بْنُ شَدَّادٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَقُتِلَ أَيْضًا مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَمْدَانِيُّ عَمُّ عَيَّاشِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْتُوفِ ، وَدَخَلَ شَبِيبٌ عَسْكَرَهُمْ ، وَحَمَلَ سُوَيْدٌ عَلَى مَيْمَنَةِ عُثْمَانَ ، فَهَزَمَهَا وَعَلَيْهَا خَالِدُ بْنُ نَهِيكٍ ، فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَمَلَ شَبِيبٌ مِنْ وَرَائِهِ فَقَتَلَهُ. |
| وَتَقَدَّمَ عُثْمَانُ بْنُ قَطَنٍ وَقَدْ نَزَلَ مَعَهُ الْعُرَفَاءُ وَأَشْرَافُ النَّاسِ وَالْفُرْسَانُ نَحْوَ الْقَلْبِ ، وَفِيهِ مُصَادٌ أَخُو شَبِيبٍ فِي نَحْوٍ مِنْ سِتِّينَ رَجُلًا ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ عُثْمَانُ شَدَّ عَلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ ، فَضَارَبُوهُمْ حَتَّى فَرَّقُوا بَيْنَهُمْ ، وَحَمَلَ شَبِيبٌ بِالْخَيْلِ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَمَا شَعَرَ عُثْمَانُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا وَالرِّمَاحُ فِي أَكْتَافِهِمْ تُكِبُّهُمْ لِوُجُوهِهِمْ ، وَعَطَفَ عَلَيْهِمْ سُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ أَيْضًا فِي خَيْلِهِ ، وَرَجَعَ مُصَادٌ وَأَصْحَابُهُ فَاضْطَرَبُوا سَاعَةً ، وَقَاتَلَ عُثْمَانُ بْنُ قَطَنٍ أَحْسَنَ قِتَالٍ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَحَاطُوا بِهِ ، وَضَرَبَهُ مُصَادٌ أَخُو شَبِيبٍ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ اسْتَدَارَ لَهَا وَقَالَ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا الأحزاب ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ قَتَلُوهُ ، وَوَقَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَأَتَاهُ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ الْجُعْفِيُّ ، وَهُوَ عَلَى بَغْلِهِ ، فَعَرَفَهُ فَأَرْكَبَهُ مَعَهُ ، وَنَادَى فِي النَّاسِ الْحَقُوا بِدَيْرِ أَبِي مَرْيَمَ ، ثُمَّ انْطَلَقَا ذَاهِبَيْنِ. |
| وَرَأَى وَاصِلٌ السَّكُونِيُّ فَرَسَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الَّتِي أَعْطَاهُ الْجَزْلُ تَجُولُ فِي الْعَسْكَرِ ، فَأَخَذَهَا بَعْضُ أَصْحَابِ شَبِيبٍ ، فَظَنَّ أَنَّهُ قُتِلَ ، فَطَلَبَهُ فِي الْقَتْلَى فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ خَبَرَهُ ، فَاتَّبَعَهُ وَاصِلٌ عَلَى بِرْذَوْنِهِ وَمَعَهُ غُلَامُهُ عَلَى بَغْلٍ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمَا نَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَابْنُ أَبِي سَبْرَةَ لِيُقَاتِلَا ، فَلَمَّا رَآهُمَا وَاصِلٌ عَرَفَهُمَا وَقَالَ إِنَّكُمَا تَرَكْتُمَا النُّزُولَ فِي مَوْضِعِهِ ، فَلَا تَنْزِلَا الْآنَ! |
| وَحَسَرَ عِمَامَتَهُ عَنْ وَجْهِهِ فَعَرَفَاهُ ، وَقَالَ لِابْنِ الْأَشْعَثِ قَدْ أَتَيْتُكَ بِهَذَا الْبِرْذَوْنِ لِتَرْكَبَهُ. |
| فَرَكِبَهُ وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ دَيْرَ الْبَقَّارِ. |
| وَأَمَرَ شَبِيبٌ أَصْحَابَهُ فَرَفَعُوا السَّيْفَ عَنِ النَّاسِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ فَبَايَعُوهُ. |
| وَقُتِلَ مِنْ كِنْدَةَ يَوْمَئِذٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ ، وَقُتِلَ مُعْظَمُ الْعُرَفَاءِ. |
| وَبَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِدَيْرِ الْبَقَّارِ ، فَأَتَاهُ فَارِسَانِ فَصَعِدَا إِلَيْهِ ، فَخَلَا أَحَدُهُمَا بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ طَوِيلًا ، ثُمَّ نَزَلَا ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كَانَ شَبِيبًا ، وَقَدْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُكَاتَبَةٌ ، وَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى أَتَى دَيْرَ أَبِي مَرْيَمَ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقَالُوا لَهُ إِنْ سَمِعَ شَبِيبٌ بِمَكَانِكَ أَتَاكَ فَكُنْتَ لَهُ غَنِيمَةً. |
| فَخَرَجَ إِلَى الْكُوفَةِ وَاخْتَفَى مِنَ الْحَجَّاجِ حَتَّى أُخِذَ لَهُ الْأَمَانُ مِنْهُ. |
| ذِكْرُ ضَرْبِ الدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ضَرَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ ضَرْبَهَا فِي الْإِسْلَامِ ، فَانْتَفَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ضَرْبِهَا أَنَّهُ كَتَبَ فِي صُدُورِ الْكُتُبِ إِلَى الرُّومِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ الإخلاص ، وَذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ التَّارِيخِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ إِنَّكُمْ قَدْ أَحْدَثْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، فَاتْرُكُوهُ وَإِلَّا أَتَاكُمْ فِي دَنَانِيرِنَا مِنْ ذِكْرِ نَبِيِّكُمْ مَا تَكْرَهُونَ. |
| فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ. |
| فَأَحْضَرَ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَاسْتَشَارَهُ فِيهِ ، فَقَالَ حَرِّمْ دَنَانِيرَهُمْ ، وَاضْرِبْ لِلنَّاسِ سَكَّةً فِيهَا ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى . |
| فَضَرَبَ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْحَجَّاجَ ضَرَبَ الدَّرَاهِمَ وَنَقَشَ فِيهَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ الإخلاص ، فَكَرِهَ النَّاسُ ذَلِكَ لِمَكَانِ الْقُرْآنِ ، لِأَنَّ الْجُنُبَ وَالْحَائِضَ يَمَسُّهَا ، وَنَهَى أَنْ يَضْرِبَ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، فَضَرَبَ سُمَيْرٌ الْيَهُودِيُّ ، فَأَخَذَهُ لِيَقْتُلَهُ ، فَقَالَ لَهُ عِيَارُ دِرْهَمِي أَجْوَدُ مِنْ دَرَاهِمِكَ ، فَلِمَ تَقْتُلُنِي ؟ |
| فَلَمْ يَتْرُكْهُ ، فَوَضَعَ لِلنَّاسِ سِنَجَ الْأَوْزَانِ لِيَتْرُكَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَكَانَ النَّاسُ لَا يَعْرِفُونَ الْوَزْنَ ، إِنَّمَا يَزِنُونَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ، فَلَمَّا وَضَعَ لَهُمْ سُمَيْرٌ السِّنَجَ كَفَّ بَعْضُهُمْ عَنْ غَبْنِ بَعْضٍ. |
| وَأَوَّلُ مَنْ شَدَّدَ فِي أَمْرِ الْوَزْنِ وَخَلَّصَ الْفِضَّةَ أَبْلَغَ مِنْ تَخْلِيصِ مَنْ قَبْلَهُ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَجَوَّدَ الدَّرَاهِمَ ، وَخَلَّصَ الْعِيَارَ وَاشْتَدَّ فِيهِ. |
| ثُمَّ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاشْتَدَّ أَكْثَرَ مِنَ ابْنِ هُبَيْرَةَ. |
| ثُمَّ وَلِيَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ ، فَأَفْرَطَ فِي الشِّدَّةِ ، فَامْتَحَنَ يَوْمًا الْعِيَارَ ، فَوَجَدَ دِرْهَمًا يَنْقُصُ حَبَّةً ، فَضَرَبَ كُلَّ صَانِعٍ أَلْفَ سَوْطٍ. |
| وَكَانُوا مِائَةَ صَانِعٍ ، فَضَرَبَ فِي حَبَّةٍ مِائَةَ أَلْفِ سَوْطٍ. |
| وَكَانَتِ الْهُبَيْرِيَّةُ وَالْخَالِدِيَّةُ وَالْيُوسُفِيَّةُ أَجْوَدَ نُقُودِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَلَمْ يَكُنِ الْمَنْصُورُ يَقْبَلُ فِي الْخَرَاجِ غَيْرَهَا ، فَسُمِّيَتِ الدَّرَاهِمُ الْأُولَى مَكْرُوهَةً. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْمَكْرُوهَةَ الدَّرَاهِمُ الَّتِي ضَرَبَهَا الْحَجَّاجُ وَنَقَشَ عَلَيْهَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ الإخلاص ، فَكَرِهَهَا الْعُلَمَاءُ لِأَجْلِ مَسِّ الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ. |
| وَكَانَتْ دَرَاهِمُ الْأَعْجَامِ مُخْتَلِفَةً كِبَارًا وَصِغَارًا ، وَكَانُوا يَضْرِبُونَ مِثْقَالًا ، وَهُوَ وَزْنُ عِشْرِينَ قِيرَاطًا ، وَمِنْهَا وَزْنُ اثْنَيْ عَشَرَ قِيرَاطًا ، وَمِنْهَا وَزْنُ عَشَرَةِ قَرَارِيطَ ، وَهِيَ أَصْنَافُ الْمَثَاقِيلِ ، فَلَمَّا ضُرِبَ الدَّرَاهِمُ فِي الْإِسْلَامِ أَخَذُوا عِشْرِينَ قِيرَاطًا ، وَاثْنَيْ عَشَرَ قِيرَاطًا ، وَعَشَرَةَ قَرَارِيطَ ، فَوَجَدُوا ذَلِكَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ قِيرَاطًا ، فَضَرَبُوا عَلَى الثُّلُثِ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قِيرَاطًا ، فَوَزَنَ الدِّرْهَمُ الْعَرَبِيُّ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قِيرَاطًا ، فَصَارَ وَزْنُ كُلِّ عَشَرَةِ دَرَاهِمَ سَبْعَةَ مَثَاقِيلَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ ضَرَبَ دَرَاهِمَ قَلِيلَةً أَيَّامَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ كُسِرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَيَّامَ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ فِي أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدَّرَاهِمَ وَالدَّنَانِيرَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَفَدَ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَفِيهَا وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ الْمَدِينَةَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ. |
| وَفِيهَا وُلِدَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ. |
| وَأَقَامَ الْحَجَّ لِلنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ عَلَى الْعِرَاقِ الْحَجَّاجُ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْحٌ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ زُرَارَةُ بْنُ أَوْفَى. |
| وَفِيهَا غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الرُّومَ مِنْ نَاحِيَةِ مَلَطْيَةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ حَبَّةُ بْنُ جُوَيْنٍ الْعُرَنِيُّ صَاحِبُ عَلِيٍّ. |
| حَبَّةُ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَبِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى عُرَنَةَ ، بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ الْمَضْمُومَةِ ، وَالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالنُّونِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ ذِكْرُ مُحَارَبَةِ شَبِيبٍ عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ وَزُهْرَةَ بْنَ حَوِيَّةَ وَقَتْلِهِمَا وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ شَبِيبٌ عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ الرِّيَاحِيَّ وَزُهْرَةَ بْنَ حَوِيَّةَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ شَبِيبًا لَمَّا هَزَمَ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ وَجَّهَهُ الْحَجَّاجُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَقُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ قَطَنٍ ، كَانَ ذَلِكَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ ، وَأَتَى شَبِيبٌ مَاهَ بَهْرَاذَانَ فَصَيَّفَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، وَأَتَاهُ نَاسٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا ، وَمِمَّنْ كَانَ الْحَجَّاجُ يَطْلُبُهُمْ بِمَالٍ أَوْ تَبِعَاتٍ. |
| فَلَمَّا ذَهَبَ الْحَرُّ خَرَجَ شَبِيبٌ فِي نَحْوِ ثَمَانِمِائَةِ رَجُلٍ فَأَقْبَلَ نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، وَعَلَيْهَا مُطَرِّفُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، فَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ قَنَاطِرَ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ، فَكَتَبَ عَظِيمُ بَابِلَ مَهْرُوذُ إِلَى الْحَجَّاجِ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ ، لَتُقَاتِلُنَّ عَنْ بِلَادِكُمْ وَعَنْ فَيْئِكُمْ ، أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَى قَوْمٍ هُمْ أَطْوَعُ وَأَصْبَرُ عَلَى اللَّأْوَاءِ وَالْقَيْظِ مِنْكُمْ ، فَيُقَاتِلُونَ عَدُوَّكُمْ وَيَأْكُلُونَ فَيْئَكُمْ. |
| فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَكَانٍ فَقَالُوا نَحْنُ نُقَاتِلُهُمْ وَنَعْتِبُ الْأَمِيرَ ، فَلْيَنْدُبْنَا الْأَمِيرُ إِلَيْهِمْ. |
| وَقَامَ إِلَيْهِ زُهْرَةُ بْنُ حَوِيَّةَ ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَتِمُّ قَائِمًا حَتَّى يُؤْخَذَ بِيَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّمَا تَبْعَثُ إِلَيْهِمُ النَّاسَ مُتَقَطِّعِينَ ، فَاسْتَنْفِرِ النَّاسَ إِلَيْهِمْ كَافَّةً ، وَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا شُجَاعًا مُجَرِّبًا مِمَّنْ يَرَى الْفِرَارَ هَضْمًا وَعَارًا ، وَالصَّبْرَ مَجْدًا وَكَرَمًا. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ فَأَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، فَاخْرُجْ. |
| فَقَالَ زُهْرَةُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّمَا يَصْلُحُ الرَّجُلُ يَحْمِلُ الدِّرْعَ وَالرُّمْحَ ، وَيَهُزُّ السَّيْفَ ، وَيَثْبُتُ عَلَى مَتْنِ الْفَرَسِ ، وَأَنَا لَا أُطِيقُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ، وَقَدْ ضَعُفَ بَصَرِي وَضَعُفْتُ ، وَلَكِنْ أَخْرِجْنِي مَعَ الْأَمِيرِ فِي النَّاسِ ، فَأَكُونُ مَعَهُ وَأُشِيرُ عَلَيْهِ بِرَأْيِي. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ فِي أَوَّلِ أَمْرِكَ وَآخِرِهِ ، فَقَدْ نَصَحْتَ. |
| ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ ، سِيرُوا بِأَجْمَعِكُمْ كَافَّةً. |
| فَانْصَرَفَ النَّاسُ يَتَجَهَّزُونَ وَلَا يَدْرُونَ مَنْ أَمِيرُهُمْ. |
| وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُخْبِرُهُ أَنَّ شَبِيبًا قَدْ شَارَفَ الْمَدَائِنَ وَأَنَّهُ يُرِيدُ الْكُوفَةَ ، وَقَدْ عَجَزَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَنْ قِتَالِهِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، فِي كُلِّهَا يَقْتُلُ أُمَرَاءَهُمْ وَيَهْزِمُ جُنُودَهُمْ ، وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ جُنْدًا مِنَ الشَّامِ ، يُقَاتِلُونَ الْخَوَارِجَ وَيَأْكُلُونَ الْبِلَادَ. |
| فَلَمَّا أَتَى الْكِتَابُ بَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ سُفْيَانَ بْنَ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيَّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَحَبِيبَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَكَمِيَّ فِي أَلْفَيْنِ. |
| فَبَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ الرِّيَاحِيِّ ، وَهُوَ مَعَ الْمُهَلَّبِ ، يَسْتَدْعِيهِ ، وَكَانَ عَتَّابٌ قَدْ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ يَشْكُو مِنَ الْمُهَلَّبِ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَضُمَّهُ إِلَيْهِ; لِأَنَّ عَتَّابًا طَلَبَ مِنَ الْمُهَلَّبِ أَنْ يَرْزُقَ أَهْلَ الْكُوفَةِ الَّذِينَ مَعَهُ مِنْ مَالِ فَارِسَ ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مُنَافَرَةٌ ، فَكَادَتْ تُؤَدِّي إِلَى الْحَرْبِ ، فَدَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بَيْنَهُمَا فَأَصْلَحَ الْأَمْرَ ، وَأَلْزَمَ أَبَاهُ بِرِزْقِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَتَبَ يَشْكُو مِنْهُ. |
| فَلَمَّا وَرَدَ كِتَابُهُ سُرَّ الْحَجَّاجُ بِذَلِكَ وَاسْتَدْعَاهُ ، ثُمَّ جَمَعَ الْحَجَّاجُ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَنْ يُوَلِّيهِ أَمْرَ الْجَيْشِ ، فَقَالُوا رَأْيُكَ أَفْضَلُ. |
| فَقَالَ قَدْ بَعَثْتُ إِلَى عَتَّابٍ ، وَهُوَ قَادِمٌ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ أَوِ الْقَابِلَةَ. |
| فَقَالَ زُهْرَةُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، رَمَيْتَهُمْ بِحَجَرِهِمْ ، وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ إِلَيْكَ حَتَّى نَظْفَرَ أَوْ نُقْتَلَ. |
| وَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ بْنُ وَالِقٍ إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّ جَيْشًا قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ مِنَ الشَّامِ ، وَأَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ هُزِمُوا ، وَهَانَ عَلَيْهِمُ الْفِرَارُ ، فَقُلُوبُهُمْ كَأَنَّهَا لَيْسَتْ فِيهِمْ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَبْعَثَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ لِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ ، وَلَا يُبَيِّتُوا إِلَّا وَهُمْ مُحْتَاطُونَ ، فَإِنَّكَ تُحَارِبُ حُوَّلًا قُلَّبًا ظَعَّانًا رَحَّالًا ، وَقَدْ جَهَّزْتَ إِلَيْهِمْ أَهْلَ الْكُوفَةِ ، وَلَسْتَ وَاثِقًا بِهِمْ كُلَّ الثِّقَةِ ، وَإِنَّ شَبِيبًا بَيْنَا هُوَ فِي أَرْضٍ إِذَا هُوَ فِي أُخْرَى ، وَلَا آمَنُ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَ الشَّامِ وَهُمْ آمِنُونَ ، فَإِنْ يَهْلِكُوا نَهْلِكْ وَيَهْلِكِ الْعِرَاقُ. |
| قَالَ لَهُ لِلَّهِ أَبُوكَ ، مَا أَحْسَنَ مَا أَشَرْتَ بِهِ! |
| وَأَرْسَلَ إِلَى الشَّامِ يُحَذِّرُهُمْ ، وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَأْتُوا عَلَى عَيْنِ التَّمْرِ. |
| فَفَعَلُوا. |
| وَقَدِمَ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَبَعَثَهُ الْحَجَّاجُ عَلَى ذَلِكَ الْجَيْشِ ، فَعَسْكَرَ بِحَمَّامِ أَعْيَنَ ، وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى كَلْوَاذَى ، فَقَطَعَ فِيهَا دِجْلَةَ ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ مَدِينَةَ بَهُرَسِيرَ الدُّنْيَا ، فَصَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُطَرِّفٍ جِسْرُ دِجْلَةَ ، وَقَطَعَ مُطَرِّفٌ الْجِسْرَ وَبَعَثَ إِلَى شَبِيبٍ أَنِ ابْعَثْ إِلَيَّ رِجَالًا مِنْ وُجُوهِ أَصْحَابِكَ أُدَارِسُهُمُ الْقُرْآنَ ، وَأَنْظُرُ فِيمَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ. |
| فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَعْنَبَ بْنَ سُوَيْدٍ وَالْمُحَلِّلَ وَغَيْرَهُمَا ، وَأَخَذَ مِنْهُ رَهَائِنَ إِلَى أَنْ يَعُودُوا ، فَأَقَامُوا عِنْدَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ لَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى شَيْءٍ. |
| فَلَمَّا لَمْ يَتْبَعْهُ مُطَرِّفٌ تَهَيَّأَ لِلْمَسِيرِ إِلَى عَتَّابٍ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي كُنْتُ عَازِمًا أَنْ آتِيَ أَهْلَ الشَّامِ جَرِيدَةً ، وَأَلْقَاهُمْ عَلَى غِرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَّصِلُوا بِأَمِيرٍ مِثْلِ الْحَجَّاجِ ، وَمِصْرٍ مِثْلِ الْكُوفَةِ ، فَثَبَّطَنِي عَنْهُمْ مُطَرِّفٌ ، وَقَدْ جَاءَتْنِي عُيُونِي ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ أَوَائِلَهُمْ قَدْ دَخَلُوا عَيْنَ التَّمْرِ ، فَهُمُ الْآنَ قَدْ شَارَفُوا الْكُوفَةَ ، وَقَدْ أَخْبَرُونِي أَنَّ عَتَّابًا وَمَنْ مَعَهُ بِالْبَصْرَةِ ، فَمَا أَقْرَبُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، فَتَيَسَّرُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى عَتَّابٍ. |
| وَخَافَ مُطَرِّفُ بْنُ الْمُغِيرَةِ أَنْ يَبْلُغَ خَبَرُهُ مَعَ شَبِيبٍ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَخَرَجَ نَحْوَ الْجِبَالِ. |
| فَأَرْسَلَ شَبِيبٌ أَخَاهُ مُصَادًا إِلَى الْمَدَائِنِ وَعَقَدَ الْجِسْرَ ، وَأَقْبَلَ عَتَّابٌ إِلَيْهِ حَتَّى نَزَلَ بِسُوقِ حَكَمَةَ ، وَقَدْ خَرَجَ مَعَهُ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، وَمِنَ الشَّبَابِ وَالْأَتْبَاعِ عَشَرَةُ آلَافٍ ، فَكَانُوا خَمْسِينَ أَلْفًا ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ قَالَ لَهُمْ حِينَ سَارُوا إِنَّ لِلسَّائِرِ الْمُجْتَهِدِ الْكَرَامَةَ وَالْأَثَرَةَ ، وَلِلْهَارِبِ الْهَوَانَ وَالْجَفْوَةَ ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَئِنْ فَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ كَفِعْلِكُمْ فِي الْمَوَاطِنِ الْأُخَرِ لَأُوَلِّيَنَّكُمْ كَنَفًا خَشِنًا ، وَلَأُعْرِكَنَّكُمْ بِكَلْكَلٍ ثَقِيلٍ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ عَتَّابٌ سُوقَ حَكَمَةَ أَتَاهُ شَبِيبٌ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ بِالْمَدَائِنِ أَلْفَ رَجُلٍ ، فَحَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، وَسَارَ بِهِمْ ، فَتَخَلَّفَ عَنْهُ بَعْضُهُمْ ، ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ بِسَابَاطَ ، وَصَلَّى الْعَصْرَ وَسَارَ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى عَتَّابٍ وَعَسْكَرِهِ ، فَلَمَّا رَآهُمْ نَزَلَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ ، وَكَانَ عَتَّابٌ قَدْ عَبَّأَ أَصْحَابَهُ ، فَجَعَلَ فِي الْمَيْمَنَةِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ ، وَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّكَ شَرِيفٌ صَابِرٌ. |
| فَقَالَ وَاللَّهِ لَأَصْبِرَنَّ مَا ثَبَتَ مَعِيَ إِنْسَانٌ. |
| وَقَالَ لِقَبِيصَةَ بْنِ وَالِقٍ الثَّعْلَبِيِّ اكْفِنِي الْمَيْسَرَةَ. |
| فَقَالَ أَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ، لَا أَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ إِلَّا أَنْ أُقَامَ. |
| فَجَعَلَ عَلَيْهَا نُعَيْمَ بْنَ عُلَيْمٍ ، وَبَعَثَ حَنْظَلَةَ بْنَ الْحَارِثِ الْيَرْبُوعِيَّ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ وَشَيْخُ أَهْلِ بَيْتِهِ ، عَلَى الرَّجَّالَةِ ، وَصَفَّهُمْ ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ صَفٌّ فِيهِمْ أَصْحَابُ السُّيُوفِ ، وَصَفٌّ فِيهِمْ أَصْحَابُ الرِّمَاحِ ، وَصَفٌّ فِيهِمُ الرُّمَاةُ ، ثُمَّ سَارَ فِي النَّاسِ يُحَرِّضُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَيَقُصُّ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ أَيْنَ الْقَصَّاصُ ؟ |
| فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ. |
| ثُمَّ قَالَ أَيْنَ مَنْ يَرْوِي شِعْرَ عَنْتَرَةَ ؟ |
| فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ. |
| فَقَالَ إِنَّا لِلَّهِ ، كَأَنِّي بِكُمْ قَدْ فَرَرْتُمْ عَنْ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ ، وَتَرَكْتُمُوهُ تَسْفِي فِي اسْتِهِ الرِّيحُ! |
| ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى جَلَسَ فِي الْقَلْبِ وَمَعَهُ زُهْرَةُ بْنُ حَوِيَّةَ جَالِسٌ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَهْمٍ الْعَدَوِيُّ. |
| وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ وَهُوَ فِي سِتِّمِائَةٍ وَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَرْبَعُمِائَةٍ ، فَقَالَ لَقَدْ تَخَلَّفَ عَنَّا مَنْ لَا أُحِبُّ أَنْ يَرَى فِينَا ، فَجَعَلَ سُوَيْدَ بْنَ سُلَيْمٍ فِي مِائَتَيْنِ فِي الْمَيْسَرَةِ ، وَجَعَلَ الْمُحَلِّلَ بْنَ وَائِلٍ فِي مِائَتَيْنِ فِي الْقَلْبِ ، وَمَضَى هُوَ فِي مِائَتَيْنِ إِلَى الْمَيْمَنَةِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ حِينَ أَضَاءَ الْقَمَرُ ، فَنَادَاهُمْ لِمَنْ هَذِهِ الرَّايَاتُ ؟ |
| فَقَالُوا رَايَاتٌ لِرَبِيعَةَ. |
| قَالَ طَالَمَا نَصَرَتِ الْحَقَّ ، وَطَالَمَا نَصَرَتِ الْبَاطِلَ ، وَاللَّهِ لَأُجَاهِدَنَّكُمْ مُحْتَسِبًا ، أَنَا شَبِيبٌ ، لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، لِلْحَكَمِ ، اثْبُتُوا إِنْ شِئْتُمْ! |
| ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ فَفَضَّهُمْ ، فَثَبَتَ أَصْحَابُ رَايَاتِ قَبِيصَةَ بْنِ وَالِقٍ ، وَعُبَيْدِ بْنِ الْحُلَيْسِ ، وَنُعَيْمِ بْنِ عُلَيْمٍ فَقُتِلُوا ، وَانْهَزَمَتِ الْمَيْسَرَةُ كُلُّهَا ، وَنَادَى النَّاسُ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ قُتِلَ قَبِيصَةُ! |
| وَقَالَ شَبِيبٌ قَتَلْتُمُوهُ ، وَمِثْلَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا الأعراف . |
| ثُمَّ وَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ وَيْحَكَ لَوْ ثَبَتَّ عَلَى إِسْلَامِكَ الْأَوَّلِ سَعِدْتَ! |
| وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ هَذَا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ جَاءَ يُقَاتِلُكُمْ مَعَ الْفَسَقَةِ. |
| ثُمَّ إِنَّ شَبِيبًا حَمَلَ مِنَ الْمَيْسَرَةِ عَلَى عَتَّابٍ ، وَحَمَلَ سُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ عَلَى الْمَيْمَنَةِ ، وَعَلَيْهِمَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَاتَلَهُمْ فِي رِجَالٍ مِنْ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ ، فَمَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى قِيلَ لَهُمْ قُتِلَ عَتَّابٌ ، فَانْفَضُّوا. |
| وَلَمْ يَزَلْ عَتَّابٌ جَالِسًا عَلَى طَنْفَسَةٍ فِي الْقَلْبِ وَمَعَهُ زُهْرَةُ بْنُ حَوِيَّةَ إِذْ غَشِيَهُمْ شَبِيبٌ ، فَقَالَ لَهُ عَتَّابٌ يَا زُهْرَةُ ، هَذَا يَوْمٌ كَثُرَ فِيهِ الْعَدَدُ ، وَقَلَّ فِيهِ الْغَنَاءُ ، وَالَهَفِي عَلَى خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ تَمِيمٍ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ ، أَلَا صَابِرٌ لِعَدُوِّهِ ؟ |
| أَلَا مُوَاسٍ بِنَفْسِهِ ؟ |
| فَانْفَضُّوا عَنْهُ وَتَرَكُوهُ ، فَقَالَ لَهُ زُهْرَةُ أَحْسَنْتَ يَا عَتَّابُ ، فَعَلْتَ فِعْلًا لَا يَفْعَلُهُ مِثْلُكَ. |
| أَبْشِرْ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَهْدَى إِلَيْنَا الشَّهَادَةَ عِنْدَ فَنَاءِ أَعْمَارِنَا. |
| فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ شَبِيبٌ وَثَبَ فِي عِصَابَةٍ قَلِيلَةٍ صَبَرَتْ مَعَهُ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَشْعَثِ قَدْ هَرَبَ وَتَبِعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ. |
| فَقَالَ مَا رَأَيْتُ ذَلِكَ الْفَتَى يُبَالِي مَا صَنَعَ. |
| ثُمَّ قَاتَلَهُمْ سَاعَةً ، فَرَآهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ شَبِيبٍ يُقَالُ لَهُ عَامِرُ بْنُ عُمَرَ التَّغْلِبِيُّ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ ، وَوَطِئَتِ الْخَيْلُ زُهْرَةَ بْنَ حَوِيَّةَ ، فَأَخَذَ يَذُبُّ بِسَيْفِهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ ، فَجَاءَهُ الْفَضْلُ بْنُ عَامِرٍ الشَّيْبَانِيُّ فَقَتَلَهُ ، فَانْتَهَى إِلَيْهِ شَبِيبٌ فَرَآهُ صَرِيعًا فَعَرَفَهُ ، فَقَالَ هَذَا زُهْرَةُ بْنُ حَوِيَّةَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتَ قُتِلْتَ عَلَى ضَلَالَةٍ لَرُبَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ حَسُنَ فِيهِ بَلَاؤُكَ ، وَعَظُمَ فِيهِ غَنَاؤُكَ! |
| وَلَرُبَّ خَيْلٍ لِلْمُشْرِكِينَ هَزَمْتَهَا ، وَقَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهُمْ جَمٍّ أَهْلُهَا قَدِ افْتَتَحْتَهَا! |
| ثُمَّ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّكَ تُقْتَلُ نَاصِرًا لِلظَّالِمِينَ. |
| وَتَوَجَّعَ لَهُ. |
| فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِنَّكَ لَتَتَوَجَّعُ لِرَجُلٍ كَافِرٍ. |
| فَقَالَ إِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْرَفَ بِضَلَالَتِهِمْ مِنِّي ، وَلَكِنِّي أَعْرِفُ مِنْ قَدِيمِ أَمْرِهِمْ مَا لَا تَعْرِفُ ، مَا لَوْ ثَبَتُوا عَلَيْهِ لَكَانُوا إِخْوَانَنَا. |
| فَاسْتَمْسَكَ شَبِيبٌ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ وَالنَّاسِ ، فَقَالَ ارْفَعُوا السَّيْفَ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ وَهَرَبُوا مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِمْ ، وَحَوَى مَا فِي الْعَسْكَرِ ، وَبَعَثَ إِلَى أَخِيهِ فَأَتَاهُ مِنَ الْمَدَائِنِ. |
| وَأَقَامَ شَبِيبٌ بَعْدَ الْوَقْعَةِ بِبَيْتِ قُرَّةَ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ سَارَ نَحْوَ الْكُوفَةِ ، فَنَزَلَ بُسُورَا وَقَتَلَ عَامِلَهَا. |
| وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ وَعَسْكَرُ الشَّامِ قَدْ دَخَلُوا الْكُوفَةَ ، فَشَدُّوا ظَهْرَ الْحَجَّاجِ وَاسْتَغْنَى بِهِ وَبِعَسْكَرِهِ عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، لَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَرَادَ بِكُمُ الْعِزَّ ، وَلَا نَصَرَ مَنْ أَرَادَ بِكُمُ النَّصْرَ ، اخْرُجُوا عَنَّا فَلَا تَشْهَدُوا مَعَنَا قِتَالَ عَدُوِّنَا ، انْزِلُوا بِالْحِيرَةِ مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَلَا يُقَاتِلْ مَعَنَا إِلَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ قِتَالَ عَتَّابٍ. |
| ذِكْرُ قُدُومِ شَبِيبٍ الْكُوفَةَ أَيْضًا وَانْهِزَامِهِ عَنْهَا ثُمَّ سَارَ شَبِيبٌ مِنْ سُورَا فَنَزَلَ حَمَّامَ أَعْيَنَ ، فَدَعَا الْحَجَّاجُ الْحَارِثَ بْنَ مُعَاوِيَةَ الثَّقَفِيَّ ، فَوَجَّهَهُ فِي نَاسٍ مِنَ الشُّرَطِ لَمْ يَشْهَدُوا يَوْمَ عَتَّابٍ وَغَيْرِهِمْ ، فَخَرَجَ فِي نَحْوِ أَلْفٍ ، فَنَزَلَ زُرَارَةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ شَبِيبًا ، فَعَجَّلَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَجَاءَ الْمُنْهَزِمُونَ فَدَخَلُوا الْكُوفَةَ ، وَجَاءَ شَبِيبٌ فَعَسْكَرَ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ وَأَقَامَ ثَلَاثًا ، فَلَمْ يَكُنْ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ غَيْرُ قَتْلِ الْحَارِثِ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي أَخْرَجَ الْحَجَّاجُ مَوَالِيَهُ ، فَأَخَذُوا بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ ، وَجَاءَ شَبِيبٌ فَنَزَلَ السَّبْخَةَ وَابْتَنَى بِهَا مَسْجِدًا ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ أَخْرَجَ الْحَجَّاجُ أَبَا الْوَرْدِ مَوْلَاهُ ، عَلَيْهِ تِجْفَافٌ ، وَمَعَهُ غِلْمَانٌ لَهُ وَقَالُوا هَذَا الْحَجَّاجُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ شَبِيبٌ فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ إِنْ كَانَ هَذَا الْحَجَّاجُ فَقَدْ أَرَحْتُكُمْ مِنْهُ. |
| ثُمَّ أَخْرَجَ الْحَجَّاجُ غُلَامَهُ طَهْمَانَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْعُدَّةِ وَالْحَالَةِ ، فَقَتَلَهُ شَبِيبٌ وَقَالَ إِنْ كَانَ هَذَا الْحَجَّاجُ فَقَدْ أَرَحْتُكُمْ مِنْهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْحَجَّاجَ خَرَجَ ارْتِفَاعَ النَّهَارِ مِنَ الْقَصْرِ ، فَطَلَبَ بَغْلًا يَرْكَبُهُ إِلَى السَّبْخَةِ ، فَأُتِيَ بِبَغْلٍ ، فَرَكِبَهُ وَمَعَهُ أَهْلُ الشَّامِ ، فَخَرَجَ ، فَلَمَّا رَأَى الْحَجَّاجُ شَبِيبًا وَأَصْحَابَهُ نَزَلَ ، وَكَانَ شَبِيبٌ فِي سِتِّمِائَةِ فَارِسٍ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَ الْحَجَّاجِ ، وَجَعَلَ الْحَجَّاجُ سَبْرَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ عَلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ فِي جَمَاعَةِ النَّاسِ ، وَدَعَا الْحَجَّاجُ بِكُرْسِيٍّ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ثُمَّ نَادَى يَا أَهْلَ الشَّامِ ، أَنْتُمْ أَهْلُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ ، فَلَا يَغْلِبَنَّ بَاطِلُ هَؤُلَاءِ الْأَرْجَاسِ حَقَّكُمْ ، غُضُّوا الْأَبْصَارَ ، وَاجْثُوا عَلَى الرُّكَبِ ، وَاسْتَقْبِلُوهُمْ بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ. |
| فَفَعَلُوا وَأَشْرَعُوا الرِّمَاحَ ، وَكَأَنَّهُمْ حَرَّةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ فِي ثَلَاثَةِ كَرَادِيسَ ، كَتِيبَةٌ مَعَهُ ، وَكَتِيبَةٌ مَعَ سُوَيْدِ بْنِ سُلَيْمٍ ، وَكَتِيبَةٌ مَعَ الْمُحَلِّلِ بْنِ وَائِلٍ ، وَقَالَ لِسُوَيْدٍ احْمِلْ عَلَيْهِمْ فِي خَيْلِكَ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، فَثَبَتُوا لَهُ وَوَثَبُوا فِي وَجْهِهِ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ ، فَطَعَنُوهُ حَتَّى انْصَرَفَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ. |
| وَصَاحَ الْحَجَّاجُ هَكَذَا فَافْعَلُوا ، وَأَمَرَ بِكُرْسِيِّهِ فَقُدِّمَ ، وَأَمَرَ شَبِيبٌ الْمُحَلِّلَ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَفَعَلُوا بِهِ كَذَلِكَ ، فَنَادَاهُمُ الْحَجَّاجُ هَكَذَا فَافْعَلُوا ، وَأَمَرَ بِكُرْسِيِّهِ فَقُدِّمَ. |
| ثُمَّ إِنَّ شَبِيبًا حَمَلَ عَلَيْهِمْ فِي كَتِيبَتِهِ ، فَثَبَتُوا لَهُ وَصَنَعُوا بِهِ كَذَلِكَ ، فَقَاتَلَهُمْ طَوِيلًا ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ طَاعَنُوهُ حَتَّى أَلْحَقُوهُ بِأَصْحَابِهِ. |
| فَلَمَّا رَأَى صَبْرَهُمْ نَادَى يَا سُوَيْدُ ، احْمِلْ عَلَيْهِمْ بِأَصْحَابِكَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ السِّكَّةِ ، لَعَلَّكَ تُزِيلُ أَهْلَهَا ، وَتَأْتِي الْحَجَّاجَ مِنْ وَرَائِهِ ، وَنَحْمِلُ نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ أَمَامِهِ. |
| فَحَمَلَ سُوَيْدٌ ، فَرُمِيَ مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ وَأَفْوَاهِ السِّكَكِ فَرَجَعَ. |
| وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ جَعَلَ عُرْوَةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ رِدْءًا لَهُ ، لِئَلَّا يُؤْتَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ، فَجَمَعَ شَبِيبٌ أَصْحَابَهُ لِيَحْمِلَ بِهِمْ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ اصْبِرُوا لِهَذِهِ الشِّدَّةِ الْوَاحِدَةِ ، ثُمَّ هُوَ الْفَتْحُ. |
| فَجَثَوْا عَلَى الرُّكَبِ. |
| وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ شَبِيبٌ بِجَمِيعِ أَصْحَابِهِ ، فَوَثَبُوا فِي وَجْهِهِ ، وَمَا زَالُوا يُطَاعِنُونَهُ وَيُضَارِبُونَهُ قُدُمًا ، وَيَدْفَعُونَهُ وَأَصْحَابَهُ حَتَّى أَجَازُوهُمْ مَكَانَهُمْ ، وَأَمَرَ شَبِيبٌ أَصْحَابَهُ بِالنُّزُولِ ، فَنَزَلَ نِصْفُهُمْ ، وَجَاءَ الْحَجَّاجُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ شَبِيبٍ ثُمَّ قَالَ يَا أَهْلَ الشَّامِ ، هَذَا أَوَّلُ الْفَتْحِ ، وَصَعِدَ الْمَسْجِدَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مَعَهُمُ النَّبْلُ لِيَرْمُوهُمْ إِنْ دَنَوْا مِنْهُ ، فَاقْتَتَلُوا عَامَّةَ النَّهَارِ أَشَدَّ قِتَالٍ رَآهُ النَّاسُ حَتَّى أَقَرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لِصَاحِبِهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ خَالِدَ بْنَ عَتَّابٍ قَالَ لِلْحَجَّاجِ ائْذَنْ لِي فِي قِتَالِهِمْ فَإِنِّي مَوْتُورٌ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَقَصَدَ عَسْكَرَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَقَتَلَ مُصَادًا أَخَا شَبِيبٍ ، وَقَتَلَ امْرَأَتَهُ غَزَالَةَ ، وَحَرَّقَ فِي عَسْكَرِهِ. |
| وَأَتَى الْخَبَرُ الْحَجَّاجَ وَشَبِيبًا ، فَكَبَّرَ الْحَجَّاجُ وَأَصْحَابُهُ ، وَأَمَّا شَبِيبٌ فَرَكِبَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَقَالَ الْحَجَّاجُ لِأَهْلِ الشَّامِ احْمِلُوا عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَتَاهُمْ مَا أَرْعَبَهُمْ. |
| فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ ، وَتَخَلَّفَ شَبِيبٌ فِي حَامِيَةِ النَّاسِ. |
| فَبَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى خَيْلِهِ أَنْ دَعُوهُ ، فَتَرَكُوهُ وَرَجَعُوا ، وَدَخَلَ الْحَجَّاجُ الْكُوفَةَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ مَا قُوتِلَ شَبِيبٌ قَبْلَهَا ، وَلَّى وَاللَّهِ هَارِبًا وَتَرَكَ امْرَأَتَهُ يُكْسَرُ فِي اسْتِهَا الْقَصَبُ. |
| ثُمَّ دَعَا حَبِيبَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَكَمِيَّ فَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي أَثَرِ شَبِيبٍ وَقَالَ لَهُ احْذَرْ بَيَاتَهُ ، وَحَيْثُ لَقِيتَهُ فَانْزِلْ لَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَلَّ حَدَّهُ ، وَقَصَمَ نَابَهُ. |
| فَخَرَجَ فِي أَثَرِهِ حَتَّى نَزَلَ الْأَنْبَارَ ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ نَادَى عِنْدَ انْهِزَامِهِمْ مَنْ جَاءَنَا مِنْكُمْ فَهُوَ آمِنٌ. |
| فَتَفَرَّقَ عَنْ شَبِيبٍ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. |
| فَلَمَّا نَزَلَ حَبِيبٌ الْأَنْبَارَ أَتَاهُمْ شَبِيبٌ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ نَزَلَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ ، وَكَانَ حَبِيبٌ قَدْ جَعَلَ أَصْحَابَهُ أَرْبَاعًا ، وَقَالَ لِكُلِّ رُبُعٍ مِنْهُمْ لِيَمْنَعْ كُلُّ رُبُعٍ مِنْكُمْ جَانِبَهُ ، فَإِنْ قَاتَلَ هَذَا الرُّبُعُ فَلَا يُعِنْهُمُ الرُّبُعُ الْآخَرُ ، فَإِنَّ الْخَوَارِجَ قَرِيبٌ مِنْكُمْ ، فَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى أَنَّكُمْ مُبَيَّتُونَ وَمُقَاتَلُونَ. |
| فَأَتَاهُمْ شَبِيبٌ وَهُمْ عَلَى تَعْبِيَةٍ ، فَحَمَلَ عَلَى رُبُعٍ فَقَاتَلَهُمْ طَوِيلًا ، فَمَا زَالَتْ قَدَمُ إِنْسَانٍ عَنْ مَوْضِعِهَا ، ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَأَقْبَلَ إِلَى رُبُعٍ آخَرَ فَكَانُوا كَذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَى رُبُعًا آخَرَ فَكَانُوا كَذَلِكَ ، ثُمَّ الرُّبُعَ الرَّابِعَ ، فَمَا بَرِحَ يُقَاتِلُهُمْ حَتَّى ذَهَبَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ نَازَلَهُمْ رَاجِلًا ، فَسَقَطَتْ مِنْهُمُ الْأَيْدِي ، وَكَثُرَتِ الْقَتْلَى ، وَفُقِئَتِ الْأَعْيُنُ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ شَبِيبٍ نَحْوُ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَمِنْ أَهْلِ الشَّامِ نَحْوُ مِائَةٍ ، وَاسْتَوْلَى التَّعَبُ وَالْإِعْيَاءُ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَضْرِبُ بِسَيْفِهِ فَلَا يَصْنَعُ شَيْئًا ، وَحَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُقَاتِلُ جَالِسًا ، فَمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ مِنَ التَّعَبِ. |
| فَلَمَّا يَئِسَ شَبِيبٌ مِنْهُمْ تَرَكَهُمْ وَانْصَرَفَ عَنْهُمْ. |
| ثُمَّ قَطَعَ دِجْلَةَ وَأَخَذَ فِي أَرْضِ جُوخَى ، ثُمَّ قَطَعَ دِجْلَةَ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ وَاسِطَ ، ثُمَّ أَخَذَ نَحْوَ الْأَهْوَازِ ، ثُمَّ إِلَى فَارِسَ ، ثُمَّ إِلَى كَرْمَانَ لِيَسْتَرِيحَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ. |
| وَقِيلَ فِي هَزِيمَتِهِ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ قَدْ بَعَثَ إِلَى شَبِيبٍ أَمِيرًا فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ أَمِيرًا فَقَتَلَهُ ، أَحَدُهُمَا أَعْيَنُ صَاحِبُ حَمَّامِ أَعْيَنَ ، ثُمَّ جَاءَ شَبِيبٌ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ غَزَالَةُ ، وَكَانَتْ نَذَرَتْ أَنْ تُصَلِّيَ فِي جَامِعِ الْكُوفَةِ رَكْعَتَيْنِ تَقْرَأُ فِيهِمَا الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ ، وَاتَّخَذَ فِي عَسْكَرِهِ أَخْصَاصًا. |
| فَجَمَعَ الْحَجَّاجُ لَيْلًا بَعْدَ أَنْ لَقِيَ مِنْ شَبِيبٍ النَّاسُ مَا لَقُوا ، فَاسْتَشَارَهُمْ فِي أَمْرِ شَبِيبٍ ، فَأَطْرَقُوا ، وَفَصَلَ قُتَيْبَةَ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ إِنَّ الْأَمِيرَ مَا رَاقَبَ اللَّهَ وَلَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا نُصْحَ الرَّعِيَّةِ. |
| قَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ |
| قَالَ لِأَنَّكَ تَبْعَثُ الرَّجُلَ الشَّرِيفَ وَتَبْعَثُ مَعَهُ رَعَاعًا ، فَيَنْهَزِمُونَ وَيَسْتَحْيِي أَنْ يَنْهَزِمَ فَيُقْتَلُ. |
| قَالَ فَمَا الرَّأْيُ ؟ |
| قَالَ الرَّأْيُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ فَتُحَاكِمَهُ. |
| قَالَ فَانْظُرْ لِي مُعَسْكَرًا. |
| فَخَرَجَ النَّاسُ يَلْعَنُونَ عَنْبَسَةَ بْنَ سَعِيدٍ; لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَلَّمَ الْحَجَّاجَ فِيهِ حَتَّى جَعَلَهُ مِنْ صَحَابَتِهِ ، وَصَلَّى الْحَجَّاجُ مِنَ الْغَدِ الصُّبْحَ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، وَأَقْبَلَ قُتَيْبَةُ وَقَدْ رَأَى مُعَسْكَرًا حَسَنًا ، فَدَخَلَ إِلَى الْحَجَّاجِ ، ثُمَّ خَرَجَ وَمَعَهُ لِوَاءٌ مَنْشُورٌ ، وَخَرَجَ الْحَجَّاجُ يَتْبَعُهُ حَتَّى خَرَجَ إِلَى السَّبْخَةِ وَبِهَا شَبِيبٌ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ، فَتَوَاقَفُوا ، وَقِيلَ لِلْحَجَّاجِ لَا تُعَرِّفْهُ مَكَانَكَ ، فَأَخْفَى مَكَانَهُ ، وَشَبَّهَ لَهُ أَبَا الْوَرْدِ مَوْلَاهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ شَبِيبٌ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَضَرَبَهُ بِعَمُودٍ فَقَتَلَهُ ، وَحَمَلَ شَبِيبٌ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَتَّابٍ وَمَنْ مَعَهُ وَهُوَ عَلَى مَيْسَرَةِ الْحَجَّاجِ ، فَبَلَغَ بِهِمُ الرَّحْبَةَ ، وَحَمَلَ عَلَى مَطَرِ بْنِ نَاجِيَةَ وَهُوَ عَلَى مَيْمَنَةِ الْحَجَّاجِ فَكَشَفَهُ ، فَنَزَلَ عِنْدَ ذَلِكَ الْحَجَّاجُ ، وَنَزَلَ أَصْحَابُهُ ، وَجَلَسَ عَلَى عَبَاءَةٍ وَمَعَهُ عَنْبَسَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، فَإِنَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَنَاوَلَ مَصْقَلَةُ بْنُ مُهَلْهِلٍ الضَّبِّيُّ لِجَامَ شَبِيبٍ وَقَالَ مَا تَقُولُ فِي صَالِحِ بْنِ مُسَرِّحٍ ، وَبِمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ |
| قَالَ أَعَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ فَبَرِئَ مِنْ صَالِحٍ. |
| فَقَالَ لَهُ مَصْقَلَةُ بَرِئَ اللَّهُ مِنْكَ ، وَفَارَقَهُ إِلَّا أَرْبَعِينَ فَارِسًا ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ قَدِ اخْتَلَفُوا ، وَأَرْسَلَ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَتَّابٍ ، فَأَتَى بِهِمْ فِي عَسْكَرِهِمْ فَقَاتَلَهُمْ فَقُتِلَتْ غَزَالَةُ ، وَمُرَّ بِرَأْسِهَا إِلَى الْحَجَّاجِ مَعَ فَارِسٍ ، فَعَرَفَهُ شَبِيبٌ ، فَأَمَرَ رَجُلًا فَحَمَلَ عَلَى الْفَارِسِ فَقَتَلَهُ وَجَاءَ بِالرَّأْسِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَغُسِّلَ ثُمَّ دَفَنَهُ. |
| وَمَضَى الْقَوْمُ عَلَى حَامِيَتِهِمْ ، وَرَجَعَ خَالِدٌ فَأَخْبَرَ الْحَجَّاجَ بِانْصِرَافِهِمْ ، فَأَمَرَهُ بِاتِّبَاعِهِمْ ، فَاتَّبَعَهُمْ يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ فَقَاتَلُوهُ حَتَّى بَلَغُوا بِهِ الرَّحْبَةَ ، وَأُتِيَ شَبِيبٌ بِخُوطِ بْنِ عُمَيْرٍ السَّدُوسِيِّ فَقَالَ يَا خُوطُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. |
| فَقَالَ إِنَّ خُوطًا مِنْ أَصْحَابِكُمْ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَخَافُ. |
| فَأَطْلَقَهُ ، وَأُتِيَ بِعُمَيْرِ بْنِ الْقَعْقَاعِ فَقَالَ يَا عُمَيْرُ ، لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. |
| فَقَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَبَابِي. |
| فَرَدَّدَ عَلَيْهِ شَبِيبٌ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. |
| فَلَمْ يَفْقَهْ مَا يُرِيدُ ، فَقَتَلَهُ. |
| وَقُتِلَ مُصَادٌ أَخُو شَبِيبٍ ، وَجَعَلَ شَبِيبٌ يَنْتَظِرُ الثَّمَانِيَةَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا خَالِدًا ، فَأَبْطَئُوا وَلَمْ يَقْدَمْ أَصْحَابُ الْحَجَّاجِ عَلَى شَبِيبٍ هَيْبَةً لَهُ ، وَأَتَى إِلَى شَبِيبٍ أَصْحَابُهُ الثَّمَانِيَةُ ، فَسَارُوا وَاتَّبَعَهُمْ خَالِدٌ وَقَدْ دَخَلُوا إِلَى دَيْرٍ بِنَاحِيَةِ الْمَدَائِنِ ، فَحَصَرَهُمْ فِيهِ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ فَهَزَمُوهُ نَحْوَ فَرْسَخَيْنِ ، فَأَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي دِجْلَةَ مُنْهَزِمِينَ ، وَأَلْقَى خَالِدٌ نَفْسَهُ فِيهَا بِفَرَسِهِ وَلِوَاؤُهُ بِيَدِهِ ، فَقَالَ شَبِيبٌ قَاتَلَهُ اللَّهُ ، هَذَا أَسَدُ النَّاسٍ! |
| فَقِيلَ هُوَ خَالِدُ بْنُ عَتَّابٍ. |
| فَقَالَ مُعْرَقٌ لَهُ فِي الشَّجَاعَةِ ، وَلَوْ عَرَفْتُهُ لَأَقْحَمْتُ خَلْفَهُ وَلَوْ دَخَلَ النَّارَ. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى كَرْمَانَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَسْتَمِدُّهُ ، وَيُعَرِّفُهُ عَجْزَ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَنْ قِتَالِ شَبِيبٍ ، فَسَيَّرَ سُفْيَانَ بْنَ الْأَبْرَدِ فِي جَيْشٍ إِلَيْهِ. |
| ذِكْرُ مَهْلَكِ شَبِيبٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ هَلَكَ شَبِيبٌ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ أَنْفَقَ فِي أَصْحَابِ سُفْيَانَ بْنِ الْأَبْرَدِ مَالًا عَظِيمًا بَعْدَ أَنْ عَادَ شَبِيبٌ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ وَقَصَدَ كَرْمَانَ بِشَهْرَيْنِ ، وَأَمَرَ سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ بِقَصْدِ شَبِيبٍ ، فَسَارَ نَحْوَهُ ، وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ زَوْجِ ابْنَتِهِ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ ، يَأْمُرُهُ أَنْ يُرْسِلَ أَرْبَعَةَ آلَافِ فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَى سُفْيَانَ ، فَسَيَّرَهُمْ مَعَ زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو الْعَتَكِيِّ ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَى سُفْيَانَ حَتَّى الْتَقَى سُفْيَانُ مَعَ شَبِيبٍ ، وَكَانَ شَبِيبٌ قَدْ أَقَامَ بِكَرْمَانَ ، فَاسْتَرَاحَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا ، فَالْتَقَى مَعَ سُفْيَانَ بِجِسْرِ دُجَيْلِ الْأَهْوَازِ ، فَعَبَرَ شَبِيبٌ الْجِسْرَ إِلَى سُفْيَانَ ، فَوَجَدَ سُفْيَانَ قَدْ نَزَلَ فِي الرِّجَالِ ، وَجَعَلَ مُهَاصِرَ بْنَ سَيْفٍ عَلَى الْخَيْلِ. |
| وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ فِي ثَلَاثَةِ كَرَادِيسَ فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَرَجَعَ شَبِيبٌ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ حَمْلَةً ، وَلَا يَزُولُ أَهْلُ الشَّامِ ، وَقَالَ لَهُمْ سُفْيَانُ لَا تَتَفَرَّقُوا ، وَلْيَزْحَفِ الرِّجَالُ إِلَيْهِمْ زَحْفًا. |
| فَمَا زَالُوا يُضَارِبُونَهُمْ وَيُطَاعِنُونَهُمْ حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْجِسْرِ. |
| فَلَمَّا انْتَهَى شَبِيبٌ إِلَى الْجِسْرِ نَزَلَ ، وَنَزَلَ مَعَهُ نَحْوُ مِائَةٍ ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى الْمَسَاءِ ، وَأَوْقَعُوا بِأَهْلِ الشَّامِ مِنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ. |
| فَلَمَّا رَأَى سُفْيَانُ عَجْزَهُ عَنْهُمْ ، وَخَافَ أَنْ يُنْصَرُوا عَلَيْهِ أَمَرَ الرُّمَاةَ أَنْ يَرْمُوهُمْ ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْمَسَاءِ ، وَكَانُوا نَاحِيَةً ، فَتَقَدَّمُوا وَرَمَوْا شَبِيبًا سَاعَةً ، فَحَمَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الرُّمَاةِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى اخْتَلَطَ الظَّلَامُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَقَالَ سُفْيَانُ لِأَصْحَابِهِ لَا تَتْبَعُوهُمْ. |
| فَلَمَّا انْتَهَى شَبِيبٌ إِلَى الْجِسْرِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ اعْبُرُوا ، وَإِذَا أَصْبَحْنَا بَاكَرْنَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. |
| فَعَبَرُوا أَمَامَهُ وَتَخَلَّفَ فِي آخِرِهِمْ ، وَجَاءَ لِيَعْبُرَ وَهُوَ عَلَى حِصَانٍ ، وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَسٌ أُنْثَى ، فَنَزَا فَرَسُهُ عَلَيْهَا وَهُوَ عَلَى الْجِسْرِ ، فَاضْطَرَبَتِ الْحَجَرُ تَحْتَهُ ، وَنَزَلَ حَافِرُ فَرَسِ شَبِيبٍ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ، فَسَقَطَ فِي الْمَاءِ ، فَلَمَّا سَقَطَ قَالَ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا الأنفال ، وَانْغَمَسَ فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ وَقَالَ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ الأنعام ، وَغَرِقَ. |
| وَقِيلَ فِي قَتْلِهِ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ تِلْكَ الْبَصِيرَةُ النَّافِذَةُ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ مِنْ عَشَائِرِهِمْ رِجَالًا ، فَكَانَ قَدْ أَوْجَعَ قُلُوبَهُمْ ، وَكَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ اسْمُهُ مُقَاتِلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ بْنِ شَيْبَانَ ، فَلَمَّا قَتَلَ شَبِيبٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ أَغَارَ هُوَ عَلَى بَنِي مُرَّةَ بْنِ هَمَّامٍ رَهْطِ شَبِيبٍ فَقَتَلَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ لَهُ شَبِيبٌ مَا حَمَلَكَ عَلَى قَتْلِهِمْ بِغَيْرِ أَمْرِي ؟ |
| فَقَالَ لَهُ قَتَلْتَ كُفَّارَ قَوْمِي ، فَقَتَلْتُ كُفَّارَ قَوْمِكَ ، وَمِنْ دِينِنَا قَتْلُ مَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ رَأْيِنَا ، وَمَا أَصَبْتَ مِنْ رَهْطِي أَكْثَرُ مِمَّا أَصَبْتُ مِنْ رَهْطِكَ ، وَمَا يَحِلُّ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَجِدَ عَلَى قَتْلِ الْكَافِرِينَ. |
| قَالَ لَا أَجِدُ. |
| وَكَانَ مَعَهُ أَيْضًا رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ قَتَلَ مِنْ عَشَائِرِهِمْ ، فَلَمَّا تَخَلَّفَ فِي آخِرِ النَّاسِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَلْ لَكُمْ أَنْ نَقْطَعَ بِهِ الْجِسْرَ فَنُدْرِكَ ثَأْرَنَا ؟ |
| فَقَطَعُوا الْجِسْرَ ، فَمَالَتْ بِهِ السُّفُنُ ، فَنَفَرَ بِهِ الْفَرَسُ ، فَوَقَعَ فِي الْمَاءِ فَغَرِقَ. |
| وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَأَشْهَرُ. |
| وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ يُرِيدُونَ الِانْصِرَافَ ، فَأَتَاهُمْ صَاحِبُ الْجِسْرِ فَقَالَ لِسُفْيَانَ إِنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَقَعَ فِي الْمَاءِ ، فَنَادُوا بَيْنَهُمْ غَرِقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ! |
| ثُمَّ إِنَّهُمُ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ وَتَرَكُوا عَسْكَرَهُمْ لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ ، فَكَبَّرَ سُفْيَانُ وَكَبَّرَ أَصْحَابُهُ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْجِسْرِ ، وَبَعَثَ إِلَى الْعَسْكَرِ وَإِذَا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ ، وَإِذَا هُوَ أَكْثَرُ الْعَسَاكِرِ خَيْرًا ، ثُمَّ اسْتَخْرَجُوا شَبِيبًا ، فَشَقُّوا جَوْفَهُ وَأَخْرَجُوا قَلْبَهُ ، وَكَانَ صَلْبًا كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ ، فَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الصَّخْرَةَ فَيَثِبُ عَنْهَا قَامَةَ الْإِنْسَانِ. |
| قِيلَ وَكَانَ شَبِيبٌ يُنْعَى إِلَى أُمِّهِ ، فَيُقَالُ قُتِلَ ، فَلَا تَقْبَلُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا قِيلَ لَهَا غَرِقَ صَدَّقَتْ ذَلِكَ وَقَالَتْ إِنِّي رَأَيْتُ حِينَ وَلَدْتُهُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي شِهَابُ نَارٍ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يُطْفِئُهُ إِلَّا الْمَاءُ. |
| وَكَانَتْ أُمُّهُ جَارِيَةً رُومِيَّةً قَدِ اشْتَرَاهَا أَبُوهُ ، فَأَوْلَدَهَا شَبِيبًا مِنْهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ يَوْمَ النَّحْرِ ، وَقَالَتْ إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ قُبُلِي شِهَابُ نَارٍ ، فَذَهَبَ سَاطِعًا فِي السَّمَاءِ وَبَلَغَ الْآفَاقَ كُلَّهَا ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ وَقَعَ فِي مَاءٍ كَثِيرٍ فَخَبَا ، وَقَدْ وَلَدْتُهُ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا الَّذِي تُهْرِيُقُونَ فِيهِ الدِّمَاءَ ، وَقَدْ أَوَّلْتُ ذَلِكَ أَنَّ وَلَدِي يَكُونُ صَاحِبَ دِمَاءٍ ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَعْلُو فَيَعْظُمُ سَرِيعًا. |
| وَكَانَ أَبُوهُ يَخْتَلِفُ بِهِ إِلَى اللَّصَفِ أَرْضِ قَوْمِهِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ مُطَرِّفِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قِيلَ إِنَّ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ كَانُوا صُلَحَاءَ أَشْرَافًا بِأَنْفُسِهِمْ مَعَ شَرَفِ أَبِيهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْحَجَّاجُ وَرَآهُمْ عَلِمَ أَنَّهُمْ رِجَالُ قَوْمِهِمْ ، فَاسْتَعْمَلَ عُرْوَةَ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَمُطَرِّفًا عَلَى الْمَدَائِنِ ، وَحَمْزَةَ عَلَى هَمَذَانَ ، وَكَانُوا فِي أَعْمَالِهِمْ أَحْسَنَ النَّاسِ سِيرَةً ، وَأَشَدَّهُمْ عَلَى الْمُرِيبِ ، وَكَانَ مُطَرِّفٌ عَلَى الْمَدَائِنِ عِنْدَ خُرُوجِ شَبِيبٍ وَقُرْبِهِ مِنْهَا ، كَمَا سَبَقَ ، فَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ بِسَبْرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ وَغَيْرِهِ ، وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ حَتَّى نَزَلَ بَهُرَسِيرَ ، وَكَانَ مُطَرِّفٌ بِالْمَدِينَةِ الْعَتِيقَةِ ، وَهِيَ الَّتِي فِيهَا إِيوَانُ كِسْرَى ، فَقَطَعَ مُطَرِّفٌ الْجِسْرَ ، وَبَعَثَ إِلَى شَبِيبٍ يَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يُرْسِلَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ لِيَنْظُرَ فِيمَا يَدْعُونَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عِدَّةً مِنْهُمْ ، فَسَأَلَهُمْ مُطَرِّفٌ عَمَّا يَدْعُونَ إِلَيْهِ ، فَقَالُوا نَدْعُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ الَّذِي نَقَمْنَا مِنْ قَوْمِنَا الِاسْتِئْثَارَ بِالْفَيْءِ ، وَتَعْطِيلَ الْحُدُودِ ، وَالتَّسَلُّطَ بِالْجَبْرِيَّةِ . |
| فَقَالَ لَهُمْ مُطَرِّفٌ مَا دَعَوْتُمْ إِلَّا إِلَى حَقٍّ ، وَمَا نَقَمْتُمْ إِلَّا جَوْرًا ظَاهِرًا ، أَنَا لَكُمْ مُتَابِعٌ فَتَابِعُونِي عَلَى مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ; لِيَجْتَمِعَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ. |
| فَقَالُوا اذْكُرْهُ فَإِنْ يَكُنْ حَقًّا نُجِبْكَ إِلَيْهِ. |
| قَالَ أَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ نُقَاتِلَ هَؤُلَاءِ الظَّلَمَةَ عَلَى إِحْدَاثِهِمْ ، وَنَدْعُوَهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَمْرُ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، يُؤَمِّرُونَ مَنْ يَرْتَضُونَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي تَرَكَهُمْ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ إِذَا عَلِمَتْ أَنَّ مَا يُرَادُ بِالشُّورَى الرِّضَى مِنْ قُرَيْشٍ رَضُوا ، وَكَثُرَ تَبَعُكُمْ وَأَعْوَانُكُمْ. |
| فَقَالُوا هَذَا مَا لَا نُجِيبُكَ إِلَيْهِ. |
| وَقَامُوا مِنْ عِنْدِهِ وَتَرَدَّدُوا بَيْنَهُمْ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ ، فَلَمْ تَجْتَمِعْ كَلِمَتُهُمْ ، فَسَارُوا مِنْ عِنْدِهِ. |
| وَأَحْضَرَ مُطَرِّفٌ نُصَحَاءَهُ وَثِقَاتِهِ ، فَذَكَرَ لَهُمْ ظُلْمَ الْحَجَّاجِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ ، وَأَنَّهُ مَا زَالَ يُؤْثِرُ مُخَالَفَتَهُمْ وَمُنَاهَضَتَهُمْ ، وَأَنَّهُ يَرَى ذَلِكَ دِينًا لَوْ وَجَدَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا ، وَذَكَرَ لَهُمْ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِ شَبِيبٍ ، وَأَنَّهُمْ لَوْ تَابَعُوهُ عَلَى رَأْيِهِ لَخَلَعَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَالْحَجَّاجَ ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا يَفْعَلُ. |
| فَقَالُوا لَهُ اخْفِ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا تُظْهِرْهُ لِأَحَدٍ. |
| فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ ، مَوْلَى أَبِيهِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَاللَّهِ لَا يَخْفَى عَلَى الْحَجَّاجِ مِمَّا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، وَلَيُزَادَنَّ عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَلَوْ كُنْتَ فِي السَّحَابِ لَالْتَمَسَكَ الْحَجَّاجُ حَتَّى يَهْلِكَ ، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ! |
| فَوَافَقَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَسَارَ عَنِ الْمَدَائِنِ نَحْوَ الْجِبَالِ ، فَلَقِيَهُ قَبِيصَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَثْعَمِيُّ بِدَيْرِ يَزْدَجِرْدَ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَعْطَاهُ نَفَقَةً وَكِسْوَةً ، فَصَحِبَهُ ثُمَّ عَادَ عَنْهُ ، ثُمَّ ذَكَرَ مُطَرِّفٌ لِأَصْحَابِهِ بِالدَّسْكَرَةِ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، وَكَانَ رَأْيُهُ خَلْعَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْحَجَّاجِ ، وَالدُّعَاءَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَأَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، يَرْتَضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَنْ أَحَبُّوهُ. |
| فَبَايَعَهُ الْبَعْضُ عَلَى ذَلِكَ ، وَرَجَعَ عَنْهُ الْبَعْضُ. |
| وَكَانَ مِمَّنْ رَجَعَ عَنْهُ سَبْرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ ، فَجَاءَ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَقَاتَلَ شَبِيبًا مَعَ أَهْلِ الشَّامِ. |
| وَسَارَ مُطَرِّفٌ نَحْوَ حُلْوَانَ ، وَكَانَ بِهَا سُوَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ مِنْ قِبَلِ الْحَجَّاجِ ، فَأَرَادَ هُوَ وَالْأَكْرَادُ مَنْعَهُ لِيُعْذَرَ عِنْدَ الْحَجَّاجِ ، فَجَازَهُ مُطَرِّفٌ بِمُوَاطَأَةٍ مِنْهُ ، وَأَوْقَعَ مُطَرِّفٌ بِالْأَكْرَادِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَسَارَ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ هَمَذَانَ وَبِهَا أَخُوهُ حَمْزَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ تَرَكَهَا ذَاتَ الْيَسَارِ ، وَقَصَدَ مَاهَ دِينَارٍ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ حَمْزَةَ يَسْتَمِدُّهُ بِالْمَالِ وَالسِّلَاحِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ سِرًّا مَا طَلَبَ. |
| وَسَارَ مُطَرِّفٌ حَتَّى بَلَغَ قُمَّ وَقَاشَانَ ، وَبَعَثَ عُمَّالَهُ عَلَى تِلْكَ النَّوَاحِي ، وَأَتَاهُ النَّاسُ ، وَكَانَ مِمَّنْ أَتَاهُ سُوَيْدُ بْنُ سِرْحَانَ الثَّقَفِيُّ ، وَبُكَيْرُ بْنُ هَارُونَ النَّخَعِيُّ ، مِنَ الرَّيِّ ، فِي نَحْوِ مِائَةِ رَجُلٍ. |
| وَكَتَبَ الْبَرَاءُ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَهُوَ عَامِلُ الْحَجَّاجِ عَلَى أَصْبَهَانَ ، إِلَيْهِ يُعَرِّفُهُ حَالَ مُطَرِّفٍ وَيَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ بِالرِّجَالِ بَعْدَ الرِّجَالِ عَلَى دَوَابِّ الْبَرِيدِ ، وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَدِيِّ بْنِ زِيَادٍ عَامِلِ الرَّيِّ يَأْمُرُهُ بِقَصْدِ مُطَرِّفٍ ، وَأَنْ يَجْتَمِعَ هُوَ وَالْبَرَاءُ عَلَى مُحَارَبَتِهِ ، فَسَارَ عَدِيٌّ مِنَ الرَّيِّ ، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَالْبَرَاءُ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَكَانَ عَدِيٌّ هُوَ الْأَمِيرُ ، فَاجْتَمَعُوا فِي نَحْوِ سِتَّةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، وَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى الْحَجَّاجِ يَعْتَذِرُ ، فَأَظْهَرَ قَبُولَ عُذْرِهِ وَأَرَادَ عَزْلَهُ ، وَخَافَ أَنْ يَمْتَنِعَ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ الْعِجْلِيِّ ، وَهُوَ عَلَى شُرْطَةِ حَمْزَةَ بِهَمَذَانَ ، بِعَهْدِهِ عَلَى هَمَذَانَ ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى حَمْزَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ. |
| وَكَانَ بِهَمَذَانَ مِنْ عِجْلٍ وَرَبِيعَةَ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، فَسَارَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى حَمْزَةَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَأَقْرَأَهُ الْعَهْدَ بِوِلَايَةِ هَمَذَانَ وَكِتَابَ الْحَجَّاجِ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ سَمْعًا وَطَاعَةً. |
| فَقَبَضَ قَيْسٌ عَلَى حَمْزَةَ وَجَعَلَهُ فِي السِّجْنِ ، وَتَوَلَّى قَيْسٌ هَمَذَانَ ، وَتَفَرَّغَ قَلْبُ الْحَجَّاجِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ لِقِتَالِ مُطَرِّفٍ ، وَكَانَ يَخَافُ مَكَانَ حَمْزَةَ بِهَمَذَانَ لِئَلَّا يَمُدَّ أَخَاهُ بِالْمَالِ وَالسِّلَاحِ ، وَلَعَلَّهُ يُنْجِدُهُ بِالرِّجَالِ. |
| فَلَمَّا قُبِضَ عَلَيْهِ سَكَنَ قَلْبُهُ وَتَفَرَّغَ بَالُهُ ، وَلَمَّا اجْتَمَعَ عَدِيُّ بْنُ زِيَادٍ الْإِيَادِيُّ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ قَبِيصَةَ سَارَا نَحْوَ مُطَرِّفٍ فَخَنْدَقَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَنَوُا اصْطَفُّوا لِلْحَرْبِ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ مُطَرِّفٍ ، وَقُتِلَ مُطَرِّفٌ وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، قَتَلَهُ عُمَيْرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ فَتَقَدَّمَ بِذَلِكَ عِنْدَ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَقَاتَلَ ابْنُ هُبَيْرَةَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا. |
| وَقُتِلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى الْمُغِيرَةِ ، وَكَانَ صَاحِبَ رَايَةِ مُطَرِّفٍ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَفِيفٍ الْأَزْدِيُّ ، وَكَانَ نَاسِكًا صَالِحًا. |
| وَبَعَثَ عَدِيُّ بْنُ زِيَادٍ إِلَى الْحَجَّاجِ أَهْلَ الْبَلَاءِ ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَآمَنَ عَدِيٌّ بُكَيْرَ بْنَ هَارُونَ ، وَسُوَيْدَ بْنَ سِرْحَانَ ، وَغَيْرَهُمَا ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْأَمَانَ لِلْحَجَّاجِ بْنِ حَارِثَةَ الْخَثْعَمِيِّ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ كِتَابَ الْحَجَّاجِ يَأْمُرُهُ بِإِرْسَالِهِ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ حَيًّا ، فَاخْتَفَى ابْنُ حَارِثَةَ حَتَّى عُزِلَ عَدِيٌّ ، ثُمَّ ظَهَرَ فِي إِمَارَةِ خَالِدِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ. |
| وَكَانَ الْحَجَّاجُ يَقُولُ إِنَّ مُطَرِّفًا لَيْسَ بِوَلَدٍ لِلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، إِنَّمَا هُوَ وَلَدُ مَصْقَلَةَ بْنِ سَبْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ ، وَكَانَ مَصْقَلَةُ وَالْمُغِيرَةُ يَدَّعِيَانِهِ ، فَأُلْحِقَ بِالْمُغِيرَةِ وَجُلِدَ مَصْقَلَةُ الْحَدَّ ، فَلَمَّا أُظْهِرَ رَأْيُ الْخَوَارِجِ قَالَ الْحَجَّاجُ ذَلِكَ; لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ رَبِيعَةَ كَانُوا مِنْ خَوَارِجَ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَحَدٌ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ. |
| ذِكْرُ الِاخْتِلَافِ بَيْنَ الْأَزَارِقَةِ قَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَ الْمُهَلَّبِ إِلَى الْأَزَارِقَةِ وَمُحَارَبَتَهُمْ إِلَى أَنْ فَارَقَهُ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ الرِّيَاحِيُّ وَرَجَعَ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَأَقَامَ الْمُهَلَّبُ بَعْدَ مَسِيرِ عَتَّابٍ عَنْهُ يُقَاتِلُ الْخَوَارِجَ ، فَقَاتَلَهُمْ عَلَى سَابُورَ نَحْوَ سَنَةٍ قِتَالًا شَدِيدًا. |
| ثُمَّ إِنَّهُ زَاحَفَهُمْ يَوْمَ الْبُسْتَانِ فَقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَكَانَتْ كَرْمَانُ بِيَدِ الْخَوَارِجِ ، وَفَارِسَ بِيَدِ الْمُهَلَّبِ. |
| فَضَاقَ عَلَى الْخَوَارِجِ مَكَانُهُمْ ، لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ فَارِسَ مَادَّةٌ ، فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا كَرْمَانَ ، وَتَبِعَهُمُ الْمُهَلَّبُ بِالْعَسَاكِرِ حَتَّى نَزَلَ بِجِيرَفْتَ ، وَهِيَ مَدِينَةُ كَرْمَانَ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا. |
| فَلَمَّا صَارَتْ فَارِسُ كُلُّهَا فِي يَدِ الْمُهَلَّبِ أَرْسَلَ الْحَجَّاجُ الْعُمَّالَ عَلَيْهَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَتْرُكَ بِيَدِ الْمُهَلَّبِ فَسَا ، وَدَرَابَجَرْدَ ، وَكُورَةَ إِصْطَخْرَ ، تَكُونُ لَهُ مَعُونَةً عَلَى الْحَرْبِ ، فَتَرَكَهَا لَهُ ، وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْمُهَلَّبِ الْبَرَاءَ بْنَ قَبِيصَةَ لِيُحِثَّهُ عَلَى قِتَالِ الْخَوَارِجِ ، وَيَأْمُرَهُ بِالْجِدِّ ، وَأَنَّهُ لَا عُذْرَ لَهُ عِنْدَهُ. |
| فَخَرَجَ الْمُهَلَّبُ بِالْعَسَاكِرِ ، فَقَاتَلَ الْخَوَارِجَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ إِلَى الظُّهْرِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَالْبَرَاءُ عَلَى مَكَانٍ عَالٍ يَرَاهُمْ ، فَجَاءَ إِلَى الْمُهَلَّبِ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَتِيبَةً وَلَا فُرْسَانًا أَصْبَرَ وَلَا أَشَدَّ مِنَ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُهَلَّبَ رَجَعَ الْعَصْرَ ، فَقَاتَلَهُمْ كَقِتَالِهِمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، لَا يَصُدُّ كَتِيبَةً عَنْ كَتِيبَةٍ ، وَخَرَجَتْ كَتِيبَةٌ مِنْ كَتَائِبِ الْخَوَارِجِ لِكَتِيبَةٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ ، فَاشْتَدَّ بَيْنَهُمُ الْقِتَالُ إِلَى أَنْ حَجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِلْأُخْرَى مَنْ أَنْتُمْ ؟ |
| فَقَالَ هَؤُلَاءِ نَحْنُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ. |
| وَقَالَ هَؤُلَاءِ نَحْنُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ. |
| وَانْصَرَفُوا عِنْدَ الْمَسَاءِ. |
| فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِلْبَرَاءِ بْنِ قَبِيصَةَ كَيْفَ رَأَيْتَ قَوْمًا مَا يُعِينُكَ عَلَيْهِمْ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ؟ |
| فَأَحْسَنَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْبَرَاءِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ. |
| وَانْصَرَفَ الْبَرَاءُ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَعَرَّفَهُ عُذْرَ الْمُهَلَّبِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُهَلَّبَ قَاتَلَهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، لَا يَقْدِرُ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَامِلًا لِقَطَرِيٍّ عَلَى نَاحِيَةِ كَرْمَانَ يُدْعَى الْمُقَعْطَرَ الضَّبِّيَّ قَتَلَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَوَثَبَتِ الْخَوَارِجُ إِلَى قَطَرِيٍّ وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُقِيدَهُمْ مِنَ الْمُقَعْطَرِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ وَقَالَ إِنَّهُ تَأَوَّلَ فَأَخْطَأَ التَّأْوِيلَ ، مَا أَرَى أَنْ تَقْتُلُوهُ ، وَهُوَ مِنْ ذَوِي السَّابِقَةِ فِيكُمْ. |
| فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ الِاخْتِلَافُ. |
| وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ اخْتِلَافِهِمْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِي عَسْكَرِهِمْ يَعْمَلُ النُّصُولَ الْمَسْمُومَةَ ، فَيَرْمِي بِهَا أَصْحَابَ الْمُهَلَّبِ ، فَشَكَا أَصْحَابُهُ مِنْهَا ، فَقَالَ أَكْفِيكُمُوهُ ، فَوَجَّهَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَمَعَهُ كِتَابٌ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُلْقِيَهُ فِي عَسْكَرِ قَطَرِيٍّ وَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَوَقَعَ الْكِتَابُ إِلَى قَطَرِيٍّ ، فَرَأَى فِيهِ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ نِصَالَكَ وَصَلَتْ ، وَقَدْ أَنْفَذْتُ إِلَيْكَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. |
| فَأَحْضَرَ الصَّانِعَ فَسَأَلَهُ فَجَحَدَ ، فَقَتَلَهُ قَطَرِيٌّ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ عَبْدُ رَبِّهُ الْكَبِيرُ قَتْلَهُ ، وَاخْتَلَفُوا. |
| ثُمَّ وَضَعَ الْمُهَلَّبُ رَجُلًا نَصْرَانِيًا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْصِدَ قَطَرِيًّا وَيَسْجُدَ لَهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْخَوَارِجُ إِنَّ هَذَا قَدِ اتَّخَذَكَ إِلَهًا. |
| وَوَثَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى النَّصْرَانِيِّ فَقَتَلَهُ ، فَزَادَ اخْتِلَافُهُمْ ، وَفَارَقَ بَعْضُهُمْ قَطَرِيًّا ، ثُمَّ وَلُّوا عَبْدَ رَبِّهِ الْكَبِيرَ وَخَلَعُوا قَطَرِيًّا ، وَبَقِيَ مَعَ قَطَرِيٍّ مِنْهُمْ نَحْوٌ مِنْ رُبْعِهِمْ أَوْ خُمُسِهِمْ ، وَاقْتَتَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ. |
| وَكَتَبَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْحَجَّاجِ بِذَلِكَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يَأْمُرُهُ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ عَلَى حَالِ اخْتِلَافِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعُوا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُهَلَّبُ إِنِّي لَسْتُ أَرَى أَنْ أُقَاتِلَهُمْ مَا دَامَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَإِنْ تَمُّوا عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ الَّذِي نُرِيدُ ، وَفِيهِ هَلَاكُهُمْ ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا لَمْ يَجْتَمِعُوا إِلَّا وَقَدْ رَقَّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَأُنَاهِضُهُمْ حِينَئِذٍ وَهُمْ أَهْوَنُ مَا كَانُوا وَأَضْعَفُهُ شَوْكَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ. |
| فَسَكَتَ عَنْهُ الْحَجَّاجُ ، وَتَرَكَهُمُ الْمُهَلَّبُ يَقْتَتِلُونَ شَهْرًا لَا يُحَرِّكُهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ قَطَرِيًّا خَرَجَ بِمَنِ اتَّبَعَهُ نَحْوَ طَبَرِسْتَانَ ، وَبَايَعَ الْبَاقُونَ عَبَدَ رَبِهِ الْكَبِيرَ. |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ عَبْدِ رَبِّهِ الْكَبِيرِ لَمَّا سَارَ قَطَرِيٌّ إِلَى طَبَرِسْتَانَ وَأَقَامَ عَبْدُ رَبِّهِ الْكَبِيرُ بِكَرْمَانَ نَهَضَ إِلَيْهِمُ الْمُهَلَّبُ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَصَرَهُمْ بِجِيرَفْتَ ، وَكَرَّرَ قِتَالَهُمْ وَهُوَ لَا يَنَالُ مِنْهُمْ حَاجَتَهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْخَوَارِجَ طَالَ عَلَيْهِمُ الْحِصَارُ فَخَرَجُوا مِنْ جِيرَفْتَ بِأَمْوَالِهِمْ وَحُرَمِهِمْ ، فَقَاتَلَهُمُ الْمُهَلَّبُ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى عُقِرَتِ الْخَيْلُ ، وَتَكَسَّرَالسِّلَاحُ ، وَقُتِلَ الْفُرْسَانُ ، فَتَرَكَهُمْ ، فَسَارُوا ، وَدَخَلَ الْمُهَلَّبُ جِيرَفْتَ ، ثُمَّ سَارَ يَتْبَعُهُمْ إِلَى أَنْ لَحِقَهُمْ عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ مِنْ جِيرَفْتَ ، فَقَاتَلَهُمْ مِنْ بُكْرَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ وَكَفَّ عَنْهُمْ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَبَدَ رَبِّهِ جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! |
| إِنَّ قَطَرِيًا وَمَنْ مَعَهُ هَرَبُوا ، طَلَبَ الْبَقَاءِ وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، فَالْقَوْا عَدُوَّكُمْ وَهَبُوا أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ. |
| ثُمَّ عَادَ لِلْقِتَالِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا أَنْسَاهُمْ مَا قَبْلَهُ ، فَبَايَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ عَلَى الْمَوْتِ ، ثُمَّ تَرَجَّلَتِ الْخَوَارِجُ وَعَقَرُوا دَوَابَّهُمْ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَعَظُمَ الْخَطْبُ حَتَّى قَالَ الْمُهَلَّبُ مَا مَرَّ بِي مِثْلُ هَذَا. |
| ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ نَصْرَهُ عَلَى الْمُهَلَّبِ وَأَصْحَابِهِ ، وَهُزِمَ الْخَوَارِجُ وَكَثُرَ الْقَتْلَى فِيهِمْ ، وَكَانَ فِيمَنْ قُتِلَ عَبْدُ رَبِّهِ الْكَبِيرِ ، وَكَانَ عَدَدُ الْقَتْلَى أَرْبَعَةَ آلَافِ قَتِيلٍ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَأُخِذَ عَسْكَرُهُمْ وَمَا فِيهِ وَسُبُوا; لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْبُونَ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ. |
| وَقَالَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ يَذْكُرُ قَتْلَ عَبْدِ رَبِّهِ الْكَبِيرِ وَأَصْحَابِهِ لَقَدْ مَسَّ مِنَّا عَبَدَ رَبٍّ وَجُنْدَهُ... |
| عِقَابٌ فَأَمْسَى سَبْيُهُمْ فِي الْمَقَاسِمِ سَمَا لَهُمْ بِالْجَيْشِ حَتَّى أَزَاحَهُمْ... |
| بِكَرْمَانَ عَنْ مَثْوًى مِنَ الْأَرْضِ نَاعِمِ وَمَا قَطَرِيُّ الْكُفْرِ إِلَّا نَعَامَةٌ... |
| طَرِيدٌ يُدَوِّي لَيْلَهُ غَيْرَ نَائِمِ إِذَا فَرَّ مِنَّا هَارِبًا كَانَ وَجْهُهُ... |
| طَرِيقًا سِوَى قَصْدِ الْهُدَى وَالْمَعَالِمِ فَلَيْسَ بِمُنْجِيهِ الْفِرَارُ وَإِنَّ جَرَتْ... |
| بِهِ الْفُلْكُ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ دَائِمِ وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا تَرَكْنَاهَا لِشُهْرَتِهَا. |
| وَأَحْسَنَ الْحَجَّاجُ إِلَى أَهْلِ الْبَلَاءِ وَزَادَهُمْ ، وَسَيَّرَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْحَجَّاجِ مُبَشِّرًا ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَخْبَرَهُ عَنِ الْجَيْشِ وَعَنِ الْخَوَارِجِ ، وَذَكَرَ حُرُوبَهُمْ ، وَأَخْبَرَهُ عَنْ بَنِي الْمُهَلَّبِ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ فَارِسُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ ، وَكَفَى بِيَزِيدَ فَارِسًا شُجَاعًا ، وَجَوَّادُهُمْ وَسَخِيُّهُمْ قَبِيصَةُ ، وَلَا يَسْتَحْيِي الشُّجَاعُ أَنْ يَفِرَّ مِنْ مُدْرِكَةٍ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ سُمٌّ نَاقِعٌ ، وَحَبِيبٌ مَوْتٌ زُعَافٌ ، وَمُحَمَّدٌ لَيْثُ غَابٍ ، وَكَفَاكَ بِالْمُفَضَّلِ نَجْدَةً. |
| قَالَ فَأَيُّهُمْ كَانَ أَنْجَدُ ؟ |
| قَالَ كَانُوا كَالْحَلْقَةِ الْمُفْرَغَةِ لَا يُعْرَفُ طَرَفُهَا. |
| فَاسْتَحْسَنَ قَوْلَهُ وَكَتَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِ يَشْكُرُهُ ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يُوَلِّيَ كَرْمَانَ مَنْ يَثِقُ بِهِ ، وَيَجْعَلَ فِيهَا مَنْ يَحْمِيهَا وَيَقْدَمُ إِلَيْهِ. |
| فَاسْتَعْمَلَ عَلَى كَرْمَانَ يَزِيدَ ابْنَهُ ، وَسَارَ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَكْرَمَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ وَقَالَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، أَنْتُمْ عَبِيدُ الْمُهَلَّبِ. |
| ثُمَّ قَالَ لَهُ أَنْتَ كَمَا قَالَ لَقِيطُ بْنُ يَعْمُرَ الْإِيَادِيُّ فِي صِفَةِ أُمَرَاءِ الْجُيُوشِ وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرُّكُمُ... |
| رَحْبَ الذِّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِعَا لَا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءُ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ... |
| وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا مُسَهَّدَ النَّوْمِ تَعْنِيهِ ثُغُورُكُمُ... |
| يَرُومُ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطَّلَعَا مَا انْفَكَّ يَحْلِبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ... |
| يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّسِعَا وَلَيْسَ يَشْغَلُهُ مَالٌ يُثَمِّرُهُ... |
| عَنْكُمْ وَلَا وَلَدٌ يَبْغِي لَهُ الرَّفَعَا حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ... |
| مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لَا قَحْمًا وَلَا ضَرَعَا وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ هَذَا هُوَ الْأَجْوَدُ مِنْهَا. |
| ذِكْرُ قَتْلِ قَطَرِيِّ بْنِ الْفُجَاءَةِ وَعُبَيْدَةَ بْنِ هِلَالٍ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ هَلَكَةُ قَطَرِيٍّ وَعُبَيْدَةُ بْنُ هِلَالٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنَ الْأَزَارِقَةِ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَمْرَهُمْ لَمَّا تَشَتَّتَ بِالِاخْتِلَافِ الَّذِي ذَكَرْنَا ، وَسَارَ قَطَرِيٌّ نَحْوَ طَبَرِسْتَانَ ، وَبَلَغَ خَبَرُهُ الْحَجَّاجَ سَيَّرَ إِلَيْهِ سُفْيَانَ بْنَ الْأَبْرَدِ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ. |
| وَسَارَ سُفْيَانُ وَاجْتَمَعَ مَعَهُ إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ فِي جَيْشٍ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ بِطَبَرِسْتَانَ ، فَأَقْبَلُوا فِي طَلَبِ قَطَرِيٍّ ، فَلَحِقُوهُ فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ طَبَرِسْتَانَ فَقَاتَلُوهُ ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَوَقَعَ عَنْ دَابَّتِهِ ، فَتَدَهْدَهَ إِلَى أَسْفَلِ الشِّعْبِ ، وَأَتَاهُ عِلْجٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ ، فَقَالَ لَهُ قَطَرِيٌّ اسْقِنِي الْمَاءَ. |
| فَقَالَ الْعِلْجُ أَعْطِنِي شَيْئًا. |
| فَقَالَ مَا مَعِي إِلَّا سِلَاحِي ، وَأَنَا أُعْطِيكَهُ إِذَا أَتَيْتَنِي بِالْمَاءِ. |
| فَانْطَلَقَ الْعِلْجُ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى قَطَرِيٍّ ، ثُمَّ حَدَّرَ عَلَيْهِ حَجَرًا مِنْ فَوْقِهِ ، فَأَصَابَ وَرِكَهُ فَأَوْهَنَهُ ، فَصَاحَ بِالنَّاسِ ، فَأَقْبَلُوا نَحْوَهُ ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعِلْجُ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ أَشْرَافِهِمْ لِكَمَالِ سِلَاحِهِ وَحُسْنِ هَيْئَتِهِ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَتَلُوهُ ، مِنْهُمْ سَوْرَةُ بْنُ الْحُرِّ التَّمِيمِيُّ ، وَجَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ ، وَالصَّبَّاحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَبَاذَانُ مَوْلَاهُمْ ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ ادَّعَى قَتْلَهُ. |
| فَجَاءَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْجَهْمِ بْنُ كِنَانَةَ فَقَالَ لَهُمُ ادْفَعُوا رَأْسَهُ إِلَيَّ حَتَّى تَصْطَلِحُوا ، فَدَفَعُوهُ إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ عَلَى الْكُوفَةِ ، فَأَرْسَلَهُ مَعَهُ إِلَى سُفْيَانَ ، فَسَيَّرَ سُفْيَانُ الرَّأْسَ مَعَ أَبِي الْجَهْمِ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَسَيَّرَهُ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَعَلَ عَطَاءَهُ فِي أَلْفَيْنِ. |
| ثُمَّ إِنَّ سُفْيَانَ سَارَ إِلَيْهِمْ فَأَحَاطَ بِهِمْ ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيهِ فَنَادَى مَنَ قَتَلَ صَاحِبَهُ وَجَاءَ إِلَيْنَا فَهُوَ آمِنٌ. |
| فَقَالَ عُبَيْدَةُ بْنُ هِلَالٍ فِي ذَلِكَ لَعَمْرِي لَقَدْ قَامَ الْأَصَمُّ بِخُطْبَةٍ... |
| لِذِي الشَّكِّ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ غَلِيلُ لَعَمْرِي لَئِنْ أَعْطَيْتُ سُفْيَانَ بَيْعَتِي... |
| وَفَارَقْتُ دِينِي إِنَّنِي لَجَهُولُ إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا تَرَى بِجِيَادِنَا... |
| تَسَاوَكُ هَزْلَى مُخُّهُنَّ قَلِيلُ تَعَاوَرَهَا الْقُذَّافُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ... |
| بِقُومِسَ حَتَّى صَعْبَهُنَّ ذَلُولُ فَإِنْ يَكُ أَفْنَاهَا الْحِصَارُ فَرُبَّمَا... |
| تَشَحَّطَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ وَقَدْ كُنَّ مِمَّا إِنْ يُقَدْنَ عَلَى الْوَجَى... |
| لَهُنَّ بِأَبْوَابِ الْقِبَابِ صَهِيلُ وَحَصَرَهُمْ سُفْيَانُ حَتَّى أَكَلُوا دَوَابَّهُمْ ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَيْهِ فَقَاتَلُوهُ ، فَقَتَلَهُمْ وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْحَجَّاجِ. |
| ثُمَّ دَخَلَ سُفْيَانُ دُنْبَاوَنْدَ وَطَبَرِسْتَانَ ، فَكَانَ هُنَاكَ حَتَّى عَزَلَهُ الْحَجَّاجُ قَبْلَ الْجَمَاجِمِ. |
| وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَانْقَرَضَتِ الْأَزَارِقَةُ بَعْدَ مَقْتَلِ قَطَرِيٍّ وَعُبَيْدَةَ ، إِنَّمَا كَانُوا دُفْعَةً مُتَّصِلَةً أَهْلَ عَسْكَرٍ وَاحِدٍ ، وَأَوَّلُ رُؤَسَائِهِمْ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ ، وَآخِرُهُمْ قَطَرِيٌّ وَعُبَيْدَةُ ، وَاتَّصَلَ أَمْرُهُمْ بِضْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، إِلَّا أَنِّي أَشُكُّ فِي صُبَيْحٍ الْمَازِنِيِّ التَّمِيمِيِّ مَوْلَى سَوَّارِ بْنِ الْأَشْعَرِ الْخَارِجِ أَيَّامِ هِشَامٍ ، قِيلَ هُوَ مِنَ الْأَزَارِقَةِ أَوِ الصُّفْرِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ تَطُلْ أَيَّامُهُ ، بَلْ قُتِلَ عُقَيْبَ خُرُوجِهِ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ بُكَيْرِ بْنِ وَسَّاجٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ أَبِي الْعِيصِ بْنِ أُمَيَّةَ بُكَيْرَ بْنَ وَسَّاجٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ عَامِلُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى خُرَاسَانَ ، أَمَرَ بُكَيْرًا بِالتَّجْهِيزِ لِغَزْوِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَّاهُ طُخَارِسْتَانَ ، فَتَجَهَّزَ لَهُ ، فَوَشَى بِهِ بَحِيرُ بْنُ وَرْقَاءَ إِلَى أُمَيَّةَ ، فَمَنَعَهُ عَنْهَا ، فَلَمَّا أَمَرَهُ بِغَزْوِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ تَجَهَّزَ وَأَنْفَقَ نَفَقَةً كَثِيرَةً وَادَّانَ فِيهَا ، فَقَالَ بَحِيرٌ لِأُمَيَّةَ إِنْ صَارَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ النَّهْرُ خَلَعَ الْخَلِيفَةَ. |
| فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أُمَيَّةُ أَنْ أَقِمْ لَعَلِّي أَغْزُو فَتَكُونَ مَعِيَ. |
| فَغَضِبَ بُكَيْرٌ وَقَالَ كَأَنَّهُ يُضَارُّنِي. |
| وَكَانَ عُقَابُ ذُو اللِّقْوَةِ الْغُدَانِيُّ اسْتَدَانَ لِيَخْرُجَ مَعَ بُكَيْرٍ ، فَأَخَذَهُ غُرَمَاؤُهُ فَحُبِسَ حَتَّى أَدَّى عَنْهُ بُكَيْرٌ. |
| ثُمَّ إِنَّ أُمَيَّةَ تَجَهَّزَ لِلْغَزْوِ إِلَى بُخَارَى ، ثُمَّ يَعُودُ مِنْهَا إِلَى مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ بِتِرْمِذَ ، وَتَجَهَّزَ النَّاسُ مَعَهُ وَفِيهِمْ بُكَيْرٌ ، وَسَارُوا ، فَلَمَّا بَلَغُوا النَّهْرَ وَأَرَادُوا قَطْعَهُ قَالَ أُمَيَّةُ لِبُكَيْرٍ إِنِّي قَدِ اسْتَخْلَفْتُ ابْنِي عَلَى خُرَاسَانَ ، وَأَخَافُ أَنَّهُ لَا يَضْبِطُهَا لِأَنَّهُ غُلَامٌ حَدَثٌ ، فَارْجِعْ إِلَى مَرْوَ فَاكْفِنِيهَا ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَهَا ، فَقُمْ بِأَمْرِ ابْنِي. |
| فَانْتَخَبَ بُكَيْرٌ فُرْسَانًا كَانَ عَرَفَهُمْ وَوَثِقَ بِهِمْ وَرَجَعَ ، وَمَضَى أُمَيَّةُ إِلَى بُخَارَى لِلْغُزَاةِ. |
| فَقَالَ عُقَابٌ ذُو اللِّقْوَةِ لِبُكَيْرٍ إِنَّا طَلَبْنَا أَمِيرًا مِنْ قُرَيْشٍ ، فَجَاءَنَا أَمِيرٌ يَلْعَبُ بِنَا وَيُحَوِّلُنَا مِنْ سِجْنٍ إِلَى سِجْنٍ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَحْرِقَ هَذِهِ السُّفُنَ ، وَنَمْضِيَ إِلَى مَرْوَ ، وَنَخْلَعَ أُمَيَّةَ وَنُقِيمَ بِمَرْوَ وَنَأْكُلَهَا إِلَى يَوْمٍ مَا. |
| وَوَافَقَهُ الْأَحْنَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَنْبَرِيُّ عَلَى هَذَا. |
| قَالَ بُكَيْرٌ أَخَافَ أَنْ يَهْلِكَ هَؤُلَاءِ الْفُرْسَانُ الَّذِينَ مَعِي. |
| قَالَ إِنْ هَلَكَ هَؤُلَاءِ فَأَنَا أَتِيكَ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ بِمَا شِئْتَ. |
| قَالَ يَهْلِكُ الْمُسْلِمُونَ. |
| قَالَ إِنَّمَا يَكْفِيكَ أَنْ يُنَادِيَ مُنَادٍ مَنْ أَسْلَمَ رَفَعْنَا عَنْهُ الْخَرَاجَ ، فَيَأْتِيكَ خَمْسُونَ أَلْفًا أَسْمَعُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَطْوَعُ. |
| قَالَ فَيَهْلِكُ أُمَيَّةُ وَمَنْ مَعَهُ. |
| قَالَ وَلِمَ يَهْلِكُونَ وَلَهُمْ عَدَدٌ وَعِدَّةٌ وَنَجْدَةٌ وَسِلَاحٌ ظَاهِرٌ ، لِيُقَاتِلُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا الصِّينَ! |
| فَحَرَقَ بُكَيْرٌ السُّفُنَ وَرَجَعَ إِلَى مَرْوَ ، فَأَخَذَ ابْنُ أُمَيَّةَ بِحَبْسِهِ وَخَلْعِ أُمَيَّةَ. |
| وَبَلَغَ أُمَيَّةَ الْخَبَرُ فَصَالَحَ أَهْلَ بُخَارَى عَلَى فِدْيَةٍ قَلِيلَةٍ ، وَرَجَعَ وَأَمَرَ بِاتِّخَاذِ السُّفُنِ ، وَعَبَرَ وَذَكَرَ لِلنَّاسِ إِحْسَانَهُ إِلَى بُكَيْرٍ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَأَنَّهُ كَافَأَهُ بِالْعِصْيَانِ ، وَسَارَ إِلَى مَرْوَ ، وَأَتَاهُ مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ ، وَأَرْسَلَ أُمَيَّةُ شَمَّاسَ بْنَ دِثَارٍ فِي ثَمَانِمِائَةٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِ بُكَيْرٌ وَبَيَّتَهُ فَهَزَمَهُ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ لَا يَقْتُلُوا مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَكَانُوا يَأْخُذُونَ سِلَاحَهُمْ وَيُطْلِقُونَهُمْ ، وَقَدِمَ أُمَيَّةُ فَتَلَقَّاهُ شَمَّاسٌ ، فَقَدَّمَ أُمَيَّةُ ثَابِتَ بْنَ قُطْبَةَ ، فَلَقِيَهُ بُكَيْرٌ فَأَسَرَ ثَابِتًا وَفَرَّقَ جَمْعَهُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ لِيَدٍ كَانَتْ لِثَابِتٍ عِنْدَهُ. |
| وَأَقْبَلَ أُمَيَّةُ وَقَاتَلَهُ بُكَيْرٌ ، فَانْكَشَفَ يَوْمًا أَصْحَابُهُ ، فَحَمَاهُمْ بُكَيْرٌ ، ثُمَّ الْتَقَوْا يَوْمًا آخَرَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ الْتَقَوْا يَوْمًا آخَرَ ، فَضَرَبَ بُكَيْرٌ ثَابِتَ بْنَ قُطْبَةَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَحَمَلَ حُرَيْثُ بْنُ قُطْبَةَ أَخُو ثَابِتٍ عَلَى بُكَيْرٍ ، فَانْحَازَ بُكَيْرٌ وَانْكَشَفَ أَصْحَابُهُ ، وَاتَّبَعَ حُرَيْثٌ بُكَيْرًا حَتَّى بَلَغَ الْقَنْطَرَةَ ، وَنَادَاهُ إِلَى أَيْنَ يَا بُكَيْرُ ؟ |
| فَرَجَعَ ، فَضَرَبَهُ حُرَيْثٌ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَطَعَ الْمِغْفَرَ ، وَعَضَّ السَّيْفُ رَأْسَهُ فَصُرِعَ ، وَاحْتَمَلَهُ أَصْحَابُهُ فَأَدْخَلُوهُ الْمَدِينَةَ ، وَكَانُوا يُقَاتِلُونَهُمْ. |
| فَكَانَ أَصْحَابُ بُكَيْرٍ يَغْدُونَ فِي الثِّيَابِ الْمُصَبَّغَةِ مِنْ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ ، فَيَجْلِسُونَ يَتَحَدَّثُونَ وَيُنَادِي مُنَادِيهِمْ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ رَمَيْنَا إِلَيْهِ بِرَأْسِ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ. |
| فَلَا يَرْمِيهِمْ أَحَدٌ. |
| وَخَافَ بُكَيْرٌ إِنْ طَالَ الْحِصَارُ أَنْ يَخْذُلَهُ النَّاسُ ، فَطَلَبَ الصُّلْحَ ، وَأَحَبَّ ذَلِكَ أَيْضًا أَصْحَابُ أُمَيَّةَ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يَقْضِيَ أُمَيَّةُ عَنْهُ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ ، وَيَصِلَ أَصْحَابَهُ ، وَيُوَلِّيَهُ أَيَّ كُوَرِ خُرَاسَانَ شَاءَ ، وَلَا يَسْمَعُ قَوْلَ بَحِيرٍ فِيهِ ، وَإِنْ رَابَهُ رَيْبٌ فَهُوَ آمِنٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. |
| وَدَخَلَ أُمَيَّةُ مَدِينَةَ مَرْوَ وَوَفَى لِبُكَيْرٍ وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ مِنْ إِكْرَامِهِ ، وَأَعْطَى أُمَيَّةُ عُقَابًا عِشْرِينَ أَلْفًا. |
| وَقَدْ قِيلَ إِنَّ بُكَيْرًا لَمْ يَصْحَبْ أُمَيَّةَ إِلَى النَّهْرِ ، كَانَ أُمَيَّةُ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى مَرْوَ ، فَلَمَّا سَارَ أُمَيَّةُ وَعَبَرَ النَّهْرَ خَلَعَهُ ، فَجَرَى الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ. |
| وَكَانَ أُمَيَّةُ سَهْلًا لَيِّنًا سَخِيًّا ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ ثَقِيلًا عَلَى أَهْلِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ فِيهِ زَهْوٌ شَدِيدٌ ، وَكَانَ يَقُولُ مَا تَكْفِينِي خُرَاسَانُ لِمَطْبَخِي. |
| وَعَزَلَ أُمَيَّةُ بَحِيرًا عَنْ شُرْطَتِهِ ، وَوَلَّاهَا عَطَاءَ بْنَ أَبِي السَّائِبِ. |
| وَطَالَبَ أُمَيَّةُ النَّاسَ بِالْخَرَاجِ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ بُكَيْرٌ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ وَعِنْدَهُ النَّاسُ ، فَذَكَرُوا شِدَّةَ أُمَيَّةَ وَذَمُّوهُ ، وَبَحِيرٌ وَضِرَارُ بْنُ حُصَيْنٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَارِيَةَ بْنِ قُدَامَةَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَنَقَلَ بَحِيرٌ ذَلِكَ إِلَى أُمَيَّةَ ، فَكَذَّبَهُ ، فَادَّعَى شَهَادَةَ هَؤُلَاءِ ، فَشَهِدَ مُزَاحِمُ بْنُ أَبِي الْمُجَشَّرِ السُّلَمِيُّ أَنَّهُ كَانَ يَمْزَحُ فَتَرَكَهُ أُمَيَّةُ. |
| ثُمَّ إِنَّ بَحِيرًا أَتَى أُمَيَّةَ وَقَالَ لَهُ وَاللَّهِ إِنَّ بُكَيْرًا قَدْ دَعَانِي إِلَى خَلْعِكَ ، وَقَالَ لَوْلَا مَكَانُكَ لَقَتَلْتُ هَذَا الْقُرَشِيَّ وَأَكَلْتُ خُرَاسَانَ ، فَلَمْ يُصَدِّقْهُ أُمَيَّةُ ، فَاسْتَشْهَدَ جَمَاعَةً ذَكَرَ بُكَيْرٌ أَنَّهُمْ أَعْدَاؤُهُ ، فَقَبَضَ أُمَيَّةُ عَلَى بُكَيْرٍ وَعَلَى بَدَلٍ وَشَمَرْدَلٍ ابْنَيْ أَخِيهِ ، ثُمَّ أَمَرَ أُمَيَّةُ بَعْضَ رُؤَسَاءِ مَنْ مَعَهُ بِقَتْلِ بُكَيْرٍ ، فَامْتَنَعُوا ، فَأَمَرَ بَحِيرًا بِقَتْلِهِ فَقَتَلَهُ ، وَقَتَلَ أُمَيَّةُ ابْنَيْ أَخِي بُكَيْرٍ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبَرَ أُمَيَّةُ نَهْرَ بَلْخٍ لِلْغَزْوِ ، فَحُوصِرَ حَتَّى جَهِدَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ نَجَوْا بَعْدَمَا أَشْرَفُوا عَلَى الْهَلَاكِ ، وَرَجَعُوا إِلَى مَرْوَ. |
| وَحَجَّ هَذِهِ السَّنَةَ بِالنَّاسِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ الْحَجَّاجُ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ أُمَيَّةُ. |
| وَغَزَا هَذِهِ السَّنَةَ الصَّائِفَةَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ ذِكْرُ عَزْلِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَوِلَايَةِ الْمُهَلَّبِ خُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ خُرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ ، وَضَمَّهُمَا إِلَى أَعْمَالِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ ، فَفَرَّقَ عُمَّالَهُ فِيهِمَا ، فَبَعَثَ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَقَدْ فَرَغَ مِنَ الْأَزَارِقَةِ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى الْحَجَّاجِ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، وَدَعَا أَصْحَابَ الْبَلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَزَادَهُمْ. |
| وَبَعَثَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ عَلَى سِجِسْتَانَ ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ الْمُغِيرَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ ، فَلَمَّا اسْتَعْمَلَ الْمُهَلَّبَ عَلَى خُرَاسَانَ سَيَّرَ ابْنَهُ حَبِيبًا إِلَيْهَا ، فَلَمَّا وَدَّعَ الْحَجَّاجَ أَعْطَاهُ بَغْلَةً خَضْرَاءَ ، فَسَارَ عَلَيْهَا وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَسَارَ عِشْرِينَ يَوْمًا حَتَّى وَصَلَ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا دَخَلَ بَابَ مَرْوَ لَقِيَهُ حَمْلُ حَطَبٍ فَنَفَرَتِ الْبَغْلَةُ ، فَعَجِبُوا مِنْ نِفَارِهَا بَعْدَ ذَلِكَ التَّعَبِ وَشِدَّةِ السَّيْرِ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ خُرَاسَانَ لَمْ يَعْرِضْ لِأُمَيَّةَ وَلَا لِعُمَّالِهِ ، وَأَقَامَ عَشَرَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ الْمُهَلَّبُ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَكَانَ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَخُرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ وَكَرْمَانَ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ ، وَكَانَ نَائِبُهُ بِخُرَاسَانَ الْمُهَلَّبَ ، وَبِسِجِسْتَانَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ ، وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْحٌ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ ، فِيمَا قِيلَ. |
| الْوَفَيَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ « مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَارِيُّ وَلَهُ ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَمَسَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَأْسِهِ ». |
| الْقَارِيُّ بِالْيَاءِ الْمُشَدَّدَةِ . |
| وَفِيهَا مَاتَ زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ الْجُهَنِيُّ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. |
| وَتُوُفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ الْأَشْعَرِيُّ ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ ، وَلَيْسَتْ لَهُ صُحْبَةٌ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ ذِكْرُ غَزْوِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ رُتْبِيلَ لَمَّا وَلَّى الْحَجَّاجُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ سِجِسْتَانَ ، وَذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ ، مَكَثَ سَنَةً لَمْ يَغْزُ ، وَكَانَ رُتْبِيلُ مُصَالِحًا ، وَكَانَ يُؤَدِّي الْخَرَاجَ ، وَرُبَّمَا امْتَنَعَ مِنْهُ. |
| فَبَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ يَأْمُرُهُ بِمُنَاجَزَتِهِ ، وَأَنْ لَا يَرْجِعَ حَتَّى يَسْتَبِيحَ بِلَادَهُ ، وَيَهْدِمَ قِلَاعَهُ ، وَيُقَيِّدَ رِجَالَهُ. |
| فَسَارَ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ شُرَيْحُ بْنُ هَانِئٍ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، وَمَضَى عُبَيْدُ اللَّهِ حَتَّى دَخَلَ بِلَادَ رُتْبِيلَ ، فَأَصَابَ مِنَ الْغَنَائِمِ مَا شَاءَ ، وَهَدَمَ حُصُونًا ، وَغَلَبَ عَلَى أَرْضٍ مِنْ أَرَاضِيهِمْ ، وَأَصْحَابُ رُتْبِيلَ مِنَ التُّرْكِ يَتْرُكُونَ لَهُمْ أَرْضًا بَعْدَ أَرْضٍ ، حَتَّى أَمْعَنُوا فِي بِلَادِهِمْ وَدَنَوْا مِنْ مَدِينَتِهِمْ ، وَكَانُوا مِنْهَا عَلَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فَرْسَخًا ، فَأَخَذُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْعِقَابَ وَالشِّعَابَ ، فَسُقِطَ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، فَظَنُّوا أَنْ قَدْ هَلَكُوا ، فَصَالَحَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ يُوَصِّلُهَا إِلَى رُتْبِيلَ لِيُمَكِّنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْ أَرْضِهِ ، فَلَقِيَهُ شُرَيْحٌ فَقَالَ لَهُ إِنَّكُمْ لَا تُصَالِحُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا حَسَبَهُ السُّلْطَانُ مِنْ أُعْطِيَّاتِكُمْ ، وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْعُمُرِ طَوِيلًا ، وَقَدْ كُنْتُ أَطْلُبُ الشَّهَادَةَ مُنْذُ زَمَانٍ ، وَإِنْ فَاتَتْنِي الْيَوْمَ الشَّهَادَةُ مَا أُدْرِكُهَا حَتَّى أَمُوتَ. |
| ثُمَّ قَالَ شُرَيْحٌ يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، تَعَاوَنُوا عَلَى عَدُوِّكُمْ. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ إِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرِفْتَ. |
| فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ إِنَّمَا حَسْبُكَ أَنْ يُقَالَ بُسْتَانُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَحَمَّامُ عُبَيْدِ اللَّهِ. |
| يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ مَنْ أَرَادَ مِنْكُمُ الشَّهَادَةَ فَإِلَيَّ. |
| فَاتَّبَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ غَيْرُ كَثِيرٍ ، وَفُرْسَانُ النَّاسِ ، وَأَهْلُ الْحُفَّاظِ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى أُصِيبُوا إِلَّا قَلِيلًا ، وَجَعَلَ شُرَيْحٌ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ أَصْبَحْتُ ذَا بَثٍّ أُقَاسِي الْكِبَرَا... |
| قَدْ عِشْتُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ أَعْصُرَا ثَمَّةَ أَدْرَكْنَا النَّبِيَّ الْمُنْذِرَا... |
| وَبَعْدَهُ صِدِّيقَهُ وَعُمَرَا وَيَوْمَ مِهْرَانَ وَيَوْمَ تُسْتَرَا... |
| وَالْجَمْعَ فِي صِفِّينِهِمْ وَالنَّهَرَا وَبَاجُمَيْرَاتٍ مَعَ الْمُشَقَّرَا... |
| هَيْهَاتَ مَا أَطْوَلَ هَذَا عُمُرَا وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَنَجَا مَنْ نَجَا مِنْهُمْ ، فَخَرَجُوا مِنْ بِلَادِ رُتْبِيلَ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّاسُ بِالْأَطْعِمَةِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَكَلَ وَشَبِعَ مَاتَ ، فَحَذِرَ النَّاسُ وَجَعَلُوا يُطْعِمُونَهُمُ السَّمْنَ قَلِيلًا حَتَّى اسْتَمْرَءُوا ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَجَّاجَ ، فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعَرِّفُهُ ذَلِكَ ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ جَهَّزَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ جَيْشًا كَثِيفًا ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي إِرْسَالِهِ إِلَى بِلَادِ رُتْبِيلَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَصَابَ أَهْلَ الشَّامِ طَاعُونٌ شَدِيدٌ حَتَّى كَادُوا يَفْنَوْنَ ، فَلَمْ يَغْزُ تِلْكَ السَّنَةَ أَحَدٌ فِيمَا قِيلَ. |
| وَفِيهَا أَصَابَ أَهْلُ الرُّومِ أَهْلَ أَنْطَاكِيَّةَ وَظَفِرُوا بِهِمْ. |
| وَفِيهَا اسْتَعْفَى شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ عَنِ الْقَضَاءِ ، فَأَعْفَاهُ الْحَجَّاجُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْقَضَاءِ أَبَا بُرْدَةَ بْنَ أَبِي مُوسَى. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ عَلَى الْعِرَاقِ وَالشَّرْقِ كُلِّهِ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ. |
| وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ ، وَوُلِدَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَتَى سَيْلٌ بِمَكَّةَ فَذَهَبَ بِالْحُجَّاجِ ، وَكَانَ يَحْمِلُ الْإِبِلَ عَلَيْهَا الْأَحْمَالُ وَالرِّجَالُ مَا لِأَحَدٍ فِيهِمْ حِيلَةٌ ، وَغَرِقَتْ بُيُوتُ مَكَّةَ ، وَبَلَغَ السَّيْلُ الرُّكْنَ ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْعَامُ الْجُحَافَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَ بِالْبَصْرَةِ طَاعُونُ الْجَارِفِ. |
| ذِكْرُ غَزْوَةِ الْمُهَلَّبِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَطَعَ الْمُهَلَّبُ نَهْرَ بَلْخٍ وَنَزَلَ عَلَى كِشَّ ، وَكَانَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ أَبُو الْأَدْهَمِ الزَّمَانِيُّ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَهُوَ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ ، وَكَانَ أَبُو الْأَدْهَمِ يُغْنِي غَنَاءَ أَلْفَيْنِ فِي الْبَأْسِ وَالتَّدْبِيرِ وَالنَّصِيحَةِ ، فَأَتَى الْمُهَلَّبَ وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى كِشَّ ابْنُ عَمِّ مَلِكِ الْخُتَّلِ ، فَدَعَاهُ إِلَى غَزْوِ الْخُتَّلِ ، فَوَجَّهَ مَعَهُ ابْنَهُ يَزِيدَ ، وَكَانَ اسْمُ مَلِكِ الْخُتَّلِ الشِّبْلُ ، فَنَزَلَ يَزِيدُ وَنَزَلَ ابْنُ عَمِّ الْمَلِكِ نَاحِيَةً ، فَبَيَّتَهُ الشِّبْلُ وَأَخَذَهُ فَقَتَلَهُ ، وَحَصَرَ يَزِيدُ قَلْعَةَ الشِّبْلِ ، فَصَالَحُوهُ عَلَى فِدْيَةٍ حُمِلَتْ إِلَيْهِ ، وَرَجَعَ يَزِيدُ عَنْهُمْ ، وَوَجَّهَ الْمُهَلَّبُ ابْنَهُ حَبِيبًا فَوَافَى صَاحِبَ بُخَارَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، فَنَزَلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ قَرْيَةً ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ حَبِيبٌ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ فَقَتَلَهُمْ وَأَحْرَقَ الْقَرْيَةَ ، فَسُمِّيَتِ الْمُحْتَرِقَةَ ، وَرَجَعَ حَبِيبٌ إِلَى أَبِيهِ. |
| وَأَقَامَ الْمُهَلَّبُ بِكِشَّ سَنَتَيْنِ ، فَقِيلَ لَهُ لَوْ تَقَدَّمْتَ إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ. |
| فَقَالَ لَيْتَ حَظِّيَ مِنْ هَذِهِ الْغَزَاةِ سَلَامَةُ هَذَا الْجُنْدِ وَعَوْدُهُمْ سَالِمِينَ. |
| وَلَمَّا كَانَ الْمُهَلَّبُ بِكِشَّ أَتَاهُمْ قَوْمٌ مِنْ مُضَرَ ، فَحَبَسَهُمْ بِهَا ، فَلَمَّا رَجَعَ أَطْلَقَهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ إِنْ كُنْتَ أَصَبْتَ بِحَبْسِهِمْ ، فَقَدْ أَخْطَأْتَ بِإِطْلَاقِهِمْ ، وَإِنْ كُنْتَ أَصَبْتَ بِإِطْلَاقِهِمْ ، فَقَدْ ظَلَمْتَهُمْ إِذْ حَبَسْتَهُمْ. |
| فَكَتَبَ الْمُهَلَّبُ خِفْتُهُمْ وَحَبَسْتُهُمْ ، فَلَمَّا أَمِنْتُهُمْ خَلَّيْتُهُمْ. |
| وَكَانَ فِيمَنْ حُبِسَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي شَيْخٍ الْقُشَيْرِيُّ. |
| وَصَالَحَ الْمُهَلَّبُ أَهْلَ كِشَّ عَلَى فِدْيَةٍ يَأْخُذُهَا مِنْهُمْ ، وَأَتَاهُ كِتَابُ ابْنِ الْأَشْعَثِ بِخَلْعِ الْحَجَّاجِ وَيَدْعُوهُ إِلَى مُسَاعَدَتِهِ ، فَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ وَأَقَامَ بِكِشَّ. |
| ذِكْرُ تَسْيِيرِ الْجُنُودِ إِلَى رُتْبِيلَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ قَدْ ذَكَرْنَا حَالَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ دَخَلَ بِهِمُ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ بِلَادَ رُتْبِيلَ ، وَاسْتَأْذَنَ الْحَجَّاجُ عَبْدَ الْمَلِكِ فِي تَسْيِيرِ الْجُنُودِ نَحْوَ رُتْبِيلَ ، فَأَذِنَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي ذَلِكَ ، فَأَخَذَ الْحَجَّاجُ فِي تَجْهِيزِ الْجَيْشِ ، فَجَعَلَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ عِشْرِينَ أَلْفًا ، وَعَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ عِشْرِينَ أَلْفًا ، وَجَدَّ فِي ذَلِكَ ، وَأَعْطَى النَّاسَ أُعْطِيَاتِهِمْ كَمَلًا ، وَأَنْفَقَ فِيهِمْ أَلْفَيْ أَلْفٍ سِوَى أُعْطِيَاتِهِمْ ، وَأَنْجَدَهُمْ بِالْخَيْلِ الرَّائِقَةِ وَالسِّلَاحِ الْكَامِلِ ، وَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ يُوصَفُ بِشَجَاعَةٍ وَغَنَاءٍ ، مِنْهُمْ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي مِحْجَنٍ الثَّقَفِيُّ وَغَيْرُهُ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ الْجُنْدَيْنِ بَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ يُبْغِضُهُ وَيَقُولُ مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ إِلَّا أَرَدْتُ قَتْلَهُ. |
| وَسَمِعَ الشَّعْبِيُّ ذَلِكَ مِنَ الْحَجَّاجِ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَخْبَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِهِ ، فَقَالَ وَاللَّهِ لَأُحَاوِلَنَّ أَنْ أُزِيلَ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ. |
| فَلَمَّا أَرَادَ الْحَجَّاجُ أَنْ يَبْعَثَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَلَى ذَلِكَ الْجَيْشِ أَتَاهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْأَشْعَثِ فَقَالَ لَهُ لَا تَبْعَثْهُ ، فَوَاللَّهِ مَا جَازَ جِسْرَ الْفُرَاتِ فَرَأَى لِوَالٍ عَلَيْهِ طَاعَةً ، وَإِنِّي أَخَافُ خِلَافَهُ. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ هُوَ أَهْيَبُ لِي مِنْ أَنْ يُخَالِفَ أَمْرِي. |
| وَسَيَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَيْشِ ، فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى قَدِمَ سِجِسْتَانَ ، فَجَمَعَ أَهْلَهَا فَخَطَبَهُمْ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْحَجَّاجَ وَلَّانِي ثَغْرَكُمْ ، وَأَمَرَنِي بِجِهَادِ عَدُوِّكُمُ الَّذِي اسْتَبَاحَ بِلَادَكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ يَتَخَلَّفَ مِنْكُمْ أَحَدٌ ، فَتَمَسَّهُ الْعُقُوبَةُ. |
| فَعَسْكَرُوا مَعَ النَّاسِ وَتَجَهَّزُوا ، وَسَارَ بِأَجْمَعِهِمْ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ رُتْبِيلَ ، فَأَرْسَلَ يَعْتَذِرُ وَيَبْذُلُ الْخَرَاجَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، وَسَارَ إِلَيْهِ وَدَخَلَ بِلَادَهُ ، وَتَرَكَ لَهُ رُتْبِيلُ أَرْضًا أَرْضًا ، وَرُسْتَاقًا رُسْتَاقًا ، وَحِصْنًا حِصْنًا ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يَحْوِي ذَلِكَ ، وَكُلَّمَا حَوَى بَلَدًا بَعَثَ إِلَيْهِ عَامِلًا ، وَجَعَلَ مَعَهُ أَعْوَانًا ، وَجَعَلَ الْأَرْصَادَ عَلَى الْعِقَابِ وَالشِّعَابِ ، وَوَضَعَ الْمَسَالِحَ بِكُلِّ مَكَانٍ مَخُوفٍ ، حَتَّى إِذَا جَازَ مِنْ أَرْضِهِ أَرْضًا عَظِيمَةً ، وَمَلَأَ النَّاسُ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ الْعَظِيمَةِ مَنَعَ النَّاسَ مِنَ الْوُغُولِ فِي أَرْضِ رُتْبِيلَ ، وَقَالَ نَكْتَفِي بِمَا قَدْ أَصَبْنَاهُ الْعَامَ مِنْ بِلَادِهِمْ حَتَّى نَجْبِيَهَا وَنَعْرِفَهَا ، وَيَجْتَرِئُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى طُرُقِهَا ، وَفِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ نَأْخُذُ مَا وَرَاءَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى نُقَاتِلَهُمْ فِي آخِرِ ذَلِكَ عَلَى كُنُوزِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ وَأَقْصَى بِلَادِهِمْ ، حَتَّى يُهْلِكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . |
| ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَبِمَا يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ. |
| وَقَدْ قِيلَ فِي إِرْسَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ غَيْرُ مَا ذَكَرْنَا ، وَهُوَ أَنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ قَدْ تَرَكَ بِكَرْمَانَ هِمْيَانَ بْنَ عَدِيٍّ السَّدُوسِيَّ ، يَكُونُ بِهَا مَسْلَحَةً إِنِ احْتَاجَ إِلَيْهِ عَامِلُ سِجِسْتَانَ وَالسِّنْدَ ، فَعَصَى هِمْيَانُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدٍ ، فَحَارَبَهُ فَانْهَزَمَ هِمْيَانُ ، وَأَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِمَوْضِعِهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ مَاتَ ، وَكَانَ عَامِلًا عَلَى سِجِسْتَانَ ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ عَهْدَهُ عَلَيْهَا ، وَجَهَّزَ إِلَيْهِ هَذَا الْجَيْشَ ، فَكَانَ يُسَمَّى جَيْشَ الطَّوَاوِيسِ لِحُسْنِهِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَكَانَ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ عَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ الْحَجَّاجُ ، وَكَانَ عَلَى خُرَاسَانَ الْمُهَلَّبُ مِنْ قِبَلِ الْحَجَّاجِ ، وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ أَبُو بُرْدَةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ أَسْلَمُ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعِينَ. |
| وَفِيهَا قُتِلَ مَعْبَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ الْجُهَنِيُّ الَّذِي يَرْوِي حَدِيثَ الدِّبَاغِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِالْقَدَرِ فِي الْبَصْرَةِ ، قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ ، وَقِيلَ قَتَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِدِمَشْقَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَهُوَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ ، وَكَانَ عَلَى غَزْوِ الْبَحْرِ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ كُلِّهَا. |
| وَفِيهَا مَاتَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ أُخْتِ النَّمِرِ ، وَقِيلَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ ، وُلِدَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ سُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ ، بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَالْفَاءِ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْكُوفَةِ. |
| وَجُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرِ بْنِ مَالِكٍ الْحَضْرَمِيُّ ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ ، وَلَيْسَ لَهُ صُحْبَةٌ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ابْنَهُ عُبَيْدَ اللَّهِ فَفَتَحَ قَالِيقَلَا. |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ بَحِيرِ بْنِ وَرْقَاءَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ بَحِيرُ بْنُ وَرْقَاءَ الصُّرَيْمِيُّ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ بُكَيْرُ بْنُ وَسَّاجٍ ، وَكِلَاهُمَا تَمِيمِيَّانِ ، بِأَمْرِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ إِيَّاهُ بِذَلِكَ ، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، قَالَ عُثْمَانُ بْنُ رَجَاءَ بْنِ جَابِرٍ أَحَدُ بَنِي عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ مِنَ الْأَبْنَاءِ يُحَرِّضُ بَعْضَ آلِ بُكَيْرٍ مِنَ الْأَبْنَاءِ ، وَالْأَبْنَاءُ عِدَّةُ بُطُونٍ مِنْ تَمِيمٍ سُمُّوا بِذَلِكَ لَعَمْرِي لَقَدْ أَغْضَيْتَ عَيْنًا عَلَى الْقَذَى... |
| وَبِتَّ بَطِينًا مِنْ رَحِيقٍ مُرَوَّقِ وَخَلَّيْتَ ثَأْرًا طُلَّ وَاخْتَرْتَ نَوْمَةً... |
| وَمَنْ يَشْرَبِ الصَّهْبَاءَ بِالْوِتْرِ يُسْبَقِ فَلَوْ كُنْتَ مِنْ عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ ذُؤَابَةً... |
| تَرَكْتَ بَحِيرًا فِي دَمٍ مُتَرَقْرِقِ فَقُلْ لِبَحِيرٍ نَمْ وَلَا تَخْشَ ثَائِرًا... |
| بِبَكْرٍ فَعَوْفٌ أَهْلُ شَاءٍ حَبَلَّقِ دَعِ الضَّأْنَ يَوْمًا قَدْ سُبِقْتُمْ بِوِتْرِكُمْ... |
| وَصِرْتُمْ حَدِيثًا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ وَهُبُّوا فَلَوْ أَمْسَى بُكَيْرٌ كَعَهْدِهِ لَغَادَاهُمُ زَحْفًا بِجَأْوَاءَ فَيْلَقِ وَقَالَ أَيْضًا فَلَوْ كَانَ بَكْرٌ بَارِزًا فِي أَدَاتِهِ... |
| وَذِي الْعَرْشِ لَمْ يُقْدِمْ عَلَيْهِ بَحِيرُ فَفِي الدَّهْرِ إِنْ أَبْقَانِيَ الدَّهْرُ مَطْلَبٌ... |
| وَفِي اللَّهِ طَلَّابٌ بِذَاكَ جَدِيرُ فَبَلَغَ بَحِيرًا أَنَّ رَهْطَ بُكَيْرٍ مِنَ الْأَبْنَاءِ يَتَوَعَّدُونَهُ فَقَالَ تَوَعَّدَنِي الْأَبْنَاءُ جَهْلًا كَأَنَّمَا يَرَوْنَ فِنَائِي مُقْفِرًا مِنْ بَنِي كَعْبِ رَفَعْتُ لَهُ كَفِّي بِعَضْبٍ مُهَنَّدٍ حُسَامٍ كَلَوْنِ الثَّلْجِ ذِي رَوْنَقٍ عَضْبِ فَتَعَاقَدَ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَوْفٍ عَلَى الطَّلَبِ بِدَمِ بُكَيْرٍ ، فَخَرَجَ فَتًى مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ شَمَرْدَلٌ مِنَ الْبَادِيَةِ حَتَّى قَدِمَ خُرَاسَانَ فَرَأَى بَحِيرًا وَاقِفًا فَحَمَلَ عَلَيْهِ ، فَطَعَنَهُ فَصَرَعَهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ ، فَقَالَ النَّاسُ خَارِجِيٌّ ، وَرَاكَضَهُمْ ، فَعَثَرَ بِهِ فَرَسُهُ ، فَسَقَطَ عَنْهُ فَقُتِلَ. |
| وَخَرَجَ صَعْصَعَةُ بْنُ حَرْبٍ الْعَوْفِيُّ مِنَ الْبَادِيَةِ ، وَقَدْ بَاعَ غُنَيْمَاتٍ لَهُ وَمَضَى إِلَى سِجِسْتَانَ ، فَجَاوَرَ قَرَابَةً لِبَحِيرٍ مُدَّةً ، وَادَّعَى إِلَى بَنِي حَنِيفَةَ مِنَ الْيَمَامَةِ ، وَأَطَالَ مُجَالَسَتَهُمْ حَتَّى أَنِسُوا بِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ إِنَّ لِي بِخُرَاسَانَ مِيرَاثًا ، فَاكْتُبُوا لِي إِلَى بَحِيرٍ كِتَابًا لِيُعِينَنِي عَلَى حَقِّي. |
| فَكَتَبُوا لَهُ ، وَسَارَ فَقَدِمَ عَلَى بَحِيرٍ وَهُوَ مَعَ الْمُهَلَّبِ فِي غَزْوَتِهِ ، فَلَقِيَ قَوْمًا مِنْ بَنِي عَوْفٍ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَمْرَهُ ، وَلَقِيَ بَحِيرًا فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، وَأَنَّ لَهُ مَالًا بِسِجِسْتَانَ وَمِيرَاثًا بِمَرْوَ ، وَقَدِمَ لِيَبِيعَهُ وَيَعُودَ إِلَى الْيَمَامَةِ. |
| فَأَنْزَلَهُ بَحِيرٌ وَأَمَرَ لَهُ بِنَفَقَةٍ وَوَعَدَهُ ، فَقَالَ صَعْصَعَةُ أُقِيمُ عِنْدَكَ حَتَّى يَرْجِعَ النَّاسُ. |
| فَأَقَامَ شَهْرًا يَحْضَرُ مَعَهُ بَابَ الْمُهَلَّبِ ، وَكَانَ بَحِيرٌ قَدْ حَذِرَ ، فَلَمَّا أَتَاهُ صَعْصَعَةُ بِكِتَابِ أَصْحَابِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ حَنِيفَةَ ، آمَنَهُ. |
| فَجَاءَ يَوْمًا صَعْصَعَةُ وَبَحِيرٌ عِنْدَ الْمُهَلَّبِ عَلَيْهِ قَمِيصٌ وَرِدَاءٌ ، فَقَعَدَ خَلْفَهُ ، وَدَنَا مِنْهُ كَأَنَّهُ يُكَلِّمُهُ ، فَوَجَأَهُ بِخِنْجَرٍ مَعَهُ فِي خَاصِرَتِهِ ، فَغَيَّبَهُ فِي جَوْفِهِ ، وَنَادَى يَا لِثَارَاتِ بُكَيْرٍ! |
| فَأُخِذَ وَأُتِيَ بِهِ الْمُهَلَّبَ ، فَقَالَ لَهُ بُؤْسًا لَكَ! |
| مَا أَدْرَكْتَ بِثَأْرِكَ وَقَتَلْتَ نَفْسَكَ ، وَمَا عَلَى بَحِيرٍ بَأْسٌ. |
| فَقَالَ لَقَدْ طَعَنْتُهُ طَعْنَةً لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ النَّاسِ لَمَاتُوا ، وَلَقَدْ وَجَدْتُ رِيحَ بَطْنِهِ فِي يَدِي. |
| فَحَبَسَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الْأَبْنَاءِ فَقَبَّلُوا رَأْسَهُ. |
| وَمَاتَ بَحِيرٌ مِنَ الْغَدِ ، فَقَالَ صَعْصَعَةُ لَمَّا مَاتَ بَحِيرٌ اصْنَعُوا الْآنَ مَا شِئْتُمْ ، أَلَيْسَ قَدْ حَلَّتْ نُذُورُ أَبْنَاءِ بَنِي عَوْفٍ وَأَدْرَكْتُ بِثَأْرِي ؟ |
| وَاللَّهِ لَقَدْ أَمْكَنَنِي مِنْهُ خَالِيًا غَيْرَ مَرَّةٍ فَكَرِهْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ سِرًّا. |
| فَقَالَ الْمُهَلَّبُ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَسْخَى نَفْسًا بِالْمَوْتِ مِنْ هَذَا. |
| وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْمُهَلَّبَ بَعَثَهُ إِلَى بَحِيرٍ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ، فَقَتَلَهُ ، وَمَاتَ بَحِيرٌ بَعْدَهُ. |
| وَعَظُمَ مَوْتُهُ عَلَى الْمُهَلَّبِ ، وَغَضِبَتْ عَوْفٌ وَالْأَبْنَاءُ وَقَالُوا عَلَامَ قُتِلَ صَاحِبُنَا ، وَإِنَّمَا أَخَذَ بِثَأْرِهِ ؟ |
| فَنَازَعَهُمْ مُقَاعِسُ وَالْبُطُونُ ، وَكُلُّهُمْ بُطُونٌ مِنْ تَمِيمٍ ، حَتَّى خَافَ النَّاسُ أَنْ يَعْظُمَ الْأَمْرُ ، فَقَالَ أَهْلُ الْحِجَى احْمِلُوا دَمَ صَعْصَعَةَ ، وَاجْعَلُوا دَمَ بَحِيرٍ بِبُكَيْرٍ ، فَوَدَوْا صَعْصَعَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَبْنَاءِ يَمْدَحُ صَعْصَعَةَ لِلَّهِ دَرُّ فَتًى تَجَاوَزَ هَمُّهُ... |
| دُونَ الْعِرَاقِ مَفَاوِزًا وَبُحُورَا مَا زَالَ يُدْئِبُ نَفْسَهُ وَرِكَابَهُ... |
| حَتَّى تَنَاوَلَ فِي الْحُرُوبِ بَحِيرَا ذِكْرُ دُخُولِ الدَّيْلَمِ قَزْوِينَ وَمَا كَانَ مِنْهُمْ كَانَتْ قَزْوِينُ ثَغْرَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَاحِيَةِ دَيْلَمَ ، فَكَانَتِ الْعَسَاكِرُ لَا تَبْرَحُ مُرَابِطَةً بِهَا ، يَتَحَارَسُونَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَلَمَّا كَانَ هَذِهِ السَّنَةُ كَانَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ رَابِطٍ بِهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ الْجُعْفِيُّ ، وَكَانَ فَارِسًا شُجَاعًا عَظِيمَ الْغَنَاءِ فِي حُرُوبِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَزْوِينَ رَأَى النَّاسَ يَتَحَارَسُونَ فَلَا يَنَامُونَ اللَّيْلَ ، فَقَالَ لَهُمْ أَتَخَافُونَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكُمُ الْعَدُوُّ مَدِينَتَكُمْ ؟ |
| قَالُوا نَعَمْ. |
| قَالَ لَقَدْ أَنْصَفُوكُمْ إِنْ فَعَلُوا ، افْتَحُوا الْأَبْوَابَ وَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ. |
| فَفَتَحُوهَا. |
| وَبَلَغَ ذَلِكَ الدَّيْلَمَ فَسَارُوا إِلَيْهِمْ وَبَيَّتُوهُمْ وَهَجَمُوا إِلَى الْبَلَدِ ، وَتَصَايَحَ النَّاسُ ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ أَغْلِقُوا أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ ، فَقَدْ أَنْصَفُونَا وَقَاتِلُوهُمْ. |
| فَأَغْلَقُوا الْأَبْوَابَ وَقَاتَلُوهُمْ ، وَأَبْلَى ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ بَلَاءً عَظِيمًا ، وَظَفِرَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنَ الدَّيْلَمِ أَحَدٌ ، وَاشْتَهَرَ اسْمُهُ بِذَلِكَ ، وَلَمْ يَعُدِ الدَّيْلَمُ بَعْدَهَا يُقْدِمُونَ عَلَى مُفَارَقَةِ أَرْضِهِمْ. |
| فَصَارَ مُحَمَّدٌ فَارِسَ ذَلِكَ الثَّغْرِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ يُدْمِنُ شُرْبَ الْخَمْرِ ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى أَيَّامِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَأَمَرَ بِتَسْيِيرِهِ إِلَى زُرَارَةَ ، وَهِيَ دَارُ الْفُسَّاقِ بِالْكُوفَةِ ، فَسُيِّرَ إِلَيْهَا ، فَأَغَارَتِ الدَّيْلَمُ وَنَالَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَظَهَرَ الْخَلَلُ بَعْدَهُ ، فَكَتَبُوا إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمِيرِ الْكُوفَةِ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمُ ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي عَوْدِهِ إِلَى الثَّغْرِ ، فَعَادَ إِلَيْهِ وَحَمَاهُ. |
| وَلِمُحَمَّدٍ أَخٌ يُقَالُ لَهُ خُثَيْمَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَهُوَ اسْمُ أَبِي سَبْرَةَ ، وَكَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ. |
| ذِكْرُ خِلَافِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى الْحَجَّاجِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَالَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِ الْعِرَاقِ عَلَى الْحَجَّاجِ ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ لِحَرْبِهِ ، وَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ لَمَّا بَعَثَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَى الْجَيْشِ إِلَى بِلَادِ رُتْبِيلَ فَدَخَلَهَا وَأَخَذَ مِنْهَا الْغَنَائِمَ وَالْحُصُونَ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ يُعَرِّفُهُ ذَلِكَ ، وَأَنَّ رَأْيَهُ أَنْ يَتْرُكُوا التَّوَغُّلَ فِي بِلَادِ رُتْبِيلَ حَتَّى يَعْرِفُوا طَرِيقَهَا وَيَجْبُوا خَرَاجَهَا ، عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ. |
| فَلَمَّا أَتَى كِتَابُهُ إِلَى الْحَجَّاجِ كَتَبَ جَوَابَهُ إِنَّ كِتَابَكَ كِتَابُ امْرِئٍ يُحِبُّ الْهُدْنَةَ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْمُوَادَعَةِ ، قَدْ صَانَعَ عَدُوًّا قَلِيلًا ذَلِيلًا ، قَدْ أَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ جُنْدًا كَانَ بَلَاؤُهُمْ حَسَنًا ، وَغَنَاؤُهُمْ عَظِيمًا ، وَإِنَّكَ حَيْثُ تَكُفُّ عَنْ ذَلِكَ الْعَدُوِّ بِجُنْدِي وَحَدِّي لَسَخِيُّ النَّفْسِ بِمَنْ أُصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَامْضِ لِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنَ الْوُغُولِ فِي أَرْضِهِمْ ، وَالْهَدْمِ لِحُصُونِهِمْ ، وَقَتْلِ مُقَاتِلَتِهِمْ ، وَسَبْيِ ذَرَارِيِّهِمْ ، ثُمَّ أَرْدَفَهُ كِتَابًا آخَرَ بِنَحْوِ ذَلِكَ ، وَفِيهِ أَمَّا بَعْدُ ، فَمُرْ مَنْ قِبَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَحْرِقُوا وَلِيُقِيمُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا دَارُهُمُ حَتَّى يَفْتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ. |
| ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ ثَالِثًا بِذَلِكَ وَيَقُولُ لَهُ إِنْ مَضَيْتَ لِمَا أَمَرْتُكَ ، وَإِلَّا فَأَخُوكَ إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَمِيرُ النَّاسِ. |
| فَدَعَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَالَ لَهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ وَلِصَلَاحِكُمْ مُحِبٌّ ، وَلَكُمْ فِي كُلِّ مَا يُحِيطُ بِكُمْ نَفْعُهُ نَاظِرٌ ، وَقَدْ كَانَ رَأْيِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوِّي بِمَا رَضِيَهُ ذَوُو أَحْلَامِكُمْ وَأُولُو التَّجْرِبَةِ مِنْكُمْ ، وَكَتَبْتُ بِذَلِكَ إِلَى أَمِيرِكُمُ الْحَجَّاجِ ، فَأَتَانِي كِتَابُهُ يُعَجِّزُنِي وَيُضَعِّفُنِي ، وَيَأْمُرُنِي بِتَعْجِيلِ الْوُغُولِ بِكُمْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ ، وَهِيَ الْبِلَادُ الَّتِي هَلَكَ فِيهَا إِخْوَانُكُمْ بِالْأَمْسِ ، وَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ أَمْضِي إِذَا مَضَيْتُمْ ، وَآبَى إِذَا أَبَيْتُمْ. |
| فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَقَالُوا بَلْ نَأْبَى عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ ، وَلَا نَسْمَعُ لَهُ وَلَا نُطِيعُ. |
| فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ الْكِنَانِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ ، فَقَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْحَجَّاجَ يَرَى بِكُمْ مَا رَأَى الْقَائِلُ الْأَوَّلُ احْمِلْ عَبْدَكَ عَلَى الْفَرَسِ ، فَإِنْ هَلَكَ هَلَكَ ، وَإِنْ نَجَا فَلَكَ. |
| إِنَّ الْحَجَّاجَ مَا يُبَالِي أَنْ يُخَاطِرَ بِكُمْ فَيُقْحِمَكُمْ بِلَادًا كَثِيرَةً ، وَيَغْشَى اللُّهُوبَ وَاللُّصُوبَ ، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ وَغَنِمْتُمْ أَكَلَ الْبِلَادَ وَحَازَ الْمَالَ ، وَكَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي سُلْطَانِهِ ، وَإِنْ ظَفِرَ عَدُوُّكُمْ كُنْتُمْ أَنْتُمُ الْأَعْدَاءَ الْبُغَضَاءَ الَّذِينَ لَا يُبَالِي عَنَتَهُمْ ، وَلَا يُبْقِي عَلَيْهِمْ. |
| اخْلَعُوا عَدُوَّ اللَّهِ الْحَجَّاجَ ، وَبَايِعُوا الْأَمِيرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي أَوَّلُ خَالِعٍ. |
| فَنَادَى النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَعَلْنَا فَعَلْنَا ، قَدْ خَلَعْنَا عَدُوَّ اللَّهِ. |
| وَقَامَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ شَبَثِ بْنِ رِبْعِيٍّ فَقَالَ عِبَادَ اللَّهِ! |
| إِنَّكُمْ إِنْ أَطَعْتُمُ الْحَجَّاجَ جَعَلَ هَذِهِ الْبِلَادَ بِلَادَكُمْ مَا بَقِيتُمْ ، وَجَمَّرَكُمْ تَجْمِيرَ فِرْعَوْنَ الْجُنُودَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَّرَ الْبُعُوثَ ، وَلَنْ تُعَايِنُوا الْأَحِبَّةَ أَوْ يَمُوتَ أَكْثَرُكُمْ فِيمَا أَرَى ، فَبَايِعُوا أَمِيرَكُمْ ، وَانْصَرِفُوا إِلَى عَدُوِّكُمُ الْحَجَّاجِ فَانْفُوهُ عَنْ بِلَادِكُمْ. |
| فَوَثَبَ النَّاسُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَبَايَعُوهُ عَلَى خَلْعِ الْحَجَّاجِ ، وَنَفْيِهِ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ ، وَعَلَى النُّصْرَةِ لَهُ. |
| وَلَمْ يُذْكَرْ عَبْدُ الْمَلِكِ. |
| وَجَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى بُسْتٍ عِيَاضَ بْنَ هِمْيَانَ الشَّيْبَانِيَّ ، وَعَلَى زَرَنْجَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ التَّمِيمِيَّ ، وَصَالَحَ رُتْبِيلَ عَلَى أَنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ إِنْ ظَهَرَ فَلَا خَرَاجَ عَلَيْهِ أَبَدًا مَا بَقِيَ ، وَإِنْ هُزِمَ فَأَرَادَ مَنَعَهُ. |
| ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَسَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعْشَى هَمْدَانَ وَهُوَ يَقُولُ شَطَّتْ نَوَى مَنْ دَارُهُ بِالْإِيوَانْ... |
| إِيوَانِ كِسْرَى ذِي الْقُرَى وَالرَّيْحَانْ مِنْ عَاشِقٍ أَمْسَى بِزَابُلِسْتَانْ... |
| إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمُ الْكَذَّابَانْ كَذَّابُهَا الْمَاضِي وَكَذَّابٌ ثَانْ... |
| أَمْكَنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفِ هَمْدَانْ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانْ... |
| إِنَّا سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَّانْ حِينَ طَغَى فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانْ... |
| بِالسَّيِّدِ الْغِطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنْ سَارَ بِجَمْعٍ كَالدَّبَا مِنْ قَحْطَانْ... |
| وَمِنْ مَعَدٍّ قَدْ أَتَى ابْنُ عَدْنَانْ بِجَحْفَلٍ جَمٍّ شَدِيدِ الْأَرْكَانْ... |
| فَقُلْ لِحَجَّاجٍ وَلِيِّ الشَّيْطَانْ يَثْبُتْ بِجَمْعِ مَذْحِجٍ وَهَمْدَانْ... |
| فَإِنَّهُمْ سَاقُوهُ كَأْسَ الذَّيْفَانْ وَمُلْحِقُوهُ بِقُرَى ابْنِ مَرْوَانْ وَجَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ عَطِيَّةَ بْنَ عَمْرٍو الْعَنْبَرِيَّ ، وَجَعَلَ عَلَى كَرْمَانَ حُرَيْثَةَ بْنَ عَمْرٍو التَّمِيمِيَّ ، فَلَمَّا بَلَغَ فَارِسَ اجْتَمَعَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوا إِذَا خَلَعْنَا الْحَجَّاجَ عَامِلَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَدْ خَلَعْنَا عَبْدَ الْمَلِكِ. |
| فَاجْتَمَعُوا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَكَانَ أَوَّلَ النَّاسِ خَلَعَ عَبْدَ الْمَلِكِ تِيجَانُ بْنُ أَبْجَرَ مِنْ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، قَامَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي خَلَعْتُ أَبَا ذِبَّانَ كَخَلْعِي قَمِيصِي. |
| فَخَلَعَهُ النَّاسُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ، وَبَايَعُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَتْ بَيْعَتُهُ نُبَايِعُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جِهَادِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَخَلْعِهِمْ ، وَجِهَادِ الْمُحِلِّينَ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْحَجَّاجَ خَلْعُهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِخَبَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُعَجِّلَ بِعْثَةَ الْجُنُودِ إِلَيْهِ. |
| وَسَارَ الْحَجَّاجُ حَتَّى نَزَلَ الْبَصْرَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمُهَلَّبَ خَبَرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ مِنْ خُرَاسَانَ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَيْكَ وَهُمْ مِثْلُ السَّيْلِ ، لَيْسَ يَرُدُّهُمْ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى قَرَارِهِ ، وَإِنَّ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ شِرَّةٌ فِي أَوَّلِ مَخْرَجِهِمْ ، وَصَبَابَةٌ إِلَى أَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ ، فَاتْرُكْهُمْ حَتَّى يَسْقُطُوا إِلَى أَهَالِيهِمْ وَيَشُمُّوا أَوْلَادَهُمْ ، ثُمَّ وَاقِعْهُمْ عِنْدَهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ. |
| فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ سَبَّهُ وَقَالَ مَا إِلَيَّ نَظَرٌ ، وَإِنَّمَا النَّظَرُ لِابْنِ عَمِّهِ. |
| يَعْنِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ. |
| وَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ الْحَجَّاجِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ هَالَهُ ، وَدَعَا خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ ، فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كَانَ الْحَدَثُ مِنْ سِجِسْتَانَ فَلَا تَخَفْهُ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ خُرَاسَانَ فَإِنِّي أَتَخَوَّفُهُ. |
| فَجَهَّزَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْجُنْدَ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَكَانُوا يَصِلُونَ إِلَى الْحَجَّاجِ عَلَى الْبَرِيدِ ، مِنْ مِائَةٍ ، وَمِنْ خَمْسِينَ ، وَأَقَلَّ وَأَكْثَرَ ، وَكُتُبُ الْحَجَّاجِ تَتَّصِلُ بِعَبْدِ الْمَلِكِ كُلَّ يَوْمٍ بِخَبَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. |
| فَسَارَ الْحَجَّاجُ مِنَ الْبَصْرَةِ لِيَلْتَقِيَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَنَزَلَ تُسْتَرَ ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُقَدِّمَةً إِلَى دُجَيْلٍ ، فَلَقُوا عِنْدَهُ خَيْلًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْحَجَّاجِ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْأَضْحَى سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ. |
| فَلَمَّا أَتَى خَبَرُ الْهَزِيمَةِ إِلَى الْحَجَّاجِ رَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَتَبِعَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَأَصَابُوا بَعْضَ أَثْقَالِهِمْ ، وَأَقْبَلَ الْحَجَّاجُ حَتَّى نَزَلَ الزَّاوِيَةَ ، وَجَمَعَ عِنْدَهُ الطَّعَامَ ، وَتَرَكَ الْبَصْرَةَ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَلَمَّا رَجَعَ نَظَرَ فِي كِتَابِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لِلَّهِ دَرُّهُ أَيُّ صَاحِبِ حَرْبٍ هُوَ! |
| وَفَرَّقَ فِي النَّاسِ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. |
| فَأَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى دَخَلَ الْبَصْرَةَ ، فَبَايَعَهُ جَمِيعُ أَهْلِهَا قُرَّاؤُهَا وَكُهُولُهَا ، مُسْتَبْصِرِينَ فِي قِتَالِ الْحَجَّاجِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِي سُرْعَةِ إِجَابَتِهِمْ إِلَى بَيْعَتِهِ أَنَّ عُمَّالَ الْحَجَّاجِ كَتَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ الْخَرَاجَ قَدِ انْكَسَرَ ، وَإِنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ قَدْ أَسْلَمُوا وَلَحِقُوا بِالْأَمْصَارِ. |
| فَكَتَبَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا إِنَّ مَنْ كَانَ لَهُ أَصْلٌ مِنْ قَرْيَةٍ فَلْيَخْرُجْ إِلَيْهَا. |
| فَأَخْرَجَ النَّاسَ لِتُؤْخَذَ مِنْهُمُ الْجِزْيَةُ ، فَجَعَلُوا يَبْكُونَ وَيُنَادُونَ يَا مُحَمَّدَاهُ يَا مُحَمَّدَاهُ! |
| وَلَا يَدْرُونَ أَيْنَ يَذْهَبُونَ ، وَجَعَلَ قُرَّاءُ الْبَصْرَةِ يَبْكُونَ لِمَا يَرَوْنَ ، فَلَمَّا قَدِمَ ابْنُ الْأَشْعَثِ عُقَيْبَ ذَلِكَ بَايَعُوهُ عَلَى حَرْبِ الْحَجَّاجِ وَخَلْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَخَنْدَقَ الْحَجَّاجُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَخَنْدَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ دُخُولُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرَةَ فِي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَكَانَ مِمَّنْ حَجَّ أُمُّ الدَّرْدَاءِ الصُّغْرَى. |
| وَفِيهَا وُلِدَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ. |
| وَكَانَ الْعَامِلُ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ ، وَعَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ كُلِّهِ الْحَجَّاجَ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ الْمُهَلَّبَ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ أَبَا بُرْدَةَ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أُذَيْنَةَ. |
| وَكَانَتْ سِجِسْتَانُ وَكَرْمَانُ وَفَارِسُ وَالْبَصْرَةُ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْحَجَّاجِ وَابْنِ الْأَشْعَثِ قِيلَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ اقْتَتَلَ عَسْكَرُ الْحَجَّاجِ وَعَسْكَرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَتَزَاحَفُوا فِي الْمُحَرَّمِ عِدَّةَ دَفَعَاتٍ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي آخِرِ الْمُحَرَّمِ اشْتَدَّ قِتَالُهُمْ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْحَجَّاجِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ ، وَقَاتَلُوا عَلَى خَنَادِقِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ تَزَاحَفُوا آخِرَ يَوْمٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، فَجَالَ أَصْحَابُ الْحَجَّاجِ وَتَقَوَّضَ صَفُّهُمْ ، فَجَثَا الْحَجَّاجُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَقَالَ لِلَّهِ دَرُّ مُصْعَبٍ ، مَا كَانَ أَكْرَمَهُ حِينَ نَزَلَ بِهِ مَا نَزَلْ وَعَزَمَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَفِرُّ. |
| فَحَمَلَ سُفْيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيُّ عَلَى الْمَيْمَنَةِ الَّتِي لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَهَزَمَهَا ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَأَقْبَلُوا نَحْوَ الْكُوفَةِ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، مِنْهُمْ عُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْغَافِرِ الْأَزْدِيُّ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ ، قُتِلُوا رِبْضَةً وَاحِدَةً مَعَهُ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْكُوفَةَ تَبِعَهُ أَهْلُ الْقُوَّةِ وَأَصْحَابُ الْخَيْلِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَاجْتَمَعَ مَنْ بَقِيَ فِي الْبَصْرَةِ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَبَايَعُوهُ ، فَقَاتَلَ بِهِمُ الْحَجَّاجَ خَمْسَ لَيَالٍ أَشَدَّ قِتَالٍ رَآهُ النَّاسُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَحِقَ بِابْنِ الْأَشْعَثِ ، وَتَبِعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ طُفَيْلُ بْنُ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ ، فَقَالَ أَبُوهُ يَرْثِيهِ ، وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ خَلَّى طُفَيْلٌ عَلَيَّ الْهَمَّ فَانْشَعَبَا... |
| وَهَدَّ ذَلِكَ رُكْنِي هَدَّةً عَجَبَا مَهْمَا نَسِيتُ فَلَا أَنْسَاهُ إِذْ حَدَقَتْ... |
| بِهِ الْأَسِنَّةُ مَقْتُولًا وَمُنْسَلِبَا وَأَخْطَأَتْنِي الْمَنَايَا لَا تُطَالِعُنِي حَتَّى كَبِرْتُ وَلَمْ يَتْرُكْنَ لِي نَشَبَا... |
| وَكُنْتُ بَعْدَ طُفَيْلٍ كَالَّذِي نَضَبَتْ عَنْهُ السُّيُولُ وَغَاضَ الْمَاءُ فَانْقَضَبَا وَهِيَ أَبْيَاتٌ عِدَّةٌ ، وَهَذِهِ الْوَقْعَةُ تُسَمَّى يَوْمَ الزَّاوِيَةِ. |
| فَأَقَامَ الْحَجَّاجُ أَوَّلَ صَفَرٍ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْبَصْرَةِ الْحَكَمَ بْنَ أَيُّوبَ الثَّقَفِيَّ. |
| وَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ الْحَضْرَمِيَّ حَلِيفَ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَصَدَهُ مَطَرُ بْنُ نَاجِيَةَ الْيَرْبُوعِيُّ ، فَتَحَصَّنَ مِنْهُ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ فِي الْقَصْرِ ، وَوَثَبَ أَهْلُ الْكُوفَةِ مَعَ مَطَرٍ ، فَأَخْرَجَ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَاسْتَوْلَى مَطَرٌ عَلَى الْقَصْرِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، وَفَرَّقَ فِيهِمْ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ ، مِائَتَيْ دِرْهَمٍ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى الْكُوفَةِ كَانَ مَطَرٌ بِالْقَصْرِ ، فَخَرَجَ أَهْلُ الْكُوفَةِ يَسْتَقْبِلُونَهُ ، وَدَخَلَ الْكُوفَةَ وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ هَمْدَانُ ، فَكَانُوا حَوْلَهُ ، فَأَتَى الْقَصْرَ ، فَمَنَعَهُ مَطَرُ بْنُ نَاجِيَةَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَأَصْعَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاسَ فِي السَّلَالِيمِ إِلَى الْقَصْرِ ، فَأَخَذُوهُ ، فَأُتِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِمَطَرِ بْنِ نَاجِيَةَ فَحَبَسَهُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ وَصَارَ مَعَهُ. |
| فَلَمَّا اسْتَقَرَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِالْكُوفَةِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، وَقَصَدَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ الْهَاشِمِيُّ بَعْدَ قِتَالِهِ الْحَجَّاجَ بِالْبَصْرَةِ. |
| وَقَتَلَ الْحَجَّاجُ يَوْمَ الزَّاوِيَةِ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ أَحَدَ عَشَرَ أَلْفًا خَدَعَهُمْ بِالْأَمَانِ ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى لَا أَمَانَ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ، فَسَمَّى رِجَالًا ، فَقَالَ الْعَامَّةُ قَدْ آمَنَ النَّاسَ ، فَحَضَرُوا عِنْدَهُ ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَقُتِلُوا. |
| ذِكْرُ وَقْعَةِ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ وَكَانَتْ وَقْعَةُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقِيلَ كَانَتْ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ. |
| وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ الْحَجَّاجَ سَارَ مِنَ الْبَصَرِهِ إِلَى الْكُوفَةِ لِقِتَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ فَنَزَلَ دَيْرَ قُرَّةَ ، وَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَنَزَلَ دَيْرَ الْجَمَاجِمِ. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ نَزَلَ دَيْرَ الْجَمَاجِمِ ، وَنَزَلْتُ دَيْرَ الْقُرَّةِ ، أَمَا تُزْجَرُ الطَّيْرُ ؟ |
| وَاجْتَمَعَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَالْقُرَّاءُ وَأَهْلُ الثُّغُورِ وَالْمَسَالِحُ بِدَيْرِ الْجَمَاجِمِ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِ الْحَجَّاجِ لِبُغْضِهِ ، وَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ مِمَّنْ يَأْخُذُ الْعَطَاءَ ، وَمَعَهُمْ مِثْلُهُمْ ، وَجَاءَتِ الْحَجَّاجَ أَيْضًا أَمْدَادٌ مِنَ الشَّامِ قَبْلَ نُزُولِهِ بِدَيْرِ قُرَّةَ ، وَخَنْدَقَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى نَفْسِهِ ، فَكَانَ النَّاسُ يَقْتَتِلُونَ كُلَّ يَوْمٍ ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُهُمَا يُدْنِي خَنْدَقَهُ مِنَ الْآخَرِ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ وَأَهْلَ الشَّامِ قَالُوا إِنْ كَانَ يَرْضَى أَهْلُ الْعِرَاقِ بِنَزْعِ الْحَجَّاجِ عَنْهُمْ نَزَعْنَاهُ ، فَإِنَّ عَزْلَهُ أَيْسَرُ مِنْ حَرْبِهِمْ ، وَنَحْقِنُ بِذَلِكَ الدِّمَاءَ. |
| فَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ وَأَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ ، إِلَى الْحَجَّاجِ فِي جُنْدٍ كَثِيفٍ ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَعْرِضَا عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ عَزْلَ الْحَجَّاجِ ، وَأَنْ يُجْرِيَا عَلَيْهِمْ أُعْطِيَاتِهِمْ كَمَا تُجْرَى عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْ يَنْزِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَيَّ بَلَدٍ شَاءَ مِنْ بَلَدِ الْعِرَاقِ ، فَإِذَا نَزَلَهُ كَانَ وَالِيًا عَلَيْهِ مَا دَامَ حَيًّا وَعَبْدُ الْمَلِكِ خَلِيفَةً ، فَإِنْ أَجَابَ أَهْلُ الْعِرَاقِ إِلَى ذَلِكَ عَزَلَا الْحَجَّاجَ عَنْهَا ، وَصَارَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ أَمِيرَ الْعِرَاقِ ، وَإِنْ أَبَى أَهْلُ الْعِرَاقِ قَبُولَ ذَلِكَ ، فَالْحَجَّاجُ أَمِيرُ الْجَمَاعَةِ ، وَوَالِي الْقِتَالِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي طَاعَتِهِ. |
| فَلَمْ يَأْتِ الْحَجَّاجَ أَمْرٌ قَطُّ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ وَلَا أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْ ذَلِكَ ، مَخَافَةَ أَنْ يَقْبَلَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَزْلَهُ ، فَيُعْزَلُ عَنْهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَاللَّهِ لَوْ أَعْطَيْتَ أَهْلَ الْعِرَاقِ نَزْعِي لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يُخَالِفُوكَ وَيَسِيرُوا إِلَيْكَ ، وَلَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا جُرْأَةً عَلَيْكَ ، أَلَمْ تَرَ وَيَبْلُغْكَ وُثُوبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ مَعَ الْأَشْتَرِ عَلَى ابْنِ عَفَّانَ ، وَسُؤَالُهُمْ نَزْعَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، فَلَمَّا نَزَعَهُ لَمْ تَتِمَّ لَهُمُ السَّنَةُ حَتَّى سَارُوا إِلَى عُثْمَانَ فَقَتَلُوهُ ، وَإِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ. |
| فَأَبَى عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَّا عَرْضَ عَزْلِهِ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ. |
| فَلَمَّا اجْتَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ مَعَ الْحَجَّاجِ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، أَنَا ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ يُعْطِيكُمْ كَذَا وَكَذَا. |
| وَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ وَقَالَ أَنَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْكُمْ كَذَا وَكَذَا ، فَذَكَرَ هَذِهِ الْخِصَالَ. |
| فَقَالُوا نَرْجِعُ الْعَشِيَّةَ. |
| فَرَجَعُوا وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عِنْدَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَقَالَ لَهُمْ قَدْ أُعْطِيتُمْ أَمْرًا ، انْتِهَازُكُمُ الْيَوْمَ إِيَّاهُ فُرْصَةٌ ، وَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ عَلَى النِّصْفِ ، فَإِنْ كَانُوا اعْتَدُوا عَلَيْكُمْ بِيَوْمِ الزَّاوِيَةِ ، فَأَنْتُمْ تَعْتَدُونَ عَلَيْهِمْ بِيَوْمِ تُسْتَرَ ، فَاقْبَلُوا مَا عَرَضُوا عَلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ أَعِزَّاءُ أَقْوِيَاءُ لِقَوْمٍ هُمْ لَكُمْ هَائِبُونَ ، وَأَنْتُمْ لَهُمْ مُنْتَقِصُونَ ، فَوَاللَّهِ لَا زِلْتُمْ عَلَيْهِمْ جُرَآءُ ، وَعِنْدَهُمْ أَعِزَّاءُ ، أَبَدًا مَا بَقِيتُمْ ، إِنْ أَنْتُمْ قَبِلْتُمْ. |
| فَوَثَبَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَهُمْ ، فَأَصْبَحُوا فِي الضَّنْكِ وَالْمَجَاعَةِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ ، وَنَحْنُ ذَوُو الْعَدَدِ الْكَثِيرِ ، وَالسِّعْرِ الرَّخِيصِ ، وَالْمَادَّةِ الْقَرِيبَةِ ، لَا وَاللَّهِ لَا نَقْبَلُ! |
| وَأَعَادُوا خَلْعَهُ ثَانِيَةً. |
| وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَامَ بِخَلْعِهِ بِدَيْرِ الْجَمَاجِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذُؤَابٍ السُّلَمِيُّ ، وَعُمَيْرُ بْنُ تِيجَانَ ، وَكَانَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَى خَلْعِهِ بِالْجَمَاجِمِ أَجْمَعَ مِنْ خَلْعِهِمْ إِيَّاهُ بِفَارِسَ. |
| فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ لِلْحَجَّاجِ شَأْنُكَ بِعَسْكَرِكَ وَجُنْدِكَ ، وَاعْمَلْ بِرَأْيِكَ ، فَإِنَّا قَدْ أُمِرْنَا أَنْ نَسْمَعَ لَكَ وَنُطِيعَ. |
| فَقَالَ قَدْ قُلْتُ إِنَّهُ لَا يُرَادُ بِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرُكُمْ. |
| فَكَانَا يُسَلِّمَانِ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمَا بِالْإِمْرَةِ. |
| فَلَمَّا اجْتَمَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ بِالْجَمَاجِمِ عَلَى خَلْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَلَا إِنَّ بَنِي مَرْوَانَ يُعَيَّرُونَ بِالزُّرَقَاءِ ، وَاللَّهِ مَا لَهُمْ نَسَبٌ أَصَحُّ مِنْهُ ، إِلَّا أَنَّ بَنِي أَبِي الْعَاصِ أَعْلَاجٌ مِنْ أَهْلِ صَفُّورِيَةَ ، فَإِنْ يَكُنْ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ فَعَنِّي فُقِئَتْ بَيْضَةُ قُرَيْشٍ ، وَإِنْ يَكُ فِي الْعَرَبِ فَأَنَا ابْنُ الْأَشْعَثِ ، وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ يُسْمِعُ النَّاسَ ، وَبَرَزُوا لِلْقِتَالِ. |
| فَجَعَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُلَيْمٍ الْكَلْبِيَّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ عِمَارَةَ بْنَ تَمِيمٍ اللَّخْمِيَّ ، وَعَلَى خَيْلِهِ سُفْيَانَ بْنَ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيَّ ، وَعَلَى رَجَّالِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَبِيبٍ الْحَكَمِيَّ ، وَجَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى مَيْمَنَتِهِ الْحَجَّاجَ بْنَ حَارِثَةَ الْخَثْعَمِيَّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ الْأَبْرَدَ بْنَ قُرَّةَ التَّمِيمِيَّ ، وَعَلَى خَيْلِهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ الْهَاشِمِيَّ ، وَعَلَى رَجَّالِهِ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعَلَى مُجَنَّبَتِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رِزَامٍ الْحَارِثِيَّ ، وَجَعَلَ عَلَى الْقُرَّاءِ جَبَلَةَ بْنَ زَحْرِ بْنِ قَيْسٍ الْجُعْفِيَّ ، وَفِيهِمْ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَعَامِرٌ الشَّعْبِيُّ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِيُّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى. |
| ثُمَّ أَخَذُوا يَتَزَاحَفُونَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَقْتَتِلُونَ ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ تَأْتِيهِمْ مَوَادُّهُمْ مِنَ الْكُوفَةِ وَسَوَادِهَا ، وَهُمْ فِي خِصْبٍ ، وَأَهْلُ الشَّامِ فِي ضَنْكٍ شَدِيدٍ ، قَدْ غَلَتْ عَلَيْهِمُ الْأَسْعَارُ ، وَفُقِدَ عِنْدَهُمُ اللَّحْمُ كَأَنَّهُمْ فِي حِصَارٍ ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ يُغَادُونَ الْقِتَالَ وَيُرَاوِحُونَ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ جَبَلَةُ بْنُ زَحْرِ بْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَتْ كَتِيبَتُهُ تُدْعَى الْقُرَّاءَ تُحُمِّلَ عَلَيْهِمْ فَلَا يَبْرَحُونَ ، وَكَانُوا قَدْ عُرِفُوا بِذَلِكَ ، وَكَانَ فِيهِمْ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ ، وَكَانَ رَجُلًا رَكِينًا. |
| فَخَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ كَمَا كَانُوا يَخْرُجُونَ ، وَعَبَّأَ الْحَجَّاجُ صُفُوفَهُ ، وَعَبَّأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَصْحَابَهُ ، وَعَبَّأَ الْحَجَّاجُ لِكَتِيبَةِ الْقُرَّاءِ ثَلَاثَ كَتَائِبَ ، وَبَعَثَ عَلَيْهَا الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيَّ ، فَأَقْبَلُوا نَحْوَهُمْ ، فَحَمَلُوا عَلَى الْقُرَّاءِ ثَلَاثَ حَمَلَاتٍ ، كُلُّ كَتِيبَةٍ تَحْمِلُ حَمْلَةً ، فَلَمْ يَبْرَحُوا وَصَبَرُوا. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بِخُرَاسَانَ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ أَبُوهُ الْمُهَلَّبُ عَلَى عَمَلِهِ بِخُرَاسَانَ ، فَمَاتَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ ، فَأَتَى الْخَبَرُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَهْلَ الْعَسْكَرِ ، فَلَمْ يُخْبِرُوا الْمُهَلَّبَ ، فَأَمَرَ يَزِيدُ النِّسَاءَ فَصَرَخْنَ ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ مَا هَذَا ؟ |
| فَقِيلَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ. |
| فَاسْتَرْجَعَ وَجَزِعَ حَتَّى ظَهَرَ جَزَعُهُ ، فَلَامَهُ بَعْضُ خَاصَّتِهِ ، ثُمَّ دَعَا يَزِيدَ وَوَجَّهَهُ إِلَى مَرْوَ ، وَوَصَّاهُ بِمَا يَعْمَلُ وَإِنَّ دُمُوعَهُ لَتَنْحَدِرُ عَلَى لِحْيَتِهِ. |
| فَكَانَ الْمُهَلَّبُ مُقِيمًا بِكِشَّ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ يُحَارِبُ أَهْلَهَا ، فَسَارَ يَزِيدُ فِي سِتِّينَ فَارِسًا ، وَيُقَالُ سَبْعِينَ ، فَلَقِيَهُمْ خَمْسُمِائَةٍ مِنَ التُّرْكِ فِي مَفَازَةِ بُسْتٍ ، فَقَالُوا مَا أَنْتُمْ ؟ |
| قَالُوا تُجَّارٌ. |
| قَالُوا فَأَعْطُونَا شَيْئًا. |
| فَأَبَى يَزِيدُ ، فَأَعْطَاهُمْ مُجَّاعَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَتَكِيُّ ثَوْبًا وَكَرَابِيسَ وَقَوْسًا ، فَانْصَرَفُوا ، ثُمَّ غَدَرُوا وَعَادُوا إِلَيْهِمْ فَقَاتَلُوهُمْ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَمَعَ يَزِيدَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ كَانَ قَدْ أَخَذَهُ ، فَقَالَ اسْتَبْقِنِي. |
| فَاسْتَبْقَاهُ. |
| فَحَمَلَ الْخَارِجِيُّ عَلَيْهِمْ حَتَّى خَالَطَهُمْ وَصَارَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَقَتَلَ رَجُلًا ، ثُمَّ كَرَّ حَتَّى خَالَطَهُمْ وَقَتَلَ رَجُلًا ، وَرَجَعَ إِلَى يَزِيدَ ، وَقَتَلَ يَزِيدُ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ ، وَرُمِيَ يَزِيدُ فِي سَاقِهِ ، فَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَصَبَرَ لَهُمْ يَزِيدُ حَتَّى حَاجَزُوهُمْ ، فَقَالُوا قَدْ غَدَرْنَا ، وَلَا نَنْصَرِفُ حَتَّى نَمُوتَ أَوْ تَمُوتُوا ، أَوْ تُعْطُونَا شَيْئًا. |
| فَلَمْ يُعْطِهِمْ يَزِيدُ شَيْئًا. |
| فَقَالَ مُجَّاعَةُ أُذَكِّرُكَ اللَّهَ ، قَدْ هَلَكَ الْمُغِيرَةُ ، فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَهْلِكَ فَتَجْتَمِعُ عَلَى الْمُهَلَّبِ الْمُصِيبَةُ. |
| فَقَالَ إِنَّ الْمُغِيرَةَ لَمْ يَعْدُ أَجْلَهُ ، وَلَسْتُ أَعْدُو أَجْلِي. |
| فَرَمَى إِلَيْهِمْ مُجَّاعَةُ بِعِمَامَةٍ صَفْرَاءَ ، فَأَخَذُوهَا وَانْصَرَفُوا. |
| ذِكْرُ صُلْحِ الْمُهَلَّبِ أَهْلَ كِشَّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ صَالَحَ الْمُهَلَّبُ أَهْلَ كِشَّ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ اتَّهَمَ قَوْمًا مِنْ مُضَرَ فَحَبَسَهُمْ ، وَصَالَحَ وَقَفَلَ ، وَخَلَّفَ حُرَيْثَ بْنَ قُطْبَةَ مَوْلَى خُزَاعَةَ وَقَالَ إِذَا اسْتَوْفَيْتَ الْفِدْيَةَ فَرُدَّ عَلَيْهِمُ الرَّهْنَ. |
| وَسَارَ الْمُهَلَّبُ ، فَلَمَّا صَارَ بِبَلْخٍ كَتَبَ إِلَى حُرَيْثٍ إِنِّي لَسْتُ آمَنُ إِنْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الرَّهْنَ أَنْ يُغِيرُوا عَلَيْكَ ، فَإِذَا قَبَضْتَ الْفِدْيَةَ فَلَا تُخَلِّ الرَّهْنَ حَتَّى تَقْدَمَ أَرْضَ بَلْخٍ. |
| فَقَالَ حُرَيْثٌ لِمَلِكِ كِشَّ إِنَّ الْمُهَلَّبَ كَتَبَ إِلَيَّ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ عَجَّلْتَ الْفِدْيَةَ سَلَّمْتُ إِلَيْكَ الرَّهْنَ وَسِرْتُ وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ كِتَابَهُ وَرَدَ وَقَدِ اسْتَوْفَيْتُهَا مِنْكُمْ ، وَرَدَدْتُ عَلَيْكُمُ الرَّهْنَ. |
| فَعَجَّلَ مَلِكُ كِشَّ الْفِدْيَةَ وَأَخَذَ الرَّهْنَ ، وَرَجَعَ حُرَيْثٌ ، فَعَرَضَ لَهُمُ التُّرْكُ فَقَالُوا لَهُ افْدِ نَفْسَكَ وَمَنْ مَعَكَ ، فَقَدْ لَقِينَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ فَفَدَى نَفْسَهُ. |
| فَقَالَ حُرَيْثٌ وَلَدَتْنِي إِذًا أُمُّ يَزِيدَ. |
| وَقَاتَلَهُمْ فَقَتَلَهُمْ وَأَسَرَ مِنْهُمْ أَسْرَى ، فَفَدَوْهُمْ ، فَأَطْلَقَهُمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْفِدَاءَ. |
| وَبَلَغَ الْمُهَلَّبَ قَوْلُهُ فَقَالَ يَأْنَفُ الْعَبْدُ أَنْ تَلِدَهُ أُمُّ يَزِيدَ. |
| فَغَضِبَ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ بِبَلْخٍ قَالَ أَيْنَ الرَّهْنُ ؟ |
| قَالَ خَلَّيْتُهُمْ قَبْلَ وُصُولِ كِتَابِكَ ، وَقَدْ كُفِيتُ مَا خِفْتَ. |
| قَالَ كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَقَرَّبْتَ إِلَيْهِمْ. |
| وَأَمَرَ بِتَجْرِيدِهِ ، فَجَزِعَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى ظَنَّ الْمُهَلَّبُ أَنَّ بِهِ مَرَضًا ، فَجَرَّدَهُ وَضَرَبَهُ ثَلَاثِينَ سَوْطًا. |
| فَقَالَ حُرَيْثٌ وَدِدْتُ أَنَّهُ ضَرَبَنِي ثَلَاثَمِائَةٍ وَلَمْ يُجَرِّدْنِي ، أَنَفَةً وَحَيَاءً. |
| وَحَلَفَ لَيَقْتُلَنَّ الْمُهَلَّبَ. |
| فَرَكِبَ يَوْمًا مَعَ الْمُهَلَّبِ فَأَمَرَ غُلَامَيْنِ لَهُ أَنْ يَضْرِبَا الْمُهَلَّبَ ، فَلَمْ يَفْعَلَا وَقَالَا نَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تُقْتَلَ. |
| وَتَرَكَ حُرَيْثٌ إِتْيَانَ الْمُهَلَّبِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَخَاهُ ثَابِتَ بْنَ قُطْبَةَ لِيَأْتِيَهُ بِهِ وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ كَبَعْضِ وَلَدِي أَدِّبْهُ كَبَعْضِهِمْ. |
| فَأَتَى ثَابِتٌ أَخَاهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْكَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَحَلَفَ لَيَقْتُلَنَّهُ ، فَقَالَ ثَابِتٌ إِنْ كَانَ هَذَا رَأْيَكَ فَاخْرُجْ بِنَا إِلَى مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ. |
| وَخَافَ ثَابِتٌ أَنْ يَقْتُلَ حُرَيْثٌ الْمُهَلَّبَ فَيُقْتَلُونَ جَمِيعًا ، فَخَرَجَا فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِمَا الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِمَا. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ يَزِيدَ خُرَاسَانَ لَمَّا صَالَحَ الْمُهَلَّبُ أَهْلَ كِشَّ رَجَعَ يُرِيدُ مَرْوَ ، فَلَمَّا كَانَ بِمَرْوِ الرُّوذِ أَخَذَتْهُ الشَّوْصَةُ ، وَقِيلَ الشَّوْكَةُ ، فَمَاتَ مِنْهَا ، وَأَوْصَى إِلَى ابْنِهِ حَبِيبٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُمْ قَدِ اسْتُخْلِفَ عَلَيْكُمْ يَزِيدُ فَلَا تُخَالِفُوهُ. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ الْمُفَضَّلُ لَوْ لَمْ تُقَدِّمْهُ لَقَدَّمْنَاهُ. |
| وَأَحْضَرَ وَلَدَهُ فَوَصَّاهُمْ ، وَأَحْضَرَ سِهَامًا فَحُزِّمَتْ ، فَقَالَ أَتَكْسِرُونَهَا مُجْتَمِعَةً ؟ |
| قَالُوا لَا. |
| قَالَ أَفَتَكْسِرُونَهَا مُتَفَرِّقَةً ؟ |
| قَالُوا نَعَمْ. |
| قَالَ فَهَكَذَا الْجَمَاعَةُ. |
| ثُمَّ قَالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ; فَإِنَّهَا تُنْسِئُ فِي الْأَجَلِ ، وَتُثْرِي الْمَالَ ، وَتُكْثِرُ الْعَدَدَ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْقَطِيعَةِ; فَإِنَّهَا تُعْقِبُ النَّارَ وَالْقِلَّةَ وَالذِّلَّةَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَلْيَكُنْ فِعَالُكُمْ أَفْضَلَ مِنْ مَقَالِكُمْ ، وَاتَّقُوا الْجَوَابَ وَزِلَّةَ اللِّسَانِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ تَزِلُّ قَدَمُهُ فَيَنْتَعِشُ مِنْهَا ، وَيَزِلُّ لِسَانُهُ فَيَهْلِكُ ، اعْرَفُوا لِمَنْ يَغْشَاكُمْ حَقَّهُ ، فَكَفَى بِغُدُوِّ الرَّجُلِ وَرَوَاحِهِ إِلَيْكُمْ تَذْكِرَةً لَهُ ، وَآثِرُوا الْجُودَ عَلَى الْبُخْلِ ، وَأَحْيُوا الْعُرْفَ ، وَاصْنَعُوا الْمَعْرُوفَ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنَ الْعَرَبِ تَعِدُهُ الْعِدَةَ ، فَيَمُوتُ دُونَكَ ، فَكَيْفَ بِالصَّنِيعَةِ عِنْدَهُ! |
| عَلَيْكُمْ فِي الْحَرْبِ بِالتُّؤَدَةِ وَالْمَكِيدَةِ ، فَإِنَّهَا أَنْفَعُ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَإِذَا كَانَ اللِّقَاءُ نَزَلَ الْقَضَاءُ ، فَإِنْ أَخَذَ الرَّجُلُ بِالْحَزْمِ فَظَفِرَ قِيلَ أَتَى الْأَمْرَ مِنْ وَجْهِهِ فَظَفِرَ ، فَحُمِدَ ، وَإِنْ لَمْ يَظْفَرْ قِيلَ مَا فَرَّطَ وَلَا ضَيَّعَ وَلَكِنَّ الْقَضَاءَ غَالِبٌ ، وَعَلَيْكُمْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِ السُّنَنِ وَأَدَبِ الصَّالِحِينَ ، وَإِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْكَلَامِ فِي مَجَالِسِكُمْ. |
| ثُمَّ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ التَّمِيمِيُّ يَرْثِيهِ أَلَا ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ وَالْعِزُّ وَالْغِنَى وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمُهَلَّبِ أَقَامَ بِمَرْوِ الرُّوذِ رَهْنَ ضَرِيحِهِ وَقَدْ غَابَ عَنْهُ كُلُّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ أَوْلَى بِنِعْمَةٍ عَلَى النَّاسِ ؟ |
| قُلْنَا هُوَ وَلَمْ نَتَهَيَّبِ فَلَمَّا تُوُفِّيَ كَتَبَ ابْنُهُ يَزِيدُ إِلَى الْحَجَّاجِ يُعْلِمُهُ بِوَفَاتِهِ ، فَأَقَرَّ يَزِيدَ عَلَى خُرَاسَانَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ عَنِ الْمَدِينَةِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا هِشَامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيَّ ، فَعَزَلَ هِشَامٌ نَوْفَلَ بْنَ مُسَاحِقٍ عَنْ قَضَاءِ الْمَدِينَةِ ، وَوَلَّى عَلَى الْقَضَاءِ عَمْرَو بْنَ خَالِدٍ الزُّرَقِيَّ ، وَفِيهَا غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ أَرْمِينِيَّةَ فَهَزَمَهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ الصُّلْحَ فَصَالَحَهُمْ ، وَوَلَّى عَلَيْهِمْ أَبَا شَيْخٍ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَغَدَرُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ ، وَقِيلَ بَلْ قَتَلُوهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ اللَّيْثِيُّ بِدُجَيْلٍ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْجَوْزَاءِ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرِّبْعِيُّ ، وَعَطَاءُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلِيمِيُّ الْعَابِدُ. |
| السَّلِيمِيُّ بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ . |
| وَفِيهَا مَاتَ زَاذَانُ ، وَأَبُو وَائِلٍ. |
| وَعُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ التَّيْمِيُّ ، وَعُمُرُهُ سِتُّونَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ ذِكْرُ بَقِيَّةِ الْوَقْعَةِ بِدَيْرِ الْجَمَاجِمِ فَلَمَّا حَمَلَتْ كَتَائِبُ الْحَجَّاجِ الثَّلَاثِ عَلَى الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَلَيْهِمْ جَبَلَةُ بْنُ زَحْرٍ نَادَى جَبَلَةُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى! |
| يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ! |
| إِنَّ الْفِرَارَ لَيْسَ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بِأَقْبَحَ مِنْهُ بِكُمْ ، إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ فِي الصَّالِحِينَ ، وَآتَاهُ ثَوَابَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ الشَّامِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَانًا يُعْمَلُ بِهِ ، وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِئَ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ السُّفْلَى ، فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ ، فَقَاتِلُوا هَؤُلَاءِ الْمُحِلِّينَ الْمُحْدِثِينَ الْمُبْتَدِعِينَ الَّذِينَ جَهِلُوا الْحَقَّ فَلَا يَعْرِفُونَهُ ، وَعَمِلُوا بِالْعُدْوَانِ فَلَيْسَ يُنْكِرُونَهُ. |
| وَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ أَيُّهَا النَّاسُ ، قَاتِلُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ. |
| فَقَالَ الشَّعْبِيُّ أَيُّهَا النَّاسُ ، قَاتِلُوهُمْ وَلَا يَأْخُذْكُمْ حَرَجٌ مِنْ قِتَالِهِمْ ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ أَعْمَلَ بِظُلْمٍ ، وَلَا أَجْوَرَ فِي حُكْمٍ ، مِنْهُمْ. |
| وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَقَالَ جَبَلَةُ احْمِلُوا عَلَيْهِمْ حَمْلَةً صَادِقَةً ، وَلَا تَرُدُّوا وُجُوهَكُمْ عَنْهُمْ حَتَّى تُوَاقِعُوا صَفَّهُمْ. |
| فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ حَمْلَةً صَادِقَةً ، فَضَرَبُوا الْكَتَائِبَ حَتَّى أَزَالُوهَا وَفَرَّقُوهَا ، وَتَقَدَّمُوا حَتَّى وَاقَعُوا صَفَّهُمْ ، فَأَزَالُوهُ عَنْ مَكَانِهِ ، ثُمَّ رَجَعُوا فَوَجَدُوا جَبَلَةَ بْنَ زَحْرٍ قَتِيلًا لَا يَدْرُونَ كَيْفَ قُتِلَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ أَصْحَابَهُ لَمَّا حَمَلُوا عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَفَرَّقُوهُمْ وَقَفَ لِأَصْحَابِهِ لِيَرْجِعُوا إِلَيْهِ ، فَافْتَرَقَتْ فِرْقَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَوَقَفَتْ نَاحِيَةً ، فَلَمَّا رَأَوْا أَصْحَابَ جَبَلَةَ قَدْ تَقَدَّمُوا ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَذَا جَبَلَةُ ، احْمِلُوا عَلَيْهِ مَا دَامَ أَصْحَابُهُ مَشَاغِيلَ بِالْقِتَالِ. |
| فَحَمَلُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يُوَلِّ ، لَكِنَّهُ حَمَلَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ، الْوَلِيدُ بْنُ نُحَيْتٍ الْكَلْبِيُّ ، وَجِيءَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَبَشَّرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ. |
| فَلَمَّا رَجَعَ أَصْحَابُ جَبَلَةَ وَرَأَوْهُ قَتِيلًا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَتَنَاعُوهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ لَا يَظْهَرَنَّ عَلَيْكُمْ قَتْلُ جَبَلَةَ ، إِنَّمَا كَانَ كَرَجُلٍ مِنْكُمْ أَتَتْهُ مَنِيَّتُهُ ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَتَقَدَّمَ يَوْمَهُ وَلَا لِيَتَأَخَّرَ عَنْهُ . |
| وَظَهَرَ الْفَشَلُ فِي الْقُرَّاءِ ، وَنَادَاهُمْ أَهْلُ الشَّامِ يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، قَدْ هَلَكْتُمْ ، وَقَدْ قُتِلَ طَاغِيَتُكُمْ! |
| وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ بِسْطَامُ بْنُ مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيُّ ، فَفَرِحُوا بِهِ وَقَالُوا تَقَدَّمْ مَقَامَ جَبَلَةَ. |
| وَكَانَ قُدُومُهُ مِنَ الرَّيِّ ، فَلَمَّا أَتَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ جَعَلَهُ عَلَى رَبِيعَةَ ، وَكَانَ شُجَاعًا ، فَقَاتَلَ يَوْمًا ، فَدَخَلَ عَسْكَرَ الْحَجَّاجِ ، فَأَخَذَ أَصْحَابُهُ ثَلَاثِينَ امْرَأَةً فَأَطْلَقَهُنَّ. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ مَنَعُوا نِسَاءَهُمْ ، لَوْ لَمْ يَرُدُّوهُنَّ لَسَبَيْتُ نِسَاءَهُمْ إِذَا ظَهَرْتُ عَلَيْهِمْ. |
| وَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الرُّؤَاسِيُّ أَبُو حُمَيْدٍ ، فَدَعَا إِلَى الْمُبَارَزَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَتَضَارَبَا ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا الْغُلَامُ الْكِلَابِيُّ. |
| فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ مَنْ أَنْتَ ؟ |
| وَإِذَا هُمَا ابْنَا عَمٍّ ، فَتَحَاجَزَا. |
| وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِزَامٍ الْحَارِثِيُّ ، فَطَلَبَ الْمُبَارَزَةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ عَسْكَرِ الْحَجَّاجِ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ خَرَجَ ، فَقَالُوا جَاءَ لَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ! |
| فَطَلَبَ الْمُبَارَزَةَ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ لِلْجَرَّاحِ اخْرُجْ إِلَيْهِ. |
| فَخَرَجَ إِلَيْهِ. |
| فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا وَيْحَكَ يَا جَرَّاحُ مَا أَخْرَجَكَ ؟ |
| قَالَ ابْتُلِيتُ بِكَ. |
| قَالَ فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ ؟ |
| قَالَ الْجَرَّاحُ مَا هُوَ ؟ |
| قَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْهَزِمُ لَكَ وَتَرْجِعُ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَقَدْ أَحْسَنْتَ عِنْدَهُ وَحَمَدَكَ ، وَأَمَّا أَنَا فَأَحْتَمِلُ مُقَالَةَ النَّاسِ فِي انْهِزَامِي حُبًّا لِسَلَامَتِكَ ، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ قَتْلَ مِثْلِكَ مِنْ قَوْمِي. |
| قَالَ افْعَلْ. |
| فَحَمَلَ الْجَرَّاحُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَاسْتَطْرَدَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ الْجَرَّاحُ بِجِدٍّ يُرِيدُ قَتْلَهُ ، فَصَاحَ لِعَبْدِ اللَّهِ غُلَامُهُ ، وَكَانَ نَاحِيَةً مَعَهُ مَاءٌ لِيَشْرَبَهُ ، وَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدِي ، إِنَّ الرَّجُلَ يُرِيدُ قَتْلَكَ! |
| فَعَطَفَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى الْجَرَّاحِ ، فَضَرَبَهُ بِعَمُودٍ عَلَى رَأْسِهِ فَصَرَعَهُ ، وَقَالَ لَهُ يَا جَرَّاحُ ، بِئْسَ مَا جَزَيْتَنِي! |
| أَرَدْتُ بِكَ الْعَافِيَةَ وَأَرَدْتَ قَتْلِي! |
| انْطَلِقْ فَقَدْ تَرَكْتُكَ لِلْقَرَابَةِ وَالْعَشِيرَةِ. |
| وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِيُّ يَحْمِلَانِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بَعْدَ قَتْلِ جَبَلَةَ بْنِ زَحْرٍ حَتَّى يُخَالِطَاهُمْ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ الْحَرْبِ مِائَةَ يَوْمٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ; لِأَنَّهُ كَانَ نُزُولُهُمْ بِالْجَمَاجِمِ لِثَلَاثٍ مَضَيْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ مَضَيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ. |
| فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْهَزِيمَةِ اقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَاسْتَظْهَرَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى أَصْحَابِ الْحَجَّاجِ ، وَاسْتَعْلُوا عَلَيْهِمْ وَهُمْ آمِنُونَ أَنْ يُهْزَمُوا. |
| فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ حَمَلَ سُفْيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ ، وَهُوَ فِي مَيْمَنَةِ الْحَجَّاجِ ، عَلَى الْأَبْرَدِ بْنِ قُرَّةَ التَّمِيمِيِّ ، وَهُوَ عَلَى مَيْسَرَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَانْهَزَمَ الْأَبْرَدُ بْنُ قُرَّةَ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ يُذْكَرُ ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ صُولِحَ عَلَى أَنْ يَنْهَزِمَ بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ تَقَوَّضَتِ الصُّفُوفُ مِنْ نَحْوِهِ وَرَكِبَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَصَعِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمِنْبَرُ يُنَادِي النَّاسَ إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ. |
| فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ ، فَثَبَتَ حَتَّى دَنَا مِنْهُ أَهْلُ الشَّامِ ، فَقَاتَلَ مَنْ مَعَهُ ، وَدَخَلَ أَهْلُ الشَّامِ الْعَسْكَرَ ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْمُفَضَّلِ الْأَزْدِيُّ فَقَالَ لَهُ انْزِلْ ، فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تُؤْسَرَ ، وَلَعَلَّكَ إِنِ انْصَرَفْتَ أَنْ تَجْمَعَ لَهُمْ جَمْعًا يُهْلِكُهُمُ اللَّهُ بِهِ. |
| فَنَزَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ ، ثُمَّ رَجَعَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَعَادَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الشَّامِ ، وَأَخَذَ الْحَجَّاجُ يُبَايِعُ النَّاسَ ، وَكَانَ يُبَايِعُ أَحَدًا إِلَّا قَالَ لَهُ اشْهَدْ أَنَّكَ كَفَرْتَ ، فَإِنْ قَالَ نَعَمْ ، بَايَعَهُ ، وَإِلَّا قَتَلَهُ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ خَشْعَمٍ كَانَ مُعْتَزِلًا لِلنَّاسِ جَمِيعًا ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَأَخْبَرَهُ بِاعْتِزَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَنْتَ مُتَرَبِّصٌ ، أَتَشْهَدُ أَنَّكَ كَافِرٌ ؟ |
| قَالَ بِئْسَ الرَّجُلُ أَنَا! |
| أَعْبُدُ اللَّهَ ثَمَانِينَ سَنَةً ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ! |
| قَالَ إِذًا أَقْتُلُكَ. |
| قَالَ وَإِنْ قَتَلْتَنِي. |
| فَقَتَلَهُ ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ إِلَّا رَحِمَهُ. |
| ثُمَّ دَعَا بِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ الْمُقْتَصُّ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ؟ |
| قَدْ كُنْتُ أُحِبُّ مِنْ أَنْ أَجِدَ عَلَيْكَ سَبِيلًا. |
| قَالَ عَلَى أَيِّنَا أَنْتَ أَشَدُّ غَضَبًا ، عَلَيْهِ حِينَ أَقَادَ مِنْ نَفْسِهِ ، أَمْ عَلَيَّ حِينَ عَفَوْتُ عَنْهُ ؟ |
| ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا الرَّجُلُ مِنْ ثَقِيفٍ ، لَا تَصْرِفْ عَلَيَّ أَنْيَابَكَ ، وَلَا تُكَشِّرْ عَلَيَّ كَالذِّئْبِ ، وَاللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِي إِلَّا ظِمْءَ الْحِمَارِ ، اقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، فَإِنَّ الْمَوْعِدَ اللَّهُ ، وَبَعْدَ الْقَتْلِ الْحِسَابَ. |
| قَالَ الْحَجَّاجُ فَإِنَّ الْحُجَّةَ عَلَيْكَ. |
| قَالَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْقَضَاءُ إِلَيْكَ. |
| فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ، وَكَانَ خِصِّيصًا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| وَأُتِيَ بِآخَرَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ أَرَى رَجُلًا مَا أَظُنُّهُ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْكُفْرِ. |
| فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ أَتُخَادِعَنِي عَنْ نَفْسِي ؟ |
| أَنَا أَكْفَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَأَكْفَرُ مِنْ فِرْعَوْنَ. |
| فَضَحِكَ مِنْهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ. |
| وَأَقَامَ بِالْكُوفَةِ شَهْرًا ، وَأَنْزَلَ أَهْلَ الشَّامِ بُيُوتَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، أَنْزَلَهُمُ الْحَجَّاجُ فِيهَا مَعَ أَهْلِهَا ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَنْزَلَ الْجُنْدَ فِي بُيُوتِ غَيْرِهِمْ ، وَهُوَ إِلَى الْآنَ لَا سِيَّمَا فِي بِلَادِ الْعَجَمِ ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . |
| ذِكْرُ الْوَقْعَةِ بِمَسْكِنٍ وَلَمَّا انْهَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَتَى الْبَصْرَةَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ فِيهِمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْقُرَشِيُّ ، وَكَانَ بِالْمَدَائِنِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ ، فَلَحِقَ ابْنُ سَعْدٍ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَحْوَ الْحَجَّاجِ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ فِيهِمْ بِسْطَامُ بْنُ مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيُّ ، وَقَدْ بَايَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ عَلَى الْمَوْتِ ، فَاجْتَمَعُوا بِمَسْكِنٍ ، وَخَنْدَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَجَعَلَ الْقِتَالَ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ. |
| وَقَدِمَ عَلَيْهِ خَالِدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ خُرَاسَانَ فِي نَاسٍ مِنْ بَعْثِ الْكُوفَةِ ، فَاقْتَتَلُوا خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ شَعْبَانَ أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَقُتِلَ زِيَادُ بْنُ غَيْثَمٍ الْقَيْنِيُّ ، وَكَانَ عَلَى مَسَالِحِ الْحَجَّاجِ ، فَهَدَّهُ ذَلِكَ وَهَدَّ أَصْحَابَهُ. |
| وَبَاتَ الْحَجَّاجُ يُحَرِّضُ أَصْحَابَهُ ، وَلَمَّا أَصْبَحُوا بَاكَرُوا الْقِتَالَ ، فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ كَانَ بَيْنَهُمْ ، فَانْكَشَفَتْ خَيْلُ سُفْيَانَ بْنِ الْأَبْرَدِ ، فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ الْمُهَلَّبِ فَحَمَلَ عَلَى أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَحَمَلَ أَصْحَابُ الْحَجَّاجِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَانْهَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْحَابُهُ ، وَقُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيهُ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِيُّ ، وَمَشَى بِسْطَامُ بْنُ مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ مِنْ شُجْعَانِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، فَكَسَرُوا جُفُونَ سُيُوفِهِمْ ، وَحَثَّ أَصْحَابَهُ عَلَى الْقِتَالِ ، فَحَمَلُوا عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَكَشَفُوهُمْ مِرَارًا ، فَدَعَا الْحَجَّاجُ الرُّمَاةَ فَرَمَوْهُمْ ، وَأَحَاطَ بِهِمُ النَّاسُ ، فَقُتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا ، وَمَضَى ابْنُ الْأَشْعَثِ نَحْوَ سِجِسْتَانَ. |
| وَقَدْ قِيلَ فِي هَزِيمَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِمَسْكِنٍ غَيْرُ هَذَا ، وَالَّذِي قِيلَ إِنَّهُ اجْتَمَعَ هُوَ وَالْحَجَّاجُ بِمَسْكِنٍ ، وَكَانَ عَسْكَرُ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَالْحَجَّاجِ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالسِّيبِ وَالْكَرْخِ ، فَاقْتَتَلُوا شَهْرًا وَدُونَهُ ، فَأَتَى شَيْخٌ فَدَلَّ الْحَجَّاجَ عَلَى طَرِيقٍ مِنْ وَرَاءِ الْكَرْخِ فِي أَجَمَةٍ وَضَحْضَاحٍ مِنَ الْمَاءِ ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَقَالَ لِقَائِدِهِمْ إِنْ صَدَقَ فَأَعْطِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَإِنَّ كَذَبَ فَاقْتُلْهُ. |
| فَسَارَ بِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّ الْحَجَّاجَ قَاتَلَ أَصْحَابَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَانْهَزَمَ الْحَجَّاجُ فَعَبَرَ السِّيبَ ، وَرَجَعَ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى عَسْكَرِهِ آمِنًا ، وَنَهَبَ عَسْكَرَ الْحَجَّاجِ فَأَمِنُوا وَأَلْقَوُا السِّلَاحَ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا نِصْفَ اللَّيْلِ إِلَّا وَالسَّيْفُ يَأْخُذُهُمْ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ ، فَغَرِقَ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَكْثَرُ مِمَّنْ قُتِلَ ، وَرَجَعَ الْحَجَّاجُ فِي عَسْكَرِهِ عَلَى الصَّوْتِ ، فَقَتَلُوا مَنْ وَجَدُوا ، فَكَانَ عِدَّةُ مَنْ قُتِلَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ ، وَبِسْطَامُ بْنُ مَصْقَلَةَ ، وَعَمْرُو بْنُ ضُبَيْعَةَ الرَّقَاشِيُّ ، وَبِشْرُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ ، وَغَيْرُهُمْ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى رُتْبِيلَ وَمَا جَرَى لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ وَلَمَّا انْهَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ مَسْكِنٍ سَارَ إِلَى سِجِسْتَانَ ، فَأَتْبَعَهُ الْحَجَّاجُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، وَعُمَارَةَ بْنَ تَمِيمٍ اللَّخْمِيَّ ، وَعُمَارَةُ عَلَى الْجَيْشِ ، فَأَدْرَكَهُ عُمَارَةُ بِالسُّوسِ فَقَاتَلَهُ سَاعَةً ، فَانْهَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَمَنْ مَعَهُ ، وَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا سَابُورَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْأَكْرَادُ ، فَقَاتَلَهُمْ عُمَارَةُ قِتَالًا شَدِيدًا عَلَى الْعَقَبَةِ ، فَجُرِحَ عُمَارَةُ وَكَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَانْهَزَمَ عُمَارَةُ وَتَرَكَ لَهُمُ الْعَقَبَةَ. |
| وَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى أَتَى كَرْمَانَ وَعُمَارَةُ يَتْبَعُ أَثَرَهُمْ ، فَدَخَلَ بَعْضُ أَهْلِ الشَّامِ قَصْرًا فِي مَفَازَةِ كَرْمَانَ ، فَإِذَا فِيهِ كِتَابٌ قَدْ كَتَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنْ شِعْرِ ابْنِ جِلْدَةَ الْيَشْكُرِيِّ ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ أَيَا لَهَفًا وَيَا حَزَنًا جَمِيعًا... |
| وَيَا حَرَّ الْفُؤَادِ لِمَا لَقِينَا تَرَكْنَا الدِّينَ وَالدُّنْيَا جَمِيعًا... |
| وَأَسْلَمْنَا الْحَلَائِلَ وَالْبَنِينَا فَمَا كُنَّا أُنَاسًا أَهْلَ دِينٍ... |
| فَنَصْبِرَ فِي الْبَلَاءِ إِذَا ابْتُلِينَا فَمَا كُنَّا أُنَاسًا أَهْلَ دُنْيَا... |
| فَنَمْنَعُهَا وَلَوْ لَمْ نَرْجُ دِينَا تَرَكْنَا دُورَنَا لِطَغَامِ عَكٍّ... |
| وَأَنْبَاطِ الْقُرَى وَالْأَشْعَرِينَا فَلَمَّا وَصَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى كَرْمَانَ أَتَاهُ عَامِلُهُ ، وَقَدْ هَيَّأَ لَهُ نُزُلًا فَنَزَلَ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى سِجِسْتَانَ ، فَأَتَى زَرَنْجَ وَفِيهَا عَامِلُهُ ، فَأَغْلَقَ بَابَهَا وَمَنَعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ مِنْ دُخُولِهَا ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا أَيَّامًا لِيَفْتَحَهَا فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا ، فَسَارَ إِلَى بُسْتٍ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عِيَاضَ بْنَ هِمْيَانَ بْنِ هِشَامٍ السَّدُوسِيَّ الشَّيْبَانِيَّ ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَأَنْزَلَهُ ، فَلَمَّا غَفَلَ أَصْحَابُهُ قَبَضَ عَلَيْهِ عِيَاضٌ وَأَوْثَقَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْمَنَ بِهِ عِنْدَ الْحَجَّاجِ. |
| وَقَدْ كَانَ رُتْبِيلُ مَلِكُ التُّرْكِ سَمِعَ بِمَقْدَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ لِيَسْتَقْبِلَهُ ، فَلَمَّا قَبَضَهُ عِيَاضٌ نَزَلَ رُتْبِيلُ عَلَى بُسْتٍ ، وَبَعَثَ إِلَى عِيَاضٍ يَقُولُ وَاللَّهِ لَئِنْ آذَيْتَهُ بِمَا يَقْذِي عَيْنَهُ ، أَوْ ضَرَرْتَهُ بِبَعْضِ الضَّرَرِ ، أَوْ أَخَذْتَ مِنْهُ وَلَوْ حَبْلًا مِنْ شَعْرٍ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَسْتَنْزِلَكَ وَأَقْتُلَكَ وَجَمِيعَ مَنْ مَعَكَ ، وَأَسْبِي ذَرَارِيَّكُمْ ، وَأَغْنَمَ أَمْوَالَكُمْ. |
| فَاسْتَأْمَنَهُ عِيَاضٌ ، فَأَطْلَقَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَأَرَادَ قَتْلَ عِيَاضٍ فَمَنَعَهُ رُتْبِيلُ. |
| ثُمَّ سَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَعَ رُتْبِيلَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَأَنْزَلَهُ وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهِ. |
| وَكَانَ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ الرُّءُوسِ وَالْقَادَةِ الَّذِينَ لَمْ يَقْبَلُوا أَمَانَ الْحَجَّاجِ وَنَصَبُوا لَهُ الْعَدَاوَةَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ قَدْ تَبِعُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَبَلَغُوا سِجِسْتَانَ فِي نَحْوِ سِتِّينَ أَلْفًا ، وَنَزَلُوا عَلَى زَرَنْجَ يُحَاصِرُونَ مَنْ بِهَا ، وَكَتَبُوا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَسْتَدْعُونَهُ وَيُخْبِرُونَهُ أَنَّهُمْ عَلَى قَصْدِ خُرَاسَانَ لِيَقْوَوْا بِمَنْ بِهَا مِنْ عَشَائِرِهِمْ ، فَأَتَاهُمْ ، وَكَانَ يُصَلِّي بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِلَى أَنْ قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ. |
| فَلَمَّا أَتَتْ كُتُبُهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ سَارَ إِلَيْهِمْ ، فَفَتَحُوا زَرَنْجَ ، وَسَارَ نَحْوَهُمْ عُمَارَةُ بْنُ تَمِيمٍ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ أَصْحَابُهُ اخْرُجْ بِنَا عَنْ سِجِسْتَانَ إِلَى خُرَاسَانَ. |
| فَقَالَ إِنَّ بِهَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ رَجُلٌ شُجَاعٌ ، وَلَا يَتْرُكُ لَكُمْ سُلْطَانَهُ ، وَلَوْ دَخَلْنَاهَا لَقَاتَلَنَا وَتَبِعَنَا أَهْلُ الشَّامِ ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْنَا أَهْلُ خُرَاسَانَ وَأَهْلُ الشَّامِ. |
| فَقَالُوا لَوْ دَخَلْنَا خُرَاسَانَ لَكَانَ مَنْ يَتْبَعُنَا أَكْثَرَ مِمَّنْ يُقَاتِلُنَا. |
| فَسَارَ مَعَهُمْ حَتَّى بَلَغُوا هَرَاةَ ، فَهَرَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ الْقُرَشِيُّ فِي أَلْفَيْنِ ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِّي كُنْتُ فِي مَأْمَنٍ وَمَلْجَإٍ ، فَجَاءَتْنِي كُتُبُكُمْ أَنْ أَقْبِلْ فَإِنَّ أَمْرَنَا وَاحِدٌ ، فَلَعَلَّنَا نُقَاتِلُ عَدُوَّنَا ، فَأَتَيْتُكُمْ ، فَرَأَيْتُمْ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَجْتَمِعُونَ إِلَيَّ وَأَنَّكُمْ لَا تَتَفَرَّقُونَ ، وَهَذَا عُبَيْدُ اللَّهِ قَدْ صَنَعَ مَا رَأَيْتُمْ ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ ، أَمَّا أَنَا فَمُنْصَرِفٌ إِلَى صَاحِبِي الَّذِي أَتَيْتُ مِنْ عِنْدِهِ. |
| فَتَفَرَّقَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ وَبَقِيَ مَعَهُ طَائِفَةٌ ، وَبَقِيَ أَعْظَمُ الْعَسْكَرِ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَبَايَعُوهُ ، وَمَضَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى رُتْبِيلَ ، وَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى هَرَاةَ ، فَلَقُوا بِهَا الرُّقَادَ الْأَزْدِيَّ فَقَتَلُوهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَشْعَثِ لَمَّا انْهَزَمَ مِنْ مَسْكِنٍ أَتَى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ هَرَاةَ ، وَأَتَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ سِجِسْتَانَ ، فَاجْتَمَعَ فَلُّ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَسَارَ إِلَى خُرَاسَانَ فِي عِشْرِينَ أَلْفًا ، فَنَزَلَ هَرَاةَ ، وَلَقُوا الرُّقَادَ فَقَتَلُوهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ قَدْ كَانَ لَكَ فِي الْبِلَادِ مُتَّسَعٌ وَمَنْ هُوَ أَهْوَنُ مِنِّي شَوْكَةً ، فَارْتَحِلْ إِلَى بَلَدٍ لَيْسَ لِي فِيهِ سُلْطَانٌ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ قِتَالَكَ ، وَإِنْ أَرَدْتَ مَالًا أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ. |
| فَأَعَادَ الْجَوَابَ إِنَّا مَا نَزَلْنَا لِمُحَارَبَةٍ وَلَا لِمُقَامٍ ، وَلَكِنَّا أَرَدْنَا أَنْ نُرِيحَ ثُمَّ نَرْحَلُ عَنْكَ ، وَلَيْسَتْ بِنَا إِلَى الْمَالِ حَاجَةٌ. |
| وَأَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ عَلَى الْجِبَايَةِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ فَقَالَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرِيحَ ثُمَّ يَرْتَحِلَ لَمْ يَجْبِ الْخَرَاجَ. |
| فَسَارَ يَزِيدُ نَحْوَهُ وَأَعَادَ مُرَاسَلَتَهُ إِنَّكَ قَدْ أَرَحْتَ وَسَمِنْتَ وَجَبَيْتَ الْخَرَاجَ ، فَلَكَ مَا جَبَيْتَ وَزِيَادَةٌ ، فَاخْرُجْ عَنِّي فَإِنِّي أَكْرَهُ قِتَالَكَ. |
| فَأَبَى إِلَّا الْقِتَالَ ، وَكَاتَبَ جُنْدَ يَزِيدَ يَسْتَمِيلُهُمْ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى نَفْسِهِ ، فَعَلِمَ يَزِيدُ فَقَالَ جَلَّ الْأَمْرُ عَنِ الْعِتَابِ. |
| ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ فَقَاتَلَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ كَثِيرُ قِتَالٍ حَتَّى تَفَرَّقَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْهُ ، وَصَبَرَ وَصَبَرَتْ مَعَهُ طَائِفَةٌ ثُمَّ انْهَزَمُوا ، وَأَمَرَ يَزِيدُ أَصْحَابَهُ بِالْكَفِّ عَنِ اتِّبَاعِهِمْ ، وَأَخَذُوا مَا كَانَ فِي عَسْكَرِهِمْ ، وَأَسَرُوا مِنْهُمْ أَسْرَى ، وَكَانَ مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعُمَرُ بْنُ مُوسَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، وَعَبَّاسُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ ، وَالْهِلْقَامُ بْنُ نُعَيْمِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ ، وَفَيْرُوزُ حُصَيْنٍ ، وَأَبُو الْفَلْجِ مَوْلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، وَسَوَّارُ بْنُ مَرْوَانَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلَفٍ الْخُزَاعِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَضَالَةَ الزَّهْرَانِيُّ الْأَزْدِيُّ. |
| وَلَحِقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ بِالسِّنْدِ ، وَأَتَى ابْنُ سَمُرَةَ مَرْوَ ، وَانْصَرَفَ يَزِيدُ إِلَى مَرْوَ ، وَبَعَثَ الْأَسْرَى إِلَى الْحَجَّاجِ مَعَ سَبْرَةَ وَنَجْدَةَ ، فَلَمَّا أَرَادَ تَسْيِيرَهُمْ قَالَ لَهُ أَخُوهُ حَبِيبٌ بِأَيِّ وَجْهٍ تَنْظُرُ إِلَى الْيَمَانِيَّةِ وَقَدْ بَعَثْتَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ طَلْحَةَ ؟ |
| فَقَالَ يَزِيدُ إِنَّهُ الْحَجَّاجُ وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ. |
| قَالَ وَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَى الْعَزْلِ ، وَلَا تُرْسِلْ بِهِ ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا. |
| قَالَ وَمَا هِيَ ؟ |
| قَالَ أُلْزِمَ الْمُهَلَّبُ فِي مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ بِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَأَدَّاهَا طَلْحَةُ عَنْهُ. |
| فَأَطْلَقَهُ يَزِيدُ ، وَلَمْ يُرْسِلْ يَزِيدُ أَيْضًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ فَضَالَةَ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَزْدِ ، وَأَرْسَلَ الْبَاقِينَ. |
| فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى الْحَجَّاجِ قَالَ لِحَاجِبِهِ إِذَا دَعَوْتُكَ بِسَيِّدِهِمْ فَأْتِنِي بِفَيْرُوزَ. |
| وَكَانَ بِوَاسِطِ الْقَصَبِ قَبْلَ أَنْ تُبْنَى مَدِينَةُ وَاسِطٍ. |
| فَقَالَ لِحَاجِبِهِ ائْتِنِي بِسَيِّدِهِمْ. |
| فَقَالَ لِفَيْرُوزَ قُمْ. |
| فَقَامَ ، فَأَحْضَرَهُ عِنْدَهُ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ أَبَا عُثْمَانَ ، مَا أَخْرَجَكَ مَعَ هَؤُلَاءِ ؟ |
| فَوَاللَّهِ مَا لَحْمُكَ مِنْ لُحُومِهِمْ ، وَلَا دَمُكَ مِنْ دِمَائِهِمْ! |
| قَالَ فِتْنَةٌ عَمَّتِ النَّاسَ. |
| قَالَ اكْتُبْ إِلَيَّ أَمْوَالَكَ. |
| قَالَ اكْتُبْ يَا غُلَامُ أَلْفَ أَلْفٍ وَأَلْفَيْ أَلْفٍ ، فَذَكَرَ مَالًا كَثِيرًا. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ أَيْنَ هَذِهِ الْأَمْوَالُ ؟ |
| قَالَ عِنْدِي. |
| قَالَ فَأَدِّهَا. |
| قَالَ وَأَنَا آمَنُ عَلَى دَمِي ؟ |
| قَالَ وَاللَّهِ لَتُؤَدِّيَنَّهَا ثُمَّ لَأَقْتُلَنَّكَ. |
| قَالَ وَاللَّهِ لَا يُجْمَعُ بَيْنَ دَمِي وَمَالِي. |
| فَأَمَرَ بِهِ فَنُحِّيَ. |
| ثُمَّ أَحْضَرَ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ يَا ظِلَّ الشَّيْطَانِ! |
| أَعْظَمَ النَّاسِ تِيهًا وَكِبْرًا تَأْبَى بَيْعَةَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَتَتَشَبَّهُ بِالْحُسَيْنِ وَبِابْنِ عُمَرَ ، ثُمَّ ضَرَبْتَ مُؤَذِّنًا ؟ |
| وَجَعَلَ يَضْرِبُ رَأْسَهُ بِعُودٍ فِي يَدِهِ حَتَّى أَدْمَاهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ. |
| ثُمَّ دَعَا بِعُمَرَ بْنِ مُوسَى فَقَالَ يَا عَبْدَ الْمَرْأَةِ! |
| أَتَقُومُ بِالْعَمُودِ عَلَى رَأْسِ ابْنِ الْحَائِكِ ، يَعْنِي ابْنَ الْأَشْعَثِ ، وَتَشْرَبُ مَعَهُ فِي الْحَمَّامِ! |
| فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، كَانَتْ فِتْنَةً شَمِلَتِ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ فَدَخَلْنَا فِيهَا ، فَقَدْ أَمْكَنَكَ اللَّهُ مِنَّا ، فَإِنْ عَفَوْتَ فَبِحِلْمِكَ وَبِفَضْلِكَ ، وَإِنْ عَاقَبْتَ عَاقَبْتَ ظَلَمَةً مُذْنِبِينَ. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ أَمَّا أَنَّهَا شَمَلَتِ الْبَرَّ فَكَذَبْتَ ، وَلَكِنَّهَا شَمَلَتِ الْفَاجِرَ ، وَعُوفِيَ مِنْهَا الْأَبْرَارُ ، وَأَمَّا اعْتِرَافُكَ فَعَسَى أَنْ يَنْفَعَكَ. |
| وَرَجَا لَهُ النَّاسُ السَّلَامَةَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ. |
| ثُمَّ دَعَا بِالْهِلْقَامِ بْنِ نُعَيْمٍ فَقَالَ أَحْبَبْتَ أَنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ طَلَبَ مَا طَلَبَ ، مَا الَّذِي أَمَّلْتَ أَنْتَ مَعَهُ ؟ |
| قَالَ أَمَّلْتُ أَنْ يَمْلِكَ فَيُوَلِّينِي الْعِرَاقَ كَمَا وَلَّاكَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِيَّاهُ. |
| فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ. |
| ثُمَّ دَعَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ ، فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ لَا رَأَتْ عَيْنُكَ الْجَنَّةَ إِنْ أَفْلَتَّ! |
| فَقَالَ جَزَى اللَّهُ ابْنَ الْمُهَلَّبِ بِمَا صَنَعَ. |
| قَالَ وَمَا صَنَعَ ؟ |
| قَالَ لِأَنَّهُ كَاسَ فِي إِطْلَاقِ أُسْرَتِهِ وَقَادَ نَحْوَكَ فِي أَغْلَالِهَا مُضَرَا وَقَى بِقَوْمِكَ وِرْدَ الْمَوْتِ أُسْرَتَهُ وَكَانَ قَوْمُكَ أَدْنَى عِنْدَهُ خَطَرَا فَأَطْرَقَ الْحَجَّاجُ وَوَقَرَتْ فِي قَلْبِهِ وَقَالَ وَمَا أَنْتَ وَذَاكَ ؟ |
| فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ. |
| وَلَمْ تَزَلْ كَلِمَتُهُ فِي نَفْسِ الْحَجَّاجِ حَتَّى عَزَلَ يَزِيدَ عَنْ خُرَاسَانَ وَحَبَسَهُ. |
| ثُمَّ أَمَرَ بِفَيْرُوزَ فَعُذِّبَ ، وَكَانَ يَشُدُّ عَلَيْهِ الْقَصَبَ الْفَارِسِيَّ الْمَشْقُوقَ ، يُجَرُّ عَلَيْهِ حَتَّى يُجْرَحَ بِهِ ، ثُمَّ يُنْضَحُ عَلَيْهِ الْخَلُّ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوْتِ قَالَ لِصَاحِبِ الْعَذَابِ إِنَّ النَّاسَ لَا يَشُكُّونَ أَنْ قَدْ قُتِلْتُ ، وَلِي وَدَائِعُ وَأَمْوَالٌ عِنْدَ النَّاسِ لَا تُؤَدَّى إِلَيْكُمْ أَبَدًا ، فَأَظْهِرْنِي لِلنَّاسِ لِيَعْلَمُوا أَنِّي حَيٌّ فَيُؤَدُّوا الْمَالَ. |
| فَأَعْلَمَ الْحَجَّاجَ ، فَقَالَ أَظْهِرْهُ. |
| فَأُخْرِجَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، فَصَاحَ فِي النَّاسِ مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا فَيْرُوزُ حُصَيْنٍ ، إِنَّ لِي عِنْدَ أَقْوَامٍ مَالًا ، فَمَنْ كَانَ لِي عِنْدَهُ شَيْءٌ فَهُوَ لَهُ ، وَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ ، فَلَا يُؤَدِّ أَحَدٌ مِنْهُمْ دِرْهَمًا ، لِيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ. |
| فَأَمَرَ بِهِ الْحَجَّاجُ فَقُتِلَ. |
| وَأَمَرَ بِقَتْلِ عُمَرَ بْنِ أَبِي قُرَّةَ الْكِنْدِيِّ ، وَكَانَ شَرِيفًا ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَعْشَى هَمْدَانَ ، فَقَالَ إِيهِ عَدُوَّ اللَّهِ! |
| أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ بَيْنَ الْأَشَجِّ وَبَيْنَ قَيْسٍ. |
| قَالَ بَلْ أُنْشِدُكَ مَا قُلْتُ لَكَ. |
| قَالَ بَلْ أَنْشِدْنِي هَذِهِ. |
| فَأَنْشَدَهُ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمِّمَ نُورَهُ... |
| وَيُطْفِئَ نَارَ الْفَاسِقِينَ فَتَخْمُدَا وَيُظْهِرَ أَهْلَ الْحَقِّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ... |
| وَيُعْدِلَ وَقْعَ السَّيْفِ مَنْ كَانَ أَصْيَدَا وَيُنْزِلَ ذُلًّا بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ... |
| لِمَا نَقَضُوا الْعَهْدَ الْوَثِيقَ الْمُؤَكَّدَا وَمَا أَحْدَثُوا مِنْ بِدْعَةٍ وَعَظِيمَةٍ... |
| مِنَ الْقَوْلِ لَمْ تَصْعَدْ إِلَى اللَّهِ مَصْعَدَا وَمَا نَكَثُوا مِنْ بَيْعَةٍ بَعْدَ بَيْعَةٍ... |
| إِذَا ضَمِنُوهَا الْيَوْمَ خَاسُوا بِهَا غَدَا وَجُبْنًا حَشَاهُ رَبُّهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ... |
| فَمَا يَقْرَبُونَ النَّاسَ إِلَّا تَهَدُّدَا فَلَا صِدْقَ فِي قَوْلٍ وَلَا صَبْرَ... |
| عِنْدَهُمْ وَلَكِنَّ فَخْرًا فِيهِمُ وَتَزَيُّدَا فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ فَرَّقَ جَمْعَهَمْ... |
| وَمَزَّقَهُمْ عَرْضَ الْبِلَادِ وَشَرَّدَا فَقَتْلَاهُمُ قَتْلَى ضَلَالٍ وَفِتْنَةٍ... |
| وَجَيْشُهُمْ أَمْسَى ذَلِيلًا مُطَرَّدَا وَلَمَّا زَحَفْنَا لِابْنِ يُوسُفَ غُدْوَةً... |
| وَأَبْرَقَ مِنْهُ الْعَارِضَانِ وَأَرْعَدَا قَطَعْنَا إِلَيْهِ الْخَنْدَقَيْنِ وَإِنَّمَا... |
| قَطَعْنَا وَأَفْضَيْنَا إِلَى الْمَوْتِ مُرْصِدَا فَكَافَحَنَا الْحَجَّاجُ دُونَ صُفُوفِنَا... |
| كِفَاحًا وَلَمْ يَضْرِبْ لِذَلِكَ مَوْعِدَا بِصَفٍّ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي حُجُزَاتِهِمْ إِذَا مَا تَجَلَّى بَيْضُهُ وَتَوَقَّدَا... |
| دَلَفْنَا إِلَيْهِ فِي صُفُوفٍ كَأَنَّهَا جِبَالُ شَرَوْرَى أَوْ نِعَافٍ فَشَهْمَدَا... |
| فَمَا لَبِثَ الْحَجَّاجُ أَنْ سَلَّ سَيْفَهُ عَلَيْنَا فَوَلَّى جَمْعُنَا وَتَبَدَّدَا... |
| وَمَا زَاحَفَ الْحَجَّاجُ إِلَّا رَأَيْتَهُ مُعَانًا مُلَقًى لِلْفُتُوحِ مُعَوَّدَا... |
| وَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَفِي مُرْجَحِنَّةٍ نُشَبِّهُهَا قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ أَسْوَدَا... |
| فَمَا شَرَعُوا رُمْحًا وَلَا جَرَّدُوا ظُبًى أَلَا إِنَّمَا لَاقَى الْجَبَانُ فَجَرَّدَا... |
| وَكَرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفْيَانَ كَرَّةً بِفُرْسَانِهَا وَالسَّمْهَرِيِّ مُقَصَّدَا... |
| وَسُفْيَانُ يَهْدِيهَا كَأَنَّ لِوَاءَهَا مِنَ الطَّعْنِ سِنْدٌ بَاتَ بِالصِّبْغِ مُجْسَدَا... |
| كُهُولٌ وَمُرْدٌ مِنْ قُضَاعَةَ حَوْلَهُ مَسَاعِيرُ أَبْطَالٍ إِذَا النِّكْسُ عَرَّدَا... |
| إِذَا قَالَ شُدُّوا شَدَّةً حَمَلُوا مَعًا فَأَنْهَلَ خِرْصَانَ الرِّمَاحِ وَأَوْرَدَا... |
| جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْلِهِ وَسُلْطَانُهُ أَمْسَى عَزِيزًا مُؤَيَّدَا... |
| فَيَهْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ عَلَى أُمَّةٍ كَانُوا سُعَاةً وَحُسَّدَا... |
| نَزَوْا يَشْتَكُونَ الْبَغْيَ مِنْ أُمَرَائِهِمْ وَكَانُوا هُمُ أَبَغَى الْبُغَاةِ وَأَعْنَدَا... |
| وَجَدْنَا بَنِي مَرْوَانَ خَيْرَ أَئِمَّةٍ وَأَفْضَلَ هَذَا النَّاسِ حِلْمًا وَسُؤْدُدَا... |
| وَخَيْرَ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشٍ أَرُومَةً وَأَكْرَمَهُمْ إِلَّا النَّبِيَّ مُحَمَّدَا إِذَا مَا تَدَبَّرْنَا عَوَاقِبَ أَمْرِهِ... |
| وَجَدْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُسَدَّدَا سَيَغْلِبُ قَوْمًا حَارَبُوا اللَّهَ... |
| جَهْرَةً وَإِنْ كَايَدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكْيَدَا كَذَاكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ... |
| مَرِيضًا وَمَنْ وَالَى النِّفَاقَ وَأَلْحَدَا وَقَدْ تَرَكُوا الْأَهْلِينَ وَالْمَالَ خَلْفَهُمْ... |
| وَبِيضًا عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبُ خُرَّدَا يُنَادِيهِمُ مُسْتَعْبِرَاتٍ إِلَيْهِمُ وَيُذْرِينَ... |
| دَمْعًا فِي الْخُدُودِ وَإِثْمِدَا أَنَكْثًا وَعِصْيَانًا وَغَدْرًا وَذِلَّةً... |
| أَهَانَ الْإِلَهُ مَنْ أَهَانَ وَأَبْعَدَا لَقَدْ شَأَمَ الْمِصْرَيْنِ فَرْخُ مُحَمَّدٍ... |
| بِحَقٍّ وَمَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدَا كَمَا شَأَمَ اللَّهُ النُّجَيْرَ وَأَهْلَهُ... |
| بِجَدٍّ لَهُ قَدْ كَانَ أَشْقَى وَأَنْكَدَا فَقَالَ. |
| أَهْلُ الشَّامِ أَحْسَنَ ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ لَا ، لَمْ يُحْسِنْ ، إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا أَرَادَ بِهَا. |
| ثُمَّ قَالَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ! |
| وَاللَّهِ لَا نَحْمِدُكَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ، إِنَّمَا قُلْتَ تَأَسُّفَ أَنْ لَا يَكُونَ ظَهَرَ وَظَفِرَ ، وَتَحْرِيضًا لِأَصْحَابِكَ عَلَيْنَا ، وَلَيْسَ عَنْ هَذَا سَأَلْنَاكَ ، أَنْشِدْنَا قَوْلَكَ بَيْنَ الْأَشَجِّ وَبَيْنَ قَيْسِ بَاذِخٍ ، فَأَنْشَدَهُ ، فَلَمَّا قَالَ بَخٍ بَخٍ لِوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ قَالَ الْحَجَّاجُ وَاللَّهِ لَا تُبَخْبِخُ بَعْدَهَا أَبَدًا! |
| فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ. |
| قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ابْنُ عَبَّاسٍ ، هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. |
| وَقَوْلُهُ سُفْيَانُ ، هُوَ ابْنُ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيُّ مِنْ قُوَّادِ الْعَسَاكِرِ الشَّامِيَّةِ. |
| وَقَوْلُهُ فَرْخُ مُحَمَّدٍ ، هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ. |
| وَقَوْلُهُ الْأَشَجُّ ، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ. |
| وَقَوْلُهُ بَيْنَ قَيْسٍ ، هُوَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ الرِّيَاحِيُّ ، وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ لِأُمِّهِ. |
| وَقَوْلُهُ كَمَا شَأَمَ اللَّهُ النُّجَيْرَ وَأَهْلَهُ بِجَدٍّ لَهُ ، يَعْنِي لَمَّا ارْتَدَّ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ جَدُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَبِعَهُ كِنْدَةُ ، فَلَمَّا حَارَبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَحَصَرُوهُمْ بِالنُّجَيْرِ أَخَذُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي قَتْلِ أَهْلِ الرِّدَّةِ. |
| قِيلَ وَأُتِيَ الْحَجَّاجُ بِأَسِيرَيْنِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنَّ لِي عِنْدَكَ يَدًا. |
| قَالَ وَمَا هِيَ ؟ |
| قَالَ ذَكَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَوْمًا أُمَّكَ بِسُوءٍ فَنَهَيْتُهُ. |
| قَالَ وَمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ |
| قَالَ هَذَا الْأَسِيرُ الْآخَرُ ، فَسَأَلَهُ الْحَجَّاجُ فَصَدَّقَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ فَلِمَ لَمْ تَفْعَلْ كَمَا فَعَلَ ؟ |
| قَالَ وَيَنْفَعُنِي الصِّدْقُ عِنْدَكَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ مَنَعَنِي الْبُغْضُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ. |
| قَالَ خَلُّوا عَنْ هَذَا لِفِعْلِهِ ، وَعَنْ هَذَا لِصِدْقِهِ. |
| قِيلَ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، قُتِلَ جَدِّي يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقُتِلَ جَدِّي فُلَانٌ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَجَعَلَ يَذْكُرُ مَنَاقِبَ سَلَفِهِ ، فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى عَنْبَسَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ هَذِهِ الْمَنَاقِبُ وَاللَّهِ ، لَا يَوْمَ مَسْكِنٍ وَيَوْمَ الْجَمَاجِمِ وَيَوْمَ رَاهِطٍ! |
| وَأَنْشَدَ تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا ذِكْرُ مَا جَرَى لِلشَّعْبِيِّ مَعَ الْحَجَّاجِ لَمَّا انْهَزَمَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالْجَمَاجِمِ نَادَى مُنَادِي الْحَجَّاجِ مَنْ لَحِقَ بِقُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ فَهُوَ آمِنٌ ، وَكَانَ قَدْ وَلَّاهُ الرَّيَّ وَسَارَ إِلَيْهِ ، فَلَحِقَ بِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ مِنْهُمُ الشَّعْبِيُّ ، فَذَكَرَهُ الْحَجَّاجُ يَوْمًا فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ إِنَّهُ لَحِقَ بِقُتَيْبَةَ بِالرَّيِّ ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى قُتَيْبَةَ يَأْمُرُهُ بِإِرْسَالِ الشَّعْبِيِّ ، فَأَرْسَلَهُ. |
| قَالَ الشَّعْبِيُّ فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى الْحَجَّاجِ لَقِيتُ ابْنَ أَبِي مُسْلِمٍ ، وَكَانَ صَدِيقًا لِي ، فَاسْتَشَرْتُهُ فَقَالَ اعْتَذِرْ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ. |
| وَأَشَارَ بِمِثْلِ ذَلِكَ إِخْوَانِي وَنُصَحَائِي ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الْحَجَّاجِ رَأَيْتُ غَيْرَ مَا ذَكَرُوا لِي ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ وَقُلْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَمَرُونِي أَنْ أَعْتَذِرَ بِغَيْرِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ الْحَقُّ ، وَايْمُ اللَّهِ لَا أَقُولُ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا الْحَقَّ ، قَدْ وَاللَّهِ مَرَدْنَا عَلَيْكَ ، وَحَرَّضْنَا وَجَهِدْنَا ، فَمَا كُنَّا بِالْأَقْوِيَاءِ الْفَجَرَةِ ، وَلَا بِالْأَتْقِيَاءِ الْبَرَرَةِ ، وَلَقَدْ نَصَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَأَظْفَرَكَ بِنَا ، فَإِنْ سَطَوْتَ فَبِذُنُوبِنَا وَمَا جَرَتْ إِلَيْهِ أَيْدِينَا ، وَإِنْ عَفَوْتَ عَنَّا فَبِحِلْمِكَ ، وَبَعْدُ فَالْحُجَّةُ لَكَ عَلَيْنَا. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ أَنْتَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ قَوْلًا مِمَّنْ يَدْخُلُ عَلَيْنَا يَقْطُرُ سَيْفُهُ مِنْ دِمَائِنَا ، ثُمَّ يَقُولُ مَا فَعَلْتُ وَلَا شَهِدْتُ ، وَقَدْ أَمِنْتَ يَا شَعْبِيُّ ، كَيْفَ وَجَدْتَ النَّاسَ بَعْدَنَا ؟ |
| فَقُلْتُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، اكْتَحَلْتُ بَعْدَكَ السَّهَرَ ، وَاسْتَوْعَرْتُ الْجَنَابَ ، وَاسْتَحْلَسْتُ الْخَوْفَ ، وَفَقَدْتُ صَالِحَ الْإِخْوَانِ ، وَلَمْ أَجِدْ مِنَ الْأَمِيرِ خَلَفًا. |
| قَالَ انْصَرِفْ يَا شَعْبِيُّ. |
| فَانْصَرَفْتُ. |
| ذِكْرُ خَلْعِ عُمَرَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ بِالرَّيِّ وَمَا كَانَ مِنْهُ لَمَّا ظَفِرَ الْحَجَّاجُ بِابْنِ الْأَشْعَثِ لَحِقَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ بِعُمَرَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، وَكَانَ قَدْ غَلَبَ عَلَى الرَّيِّ فِي تِلْكَ الْفِتْنَةِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بِالرَّيِّ أَرَادُوا أَنْ يَحْظَوْا عِنْدَ الْحَجَّاجِ بِأَمْرٍ يَمْحُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ عَثْرَةَ الْجَمَاجِمِ ، فَأَشَارُوا عَلَى عُمَرَ بِخَلْعِ الْحَجَّاجِ وَقُتَيْبَةَ ، فَامْتَنَعَ ، فَوَضَعُوا عَلَيْهِ أَبَاهُ أَبَا الصَّلْتِ ، وَكَانَ بِهِ بَارًّا ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ وَأَلْزَمَهُ بِهِ وَقَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ ، إِذَا سَارَ هَؤُلَاءِ تَحْتَ لِوَائِكَ لَا أُبَالِي أَنْ تُقْتَلَ غَدًا. |
| فَفَعَلَ. |
| فَلَمَّا قَارَبَ قُتَيْبَةُ الرَّيَّ بَلَغَهُ الْخَبَرُ فَاسْتَعَدَّ لِقِتَالِهِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَغَدَرَ أَصْحَابُ عُمَرَ بِهِ ، وَأَكْثَرُهُمْ مِنْ تَمِيمٍ ، فَانْهَزَمَ وَلَحِقَ بِطَبَرِسْتَانَ ، فَآوَاهُ الْأَصْبَهْبَذُ وَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ. |
| فَقَالَ عُمَرُ لِأَبِيهِ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي بِخَلْعِ الْحَجَّاجِ وَقُتَيْبَةَ فَأَطَعْتُكَ ، وَكَانَ خِلَافَ رَأْيِي فَلَمْ أَحْمِدْ رَأْيَكَ ، وَقَدْ نَزَلْنَا بِهَذَا الْعِلْجِ الْأَصْبَهْبَذِ فَدَعْنِي حَتَّى أَثِبَ عَلَيْهِ ، فَأَقْتُلَهُ وَأَجْلِسَ مَمْلَكَتَهُ ، فَقَدْ عَلِمَتِ الْأَعَاجِمُ أَنِّي أَشْرَفُ مِنْهُ. |
| فَقَالَ أَبُوهُ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ هَذَا لِرَجُلٍ آوَانَا وَنَحْنُ خَائِفُونَ ، وَأَكْرَمَنَا وَأَنْزَلَنَا. |
| فَقَالَ عُمَرُ أَنْتَ أَعْلَمُ وَسَتَرَى. |
| وَدَخَلَ قُتَيْبَةُ الرَّيَّ وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِخَبَرِ عُمَرَ وَانْهِزَامِهِ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْأَصْبَهْبَذِ أَنِ ابْعَثْ بِهِمْ أَوْ بِرُءُوسِهِمْ ، وَإِلَّا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْكَ الذِّمَّةُ. |
| فَصَنَعَ لَهُمُ الْأَصْبَهْبَذُ طَعَامًا وَأَحْضَرَهُمَا ، فَقَتَلَ عُمَرَ وَبَعَثَ أَبَاهُ أَسِيرًا ، وَقِيلَ بَلْ قَتَلَهُمَا وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمَا. |
| ذِكْرُ بِنَاءِ مَدِينَةِ وَاسِطٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَنَى الْحَجَّاجُ وَاسِطًا. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ ضَرَبَ الْبَعْثَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَعَسْكَرَ بِحَمَّامِ عُمَرَ ، وَكَانَ فَتًى مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ ، فَانْصَرَفَ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ لَيْلًا ، فَطَرَقَ الْبَابَ طَارِقٌ ، وَدَقَّهُ دَقًّا شَدِيدًا ، فَإِذَا سَكْرَانُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَتْ لِلرَّجُلِ ابْنَةُ عَمِّهِ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ هَذَا الشَّامِيِّ شَرًّا ، يَفْعَلُ بِنَا كُلَّ لَيْلَةٍ مَا تَرَى ، يُرِيدُ الْمَكْرُوهَ ، وَقَدْ شَكَوْتُهُ إِلَى مَشْيَخَةِ أَصْحَابِهِ. |
| فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا ائْذَنِي لَهُ ، فَأَذِنَتْ لَهُ ، فَقَتَلَهُ زَوْجُهَا ، فَلَمَّا أَذَّنَ الْفَجْرُ خَرَجَ إِلَى الْعَسْكَرِ ، وَقَالَ لِابْنَةِ عَمِّهِ إِذَا صَلَّيْتِ الْفَجْرَ فَابْعَثِي إِلَى الشَّامِيِّينَ لِيَأْخُذُوا صَاحِبَهُمْ ، فَإِذَا أَحْضَرُوكِ عِنْدَ الْحَجَّاجِ فَاصْدُقِيهِ الْخَبَرَ عَلَى وَجْهِهِ. |
| فَفَعَلَتْ فَأُحْضِرَتْ عِنْدَ الْحَجَّاجِ فَأَخْبَرَتْهُ ، فَقَالَ صَدَقْتِنِي. |
| وَقَالَ لِلشَّامِيِّينَ خُذُوا صَاحِبَكُمْ لَا قَوَدَ لَهُ وَلَا عَقْلَ ، فَإِنَّهُ قَتِيلُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ. |
| ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ لَا يَنْزِلَنَّ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ. |
| وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ أَنْزَلَ أَهْلَ الشَّامِ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَخَرَجَ أَهْلُ الشَّامِ فَعَسْكَرُوا ، وَبَعَثَ رُوَّادًا يَرْتَادُونَ لَهُ مَنْزِلًا ، وَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ مَوْضِعَ وَاسِطٍ ، فَإِذَا رَاهِبٌ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى حِمَارٍ لَهُ ، فَلَمَّا كَانَ بِمَوْضِعِ وَاسِطٍ بَالَ الْحِمَارُ ، فَنَزَلَ الرَّاهِبُ فَاحْتَفَرَ ذَلِكَ الْبَوْلَ ، وَاحْتَمَلَهُ وَرَمَاهُ فِي دِجْلَةَ وَالْحَجَّاجُ يَرَاهُ. |
| فَقَالَ عَلَيَّ بِهِ. |
| فَأُتِيَ بِهِ. |
| فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَهُ ؟ |
| قَالَ نَجِدُ فِي الْكُتُبِ أَنَّهُ يُبْنَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَسْجِدٌ يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ مَا دَامَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ يُوَحِّدُهُ. |
| فَاخْتَطَّ الْحَجَّاجُ مَدِينَةَ وَاسِطٍ وَبَنَى الْمَسْجِدَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا هِشَامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ. |
| وَكَانَ الْعُمَّالُ هَذِهِ السَّنَةَ سِوَى الْمَدِينَةِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ فِي السَّنَةِ قَبْلَهَا. |
| قِيلَ وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ سَيَّرَ نِسَاءَهُ وَأَهْلَهُ إِلَى الشَّامِ خَوْفًا مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَفِيهِنَّ أُخْتُهُ زَيْنَبُ الَّتِي ذَكَرَهَا النُّمَيْرُ فِي شِعْرِهِ ، فَلَمَّا هُزِمَ ابْنُ الْأَشْعَثِ أَرْسَلَ الْبَشِيرُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِذَلِكَ ، وَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى أُخْتِهِ زَيْنَبَ ، فَأَخَذَتِ الْكِتَابَ وَهِيَ رَاكِبَةٌ ، فَنَفَرَتِ الْبَغْلَةُ مِنْ قَعْقَعَةِ الْكِتَابِ ، فَسَقَطَتْ زَيْنَبُ فَمَاتَتْ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ وَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَمِائَةِ سَنَةٍ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا مَاتَ زِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ وَعُمُرُهُ مِائَةٌ وَاثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً. |
| وَأَبُو وَائِلٍ شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ الْأَسَدِيُّ الْكُوفِيُّ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى مِنَ الْهِجْرَةِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ذِكْرُ قَتْلِ ابْنِ الْقِرِّيَةِ وَفِيهَا قَتَلَ الْحَجَّاجُ أَيُّوبَ بْنَ الْقِرِّيَةِ ، وَكَانَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ بِدَيْرِ الْجَمَاجِمِ ، فَلَمَّا هُزِمَ ابْنُ الْأَشْعَثِ الْتَحَقَ أَيُّوبُ بِحَوْشَبِ بْنِ يَزِيدَ عَامِلِ الْحَجَّاجِ عَلَى الْكُوفَةِ ، فَاسْتَحْضَرَهُ الْحَجَّاجُ ، فَقَالَ لَهُ أَقِلْنِي عَثْرَتِي ، وَاسْقِنِي رِيقِي ، فَإِنَّهُ لَيْسَ جَوَادٌ إِلَّا لَهُ كَبْوَةٌ ، وَلَا شُجَاعٌ إِلَّا لَهُ هَبْوَةٌ ، وَلَا صَارِمٌ إِلَّا لَهُ نَبْوَةٌ. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ كَلَّا ، وَاللَّهِ لَأُزِيرَنَّكَ جَهَنَّمَ. |
| قَالَ فَأَرِحْنِي فَإِنِّي أَجِدُ حَرَّهَا! |
| فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ. |
| فَلَمَّا رَآهُ قَتِيلًا قَالَ لَوْ تَرَكْنَاهُ حَتَّى نَسْمَعَ مِنْ كَلَامِهِ. |
| ذِكْرُ فَتْحِ قَلْعَةِ نَيْزَكٍ بِبَاذَغِيسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَتَحَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ قَلْعَةَ نَيْزَكٍ ، وَكَانَ يَزِيدُ قَدْ وَضَعَ عَلَى نَيْزَكٍ الْعُيُونَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَرُوجُ نَيْزَكٍ عَنْهَا سَارَ إِلَيْهَا فَحَاصَرَهَا ، فَمَلَكَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْصَنِ الْقِلَاعِ وَأَمْنَعِهَا ، وَكَانَ نَيْزَكٌ إِذَا رَآهَا سَجَدَ لَهَا تَعْظِيمًا لَهَا ، وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَعْدَانَ الْأَشْقَرِيُّ يَذْكُرُهَا وَبَاذَغِيسُ الَّتِي مَنْ حَلَّ ذُرْوَتَهَا... |
| عَزَّ الْمُلُوكَ فَإِنْ شَاءَ جَارَ أَوْ ظَلَمَا مَنِيعَةٌ لَمْ يَكِدْهَا قَبْلَهُ مَلِكٌ... |
| إِلَّا إِذَا وَاجَهَتْ جَيْشًا لَهُ وَجَمَا تُخَالُ نِيرَانُهَا مِنْ بُعْدِ مَنْظَرِهَا... |
| بَعْضَ النُّجُومِ إِذَا مَا لَيْلُهَا عَتَمَا وَهِيَ أَبْيَاتٌ عِدَّةٌ ، وَقَالَ أَيْضًا يَذْكُرُ يَزِيدَ وَفَتْحَهَا نَفَى نَيْزَكًا عَنْ بَاذَغِيسَ وَنَيْزَكٌ... |
| بِمَنْزِلَةٍ أَعْيَا الْمُلُوكَ اغْتِصَابُهَا مُحَلِّقَةٍ دُونَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا... |
| غَمَامَةُ صَيْفٍ زَالَ عَنْهَا سَحَابُهَا وَلَا تَبْلُغُ الْأَرْوَى شَمَارِيخَهَا... |
| الْعُلَى وَلَا الطَّيْرُ إِلَّا نَسْرُهَا وَعُقَابُهَا وَمَا خُوِّفَتْ بِالذِّئْبِ وِلْدَانُ أَهْلِهَا... |
| وَلَا نَبَحَتْ إِلَّا النُّجُومَ كِلَابُهَا فِي أَبْيَاتِ غَيْرِهَا. |
| فَلَمَّا فَتَحَهَا كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِالْفَتْحِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ يَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ الْعَدْوَانِيُّ حَلِيفُ هُذَيْلٍ إِنَّا لَحِقْنَا الْعَدُوَّ فَمَنَحَنَا اللَّهُ أَكْتَافَهُمْ ، فَقَتَلْنَا طَائِفَةً وَأَسَرْنَا طَائِفَةً ، وَلَحِقَتْ طَائِفَةٌ بِرُءُوسِ الْجِبَالِ وَعَرَاعِرِ الْأَوْدِيَةِ ، فَأَهْضَامِ الْغِيطَانِ ، وَأَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ. |
| فَقَالَ الْحَجَّاجُ مَنْ يَكْتُبُ لِيَزِيدَ ؟ |
| فَقِيلَ يَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِحَمْلِهِ عَلَى الْبَرِيدِ. |
| فَقَدِمَ إِلَيْهِ أَفْصَحُ النَّاسِ. |
| فَقَالَ أَيْنَ وُلِدْتَ ؟ |
| قَالَ بِالْأَهْوَازِ. |
| قَالَ فَهَذِهِ الْفَصَاحَةُ مِنْ أَيْنَ ؟ |
| قَالَ حَفِظْتُ مِنْ كَلَامِ أَبِي ، وَكَانَ فَصِيحًا. |
| قَالَ أَخْبِرْنِي ، هَلْ يَلْحَنُ عَنْبَسَةُ بْنُ سَعِيدٍ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، كَثِيرًا. |
| قَالَ فَفُلَانٌ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ فَأَخْبِرْنِي هَلْ أَلْحَنُ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ تَلْحَنُ لَحْنًا خَفِيًّا ، تَزِيدُ حَرْفًا ، وَتُنْقِصُ حَرْفًا ، وَتَجْعَلُ أَنْ فِي مَوْضِعٍ إِنْ ، وَإِنْ فِي مَوْضِعِ أَنْ. |
| قَالَ قَدْ أَجَّلْتُكَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ وَجَدْتُكَ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ قَتَلْتُكَ. |
| فَرَجَعَ إِلَى خُرَاسَانَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الرُّومَ فَفَتَحَ الْمِصِّيصَةَ وَبَنَى حِصْنَهَا ، وَوَضَعَ بِهَا ثَلَاثَمِائَةِ مُقَاتِلٍ مِنْ ذَوِي الْبَأْسِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْمُسْلِمُونَ سَكَنُوهَا قَبْلَ ذَلِكَ ، وَبَنَى مَسْجِدَهَا. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ. |
| وَكَانَ الْعُمَّالُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| وَفِيهَا غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ أَرْمِينِيَّةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ نَوْفَلٍ الْمُلَقَّبُ بِبَبَّةَ بِعُمَانَ ، وَكَانَ يَسْكُنُ الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ذِكْرُ هِلَاكِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ لَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى رُتْبِيلَ مِنْ هَرَاةَ قَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَوْدِيُّ مَا أُرِيدُ أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ لِأَنِّي أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ مَعَكَ ، وَاللَّهِ لَكَأَنِي بِالْحَجَّاجِ وَقَدْ كَتَبَ إِلَى رُتْبِيلَ يُرَغِّبُهُ وَيُرَهِّبُهُ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ بَعَثَ بِكَ سَلْمًا أَوْ قَتَلَكُمْ ، وَلَكِنْ مَعِي خَمْسُمِائَةٍ قَدْ تَبَايَعْنَا عَلَى أَنْ نَدْخُلَ مَدِينَةً نَتَحَصَّنُ بِهَا حَتَّى نُعْطَى الْأَمَانَ ، أَوْ نَمَوْتَ كِرَامًا ، وَلَمْ يَدْخُلْ إِلَى بِلَادِ رُتْبِيلَ مَعَهُ ، وَخَرَجَ هَؤُلَاءِ الْخَمْسُمِائَةِ وَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ مَوْدُودًا الْبَصْرِيَّ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ عُمَارَةُ بْنُ تَمِيمٍ اللَّخْمِيُّ فَحَاصَرَهُمْ ، فَامْتَنَعُوا حَتَّى آمَنَهُمْ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ ، فَوَفَى لَهُمْ. |
| وَتَتَابَعَتْ كُتُبُ الْحَجَّاجِ إِلَى رُتْبِيلَ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنِ ابْعَثْ بِهِ إِلَيَّ ، وَإِلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَأُوطِئَنَّ أَرْضَكَ أَلْفَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ. |
| وَكَانَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَجُلٌ مِنْ تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ عُبَيْدُ بْنُ سُبَيْعٍ التَّمِيمِيُّ ، وَكَانَ رَسُولَهُ إِلَى رُتْبِيلٍ ، فَخُصَّ بِرُتْبِيلَ وَخَفَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ لِأَخِيهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِنِّي لَا آمَنُ غَدْرَ هَذَا التَّمِيمِيِّ ، فَاقْتُلْهُ. |
| فَخَافَهُ عُبَيْدٌ وَوَشَى بِهِ إِلَى رُتْبِيلَ ، وَخَوَّفَهُ الْحَجَّاجَ ، وَدَعَاهُ إِلَى الْغَدْرِ بِابْنِ الْأَشْعَثِ وَقَالَ لَهُ أَنَا آخِذٌ لَكَ مِنَ الْحَجَّاجِ عَهْدًا لَيَكُفَّنَّ عَنْ أَرْضِكَ سَبْعَ سِنِينَ ، عَلَى أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ. |
| فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَخَرَجَ عُبَيْدٌ إِلَى عُمَارَةَ سِرًّا ، فَذَكَرَ لَهُ مَا اسْتَقَرَّ مَعَ رُتْبِيلَ وَمَا بَذَلَ لَهُ ، وَكَتَبَ عُمَارَةُ إِلَى الْحَجَّاجِ بِذَلِكَ ، وَأَجَابَهُ إِلَيْهِ أَيْضًا ، وَبَعَثَ رُتْبِيلُ بِرَأْسِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى الْحَجَّاجِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَانَ قَدْ أَصَابَهُ السُّلُّ فَمَاتَ ، فَأَرْسَلَ رُتْبِيلُ إِلَيْهِ ، فَقَطَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْفَنَ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ. |
| وَقَدْ قِيلَ إِنَّ رُتْبِيلَ لَمَّا صَالَحَ عُمَارَةَ بْنَ تَمِيمٍ اللَّخْمِيَّ عَلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ كَتَبَ عُمَارَةُ إِلَى الْحَجَّاجِ بِذَلِكَ ، فَأَطْلَقَ لَهُ خَرَاجَ بِلَادِهِ عَشْرَ سِنِينَ ، فَأَرْسَلَ رُتْبِيلُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَثَلَاثِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَحَضَرُوا ، فَقَيَّدَهُمْ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى عُمَارَةَ ، فَأَلْقَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفْسَهُ مِنْ سَطْحِ قَصْرٍ فَمَاتَ ، فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ وَسَيَّرَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَسَيَّرَهُ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَسَيَّرَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ هَيْهَاتَ مَوْضِعُ جُثَّةٍ مِنْ رَأْسِهَا... |
| رَأْسٌ بِمِصْرَ وَجُثَّةٌ بِالرُّخَّجِ وَقِيلَ إِنَّ هَلَاكَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ عَنْ خُرَاسَانَ وَوِلَايَةِ أَخِيهِ الْمُفَضَّلِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ الْحَجَّاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ عَنْ خُرَاسَانَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِهِ إِيَّاهُ أَنَّ الْحَجَّاجَ وَفَدَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِرَاهِبٍ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ عِنْدَهُ عِلْمًا. |
| فَدَعَا بِهِ وَسَأَلَهُ هَلْ تَجِدُونَ فِي كُتُبِكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ وَنَحْنُ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ مُسَمًّى أَمْ مَوْصُوفٌ ؟ |
| فَقَالَ كُلُّ ذَلِكَ نَجِدُهُ مَوْصُوفًا بِغَيْرِ اسْمٍ ، وَمُسَمًّى بِغَيْرِ صِفَةٍ. |
| قَالَ فَمَا تَجِدُونَ صِفَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| قَالَ نَجِدُهُ فِي زَمَانِنَا مَلِكٌ أَفْرَعْ ، مَنْ يَقُمْ لِسَبِيلِهِ يُصْرَعْ. |
| قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟ |
| قَالَ اسْمُ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ ، ثُمَّ رَجُلٌ اسْمُهُ اسْمُ نَبِيٍّ يُفْتَحُ بِهِ عَلَى النَّاسِ. |
| قَالَ أَفَتَعْلَمُ مَنْ يَلِي بَعْدِي ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ. |
| قَالَ أَفَتَعْرِفُ صِفَتَهُ ؟ |
| قَالَ يَغْدِرُ غَدْرَةً ، لَا أَعْرِفُ غَيْرَ هَذَا. |
| فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، ثُمَّ سَارَ وَهُوَ وَجِلٌ مِنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ. |
| ثُمَّ عَادَ وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَذُمُّ يَزِيدَ وَآلَ الْمُهَلَّبِ ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّهُمْ زُبَيْرِيَّةٌ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ إِنِّي لَا أَرَى طَاعَتَهُمْ لِآلِ الزُّبَيْرِ نَقْصًا بِآلِ الْمُهَلَّبِ ، وَفَاؤُهُمْ لَهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْوَفَاءِ لِي. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يُخَوِّفُهُ غَدْرَهُ وَبِمَا قَالَ الرَّاهِبُ. |
| فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَيْهِ إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ فِي يَزِيدَ وَآلِ الْمُهَلَّبِ ، فَسَمِّ لِي رَجُلًا يَصْلُحُ لِخُرَاسَانَ. |
| فَسَمَّى قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ وَلِّهِ. |
| وَبَلَغَ يَزِيدَ أَنَّ الْحَجَّاجَ عَزَلَهُ ، فَقَالَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ مَنْ تَرَوْنَ الْحَجَّاجُ يُوَلِّي خُرَاسَانَ ؟ |
| قَالُوا رَجُلًا مِنْ ثَقِيفٍ. |
| قَالَ كَلَّا ، وَلَكِنَّهُ يَكْتُبُ إِلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ بِعَهْدِهِ ، فَإِذَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ عَزَلَهُ ، وَوَلَّى رَجُلًا مِنْ قَيْسٍ ، وَأَخْلِقْ بِقُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ. |
| فَلَمَّا أَذِنَ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي عَزْلِ يَزِيدَ كَرِهَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ بِعَزْلِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ أَخَاهُ الْمُفَضَّلَ وَيُقْبِلَ إِلَيْهِ. |
| وَاسْتَشَارَ يَزِيدُ حُضَيْنَ بْنَ الْمُنْذِرِ الرَّقَاشِيَّ ، فَقَالَ لَهُ أَقِمْ وَاعْتَلَّ ، وَاكْتُبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُقِرَّكَ ، فَإِنَّهُ حَسَنُ الْحَالِ وَالرَّأْيِ فِيكَ. |
| قَالَ يَزِيدُ نَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ بُورِكَ لَنَا فِي الطَّاعَةِ ، وَأَنَا أَكْرَهُ الْخِلَافَ. |
| فَأَخَذَ يَتَجَهَّزُ ، فَأَبْطَأَ ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْمُفَضَّلِ إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ خُرَاسَانَ. |
| فَجَعَلَ الْمُفَضَّلُ يَسْتَحِثُّ يَزِيدَ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ إِنَّ الْحَجَّاجَ لَا يُقِرُّكَ بَعْدِي ، وَإِنَّمَا دَعَاهُ إِلَى مَا صَنَعَ مَخَافَةَ أَنْ أَمْتَنِعَ عَلَيْهِ ، وَسَتَعْلَمُ. |
| وَخَرَجَ يَزِيدُ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ، وَأَقَرَّ الْحَجَّاجُ أَخَاهُ الْمُفَضَّلَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ عَزَلَهُ. |
| وَقَدْ قِيلَ إِنَّ سَبَبَ عَزْلِهِ أَنَّ الْحَجَّاجَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ إِلَّا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَقَدْ كَانَ أَذَلَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ كُلَّهُمْ إِلَّا آلَ الْمُهَلَّبِ وَمَنْ مَعَهُمْ بِخُرَاسَانَ ، وَتَخَوَّفَهُ عَلَى الْعِرَاقِ ، وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَيْهِ لِيَأْتِيَهُ فَيَعْتَلَّ عَلَيْهِ بِالْعَدُوِّ وَالْحُرُوبِ ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِعَزْلِ يَزِيدَ ، وَيُخْبِرُهُ بِطَاعَتِهِمْ لِآلِ الزُّبَيْرِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بِنَحْوِ مَا تَقَدَّمَ ، وَسَاقَ بَاقِيَ الْخَبَرِ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَقَالَ حُضَيْنٌ لِيَزِيدَ أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَأَصْبَحْتَ مَسْلُوبَ الْإِمَارَةِ نَادِمَا فَمَا أَنَا بِالْبَاكِي عَلَيْكَ صَبَابَةً وَمَا أَنَا بِالدَّاعِي لِتَرْجِعَ سَالِمَا قَالَ فَلَمَّا قَدِمَ قُتَيْبَةُ خُرَاسَانَ قَالَ لِحُضَيْنٍ مَا قُلْتَ لِيَزِيدَ ؟ |
| قَالَ قُلْتُ أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَنَفْسُكَ أَوْلِ اللَّوْمَ إِنْ كُنْتَ لَائِمَا فَإِنْ يَبْلُغِ الْحَجَّاجَ أَنْ قَدْ عَصَيْتَهُ فَإِنَّكَ تَلْقَى أَمْرَهُ مُتَفَاقِمَا قَالَ فَمَاذَا أَمَرْتَهُ بِهِ فَعَصَاكَ ؟ |
| قَالَ أَمَرْتُهُ أَنْ لَا يَدَعَ صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا حَمَلَهَا إِلَى الْأَمِيرِ. |
| قَالَ بَعْضُهُمْ فَوَجَدَهُ قُتَيْبَةُ قَارِحًا. |
| وَقِيلَ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى يَزِيدَ اغْزُ خَوَارِزْمَ ، فَكَتَبَ إِنَّهَا قَلِيلَةُ السَّلَبِ ، شَدِيدَةُ الْكَلَبِ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ اسْتَخْلِفْ وَاقْدِمْ. |
| فَكَتَبَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَغْزُوَ خَوَارِزْمَ. |
| فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ لَا تَغْزُهَا فَإِنَّهَا كَمَا ذَكَرْتَ. |
| فَغَزَا وَلَمْ يُطِعْهُ ، فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا وَأَصَابَ سَبْيًا ، وَقَتَلَ فِي الشِّتَاءِ ، وَأَصَابَ النَّاسَ بَرْدٌ ، فَأَخَذُوا ثِيَابَ الْأَسْرَى ، فَمَاتَ ذَلِكَ السَّبْيُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ أَنِ اقْدِمْ. |
| فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِبَلَدٍ إِلَّا فَرَشَ أَهْلُهُ الرَّيَاحِينَ. |
| حُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ الْمَضْمُومَةِ ، وَالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَآخِرُهُ نُونٌ . |
| ذِكْرُ غَزْوِ الْمُفَضَّلِ بَاذَغِيسَ وَآخَرُونَ لَمَّا وَلِيَ الْمُفَضَّلُ خُرَاسَانَ غَزَا بَاذَغِيسَ فَفَتَحَهَا ، وَأَصَابَ مَغْنَمًا فَقَسَّمَهُ ، فَأَصَابَ كُلُّ رَجُلٍ ثَمَانِيَ مِائَةٍ. |
| ثُمَّ غَزَا آخَرُونَ وَشُومَانَ ، فَغَنِمَ وَقَسَّمَ مَا أَصَابَ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُفَضَّلِ بَيْتُ مَالٍ ، كَانَ يُعْطِي النَّاسَ كُلَّمَا جَاءَ شَيْءٌ ، وَإِنْ غَنِمَ شَيْئًا قَسَّمَهُ بَيْنَهُمْ. |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ بِتِرْمِذَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ مَصِيرِهِ إِلَى تِرْمِذَ أَنَّ أَبَاهُ لَمَّا قَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ ، تَفَرَّقَ عَنْهُ أَكْثَرُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْهُمْ ، فَخَرَجَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَخَافَ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى ثَقَلِهِ بِمَرْوَ ، فَقَالَ لِابْنِهِ مُوسَى خُذْ ثَقَلِي ، وَاقْطَعْ نَهْرَ بَلْخٍ حَتَّى تَلْتَجِئَ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ ، وَإِلَى حِصْنٍ تُقِيمُ فِيهِ. |
| فَرَحَلَ مُوسَى عَنْ مَرْوَ فِي عِشْرِينَ وَمِائَتَيْ فَارِسٍ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ تَتِمَّةُ أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، فَأَتَى زَمَّ ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا ، فَظَفِرَ بِهِمْ فَأَصَابَ مَالًا ، وَقَطَعَ النَّهْرَ وَأَتَى بُخَارَى ، فَسَأَلَ صَاحِبَهَا أَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ فَأَبَى. |
| فَخَافَهُ وَقَالَ رَجُلٌ فَاتِكٌ وَأَصْحَابُهُ مِثْلُهُ فَلَا آمَنُهُ. |
| وَوَصَلَهُ وَسَارَ ، فَلَمْ يَأْتِ مَلِكًا يَلْجَأُ إِلَيْهِ إِلَّا كَرِهَ مُقَامَهُ عِنْدَهُ ، فَأَتَى سَمَرْقَنْدَ فَأَقَامَ بِهَا ، وَأَكْرَمَهُ مَلِكُهَا طَرْخُونُ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي الْمُقَامِ ، وَأَقَامَ مَا شَاءَ اللَّهُ. |
| وَلِأَهْلِ الصُّغْدِ مَائِدَةٌ يُوضَعُ عَلَيْهَا لَحْمٌ وَخَلٌّ وَخُبْزٌ وَإِبْرِيقُ شَرَابٍ ، وَذَلِكَ كُلُّ عَامٍ يَوْمًا ، يَجْعَلُونَ ذَلِكَ لِفَارِسِ الصُّغْدِ ، فَلَا يَقْرَبُهُ غَيْرُهُ ، فَإِنْ أَكَلَ مِنْهُ أَحَدٌ بَارَزَهُ ، فَأَيُّهُمَا قَتَلَ صَاحِبَهُ فَالْمَائِدَةُ لَهُ. |
| فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مُوسَى مَا هَذِهِ الْمَائِدَةُ ؟ |
| فَأُخْبِرَ ، فَجَلَسَ فَأَكَلَ مَا عَلَيْهَا ، وَقِيلَ لِصَاحِبِ الْمَائِدَةِ فَجَاءَ مُغَضَبًا وَقَالَ يَا عَرَبِيُّ بَارِزْنِي! |
| فَبَارَزَهُ فَقَتَلَهُ صَاحِبُ مُوسَى ، فَقَالَ مَلِكُ الصُّغْدِ أَنْزَلْتُكُمْ وَأَكْرَمْتُكُمْ فَقَتَلْتُمْ فَارِسِي ، لَوْلَا أَنِّي آمَنْتُكَ وَأَصْحَابَكَ لَقَتَلْتُكُمْ ، اخْرُجُوا عَنْ بَلَدِي. |
| فَخَرَجُوا. |
| فَأَتَى كِشَّ ، فَضَعُفَ صَاحِبُهَا عَنْهُ ، فَاسْتَنْصَرَ طَرْخُونَ فَأَتَاهُ ، فَخَرَجَ مُوسَى إِلَيْهِ وَقَدِ اجْتَمَعَ مَعَهُ سَبْعُمِائَةِ فَارِسٍ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى أَمْسَوْا وَتَحَاجَزُوا ، وَبِأَصْحَابِ مُوسَى جِرَاحٌ كَثِيرَةٌ ، فَقَالَ لِزُرْعَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ احْتَلْ لَنَا عَلَى طَرْخُونَ. |
| فَأَتَاهُ فَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَا حَاجَتُكَ إِلَى أَنْ تَقْتُلَ مُوسَى وَتُقْتَلَ مَعَهُ ، فَإِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلُوا مِثْلَ عِدَّتِهِمْ مِنْكُمْ ، وَلَوْ قَتَلْتَهُ وَإِيَّاهُمْ جَمِيعًا مَا نِلْتَ حَظًّا ، لِأَنَّ لَهُ قَدْرًا فِي الْعَرَبِ ، فَلَا يَأْتِي أَحَدٌ خُرَاسَانَ إِلَّا طَالَبَكَ بِدَمِهِ. |
| فَقَالَ لَيْسَ لِي إِلَى تَرْكِ كِشَّ فِي يَدِهِ سَبِيلٌ. |
| قَالَ فَكُفَّ عَنْهُ حَتَّى يَرْتَحِلَ. |
| فَكَفَّ. |
| وَسَارَ مُوسَى فَأَتَى تِرْمِذَ وَبِهَا حِصْنٌ يُشْرِفُ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ ، فَنَزَلَ مُوسَى خَارِجَ الْحِصْنِ ، وَسَأَلَ تِرْمِذَشَاهَ أَنْ يُدْخِلَهُ حِصْنَهُ فَأَبَى ، فَأَهْدَى لَهُ مُوسَى وَلَاطَفَهُ حَتَّى حَصَلَ بَيْنَهُمَا مَوَدَّةٌ ، وَخَرَجَ فَتَصَيَّدَ مَعَهُ. |
| فَصَنَعَ صَاحِبُ تِرْمِذَ طَعَامًا ، وَأَحْضَرَ مُوسَى لِيَأْكُلَ مَعَهُ ، وَلَا يَحْضُرُ إِلَّا فِي مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَاخْتَارَ مُوسَى مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَدَخَلُوا الْحِصْنَ وَأَكَلُوا ، فَلَمَّا فَرَغُوا قَالَ لَهُ اخْرُجْ. |
| قَالَ لَا أَخْرُجُ حَتَّى يَكُونَ الْحِصْنُ بَيْتِي أَوْ قَبْرِي. |
| وَقَاتَلَهُمْ فَقُتِلَ مِنْهُمْ عِدَّةٌ ، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ ، وَاسْتَوْلَى مُوسَى عَلَيْهَا ، وَأَخْرَجَ تِرْمِذَشَاهَ مِنْهَا وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ وَلَا لِأَصْحَابِهِ ، فَأَتَوُا التُّرْكَ يَسْتَنْصِرُونَهُمْ عَلَى مُوسَى فَلَمْ يَنْصُرُوهُمْ وَقَالُوا لَا نُقَاتِلُ هَؤُلَاءِ. |
| وَأَقَامَ مُوسَى بِتِرْمِذَ ، فَأَتَاهُ جَمْعٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِيهِ فَقَوِيَ بِهِمْ ، فَكَانَ يَخْرُجُ فَيُغِيرُ عَلَى مَا حَوْلَهُ. |
| ثُمَّ وَلِيَ بُكَيْرُ بْنُ وَسَّاجٍ خُرَاسَانَ فَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ ، ثُمَّ قَدِمَ أُمَيَّةُ فَسَارَ بِنَفْسِهِ يُرِيدُ مُخَالَفَةَ بُكَيْرٍ فَرَجَعَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ أُمَيَّةَ وَجَّهَ إِلَى مُوسَى بَعْدَ صُلْحِ بُكَيْرٍ رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَعَادَ أَهْلُ تِرْمِذَ إِلَى التُّرْكِ ، فَاسْتَنْصَرُوهُمْ وَأَعْلَمُوهُمْ أَنَّهُ قَدْ غَزَاهُ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ وَحَصَرُوهُ. |
| فَسَارَتِ التُّرْكُ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ إِلَى الْخُزَاعِيِّ ، فَأَطَافَ بِمُوسَى التُّرْكُ وَالْخُزَاعِيُّ ، فَكَانَ يُقَاتِلُ الْخُزَاعِيَّ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَالتُّرْكَ آخِرَ النَّهَارِ ، فَقَاتَلَهُمْ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً. |
| ثُمَّ إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّتَ الْخُزَاعِيَّ وَعَسْكَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ خَالِدِ بْنِ حُصَيْنٍ الْكِلَابِيُّ لِيَكُنِ الْبَيَاتُ بِالْعَجَمِ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ أَشَدُّ حَذَرًا وَأَجْرَأُ عَلَى اللَّيْلِ ، فَإِذَا فَرَغْنَا مِنَ الْعَجَمِ تَفَرَّغْنَا لِلْعَرَبِ. |
| فَأَقَامَ حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ ، وَخَرَجَ مُوسَى فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَقَالَ لِعَمْرِو بْنِ خَالِدٍ اخْرُجْ بَعْدَنَا ، فَكُنْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ قَرِيبًا ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا. |
| ثُمَّ سَارَ حَتَّى ارْتَفَعَ فَوْقَ عَسْكَرِ التُّرْكِ ، وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ ، وَجَعَلَ أَصْحَابَهُ أَرْبَاعًا ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَآهُمْ أَصْحَابُ الْأَرْصَادِ قَالُوا مَنْ أَنْتُمْ ؟ |
| قَالُوا عَابِرُو سَبِيلٍ. |
| فَلَمَّا جَاوَزُوا الرَّصَدَ حَمَلُوا عَلَى التُّرْكِ وَكَبَّرُوا ، فَلَمْ يَشْعُرِ التُّرْكُ إِلَّا بِوَقْعِ السُّيُوفِ فِيهِمْ ، فَسَارُوا يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَوَلَّوْا ، فَأُصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَحَوُوا عَسْكَرَهُمْ وَأَصَابُوا سِلَاحًا كَثِيرًا وَمَالًا ، وَأَصْبَحَ الْخُزَاعِيُّ وَأَصْحَابُهُ وَقَدْ كَسْرَهُمْ ذَلِكَ ، فَخَافُوا مِثْلَهَا ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ لِمُوسَى إِنَّنَا لَا نَظْفَرُ إِلَّا بِمَكِيدَةٍ ، وَلَهُمْ أَمْدَادًا ، وَهُمْ كَثِيرُونَ ، فَدَعْنِي آتِهِ لَعَلِّي أُصِيبُ فُرْصَةً ، فَاضْرِبْنِي وَخَلَاكَ ذَمٌّ. |
| فَقَالَ لَهُ مُوسَى تَتَعَجَّلُ الضَّرْبَ وَتَتَعَرَّضُ لِلْقَتْلِ. |
| قَالَ أَمَّا التَّعَرُّضُ لِلْقَتْلِ فَأَنَا كُلُّ يَوْمٍ مُتَعَرِّضٌ لَهُ ، وَأَمَّا الضَّرْبُ فَمَا أَيْسَرَهُ فِي جَنْبِ مَا أُرِيدُ. |
| فَضَرَبَهُ مُوسَى خَمْسِينَ سَوْطًا ، فَخَرَجَ مِنْ عَسْكَرِ مُوسَى وَأَتَى عَسْكَرَ الْخُزَاعِيِّ مُسْتَأْمِنًا ، وَقَالَ أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَتَيْتُ ابْنَهُ فَكُنْتُ مَعَهُ ، وَإِنَّهُ اتَّهَمَنِي وَقَالَ قَدْ تَعَصَّبْتَ لِعَدُوِّنَا وَأَنْتَ عَيْنٌ لَهُ ، فَضَرَبَنِي وَلَمْ آمَنِ الْقَتْلَ فَهَرَبْتُ مِنْهُ. |
| فَآمَنَهُ الْخُزَاعِيُّ وَأَقَامَ مَعَهُ ، فَدَخَلَ يَوْمًا وَهُوَ خَالٍ وَلَمْ يَرَ عِنْدَهُ سِلَاحًا ، فَقَالَ كَأَنَّهُ يَنْصَحُ لَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّ مِثْلَكَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِغَيْرِ سِلَاحٍ. |
| قَالَ إِنَّ مَعِي سِلَاحًا. |
| فَرَفَعَ طَرَفَ فِرَاشِهِ فَإِذَا سَيْفٌ مُنْتَضًى ، فَأَخَذَهُ عَمْرٌو فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَخَرَجَ فَرَكِبَ فَرَسَهُ وَأَتَى مُوسَى ، وَتَفَرَّقَ ذَلِكَ الْجَيْشُ ، وَأَتَى بَعْضُهُمْ مُوسَى مُسْتَأْمِنًا فَآمَنَهُ ، وَلَمْ يُوَجِّهْ إِلَيْهِ أُمَيَّةُ أَحَدًا. |
| وَعُزِلَ أُمَيَّةُ وَقِدَمَ الْمُهَلَّبُ أَمِيرًا ، فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِمُوسَى وَقَالَ لِبْنَيْهِ إِيَّاكُمْ وَمُوسَى ، فَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ وُلَاةَ خُرَاسَانَ مَا دَامَ هَذَا الثَّبِطُ بِمَكَانِهِ ، فَإِنْ قُتِلَ فَأَوَّلُ طَالِعٍ عَلَيْكُمْ أَمِيرٌ عَلَى خُرَاسَانَ مِنْ قَيْسٍ. |
| فَلَمَّا مَاتَ الْمُهَلَّبُ وَوَلِيَ يَزِيدُ لَمْ يَتَعَرَّضْ أَيْضًا لِمُوسَى. |
| وَكَانَ الْمُهَلَّبُ قَدْ ضَرَبَ حُرَيْثَ بْنَ قُطْبَةَ الْخُزَاعِيَّ ، فَخَرَجَ هُوَ وَأَخُوهُ ثَابِتٌ إِلَى مُوسَى ، فَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ أَخَذَ أَمْوَالَهُمَا وَحُرَمَهُمَا ، وَقَتَلَ أَخَاهُمَا لِأُمِّهِمَا الْحَارِثَ بْنَ مُنْقِذٍ ، فَخَرَجَ ثَابِتٌ إِلَى طَرْخُونَ ، فَشَكَا إِلَيْهِ مَا صَنَعَ بِهِ ، وَكَانَ ثَابِتٌ مَحْبُوبًا إِلَى التُّرْكِ بَعِيدَ الصَّوْتِ فِيهِمْ ، فَغَضِبَ لَهُ طَرْخُونُ ، وَجَمَعَ لَهُ نَيْزَكَ وَالسَّبْلَ وَأَهْلَ بُخَارَى وَالصَّغَانِيانَ ، فَقَدِمُوا مَعَ ثَابِتٍ إِلَى مُوسَى ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَى مُوسَى فَلُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ مِنْ هَرَاةَ ، وَفَلُّ ابْنِ الْأَشْعَثِ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ كَابُلَ ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ ، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ وَحُرَيْثٌ سِرْ حَتَّى تَقْطَعَ النَّهْرَ ، وَتُخْرِجَ يَزِيدَ عَنْ خُرَاسَانَ وَنُوَلِّيكَ. |
| فَهَمَّ أَنْ يَفْعَلَ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ إِنْ أَخْرَجْتَ يَزِيدَ عَنْ خُرَاسَانَ تَوَلَّى ثَابِتٌ وَأَخُوهُ خُرَاسَانَ وَغَلَبَاكَ عَلَيْهَا. |
| فَلَمْ يَسِرْ وَقَالَ لِثَابِتٍ وَحُرَيْثٍ إِنْ أَخْرَجْنَا يَزِيدَ قَدِمَ عَامِلٌ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَكِنَّا نُخْرِجُ عُمَّالَ يَزِيدَ عَمَّا وَرَاءَ النَّهْرِ وَيَكُونُ لَنَا ، فَأَخْرَجُوا عُمَّالَ يَزِيدَ عَمَّا وَرَاءَ النَّهْرِ وَجَبَوُا الْأَمْوَالَ ، فَقَوِيَ أَمْرُهُمْ ، وَانْصَرَفَ طَرْخُونُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَاسْتَبَدَّ ثَابِتٌ وَحُرَيْثٌ بِتَدْبِيرِ الْأَمْرِ ، وَالْأَمِيرُ مُوسَى لَيْسَ لَهُ غَيْرُ الِاسْمِ. |
| فَقِيلَ لِمُوسَى لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأُمُورِ شَيْءٌ ، وَالْأُمُورُ إِلَى ثَابِتٍ وَحُرَيْثٍ فَاقْتُلْهُمَا وَتَوَلَّ الْأَمْرَ. |
| فَأَبَى ، فَأَلَحُّوا عَلَيْهِ حَتَّى أَفْسَدُوا قَلْبَهُ عَلَيْهِمَا ، وَهَمَّ بِقَتْلِهِمَا. |
| فَإِنَّهُمْ لَفِي ذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمُ الْهَيَاطِلَةُ وَالتُّبَّتُ وَالتُّرْكُ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا يُعِدُّونَ الْحَاسِرَ ، وَلَا صَاحِبَ الْبَيْضَةِ الْجَمَّاءِ ، وَلَا يُعِدُّونَ إِلَّا صَاحِبَ بَيْضَةٍ ذَاتِ قَوْنَسٍ. |
| فَخَرَجَ ابْنُ خَازِمٍ وَقَاتَلَهُمْ فِيمَنْ مَعَهُ ، وَوَقَفَ مَلِكُ التُّرْكِ عَلَى تَلٍّ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ فِي أَكْمَلِ عُدَّةٍ ، وَالْقِتَالُ أَشَدُّ مَا كَانَ ، فَقَالَ مُوسَى إِنْ أَزَلْتُمْ هَؤُلَاءِ فَلَيْسَ الْبَاقُونَ بِشَيْءٍ. |
| فَقَصَدَ لَهُمْ حُرَيْثُ بْنُ قُطْبَةَ فَقَاتَلَهُمْ وَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَزَالَهُمْ عَنِ التَّلِّ ، وَرُمِيَ حُرَيْثٌ بِنَشَّابَةٍ فِي جَبْهَتِهِ ، فَتَحَاجَزُوا ، فَبَيَّتَهُمْ مُوسَى ، وَحَمَلَ أَخُوهُ خَازِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَمْعَةِ مُلْكِهِمْ ، فَوَجَأَ رَجُلًا مِنْهُمْ بِقَبِيعَةِ سَيْفِهِ ، فَطَعَنَ فَرَسَهُ ، فَاحْتَمَلَهُ الْفَرَسُ فَأَلْقَاهُ فِي نَهْرِ بَلْخٍ فَغَرِقَ ، وَقُتِلَ مِنَ التُّرْكِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَنَجَا مَنْ نَجَا مِنْهُمْ بِشَرٍّ ، وَمَاتَ حُرَيْثٌ بَعْدَ يَوْمَيْنِ. |
| وَرَجَعَ مُوسَى ، وَحَمَلَ مَعَهُ الرُّؤُوسَ فَبَنَى مِنْهَا جَوْسَقَيْنِ. |
| وَقَالَ أَصْحَابُ مُوسَى قَدْ كُفِينَا أَمْرَ حُرَيْثٍ ، فَاكْفِنَا أَمْرَ ثَابِتٍ. |
| فَأَبَى ، وَبَلَغَ ثَابِتًا بَعْضُ مَا يَخُوضُونَ فِيهِ ، فَدَسَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْخُزَاعِيَّ عَمَّ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، عَامِلَ أَبِي مُسْلِمٍ عَلَى الرَّيِّ عَلَى مُوسَى ، وَقَالَ إِيَّاكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَإِنْ سَأَلُوكَ فَقُلْ أَنَا مِنْ سَبْيِ الْبَامِيَانِ. |
| فَفَعَلَ ذَلِكَ وَاتَّصَلَ بِمُوسَى ، وَكَانَ يَخْدِمُهُ وَيَنْقُلُ إِلَى ثَابِتٍ خَبَرَهُمْ ، فَحَذِرَ ثَابِتٌ ، وَأَلَحَّ الْقَوْمُ عَلَى مُوسَى. |
| فَقَالَ لَهُمْ لَيْلَةً لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَيَّ وَفِيمَا تُرِيدُونَ هَلَاكُكُمْ ، فَعَلَى أَيِّ وَجْهٍ تَقْتُلُونَهُ ، وَأَنَا لَا أَغْدِرُ بِهِ ؟ |
| قَالَ لَهُ أَخُوهُ نُوحٌ إِذَا أَتَاكَ غَدًا عَدَلْنَا بِهِ إِلَى بَعْضِ الدُّورِ ، فَضَرَبْنَا عُنُقَهُ فِيهَا قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ. |
| فَقَالَ وَاللَّهِ إِنَّهُ هَلَاكُكُمْ ، وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ. |
| فَخَرَجَ الْغُلَامُ فَأَتَى ثَابِتًا فَأَخْبَرَهُ ، فَخَرَجَ مِنْ لَيْلَتِهِ فِي عِشْرِينَ فَارِسًا وَمَضَى. |
| وَأَصْبَحُوا فَلَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يَرَوُا الْغُلَامَ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ كَانَ عَيْنًا لَهُ. |
| وَنَزَلَ ثَابِتٌ بِحُوشَرَا ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، فَأَقْبَلَ مُوسَى إِلَيْهِ وَقَاتَلَهُ ، وَتَحَصَّنَ ثَابِتٌ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَتَاهُ طَرْخُونُ مُعِينًا لَهُ ، فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى تِرْمِذَ ، وَأَقْبَلَ ثَابِتٌ وَطَرْخُونُ وَمَعَهُمَا أَهْلُ بُخَارَى وَنَسَفَ وَكِشَّ ، فَاجْتَمَعُوا فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا ، فَحَصَرُوا مُوسَى حَتَّى جَهِدَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ قَالَ يَزِيدُ بْنُ هُذَيْلٍ وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّ ثَابِتًا أَوْ لَأَمُوتَنَّ. |
| فَخَرَجَ إِلَى ثَابِتٍ فَاسْتَأْمَنَهُ ، فَقَالَ لَهُ ظُهَيْرٌ أَنَا أَعْرَفُ بِهَذَا مِنْكَ ، مَا أَتَاكَ إِلَّا بِغَدْرِهِ فَاحْذَرْهُ ، فَأَخَذَ ابْنَيْهِ قُدَامَةَ وَالضَّحَّاكَ رَهْنًا ، فَكَانَا فِي يَدِ ظُهَيْرٍ. |
| وَأَقَامَ يَزِيدُ يَلْتَمِسُ غِرَّةَ ثَابِتٍ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَا يُرِيدُ حَتَّى مَاتَ ابْنٌ لِزِيَادٍ الْقَصِيرِ الْخُزَاعِيِّ ، فَخَرَجَ ثَابِتٌ إِلَيْهِ لِيُعَزِّيَهُ وَهُوَ بِغَيْرِ سِلَاحٍ وَقَدْ غَابَتِ الشَّمْسُ ، فَدَنَا يَزِيدُ مِنْ ثَابِتٍ فَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَوَصَلَ إِلَى الدِّمَاغِ وَهَرَبَ فَسَلِمَ ، وَأَخَذَ طَرْخُونُ قُدَامَةَ وَالضَّحَّاكَ ابْنَيْ يَزِيدَ فَقَتَلَهُمَا ، وَعَاشَ ثَابِتٌ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَمَاتَ ، وَقَامَ بِأَمْرِ الْعَجَمِ بَعْدَ مَوْتِ ثَابِتٍ طَرْخُونُ ، وَقَامَ ظُهَيْرٌ بِأَمْرِ أَصْحَابِ ثَابِتٍ ، فَقَامَا قِيَامًا ضَعِيفًا ، وَانْتَشَرَ أَمْرُهُمْ وَأَجْمَعَ مُوسَى عَلَى بَيَاتِهِمْ ، فَأُخْبِرَ طَرْخُونُ بِذَلِكَ فَضَحِكَ ، وَقَالَ مُوسَى يَعْجِزُ أَنْ يَدْخُلَ مُتَوَضَّأَهُ ، فَكَيْفَ يُبَيِّتُنَا ؟ |
| لَا يَحْرُسُ اللَّيْلَةَ أَحَدٌ. |
| فَخَرَجَ مُوسَى فِي ثَمَانِمِائَةٍ وَجَعَلَهُمْ أَرْبَاعًا وَبَيَّتَهُمْ ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا ضَرَبُوهُ ، مِنْ رَجُلٍ وَدَابَّةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَبِسَ نَيْزَكٌ سِلَاحَهُ وَوَقَفَ ، وَأَرْسَلَ طَرْخُونُ إِلَى مُوسَى أَنْ كُفَّ أَصْحَابَكَ ، فَإِنَّا نَرْحَلُ إِذَا أَصْبَحْنَا. |
| فَرَجَعَ مُوسَى وَارْتَحَلَ طَرْخُونُ وَالْعَجَمُ جَمِيعًا. |
| فَكَانَ أَهْلُ خُرَاسَانَ يَقُولُونَ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مُوسَى وَلَا سَمِعْنَا بِهِ ، قَاتَلَ مَعَ أَبِيهِ سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجَ يَسِيرُ فِي بِلَادِ خُرَاسَانَ ، فَأَتَى مَلِكًا فَغَلَبَ عَلَى مَدِينَتِهِ وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا ، وَسَارَ الْجُنُودُ مِنَ الْعَرَبِ وَالتُّرْكِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ يُقَاتِلُ الْعَرَبَ أَوَّلَ النَّهَارِ وَالتُّرْكَ آخِرَ النَّهَارِ. |
| وَأَقَامَ مُوسَى فِي الْحِصْنِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَصَارَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ لِمُوسَى لَا يُنَازِعُهُ فِيهِ أَحَدٌ. |
| فَلَمَّا عُزِلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَوَلِيَ الْمُفَضَّلُ أَرَادَ أَنْ يَحْظَى عِنْدَ الْحَجَّاجِ بِقِتَالِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَسَيَّرَ عُثْمَانَ بْنَ مَسْعُودٍ إِلَيْهِ فِي جَيْشٍ ، وَكَتَبَ إِلَى مُدْرِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ بِبَلْخٍ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ مَعَهُ ، فَعَبَرَ النَّهْرَ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، فَكَتَبَ إِلَى السَّبْلِ وَإِلَى طَرْخُونَ فَقَدِمُوا عَلَيْهِ ، فَحَصَرُوا مُوسَى وَضَيَّقُوا عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ. |
| فَمَكَثَ شَهْرَيْنِ فِي ضِيقٍ ، وَقَدْ خَنْدَقَ عُثْمَانُ عَلَيْهِ وَحَذِرَ الْبَيَاتَ ، فَقَالَ مُوسَى لِأَصْحَابِهِ اخْرُجُوا بِنَا ، حَتَّى مَتَى نَصْبِرُ ، فَاجْعَلُوا يَوْمَكُمْ مَعَهُمْ إِمَّا ظَفِرْتُمْ وَإِمَّا قُتِلْتُمْ ، وَاقْصِدُوا التُّرْكَ. |
| فَخَرَجُوا وَخَلَّفَ النَّضْرَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ فِي الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ لَهُ إِنْ قُتِلْتُ فَلَا تَدْفَعَنَّ الْمَدِينَةَ إِلَى عُثْمَانَ ، وَادْفَعْهَا إِلَى مُدْرِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ. |
| وَخَرَجَ وَجَعَلَ ثُلُثَ أَصْحَابِهِ بِإِزَاءِ عُثْمَانَ ، وَقَالَ لَا تُقَاتِلُوهُ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلَكُمْ. |
| وَقَصَدَ لِطَرْخُونَ وَأَصْحَابَهُ فَصَدَقُوهُمُ الْقِتَالَ ، فَانْهَزَمَ طَرْخُونُ وَأَخَذُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَزَحَفَتِ التُّرْكُ وَالصُّغْدُ فَحَالُوا بَيْنَ مُوسَى وَالْحِصْنِ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَعَقَرُوا فَرَسَهُ فَسَقَطَ ، فَقَالَ لِمَوْلًى لَهُ احْمِلْنِي ، فَقَالَ الْمَوْتُ كَرِيهٌ ، وَلَكِنِ ارْتَدِفْ ، فَإِنْ نَجَوْنَا نَجَوْنَا جَمِيعًا ، وَإِنْ هَلَكْنَا هَلَكْنَا جَمِيعًا. |
| قَالَ فَارْتَدَفَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ حِينَ وَثَبَ قَالَ وَثْبَةُ مُوسَى وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! |
| وَقَصَدَ إِلَى مُوسَى ، وَعُقِرَتْ دَابَّةُ مُوسَى فَسَقَطَ هُوَ وَمَوْلَاهُ ، فَقَتَلُوهُ ، وَنَادَى مُنَادِي عُثْمَانَ مَنْ لَقِيتُمُوهُ فَخُذُوهُ أَسِيرًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا. |
| فَقَتَلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ الْأَسْرَى خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْعَرَبِ خَاصَّةً ، فَكَانَ يَقْتُلُ الْعَرَبَ ، وَيَضْرِبُ الْمَوْلَى وَيُطْلِقُهُ ، وَكَانَ فَظًّا غَلِيظًّا. |
| وَكَانَ الَّذِي أَجْهَزَ عَلَى مُوسَى وَاصِلُ بْنُ طَيْسَلَةَ الْعَنْبَرِيُّ. |
| وَبَقِيَتِ الْمَدِينَةُ بِيَدِ النَّضْرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، فَلَمْ يَدْفَعْهَا إِلَى عُثْمَانَ ، وَسَلَّمَهَا إِلَى مُدْرِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَآمَنَهُ ، فَسَلَّمَهَا مُدْرِكٌ إِلَى عُثْمَانَ. |
| وَكَتَبَ الْمُفَضَّلُ إِلَى الْحَجَّاجِ بِقَتْلِ مُوسَى فَقَالَ الْعَجَبُ مِنْهُ! |
| أَكْتُبُ إِلَيْهِ بِقَتْلِ ابْنِ سَبْرَةَ فَيَكْتُبُ إِلَيَّ أَنَّهُ لِمَآبِهِ ، وَيَكْتُبُ إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَ مُوسَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ. |
| وَلَمْ يَسُرَّهُ قَتْلُ مُوسَى لِأَنَّهُ مِنْ قَيْسٍ. |
| وَقُتِلَ مُوسَى سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ، وَضَرَبَ رَجُلٌ مِنَ الْجُنْدِ سَاقَ مُوسَى ، فَلَمَّا وَلِيَ قُتَيْبَةُ قَالَ مَا دَعَاكَ إِلَى مَا صَنَعْتَ بِفَتَى الْعَرَبِ بَعْدَ مَوْتِهِ ؟ |
| قَالَ كَانَ قَتَلَ أَخِي. |
| فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ. |
| ذِكْرُ مَوْتِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَالْبَيْعَةِ لِلْوَلِيدِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَرَادَ أَنْ يَخْلَعَ أَخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَيُبَايِعَ لِابْنِهِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ وَقَالَ لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّكَ تَبْعَثُ عَلَى نَفْسِكَ صَوْتَ عَارٍ ، وَلَعَلَّ الْمَوْتَ يَأْتِيهِ فَتَسْتَرِيحَ مِنْهُ . |
| فَكَفَّ عَنْهُ وَنَفْسُهُ تُنَازِعُهُ إِلَى خَلْعِهِ. |
| فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَوْحُ بْنُ زِنْبَاعٍ ، وَكَانَ أَجَلَّ النَّاسِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ خَلَعْتَهُ مَا انْتَطَحَ فِيهِ عَنْزَانِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُجِيبُكَ إِلَى ذَلِكَ. |
| قَالَ نُصْبِحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. |
| وَنَامَ رَوْحٌ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ وَهُمَا نَائِمَانِ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى حُجَّابِهِ أَنْ لَا يَحْجُبُوا قَبِيصَةَ عَنْهُ ، وَكَانَ إِلَيْهِ الْخَاتَمُ وَالسِّكَّةُ ، تَأْتِيهِ الْأَخْبَارُ قَبْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْكُتُبُ. |
| فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ عَلَيْهِ ، قَالَ آجَرَكَ اللَّهُ فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخِيكَ. |
| قَالَ هَلْ تُوُفِّيَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| فَاسْتَرْجَعَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَوْحٍ وَقَالَ كَفَانَا اللَّهُ مَا كُنَّا نُرِيدُ ، وَكَانَ ذَلِكَ مُخَالِفًا لَكَ يَا قَبِيصَةُ. |
| فَقَالَ قَبِيصَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الرَّأْيَ كُلَّهُ فِي الْأَنَاةِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَرُبَّمَا كَانَ فِي الْعَجَلَةِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، رَأَيْتَ أَمْرَ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، أَلَمْ تَكُنِ الْعَجَلَةُ فِيهِ خَيْرًا مِنَ الْأَنَاةِ ؟ |
| وَكَانَتْ وَفَاةُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي جُمَادَى الْأُولَى فِي مِصْرَ ، فَضَمَّ عَبْدُ الْمَلِكِ عَمَلَهُ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَوَلَّاهُ مِصْرَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْحَجَّاجَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُزَيِّنُ لَهُ بَيْعَةَ الْوَلِيدِ ، وَأَوْفَدَ فِي ذَلِكَ وَفْدًا ، فَلَمَّا أَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ خَلْعَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْبَيْعَةَ لِلْوَلِيدِ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ يَصِيرَ هَذَا الْأَمْرُ لِابْنِ أَخِيكَ. |
| فَأَبَى ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ لِيَجْعَلَ الْأَمْرَ لَهُ ، وَيَجْعَلَهُ لَهُ أَيْضًا مِنْ بَعْدِهِ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ إِنِّي أَرَى فِي ابْنِي أَبِي بَكْرٍ مَا تَرَى فِي الْوَلِيدِ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ لِيَحْمِلَ خَرَاجَ مِصْرَ ، فَأَجَابَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ إِنِّي وَإِيَّاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَلَغْنَا سِنًّا لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ إِلَّا كَانَ بَقَاؤُهُ قَلِيلًا ، وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَيُّنَا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ أَوَّلًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا تُفْسِدَ عَلَيَّ بَقِيَّةَ عُمُرِي فَافْعَلْ. |
| فَرَقَّ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَتَرَكَهُ ، وَقَالَ لِلْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ إِنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَكُمَا الْخِلَافَةَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ عَلَى رَدِّ ذَلِكَ. |
| فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَيْثُ رَدَّهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَطَعَنِي فَاقْطَعْهُ. |
| فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَالَ أَهْلُ الشَّامِ رُدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَهُ. |
| فَلَمَّا أَتَى خَبَرُ مَوْتِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ أَمَرَ النَّاسَ بِالْبَيْعَةِ لِابْنَيْهِ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ ، فَبَايَعُوا ، وَكَتَبَ بِالْبَيْعَةِ لَهُمَا إِلَى الْبُلْدَانِ. |
| وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ فَأَجَابُوا ، إِلَّا سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ فَإِنَّهُ أَبَى وَقَالَ لَا أُبَايِعُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ حَيٌّ ، فَضَرَبَهُ هِشَامٌ ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، وَطَافَ بِهِ وَهُوَ فِي تُبَّانِ شَعْرٍ حَتَّى بَلَغَ رَأْسَ الثَّنِيَّةِ الَّتِي يَقْتُلُونَ وَيَصْلُبُونَ عِنْدَهَا ، ثُمَّ رَدُّوهُ وَحَبَسُوهُ. |
| فَقَالَ سَعِيدٌ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ لَا يَصْلُبُونَنِي مَا لَبِسْتُ ثِيَابَ مَسُوحٍ ، وَلَكِنَّنِي قُلْتُ يَصْلُبُونَنِي فَيَسْتُرُنِي. |
| فَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْخَبَرُ فَقَالَ قَبَّحَ اللَّهُ هِشَامًا ، إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَهُ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَإِنْ أَبَى أَنْ يُبَايِعَ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ أَوْ يَكُفُّ عَنْهُ. |
| وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَلُومُهُ وَيَقُولُ لَهُ إِنَّ سَعِيدًا لَيْسَ عِنْدَهُ شِقَاقٌ وَلَا خِلَافٌ. |
| وَقَدْ كَانَ سَعِيدٌ امْتَنَعَ مِنْ بَيْعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَالَ لَا أُبَايِعُ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ. |
| فَضَرَبَهُ جَابِرُ بْنُ الْأَسْوَدِ عَامِلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ سِتِّينَ سَوْطًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فَكَتَبَ إِلَى جَابِرٍ يَلُومُهُ وَقَالَ مَا لَنَا وَلِسَعِيدٍ ، دَعْهُ لَا تَعْرِضْ لَهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ بَيْعَةَ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ كَانَتْ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ ، قَبْلَ قُدُومِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ مِصْرَ ، فَلَمَّا فَارَقَهُ وَصَّاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فَقَالَ ابْسُطْ بِشْرَكَ ، وَأَلِنْ كَنَفَكَ ، وَآثِرِ الرِّفْقَ فِي الْأُمُورِ ، فَهُوَ أَبْلَغُ بِكَ ، وَانْظُرْ حَاجِبَكَ ، وَلْيَكُنْ مِنْ خَيْرِ أَهْلِكَ ، فَإِنَّهُ وَجْهُكَ وَلِسَانُكَ ، وَلَا يَقِفَنَّ أَحَدٌ بِبَابِكَ إِلَّا أَعْلَمَكَ مَكَانَهُ ، لِتَعْلَمَ أَنْتَ الَّذِي تَأْذَنُ لَهُ أَوْ تَرُدُّهُ ، فَإِذَا خَرَجْتَ إِلَى مَجْلِسِكَ فَابْدَأْ جُلَسَاءَكَ بِالْكَلَامِ يَأْنَسُوا بِكَ ، وَتَثْبُتَ فِي قُلُوبِهِمْ مَحَبَّتُكَ ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَيْكَ مُشْكِلٌ فَاسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِالْمُشَاوَرَةِ ، فَإِنَّهَا تَفْتَحُ مَغَالِيقَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ نِصْفَ الرَّأْيِ وَلِأَخِيكَ نَصْفَهُ ، وَلَنْ يَهْلِكَ امْرُؤٌ عَنْ مَشُورَةٍ ، وَإِذَا سَخِطْتَ عَلَى أَحَدٍ فَأَخِّرْ عُقُوبَتَهُ ، فَإِنَّكَ عَلَى الْعُقُوبَةِ بَعْدَ التَّوَقُّفِ عَنْهَا أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّهَا بَعْدَ إِمْضَائِهَا. |
| وَالسَّلَامُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ حَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيُّ. |
| وَكَانَ الْعَامِلَ عَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ. |
| وَفِيهَا غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ أَرْمِينِيَّةَ ، فَصَافَ فِيهَا وَشَتَّى. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ الْمَخْزُومِيُّ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ سَبْعٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ حَلِيفُ بَنِي عَدِيٍّ ، وَكَانَ لَهُ لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعُ سِنِينَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ ذِكْرُ وَفَاةِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ ، وَكَانَ يَقُولُ أَخَافُ الْمَوْتَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فِيهِ وُلِدْتُ ، وَفِيهِ فُطِمْتُ ، وَفِيهِ جَمَعْتُ الْقُرْآنَ ، وَفِيهِ بَايَعَ لِي النَّاسُ. |
| فَمَاتَ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ حِينَ أَمِنَ الْمَوْتَ فِي نَفْسِهِ. |
| وَكَانَ عُمُرُهُ سِتِّينَ سَنَةً ، وَقِيلَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ مِنْ لَدُنْ قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ ، وَقِيلَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. |
| وَلَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُهُ قَالَ بَعْضُ الْأَطِبَّاءِ إِنْ شَرِبَ الْمَاءَ مَاتَ. |
| فَاشْتَدَّ عَطَشُهُ فَقَالَ يَا وَلِيدُ ، اسْقِنِي مَاءً. |
| قَالَ لَا أُعِينُ عَلَيْكَ. |
| فَقَالَ لِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ اسْقِينِي مَاءً. |
| فَمَنَعَهَا الْوَلِيدُ. |
| فَقَالَ لَتَدَعَنَّهَا أَوْ لَأَخْلَعَنَّكَ. |
| فَقَالَ لَمْ يَبْقَ بَعْدَ هَذَا شَيْءٌ ، فَسَقَتْهُ فَمَاتَ. |
| وَدَخَلَ الْوَلِيدُ عَلَيْهِ وَابْنَتُهُ فَاطِمَةُ عِنْدَ رَأْسِهِ تَبْكِي فَقَالَ كَيْفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| قَالَ هُوَ أَصْلَحُ. |
| فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَمُسْتَخْبِرٌ عَنَّا يُرِيدُ لَنَا الرَّدَى وَمُسْتَخْبِرَاتٌ وَالدُّمُوعُ سَوَاجِمُ وَأَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهَا أَزْيَنُ حِلْيَةٍ وَأَحْصَنُ كَهْفٍ ، لِيَعْطِفِ الْكَبِيرُ مِنْكُمْ عَلَى الصَّغِيرِ ، وَلْيَعْرِفِ الصَّغِيرُ حَقَّ الْكَبِيرِ ، وَانْظُرُوا مَسْلَمَةَ فَاصْدُرُوا عَنْ رَأْيِهِ ، فَإِنَّهُ نَابُكُمُ الَّذِي عَنْهُ تَفْتَرُّونَ ، وَمَجَنُّكُمُ الَّذِي عَنْهُ تَرْمُونَ ، فَأَكْرِمُوا الْحَجَّاجَ ، فَإِنَّهُ الَّذِي وَطَّأَ لَكُمُ الْمَنَابِرَ ، وَدَوَّخَ لَكُمُ الْبِلَادَ ، وَأَذَلَّ الْأَعْدَاءَ ، وَكُونُوا بَنِي أُمٍّ بَرَرَةً لَا تَدِبُّ بَيْنَكُمُ الْعَقَارِبُ ، وَكُونُوا فِي الْحَرْبِ أَمْرَارًا ، فَإِنَّ الْقِتَالَ لَا يُقَرِّبُ مَيْتَةً ، وَكُونُوا لِلْمَعْرُوفِ مَنَارًا ، فَإِنَّ الْمَعْرُوفَ يَبْقَى أَجْرُهُ وَذِكْرُهُ ، وَضَعُوا مَعْرُوفَكُمْ عِنْدَ ذَوِي الْأَحْسَابِ ، فَإِنَّهُمْ أَصْوَنُ لَهُ وَأَشْكَرُ لِمَا يُؤْتَى إِلَيْهِمْ مِنْهُ ، وَتَمَغَّدُوا ذُنُوبَ أَهْلِ الذُّنُوبِ ، فَإِنِ اسْتَقَالُوا فَأَقِيلُوا ، وَإِنْ عَادُوا فَانْتَقِمُوا. |
| وَلَمَّا تُوُفِّيَ دُفِنَ خَارِجَ بَابِ الْجَابِيَةِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْوَلِيدُ ، فَتَمَثَّلَ هِشَامٌ فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا فَقَالَ الْوَلِيدُ اسْكُتْ ، فَإِنَّكَ تَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ شَيْطَانٍ ، أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ إِذَا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ تَخَمَّطَ مِنَّا نَابُ آخَرَ مُقْرَمِ وَقِيلَ إِنَّ سُلَيْمَانَ تَمَثَّلَ بِالْبَيْتِ الْأَوَّلِ. |
| وَهُوَ الصَّحِيحُ; لِأَنَّ هِشَامًا كَانَ صَغِيرًا لَهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً. |
| وَقَدْ رَثَى الشُّعَرَاءُ عَبْدَ الْمَلِكِ ، كُثَيِّرُ عَزَّةَ وَغَيْرُهُ ، فَمِمَّا قِيلَ فِيهِ سَقَاكَ ابْنَ مَرْوَانٍ مِنَ الْغَيْثِ مُسْبِلُ أَجَشُّ شَمَالِيٌّ يَجُودُ وَيَهْطِلُ فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ رَغْبَةٌ لِحُرٍّ وَإِنْ كُنَّا الْوَلِيدَ نُؤَمَّلُ ذِكْرُ نَسَبِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ أَمَّا نَسَبُهُ فَهُوَ أَبُو الْوَلِيدِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ. |
| وَأُمُّهُ عَائِشَةُ بِنْتُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ. |
| وَأَمَّا أَوْلَادُهُ وَأَزْوَاجُهُ فَمِنْهُمْ الْوَلِيدُ ، وَسُلَيْمَانُ ، وَمَرْوَانُ الْأَكْبَرُ دَرَجَ ، وَعَائِشَةُ ، أُمُّهُمْ وَلَّادَةُ بِنْتُ الْعَبَّاسِ بْنِ جَزْءِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ خُزَيْمَةَ الْعَبْسِيَّةُ. |
| وَمِنْهُمْ يَزِيدُ ، وَمَرْوَانُ ، وَمُعَاوِيَةُ دَرَجَ ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ ، وَأُمُّهُمْ عَاتِكَةُ ابْنَةُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. |
| وَمِنْهُمْ هِشَامٌ ، وَأُمُّهُ أُمُّ هِشَامٍ بِنْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيَّةُ ، وَاسْمُهَا عَائِشَةُ ، وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ ، وَهُوَ بَكَّارٌ ، أُمُّهُ عَائِشَةُ بِنْتُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ. |
| وَمِنْهُمُ الْحَكَمُ دَرَجَ ، أُمُّهُ أُمُّ أَيُّوبَ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. |
| وَمِنْهُمْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، أُمُّهَا أُمُّ الْمُغِيرَةِ بِنْتُ الْمُغِيرَةِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ. |
| وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ ، وَمَسْلَمَةُ ، وَالْمُنْذِرُ ، وَعَنْبَسَةُ ، وَمُحَمَّدٌ ، وَسَعِيدُ الْخَيْرِ ، وَالْحَجَّاجُ ، لِأُمَّهَاتِ أَوْلَادٍ. |
| وَكَانَ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ شَقْرَاءُ بِنْتُ مُسْلِمِ بْنِ حُلَيْسٍ الطَّائِيِّ ، وَأُمُّ أَبِيهَا ابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. |
| وَقِيلَ كَانَ عِنْدَهُ ابْنَةٌ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. |
| وَلَا يَصِحُّ. |
| ذِكْرُ بَعْضِ أَخْبَارِهِ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَاقِلًا ، حَازِمًا ، أَدِيبًا ، لَبِيبًا ، عَالِمًا. |
| قَالَ أَبُو الزِّيَادِ كَانَ فُقَهَاءُ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَةً سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ ، وَعُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وَقَبِيصَةَ بْنَ ذُؤَيْبٍ ، وَعَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ. |
| وَقَالَ الشَّعْبِيُّ مَا ذَاكَرْتُ أَحَدًا إِلَّا وَجَدْتُ لِيَ الْفَضْلَ عَلَيْهِ إِلَّا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَإِنِّي مَا ذَاكَرْتُهُ حَدِيثًا إِلَّا زَادَنِي فِيهِ ، وَلَا شِعْرًا إِلَّا زَادَنِي فِيهِ. |
| وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ عُقْبَةَ الْخَطَائِيُّ قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ. |
| فَقَالَ شَيَّبَنِي ارْتِقَاءُ الْمَنَابِرِ وَخَوْفُ اللَّحْنِ. |
| وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَقْوَى عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مِنِّي ، إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَطَوِيلُ الصَّلَاةِ ، كَثِيرُ الصِّيَامِ ، وَلَكِنْ لِبُخْلِهِ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ سَائِسًا. |
| قَالَ أَبُو مُسْهِرٍ قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ فِي مَرَضِهِ كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ |
| قَالَ أَجِدُنِي كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ الأنعام الْآيَةَ. |
| وَقَالَ الْمُفَضَّلُ بْنُ فَضَالَةَ عَنْ أَبِيهِ اسْتَأْذَنَ قَوْمٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَرَضِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَقَدْ أَسْنَدَهُ خَصِيٌّ إِلَى صَدْرِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّكُمْ دَخَلْتُمْ عَلَيَّ عِنْدَ إِقْبَالِ آخِرَتِي وَإِدْبَارِ دُنْيَايَ ، وَإِنِّي تَذَكَّرْتُ أَرْجَى عَمَلٍ لِي فَوَجَدْتُهَا غَزْوَةً غَزْوَتُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَا خِلْوٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيًّا أَبْوَابَنَا هَذِهِ الْخَبِيثَةَ أَنْ تُطِيفُوا بِهَا. |
| وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّنُوخِيُّ لَمَّا نَزَلَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْمَوْتُ أَمَرَ بِفَتْحِ بَابِ قَصْرِهِ ، فَإِذَا قَصَّارٌ يُقَصِّرُ ثَوْبًا فَقَالَ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَّارًا! |
| يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَّارًا! |
| مَرَّتَيْنِ. |
| فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَفْزَعُونَ إِلَيْنَا وَلَا نَفْزَعُ إِلَيْهِمْ. |
| وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ حِينَ ثَقُلَ جَعَلَ يَلُومُ نَفْسَهُ ، وَيَضْرِبُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أَكْتَسِبُ يَوْمًا بِيَوْمٍ مَا يُقَوِّتُنِي ، وَأَشْتَغِلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ. |
| فَذُكِرَ ذَلِكَ لِابْنِ خَازِمٍ ، فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ عِنْدَ الْمَوْتِ مَا نَحْنُ فِيهِ ، وَلَا نَتَمَنَّى عِنْدَ الْمَوْتِ مَا هُمْ فِيهِ. |
| وَقَالَ مَسْعُودُ بْنُ خَلَفٍ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فِي مَرَضِهِ وَاللَّهِ وَدِدْتُ أَنِّي عَبْدٌ لِرَجُلٍ مِنْ تِهَامَةَ أَرْعَى غَنَمًا فِي جِبَالِهَا ، وَأَنِّي لَمْ أَكُ شَيْئًا. |
| وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى الْمُؤَدِّبُ يُرْوَى أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُهُ قَالَ ارْفَعُونِي عَلَى شَرَفٍ. |
| فَفُعِلَ ذَلِكَ. |
| فَتَنَسَّمَ الرَّوْحَ ثُمَّ قَالَ يَا دُنْيَا مَا أَطْيَبَكِ! |
| إِنَّ طَوِيلَكِ لَقَصِيرٌ ، وَإِنَّ كَبِيرَكِ لَحَقِيرٌ ، وَإِنْ كُنَّا مِنْكِ لَفِي غُرُورٍ! |
| وَتَمَثَّلَ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِنْ تُنَاقِشْ يَكُنْ نِقَاشُكَ يَارَبِّ عَذَابًا ، لَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ أَوْ تُجَاوِزْ فَأَنْتَ رَبٌّ صَفُوحٌ عَنْ مُسِيءٍ ذُنُوبُهُ كَالتُّرَابِ وَيُرْوَى أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ تَمَثَّلَ بِهَا مُعَاوِيَةُ ، وَيَحِقُّ لِعَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَحْذَرَ هَذَا الْحَذَرَ وَيَخَافَ ، فَإِنَّ مَنْ يَكُنِ الْحَجَّاجُ بَعْضَ سَيِّئَاتِهِ يَعْلَمُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَقْدَمُ عَلَيْهِ. |
| قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، صِرْتُ أَعْمَلُ الْخَيْرَ فَلَا أُسِرُّ بِهِ ، وَأَصْنَعُ الشَّرَّ فَلَا أُسَاءُ بِهِ. |
| فَقَالَ الْآنَ تَكَامَلَ فِيكَ مَوْتُ الْقَلْبِ. |
| وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَوَّلَ مَنْ غَدَرَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِعْلُهُ بِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَقَلَ الدِّيوَانَ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَوَّلَ مَنْ نَهَى عَنِ الْكَلَامِ فِي حَضْرَةِ الْخُلَفَاءِ ، وَكَانَ النَّاسُ قَبْلَهُ يُرَاجِعُونَهُمْ ، وَأَوَّلَ خَلِيفَةٍ بَخِلَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ رَشْحُ الْحِجَارَةِ لِبُخْلِهِ ، وَأَوَّلَ مَنْ نَهَى عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَلَا يَأْمُرُنِي أَحَدٌ بِتَقْوَى اللَّهِ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ. |
| بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ذِكْرُ خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَلَمَّا دُفِنَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ انْصَرَفَ الْوَلِيدُ عَنْ قَبْرِهِ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، فَخَطَبَهُمْ ، وَقَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مُصِيبَتِنَا لِمَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا مِنَ الْخِلَافَةِ ، قُومُوا فَبَايِعُوا. |
| وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَزَّى نَفْسَهُ وَهَنَّأَهَا ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَامَ لِبَيْعَتِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَمَّامٍ السَّلُولِيَّ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا... |
| وَقَدْ أَرَادَ الْمُلْحِدُونَ عَوْقَهَا عَنْكَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا سَوْقَهَا... |
| إِلَيْكَ حَتَّى قَلَّدُوكَ طَوْقَهَا فَبَايَعَهُ ثُمَّ قَامَ النَّاسُ لِبَيْعَتِهِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْوَلِيدَ لَمَّا صَعِدَ الْمِنْبَرَ حَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا مُقَدِّمَ لِمَا أَخَّرَ اللَّهُ ، وَلَا مُؤَخِّرَ لِمَا قَدَّمَ ، وَهَذَا كَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَسَابِقِ عِلْمِهِ ، وَمَا كَتَبَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَحَمَلَةِ عَرْشِهِ الْمَوْتُ ، وَقَدْ صَارَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ وَلِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالَّذِي يَحِقُّ عَلَيْهِ لِلَّهِ مِنَ الشِّدَّةِ عَلَى الْمُرِيبِ ، وَاللِّينِ لِأَهْلِ الْحَقِّ وَالْفَضْلِ ، وَإِقَامَةِ مَنْ أَقَامَ اللَّهُ مِنْ مَنَارِ الْإِسْلَامِ ، وَأَعْلَامِ مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ ، وَغَزْوِ الثُّغُورِ ، وَشَنِّ الْغَارَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ عَاجِزًا وَلَا مُفَرِّطًا. |
| أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَرْدِ. |
| أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَبْدَى لَنَا ذَاتَ نَفْسِهِ ضَرَبْنَا الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ ، وَمَنْ سَكَتَ مَاتَ بِدَائِهِ ، ثُمَّ نَزَلَ ، وَكَانَ جَبَّارًا عَنِيدًا. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ قُتَيْبَةَ خُرَاسَانَ وَمَا كَانَ مِنْهُ هَذِهِ السَّنَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ قُتَيْبَةُ خُرَاسَانَ أَمِيرًا عَلَيْهَا لِلْحَجَّاجِ ، فَقَدِمَهَا وَالْمُفَضَّلُ يَعْرِضُ الْجُنْدَ لِلْغَزَاةِ ، فَخَطَبَ قُتَيْبَةُ النَّاسَ ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ وَسَارَ ، وَجَعَلَ بِمُرْوَ عَلَى حَرْبِهَا إِيَاسَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، وَعَلَى الْخَرَاجِ عُثْمَانَ السَّعِيدِيَّ. |
| فَلَمَّا كَانَ بِالطَّالْقَانِ أَتَاهُ دَهَاقِينُ بَلْخٍ وَسَارُوا مَعَهُ ، فَقَطَعَ النَّهْرَ ، فَتَلَقَّاهُ مَلِكُ الصَّغَانَيَانِ بِهَدَايَا وَمَفَاتِيحَ مِنْ ذَهَبٍ وَدَعَاهُ إِلَى بِلَادِهِ ، فَمَضَى مَعَهُ ، فَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ; لِأَنَّ مَلِكَ آخْرُونَ وَشُومَانَ كَانَ يُسِيءُ جِوَارَهُ. |
| ثُمَّ سَارَ قُتَيْبَةُ مِنْهَا إِلَى آخْرُونَ وَشُومَانَ ، وَهُمَا مِنْ طَخَارِسْتَانَ ، فَصَالَحَهُ مَلِكُهَا عَلَى فِدْيَةٍ أَدَّاهَا إِلَيْهِ فَقَبِلَهَا قُتَيْبَةُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَرْوَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْجُنْدِ أَخَاهُ صَالِحَ بْنَ مُسْلِمٍ ، فَفَتَحَ صَالِحٌ بَعْدَ رُجُوعِ قُتَيْبَةَ كَاشَّانَ وَأُورِشْتَ ، وَهِيَ مِنْ فَرْغَانَةَ ، وَفَتَحَ أَخْسَيْكِتَ ، وَهِيَ مَدِينَةُ فَرْغَانَةَ الْقَدِيمَةِ ، وَكَانَ مَعَهُ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ ، فَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا. |
| وَقِيلَ إِنَّ قُتَيْبَةَ قَدِمَ خُرَاسَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ، فَعَرَضَ الْجُنْدَ ، فَغَزَا آخْرُونَ وَشُومَانَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَرْوَ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ أَقَامَ السَّنَةَ ، وَلَمْ يَقْطَعِ النَّهْرَ لِسَبَبِ بِلْخَ ، فَإِنَّ بَعْضَهَا كَانَ مُنْتَقِضًا عَلَيْهِ فَحَارَبَهُمْ ، وَكَانَ مِمَّنْ سَبَى امْرَأَةَ بَرْمَكَ أَبِي خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ ، وَكَانَ بَرْمَكُ عَلَى النُّوبْهَارِ ، فَصَارَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ أَخِي قُتَيْبَةَ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا. |
| ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ بَلْخَ صَالَحُوهُ ، وَأَمَرَ قُتَيْبَةُ بِرَدِّ السَّبْيِ ، فَقَالَتِ امْرَأَةُ بَرْمَكَ لِعَبْدِ اللَّهِ إِنِّي قَدْ عَلِقْتُ مِنْكَ ، وَحَضَرَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُسْلِمٍ الْوَفَاةُ ، فَأَوْصَى أَنْ يُلْحَقَ بِهِ مَا فِي بَطْنِهَا ، وَرُدَّتْ إِلَى بَرْمَكَ. |
| فَذُكِرَ أَنَّ وَلَدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ جَاءُوا أَيَّامَ الْمَهْدِيِّ حِينَ قَدِمَ الرَّيَّ إِلَى خَالِدٍ فَادَّعُوهُ. |
| فَقَالَ لَهُمْ مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكُمْ إِنِ اسْتَلْحَقْتُمُوهُ فَفَعَلَ مِنْ أَنْ تُزَوِّجُوهُ. |
| فَتَرَكُوهُ. |
| وَكَانَ بَرْمَكُ طَبِيبًا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرْضَ الرُّومِ. |
| وَفِيهَا حَبَسَ الْحَجَّاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، وَعَزَلَ حَبِيبَ بْنَ الْمُهَلَّبِ عَنْ كَرْمَانَ ، وَعَبْدَ الْمَلِكِ عَنْ شُرْطَتِهِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيُّ. |
| وَكَانَ الْأَمِيرُ عَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ كُلِّهِ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي أَيَّامِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَاتَ أُسَيْدُ بْنُ ظُهَيْرٍ الْأَنْصَارِيُّ. |
| أُسَيْدٌ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ. |
| وَظُهَيْرٌ بِضَمِّ الظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ . |
| وَفِيهَا مَاتَ عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ، وَهُوَ ابْنُ أُمِّ سَلَمَةَ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ عَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ الْخُزَاعِيُّ ، وَوُلِدَ أَوَّلَ سَنَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَحَنَّكَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ عَلَى خَاتَمِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ فَقِيهًا. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَوُلِدَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ سَلَمَةُ بْنُ أُمِّ سَلَمَةَ رَبِيبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى الْأَسْلَمِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ ، شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ وَخَيْبَرَ. |
| وَفِي آخِرِ أَيَّامِهِ مَاتَ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَوُلِدَ فِي آخِرِ زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ لَاحِقُ بْنُ حُمَيْدٍ أَبُو مِجْلَزٍ السَّدُوسِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ ذِكْرُ إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْمَدِينَةِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ الْوَلِيدُ هِشَامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْمَدِينَةِ لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ عَلَيْهَا أَرْبَعَ سِنِينَ غَيْرَ شَهْرٍ أَوْ نَحْوِهِ ، وَوَلَّى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَدِينَةَ ، فَقَدِمَهَا وَالِيًا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَثَقَلُهُ عَلَى ثَلَاثِينَ بَعِيرًا ، فَنَزَلَ دَارَ مَرْوَانَ ، وَجَعَلَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ النَّاسُ فَيُسَلِّمُونَ ، فَلَمَّا صَلَّى الظُّهْرَ دَعَا عَشْرَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ فِي الْمَدِينَةِ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وَأَبَا بَكْرِ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَأَبَا بَكْرِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَسُلَيْمَانَ بْنَ يَسَارٍ ، وَالْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، وَسَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَخَارِجَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّمَا دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرٍ تُؤْجَرُونَ عَلَيْهِ ، وَتَكُونُونَ فِيهِ أَعْوَانًا عَلَى الْحَقِّ ، لَا أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَ أَمْرًا إِلَّا بِرَأْيِكُمْ أَوْ بِرَأْيِ مَنْ حَضَرَ مِنْكُمْ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا يَتَعَدَّى ، أَوْ بَلَغَكُمْ عَنْ عَامِلٍ لِي ظُلَامَةٌ فَأُحَرِّجُ اللَّهَ عَلَى مَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ إِلَّا بَلَّغَنِي. |
| فَخَرَجُوا يَجْزُونَهُ خَيْرًا وَافْتَرَقُوا. |
| وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَقِفَ هِشَامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ لِلنَّاسِ ، وَكَانَ سَيِّئَ الرَّأْيِ فِيهِ ، وَكَانَ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ يُسِيءُ جِوَارَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَخَافَهُ هِشَامٌ ، فَتَقَدَّمَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ إِلَى خَاصَّتِهِ أَلَّا يَعْرِضَ لَهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ ، وَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ وَقَدْ وُقِفَ لِلنَّاسِ وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ ، فَنَادَاهُ هِشَامٌ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ الأنعام . |
| ذِكْرُ صُلْحِ قُتَيْبَةَ وَنِيزَكَ وَلَمَّا صَالَحَ قُتَيْبَةُ مَلِكَ شُومَانَ كَتَبَ إِلَى نِيزَكَ طَرْخَانَ صَاحِبِ بَاذَغِيسَ فِي إِطْلَاقِ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أُسَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَتَهَدَّدُهُ ، فَخَافَهُ نِيزَكُ فَأَطْلَقَ الْأَسْرَى وَبَعَثَ بِهِمْ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ قُتَيْبَةُ مَعَ سُلَيْمٍ النَّاصِحِ مَوْلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ يَدْعُوهُ إِلَى الصُّلْحِ وَإِلَى أَنْ يُؤَمِّنَهُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَقْدَمْ عَلَيْهِ لَيَغْزُونَّهُ ثُمَّ لَيَطْلُبَنَّهُ حَيْثُ كَانَ ، حَتَّى يَظْفَرَ بِهِ أَوْ يَمُوتَ دُونَهُ. |
| فَقَدِمَ سُلَيْمٌ بِالْكِتَابِ ، فَقَالَ لَهُ نِيزَكُ ، وَكَانَ يَسْتَنْصِحُهُ يَا سُلَيْمُ مَا أَظُنُّ عِنْدَ صَاحِبِكَ خَيْرًا ، كَتَبَ إِلَيَّ كِتَابًا لَا يُكْتَبُ إِلَى مِثْلِي. |
| فَقَالَ لَهُ سُلَيْمٌ إِنَّهُ رَجُلٌ شَدِيدٌ فِي سُلْطَانِهِ ، سَهْلٌ إِذَا سُوهِلَ ، صَعْبٌ إِذَا عُوسِرَ ، فَلَا يَمْنَعْكَ مِنْهُ غِلْظَةُ كِتَابِهِ إِلَيْكَ ، فَأَحْسِنْ حَالَكَ عِنْدَهُ. |
| فَقَامَ نِيزَكُ مَعَ سُلَيْمٍ ، فَصَالَحَهُ أَهْلُ بَاذَغِيسَ عَلَى أَنْ لَا يَدْخُلَهَا قُتَيْبَةُ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ الرُّومِ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الرُّومَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَدَدًا كَثِيرًا بِسُوسْنَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمِصِّيصَةِ ، وَفَتَحَ حُصُونًا. |
| وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي غَزَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَفَتَحَ حِصْنَ بُولَقَ وَحِصْنَ الْأَخْرَمِ وَحِصْنَ بُولَسَ وَقُمْقُمَ ، وَقَتَلَ مِنَ الْمُسْتَعْرِبَةِ نَحْوًا مِنْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، وَسَبَى ذُرِّيَّتَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ قُتَيْبَةَ بِيكَنْدَ وَلَمَّا صَالَحَ قُتَيْبَةُ نِيزَكَ أَقَامَ إِلَى وَقْتِ الْغَزْوِ ، فَغَزَا بِيكَنْدَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ ، وَهِيَ أَدْنَى مَدَائِنِ بُخَارَى إِلَى النَّهْرِ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِمُ اسْتَنْصَرُوا الصُّغْدَ ، وَاسْتَمَدُّوا مَنْ حَوْلَهُمْ ، فَأَتَوْهُمْ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَأَخَذُوا الطُّرُقَ عَلَى قُتَيْبَةَ ، فَلَمْ يَنْفُذْ لِقُتَيْبَةَ رَسُولٌ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ خَبَرٌ شَهْرَيْنِ ، وَأَبْطَأَ خَبَرُهُ عَلَى الْحَجَّاجِ فَأَشْفَقَ عَلَى الْجُنْدِ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَهُمْ يَقْتَتِلُونَ كُلَّ يَوْمٍ. |
| وَكَانَ لِقُتَيْبَةَ عَيْنٌ مِنَ الْعَجَمِ ، يُقَالُ لَهُ تَنْدُرُ ، فَأَعْطَاهُ أَهْلُ بُخَارَى مَالًا لِيَرُدَّ عَنْهُمْ قُتَيْبَةَ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ سِرًّا مِنَ النَّاسِ إِنَّ الْحَجَّاجَ قَدْ عُزِلَ ، وَقَدْ أَتَى عَامِلٌ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَلَوْ رَجَعْتَ بِالنَّاسِ كَانَ أَصْلَحَ. |
| فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُظْهِرَ الْخَبَرَ فَيَهْلِكَ النَّاسُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْجِدِّ فِي الْقِتَالِ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ قَتْلًا وَأَسْرًا كَيْفَ شَاءُوا ، وَتَحَصَّنَ مَنْ دَخَلَ الْمَدِينَةَ بِهَا ، فَوَضَعَ قُتَيْبَةُ الْفَعَلَةَ لِيَهْدِمَ سُورَهَا ، فَسَأَلُوهُ الصُّلْحَ ، فَصَالَحَهُمْ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَامِلًا ، وَارْتَحَلَ عَنْهُمْ يُرِيدُ الرُّجُوعَ ، فَلَمَّا سَارَ خَمْسَةَ فَرَاسِخَ نَقَضُوا الصُّلْحَ وَقَتَلُوا الْعَامِلَ وَمَنْ مَعَهُ ، فَرَجَعَ قُتَيْبَةُ فَنَقَبَ سُورَهُمْ فَسَقَطَ ، فَسَأَلُوهُ الصُّلْحَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَدَخَلَهَا عَنْوَةً ، وَقَتَلَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ. |
| وَكَانَ فِيمَنْ أُخِذُوا فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ أَعْوَرُ هُوَ الَّذِي اسْتَجَاشَ التُّرْكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ لِقُتَيْبَةَ أَنَا أَفْدِي نَفْسِي بِخَمْسَةِ آلَافِ حَرِيرَةٍ ، قِيمَتُهَا أَلْفُ أَلْفٍ. |
| فَاسْتَشَارَ قُتَيْبَةُ النَّاسَ فَقَالُوا هَذِهِ زِيَادَةٌ فِي الْغَنَائِمِ ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ كَيْدُ هَذَا ، قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا يُرَوَّعُ بِكَ مُسْلِمٌ أَبَدًا! |
| فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ. |
| وَأَصَابُوا فِيهَا مِنَ الْغَنَائِمِ وَالسِّلَاحِ ، وَآنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا لَا يُحْصَى ، وَلَا أَصَابُوا بِخُرَاسَانَ مِثْلَهُ ، فَقَوِيَ الْمُسْلِمُونَ ، وَوَلِيَ قَسْمَ الْغَنَائِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَأْلَانَ الْعَدَوِيُّ أَحَدُ بَنِي مِلْكَانَ ، وَكَانَ قُتَيْبَةُ يُسَمِّيهِ الْأَمِينَ ابْنَ الْأَمِينِ ، فَإِنَّهُ كَانَ أَمِينًا. |
| وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ أَمَانَةِ أَبِيهِ أَنَّ مُسْلِمًا الْبَاهِلِيَّ أَبَا قُتَيْبَةَ قَالَ لِوَأْلَانَ إِنَّ عِنْدِي مَالًا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَوْدِعَكَهُ وَلَا يَعْلَمَ بِهِ أَحَدٌ. |
| قَالَ وَأْلَانُ ابْعَثْ بِهِ مَعَ رَجُلٍ تَثِقُ بِهِ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، وَمُرْهُ إِذَا رَأَى فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ رَجُلًا أَنْ يَضَعَ الْمَالَ وَيَنْصَرِفَ. |
| فَجَعَلَ مُسْلِمٌ الْمَالَ فِي خُرْجٍ ، وَحَمَلَهُ عَلَى بَغْلٍ ، وَقَالَ لِمَوْلًى لَهُ انْطَلِقْ بِهَذَا الْمَالِ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا جَالِسًا ، فَخَلِّ الْبَغْلَ وَانْصَرِفْ. |
| فَفَعَلَ الْمَوْلَى مَا أَمَرَهُ ، وَأَتَى الْمَكَانَ ، وَكَانَ وَأْلَانُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ وَانْتَظَرَ ، وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ مُسْلِمٍ ، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ بَدَا لَهُ فَانْصَرَفَ ، وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَجَاءَ مَوْلَى مُسْلِمٍ فَرَآهُ فَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْبَغْلَ وَرَجَعَ ، فَأَخَذَ التَّغْلِبِيُّ الْبَغْلَ وَالْمَالَ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَظَنَّ مُسْلِمٌ أَنَّ الْمَالَ قَدْ أَخَذَهُ وَأْلَانُ ، فَلَمْ يَسْأَلْهُ حَتَّى احْتَاجَ إِلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ فَقَالَ مَالِي! |
| فَقَالَ مَا قَبَضْتُ شَيْئًا ، وَلَا لَكَ عِنْدِي مَالٌ ، فَكَانَ مُسْلِمٌ يَشْكُوهُ إِلَى النَّاسِ ، فَشَكَاهُ يَوْمًا وَالتَّغْلِبِيُّ جَالِسٌ ، فَخَلَا بِهِ التَّغَلِبِيُّ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْمَالِ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَسَلَّمَ الْمَالَ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَكَانَ مُسْلِمٌ يَأْتِي النَّاسَ وَالْقَبَائِلَ ، فَيَذْكُرُ لَهُمْ عُذْرَ وَأْلَانَ وَيُخْبِرُهُمُ الْخَبَرَ. |
| قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ قُتَيْبَةُ مِنْ فَتْحِ بِيكَنْدَ رَجَعَ إِلَى مَرْوَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ حَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْمَدِينَةِ أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ بْنِ حَزْمٍ. |
| وَكَانَ عَلَى الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ الْحَجَّاجُ ، وَكَانَ خَلِيفَتُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ هَذِهِ السَّنَةِ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيَّ ، وَعَلَى قَضَائِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُذَيْنَةَ ، وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِالْمَدِينَةِ ، وَقِيلَ بِالْيَمَنِ ، وَكَانَ أَصْغَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بِسَنَةٍ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ فِي طَاعُونِ الْجَارِفِ بِالْبَصْرَةِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ الْمِقْدَامُ بْنُ مَعْدِ يَكْرِبَ الْكِنْدِيُّ ، لَهُ صُحْبَةٌ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسِيدٍ. |
| أَسِيدٌ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ. |
| الشِّخِّيرُ بِكَسْرِ الشِّينِ وَالْخَاءِ الْمُعْجَمَتَيْنِ ، وَتَشْدِيدِ الْخَاءِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ ذِكْرُ فَتْحِ طُوَانَةَ مِنْ بَلَدِ الرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بَلَدَ الرُّومِ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ قَدْ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِ أَرْمِينِيَّةَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى مِلْكِ الرُّومِ يُعَرِّفُهُ أَنَّ الْخَزَرَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ مُلُوكِ جِبَالِ أَرْمِينِيَّةَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى قَصْدِ بِلَادِهِ ، فَفِعْلَ ذَلِكَ ، وَقَطَعَ الْوَلِيدُ الْبَعْثَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ ، وَأَكْثَرَ وَأَعْظَمَ جِهَازَهُ ، وَسَارُوا نَحْوَ الْجَزِيرَةِ ، ثُمَّ عَطَفُوا مِنْهَا إِلَى بَلَدِ الرُّومِ ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَالرُّومُ ، فَانْهَزَمَ الرُّومُ ثُمَّ رَجَعُوا ، فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ ، فَبَقِيَ الْعَبَّاسُ فِي نَفَرٍ ، مِنْهُمُ ابْنُ مُحَيْرِيزٍ الْجُمَحِيُّ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ أَيْنَ أَهْلُ الْقُرْآنِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْجَنَّةَ ؟ |
| فَقَالَ ابْنُ مُحَيْرِيزٍ نَادِهِمْ يَأْتُوكَ. |
| فَنَادَى الْعَبَّاسُ يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ! |
| فَأَقْبَلُوا جَمِيعًا ، فَهَزَمَ اللَّهُ الرُّومَ حَتَّى دَخَلُوا طُوَانَةَ ، وَحَصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَفَتَحُوهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى. |
| قِيلَ وَفِيهَا وُلِدَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| ذِكْرُ عِمَارَةِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ يَأْمُرُهُ بِإِدْخَالِ حُجَرِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْ يَشْتَرِيَ مَا فِي نَوَاحِيهِ حَتَّى يَكُونَ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ فِي مِائَتَيْ ذِرَاعٍ ، وَيَقُولُ لَهُ قَدِّمِ الْقِبْلَةَ إِنْ قَدَرْتَ ، وَأَنْتَ تَقْدِرُ لِمَكَانِ أَخْوَالِكَ ، وَإِنَّهُمْ لَا يُخَالِفُونَكَ ، فَمَنْ أَبَى مِنْهُمْ ، فَقَوِّمُوا مُلْكَهُ قِيمَةَ عَدْلٍ ، وَاهْدِمْ عَلَيْهِمْ ، وَادْفَعِ الْأَثْمَانَ إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّ لَكَ فِي عُمَرَ وَعُثْمَانَ أُسْوَةٌ. |
| فَأَحْضَرَهُمْ عُمَرُ وَأَقْرَأَهُمُ الْكِتَابَ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى الثَّمَنِ ، فَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ ، وَأَخَذُوا فِي هَدْمِ بُيُوتِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَنَى الْمَسْجِدَ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِمُ الْفَعَلَةُ مِنَ الشَّامِ ، أَرْسَلَهُمُ الْوَلِيدُ ، وَبَعَثَ الْوَلِيدُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يُعْلِمُهُ أَنَّهُ قَدْ هَدَمَ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيُعَمِّرَهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ مِائَةَ أَلْفِ مِثْقَالِ ذَهَبٍ ، وَمِائَةَ عَامِلٍ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ مِنَ الْفُسَيْفِسَاءِ بِأَرْبَعِينَ جَمَلًا ، فَبَعَثَ الْوَلِيدُ بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَحَضَرَ عُمَرُ وَمَعَهُ النَّاسُ ، فَوَضَعُوا أَسَاسَهُ ، وَابْتَدَءُوا بِعِمَارَتِهِ. |
| قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الرُّومَ أَيْضًا ، فَفَتَحَ ثَلَاثَةَ حُصُونٍ أَحَدُهَا حِصْنُ قُسْطَنْطِينَ ، وَغَزَالَةَ ، وَحِصْنَ الْأَخْرَمِ ، وَقَتَلَ مِنَ الْمُسْتَعْرِبَةِ نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ نُومُشَكَتَ وَرَامِثْنَةَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ نُومُشَكَثَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مَرْوَ أَخَاهُ يَسَارَ بْنَ مُسْلِمٍ ، فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا فَصَالَحَهُمْ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى رَامِثْنَةَ ، فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا وَانْصَرَفَ عَنْهُمْ. |
| وَزَحَفَ إِلَيْهِ التُّرْكُ وَمَعَهُمُ الصُّغْدُ وَأَهْلُ فَرْغَانَةَ فِي مِائَتَيْ أَلْفٍ ، وَمَلِكُهُمْ كُورْمَغَانُونُ بْنُ أُخْتِ مَلِكِ الصِّينِ ، فَاعْتَرَضُوا الْمُسْلِمِينَ ، فَلَحِقُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُسْلِمٍ أَخَا قُتَيْبَةَ وَهُوَ عَلَى السَّاقَةِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ قُتَيْبَةَ وَأَوَائِلِ الْعَسْكَرِ مِيلٌ ، فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْهُ أَرْسَلَ إِلَى قُتَيْبَةَ بِخَبَرِهِ ، وَأَدْرَكَهُ التُّرْكُ فَقَاتَلُوهُ ، وَرَجَعَ قُتَيْبَةُ فَانْتَهَى إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَهُوَ يُقَاتِلُ التُّرْكَ ، وَقَدْ كَادَ التُّرْكُ يَظْهَرُونَ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ قُتَيْبَةَ طَابَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَقَاتَلُوا إِلَى الظُّهْرِ ، وَأَبْلَى يَوْمَئِذٍ نِيزَكُ ، وَهُوَ مَعَ قُتَيْبَةَ ، فَانْهَزَمَ التُّرْكُ ، وَرَجَعَ قُتَيْبَةُ فَقَطَعَ النَّهْرَ عِنْدَ تِرْمِذَ وَأَتَى مَرْوَ. |
| ذِكْرُ مَا عَمِلَ الْوَلِيدُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي تَسْهِيلِ الثَّنَايَا وَحَفْرِ الْآبَارِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْمَلَ الْفَوَّارَةَ بِالْمَدِينَةِ ، فَعَمِلَهَا وَأَجْرَى مَاءَهَا ، فَلَمَّا حَجَّ الْوَلِيدُ وَرَآهَا أَعْجَبَتْهُ ، فَأَمَرَ لَهَا بِقُوَّامٍ يَقُومُونَ عَلَيْهَا ، وَأَمَرَ أَهْلَ الْمَسْجِدِ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهَا ، وَكَتَبَ إِلَى الْبُلْدَانِ جَمِيعِهَا بِإِصْلَاحِ الطُّرُقِ ، وَعَمَلِ الْآبَارِ ، وَمَنْعِ الْمُجَذَّمِينَ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى النَّاسِ ، وَأَجْرَى لَهُمُ الْأَرْزَاقَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَوَصَلَ جَمَاعَةً مِنْ قُرَيْشٍ ، وَسَاقَ مَعَهُ بُدْنًا وَأَحْرَمَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ ، فَلَمَّا كَانَ بِالتَّنْعِيمِ أُخْبِرَ أَنَّ مَكَّةَ قَلِيلَةُ الْمَاءِ ، وَأَنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَى الْحَاجِّ الْعَطَشَ ، فَقَالَ عُمَرُ تَعَالَوْا نَدْعُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَدَعَا وَدَعَا مَعَهُ النَّاسُ ، فَمَا وَصَلُوا الْبَيْتَ إِلَّا مَعَ الْمَطَرِ وَسَالَ الْوَادِي ، فَخَافَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ شِدَّتِهِ ، وَمُطِرَتْ عَرَفَةُ وَمَكَّةُ وَكَثُرَ الْخِصْبُ. |
| وَقِيلَ إِنَّمَا حَجَّ هَذِهِ السَّنَةَ عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَكَانَ الْعُمَّالُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ ، وَقِيلَ بَلْ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَلَهُ مِائَةُ سَنَةٍ. |
| وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرٍ الْمَازِنِيُّ مِنْ مَازِنِ بْنِ مَنْصُورٍ ، وَكَانَ مِمَّنْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ بِالشَّامِ مِنَ الصَّحَابَةِ. |
| بُسْرُ بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَبِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ذِكْرُ غَزْوِ الرُّومِ قِيلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الرُّومَ ، فَافْتَتَحَ مَسْلَمَةُ حِصْنَ عَمُّورِيَّةَ ، وَفَتْحَ الْعَبَّاسُ أَذْرُولِيَّةَ ، وَلَقِيَ مِنَ الرُّومِ جَمْعًا فَهَزَمَهُمْ. |
| وَقِيلَ إِنْ مَسْلَمَةَ قَصَدَ عَمُّورِيَّةَ ، فَلَقِيَ بِهَا جَمْعًا مِنَ الرُّومِ كَثِيرًا ، فَهَزَمَهُمْ وَافْتَتَحَ هِرَقْلَةَ وَقَمُونِيَةَ ، وَغَزَا الْعَبَّاسُ الصَّائِفَةَ مِنْ نَاحِيَةٍ الْبَذَنْدُونِ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ قُتَيْبَةَ بُخَارَى وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَتَى قُتَيْبَةَ كِتَابُ الْحَجَّاجِ يَأْمُرُهُ بِقَصْدِ وَرْدَانَ خُذَاهْ ، فَعَبَرَ النَّهْرَ مِنْ زَمٍّ ، فَلَقِيَ الصُّغْدَ وَأَهْلَ كَشَّ وَنَسَفَ فِي طَرِيقِ الْمَفَازَةِ فَقَاتَلُوهُ ، فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَمَضَى إِلَى بُخَارَى ، فَنَزَلَ خَرْقَانَةَ السُّفْلَى عَنْ يَمِينِ وَرْدَانَ ، فَلَقَوْهُ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَغَزَا وَرْدَانَ خُذَاهْ مَلِكَ بُخَارَى ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِشَيْءٍ ، فَرَجَعَ إِلَى مَرْوَ وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِخَبَرِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ أَنَّ صَوِّرْهَا لِي ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِصُورَتِهَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ أَنْ تُبْ إِلَى اللَّهِ ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، مِمَّا كَانَ مِنْكَ ، وَأْتِهَا مِنْ مَكَانِ كَذَا وَكَذَا ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّ كِسْ بِكَشَّ ، وَانْسِفْ نَسَفَ ، وَرِدْ وَرْدَانَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّحْوِيطَ ، وَدَعْنِي مِنْ ثَنَيَاتِ الطَّرِيقِ. |
| وَقِيلَ إِنَّمَا كَانَ فَتْحُ بُخَارَى سَنَةَ تِسْعِينَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ مَكَّةَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِيَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ مَكَّةَ ، فَخَطَبَ أَهْلَهَا فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّهُمَا أَعْظَمُ ، خَلِيفَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ ، أَوْ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ ؟ |
| وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَعْلَمُوا فَضْلَ الْخَلِيفَةِ إِلَّا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ اسْتَسْقَاهُ فَسَقَاهُ مِلْحًا أُجَاجًا ، وَاسْتَسْقَاهُ الْخَلِيفَةُ فَسَقَاهُ عَذْبًا فُرَاتًا ، يَعْنِي بِالْمِلْحِ زَمْزَمَ ، وَبِالْمَاءِ الْفُرَاتِ بِئْرًا حَفَرَهَا الْوَلِيدُ بِثَنِيَّةِ طِوًى فِي ثَنِيَّةِ الْحَجُونِ ، وَكَانَ مَاؤُهَا عَذْبًا ، وَكَانَ يَنْقُلُ مَاءَهَا وَيَضَعُهُ فِي حَوْضٍ إِلَى جَنْبِ زَمْزَمَ ، لِيُعْرَفَ فَضْلُهُ عَلَى زَمْزَمَ ، فَغَارَتِ الْبِئْرُ وَذَهَبَ مَاؤُهَا ، فَلَا يُدْرَى أَيْنَ هُوَ الْيَوْمَ. |
| وَقِيلَ وَلِيَهَا سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ هُنَاكَ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ ذَاهِرَ مَلِكِ السِّنْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عُقَيْلٍ الثَّقَفِيِّ ، يَجْتَمِعُ هُوَ وَالْحَجَّاجُ فِي الْحَكَمِ ، ذَاهِرَ بْنَ صَعْصَعَةَ مَلِكَ السِّنْدِ ، وَمَلَكَ بِلَادَهُ ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الثَّغْرِ وَسَيَّرَ مَعَهُ سِتَّةَ أَلَافِ مُقَاتِلٍ ، وَجَهَّزَهُ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى الْمَسَالِّ وَالْإِبَرِ وَالْخُيُوطِ ، فَسَارَ مُحَمَّدُ إِلَى مُكْرَانَ فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ أَتَى قَنَّزْبُورَ فَفَتَحَهَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى أَرْمَائِيلَ فَفَتَحَهَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الدَّيْبُلِ ، فَقَدِمَهَا يَوْمَ جُمُعَةٍ ، وَوَافَتْهُ سُفُنٌ كَانَ حَمَلَ فِيهَا الرِّجَالَ وَالسِّلَاحَ وَالْأَدَاةَ ، فَخَنْدَقَ حِينَ نَزَلَ الدَّيْبُلَ ، وَأَنْزَلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ ، وَنَصَبَ مَنْجَنِيقًا يُقَالُ لَهُ الْعَرُوسُ ، كَانَ يَمُدُّ بِهِ خَمْسُمِائَةِ رَجُلٍ ، وَكَانَ بِالدَّيْبُلِ بُدٌّ عَظِيمٌ عَلَيْهِ دَقَلٌ عَظِيمٌ ، وَعَلَى الدَّقَلِ رَايَةٌ حَمْرَاءُ ، إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ أَطَافَتْ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ تَدُورُ ، وَالْبُدُّ صَنَمٌ فِي بِنَاءٍ عَظِيمٍ ، تَحْتَ مَنَارَةٍ عَظِيمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ ، وَفِي رَأْسِ الْمَنَارَةِ هَذَا الدَّقَلُ ، وَكُلُّ مَا يُعْبَدُ فَهُوَ عِنْدَهُمْ بُدٌّ. |
| فَحَصَرَهَا وَطَالَ حِصَارُهَا ، فَرَمَى الدَّقَلَ بِحَجْرِ الْعَرُوسِ فَكَسَرَهُ ، فَتَطَيَّرَ الْكُفَّارُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا أَتَى وَنَاهَضَهُمْ وَقَدْ خَرَجُوا إِلَيْهِ ، فَهَزَمَهُمْ حَتَّى رَدَّهُمْ إِلَى الْبَلَدِ ، وَأَمَرَ بِالسَّلَالِيمِ فَنُصِبَتْ ، وَصَعِدَ عَلَيْهَا الرِّجَالُ ، وَكَانَ أَوَّلَهُمْ صُعُودًا رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَفُتِحَتْ عَنْوَةً ، وَقَتَلَ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَهَرَبَ عَامِلُ ذَاهِرَ عَنْهَا ، وَأَنْزَلَهَا مُحَمَّدٌ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَنَى جَامِعَهَا ، وَسَارَ عَنْهَا إِلَى الْبِيرُونَ ، وَكَانَ أَهْلُهَا بَعَثُوا إِلَى الْحَجَّاجِ فَصَالَحُوهُ ، فَلَقُوا مُحَمَّدًا بِالْمِيرَةِ وَأَدْخَلُوهُ مَدِينَتَهُمْ ، وَسَارَ عَنْهَا وَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِمَدِينَةٍ إِلَّا فَتَحَهَا حَتَّى عَبَرَ نَهْرًا دُونَ مِهْرَانَ ، فَأَتَاهُ أَهْلُ سَرْبَيْدِسَ فَصَالَحُوهُ ، وَوَظَّفَ عَلَيْهِمُ الْخَرَاجَ وَسَارَ عَنْهُمْ إِلَى سَهْبَانَ فَفَتَحَهَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى نَهْرِ مِهْرَانَ فَنَزَلَ فِي وَسَطِهِ. |
| وَبَلَغَ خَبَرُهُ ذَاهِرَ ، فَاسْتَعَدَّ لِمُحَارَبَتِهِ ، وَبَعَثَ جَيْشًا إِلَى سَدُوسْتَانَ ، فَطَلَبَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ وَالصُّلْحَ ، فَآمَنَهُمْ وَوَظَّفَ عَلَيْهِمُ الْخَرَاجَ ، ثُمَّ عَبَرَ مُحَمَّدٌ مِهْرَانَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ رَاسِلَ الْمَلِكِ عَلَى جِسْرٍ عَقَدَهُ ، وَذَاهِرُ مُسْتَخِفٌّ بِهِ ، فَلَقِيَهُ مُحَمَّدُ وَالْمُسْلِمُونَ وَهُوَ عَلَى فِيلٍ وَحَوْلَهُ الْفِيَلَةُ ، وَمَعَهُ التَّكَاكِرَةُ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، وَتَرَجَّلَ ذَاهِرُ ، فَقُتِلَ عِنْدَ الْمَسَاءِ ، ثُمَّ انْهَزَمَ الْكُفَّارُ ، وَقَتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ كَيْفَ شَاءُوا ، وَقَالَ قَاتِلُهُ الْخَيْلُ تَشْهَدُ يَوْمَ ذَاهِرَ وَالْقَنَا وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ أَنِّي فَرَجْتُ الْجَمْعَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ حَتَّى عَلَوْتُ عَظِيمَهُمْ بِمُهَنَّدِ فَتَرَكْتُهُ تَحْتَ الْعَجَاجِ مُجَنْدَلًا مَتَعَفِّرَ الْخَدَّيْنِ غَيْرَ مُوَسَّدِ فَلَمَّا قُتِلَ ذَاهِرُ غَلَبَ مُحَمَّدُ عَلَى بِلَادِ السِّنْدِ ، وَفَتَحَ مَدِينَةَ رَاوَرَ عَنْوَةً ، وَكَانَ بِهَا امْرَأَةٌ لِذَاهِرَ ، فَخَافَتْ أَنْ تُؤْخَذَ ، فَأَحْرَقَتْ نَفْسَهَا وَجَوَارِيَهَا وَجَمِيعَ مَالِهَا. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى بِرْهَمِنْابَاذَ الْعَتِيقَةَ ، وَهِيَ عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنَ الْمَنْصُورَةِ ، وَلَمْ تَكُنِ الْمَنْصُورَةُ يَوْمَئِذٍ ، كَانَ مَوْضِعُهَا غَيْضَةً ، وَكَانَ الْمُنْهَزِمُونَ مِنَ الْكُفَّارِ بِهَا ، فَقَاتَلُوهُ فَفَتَحَهَا مُحَمَّدُ عَنْوَةً ، وَقَتَلَ بِهَا بَشَرًا كَثِيرًا وَخُرِّبَتْ. |
| وَسَارَ يُرِيدُ الرُّورَ وَبَغْرُورَ ، فَلَقِيَهُ أَهْلُ سَاوَنْدَرَى فَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ ضِيَافَةَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ أَسْلَمَ أَهْلُهَا بَعْدَ ذَلِكَ. |
| ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى بِسَمْدَ وَصَالَحَ أَهْلَهَا ، وَوَصَلَ إِلَى الرُّورَ ، وَهِيَ مِنْ مَدَائِنِ السِّنْدِ عَلَى جَبَلٍ ، فَحَصَرَهُمْ شُهُورًا فَصَالَحُوهُ ، وَسَارَ إِلَى السِّكَّةِ فَفَتَحَهَا ، ثُمَّ قَطَعَ نَهْرَ بَيَاسَ إِلَى الْمُلْتَانِ ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا وَانْهَزَمُوا ، فَحَصَرَهُمْ مُحَمَّدُ ، فَجَاءَهُ إِنْسَانٌ وَدَلَّهُ عَلَى قَطْعِ الْمَاءِ الَّذِي يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ فَقَطَعَهُ ، فَعَطِشُوا فَأَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ ، فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ ، وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ وَسَدَنَةَ الْبُدِّ ، وَهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ ، وَأَصَابُوا ذَهَبًا كَثِيرًا ، فَجُمِعَ فِي بَيْتٍ طُولُهُ عَشَرَةُ أَذْرُعٍ وَعَرْضُهُ ثَمَانِيَةُ أَذْرُعٍ يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ كُوَّةٍ فِي وَسَطِهِ ، فَسُمِّيَتِ الْمُلْتَانَ فَرْجُ بَيْتِ الذَّهَبِ ، وَالْفَرْجُ الثَّغْرُ ، وَكَانَ بُدُّ الْمُلْتَانِ تُهْدَى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ ، وَيُحَجُّ مِنَ الْبِلَادِ ، وَيَحْلِقُونَ رُءُوسَهُمْ وَلِحَاهُمْ عِنْدَهُ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ صَنَمَهُ هُوَ أَيُّوبُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. |
| وَعَظُمَتْ فُتُوحُهُ ، وَنَظَرَ الْحَجَّاجُ فِي النَّفَقَةِ عَلَى ذَلِكَ الثَّغْرِ ، فَكَانَتْ سِتِّينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَنَظَرَ فِي الَّذِي حُمِلَ فَكَانَ مِائَةَ أَلْفِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفٍ ، فَقَالَ رَبِحْنَا سِتِّينَ أَلْفًا ، وَأَدْرَكْنَا ثَأْرَنَا وَرَأْسَ ذَاهِرَ. |
| ثُمَّ مَاتَ الْحَجَّاجُ ، وَنَذْكُرُ أَمْرَ مُحَمَّدٍ عِنْدَ مَوْتِ الْحَجَّاجِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ذِكْرُ اسْتِعْمَالِ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَ نُصَيْرٌ وَالِدُهُ عَلَى حَرَسِ مُعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا سَارَ مُعَاوِيَةُ إِلَى صِفِّينَ لَمْ يَسِرْ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْمَسِيرِ مَعِي إِلَى قِتَالِ عَلِيٍّ وَيَدِي عِنْدَكَ مَعْرُوفَةٌ ؟ |
| فَقَالَ لَا أُشْرِكُكَ بِكُفْرِ مَنْ أَوْلَى بِالشُّكْرِ مِنْكَ ، وَهُوَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ. |
| فَسَكَتَ عَنْهُ مُعَاوِيَةُ. |
| فَوَصَلَ مُوسَى إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَبِهَا صَالِحٌ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ حَسَّانُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَ الْبَرْبَرُ قَدْ طَمِعُوا فِي الْبِلَادِ بَعْدَ مَسِيرِ حَسَّانَ ، فَلَمَّا وَصَلَ مُوسَى عَزَلَ صَالِحًا ، وَبَلَغَهُ أَنَّ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ قَوْمًا خَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، فَقَاتَلَهُمْ فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَسَبَى مِنْهُمْ أَلْفَ رَأْسٍ ، وَسَيَّرَهُ فِي الْبَحْرِ إِلَى جَزِيرَةٍ مَيُورْقَةَ ، فَنَهَبَهَا وَغَنِمَ مِنْهَا مَا لَا يُحْصَى وَعَادَ سَالِمًا ، فَوَجَّهَ ابْنَهُ هَارُونَ إِلَى طَائِفَةٍ أُخْرَى ، فَظَفِرَ بِهِمْ وَسَبَى مِنْهُمْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَتَوَجَّهَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَى طَائِفَةٍ أُخْرَى ، فَغَنِمَ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَبَلَغَ الْخُمُسُ سِتِّينَ أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ السَّبْيِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ أَنَّهُ سَمِعَ بِسَبْيٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا. |
| ثُمَّ إِنَّ إِفْرِيقِيَّةَ قَحَطَتْ وَاشْتَدَّ بِهَا الْغَلَاءُ ، فَاسْتَسْقَى بِالنَّاسِ ، وَخَطَبَهُمْ وَلَمْ يَذْكُرِ الْوَلِيدَ ، وَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ هَذَا مَقَامٌ لَا يُدْعَى فِيهِ لِأَحَدٍ وَلَا يُذْكَرُ إِلَّا اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَسُقِيَ النَّاسُ وَرَخُصَتِ الْأَسْعَارُ ، ثُمَّ خَرَجَ غَازِيًا إِلَى طَنْجَةَ يُرِيدُ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْبَرْبَرِ ، وَقَدْ هَرَبُوا خَوْفًا مِنْهُ ، فَتَبِعَهُمْ وَقَتَلَهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا حَتَّى بَلَغَ السُّوسَ الْأَدْنَى لَا يُدَافِعُهُ أَحَدٌ ، فَاسْتَأْمَنَ الْبَرْبَرُ إِلَيْهِ وَأَطَاعُوهُ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى طَنْجَةَ مَوْلَاهُ طَارِقَ بْنَ زِيَادٍ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ صَدَفِيٌّ. |
| وَجَعَلَ مَعَهُ جَيْشًا كَثِيفًا جُلُّهُمْ مِنَ الْبَرْبَرِ ، وَجَعَلَ مَعَهُمْ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالْفَرَائِضَ ، وَعَادَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ. |
| فَمَرَّ بِقَلْعَةِ مِجَّانَةَ ، فَتَحَصَّنَ أَهْلُهَا مِنْهُ وَتَرَكَ عَلَيْهَا مَنْ يُحَاصِرُهَا مَعَ بِشْرِ بْنِ فُلَانٍ ، فَفَتَحَهَا ، فَسُمِّيَتْ قَلْعَةُ بِشْرٍ إِلَى الْآنِ ، وَحِينَئِذٍ لَمْ يَبْقَ لَهُ فِي إِفْرِيقِيَّةَ مَنْ يُنَازِعُهُ. |
| وَقِيلَ كَانَتْ وِلَايَةُ مُوسَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ عَلَى مِصْرَ لِأَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ التُّرْكَ مِنْ نَاحِيَةِ أَذْرَبِيجَانَ ، فَفَتَحَ حُصُونًا وَمَدَائِنَ هُنَاكَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. |
| وَكَانَ الْعُمَّالُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ الْعُذْرِيُّ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ ، وَقِيلَ وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ. |
| صُعَيْرٌ بِضَمِّ الصَّادِ ، وَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَتَيْنِ . |
| وَفِيهَا مَاتَ ظَلِيمٌ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ بِإِفْرِيقِيَّةَ. |
| ظَلِيمٌ بِفَتْحِ الظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعِينَ ذِكْرُ فَتْحِ بُخَارَى قَدْ ذَكَرْنَا وُرُودَ كِتَابِ الْحَجَّاجِ إِلَى قُتَيْبَةَ يَأْمُرُهُ بِالتَّوْبَةِ عَنِ انْصِرَافِهِ عَنْ وَرْدَانَ خُذَاهْ مَلِكَ بُخَارَى ، وَيُعَرِّفُهُ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَأْتِي بَلَدَهُ مِنْهُ ، فَلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ عَلَى قُتَيْبَةَ خَرَجَ غَازِيًا إِلَى بُخَارَى سَنَةَ تِسْعِينَ ، فَاسْتَجَاشَ وَرَدَانُ خُذَاهُ بِالصُّغْدِ وَالتُّرْكِ مِنْ حَوْلِهِ فَأَتَوْهُ ، وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا قُتَيْبَةُ فَحَصَرَهَا ، فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ أَمْدَادُهُمْ خَرَجُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَهُمْ ، فَقَالَتِ الْأَزْدُ اجْعَلُونَا نَاحِيَةً وَخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ قِتَالِهِمْ. |
| فَقَالَ قُتَيْبَةُ تَقَدَّمُوا ، فَتَقَدَّمُوا وَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ إِنَّ الْأَزْدَ انْهَزَمُوا حَتَّى دَخَلُوا الْعَسْكَرَ ، وَرَكِبَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَحَطَّمُوهُمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ عَسْكَرَهُمْ ، وَجَازُوهُ حَتَّى ضَرَبَ النِّسَاءُ وُجُوهَ الْخَيْلِ وَبَكَيْنَ ، فَكَرُّوا رَاجِعِينَ ، فَانْطَوَتْ مُجَنِّبَتَا الْمُسْلِمِينَ عَلَى التُّرْكِ ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى رَدُّوهُمْ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ، فَوَقَفَ التُّرْكُ عَلَى نَشَزٍ ، فَقَالَ قُتَيْبَةُ مَنْ يُزِيلُهُمْ عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ ؟ |
| فَلَمْ يَقْدُمْ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ ، فَأَتَى بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ لَهُمْ يَوْمٌ كَأَيَّامِكُمْ ، فَأَخَذَ وَكِيعٌ اللِّوَاءَ وَقَالَ يَا بَنِي تَمِيمٍ أَتُسَلِّمُونَنِي الْيَوْمَ ؟ |
| قَالُوا لَا يَا أَبَا مُطَرِّفٍ. |
| وَكَانَ هُرَيْمُ بْنُ أَبِي طَحْمَةَ عَلَى خَيْلِ تَمِيمٍ ، وَوَكِيعٌ رَأَسَهُمْ ، فَقَالَ وَكِيعٌ يَا هُرَيْمُ قَدِّمْ خَيْلَكَ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الرَّايَةَ ، فَتَقَدَّمَ هُرَيْمٌ وَتَقَدَّمَ وَكِيعٌ فِي الرَّجَّالَةِ ، فَانْتَهَى هُرَيْمٌ إِلَى نَهْرٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ التُّرْكِ ، فَوَقَفَ فَقَالَ وَكِيعٌ تَقَدَّمْ يَا هُرَيْمُ ، فَنَظَرَ هُرَيْمٌ نَظَرَ الْجَمَلِ الْهَائِجِ الصَّائِلِ وَقَالَ أَأُقْحِمُ الْخَيْلَ هَذَا النَّهْرَ ؟ |
| فَإِنِ انْكَشَفَتْ كَانَ هَلَاكُهَا يَا أَحْمَقُ. |
| فَقَالَ وَكِيعٌ يَابْنَ اللَّخْنَاءِ ، أَتَرُدُّ أَمْرِي! |
| فَحَذَفَهُ بِعَمُودٍ كَانَ مَعَهُ ، فَعَبَرَ هُرَيْمٌ فِي الْخَيْلِ ، وَانْتَهَى وَكِيعٌ إِلَى النَّهْرِ ، فَعَمِلَ عَلَيْهِ جِسْرًا مِنْ خَشَبٍ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ مَنْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الْمَوْتِ فَلْيَعْبُرْ ، وَإِلَّا فَلْيَثْبُتْ مَكَانَهُ. |
| فَمَا عَبَرَ مَعَهُ إِلَّا ثَمَانُمِائَةِ رَجُلٍ ، فَلَمَّا عَبَرَ بِهِمْ وَدَنَا مِنَ الْعَدُوِّ قَالَ لِهُرَيْمٍ إِنِّي مُطَاعِنُهُمْ ، فَاشْغَلْهُمْ عَنَّا بِالْخَيْلِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى خَالَطَهُمْ ، وَحَمَلَ هُرَيْمٌ فِي الْخَيْلِ فَطَاعَنُوهُمْ ، وَلَمْ يَزَالُوا يُقَاتِلُونَهُمْ حَتَّى حَدَرُوهُمْ مِنَ التَّلِّ ، وَنَادَى قُتَيْبَةُ مَا تَرَوْنَ الْعَدُوَّ مُنْهَزِمِينَ ؟ |
| فَلَمْ يَعْبُرْ أَحَدٌ النَّهْرَ حَتَّى انْهَزَمُوا ، وَعَبَرَ النَّاسُ ، وَنَادَى قُتَيْبَةُ مَنْ أَتَى بِرَأْسٍ فَلَهُ مِائَةٌ ، فَأُتِيَ بِرُءُوسٍ كَثِيرَةٍ ، فَجَاءَ يَوْمَئِذٍ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي قُرَيْعٍ ، كُلُّ رَجُلٍ بِرَأْسٍ ، فَيُقَالُ لَهُ مَنْ أَنْتَ ؟ |
| فَيَقُولُ قُرَيْعِيُّ. |
| فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ بِرَأْسٍ ، فَقِيلَ لَهُ مَنْ أَنْتَ ؟ |
| فَقَالَ قُرَيْعِيُّ ، فَعَرَفَهُ جَهْمُ بْنُ زَحْرٍ ، فَقَالَ كَذِبَ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ أَزْدِيٌّ. |
| فَقَالَ لَهُ قُتَيْبَةُ مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا ؟ |
| فَقَالَ رَأَيْتُ كُلَّ مَنْ جَاءَ يَقُولُ قُرَيْعِيُّ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ جَاءَ بِرَأْسٍ أَنْ يَقُولَهُ ، فَضَحِكَ قُتَيْبَةُ. |
| وَجُرِحَ خَاقَانُ وَابْنُهُ ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَتَبَ قُتَيْبَةُ بِالْفَتْحِ إِلَى الْحَجَّاجِ. |
| ذِكْرُ صُلْحِ قُتَيْبَةَ مَعَ الصُّغْدِ لَمَّا أَوْقَعَ قُتَيْبَةُ بِأَهْلِ بُخَارَى هَابَهُ الصُّغْدُ ، فَرَجَعَ طَرْخُونُ مِلْكُهُمْ وَمَعَهُ فَارِسَانِ ، فَدَنَا مِنْ عَسْكَرِ قُتَيْبَةَ ، فَطَلَبَ رَجُلًا يُكَلِّمُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قُتَيْبَةُ حَيَّانَ النَّبَطِيَّ ، فَطَلَبَ الصُّلْحَ عَلَى فِدْيَةٍ يُؤَدِّيهَا إِلَيْهِمْ ، فَأَجَابَهُ قُتَيْبَةُ إِلَى مَا طَلَبَ وَصَالَحَ ، وَرَجَعَ طَرْخُونُ إِلَى بِلَادِهِ وَرَجَعَ قُتَيْبَةُ وَمَعَهُ نِيزَكُ. |
| حَيَّانُ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالْيَاءِ الْمُشَدَّدَةِ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ، وَآخِرُهُ نُونٌ . |
| ذِكْرُ غَدْرِ نِيزَكُ وَفَتْحِ الطَّالْقَانِ قِيلَ لَمَّا رَجَعَ قُتَيْبَةُ مِنْ بُخَارَى وَمَعَهُ نِيزَكُ وَقَدْ خَافَ لِمَا يَرَى مِنَ الْفُتُوحِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ أَنَا مَعَ هَذَا ، وَلَسْتُ آمَنُهُ ، فَلَوِ اسْتَأْذَنْتُهُ وَرَجِعْتُ كَانَ الرَّأْيُ. |
| قَالُوا افْعَلْ. |
| فَاسْتَأْذَنَ قُتَيْبَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ بِآمُلَ ، فَرَجَعَ طَخَارِسْتَانَ ، وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَتَى النُّوبَهَارَ ، فَنَزَلَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَتَبَرَّكُ بِهِ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ لَا أَشُكُّ أَنَّ قُتَيْبَةَ قَدْ نَدِمَ عَلَى إِذْنِهِ لِي ، وَسَيَبْعَثُ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَأْمُرُهُ بِحَبْسِي. |
| وَنَدِمَ قُتَيْبَةُ عَلَى إِذْنِهِ لَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْمُغِيرَةِ يَأْمُرُهُ بِحَبْسِ نِيزَكَ ، وَسَارَ نِيزَكُ وَتَبِعَهُ الْمُغَيَّرَةُ ، فَوَجَدَهُ قَدْ دَخَلَ شِعْبَ خُلْمٍ ، فَرَجَعَ الْمُغِيرَةُ ، وَأَظْهَرَ نِيزَكُ الْخَلْعَ وَكَتَبَ إِلَى أَصْبَهْبَذَ بَلْخَ ، وَإِلَى بَاذَانَ مَلِكِ مَرْوِ الرُّوذِ ، وَإِلَى مَلِكِ الطَّالْقَانِ ، وَإِلَى مَلِكِ الْفَارِيَابِ ، وَإِلَى مَلِكٍ الْجُوزَجَانِ ، أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى خَلْعِ قُتَيْبَةَ ، فَأَجَابُوهُ ، فَوَاعَدَهُمُ الرَّبِيعَ أَنْ يَجْتَمِعُوا وَيَغْزُوا قُتَيْبَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى كَابُلَ شَاهْ يَسْتَظْهِرُ بِهِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِثَقَلِهِ وَمَالِهِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ إِنِ اضْطَرَّ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ. |
| وَكَانَ جَبْغَوَيْهِ مَلِكُ طَخَارِسْتَانَ ضَعِيفًا ، فَأَخَذَهُ نِيزَكُ فَقَيَّدَهُ بِقَيْدٍ مِنْ ذَهَبٍ لِئَلَّا يُخَالِفَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ جَبْغَوَيْهِ هُوَ الْمَلِكَ ، وَنِيزَكُ عَبْدَهُ ، فَاسْتَوْثَقَ مِنْهُ وَأَخْرَجَ عَامِلَ قُتَيْبَةَ مِنْ بِلَادِ جَبْغَوَيْهِ. |
| وَبَلَغَ قُتَيْبَةَ خَلْعُهُ قَبْلَ الشِّتَاءِ وَقَدْ تَفَرَّقَ الْجُنْدُ ، فَبَعَثَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُسْلِمٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا إِلَى الْبَرُوقَانِ ، وَقَالَ أَقِمْ بِهَا وَلَا تُحْدِثْ شَيْئًا ، فَإِذَا انْقَضَى الشِّتَاءُ سِرْ نَحْوَ طَخَارِسْتَانَ ، وَاعْلَمْ أَنِّي قَرِيبٌ مِنْكَ. |
| فَسَارَ ، فَلَمَّا كَانَ آخِرَ الشِّتَاءِ كَتَبَ قُتَيْبَةُ إِلَى نَيْسَابُورَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ لِيَقْدَمَ عَلَيْهِ الْجُنُودُ ، فَقَدِمُوا قَبْلَ أَوَانِهِمْ ، فَسَارَ نَحْوَ الطَّالْقَانِ ، وَكَانَ مَلِكُهَا قَدْ خَلَعَ وَطَابَقَ نِيزَكَ عَلَى الْخَلْعِ ، فَأَتَاهُ قُتَيْبَةُ فَأَوْقَعَ بِأَهْلِ الطَّالْقَانِ ، فَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَصَلَبَ مِنْهُمْ سِمَاطَيْنِ أَرْبَعَةَ فَرَاسِخَ فِي نِظَامٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ انْقَضَتِ السَّنَةُ قَبْلَ مُحَارَبَةِ نِيزَكَ ، وَسَنَذْكُرُ تَمَامَ خَبَرِهِ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. |
| ذِكْرُ هَرَبِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَإِخْوَتِهِ مِنْ سِجْنِ الْحَجَّاجِ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ هَرَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَإِخْوَتُهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنْ سِجْنَ الْحَجَّاجِ ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ خَرَجَ إِلَى رُسْتَقَابَاذَ لِلْبَعْثِ ، لِأَنَّ الْأَكْرَادَ كَانُوا قَدْ غَلَبُوا عَلَى فَارِسَ ، وَخَرَجَ مَعَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَإِخْوَتُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَالْمُفَضَّلُ فِي عَسْكَرِهِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ كَهَيْئَةِ الْخَنْدَقِ ، وَجَعَلَهُمْ فِي فُسْطَاطٍ قَرِيبٍ مِنْهُ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ الْحَرَسَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ سِتَّةَ آلَافِ أَلْفٍ ، وَأَخَذَ يُعَذِّبُهُمْ ، فَكَانَ يَزِيدُ يَصْبِرُ صَبْرًا حَسَنًا ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَغِيظُ الْحَجَّاجَ مِنْهُ. |
| فَقِيلَ لِلْحَجَّاجِ إِنَّهُ رُمِيَ فِي سَاقِهِ بِنُشَّابَةٍ ، فَثَبَتَ نَصْلُهَا فِيهِ ، فَهُوَ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا صَاحَ ، فَأَمَرَ أَنْ يُعَذَّبَ فِي سَاقِهِ ، فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ صَاحَ ، وَأُخْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ الْمُهَلَّبِ عِنْدَ الْحَجَّاجِ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ صَوْتَهُ صَاحَتْ وَنَاحَتْ ، فَطَلَّقَهَا الْحَجَّاجُ ، ثُمَّ إِنَّهُ كَفَّ عَنْهُمْ ، وَأَقْبَلَ يَسْتَأْدِيهُمْ وَهُمْ يَعْمَلُونَ فِي التَّخَلُّصِ ، فَبَعَثُوا إِلَى أَخِيهِمْ مَرْوَانَ ، وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ ، أَنْ يَضْمَنَ لَهُمْ خَيْلًا وَيُرِيَ النَّاسَ أَنَّهُ يُرِيدُ بَيْعَهَا لِتَكُونَ عُدَّةً. |
| فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَكَانَ أَخُوهُ حَبِيبٌ يُعَذَّبُ بِالْبَصْرَةِ أَيْضًا. |
| فَصَنَعَ يَزِيدُ لِلْحَرَسِ طَعَامًا كَثِيرًا ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِشَرَابٍ ، فَسُقُوا وَاشْتَغَلُوا بِهِ ، وَلَبِسَ يَزِيدُ ثِيَابَ طَبَّاخِهِ ، وَخَرَجَ وَقَدْ جَعَلَ لَهُ لِحْيَةً بَيْضَاءَ ، فَرَآهُ بَعْضُ الْحَرَسِ فَقَالَ كَانَتْ هَذِهِ مِشْيَةُ يَزِيدَ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ فَرَأَى لِحْيَتَهُ بَيْضَاءَ فِي اللَّيْلِ ، فَتَرَكَهُ وَعَادَ ، فَخَرَجَ الْمُفَضَّلُ وَلَمْ يُفْطَنْ لَهُ ، فَجَاءُوا إِلَى سُفُنٍ مُعَدَّةٍ فَرَكِبُوهَا ، يَزِيدُ وَالْمُفَضَّلُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ ، وَسَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى أَصْبَحُوا ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا عَلِمَ بِهِمُ الْحَرَسُ فَرَفَعُوا خَبَرَهُمْ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَفَزِعَ وَظَنَّ أَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ خُرَاسَانَ لِيَفْتِنُوا بِهَا ، فَبَعَثَ الْبَرِيدَ إِلَى قُتَيْبَةَ بِخَبَرِهِمْ وَيَأْمُرُهُ بِالْحَذَرِ. |
| وَلَمَّا دَنَا يَزِيدُ مِنَ الْبَطَائِحِ اسْتَقْبَلَتْهُ الْخَيْلُ فَخَرَجُوا عَلَيْهَا وَمَعَهُمْ دَلِيلٌ مِنْ كَلْبٍ ، فَأَخَذُوا طَرِيقَ الشَّامِ عَلَى طَرِيقِ السَّمَاوَةِ ، وَأَتَى الْحَجَّاجُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ أَخَذُوا طَرِيقَ الشَّامِ ، فَبَعَثَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يُعْلِمُهُ. |
| ثُمَّ سَارَ يَزِيدُ فَقَدِمَ فِلَسْطِينَ ، فَنَزَلَ عَلَى وُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَزْدِيِّ ، وَكَانَ كَرِيمًا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَاءَ وُهَيْبٌ إِلَى سُلَيْمَانَ ، فَأَعْلَمَهُ بِحَالِ يَزِيدَ وَإِخْوَتِهِ ، وَأَنَّهُمْ قَدِ اسْتَعَاذُوا بِهِ مِنَ الْحَجَّاجِ ، قَالَ فَأْتِنِي بِهِمْ فَهُمْ آمِنُونَ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا وَأَنَا حَيٌّ. |
| فَجَاءَ بِهِمْ إِلَيْهِ ، وَكَانُوا فِي مَكَانٍ آمِنٍ. |
| وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ إِنَّ آلَ الْمُهَلَّبِ خَانُوا أَمَانَ اللَّهِ وَهَرَبُوا مِنِّي وَلَحِقُوا بِسُلَيْمَانَ. |
| وَكَانَ الْوَلِيدُ قَدْ حَذَّرَهُمْ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ خُرَاسَانَ لِلْفِتْنَةِ بِهَا ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمْ عِنْدَ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ سَكَنَ بَعْضُ مَا بِهِ ، وَطَارَ غَضَبًا لِلْمَالِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ ، فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ إِلَى الْوَلِيدِ إِنَّ يَزِيدَ عِنْدِي وَقَدْ آمَنْتُهُ ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ آلَافِ أَلْفٍ ، لِأَنَّ الْحَجَّاجَ أَغْرَمَهُ سِتَّةَ آلَافِ أَلْفٍ ، فَأَدَّى ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفٍ ، وَالَّذِي بَقِيَ عَلَيْهِ أَنَا أُؤَدِّيهِ. |
| فَكَتَبَ الْوَلِيدُ وَاللَّهِ لَا أُؤَمِّنُهُ حَتَّى تَبْعَثَ بِهِ إِلَيَّ. |
| فَكَتَبَ لَئِنْ أَنَا بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ لَأَجِيئَنَّ مَعَهُ. |
| فَكَتَبَ الْوَلِيدُ وَاللَّهِ لَئِنْ جِئْتَنِي لَا أُؤَمِّنُهُ. |
| فَقَالَ يَزِيدُ أَرْسِلْنِي إِلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أُوقِعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ عَدَوَاةً ، وَلَا أَنْ يَتَشَأَّمَ النَّاسُ بِي لَكُمَا ، وَاكْتُبْ مَعِي بِأَلْطَفِ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ. |
| فَأَرْسَلَهُ وَأَرْسَلَ مَعَهُ ابْنَهُ أَيُّوبَ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَبْعَثَ بِهِ مُقَيَّدًا ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِابْنِهِ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَادْخُلْ أَنْتَ وَيَزِيدُ فِي سِلْسِلَةٍ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا رَأَى الْوَلِيدُ ابْنَ أَخِيهِ فِي سِلْسِلَةٍ قَالَ لَقَدْ بَلَغْنَا مِنْ سُلَيْمَانَ. |
| وَدَفَعَ أَيُّوبُ كِتَابَ أَبِيهِ إِلَى عَمِّهِ وَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفْسِي فَدَاؤُكَ ، لَا تَخْفِرْ ذِمَّةَ أَبِي وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ مَنَعَهَا ، وَلَا تَقْطَعْ مِنَّا رَجَاءَ مَنْ رَجَا السَّلَامَةَ فِي جِوَارِنَا لِمَكَانِنَا مِنْكَ ، وَلَا تُذِلَّ مَنْ رَجَا الْعِزَّ فِي الِانْقِطَاعِ إِلَيْنَا لِعِزِّنَا بِكَ. |
| فَقَرَأَ الْوَلِيدُ كِتَابَ سُلَيْمَانَ ، فَإِذَا هُوَ يَسْتَعْطِفُهُ ، وَيَشْفَعُ إِلَيْهِ ، وَيَضْمَنُ إِيصَالَ الْمَالِ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ لَقَدْ شَقَقْنَا عَلَى سُلَيْمَانَ. |
| وَتَكَلَّمَ يَزِيدُ وَاعْتَذَرَ ، فَأَمَّنَهُ الْوَلِيدُ ، فَرَجَعَ إِلَى سُلَيْمَانَ ، وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى الْحَجَّاجِ إِنِّي لَمْ أَصِلْ إِلَى يَزِيدَ وَأَهْلِهِ مَعَ سُلَيْمَانَ ، فَاكْفُفْ عَنْهُمْ. |
| فَكَفَّ عَنْهُمْ. |
| وَكَانَ أَبُو عُيَيْنَةَ بْنُ الْمُهَلَّبِ عِنْدَ الْحَجَّاجِ عَلَيْهِ أَلْفُ أَلْفٍ ، فَتَرَكَهَا وَكَفَّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ الْمُهَلَّبِ. |
| وَأَقَامَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ يَهْدِي إِلَيْهِ الْهَدَايَا وَيَصْنَعُ لَهُ الْأَطْعِمَةَ ، وَكَانَ لَا يَأْتِي يَزِيدَ هَدِيَّةٌ إِلَّا بَعَثَ بِهَا إِلَى سُلَيْمَانَ ، وَلَا يَأْتِي سُلَيْمَانَ هَدِيَّةٌ إِلَّا بَعَثَ بِنِصْفِهَا إِلَى يَزِيدَ ، وَكَانَ لَا تُعْجِبُهُ جَارِيَةٌ إِلَّا بَعَثَ بِهَا إِلَى يَزِيدَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرْضَ الرُّومِ ، فَفَتَحَ الْحُصُونَ الْخَمْسَةَ الَّتِي بِسُورِيَةَ ، وَغَزَا عَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ حَتَّى بَلَغَ أَرْزَنَ وَبَلَغَ سُورِيَةَ. |
| وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قُرَّةَ بْنَ شَرِيكٍ عَلَى مِصْرَ ، وَعَزَلَ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَفِيهَا أَسَرَتِ الرُّومُ خَالِدَ بْنَ كَيْسَانَ صَاحِبَ الْبَحْرِ ، فَأَهْدَاهُ مَلِكُهُمْ إِلَى الْوَلِيدِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ. |
| وَكَانَ عَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ كُلِّهِ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ ، وَعَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيُّ ، وَعَلَى قَضَائِهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُذَيْنَةَ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَعَلَى مِصْرَ قُرَّةُ بْنُ شَرِيكٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ ثَلَاثَ وَتِسْعِينَ ، وَكَانَ عُمُرُهُ سِتًّا وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ مِائَةً وَسِتَ سِنِينَ ، وَقِيلَ وَسَبْعَ ، وَقِيلَ وَثَلَاثَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْعَالِيَةِ الرِّيَاحَيُّ ، فِي شَوَّالٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ اللَّيْثِيُّ النَّحْوِيُّ ، أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ تِسْعِينَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ذِكْرُ تَتِمَّةَ خَبَرِ قُتَيْبَةَ مَعَ نِيزَكَ قَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَ قُتَيْبَةَ إِلَى نِيزَكَ وَمَا جَرَى لَهُ بِالطَّالْقَانِ وَقَتْلِ مَنْ قَتَلَ بِهَا ، فَلَمَّا فَتَحَ الطَّالْقَانَ اسْتَعْمَلَ أَخَاهُ عُمَرَ بْنَ مُسْلِمٍ ، وَقِيلَ إِنَّ مَلِكَهَا لَمْ يُحَارِبْ قُتَيْبَةَ ، فَكَفَّ عَنْهُ ، وَكَانَ بِهَا لُصُوصٌ ، فَقَتَلَهُمْ قُتَيْبَةُ وَصَلَبَهُمْ ، ثُمَّ سَارَ قُتَيْبَةُ إِلَى الْفَارِيَابِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مَلِكُهَا مُقِرًّا مُذْعِنًا ، فَقَبِلَ مِنْهُ وَلَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ. |
| وَبَلَغَ مَلِكَ الْجُوزَجَانِ خَبَرُهُمْ ، فَهَرَبَ إِلَى الْجِبَالِ ، وَسَارَ قُتَيْبَةُ إِلَى الْجُوزَجَانِ ، فَلَقِيَهُ أَهْلُهَا سَامِعِينَ مُطِيعِينَ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ وَلَمْ يَقْتُلْ بِهَا أَحَدًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ الْحِمَّانِيَّ. |
| ثُمَّ أَتَى بَلْخَ ، فَلَقِيَهُ أَهْلُهَا ، فَلَمْ يُقِمْ بِهَا إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا ، وَسَارَ يَتْبَعُ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِلَى شِعْبِ خُلْمٍ ، وَمَضَى نِيزَكُ إِلَى بَغْلَانَ ، وَخَلَّفَ مُقَاتِلَةً عَلَى فَمِ الشِّعْبِ وَمَضَايِقِهِ لِيَمْنَعُوهُ ، وَوَضَعَ مُقَاتِلَتَهُ فِي قَلْعَةٍ حَصِينَةٍ مِنْ وَرَاءِ الشِّعْبِ. |
| فَأَقَامَ قُتَيْبَةُ أَيَّامًا يُقَاتِلُهُمْ عَلَى مَضِيقِ الشِّعْبِ لَا يَقْدِرُ عَلَى دُخُولِهِ وَلَا يَعْرِفُ طَرِيقًا يَسْلُكُهُ إِلَى نِيزَكَ إِلَّا الشِّعْبَ أَوْ مَفَازَةٍ لَا تَحْتَمِلُهَا الْعَسَاكِرُ ، فَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا ، فَقَدِمَ إِنْسَانٌ ، فَاسْتَأْمَنَهُ عَلَى أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَدْخَلِ الْقَلْعَةِ الَّتِي مِنْ وَرَاءِ الشِّعْبِ ، فَآمَنَهُ قُتَيْبَةُ ، وَبَعَثَ مَعَهُ رِجَالًا ، فَانْتَهَى بِهِمْ إِلَى الْقَلْعَةِ مِنْ وَرَاءِ شِعْبِ خُلْمٍ ، فَطَرَقُوهُمْ وَهُمْ آمِنُونَ ، فَقَتَلُوهُمْ ، وَهَرَبَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ وَمَنْ كَانَ فِي الشِّعْبِ ، فَدَخَلَ قُتَيْبَةُ الشِّعْبَ فَأَتَى الْقَلْعَةَ ، وَمَضَى إِلَى سِمِنْجَانَ فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى نِيزَكَ ، وَقَدِمَ أَخَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ. |
| فَارْتَحَلَ نِيزَكُ مِنْ مَنْزِلِهِ فَقَطَعَ وَادِيَ فَرْغَانَةَ ، وَوَجَّهَ ثَقَلَهُ وَأَمْوَالَهُ إِلَى كَابُلِ شَاهْ ، وَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الْكُرْزَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتْبَعُهُ ، فَنَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حِذَاءَ الْكُرْزِ ، وَنَزَلَ قُتَيْبَةُ بِمَنْزِلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرْسَخَانِ ، فَتَحَصَّنَ نِيزَكُ فِي الْكُرْزِ وَلَيْسَ إِلَيْهِ مَسْلَكٌ إِلَّا مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ صَعْبٌ لَا تُطِيقُهُ الدَّوَابُّ ، فَحَصَرَهُ قُتَيْبَةُ شَهْرَيْنِ حَتَّى قَلَّ مَا فِي يَدِ نِيزَكَ مِنَ الطَّعَامِ وَأَصَابَهُمُ الْجُدَرِيُّ ، وَجُدِرَ جَبْغَوَيْهِ. |
| وَخَافَ قُتَيْبَةُ الشِّتَاءَ ، فَدَعَا سُلَيْمًا النَّاصِحَ ، فَقَالَ انْطَلِقْ إِلَى نِيزَكَ وَاحْتَلْ لِتَأْتِيَنِي بِهِ بِغَيْرِ أَمَانٍ ، فَإِنِ احْتَالَ وَأَبَى فَآمِنْهُ ، وَاعْلَمْ أَنِّي إِنْ عَايَنْتُكَ وَلَيْسَ هُوَ مَعَكَ صَلَبْتُكَ. |
| قَالَ فَاكْتُبْ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَا يُخَالِفْنِي ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْعَثْ رِجَالًا لِيَكُونُوا عَلَى فَمِ الشِّعْبِ ، فَإِذَا خَرَجْتُ أَنَا وَنِيزَكُ فَلْيَعْطِفُوا مِنْ وَرَائِنَا فَيَحُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشِّعْبِ ، فَبَعَثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ خَيْلًا ، فَكَانَتْ هُنَاكَ ، وَحَمَلَ سُلَيْمٌ مَعَهُ أَطْعِمَةً وَأَخْبِصَةً أَوَقَارًا ، وَأَتَى نِيزَكَ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ أَسَأْتَ إِلَى قُتَيْبَةَ وَغَدَرْتَ. |
| قَالَ نِيزَكُ فَمَا الرَّأْيُ ؟ |
| قَالَ أَرَى أَنْ تَأْتِيَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِبَارِحٍ ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَشْتُوَ مَكَانَهُ هَلَكَ أَوْ سَلِمَ. |
| قَالَ نِيزَكُ فَكَيْفَ آتِيهِ عَلَى غَيْرِ أَمَانٍ ؟ |
| قَالَ مَا أَظُنُّهُ يُؤَمِّنُكَ; لِمَا فِي نَفْسِهِ عَلَيْكَ; لِأَنَّكَ قَدْ مَلَأْتَهُ غَيْظًا ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ لَا يَعْلَمَ بِكَ حَتَّى تَضَعَ يَدَكَ فِي يَدِهِ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَسْتَحِيَ وَيَعْفُوَ عَنْكَ ، قَالَ إِنِّي أَرَى نَفْسِي تَأْبَى هَذَا وَهُوَ إِنْ رَآنِي قَتَلَنِي ، فَقَالَ سُلَيْمٌ مَا أَتَيْتُكَ إِلَّا لِأُشِيرَ عَلَيْكَ بِهَذَا ، وَلَوْ فَعَلْتَ لَرَجَوْتُ أَنْ تَسْلَمَ وَتَعُودَ حَالُكَ عِنْدَهُ ، فَإِذَا أَبَيْتَ فَإِنِّي مُنْصَرِفٌ. |
| وَقَدَّمَ سُلَيْمٌ الطَّعَامَ الَّذِي مَعَهُ ، وَلَا عَهْدَ لَهُمْ بِمِثْلِهِ ، فَانْتَهَبَهُ أَصْحَابُ نِيزَكَ ، فَسَاءَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمٌ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، أَرَى أَصْحَابَكَ قَدْ جَهِدُوا ، وَإِنْ طَالَ بِهِمُ الْحِصَارُ لَمْ آمَنْهُمْ أَنْ يَسْتَأْمِنُوا بِكَ ، فَأْتِ قُتَيْبَةَ ، فَقَالَ لَا آمَنُهُ عَلَى نَفْسِي وَلَا آتِيهِ إِلَّا بِأَمَانٍ ، وَإِنَّ ظَنِّي أَنْ يَقْتُلَنِي وَإِنْ آمَنَنِي ، وَلَكِنَّ الْأَمَانَ أَعْذَرُ إِلَيَّ. |
| فَقَالَ سُلَيْمٌ قَدْ آمَنَكَ ، أَفَتَتَّهِمُنِي ؟ |
| قَالَ لَا. |
| وَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ اقْبَلْ قَوْلَ سُلَيْمٍ فَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا. |
| فَخَرَجَ مَعَهُ وَمَعَ جَبْغَوَيْهِ وَصُولُ طَرْخَانَ ، خَلِيفَةُ جَبْغَوَيْهِ ، وَحَبَسَ طَرْخَانَ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ وَشَقْرَانَ ابْنَ أَخِي نِيزَكَ ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الشِّعْبِ عَطَفَتِ الْخَيْلُ الَّتِي خَلَّفَهَا سُلَيْمٌ ، فَحَالُوا بَيْنَ الْأَتْرَاكِ أَصْحَابِ نِيزَكَ وَالْخُرُوجِ ، فَقَالَ نِيزَكُ هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ. |
| قَالَ سُلَيْمٌ تَخَلُّفُ هَؤُلَاءِ عَنْكَ خَيْرٌ لَكَ. |
| وَأَقْبَلَ سُلَيْمٌ وَنِيزَكُ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى دَخَلُوا إِلَى قُتَيْبَةَ ، فَحَبَسَهُمْ وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي قَتْلِ نِيزَكَ ، وَوَجَّهَ قُتَيْبَةُ مُعَاوِيَةَ بْنَ عَامِرِ بْنِ عَلْقَمَةَ الْعَلِيمِيَّ ، فَاسْتَخْرَجَ مَا كَانَ فِي الْكُرْزِ مِنْ مَتَاعٍ وَمَنْ كَانَ فِيهِ فَقَدِمَ بِهِ عَلَى قُتَيْبَةَ. |
| فَانْتَظَرَ بِهِمْ كِتَابَ الْحَجَّاجِ ، فَأَتَاهُ كِتَابُ الْحَجَّاجِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَأْمُرُهُ بِقَتْلِ نِيزَكَ ، فَدَعَا قُتَيْبَةُ النَّاسَ وَاسْتَشَارَهُمْ فِي قَتْلِهِ ، وَاخْتَلَفُوا ، فَقَالَ ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنٍ إِنِّي سَمِعْتُكَ تَقُولُ أَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا إِنْ أَمْكَنَكَ مِنْهُ أَنْ تَقْتُلَهُ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَلَا يَنْصُرُكَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَبَدًا. |
| فَدَعَا نِيزَكَ فَضَرَبَ رَقَبَتَهُ بِيَدِهِ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ صُولٍ ، وَابْنِ أَخِي نِيزَكَ ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ سَبْعَمِائَةٍ ، وَقِيلَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَصَلَبَ نِيزَكَ وَابْنَ أَخِيهِ ، وَبَعْثَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ فِي قَتْلِ نِيزَكَ لَعَمْرِي لَنَعِمَتْ غَزْوَةُ الْجُنْدِ غَزْوَةً قَضَتْ نَحْبَهَا مِنْ نِيزَكٍ وَتَعَلَّتِ وَأَخَذَ الزُّبَيْرُ مَوْلَى عَبَّاسٍ الْبَاهِلِيِّ حُقًّا لِنِيزَكَ فِيهِ جَوْهَرٌ ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَنْ فِي بِلَادِهِ مَالًا وَعَقَارًا مِنْ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ ، وَأَطْلَقَ قُتَيْبَةُ جَبْغَوَيْهِ وَمَنَّ عَلَيْهِ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِالشَّامِ حَتَّى مَاتَ الْوَلِيدُ. |
| كَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ غَدَرَ قُتَيْبَةُ بِنِيزَكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَا تَحْسَبَنَّ الْغَدْرَ حَزْمًا فَرُبَّمَا... |
| تَرَقَّتْ بِهِ الْأَقْدَامُ يَوْمًا فَزَلَّتِ فَلَمَّا قَتَلَ قُتَيْبَةُ نِيزَكَ رَجَعَ إِلَى مَرْوَ ، وَأَرْسَلَ مَلِكُ الْجُوزَجَانِ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، فَآمَنُهُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَهُ ، فَطَلَبَ رَهْنًا وَيُعْطِيَ رَهَائِنَ ، فَأَعْطَاهُ قُتَيْبَةُ حَبِيبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ الْبَاهِلِيَّ ، وَأَعْطَى مَلِكُ الْجُوزَجَانِ رَهَائِنَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى قُتَيْبَةَ فَصَالَحَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ فَمَاتَ بِالطَّالْقَانِ ، فَقَالَ أَهْلُ الْجُوزَجَانِ إِنَّهُمْ سَمُّوهُ ، فَقَتَلُوا حَبِيبًا ، وَقَتَلَ قُتَيْبَةُ الرَّهَائِنَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ شُومَانَ وَكِشَّ وَنَسَفَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ قُتَيْبَةُ إِلَى شُومَانَ فَحَصَرَهَا. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مَلِكَهَا طَرَدَ عَامِلَ قُتَيْبَةَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قُتَيْبَةُ رَسُولَيْنِ ، أَحَدُهُمَا مِنَ الْعَرَبِ اسْمُهُ عَيَّاشٌ ، وَالْآخَرُ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، يَدْعُوَانِ مَلِكَ شُومَانَ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا كَانَ صَالَحَ عَلَيْهِ. |
| فَقَدِمَا شُومَانَ ، فَخَرَجَ أَهْلُهَا إِلَيْهِمَا فَرَمَوْهُمَا ، فَانْصَرَفَ الْخُرَاسَانِيُّ ، وَقَاتَلَهُمْ عِيَاشٌ فَقَتَلُوهُ ، وَوَجَدُوا بِهِ سِتِّينَ جِرَاحَةً. |
| وَبَلَغَ قَتْلُهُ قُتَيْبَةَ فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا أَتَاهَا أَرْسَلَ صَالِحُ بْنُ مُسْلِمٍ أَخُو قُتَيْبَةَ رَجُلًا إِلَى مَلِكِهَا ، وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ ، يَأْمُرُهُ بِالطَّاعَةِ وَيَضْمَنُ لَهُ رِضَا قُتَيْبَةَ إِنْ رَجَعَ إِلَى الصُّلْحِ ، فَأَبَى وَقَالَ لِرَسُولِ صَالِحٍ أَتُخَوِّفُنِي مِنْ قُتَيْبَةَ وَأَنَا أَمْنَعُ الْمُلُوكِ حِصْنًا ؟ |
| فَأَتَاهُ قُتَيْبَةُ وَقَدْ تَحَصَّنَ بِبَلَدِهِ فَوَضَعَ عَلَيْهِ الْمَجَانِيقَ ، وَرَمَى الْحِصْنَ فَهَشَّمَهُ ، وَقَتَلَ رَجُلًا فِي مَجْلِسِ الْمَلِكِ بِحَجَرٍ ، فَلَمَّا خَافَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ قُتَيْبَةُ جَمَعَ مَا كَانَ بِالْحِصْنِ مِنْ مَالٍ وَجَوْهَرٍ وَرَمَى بِهِ فِي بِئْرٍ بِالْقَلْعَةِ لَا يُدْرَكُ قَعْرُهَا ، ثُمَّ فَتَحَ الْقَلْعَةَ وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَخَذَ قُتَيْبَةُ الْقَلْعَةَ عَنْوَةً ، فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى كَشَّ وَنَسَفَ فَفَتَحَهُمَا. |
| وَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ فَارَيَابُ فَأَحْرَقَهَا ، فَسُمِّيَتِ الْمُحْتَرِقَةَ ، وَسَيَّرَ مِنْ كَشَّ وَنَسَفَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِلَى الصُّغْدِ ، وَمَلِكُهَا طَرْخُونُ ، فَقَبَضَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ طَرْخُونَ مَا كَانَ صَالَحَهُ عَلَيْهِ قُتَيْبَةُ ، وَدَفْعَ إِلَيْهِ رُهُنًا كَانُوا مَعَهُ ، وَرَجَعَ إِلَى قُتَيْبَةَ بِبُخَارَى ، وَكَانَ قَدْ سَارَ إِلَيْهَا مِنْ كَشَّ وَنَسَفَ ، فَرَجَعُوا إِلَى مَرْوَ. |
| وَلَمَّا كَانَ قُتَيْبَةُ بِبُخَارَى مَلَّكَ بُخَارَاخُذَاهْ ، وَكَانَ غُلَامًا حَدَثًا ، وَقَتَلَ مَنْ يَخَافُ أَنْ يُضَادَّهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ قُتَيْبَةَ سَارَ بِنَفْسِهِ إِلَى الصُّغْدِ ، فَلَمَّا رَجَعَ عَنْهُمْ قَالَتِ الصُّغْدُ لِطَرْخُونَ إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِالذُّلِّ ، وَاسْتَطَبْتَ الْجِزْيَةَ ، وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ ، فَحَبَسُوهُ وَوَلَّوْا غَوْزَكَ ، فَقَتَلَ طَرْخُونُ نَفْسَهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ قِيلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ الْوَلِيدُ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ عَلَى مَكَّةَ ، فَلَمْ يَزَلْ وَالِيًا عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَ الْوَلِيدُ ، وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ذِكْرُهُ أَيْضًا ، فَلَمَّا وَلِيَ مَكَّةَ خَطَبَهُمْ وَعَظَّمَ أَمْرَ الْخِلَافَةِ وَحَثَّهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ، فَقَالَ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْوَحْشَ الَّتِي تَأْمَنُ فِي الْحَرَمِ لَوْ نَطَقَتْ لَمْ تُقِرَّ بِالطَّاعَةِ لَأَخْرَجْتُهَا مِنْهُ ، فَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَوُتَى بِأَحَدٍ يَطْعَنُ عَلَى إِمَامِهِ إِلَّا صَلَبْتُهُ فِي الْحَرَمِ ، إِنِّي لَا أَرَى فِيمَا كَتَبَ بِهِ الْخَلِيفَةُ أَوْ رَآهُ إِلَّا إِمْضَاءَهُ. |
| وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ يَنْظُرُ إِلَى بِنَائِهِ ، وَأَخْرَجَ النَّاسَ مِنْهُ ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ لَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ مِنَ الْحَرَسِ أَنْ يُخْرِجَهُ ، فَقِيلَ لَهُ لَوْ قُمْتَ. |
| قَالَ لَا أَقُومُ حَتَّى يَأْتِيَ الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ أَقُومُ فِيهِ. |
| فَقِيلَ لَوْ سَلَّمْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| قَالَ وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ. |
| قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَجَعَلْتُ أَعْدِلُ بِالْوَلِيدِ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ لِئَلَّا يَرَاهُ ، فَالْتَفَتَ الْوَلِيدُ إِلَى الْقِبْلَةِ فَقَالَ مَنْ ذَلِكَ الشَّيْخُ ؟ |
| أَهْوَ سَعِيدٌ ؟ |
| قَالَ عُمَرُ نَعَمْ ، وَمِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَلَوْ عَلِمَ بِمَكَانِكَ; لَقَامَ فَسَلَّمَ عَلَيْكَ ، وَهُوَ ضَعِيفُ الْبَصَرِ. |
| قَالَ الْوَلِيدُ قَدْ عَلِمْتُ حَالَهُ وَنَحْنُ نَأْتِيهِ. |
| فَدَارَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَتَاهُ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ |
| فَوَاللَّهِ مَا تَحَرَّكَ سَعِيدٌ بَلْ قَالَ بِخَيْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَكَيْفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَكَيْفَ حَالُهُ ؟ |
| فَانْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ لِعُمَرَ هَذَا بَقِيَّةُ النَّاسِ! |
| وَقَسَّمَ بِالْمَدِينَةِ دَقِيقًا كَثِيرًا وَآنِيَةً مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَأَمْوَالًا ، وَصَلَّى بِالْمَدِينَةِ الْجُمُعَةَ فَخَطَبَ الْخُطْبَةَ الْأُولَى جَالِسًا ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ الْخُطْبَةَ الثَّانِيَةَ قَائِمًا. |
| قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى فَقُلْتُ لِرَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ وَهُوَ مَعَهُ أَهَكَذَا تَصْنَعُونَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، مُكَرِّرًا ، وَهَكَذَا صَنَعَ مُعَاوِيَةُ وَهَلُمَّ جَرَّا. |
| قَالَ فَقُلْتُ لَهُ هَلَّا تُكَلِّمُهُ ؟ |
| قَالَ أَخْبَرَنِي قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ أَنَّهُ كَلَّمَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَلَمْ يَتْرُكِ الْقُعُودَ ، وَقَالَ هَكَذَا خَطَبَ عُثْمَانُ. |
| قَالَ فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا خَطَبَ إِلَّا قَائِمًا. |
| قَالَ رَجَاءٌ رُوِيَ لَهُمْ شَيْءٌ فَاقْتَدَوْا بِهِ. |
| قَالَ إِسْحَاقُ وَلَمْ نَرَ مِنْهُمْ أَشَدَّ تَجَبُّرًا مِنْهُ. |
| وَكَانَ الْعُمَّالُ عَلَى الْبِلَادِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ غَيْرَ مَكَّةَ ، فَإِنَّ خَالِدًا كَانَ عَامِلَهَا ، وَقِيلَ إِنَّ عَامِلَهَا هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ الصَّائِفَةَ ، وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ الْجَيْشِ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَفِيهَا عَزَلَ الْوَلِيدُ عَمَّهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ عَنِ الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَّةَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَخَاهُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَغَزَا مَسْلَمَةُ التُّرْكَ مِنْ نَاحِيَةِ أَذْرَبِيجَانَ حَتَّى بَلَغَ الْبَابَ ، وَفَتَحَ مَدَائِنَ وَحُصُونًا ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرْضَ الرُّومِ ، فَفَتَحَ حُصُونًا ثَلَاثَةً ، وَجَلًّا أَهْلَ سُوسَنَةَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ. |
| ذِكْرُ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ وَفِيهَا غَزَا طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ الْأَنْدَلُسَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، فِلْقَيْ مَلِكَ الْأَنْدَلُسِ ، وَاسْمُهُ أَذْرِينُوقُ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ ، وَهُمْ مُلُوكِ عَجَمِ الْأَنْدَلُسِ ، فَزَحَفَ لَهُ طَارِقٌ بِجَمِيعِ مَنْ مَعَهُ ، وَزَحَفَ الْأَذْرِينُوقُ وَعَلَيْهِ تَاجُهُ وَجَمِيعُ الْحِلْيَةِ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا الْمُلُوكُ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ الْأَذْرِينُوقُ ، وَفُتِحَ الْأَنْدَلُسُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ. |
| هَذَا جَمِيعُهُ ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ ، وَبِمِثْلِ ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ الْعَظِيمِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ لَا يُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ ، وَأَنَا أَذْكُرُ فَتْحَهَا عَلَى وَجْهٍ أَتَمَّ مِنْ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، مِنْ تَصَانِيفِ أَهْلِهَا ، إِذْ هُمْ أَعْلَمُ بِبِلَادِهِمْ. |
| قَالُوا أَوَّلُ مَنْ سَكَنَهَا قَوْمٌ يُعْرَفُونَ بِالْأَنْدَلُشِ ، بِشِينٍ مُعْجَمَةٍ ، فَسُمِّيَ الْبَلَدُ بِهِمْ ، ثُمَّ عُرِّبَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسِينٍ مُهْمَلَةٍ ، وَالنَّصَارَى يُسَمُّونَ الْأَنْدَلُسَ أَشْبَانِيَّةَ ، بِاسْمِ رَجُلٍ صُلِبَ فِيهَا يُقَالُ لَهُ أَشْبَانِسُ ، وَقِيلَ بِاسْمِ مَلِكٍ كَانَ بِهَا فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ اسْمُهُ إِشْبَانُ بْنُ طِيطَسَ ، وَهَذَا هُوَ اسْمُهَا عِنْدَ بَطْلَيْمُوسَ. |
| وَقِيلَ سُمِّيَتْ بِأَنْدَلُسَ بْنِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمَّرَهَا. |
| قِيلَ أَوَّلُ مَنْ سَكَنَ الْأَنْدَلُسَ بَعْدَ الطُّوفَانِ قَوْمٌ يُعْرَفُونَ بِالْأَنْدَلُسِ ، فَعَمَرُوهَا وَتَدَاوَلُوا مُلْكَهَا دَهْرًا طَوِيلًا ، وَكَانُوا مَجُوسًا ، ثُمَّ حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْمَطَرَ ، وَتَوَالَى عَلَيْهِمُ الْقَحْطُ ، فَهَلَكَ أَكْثَرُهُمْ ، وَفَرَّ مِنْهَا مَنْ أَطَاقَ الْفِرَارَ ، فَخَلَتِ الْأَنْدَلُسُ مِائَةَ سَنَةٍ ، ثُمَّ ابْتَعَثَ اللَّهُ لِعِمَارَتِهَا الْأَفَارِقَةَ ، فَدَخَلَ إِلَيْهَا قَوْمٌ مِنْهُمْ أَجْلَاهُمْ مَلِكُ إِفْرِيقِيَّةَ تَخَفُّفًا مِنْهُمْ لِقَحْطٍ تَوَالَى عَلَى بِلَادِهِ حَتَّى كَادَ يُفْنِي أَهْلَهَا ، فَحَمَلَهُمْ فِي السُّفُنِ مَعَ أَمِيرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَأَرْسَوْا بِجَزِيرَةِ قَادِسَ ، وَرَأَوُا الْأَنْدَلُسَ قَدْ أَخْصَبَتْ بِلَادُهَا ، وَجَرَتْ أَنْهَارُهَا ، فَسَكَنُوهَا ، وَعَمَّرُوهَا ، وَنَصَبُوا لَهُمْ مُلُوكًا يَضْبِطُونَ أَمْرَهُمْ ، وَهُمْ عَلَى دِينِ مَنْ قَبْلَهُمْ ، وَكَانَتْ دَارُ مَمْلَكَتِهِمْ طَالِقَةَ الْخَرَابِ مِنْ أَرْضِ إِشْبِيلِيَّةَ بَنَوْهَا وَسَكَنُوهَا ، وَأَقَامُوا مُدَّةً تَزِيدُ عَلَى مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، مَلَكَ مِنْهُمْ فِيهَا أَحَدَ عَشَرَ مَلِكًا. |
| ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَجَمَ رُومَةَ ، وَمَلِكُهُمْ إِشْبَانُ بْنُ طِيطَسَ ، فَغَزَاهُمْ وَمَزَّقَهُمْ وَقَتَلَ فِيهِمْ ، وَحَاصَرَهُمْ بِطَالِقَةَ وَقَدْ تَحَصَّنُوا فِيهَا فَابْتَنَى عَلَيْهِمْ إِشْبَانِيَّةَ ، وَهِيَ إِشْبِيلِيَّةَ ، وَاتَّخَذَهَا دَارَ مَمْلَكَتِهِ ، وَكَثُرَتْ جُمُوعُهُ وَعَتَا وَتَجَبَّرَ ، وَغَزَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَغَنِمَ مَا فِيهِ وَقَتَلَ فِيهِ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَنَقَلَ الْمَرْمَرَ مِنْهُ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ وَغَيْرِهَا ، وَغَنِمَ أَيْضًا مَائِدَةَ سُلَيْمَانَبْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهِيَ الَّتِي غَنِمَهَا طَارِقٌ مِنْ طُلَيْطِلَةَ لَمَّا افْتَتَحَهَا ، وَغَنِمَ أَيْضًا قُلَيْلَةَ الذَّهَبِ وَالْحَجَرِ الَّذِي لُقِيَ بِمَارِدَةَ. |
| وَكَانَ هَذَا إِشْبَانُ قَدْ وَقَفَ عَلَيْهِ الْخَضِرُ وَهُوَ يَحْرُثُ الْأَرْضَ فَقَالَ لَهُ يَا إِشْبَانُ سَوْفَ تَحْظَى وَتَمْلِكُ وَتَعْلُو ، فَإِذَا مَلَكْتَ إِيلِيَاءَ فَارْفُقْ بِذُرِّيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ. |
| فَقَالَ أَتُسْخَرُ مِنِّي ؟ |
| كَيْفَ يَنَالُ مِثْلِي الْمُلْكَ ؟ |
| فَقَالَ قَدْ جَعَلَهُ فِيكَ مَنْ جَعَلَ عَصَاكَ هَذِهِ كَمَا تَرَى. |
| فَنَظَرَ فَإِذَا هِيَ قَدْ أَوْرَقَتْ ، فَارْتَاعَ وَذَهَبَ عَنْهُ الْخَضِرُ ، وَقَدْ وَثِقَ إِشْبَانُ بِقَوْلِهِ ، فَدَاخَلَ النَّاسَ ، فَارْتَقَى حَتَّى مَلَكَ مُلْكًا عَظِيمًا ، وَكَانَ مُلْكُهُ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَدَامَ مُلْكُ الْإِشْبَانِيِّينَ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ مُلِّكَ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ وَخَمْسُونَ مَلِكًا. |
| ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَجَمِ رُومَةَ أَمَّةٌ يُدْعَونَ الْبَشْنُولِيَّاتِ ، وَمَلِكُهُمْ طُوَيْشُ بْنُ نِيطَهْ ، وَذَلِكَ حِينَ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ، فَغَلَبُوا عَلَيْهَا ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى مُلْكِهَا ، وَكَانَتْ مَدِينَةُ مَارِدَةَ دَارَ مَمْلَكَتِهِمْ ، وَمَلَكَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ مَلِكًا. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ أُمَّةُ الْقُوطِ مَعَ مَلِكٍ لَهُمْ ، فَغَلَبُوا عَلَى الْأَنْدَلُسِ فَاقْتَطَعُوهَا مِنْ يَوْمِئِذٍ عَنْ صَاحِبِ رُومَةَ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ ظُهُورِهِمْ مِنْ نَاحِيَةِ إِيطَالِيَّةَ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، فَأَغَارَتْ عَلَى بِلَادِ مَجْدُونِيَّةَ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ قِلْيُوذِيُوسَ قَيْصَرَ ، ثَالِثِ الْقَيَاصِرَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَهَزَمَهُمْ وَقَتَلَ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَظْهَرُوا بَعْدَهَا إِلَى أَيَّامِ قُسْطَنْطِينَ الْأَكْبَرِ وَأَعَادُوا الْغَارَةَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا فَلَمْ يَثْبُتُوا لَهُ ، وَانْقَطَعَ خَبَرُهُمْ إِلَى ثُلُثِ دَوْلَةِ قَيْصَرَ ، فَإِنَّهُمْ قَدَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَمِيرًا اسْمُهُ لُذْرِيقُ ، وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ ، فَسَارَ إِلَى رُومَةَ لِيَحْمِلَ النَّصَارَى عَلَى السُّجُودِ لِأَوْثَانِهِ ، فَظَهَرَ مِنْهُ سُوءُ سِيرَتِهِ ، فَتَخَاذَلَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ وَمَالُوا إِلَى أَخِيهِ وَحَارَبُوهُ ، فَاسْتَعَانَ بِصَاحِبِ رُومَةَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا ، فَهَزَمَ أَخَاهُ ، وَدَانَ بِدِينِ النَّصَارَى ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ إِقْرِيطُ ، وَبَعْدَهُ إِمْلَرِيقُ ، وَبَعْدَهُ وَغْدِيشُ ، وَكَانُوا قَدْ عَادُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، فَجَمَعَ مِنْ أَصْحَابِهِ مِائَةَ أَلْفٍ وَسَارَ إِلَى رُومَةَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ جَيْشًا ، فَهَزَمُوهُ وَقَتَلُوهُ. |
| ثُمَّ بَعْدَهُ الرِّيقُ ، وَكَانَ زِنْدِيقًا شُجَاعًا ، فَسَارَ لِيَأْخُذَ بِثَأْرِ وَغْدِيشَ وَمَنْ قُتِلَ مَعَهُ ، وَنَازَلَ رُومِيَّةَ وَحَاصَرَهَا ، وَضَيَّقَ عَلَى أَهْلِهَا ، وَدَخَلَهَا عَنْوَةً وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ ، ثُمَّ جَمَعَ أُسْطُولَ الْبَحْرِ وَسَارَ إِلَى صِقِلِّيَةَ لِيَفْتَحَهَا وَيَغْنَمَ مَا فِيهَا ، فَغَرَقَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ فِي الْبَحْرِ ، وَهُوَ فِيمَنْ غَرِقَ. |
| ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَطْلُوفُ سِتَّ سِنِينَ ، وَخَرَجَ عَنْ بَلَدِ إِيطَالِيَّةَ ، وَأَقَامَ بِبَلَدِ غَالِيِسَ مُجَاوِرًا أَقْصَى الْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى بَرْشِلُونَةَ. |
| ثُمَّ بَعْدَهُ أَخُوهُ ثَلَاثَ سِنِينَ ، ثُمَّ بَعْدَهُ وَالْيَا ، ثُمَّ بُورَدَزَارِيشُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ ابْنُهُ طَرَشْمَنْدُ ، ثُمَّ بَعْدَهُ أَخُوهُ لُذْرِيقُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ بَعْدَهُ أُورِيقُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ بَعْدَهُ الرِّيقُ بِطَلُوشَةَ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ عِشْلِيقُ ، ثُمَّ أَمْلِيقُ سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ تُوذِيُوشُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ بَعْدَهُ طُودِتِقْلِيسُ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ بَعْدَهُ أَثْلَةُ خَمْسَ سِنِينَ ، ثُمَّ بَعْدَهُ أَطْلَنْجَهْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ بَعْدَهُ لِيُوبَا ثَلَاثَ سِنِينَ ، ثُمَّ بَعْدَهُ أَخُوهُ لُوِيلْدُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ اتَّخَذَ طُلَيْطِلَةَ دَارَ مُلْكٍ ، وَنَزَلَهَا لِيَكُونَ مُتَوَسِّطًا لِمُلْكِهِ لِيُحَارِبَ مَنْ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ عَنْ قَرِيبٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يُحَارِبُ مَنْ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ حَتَّى احْتَوَى عَلَى جَمِيعِ الْأَنْدَلُسِ ، وَبَنَى مَدِينَةَ رُقُوبَلَ وَأَتْقَنَهَا وَأَكْثَرَ بَسَاتِينَهَا ، وَهُوَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْ طُلَيْطِلَةَ ، وَسَمَّاهَا بِاسْمِ وَلَدِهِ ، وَغَزَا بِلَادَ الْبَشْقَنْسِ حَتَّى أَذَلَّهُمْ ، وَخَطَبَ إِلَى مَلِكِ الْفِرِنْجِ ابْنَتَهُ لِوَلَدِهِ أَرْمِنْجِلْدَ ، فَزَوَّجَهُ وَأَسْكَنَهُ إِشْبِيلِيَّةَ ، فَحَسَّنَتْ لَهُ عِصْيَانَ وَالِدِهِ ، فَفَعَلَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَبَوْهُ وَحَصَرَهُمَا وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، وَطَالَ مَقَامُهُ إِلَى أَنْ أَخَذَهُ عَنْوَةً ، وَسَجَنَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ. |
| ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ لُوِيلِدَ ابْنُهُ رِكُرْدُ ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ ، فَجَمَعَ الْأَسَاقِفَةَ وَغَيَّرَ سِيرَةَ أَبِيهِ وَسَلَّمَ الْبِلَادَ إِلَيْهِمْ ، وَكَانُوا نَحْوَ ثَمَانِينَ أُسْقُفًا ، وَكَانَ تَقِيًّا عَفِيفًا قَدْ لَبِسَ ثِيَابَ الرُّهْبَانِ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْكَنِيسَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِالْوَزْقَةِ بِإِزَاءِ مَدِينَةِ وَادِي آشْ. |
| ثُمَّ بَعْدَهُ ابْنُهُ لِيُوبَا فَسَارَ كَسِيرَةِ أَبِيهِ ، فَاغْتَالَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقُوطِ يُقَالُ لَهُ بِتْرِيقُ ، فَقَتَلَهُ ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ بِتْرِيقُ هَذَا بِغَيْرِ رِضَا أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ مُجْرِمًا طَاغِيًا فَاسِقًا ، فَثَارَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ خَاصَّتِهِ فَقَتَلَهُ. |
| ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ غَنْدِمَارُ سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ سَيْسَيْفُوطُ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ تِسْعَ سِنِينَ ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ ، ثُمَّ بَعْدَهُ ابْنُهُ رِكْرِيدُ ، وَكَانَ صَغِيرًا عُمْرُهُ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ، وَمَاتَ ، ثُمَّ مَلَكَ شَنْتَلَهْ ، وَكَانَ مُلْكُهُ عِنْدَ الْبَعْثِ ، وَكَانَ مَشْكُورًا ، ثُمَّ بَعْدَهُ سِشْنِنْدُ خَمْسَ سِنِينَ ، ثُمَّ بَعْدَهُ خَنْتَلَةُ سِتَّةَ أَعْوَامٍ ، ثُمَّ بَعْدَهُ خِنِدْسُ أَرْبَعَةَ أَعْوَامٍ ، ثُمَّ بَعْدَهُ بُنْبَانُ ثَمَانِيَةُ أَعْوَامٍ ، ثُمَّ بَعْدَهُ أَرَوَى سَبْعَ سِنِينَ. |
| وَكَانَ فِي دَوْلَتِهِ قَحْطٌ شَدِيدٌ حَتَّى كَادَتْ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ تَخْرَبُ لِشِدَّةِ الْجُوعِ. |
| ثُمَّ بَعْدَهُ أَبْقَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَ جَائِرًا مَذْمُومًا ، ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ غِيطْشَةَ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ لِلْهِجْرَةِ ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ لَيِّنَ الْعَرِيكَةِ وَأَطْلَقَ كُلَّ مَحْبُوسٍ كَانَ فِي سِجْنِ أَبِيهِ ، وَأَدَّى الْأَمْوَالَ إِلَى أَرْبَابِهَا. |
| ثُمَّ تُوُفِّيَ وَخَلَفَ وَلَدَيْنِ ، فَلَمْ يَرْضَ بِهِمَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ ، وَتَرَاضَوْا بِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ رُذَرِيقُ ، وَكَانَ شُجَاعًا وَلَيْسَ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ ، وَكَانَتْ عَادَةُ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهُمْ يَبْعَثُونَ أَوْلَادَهُمُ الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ إِلَى مَدِينَةِ طُلَيْطِلَةَ يَكُونُونَ فِي خِدْمَةِ الْمَلِكِ ، لَا يَخْدُمُهُ غَيْرُهُمْ يَتَأَدَّبُونَ بِذَلِكَ ، فَإِذَا بَلَغُوا الْحُلُمَ أَنْكَحَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَتَوَلَّى تَجْهِيزَهُمْ ، فَلَمَّا وَلِيَ رُذَرِيقُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يُولْيَانُ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَسَبْتَةَ وَغَيْرِهِمَا ، ابْنَةً لَهُ ، فَاسْتَحْسَنَهَا رُذَرِيقُ وَافْتَضَّهَا ، فَكَتَبَتْ إِلَى أَبِيهَا ، فَأَغْضَبَهُ ذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ عَامِلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ بِالطَّاعَةِ ، وَاسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ فَأَدْخَلَهُ يُولْيَانُ مَدَائِنَهُ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعُهُودَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ بِمَا يَرْضَى بِهِ ، ثُمَّ وَصَفَ لَهُ الْأَنْدَلُسَ وَدَعَاهُ إِلَيْهَا ، وَذَلِكَ آخِرُ سِنَةِ تِسْعِينَ. |
| فَكَتَبَ مُوسَى إِلَى الْوَلِيدِ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ يُولْيَانُ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ خُضْهَا بِالسَّرَايَا ، وَلَا تُغَرِّرْ بِالْمُسْلِمِينَ فِي بَحْرٍ شَدِيدِ الْأَهْوَالِ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُوسَى إِنَّهُ لَيْسَ بِبَحْرٍ مُتَّسِعٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ خَلِيجٌ يَبِينُ مَا وَرَاءَهُ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ أَنِ اخْتَبِرْهَا بِالسَّرَايَا ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا حَكَيْتَ. |
| فَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ مَوَالِيهِ يُقَالُ لَهُ طَرِيفٌ فِي أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ وَمَعَهُمْ مِائَةُ فَرَسٍ ، فَسَارَ فِي أَرْبَعِ سَفَائِنَ ، فَخَرَجَ فِي جَزِيرَةٍ بِالْأَنْدَلُسِ ، فَسُمِّيَتْ جَزِيرَةُ طَرِيفٍ لِنُزُولِهِ فِيهَا ، ثُمَّ أَغَارَ عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، فَأَصَابَ غَنِيمَةً كَثِيرَةً ، وَرَجَعَ سَالِمًا فِي رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ. |
| فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ تَسَرَّعُوا إِلَى الْغَزْوِ. |
| ثُمَّ إِنَّ مُوسَى دَعَا مَوْلًى لَهُ كَانَ عَلَى مُقَدِّمَاتِ جُيُوشِهِ يُقَالُ لَهُ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ ، فَبَعَثَهُ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرُهُمُ الْبَرْبَرُ وَالْمُوَالِي وَأَقَلُّهُمُ الْعَرَبُ ، فَسَارُوا فِي الْبَحْرِ ، وَقَصَدَ إِلَى جَبَلٍ مُنِيفٍ ، وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالْبَرِّ فَنَزَلَهُ ، فَسُمِّيَ الْجَبَلُ جَبَلَ طَارِقٍ إِلَى الْيَوْمِ ، وَلَمَّا مَلَكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ الْبِلَادَ أَمَرَ بِبِنَاءِ مَدِينَةٍ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ وَسَمَّاهُ جَبَلَ الْفَتْحِ ، فَلَمْ يَثْبُتْ لَهُ هَذَا الِاسْمُ وَجَرَتِ الْأَلْسِنَةُ عَلَى الْأَوَّلِ. |
| وَكَانَ حُلُولُ طَارِقٍ فِيهِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ. |
| وَلَمَّا رَكِبَ طَارِقٌ الْبَحْرَ غَلَبَتْهُ عَيْنُهُ ، فَرَأَى النَّبِيَّ وَمَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ قَدْ تَقَلَّدُوا السُّيُوفَ وَتَنْكَبُّوا الْقِسِيَّ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا طَارِقُ تَقَدَّمْ لِشَأْنِكَ. |
| وَأَمَرَهُ بِالرِّفْقِ بِالْمُسْلِمِينَ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، فَنَظَرَ طَارِقٌ فَرَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَصْحَابَهُ قَدْ دَخَلُوا الْأَنْدَلُسَ أَمَامَهُ ، فَاسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهُ مُسْتَبْشِرًا ، وَبَشَّرَ أَصْحَابَهُ ، وَقَوِيَتْ نَفْسُهُ ، وَلَمْ يَشُكَّ فِي الظَّفَرِ. |
| فَلَمَّا تَكَامَلَ أَصْحَابُ طَارِقٍ بِالْجَبَلِ نَزَلَ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، وَفَتَحَ الْجَزِيرَةَ الْخَضْرَاءَ ، فَأَصَابَ بِهَا عَجُوزًا ، فَقَالَتْ لَهُ إِنِّي كَانَ لِي زَوْجٌ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْحَوَادِثِ ، وَكَانَ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ أَمِيرٍ يَدْخُلُ بَلَدَهُمْ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ ، وَوَصَفَ مِنْ نَعْتِهِ أَنَّهُ ضَخْمُ الْهَامَةِ ، وَأَنَّ فِي كَتِفِهِ الْيُسْرَى شَامَةٌ عَلَيْهَا شَعْرٌ ، فَكَشَفَ طَارِقٌ ثَوْبَهُ ، فَإِذَا الشَّامَةُ كَمَا ذَكَرَتْ ، فَاسْتَبْشَرَ طَارِقٌ أَيْضًا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ. |
| وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، وَافْتَتَحَ الْجَزِيرَةَ الْخَضْرَاءَ وَغَيْرَهَا ، وَفَارَقَ الْحِصْنَ الَّذِي فِي الْجَبَلِ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ رُذَرِيقُ غَزْوَ طَارِقٍ بِلَادَهُ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ غَائِبًا فِي غَزَاتِهِ ، فَرَجَعَ مِنْهَا وَطَارِقٌ قَدْ دَخَلَ بِلَادَهُ ، فَجَمَعَ لَهُ جَمْعًا يُقَالُ بَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ طَارِقًا الْخَبَرُ كَتَبَ إِلَى مُوسَى يَسْتَمِدُّهُ وَيُخْبِرُهُ بِمَا فَتَحَ ، وَأَنَّهُ زَحَفَ إِلَيْهِ مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ بِمَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ. |
| فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخَمْسَةِ آلَافٍ ، فَتَكَامَلَ الْمُسْلِمُونَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَمَعَهُمْ يُولْيَانُ يَدُلُّهُمْ عَلَى عَوْرَةِ الْبِلَادِ ، وَيَتَجَسَّسُ لَهُمُ الْأَخْبَارَ. |
| فَأَتَاهُمْ رُذَرِيقُ فِي جُنْدِهِ ، فَالْتَقَوْا عَلَى نَهْرِ لَكَّةَ مِنْ أَعْمَالِ شَذُونَةَ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، وَاتَّصَلَتِ الْحَرْبُ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ وَمَيْسَرَتِهِ وَلَدَا الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى الْهَزِيمَةِ بُغْضًا لِرُذَرِيقَ ، وَقَالُوا إِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا امْتَلَأَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ عَادُوا إِلَى بِلَادِهِمْ وَبَقِيَ الْمُلْكُ لَنَا. |
| فَانْهَزَمُوا وَهَزَمَ اللَّهُ رُذَرِيقَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَغَرِقَ رُذَرِيقُ فِي النَّهْرِ ، وَسَارَ طَارِقٌ إِلَى مَدِينَةِ إِسْتِجَةَ مُتَّبِعًا لَهُمْ ، فَلَقِيَهُ أَهْلُهَا وَمَعَهُمْ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ ، وَلَمْ يَلْقَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهَا حَرْبًا مِثْلَهَا. |
| وَنَزَلَ طَارِقٌ عَلَى عَيْنٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَدِينَةِ إِسْتِجَةَ أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ ، فَسُمِّيَتْ عَيْنُ طَارِقٍ إِلَى الْآنِ. |
| وَلَمَّا سَمِعَتِ الْقُوطُ بِهَاتَيْنِ الْهَزِيمَتَيْنِ قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ يَفْعَلُ فِعْلَ طَرِيفٍ ، فَهَرَبُوا إِلَى طُلَيْطِلَةَ ، وَكَانَ قَدْ أَوْهَمَهُمْ أَنَّهُ يَأْكُلُهُمْ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ. |
| فَلَمَّا دَخَلُوا طُلَيْطِلَةَ ، وَأَخْلَوْا مَدَائِنَ الْأَنْدَلُسِ قَالَ لَهُ يُولْيَانُ قَدْ فَرَغْتَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، فَفَرِّقْ جُيُوشَكَ وَسِرْ أَنْتَ إِلَى طُلَيْطِلَةَ. |
| فَفَرَّقَ جُيُوشَهُ مِنْ مَدِينَةِ إِسْتِجَةَ ، وَبَعَثَ جَيْشًا إِلَى قُرْطُبَةَ ، وَجَيْشًا إِلَى غَرْنَاطَةَ ، وَجَيْشًا إِلَى مَالِقَةَ ، وَجَيْشًا إِلَى تُدْمِيرَ ، وَسَارَ هُوَ وَمُعْظَمُ الْجَيْشِ إِلَى جَيَّانَ يُرِيدُ طُلَيْطِلَةَ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ طُلَيْطِلَةَ وَجَدَهَا خَالِيَةً ، وَقَدْ لَحِقَ مَنْ كَانَ بِهَا بِمَدِينَةٍ خَلْفَ الْجَبَلِ يُقَالُ لَهَا مَايَةَ. |
| فَأَمَّا الْجَيْشُ الَّذِي سَارَ إِلَى قُرْطُبَةَ فَإِنَّهُمْ دَلَّهُمْ رَاعٍ عَلَى ثَغْرَةٍ فِي سُورِهَا ، فَدَخَلُوا مِنْهَا الْبَلَدَ وَمَلَكُوهُ. |
| وَأَمَّا الَّذِينَ قَصَدُوا تُدْمِيرَ فَلَقِيَهُمْ صَاحِبُهَا ، وَاسْمُهُ تُدْمِيرُ وَبِهِ سُمِّيَتْ ، وَكَانَ اسْمُهَا أَرْوَيُولَةَ ، وَكَانَ مَعَهُ جَيْشٌ كَثِيفٌ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْهَزَمَ فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَأَمَرَ تُدْمِيرُ النِّسَاءَ ، فَلَبِسْنَ السِّلَاحَ ، ثُمَّ صَالَحَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا ، وَفَتَحَ سَائِرُ الْجُيُوشِ مَا قَصَدُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ. |
| وَأَمَّا طَارِقٌ ، فَلَمَّا رَأَى طُلَيْطِلَةَ فَارِغَةً ضَمَّ إِلَيْهَا الْيَهُودَ ، وَتَرَكَ مَعَهُمْ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَسَارَ هُوَ إِلَى وَادِي الْحِجَارَةِ ، فَقَطَعَ الْجَبَلَ مِنْ فَجٍّ فِيهِ ، فَسُمِّيَ بِفَجِّ طَارِقٍ إِلَى الْيَوْمِ. |
| وَانْتَهَى إِلَى مَدِينَةٍ خَلْفَ الْجَبَلِ تُسَمَّى مَدِينَةَ الْمَائِدَةِ ، وَفِيهَا وَجَدَ مَائِدَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهِيَ مِنْ زَبَرْجَدٍ خُضْرٍ ، حَافَّاتُهَا وَأَرْجُلُهَا مِنْهَا مُكَلَّلَةٌ بِاللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ وَالْيَاقُوتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَكَانَ لَهَا ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ رِجْلًا. |
| ثُمَّ مَضَى إِلَى مَدِينَةِ مَايَةَ ، فَغَنِمَ مِنْهَا وَرَجَعَ إِلَى طُلَيْطِلَةَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ. |
| وَقِيلَ اقْتَحَمَ أَرْضَ جِلِّيقِيَّةَ ، فَخَرَقَهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَدِينَةِ إِسْتَرْقَةَ ، وَانْصَرَفَ إِلَى طُلَيْطِلَةَ ، وَوَافَتْهُ جُيُوشُهُ الَّتِي وَجَّهَهَا مِنْ إِسْتِجَةَ بَعْدَ فَرَاغِهِمْ مِنْ فَتْحِ تِلْكَ الْمُدُنِ الَّتِي سَيَّرَهُمْ إِلَيْهَا. |
| وَدَخْلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ الْأَنْدَلُسَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ مَا صَنَعَ طَارِقٌ فَحَسَدَهُ ، فَلَمَّا عَبَرَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَنَزَلَ الْجَزِيرَةَ الْخَضْرَاءَ قِيلَ لَهُ تَسْلُكُ طَرِيقَ طَارِقٍ ، فَأَبَى ، فَقَالَ لَهُ الْأَدِلَّاءُ نَحْنُ نَدُلُّكَ عَلَى طَرِيقٍ أَشْرَفَ مِنْ طَرِيقِهِ وَمَدَائِنَ لَمْ تُفْتَحْ بَعْدُ ، وَوَعَدَهُ يُولْيَانُ بِفَتْحٍ عَظِيمٍ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ ، وَكَانَ قَدْ غَمَّهُ. |
| فَسَارُوا بِهِ إِلَى مَدِينَةِ ابْنِ السُّلَيْمِ فَافْتَتَحَهَا عَنْوَةً ، ثُمَّ سَارَ إِلَى مَدِينَةِ قَرْمُونَةَ ، وَهِيَ أَحْصَنُ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ ، فَقَدِمَ إِلَيْهَا يُولْيَانُ وَخَاصَّتُهُ ، فَأَتَوْهُمْ عَلَى حَالِ الْمُنْهَزِمِينَ مَعَهُمُ السِّلَاحُ ، فَأَدْخَلُوهُمْ مَدِينَتَهُمْ ، فَأَرْسَلَ مُوسَى إِلَيْهِمُ الْخَيْلَ ، فَفَتَحُوهَا لَهُمْ لَيْلًا ، فَدَخَلَهَا الْمُسْلِمُونَ وَمَلَكُوهَا ، ثُمَّ سَارَ مُوسَى إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ مَدَائِنِ الْأَنْدَلُسِ بُنْيَانًا وَأَعَزِّهَا آثَارًا ، فَحَصَرَهَا أَشْهُرًا ، وَفَتَحَهَا وَهَرَبَ مَنْ بِهَا ، فَأَنْزَلَهَا مُوسَى الْيَهُودَ ، وَسَارَ إِلَى مَدِينَةٍ مَارِدَةَ فَحَصَرَهَا ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُهَا خَرَجُوا إِلَيْهِ فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَكَمِنَ لَهُمْ مُوسَى لَيْلًا فِي مَقَاطِعِ الصَّخْرِ ، فَلَمْ يَرَهُمُ الْكُفَّارُ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا زَحَفَ إِلَيْهِمْ ، فَخَرَجُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَادَتِهِمْ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَمِينِ وَأَحْدَقُوا بِهِمْ ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَلَدِ ، وَقَتَلُوهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَنَجَا مَنْ نَجَا مِنْهُمْ ، فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ ، وَكَانَتْ حَصِينَةً ، فَحَصَرَهُمْ بِهَا أَشْهُرًا ، وَقَاتَلَهُمْ ، وَزَحَفَ إِلَيْهِمْ بِدَبَّابَةٍ عَمِلَهَا وَنَقَبُوا سُورَهَا ، فَخَرَجَ أَهْلُهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلُوهُمْ عِنْدَ الْبُرْجِ ، فَسَمِّي بُرْجَ الشُّهَدَاءِ إِلَى الْيَوْمِ ، ثُمَّ افْتَتَحَهَا آخِرَ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ يَوْمَ الْفِطْرِ صُلْحًا عَلَى أَنَّ جَمِيعَ أَمْوَالِ الْقَتْلَى يَوْمَ الْكَمِينِ وَأَمْوَالَ الْهَارِبِينَ إِلَى جِلِّيقِيَّةَ وَأَمْوَالَ الْكَنَائِسِ وَحُلِيَّهَا لِلْمُسْلِمِينَ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ إِشْبِيلِيَّةَ اجْتَمَعُوا وَقَصَدُوهَا ، فَقَتَلُوا مَنْ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَسَيَّرَ مُوسَى إِلَيْهَا ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بِجَيْشٍ ، فَحَصَرَهَا وَمَلَكَهَا عَنْوَةً ، وَقَتَلَ مَنْ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا ، وَسَارَ عَنْهَا إِلَى لَبْلَةَ وَبَاجَةَ ، فَمَلَكَهَا ، وَعَادَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ. |
| وَسَارَ مُوسَى مِنْ مَدِينَةٍ مَارِدَةَ فِي شَوَّالٍ يُرِيدُ طُلَيْطِلَةَ ، فَخَرَجَ طَارِقٌ إِلَيْهِ فَلَقِيَهُ ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُ نَزَلَ إِلَيْهِ ، فَضَرَبَهُ مُوسَى بِالسَّوْطِ عَلَى رَأْسِهِ ، وَوَبَّخَهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خِلَافِهِ ، ثُمَّ سَارَ بِهِ إِلَى مَدِينَةِ طُلَيْطِلَةَ ، فَطَلَبَ مِنْهُ مَا غَنِمَ وَالْمَائِدَةَ أَيْضًا ، فَأَتَاهُ بِهَا وَقَدِ انْتَزَعَ رِجْلًا مِنْ أَرْجُلِهَا ، فَسَأَلَهُ عَنْهَا ، فَقَالَ لَا عِلْمَ لِي ، كَذَلِكَ وَجَدْتُهَا ، فَعَمِلَ عِوَضَهَا مِنْ ذَهَبٍ. |
| وَسَارَ مُوسَى إِلَى سَرَقُسْطَةَ وَمَدَائِنِهَا ، فَافْتَتَحَهَا وَأَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْفِرِنْجِ ، فَانْتَهَى إِلَى مَفَازَةٍ كَبِيرَةٍ وَأَرْضٍ سَهْلَةٍ ذَاتَ آثَارٍ ، فَأَصَابَ فِيهَا صَنَمًا قَائِمًا فِيهِ مَكْتُوبٌ بِالنَّقْرِ يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ إِلَى هَاهُنَا مُنْتَهَاكُمْ فَارْجِعُوا ، وَإِنْ سَأَلْتُمْ إِلَى مَاذَا تَرْجِعُونَ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّكُمْ تَرْجِعُونَ إِلَى الِاخْتِلَافِ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، حَتَّى يَضْرِبَ بَعْضُكُمْ أَعْنَاقَ بَعْضٍ ، وَقَدْ فَعَلْتُمْ. |
| فَرَجَعَ وَوَافَاهُ رَسُولُ الْوَلِيدِ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ عَنِ الْأَنْدَلُسِ وَالْقُفُولِ إِلَيْهِ ، فَسَاءَهُ ذَلِكَ وَمَطَلَ الرَّسُولَ ، وَهُوَ يَقْصِدُ بِلَادَ الْعَدُوِّ فِي غَيْرِ نَاحِيَةِ الصَّنَمِ ، يَقْتُلُ ، وَيَسْبِي ، وَيَهْدِمُ الْكَنَائِسَ ، وَيُكَسِّرُ النَّوَاقِيسَ ، حَتَّى بَلَغَ صَخْرَةَ بِلَايْ عَلَى الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ ، وَهُوَ فِي قُوَّةٍ وَظُهُورٍ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولٌ آخَرُ لِلْوَلِيدِ يَسْتَحِثُّهُ ، وَأَخَذَ بِعِنَانِ بَغْلَتِهِ وَأَخْرَجَهُ ، وَكَانَ مُوَافَاةُ الرَّسُولِ بِمَدِينَةٍ لَكَّ بِجِلِّيقِيَّةَ ، وَخَرَجَ عَلَى الْفَجِّ الْمَعْرُوفِ بِفَجِّ مُوسَى ، وَوَافَاهُ طَارِقٌ مِنَ الثَّغْرِ الْأَعْلَى ، فَأَقْفَلَهُ مَعَهُ وَمَضَيَا جَمِيعًا. |
| وَاسْتَخْلَفَ مُوسَى عَلَى الْأَنْدَلُسِ ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ مُوسَى ، فَلَمَّا عَبَرَ الْبَحْرَ إِلَى سَبْتَهَ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا وَعَلَى طَنْجَةَ وَمَا وَالَاهُمَا ابْنَهُ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَأَعْمَالِهَا ابْنَهُ الْكَبِيرَ عَبْدَ اللَّهِ ، وَسَارَ إِلَى الشَّامِ ، وَحَمَلَ الْأَمْوَالَ الَّتِي غُنِمَتْ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَالذَّخَائِرَ وَالْمَائِدَةَ ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ بِكْرٍ مِنْ بَنَاتِ مُلُوكِ الْقُوطِ وَأَعْيَانِهِمْ ، وَمِنْ نَفِيسِ الْجَوْهَرِ وَالْأَمْتِعَةِ مَا لَا يُحْصَى ، فَوَرَدَ الشَّامَ ، وَقَدْ مَاتَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَاسْتُخْلِفَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ مُنْحَرِفًا عَنْ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، فَعَزَلَهُ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ ، وَأَقْصَاهُ وَحَبَسَهُ وَأَغْرَمَهُ حَتَّى احْتَاجَ أَنْ يَسْأَلَ الْعَرَبَ فِي مَعُونَتِهِ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ قَدِمَ الشَّامَ وَالْوَلِيدُ حَيٌّ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ وَادَّعَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي فَتَحَ الْأَنْدَلُسَ ، وَأَخْبَرَهُ خَبَرَ الْمَائِدَةِ ، فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَهُ عَرَضَ عَلَيْهِ مَا مَعَهُ وَعَرْضَ الْمَائِدَةَ ، وَمَعَهُ طَارِقٌ ، فَقَالَ طَارِقٌ أَنَا غَنِمْتُهَا. |
| فَكَذَّبَهُ مُوسَى. |
| فَقَالَ طَارِقٌ لِلْوَلِيدِ سَلْهُ عَنْ رِجْلِهَا الْمَعْدُومَةِ. |
| فَسَأَلَهُ عَنْهَا ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ ، فَأَظْهَرَهَا طَارِقٌ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَخْفَاهَا لِهَذَا السَّبَبِ. |
| فَعَلِمَ الْوَلِيدُ صِدْقَ طَارِقٍ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ هَذَا لِأَنَّهُ كَانَ حَبَسَهُ وَضَرَبَهُ حَتَّى أَرْسَلَ الْوَلِيدُ فَأَخْرَجَهُ ، وَقِيلَ لَمْ يَحْبِسْهُ. |
| قَالُوا وَلَمَّا دَخَلَتِ الرُّومُ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ كَانَ فِي مَمْلَكَتِهِمْ بَيْتٌ إِذَا وَلِيَ مَلِكٌ مِنْهُمْ أَقْفَلَ عَلَيْهِ قُفْلًا ، فَلَمَّا مَلَكَتِ الْقُوطُ فَعَلُوا كَفِعْلِهِمْ ، فَلَمَّا مَلَكَ رُذَرِيقُ أَرَادَ فَتْحَ الْأَقْفَالِ ، فَنَهَاهُ أَكَابِرُ أَهْلِ الْبِلَادِ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَفَتَحَ الْأَقْفَالَ ، فَرَأَى فِي الْبَيْتِ صُوَرَ الْعَرَبِ وَعَلَيْهِمُ الْعَمَائِمُ الْحُمْرُ عَلَى خُيُولٍ شُهُبٍ ، وَفِيهِ كِتَابٌ إِذَا فُتِحَ هَذَا الْبَيْتُ دَخَلَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ هَذَا الْبَلَدَ. |
| فَفُتِحَتِ الْأَنْدَلُسُ تِلْكَ السَّنَةَ. |
| فَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ ، وَنَذْكُرُ بَاقِيَ أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ أَوْقَاتِ حُدُوثِهَا عَلَى مَا شَرَطْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ذِكْرُ غَزْوَةِ جَزِيرَةِ سَرْدَانِيَّةَ هَذِهِ الْجَزِيرَةُ فِي بَحْرِ الرُّومِ ، وَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ الْجَزَائِرِ مَا عَدَا جَزِيرَةَ صِقِلِّيَةَ وَأَقْرِيطِشَ ، وَهِيَ كَثِيرَةُ الْفَوَاكِهِ ، وَلَمَّا فَتَحَ مُوسَى بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ سَيَّرَ طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ فِي الْبَحْرِ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، فَدَخَلُوهَا ، وَعَمَدَ النَّصَارَى إِلَى مَالِهِمْ مِنْ آنِيَةِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، فَأَلْقَوُا الْجَمِيعَ فِي الْمِينَاءِ الَّذِي لَهُمْ ، وَجَعَلُوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَقْفٍ بَنَوْهُ لِلْبَيْعَةِ الْعُظْمَى الَّتِي لَهُمْ تَحْتَ السَّقْفِ الْأَوَّلِ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ ، وَأَكْثَرُوا الْغُلُولَ. |
| فَاتَّفَقَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اغْتَسَلَ فِي الْمِينَاءِ ، فَعَلِقَتْ رِجْلُهُ فِي شَيْءٍ ، فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا صَحْفَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعَ مَا فِيهِ ، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تِلْكَ الْكَنِيسَةِ ، فَنَظَرَ إِلَى حَمَامٍ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَأَخْطَأَهُ ، وَوَقَعَ فِي السَّقْفِ ، وَانْكَسَرَ لَوْحٌ ، فَنَزَلَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنَ الدَّنَانِيرِ ، وَأَخَذُوا الْجَمِيعَ ، وَازْدَادَ الْمُسْلِمُونَ غُلُولًا ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَذْبَحُ الْهِرَّةَ وَيَرْمِي مَا فِي جَوْفِهَا فَيَمْلَأُهُ دَنَانِيرَ وَيَخِيطُ عَلَيْهَا وَيُلْقِيهَا فِي الطَّرِيقِ ، فَإِذَا خَرَجَ أَخَذَهَا ، وَكَانَ يَضَعُ قَائِمَ سَيْفِهِ عَلَى الْجَفْنِ ، وَيَمْلَأَهُ ذَهَبًا. |
| فَلَمَّا رَكِبُوا فِي الْبَحْرِ سَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ اللَّهُمَّ غَرِّقْهُمْ ، فَغَرِقُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، فَوَجَدُوا أَكْثَرَ الْغَرْقَى وَالدَّنَانِيرُ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ. |
| سَنَةَ هـ وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ غَزَاهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ الْفِهْرِيُّ ، فَقَتَلَ مَنْ بِهَا قَتْلًا ذَرِيعًا ، ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى الْجِزْيَةِ ، فَأُخِذَتْ مِنْهُمْ وَبَقِيَتْ وَلَمْ يَغْزُهَا بَعْدَهُ أَحَدٌ ، فَعَمَّرَهَا الرُّومُ. |
| سَنَةَ هـ فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، أَخْرَجَ إِلَيْهَا الْمَنْصُورُ بْنُ الْقَائِمِ الْعَلَوِيُّ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ أُسْطُولًا مِنَ الْمَهْدِيَّةِ ، فَمَرُّوا بِجِنْوَةَ ، فَفَتَحُوا الْمَدِينَةَ ، وَأَوْقَعُوا بِأَهْلٍ سَرْدَانِيَّةَ وَسَبَوْا فِيهَا ، وَأَحْرَقُوا مَرَاكِبَ كَثِيرَةً ، وَأَخْرَبُوا جِنْوَةَ وَغَنِمُوا مَا فِيهَا. |
| سَنَةَ هـ وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ غَزَاهَا مُجَاهِدٌ الْعَامِرِيُّ مِنْ دَانِيَةَ ، وَكَانَ صَاحِبُهَا فِي الْبَحْرِ فِي مِائَةٍ وَعِشْرِينَ مَرْكِبًا ، فَفَتَحَهَا ، وَقَتَلَ فَأَكْثَرَ ، وَسَبَى النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ مُلُوكُ الرُّومِ ، فَجَمَعُوا إِلَيْهِ ، وَسَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبَرِّ الْكَبِيرِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ ، وَأُخْرِجُوا مِنْ جَزِيرَةِ سَرْدَانِيَّةَ ، وَأُخِذَتْ بَعْضُ مَرَاكِبِهِمْ ، وَأُسِرَ أَخُو مُجَاهِدٍ وَابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ ، وَرَجَعَ بِمَنْ بَقِيَ إِلَى دَانِيَةَ ، وَلَمْ تَغْزَ بَعْدَ ذَلِكَ. |
| وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا جَمِيعَ أَخْبَارِهَا هَاهُنَا لِقِلَّتِهَا ، وَإِذَا تَفَرَّقَتْ لَمْ تُعْرَفْ كَمَا يَجِبُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرْضَ الرُّومِ ، فَفَتَحَ حُصُونًا ثَلَاثَةً ، وَجَلًّا أَهْلَ سُوسَنَةَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا قُتَيْبَةُ سِجِسْتَانَ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَأَرَادَ قَصْدَ رُتْبِيلَ الْأَعْظَمَ ، فَلَمَّا نَزَلَ قُتَيْبَةُ سِجِسْتَانَ أَرْسَلَ رُتْبِيلُ إِلَيْهِ رُسُلًا بِالصُّلْحِ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ وَانْصَرَفَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ رَبِّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيَّ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ عَلَى الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ عُمَّالُ الْأَمْصَارِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ مَالِكُ بْنُ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ الْبَصْرِيُّ ، وَمِنْ وَلَدِ نَصْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، بِالْمَدِينَةِ ، وَلَهُ أَرْبَعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ذِكْرُ صُلْحِ خُوَارَزْمِشَاهْ وَفَتْحِ خَامْ جُرْدَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ صَالَحَ قُتَيْبَةُ خُوَارَزْمَشَاهْ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ خُوَارَزْمَ كَانَ ضَعِيفًا ، فَغَلَبَهُ أَخُوهُ خُرَّزَادُ عَلَى أَمْرِهِ ، وَكَانَ أَصْغَرَ مِنْهُ ، وَكَانَ إِذَا بَلَغَهُ أَنَّ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ هُوَ مُنْقَطِعٌ إِلَى الْمَلِكِ جَارِيَةً أَوْ مَالًا أَوْ دَابَّةً أَوْ بِنْتًا أَوْ أُخْتًا أَوِ امْرَأَةً جَمِيلَةً أَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَخَذَهُ مِنْهُ ، وَكَانَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَلَا الْمَلِكُ ، فَإِذَا قِيلَ لِلْمَلِكِ ، قَالَ لَا أَقْوَى بِهِ وَهُوَ مُغْتَاظٌ عَلَيْهِ. |
| فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ كَتَبَ إِلَى قُتَيْبَةَ يَدْعُوهُ إِلَى أَرْضِهِ لِيُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ أَخَاهُ وَكُلَّ مَنْ يُضَادَّهُ لِيَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا يَرَى ، وَلَمْ يَطَّلِعْ أَحَدٌ مِنْ مَرَازِبَتِهِ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ قُتَيْبَةُ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَتَجَهَّزُ لِلْغَزْوِ ، وَأَظْهَرَ قُتَيْبَةُ أَنَّهُ يُرِيدُ الصُّغْدَ ، وَسَارَ مِنْ مَرْوَ ، وَجَمَعَ خُوَارَزْمَشَاهْ أَجْنَادُهُ وَدَهَاقِنَتَهُ ، فَقَالَ إِنَّ قُتَيْبَةَ يُرِيدُ الصُّغْدَ وَلَيْسَ يُغَازِيكُمْ ، فَهَلُمُّوا نَتَنَعَّمُ فِي رَبِيعِنَا هَذَا. |
| فَأَقْبَلُوا عَلَى الشُّرْبِ وَالتَّنَعُّمِ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا حَتَّى نَزَلَ قُتَيْبَةُ فِي هِزَارَسِبَ ، فَقَالَ خُوَارَزْمَشَاهْ لِأَصْحَابِهِ مَا تَرَوْنَ ؟ |
| قَالُوا نَرَى أَنْ نُقَاتِلَهُ. |
| قَالَ لَكِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ; لِأَنَّهُ قَدْ عَجَزَ عَنْهُ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنَّا وَأَشَدُّ شَوْكَةً ، وَلَكِنْ أَصْرِفُهُ بِشَيْءٍ أُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ. |
| فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ. |
| فَسَارَ خُوَارَزْمَشَاهْ فَنَزَلَ بِمَدِينَةِ الْفِيلِ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ ، وَهِيَ أَحْصَنُ بِلَادِهِ ، وَقُتَيْبَةُ لَمْ يَعْبُرِ النَّهْرَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ خُوَارَزْمُشَاهْ ، فَصَالَحَهُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ رَأْسٍ وَعَيْنٍ وَمَتَاعٍ ، وَعَلَى أَنْ يُعِينَهُ عَلَى خَامَ جُرْدَ ، فَقَبِلَ قُتَيْبَةُ ذَلِكَ. |
| وَقِيلَ صَالَحَهُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ رَأْسٍ ، ثُمَّ بَعَثَ قُتَيْبَةُ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِلَى خَامَ جُرْدَ ، وَكَانَ يُغَازِي خُوَارَزْمَشَاهْ ، فَقَاتَلَهُ فَقَتَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَغَلَبَ عَلَى أَرْضِهِ ، وَقَدِمَ مِنْهُمْ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ أَسِيرٍ ، فَقَتَلَهُمْ قُتَيْبَةُ ، وَسَلَّمَ قُتَيْبَةُ إِلَى خُوَارَزْمَشَاهْ أَخَاهُ وَمَنْ كَانَ يُخَالِفُهُ ، فَقَتَلَهُمْ وَدَفَعَ أَمْوَالَهُمْ إِلَى قُتَيْبَةَ. |
| ذِكْرُ فَتْحِ سَمَرْقَنْدَ فَلَمَّا قَبَضَ قُتَيْبَةُ صُلْحَ خُوَارَزْمَشَاهْ قَامَ إِلَيْهِ الْمُجَشِّرُ بْنُ مُزَاحِمٍ السُّلَمِيُّ. |
| فَقَالَ لَهُ سِرًّا إِنْ أَرَدْتَ الصُّغْدَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَالْآنَ ، فَإِنَّهُمْ آمِنُونَ مِنْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَامِلُ هَذَا ، وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَشْرَةُ أَيَّامٍ. |
| قَالَ أَشَارَ عَلَيْكَ بِهَذَا أَحَدٌ ؟ |
| قَالَ لَا. |
| قَالَ فَسَمِعَهُ مِنْكَ أَحَدٌ ؟ |
| قَالَ لَا. |
| قَالَ وَاللَّهِ لَئِنْ تَكَلَّمَ بِهِ أَحَدٌ لَأَضْرِبَّنَ عُنُقَكَ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَمَرَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَسَارَ فِي الْفُرْسَانِ وَالرُّمَاةِ ، وَقَدَّمَ الْأَثْقَالَ إِلَى مَرْوَ ، فَسَارَ يَوْمَهُ ، فَلَمَّا أَمْسَى كَتَبَ إِلَيْهِ قُتَيْبَةُ إِذَا أَصْبَحْتَ فَوَجِّهِ الْأَثْقَالَ إِلَى مَرْوَ ، وَسِرْ بِالْفُرْسَانِ وَالرُّمَاةِ نَحْوَ الصُّغْدِ ، وَاكْتُمِ الْأَخْبَارَ ، فَإِنِّي فِي الْأَثَرِ. |
| فَفَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَا أَمَرَهُ ، وَخَطَبَ قُتَيْبَةُ النَّاسَ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ الصُّغْدَ شَاغِرَةٌ بِرِجْلِهَا ، وَقَدْ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَصَنَعُوا مَا بَلَغَكُمْ ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خُوَارَزْمُ وَالصُّغْدُ كَقُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ. |
| ثُمَّ سَارَ فَأَتَى الصُّغْدَ فَبَلَغَهَا بَعْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ ، وَقَدِمَ مَعَهُ أَهْلُ خُوَارَزْمَ وَبُخَارَى ، فَقَاتَلُوهُ شَهْرًا مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ وَهُمْ مَحْصُورُونَ. |
| وَخَافَ أَهْلُ الصُّغْدِ طُولَ الْحِصَارِ ، فَكَتَبُوا إِلَى الْمَلِكِ الشَّاشِ وَخَاقَانَ وَأَخْشَادَ فَرْغَانَةَ إِنَّ الْعَرَبَ إِنْ ظَفِرُوا بِنَا أَتَوْكُمْ بِمِثْلِ مَا أَتَوْنَا بِهِ ، فَانْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَهْمَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ قُوَّةٍ فَابْذُلُوهَا. |
| فَنَظَرُوا ، وَقَالُوا إِنَّمَا نُؤْتَى مِنْ سَفِلَتِنَا ، فَإِنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ كَوَجْدِنَا. |
| فَانْتَخَبُوا مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ النَّجْدَةِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمَرَازِبَةِ وَالْأَسَاوِرَةِ وَالْأَبْطَالِ ، وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا عَسْكَرَ قُتَيْبَةَ فَيُبَيِّتُوهُ ، فَإِنَّهُ مَشْغُولٌ عَنْهُ بِحِصَارِ سَمَرْقَنْدَ ، وَوَلَّوْا عَلَيْهِ ابْنًا لِخَاقَانَ ، فَسَارُوا. |
| وَبَلَغَ قُتَيْبَةَ الْخَبَرُ ، فَانْتَخَبَ مِنْ عَسْكَرِهِ أَرْبَعَمِائَةٍ ، وَقِيلَ سِتَّمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَأَعْلَمَهُمُ الْخَبَرَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، فَسَارُوا وَعَلَيْهِمْ صَالِحُ بْنُ مُسْلِمٍ ، فَنَزَلُوا عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنَ الْعَسْكَرِ عَلَى طَرِيقِ الْقَوْمِ ، فَجَعَلَ صَالِحٌ لَهُ كَمِينَيْنِ ، فَلَمَّا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ جَاءَهُمْ عَدُوُّهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا صَالِحًا حَمَلُوا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا اقْتَتَلُوا شَدَّ الْكَمِينَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، فَلَمْ يُرَ قَوْمٌ كَانُوا أَشَدَّ مِنْ أُولَئِكَ. |
| قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّا لَنُقَاتِلُهُمْ إِذْ رَأَيْتُ تَحْتَ اللَّيْلِ قُتَيْبَةَ وَقَدْ جَاءَ سِرًّا ، فَضَرَبْتُ ضَرْبَةً أَعْجَبَتْنِي. |
| فَقُلْتُ كَيْفَ تَرَى بِأُمِّي وَأَبِي ؟ |
| قَالَ اسْكُتْ فَضَّ اللَّهُ فَاكَ. |
| قَالَ فَقَتَلْنَاهُمْ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ ، وَحَوَيْنَا أَسَلَابَهُمْ وَسِلَاحَهُمْ ، فَاحْتَزَزْنَا رُءُوسَهُمْ وَأَسَرْنَا مِنْهُمْ أَسْرَى ، فَسَأَلْنَاهُمْ عَمَّنْ قَتَلْنَا فَقَالُوا مَا قَتَلْتُمْ إِلَّا ابْنَ مَلِكٍ أَوْ عَظِيمًا أَوْ بَطَلًا ، كَانَ الرَّجُلُ يُعَدُّ بِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَكَتَبْنَا أَسْمَاءَهُمْ عَلَى آذَانِهِمْ ، ثُمَّ دَخَلْنَا الْعَسْكَرَ حِينَ أَصْبَحْنَا ، فَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْنَا بِهِ مِنَ الْقَتْلَى وَالْأَسْرَى وَالْخَيْلِ وَمَنَاطِقِ الذَّهَبِ وَالسِّلَاحِ ، قَالَ وَأَكْرَمَنِي قُتَيْبَةُ وَأَكْرَمَ مَعِي جَمَاعَةً ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ رَأَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي رَأَى مِنِّي. |
| وَلَمَّا رَأَى الصُّغْدُ ذَلِكَ انْكَسَرُوا ، وَنَصَبَ قُتَيْبَةُ عَلَيْهِمُ الْمَجَانِيقَ فَرَمَاهُمْ وَثَلَمَ ثُلْمَةً ، فَقَامَ عَلَيْهَا رَجُلٌ شَتَمَ قُتَيْبَةَ ، فَرَمَاهُ بَعْضُ الرُّمَاةِ فَقَتَلَهُ ، فَأَعْطَاهُ قُتَيْبَةُ عَشَرَةَ آلَافٍ. |
| وَسَمِعَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ قُتَيْبَةَ وَهُوَ يَقُولُ كَأَنَّمَا يُنَاجِي نَفْسَهُ حَتَّى مَتَى يَا سَمَرْقَنْدُ يُعَشِّشُ فِيكِ الشَّيْطَانُ ؟ |
| أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ أَصْبَحْتُ لَأُحَاوِلَنَّ مِنْ أَهْلِكِ أَقْصَى غَايَةٍ. |
| فَانْصَرَفَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ كَمْ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ غَدًا! |
| وَأَخْبَرَ الْخَبَرَ. |
| فَلَمَّا أَصْبَحَ قُتَيْبَةُ أَمَرَ النَّاسَ بِالْجِدِّ فِي الْقِتَالِ ، فَقَاتَلُوهُمْ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَأَمَرَهُمْ قُتَيْبَةُ أَنْ يَبْلُغُوا ثُلْمَةَ الْمَدِينَةِ ، فَجَعَلُوا التِّرَسَةَ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَحَمَلُوا ، فَبَلَغُوهَا وَوَقَفُوا عَلَيْهَا ، وَرَمَاهُمُ الصُّغْدُ بِالنُّشَّابِ فَلَمْ يَبْرَحُوا. |
| فَأَرْسَلَ الصُّغْدُ إِلَى قُتَيْبَةَ فَقَالُوا لَهُ انْصَرِفْ عَنَّا الْيَوْمَ حَتَّى نُصَالِحَكَ غَدًا. |
| فَقَالَ قُتَيْبَةُ لَا نُصَالِحُهُمْ إِلَّا وَرِجَالُنَا عَلَى الثُّلْمَةِ ، وَقِيلَ بَلْ قَالَ قُتَيْبَةُ جَزِعَ الْعَبِيدُ ، انْصَرِفُوا عَلَى ظَفَرِكُمْ ، فَانْصَرَفُوا فَصَالَحَهُمْ مِنَ الْغَدِ عَلَى أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفِ مِثْقَالٍ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَأَنْ يُعْطُوهُ تِلْكَ السَّنَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ ، وَأَنْ يُخْلُوا الْمَدِينَةَ لِقُتَيْبَةَ فَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا مُقَاتِلٌ ، فَيَبْنِي فِيهَا مَسْجِدًا ، وَيَدْخُلُ وَيُصَلِّي وَيَخْطُبُ وَيَتَغَدَّى وَيَخْرُجُ. |
| فَلَمَّا تَمَّ الصُّلْحُ وَأَخْلَوُا الْمَدِينَةَ وَبَنَوُا الْمَسْجِدَ دَخَلَهَا قُتَيْبَةُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ انْتَخَبَهُمْ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى فِيهِ وَخَطَبَ ، وَأَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى الصُّغْدِ مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَأْخُذَ مَتَاعَهُ فَلْيَأْخُذْ فَإِنِّي لَسْتُ خَارِجًا مِنْهَا وَلَسْتُ آخُذُ مِنْكُمْ إِلَّا مَا صَالَحْتُكُمْ عَلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّ الْجُنْدَ يُقِيمُونَ فِيهَا. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ شَرَطَ عَلَيْهِمْ فِي الصُّلْحِ مِائَةَ أَلْفِ فَارِسٍ ، وَبُيُوتَ النِّيرَانِ وَحِلْيَةَ الْأَصْنَامِ ، فَقَبَضَ ذَلِكَ ، وَأُتِيَ بِالْأَصْنَامِ فَكَانَتْ كَالْقَصْرِ الْعَظِيمِ ، وَأَخَذَ مَا عَلَيْهَا ، وَأَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ. |
| فَجَاءَهُ غَوْزَكُ فَقَالَ إِنْ شُكْرَكَ عَلَيَّ وَاجِبٌ ، لَا تَتَعَرَّضْ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ ، فَإِنَّ مِنْهَا أَصْنَامًا مَنْ أَحْرَقَهَا هَلَكَ. |
| فَقَالَ قُتَيْبَةُ أَنَا أَحْرِقُهَا بِيَدِي ، فَدَعَا بِالنَّارِ فَكَبَّرَ ، ثُمَّ أَشْعَلَهَا فَاحْتَرَقَتْ ، فَوَجَدُوا مِنْ بَقَايَا مَسَامِيرِ الذَّهَبِ خَمْسِينَ أَلْفَ مِثْقَالٍ. |
| وَأَصَابَ بِالصُّغْدِ جَارِيَةً مِنْ وَلَدِ يَزْدِجَرْدَ ، فَأَرْسَلَهَا إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَأَرْسَلَهَا الْحَجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ. |
| وَأَمَرَ غَوْزَكَ بِالِانْتِقَالِ عَنْهَا فَانْتَقَلَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ أَهْلَ سَمَرْقَنْدَ خَرَجُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ يُقَاتِلُونَهُمْ يَوْمَ فَتْحِهَا ، وَقَدْ أَمَرَ قُتَيْبَةُ بِسَرِيرٍ فَأُبْرِزَ وَقَعَدَ عَلَيْهِ ، فَطَاعَنُوهُمْ حَتَّى جَازُوا قُتَيْبَةَ وَإِنَّهُ لِمُحْتَبٍ بِسَيْفِهِ مَا حَلَّ حَبَوْتَهُ ، وَانْطَوَتْ مُجَنِّبَتَا الْمُسْلِمِينَ عَلَى الَّذِينَ هَزَمُوا الْقَلْبَ ، فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى رَدُّوهُمْ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَدَدٌ كَثِيرٌ ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ فَصَالَحُوهُمْ ، وَصَنَعَ غَوْزَكُ طَعَامًا وَدَعَا قُتَيْبَةَ ، فَأَتَاهُ فِي عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا بَعُدَ اسْتَوْهَبَ مِنْهُ سَمَرْقَنْدَ وَقَالَ لِلْمَلِكِ انْتَقِلْ عَنْهَا ، فَلَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنْ طَاعَتِهِ ، وَتَلَا قُتَيْبَةُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى النجم ، وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى النجم . |
| وَحُكِيَ عَنِ الَّذِي أَرْسَلَهُ قُتَيْبَةُ إِلَى الْحَجَّاجِ بِفَتْحِ سَمَرْقَنْدَ قَالَ فَأَرْسَلَنِي الْحَجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَقَدِمْتُ دِمَشْقَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، فَدَخَلَتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا إِلَى جَنْبِي رَجُلٌ ضَرِيرٌ ، فَسَأَلَنِي مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ |
| فَقُلْتُ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ سَمَرْقَنْدَ. |
| فَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا افْتَتَحْتُمُوهَا إِلَّا غَدْرًا! |
| وَإِنَّكُمْ يَا أَهْلَ خُرَاسَانَ الَّذِينَ تَسْلُبُونَ بَنِي أُمَيَّةَ مُلْكَهُمْ ، ثُمَّ تَنْقُضُونَ دِمَشْقَ حَجَرًا حَجَرًا. |
| فَلَمَّا فَتَحَ قُتَيْبَةُ سَمَرْقَنْدَ قِيلَ إِنَّ هَذَا لَأَعْدَى الْعَيْرَيْنِ ، لِأَنَّهُ فَتَحَ سَمَرْقَنْدَ وَخُوَارَزْمَ فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَارِسَ إِذَا صَرَعَ فِي طَلْقٍ وَاحِدٍ عَيْرَيْنِ قِيلَ عَادَى عَيْرَيْنِ. |
| فَلَمَّا فَتَحَهَا قُتَيْبَةُ دَعَا نَهَارَ بْنَ تَوْسِعَةَ فَقَالَ يَا نَهَارُ أَيْنَ قَوْلُكَ أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرِّبُ لِلْغِنَى... |
| وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمُهَلَّبِ أَقَامَا بِمُرْوِ الرُّوذِ رَهَنَ ضَرِيحِهِ... |
| وَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ أَفَغَزْوٌ هَذَا ؟ |
| قَالَ لَا ، هَذَا أَحْسَنُ ، وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ وَمَا كَانَ مُذْ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا... |
| وَلَا هُوَ فِيمَا بَعْدَنَا كَابْنِ مُسْلِمِ أَعَمَّ لِأَهْلِ الشِّرْكِ قَتْلًا بِسَيْفِهِ وَأَكْثَرَ فِينَا مَقْسِمًا بَعْدَ مَقْسِمِ قَالَ وَقَالَ الشُّعَرَاءُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ الْكُمَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ كَانَتْ سَمَرْقَنْدُ أَحْقَابًا يَمَانِيَةً... |
| فَالْيَوْمَ تَنْسُبُهَا قَيْسِيَّةً مُضَرُ وَقَالَ كَعْبٌ الْأَشْقَرِيُّ ، وَقِيلَ رَجُلٌ مِنْ جُعْفَى كُلَّ يَوْمٍ يَحْوِي قُتَيْبَةُ نَهْبًا... |
| وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَالًا جَدِيدَا بَاهِلِيٌّ قَدْ أُلْبِسَ التَّاجَ حَتَّى... |
| شَابَ مِنْهُ مَفَارِقٌ كُنَّ سُودَا دَوَّخَ الصُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى... |
| تَرَكَ الصُّغْدَ بِالْعَرَاءِ قُعُودَا فَوَلِيدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ... |
| وَأَبٌ مُوجَعٌ يُبَكِّي الْوَلِيدَا ثُمَّ رَجَعَ قُتَيْبَةُ إِلَى مَرْوَ ، وَكَانَ أَهْلُ خُرَاسَانَ يَقُولُونَ إِنْ قُتَيْبَةَ غَدَرَ بِأَهْلِ سَمَرْقَنْدَ فَمَلَكَهَا غَدْرًا. |
| وَكَانَ عَامِلُهُ عَلَى خُوَارَزْمَ إِيَاسَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى حَرْبِهَا ، وَكَانَ ضَعِيفًا ، وَكَانَ عَلَى خَرَاجِهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ مَوْلَى مُسْلِمٍ. |
| فَاسْتَضْعَفَ أَهْلُ خُوَارَزْمَ إِيَاسًا ، فَجَمَعُوا لَهُ ، فَكَتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى قُتَيْبَةَ ، فَبَعَثَ قُتَيْبَةُ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ عَامِلًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَضْرِبَ إِيَاسًا وَحَيَّانَ النَّبَطِيَّ مِائَةً مِائَةً وَيَحْلِقَهُمَا. |
| فَلَمَّا قَرُبَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ خُوَارَزْمَ أَرْسَلَ إِلَى إِيَاسٍ فَأَنْذَرَهُ ، فَتَنَحَّى ، وَقَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخَذَ حَيَّانَ فَضَرَبَهُ وَحَلَقَهُ. |
| ثُمَّ وَجَّهَ قُتَيْبَةُ الْجُنُودَ إِلَى خُوَارَزْمَ مَعَ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَبَلَغَهُمْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمُغِيرَةُ اعْتَزَلَ أَبْنَاءُ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ خُوَارَزْمَشَاهْ وَقَالُوا لَا نُعِينُكَ ، فَهَرَبَ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ ، وَقَدِمَ الْمُغِيرَةُ فَقَتَلَ وَسَبَى ، فَصَالَحَهُ الْبَاقُونَ عَلَى الْجِزْيَةِ ، وَقَدِمَ عَلَى قُتَيْبَةَ فَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى نَيْسَابُورَ. |
| ذِكْرُ فَتْحِ طُلَيْطِلَةَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَضِبَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ عَلَى مَوْلَاهُ طَارِقٍ فَسَارَ إِلَيْهِ فِي رَجَبٍ مِنْهَا ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُوسَى ، وَعَبَرَ مُوسَى إِلَى طَارِقٍ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ ، فَتَلَقَّاهُ وَتَرَضَّاهُ ، فَرَضِيَ عَنْهُ ، وَقَبِلَ عُذْرَهُ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى طُلَيْطِلَةَ ، وَهِيَ مِنْ عِظَامِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَهِيَ مِنْ قُرْطُبَةَ عَلَى عِشْرِينَ يَوْمًا ، فَفَتَحَهَا وَأَصَابَ فِيهَا مَائِدَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ. |
| قُلْتُ لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا ، وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ مِنْ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ وَدُخُولِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ إِلَى طَارِقٍ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى إِعَادَتِهِ ، إِلَّا أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ مُوسَى هُوَ الَّذِي سَيَّرَ طَارِقًا وَهُوَ بِالْأَنْدَلُسِ ، فَفَتَحَ مَدِينَةَ طُلَيْطِلَةَ ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فِي تَوَارِيخِهِمْ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ الْحِجَازِ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ الْوَلِيدُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ الْحِجَازِ وَالْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ يُخْبِرُهُ بِعَسْفِ الْحَجَّاجِ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَاعْتِدَائِهِ عَلَيْهِمْ وَظُلْمِهِ لَهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَجَّاجَ فَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ إِنَّ مَنْ عِنْدِي مِنَ الْمُرَّاقِ وَأَهْلِ الشِّقَاقِ قَدْ جَلَوْا عَنِ الْعِرَاقِ وَلَحِقُوا بِالْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَإِنَّ ذَلِكَ وَهَنٌ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ يَسْتَشِيرُهُ فِيمَنْ يُوَلِّيهِ الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِخَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعُثْمَانَ بْنِ حَيَّانَ ، فَوَلَّى خَالِدًا مَكَّةَ ، وَعُثْمَانَ الْمَدِينَةَ ، وَعَزَلَ عُمَرَ عَنْهُمَا. |
| فَلَمَّا خَرَجَ عُمَرُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَالَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ نَفَتْهُ الْمَدِينَةُ ، يَعْنِي بِذَلِكَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تَنْفِي خَبَثَهَا ». |
| وَكَانَ عَزْلُهُ عَنْهَا فِي شَعْبَانَ ، وَلَمَّا قَدِمَ خَالِدٌ مَكَّةَ أَخْرَجَ مَنْ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ كَرْهًا ، وَتَهَدَّدَ مَنْ أَنْزَلَ عِرَاقِيًّا أَوْ أَجَّرَهُ دَارًا ، وَاشْتَدَّ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَعَسَفَهُمْ وَجَارَ فِيهِمْ ، وَمَنَعَهُمْ مِنْ إِنْزَالِ عِرَاقِيٍّ ، وَكَانُوا أَيَّامَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ كُلُّ مَنْ خَافَ الْحَجَّاجَ لَجَأَ إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. |
| وَقِيلَ إِنَّمَا اسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ حَيَّانَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وِلَايَةُ خَالِدٍ مَكَّةَ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الرُّومَ فَفَتَحَ سَبَسْطِيَةَ ، وَالْمَرْزُبَانِينَ ، وَطَرَسُوسَ. |
| وَفِيهَا غَزَا مَرْوَانُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَلَغَ خُنْجَرَةَ. |
| وَفِيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ الرُّومَ أَيْضًا ، فَفَتَحَ مَاسِيسَةَ ، وَحِصْنَ الْحَدِيدِ ، وَغَزَالَةَ مِنْ نَاحِيَةِ مَلَطْيَةَ. |
| وَفِيهَا أَجْدَبَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَاسْتَسْقَى مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ فَسُقُوا. |
| وَفِيهَا كَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَبْلَ أَنْ يَعْزِلَهُ يَأْمُرُهُ بِضَرْبِ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَيَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ مَاءً بَارِدًا ، فَضَرَبَهُ خَمْسِينَ سَوْطًا ، وَصَبَّ عَلَيْهِ مَاءً بَارِدًا فِي يَوْمٍ شَاتٍ ، وَوَقَفَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ. |
| خُبَيْبٌ بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَبَائَيْنِ مُوَحَّدَتَيْنِ ، بَيْنَهُمَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ . |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ. |
| وَكَانَ عَلَى الْأَمْصَارِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ إِلَّا الْمَدِينَةَ ، فَإِنَّ عَامِلَهَا عُثْمَانَ بْنَ حَيَّانَ قَدِمَهَا فِي شَوَّالٍ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ وِلَايَةِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَكَّةَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ، وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ وَلِيَهَا هَذِهِ السَّنَةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الشَّعْثَاءِ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ. |
| وَأَبُو الْعَالِيَةِ الْبَرَاءُ ، وَاسْمُهُ زِيَادُ بْنُ فَيْرُوزَ ، وَكَانَ مَوْلًى لِأَعْرَابِيَّةٍ مِنْ بَنِي رِيَاحٍ ، وَلَيْسَ بِأَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيِّ ، ذَاكَ كَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ تِسْعِينَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ بِلَالُ بْنُ أَبِي الدَّرْدَاءِ الْأَنْصَارِيُّ قَاضِي دِمَشْقَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ ذِكْرُ قَتْلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ خُرُوجَهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ جَعَلَهُ عَلَى عَطَاءِ الْجُنْدِ حِينَ وَجَّهَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِلَى رُتْبِيلَ لِقِتَالِهِ ، فَلَمَّا خَلَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْحَجَّاجَ كَانَ سَعِيدٌ فِيمَنْ خَلَعَ ، فَلَمَّا هُزِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَدَخَلَ بِلَادَ رُتْبِيلَ هَرَبَ سَعِيدٌ إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَامِلِهَا بِأَخْذِ سَعِيدٍ ، فَخَرَجَ الْعَامِلُ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى سَعِيدٍ يُعَرِّفُهُ ذَلِكَ وَيَأْمُرُهُ بِمُفَارَقَتِهِ ، فَسَارَ عَنْهُ فَأَتَى أَذْرَبِيجَانَ ، فَطَالَ عَلَيْهِ الْقِيَامُ فَاغْتَمَّ بِهَا ، فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ ، فَكَانَ بِهَا هُوَ وَأُنَاسٌ أَمْثَالُهُ يَسْتَخْفُونَ ، فَلَا يُخْبِرُونَ أَحَدًا أَسْمَاءَهُمْ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَكَّةَ ، قِيلَ لِسَعِيدٍ إِنَّهُ رَجُلُ سَوْءٍ ، فَلَوْ سِرْتَ عَنْ مَكَّةَ. |
| قَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ فَرَرْتُ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللَّهِ ، وَسَيَجِيئُنِي مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي. |
| فَلَمَّا قَدِمَ خَالِدٌ مَكَّةَ كَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بِحَمْلِ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَأَخَذَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدًا وَطَلْقَ بْنَ حَبِيبٍ ، فَأَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِ ، فَمَاتَ طَلْقٌ بِالطَّرِيقِ ، وَحُبِسَ مُجَاهِدٌ حَتَّى مَاتَ الْحَجَّاجُ. |
| وَكَانَ سَيْرُهُمْ مَعَ حَرَسَيْنِ ، فَانْطَلَقَ أَحَدُهُمَا لِحَاجَةٍ وَبَقِيَ الْآخَرُ ، فَقَالَ لِسَعِيدٍ ، وَقَدِ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ لَيْلًا يَا سَعِيدُ ، إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ دَمِكَ ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي ، فَقِيلَ لِي وَيْلَكَ! |
| تَبَرَّأْ مِنْ دَمِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ! |
| فَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ فَإِنِّي لَا أَطْلُبُكَ. |
| فَأَبَى سَعِيدٌ ، فَرَأَى ذَلِكَ الْحَرَسُ مِثْلَ تِلْكَ الرُّؤْيَا ثَلَاثًا ، وَيَأْذَنُ لِسَعِيدٍ فِي الذَّهَابِ وَهُوَ لَا يَفْعَلُ. |
| فَقَدِمُوا بِهِ الْكُوفَةَ ، فَأُنْزِلَ فِي دَارِهِ ، وَأَتَاهُ قُرَّاءُ الْكُوفَةِ ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ وَهُوَ يَضْحَكُ وَبُنَيَّةٌ لَهُ فِي حِجْرِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى الْقَيْدِ فِي رِجْلِهِ بَكَتْ ، ثُمَّ أَدْخَلُوهُ عَلَى الْحَجَّاجِ ، فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ ، قَالَ لَعَنَ اللَّهُ ابْنَ النَّصْرَانِيَّةِ! |
| يَعْنِي خَالِدًا ، وَكَانَ هُوَ أَرْسَلَهُ ، أَمَّا كُنْتُ أَعْرِفُ مَكَانَهُ ؟ |
| بَلَى وَاللَّهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي هُوَ فِيهِ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ يَا سَعِيدُ أَلَمْ أُشْرِكْكَ فِي إِمَامَتِي ؟ |
| أَلَمْ أَفْعَلْ ؟ |
| أَلَمْ أَسْتَعْمِلْكَ ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَ فَمَا أَخْرَجَكَ عَلَيَّ ؟ |
| قَالَ إِنَّمَا أَنَا امْرُؤٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يُخْطِئُ مَرَّةً وَيُصِيبُ مَرَّةً. |
| فَطَابَتْ نَفْسُ الْحَجَّاجِ ، ثُمَّ عَاوَدَهُ فِي شَيْءٍ ، فَقَالَ إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةً فِي عُنُقِي ، فَغَضِبَ الْحَجَّاجُ وَانْتَفَخَ ، وَقَالَ يَا سَعِيدُ أَلَمْ أَقْدَمْ مَكَّةَ ، فَقَتَلْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَأَخَذْتُ بَيْعَةَ أَهْلِهَا ، وَأَخَذْتُ بَيْعَتَكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَ ثُمَّ قَدِمْتُ الْكُوفَةَ وَالِيًا ، فَجَدَّدْتُ الْبَيْعَةَ ، فَأَخَذْتُ بَيْعَتَكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثَانِيَةً ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَ فَتَنْكُثُ بَيْعَتَيْنِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتُوفِي بِوَاحِدَةٍ لِلْحَائِكِ ابْنِ الْحَائِكِ ، وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّكَ! |
| قَالَ إِنِّي إِذًا لَسَعِيدٌ كَمَا سَمَّتْنِي أُمِّي. |
| فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ رَقَبَتُهُ ، فَبَدَرَ رَأْسُهُ عَلَيْهِ كُمَّةٌ بَيْضَاءُ لَاطِيَةٌ ، فَلَمَّا سَقَطَ رَأْسُهُ هَلَّلَ ثَلَاثًا ، أَفْصَحَ بِمَرَّةٍ وَلَمْ يُفْصِحْ بِمَرَّتَيْنِ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ الْتَبَسَ عَقْلُ الْحَجَّاجِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ قُيُودُنَا قُيُودُنَا! |
| فَظَنُّوا أَنَّهُ يُرِيدُ الْقُيُودَ ، فَقَطَعُوا رِجْلَيْ سَعِيدٍ مِنْ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ وَأَخَذُوا الْقُيُودَ ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ إِذَا نَامَ يَرَاهُ فِي مَنَامِهِ يَأْخُذُ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ ، فَيَقُولُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ فِيمَ قَتَلْتَنِي ؟ |
| فَيَقُولُ مَا لِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ! |
| مَا لِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ! |
| ذِكْرُ غَزْوَةِ الشَّاشِ وَفَرْغَانَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَطَعَ قُتَيْبَةُ النَّهْرَ ، وَفَرَضَ عَلَى أَهْلِ بُخَارَى وَكَشَّ وَنَسَفَ وَخُوَارَزْمَ عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، فَسَارُوا مَعَهُ ، فَوَجَّهَهُمْ إِلَى الشَّاشِ ، وَتَوَجَّهَ هُوَ إِلَى فَرْغَانَةَ فَأَتَى خُجَنْدَةَ ، فَجَمَعَ لَهُ أَهْلُهَا فَلَقُوهُ فَاقْتَتَلُوا مِرَارًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَكُونُ الظَّفَرُ لِلْمُسْلِمِينَ. |
| ثُمَّ إِنَّ قُتَيْبَةَ أَتَى كَاشَانَ مَدِينَةَ فَرْغَانَةَ ، وَأَتَاهُ الْجُنُودُ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ إِلَى الشَّاشِ وَقَدْ فَتَحُوهَا وَأَحْرَقُوا أَكْثَرَهَا ، وَانْصَرَفَ إِلَى مَرْوَ ، وَقَالَ سَحْبَانُ يَذْكُرُ قِتَالَهُمْ بِخُجَنْدَةَ فَقَالَ فَسَلِ الْفَوَارِسَ فِي خُجَنْ... |
| دَةَ تَحْتَ مُرْهَفَةِ الْعَوَالِي هَلْ كُنْتُ أَجْمَعَهُمْ إِذَا... |
| هُزِمُوا وَأُقْدِمُ فِي الْقِتَالِ أَمْ كُنْتُ أَضْرِبُ هَامَةَ الْ... |
| عَاتِي وَأَصْبِرُ لِلْعَوَالِي هَذَا وَأَنْتَ قَرِيعُ قَيْ سٍ كُلِّهَا ضَخَمُ النَّوَالِ... |
| وَفَضَلْتَ قَيْسًا فِي النَّدَى وَأَبُوكَ فِي الْحِجَجِ الْخَوَالِي... |
| وَلَقَدْ تَبَيَّنَ عَدْلُ حُكْ مِكَ فِيهِمُ فِي كُلِّ حَالِ... |
| تَمَّتْ مُرُوءَتُكُمْ وَنَا غَى عِزُّكُمْ غُلْبَ الْجِبَالِ ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ أَرْضَ الرُّومِ فَفَتَحَ أَنْطَاكِيَّةَ. |
| وَفِيهَا غَزَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَلَغَ غَزَالَةَ ، وَبَلَغَ الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ الْمُعَيْطِيُّ بُرْجَ الْحَمَامِ ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي كَبْشَةَ أَرْضَ سُورِيَةَ. |
| وَفِيهَا كَانَتِ الزَّلَازِلُ بِالشَّامِ ، وَدَامَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَخَرَّبَتِ الْبِلَادَ ، وَكَانَ عِظَمُ ذَلِكَ فِي أَنْطَاكِيَّةَ. |
| وَفِيهَا افْتَتَحَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيُّ أَرْضَ الْهِنْدِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَتُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فِي أَوَّلِهَا. |
| ثُمَّ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ. |
| ثُمَّ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ. |
| وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ. |
| وَاسْتَقْضَى الْوَلِيدُ عَلَى الشَّامِ سُلَيْمَانَ بْنَ حَبِيبٍ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقِيلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَكَانَ الْعَامِلُ بِمَكَّةَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَبِالْمَدِينَةِ عُثْمَانُ بْنُ حَيَّانَ ، وَبِمِصْرَ قُرَّةُ بْنُ شَرِيكٍ ، وَبِخُرَاسَانَ قُتَيْبَةُ مِنْ قِبَلِ الْحَجَّاجِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ ذِكْرُ غَزْوَةِ الشَّاشِ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعَثَ الْحَجَّاجُ جَيْشًا مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى قُتَيْبَةَ فَغَزَا بِهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ بِالشَّاشِ أَوْ بِكَشَّ مَاهَانَ أَتَاهُ مَوْتُ الْحَجَّاجِ فِي شَوَّالٍ مِنْهَا ، فَغَمَّهُ ذَلِكَ وَتَمَثَّلَ يَقُولُ لَعَمْرِي لَنِعْمَ الْمَرْءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ... |
| بِحَوْرَانَ أَمْسَى أَعَلَقَتْهُ الْحَبَائِلُ فَإِنْ تَحْيَ لَا أَمْلَلْ حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ... |
| فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ وَرَجَعَ إِلَى مَرْوَ وَتَفَرَّقَ بالنَّاسِ ، فَأَتَاهُ كِتَابُ الْوَلِيدِ قَدْ عَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَلَاءَكَ وَجِدَّكَ وَاجْتِهَادَكَ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَافِعُكَ وَصَانِعٌ بِكَ الَّذِي يَجِبُ لَكَ ، فَالْمُمْ مَغَازِيَكَ ، وَانْتَظِرْ ثَوَابَ رَبِّكَ ، وَلَا تَغِبْ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كُتُبُكَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَلَائِكَ وَالثَّغْرَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ قِيلَ إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ذُكِرَ عِنْدَهُ ظُلْمُ الْحَجَّاجِ وَغَيْرِهِ مِنْ وُلَاةِ الْأَمْصَارِ أَيَّامَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ بِالْعِرَاقِ ، وَالْوَلِيدُ بِالشَّامِ ، وَقُرَّةُ بِمِصْرَ ، وَعُثْمَانُ بِالْمَدِينَةِ ، وَخَالِدٌ بِمَكَّةَ ، اللَّهُمَّ قَدِ امْتَلَأَتِ الدُّنْيَا ظُلْمًا وَجَوْرًا فَأَرِحِ النَّاسَ! |
| فَلَمْ يَمْضِ غَيْرُ قَلِيلٍ حَتَّى تُوُفِّيَ الْحَجَّاجُ وَقُرَّةُ بْنُ شَرِيكٍ فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ تَبِعَهُمَا الْوَلِيدُ ، وَعُزِلَ عُثْمَانُ وَخَالِدٌ ، وَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَعُمَرَ. |
| وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْقِصَّةَ بِقِصَّةِ ابْنِ عُمَرَ مَعَ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، حَيْثُ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَقُولُ لَهُ قَدْ ضَبَطْتُ الْعِرَاقَ بِشَمَالِي وَيَمِينِي فَارِغَةٌ. |
| يُعَرِّضُ بِإِمَارَةِ الْحِجَازِ. |
| فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ اللَّهُمَّ أَرِحْنَا مِنْ يَمِينِ زِيَادٍ ، وَأَرِحْ أَهْلَ الْعِرَاقِ مِنْ شِمَالِهِ. |
| فَكَانَ أَوَّلُ خَبَرٍ جَاءَهُ مَوْتَ زِيَادٍ. |
| وَكَانَتْ وَفَاةُ الْحَجَّاجِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ كَانَتْ وَفَاتُهُ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ الْعِرَاقَ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ اسْتَخْلَفَ عَلَى الصَّلَاةِ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَجَّاجِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى حَرْبِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ يَزِيدَ بْنَ أَبِي كَبْشَةَ ، وَعَلَى خَرَاجِهِمَا يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ ، فَأَقَرَّهُمَا الْوَلِيدُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَلَمْ يُغَيِّرْ أَحَدًا مِنْ عُمَّالِ الْحَجَّاجِ. |
| ذِكْرُ نَسَبِهِ وَشَيْءٍ مِنْ سِيرَتِهِ هُوَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مُعَتِّبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيُّ. |
| قَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ خَطَبَنَا الْحَجَّاجُ فَذَكَرَ الْقَبْرَ ، فَمَا زَالَ يَقُولُ إِنَّهُ بَيْتُ الْوَحْدَةِ ، إِنَّهُ بَيْتُ الْغُرْبَةِ ، وَبَيْتُ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى بَكَى وَأَبْكَى ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ سَمِعْتُ مَرْوَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ خَطَبَنَا عُثْمَانُ ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ « مَا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى قَبْرٍ أَوْ ذَكَرَهُ إِلَّا بَكَى ». |
| وَقَدْ رُوِيَ أَحَادِيثُ غَيْرُ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنَسٍ. |
| وَقَالَ ابْنُ عَوْفٍ كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَقْرَأُ عَرَفْتُ أَنَّهُ طَالَمَا دَرَسَ الْقُرْآنَ. |
| وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ مَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنَ الْحَجَّاجِ وَمِنَ الْحَسَنِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ أَفْصَحَ. |
| وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ قَالَ الْحَجَّاجُ يَوْمًا مَنْ كَانَ لَهُ بَلَاءٌ فَلْيَقُمْ ، فَنُعْطِيهِ عَلَى بَلَائِهِ. |
| فَقَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ أَعْطِنِي عَلَى بَلَائِي. |
| قَالَ وَمَا بَلَاؤُكَ ؟ |
| قَالَ قَتَلْتُ الْحُسَيْنَ. |
| قَالَ كَيْفَ قَتَلْتَهُ ؟ |
| قَالَ دَسَرْتُهُ بِالرُّمْحِ دَسْرًا ، وَهَبَرْتُهُ بِالسَّيْفِ هَبْرًا ، وَمَا أَشْرَكْتُ مَعِيَ فِي قَتْلِهِ أَحَدًا. |
| قَالَ فَإِنَّكَ لَا تَجْتَمِعُ أَنْتَ وَهُوَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. |
| وَقَالَ اخْرُجْ! |
| وَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا. |
| قِيلَ كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ يَأْمُرُهُ بِقَتْلِ أَسْلَمَ بْنِ عَبْدٍ الْبِكْرِيِّ بِشَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَأَحْضَرَهُ الْحَجَّاجُ وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غَائِبٌ وَأَنْتَ حَاضِرٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا الحجرات الْآيَةَ ، وَالَّذِي بَلَغَهُ عَنِّي بَاطِلٌ ، فَاكْتُبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي أَعُولُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ امْرَأَةً وَهُنَّ بِالْبَابِ ، فَأَحْضَرَهُنَّ ، فَهَذِهِ أُمُّهُ ، وَهَذِهِ عَمَّتُهُ وَزَوْجَتُهُ وَابْنَتُهُ ، وَكَانَ فِي آخِرِهِنَّ جَارِيَةٌ قَارَبَتْ عَشْرَ سِنِينَ. |
| فَقَالَ لَهَا مَنْ أَنْتِ مِنْهُ ؟ |
| قَالَتِ ابْنَتُهُ ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! |
| ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ أَحَجَّاجُ لَمْ تَشْهَدْ مَقَامَ بَنَاتِهِ... |
| وَعَمَّاتِهِ يَنْدُبْنَهُ اللَّيْلَ أَجْمَعَا أَحَجَّاجُ لَمْ تَقْبَلْ بِهِ أَنْ قَتَلْتَهُ... |
| ثَمَانًا وَعَشْرًا وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعَا أَحَجَّاجُ مَنْ هَذَا يَقُومُ مَقَامَهُ... |
| عَلَيْنَا فَمَهْلًا إِنْ تَزِدْنَا تَضَعْضُعَا أَحَجَّاجُ إِمَّا أَنْ تَجُودَ بِنِعْمَةٍ عَلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ تُقَتِّلَنَا مَعَا فَبَكَى الْحَجَّاجُ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَعَنْتُ الدَّهْرَ عَلَيْكُنَّ ، وَلَا زِدْتُكُنَّ تَضَعْضُعَا. |
| وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِخَبَرِ الرَّجُلِ وَالْجَارِيَةِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ ، فَأَحْسِنْ صِلَتَهُ ، وَتَفَقَّدِ الْجَارِيَةَ. |
| فَفَعَلَ. |
| وَقَالَ عَاصِمُ ابْنُ بَهْدَلَةَ سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَقُولُ اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، هَذَا وَاللَّهِ مَثْنَوِيَّةٌ ، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ لَيْسَ فِي مَثْنَوِيَّةٍ ، وَاللَّهِ لَوْ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مِنْ هَذَا الْبَابِ فَخَرَجْتُمْ مِنْ هَذَا حَلَّتْ لِي دِمَاؤُكُمْ ، وَلَا أَجِدُ أَحَدًا يَقْرَأُ عَلَيَّ قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ ، يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَلَأَحُكَّنَّهَا مِنَ الْمُصْحَفِ وَلَوْ بِضِلَعِ خِنْزِيرٍ ، قَدْ ذُكِرَ ذَلِكَ عِنْدَ الْأَعْمَشِ. |
| فَقَالَ وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَأَقْرَأَنَّهَا عَلَى رَغْمِ أَنْفِكَ. |
| قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَوْ جَاءَتْ كُلُّ أَمَةٍ بِخَبِيثِهَا وَجِئْنَا بِالْحَجَّاجِ لَغَلَبْنَاهُمْ. |
| قَالَ مَنْصُورٌ سَأَلْنَا إِبْرَاهِيمَ الشُّجَاعِيَّ ، عَنِ الْحَجَّاجِ فَقَالَ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ هود ؟ |
| قَالَ الشَّافِعِيُّ بَلَغَنِي أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ قَالَ لِلْحَجَّاجِ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ عَارِفٌ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ ، فَعِبْ نَفْسَكَ وَلَا تَخْبَأْ مِنْهَا شَيْئًا. |
| قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا لَجُوجٌ حَقُودٌ. |
| فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِذًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ نَسَبٌ. |
| فَقَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا رَآنِي سَالَمَنِي. |
| قَالَ الْحَسَنُ سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ اللَّهُمَّ ائْتَمَنْتُهُمْ فَخَانُونِي ، وَنَصَحْتُهُمْ فَغَشُّونِي ، اللَّهُمَّ فَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ غُلَامَ ثَقِيفٍ يَحْكُمُ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ! |
| فَوَصَفَهُ وَهُوَ يَقُولُ الزَّيَّالُ ، مُفَجِّرُ الْأَنْهَارِ ، يَأْكُلُ خُضْرَتَهَا ، وَيَلْبَسُ فَرْوَتَهَا. |
| قَالَ الْحَسَنُ هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَةُ الْحَجَّاجِ. |
| قَالَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ عَلِيٌّ لِرَجُلٍ لَا تَمُوتُ حَتَّى تُدْرِكَ فَتَى ثَقِيفٍ ، قِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا فَتَى ثَقِيفٍ ؟ |
| قَالَ لَيُقَالَنَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اكْفِنَا زَاوِيَةً مِنْ زَوَايَا جَهَنَّمَ ، رَجُلٌ يَمْلِكُ عِشْرِينَ أَوْ بِضْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، لَا يَدَعُ لِلَّهِ مَعْصِيَةً إِلَّا ارْتَكَبَهَا حَتَّى لَوْ لَمْ تَبْقَ إِلَّا مَعْصِيَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ لَكَسَرَهُ حَتَّى يَرْتَكِبَهَا ، يَقْتُلُ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ. |
| وَقِيلَ أُحْصِيَ مَنْ قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ صَبْرًا فَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا. |
| وَقِيلَ إِنِ الْحَجَّاجَ مَرَّ بِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ يَخْطُرُ فِي مِشْيَتِهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ لِخَالِدٍ مَنْ هَذَا ؟ |
| قَالَ خَالِدٌ ؟ |
| بَخٍ بَخٍ! |
| هَذَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ. |
| فَسَمِعَهَا الْحَجَّاجُ فَرَجَعَ وَقَالَ وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ الْعَاصَ وَلَدَنِي ، وَلَكِنِّي ابْنُ الْأَشْيَاخِ مِنْ ثَقِيفٍ وَالْعَقَائِلِ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَنَا الَّذِي ضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا مِائَةَ أَلْفٍ كُلُّهُمْ يَشْهَدُ أَنَّ أَبَاكَ كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيُضْمِرُ الْكُفْرَ. |
| ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَقُولُ بَخٍ بَخٍ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ! |
| فَهُوَ قَدِ اعْتَرَفَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ بِمِائَةِ أَلْفِ قَتِيلٍ عَلَى ذَنْبٍ وَاحِدٍ. |
| ذِكْرُ مَا فَعَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بَعْدَ مَوْتِ الْحَجَّاجِ وَقَتْلِهِ لَمَّا مَاتَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بِالْمُلْتَانِ ، فَأَتَاهُ خَبَرُ وَفَاتِهِ ، فَرَجَعَ إِلَى الرُّورِ وَالْبَغْرُورِ ، وَكَانَ قَدْ فَتَحَهُمَا ، فَأَعْطَى النَّاسَ ، وَوَجَّهَ إِلَى الْبَيْلَمَانِ جَيْشًا ، فَلَمْ يُقَاتِلُوا وَأَعْطَوُا الطَّاعَةَ ، وَسَأَلَهُ أَهْلُ سُرَشْتَ ، وَهِيَ مَغْزَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَأَهْلُهَا يَقْطَعُونَ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَتَى مُحَمَّدٌ الْكَيْرَجَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ دَوْهَرُ فَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ دَوْهَرُ وَهَرَبَ ، وَقِيلَ بَلْ قُتِلَ ، وَنَزَلَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ فَقَتَلَ وَسَبَى ، قَالَ الشَّاعِرُ نَحْنُ قَتَلْنَا ذَاهِرًا وَدَوْهَرَا... |
| وَالْخَيْلُ تَرْدِي مِنْسَرًا فَمِنْسَرَا وَمَاتَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَوَلِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَوَلَّى يَزِيدَ بْنَ أَبِي كَبْشَةَ السَّكْسَكِيَّ السِّنْدَ ، فَأَخَذَ مُحَمَّدًا وَقَيَّدَهُ وَحَمَلَهُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ مُتَمَثِّلًا أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا... |
| لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ فَبَكَى أَهْلُ السِّنْدِ عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْعِرَاقِ حَبَسَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِوَاسِطَ ، فَقَالَ فَلَئِنْ ثَوَيْتُ بِوَاسِطٍ وَبِأَرْضِهَا... |
| رَهْنَ الْحَدِيدِ مُكَبَّلًا مَغْلُولَا فَلَرُبَّ قَيْنَةِ فَارِسٍ قَدْ رُعْتُهَا... |
| وَلَرُبَّ قَرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ قَتِيلَا وَقَالَ وَلَوْ كُنْتُ أَجْمَعْتُ الْفِرَارَ لَوُطِّئَتْ... |
| إِنَاثٌ أُعِدَّتْ لِلْوَغَى وَذُكُورُ وَمَا دَخَلَتْ خَيْلُ السَّكَاسِكِ أَرْضَنَا... |
| وَلَا كَانَ مِنْ عَكٍّ عَلَيَّ أَمِيرُ وَمَا كُنْتُ لِلْبُدِّ الْمَزُونِيِّ تَابِعًا... |
| فَيَا لَكَ دَهْرٌ بِالْكِرَامِ عَثُورُ فَعَذَّبَهُ صَالِحٌ فِي رِجَالٍ مِنْ آلِ أَبِي عَقِيل حَتَّى قَتَلَهُ ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَتْلَ آدَمَ أَخَا صَالِحٍ ، وَكَانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ ، وَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ بَيْضٍ الْحَنَفِيُّ يَرْثِي مُحَمَّدًا إِنَّ الْمُرُوءَةَ وَالسَّمَاحَةَ وَالنَّدَى... |
| لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ سَاسَ الْجُيُوشَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً... |
| يَا قُرْبَ ذَلِكَ سُؤْدُدًا مِنْ مَوْلِدِ وَقَالَ آخَرُ سَاسَ الرِّجَالَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً... |
| وَلِدَاتُهُ إِذْ ذَاكَ فِي أَشْغَالِ وَمَاتَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي كَبْشَةَ بَعْدَ قُدُومِهِ أَرْضَ السِّنْدِ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَاسْتَعْمَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى السِّنْدِ حَبِيبَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، فَقَدِمَهَا وَقَدْ رَجَعَ مُلُوكُ السِّنْدِ إِلَى مَمَالِكِهِمْ وَرَجَعَ جَيْشَبَهْ بْنُ ذَاهِرٍ إِلَى بِرْهَمْنَابَاذَ ، فَنَزَلَ حَبِيبٌ عَلَى شَاطِئِ مِهْرَانَ ، فَأَعْطَاهُ أَهْلُ الرُّورِ الطَّاعَةَ ، وَحَارَبَ قَوْمًا فَظَفِرَ بِهِمْ. |
| ثُمَّ مَاتَ سُلَيْمَانُ وَاسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُلُوكِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ عَلَى أَنْ يُمَلِّكَهُمْ ، وَلَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ. |
| فَأَسْلَمَ جَيْشَبَهْ وَالْمُلُوكُ ، وَتَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْعَرَبِ. |
| وَكَانَ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيُّ عَامِلَ عُمَرَ عَلَى ذَلِكَ الثَّغْرِ ، فَغَزَا بَعْضَ الْهِنْدِ فَظَفِرَ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْجُنَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَلِيَ السِّنْدَ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَتَى الْجُنَيْدُ شَطَّ مِهْرَانَ فَمَنَعَهُ جَيْشَبَهْ بْنُ ذَاهِرٍ الْعُبُورَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ، وَوَلَّانِي الرَّجُلُ الصَّالِحُ بِلَادِي وَلَسْتُ آمَنُكَ ، فَأَعْطَاهُ رُهُنًا وَأَخَذَ مِنْهُ رُهُنًا عَلَى خَرَاجِ بِلَادِهِ ، ثُمَّ تَرَادَّا وَكَفَرَ جَيْشَبَهْ وَحَارَبَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يُحَارِبْ وَلَكِنَّ الْجُنَيْدَ تَجَنَّى عَلَيْهِ ، فَأَتَى الْهِنْدَ فَجَمَعَ جُمُوعًا ، وَأَعَدَّ السُّفُنَ وَاسْتَعَدَّ لِلْحَرْبِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْجُنَيْدُ بِالسُّفُنِ ، فَالْتَقَوْا فِي بَطِيحَةَ ، فَأُخِذَ جَيْشَبَهْ أَسِيرًا ، وَقَدْ جَنَحَتْ سَفِينَتُهُ ، فَقَتَلَهُ الْجُنَيْدُ وَهَرَبَ صَصَّةُ بْنُ ذَاهِرٍ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى الْعِرَاقِ فَيَشْكُوَ غَدْرَ الْجُنَيْدِ ، فَلَمْ يَزَلِ الْجُنَيْدُ يُؤْنِسُهُ حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ فَقَتَلَهُ. |
| وَغَزَا الْجُنَيْدُ الْكَيْرَجَ ، وَكَانُوا قَدْ نَقَضُوا ، فَاتَّخَذُوا كَبْشًا وَصَكَّ بِهَا سُورَ الْمَدِينَةِ ، فَثَلَمَهُ وَدَخَلَهَا ، فَقَتَلَ وَسَبَى ، وَوَجَّهَ الْعُمَّالَ إِلَى الْمَرْمَذِ وَالْمَنْدَلِ وَدَهْنَجَ وَبُرُوَنْجَ. |
| وَكَانَ الْجُنَيْدُ يَقُولُ الْقَتْلُ فِي الْجَزَعِ أَكْبَرُ مِنْهُ فِي الصَّبْرِ. |
| وَوَجَّهَ جَيْشًا إِلَى أَزِينَ فَأَغَارُوا عَلَيْهَا وَحَرَّقُوا رَبْضَهَا ، وَفَتَحَ الْبَيْلَمَانَ ، وَحَصَلَ عِنْدَهُ سِوَى مَا حَمَلَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ أَلْفٍ وَحَمَلَ مِثْلَهَا ، وَوَلَّى الْجُنَيْدُ تَمِيمَ بْنَ زَيْدٍ الْقَيْنِيَّ ، فَضَعُفَ وَوَهَنَ ، وَمَاتَ قَرِيبًا مِنَ الدَّيْبُلِ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ بِلَادِ الْهِنْدِ وَرَفَضُوا مَرَاكِزَهُمْ ، ثُمَّ وُلِّيَ الْحَكَمُ بْنُ عَوَّامٍ الْكَلْبِيُّ ، وَقَدْ كَفَرَ أَهْلُ الْهِنْدِ إِلَّا أَهْلَ قَصَّةَ ، فَبَنَى مَدِينَةً سَمَّاهَا الْمَحْفُوظَةَ ، وَجَعَلَهَا مَأْوَى الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ مَعَهُ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ ، وَكَانَ يُفَوِّضُ إِلَيْهِ عَظِيمَ الْأُمُورِ ، فَأَغْزَاهُ مِنَ الْمَحْفُوظَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ وَقَدْ ظَفِرَ أَمَرَهُ فَبَنَى مَدِينَةً وَسَمَّاهَا الْمَنْصُورَةَ ، فَهِيَ الَّتِي يَنْزِلُهَا الْأُمَرَاءُ ، وَاسْتَخْلَصَ مَا كَانَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ ، وَرَضِيَ النَّاسُ بِوِلَايَتِهِ ، وَكَانَ خَالِدٌ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ وَاعْجَبَا! |
| وَلَّيْتُ فَتَى الْعَرَبِ ، يَعْنِي تَمِيمًا ، فَرُفِضَ وَتُرِكَ ، وَوَلَّيْتُ أَبْخَلَ الْعَرَبِ فَرُضِيَ بِهِ. |
| ثُمَّ قُتِلَ الْحَكَمُ ، وَكَانَ الْعُمَّالُ يُقَاتِلُونَ الْعَدُوَّ ، فَكَانُوا يَفْتَتِحُونَ نَاحِيَةً وَيَأْخُذُونَ مَا تَيَسَّرَ لَهُمْ لِضَعْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ ، إِلَى أَنْ جَاءَتِ الدَّوْلَةُ الْمُبَارَكَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ بَقِيَّةَ أَخْبَارِ السِّنْدِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الرُّومَ فَفَتَحَ هِرَقْلَةَ وَغَيْرَهَا. |
| وَفِيهَا فُتِحَ آخِرُ الْهِنْدِ إِلَّا الْكَيْرَجَ وَالْمَنْدَلَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ افْتَتَحَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ قِنَّسْرِينَ. |
| وَفِيهَا قُتِلَ الْوَضَّاحِيُّ بِأَرْضِ الرُّومِ وَنَحْوُ أَلْفِ رَجُلٍ مَعَهُ. |
| وَفِيهَا وُلِدَ الْمَنْصُورُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَكَانَ عُمَّالُ الْأَمْصَارِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| الوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ ، اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَلٍّ ، وَكَانَ عُمُرُهُ مِائَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ فِي مَوْتِهِ غَيْرُ ذَلِكَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ سَعْدُ بْنُ إِيَاسٍ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ ، وَلَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً. |
| وَفِي إِمَارَةِ الْحَجَّاجِ مَاتَ سَفِينَةُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ جَعْفَرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ ، وَهُوَ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ مِنَ الرَّضَاعَةِ. |
| وَفِي إِمَارَةِ الْحَجَّاجِ قُتِلَ أَبُو الْأَحْوَصِ عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ نَضْلَةَ الْجُشَمِيُّ الْكُوفِيُّ ، قَتَلَهُ الْخَوَارِجُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَتِسْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَتِسْعِينَ ذِكْرُ فَتَحِ قُتَيْبَةَ مَدِينَةَ كَاشْغَرَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا قُتَيْبَةُ كَاشْغَرَ ، فَسَارَ وَحَمَلَ مَعَ النَّاسِ عِيَالَاتِهِمْ لِيَضَعَهُمْ بِسَمَرْقَنْدَ ، فَلَمَّا عَبَرَ النَّهْرَ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى مَعْبَرِ النَّهْرِ لِيَمْنَعَ مَنْ يَرْجِعُ إِلَّا بِجَوَازٍ مِنْهُ ، وَمَضَى إِلَى فَرْغَانَةَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى شِعْبِ عِصَامٍ مَنْ يُسَهِّلُ الطَّرِيقَ إِلَى كَاشْغَرَ ، وَهِيَ أَدْنَى مَدَائِنِ الصِّينِ ، وَبَعَثَ جَيْشًا مَعَ كَبِيرِ بْنِ فُلَانٍ إِلَى كَاشْغَرَ ، فَغَنِمَ وَسَبَى سَبْيًا ، فَخَتَمَ أَعْنَاقَهُمْ ، وَأَوْغَلَ حَتَّى بَلَغَ قَرِيبَ الصِّينِ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ الصِّينِ أَنِ ابْعَثْ إِلَيَّ رَجُلًا شَرِيفًا يُخْبِرُنِي عَنْكُمْ وَعَنْ دِينِكُمْ. |
| فَانْتَخَبَ قُتَيْبَةُ عَشَرَةً لَهُمْ جَمَالٌ وَأَلْسُنٌ وَبَأْسٌ وَعَقْلٌ وَصَلَاحٌ ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِعُدَّةٍ حَسَنَةٍ وَمَتَاعٍ حَسَنٍ مِنَ الْخَزِّ وَالْوَشْيِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَخُيُولٍ حَسَنَةٍ ، وَكَانَ مِنْهُمْ هُبَيْرَةُ بْنُ مُشَمْرَجٍ الْكِلَابِيُّ ، فَقَالَ لَهُمْ إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَيْهِ ، فَأَعْلِمُوهُ أَنِّي قَدْ حَلَفْتُ أَنِّي لَا أَنْصَرِفُ حَتَّى أَطَأَ بِلَادَهُمْ ، وَأَخْتِمَ مُلُوكَهُمْ وَأَجْبِيَ خَرَاجَهُمْ. |
| فَسَارُوا وَعَلَيْهِمْ هُبَيْرَةُ ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِمْ دَعَاهُمْ مَلِكُ الصِّينِ ، فَلَبِسُوا ثِيَابًا بَيَاضًا تَحْتَهَا الْغَلَائِلُ ، وَتَطَيَّبُوا وَلَبِسُوا النِّعَالَ وَالْأَرْدِيَةَ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ عُظَمَاءُ قَوْمِهِ ، فَجَلَسُوا ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمُ الْمَلِكُ وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ عِنْدَهُ ، فَنَهَضُوا. |
| فَقَالَ الْمَلِكُ لِمَنْ حَضَرَهُ كَيْفَ رَأَيْتُمْ هَؤُلَاءِ ؟ |
| فَقَالُوا رَأَيْنَا قَوْمًا مَا هُمْ إِلَّا نِسَاءٌ ، مَا بَقِيَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا انْتَشَرَ مَا عِنْدَهُ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَعَاهُمْ ، فَلَبِسُوا الْوَشْيَ وَالْعَمَائِمَ الْخَزَّ وَالْمَطَارِفَ ، وَغَدَوْا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلُوا قِيلَ لَهُمْ ارْجِعُوا ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ كَيْفَ رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْهَيْئَةَ ؟ |
| قَالُوا هَذِهِ أَشْبَهُ بِهَيْئَةِ الرِّجَالِ مِنْ تِلْكَ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ دَعَاهُمْ ، فَشَدُّوا سِلَاحَهُمْ وَلَبِسُوا الْبَيْضَ وَالْمَغَافِرَ ، وَأَخَذُوا السُّيُوفَ وَالرِّمَاحَ وَالْقِسِيَّ وَرَكِبُوا. |
| فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ مَلِكُ الصِّينِ فَرَأَى مِثْلَ الْجَبَلِ ، فَلَمَّا دَنَوْا رَكَزُوا رِمَاحَهُمْ وَأَقْبَلُوا مُشَمِّرِينَ ، فَقِيلَ لَهُمْ ارْجِعُوا ، فَرَكِبُوا خُيُولَهُمْ وَأَخَذُوا رِمَاحَهُمْ وَدَفَعُوا خَيْلَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَتَطَارَدُونَ. |
| فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ كَيْفَ تَرَوْنَهُمْ ؟ |
| قَالُوا مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ. |
| فَلَمَّا أَمْسَى بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَنِ ابْعَثُوا إِلَيَّ زَعِيمَكُمْ. |
| فَبَعَثُوا إِلَيْهِ هُبَيْرَةُ بْنُ مُشَمْرَجٍ ، فَقَالَ لَهُ قَدْ رَأَيْتُمْ عِظَمَ مُلْكِي وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مَنَعَكُمْ مِنِّي ، وَأَنْتُمْ فِي يَدِي بِمَنْزِلَةِ الْبَيْضَةِ فِي كَفِّي ، وَإِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ أَمْرٍ ، فَإِنْ لَمْ تَصْدُقُونِي قَتَلْتُكُمْ. |
| قَالَ سَلْ. |
| قَالَ لِمَ صَنَعْتُمْ بِزِيِّكُمُ الْأَوَّلِ الْيَوْمَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَ وَالثَّالِثَ مَا صَنَعْتُمْ ؟ |
| قَالَ أَمَّا زِيُّنَا الْيَوْمَ الْأَوَّلَ فَلِبَاسُنَا فِي أَهْلِنَا ، وَأَمَّا الْيَوْمَ الثَّانِي فَزِيُّنَا إِذْ أَمِنَّا أُمَرَاءَنَا ، وَأَمَّا الثَّالِثَ فَزِيُّنَا لِعَدِوِّنَا. |
| قَالَ مَا أَحْسَنَ مَا دَبَّرْتُمْ دَهْرَكُمْ ، فَقُولُوا لِصَاحِبِكُمْ يَنْصَرِفُ ، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ قِلَّةَ أَصْحَابِهِ ، وَإِلَّا بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ مَنْ يُهْلِكُكُمْ. |
| قَالَ كَيْفَ يَكُونُ قَلِيلُ الْأَصْحَابِ مَنْ أَوَّلُ خَيْلِهِ فِي بِلَادِكَ وَآخِرُهَا فِي مَنَابِتِ الزَّيْتُونِ ؟ |
| وَأَمَّا تَخْوِيفُكَ إِيَّانَا بِالْقَتْلِ ، فَإِنَّ لَنَا آجَالًا إِذَا حَضَرَتْ فَأَكْرَمُهَا الْقَتْلُ ، وَلَسْنَا نَكْرَهُهُ وَلَا نَخَافُهُ ، وَقَدْ حَلَفَ أَنْ لَا يَنْصَرِفَ حَتَّى يَطَأَ أَرْضَكُمْ ، وَيَخْتِمَ مُلُوكَكُمْ ، وَيُعْطَى الْجِزْيَةَ. |
| فَقَالَ فَإِنَّا نُخْرِجُهُ مِنْ يَمِينِهِ وَنَبْعَثُ تُرَابَ أَرْضِنَا فَيَطَأَهُ ، وَنَبْعَثُ إِلَيْهِ بِبَعْضِ أَبْنَائِنَا فَيَخْتِمَهُمْ ، وَنَبْعَثُ إِلَيْهِ بِجِزْيَةٍ يَرْضَاهَا. |
| فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ وَأَرْبَعَةِ غِلْمَانٍ مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِهِمْ ، ثُمَّ أَجَازَهُمْ فَأَحْسَنَ ، فَقَدِمُوا عَلَى قُتَيْبَةَ ، فَقَبِلَ قُتَيْبَةُ الْجِزْيَةَ ، وَخَتَمَ الْغِلْمَانَ وَرَدَّهُمْ ، وَوَطِئَ التُّرَابَ. |
| فَقَالَ سَوَادَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ السَّلُولِيُّ لَا عَيْبَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ بَعَثْتَهُمْ... |
| لِلصِّينِ إِنْ سَلَكُوا طَرِيقَ الْمَنْهَجِ كَسَرُوا الْجُفُونَ عَلَى الْقَذَى خَوْفَ الرَّدَى حَاشَا الْكَرِيمَ هُبَيْرَةَ بْنَ مُشَمْرَجٍ... |
| أَدَّى رِسَالَتَكَ الَّتِي اسْتَرْعَيْتَهُ فَأَتَاكَ مِنْ حِنْثِ الْيَمِينِ بِمَخْرَجِ فَأَوْفَدَ قُتَيْبَةُ هُبَيْرَةَ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَمَاتَ بِقَرْيَةَ مِنْ فَارِسَ ، فَرَثَاهُ سَوَادَةُ فَقَالَ لِلَّهِ دَرُّ هُبَيْرَةَ بْنِ مُشَمْرَجِ... |
| مَاذَا تَضَمَّنَ مِنْ نَدًى وَجَمَالِ وَبَدِيهَةٍ يَعْيَا بِهَا أَبْنَاؤُهَا... |
| عِنْدَ احْتِفَالِ مَشَاهِدِ الْأَقْوَالِ كَانَ الرَّبِيعَ إِذَا السُّيُوفُ تَتَابَعَتْ... |
| وَاللَّيْثَ عِنْدَ تَكَعْكُعِ الْأَبْطَالِ فَسَقَى بِقَرْيَةَ حَيْثُ أَمْسَى قَبْرُهُ غُرٌّ يَرُحْنَ بِمُسْبِلٍ هَطَّالِ... |
| بَكَتِ الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ لِفَقْدِهِ وَبَكَاهُ كُلُّ مُثَقَّفٍ عَسَّالِ... |
| وَبَكَتْهُ شُعْثٌ لَمْ يَجِدْنَ مُوَاسِيًا فِي الْعَامِ ذِي السَّنَوَاتِ وَالْإِمْحَالِ وَوَصْلَ الْخَبَرُ إِلَى قُتَيْبَةَ فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ بِمَوْتِ الْوَلِيدِ. |
| وَكَانَ قُتَيْبَةُ إِذَا رَجَعَ مِنْ غَزَاتِهِ كُلَّ سَنَةٍ اشْتَرَى اثْنَيْ عَشَرَ فَرَسًا وَاثْنَيْ عَشَرَ هَجِينًا ، فَتَحَدَّرَ إِلَى وَقْتِ الْغَزْوِ ، فَإِذَا تَأَهَّبَ لِلْغَزْوِ ضَمَّرَهَا وَحَمَلَ عَلَيْهَا الطَّلَائِعَ ، وَكَانَ يَجْعَلُ الطَّلَائِعَ فُرْسَانَ النَّاسِ وَأَشْرَافَهُمْ وَمَعَهُمْ مِنَ الْعَجَمِ مَنْ يَسْتَنْصِحُهُ ، وَإِذَا بَعَثَ طَلِيعَةً أَمَرَ بِلَوْحٍ فَنُقِشَ ، ثُمَّ شَقَّهُ بِنِصْفَيْنِ ، وَجَعَلَ شِقَّةً عِنْدَهُ ، وَيُعْطِي نِصْفَهُ الطَّلِيعَةَ ، وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَدْفِنُوهُ فِي مَوْضِعٍ يَصِفُهُ لَهُمْ مِنْ شَجَرَةٍ أَوْ مَخَاضَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا ، ثُمَّ يَبْعَثُ بَعْدَ الطَّلِيعَةِ مَنْ يَسْتَخْرِجُهُ لِيَعْلَمَ أَصْدَقَتِ الطَّلِيعَةُ أَمْ لَا. |
| وَفِيهَا غَزَا بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ الشَّاتِيَةَ وَرَجَعَ وَقَدْ مَاتَ الْوَلِيدُ. |
| ذِكْرُ مَوْتِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَفِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي قَوْلِ جَمِيعِهِمْ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ تِسْعَ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ تِسْعَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِدَيْرِ مُرَّانَ ، وَدُفِنَ خَارِجَ الْبَابِ الصَّغِيرِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَكَانَ عُمُرُهُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ كَانَ عُمُرُهُ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَشْهُرًا ، وَقِيلَ تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ. |
| وَخَلَّفَ تِسْعَةَ عَشَرَ ابْنًا ، وَكَانَ دَمِيمًا يَتَبَخْتَرُ فِي مِشْيَتِهِ ، وَكَانَ سَائِلَ الْأَنْفِ جِدًّا ، فَقِيلَ فِيهِ فَقَدْتُ الْوَلِيدَ وَأَنْفًا لَهُ... |
| كَمِثْلِ الْفَصِيلِ بَدَا أَنْ يَبُولَا وَلَمَّا دُلِّيَ فِي جِنَازَتِهِ جُمِعَتْ رُكْبَتَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، فَقَالَ ابْنُهُ أَعَاشَ أَبِي ؟ |
| فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَكَانَ فِيمَنْ دَفَنَهُ عُوجِلَ وَاللَّهِ أَبُوكَ! |
| وَاتَّعَظَ بِهِ عُمَرُ. |
| ذِكْرُ بَعْضِ سِيرَةِ الْوَلِيدِ وَكَانَ الْوَلِيدُ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ أَفْضَلِ خَلَائِفِهِمْ ، بَنَى الْمَسَاجِدَ ، مَسْجِدَ دِمَشْقَ ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ ، عَلَى سَاكِنِهَا السَّلَامُ ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى ، وَوَضَعَ الْمَنَائِرَ ، وَأَعْطَى الْمُجَذَّمِينَ ، وَمَنَعَهُمْ مِنْ سُؤَالِ النَّاسِ ، وَأَعْطَى كُلَّ مُقْعَدٍ خَادِمًا ، وَكُلَّ ضَرِيرِ قَائِدًا ، وَفَتَحَ فِي وِلَايَتِهِ فُتُوحًا عِظَامًا ، مِنْهَا الْأَنْدَلُسُ ، وَكَاشْغَرَ ، وَالْهِنْدَ. |
| وَكَانَ يَمُرُّ بِالْبَقَّالِ فَيَقِفُ عَلَيْهِ وَيَأْخُذُ مِنْهُ حُزْمَةَ بَقْلٍ فَيَقُولُ بِكَمْ هَذِهِ ؟ |
| فَيَقُولُ بِفَلْسٍ. |
| فَيَقُولُ زِدْ فِيهَا. |
| وَكَانَ صَاحِبَ بِنَاءٍ وَاتِّخَاذِ الْمَصَانِعِ وَالضَّيَاعِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَلْتَقُونَ فِي زَمَانِهِ فَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ الْبِنَاءِ ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ صَاحِبَ طَعَامٍ وَنِكَاحٍ ، فَكَانَ النَّاسُ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ النِّكَاحِ وَالطَّعَامِ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَاحِبَ عِبَادَةٍ ، وَكَانَ النَّاسُ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ الْخَيْرِ مَا وِرْدُكَ اللَّيْلَةَ ؟ |
| وَكَمْ تَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ |
| وَكَمْ تَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ ؟ |
| وَمَرِضَ الْوَلِيدُ مَرْضَةً قَبْلَ وَفَاتِهِ وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، فَبَقِيَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ ، فَبَكَوْا عَلَيْهِ وَسَارَتِ الْبُرُدُ بِمَوْتِهِ ، فَاسْتَرْجَعَ الْحَجَّاجُ وَشَدَّ فِي يَدِهِ حَبْلًا إِلَى أُسْطُوَانَةٍ وَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا رَحْمَةَ لَهُ ، فَقَدْ طَالَ مَا سَأَلْتُكَ أَنْ تَجْعَلَ مَنِيَّتِي قَبْلَهُ! |
| فَإِنَّهُ كَذَلِكَ يَدْعُو إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ الْبَرِيدُ بِإِفَاقَتِهِ. |
| وَلَمَّا أَفَاقَ الْوَلِيدُ قَالَ مَا أَحَدٌ أَشَدُّ سُرُورًا بِعَافِيَتِي مِنَ الْحَجَّاجِ ، ثُمَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى ثَقُلَ الْحَجَّاجُ عَلَيْهِ. |
| وَكَانَ الْوَلِيدُ أَرَادَ أَنْ يَخْلَعَ أَخَاهُ سُلَيْمَانَ وَيُبَايِعَ لِوَلَدِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَأَبَى سُلَيْمَانُ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَّا الْحَجَّاجُ وَقُتَيْبَةُ وَخَوَاصٌّ مِنَ النَّاسِ ، فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى سُلَيْمَانَ يَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ ، فَأَبْطَأَ ، فَعَزَمَ الْوَلِيدُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِ لِيَخْلَعَهُ ، وَأَخْرَجَ خِيَمَهُ ، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِ. |
| وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ مَسْجِدَ دِمَشْقَ كَانَ فِيهِ كَنِيسَةٌ ، فَهَدَمَهَا وَبَنَاهَا مَسْجِدًا ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَكَوْا إِلَيْهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ عُمَرُ إِنَّ مَا كَانَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ فُتِحَ عَنْوَةً ، وَنَحْنُ نَرُدُّ عَلَيْكُمْ كَنِيسَتَكُمْ وَنَهْدِمُ كَنِيسَةَ تُومَا ، فَإِنَّهَا فُتِحْتَ عَنْوَةً وَنَبْنِيهَا مَسْجِدًا. |
| فَقَالُوا بَلْ نَدَعُ لَكُمْ هَذَا وَدَعَوْا كَنِيسَةَ تُومَا. |
| وَكَانَ الْوَلِيدُ لَحَّانًا لَا يُحْسِنُ النَّحْوَ ، دَخَلَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَمَتَّ إِلَيْهِ بِصِهْرٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَرَابَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ مَنْ خَتَنَكَ ؟ |
| بِفَتْحِ النُّونِ ، وَظَنَّ الْأَعْرَابِيُّ أَنَّهُ يُرِيدُ الْخِتَانَ ، فَقَالَ بَعْضُ الْأَطِبَّاءِ. |
| فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ إِنَّمَا يُرِيدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ خَتَنُكَ ؟ |
| وَضَمَّ النُّونَ. |
| فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ نَعَمْ فُلَانٌ ، وَذَكَرَ خَتْنَهُ. |
| وَعَاتَبَهُ أَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ إِنَّهُ لَا يَلِي الْعَرَبَ إِلَّا مَنْ يُحْسِنُ كَلَامَهُمْ. |
| فَجَمَعَ أَهْلَ النَّحْوِ ، وَدَخَلَ بَيْتًا فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ أَجْهَلُ مِنْهُ يَوْمَ دَخَلَ. |
| فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ أَعْذَرَ. |
| فَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ كَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي رَمَضَانَ كُلَّ يَوْمٍ خَتْمَةً ، وَخَطَبَ يَوْمًا فَقَالَ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةُ ، وَضَمَّ التَّاءَ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَيْكَ وَأَرَاحَتْنَا مِنْكَ. |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَيْعَتِهِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بُويِعَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ الْوَلِيدُ وَهُوَ بِالرَّمْلَةِ. |
| وَفِيهَا عَزَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عُثْمَانَ بْنَ حَيَّانَ عَنِ الْمَدِينَةِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَبَا بَكْرِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ ، وَكَانَ عُثْمَانُ قَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَجْلِدَ أَبَا بَكْرٍ وَيَحْلِقَ لِحْيَتَهُ مِنَ الْغَدِ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ جَاءَ الْبَرِيدُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِتَأْمِيرِهِ وَعَزْلِ عُثْمَانَ وَحَدِّهِ ، وَأَنْ يُقَيِّدَهُ. |
| وَفِيهَا عَزَلَ سُلَيْمَانُ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ عَنِ الْعِرَاقِ ، وَاسْتَعْمَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، وَجَعَلَ صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى الْخَرَاجِ ، وَأَمَرَهُ بِقَتْلِ بَنِي عَقِيلٍ وَبَسْطِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ أَهْلُ الْحَجَّاجِ ، فَكَانَ يُعَذِّبُهُمْ وَيَلِي عَذَابَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ قَدِ اسْتَعْمَلَ أَخَاهُ زِيَادًا عَلَى حَرْبِ عُثْمَانَ. |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ قُتَيْبَةَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيِّ بِخُرَاسَانَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرَادَ أَنْ يَنْزِعَ أَخَاهُ سُلَيْمَانَ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَيَجْعَلَ بَدَلَهُ ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ الْحَجَّاجُ وَقُتَيْبَةُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ. |
| فَلَمَّا مَاتَ الْوَلِيدُ وَوَلِيَ سُلَيْمَانُ خَافَهُ قُتَيْبَةُ ، وَخَافَ أَنْ يُوَلِّيَ سُلَيْمَانُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ خُرَاسَانَ ، فَكَتَبَ قُتَيْبَةُ إِلَى سُلَيْمَانَ كِتَابًا يُهَنِّئُهُ بِالْخِلَافَةِ وَيَذْكُرُ بَلَاءَهُ وَطَاعَتَهُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدِ ، وَأَنَّهُ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَعْزِلْهُ عَنْ خُرَاسَانَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا آخَرَ يُعْلِمْهُ فِيهِ فُتُوحَهُ وَنِكَايَتَهُ ، وَعِظَمَ قَدْرِهِ عِنْدَ مُلُوكِ الْعَجَمِ وَهَيْبَتِهِ فِي صُدُورِهِمْ ، وَعِظَمِ صَوْلَتِهِ فِيهِمْ ، وَيَذُمُّ أَهْلَ الْمُهَلَّبِ ، وَيَحْلِفُ بِاللَّهِ لَئِنِ اسْتَعْمَلَ يَزِيدَ عَلَى خُرَاسَانَ لَيَخْلَعَنَّهُ. |
| وَكَتَبَ كِتَابًا ثَالِثًا فِيهِ خَلْعُهُ ، وَبَعَثَ الْكُتُبَ مَعَ رَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةَ ، فَقَالَ لَهُ ادْفَعِ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ كَانَ يَزِيدُ حَاضِرًا فَقَرَأَهُ ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَى يَزِيدَ فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الثَّانِي ، فَإِنَّ قَرَأَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى يَزِيدَ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الثَّالِثَ ، فَإِنْ قَرَأَ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ وَلَمْ يَدْفَعْهُ إِلَى يَزِيدَ فَاحْبِسِ الْكِتَابَيْنِ الْآخَرَيْنِ. |
| فَقَدِمَ رَسُولُ قُتَيْبَةَ عَلَى سُلَيْمَانَ وَعِنْدَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَقَرَأَهُ وَأَلْقَاهُ إِلَى يَزِيدَ ، فَدَفْعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ الْآخَرَ ، فَقَرَأَهُ ، وَأَلْقَاهُ إِلَى يَزِيدَ ، فَأَعْطَاهُ الْكِتَابَ الثَّالِثَ ، فَقَرَأَهُ ، فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَتَمَهُ وَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ. |
| وَقِيلَ كَانَ فِي الْكِتَابِ الثَّالِثِ لَئِنْ لَمْ تُقِرَّنِي عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ وَتُؤَمِّنُنِي لَأَخْلَعَنَّكَ ، وَلَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ رِجَالًا وَخَيْلًا. |
| ثُمَّ أَمَرَ سُلَيْمَانُ بِرَسُولِ قُتَيْبَةَ فَأُنْزِلَ ، فَأَحْضَرَهُ لَيْلًا فَأَعْطَاهُ دَنَانِيرَ جَائِزَتَهُ ، وَأَعْطَاهُ عَهْدَ قُتَيْبَةَ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ رَسُولًا بِذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَا بِحُلْوَانَ بَلَغَهُمَا خَلْعُ قُتَيْبَةَ ، فَرَجَعَ رَسُولُ سُلَيْمَانَ. |
| وَكَانَ قُتَيْبَةُ لَمَّا هَمَّ بِخَلْعِ سُلَيْمَانَ اسْتَشَارَ إِخْوَتَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ اقْطَعْ بَعْثًا فَوَجِّهْ فِيهِ كُلَّ مَنْ تَخَافُهُ ، وَوَجِّهْ قَوْمًا إِلَى مَرْوَ ، وَسِرْ حَتَّى تَنْزِلَ سَمَرْقَنْدَ ، وَقُلْ لِمَنْ مَعَكَ مَنْ أَحَبَّ الْمُقَامَ فَلَهُ الْمُوَاسَاةُ ، وَمَنْ أَرَادَ الِانْصِرَافَ فَغَيْرُ مُسْتَكْرَهٍ ، فَلَا يُقِيمُ عِنْدَكَ إِلَّا مُنَاصِحٌ ، وَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ أَحَدٌ. |
| وَقَالَ لَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ اخْلَعْهُ مَكَانَكَ ، فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ رَجُلَانِ. |
| فَخَلَعَ سُلَيْمَانَ مَكَانَهُ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى خَلْعِهِ ، وَذَكَرَ أَثَرَهُ فِيهِمْ وَسُوءَ أَثَرِ مَنْ تَقَدَّمَهُ ، فَلَمْ يَجُبْهُ أَحَدٌ ، فَغَضِبَ وَقَالَ لَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ نَصَرْتُمْ! |
| ثُمَّ وَاللَّهِ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى عَنْزٍ مَا كَسَرْتُمْ قَرْنَهَا! |
| يَا أَهْلَ السَّافِلَةِ ، وَلَا أَقُولُ يَا أَهْلَ الْعَالِيَةِ ، أَوْبَاشَ الصَّدَقَةِ جَمَعْتُكُمْ كَمَا تُجْمَعُ إِبِلُ الصَّدَقَةِ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ! |
| يَا مَعْشَرَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ! |
| يَا أَهْلَ النَّفْخِ وَالْكَذِبِ وَالْبُخْلِ! |
| بِأَيِّ يَوْمَيْكُمْ تَفْخَرُونَ ؟ |
| بِيَوْمِ حَرْبِكُمْ ، أَوْ بِيَوْمِ سِلْمِكُمْ! |
| يَا أَصْحَابَ مُسَيْلِمَةَ! |
| يَا بَنِي ذَمِيمٍ ، وَلَا أَقُولُ تَمِيمٍ! |
| يَا أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْقَصْفِ ، كُنْتُمْ تُسَمَّوْنَ الْغَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْسَانَ! |
| يَا أَصْحَابَ سِجَاحَ! |
| يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ الْقُسَاةِ ، تَبَدَّلْتُمْ بِتَأْبِيرِ النَّخْلِ أَعِنَّةَ الْخَيْلِ! |
| يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ تَبَدَّلْتُمْ بِقُلُوسِ السُّفُنِ أَعِنَّةَ الْخَيْلِ! |
| إِنَّ هَذَا بِدْعَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ، الْأَعْرَابُ وَمَا الْأَعْرَابُ! |
| لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ! |
| يَا كُنَاسَةَ الْمِصْرَيْنِ ، جَمَعْتُكُمْ مِنْ مَنَابِتِ الشِّيحِ وَالْقَيْصُومِ ، تَرْكَبُونَ الْبَقَرَ وَالْحُمُرَ ، فَلَمَّا جَمَعْتُكُمْ قُلْتُمْ كَيْتَ وَكَيْتَ! |
| أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَابْنُ أَبِيهِ وَأَخُو أَخِيهِ! |
| وَاللَّهِ لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّلِمَةِ! |
| إِنَّ حَوْلَ الصِّلِّيَانِ لَزَمْزَمَةٌ! |
| يَا أَهْلَ خُرَاسَانَ أَتُدْرُونَ مَنْ وَلِيُّكُمْ ؟ |
| وَلِيُّكُمْ يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ. |
| كَأَنِّي بِأَمِيرٍ جَاءَكُمْ فَغَلَبَكُمْ عَلَى فَيْئِكُمْ وَظِلَالِكُمْ! |
| ارْمُوا غَرَضَكُمُ الْقَصِيَّ! |
| حَتَّى مَتَى يَتَبَطَّحُ أَهْلُ الشَّامِ بِأَفْنِيَتِكُمْ! |
| يَا أَهْلَ خُرَاسَانَ انْسُبُونِي تَجِدُونِي عِرَاقِيَّ الْأُمِّ وَالْمَوْلِدِ وَالرَّأْيِ وَالْهَوَى وَالدِّينِ ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِيمَا تَرَوْنَ مِنَ الْأَمْنِ وَالْعَافِيَةِ! |
| قَدْ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمُ الْبِلَادَ وَآمَنَ سُبُلَكُمْ ، فَالظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنْ مَرْوَ إِلَى بَلْخٍ بِغَيْرِ جَوَازٍ ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ وَاسْأَلُوهُ الشُّكْرَ وَالْمَزِيدَ. |
| ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ بَيْتَهُ ، فَأَتَاهُ أَهْلُهُ وَقَالُوا مَا رَأَيْنَاكَ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، وَلَامُوهُ. |
| فَقَالَ لَمَّا تَكَلَّمْتُ فَلَمْ يُجِبْنِي أَحَدٌ غَضِبْتُ فَلَمْ أَدْرِ مَا قُلْتُ. |
| وَغَضِبَ النَّاسُ ، وَكَرِهُوا خَلْعَ سُلَيْمَانَ ، فَأَجْمَعُوا عَلَى خَلْعِ قُتَيْبَةَ وَخِلَافِهِ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ الْأَزْدَ ، فَأَتَوْا حُضَيْنَ بْنَ الْمُنْذِرِ بِضَادٍ مُعْجَمَةٍ ، فَقَالُوا إِنَّ هَذَا قَدْ دَعَا إِلَى خَلْعِ الْخَلِيفَةِ ، وَفِيهِ فَسَادُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَقَدْ شَتَمَنَا ، فَمَا تَرَى ؟ |
| فَقَالَ إِنَّ مُضَرَ بِخُرَاسَانَ كَثِيرَةٌ ، وَتَمِيمٌ أَكْثَرُهَا ، وَهُمْ فُرْسَانُ خُرَاسَانَ ، وَلَا يَرْضَوْنَ أَنْ يَصِيرَ الْأَمْرُ فِي غَيْرِ مُضَرَ ، فَإِنْ أَخْرَجْتُمُوهُمْ مِنْهُ أَعَانُوا قُتَيْبَةَ. |
| فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ وَقَالُوا مَنْ تَرَى مِنْ تَمِيمٍ ؟ |
| قَالَ لَا أَرَى غَيْرَ وَكِيعٍ. |
| فَقَالَ حَيَّانُ النَّبَطِيُّ مَوْلَى بَنِي شَيْبَانَ إِنَّ أَحَدًا لَا يَتَوَلَّى هَذَا غَيْرُ وَكِيعٍ ، فَيَصْلَى بِحَرِّهِ ، وَيَبْذُلُ دَمَهُ ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْقَتْلِ ، فَإِنْ قَدِمَ أَمِيرٌ أَخَذَهُ بِمَا جَنَى ، فَإِنَّهُ لَا يَنْظُرُ فِي عَاقِبَةٍ ، وَلَهُ عَشِيرَةٌ تُطِيعُهُ ، وَهُوَ مَوْتُورٌ يَطْلُبُ قُتَيْبَةَ بِرِيَاسَتِهِ الَّتِي صَرَفَهَا عَنْهُ ، وَصَيَّرَهَا لِضِرَارِ بْنِ حُصَيْنٍ الضَّبِّيِّ ، فَمَشَى النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ سِرًّا. |
| وَقِيلَ لِقُتَيْبَةَ لَيْسَ يُفْسِدُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَيَّانَ ، فَأَرَادَ أَنْ يَغْتَالَهُ ، وَكَانَ حَيَّانُ يُلَاطِفُ خَدَمَ الْوُلَاةِ ، فَدَعَا قُتَيْبَةُ رَجُلًا فَأَمَرَهُ بِقَتْلِ حَيَّانَ ، وَسَمْعِ بَعْضُ الْخَدَمِ فَأَتَى حَيَّانَ فَأَخْبَرَهُ ، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُهُ يَدْعُوهُ تَمَارَضَ. |
| وَأَتَى النَّاسُ وَكِيعًا وَسَأَلُوهُ أَنْ يَلِيَ أَمْرَهُمْ ، فَفَعَلَ. |
| وَبِخُرَاسَانَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْعَالِيَةِ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ تِسْعَةُ آلَافٍ ، وَمَنْ بَكْرٍ سَبْعَةُ آلَافٍ ، وَرَئِيسُهُمْ حُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، وَمِنْ تَمِيمٍ عَشَرَةُ آلَافٍ ، وَعَلَيْهِمْ ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنٍ ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، وَعَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْوَانَ ، وَالْأَزْدُ عَشَرَةُ آلَافٍ ، وَعَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَوْذَانَ ، وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ سَبْعَةُ آلَافٍ ، وَعَلَيْهِمْ جَهْمُ بْنُ زَحْرٍ ، وَالْمَوَالِي سَبْعَةُ آلَافٍ ، عَلَيْهِمْ حَيَّانُ ، وَهُوَ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَقِيلَ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ نَبَطِيٌّ لِلُكْنَتِهِ. |
| فَأَرْسَلَ حَيَّانُ إِلَى وَكِيعٍ إِنْ أَنَا كَفَفْتُ عَنْكَ وَأَعَنْتُكَ أَتَجْعَلُ لِي الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ مِنْ نَهْرِ بِلْخٍ وَ خَرَاجُهُ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَمَا دُمْتُ أَمِيرًا ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| فَقَالَ حَيَّانُ لِلْعَجَمِ هَؤُلَاءِ يُقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ دِينٍ ، فَدَعُوهُمْ يَقْتُلْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. |
| فَفَعَلُوا فَبَايَعُوا وَكِيعًا سِرًّا. |
| وَقِيلَ لِقُتَيْبَةَ إِنَّ النَّاسَ يُبَايِعُونَ وَكِيعًا. |
| فَدَسَّ ضِرَارَ بْنَ سِنَانٍ الضَّبِّيَّ إِلَى وَكِيعٍ ، فَبَايَعَهُ سِرًّا ، فَظَهَرَ لِقُتَيْبَةَ أَمْرُهُ ، فَأَرْسَلَ يَدَعُوهُ ، فَوَجَدَهُ قَدْ طَلَى رِجْلَيْهِ بِمَغْرَةٍ ، وَعَلَّقَ عَلَى رَأْسِهِ حِرْزًا ، وَعِنْدَهُ رَجُلَانِ يَرْقِيَانِ رِجْلَهُ ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ قَدْ تَرَى مَا بِرِجْلِي. |
| فَرَجَعَ فَأَخْبَرَ قُتَيْبَةَ ، فَأَعَادَهُ إِلَيْهِ يَقُولُ لَهُ لَتَأْتِيَنِّي مَحْمُولًا. |
| قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ. |
| فَقَالَ قُتَيْبَةُ لِصَاحِبِ شُرْطَتِهِ انْطَلِقْ إِلَى وَكِيعٍ فَأْتِنِي بِهِ ، فَإِنْ أَبَى فَاضْرِبْ عُنُقَهُ ، وَوَجَّهَ مَعَهُ خَيْلًا ، وَقِيلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ شُعْبَةَ بْنَ ظُهَيْرٍ التَّمِيمِيَّ ، فَقَالَ لَهُ وَكِيعٌ يَا ابْنَ ظُهَيْرٍ ، الْبَثْ قَلِيلًا تَلْحَقِ الْكَتَائِبَ. |
| وَلَبِسَ سِلَاحَهُ وَنَادَى فِي النَّاسِ ، فَأَتَوْهُ ، وَرَكِبَ فَرَسَهُ وَخَرَجَ ، فَتَلَقَّاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ مِمَّنْ أَنْتَ ؟ |
| قَالَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ. |
| قَالَ مَا اسْمُكَ ؟ |
| قَالَ ضِرْغَامَةُ. |
| قَالَ ابْنُ مَنْ ؟ |
| قَالَ ابْنُ لَيْثٍ ، فَأَعْطَاهُ رَايَتَهُ ، وَقِيلَ كَانَتْ مَعَ عُقْبَةَ بْنِ شِهَابٍ الْمَازِنِيِّ. |
| وَأَتَاهُ النَّاسُ أَرْسَالًا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، ، فَتَقَدَّمَ بِهِمْ وَهُوَ يَقُولُ قَرْمٌ إِذَا حُمِّلَ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمْ وَاجْتَمَعَ إِلَى قُتَيْبَةَ أَهْلُ بَيْتِهِ وَخَوَاصُّ أَصْحَابِهِ وَثِقَاتُهُ ، مِنْهُمْ إِيَاسُ بْنُ بَيْهَسَ بْنِ عَمْرٍو ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ قُتَيْبَةَ ، فَأَمَرَ قُتَيْبَةُ رَجُلًا فَنَادَى أَيْنَ بَنُو عَامِرٍ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ مُحَقِّرُ بْنُ جَزْءٍ الْعَلَائِيُّ ، وَهُوَ قَيْسِيٌّ أَيْضًا ، وَكَانَ قُتَيْبَةُ قَدْ جَفَاهُمْ نَادِهِمْ حَيْثُ وَضَعْتَهُمْ. |
| قَالَ قُتَيْبَةُ نَادِ أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ وَالرَّحِمَ. |
| قَالَ مُحَقِّرٌ أَنْتَ قَطَعْتَهَا. |
| قَالَ نَادِ لَكُمُ الْعُتْبَى. |
| قَالَ مُحَقِّرٌ لَا أَقَالَنَا اللَّهُ إِذَنْ ، فَقَالَ قُتَيْبَةُ عِنْدَ ذَلِكَ يَا نَفْسُ صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَلَمٍ... |
| إِذْ لَمْ أَجِدْ لِفُضُولِ الْعَيْشِ أَقْرَانَا وَدَعَا بِبِرْذَوْنٍ لَهُ مُدَرَّبٍ لِيَرْكَبَهُ ، فَجَعَلَ يَمْنَعُهُ حَتَّى أَعْيَا. |
| فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَادَ إِلَى سَرِيرِهِ فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَقَالَ دَعُوهُ ، إِنَّ هَذَا أَمْرٌ يُرَادُ. |
| وَجَاءَ حَيَّانُ النَّبَطِيُّ فِي الْعَجَمِ وَقُتَيْبَةُ وَاجِدٌّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَخُو قُتَيْبَةَ لَحَيَّانَ احْمِلْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ حَيَّانُ لَمْ يَأْنِ بَعْدُ. |
| فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ نَاوِلْنِي قَوْسِي. |
| فَقَالَ حَيَّانُ لَيْسَ هَذَا بِيَوْمِ قَوْسٍ. |
| وَقَالَ حَيَّانُ لِابْنِهِ إِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ حَوَّلْتُ قَلَنْسُوَتِي وَمَضَيْتُ نَحْوَ عَسْكَرِ وَكِيعٍ ، فَمِلْ بِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْعَجَمِ إِلَيَّ. |
| فَلَمَّا حَوَّلَ حَيَّانُ قَلَنْسُوَتَهُ مَالَتِ الْأَعَاجِمُ إِلَى عَسْكَرِ وَكِيعٍ وَكَبَّرُوا. |
| فَبَعَثَ قُتَيْبَةُ أَخَاهُ صَالِحًا إِلَى النَّاسِ ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ ، وَقِيلَ مِنْ بَلْعَمٍ ، فَأَصَابَ رَأْسَهُ ، فَحُمِلَ إِلَى قُتَيْبَةَ وَرَأْسُهُ مَائِلٌ ، فَوُضِعَ فِي مُصَلَّاهُ ، وَجَلَسَ قُتَيْبَةُ عِنْدَهُ سَاعَةً. |
| وَتَهَايَجَ النَّاسُ ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَخُو قُتَيْبَةَ نَحْوَهُمْ ، فَرَمَاهُ أَهْلُ السُّوقِ وَالْغَوْغَاءِ فَقَتَلُوهُ ، وَأَحْرَقَ النَّاسُ مَوْضِعًا كَانَتْ فِيهِ إِبِلٌ لِقُتَيْبَةَ وَدَوَابِّهِ ، وَدَنَوْا مِنْهُ. |
| فَقَاتَلَ عَنْهُ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ ، فَقَالَ لَهُ قُتَيْبَةُ انْجُ بِنَفْسِكَ. |
| فَقَالَ بِئْسَ مَا جَزَيْتُكَ إِذًا ، وَقَدْ أَطْعَمْتَنِي الْجَرْدَقَ ، وَأَلْبَسَتْنِي النَّرْمَقَ. |
| وَجَاءَ النَّاسُ حَتَّى بَلَغُوا فُسْطَاطَهُ فَقَطَّعُوا أَطْنَابَهُ ، وَجُرِحَ قُتَيْبَةُ جِرَاحَاتٍ كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ جَهْمُ بْنُ زَحْرِ بْنِ قَيْسٍ لِسَعْدٍ انْزِلْ فَخُذْ رَأْسَهُ ، فَنَزَلَ سَعْدٌ فَشَقَّ الْفُسْطَاطَ ، وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، وَقُتِلَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ إِخْوَتِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَصَالِحٌ ، وَحَصِينٌ ، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ ، وَمُسْلِمٌ ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ ابْنُهُ ، وَقِيلَ قُتِلَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بِقَزْوِينَ. |
| وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ قُتِلَ مَعَ قُتَيْبَةَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَنَجَا عُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ أَخُو قُتَيْبَةَ ، نَجَّاهُ أَخْوَالُهُ. |
| وَكَانَتْ أُمُّهُ الْغَبْرَاءَ بِنْتَ ضِرَارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ الْقَيْسِيَّةَ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ قُتَيْبَةُ صَعِدَ وَكِيعٌ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ مَثَلِي وَمَثَلُ قُتَيْبَةَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ مَنْ يَنِكِ الْعِيرَ يَنِكْ نَيَّاكَا أَرَادَ قُتَيْبَةُ قَتْلِي وَأَنَا قَتَّالٌ قَدْ جَرَّبُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي... |
| مِنْ غَلْوَتَيْنِ وَمِنَ الْمِئَيْنِ حَتَّى إِذَا شِبْتُ وَشَيَّبُونِي... |
| خَلَّوْا عَنَانِي وَتَنَكَّبُونِي أَنَا أَبُو مُطَرِّفٍ! |
| ثُمَّ قَالَ أَنَا ابْنُ خِنْدِفَ تَنْمِينِي قَبَائِلُهَا... |
| بِالصَّالِحَاتِ وَعَمِّي قَيْسُ عَيْلَانَا ثُمَّ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ فَقَالَ شَيْخٌ إِذَا حُمِّلَ مَكْرُوهَةً... |
| شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمْ وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّ ثُمَّ لَأَقْتُلَنَّ! |
| وَلَأُصَلِّبَنَّ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّ! |
| إِنَّ مَرْزُبَانَكُمْ هَذَا ابْنَ الزَّانِيَةِ قَدْ أَغْلَى أَسْعَارَكُمْ! |
| وَاللَّهِ لَيَصِيرَنَّ الْقَفِيزُ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ أَوْ لَأُصَلَّبَنَّهُ! |
| صَلُّوا عَلَى نَبِيِّكُمْ. |
| ثُمَّ نَزَلَ ، وَطَلَبَ وَكِيعٌ رَأْسَ قُتَيْبَةَ وَخَاتَمَهُ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ الْأَزْدَ أَخَذَتْهُ. |
| فَخَرَجَ وَكِيعٌ مُشْهِرًا وَقَالَ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَا أَبْرَحُ حَتَّى أُوتَى بِالرَّأْسِ ، أَوْ يَذْهَبَ رَأْسِي مَعَهُ. |
| فَقَالَ لَهُ حُضَيْنٌ اسْكُنْ يَا أَبَا مُطَرِّفٍ فَإِنَّكَ تُؤْتَى بِهِ. |
| وَذَهَبَ حُضَيْنٌ إِلَى الْأَزْدِ ، وَهُوَ سَيِّدُهُمْ ، فَأَمَرَهُمْ بِتَسْلِيمِ الرَّأْسِ إِلَى وَكِيعٍ ، فَسَلَّمُوهُ إِلَيْهِ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ مَعَ نَفَرٍ لَيْسَ فِيهِمْ تَمِيمِيٌّ ، وَوَفَى وَكِيعٌ لَحَيَّانَ النَّبَطِيِّ بِمَا كَانَ ضَمِنَ لَهُ. |
| فَلَمَّا أُتِيَ سُلَيْمَانُ بِرَأْسِ قُتَيْبَةَ وَرُءُوسِ أَهْلِهِ كَانَ عِنْدَهُ الْهُذَيْلُ بْنُ زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ ، فَقَالَ لَهُ هَلْ سَاءَكَ هَذَا يَا هُذَيْلُ ؟ |
| فَقَالَ لَوْ سَاءَنِي لَسَاءَ قَوْمًا كَثِيرًا. |
| فَقَالَ سُلَيْمَانُ مَا أَرَدْتُ هَذَا كُلَّهُ. |
| وَإِنَّمَا قَالَ سُلَيْمَانُ هَذَا لِلْهُذَيْلِ; لِأَنَّهُ هُوَ وَقُتَيْبَةُ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرِّءُوسِ فَدُفِنَتْ ، وَلَمَّا قُتِلَ قُتَيْبَةُ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ قَتَلْتُمْ قُتَيْبَةَ ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنَّا فَمَاتَ لَجَعَلْنَاهُ فِي تَابُوتٍ ، فَكُنَّا نَسْتَسْقِي بِهِ وَنَسْتَفْتِحُ بِهِ إِذَا غَزَوْنَا ، وَمَا صَنَعَ أَحَدٌ بِخُرَاسَانَ قَطُّ مَا صَنَعَ قُتَيْبَةُ ، إِلَّا أَنَّهُ غَدَرَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنِ اخْتَلْهُمْ وَاقْتُلْهُمْ لِلَّهِ. |
| وَقَالَ الْإِصْبَهْبَذُ قَتَلْتُمْ قُتَيْبَةَ وَيَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَهُمَا سَيِّدَا الْعَرَبِ. |
| قِيلَ لَهُ أَيُّهُمَا كَانَ أَعَظَمُ عِنْدَكُمْ وَأَهْيَبُ ؟ |
| قَالَ لَوْ كَانَ قُتَيْبَةُ بِأَقْصَى جُحْرٍ فِي الْغَرْبِ مُكَبَّلًا وَيَزِيدُ مَعَنَا فِي بِلَادِنَا وَالٍ عَلَيْنَا ، لَكَانَ قُتَيْبَةُ أَهْيَبَ فِي صُدُورِنَا وَأَعْظَمَ مِنْ يَزِيدَ. |
| وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي ذَلِكَ أَتَانِي وَرَحْلِي فِي الْمَدِينَةِ وَقْعَةٌ... |
| لِآلِ تَمِيمٍ أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُمَانَةَ الْبَاهِلِيُّ يَرْثِي قُتَيْبَةَ كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ قُتَيْبَةَ لَمْ يَسِرْ... |
| بِجَيْشٍ إِلَى جَيْشٍ وَلَمْ يَعْلُ مِنْبَرَا وَلَمْ تَخْفُقِ الرَّايَاتُ وَالْجَيْشُ حَوْلَهُ... |
| وُقُوفٌ وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ عَسْكَرَا دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ... |
| وَرَاحَ إِلَى الْجَنَّاتِ عَفًّا مُطَهَّرَا فَمَا رُزِئَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ... |
| بِمِثْلِ أَبِي حَفْصٍ فَبَكِّيهِ عَبْهَرَا وَعَبْهَرُ أَمْ وَلَدٍ لَهُ. |
| قِيلَ وَقَالَ شُيُوخٌ مِنْ غَسَّانَ كُنَّا بِثَنِيَّةِ الْعُقَابِ ، إِذَا نَحْنُ بَرْجُلٍ مَعَهُ عَصًا وَجِرَابٌ ، قُلْنَا مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ |
| قَالَ مِنْ خُرَاسَانَ. |
| قُلْنَا هَلْ كَانَ بِهَا مِنْ خَبَرٍ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، قُتِلَ بِهَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ أَمْسِ. |
| فَعَجِبْنَا لِقَوْلِهِ ، فَلَمَّا رَأَى إِنْكَارَنَا قَالَ أَيْنَ يَرَوْنِي اللَّيْلَةَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ ؟ |
| وَتَرَكَنَا وَمَضَى ، فَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى خُيُولِنَا ، فَإِذَا هُوَ يَسْبِقُ الطَّرْفَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ قُرَّةُ بْنُ شَرِيكٍ الْعَبْسِيُّ أَمِيرُ مِصْرَ فِي صَفَرٍ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ فِي الشَّهْرِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ الْحَجَّاجُ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ السِّينِ . |
| وَعَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ وَصَلَاتِهَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ. |
| وَعَلَى خَرَاجِهَا صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. |
| وَعَلَى الْبَصْرَةِ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيُّ مِنْ قِبَلِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ. |
| وَعَلَى قَضَائِهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُذَيْنَةَ. |
| وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مُوسَى. |
| وَعَلَى حَرْبِ خُرَاسَانَ وَكِيعُ بْنُ أَبِي سُودٍ. |
| الوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ شُرَيْحٌ الْقَاضِي ، وَقِيلَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ ، وَلَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةٌ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ. |
| وَمَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِي وِلَايَةِ الْوَلِيدِ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَيْرِيزٍ ، قِيلَ لَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَأَبُو سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيُّ ، كَانَ يَسْكُنُ الْمَقَابِرَ فَنُسِبَ إِلَيْهَا. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَعِيُّ الْفَقِيهُ. |
| وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَلَهُ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، وَعَبَّاسُ بْنُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ ذِكْرُ مَقْتَلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ أَبَاهُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، عِنْدَ عَوْدِهِ إِلَى الشَّامِ ، فَضَبَطَهَا وَسَدَّدَ أُمُورَهَا ، وَحَمَى ثُغُورَهَا ، وَافْتَتَحَ فِي إِمَارَتِهِ مَدَائِنَ بَقِيَتْ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَكَانَ خَيِّرًا فَاضِلًا ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةَ رُذَرِيقَ ، فَحَظِيَتْ عِنْدَهُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ ، فَحَمَلَتْهُ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ أَصْحَابَهُ وَرَعِيَّتَهُ بِالسُّجُودِ لَهُ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ كَمَا كَانَ يُفْعَلُ لِزَوْجِهَا رُذَرِيقَ. |
| فَقَالَ لَهَا إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ فِي دِينِنَا. |
| فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى أَمَرَ فَفُتِحَ بَابٌ قَصِيرٌ لِمَجْلِسِهِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا دَخَلَ مِنْهُ طَأْطَأَ رَأْسَهُ فَيَصِيرُ كَالرَّاكِعِ ، فَرَضِيَتْ بِهِ ، فَصَارَ كَالسُّجُودِ عِنْدَهَا ، فَقَالَتْ لَهُ الْآنَ لَحِقْتَ بِالْمُلُوكِ ، وَبَقِيَ أَنْ أَعْمَلَ لَكَ تَاجًا مِمَّا عِنْدِي مِنَ الذَّهَبِ وَاللُّؤْلُؤِ ، فَأَبَى ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى فَعَلَ. |
| فَانْكَشَفَ ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقِيلَ تَنَصَّرَ ، وَفَطِنُوا لِلْبَابِ ، فَثَارُوا عَلَيْهِ ، فَقَتَلُوهُ فِي آخِرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْثَ إِلَى الْجُنْدِ فِي قَتْلِهِ عِنْدَ سُخْطِهِ عَلَى وَالِدِهِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمِحْرَابِ ، فَصَلَّى الصُّبْحَ وَقَدْ قَرَأَ الْفَاتِحَةَ وَسُورَةَ الْوَاقِعَةِ ، فَضَرَبُوهُ بِالسُّيُوفِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً ، وَأَخَذُوا رَأْسَهُ فَسَيَّرُوهُ إِلَى سُلَيْمَانَ ، فَعَرَضَهُ سُلَيْمَانُ عَلَى أَبِيهِ ، فَتَجَلَّدَ لِلْمُصِيبَةِ ، وَقَالَ هَنِيئًا لَهُ بِالشَّهَادَةِ ، فَقَدْ قَتَلْتُمُوهُ وَاللَّهِ صَوَّامًا قَوَّامًا. |
| وَكَانُوا يَعُدُّونَهَا مِنْ زَلَّاتِ سُلَيْمَانَ. |
| وَكَانَ قَتْلُهُ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ فِي آخِرِهَا. |
| ثُمَّ إِنْ سُلَيْمَانَ وَلَّى الْأَنْدَلُسَ الْحُرَّ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيَّ ، فَأَقَامَ وَالِيًا عَلَيْهَا إِلَى أَنِ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَعَزَلَهُ ، هَذَا آخِرُ مَا أَرَدْنَا ذِكْرَهُ مِنْ قَتْلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى سَبِيلِ الِاخْتِصَارِ. |
| وَفِيهَا عَزَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ الْقُرَشِيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَ سُلَيْمَانُ فَعُزِلَ ، فَاسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَكَانَهُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ سَنَةَ مِائَةٍ ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ ، فَأَسْلَمَ الْبَرْبَرُ فِي أَيَّامِهِ جَمِيعُهُمْ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ خُرَاسَانَ وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا وَلَّى يَزِيدَ الْعِرَاقَ فَوَّضَ إِلَيْهِ حَرْبَهَا وَالصَّلَاةَ بِهَا وَخَرَاجَهَا ، فَنَظَرَ يَزِيدُ لِنَفْسِهِ ، وَقَالَ إِنَّ الْعِرَاقَ قَدْ أَخْرَبَهَا الْحَجَّاجُ ، وَأَنَا الْيَوْمَ رَجُلُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَمَتَى قَدِمْتُهَا وَأَخَذْتُ النَّاسَ بِالْخَرَاجِ وَعَذَّبْتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ صِرْتُ مِثْلَ الْحَجَّاجِ ، وَأَعَدْتُ عَلَيْهِمُ السُّجُونَ ، وَمَا عَافَاهُمُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَمَتَى لَمْ آتِ سُلَيْمَانَ بِمِثْلِ مَا كَانَ الْحَجَّاجُ أَتَى بِهِ لَمْ يَقْبَلْ مِنِّي. |
| فَأَتَى يَزِيدُ سُلَيْمَانَ وَقَالَ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ بَصِيرٍ بِالْخَرَاجِ تَوَلِّيهِ إِيَّاهُ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى بَنِي تَمِيمٍ ، فَوَلَّاهُ الْخَرَاجَ وَسَيَّرَهُ قَبْلَ يَزِيدَ ، فَنَزَلَ وَاسِطًا ، وَأَقْبَلَ يَزِيدُ ، فَخَرَجَ النَّاسُ يَتَلَقَّوْنَهُ ، وَلَمْ يَخْرُجْ صَالِحٌ حَتَّى قَرُبَ يَزِيدُ ، فَخَرَجَ صَالِحٌ فِي الدُّرَّاعَةِ ، بَيْنَ يَدَيْهِ أَرْبَعُمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَلَقِيَ يَزِيدَ وَسَايَرَهُ ، فَنَزَلَ يَزِيدُ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ صَالِحٌ فَلَمْ يُمَكِّنْهُ مِنْ شَيْءٍ ، وَاتَّخَذَ يَزِيدُ أَلْفَ خِوَانٍ يُطْعِمُ النَّاسَ عَلَيْهَا ، فَأَخَذَهَا صَالِحٌ ، فَقَالَ يَزِيدُ اكْتُبْ ثَمَنَهَا عَلَيَّ. |
| وَاشْتَرَى يَزِيدُ مَتَاعًا وَكَتَبَ صَكًّا بِثَمَنِهِ إِلَى صَالِحٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ وَقَالَ لِيَزِيدَ إِنَّ الْخَرَاجَ لَا يَقُومُ بِمَا تُرِيدُ وَلَا يَرْضَى بِهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَتُؤْخَذُ بِهِ. |
| فَضَاحَكَهُ يَزِيدُ ، وَقَالَ أَجْرِ هَذَا الْمَالَ هَذِهِ الْمَرَّةَ وَلَا أَعُودُ. |
| فَفَعَلَ صَالِحٌ. |
| وَكَانَ سُلَيْمَانُ لَمْ يَجْعَلْ خُرَاسَانَ إِلَى يَزِيدَ ، فَضَجِرَ يَزِيدُ مِنَ الْعِرَاقِ لِتَضْيِيقِ صَالِحٍ عَلَيْهِ ، فَدَعَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْأَهْتَمِ فَقَالَ لَهُ إِنِّي أُرِيدُكَ لِأَمْرٍ قَدْ أَهَمَّنِي فَأُحِبُّ أَنْ تَكْفِيَنِيهِ. |
| قَالَ أَفْعَلُ. |
| قَالَ أَنَا فِيمَا تَرَى مِنَ الضِّيقِ وَقَدْ ضَجِرْتُ مِنْهُ ، وَخُرَاسَانُ شَاغِرَةٌ بِرَجُلِهَا فَهَلْ مِنْ حِيلَةٍ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، سَرِّحْنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| قَالَ فَاكْتُمْ مَا أَخْبَرْتُكَ. |
| وَكَتَبَ إِلَى سُلَيْمَانَ يُخْبِرُهُ بِحَالِ الْعِرَاقِ ، وَأَثْنَى عَلَى ابْنِ الْأَهْتَمِ ، وَذَكَرَ عِلْمَهُ بِهَا ، وَسَيَّرَ ابْنَ الْأَهْتَمِ عَلَى الْبَرِيدِ. |
| فَأَتَى سُلَيْمَانَ وَاجْتَمَعَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ إِنْ يَزِيدَ كَتَبَ إِلَيَّ يَذْكُرُ عِلْمَكَ بِالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ ، فَكَيْفَ عِلْمُكَ بِهَا ؟ |
| قَالَ أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِهَا ، بِهَا وُلِدْتُ وَبِهَا نَشَأَتْ ، وَلِي بِهَا وَبِأَهْلِهَا خَبَرٌ وَعِلْمٌ. |
| قَالَ فَأَشِرْ عَلَيَّ بِرَجُلٍ أُوَلِّيهِ خُرَاسَانَ. |
| قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ بِمَنْ يُرِيدُ ، فَإِنْ ذَكَرَ مِنْهُمْ أَحَدًا أَخْبَرْتُهُ بِرَأْيِي فِيهِ. |
| فَسَمَّى رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لَيْسَ مِنْ رِجَالِ خُرَاسَانَ. |
| قَالَ فَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمُهَلَّبِ. |
| قَالَ لَا يَصْلُحُ فَإِنَّهُ يَصْبُوَا عَنْ هَذَا ، فَلَيْسَ لَهُ مَكْرُ أَبِيهِ ، وَلَا شَجَاعَةُ أَخِيهِ. |
| حَتَّى عَدَّدَ رِجَالًا ، وَكَانَ آخِرُ مَنْ ذَكَرَ وَكِيعُ بْنُ أَبِي سُودٍ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكِيعٌ رَجُلٌ شُجَاعٌ صَارِمٌ رَئِيسٌ مِقْدَامٌ ، وَمَا أَحَدٌ أَوْجَبُ شُكْرًا وَلَا أَعْظَمُ عِنْدِي يَدًا مِنْ وَكِيعٍ ، لَقَدْ أَدْرَكَ بِثَأْرِي وَشَفَانِي مِنْ عَدُوِّي ، وَلَكِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمُ حَقًّا وَالنَّصِيحَةُ لَهُ تَلْزَمُنِي ، إِنَّ وَكِيعًا لَمْ تَجْتَمِعْ لَهُ مِائَةُ عِنَانٍ قَطُّ إِلَّا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِغَدْرَةٍ ، خَامِلٌ فِي الْجَمَاعَةِ ثَابِتٌ فِي الْفِتْنَةِ ، قَالَ مَا هُوَ مِمَّنْ تَسْتَعِينُ بِهِ ، فَمَنْ لَهَا وَيْحَكَ ؟ |
| قَالَ رَجُلٌ أَعْلَمُهُ لَمْ يُسِمِّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. |
| قَالَ فَمَنْ هُوَ ؟ |
| قَالَ لَا أَذْكُرُهُ حَتَّى يَضْمَنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَتْرَ ذَلِكَ ، وَأَنْ يُجِيرَنِي مِنْهُ إِنْ عَلِمَ. |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ. |
| قَالَ الْعِرَاقُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ خُرَاسَانَ. |
| قَالَ ابْنُ الْأَهْتَمِ قَدْ عَلِمْتُ وَلَكِنْ تُكْرِهُهُ فَيَسْتَخْلِفُ عَلَى الْعِرَاقِ وَيَسِيرُ. |
| قَالَ أَصَبْتَ الرَّأْيَ. |
| فَكَتَبَ عَهْدَ يَزِيدَ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَسَيَّرَهُ مَعَ ابْنِ الْأَهْتَمِ ، فَأَتَى يَزِيدَ بِهِ ، فَأَمَرَهُ بِالْجِهَازِ لِلْمَسِيرِ سَاعَتَهُ ، وَقَدَّمَ ابْنَهُ مَخْلَدًا إِلَى خُرَاسَانَ مِنْ يَوْمِهِ ، ثُمَّ سَارَ يَزِيدُ بَعْدَهُ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى وَاسِطَ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيَّ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِلَالٍ الْكِلَابِيَّ ، وَجَعَلَ أَخَاهُ مَرْوَانَ بْنَ الْمُهَلَّبِ عَلَى حَوَائِجِهِ وَأُمُورِهِ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ أَوْثَقَ إِخْوَتِهِ عِنْدَهُ ، وَاسْتَخْلَفَ بِالْكُوفَةِ حَرْمَلَةَ بْنَ عُمَيْرٍ اللَّخْمِيَّ أَشْهُرًا ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَوَلَّى بَشِيرَ بْنَ حَيَّانَ النَّهْدِيَّ. |
| وَكَانَتْ قَيْسُ تَزْعُمُ أَنَّ قُتَيْبَةَ لَمْ يَخْلَعْ ، فَلَمَّا سَارَ يَزِيدُ إِلَى خُرَاسَانَ أَمَرَهُ سُلَيْمَانُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ قُتَيْبَةَ ، فَإِنْ أَقَامَتْ قَيْسٌ الْبَيِّنَةَ أَنَّ قُتَيْبَةَ لَمْ يَخْلَعْ أَنْ يُقِيدَ وَكِيعًا بِهِ ، وَلَمَّا وَصَلَ مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ مَرْوَ أَخَذَهُ ، فَحَبَسَهُ وَعَذَّبَهُ ، وَأَخَذَ أَصْحَابَهُ وَعَذَّبَهُمْ قَبْلَ قُدُومِ أَبِيهِ ، وَكَانَتْ وِلَايَةُ وَكِيعٍ خُرَاسَانَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ. |
| ثُمَّ قَدِمَ يَزِيدُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خُرَاسَانَ فَأَدْنَى أَهْلَ الشَّامِ وَقَوْمًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، فَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ فِي ذَلِكَ وَمَا كُنَّا نُؤَمِّلُ مِنْ أَمِيرٍ... |
| كَمَا كُنَّا نُؤَمِّلُ مِنْ يَزِيدِ فَأَخْطَأَ ظَنُّنَا فِيهِ وَقِدَمًا... |
| زَهِدْنَا فِي مُعَاشَرَةِ الزَّهِيدِ إِذَا لَمْ يُعْطِنَا نَصَفًا أَمِيرٌ... |
| مَشَيْنَا نَحْوَهُ مَشْيَ الْأَسْوَدِ فَمَهْلًا يَا يَزِيدُ أَنِبْ إِلَيْنَا... |
| وَدَعْنَا مِنْ مُعَاشَرَةِ الْعَبِيدِ نَجِيءُ وَلَا نَرَى إِلَّا صُدُودًا... |
| عَلَى أَنَّا نُسَلِّمُ مِنْ بَعِيدِ وَنَرْجِعُ خَائِبِينَ بِلَا نَوَالٍ... |
| فَمَا بَالُ التَّجَهُّمِ وَالصُّدُودِ ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَهَّزَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجُيُوشَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَاسْتَعْمَلَ ابْنَهُ دَاوُدَ عَلَى الصَّائِفَةِ فَافْتَتَحَ حِصْنَ الْمَرْأَةِ. |
| وَفِيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ أَرْضَ الْوَضَّاحِيَّةَ ، فَفَتَحَ الْحِصْنَ الَّذِي فَتَحَهُ الْوَضَّاحُ صَاحِبُ الْوَضَّاحِيَّةَ. |
| وَفِيهَا غَزَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ أَرْضَ الرُّومِ فِي الْبَحْرِ ، فَشَتَّى فِيهَا. |
| وَفِيهَا حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالنَّاسِ. |
| وَفِيهَا عُزِلَ دَاوُدُ بْنُ طَلْحَةَ الْحَضْرَمِيُّ عَنْ مَكَّةَ ، وَكَانَ عَمَلُهُ عَلَيْهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَوُلِّيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ. |
| وَكَانَ عُمَّالُ الْأَمْصَارِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| الوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَمِائَةٍ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ الَّذِي فَتَحَ الْأَنْدَلُسَ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ الْبَجَلِيُّ وَقَدْ جَاوَزَ مِائَةَ سَنَةٍ ، وَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيُسَلِّمَ ، فَرَآهُ قَدْ تُوُفِّيَ ، وَرَوَى عَنِ الْعَشَرَةِ ، وَقِيلَ لَمْ يَرْوِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَذَهَبَ عَقْلُهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ. |
| حَازِمٌ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالزَّايِ الْمُعْجَمَةِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ مَوْلَى أَشْجَعَ ، وَاسْمُ أَبِي الْجَعْدِ رَافِعٌ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ ذِكْرُ مُحَاصَرَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى دَابِقٍ ، وَجَهَّزَ جَيْشًا مَعَ أَخِيهِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِيَسِيرَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَمَاتَ مَلِكُ الرُّومِ ، فَأَتَاهُ أَلْيُونُ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ فَأَخْبَرَهُ ، فَضَمِنَ لَهُ فَتْحَ الرُّومِ ، فَوَجَّهَ مَسْلَمَةَ مَعَهُ ، فَسَارَا إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا أَمَرَ كُلَّ فَارِسٍ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ مُدَّيْنِ مِنْ طَعَامٍ عَلَى عَجُزِ فَرَسِهِ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَفَعَلُوا ، فَلَمَّا أَتَاهَا أَمَرَ بِالطَّعَامِ فَأُلْقِيَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ، وَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ لَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا ، وَأَغِيرُوا فِي أَرْضِهِمْ وَازْرَعُوا. |
| وَعَمِلَ بُيُوتًا مِنْ خَشَبٍ ، فَشَتَّى فِيهَا وَصَافَ ، وَزَرَعَ النَّاسُ ، وَبَقِيَ الطَّعَامُ فِي الصَّحْرَاءِ وَالنَّاسُ يَأْكُلُونَ مَا أَصَابُوا مِنَ الْغَارَاتِ وَمِنَ الزَّرْعِ ، وَأَقَامَ مَسْلَمَةُ قَاهِرًا لِلرُّومِ مَعَهُ أَعْيَانُ النَّاسِ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، وَمُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَكَرِيَّا الْخُزَاعِيُّ ، وَغَيْرُهُمْ. |
| فَأَرْسَلَ الرُّومُ إِلَى مَسْلَمَةَ يُعْطُونَهُ عَنْ كُلِّ رَأْسٍ دِينَارًا ، فَلَمْ يَقْبَلْ. |
| فَقَالَتِ الرُّومُ لَأَلْيُونَ إِنْ صَرَفْتَ عَنَّا الْمُسْلِمِينَ مَلَّكْنَاكَ. |
| فَاسْتَوْثَقَ مِنْهُمْ ، فَأَتَى مَسْلَمَةَ فَقَالَ لَهُ إِنَّ الرُّومَ قَدْ عَلِمُوا أَنَّكَ لَا تَصْدُقُهُمُ الْقِتَالَ ، وَأَنَّكَ تُطَاوِلُهُمْ مَا دَامَ الطَّعَامُ عِنْدَكَ ، فَلَوْ أَحْرَقْتَهُ أَعْطَوُا الطَّاعَةَ بِأَيْدِيهِمْ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُحْرِقَ ، فَقَوِيَ الرُّومُ وَضَاقَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ ، وَبَقُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ سُلَيْمَانُ. |
| وَقِيلَ إِنَّمَا خَدَعَ أَلْيُونَ مَسْلَمَةَ بِأَنْ يَسْأَلَهُ أَنْ يُدْخِلَ الطَّعَامَ إِلَى الرُّومِ بِمِقْدَارِ مَا يَعِيشُونَ بِهِ لَيْلَةً وَاحِدَةً ، لِيُصَدِّقُوهُ أَنَّ أَمْرَهُ وَأَمْرَ مَسْلَمَةَ وَاحِدٌ ، وَأَنَّهُمْ فِي أَمَانٍ مِنَ السَّبْيِ وَالْخُرُوجِ مِنْ بِلَادِهِمْ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَكَانَ أَلْيُونُ قَدِ اعَدَّ السُّفُنَ وَالرِّجَالَ ، فَنَقَلُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ الطَّعَامَ ، فَلَمْ يَتْرُكُوا فِي تِلْكَ الْحَظَائِرِ إِلَّا مَا لَا يَذْكَرُ ، وَأَصْبَحَ أَلْيُونُ مُحَارِبًا ، وَقَدْ خُدِعَ خَدِيعَةً لَوْ كَانَتِ امْرَأَةً لَعِيبَتْ بِهَا ، وَلَقِيَ الْجُنْدُ مَا لَمْ يَلْقَهُ جَيْشٌ آخَرُ ، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَخَافُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْعَسْكَرِ وَحْدَهُ ، وَأَكَلُوا الدَّوَابَّ وَالْجُلُودَ وَأُصُولَ الشَّجَرِ وَالْوَرَقِ ، وَكُلَّ شَيْءٍ غَيْرَ التُّرَابِ ، وَسُلَيْمَانُ مُقِيمٌ بِدَابِقٍ ، وَتَوَلَّى الشِّتَاءُ فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُمِدَّهُمْ حَتَّى مَاتَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَايَعَ سُلَيْمَانُ لِابْنِهِ أَيُّوبَ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ ، فَمَاتَ أَيُّوبُ قَبْلَ أَبِيهِ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ فُتِحَتْ مَدِينَةُ الصَّقَالِبَةِ ، وَكَانَتْ بُرْجَانُ قَدْ أَغَارَتْ عَلَى مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ فِي قِلَّةٍ ، فَكَتَبَ إِلَى سُلَيْمَانَ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ ، فَمَكَرَتْ بِهِمُ الصَّقَالِبَةُ ثُمَّ انْهَزَمُوا. |
| وَفِيهَا غَزَا الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ وَعَمْرُو بْنُ قَيْسٍ ، فَأُصِيبَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ أَنْطَاكِيَّةَ ، وَأَصَابَ الْوَلِيدُ نَاسًا مِنْ ضَوَاحِي الرُّومِ ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ بَشَرًا كَثِيرًا. |
| ذِكْرُ فَتَحِ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ لَمَّا قَدِمَ خُرَاسَانَ. |
| وَسَبَبُ غَزْوِهِمَا وَاهْتِمَامِهِ بِهِمَا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالشَّامِ كَانَ سُلَيْمَانُ كُلَّمَا فَتَحَ قُتَيْبَةُ فَتْحًا يَقُولُ لِيَزِيدَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى قُتَيْبَةَ ؟ |
| فَيَقُولُ يَزِيدُ مَا فَعَلَتْ جُرْجَانُ الَّتِي قَطَعَتِ الطَّرِيقَ ، وَأَفْسَدَتْ قُومِسَ وَنَيْسَابُورَ وَيَقُولُ هَذِهِ الْفُتُوحُ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ ، الشَّانُ هِيَ جُرْجَانُ. |
| فَلَمَّا وَلَّاهُ سُلَيْمَانُ خُرَاسَانَ لَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ غَيْرُ جُرْجَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ أَهْلِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ ، سِوَى الْمَوَالِي وَالْمُتَطَوِّعَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ جُرْجَانُ يَوْمَئِذٍ مَدِينَةً ، إِنَّمَا هِيَ جِبَالٌ وَمَخَارِمُ وَأَبْوَابٌ ، يَقُومُ الرَّجُلُ عَلَى بَابٍ مِنْهَا فَلَا يُقْدِمُ عَلَيْهِ أَحَدٌ. |
| فَابْتَدَأَ بِقُهِسْتَانَ فَحَاصَرَهَا ، وَكَانَ أَهْلُهَا طَائِفَةً مِنَ التُّرْكِ ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا. |
| وَكَانَ أَهْلُهَا يَخْرُجُونَ وَيُقَاتِلُونَ ، فَيَهْزِمُهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ ذَلِكَ ، فَإِذَا هُزِمُوا دَخَلُوا الْحِصْنَ. |
| فَخَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ وَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّاسُ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَحَمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ عَلَى تُرْكِيٍّ قَدْ صَدَّ النَّاسَ عَنْهُ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَثَبَتَ سَيْفُ التُّرْكِيِّ فِي بَيْضَةِ ابْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، وَضَرَبَهُ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ فَقَتَلَهُ ، وَرَجَعَ وَسَيْفُهُ يَقْطُرُ دَمًا ، وَسَيْفُ التُّرْكِيِّ فِي بَيْضَتِهِ ، فَنَظَرَ النَّاسُ إِلَى أَحْسَنِ مَنْظَرٍ رَأَوْهُ. |
| وَخَرَجَ يَزِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمًا يَنْظُرُ مَكَانًا يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ وُجُوهِ النَّاسِ وَفُرْسَانِهِمْ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِمُ التُّرْكُ فِي نَحْوِ أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَقَاتَلُوهُمْ سَاعَةً ، وَقَاتَلَ يَزِيدُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَسَلِمُوا وَانْصَرَفُوا ، وَكَانُوا قَدْ عَطِشُوا ، فَانْتَهَوْا إِلَى الْمَاءِ فَشَرِبُوا ، وَرَجَعَ عَنْهُمُ الْعَدُوُّ. |
| ثُمَّ إِنَّ يَزِيدَ أَلَحَّ عَلَيْهِمْ فِي الْقِتَالِ ، وَقَطَعَ عَنْهُمُ الْمَوَادَّ حَتَّى ضَعِفُوا وَعَجَزُوا. |
| فَأَرْسَلَ صُولُ ، دِهْقَانُ قُهِسْتَانَ ، إِلَى يَزِيدَ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُصَالِحَهُ وَيُؤَمِّنَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، لِيَدْفَعَ إِلَيْهِ الْمَدِينَةَ بِمَا فِيهَا ، فَصَالَحَهُ وَوَفَى لَهُ ، وَدَخْلَ الْمَدِينَةَ ، فَأَخَذَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْكُنُوزِ وَالسَّبْيِ مَا لَا يُحْصَى ، وَقَتْلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ تُرْكِيٍّ صَبْرًا ، وَكَتَبَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِذَلِكَ. |
| ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى جُرْجَانَ. |
| وَكَانَ أَهْلُ جُرْجَانَ قَدْ صَالَحَهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، وَكَانُوا يَجْبُونَ أَحْيَانًا مِائَةَ أَلْفٍ ، وَأَحْيَانًا مِائَتَيْ أَلْفٍ ، وَأَحْيَانًا ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفٍ ، وَرُبَّمَا أَعْطَوْا ذَلِكَ وَرُبَّمَا مَنَعُوهُ ، ثُمَّ امْتَنَعُوا وَكَفَرُوا ، فَلَمْ يُعْطُوا خَرَاجًا ، وَلَمْ يَأْتِ جُرْجَانَ بَعْدَ سَعِيدٍ أَحَدٌ ، وَمَنَعُوا ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَلَمْ يَكُنْ يَسْلُكُ طَرِيقَ خُرَاسَانَ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى فَارِسَ وَكَرْمَانَ. |
| وَأَوَّلُ مَنْ صَيَّرَ الطَّرِيقَ مِنْ قُومِسَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ حِينَ وَلِيَ خُرَاسَانَ. |
| وَبَقِيَ أَمْرُ جُرْجَانَ كَذَلِكَ حَتَّى وَلِيَ يَزِيدُ وَأَتَاهُمْ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ بِالصُّلْحِ ، وَزَادُوهُ وَهَابُوهُ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَصَالَحَهُمْ. |
| فَلَمَّا فَتَحَ قُهِسْتَانَ وَجُرْجَانَ طَمِعَ فِي طَبَرِسْتَانَ أَنْ يَفْتَحَهَا ، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهَا ، فَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُعَمَّرِ الْيَشْكُرِيَّ عَلَى السَّاسَانِ وَقُهِسْتَانَ ، وَخَلَّفَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى أَدَانِي جُرْجَانَ مِمَّا يَلِي طَبَرِسْتَانَ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى أَيْذُوسَا رَاشِدَ بْنَ عَمْرٍو ، وَجَعَلَهُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَدَخَلَ بِلَادَ طَبَرِسْتَانَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْإِصْبَهْبَذُ صَاحِبُهَا يَسْأَلُهُ الصُّلْحَ وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ طَبَرِسْتَانَ ، فَأَبَى يَزِيدُ ، وَرَجَا أَنْ يَفْتَتِحَهَا ، وَوَجَّهَ أَخَاهُ أَبَا عُيَيْنَةَ مِنْ وَجْهٍ ، وَابْنَهُ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ مِنْ وَجْهٍ ، وَأَبَا الْجَهْمِ الْكَلْبِيَّ مِنْ وَجْهٍ ، وَقَالَ إِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَأَبُوا عُيَيْنَةَ عَلَى النَّاسِ. |
| فَسَارَ أَبُو عُيَيْنَةَ وَأَقَامَ يَزِيدُ مُعَسْكَرًا. |
| وَاسْتَجَاشَ الْإِصْبَهْبَذُ أَهْلَ جِيلَانَ وَالدَّيْلَمَ ، فَأَتَوْهُ فَالْتَقَوْا فِي سَفْحِ جَبَلٍ ، فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْجَبَلِ ، فَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى فَمِ الشِّعْبِ ، فَدَخَلَهُ الْمُسْلِمُونَ وَصَعِدَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْجَبَلِ وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَرُومُونَ الصُّعُودَ ، فَرَمَاهُمُ الْعَدُوُّ بِالنُّشَّابِ وَالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو عُيَيْنَةَ وَالْمُسْلِمُونَ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، يَتَسَاقَطُونَ فِي الْجَبَلِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ ، وَكَفَّ عَدُّوهُمْ عَنِ اتِّبَاعِهِمْ ، وَخَافَهُمُ الْإِصْبَهْبَذُ ، فَكَانَ أَهْلُ جُرْجَانَ وَمُقَدِّمُهُمُ الْمَرْزُبَانُ يَسْأَلُهُمْ أَنْ يُبَيِّتُوا مِنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يَقْطَعُوا عَنْ يَزِيدَ الْمَادَّةَ وَالطَّرِيقَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَيَعِدُهُمْ أَنْ يُكَافِئَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَثَارُوا بِالْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلُوهُمْ أَجْمَعِينَ وَهُمْ غَارُّونَ فِي لَيْلَةٍ ، وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَمَّرِ وَجَمِيعُ مَنْ مَعَهُ فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَكَتَبُوا إِلَى الْإِصْبَهْبَذِ بِأَخْذِ الْمَضَايِقِ وَالطُّرُقِ. |
| وَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ وَأَصْحَابَهُ فَعَظُمَ عَلَيْهِمْ وَهَالَهُمْ ، وَفَزِعَ يَزِيدُ إِلَى حَيَّانَ النَّبَطِيَّ وَقَالَ لَهُ لَا يَمْنَعُكَ مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ مِنْ نَصِيحَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ جَاءَنَا عَنْ جُرْجَانَ مَا جَاءَنَا فَاعْمَلْ فِي الصُّلْحِ. |
| فَقَالَ نَعَمْ. |
| فَأَتَى حَيَّانُ الْإِصْبَهْبَذَ فَقَالَ أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، وَإِنْ كَانَ الدِّينُ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، فَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ ، فَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَزِيدَ ، وَقَدْ بَعَثَ يَسْتَمِدُّ وَأَمْدَادُهُ مِنْهُ قَرِيبَةٌ ، وَإِنَّمَا أَصَابُوا مِنْهُ طَرَفًا ، وَلَسْتُ آمَنُ أَنْ يَأْتِيَكَ مَنْ لَا تَقُومُ لَهُ ، فَأَرِحْ نَفْسَكَ وَصَالِحْهُ ، فَإِنْ صَالَحْتَهُ صَيَّرَ حَدَّهُ عَلَى أَهْلِ جُرْجَانَ بِغَدْرِهِمْ وَقَتْلِهِمْ أَصْحَابَهُ. |
| فَصَالَحَهُ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ ، وَقِيلَ خَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ وَقْرِ زَعْفَرَانَ ، أَوْ قِيمَتِهِ مِنَ الْعَيْنِ ، وَأَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ ، عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ تُرْسٌ وَطَيْلَسَانُ ، وَمَعَ كُلِّ رَجُلٍ جَامٌ مِنْ فِضَّةٍ وَخِرْقَةُ حَرِيرٍ وَكُسْوَةٌ. |
| ثُمَّ رَجَعَ حَيَّانُ إِلَى يَزِيدَ ، فَقَالَ ابْعَثْ مِنْ يَحْمِلُ صُلْحَهُمْ ، فَقَالَ مِنْ عِنْدِهِمْ أَوْ مِنْ عِنْدِنَا ؟ |
| قَالَ مِنْ عِنْدِهِمْ ، وَكَانَ يَزِيدُ قَدْ طَابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوا وَيَرْجِعَ إِلَى جُرْجَانَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى يَزِيدَ مَنْ يَقْبِضُ مَا صَالَحَهُمْ عَلَيْهِ حَيَّانُ ، فَانْصَرَفَ إِلَى جُرْجَانَ. |
| وَكَانَ يَزِيدُ قَدْ أَغْرَمَ حَيَّانَ مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حَيَّانَ كَتَبَ إِلَى مَخْلَدِ بْنِ يَزِيدَ ، فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ تَكْتُبُ إِلَى مَخْلَدٍ وَتَبْدَأُ بِنَفْسِكَ. |
| قَالَ نَعَمْ ، وَإِنْ لَمْ يَرْضَ لَقِيَ مَا لَقِيَ قُتَيْبَةُ. |
| فَبَعَثَ مَخْلَدٌ الْكِتَابَ إِلَى أَبِيهِ يَزِيدَ ، فَأَغْرَمَهُ مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ. |
| وَقِيلَ إِنَّ سَبَبَ مَسِيرِ يَزِيدَ إِلَى جُرْجَانَ أَنَّ صُولًا التُّرْكِيَّ كَانَ يَنْزِلُ قُهِسْتَانَ وَالْبُحَيْرَةَ ، وَهِيَ جَزِيرَةٌ فِي الْبَحْرِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قُهِسْتَانَ خَمْسَةُ فَرَاسِخَ ، وَهُمَا مِنْ جُرْجَانَ مِمَّا يَلِي خُوَارَزْمَ ، وَكَانَ يُغِيرُ عَلَى فَيْرُوزَ بْنِ قَوْلٍ مَرْزُبَانِ جُرْجَانَ ، فَيُصِيبُ مِنْ بِلَادِهِ. |
| فَخَافَهُ فَيْرُوزُ ، فَسَارَ إِلَى يَزِيدَ بِخُرَاسَانَ وَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ قُدُومِهِ ، فَقَالَ خِفْتُ صُولًا فَهَرَبْتُ مِنْهُ ، وَأَخَذَ صُولٌ جُرْجَانَ. |
| فَقَالَ يَزِيدُ لِفَيْرُوزَ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ لِقِتَالِهِ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، شَيْءٌ وَاحِدٌ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ قَتَلْتَهُ وَأَعْطَى بِيَدِهِ. |
| قَالَ مَا هُوَ ؟ |
| قَالَ تَكْتُبُ إِلَى الْإِصْبَهْبَذِ كِتَابًا تَسْأَلُهُ فِيهِ أَنْ يَحْتَالَ لِصُولٍ حَتَّى يُقِيمَ بِجُرْجَانَ ، وَاجْعَلْ لَهُ عَلَى ذَلِكَ جُعْلًا ، فَإِنَّهُ يَبْعَثُ بِكِتَابِكَ إِلَى صُولٍ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ فَيَتَحَوَّلُ عَنْ جُرْجَانَ فَيَنْزِلُ الْبُحَيْرَةَ ، وَإِنْ تَحَوَّلَ عَنْ جُرْجَانَ وَحَاصَرْتَهُ ظَفِرْتَ بِهِ. |
| فَفَعَلَ يَزِيدُ ذَلِكَ ، وَضَمِنَ لِلْإصْبَهْبَذَ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ إِنْ هُوَ حَبَسَ صُولًا عَنِ الْبُحَيْرَةِ لِيُحَاصِرَهُ بِجُرْجَانَ ، فَأَرْسَلَ الْإِصْبَهْبَذُ الْكِتَابَ إِلَى صُولٍ ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْكِتَابُ رَحَلَ إِلَى الْبُحَيْرَةِ لِيَتَحَصَّنَ بِهَا ، وَبَلَغَ يَزِيدُ مَسِيرَهُ فَخَرَجَ إِلَى جُرْجَانَ وَمَعَهُ فَيْرُوزُ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى خُرَاسَانَ ابْنَهُ مَخْلَدًا ، وَعَلَى سَمَرْقَنْدَ وَكَشَّ وَنَسَفَ وَبُخَارَى ابْنَهُ مُعَاوِيَةَ ، وَعَلَى طَخَارِسْتَانَ حَاتِمَ بْنَ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى جُرْجَانَ ، فَدَخَلَهَا وَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْهَا أَحَدٌ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى الْبُحَيْرَةِ فَحَصَرَ صُولًا بِهَا ، فَكَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِ صُولٌ فَيُقَاتِلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، فَمَكَثُوا بِذَلِكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فَأَصَابَهُمْ مَرَضٌ وَمَوْتٌ ، فَأَرْسَلَ صُولٌ يَطْلُبُ الصُّلْحَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ أَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَيُسَلِّمُ إِلَيْهِ الْبُحَيْرَةَ ، فَأَجَابَهُ يَزِيدُ ، فَخَرَجَ بِمَالِهِ وَثَلَاثِمِائَةٍ مِمَّنْ أَحَبَّ. |
| وَقَتْلَ يَزِيدُ مِنَ الْأَتْرَاكِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا صَبْرًا ، وَأَطْلَقَ الْبَاقِينَ. |
| وَطَلَبَ الْجُنْدُ أَرْزَاقَهُمْ ، فَقَالَ لِإِدْرِيسَ بْنِ حَنْظَلَةَ الْعَمِّيِّ أَحْصِ لَنَا مَا فِي الْبُحَيْرَةِ حَتَّى نُعْطِيَ الْجُنْدَ. |
| فَدَخَلَهَا إِدْرِيسُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْصَاءِ مَا فِيهَا ، فَقَالَ لِيَزِيدَ لَا أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ وَهُوَ فِي ظُرُوفٍ ، فَتُحْصَى الْجَوَالِيقُ وَيُعَلَّمُ مَا فِيهَا وَيُعْطَى الْجُنْدُ فَمَنْ أَخَذَ شَيْئًا عَرَفْنَا مَا أَخَذَ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْأُرْزِ وَالسِّمْسِمِ وَالْعَسَلِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَأَخَذُوا شَيْئًا كَثِيرًا ، وَكَانَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ عَلَى خَزَائِنِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، فَرَفَعُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ أَخَذَ خَرِيطَةً ، فَسَأَلَهُ يَزِيدُ عَنْهَا ، فَأَتَاهُ بِهَا فَأَعْطَاهَا شَهْرًا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَقَدْ بَاعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطَةٍ... |
| فَمَنْ يَأْمَنِ الْقُرَّاءَ بِعْدَكَ يَا شَهْرُ وَقَالَ مُرَّةُ الْحَنَفِيُّ يَا ابْنَ الْمُهَلَّبِ مَا أَرَدْتَ إِلَى امْرِئٍ... |
| لَوْلَاكَ كَانَ كَصَالِحِ الْقُرَّاءِ وَأَصَابَ يَزِيدُ بِجُرْجَانَ تَاجًا فِيهِ جَوْهَرٌ فَقَالَ أَتَرَوْنَ أَحَدًا يَزْهَدُ فِي هَذَا ؟ |
| قَالُوا لَا. |
| فَدَعَا مُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ الْأَزْدِيَّ فَقَالَ خُذْ هَذَا التَّاجَ. |
| قَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ. |
| قَالَ عَزَمْتُ عَلَيْكَ. |
| فَأَخَذَهُ ، فَأَمْرَ يَزِيدُ رَجُلًا يَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ بِهِ ، فَلَقِيَ سَائِلًا فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ السَّائِلَ وَأَتَى بِهِ يَزِيدَ وَأَخْبَرَهُ ، فَأَخَذَ يَزِيدُ التَّاجَ وَعَوَّضَ السَّائِلَ مَالًا كَثِيرًا. |
| ذِكْرُ فَتَحِ جُرْجَانَ الْفَتْحَ الثَّانِي قَدْ ذَكَرْنَا فَتْحَ جُرْجَانَ وَقُهِسْتَانَ وَغَدْرَ أَهْلِ جُرْجَانَ ، فَلَمَّا صَالَحَ يَزِيدُ أَصْبَهْبَذَ طَبَرِسْتَانَ سَارَ إِلَى جُرْجَانَ ، وَعَاهَدَ اللَّهَ تَعَالَى لَئِنْ ظَفِرَ بِهِمْ لَا يَرْفَعُ السَّيْفَ حَتَّى يَطْحَنَ بِدِمَائِهِمْ ، وَيَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ الطَّحِينِ. |
| فَأَتَاهَا وَحَصَرَ أَهْلَهَا بِحِصْنِ فَجَاهْ وَمَنْ يَكُونُ بِهَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى عُدَّةٍ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ ، فَحَصَرَهُمْ يَزِيدُ فِيهَا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَهُمْ يَخْرُجُونَ إِلَيْهِ فِي الْأَيَّامِ فَيُقَاتِلُونَهُ وَيَرْجِعُونَ. |
| فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ عَجَمِ خُرَاسَانَ يَتَصَيَّدُ ، وَقِيلَ رَجُلٌ مِنْ طَيْءٍ ، فَأَبْصَرَ وَعْلًا فِي الْجَبَلِ ، وَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى هَجَمَ عَلَى عَسْكَرِهِمْ ، فَرَجَعَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَصْحَابَهُ ، وَجَعَلَ يُخَرِّقُ قَبَاءَهُ وَيَعْقِدُ عَلَى الشَّجَرِ عَلَامَاتٍ ، فَأَتَى يَزِيدَ فَأَخْبَرَهُ ، فَضَمِنَ لَهُ يَزِيدُ دِيَةً إِنْ دَلَّهُمْ عَلَى الْحِصْنِ ، فَانْتَخَبَ مَعَهُ ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ ابْنَهُ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ ، وَقَالَ لَهُ إِنْ غُلِبْتَ عَلَى الْحَيَاةِ فَلَا تُغْلَبَنَّ عَلَى الْمَوْتِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ أَرَاكَ عِنْدِي مَهْزُومًا. |
| وَضَمَّ إِلَيْهِ جَهْمَ بْنَ زَحْرٍ ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ مَتَى تَصِلُونَ ؟ |
| قَالَ غَدًا الْعَصْرُ. |
| قَالَ يَزِيدُ سَأَجْهَدُ عَلَى مُنَاهَضَتِهِمْ عِنْدَ الظُّهْرِ. |
| فَسَارُوا فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ وَقْتَ الظُّهْرِ أَحْرَقَ يَزِيدُ كُلَّ حَطَبٍ كَانَ عِنْدَهُمْ ، فَصَارَ مِثْلَ الْجِبَالِ مِنَ النِّيرَانِ ، فَنَظَرَ الْعَدُوُّ إِلَى النِّيرَانِ فَهَالَهُمْ ذَلِكَ فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ ، وَتَقَدَّمَ يَزِيدُ إِلَيْهِمْ فَاقْتَتَلُوا ، وَهَجَمَ أَصْحَابُ يَزِيدَ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى عَسْكَرِ التُّرْكِ قَبْلَ الْعَصْرِ وَهُمْ آمَنُونَ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ ، وَيَزِيدُ يُقَاتِلُهُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا بِالتَّكْبِيرِ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَانْقَطَعُوا جَمِيعًا إِلَى حِصْنِهِمْ ، وَرَكِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَأَعْطَوْا بِأَيْدِيهِمْ ، وَنَزَلُوا عَلَى حَكَمِ يَزِيدَ ، فَسَبَى ذَرَارِيَهُمْ وَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ ، وَصَلَبَهُمْ فَرْسَخَيْنِ إِلَى يَمِينِ الطَّرِيقِ وَيَسَارِهِ ، وَقَادَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا إِلَى وَادِي جُرْجَانَ وَقَالَ مَنْ طَلَبَهُمْ بِثَأْرٍ فَلْيُقْتَلْ. |
| فَكَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُ الْأَرْبَعَةَ وَالْخَمْسَةَ ، وَأَجْرَى الْمَاءَ عَلَى الدَّمِ وَعَلَيْهِ أَرْحَاءٌ لِيَطْحَنَ بِدِمَائِهِمْ لِيُبِرَّ يَمِينَهُ ، فَطَحَنَ وَخَبَزَ وَأَكَلَ ، وَقِيلَ قَتَلَ مِنْهُمْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا. |
| وَبَنَى مَدِينَةَ جُرْجَانَ ، وَلَمْ تَكُنْ بُنِيَتْ قَبْلَ ذَلِكَ مَدِينَةً ، وَرَجَعَ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى جُرْجَانَ جَهْمَ بْنَ زَحْرٍ الْجَعْفِيَّ ، وَقِيلَ بَلْ قَالَ يَزِيدُ لِأَصْحَابِهِ لَمَّا سَارُوا إِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ انْتَظِرُوا ، فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ كَبِّرُوا وَاقْصُدُوا الْبَابَ ، فَسَتَجِدُونِي قَدْ نَهَضْتُ بِالنَّاسِ إِلَيْهِ. |
| فَلَمَّا دَخَلَ ابْنُ زَحْرٍ الْمَدِينَةَ أَمْهَلَ حَتَّى كَانَتِ السَّاعَةُ الَّتِي أَمَرَهُ يَزِيدُ أَنْ يَنْهَضَ فِيهَا ، فَكَبَّرَ ، فَفَزِعَ أَهْلُ الْحِصْنِ ، وَكَانَ أَصْحَابُ يَزِيدَ لَا يَلْقَوْنَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلُوهُ ، وَدَهِشَ التُّرْكُ ، فَبَقُوا لَا يَدْرُونَ أَيْنَ يَتَوَجَّهُونَ ، وَسَمِعَ يَزِيدُ التَّكْبِيرَ ، فَسَارَ فِي النَّاسِ إِلَى الْبَابِ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ أَحَدًا يَمْنَعُهُ وَهُمْ مَشْغُولُونَ بِالْمُسْلِمِينَ ، فَدَخَلَ الْحِصْنَ مِنْ سَاعَتِهِ وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهِ وَصَلَبَهُمْ فَرْسَخَيْنِ مِنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ وَيَسَارِهِ ، فَصَلَبَهُمْ أَرْبَعَةَ فَرَاسِخَ ، وَسَبَى أَهْلَهَا وَغَنِمَ مَا فِيهَا ، وَكَتَبَ إِلَى سُلَيْمَانَ بِالْفَتْحِ يُعَظِّمُهُ وَيُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ عِنْدَهُ مِنَ الْخُمُسِ سِتُّمِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ ، فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ أَبِي قُرَّةَ مَوْلَى بَنِي سَدُوسٍ لَا تَكْتُبْ تَسْمِيَةَ الْمَالِ ، فَإِنَّكَ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، إِمَّا اسْتَكْثَرَهُ فَأَمَرَكَ بِحَمْلِهِ ، وَإِمَّا سَمَحَتْ نَفْسُهُ لَكَ بِهِ فَأَعْطَاكَهُ ، فَتُكَلَّفُ الْهَدِيَّةَ ، فَلَا يَأْتِيهِ مِنْ قَبِلَكِ شَيْءٌ إِلَّا اسْتَقَلَّهُ ، فَكَأَنِّي بِكَ قَدِ اسْتَغْرَقْتَ مَا سَمَّيْتَ وَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ مَوْقِعًا ، وَيَبْقَى الْمَالُ الَّذِي سَمَّيْتَ مُخَلَّدًا فِي دَوَاوِينِهِمْ ، فَإِنْ وَلِيَ وَالٍ بَعْدَهُ أَخَذَكَ بِهِ ، وَإِنْ وَلِيَ مَنْ يَتَحَامَلُ عَلَيْكَ لَمْ يَرْضَ بِأَضْعَافِهِ ، وَلَكِنِ اكْتُبْ فَسَلْهُ الْقُدُومَ ، وَشَافِهْهُ بِمَا أَحْبَبْتَ فَهُوَ أَسْلَمُ. |
| فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَأَمْضَى الْكِتَابَ ، وَقِيلَ كَانَ الْمَبْلَغُ أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفٍ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ. |
| وَفِيهَا فُتِحَتْ مَدِينَةُ الصَّقَالِبَةِ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ. |
| وَفِيهَا غَزَا دَاوُدُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَرْضَ الرُّومِ ، فَفَتَحَ حِصْنَ الْمَرْأَةِ مِمَّا يَلِي مَلَطْيَةَ. |
| وَفِيهَا كَانَتِ الزَّلَازِلُ فِي الدُّنْيَا كَثِيرَةٌ وَدَامَتْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. |
| الوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَأَبُو عُبَيْدٍ مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَيُعْرَفُ بِمَوْلَى ابْنِ أَزْهَرَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْأَنْصَارِيُّ. |
| وَسَعِيدُ بْنُ مَرْجَانَةَ مَوْلَى قُرَيْشٍ ، وَهِيَ أُمُّهُ ، وَاسْمُ أَبِيهِ عَبْدُ اللَّهِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مَكَّةَ ، وَكَانَ الْعُمَّالُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ إِلَّا الْبَصْرَةَ ، فَإِنَّ يَزِيدَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا سُفْيَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيَّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ ذِكْرُ مَوْتِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَتَيْنِ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ. |
| وَقِيلَ تُوُفِّيَ فِيهَا لِعَشَرٍ مَضَيْنَ مِنْ صِفْرٍ ، فَتَكُونُ وِلَايَتُهُ سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ إِلَّا خَمْسَةَ أَيَّامٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. |
| وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ سُلَيْمَانُ مِفْتَاحُ الْخَيْرِ ، ذَهَبَ عَنْهُمُ الْحَجَّاجُ ، وَوَلِيَ سُلَيْمَانُ ، فَأَطْلَقَ الْأَسْرَى ، وَأَخْلَى السُّجُونَ ، وَأَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ ، وَاسْتَخْلَفَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ. |
| وَكَانَ مَوْتُهُ بِدَابِقٍ مِنْ أَرْضِ قِنَّسْرِينَ ، لَبِسَ يَوْمًا حُلَّةً خَضْرَاءَ وَعِمَامَةً خَضْرَاءَ ، وَنَظَرَ فِي الْمِرْآةِ ، فَقَالَ أَنَا الْمَلِكُ الْفَتَى ، فَمَا عَاشَ جُمُعَةً ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ ، فَقَالَ مَا تَنْظُرِينَ ؟ |
| فَقَالَتْ أَنْتَ نِعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى... |
| غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ لَيْسَ فِيمَا عَلِمْتُهُ فِيكَ عَيْبٌ... |
| كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِ قِيلَ وَشَهِدَ سُلَيْمَانُ جِنَازَةً بِدَابِقٍ ، فَدُفِنَتْ فِي حَقْلٍ ، فَجَعَلَ سُلَيْمَانَ يَأْخُذُ مِنْ تِلْكَ التُّرْبَةِ وَيَقُولُ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ التُّرْبَةَ وَأَطْيَبَهَا! |
| فَمَا أَتَى عَلَيْهِ جُمُعَةٌ حَتَّى دُفِنَ إِلَى جَنْبِ ذَلِكَ الْقَبْرِ. |
| قِيلَ حَجَّ سُلَيْمَانُ وَحَجَّ الشُّعَرَاءُ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْمَدِينَةِ قَافِلًا تَلَقَّوْهُ بِنَحْوِ أَرْبَعِمِائَةِ أَسِيرٍ مِنَ الرُّومِ ، فَقَعَدَ سُلَيْمَانُ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَدَّمَ بِطْرِيقَهُمْ ، فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ اضْرِبْ عُنُقَهُ! |
| فَأَخَذَ سَيْفًا مِنْ حَرَسِيٍّ فَضَرَبَهُ ، فَأَبَانَ الرَّأْسَ ، وَأَطَنَّ السَّاعِدَ وَبَعْضَ الْغُلِّ ، وَدَفَعَ الْبَقِيَّةَ إِلَى الْوُجُوهِ يَقْتُلُونَهُمْ ، وَدَفَعَ إِلَى جَرِيرٍ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَأَعْطَاهُ بَنُو عَبْسٍ سَيْفًا جَيِّدًا ، فَضَرَبَهُ فَأَبَانَ رَأْسَهُ ، وَدَفَعَ إِلَى الْفَرَزْدَقِ أَسِيرًا فَأَعْطَوْهُ سَيْفًا رَدِيًّا لَا يَقْطَعُ ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَسِيرَ ضَرَبَاتٍ ، فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَالْقَوْمُ ، وَشَمِتَتْ بِهِ بَنُو عَبْسٍ أَخْوَالُ سُلَيْمَانَ ، وَأَلْقَى السَّيْفَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ وَإِنْ يَكُ سَيْفٌ خَانَ أَوْ قَدَرٌ أَتَى... |
| بِتَأْخِيرِ نَفْسٍ حَتْفُهَا غَيْرُ شَاهِدِ فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ... |
| نَبَا بِيَدَيْ وَرْقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدِ كَذَاكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا... |
| وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ وَرْقَاءُ هُوَ وَرْقَاءُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ الْعَبْسِيُّ ، ضَرَبَ خَالِدَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، وَخَالِدٌ قَدْ أَكَبَّ عَلَى أَبِيهِ زُهَيْرٍ وَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَصَرَعَهُ ، فَأَقْبَلَ وَرْقَاءُ فَضَرَبَ خَالِدًا ضَرَبَاتٍ ، فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، فَقَالَ وَرْقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ... |
| فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعُجُولِ أُبَادِرُ فَشُلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ خَالِدًا... |
| وَيَمْنَعُهُ مِنِّي الْحَدِيدُ الْمُظَاهَرُ ذِكْرُ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا كَانَ بِدَابِقٍ مَرِضَ ، عَلَى مَا وَصَفْنَا ، فَلَمَّا ثَقُلَ عَهِدَ فِي كِتَابٍ كَتَبَهُ لِبَعْضِ بَنِيهِ ، وَهُوَ غُلَامٌ لَمْ يَبْلُغْ ، فَقَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ مَا تَصْنَعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| إِنَّهُ مِمَّا يَحْفَظُ الْخَلِيفَةَ فِي قَبْرِهِ أَنْ يَسْتَخْلِفَ عَلَى النَّاسِ الرَّجُلَ الصَّالِحَ. |
| فَقَالَ سُلَيْمَانُ أَنَا أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَنْظُرُ فِيهِ . |
| وَلَمْ أَعْزِمْ عَلَيْهِ ، فَمَكَثَ سُلَيْمَانُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ خَرَقَهُ وَدَعَا رَجَاءً ، فَقَالَ مَا تَرَى فِي وَلَدِي دَاوُدَ ؟ |
| فَقَالَ رَجَاءٌ هُوَ غَائِبٌ عَنْكَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَلَا تَدْرِي أَحَيٌّ هُوَ أَمْ لَا. |
| قَالَ فَمَنْ تَرَى ؟ |
| قَالَ رَجَاءٌ رَأْيُكَ. |
| قَالَ فَكَيْفَ تَرَى فِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؟ |
| قَالَ رَجَاءٌ فَقُلْتُ أَعْلَمُهُ وَاللَّهِ خَيِّرًا فَاضِلًا سَلِيمًا. |
| قَالَ سُلَيْمَانُ هُوَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَئِنْ وَلَّيْتُهُ وَلَمْ أُوَلِ أَحَدًا سِوَاهُ لِتَكُونَنَّ فِتْنَةً وَلَا يَتْرُكُونَهُ أَبَدًا يَلِي عَلَيْهِمْ ، إِلَّا أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُهُمْ بَعْدَهُ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ عَهِدَ إِلَى الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ أَنْ يَجْعَلَا أَخَاهُمَا يَزِيدَ وَلِيَّ عَهْدٍ ، فَأَمَرَ سُلَيْمَانُ أَنْ يُجْعَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ عُمَرَ ، وَكَانَ يَزِيدُ غَائِبًا فِي الْمَوْسِمِ. |
| قَالَ رَجَاءٌ قُلْتُ رَأْيَكَ. |
| فَكَتَبَ " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ سُلَيْمَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ الْخِلَافَةَ بَعْدِي وَمِنْ بَعْدِكَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيُطْمَعَ فِيكُمْ ". |
| وَخَتَمَ الْكِتَابَ. |
| فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ جَابِرٍ الْعَبْسِيِّ صَاحِبِ شُرْطَتِهِ ، فَقَالَ ادْعُ أَهْلَ بَيْتِي. |
| فَجَمَعَهُمْ كَعْبٌ. |
| ثُمَّ قَالَ سُلَيْمَانُ لِرَجَاءٍ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ اذْهَبْ بِكِتَابِي إِلَيْهِمْ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِكِتَابِي ، وَمُرْهُمْ فَيُبَايِعُوا مَنْ وَلَّيْتُ فِيهِ. |
| فَفَعَلَ رَجَاءٌ ، فَقَالُوا نَدْخُلُ وَنُسَلِّمُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| فَدَخَلُوا ، فَقَالَ لَهُمْ سُلَيْمَانُ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى الْكِتَابِ الَّذِي فِي يَدِ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ ، عَهْدِي ، فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لِمَنْ سَمَّيْتُ فِيهِ. |
| فَبَايَعُوهُ رَجُلًا رَجُلًا ، وَتَفَرَّقُوا. |
| وَقَالَ رَجَاءٌ فَأَتَانِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ هَذَا أَسْنَدَ إِلَيَّ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ، فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ وَحُرْمَتِي وَمَوَدَّتِي إِلَّا أَعْلَمْتَنِي إِنْ كَانَ ذَلِكَ ، حَتَّى أَسَتَعْفِيَهُ الْآنَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ حَالٌ لَا أَقْدِرُ فِيهَا عَلَى ذَلِكَ. |
| قَالَ رَجَاءٌ مَا أَنَا بِمُخْبِرِكَ حَرْفًا . |
| قَالَ فَذَهَبَ عُمَرُ عَنِّي غَضْبَانَ. |
| قَالَ رَجَاءٌ وَلَقِيَنِي هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ إِنَّ لِي بِكَ حُرْمَةً وَمَوَدَّةً قَدِيمَةً ، وَعِنْدِي شُكْرٌ ، فَأَعْلِمْنِي بِهَذَا الْأَمْرِ ، فَإِنْ كَانَ إِلَى غَيْرِي تَكَلَّمْتُ ، وَلِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَذْكُرَ ، شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَبَدًا. |
| قَالَ رَجَاءٌ فَأَبَيْتُ أَنْ أُخْبِرَهُ حَرْفًا ، فَانْصَرَفَ هِشَامٌ وَهُوَ يَضْرِبُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَهُوَ يَقُولُ فَإِلَى مَنْ إِذَا نُحِّيَتْ عَنِّي ؟ |
| أَتَخْرُجُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ |
| قَالَ رَجَاءٌ وَدَخَلْتُ عَلَى سُلَيْمَانَ فَإِذَا هُوَ يَمُوتُ ، فَجَعَلْتُ إِذَا أَخَذَتْهُ سَكْرَةٌ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ حَرَّفْتُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ ، فَيَقُولُ حِينَ يُفِيقُ لَمْ يَأْنِ بَعْدُ. |
| فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ قَالَ مِنَ الْآنَ يَا رَجَاءُ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ شَيْئًا ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَحَرَّفْتُهُ ، فَمَاتَ ، فَلَمَّا غَمَّضْتُهُ وَسَجَّيْتُهُ وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ ، أَرْسَلَتْ إِلَيَّ زَوْجَتُهُ فَقَالَتْ كَيْفَ أَصْبَحَ ؟ |
| فَقُلْتُ هُوَ نَائِمٌ قَدْ تَغَطَّى. |
| وَنَظَرَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مُتَغَطِّيًا فَرَجَعَ فَأَخْبَرَهَا ، فَظَنَّتْ أَنَّهُ نَائِمٌ ، قَالَ فَأَجْلَسْتُ عَلَى الْبَابِ مَنْ أَثِقُ بِهِ ، وَأَوْصَيْتُهُ أَنْ لَا يَبْرَحَ وَلَا يَتْرُكَ أَحَدًا يَدْخُلُ عَلَى الْخَلِيفَةِ. |
| قَالَ فَخَرَجْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ جَابِرٍ ، فَجَمَعَ أَهْلَ بَيْتِ سُلَيْمَانَ ، فَاجْتَمَعُوا فِي مَسْجِدِ دَابِقٍ ، فَقُلْتُ بَايِعُوا. |
| فَقَالُوا قَدْ بَايَعْنَا مَرَّةً. |
| قُلْتُ وَأُخْرَى ، هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَبَايَعُوا الثَّانِيَةَ ، فَلَمَّا بَايَعُوا بَعْدَ مَوْتِهِ رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ أَحْكَمْتُ الْأَمْرَ ، فَقُلْتُ قُومُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ ، فَقَدْ مَاتَ. |
| قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! |
| وَقَرَأْتُ الْكِتَابَ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ هِشَامٌ لَا نُبَايِعُهُ وَاللَّهِ أَبَدًا. |
| قُلْتُ أَضْرِبُ وَاللَّهِ عُنُقَكَ ، قُمْ فَبَايِعْ ، فَقَامَ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ. |
| قَالَ رَجَاءٌ فَأَخَذْتُ بِضَبْعَيْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَأَجْلَسْتُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ لِمَا وَقَعَ فِيهِ ، وَهِشَامٌ يَسْتَرْجِعُ لِمَا أَخْطَأَهُ. |
| فَبَايَعُوهُ. |
| وَغُسِّلَ سُلَيْمَانُ وَكُفِّنَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَدُفِنَ. |
| فَلَمَّا دُفِنَ أُتِيَ عُمَرُ بِمَرَاكِبِ الْخِلَافَةِ وَلِكُلِّ دَابَّةٍ سَائِسٌ ، فَقَالَ مَا هَذَا ؟ |
| فَقِيلَ مَرَاكِبُ الْخِلَافَةِ. |
| قَالَ دَابَّتِي أَوْفَقُ لِي ، وَرَكِبَ دَابَّتَهُ وَصَرَفْتُ تِلْكَ الدَّوَابَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ سَائِرًا ، فَقِيلَ لَهُ أَمَنْزِلُ الْخِلَافَةِ ؟ |
| فَقَالَ فِيهِ عِيَالُ أَبِي أَيُّوبَ ، يَعْنِي سُلَيْمَانَ ، وَفِي فُسْطَاطِي كِفَايَةٌ حَتَّى يَتَحَوَّلُوا. |
| فَأَقَامَ فِي مَنْزِلِهِ حَتَّى فَرَّغُوهُ. |
| قَالَ رَجَاءٌ فَأَعْجَبَنِي مَا صَنَعَ فِي الدَّوَابِّ وَمَنْزِلِ سُلَيْمَانَ ، ثُمَّ دَعَا كَاتِبًا فَأَمْلَى عَلَيْهِ كِتَابًا وَاحِدًا وَأَمْرَهُ أَنْ يَنْسَخَهُ وَيُسَيِّرَهُ إِلَى كُلِّ بَلَدٍ. |
| وَبَلَغَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ غَائِبًا ، عَنْ مَوْتِ سُلَيْمَانَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِبَيْعَةِ عُمَرَ ، فَعَقَدَ لِوَاءً وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ ، فَبَلَغَهُ بَيْعَةُ عُمَرَ بِعَهْدِ سُلَيْمَانَ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بَلَغَنِي أَنَّكَ بَايَعْتَ مَنْ قِبَلَكَ وَأَرَدْتَ دُخُولَ دِمَشْقَ! |
| فَقَالَ قَدْ كَانَ ذَاكَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ سُلَيْمَانَ لَمْ يَكُنْ عَهِدَ لِأَحَدٍ ، فَخِفْتُ عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْ تُنْهَبَ. |
| فَقَالَ عُمَرُ لَوْ بَايَعْتَ وَقُمْتَ بِالْأَمْرِ لَمْ أُنَازِعْكَ فِيهِ وَلَقَعَدْتُ فِي بَيْتِي. |
| فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ مَا أُحِبُّ أَنَّهُ وَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ غَيْرُكَ ، وَبَايَعَهُ ، وَكَانَ يُرْجَى لِسُلَيْمَانَ بِتَوْلِيَتِهِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَتَرْكِ وَلَدِهِ. |
| فَلَمَّا اسْتَقَرَّتِ الْبَيْعَةُ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ لِامْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِنْ أَرَدْتِ صُحْبَتِي فَرُدِّي مَا مَعَكِ مِنْ مَالٍ وَحُلِيٍّ وَجَوْهَرٍ إِلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ لَهُمْ ، فَإِنِّي لَا أَجْتَمِعُ أَنَا وَأَنْتِ وَهُوَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ. |
| فَرَدَّتْهُ جَمِيعَهُ. |
| فَلَمَّا تُوُفِّيَ عُمَرُ وَوَلِيَ أَخُوهَا يَزِيدُ رَدَّهُ عَلَيْهَا ، وَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ عُمَرَ ظَلَمَكِ. |
| قَالَتْ كَلَّا وَاللَّهِ. |
| وَامْتَنَعَتْ مِنْ أَخْذِهِ ، وَقَالَتْ مَا كُنْتُ أُطِيعُهُ حَيًّا وَأَعْصِيهِ مَيِّتًا. |
| فَأَخَذَهُ يَزِيدُ وَفَرَّقَهُ عَلَى أَهْلِهِ. |
| ذِكْرُ تَرْكِ سَبِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ بَنُو أُمَيَّةَ يَسُبُّونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِلَى أَنْ وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخِلَافَةَ ، فَتَرَكَ ذَلِكَ وَكَتَبَ إِلَى الْعُمَّالِ فِي الْآفَاقِ بِتَرْكِهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ مَحَبَّتِهِ عَلِيًّا أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ أَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ وَكُنْتُ أَلْزَمُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَبَلَغَهُ عَنِّي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَتَيْتُهُ يَوْمًا وَهُوَ يُصَلِّي ، فَأَطَالَ الصَّلَاةَ ، فَقَعَدْتُ أَنْتَظِرُ فَرَاغَهُ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ ، الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ لِي مَتَى عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ غَضِبَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ بَعْدَ أَنْ رَضِيَ عَنْهُمْ ؟ |
| قُلْتُ لَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ. |
| قَالَ فَمَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ فِي عَلِيٍّ ؟ |
| فَقُلْتُ مَعْذِرَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ! |
| وَتَرَكْتُ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَ فَنَالَ مِنْ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، تَلَجْلَجَ ، فَقُلْتُ يَا أَبَهْ ، إِنَّكَ تَمْضِي فِي خُطْبَتِكَ فَإِذَا أَتَيْتَ عَلَى ذِكْرِ عَلِيٍّ عَرَفْتُ مِنْكَ تَقْصِيرًا ؟ |
| قَالَ أَوَفَطِنْتَ لِذَلِكَ ؟ |
| قُلْتُ نَعَمْ. |
| فَقَالَ يَا بُنَيَّ إِنَّ الَّذِينَ حَوْلَنَا لَوْ يَعْلَمُونَ مِنْ عَلِيٍّ مَا نَعْلَمُ تَفَرَّقُوا عَنَّا إِلَى أَوْلَادِهِ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا مَا يَرْتَكِبُ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ لِأَجْلِهَا ، فَتَرَكَ ذَلِكَ ، وَكَتَبَ بِتَرْكِهِ ، وَقَرَأَ عِوَضَهُ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى النحل الْآيَةَ ، فَحَلَّ هَذَا الْفِعْلُ عِنْدَ النَّاسِ مَحَلًّا حَسَنًا ، وَأَكْثَرُوا مَدْحَهُ بِسَبَبِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ كُثَيِّرِ عَزَّةَ وَلِيتَ وَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخِفْ... |
| بَرِيًّا وَلَمْ تَتْبَعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ تَكَلَّمْتَ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَإِنَّمَا... |
| تُبَيَّنُ آيَاتُ الْهُدَى بِالتَّكَلُّمِ وَصَدَّقْتَ مَعْرُوفَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي... |
| فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمِ أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ... |
| مِنَ الْأَوَدِ الْبَادِي ثِقَافُ الْمُقَوِّمِ فَقَالَ عُمَرُ حِينَ أَنْشَدَهُ هَذَا الشِّعْرَ أَفْلَحْنَا إِذًا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى مَسْلَمَةَ ، وَهُوَ بِأَرْضِ الرُّومِ ، يَأْمُرُهُ بِالْقُفُولِ مِنْهَا بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَوَجَّهَ لَهُ خَيْلًا عِتَاقًا وَطَعَامًا كَثِيرًا ، وَحَثَّ النَّاسَ عَلَى مَعُونَتِهِمْ. |
| وَفِيهَا أَغَارَتِ التُّرْكُ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ فَقَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمَاعَةً ، فَوَجَّهَ عُمَرُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ حَاتِمِ بْنِ الْبَاهِلِيِّ فَقَتَلَ أُولَئِكَ التُّرْكَ وَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْيَسِيرَ ، وَقَدِمَ عَلَى عُمَرَ مِنْهُمْ بِخَمْسِينَ أَسِيرًا. |
| وَفِيهَا عَزَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ عَنِ الْعِرَاقِ ، وَوَجَّهَ إِلَى الْبَصْرَةِ عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ الْفَزَارِيَّ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ الْقُرَشِيُّ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ أَبَا الزِّنَادِ ، وَكَانَ كَاتِبُهُ ، وَبَعَثَ عَدِيٌّ فِي أَثَرِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ مُوسَى بْنَ الْوَجِيهِ الْحِمْيَرِيَّ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَازِمٍ ، وَكَانَ عَامِلُ عُمَرَ عَلَى الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ الْعَامِلُ عَلَى مَكَّةَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ. |
| وَعَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ الْحَمِيدِ ، وَعَلَى الْقَضَاءِ بِهَا عَامِرٌ الشَّعْبِيُّ. |
| وَكَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ ، وَعَلَى الْقَضَاءِ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ ، ثُمَّ اسْتَعْفَى عَدِيًّا ، فَأَعْفَاهُ وَاسْتَقْضَى إِيَاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ ، وَقِيلَ بَلْ شَكَا الْحَسَنُ ، فَعَزَلَهُ عَدِيٌّ ، وَاسْتَقْضَى إِيَاسًا. |
| وَاسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى خُرَاسَانَ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيَّ. |
| الوَفَيَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ بِالْمَدِينَةِ. |
| وَمَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وُلِدَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. |
| وَأَبُو ظَبْيَانَ بْنُ حُصَيْنِ بْنِ جُنْدُبٍ الْجَنْبِيُّ وَالِدُ قَابُوسٍ ، ظَبْيَانَ بِالظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو هَاشِمٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ سُمٍّ سُقِيَهُ عِنْدَ عَوْدِهِ مِنَ الشَّامِ ، وَضَعَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَنْ سَقَاهُ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِذَلِكَ عَادَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ بِالْحُمَيْمَةِ ، فَعَرَّفَهُ حَالَهُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْخِلَافَةَ صَائِرَةٌ إِلَى وَلَدِهِ ، وَأَعْلَمَهُ كَيْفَ يَصْنَعُ ، ثُمَّ مَاتَ عِنْدَهُ. |
| وَفِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ تُوُفِّيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ شُرَيْحٍ الْمُغَنِّي الْمَشْهُورُ. |
| وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَبُو الْخَطَّابِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ مِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ مِائَةٍ ذِكْرُ خُرُوجِ شَوْذَبٍ الْخَارِجِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ شَوْذَبٌ ، وَاسْمُهُ بِسْطَامٌ ، مِنْ بَنِي يَشْكُرَ ، فِي جُوخَى ، وَكَانَ فِي ثَمَانِينَ رَجُلًا ، فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ عَامِلِهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ لَا يُحَرِّكَهُمْ حَتَّى يَسْفِكُوا دِمَاءً ، وَيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ، فَإِنْ فَعَلُوا وَجِّهْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا صَلِيبًا حَازِمًا فِي جُنْدٍ. |
| فَبَعَثَ عَبْدُ الْحَمِيدِ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ فِي أَلْفَيْنِ وَأَمْرَهُ بِمَا كَتَبَ بِهِ عُمَرُ ، وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى بِسْطَامٍ يَسْأَلُهُ عَنْ مَخْرَجِهِ ، فَقَدِمَ كِتَابُ عُمَرَ عَلَيْهِ وَقَدْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ ، فَقَامَ بِإِزَائِهِ لَا يَتَحَرَّكُ. |
| فَكَانَ فِي كِتَابِ عُمَرَ بَلَغَنِي أَنَّكَ خَرَجْتَ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَلَسْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنِّي ، فَهَلُمَّ إِلَيَّ أُنَاظِرُكَ ، فَإِنْ كَانَ الْحَقُّ بِأَيْدِينَا دَخَلْتَ فِيمَا دَخَلَ النَّاسُ ، وَإِنْ كَانَ فِي يَدِكَ نَظَرْنَا فِي أَمْرِكَ. |
| فَكَتَبَ بِسْطَامٌ إِلَى عُمَرَ قَدْ أَنْصَفْتَ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ رَجُلَيْنِ يُدَارِسَانِكَ وَيُنَاظِرَانِكَ. |
| وَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ مَوْلًى لِبَنِي شَيْبَانَ حَبَشِيًّا اسْمُهُ عَاصِمٌ ، وَرَجُلًا مِنْ بَنِي يَشْكُرَ ، فَقَدِمَا عَلَى عُمَرَ بِخُنَاصِرَةَ ، فَدَخَلَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمَا مَا أَخْرَجَكُمَا هَذَا الْمَخْرَجَ ، وَمَا الَّذِي نَقَمْتُمْ ؟ |
| فَقَالَ عَاصِمٌ مَا نَقَمْنَا سِيرَتَكَ ، إِنَّكَ لَتَتَحَرَّى الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ ، فَأَخْبِرْنَا عَنْ قِيَامِكَ بِهَذَا الْأَمْرِ ، أَعَنْ رِضًى مِنَ النَّاسِ وَمَشُورَةٍ ، أَمِ ابْتَزَزْتُمْ أَمْرَهُمْ ؟ |
| فَقَالَ عُمَرُ مَا سَأَلْتُهُمُ الْوِلَايَةَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا غَلَبْتُهُمْ عَلَيْهَا ، وَعَهِدَ إِلَيَّ رَجُلٌ كَانَ قَبْلِي فَقُمْتُ وَلَمْ يُنْكِرْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ ، وَلَمْ يَكْرَهْهُ غَيْرُكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ الرِّضَا بِكُلِّ مَنْ عَدَلَ وَأَنْصَفَ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ ، فَاتْرُكُونِي ذَلِكَ الرَّجُلَ ، فَإِنْ خَالَفْتُ الْحَقَّ وَرَغِبْتُ عَنْهُ; فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. |
| قَالَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَمْرٌ وَاحِدٌ. |
| قَالَ مَا هُوَ ؟ |
| قَالَا رَأَيْنَاكَ خَالَفْتَ أَعْمَالَ أَهْلِ بَيْتِكَ ، وَسَمَّيْتَهَا مَظَالِمَ ، فَإِنْ كُنْتَ عَلَى هُدًى وَهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ ، فَالْعَنْهُمْ وَابْرَأْ مِنْهُمْ. |
| فَقَالَ عُمَرً قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ لَمْ تَخْرِجُوا طَلَبًا لِلدُّنْيَا ، وَلَكِنَّكُمْ أَرَدْتُمُ الْآخِرَةَ ، فَأَخْطَأْتُمْ طَرِيقَهَا ، إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لَمْ يَبْعَثْ رَسُولَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَعَّانًا ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إبراهيم . |
| وَقَالَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ الأنعام . |
| وَقَدْ سَمَّيْتُ أَعْمَالَهُمْ ظُلْمًا ، وَكَفَى بِذَلِكَ ذَمًّا وَنَقْصًا ، وَلَيْسَ لَعْنُ أَهْلِ الذُّنُوبِ فَرِيضَةً لَا بُدَّ مِنْهَا ، فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّهَا فَرِيضَةٌ فَأَخْبِرْنِي مَتَى لَعَنْتَ فِرْعَوْنَ ؟ |
| قَالَ مَا أَذْكُرُ مَتَى لَعَنْتُهُ. |
| قَالَ أَفَيَسَعُكَ أَنْ لَا تَلْعَنَ فِرْعَوْنَ وَهُوَ أَخْبَثُ الْخَلْقِ وَشَرُّهُمْ ، وَلَا يَسَعُنِي أَنْ لَا أَلْعَنَ أَهْلَ بَيْتِي وَهُمْ مُصَلُّونَ صَائِمُونَ! |
| قَالَ أَمَا هُمْ كُفَّارٌ بِظُلْمِهِمْ ؟ |
| قَالَ لَا ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ ، فَكَانَ مَنْ أَقَرَّ بِهِ وَبِشَرَائِعِهِ قَبِلَ مِنْهُ ، فَإِنَّ أَحْدَثَ حَدَثًا أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ. |
| فَقَالَ الْخَارِجِيُّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِقْرَارِ بِمَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِهِ. |
| قَالَ عُمَرُ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقُولُ لَا أَعْمَلُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ السَّفَاءُ. |
| قَالَ عَاصِمٌ فَابْرَأْ مِمَّا خَالَفَ عَمَلَكَ وَرُدَّ أَحْكَامَهُمْ. |
| قَالَ عُمَرُ أَخْبِرَانِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، أَلَيْسَا عَلَى حَقٍّ ؟ |
| قَالَا بَلَى. |
| قَالَ أَتَعْلَمَانِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ حِينَ قَاتَلَ أَهْلَ الرِّدَّةِ سَفَكَ دِمَاءَهُمْ ، وَسَبَى الذَّرَارِيَّ ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ ؟ |
| قَالَا بَلَى. |
| قَالَ أَتَعْلَمَانِ أَنَّ عُمَرَ رَدَّ السَّبَايَا بَعْدَهُ إِلَى عَشَائِرِهِمْ بِفِدْيَةٍ ؟ |
| قَالَا نَعَمْ. |
| قَالَ فَهَلْ عُمَرُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ؟ |
| قَالَا لَا. |
| قَالَ أَفَتَبْرَءُونَ أَنْتُمْ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ؟ |
| قَالَا لَا. |
| قَالَ فَأَخْبِرَانِي عَنْ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ وَهُمْ أَسْلَافُكُمْ ، هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ خَرَجُوا فَلَمْ يَسْفِكُوا دَمًا ، وَلَمْ يَأْخُذُوا مَالًا ، وَأَنَّ مَنْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَتَلُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَبَّابٍ وَجَارِيَتَهُ وَهِيَ حَامِلٌ ؟ |
| قَالَا نَعَمْ. |
| قَالَ فَهَلْ بَرِئَ مَنْ لَمْ يَقْتُلْ مِمَّنْ قَتَلَ وَاسْتَعْرَضَ ؟ |
| قَالَا لَا أَفَتَبْرَءُونَ أَنْتُمْ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ ؟ |
| قَالَا لَا . |
| قَالَ أَفَيَسَعُكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوْا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَهْلَ الْبَصْرَةِ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ اخْتِلَافَ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَا يَسَعُنِي إِلَّا الْبَرَاءَةُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَالدِّينُ وَاحِدٌ! |
| فَاتَّقُوا اللَّهَ! |
| فَإِنَّكُمْ جُهَّالٌ ، تَقْبَلُونَ مِنَ النَّاسِ مَا رَدَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ مَا قَبِلَ ، وَيَأْمَنُ عِنْدَكُمْ مَنْ خَافَ عِنْدَهُ ، وَيَخَافُ عِنْدَكُمْ مِنْ أَمْنِ عِنْدَهُ ، فَإِنَّكُمْ يَخَافُ عِنْدَكُمْ مَنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَكَانَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ آمِنًا وَحَقَنَ دَمَهُ وَمَالَهُ ، وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَهُ ، وَيَأْمَنُ عِنْدَكُمْ سَائِرُ أَهْلِ الْأَدْيَانِ ، فَتُحَرِّمُونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. |
| قَالَ الْيَشْكُرِيُّ أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَلِيَ قَوْمًا وَأَمْوَالَهُمْ ، فَعَدَلَ فِيهَا ، ثُمَّ صَيَّرَهَا بَعْدَهُ إِلَى رَجُلٍ غَيْرِ مَأْمُونٍ ، أَتَرَاهُ أَدَّى الْحَقَّ الَّذِي يَلْزَمُهُ لِلَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَوْ تَرَاهُ قَدْ سَلِمَ ؟ |
| قَالَ لَا. |
| قَالَ أَفَتُسَلِّمُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى يَزِيدَ مِنْ بَعْدِكَ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يَقُومُ فِيهِ بِالْحَقِّ ؟ |
| قَالَ إِنَّمَا وَلَّاهُ غَيْرِي وَالْمُسْلِمُونَ أَوْلَى بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ فِيهِ بَعْدِي. |
| قَالَ أَفْتَرَى ذَلِكَ مِنْ صُنْعِ مَنْ وَلَّاهُ حَقًّا ؟ |
| فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ أَنْظِرَانِي ثَلَاثًا. |
| فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ عَادَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ عَاصِمٌ أَشْهَدُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ. |
| فَقَالَ عُمَرُ لِلْيَشْكُرِيِّ مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ |
| قَالَ مَا أَحْسَنَ مَا وَصَفْتَ ، وَلَكِنِّي لَا أَفْتَاتُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِأَمْرٍ ، اعْرِضْ عَلَيْهِمْ مَا قُلْتَ وَاعْلَمْ مَا حُجَّتُهُمْ. |
| فَأَمَّا عَاصِمٌ فَأَقَامَ عِنْدَ عُمَرَ ، فَأَمَرَ لَهُ عُمَرُ بِالْعَطَاءِ ، فَتُوُفِّيَ بَعْدَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. |
| فَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ أَهْلَكَنِي أَمْرُ يَزِيدَ وَخُصِمْتُ فِيهِ ، فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. |
| فَخَافَ بَنُو أُمَيَّةَ أَنْ يُخْرِجَ مَا بِأَيْدِيهمْ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَأَنْ يَخْلَعَ يَزِيدَ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ ، فَوَضَعُوا عَلَى عُمَرَ مَنْ سَقَاهُ سُمًّا ، فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا ثَلَاثًا حَتَّى مَرِضَ وَمَاتَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ مُقَابِلٌ الْخَوَارِجَ لَا يَتَعَرَّضُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَتَعَرَّضُونَ إِلَيْهِ ، كُلٌّ مِنْهُمْ يَنْتَظِرُ عَوْدَ الرُّسُلِ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَتُوُفِّيَ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ. |
| ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَاسْتِعْمَالِ الْجَرَّاحِ عَلَى خُرَاسَانَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ يَأْمُرُهُ بِإِنْفَاذِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ إِلَيْهِ مُوثَقًا ، وَكَانَ عُمَرُ قَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَسْتَخْلِفَ عَلَى عَمَلِهِ وَيُقْبِلَ إِلَيْهِ ، فَاسْتَخْلَفَ مَخْلَدًا ابْنَهُ ، وَقَدِمَ مِنْ خُرْسَانَ وَنَزَلَ وَاسِطًا ، ثُمَّ رَكِبَ السُّفُنَ يُرِيدُ الْبَصْرَةَ ، فَبَعَثَ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ مُوسَى بْنَ الْوَجِيهِ الْحِمْيَرِيَّ ، فَلَحِقَهُ فِي نَهْرِ مَعْقِلٍ عِنْدَ الْجِسْرِ ، فَأَوْثَقَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَدَعَا بِهِ عُمَرُ ، وَكَانَ يُبْغِضُ يَزِيدَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ جَبَابِرَةٌ وَلَا أُحِبُّ مِثْلَهُمْ. |
| وَكَانَ يَزِيدُ يُبْغِضُ عُمَرَ ، وَيَقُولُ إِنَّهُ مُرَاءٍ ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ عَرَفَ يَزِيدُ أَنَّهُ بَعِيدٌ مِنَ الرِّيَاءِ ، وَلَمَّا دَعَا عُمَرُ يَزِيدَ سَأَلَهُ عَنِ الْأَمْوَالِ الَّتِي كَتَبَ بِهَا إِلَى سُلَيْمَانَ ، فَقَالَ كُنْتُ مِنْ سُلَيْمَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَدْ رَأَيْتَ ، وَإِنَّمَا كَتَبْتُ إِلَى سُلَيْمَانَ لِأُسْمِعَ النَّاسَ بِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سُلَيْمَانَ لَمْ يَكُنْ لِيَأْخُذَنِي بِهِ. |
| فَقَالَ لَهُ لَا أَجِدُ فِي أَمْرِكَ إِلَّا حَبْسَكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَأَدِّ مَا قِبَلَكَ ، فَإِنَّهَا حُقُوقُ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَسَعُنِي تَرْكُهَا. |
| وَحَبَسَهُ بِحِصْنِ حَلَبَ. |
| وَبَعَثَ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيَّ ، فَسَرَّحَهُ إِلَى خُرَاسَانَ أَمِيرًا عَلَيْهَا ، وَأَقْبَلَ مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْ خُرَاسَانَ يُعْطِي النَّاسَ ، فَفَرَّقَ أَمْوَالًا عَظِيمَةً ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ صَنَعَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بِوِلَايَتِكَ ، وَقَدِ ابْتُلِينَا بِكَ ، فَلَا نَكُنْ نَحْنُ أَشْقَى النَّاسِ بِوِلَايَتِكَ ، عَلَامَ تَحْبِسُ هَذَا الشَّيْخَ ؟ |
| أَنَا أَتَحَمَّلُ مَا عَلَيْهِ ، فَصَالِحْنِي عَلَى مَا تَسْأَلُ. |
| فَقَالَ عُمَرُ لَا إِلَّا أَنْ يَحْمِلَ الْجَمِيعَ. |
| فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَتْ لَكَ بَيِّنَةٌ فَخُذْ بِهَا ، وَإِلَّا فَصَدِّقْ مُقَالَةَ يَزِيدَ وَاسْتَحْلِفْهُ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَصَالِحْهُ. |
| فَقَالَ عُمَرُ مَا آخُذُهُ إِلَّا بِجَمِيعِ الْمَالِ. |
| فَخَرَجَ مَخْلَدٌ مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ. |
| ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ مَخْلَدٌ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ الْيَوْمَ مَاتَ فَتَى الْعَرَبِ ، وَأَنْشَدَ بَكَوْا حُذَيْفَةَ لَمْ يُبَكُّوا مِثْلَهُ... |
| حَتَّى تَبِيدَ خَلَائِقٌ لَمْ تُخْلَقِ فَلَمَّا أَبَى يَزِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى عُمَرَ شَيْئًا أَلْبَسَهُ جُبَّةَ صُوفٍ ، وَحَمَلَهُ عَلَى جَمَلٍ ، وَقَالَ سِيرُوا بِهِ إِلَى دَهْلَكَ. |
| فَلَمَّا خَرَجَ ، وَمَرُّوا بِهِ عَلَى النَّاسِ ، أَخَذَ يَقُولُ أَمَا لِي عَشِيرَةٌ ؟ |
| إِنَّمَا يَذْهَبُ إِلَى دَهْلَكَ الْفَاسِقُ وَاللِّصُّ. |
| فَدَخَلَ سَلَامَةُ بْنُ نُعَيْمٍ الْخَوْلَانِيُّ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ارْدُدْ يَزِيدَ إِلَى مَحْبِسِهِ فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ أَمْضَيْتَهُ أَنْ يَنْتَزِعَهُ قَوْمُهُ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَصَبُوا لَهُ. |
| فَرَدَّهُ إِلَى مَحْبِسِهِ ، فَبَقِيَ فِيهِ حَتَّى بَلَغَهُ مَرَضُ عُمَرَ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ الْجَرَّاحِ وَاسْتِعْمَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نُعَيْمٍ الْقُشَيْرِيِّ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَقِيلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عُمَرُ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيَّ عَنْ خُرَاسَانَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ نُعَيْمٍ الْقُشَيْرِيَّ ، وَكَانَ عَزْلُ الْجَرَّاحِ فِي رَمَضَانَ. |
| كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنْ يَزِيدَ لَمَّا عُزِلَ عَنْ خُرَاسَانَ أَرْسَلَ عَامِلُ الْعِرَاقِ عَامِلًا عَلَى جُرْجَانَ ، فَأَخَذَ جَهْمَ بْنَ زَحْرٍ الْجُعْفِيَّ ، وَكَانَ عَلَى جُرْجَانَ عَامِلًا لِيَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، فَحَبَسَهُ وَقَيَّدَهُ ، وَحَبَسَ رَهْطًا قَدِمُوا مَعَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجَرَّاحِ بِخُرَاسَانَ ، فَأَطْلَقَ أَهْلُ جُرْجَانَ عَامِلَهُمْ ، وَقَالَ الْجَرَّاحُ لِجَهْمٍ لَوْلَا أَنَّكَ ابْنُ عَمِّي لَمْ أُسَوِّغْكَ هَذَا. |
| فَقَالَ جَهْمٌ وَلَوْلَا أَنَّكَ ابْنُ عَمِّي لَمْ آتِكَ. |
| وَكَانَ جَهْمٌ سِلْفَ الْجَرَّاحِ مِنْ قِبَلِ ابْنَتَيِ الْحُصَيْنِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَأَمَّا كَوْنُهُ ابْنَ عَمِّهِ فَلِأَنَّ الْحَكَمَ وَالْجُعْفِيَّ ابْنَا سَعْدٍ الْقُشَيْرِيِّ. |
| فَقَالَ لَهُ الْجَرَّاحُ خَالَفْتَ إِمَامَكَ ، فَاغْزُ لَعَلَّكَ تَظْفَرُ ، فَيَصْلُحُ أَمْرُكَ عِنْدَهُ. |
| فَوَجَّهَهُ إِلَى الْخُتَّلِ ، فَغَنِمَ مِنْهُمْ وَرَجِعَ ، وَأَوْفَدَ الْجَرَّاحُ إِلَى عُمَرَ وَفْدًا ، رَجُلَيْنِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَرَجُلًا مِنَ الْمَوَالِي يُكَنَّى أَبَا الصَّيْدِ ، فَتَكَلَّمَ الْعَرَبِيَّانِ وَالْمَوْلَى سَاكِتٌ ، فَقَالَ عُمَرُ مَا أَنْتَ مِنَ الْوَفْدِ ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَ فَمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْكَلَامِ ؟ |
| فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِشْرُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَوَالِي يَغْزُونَ بِلَا عَطَاءٍ وَلَا رِزْقٍ ، وَمِثْلُهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا مِنَ الذِّمَّةِ يُؤْخَذُونَ بِالْخَرَاجِ ، فَأَمِيرُنَا عَصَبِيٌّ جَافٍ يَقُومُ عَلَى مِنْبَرِنَا ، فَيَقُولُ أَتَيْتُكُمْ حَفِيًّا ، وَأَنَا الْيَوْمُ عَصَبِيٌّ ، وَاللَّهِ لَرَجُلٌ مِنْ قَوْمِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةٍ مِنْ غَيْرِهِمْ. |
| وَهُوَ بَعْدُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الْحَجَّاجِ ، قَدْ عَمِلَ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ. |
| قَالَ عُمَرُ إِذَنْ بِمِثْلِكَ يُوفَدُ. |
| فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى الْجَرَّاحِ انْظُرْ مَنْ صَلَّى قِبَلَكَ إِلَى الْقِبْلَةِ فَضَعْ عَنْهُ الْجِزْيَةَ. |
| فَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقِيلَ لِلْجَرَّاحِ إِنِ النَّاسَ قَدْ سَارَعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ نُفُورًا مِنَ الْجِزْيَةِ ، فَامْتَحِنْهُمْ بِالْخِتَانِ. |
| فَكَتَبَ الْجَرَّاحُ بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَاعِيًا وَلَمْ يَبْعَثْهُ خَاتِنًا ، وَقَالَ إِيتُونِي رَجُلًا صَدُوقًا أَسْأَلُهُ عَنْ خُرَاسَانَ. |
| فَقِيلَ لَهُ عَلَيْكَ بِأَبِي مِجْلَزٍ. |
| فَكَتَبَ إِلَى الْجَرَّاحِ أَنْ أَقْبِلْ وَاحْمِلْ أَبَا مِجْلَزٍ ، وَخَلِّفْ عَلَى حَرْبِ خُرَاسَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ نُعَيْمٍ الْعَامِرِيَّ. |
| فَخَطَبَ الْجَرَّاحُ وَقَالَ يَا أَهْلَ خُرَاسَانَ جِئْتُكُمْ فِي ثِيَابِي هَذِهِ الَّتِي عَلَيَّ وَعَلَى فَرَسِي ، لَمْ أُصِبْ مِنْ مَالِكُمْ إِلَّا حِلْيَةَ سَيْفِي. |
| وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا فَرَسٌ وَبَغْلَةٌ. |
| فَسَارَ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عُمَرَ قَالَ مَتَى خَرَجْتَ ؟ |
| قَالَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. |
| قَالَ صَدَقَ مَنْ وَصَفَكَ بِالْجَفَاءِ ، هَلَّا أَقَمْتَ حَتَّى تُفْطِرَ ثُمَّ تَخْرُجَ! |
| وَكَانَ الْجَرَّاحُ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ إِنِّي قَدِمْتُ خُرَاسَانَ ، فَوَجَدْتُ قَوْمًا قَدْ أَبْطَرَتْهُمُ الْفِتْنَةُ ، فَأَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْهِمْ أَنْ يَعُودُوا لِيَمْنَعُوا حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَلَيْسَ يَكْفِهِمْ إِلَّا السَّيْفُ وَالسَّوْطُ ، فَكَرِهْتُ الْإِقْدَامَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ يَا ابْنَ أُمِّ الْجَرَّاحِ ، أَنْتَ أَحْرَصُ عَلَى الْفِتْنَةِ مِنْهُمْ ، لَا تَضْرِبَنَّ مُؤْمِنًا وَلَا مُعَاهِدًا سَوْطًا إِلَّا فِي الْحَقِّ ، وَاحْذَرِ الْقِصَاصَ ، فَإِنَّكَ صَائِرٌ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَتَقْرَأُ كِتَابًا لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا الكهف . |
| فَلَمَّا قَدِمَ الْجَرَّاحُ عَلَى عُمَرَ ، وَقَدِمَ أَبُو مِجْلَزٍ ، قَالَ لَهُ عُمَرُ أَخْبِرْنِي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ يُكَافِي الْأَكْفَاءَ ، وَيُعَادِي الْأَعْدَاءَ ، وَهُوَ أَمِيرٌ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَيُقْدِمُ إِنْ وَجَدَ مَنْ يُسَاعِدُهُ. |
| قَالَ فَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نُعَيْمٍ ؟ |
| قَالَ يُحِبُّ الْعَافِيَةَ وَالتَّأَنِّي ، وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ. |
| فَوَلَّاهُ الصَّلَاةَ وَالْحَرْبَ ، وَوَلَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْقُشَيْرِيَّ الْخَرَاجَ ، وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ خُرَاسَانَ إِنِّي اسْتَعْمَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَلَى حَرْبِكُمْ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى خَرَاجِكُمْ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمَا يَأْمُرُهُمَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ. |
| فَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نُعَيْمٍ عَلَى خُرَاسَانَ حَتَّى مَاتَ عُمَرُ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، وَوَجَّهَ مَسْلَمَةُ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَارِثَ بْنَ الْحَكَمِ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ وَنِصْفٍ. |
| ذِكْرُ ابْتِدَاءِ الدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ الدُّعَاةَ فِي الْآفَاقِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ يَنْزِلُ أَرْضَ الشَّرَاةِ مِنْ أَعْمَالِ الْبَلْقَاءِ بِالشَّامِ ، فَسَارَ أَبُو هَاشِمٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ إِلَى الشَّامِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُ ، وَاجْتَمَعَ أَبُو هَاشِمٍ بِسُلَيْمَانَ وَأَكْرَمَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ ، وَرَأَى مِنْ عِلْمِهِ وَفَصَاحَتِهِ مَا حَسَدَهُ عَلَيْهِ وَخَافَهُ ، فَوَضَعَ عَلَيْهِ مَنْ وَقَفَ عَلَى طَرِيقِهِ فَسَمَّهِ فِي لَبَنٍ. |
| فَلَمَّا أَحَسَّ أَبُو هَاشِمٍ بِالشَّرِّ قَصْدَ الْحُمَيْمَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّرَاةِ ، وَبِهَا مُحَمَّدٌ ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ صَائِرٌ إِلَى وَلَدِهِ ، وَعَرَّفَهُ مَا يَعْمَلُ ، وَكَانَ أَبُو هَاشِمٍ قَدْ أَعْلَمَ شِيعَتَهُ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ عِنْدَ تَرَدُّدِهِمْ إِلَيْهِ أَنَّ الْأَمْرَ صَائِرٌ إِلَى وَلَدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَأَمَرَهُمْ بِقَصْدِهِ بَعْدَهُ. |
| فَلَمَّا مَاتَ أَبُو هَاشِمٍ قَصَدُوا مُحَمَّدًا وَبَايَعُوهُ ، وَعَادُوا فَدَعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ ، فَأَجَابُوهُمْ ، وَكَانَ الَّذِينَ سَيَّرَهُمْ إِلَى الْآفَاقِ جَمَاعَةٌ ، فَوَجَّهَ مَيْسَرَةَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَوَجَّهَ مُحَمَّدَ بْنَ خُنَيْسٍ ، وَأَبَا عِكْرِمَةَ السَّرَّاجَ ، وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ ، وَحَيَّانَ الْعَطَّارَ ، خَالَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ ، إِلَى خُرَاسَانَ ، وَعَلَيْهَا الْجَرَّاحُ الْحَكَمِيُّ ، وَأَمْرَهُمْ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ وَإِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ. |
| فَلَقُوا مَنْ لَقُوا. |
| ثُمَّ انْصَرَفُوا بِكُتُبِ مَنِ اسْتَجَابَ لَهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَدَفَعُوهَا إِلَى مَيْسَرَةَ ، فَبَعَثَ بِهَا مَيْسَرَةُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، فَاخْتَارَ أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا نُقَبَاءً ، مِنْهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ الْخُزَاعِيُّ ، وَلَاهِزُ بْنُ قُرَيْظٍ التَّمِيمِيُّ ، وَقَحْطَبَةُ بْنُ شَبِيبٍ الطَّائِيُّ ، وَمُوسَى بْنُ كَعْبٍ التَّمِيمِيُّ ، وَخَالِدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو دَاوُدَ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ بْنِ ذُهْلٍ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُجَاشِعٍ التَّمِيمِيُّ ، وَعِمْرَانُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَبُو النَّجْمِ مَوْلَى آلِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَمَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْخُزَاعِيُّ ، وَطَلْحَةُ بْنُ زُرَيْقٍ الْخُزَاعِيُّ ، وَعَمْرُو بْنُ أَعْيَنَ أَبُو حَمْزَةَ مَوْلَى خُزَاعَةَ ، وَشِبْلُ بْنُ طَهْمَانَ أَبُو عَلِيٍّ الْهَرَوِيُّ مَوْلًى لِبَنِي حَنِيفَةَ ، وَعِيسَى بْنُ أَعْيَنَ مَوْلَى خُزَاعَةَ ، وَاخْتَارَ سَبْعِينَ رَجُلًا ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ كِتَابًا لِيَكُونَ لَهُمْ مِثَالًا وَسِيرَةً يَسِيرُونَ بِهَا. |
| الْحُمَيْمَةُ بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالشَّرَاةِ بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ . |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمْرَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَهْلَ طُرَنْدَةَ بِالْقُفُولِ عَنْهَا إِلَى مَلَطْيَةَ ، وَطُرَنْدَةَ وَاغِلَةٌ فِي الْبِلَادِ الرُّومِيَّةِ مِنْ مَلَطْيَةَ بِثَلَاثِ مَرَاحِلَ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ أَسْكَنَهَا الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ غَزَاهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ ، وَمَلَطْيَةُ يَوْمَئِذٍ خَرَابٌ ، وَكَانَ يَأْتِيهِمْ جُنْدٌ مِنَ الْجَزِيرَةِ يُقِيمُونَ عِنْدَهُمْ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ الثَّلْجُ ، وَيَعُودُونَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ إِلَى أَنْ وَلِيَ عُمَرُ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْعَوْدِ إِلَى مَلَطْيَةَ ، وَأَخْلَى طُرَنْدَةَ خَوْفًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَدِوِّ ، وَأَخْرَبَ طُرَنْدَةَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى مَلَطْيَةَ جَعُونَةَ بْنَ الْحَارِثِ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ. |
| وَفِيهَا كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى مُلُوكِ السِّنْدِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ عَلَى أَنْ يُمَلِّكَهُمْ بِلَادَهُمْ ، وَلَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ كَانَتْ سِيرَتُهُ بِلَغَتْهُمْ ، فَأَسْلَمَ جَيْشَبَهْ بْنُ ذَاهِرَ ، وَالْمُلُوكُ تَسَمَّوْا لَهُ بِأَسْمَاءِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ عُمَرُ قَدِ اسْتَعْمَلَ عَلَى ذَلِكَ الثَّغْرِ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ أَخَا قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، فَغَزَا بَعْضَ الْهِنْدِ ، فَظَفِرَ وَبَقِيَ مُلُوكُ السِّنْدِ مُسْلِمِينَ عَلَى بِلَادِهِمْ أَيَّامَ عُمَرَ وَيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامَ هِشَامٍ ارْتَدُوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ سَبَبُهُ مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| وَفِيهَا أَغْزَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْوَلِيدَ بْنَ هِشَامٍ الْمُعَيْطِيَّ ، وَعَمْرَو بْنَ قَيْسٍ الْكِنْدِيَّ الصَّائِفَةَ. |
| وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ عَلَى الْجَزِيرَةِ عَامِلًا عَلَيْهِمْ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو. |
| وَكَانَ الْعُمَّالُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ إِلَّا عَامِلَ خُرَاسَانَ. |
| وَكَانَ عَلَى حَرْبِهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نُعَيْمٍ ، وَعَلَى خَرَاجِهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي آخِرِهَا. |
| وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَاسْتَعْمَلَ السَّمْحَ بْنَ مَالِكٍ الْخَوْلَانِيَّ عَلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ قَدْ رَأَى مِنْهُ أَمَانَةً وَدِيَانَةً عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاسْتَعْمَلَهُ . |
| الوَفَيَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاسِمُ بْنُ مُخَيْمِرَةَ الْهَمْدَانِيُّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ الْفَقِيهُ ، وَقِيلَ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ ، وَكَانَ وُلِدَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَمَّاهُ وَكَنَّاهُ بِجَدِّهِ لِأُمِّهِ أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ ، وَكَانَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ بَدْرٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ بُسْرُ بْنُ سَعِيدٍ مَوْلَى الْحَضْرَمِيِّينَ ، بُسْرُ بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَبِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ . |
| وَعِيسَى بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ. |
| وَمُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ. |
| وَرِبْعِيُّ بْنُ حِرَاشٍ الْكُوفِيُّ ، حِرَاشٌ بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَبِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ. |
| وَحَنَشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنْعَانِيُّ ، كَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا قُتِلَ انْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ اخْتَطَّ جَامِعَ سَرَقُسْطَةَ بِالْأَنْدَلُسِ. |
| حَنَشٌ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالنُّونِ الْمَفْتُوحَتَيْنِ ، وَالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَمِائَةٍ ذِكْرُ هَرَبِ ابْنِ الْمُهَلَّبِ قَدْ ذَكَرْنَا حَبْسَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى اشْتَدَّ مَرَضُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَعَمِلَ فِي الْهَرَبِ ، فَخَافَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لِأَنَّهُ قَدْ عَذَّبَ أَصْهَارَهُ آلَ أَبِي عَقِيلٍ ، وَكَانَتْ أُمُّ الْحَجَّاجِ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ ، وَهِيَ ابْنَةُ أَخِي الْحَجَّاجِ ، زَوْجَةُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ تَعْذِيبِهِمْ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ طَلَبَ آلَ أَبِي عَقِيلٍ ، فَأَخَذَهُمْ وَسَلَّمَهُمْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ لِيُخَلِّصَ أَمْوَالَهُمْ ، فَعَذَّبَهُمْ وَبَعَثَ ابْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى الْبَلْقَاءِ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ، وَبِهَا خَزَائِنُ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ وَعِيَالُهُ ، فَنَقَلَهُمْ وَمَا مَعَهُمْ إِلَيْهِ ، وَكَانَ فِيمَنْ أُتِيَ بِهِ أُمُّ الْحَجَّاجِ زَوْجَةُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقِيلَ بَلْ أُخْتٌ لَهَا ، فَعَذَّبَهَا ، فَأَتَى يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى ابْنِ الْمُهَلَّبِ فِي مَنْزِلِهِ فَشَفَعَ فِيهَا ، فَلَمْ يُشَفِّعْهُ ، فَقَالَ الَّذِي قَرَّرْتُمْ عَلَيْهَا أَنَا أَحْمِلُهُ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، فَقَالَ لِابْنِ الْمُهَلَّبِ أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ وُلِّيتُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا لَأَقْطَعَنَّ مِنْكَ عُضْوًا! |
| فَقَالَ ابْنُ الْمُهَلَّبِ وَأَنَا وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ لَأَرْمِيَنَّكَ بِمِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ. |
| فَحَمَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَا كَانَ عَلَيْهَا ، وَكَانَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَقِيلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَافَ ابْنُ الْمُهَلَّبِ مِنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَوَالِيهِ ، فَأَعَدُّوا لَهُ إِبِلًا وَخَيْلًا ، وَوَاعَدَهُمْ مَكَانًا يَأْتِيهِمْ فِيهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَامِلِ حَلَبَ مَالًا ، وَإِلَى الْحَرَسِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ ، وَقَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ ثَقُلَ وَلَيْسَ بِرَجَاءٍ ، وَإِنْ وَلِيَ يَزِيدُ يَسْفِكُ دَمِي. |
| فَأَخْرَجُوهُ ، فَهَرَبَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَاعَدَ أَصْحَابَهُ فِيهِ ، فَرَكِبَ الدَّوَابَّ وَقَصَدَ الْبَصْرَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ كِتَابًا يَقُولُ إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ وَثِقْتُ بِحَيَاتِكَ لَمْ أَخْرُجْ مِنْ مَحْبِسِكَ ، وَلَكِنِّي خِفْتُ أَنْ يَلِيَ يَزِيدُ ، فَيَقْتُلَنِي شَرَّ قِتْلَةٍ. |
| فَوَرَدَ الْكِتَابُ وَبِهِ رَمَقٌ ، فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ يُرِيدُ بِالْمُسْلِمِينَ سُوءًا فَأَلْحِقْهُ بِهِ وَهِضْهُ فَقَدْ هَاضَنِي. |
| وَمَرَّ يَزِيدُ فِي طَرِيقِهِ بِالْهُذَيْلِ بْنِ زُفَرَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَكَانَ يَخَافُهُ ، فَلَمْ يَشْعُرِ الْهُذَيْلُ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَ يَزِيدُ وَدَعَا بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ ، فَاسْتَحْيَا مِنْهُ الْهُذَيْلُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ خَيْلَهُ وَغَيْرَهَا ، فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا. |
| وَقِيلَ فِي سَبَبِ خَوْفِ ابْنِ الْمُهَلَّبِ مِنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قِيلَ تُوُفِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ ، وَكَانَتْ شَكْوَاهُ عِشْرِينَ يَوْمًا ، وَلَمَّا مَرِضَ ، قِيلَ لَهُ لَوْ تَدَاوَيْتَ. |
| قَالَ لَوْ كَانَ دَوَائِي فِي مَسْحِ أُذُنِي مَا مَسَحْتُهَا ، نِعْمَ الْمَذْهُوبُ إِلَيْهِ رَبِّي ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِدَيْرِ سَمْعَانَ ، وَقِيلَ بِخُنَاصِرَةَ ، وَدُفِنَ بِدَيْرِ سَمْعَانَ. |
| وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَتَيْنِ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ عُمُرُهُ تِسْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَشْهُرًا ، وَقِيلَ كَانَ عُمُرُهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَشْهُرًا ، وَكَانَتْ كُنْيَتُهُ أَبَا حَفْصٍ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ أَشُجُّ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَكَانَ قَدْ رَمَحَتْهُ دَابَّةٌ مِنْ دَوَابِّ أَبِيهِ فَشَجَّتْهُ وَهُوَ غُلَامٌ ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ ، فَضَمَّتْهُ إِلَيْهَا وَعَذَلَتْ أَبَاهُ وَلَامَتْهُ حَيْثُ لَمْ يَجْعَلْ مَعَهُ حَاضِنًا ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ اسْكُتِي يَا أُمَّ عَاصِمٍ ، فَطُوبَاكِ إِنْ كَانَ أَشُجَّ بَنِي أُمَيَّةَ. |
| قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا وَضَعْتُ الْوَلِيدَ فِي حُفْرَتِهِ نَظَرْتُ فَإِذَا وَجْهُهُ قَدِ اسْوَدَّ ، فَإِذْ مِتُّ وَدُفِنْتُ فَاكْشِفْ عَنْ وَجْهِي ، فَفَعَلْتُ فَرَأَيْتُهُ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ أَيَّامَ تَنَعُّمِهِ. |
| وَقِيلَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ يَا لَيْتَ شِعْرِي مِنْ هَذَا الَّذِي مِنْ وَلَدِ عُمَرَ ، فِي وَجْهِهِ عَلَامَةٌ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا ؟ |
| وَكَانَتْ أُمُّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أُمُّ عَاصِمٍ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَرَثَاهُ الشُّعَرَاءُ فَأَكْثَرُوا ، فَقَالَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي ثَمَّ مَهْلِكُهُ... |
| لَا تَبْعُدَنَّ قِوَامَ الْحَقِّ وَالدِّينِ قَدْ غَادَرُوا فِي ضَرِيحِ اللَّحْدِ مُنْجَدِلًا... |
| بِدَيْرِ سَمْعَانَ قِسْطَاسَ الْمَوَازِينِ وَرَثَاهُ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَغَيْرُهُمَا. |
| ذِكْرُ بَعْضِ سِيرَتِهِ قِيلَ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ كَتَبَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَبَضَهُ وَاسْتَخْلَفَنِي ، وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِي إِنْ كَانَ ، وَإِنَّ الَّذِي وَلَّانِي اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَقَدَّرَ لِي لَيْسَ عَلَيَّ بِهَيِّنٍ ، وَلَوْ كَانَتْ رَغْبَتِي فِي اتِّخَاذِ أَزْوَاجٍ ، أَوِ اعْتِقَادِ أَمْوَالٍ ، لَكَانَ فِي الَّذِي أَعْطَانِي مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ بَلَغَ بِي ، أَفْضَلَ مَا بَلَغَ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَأَنَا أَخَافُ فِيمَا ابْتُلِيتُ بِهِ حِسَابًا شَدِيدًا ، وَمَسْأَلَةً غَلِيظَةً ، إِلَّا مَا عَفَا اللَّهُ وَرَحِمَ ، وَقَدْ بَايَعَ مَنْ قِبَلَنَا ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ. |
| فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قِيلَ لَهُ لَسْتَ مِنْ عُمَّالِهِ ، لِأَنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ كَكَلَامِ مَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِهِ. |
| فَدَعَا يَزِيدُ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَبَايَعُوا. |
| قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ كَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نُعَيْمٍ أَمَّا بَعْدُ ، فَاعْمَلْ عَمَلَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. |
| قَالَ طُفَيْلُ بْنُ مِرْدَاسٍ كَتَبَ عُمَرُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي السَّرِيِّ أَنِ اعْمَلْ خَانَاتٍ ، فَمَنْ مَرَّ بِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاقْرُوهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، وَتَعَهَّدُوا دَوَابَّهُمْ ، وَمَنْ كَانَتْ بِهِ عِلَّةٌ فَاقْرُوهُ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ ، وَإِنْ كَانَ مُنْقَطِعًا بِهِ ، فَأَبْلِغْهُ بَلَدَهُ. |
| فَلَمَّا أَتَاهُ كِتَابُ عُمَرَ قَالَ لَهُ أَهْلُ سَمَرْقَنْدَ قُتَيْبَةُ ظَلَمَنَا وَغَدَرَ بِنَا فَأَخَذَ بِلَادَنَا ، وَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ ، فَأْذَنْ لَنَا فَلْيَقْدَمْ مِنَّا وَفْدٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَوَجَّهُوا وَفْدًا إِلَى عُمَرَ ، فَكَتَبَ لَهُمْ إِلَى سُلَيْمَانَ إِنَّ أَهْلَ سَمَرْقَنْدَ شَكَوْا ظُلْمًا وَتَحَامُلًا مِنْ قُتَيْبَةَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَجْلِسْ لَهُمُ الْقَاضِي ، فَلْيَنْظُرْ فِي أَمْرِهِمْ ، فَإِنْ قَضَى لَهُمْ ، فَأَخْرِجِ الْعَرَبَ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ كَمَا كَانُوا قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِمْ قُتَيْبَةُ. |
| قَالَ فَأَجْلَسَ لَهُمْ سُلَيْمَانُ جُمَيْعَ بْنَ حَاضِرٍ الْقَاضِيَ ، فَقَضَى أَنْ يَخْرُجَ عَرَبُ سَمَرْقَنْدَ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ ، وَيُنَابِذُوهُمْ عَلَى سَوَاءٍ ، فَيَكُونُ صُلْحًا جَدِيدًا ، أَوْ ظَفَرًا عَنْوَةً. |
| فَقَالَ أَهْلُ الصُّغْدِ بَلَى نَرْضَى بِمَا كَانَ وَلَا نُحْدِثُ حَرْبًا ، وَتَرَاضَوْا بِذَلِكَ. |
| قَالَ دَاوُدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْجُعْفِيُّ كَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ وَشِدَّةٌ وَجَوْرٌ فِي أَحْكَامِ اللَّهِ ، وَسُنَّةٌ خَبِيثَةٌ سَنَّهَا عَلَيْهِمْ عُمَّالُ السُّوءِ ، وَإِنَّ قِوَامَ الدِّينِ الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ ، فَلَا يَكُونَنَّ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّهُ لَا قَلِيلَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَلَا تَحْمِلْ خَرَابًا عَلَى عَامِرٍ ، وَخُذْ مِنْهُ مَا أَطَاقَ ، وَأَصْلِحْهُ حَتَّى يُعَمَّرَ ، وَلَا يُؤْخَذَنَّ مِنَ الْعَامِرِ إِلَّا وَظِيفَةَ الْخَرَاجِ فِي رِفْقٍ وَتَسْكِينٍ لِأَهْلِ الْأَرْضِ ، وَلَا تَأْخُذَنَّ أُجُورَ الضَّرَّابِينَ ، وَلَا هَدِيَّةَ النَّوْرُوزِ وَالْمَهْرَجَانِ ، وَلَا ثَمَنَ الصُّحُفِ ، وَلَا أُجُورَ الْفُيُوجِ ، وَلَا أُجُورَ الْبُيُوتِ ، وَلَا دِرْهَمَ النِّكَاحِ ، وَلَا خَرَاجَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَاتَّبِعْ فِي ذَلِكَ أَمْرِي ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ مِنْ ذَلِكَ مَا وَلَّانِي اللَّهُ ، وَلَا تُعَجِّلْ دُونِي بِقَطْعٍ وَلَا صَلْبٍ حَتَّى تُرَاجِعَنِي فِيهِ ، وَانْظُرْ مَنْ أَرَادَ مِنَ الذُّرِّيَّةِ أَنْ يَحُجَّ ، فَعَجِّلْ لَهُ مِائَةً لِيَحُجَّ بِهَا ، وَالسَّلَامُ. |
| قَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ قَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، رَحِمَهَا اللَّهُ ، امْرَأَةُ عُمَرَ لَمَّا مَرِضَ عُمَرُ اشْتَدَّ قَلَقُهُ لَيْلَةً ، فَسَهِرْنَا مَعَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَمَرْتُ وَصِيفًا لَهُ يُقَالُ لَهُ مَرْثَدٌ لِيَكُونَ عِنْدَهُ ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ كُنْتُ قَرِيبًا مِنْهُ ، ثُمَّ نِمْنَا ، فَلَمَّا انْتَفَخَ النَّهَارُ اسْتَيْقَظْتُ ، فَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ ، فَرَأَيْتُ مَرْثَدًا خَارِجًا مِنَ الْبَيْتِ نَائِمًا ، فَقُلْتُ لَهُ مَا أَخْرَجَكَ ؟ |
| قَالَ هُوَ أَخْرَجَنِي ، وَقَالَ لِي إِنِّي أَرَى شَيْئًا مَا هُوَ بِإِنْسٍ وَلَا جِنٍّ ، فَخَرَجْتُ فَسَمِعْتُهُ يَتْلُو تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ القصص . |
| قَالَتْ فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُهُ بَعْدَمَا دَخَلْتُ قَدْ وَجَّهَ نَفْسَهُ لِلْقِبْلَةِ وَهُوَ مَيِّتٌ. |
| قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ أَعُودُهُ فَإِذَا عَلَيْهِ قَمِيصٌ وَسِخَ ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ ، وَكَانَتْ أُخْتُ مَسْلَمَةَ اغْسِلُوا ثِيَابَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَتْ نَفْعَلُ. |
| ثُمَّ عُدْتُ فَإِذَا الْقَمِيصُ عَلَى حَالِهِ. |
| فَقُلْتُ أَلَمْ آمُرْكُمْ أَنْ تَغْسِلُوا قَمِيصَهُ ؟ |
| فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا لَهُ غَيْرُهُ. |
| قِيلَ وَكَانَتْ نَفَقَتُهُ كُلَّ يَوْمٍ دِرْهَمَيْنِ. |
| قِيلَ وَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَدْ بَعَثَ ابْنَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَتَأَدَّبَ بِهَا ، فَكَتَبَ إِلَى صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ أَنْ يَتَعَاهَدَهُ ، فَأَبْطَأَ عُمَرُ يَوْمًا عَنِ الصَّلَاةِ ، فَقَالَ مَا حَبَسَكَ ؟ |
| فَقَالَ كَانَتْ مُرَجِّلَتِي تُصْلِحُ شَعْرِي ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِيهِ بِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ أَبُوهُ رَسُولًا ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى حَلَقَ شَعْرَهُ. |
| وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ نَجِيبَةً ، وَإِنَّ نَجِيبَةَ بَنِي أُمَيَّةَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ. |
| وَقَالَ مُجَاهِدٌ أَتَيْنَا عُمَرَ نُعَلِّمُهُ ، فَلَمْ نَبْرَحْ حَتَّى تَعَلَّمْنَا مِنْهُ. |
| وَقَالَ مَيْمُونٌ كَانَتِ الْعُلَمَاءُ عِنْدَ عُمَرَ تَلَامِذَةً. |
| وَقِيلَ لِعُمَرَ مَا كَانَ بَدْءُ إِنَابَتِكَ ؟ |
| قَالَ أَرَدْتُ ضَرْبَ غُلَامٍ لِي فَقَالَ اذْكُرْ لَيْلَةً صَبِيحَتُهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ. |
| وَقَالَ عُمَرُ مَا كَذِبْتُ مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ الْكَذِبَ يَضُرُّ أَهْلَهُ. |
| وَقَالَ رِيَاحُ بْنُ عُبَيْدَةَ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَشَيْخٌ مُتَوَكِّئٌ عَلَى يَدِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ وَدَخَلَ قُلْتُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، مَنِ الشَّيْخُ الَّذِي كَانَ مُتَوَكِّئًا عَلَى يَدِكَ ؟ |
| قَالَ أَرَأَيْتَهُ ؟ |
| قُلْتُ نَعَمْ. |
| قَالَ ذَاكَ أَخِي الْخَضِرُ ، أَعْلَمَنِي أَنِّي سَأَلِي أَمْرَ الْأُمَّةِ ، وَأَنِّي سَأَعْدِلُ فِيهَا. |
| قَالَ وَأَتَاهُ أَصْحَابُ مَرَاكِبِ الْخِلَافَةِ يَطْلُبُونَ عَلَفَهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَبِيعَتْ ، وَجَعَلَ أَثْمَانَهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ وَقَالَ تَكْفِينِي بَغْلَتِي هَذِهِ. |
| قَالَ وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ جِنَازَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَآهُ مَوْلًى لَهُ مُغْتَمًّا فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَلَا غَرْبِهَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُؤَدِّيَ إِلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ. |
| قَالَ وَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ قَالَ لِامْرَأَتِهِ وَجَوَارِيهِ إِنَّهُ قَدْ شُغِلَ بِمَا فِي عُنُقِهِ عَنِ النِّسَاءِ ، وَخَيَّرَهُنَّ بَيْنَ أَنْ يُقِمْنَ عِنْدَهُ أَوْ يُفَارِقْنَهُ ، فَبَكَيْنَ وَاخْتَرْنَ الْمُقَامَ مَعَهُ. |
| قَالَ وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا ، ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ صَحِبَنَا فَلْيَصْحَبْنَا بِخَمْسٍ ، وَإِلَّا فَلَا يَقْرَبْنَا يَرْفَعُ إِلَيْنَا حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ رَفْعَهَا ، وَيُعِينُنَا عَلَى الْخَيْرِ بِجُهْدِهِ ، وَيَدُلُّنَا مِنَ الْخَيْرِ عَلَى مَا نَهْتَدِي إِلَيْهِ ، وَلَا يَغْتَابَنَّ أَحَدًا ، وَلَا يَعْتَرِضُ فِي مَا لَا يَعْنِيهِ. |
| فَانْقَشَعَ الشُّعَرَاءُ وَالْخُطَبَاءُ ، وَثَبَتَ عِنْدَهُ الْفُقَهَاءُ وَالزُّهَّادُ وَقَالُوا مَا يَسَعُنَا أَنْ نُفَارِقَ هَذَا الرَّجُلَ حَتَّى يُخَالِفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ. |
| قَالَ فَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ أَحْضَرَ قُرَيْشًا وَوُجُوهَ النَّاسِ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ فَدَكَ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ يَضَعُهَا حَيْثُ أَرَاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ وَلِيَهَا أَبُو بَكْرٍ كَذَلِكَ وَعُمَرُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ أُقْطِعَهَا مَرْوَانُ ، ثُمَّ إِنَّهَا صَارَتْ إِلَيَّ ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْ مَالِي أَعُودُ مِنْهَا عَلَيَّ ، وَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ رَدَدْتُهَا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ فَانْقَطَعَتْ ظُهُورُ النَّاسِ وَيَئِسُوا مِنَ الظُّلْمِ. |
| قَالَ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِمَوْلَاهُ مُزَاحِمٍ إِنَّ أَهْلِي أَقْطَعُونِي مَا لَمْ يَكُنْ إِلَيَّ أَنْ آخُذَهُ ، وَلَا لَهُمْ أَنْ يُعْطُونِيهِ ، وَإِنِّي قَدْ هَمَمْتُ بِرَدِّهِ عَلَى أَرْبَابِهِ. |
| قَالَ فَكَيْفَ نَصْنَعُ بِوَلَدِكَ ؟ |
| فَجَرَتْ دُمُوعُهُ وَقَالَ أَكِلُهُمْ إِلَى اللَّهِ. |
| قَالَ وَجَدَ لِوَلَدِهِ مَا يَجِدُ النَّاسُ ، فَخَرَجَ مُزَاحِمٌ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ لَهُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَزَمَ عَلَى كَذَا وَكَذَا ، وَهَذَا أَمْرٌ يَضُرُّكُمْ وَقَدْ نَهَيْتُهُ عَنْهُ. |
| فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِئْسَ وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ أَنْتَ! |
| ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ عَلَى أَبِيهِ ، وَقَالَ لَهُ إِنْ مُزَاحِمًا أَخْبَرَنِي بِكَذَا وَكَذَا فَمَا رَأْيُكَ ؟ |
| قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ بِهِ الْعَشِيَّةَ. |
| قَالَ عَجِّلْهُ فَمَا يُؤَمِّنُكَ أَنْ يَحْدُثَ لَكَ حَدَثٌ أَوْ يَحْدُثَ بِقَلْبِكَ حَدَثٌ ؟ |
| فَرَفَعَ عُمَرُ يَدَيْهِ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِي مَنْ يُعِينُنِي عَلَى دِينِي! |
| ثُمَّ قَامَ بِهِ مِنْ سَاعَتِهِ فِي النَّاسِ وَرَدَّهَا. |
| قَالَ لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ الْخِلَافَةَ أَخَذَ مِنْ أَهْلِهِ مَا بِأَيْدِيهِمْ وَسَمَّى ذَلِكَ مَظَالِمَ ، فَفَزِعَ بَنُو أُمَيَّةَ إِلَى عَمَّتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مَرْوَانَ ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ لَهُ تَكَلَّمْ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَحْمَةً وَلَمْ يَبْعَثْهُ عَذَابًا إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، ثُمَّ اخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ ، وَتَرَكَ لِلنَّاسِ نَهْرًا شُرْبُهُمْ سَوَاءٌ ، ثُمَّ وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ فَتَرَكَ النَّهْرَ عَلَى حَالِهِ ، ثُمَّ وَلِيَ عُمَرُ فَعَمِلَ عَمَلَهُمَا ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ النَّهْرُ يَسْتَقِي مِنْهُ يَزِيدُ ، وَمَرْوَانُ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُهُ ، وَالْوَلِيدُ وَسُلَيْمَانُ ابْنَا عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَيَّ ، وَقَدْ يَبِسَ النَّهْرُ الْأَعْظَمُ ، فَلَمْ يَرْوِ أَصْحَابَهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ. |
| فَقَالَتْ حَسْبُكَ ، قَدْ أَرَدْتُ كَلَامَكَ ، فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ مَقَالَتُكَ هَذِهِ فَلَا أَذْكُرُ شَيْئًا أَبَدًا. |
| فَرَجَعَتْ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرَتْهُمْ كَلَامَهُ . |
| وَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا قَالَتْ لَهُ إِنَّ بَنِيَ أُمَيَّةَ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا ، فَلَمَّا قَالَ لَهَا هَذَا الْكَلَامَ قَالَتْ لَهُ إِنَّهُمْ يُحَذِّرُونَكَ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِهِمْ ، فَغَضِبَ وَقَالَ كُلُّ يَوْمٍ أَخَافُهُ غَيْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا أَمِنْتُ شَرَّهُ. |
| فَرَجَعَتْ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرَتْهُمْ وَقَالَتْ أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ هَذَا بِأَنْفُسِكُمْ ، تَزَوَّجْتُمْ بِأَوْلَادِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَجَاءَ يُشْبِهُ جَدَّهُ. |
| فَسَكَتُوا. |
| قَالَ وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ الْخُلَفَاءُ خَمْسَةٌ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَمَا كَانَ سِوَاهُمْ فَهُمْ مُنْتَزُونَ. |
| قَالَ وَقَالَ الشَّافِعِيُّ مِثْلَهُ ، قَالَ وَكَانَ يَكْتُبُ إِلَى عُمَّالِهِ بِثَلَاثٍ ، فَهِيَ تَدُورُ بَيْنَهُمْ بِإِحْيَاءِ سُنَّةٍ ، أَوْ إِطْفَاءِ بِدْعَةٍ ، أَوْ قَسْمٍ فِي مَسْكَنَةٍ ، أَوْ رَدِّ مَظْلَمَةٍ. |
| قَالَ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ تُثْنِي عَلَيْهِ وَتَقُولُ لَوْ كَانَ بَقِيَ لَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا احْتَجْنَا بِعَهْدِهِ إِلَى أَحَدٍ. |
| قَالَتْ فَاطِمَةُ امْرَأَتُهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مُصَلَّاهُ وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى لِحْيَتِهِ ، فَقُلْتُ أَحَدَثَ شَيْءٌ ؟ |
| فَقَالَ إِنِّي تَقَلَّدْتُ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، فَتَفَكَّرْتُ فِي الْفَقِيرِ الْجَائِعِ ، وَالْمَرِيضِ الضَّائِعِ ، وَالْغَازِي ، وَالْمَظْلُومِ الْمَقْهُورِ ، وَالْغَرِيبِ الْأَسِيرِ ، وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، وَذِي الْعِيَالِ الْكَثِيرِ ، وَالْمَالِ الْقَلِيلِ ، وَأَشْبَاهِهِمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ رَبِّي سَيَسْأَلُنِي عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَّ خَصْمِي دُونَهُمْ مُحَمَّدٌ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى اللَّهِ ، فَخَشِيتُ أَنْ لَا تَثْبُتَ حُجَّتِي عِنْدَ الْخُصُومَةِ ، فَرَحِمْتُ نَفْسِي فَبَكَيْتُ. |
| قِيلَ وَلَمَّا مَرِضَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ مَرَضَ مَوْتِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ أَعْوَانِهِ عَلَى الْعَدْلِ ، دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ فَقَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ |
| قَالَ أَجِدُنِي فِي الْحَقِّ. |
| قَالَ يَا بُنَيَّ أَنْ تَكُونَ فِي مِيزَانِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ فِي مِيزَانِكَ. |
| فَقَالَ ابْنُهُ يَا أَبَتَاهُ لَأَنْ يَكُونَ مَا تُحِبُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا أُحِبُّ ، فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ وَلَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً. |
| قِيلَ وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِأَبِيهِ عُمَرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا أَتَيْتَهُ ، وَقَدْ تَرَكْتَ حَقًّا لَمْ تُحْيِهِ وَبَاطِلًا لَمْ تُمِتْهُ ؟ |
| فَقَالَ يَا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ وَأَجْدَادَكَ قَدْ دَعُّوُا النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ ، فَانْتَهَتِ الْأُمُورُ إِلَيَّ ، وَقِيلَ أَقْبَلَ شَرُّهَا وَأَدْبَرَ خَيْرُهَا ، وَلَكِنْ أَلَيْسَ حَسَنًا وَجَمِيلًا أَلَّا تَطْلُعَ الشَّمْسُ عَلَيَّ فِي يَوْمٍ إِلَّا أَحْيَيْتُ فِيهِ حَقًّا ، وَأَمَتُّ فِيهِ بَاطِلًا ، حَتَّى يَأْتِيَنِيَ الْمَوْتُ ، فَأَنَا عَلَى ذَلِكَ ؟ |
| وَقَالَ لَهُ أَيْضًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ انْقَدْ لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَإِنْ جَاشَتْ بِي وَبِكَ الْقُدُورُ. |
| فَقَالَ يَا بُنَيَّ إِنْ بَادَهْتُ النَّاسَ بِمَا تَقُولُ أَحْوَجُونِي إِلَى السَّيْفِ ، وَلَا خَيْرَ فِي خَيْرٍ لَا يَحْيَا إِلَّا بِالسَّيْفِ ، فَكَرَّرَ ذَلِكَ. |
| قِيلَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُمَّالِهِ نُسْخَةً وَاحِدَةً أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَكْرَمَ بِالْإِسْلَامِ أَهْلَهُ ، وَشَرَّفَهُمْ وَأَعَزَّهُمْ ، وَضَرَبَ الذِّلَّةَ وَالصِّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، فَلَا تُوَلِّيَنَّ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ ذِمَّتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ ، فَتَتَبَسَّطَ عَلَيْهِ أَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ ، فَتُذِلَّهُمْ بَعْدَ أَنْ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ ، وَتُهِينَهُمْ بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَتُعَرِّضَهُمْ لِكَيْدِهِمْ وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَيْهِمْ ، وَمَعَ هَذَا فَلَا يُؤْمَنُ غِشُّهُمْ إِيَّاهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، يَقُولُ لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ آل عمران ، وَ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ المائدة ، وَالسَّلَامُ. |
| فَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ فِي التَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ فِي قَوْلٍ ، وَأَبُو صَالِحٍ ذَكْوَانُ . |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَفِيهَا تَوَلَّى يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْخِلَافَةَ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو خَالِدٍ ، بِعَهْدٍ مِنْ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بَعْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَلَمَّا احْتُضِرَ عُمَرُ ، قِيلَ لَهُ اكْتُبْ إِلَى يَزِيدَ فَأَوْصِهِ بِالْأُمَّةِ ، قَالَ بِمَاذَا أُوصِيهِ ؟ |
| إِنَّهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ أَمَّا بَعْدُ فَاتَّقِ يَا يَزِيدُ الصَّرْعَةَ بَعْدَ الْغَفْلَةِ ، حِينَ لَا تُقَالُ الْعَثْرَةُ ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى الرَّجْعَةِ ، إِنَّكَ تَتْرُكُ مَا تَتْرُكُ لِمَنْ لَا يَحْمَدُكَ ، وَتَصِيرُ إِلَى مَنْ لَا يَعْذُرُكَ ، وَالسَّلَامُ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ نَزَعَ أَبَا بَكْرِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ الْفِهْرِيَّ عَلَيْهَا ، وَاسْتَقْضَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيَّ ، وَأَرَادَ مُعَارَضَةَ ابْنِ حَزْمٍ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهِ سَبِيلًا ، حَتَّى شَكَا عُثْمَانُ بْنُ حَيَّانَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنِ ابْنِ حَزْمٍ ، وَأَنَّهُ ضَرَبَهُ حَدَّيْنِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُقِيدَهُ مِنْهُ ، فَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الضَّحَّاكِ كِتَابًا أَمَّا بَعْدُ فَانْظُرْ فِيمَا ضَرَبَ ابْنُ حَزْمٍ ابْنَ حَيَّانَ ، فَإِنْ كَانَ ضَرَبَهُ فِي أَمْرٍ بَيِّنٍ أَوْ أَمْرٍ يُخْتَلَفُ فِيهِ ، فَلَا تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ. |
| فَأَرْسَلَ ابْنُ الضَّحَّاكِ فَأَحْضَرَ ابْنَ حَزْمٍ ، وَضَرَبَهُ حَدَّيْنِ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ ، وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ. |
| وَعَمَدَ يَزِيدُ إِلَى كُلِّ مَا صَنَعَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِمَّا لَمْ يُوَافِقْ هَوَاهُ ، فَرَدَّهُ ، وَلَمْ يَخَفْ شَنَاعَةً عَاجِلَةً ، وَلَا إِثْمًا عَاجِلًا ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ أَخَا الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ كَانَ عَلَى الْيَمَنِ ، فَجَعَلَ عَلَيْهِمْ خَرَاجًا مُجَدَّدًا ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِأَمْرِهِ بِالِاقْتِصَارِ عَلَى الْعُشْرِ وَنِصْفِ الْعُشْرِ ، وَتَرْكِ مَا جَدَّدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ، وَقَالَ لَأَنْ يَأْتِيَنِي مِنَ الْيَمَنِ حِصَّةُ ذُرَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ تَقْرِيرِ هَذِهِ الْوَضِيعَةِ ، فَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بَعْدَ عُمَرَ أَمَرَ بَرَدِهَا ، وَقَالَ لِعَامِلِهِ خُذْهَا مِنْهُمْ وَلَوْ صَارُوا حَرَضًا ، وَالسَّلَامُ. |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ شَوْذَبٍ الْخَارِجِيِّ قَدْ ذَكَرْنَا خُرُوجَهُ وَمُرَاسَلَتَهُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِمُنَاظَرَتِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ أَحَبَّ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى الْكُوفَةِ ، أَنْ يَحْظَى عِنْدَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ يَأْمُرُهُ بِمُنَاجَزَةِ شَوْذَبٍ ، وَاسْمُهُ بِسْطَامٌ ، وَلَمْ يَرْجِعْ رَسُولَا شَوْذَبٍ ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِمَوْتِ عُمَرَ. |
| فَلَمَّا رَأَوْا مُحَمَّدًا يَسْتَعِدُّ لِلْحَرْبِ ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ شَوْذَبٌ مَا أَعْجَلَكُمْ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْمُدَّةِ! |
| أَلَيْسَ قَدْ تَوَاعَدْنَا إِلَى أَنْ يَرْجِعَ الرَّسُولَانِ ؟ |
| فَأَرْسَلَ مُحَمَّدٌ إِنَّهُ لَا يَسَعُنَا تَرْكُكُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، فَقَالَتِ الْخَوَارِجُ مَا فَعَلَ هَؤُلَاءِ هَذَا إِلَّا وَقَدْ مَاتَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ. |
| فَاقْتَتَلُوا فَأُصِيبَ مِنَ الْخَوَارِجِ نَفَرٌ ، وَقُتِلَ الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَانْهَزَمُوا ، وَجُرِحُ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ فِي اسْتِهِ ، فَدَخْلَ الْكُوفَةَ ، وَتَبِعَهُمُ الْخَوَارِجُ حَتَّى بَلَغُوا الْكُوفَةَ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَكَانِهِمْ. |
| وَأَقَامَ شَوْذَبٌ يَنْتَظِرُ صَاحِبَيْهِ ، فَقَدِمَا عَلَيْهِ وَأَخْبَرَاهُ بِمَوْتِ عُمَرَ ، وَوَجَّهَ يَزِيدُ مَنْ عِنْدَ تَمِيمِ بْنِ الْحُبَابِ فِي أَلْفَيْنِ قَدْ أَرْسَلَهُمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ يَزِيدَ لَا يُفَارِقُهُمْ عَلَى مَا فَارَقَهُمْ عَلَيْهِ عُمَرُ ، فَلَعَنُوهُ وَلَعَنُوا يَزِيدَ مَعَهُ وَحَارَبُوهُ ، فَقَتَلُوهُ وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ ، وَلَجَأَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى يَزِيدَ. |
| فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ نَجْدَةَ بْنَ الْحَكَمِ الْأَزْدِيَّ فِي جَمْعٍ ، فَقَتَلُوهُ وَهَزَمُوا أَصْحَابَهُ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ الشَّحَّاجُ بْنُ وَدَاعٍ فِي أَلْفَيْنِ ، فَقَتَلُوهُ وَهَزَمُوا أَصْحَابَهُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ نَفَرٌ ، مِنْهُمْ هُدْبَةُ ابْنُ عَمِّ شَوْذَبٍ. |
| فَقَالَ أَيُّوبُ بْنُ خَوْلِيٍّ يَرْثِيهِمْ تَرَكْنَا تَمِيمًا فِي الْغُبَارِ مُلَحَّبًا... |
| تُبَكِّي عَلَيْهِ عِرْسُهُ وَقَرَائِبُهْ وَقَدْ أَسْلَمَتْ قَيْسٌ تَمِيمًا وَمَالِكًا... |
| كَمَا أَسْلَمَ الشَّحَّاجَ أَمْسِ أَقَارِبُهْ وَأَقْبَلَ مِنْ حَرَّانَ يَحْمِلُ رَايَةً... |
| يُغَالِبُ أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبُهْ فَيَا هُدْبُ لِلْهَيْجَا ، وَيَا هُدْبُ لِلنَّدَى... |
| وَيَا هُدْبُ لِلْخَصْمِ الْأَلَدِّ يُحَارِبُهْ وَيَا هُدْبُ كَمْ مِنْ مُلْجِمٍ قَدْ أَجَبْتَهُ... |
| وَقَدْ أَسْلَمَتْهُ لِلرِّيَاحِ جُوَالِبُهْ وَكَانَ أَبُو شَيْبَانَ خَيْرَ مُقَاتِلٍ... |
| يُرَجَّى وَيَخْشَى حَرْبَهُ مَنْ يُحَارِبُهْ فَفَازَ وَلَاقَى اللَّهَ فِي الْخَيْرِ كُلِّهِ... |
| وَخَذَّمَهُ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ ضَارِبُهْ تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ دِرْعًا وَمِغْفَرًا... |
| وَعَضْبًا حُسَامًا لَمْ تَخُنْهُ مَضَارِبُهْ وَأَجْرَدَ مَحْبُوكَ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ... |
| إِذَا انْقَضَّ وَافِي الرِّيشِ حُجْنٌ مَخَالِبُهْ وَأَقَامَ الْخَوَارِجُ بِمَكَانِهِمْ حَتَّى دَخَلَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكُوفَةَ ، فَشَكَا إِلَيْهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، مَكَانَ شَوْذَبٍ وَخَوَّفُوهُ مِنْهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَسْلَمَةُ سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ ، وَكَانَ فَارِسًا ، فِي عَشَرَةِ آلَافٍ ، فَأَتَاهُ وَهُوَ بِمَكَانِهِ ، فَرَأَى شَوْذَبٌ وَأَصْحَابُهُ مَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الشَّهَادَةَ فَقَدْ جَاءَتْهُ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ الدُّنْيَا فَقَدْ ذَهَبَتْ. |
| فَكَسَرُوا أَغْمَادَ السُّيُوفِ وَحَمَلُوا فَكَشَفُوا سَعِيدًا وَأَصْحَابَهُ مِرَارًا ، حَتَّى خَافَ سَعِيدٌ الْفَضِيحَةَ ، فَوَبَّخَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ مِنْ هَذِهِ الشِّرْذِمَةِ لَا أَبَ لَكُمْ تَفِرُّونَ! |
| يَا أَهْلَ الشَّامِ يَوْمًا كَأَيَّامِكُمْ! |
| فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَطَحَنُوهُمْ طَحْنًا ، وَقَتَلُوا بِسْطَامًا ، وَهُوَ شَوْذَبٌ ، وَأَصْحَابَهُ. |
| ذِكْرُ مَوْتِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَخُو عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَ الْجَزِيرَةَ وَأَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ ، وَغَزَا الرُّومَ وَأَهْلَ أَرْمِينِيَّةَ عِدَّةَ دَفَعَاتٍ ، وَكَانَ شُجَاعًا قَوِيًّا ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَحْسُدُهُ لِذَلِكَ ، فَلَمَّا انْتَظَمَتِ الْأُمُورُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ أَظْهَرَ مَا فِي نَفْسِهِ لَهُ ، فَتَجَهَّزَ مُحَمَّدٌ لِيَسِيرَ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ ، فَلَمَّا وَدَّعَ عَبْدَ الْمَلِكِ سَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ مَسِيرِهِ ، فَقَالَ وَأَنْشَدَ وَإِنَّكَ لَا تَرَى طَرْدًا لِحُرٍّ... |
| كَإِلْصَاقٍ بِهِ بَعْضَ الْهَوَانِ فَلَوْ كُنَّا بِمَنْزِلَةٍ جَمِيعًا... |
| جَرَيْتُ وَأَنْتَ مُضْطَرِبُ الْعِنَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتُقِيمَنَّ ، فَوَاللَّهِ لَا رَأَيْتَ مِنِّي مَا تَكْرَهُ ، وَصَلُحَ لَهُ ، وَلَمَّا أَرَادَ الْوَلِيدُ عَزْلَهُ طَلَبَ مَنْ يَسُدُّ مَكَانَهُ ، فَلَمْ يُقْدِمْ أَحَدٌ عَلَيْهِ إِلَّا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| ذِكْرُ دُخُولِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ الْبَصْرَةَ وَخَلْعِهِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ هَرَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ مِنْ حَبْسِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ وَبُويِعَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَإِلَى عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ يَأْمُرُهُمَا بِالتَّحَرُّزِ مِنْ يَزِيدَ وَيُعَرِّفْهُمَا هَرَبَهُ ، وَأَمَرَ عَدِيًّا أَنْ يَأْخُذَ مَنْ بِالْبَصْرَةِ مِنْ آلِ الْمُهَلَّبِ ، فَأَخَذَهُمْ وَحَبَسَهُمْ ، فِيهِمْ الْمُفَضَّلُ ، وَحَبِيبٌ ، وَمَرْوَانُ بَنُو الْمُهَلَّبِ ، وَأَقْبَلَ يَزِيدُ حَتَّى ارْتَفَعَ عَلَى الْقُطقُطَانَةِ ، وَبَعَثَ عَبْدُ الْحَمِيدِ جُنْدًا إِلَيْهِمْ ، عَلَيْهِمْ هِشَامُ بْنُ مُسَاحِقٍ الْعَامِرِيُّ ، عَامِرُ بَنِي لُؤَيٍّ ، فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا الْعُذَيْبِ ، وَمَرَّ يَزِيدُ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَلَمْ يُقْدِمُوا عَلَيْهِ. |
| وَمَضَى يَزِيدُ نَحْوَ الْبَصْرَةِ ، وَقَدْ جَمَعَ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَخَنْدَقَ عَلَيْهَا ، وَبَعَثَ عَلَى خَيْلِ الْبَصْرَةِ الْمُغِيرَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ الثَّقَفِيِّ ، وَجَاءَ يَزِيدُ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَعَهُ ، فَالتَّقَاهُ أَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ فِيمَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ وَمَوَالِيهِ ، فَبَعَثَ عَدِيٌّ عَلَى كُلِّ خُمُسٍ مِنْ أَخْمَاسِ الْبَصْرَةِ رَجُلًا ، فَبَعَثَ عَلَى الْأَزْدِ الْمُغِيرَةَ بْنَ زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو الْعَتَكِيَّ ، وَبَعَثَ عَلَى تَمِيمٍ مُحْرِزَ بْنَ حُمْرَانَ السَّعْدِيَّ ، وَعَلَى خُمُسِ بَكْرٍ مُفَرِّجَ بْنَ شَيْبَانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ ، وَعَلَى عَبْدِ الْقَيْسِ مَالِكَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ ، وَعَلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ عَبْدَ الْأَعْلَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ، وَأَهْلُ الْعَالِيَةِ قُرَيْشٌ ، وَكِنَانَةُ وَالْأَزْدُ ، وَبَجِيلَةُ ، وَخَثْعَمُ ، وَقَيْسُ عَيْلَانَ كُلُّهَا ، وَمُزَيْنَةُ ، وَأَهْلُ الْعَالِيَةِ وَالْكُوفَةِ يُقَالُ لَهُمْ رُبُعُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. |
| فَأَقْبَلَ يَزِيدُ لَا يَمُرُّ بِخَيْلٍ مِنْ خَيْلِهِمْ ، وَلَا قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِهِمْ إِلَّا تَنَحَّوْا لَهُ عَنْ طَرِيقِهِ ، وَأَقْبَلَ يَزِيدُ حَتَّى نَزَلَ دَارَهُ ، فَاخْتَلَفَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَدِيٍّ أَنِ ابْعَثْ إِلَيَّ إِخْوَتِي ، وَإِنِّي أُصَالِحُكَ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَأُخَلِّيكَ وَإِيَّاهَا حَتَّى آخُذَ لِنَفْسِي مِنْ يَزِيدَ مَا أُحِبُّ. |
| فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، فَسَارَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَبَعَثَ مَعَهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ خَالِدًا الْقَسْرِيَّ ، وَعَمْرَو بْنَ يَزِيدٍ الْحَكَمِيَّ بِأَمَانِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَأَهْلِهِ. |
| وَأَخَذَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ يُعْطِي مَنْ أَتَاهُ قِطَعَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَمَالَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ عَدِيٌّ لَا يُعْطِي إِلَّا دِرْهَمَيْنِ دِرْهَمَيْنِ وَيَقُولُ لَا يَحِلُّ لِي أَنْ أُعْطِيَكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ دِرْهَمًا إِلَّا بِأَمْرِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَكِنْ تَبَلَّغُوا بِهَذِهِ حَتَّى يَأْتِيَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ أَظُنُّ رِجَالَ الدِّرْهَمَيْنِ تَقُودُهُمْ... |
| إِلَى الْمَوْتِ آجَالٌ لَهُمْ وَمُصَارِعُ وَأَكْيَسُهُمْ مَنْ قَرَّ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ... |
| وَأَيْقَنَ أَنَّ الْمَوْتَ لَا بُدَّ وَاقِعُ وَخَرَجَتْ بَنُو عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ مِنْ أَصْحَابِ عَدِيٍّ فَنَزَلُوا الْمِرْبَدَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ مَوْلًى لَهُ يُقَالُ لَهُ دَارِسٌ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَهَزَمَهُمْ. |
| وَخَرَجَ يَزِيدُ حِينَ اجْتَمَعَ النَّاسُ لَهُ حَتَّى نَزَلَ جَبَّانَةَ بَنِي يَشْكُرَ ، وَهِيَ النِّصْفُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَصْرِ ، فَلَقِيَهُ قَيْسٌ وَتَمِيمٌ وَأَهْلُ الشَّامِ وَاقْتَتَلُوا هُنَيْهَةَ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ يَزِيدَ فَانْهَزَمُوا ، وَتَبِعَهُمُ ابْنُ الْمُهَلَّبِ حَتَّى دَنَا مِنَ الْقَصْرِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَدِيٌّ بِنَفْسِهِ ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ مُوسَى بْنُ الْوَجِيهِ الْحِمْيَرِيُّ ، وَالْحَارِثُ بْنُ الْمُصَرِّفِ الْأَوْدِيُّ ، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانِ الْحَجَّاجِ وَأَشْرَافِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ عَدِيٍّ ، وَسَمِعَ إِخْوَةُ يَزِيدَ ، وَهُمْ فِي مَحْبِسِ عَدِيٍّ ، الْأَصْوَاتَ تَدْنُو وَالنُّشَّابَ تَقَعُ فِي الْقَصْرِ ، وَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ إِنِّي أَرَى أَنَّ يَزِيدَ قَدْ ظَهَرَ ، وَلَا آمَنُ مَنْ مَعَ عَدِيٍّ مِنْ مُضَرَ وَ أَهْلِ الشَّامِ أَنْ يَأْتُونَا فَيَقْتُلُونَا قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا يَزِيدُ ، فَأَغْلِقُوا الْبَابَ وَأَلْقُوا عَلَيْهِ الرَّحْلَ. |
| فَفَعَلُوا ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ مَوْلَى بَنِي عَامِرٍ ، وَكَانَ عَلَى حَرَسِ عَدِيٍّ ، فَجَاءَ يَشْتَدُّ إِلَى الْبَابِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَأَخَذُوا يُعَالِجُونَ الْبَابَ ، فَلَمْ يُطِيقُوا قَلْعَهُ ، وَأَعْجَلَهُمُ النَّاسُ فَخَلَّوْا عَنْهُمْ. |
| وَجَاءَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَتَّى نَزَلَ دَارًا لِسُلَيْمَانَ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، إِلَى جَنْبِ الْقَصْرِ ، وَأَتَى بِالسَّلَالِيمِ وَفَتَحَ الْقَصْرَ ، وَأُتِيَ بِعَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ ، فَحَبَسَهُ ، وَقَالَ لَهُ لَوْلَا حَبْسُكَ إِخْوَتِي لَمَا حَبَسْتُكَ. |
| فَلَمَّا ظَهَرَ يَزِيدُ هَرَبَ رُءُوسُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ تَمِيمٍ ، وَقَيْسٍ ، وَمَالِكِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، فَلَحِقُوا بِالْكُوفَةِ ، وَلَحِقَ بَعْضُهُمْ بِالشَّامِ ، وَخَرَجَ الْمُغِيرَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو الْعَتَكِيُّ نَحْوَ الشَّامِ ، فَلَقِيَ خَالِدًا الْقَسْرِيَّ ، وَعَمْرَو بْنَ يَزِيدَ الْحَكَمِيَّ ، وَمَعَهُمَا حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ قَدْ أَقْبَلُوا بِأَمَانِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَكُلِّ شَيْءٍ أَرَادَهُ ، فَسَأَلَاهُ عَنِ الْخَبَرِ ، فَخَلَا بِهِمَا سِرًّا مِنْ حُمَيْدٍ ، وَأَخْبَرَهُمَا وَقَالَ أَيْنَ تُرِيدَانِ ؟ |
| فَأَخْبَرَاهُ بِأَمَانِ يَزِيدَ. |
| فَقَالَ إِنْ يَزِيدَ قَدْ ظَهَرَ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَقَتَلَ الْقَتْلَى وَحَبَسَ عَدِيًّا ، فَارْجِعَا. |
| فَرَجِعَا ، وَأَخَذَا حُمَيْدًا مَعَهُمَا ، فَقَالَ لَهُمَا حُمَيْدُ أَنْشُدُكُمَا اللَّهُ أَنَّ تُخَالِفَا مَا بُعِثْتُمَا بِهِ ، فَإِنَّ ابْنَ الْمُهَلَّبِ قَابِلٌ مِنْكُمَا ، وَإِنَّ هَذَا وَأَهْلَ بَيْتِهِ لَمْ يَزَالُوا لَنَا أَعْدَاءً ، فَلَا تَسْمَعَا مَقَالَتَهُ. |
| فَلَمْ يَقْبَلَا قَوْلَهُ وَرَجَعَا بِهِ. |
| وَأَخَذَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالْكُوفَةِ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، وَحَمَّالَ بْنَ زَحْرٍ ، وَلَمْ يَكُونَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ ، فَأَوْثَقَهُمَا وَسَيَّرَهُمَا إِلَى الشَّامِ ، فَحَبَسَهُمَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمْ يُفَارِقَا السِّجْنَ حَتَّى هَلَكَا فِيهِ ، وَأَرْسَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْكُوفَةِ شَيْئًا عَلَى أَهْلِهَا وَيُمَنِّيهِمُ الزِّيَادَةَ. |
| وَجَهَّزَ أَخَاهُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَابْنَ أَخِيهِ الْعَبَّاسَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ ، وَقِيلَ كَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفًا ، فَسَارُوا إِلَى الْعِرَاقِ. |
| وَكَانَ مَسْلَمَةُ يَعِيبُ الْعَبَّاسَ وَيَذُمُّهُ ، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا اخْتِلَافٌ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْعَبَّاسُ أَلَا نَفْسِي فِدَاكَ أَبَا سَعِيدٍ... |
| وَتَقْصُرُ عَنْ مُلَاحَاتِي وَعَذْلِي فَلَوْلَا أَنَّ أَصْلَكَ حِينَ يُنْمَى... |
| وَفَرْعَكَ مُنْتَهَى فَرْعِي وَأَصْلِي وَأَنِّي إِنْ رَمَيْتُكَ هُضْتُ عَظْمِي... |
| وَنَالَتْنِي إِذَا نَالَتْكَ نَبْلِي لَقَدْ أَنْكَرْتَنِي إِنْكَارَ خَوْفٍ... |
| يُقَصِّرُ مِنْكَ عَنْ شَتْمِي وَأَكْلِي كَقَوْلِ الْمَرْءِ عَمْرٌو فِي الْقَوَافِي... |
| أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي قِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِلْعَبَّاسِ ، وَقِيلَ إِنَّمَا تَمَثَّلَ بِهَا. |
| فَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا ، وَقَدِمَا الْكُوفَةَ وَنَزَلَا بِالنُّخَيْلَةِ ، فَقَالَ مَسْلَمَةُ لَيْتَ هَذَا الْمَزُونِيَّ ، يَعْنِي ابْنَ الْمُهَلَّبِ ، لَا كَلَّفَنَا اتِّبَاعَهُ فِي هَذَا الْبَرْدِ. |
| فَقَالَ حَيَّانُ النَّبَطِيُّ مَوْلًى لِشَيْبَانَ أَنَا أَضْمَنُ لَكَ أَنَّهُ لَا يَبْرَهُ الْأَرْصَةَ ، يُرِيدُ أَضْمَنُ أَنَّهُ لَا يَبْرَحُ الْعَرْصَةَ. |
| فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ لَا أُمَّ لَكَ أَنْتَ بِالنَّبَطِيَّةِ أَبْصَرُ مِنْكَ بِهَذَا! |
| فَقَالَ حَيَّانُ أَنَبَطَ اللَّهُ وَجْهَكَ أَسْقَرَ أَهَمَرَ لَيْسَ أَلَيْهِ طَابَئُ الْخِلَافَةِ ، يُرِيدُ أَشْقَرَ أَحْمَرَ لَيْسَ عَلَيْهِ طَابَعُ الْخِلَافَةِ. |
| قَالَ مَسْلَمَةُ يَا أَبَا سُفْيَانَ لَا يَهُولَنَّكَ كَلَامُ الْعَبَّاسِ. |
| فَقَالَ إِنَّهُ أَهْمَقُ ، يُرِيدُ أَحْمَقَ. |
| وَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وُصُولَ مَسْلَمَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ رَاعَهُمْ ذَلِكَ ، فَبَلَغَ ابْنَ الْمُهَلَّبِ ، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ قَدْ رَأَيْتُ أَهْلَ الْعَسْكَرِ وَخَوْفَهُمْ ، يَقُولُونَ جَاءَ أَهْلُ الشَّامِ وَمَسْلَمَةُ ، وَمَا أَهْلُ الشَّامِ ؟ |
| هَلْ هُمْ إِلَّا تِسْعَةُ أَسْيَافٍ ، سَبْعَةٌ مِنْهَا إِلَيَّ وَسَيْفَانِ عَلَيَّ ؟ |
| وَمَا مَسْلَمَةُ إِلَّا جَرَادَةٌ صَفْرَاءُ ، أَتَاكُمْ فِي بَرَابِرَةٍ ، وَجَرَامِقَةٍ ، وَجَرَاجِمَةٍ ، وَأَنْبَاطٍ ، وَأَبْنَاءِ فَلَّاحِينَ وَأَوْبَاشٍ ، وَأَخْلَاطٍ ، أَوَلَيْسُوا بَشَرًا يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ؟ |
| أَعِيرُونِي سَوَاعِدَكُمْ تُصَفِّقُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَقَدْ وَلَّوُا الْأَدْبَارَ. |
| وَاسْتَوْسَقُوا أَهْلُ الْبَصْرَةِ لِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَبَعَثَ عُمَّالَهُ عَلَى الْأَهْوَازِ وَفَارِسَ وَكَرْمَانَ ، وَبَعَثَ إِلَى خُرَاسَانَ مُدْرِكَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، وَعَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نُعَيْمٍ ، فَقَالَ لِأَهْلِهَا هَذَا مُدْرِكٌ قَدْ أَتَاكُمْ لِيُلْقِيَ بَيْنَكُمُ الْحَرْبَ وَأَنْتُمْ فِي بِلَادِ عَافِيَةٍ وَطَاعَةٍ ، فَسَارَ بَنُو تَمِيمٍ لِيَمْنَعُوهُ ، وَبَلَغَ الْأَزْدَ بِخُرَاسَانَ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ نَحْوُ أَلْفَيْ فَارِسٍ ، فَلَقُوا مُدْرِكًا عَلَى رَأْسِ الْمَفَازَةِ ، فَقَالُوا لَهُ إِنَّكَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْنَا ، وَقَدْ خَرَجَ أَخُوكَ ، فَإِنْ يَظْهَرْ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لَنَا ، وَنَحْنُ أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَيْكُمْ وَأَحَقُّهُ بِذَلِكَ ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى ، فَمَا لَكَ فِي أَنْ تُغَشِّيَنَا الْبَلَاءَ رَاحَةً. |
| فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا اسْتَجْمَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ لِيَزِيدَ خَطْبَهُمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ ، وَيَزْعُمُ أَنَّ جِهَادَ أَهْلِ الشَّامِ أَعْظَمُ ثَوَابًا مِنْ جِهَادِ التُّرْكِ وَالدَّيْلَمِ. |
| وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَسْمَعُ ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ يَقُولُ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَاكَ وَالِيًا وَمُولًى عَلَيْكَ ، فَمَا يَنْبَغِي لَكَ ذَلِكَ. |
| وَوَثَبَ أَصْحَابُهُ فَأَخَذُوا بِفَمِهِ وَأَجْلَسُوهُ ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَعَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ النَّضْرُ بْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ يَا عِبَادَ اللَّهِ مَا تَنْقِمُونَ مِنْ أَنْ تُجِيبُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا ذَلِكَ وَلَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْذُ وُلِدْتُمْ إِلَّا هَذِهِ الْأَيَّامَ مِنْ إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. |
| فَقَالَ الْحَسَنُ وَالنَّضْرُ أَيْضًا قَدْ شَهِدَ. |
| وَمَرَّ الْحَسَنُ بِالنَّاسِ وَقَدْ نَصَبُوا الرَّايَاتِ ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَ يَزِيدَ ، وَهُمْ يَقُولُونَ تَدْعُونَا إِلَى سُنَّةِ الْعُمَرَيْنِ. |
| فَقَالَ الْحَسَنُ كَانَ يَزِيدُ بِالْأَمْسِ يَضْرِبُ أَعْنَاقَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَوْنَ ، ثُمَّ يُرْسِلُهَا إِلَى بَنِي مَرْوَانَ يُرِيدُ رِضَاهُمْ ، فَلَمَّا غَضِبَ نَصَبَ قَصَبًا ، ثُمَّ وَضَعَ عَلَيْهَا خِرَقًا ، ثُمَّ قَالَ إِنِّي قَدْ خَالَفْتُهُمْ فَخَالِفُوهُمْ. |
| قَالَ هَؤُلَاءِ نَعَمْ ، ثُمَّ قَالَ إِنِّي أَعْدُوهُمْ إِلَى سُنَّةِ الْعُمَرَيْنِ ، وَإِنَّ مِنْ سُنَّةِ الْعُمَرَيْنِ أَنْ يُوضَعَ فِي رِجْلِهِ قَيْدٌ ، ثُمَّ رُدَّ إِلَى مَحْبِسِهِ. |
| فَقَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ لَكَأَنَّكَ رَاضٍ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ ؟ |
| فَقَالَ أَنَا رَاضٍ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ ؟ |
| قَبَّحَهُمُ اللَّهُ وَبَرَّحَهُمْ! |
| أَلَيْسَ هُمُ الَّذِينَ أَحَلُّوا حَرَمَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقْتُلُونَ أَهْلَهُ ثَلَاثًا ؟ |
| قَدْ أَبَاحُوهَا لِأَنْبَاطِهِمْ وَأَقْبَاطِهِمْ ، يَحْمِلُونَ الْحَرَائِرَ ذَوَاتِ الدِّينِ ، لَا يَنْتَهُونَ عَنِ انْتِهَاكِ حُرْمَةٍ ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى مَالِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، فَهَدَمُوا الْكَعْبَةَ ، وَأَوْقَدُوا النِّيرَانَ بَيْنَ أَحْجَارِهَا وَأَسْتَارِهَا ، عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَسُوءُ الدَّارِ. |
| ثُمَّ إِنَّ يَزِيدَ سَارَ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَخَاهُ مَرْوَانَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، وَأَتَى وَاسِطًا ، وَكَانَ قَدِ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ حِينَ تَوَجَّهَ نَحْوَ وَاسِطَ ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ حَبِيبٌ وَغَيْرُهُ نَرَى أَنْ نَخْرُجَ وَنَنْزِلَ بِفَارِسَ ، فَنَأْخُذَ بِالشِّعَابِ وَالْعِقَابِ ، وَنَدْنُو مِنْ خُرَاسَانَ ، وَنُطَاوِلُ أَهْلَ الشَّامِ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْجِبَالِ يَأْتُونَ إِلَيْكَ ، وَفِي يَدِكَ الْقِلَاعُ وَالْحُصُونُ. |
| فَقَالَ لَيْسَ هَذَا بِرَأْيٍ ، تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُونِي طَائِرًا عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ. |
| فَقَالَ حَبِيبٌ إِنَّ الرَّأْيَ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ الْأَمْرِ قَدْ فَاتَ ، قَدْ أَمَرْتُكَ حَيْثُ ظَهَرْتَ عَلَى الْبَصْرَةِ أَنْ تُوَجِّهَ خَيْلًا عَلَيْهَا بَعْضُ أَهْلِكَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَإِنَّمَا بِهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ ، مَرَرْتَ بِهِ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا فَعَجَزَ عَنْكَ ، فَهُوَ عَنْ خَيْلِكَ أَعْجَزُ ، فَسَبَقَ إِلَيْهَا أَهْلُ الشَّامِ ، وَأَكْثَرُ أَهْلِهَا يَرَوْنَ رَأْيَكَ ، وَلَأَنْ تَلِيَ عَلَيْهِمْ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَلِيَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الشَّامِ ، فَلَمْ تُطِعْنِي ، وَأَنَا أُشِيرُ الْآنَ بِرَأْيٍ ، سَرِّحْ مَعَ بَعْضِ أَهْلِكَ خَيْلًا كَثِيرَةً مِنْ خَيْلِكَ ، فَتَأْتِيَ الْجَزِيرَةَ وَتُبَادِرَ إِلَيْهَا حَتَّى يَنْزِلُوا حِصْنًا مِنْ حُصُونِهِمْ ، وَتَسِيرَ فِي أَثَرِهِمْ ، فَإِذَا أَقْبَلَ أَهْلُ الشَّامِ يُرِيدُونَكَ ، لَمْ يَدَعُوَا جُنْدَكَ بِالْجَزِيرَةِ يُقْبِلُونَ إِلَيْكَ فَيُقِيمُونَ عَلَيْهِمْ ، فَيَحْبِسُونَهُمْ عَنْكَ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ ، وَيَأْتِيَكَ مَنْ بِالْمَوْصِلِ مِنْ قَوْمِكَ ، وَيَنْفَضَّ إِلَيْكَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الثُّغُورِ ، وَتَقَاتِلُهُمْ فِي أَرْضٍ رَخِيصَةِ السِّعْرِ ، وَقَدْ جَعَلْتَ الْعِرَاقَ كُلَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ. |
| قَالَ أَكْرَهُ أَنْ أُقَطِّعَ جَيْشِي. |
| فَلَمَّا نَزَلَ وَاسِطًا أَقَامَ بِهَا أَيَّامًا يَسِيرَةً ، وَخَرَجَتِ السَّنَةُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ حَجَّ بِالنَّاسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَ عَامِلَ الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ، وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ الْحَمِيدِ ، وَعَلَى قَضَائِهَا الشَّعْبِيُّ ، وَكَانَتِ الْبَصْرَةُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا ابْنُ الْمُهَلَّبِ. |
| وَكَانَ عَلَى خُرَاسَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نُعَيْمٍ. |
| وَفِيهَا عُزِلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَاسْتُعْمِلَ مَكَانَهُ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ كَاتِبُ الْحَجَّاجِ ، فَبَقِيَ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ قُتِلَ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| الوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَلَاثٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ ، وَقِيلَ سَبْعٍ وَمِائَةٍ ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَمَّارُ بْنُ جَبْرٍ ، وَقِيلَ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو صَالِحٍ ذَكْوَانُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَامِرُ بْنُ أُكَيْمَةَ اللَّيْثِيُّ. |
| وَأَبُو صَالِحٍ السَّمَّانُ ، وَقِيلَ لَهُ الزَّيَّاتُ أَيْضًا لِأَنَّهُ كَانَ يَبِيعُهُمَا. |
| وَأَبُو عَمْرٍو سَعِيدُ بْنُ إِيَاسٍ الشَّيْبَانِيُّ ، وَكَانَ عُمُرُهُ سَبْعًا وَعِشْرِينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ ، وَلَيْسَتْ لَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِي خِلَافَةِ عُمَرَ تُوُفِّيَ عُبَيْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ أَبُو الْقَاسِمِ الْعَامِرِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَمِائَةٍ ذِكْرُ مَقْتَلِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ثُمَّ إِنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ سَارَ عَنْ وَاسِطَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا ابْنَهُ مُعَاوِيَةَ وَجَعَلَ عِنْدَهُ بَيْتَ الْمَالِ وَالْأُسَرَاءِ ، وَسَارَ عَلَى فَمِ النِّيلِ حَتَّى نَزَلَ الْعَقْرَ ، وَقَدَّمَ أَخَاهُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ الْمُهَلَّبِ نَحْوَ الْكُوفَةِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بُسُورًا ، فَاقْتَتَلُوا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ حَمْلَةً كَشَفُوهُمْ فِيهَا ، وَمَعَهُمْ نَاسٌ مِنْ تَمِيمٍ وَقَيْسٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَنَادَوْا يَا أَهْلَ الشَّامِ! |
| اللَّهَ اللَّهَ أَنْ تُسْلِمُونَا! |
| وَقَدِ اضْطَرَّهُمْ أَصْحَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى النَّهْرِ. |
| فَقَالَ أَهْلُ الشَّامِ لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ ، إِنَّ لَنَا جَوْلَةً فِي أَوَّلِ الْقِتَالِ ، ثُمَّ كَرُّوا عَلَيْهِمْ فَانْكَشَفَ أَصْحَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَانْهَزَمُوا وَعَادُوا إِلَى يَزِيدَ. |
| وَأَقْبَلَ مَسْلَمَةُ يَسِيرُ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَعَقَدَ عَلَيْهَا الْجِسْرَ ، فَعَبَرَ وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى ابْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَأَتَى إِلَى ابْنِ الْمُهَلَّبِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ كَثِيرٌ ، وَمِنَ الثُّغُورِ ، فَبَعَثَ عَلَى مَنْ خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَرُبُعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سُفْيَانَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْمُغَفَّلِ الْأَزْدِيَّ ، وَعَلَى رُبُعِ مَذْحِجٍ وَأَسَدٍ النُّعْمَانَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ ، وَعَلَى كِنْدَةَ وَرَبِيعَةَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَعَلَى تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ حَنْظَلَةَ بْنَ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ التَّمِيمِيَّ ، وَجَمَعَهُمْ جَمِيعًا مَعَ الْمُفَضَّلِ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَأَحْصَى دِيوَانَ ابْنِ الْمُهَلَّبِ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا ، فَقَالَ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِهِمْ مَنْ بِخُرَاسَانَ مِنْ قَوْمِي ، ثُمَّ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَحَرَّضَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ. |
| وَكَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَدْ عَسْكَرَ بِالنُّخَيْلَةِ ، وَشَقَّ الْمِيَاهَ ، وَجَعَلَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ الْأَرْصَادَ لِئَلَّا يَخْرُجُوا إِلَى ابْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى مَسْلَمَةَ مَعَ سَبْرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ ، وَبَعَثَ مَسْلَمَةُ فَعَزَلَ عَبْدَ الْحَمِيدِ عَنِ الْكُوفَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ ، وَهُوَ ذُو الشَّامَةِ. |
| فَجَمَعَ يَزِيدُ رُءُوسَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَجْمَعَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا فَأَبْعَثُهُمْ مَعَ أَخِي مُحَمَّدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ حَتَّى يُبَيِّتُوا مَسْلَمَةَ ، وَيَحْمِلُوا مَعَهُمُ الْبَرَاذِعَ وَالْأُكُفَ وَالزُّبْلَ لِدَفْنِ خَنْدَقِهِمْ ، فَيُقَاتِلُهُمْ عَلَى خَنْدَقِهِمْ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِ ، وَأُمِدَّهُ بِالرِّجَالِ حَتَّى أُصْبِحَ ، فَإِذَا أَصْبَحْتُ نَهَضْتُ إِلَيْهِمْ فِي النَّاسِ فَأُنَاجِزُهُمْ ، فَإِنِّي أَرْجُو عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَنْصُرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ السَّمَيْدَعُ إِنَّا قَدْ دَعَوْنَاهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ قَبِلُوا هَذَا مِنَّا ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَمْكُرَ وَلَا نَغْدُرَ حَتَّى يَرُدُّوا عَلَيْنَا مَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ قَابِلُوهُ مِنَّا . |
| وَقَالَ أَبُو رُؤْبَةَ ، وَهُوَ رَأْسُ الطَّائِفَةِ الْمُرْجِئَةِ ، وَمَعَهُ أَصْحَابٌ لَهُ صَدَقَ ، هَكَذَا يَنْبَغِي. |
| فَقَالَ يَزِيدُ وَيْحَكُمُ! |
| أَتُصَدِّقُونَ بَنِي أُمَيَّةَ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَقَدْ ضَيَّعُوا ذَلِكَ مُنْذُ كَانُوا ؟ |
| إِنَّهُمْ يُخَادِعُونَكُمْ لِيَمْكُرُوا بِكُمْ فَلَا يَسْبِقُوكُمْ إِلَيْهِ ، إِنِّي لَقِيتُ بَنِي مَرْوَانَ ، فَمَا لَقِيتُ مِنْهُمْ أَمْكَرَ وَلَا أَبْعَدَ غَدْرًا مِنْ هَذِهِ الْجَرَادَةِ الصَّفْرَاءِ ، يَعْنِي مَسْلَمَةَ. |
| قَالُوا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يَرُدُّوا عَلَيْنَا مَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ قَابِلُوهُ مِنَّا. |
| وَكَانَ مَرْوَانُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بِالْبَصْرَةِ يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى حَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يُثَبِّطُهُمْ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مَرْوَانَ ، قَامَ فِي النَّاسِ يَأْمُرُهُمْ بِالْجِدِّ وَالِاحْتِشَادِ ، ثُمَّ قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ هَذَا الشَّيْخَ الضَّالَّ الْمُرَائِيَ ، وَلَمْ يُسَمِّهِ ، يُثَبِّطُ النَّاسَ ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ جَارَهُ نَزَعَ مِنْ خُصِّ دَارِهِ قَصَبَةً لَظَلَّ يَرْعُفُ أَنْفُهُ! |
| وَايْمُ اللَّهِ لَيَكُفَّنَّ عَنْ ذِكْرِنَا وَعَنْ جَمْعِهِ إِلَيْهِ ، سُقَّاطَ الْأُبُلَّةِ وَعُلُوجَ فُرَاتِ الْبَصْرَةِ ، أَوْ لَأُنْحِيَنَّ عَلَيْهِ مِبْرَدًا خَشِنًا. |
| فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ ، قَالَ وَاللَّهِ مَا أَكْرَهُ أَنْ يُكْرِمَنِي اللَّهُ بِهَوَانِهِ. |
| فَقَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ لَوْ أَرَادَكَ ثُمَّ شِئْتَ لَمَنَعْنَاكَ. |
| فَقَالَ لَهُمْ فَقَدْ خَالَفْتُكُمْ إِذًا إِلَى مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، آمُرُكُمْ أَنْ لَا يَقْتُلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مَعَ غَيْرِي ، وَآمُرُكُمْ أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا دُونِي! |
| فَبَلَغَ ذَلِكَ مَرْوَانَ ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ وَطَلَبَهُمْ وَتَفَرَّقُوا ، وَكَفَّ عَنِ الْحَسَنِ. |
| وَكَانَ اجْتِمَاعُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَمَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ صَفَرٍ بَعَثَ مَسْلَمَةُ إِلَى الْوَضَّاحِ أَنْ يَخْرُجَ بِالسُّفُنِ حَتَّى يَحْرِقَ الْجِسْرَ ، فَفَعَلَ ، وَخَرَجَ مَسْلَمَةُ ، فَعَبَّأَ جُنُودَ أَهْلِ الشَّامِ ، ثُمَّ قَرُبَ مِنَ ابْنِ الْمُهَلَّبِ وَجَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ جَبَلَةَ بْنَ مَخْرَمَةَ الْكِنْدِيَّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ الْهُذَيْلَ بْنَ زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ الْكِلَابِيَّ ، وَجَعَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى مَيْمَنَتِهِ سَيْفَ بْنَ هَانِئٍ الْهَمْدَانِيَّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ سُوِيدَ بْنَ الْقَعْقَاعِ التَّمِيمِيَّ ، وَكَانَ مَسْلَمَةُ عَلَى النَّاسِ. |
| وَخَرَجَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَقَدْ جَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ حَبِيبَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ الْمُفَضَّلَ بْنَ الْمُهَلَّبِ. |
| فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَدَعَا إِلَى الْمُبَارَزَةِ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، فَضَرَبَهُ مُحَمَّدٌ ، فَاتَّقَاهُ الرَّجُلُ بِيَدِهِ وَعَلَى كَفِّهِ كَفٌّ مِنْ حَدِيدٍ ، فَضَرَبَهُ مُحَمَّدٌ فَقَطَعَ الْكَفَّ الْحَدِيدَ ، وَأَسْرَعَ السَّيْفُ فِي كَفِّهِ وَاعْتَنَقَ فَرَسَهُ فَانْهَزَمَ. |
| فَلَمَّا دِنَّا الْوَضَّاحُ مِنَ الْجِسْرِ أَلْهَبَ فِيهِ النَّارَ ، فَسَطَعَ دُخَانُهُ ، وَقَدْ أَقْبَلَ النَّاسُ ، وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ ، وَلَمْ يَشْتَدِ الْقِتَالُ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الدُّخَانَ ، وَقِيلَ لَهُمْ أُحْرِقَ الْجِسْرُ ، انْهَزَمُوا ، فَقِيلَ لِيَزِيدَ قَدِ انْهَزَمَ النَّاسُ. |
| فَقَالَ مِمَّ انْهَزَمُوا ؟ |
| هَلْ كَانَ قِتَالٌ يُنْهَزَمُ مِنْ مِثْلِهِ ؟ |
| فَقِيلَ لَهُ قَالُوا أُحْرِقَ الْجِسْرُ فَلَمْ يَثْبُتْ أَحَدٌ. |
| فَقَالَ قَبَّحَهُمُ اللَّهُ! |
| بَقٌّ دُخِّنَ عَلَيْهِ فَطَارَ! |
| ثُمَّ خَرَجَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالَ اضْرِبُوا وُجُوهَ الْمُنْهَزِمِينَ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِمْ حَتَّى كَثُرُوا عَلَيْهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ أَمْثَالُ الْجِبَالِ ، فَقَالَ دَعَوْهُمْ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَجْمَعَنِي وَإِيَّاهُمْ مَكَانٌ أَبَدًا ، دَعُوهُمْ يَرْحَمْهُمُ اللَّهُ ، غَنَمٌ عَدَا فِي نَوَاحِيهَا الذِّئْبُ! |
| وَكَانَ يَزِيدُ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالْفِرَارِ ، وَكَانَ قَدْ أَتَاهُ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيُّ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ وَالِدِ مَرْوَانَ نَسَبٌ ، وَهُوَ بِوَاسِطَ ، فَقَالَ لَهُ إِنْ بَنِي مَرْوَانَ قَدْ بَادَ مُلْكُهُمْ ، فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَلِكَ فَاشْعُرْ. |
| فَقَالَ مَا شَعَرْتُ ، فَقَالَ ابْنُ الْحَكَمِ فَعِشْ مَلِكًا أَوْ مُتْ كَرِيمًا فَإِنْ تَمُتْ... |
| وَسَيْفُكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكِ تُعْذَرُ فَقَالَ أَمَّا هَذَا فَعَسَى. |
| فَلَمَّا رَأَى يَزِيدُ انْهِزَامَ أَصْحَابِهِ ، قَالَ يَا سَمَيْدَعُ أَرَأْيِي أَجْوَدُ أَمْ رَأْيُكَ ؟ |
| أَلَمْ أُعْلِمْكَ مَا يُرِيدُ الْقَوْمُ ؟ |
| قَالَ بَلَى ، فَنَزَلَ سَمَيْدَعُ وَنَزَلَ يَزِيدُ فِي أَصْحَابِهِمَا. |
| وَقِيلَ كَانَ عَلَى فَرَسٍ أَشْهَبَ فَأَتَاهُ آتٍ ، فَقَالَ إِنَّ أَخَاكَ حَبِيبًا قَدْ قُتِلَ. |
| فَقَالَ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ ، قَدْ كُنْتُ وَاللَّهِ أَبْغَضُ الْحَيَاةَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ ، وَقَدِ ازْدَدْتُ لَهَا بُغْضًا ، امْضُوا قُدُمًا. |
| فَعَلِمُوا أَنَّهُ قَدِ اسْتَقْتَلَ ، فَتَسَلَّلَ عَنْهُ مَنْ يَكْرَهُ الْقِتَالَ ، وَبَقِيَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ حَسَنَةٌ وَهُوَ يَتَقَدَّمُ ، فَكُلَّمَا مَرَّ بِخَيْلٍ كَشَفِهَا ، أَوْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَدَلُوا عَنْهُ ، وَأَقْبَلَ نَحْوَ مَسْلَمَةَ لَا يُرِيدُ غَيْرَهُ. |
| فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَدْنَى مَسْلَمَةُ فَرَسَهُ لِيَرْكَبَ ، فَعَطَفَ عَلَيْهِ خُيُولُ أَهْلِ الشَّامِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقُتِلَ يَزِيدُ وَالسَّمَيْدَعُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ. |
| وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ يُقَالُ لَهُ الْقَحْلُ بْنُ عَيَّاشٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى يَزِيدَ ، قَالَ هَذَا وَاللَّهِ يَزِيدُ! |
| وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّهُ أَوْ لَيَقْتُلَنِّي! |
| فَمَنْ يَحْمِلُ مَعِي يَكْفِينِي أَصْحَابَهُ ، حَتَّى أَصِلَ إِلَيْهِ ؟ |
| فَحَمَلَ مَعَهُ نَاسٌ ، فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً ، وَانْفَرَجَ الْفَرِيقَانِ عَنْ يَزِيدَ قَتِيلًا ، وَعَنِ الْقَحْلِ بِآخِرِ رَمَقِهِ ، فَأَوْمَأَ إِلَى أَصْحَابِهِ يُرِيهِمْ مَكَانَ يَزِيدَ ، وَأَنَّهُ هُوَ قَاتِلُهُ وَأَنَّ يَزِيدَ قَتَلَهُ. |
| وَأَتَى بِرَأْسِ يَزِيدَ مَوْلًى لِبَنِي مُرَّةَ ، فَقِيلَ لَهُ أَنْتَ قَتَلْتَهُ ؟ |
| قَالَ لَا ، فَلَمَّا أَتَى مَسْلَمَةَ سَيَّرَهُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ. |
| وَقِيلَ بَلْ قَتَلَهُ الْهُذَيْلُ بْنُ زُفَرَ بْنِ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ ، وَلَمْ يَنْزِلْ يَأْخُذُ رَأْسَهُ أَنَفَةً. |
| وَلَمَّا قُتِلَ يَزِيدُ كَانَ الْمُفَضَّلُ بْنُ الْمُهَلَّبِ يُقَاتِلُ أَهْلَ الشَّامِ ، وَمَا يَدْرِي بِقَتْلِ يَزِيدَ وَلَا بِهَزِيمَةِ النَّاسِ ، وَكَانَ كُلَّمَا حَمَلَ عَلَى النَّاسِ انْكَشَفُوا ، ثُمَّ يَحْمِلُ حَتَّى يُخَالِطَهُمْ ، وَكَانَ مَعَهُ عَامِرُ بْنُ الْعُمَيْثَلِ الْأَزْدِيُّ يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ وَيَقُولُ قَدْ عَلِمَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ الْمَوْلُودِ... |
| أَنِّي بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ رِعْدِيدْ فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً ، فَانْهَزَمَتْ رَبِيعَةُ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ الْمُفَضَّلُ يُنَادِيهِمْ يَا مَعْشَرَ رَبِيعَةَ الْكَرَّةَ الْكَرَّةَ! |
| وَاللَّهِ مَا كُنْتُمْ بِكُشْفٍ وَلَا لِئَامٍ ، وَلَا لَكُمْ هَذِهِ بِعَادَةٍ ، فَلَا يُؤْتَيَّنَ أَهْلُ الْعِرَاقِ مِنْ قِبَلِكُمْ ، فَدَتْكُمْ نَفْسِي! |
| فَرَجَعُوا إِلَيْهِ يُرِيدُونَ الْحَمْلَةَ ، فَأُتِي ، وَقِيلَ لَهُ مَا تَصَنَعُ هَاهُنَا وَقَدْ قُتِلَ يَزِيدُ وَحَبِيبٌ وَمُحَمَّدٌ ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ مُنْذُ طَوِيلٍ ؟ |
| فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ ، وَمَضَى الْمُفَضَّلُ إِلَى وَاسِطَ ، فَمَا كَانَ مِنَ الْعَرَبِ أَضْرَبُ بِسَيْفِهِ ، وَلَا أَحْسَنُ تَعْبِيَةً لِلْحَرْبِ ، وَلَا أَغْشَى لِلنَّاسِ مِنْهُ. |
| وَقِيلَ بَلْ أَتَاهُ أَخُوهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَيَسْتَقْتِلَ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْأَمِيرَ قَدِ انْحَدَرَ إِلَى وَاسِطَ. |
| فَانْحَدَرَ الْمُفَضَّلُ بِمَنْ بَقِيَ مِنْ وَلِدِ الْمُهَلَّبِ إِلَى وَاسِطَ ، فَلَمَّا عَلِمَ بِقَتْلِ يَزِيدَ حَلَفَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُ عَبْدَ الْمَلِكِ أَبَدًا ، فَمَا كَلَّمَهُ حَتَّى قُتِلَ بِقَنْدَابِيلَ. |
| وَكَانَتْ عَيْنُهُ أُصِيبَتْ فِي الْحَرْبِ ، فَقَالَ فَضَحَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ ، مَا عُذْرِي إِذَا رَآنِي النَّاسُ ، فَقَالُوا شَيْخٌ أَعْوَرُ مَهْزُومٌ! |
| أَلَا صَدَقَنِي فَقُتِلْتُ ؟ |
| ثُمَّ قَالَ وَلَا خَيْرَ فِي طَعْنِ الصَّنَادِيدِ بِالْقَنَا... |
| وَلَا فِي لِقَاءِ الْحَرْبِ بَعْدَ يَزِيدِ فَلَمَّا فَارَقَ الْمُفَضَّلُ الْمَعْرَكَةَ ، جَاءَ عَسْكَرُ الشَّامِ إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ ، فَقَاتَلَهُمْ أَبُو رُؤْبَةَ صَاحِبُ الْمُرْجِئَةِ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ، وَأَسَرَ مَسْلَمَةُ نَحْوَ ثَلَاثَمِائَةِ أَسِيرٍ ، فَسَرَّحَهُمْ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَحُبِسُوا بِهَا ، فَجَاءَ كِتَابُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْوَلِيدِ يَأْمُرُهُ بِضَرْبِ رِقَابِ الْأَسْرَى ، فَأَمَرَ الْعُرْيَانَ بْنَ الْهَيْثَمِ ، وَكَانَ عَلَى شُرْطَتِهِ ، أَنْ يُخْرِجَهُمْ عِشْرِينَ عِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ ثَلَاثِينَ ، فَقَامَ نَحْوُ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ تَمِيمٍ فَقَالُوا نَحْنُ انْهَزَمْنَا بِالنَّاسِ ، فَابْدَءُوا بِنَا قَبْلَ النَّاسِ. |
| فَأَخْرَجَهُمُ الْعُرْيَانُ ، فَضَرَبَ رِقَابَهُمْ ، وَهُمْ يَقُولُونَ انْهَزَمْنَا بِالنَّاسِ ، فَكَانَ هَذَا جَزَاءُنَا. |
| فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْهُمْ ، جَاءَ رَسُولٌ بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ مَسْلَمَةَ يَأْمُرُهُ بِتَرْكِ قَتْلِ الْأَسْرَى. |
| وَأَقْبَلَ مَسْلَمَةُ حَتَّى نَزَلَ الْحِيرَةَ. |
| وَلَمَّا أَتَتْ هَزِيمَةُ يَزِيدَ إِلَى وَاسِطَ أَخْرَجَ ابْنُهُ مُعَاوِيَةُ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ أَسِيرًا كَانُوا عِنْدَهُ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ ، مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ ، وَمَالِكٌ وَعَبْدُ الْمَلِكِ ابْنَا مِسْمَعٍ ، وَغَيْرُهُمَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى الْبَصْرَةَ وَمَعَهُ الْمَالُ وَالْخَزَائِنُ ، وَجَاءَ الْمُفَضَّلُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْمُهَلَّبِ بِالْبَصْرَةِ فَأَعَدُّوا السُّفُنَ وَتَجَهَّزُوا لِلرُّكُوبِ فِي الْبَحْرِ. |
| وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بَعَثَ وَدَّاعَ بْنَ حُمَيْدٍ الْأَزْدِيَّ عَلَى قَنْدَابِيلَ أَمِيرًا ، وَقَالَ لَهُ إِنِّي سَائِرٌ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ وَلَوْ قَدْ لَقِيتُهُمْ لَمْ أَبْرَحِ الْعَرْصَةَ حَتَّى يَكُونَ لِي أَوْ لَهُمْ ، فَإِنْ ظَفِرْتُ أَكْرَمْتُكَ ، وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى كُنْتَ بِقَنْدَابِيلَ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْكَ أَهْلُ بَيْتِي فَيَتَحَصَّنُوا بِهَا حَتَّى يَأْخُذُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَمَانًا ، وَقَدِ اخْتَرْتُكَ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ قَوْمِي ، فَكُنْ عِنْدَ أَحْسَنِ ظَنِّي. |
| وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعُهُودَ لَيُنَاصِحَنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ إِنْ هُمْ لَجَأُوا إِلَيْهِ. |
| فَلَمَّا اجْتَمَعَ آلُ الْمُهَلَّبِ بِالْبَصْرَةِ حَمَلُوا عِيَالَاتِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي السُّفُنِ الْبَحْرِيَّةِ ، ثُمَّ لَجَّجُوا فِي الْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِحِيَالِ كَرْمَانَ خَرَجُوا مِنْ سُفُنِهِمْ ، وَحَمَلُوا عِيَالَاتِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ عَلَى الدَّوَابِّ ، وَكَانَ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمُ الْمُفَضَّلَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، وَكَانَ بِكَرْمَانَ فُلُولٌ كَثِيرَةٌ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَى الْمُفَضَّلِ ، وَبَعَثَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مُدْرِكَ بْنَ ضَبٍّ الْكَلْبِيَّ فِي طَلَبِهِمْ وَفِي أَثَرِ الْفَلِّ ، فَأَدْرَكَ مُدْرِكٌ الْمُفَضَّلَ ، وَمَعَهُ الْفُلُولُ فِي عَقَبَةٍ ، فَعَطَفُوا عَلَيْهِ فَقَاتَلُوهُ ، وَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ إِيَّاهُ ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُفَضَّلِ النُّعْمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَأُخِذَ ابْنُ صُولٍ مَلِكُ قُهِسْتَانَ أَسِيرًا ، وَجُرِحَ عُثْمَانُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَهَرَبَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى حُلْوَانَ ، فَدُلَّ عَلَيْهِ ، فَقُتِلَ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى مَسْلَمَةَ بِالْحِيرَةِ. |
| وَرَجَعَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْمُهَلَّبِ ، فَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأُومِنُوا ، مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ ، وَالْوَرْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ السَّعْدِيُّ التَّمِيمِيُّ. |
| وَمَضَى آلُ الْمُهَلَّبِ وَمَنْ مَعَهُمْ إِلَى قَنْدَابِيلَ ، وَبَعَثَ مَسْلَمَةُ إِلَى مُدْرِكِ بْنِ ضَبٍّ فَرَدَّهُ وَسَيَّرَ فِي أَثَرِهِمْ هِلَالَ بْنَ أَحْوَزَ التَّمِيمِيَّ ، فَلَحِقَهُمْ بِقَنْدَابِيلَ ، فَأَرَادَ أَهْلُ الْمُهَلَّبِ دُخُولَهَا ، فَمَنَعَهُمْ وَدَّاعُ بْنُ حُمَيْدٍ ، وَكَانَ هِلَالُ بْنُ أَحْوَزَ لَمْ يُبَايِنْ آلَ الْمُهَلَّبِ ، فَلَمَّا الْتَقَوْا كَانَ وَدَاعٌ عَلَى الْمَيْمَنَةِ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِلَالٍ عَلَى الْمَيْسَرَةِ ، وَكِلَاهُمَا أَزْدِيٌّ ، فَرَفَعَ هِلَالُ بْنُ أَحْوَزَ رَايَةَ أَمَانٍ ، فَمَالَ إِلَيْهِ وَدَّاعُ بْنُ حُمَيْدٍ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِلَالٍ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ آلِ الْمُهَلَّبِ. |
| فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مَرْوَانُ بْنُ الْمُهَلَّبِ أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى النِّسَاءِ فَيَقْتُلَهُنَّ ، لِئَلَّا يَصِرْنَ إِلَى أُولَئِكَ ، فَنَهَاهُ الْمُفَضَّلُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ إِنَّا لَا نَخَافُ عَلَيْهِنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ. |
| فَتَرَكَهُنَّ ، وَتَقَدَّمُوا بِأَسْيَافِهِمْ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى قُتِلُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ ، وَهُمْ الْمُفَضَّلُ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ ، وَزِيَادٌ ، وَمَرْوَانُ بَنُو الْمُهَلَّبِ ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَالْمِنْهَالُ بْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَعَمْرُو وَالْمُغَيَّرَةُ ابْنَا قَبِيصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَحُمِلَتْ رُءُوسُهُمْ ، وَفِي أُذُنِ كُلِّ وَاحِدٍ رُقْعَةٌ فِيهَا اسْمُهُ إِلَّا أَبَا عُيَيْنَةَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، وَعُمَرَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَعُثْمَانَ بْنَ الْمُفَضَّلِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، فَإِنَّهُمْ لَحِقُوا بِرُتْبِيلَ. |
| وَبَعَثَ هِلَالُ بْنُ أَحْوَزَ بِنِسَائِهِمْ وَرُءُوسِهِمْ وَالْأَسْرَى مِنْ آلِ الْمُهَلَّبِ إِلَى مَسْلَمَةَ بِالْحِيرَةِ ، فَبَعَثَهُمْ مَسْلَمَةُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَسَيَّرَهُمْ يَزِيدُ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ وَهُوَ عَلَى حَلَبَ ، فَنَصَبَ الرُّءُوسَ ، وَأَرَادَ مَسْلَمَةُ أَنْ يَبِيعَ الذُّرِّيَّةَ ، فَاشْتَرَاهُمْ مِنْهُ الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيُّ بِمِائَةِ أَلْفٍ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، وَلَمْ يَأْخُذْ مَسْلَمَةُ مِنَ الْجَرَّاحِ شَيْئًا. |
| وَلَمَّا بَلَغَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخَبَرُ بِقَتْلِ يَزِيدَ سَرَّهُ لِانْتِصَارِهِ ، وَلِمَا فِي نَفْسِهِ مِنْهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ . |
| وَكَانَ سَبَبُ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمَا أَنَّ ابْنَ الْمُهَلَّبِ خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ أَيَّامَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَدْ تَضَمَّخَ بِالْغَالِيَةِ ، فَاجْتَازَ بِيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَهُوَ إِلَى جَانِبِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ قَبَّحَ اللَّهُ الدُّنْيَا ، لَوَدِدْتُ أَنَّ مِثْقَالَ غَالِيَةٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَلَا يَنَالُهَا إِلَّا كُلُّ شَرِيفٍ. |
| فَسَمِعَ ابْنُ الْمُهَلَّبِ ، فَقَالَ لَهُ بَلْ وَدِدْتُ أَنَّ الْغَالِيَةَ كَانَتْ فِي جَبْهَةِ الْأَسَدِ ، فَلَا يَنَالُهَا إِلَّا مِثْلِي. |
| فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَاللَّهِ لَئِنْ وُلِّيتُ يَوْمًا لَأَقْتُلَنَّكَ. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُهَلَّبِ وَاللَّهِ لَئِنْ وُلِّيتَ هَذَا الْأَمْرَ وَأَنَا حَيٌّ لَأَضْرِبَنَّ وَجْهَكَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَيْفٍ ، فَهَذَا كَانَ سَبَبُ الْبُغْضِ بَيْنَهُمَا ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. |
| وَأَمَّا الْأَسْرَى فَكَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَلَمَّا قَدِمَ بِهِمْ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعِنْدَهُ كُثَيِّرُ عَزَّةَ ، فَأَنْشَدَ حَلِيمٌ إِذَا مَا نَالَ عَاقَبَ مُجْمِلًا... |
| أَشَدَّ الْعِقَابِ أَوْ عَفَا لَمْ يُثَرِّبِ فَعَفْوًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحِسْبَةً... |
| فَمَا تَأْتِهِ مِنْ صَالِحٍ لَكَ يُكْتَبِ أَسَاءُوا فَإِنْ تَصَفَحْ فَإِنَّكَ قَادِرٌ... |
| وَأَفْضَلُ حِلْمٍ حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ قَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ هَيْهَاتَ يَا أَبَا صَخْرٍ! |
| طَفَّ بِكَ الرَّحِمُ لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، أَفَادَنِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمِ الْخَبِيثَةِ. |
| ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ ، فَقُتِلُوا ، وَبَقِيَ غُلَامٌ صَغِيرٌ ، فَقَالَ اقْتُلُونِي ، فَمَا أَنَا بِصَغِيرٍ. |
| فَقَالَ انْظُرُوا أَنْبَتَ. |
| فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي ، فَقَدِ احْتَلَمْتُ ، وَوَطِئْتُ النِّسَاءَ. |
| فَأَمَرَ بِهِ يَزِيدُ فَقُتِلَ. |
| وَأَسْمَاءُ الْأَسْرَى الَّذِينَ قُتِلُوا الْمُعَارِكُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَالْمُغِيرَةُ ، وَالْمُفَضَّلُ ، وَمِنْجَابُ أَوْلَادُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَدُرَيْدٌ ، وَالْحَجَّاجٌ ، وَغَسَّانٌ ، وَشَبِيبٌ ، وَالْفَضْلُ أَوْلَادُ الْمُفَضَّلِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَالْمُفَضَّلُ بْنُ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ. |
| وَقَالَ ثَابِتُ قُطْنَةَ يَرْثِي يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ أَبَى طُولُ هَذَا اللَّيْلِ أَنْ يَتَصَرَّمَا... |
| وَهَاجَ لَكَ الْهَمُّ الْفُؤَادَ الْمُتَيَّمَا أَرِقْتُ وَلَمْ تَأْرَقْ مَعِي أُمُّ خَالِدٍ... |
| وَقَدْ أَرِقَتْ عَيْنَايَ حَوْلًا مُجَرَّمَا عَلَى هَالِكٍ هَدَّ الْعَشِيرَةَ فَقْدُهُ... |
| دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ وَسَلَّمَا عَلَى مَلِكٍ بِالْعَقْرِ يَا صَاحِ جُبِّنَتْ كَتَائِبُهُ وَاسْتَوْرَدَ الْمَوْتَ مُعْلِمَا... |
| أُصِيبَ وَلَمْ أَشْهَدْ وَلَوْ كُنْتُ شَاهِدًا لَسَلَّبْتُ إِنْ لَمْ يَجْمَعِ الْحَيُّ مَأْتَمَا... |
| وَفِي غِيَرِ الْأَيَّامِ يَا هِنْدُ فَاعْلَمِي لِطَالِبِ وِتْرٍ نَظْرَةٌ إِنْ تَلَوَّمَا... |
| فَعَلِّيَ إِنْ مَالَتْ بِيَ الرِّيحُ مَيْلَةً عَلَى ابْنِ أَبِي ذِبَّانَ أَنْ يَتَنَدَّمَا... |
| أَمَسْلَمَ إِنْ تَقْدِرْ عَلَيْكَ رِمَاحُنَا نُذِقْكَ بِهَا قَيْءَ الْأَسَاوِدِ مُسْلَمَا... |
| وَإِنْ نَلْقَ لِلْعَبَّاسِ فِي الدَّهْرِ عَثْرَةً نُكَافِئُهُ بِالْيَوْمِ الَّذِي كَانَ قَدَّمَا... |
| قِصَاصًا وَلَمْ نَعْدُ الَّذِي كَانَ قَدْ أَتَى إِلَيْنَا وَإِنْ كَانَ ابْنُ مَرْوَانَ أَظْلَمَا... |
| سَتَعْلَمُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ النَّعْلُ زَلَّةً وَأَظْهَرَ أَقْوَامٌ حَيَاءً مُجَمْجَمَا... |
| مَنِ الظَّالِمُ الْجَانِي عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ إِذَا أُحْضِرَتْ أَسْبَابُ أَمْرٍ وَأُبْهِمَا... |
| وَإِنَّا لَعَطَّافُونَ بِالْحِلْمِ بَعْدَمَا نَرَى الْجَهْلَ مِنْ فَرْطِ اللَّئِيمِ تَكَرُّمَا... |
| وَإِنَّا لَحَلَّالُونَ بِالثَّغْرِ لَا نَرَى بِهِ سَاكِنًا إِلَّا الْخَمِيسَ الْعَرَمْرَمَا... |
| نَرَى أَنَّ لِلْجِيرَانِ حَقًّا وَذِمَّةً إِذَا النَّاسُ لَمْ يَرْعَوْا لِذِي الْجَارِ مَحْرَمَا... |
| وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمَعِ الذُّرَى إِذَا كَانَ رَفْدُ الرَّافِدِينَ تَجَشُّمَا وَلَهُ فِيهِ مَرْثِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ. |
| وَأَمَّا أَبُو عُيَيْنَةَ بْنُ الْمُهَلَّبِ فَأَرْسَلَتْ هِنْدُ بِنْتُ الْمُهَلَّبِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي أَمَانِهِ ، فَآمَنَهُ ، وَبَقِيَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ حَتَّى وَلِيَ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ خُرَاسَانَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا بِأَمَانِهِمَا ، فَقَدِمَا خُرَاسَانَ. |
| قُطْنَةُ بِالنُّونِ ، وَهُوَ ثَابِتُ بْنُ كَعْبِ بْنِ جَابِرٍ الْعَتَكِيُّ الْأَزْدِيُّ ، أُصِيبَتْ عَيْنُهُ بِخُرَاسَانَ ، فَجَعَلَ عَلَيْهَا قُطْنَةً فَعُرِفَ بِذَلِكَ ، وَهُوَ يَشْتَبِهُ بِثَابِتِ بْنِ قُطْبَةَ ، بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَهُوَ خُزَاعِيٌّ وَذَاكَ عَتَكِيٌّ . |
| ذِكْرُ اسْتِعْمَالِ مَسْلَمَةَ عَلَى الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَلَمَّا فَرَغَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ حَرْبِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ جَمَعَ لَهُ أَخُوهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وِلَايَةَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَخُرَاسَانَ ، فَأَقَرَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَكَانَ قَدْ قَامَ بِأَمْرِ الْبَصْرَةِ بَعْدَ آلِ الْمُهَلَّبِ شَبِيبُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ ، فَبَعَثَ عَلَيْهَا مَسْلَمَةُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُلَيْمَانَ الْكَلْبِيَّ ، وَعَلَى شُرْطَتِهَا وَأَحْدَاثِهَا عَمْرَو بْنَ يَزِيدَ التَّمِيمِيَّ ، فَأَرَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنْ يَسْتَعْرِضَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ فَيَقْتُلَهُمْ ، فَنَهَاهُ عَمْرٌو وَاسْتَمْهَلَهُ عَشَرَةَ أَيَّامٍ وَكَتَبَ إِلَى مَسْلَمَةَ بِالْخَبَرِ ، فَعَزَلَهُ وَوَلَّى الْبَصْرَةَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَأَقَرَّ عَمْرَو بْنَ يَزِيدَ عَلَى الشُّرَطِ وَالْأَحْدَاثِ. |
| ذِكْرُ اسْتِعْمَالِ سَعِيدِ خُذَيْنَةَ عَلَى خُرَاسَانَ لِمَسْلَمَةَ اسْتَعْمَلَ مَسْلَمَةُ عَلَى خُرَاسَانَ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سَعِيدُ خُذَيْنَةَ ، وَإِنَّمَا لُقِّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا لَيِّنًا مُتَنَعِّمًا ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَلِكُ أَبْغَرَ وَسَعِيدٌ فِي ثِيَابٍ مُصَبَّغَةٍ ، وَحَوْلَهُ مَرَافِقُ مُصَبَّغَةٌ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قَالُوا كَيْفَ رَأَيْتَ الْأَمِيرَ ؟ |
| قَالَ خُذَيْنَةَ ، فَلُقِّبَ خُذَيْنَةَ ، وَخُذَيْنَةُ هِيَ الدِّهْقَانَةُ رَبَّةُ الْبَيْتِ. |
| وَكَانَ سَعِيدٌ تَزَوَّجَ ابْنَةَ مَسْلَمَةَ ، فَلِهَذَا اسْتَعْمَلَهُ عَلَى خُرَاسَانَ. |
| فَلَمَّا اسْتَعْمَلَ مَسْلَمَةُ سَعِيدًا عَلَى خُرَاسَانَ ، سَارَ إِلَيْهَا ، فَاسْتَعْمَلَ شُعْبَةَ بْنَ ظُهَيْرٍ النَّهْشَلِيَّ عَلَى سَمَرْقَنْدَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَقَدِمَ الصُّغْدَ ، وَكَانَ أَهْلُهَا كَفَرُوا فِي وِلَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نُعَيْمٍ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى الصُّلْحِ ، فَخَطَبَ شُعْبَةُ أَهْلَ الصُّغْدِ ، وَوَبَّخَ سُكَّانَهَا مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ بِالْجُبْنِ ، وَقَالَ مَا أَرَى فِيكُمْ جَرِيحًا ، وَلَا أَسْمَعُ أَنَّةً. |
| فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ بِأَنْ جَبَّنُوا أَمِيرَهُمْ عِلْبَاءَ بْنَ حَبِيبٍ الْعَبْدِيَّ. |
| وَأَخَذَ سَعِيدٌ عُمَّالَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِينَ وُلُّوا أَيَّامَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَحَبَسَهُمْ ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ ، ثُمَّ رُفِعَ إِلَى سَعِيدٍ أَنَّ جَهْمَ بْنَ زَحْرٍ الْجُعْفِيَّ ، وَعَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْحَجَّاجِ الزَّبِيدِيَّ ، وَالْمُنْتَجِعَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَزْدِيَّ ، وُلُّوا لِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فِي ثَمَانِيَةِ نَفَرٍ وَعِنْدَهُمْ أَمْوَالٌ قَدِ اخْتَانُوهَا مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ. |
| فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَحَبَسَهُمْ بِقُهُنْدُزِ مَرْوَ ، وَحَمَلَ جَهْمَ بْنَ زَحْرٍ عَلَى حِمَارٍ وَأَطَافَ بِهِ ، فَضَرَبَهُ مِائَتَيْ سَوْطٍ ، وَأَمَرَ بِهِ وَبِالثَّمَانِيَةِ الَّذِينَ حُبِسُوا مَعَهُ فَسُلِّمُوا إِلَى وَرْقَاءَ بْنِ نَصْرٍ الْبَاهِلِيِّ فَاسْتَعْفَاهُ ، فَأَعْفَاهُ ، فَسَلَّمَهُمْ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ دِثَارٍ ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ دِثَارٍ ، وَالزُّبَيْرِ بْنِ نَشِيطٍ مَوْلَى بَاهِلَةَ ، فَقَتَلُوا فِي الْعَذَابِ جَهْمَ بْنَ زَحْرٍ ، وَعَبْدَ الْعَزِيزِ ، وَالْمُنْتَجِعَ ، وَعَذَّبُوا الْقَعْقَاعَ وَقُومًا حَتَّى أَشْفَوْا عَلَى الْمَوْتِ ، فَلَمْ يَزَالُوا فِي السِّجْنِ حَتَّى غَزَاهُمُ التُّرْكُ وَالصُّغْدُ ، فَأَمَرَ سَعِيدٌ بِإِخْرَاجِهِمْ ، وَكَانَ يَقُولُ قَبَّحَ اللَّهُ الزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ قَتَلَ جَهْمًا! |
| ذِكْرُ الْبَيْعَةِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ لِهِشَامٍ وَالْوَلِيدِ لَمَّا وَجَّهَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجُيُوشَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْجَيْشِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخَاهُ ، وَالْعَبَّاسَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ ابْنُ أَخِيهِ ، قَالَا لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلُ غَدْرٍ وَإِرْجَافٍ ، وَقَدْ تَوَجَّهْنَا مُحَارِبِينَ وَالْحَوَادِثُ تَحْدُثُ ، وَلَا نَأْمَنُ أَنْ يَرْجُفَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَيَقُولُوا مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَيَفُتُّ ذَلِكَ فِي أَعَضَادِنَا ، فَلَوْ عَهِدْتَ عَهْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ لَكَانَ رَأْيًا صَوَابًا. |
| فَبَلَغَ ذَلِكَ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَتَى أَخَاهُ يَزِيدَ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَمِ ابْنُ أَخِيكَ ؟ |
| فَقَالَ بَلْ أَخِي. |
| فَقَالَ فَأَخُوكَ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ. |
| فَقَالَ يَزِيدُ إِذَا لَمْ تَكُنْ فِي وَلَدِي فَأَخِي أَحَقُّ بِهَا مِنِ ابْنِ أَخِي كَمَا ذَكَرْتَ. |
| قَالَ فَابْنُكَ لَمْ يَبْلُغْ فَبَايِعْ لِهِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ثُمَّ بَعْدَهُ لِابْنِكَ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ يَوْمَئِذٍ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً ، فَبَايَعَ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ لِهِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِيهِ ، وَبَعْدَهُ لِابْنِهِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، ثُمَّ عَاشَ يَزِيدُ حَتَّى بَلَغَ ابْنُهُ الْوَلِيدُ ، فَكَانَ إِذَا رَآهُ يَقُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ جَعَلَ هِشَامًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ التُّرْكِ لَمَّا وَلِيَ سَعِيدٌ خُرَاسَانَ اسْتَضْعَفَهُ النَّاسُ وَسَمَّوْهُ خُذَيْنَةَ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَعْمَلَ شُعْبَةَ عَلَى سَمَرْقَنْدَ ثُمَّ عَزَلَهُ ، فَطَمِعَتِ التُّرْكُ ، فَجَمَعَهُمْ خَاقَانُ وَوَجَّهَهُمْ إِلَى الصُّغْدِ ، وَعَلَى التُّرْكِ كُورْ صُولَ ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ. |
| وَقِيلَ أَرَادَ عَظِيمٌ مِنْ عُظَمَاءِ الدَّهَاقِينِ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَاهِلَةَ كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ ، فَأَبَتْ ، فَاسْتَجَاشَ ، وَرَجَوْا أَنْ يَسْبُوا مَنْ فِي الْقَصْرِ ، فَأَقْبَلَ كُورْ صُولَ حَتَّى حَصَرَ أَهْلَ الْقَصْرِ ، وَفِيهِ مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ بِذَرَارِيهِمْ ، وَكَانَ عَلَى سَمَرْقَنْدَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطَرِّفِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، قَدِ اسْتَعْمَلَهُ سَعِيدٌ بَعْدَ شُعْبَةَ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ ، وَخَافُوا أَنْ يُبْطِئَ عَنْهُمُ الْمُدَدُ فَصَالَحُوا التُّرْكَ عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَأَعْطَوْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا رَهِينَةً. |
| وَنَدَبَ عُثْمَانُ النَّاسَ ، فَانْتَدَبَ الْمُسَيَّبَ بْنَ بِشْرٍ الرِّيَاحَيَّ ، وَانْتَدَبَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ جَمِيعِ الْقَبَائِلِ ، وَفِيهِمْ شُعْبَةُ بْنُ ظُهَيْرٍ ، وَثَابِتُ قُطْنَةَ ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْفُرْسَانِ ، فَلَمَّا عَسْكَرُوا ، قَالَ لَهُمُ الْمُسَيَّبُ إِنَّكُمْ تُقْدِمُونَ عَلَى حَلْبَةِ التُّرْكِ عَلَيْهِمْ خَاقَانُ ، وَالْعِوَضُ إِنْ صَبَرْتُمُ الْجَنَّةُ ، وَالْعِقَابُ إِنْ فَرَرْتُمُ النَّارُ ، فَمَنْ أَرَادَ الْغَزْوَ وَالصَّبْرَ فَلْيُقْدِمْ ، فَرَجَعَ عَنْهُ أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةٍ ، فَلَمَّا سَارَ فَرْسَخًا رَجَعَ بِمِثْلِ مَقَالَتِهِ الْأُولَى ، فَاعْتَزَلَهُ أَلْفٌ ، ثُمَّ سَارَ فَرْسَخًا آخَرَ فَقَالَ لَهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَاعْتَزَلَهُ أَلْفٌ ، ثُمَّ سَارَ فَلَمَّا كَانَ عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْهُمْ نَزَلَ ، فَأَتَاهُمْ تُرْكُ خَاقَانَ مَلِكُ قِي فَقَالَ لَمْ يَبْقَ هَاهُنَا دِهْقَانٌ إِلَّا وَقَدْ بَايَعَ التُّرْكَ غَيْرِي ، وَأَنَا فِي ثَلَاثِمِائَةِ مُقَاتِلٍ ، فَهُمْ مَعَكَ ، وَعِنْدِي الْخَبَرُ قَدْ كَانُوا صَالَحُوهُمْ ، وَأَعْطَوْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا يَكُونُونَ رَهِينَةً فِي أَيْدِيهِمْ ، حَتَّى يَأْخُذُوا صُلْحَهُمْ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَسِيُرُكُمْ إِلَيْهِمْ قَتَلُوا الرَّهَائِنَ ، وَمِيعَادُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوا غَدًا وَيَفْتَحُوا لَهُمُ الْقَصْرَ. |
| فَبَعَثَ الْمُسَيَّبُ رَجُلَيْنِ ، رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ ، وَرَجُلًا مِنَ الْعَجَمِ ، لِيَعْلَمَا عِلْمَ الْقَوْمِ ، فَأَقْبَلَا فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَقَدْ أَخَذَتِ التُّرْكُ الْمَاءَ فِي نَوَاحِي الْقَصْرِ ، فَلَيْسَ يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، وَدَنَوْا مِنَ الْقَصْرِ ، فَصَاحَ بِهِمَا الرَّبِيئَةُ ، فَقَالَا لَهُ اسْكُتْ وَادْعُ لَنَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ دِثَارٍ. |
| فَدَعَاهُ ، فَأَعْلَمَاهُ بِقُرْبِ الْمُسَيَّبِ مِنْهُمْ ، وَقَالَا هَلْ عِنْدَكُمُ امْتِنَاعٌ اللَّيْلَةَ وَغَدًا ؟ |
| قَالُوا قَدْ أَجْمَعْنَا عَلَى تَقْدِيمِ نِسَائِنَا لِلْمَوْتِ أَمَامَنَا ، حَتَّى نَمُوتَ جَمِيعًا غَدًا. |
| فَرَجِعَا إِلَى الْمُسَيَّبِ فَأَخْبَرَاهُ ، فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ إِنِّي سَائِرٌ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَذْهَبَ فَلْيَذْهَبْ ، فَلَمْ يُفَارِقْهُ أَحَدٌ وَبَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ. |
| فَأَصْبَحَ وَسَارَ وَقَدِ ازْدَادَ الْقَصْرُ تَحْصِينًا بِالْمَاءِ الَّذِي أَجْرَاهُ التُّرْكُ ، فَلَمَّا صَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التُّرْكِ نِصْفُ فَرْسَخٍ نَزَلَ وَقَدْ أَجْمَعَ عَلَى بَيَاتِهِمْ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالصَّبْرِ وَحَثَّهُمْ عَلَيْهِ وَقَالَ لِيَكُنْ شِعَارُكُمْ يَا مُحَمَّدُ ، وَلَا تَتْبَعُوا مُوَلِّيًا ، وَعَلَيْكُمْ بِالدَّوَابِّ فَاعْقِرُوهَا ، فَإِنَّهَا إِذَا عُقِرَتْ كَانَتْ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْكُمْ ، وَلَيْسَتْ بِكُمْ قِلَّةٌ ، فَإِنَّ سَبْعَمِائَةِ سَيْفٍ لَا يُضْرَبُ بِهَا فِي عَسْكَرٍ إِلَّا أَوْهَنُوهُ وَإِنْ كَثُرَ أَهْلُهُ. |
| وَجَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ كَثِيرًا الدَّبُّوسِيَّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ ثَابِتُ قُطْنَةَ ، وَهُوَ مِنَ الْأَزْدِ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُمْ ، كَبَّرُوا ، وَذَلِكَ فِي السَّحَرَ ، وَثَارَ التُّرْكُ وَخَالَطَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَعَقَرُوا الدَّوَابَّ ، وَتَرَجَّلَ الْمُسَيَّبُ فِي رِجَالٍ مَعَهُ ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْقَطَعَتْ يَمِينُ الْبَخْتَرِيِّ الْمُرَائِيِّ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ بِشَمَالِهِ فَقُطِعَتْ ، فَجَعَلَ يَذُبُّ بِيَدَيْهِ حَتَّى اسْتُشْهِدَ. |
| وَضَرَبَ ثَابِتُ قُطْنَةَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَاءِ التُّرْكِ ، فَقَتَلَهُ ، وَانْهَزَمَتِ التُّرْكُ ، وَنَادَى مُنَادِي الْمُسَيَّبِ لَا تَتْبَعُوهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ مِنَ الرُّعْبِ أَتَّبَعْتُمُوهُمْ أَمْ لَا ، وَاقْصُدُوا الْقَصْرَ ، وَلَا تَحْمِلُوا إِلَّا الْمَاءَ ، وَلَا تَحْمِلُوا إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ ، وَمَنْ حَمَلَ امْرَأَةً أَوْ صَبِيًّا أَوْ ضَعِيفًا; حِسْبَةً ، فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَبَى فَلَهُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَإِنْ كَانَ فِي الْقَصْرِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَهْدِكُمْ فَاحْمِلُوهُ. |
| فَحَمَلُوا مَنْ فِي الْقَصْرِ وَأَتَوْا تُرْكَ خَاقَانَ ، فَأَنْزَلَهُمْ قَصْرَهُ وَأَتَاهُمْ بِطَعَامٍ ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى سَمَرْقَنْدَ. |
| وَرَجَعَتِ التُّرْكُ مِنَ الْغَدِ ، فَلَمْ يَرَوْا فِي الْقَصْرِ أَحَدًا ، وَرَأَوْا قَتْلَاهُمْ فَقَالُوا لَمْ يَكُنِ الَّذِي جَاءَنَا مِنَ الْإِنْسِ ، فَقَالَ ثَابِتُ قُطْنَةَ فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ... |
| غَدَاةَ الرَّوْعِ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ أَكْنَفُونِي... |
| عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي رَهَجِ الْقَتَامِ بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ وَقَدْ رَأَوْنِي... |
| أُحَامِي حَيْثُ ضَنَّ بِهِ الْمُحَامِي بِسَيْفِي بَعْدَ حَطْمِ الرُّمْحِ قُدْمًا... |
| أَذَوْدُهُمُ بِذِي شُطَبٍ حُسَامِ أُكِرُّ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرًا... |
| كَكَرِّ الشَّرْبِ آنِيَةَ الْمُدَامِ أَكُرُّ بِهِ لَدَى الْغَمَرَاتِ حَتَّى... |
| تَجَلَّتْ لَا يَضِيقُ بِهِ مَقَامِي فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ... |
| وَضَرْبِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْهُمَامِ إِذًا لَسَعَتْ نِسَاءُ بَنِي دِثَارٍ... |
| أَمَامَ التُّرْكِ بَادِيَةَ الْخِدَامِ فَمَنْ مِثْلُ الْمُسَيَّبِ فِي تَمِيمٍ... |
| أَبِي بِشْرٍ كَقَادِمَةِ الْحَمَامِ وَعَوِرَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ الطَّائِيُّ ، وَشُلَّتْ يَدُهُ ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَ وِلَايَةً قَبْلَ سَعِيدٍ ، فَأَخَذَهُ سَعِيدٌ بِشَيْءٍ بَقِيَ عَلَيْهِ ، فَدَفَعَهُ إِلَى شَدَّادِ بْنِ خُلَيْدٍ الْبَاهِلِيِّ لِيَسْتَأْدِيَهُ ، فَضَيَّقَ عَلَيْهِ شَدَّادٌ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ يَا مَعْشَرَ قَيْسٍ سِرْتُ إِلَى قَصْرِ الْبَاهِلِيِّ وَأَنَا شَدِيدُ الْبَطْشِ حَدِيدُ الْبَصَرِ ، فَعَوِرْتُ وَشُلَّتْ يَدِي ، وَقَاتَلْتُ حَتَّى اسْتَنْقَذْنَاهُمْ بَعْدَمَا أَشْرَفُوا عَلَى الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالسَّبْيِ ، وَهَذَا صَاحِبُكُمْ يَصْنَعُ بِي مَا يَصْنَعُ فَكُفُّوهُ عَنِّي ، فَخَلَّاهُ. |
| قَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ بِالْقَصْرِ لَمَّا الْتَقَوْا ظَنَنَّا أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ لِمَا سَمِعْنَا مِنْ هَمَاهِمِ الْقَوْمِ ، وَوَقَعِ الْحَدِيدِ ، وَصَهِيلِ الْخَيْلِ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ الصُّغْدِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبَرَ سَعِيدُ خُذَيْنَةَ النَّهْرَ وَغَزَا الصُّغْدَ ، وَكَانُوا قَدْ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَأَعَانُوا التُّرْكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ النَّاسُ لِسَعِيدٍ إِنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ الْغَزْوَ ، وَقَدْ أَغَارَ التُّرْكُ ، وَكَفَرَ أَهْلُ الصُّغْدِ. |
| فَقَطَعَ النَّهْرَ ، وَقَصَدَ الصُّغْدَ ، فَلَقِيَهُ التُّرْكُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الصُّغْدِ ، فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَقَالَ سَعِيدٌ لَا تَتْبَعُوهُمْ ، فَإِنَّ الصُّغْدَ بُسْتَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ هَزَمْتُمُوهُمْ ، أَفَتُرِيدُونَ بَوَارَهُمْ ؟ |
| وَقَدْ قَاتَلْتُمْ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ الْخُلَفَاءَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَهَلْ أَبَادُوكُمْ ؟ |
| وَقَالَ سَوْرَةُ بْنُ الْحُرِّ لَحَيَّانَ النَّبَطِيِّ ارْجِعْ عَنْهُمْ يَا حَيَّانُ. |
| قَالَ عَقِيرَةُ اللَّهِ لَا أَدَعُهَا. |
| قَالَ انْصَرِفْ يَا نَبَطِيُّ. |
| قَالَ أَنَبَطَ اللَّهُ وَجْهَكَ! |
| وَسَارَ الْمُسْلِمُونَ فَانْتَهَوْا إِلَى وَادٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَرْجِ ، فَقَطَعَهُ بَعْضُهُمْ وَقَدْ أَكْمَنَ لَهُمُ التُّرْكُ ، فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْمُسْلِمُونَ خَرَجُوا عَلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْوَادِي ، فَصَبَرُوا حَتَّى انْكَشَفُوا لَهُمْ. |
| وَقِيلَ بَلْ كَانَ الْمُنْهَزِمُونَ مَسْلَحَةَ الْمُسْلِمِينَ ، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا وَالتُّرْكُ قَدْ خَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْضَةٍ ، وَعَلَى الْخَيْلِ شُعْبَةُ بْنُ ظُهَيْرٍ ، فَأَعْجَلَهُمُ التُّرْكُ عَنِ الرُّكُوبِ ، فَقَاتَلَهُمْ شُعْبَةُ ، فَقُتِلَ ، وَقُتِلَ نَحْوٌ مِنْ خَمْسِينَ رَجُلًا ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ الْمَسْلَحَةِ ، وَأَتَى الْمُسْلِمِينَ الْخَبَرُ ، فَرَكِبَ الْخَلِيلُ بْنُ أَوْسٍ الْعَبْشَمِيُّ أَحَدُ بَنِي ظَالِمٍ وَنَادَى يَا بَنِي تَمِيمٍ إِلَيَّ أَنَا الْخَلِيلُ! |
| فَاجْتَمَعَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ ، فَحَمَلَ بِهِمْ عَلَى الْعَدُوِّ ، فَكَفُّوهُمْ حَتَّى جَاءَ الْأَمِيرُ وَالنَّاسُ ، فَانْهَزَمَ الْعَدُوُّ ، فَصَارَ الْخَلِيلُ عَلَى خَيْلِ بَنِي تَمِيمٍ حَتَّى وَلِيَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ ، ثُمَّ صَارَتْ رِيَاسَتُهُمْ لِأَخِيهِ الْحَكَمِ بْنِ أَوْسٍ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ بَعَثَ رِجَالًا مِنْ تَمِيمٍ إِلَى وَزْغِيشَ ، فَقَالُوا لَيْتَنَا نَلْقَى الْعَدُوَّ فَنُطَارِدُهُمْ. |
| وَكَانَ سَعِيدٌ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً ، فَأَصَابُوا أَوْ غَنِمُوا وَسَبَوْا رَدَّ السَّبْيَ وَعَاقَبَ السَّرِيَّةَ ، فَقَالَ الْهَجَرِيُّ الشَّاعِرُ سَرَيْتَ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَلْهُو بِلُعْبَةٍ... |
| وَأَيْرُكَ مَسْلُولٌ وَسَيْفُكَ مُغْمَدُ وَأَنْتَ لِمَنْ عَادَيْتَ عِرْسٌ خَفِيَّةٌ... |
| وَأَنْتِ عَلَيْنَا كَالْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ فَقَعَدَ سَعِيدٌ عَلَى النَّاسِ وَضَعَّفُوهُ. |
| وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ مُنْقَطِعًا إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَذَكَرَ إِسْمَاعِيلُ عِنْدَ خُذَيْنَةَ مَوَدَّتَهُ لِمَرْوَانَ ، فَقَالَ خُذَيْنَةُ وَمَا ذَاكَ الْمِلْطُ ؟ |
| فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ زَعَمَتْ خُذَيْنَةُ أَنَّنِي مِلْطُ... |
| لِخُذَيْنَةَ الْمِرْآةُ وَالْمُشْطُ وَمَجَامِرٌ وَمَكَاحِلٌ جُعِلَتْ... |
| وَمَعَازِفٌ وَبِخَدِّهَا نُقْطُ أَفَذَاكَ أَمْ زَغَفٌ مُضَاعَفَةٌ... |
| وَمُهَنَّدٌ مِنْ شَأْنِهِ الْقَطُّ لِمُقْرَسٍ ذَكَرٍ أَخِي ثِقَةٍ... |
| لَمْ يَغْذُهُ التَّأْنِيثُ وَاللَّقْطُ فِي أَبْيَاتِ غَيْرِهَا. |
| ذِكْرُ مَوْتِ حَيَّانَ النَّبَطِيِّ وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ حَيَّانَ فِيمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ قَتْلِ قُتَيْبَةَ ، وَأَنَّهُ سَادَ وَتَقَدَّمَ بِخُرَاسَانَ ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ سَوْرَةُ بْنُ الْحُرِّ يَا نَبَطِيُّ ، وَأَجَابَهُ حَيَّانُ ، فَقَالَ أَنَبَطَ اللَّهُ وَجْهَكَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ آنِفًا ، حَقَدَهَا عَلَيْهِ سَوْرَةُ ، فَقَالَ لِسَعِيدِ خُذَيْنَةَ إِنَّ هَذَا الْعَبْدَ أَعْدَى النَّاسِ لِلْعَرَبِ وَالْوَالِي ، وَهُوَ أَفْسَدَ خُرَاسَانَ عَلَى قُتَيْبَةَ ، وَهُوَ وَاثِبٌ بِكَ ، مُفْسِدٌ عَلَيْكَ خُرَاسَانَ ، ثُمَّ يَتَحَصَّنُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْقِلَاعِ. |
| فَقَالَ سَعِيدٌ لَا تُسْمِعَنَّ هَذَا أَحَدًا. |
| ثُمَّ دَعَا فِي مَجْلِسِهِ بِلَبَنٍ وَقَدْ أَمَرَ بِذَهَبٍ ، فَسُحِقَ وَأُلْقِيَ فِي اللَّبَنِ الَّذِي فِي إِنَاءِ حَيَّانَ ، فَشَرِبَهُ حَيَّانُ ، ثُمَّ رَكَضَ سَعِيدٌ وَالنَّاسُ مَعَهُ أَرْبَعَةَ فَرَاسِخَ ثُمَّ رَجَعَ ، فَعَاشَ حَيَّانُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ وَمَاتَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ هَذِهِ السَّنَةَ ، وَسَيَرِدُ ذِكْرُهُ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ذِكْرُ عَزْلِ مَسْلَمَةَ عَنِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَوِلَايَةِ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ وَلِيَ الْعِرَاقَ وَخُرَاسَانَ ، فَلَمْ يَرْفَعْ مِنَ الْخَرَاجِ شَيْئًا ، وَاسْتَحْيَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَعْزِلَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ اسْتَخْلِفْ عَلَى عَمَلِكَ وَأَقْبِلْ. |
| وَقِيلَ إِنَّ مَسْلَمَةَ شَاوَرَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ حَاتِمِ بْنِ النُّعْمَانِ فِي الشُّخُوصِ إِلَى يَزِيدَ لِيَزُورَهُ. |
| قَالَ أَمِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ ؟ |
| إِنَّ عَهْدَكَ مِنْهُ لَقَرِيبٌ. |
| قَالَ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ. |
| قَالَ إِذًا لَا تَخْرُجْ مِنْ عَمَلِكَ حَتَّى تَلْقَى الْوَالِيَ عَلَيْهِ. |
| فَسَارَ مَسْلَمَةُ فَلَقِيَهُ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ بِالْعِرَاقِ عَلَى دَوَابِّ الْبَرِيدِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ مَقْدِمِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ وَجَّهَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي حِيَازَةِ أَمْوَالِ بَنِي الْمُهَلَّبِ. |
| فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ أَحْضَرَ مَسْلَمَةُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ حَاتِمٍ ، وَأَخْبَرَهُ خَبَرَ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ قَدْ قُلْتُ لَكَ. |
| قَالَ مَسْلَمَةُ فَإِنَّهُ جَاءَ لِحِيَازَةِ أَمْوَالِ آلِ الْمُهَلَّبِ. |
| قَالَ هَذَا أَعْجَبُ مِنَ الْأَوَّلِ ، يَكُونُ ابْنُ هُبَيْرَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، فَيُعْزَلُ عَنْهَا ، وَيُبْعَثُ لِحِيَازَةِ أَمْوَالِ بَنِي الْمُهَلَّبِ ، وَلَمْ يُكْتَبْ مَعَهُ إِلَيْكَ كِتَابٌ! |
| فَلَمْ يَلْبَثْ حَتَّى أَتَاهُ عَزْلُ ابْنِ هُبَيْرَةَ عُمَّالَهُ وَالْغِلْظَةُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الْبِغَالُ عَشِيَّةً... |
| فَارْعَيْ فَزَارَةُ لَا هَنَاكِ الْمَرْتَعُ عُزِلَ ابْنُ بِشْرٍ وَابْنُ عَمْرٍو قَبْلَهُ... |
| وَأَخُو هَرَاةَ لِمِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ يَعْنِي بِابْنِ بِشْرٍ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَبِابْنِ عَمْرٍو مُحَمَّدًا ذَا الشَّامَةِ ، وَبِأَخِي هَرَاةَ سَعِيدَ خُذَيْنَةَ. |
| وَأَمَّا ابْتِدَاءُ أَمْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ حَتَّى وَلِيَ الْعِرَاقَ ، فَإِنَّهُ قَدِمَ مِنَ الْبَادِيَةِ مِنْ بِنِي فَزَارَةَ ، فَافْتُرِضَ مَعَ بَعْضِ وُلَاةِ الْحَرْبِ ، وَكَانَ يَقُولُ لَأَرْجُو أَنْ لَا تَنْقَضِيَ الْأَيَّامُ حَتَّى أَلِيَ الْعِرَاقَ. |
| وَسَارَ مَعَ عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعُقَيْلِيِّ إِلَى غَزْوِ الرُّومِ ، فَأُتِيَ بِفَرَسٍ رَائِعٍ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُسْتَطَاعُ رُكُوبُهُ ، فَقَالَ مَنْ رَكِبَهُ فَهُوَ لَهُ ، فَقَامَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ وَتَنَحَّى عَنِ الْفَرَسِ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِحَيْثُ تَنَالُهُ رِجْلَا الْفَرَسِ إِذَا رَمَحَهُ وَثَبَ فَصَارَ عَلَى سَرْجِهِ ، فَأَخَذَ الْفَرَسَ. |
| فَلَمَّا خَلَعَ مُطَرِّفُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ الْحَجَّاجَ سَارَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ حَارَبُوهُ مِنَ الرَّيِّ ، فَلَمَّا الْتَقَى الْعَسْكَرَانِ الْتَحَقَ ابْنُ هُبَيْرَةَ بِمُطَرِّفٍ مُظْهِرًا أَنَّهُ مَعَهُ ، فَلَمَّا جَالَ النَّاسُ كَانَ مِمَّنْ قَتَلَهُ وَأَخَذَ رَأْسَهُ ، وَقِيلَ قَتَلَهُ غَيْرُهُ وَأَخَذَ هُوَ رَأْسَهُ ، وَأَتَى بِهِ عَدِيًّا ، فَأَعْطَاهُ مَالًا ، وَأَوْفَدَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ بِالرَّأْسِ ، فَسَيَّرَهُ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَقْطَعَهُ بِبَرْزَةَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بِدِمَشْقَ ، وَعَادَ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَوَجَّهَهُ إِلَى كَرْدَمِ بْنِ مَرْثَدٍ الْفَزَارِيِّ لِيُخَلِّصَ مِنْهُ مَالًا ، فَأَخَذَهُ مِنْهُ وَهَرَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ أَنَا عَائِذٌ بِاللَّهِ وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْحَجَّاجِ ، فَإِنَّنِي قَتَلْتُ ابْنَ عَمِّهِ مُطَرِّفَ بْنَ الْمُغِيرَةِ ، وَأَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَأَرَادَ قَتْلِي ، وَلَسْتُ آمَنُ أَنْ يَنْسِبَنِي إِلَى أَمْرٍ يَكُونُ فِيهِ هَلَاكِي. |
| فَقَالَ أَنْتَ فِي جِوَارِي. |
| فَأَقَامَ عِنْدَهُ ، فَكَتَبَ فِيهِ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَذْكُرُ أَخْذَهُ الْمَالَ وَهَرَبَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَمْسِكْ عَنْهُ. |
| وَتَزَوَّجَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِنْتًا لِلْحَجَّاجِ ، فَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ يُهْدِي لَهَا ، وَيَبَرَّهَا ، وَيُيَسِّرُ عَلَيْهَا ، فَكَتَبَتْ إِلَى أَبِيهَا تُثْنِي عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يَأْمُرُهُ أَنْ يُنْزِلَ بِهِ حَاجَاتَهُ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ بِالشَّامِ. |
| فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، فَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَرَأَى ابْنُ هُبَيْرَةَ تَحَكُّمَ حَبَابَةَ عَلَيْهِ تَابَعَ هَدَايَاهُ إِلَيْهِ وَإِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَعَمِلَتْ لَهُ فِي وِلَايَةِ الْعِرَاقِ ، فَوَلَّاهُ يَزِيدُ. |
| وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَعْقَاعِ بْنِ خُلَيْدٍ الْعَبْسِيِّ تَحَاسَدٌ ، فَقَالَ الْقَعْقَاعُ مَنْ يُطِيقُ ابْنَ هُبَيْرَةَ ، حَبَابَةُ بِاللَّيْلِ ، وَهَدَايَاهُ بِالنَّهَارِ! |
| فَلَمَّا مَاتَتْ حَبَابَةُ ، قَالَ الْقَعْقَاعُ هَلُمَّ فَقَدْ مَاتَتْ حَبَابَةُ سَامِنِي... |
| بِنَفْسِكَ يُقْدِمْكَ الذُّرَى وَالْكَوَاهِلُ أَغَرَّكَ إِنْ كَانَتْ حَبَابَةُ مَرَّةً تَمِيحُكَ ، فَانْظُرْ كَيْفَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ فِي أَبْيَاتٍ. |
| وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَعْقَاعِ يَوْمًا كَلَامٌ ، فَقَالَ لَهُ الْقَعْقَاعُ يَابْنَ اللَّخْنَاءِ مَنْ قَدَّمَكَ ؟ |
| فَقَالَ قَدَّمَكَ أَنْتَ وَأَهْلَكَ أَعْجَازُ الْغَوَانِي ، وَقَدَّمَنِي صُدُورُ الْعَوَالِي. |
| فَسَكَتَ الْقَعْقَاعُ. |
| يَعْنِي أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَدَّمَهُمْ لَمَّا تَزَوَّجَ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ أُمَّ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ ابْنَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَبْسِيَّةٌ. |
| ذِكْرُ بَعْضِ الدُّعَاةِ لِلدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَ مَيْسَرَةُ رُسُلَهُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَظَهَرَ أَمْرُ الدُّعَاةِ بِهَا ، فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ بَحِيرِ بْنِ وَرْقَاءَ السَّعْدِيُّ إِلَى سَعِيدِ خُذَيْنَةَ ، فَقَالَ لَهُ إِنْ هَاهُنَا قَوْمًا قَدْ ظَهَرَ مِنْهُمْ كَلَامٌ قَبِيحٌ ، وَأَعْلَمَهُ حَالَهُمْ ، فَبَعَثَ سَعِيدٌ إِلَيْهِمْ ، فَأُتِيَ بِهِمْ ، فَقَالَ مِمَّنْ أَنْتُمْ ؟ |
| قَالُوا نَاسٌ مِنَ التُّجَّارِ. |
| قَالَ فَمَا هَذَا الَّذِي يُحْكَى عَنْكُمْ ؟ |
| قَالُوا لَا نَدْرِي. |
| قَالَ جِئْتُمْ دُعَاةً ؟ |
| قَالُوا إِنَّ لَنَا فِي أَنْفُسِنَا وَتِجَارِتِنَا شُغْلًا عَنْ هَذَا. |
| فَقَالَ مَنْ يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ ؟ |
| فَجَاءَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ رَبِيعَةَ وَالْيَمَنِ فَقَالُوا نَحْنُ نَعْرِفُهُمْ ، وَهُمْ عَلَيْنَا إِنْ أَتَاكَ مِنْهُمْ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ. |
| فَخَلَّى سَبِيلَهُمْ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ قِيلَ كَانَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدِ اسْتَعْمَلَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ بِإِفْرِيقِيَّةَ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ ، وَقِيلَ هَذِهِ السَّنَةَ ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ عَزَمَ أَنْ يَسِيرَ فِيهِمْ بِسِيرَةِ الْحَجَّاجِ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ سَكَنُوا الْأَمْصَارَ مِمَّنْ كَانَ أَصْلُهُ مِنَ السَّوَادِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَأَسْلَمَ بِالْعِرَاقِ ، فَإِنَّهُ رَدَّهُمْ إِلَى قُرَاهُمْ وَوَضَعَ الْجِزْيَةَ عَلَى رِقَابِهِمْ عَلَى نَحْوِ مَا كَانَتْ تُؤْخَذُ مِنْهُمْ وَهُمْ كُفَّارٌ ، فَلَمَّا عَزَمَ يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ اجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ ، فَقَتَلُوهُ ، وَوَلَّوْا عَلَى أَنْفُسِهِمُ الْوَالِي الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَوَلِيَ الْأَمْصَارَ ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ ، وَكَتَبُوا إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِنَّا لَمْ نَخْلَعْ أَيْدِيَنَا مِنْ طَاعَةٍ ، وَلَكِنَّ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ سَامَنَا مَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ ، فَقَتَلْنَاهُ وَأَعَدْنَا عَامِلَكَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِنِّي لَمْ أَرْضَ مَا صَنَعَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ ، وَأَقَرَّ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ عَلَى عَمَلِهِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الرُّومَ مِنْ نَاحِيَةِ أَرْمِينِيَّةَ وَهُوَ عَلَى الْجَزِيرَةِ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْعِرَاقَ ، فَهَزَمَهُمْ وَأَسَرَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا قِيلَ سَبْعُمِائَةِ أَسِيرٍ. |
| وَفِيهَا غَزَا عَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الرُّومَ فَافْتَتَحَ دَلْسَةَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الضَّحَّاكِ ، وَهُوَ عَامِلُ الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ. |
| وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ذُو الشَّامَةِ ، وَعَلَى قَضَائِهَا الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى أَنْ عَزَلَهُ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ سَعِيدُ خُذَيْنَةَ ، وَعَلَى مِصْرَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِعْمَالِ سَعِيدٍ الْحَرَشِيِّ عَلَى خُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ سَعِيدَ خُذَيْنَةَ عَنْ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِهِ أَنَّ الْمُجَشِّرَ بْنَ مُزَاحِمٍ السُّلَمِيَّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيَّ قَدِمَا عَلَى عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ فَشَكَوَاهُ ، فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ ، بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، مِنْ بَنِي الْحَرِيشِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ . |
| وَكَانَ خُذَيْنَةُ غَازِيًا بِبَابِ سَمَرْقَنْدَ ، فَبَلَغَهُ عَزْلُهُ ، وَخَلَّفَ بِسَمَرْقَنْدَ أَلْفَ رَجُلٍ. |
| وَقِيلَ إِنَّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ كَتَبَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِأَسْمَاءِ مَنْ أَبْلَى يَوْمَ الْعَقْرِ وَلَمْ يَذْكُرْ سَعِيدًا الْحَرَشِيَّ ، فَقَالَ يَزِيدُ لِمَ لَمْ يَذْكُرِ الْحَرَشِيَّ ؟ |
| وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ أَنْ وَلِّ الْحَرَشِيَّ خُرَاسَانَ ، فَوَلَّاهُ ، فَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمُجَشِّرَ بْنَ مُزَاحِمٍ السُّلَمِيَّ ، فَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ فَهَلْ مِنْ مُبْلِغٍ فِتْيَانَ قَوْمِي... |
| بِأَنَّ النَّبْلَ رِيشَتْ كُلَّ رَيْشِ وَأَنَّ اللَّهَ أَبْدَلَ مِنْ سَعِيدٍ... |
| سَعِيدًا لَا الْمُخَنَّثَ مِنْ قُرَيْشِ وَقَدِمَ سَعِيدٌ الْحَرَشِيُّ خُرَاسَانَ ، فَلَمْ يَعْرِضْ لِعُمَّالِ خُذَيْنَةَ ، وَقَرَأَ رَجُلٌ عَهْدَهُ فَلَحَنَ فِيهِ ، فَقَالَ صَهٍ ، مَهْمَا سَمِعْتُمْ فَهُوَ مِنَ الْكَاتِبِ ، وَالْأَمِيرُ مِنْهُ بَرِيءٌ. |
| وَلَمَّا قَدِمَ الْحَرَشِيُّ خُرَاسَانَ كَانَ النَّاسُ بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ ، وَكَانُوا قَدْ نَكَبُوا ، فَخَطَبَهُمْ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ ، وَقَالَ إِنَّكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ بِكَثْرَةٍ وَلَا بِعُدَّةٍ ، وَلَكِنْ بِنْصِرِ اللَّهِ وَعِزِّ الْإِسْلَامِ ، فَقُولُوا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَقَالَ فَلَسْتُ لِعَامِرٍ إِنْ لَمْ تَرَوْنِي... |
| أَمَامَ الْخَيْلِ أَطْعَنُ بِالْعَوَالِي وَأَضْرِبُ هَامَةَ الْجَبَّارِ مِنْهُمْ بِعَضْبِ الْحَدِّ حُودِثَ بِالصِّقَالِ... |
| فَمَا أَنَا فِي الْحُرُوبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مُصَاوَلَةَ الرِّجَالِ... |
| أَبَى لِي وَالِدِي مِنْ كُلِّ ذَمٍّ وَخَالِي فِي الْحَوَادِثِ خَيْرُ خَالِ فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ الصُّغْدِ بِقُدُومِ الْحَرَشِيِّ خَافُوا عَلَى نُفُوسِهِمْ; لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَعَانُوا التُّرْكَ أَيَّامَ خُذَيْنَةَ ، فَاجْتَمَعَ عُظَمَاؤُهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ بِلَادِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ مَلِكُهُمْ لَا تَفْعَلُوا ، أَقِيمُوا وَاحْمِلُوا الْخَرَاجَ مَا مَضَى ، وَاضْمَنُوا لَهُ خَرَاجَ مَا يَأْتِي وَعِمَارَةَ الْأَرْضِ ، وَالْغَزْوَ مَعَهُ إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ ، وَاعْتَذِرُوا مِمَّا كَانَ مِنْكُمْ وَأَعْطُوهُ رَهَائِنَ. |
| قَالُوا نَخَافُ أَنْ لَا يَرْضَى وَلَا يَقْبَلَ ذَلِكَ مِنَّا ، وَلَكِنَّا نَأْتِي خُجَنْدَةَ فَنَسْتَجِيرُ مَلِكَهَا ، وَنُرْسِلُ إِلَى الْأَمِيرِ ، فَنَسْأَلُهُ الصَّفْحَ عَمَّا كَانَ مِنَّا ، وَنُوَثِّقُ لَهُ أَنَّهُ لَا يَرَى مِنَّا أَمْرًا يَكْرَهُهُ. |
| فَقَالَ أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، وَالَّذِي أَشَرْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ. |
| فَأَبَوْا وَخَرَجُوا إِلَى خُجَنْدَةَ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى مَلِكِ فَرْغَانَةَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَمْنَعَهُمْ وَيُنْزِلَهُمْ مَدِينَتَهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ فَقَالَتْ أُمُّهُ لَا يَدْخُلْ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ مَدِينَتَكَ ، وَلَكِنْ فَرِّغْ لَهُمْ رُسْتَاقًا يَكُونُونَ فِيهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ سَمُّوا رُسْتَاقًا تَكُونُونَ فِيهِ حَتَّى أُفَرِّغَهُ لَكُمْ ، وَأَجِّلُونِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَقِيلَ عِشْرِينَ يَوْمًا. |
| فَاخْتَارُوا شِعْبَ عِصَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَاهِلِيِّ ، وَكَانَ قُتَيْبَةُ قَدْ خَلَّفَهُ فِيهِمْ ، فَقَالَ نَعَمْ ، وَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيَّ عَقْدٌ وَجِوَارٌ حَتَّى تَدْخُلُوهُ ، وَإِنْ أَتَتْكُمْ الْعَرَبُ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلُوهُ لَمْ أَمْنَعْكُمْ. |
| فَرَضُوا ، فَفَرَّغَ لَهُمُ الشِّعْبَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَغَارَتِ التُّرْكُ عَلَى اللَّانِ ، وَفِيهَا غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الرُّومَ ، فَفَتَحَ مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا دَلْسَةَ. |
| وَفِيهَا جُمِعَتْ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الضَّحَّاكِ. |
| وَفِيهَا وُلِّيَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّضْرِيُّ الطَّائِفَ ، وَعُزِلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ عَنْهُ وَعَنْ مَكَّةَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الضَّحَّاكِ ، وَكَانَ عَامِلُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ عَلَى الْعِرَاقِ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ الْحَرَشِيُّ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ يَعْلَى. |
| الوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ الشَّعْبِيُّ ، وَقِيلَ خَمْسٌ ، وَقِيلَ سَبْعٌ وَمِائَةٌ ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا مَاتَ يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ ، وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ. |
| وَيَزِيدُ بْنُ الْحُصَيْنِ بْنُ نُمَيْرٍ السَّكُونِيُّ ، وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ ، وَهُوَ أَخُو سُلَيْمَانَ ، يَسَارٌ بِالْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتَ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ زُرَارَةَ الْأَنْصَارِيَّةُ ، وَهِيَ ابْنَةُ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُصْعَبُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ. |
| وَيَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ الْأَسَدِيُّ الْمِنْقَرِيُّ. |
| وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ حَاتِمِ بْنِ النُّعْمَانِ الْبَاهِلِيُّ ، وَكَانَ عَامِلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى الْجَزِيرَةِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ ذِكْرُ الْوَقْعَةِ بَيْنَ الْحَرَشِيِّ وَالصُّغْدِ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْحَرَشِيُّ فَقَطَعَ النَّهْرَ ، وَسَارَ ، فَنَزَلَ فِي قَصْرِ الرِّيحِ عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنَ الدَّبُّوسِيَّةِ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ إِلَيْهِ جُنْدُهُ ، فَأَمَرَ بِالرَّحِيلِ ، فَقَالَ لَهُ هِلَالُ بْنُ عَلِيمٍ الْحَنْظَلِيُّ يَا هَنَاهْ ، إِنَّكَ وَزِيرًا خَيْرٌ مِنْكَ أَمِيرًا ، لَمْ يَجْتَمِعْ إِلَيْكَ جُنْدُكَ وَقَدْ أَمَرْتَ بِالرَّحِيلِ . |
| فَعَادَ فَأَمَرَ بِالنُّزُولِ ، وَأَتَاهُ ابْنُ عَمِّ مَلِكَ فَرْغَانَةَ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ أَهْلَ الصُّغْدِ بِخُجَنْدَةَ ، وَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِمْ ، وَقَالَ عَاجِلْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الشِّعْبِ ، فَلَيْسَ لَهُمْ جِوَارٌ عَلَيْنَا حَتَّى يَمْضِيَ الْأَجَلُ. |
| فَوَجَّهَ مَعَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْقُشَيْرِيَّ ، وَزِيَادَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي جَمَاعَةٍ ، ثُمَّ نَدِمَ بَعْدَمَا فَصَلُوا ، وَقَالَ جَاءَنِي عِلْجٌ لَا أَعْلَمُ أَصَدَقَ أَمْ كَذِبَ ، فَغَرَّرْتُ بِجُنْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَارْتَحَلَ فِي أَثَرِهِمْ حَتَّى نَزَلَ أَشْرُوسَنَةَ فَصَالَحَهُمْ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ. |
| فَبَيْنَا هُوَ يَتَعَشَّى إِذْ قِيلَ لَهُ هَذَا عَطَاءٌ الدَّبُّوسِيُّ ، وَكَانَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَسَقَطَتِ اللُّقْمَةُ مِنْ يَدِهِ ، وَدَعَا بِعَطَاءٍ ، فَقَالَ وَيْلَكَ قَاتَلْتُمْ أَحَدًا ؟ |
| قَالَ لَا. |
| قَالَ لِلَّهِ الْحَمْدُ! |
| وَتَعَشَّى وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَدِمَ لَهُ ، فَسَارَ مُسْرِعًا حَتَّى لَحِقَ الْقُشَيْرِيَّ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَسَارَ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى خُجَنْدَةَ ، قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ مَا تَرَى ؟ |
| قَالَ أَرَى الْمُعَاجَلَةَ. |
| قَالَ لَا أَرَى ذَلِكَ ، إِنْ جُرِحَ رَجُلٌ فَإِلَى أَيْنَ يَرْجِعُ ، أَوْ قُتِلَ قَتِيلٌ فَإِلَى مَنْ يُحْمَلْ ؟ |
| وَلَكِنِّي أَرَى النُّزُولَ وَالتَّأَنِّي وَالِاسْتِعْدَادَ لِلْحَرْبِ. |
| فَنَزَلَ فَأَخَذَ فِي التَّأَهُّبِ ، فَلَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنَ الْعَدُوِّ ، فَجَبَّنَ النَّاسُ الْحُرَشِيَّ وَقَالُوا كَانَ يُذْكَرُ بِشَجَاعَةٍ وَدِيَانَةٍ ، فَلَمَّا صَارَ بِخُرَاسَانَ مَاقَ. |
| فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ فَضَرَبَ بَابَ خُجَنْدَةَ بِعَمُودٍ فَفَتَحَ الْبَابَ ، وَكَانُوا حَفَرُوا فِي رِبْضِهِمْ وَرَاءَ الْبَابِ الْخَارِجِ خَنْدَقًا وَغَطَّوْهُ بِقَصَبٍ وَتُرَابٍ مَكِيدَةً ، وَأَرَادُوا إِذَا الْتَقَوْا إِنِ انْهَزَمُوا كَانُوا قَدْ عَرَفُوا الطَّرِيقَ ، وَيُشْكِلُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَيَسْقُطُونَ فِي الْخَنْدَقِ ، فَلَمَّا خَرَجُوا قَاتَلُوهُمْ فَانْهَزَمُوا ، وَأَخْطَأَهُمُ الطَّرِيقُ فَسَقَطُوا فِي الْخَنْدَقِ ، وَأَخْرَجَ مِنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا. |
| وَحَصَرَهُمُ الْحَرَشِيُّ وَنَصَبَ عَلَيْهِمُ الْمَجَانِيقَ. |
| فَأَرْسَلُوا إِلَى مَلِكِ فَرْغَانَةَ إِنَّكَ غَدَرْتَ بِنَا ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَنْصُرَهُمْ ، فَقَالَ قَدْ أَتَوْكُمْ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ ، وَلَسْتُمْ فِي جِوَارِي. |
| فَطَلَبُوا الصُّلْحَ وَسَأَلُوا الْأَمَانَ وَأَنْ يَرُدَّهُمْ إِلَى الصُّغْدِ ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرُدُّوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَذَرَارِيهِمْ ، وَأَنْ يُؤَدُّوا مَا كَسَرُوا مِنَ الْخَرَاجِ ، وَلَا يَغْتَالُوا أَحَدًا ، وَلَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ بِخُجَنْدَةَ أَحَدٌ ، فَإِنْ أَحْدَثُوا حَدَثًا حَلَّتْ دِمَاؤُهُمْ. |
| فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْمُلُوكُ وَالتُّجَّارُ مِنَ الصُّغْدِ ، وَتَرَكَ أَهْلَ خُجَنْدَةَ عَلَى حَالِهِمْ ، وَنَزَلَ عُظَمَاءُ الصُّغْدِ عَلَى الْجُنْدِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُمْ ، وَنَزَلَ كَارَزَنْجُ عَلَى أَيُّوبَ بْنِ أَبِي حَسَّانَ. |
| وَبَلَغَ الْحَرَشِيُّ أَنَّهُمْ قَتَلُوا امْرَأَةً مِمَّنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ بَلَغَنِي أَنَّ ثَابِتًا قَتْلَ امْرَأَةً وَدَفَنَهَا ، فَجَحَدَ ، فَسَأَلَ فَإِذَا الْخَبَرُ صَحِيحٌ ، فَدَعَا بِثَابِتٍ إِلَى خَيْمَتِهِ فَقَتَلَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ كَارَزَنْجُ بِقَتْلِهِ خَافَ أَنْ يُقْتَلَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ لِيَأْتِيَهُ بِسَرَاوِيلَ ، وَكَانَ قَدْ قَالَ لِابْنِ أَخِيهِ إِذَا طَلَبْتُ سَرَاوِيلَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ الْقَتْلُ ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ ، وَخَرَجَ ، وَاعْتَرَضَ النَّاسَ ، فَقَتَلَ نَاسًا ، وَتَضَعْضَعَ الْعَسْكَرُ ، وَلَقُوا مِنْهُ شَرًّا ، وَانْتَهَى إِلَى ثَابِتِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَقَتَلَهُ ثَابِتٌ. |
| وَقَتَلَ الصُّغْدُ أَسْرَى عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِائَةً وَخَمْسِينَ رَجُلًا ، فَأُخْبِرَ الْحَرَشِيُّ بِذَلِكَ ، فَسَأَلَ ، فَرَأَى الْخَبَرَ صَحِيحًا ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَعَزْلِ التُّجَّارِ عَنْهُمْ ، فَقَاتَلَهُمُ الصُّغْدُ بِالْخَشَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سِلَاحٌ ، فَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَقِيلَ سَبْعَةَ آلَافٍ ، وَاصْطَفَى أَمْوَالَ الصُّغْدِ وَذَرَارِيهِمْ ، وَأَخَذَ مِنْهَا مَا أَعْجَبَهُ ، ثُمَّ دَعَا مُسْلِمَ بْنَ بُدَيْلٍ الْعَدَوِيَّ عَدِيٌّ الرَّبَابُ ، وَقَالَ وَلَّيْتُكَ الْمَقْسَمَ. |
| فَقَالَ بَعْدَمَا عَمِلَ فِيهِ عُمَّالُكَ لَيْلَةً! |
| وَلِّهِ غَيْرِي ، فَوَلَّاهُ غَيْرَهُ. |
| وَكَتَبَ الْحَرَشِيُّ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَمْ يَكْتُبْ إِلَى عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فَكَانَ هَذَا مِمَّا أَوْغَرَ صَدْرَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ ثَابِتُ قُطْنَةَ يَذْكُرُ مَا أَصَابُوا مِنْ عُظَمَائِهِمْ أَقَرَّ الْعَيْنَ مَصْرَعُ كَارَزَنْجٍ... |
| وَكَشْكِيرٍ وَمَا لَاقَى يُبَادُ وَدَيْوَشْتَى وَمَا لَاقَى خَلَنْجٌ... |
| بِحِصْنِ خُجَنْدَ إِذْ دَمَرُوا فَبَادُوا يُقَالُ إِنَّ دَيْوَشْتَى دِهْقَانُ سَمَرْقَنْدَ ، وَاسْمُهُ دَيْوَ أَشْنَجِ فَأَعْرَبُوهُ ، وَقِيلَ كَانَ عَلَى أَقْبَاضِ خُجَنْدَةَ عِلْبَاءُ بْنُ أَحْمَرَ الْيَشْكُرِيُّ ، فَاشْتَرَى رَجُلٌ مِنْهُمْ جُونَةً بِدِرْهَمَيْنِ ، فَوَجَدَ فِيهَا سَبَائِكَ ذَهَبٍ ، فَرَجَعَ وَقَدْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ رَمِدَ ، فَرَدَّ الْجُونَةَ ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ ، فَطُلِبَ فَلَمْ يُعْرَفْ. |
| وَسَرَّحَ الْحَرَشِيُّ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي السَّرِيِّ إِلَى حِصْنٍ يُطِيفُ بِهِ وَادِي الصُّغْدِ إِلَّا مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ ، وَمَعَهُ خُوَارَزْمُشَاهْ ، وَصَاحِبُ آخْرُونَ ، وَشُومَانَ ، فَسَيَّرَ سُلَيْمَانُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ الْمُسَيَّبَ بْنَ بِشْرٍ الرِّيَاحِيَّ ، فَتَلْقَوْهُ عَلَى فَرْسَخٍ ، فَهَزَمَهُمْ حَتَّى رَدَّهُمْ إِلَى حِصْنِهِمْ فَحَصَرَهُمْ ، فَطَلَبَ الدَّيْوَشْتَى أَنْ يَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ الْحَرَشِيِّ ، فَسَيَّرَهُ إِلَيْهِ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَطَلَبَ أَهْلُ الْقَلْعَةِ الصُّلْحَ عَلَى أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ وَيُسَلِّمُونَ الْقَلْعَةَ. |
| فَبَعَثَ سُلَيْمَانُ إِلَى الْحَرَشِيِّ لِيَبْعَثَ الْأُمَنَاءَ لِقَبْضِ مَا فِي الْقَلْعَةِ ، فَبَعَثَ مَنْ قَبَضَهُ وَبَاعُوهُ وَقَسَّمُوهُ. |
| وَسَارَ الْحَرَشِيُّ إِلَى كَشَّ ، وَصَالَحُوهُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ رَأْسٍ ، وَقِيلَ سِتَّةِ آلَافِ رَأْسٍ. |
| وَسَارَ إِلَى زَرَنْجَ ، فَوَافَاهُ كِتَابُ ابْنِ هُبَيْرَةَ بِإِطْلَاقِ دَيْوَشْتَى ، فَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ ، وَوَلَّى نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ قَبْضَ صُلْحِ كَشَّ ، وَاسْتَعْمَلَ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي السَّرِيِّ عَلَى كَشَّ وَنَسَفَ حَرْبِهَا وَخَرَاجِهَا. |
| وَكَانَتْ خَزَائِنَ مَنِيعَةً ، فَقَالَ الْمُجَشِّرِ لِلْحَرَشِيِّ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ يَفْتَحُهَا لَكَ بِغَيْرِ قِتَالٍ ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَ الْمُسَرْبَلُ بْنُ الْخِرِّيتِ بْنِ رَاشِدٍ النَّاجِي ، فَوَجَّهَهُ إِلَيْهَا ، وَكَانَ صَدِيقًا لِمَلِكِهَا ، وَاسْمُ الْمَلِكِ سُبُقْرَى ، فَأَخْبَرَ الْمَلِكَ بِمَا صَنَعَ الْحَرَشِيُّ بِأَهْلِ خُجَنْدَةَ وَخَوَّفَهُ ، قَالَ فَمَا تَرَى ؟ |
| قَالَ أَنْ تَنْزِلَ بِأَمَانٍ. |
| قَالَ فَمَا أَصْنَعُ بِمَنْ لَحِقَ بِي ؟ |
| قَالَ تَجْعَلُهُمْ فِي أَمَانِكَ ، فَصَالَحَهُمْ فَآمَنُوهُ وَبِلَادَهُ ، وَرَجَعَ الْحَرَشِيُّ إِلَى بِلَادِهِ وَمَعَهُ سُبُقْرَى ، فَقُتِلَ سُبُقْرَى وَصُلِبَ وَمَعَهُ الْأَمَانُ. |
| ذِكْرُ ظَفَرِ الْخَزَرِ بِالْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ جَيْشٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِلَادَ الْخَزَرِ مِنْ أَرْمِينِيَّةَ وَعَلَيْهِمْ ثُبَيْتٌ النَّهْرَانِيُّ ، فَاجْتَمَعَتِ الْخَزَرُ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ وَأَعَانَهُمْ قُفْجَاقٌ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ التُّرْكِ ، فَلَقُوا الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَانٍ يُعْرَفُ بِمَرْجِ الْحِجَارَةِ ، فَاقْتَتَلُوا هُنَالِكَ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَشَرٌ كَثِيرٌ وَاحْتَوَتِ الْخَزَرُ عَلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَغَنِمُوا جَمِيعَ مَا فِيهِ ، وَأَقْبَلَ الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى الشَّامِ فَقَدِمُوا عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَفِيهِمْ ثُبَيْتٌ ، فَوَبَّخَهُمْ يَزِيدُ عَلَى الْهَزِيمَةِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا جَبُنْتُ وَلَا نَكَبْتُ عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ لَصَقْتُ الْخَيْلَ بِالْخَيْلِ وَالرَّجُلَ بِالرَّجُلِ ، وَلَقَدْ طَاعَنْتُ حَتَّى انْقَصَفَ رُمْحِي ، وَضَارَبْتُ حَتَّى انْقَطَعَ سَيْفِي ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ الْجَرَّاحِ أَرْمِينِيَّةَ وَفَتْحِ بَلَنْجَرَ وَغَيْرِهَا لَمَّا تَمَّتِ الْهَزِيمَةُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَمِعَ الْخَزَرُ فِي الْبِلَادِ ، فَجَمَعُوا وَحَشَدُوا ، وَاسْتَعْمَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيَّ حِينَئِذٍ عَلَى أَرْمِينِيَّةَ ، وَأَمَدَّهُ بِجَيْشٍ كَثِيفٍ ، وَأَمْرَهُ بِغَزْوِ الْخَزَرِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَبِقَصْدِ بِلَادِهِ. |
| فَسَارَ الْجَرَّاحُ ، وَتَسَامَعَ الْخَزَرِيَّةُ ، فَعَادُوا حَتَّى نَزَلُوا بِالْبَابِ وَالْأَبْوَابِ ، وَوَصَلَ الْجَرَّاحُ إِلَى بَرْذَعَةَ ، فَأَقَامَ حَتَّى اسْتَرَاحَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَسَارَ نَحْوَ الْخَزَرِ ، فَعَبَرَ نَهْرَ الْكَرِّ ، فَسَمِعَ بِأَنَّ بَعْضَ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْجِبَالِ قَدْ كَاتَبَ مَلِكَ الْخَزَرِ يُخْبِرُهُ بِمُسَيَّرِ الْجَرَّاحِ إِلَيْهِ ، فَحِينَئِذٍ أَمَرَ الْجَرَّاحُ مُنَادِيَهُ فَنَادَى فِي النَّاسِ إِنَّ الْأَمِيرَ مُقِيمٌ هَاهُنَا عِدَّةَ أَيَّامٍ ، فَاسْتَكْثِرُوا مِنَ الْمِيرَةِ; فَكَتَبَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى مَلِكِ الْخَزَرِ يُخْبِرُهُ أَنَّ الْجَرَّاحَ مُقِيمٌ ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِتَرْكِ الْحَرَكَةِ لِئَلَّا يَطْمَعَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ. |
| فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَمَرَ الْجَرَّاحُ بِالرَّحِيلِ ، فَسَارَ مُجِدًّا حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَدِينَةِ الْبَابِ وَالْأَبْوَابِ ، فَلَمْ يَرَ الْخَزَرَ ، فَدَخَلَ الْبَلَدَ فَبَثَّ سَرَايَاهُ فِي النَّهْبِ وَالْغَارَةِ عَلَى مَا يُجَاوِرُهُ ، فَغَنِمُوا وَعَادُوا مِنَ الْغَدِ ، وَسَارَ الْخَزَرُ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ ابْنُ مَلِكِهِمْ ، فَالْتَقَوْا عِنْدَ نَهْرِ الرَّانِ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَرَّضَ الْجَرَّاحُ أَصْحَابَهُ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَظَفِرُوا بِالْخَزَرِ وَهَزَمُوهُمْ ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعَ مَا مَعَهُمْ ، وَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِالْحُصَيْنِ ، فَنَزَلَ أَهْلُهُ بِالْأَمَانِ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُونَهُ ، فَأَجَابَهُمْ وَنَقَلَهُمْ عَنْهَا. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا يَرْغُوَا ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا سِتَّةَ أَيَّامٍ ، وَهُوَ مُجِدٌّ فِي قِتَالِهِمْ ، فَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَآمَنَهُمْ وَتَسَلَّمَ حِصْنَهُمْ وَنَقَلَهُمْ مِنْهُ. |
| ثُمَّ سَارَ الْجَرَّاحُ إِلَى بَلَنْجَرَ ، وَهُوَ حِصْنٌ مَشْهُورٌ مِنْ حُصُونِهِمْ ، فَنَازَلَهُ ، وَكَانَ أَهْلُ الْحِصْنِ قَدْ جَمَعُوا ثَلَاثَمِائَةِ عَجَلَةٍ ، فَشَدُّوا بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَجَعَلُوهَا بِحَوْلِ حِصْنِهِمْ لِيَحْتَمُوا بِهَا ، وَتَمْنَعَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْحِصْنِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْعَجَلُ أَشَدُّ شَيْءٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي قِتَالِهِمْ. |
| فَلَمَّا رَأَوُا الضَّرَرَ الَّذِي عَلَيْهِمْ مِنْهَا انْتَدَبَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ نَحْوَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَتَعَاهَدُوا عَلَى الْمَوْتِ ، وَكَسَرُوا جُفُونَ سُيُوفِهِمْ ، وَحَمَلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَتَقَدَّمُوا نَحْوَ الْعَجَلِ ، وَجَدَّ الْكُفَّارُ فِي قِتَالِهِمْ ، وَرَمَوْا مِنَ النُّشَّابِ مَا كَانَ يَحْجُبُ الشَّمْسَ ، فَلَمْ يَرْجِعْ أُولَئِكَ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْعَجَلِ ، وَتَعَلَّقُوا بِبَعْضِهَا ، وَقَطَعُوا الْحَبْلَ الَّذِي يُمْسِكُهَا ، وَجَذَبُوهَا فَانْحَدَرَتْ ، وَتَبِعَهَا سَائِرُ الْعَجَلِ ، لِأَنَّ بَعْضَهَا كَانَ مَشْدُودًا إِلَى بَعْضٍ ، وَانْحَدَرَ الْجَمِيعُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَالْتَحَمَ الْقِتَالُ وَاشْتَدَّ ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ عَلَى الْجَمِيعِ حَتَّى بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْخَزَرَ انْهَزَمُوا وَاسْتَوْلَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْحِصْنِ عَنْوَةً وَغَنِمُوا جَمِيعَ مَا فِيهِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَأَصَابَ الْفَارِسُ ثَلَاثَمِائَةِ دِينَارٍ ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا. |
| ثُمَّ إِنَّ الْجَرَّاحَ أَخَذَ أَوْلَادَ صَاحِبِ بَلَنْجَرَ وَأَهْلَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَحْضَرَهُ ، وَرَدَّ إِلَيْهِ أَمْوَالَهُ وَأَهْلَهُ وَحِصْنَهُ ، وَجَعَلَهُ عَيْنًا لَهُمْ يُخْبِرُهُمْ بِمَا يَفْعَلُهُ الْكُفَّارُ. |
| ثُمَّ سَارَ عَنْ بَلَنْجَرَ فَنَزَلَ عَلَى حِصْنِ الْوَبَنْدَرِ ، وَبِهِ نَحْوُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنَ التُّرْكِ ، فَصَالَحُوا الْجَرَّاحَ عَلَى مَالٍ يُؤَدُّونَهُ. |
| ثُمَّ إِنْ أَهْلَ تِلْكَ الْبِلَادِ تَجَمَّعُوا وَأَخَذُوا الطُّرُقَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَكَتَبَ صَاحِبُ بَلَنْجَرَ إِلَى الْجَرَّاحِ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ. |
| فَعَادَ مُجِدًّا حَتَّى وَصَلَ إِلَى رُسْتَاقِ مَلَّى ، وَأَدْرَكَهُمُ الشِّتَاءُ ، فَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ ، وَكَتَبَ الْجَرَّاحُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يُخْبِرُهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَبِمَا اجْتَمَعَ مِنَ الْكُفَّارِ وَيَسْأَلُهُ الْمَدَدَ. |
| فَوَعَدَهُ إِنْفَاذَ الْعَسَاكِرِ إِلَيْهِ ، فَأَدْرَكَهُ أَجْلُهُ قَبْلَ إِنْفَاذِ الْجَيْشِ ، فَأَرْسَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْجَرَّاحِ ، فَأَقَرَّهُ عَلَى عَمَلِهِ ، وَوَعَدَهُ الْمَدَدَ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الضَّحَّاكِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَيْهِمَا ثَلَاثَ سِنِينَ ، وَوَلَّى عَبْدَ الْوَاحِدِ النَّضْرِيَّ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ خَطَبَ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَقَالَتْ مَا أُرِيدُ النِّكَاحَ وَلَقَدْ قَعَدْتُ عَلَى بَنِيَّ هَؤُلَاءِ. |
| فَأَلَحَّ عَلَيْهَا وَقَالَ لَئِنْ لَمْ تَفْعَلِي لَأَجْلِدَنَّ أَكْبَرَ بَنِيكِ فِي الْخَمْرِ ، يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ عَلَى الدِّيوَانِ بِالْمَدِينَةِ ابْنُ هُرْمُزَ ، رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَقَدْ رَفَعَ حِسَابَهُ وَيُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى يَزِيدَ ، فَدَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ يُوَدِّعُهَا فَقَالَ هَلْ مِنْ حَاجَةٍ ؟ فَقَالَتْ تُخْبِرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَلْقَى مِنِ ابْنِ الضَّحَّاكِ ، وَمَا يَتَعَرَّضُ مِنِّي ، وَبَعَثَتْ رَسُولًا بِكِتَابٍ إِلَى يَزِيدَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ. |
| وَقَدِمَ ابْنُ هُرْمُزَ عَلَى يَزِيدَ ، فَاسْتَخْبَرَهُ عَنِ الْمَدِينَةِ وَقَالَ هَلْ مِنْ مَغْرَبَةِ خَبَرٍ ؟ |
| فَلَمْ يَذْكُرْ شَأْنَ فَاطِمَةَ. |
| فَقَالَ الْحَاجِبُ لِيَزِيدَ بِالْبَابِ رَسُولٌ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ. |
| فَقَالَ ابْنُ هُرْمُزَ إِنَّهَا حَمَّلَتْنِي رِسَالَةً. |
| وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ. |
| فَنَزَلَ مِنْ فِرَاشِهِ ، وَقَالَ لَا أُمَّ لَكَ! |
| عِنْدَكَ هَذَا وَلَا تُخْبِرُنِيهِ ؟ |
| فَاعْتَذَرَ بِالنِّسْيَانِ ، وَأَذِنَ لِرَسُولِهَا فَأَدْخَلَهُ ، وَأَخَذَ الْكِتَابَ ، فَقَرَأَهُ ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِخَيْزُرَانٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ لَقَدِ اجْتَرَأَ ابْنُ الضَّحَّاكِ ، هَلْ مِنْ رَجُلٍ يُسْمُعُنِي صَوْتَهُ فِي الْعَذَابِ ؟ |
| قِيلَ لَهُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّضْرِيُّ. |
| فَكَتَبَ بِيَدِهِ إِلَى عَبْدِ الْوَاحِدِ قَدْ وَلَّيْتُكَ الْمَدِينَةَ ، فَاهْبِطْ إِلَيْهَا ، وَاعْزِلْ عَنْهَا ابْنَ الضَّحَّاكِ ، وَأَغْرِمْهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَعَذِّبْهُ حَتَّى أَسْمَعَ صَوْتَهُ وَأَنَا عَلَى فِرَاشِي. |
| وَسَارَ الْبَرِيدُ بِالْكِتَابِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى ابْنِ الضَّحَّاكِ ، فَأُخْبِرَ ابْنُ الضَّحَّاكِ ، فَأَحْضَرَ الْبَرِيدَ ، وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ لِيُخْبِرَهُ خَبَرَهُ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَسَارَ ابْنُ الضَّحَّاكِ مُجِدًّا ، فَنَزَلَ عَلَى مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاسْتَجَارَهُ ، فَحَضَرَ مَسْلَمَةُ عِنْدَ يَزِيدَ ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ حَاجَةَ خَالِهِ ، فَقَالَ كُلُّ حَاجَةٍ فَهِيَ لَكَ إِلَّا ابْنَ الضَّحَّاكِ. |
| فَقَالَ هِيَ وَاللَّهِ ابْنُ الضَّحَّاكِ. |
| فَقَالَ وَاللَّهِ لَا أُعْفِيهِ أَبَدًا. |
| وَرَدَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى عَبْدِ الْوَاحِدِ ، فَعَذَّبَهُ وَلَقِيَ شَرًّا ، ثُمَّ لَبِسَ جُبَّةَ صُوفٍ يَسْأَلُ النَّاسَ. |
| وَكَانَ قُدُومُ النَّضْرِيِّ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ. |
| وَكَانَ ابْنُ الضَّحَّاكِ قَدْ آذَى الْأَنْصَارَ طُرًّا ، فَهَجَاهُ الشُّعَرَاءُ وَذَمَّهُ الصَّالِحُونَ ، وَلَمَّا وَلِيَهُمُ النَّضْرِيُّ أَحْسَنَ السِّيرَةَ فَأَحَبُّوهُ ، وَكَانَ خَيِّرًا يَسْتَشِيرُ فِيمَا يُرِيدُ فِعْلَهُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، وَسَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ. |
| ذِكْرُ وِلَادَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ وَقِيلَ وَفِيهَا وُلِدَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَهُوَ السَّفَّاحُ ، وَوَصَلَ إِلَى أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ مِنْ خُرَاسَانَ فِي عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ أَبَا الْعَبَّاسِ فِي خِرْقَةٍ ، وَلَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَقَالَ لَهُمْ هَذَا صَاحِبُكُمُ الَّذِي يَتِمُّ الْأَمْرُ عَلَى يَدِهِ فَقَبَّلُوا أَطْرَافَهُ ، وَقَالَ لَهُمْ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى تُدْرِكُوا ثَأْرَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ سَعِيدٍ الْحَرَشِيِّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ سَعِيدًا الْحَرَشِيَّ عَنْ خُرَاسَانَ ، وَوَلَّاهَا مُسْلِمَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ زُرْعَةَ الْكِلَابِيَّ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ كَتَبَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ إِلَى الْحَرَشِيِّ بِإِطْلَاقِ الدَّيْوَشْتَى ، فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ يَسْتَخِفُّ بِابْنِ هُبَيْرَةَ وَيَذْكُرُهُ بِأَبِي الْمُثَنَّى ، وَلَا يَقُولُ الْأَمِيرُ فَيَقُولُ قَالَ أَبُو الْمُثَنَّى ، وَفَعَلَ أَبُو الْمُثَنَّى ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ هُبَيْرَةَ ، فَأَرْسَلَ جَمِيلَ بْنَ عِمْرَانَ; لِيَعْلَمَ حَالَ الْحَرَشِيِّ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يَنْظُرُ فِي الدَّوَاوِينِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الْحَرَشِيِّ ، قَالَ كَيْفَ أَبُو الْمُثَنَّى ؟ |
| فَقِيلَ لَهُ إِنَّ جَمِيلًا لَمْ يَقْدَمْ إِلَّا لِيَعْلَمَ عِلْمَكَ. |
| فَسَمَّ بَطِّيخَةً وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَأَكَلَهَا ، وَمَرِضَ ، وَسَقَطَ شَعْرُهُ ، وَرَجَعَ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ ، وَقَدْ عُولِجَ ، فَصَحَّ ، فَقَالَ لَهُ الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِمَّا بَلَغَكَ ، مَا يَرَى الْحَرَشِيُّ إِلَّا أَنَّكَ عَامِلٌ لَهُ ، فَغَضِبَ وَعَزَلَهُ ، وَنَفْحَ فِي بَطْنِهِ النَّمْلَ ، وَعَذَّبَهُ حَتَّى أَدَّى الْأَمْوَالَ. |
| وَسَمَرَ لَيْلَةً ابْنُ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ مَنْ سَيِّدُ قَيْسٍ ؟ |
| فَقَالُوا الْأَمِيرُ. |
| قَالَ دَعُوا هَذَا سَيِّدُ قَيْسٍ الْكَوْثَرُ بْنُ زُفَرَ ، لَوْ ثَوَّرَ بِلَيْلٍ لَوَافَاهُ عِشْرُونَ أَلْفًا لَا يَقُولُونَ لِمَ دَعَوْتَنَا ، وَفَارِسُهَا هَذَا الْحِمَارُ الَّذِي فِي الْحَبْسِ ، وَقَدْ أَمَرْتُ بِقَتْلِهِ ، يَعْنِي الْحَرَشِيَّ ، فَأَمَّا خَيْرُ قَيْسٍ لَهَا فَعَسَى أَنْ أَكُونَهُ. |
| فَقَالَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ لَوْ كُنْتَ كَمَا تَقُولُ مَا أَمَرْتَ بِقَتْلِ فَارِسِهَا. |
| فَأَرْسَلَ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ عُرْوَةَ أَنْ كُفَّ عَنْ قَتْلِهِ ، وَكَانَ قَدْ سَلَّمَهُ إِلَيْهِ لِيَقْتُلَهُ ، وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ لَمَّا وَلَّى مُسْلِمَ بْنَ سَعِيدٍ خُرَاسَانَ أَمَرَهُ بِأَخْذِ الْحَرَشِيِّ وَتَقْيِيدِهِ وَإِنْفَاذِهِ إِلَيْهِ ، فَقَدِمَ مُسْلِمٌ دَارَ الْإِمَارَةِ ، فَرَأَى الْبَابَ مُغْلَقًا ، فَقِيلَ لِلْحَرَشِيِّ قَدِمَ مُسْلِمٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَقَدِمْتَ أَمِيرًا أَوْ وَزِيرًا أَوْ زَائِرًا ؟ |
| فَقَالَ مِثْلِي لَا يَقْدَمُ زَائِرًا وَلَا وَزِيرًا. |
| فَأَتَاهُ الْحَرَشِيُّ فَشَتَمَهُ وَقَيَّدَهُ وَأَمَّرَ بِحَبْسِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ صَاحِبَ الْحَبْسِ أَنْ يَزِيدَهُ قَيْدًا ، فَأُخْبِرَ الْحَرَشِيُّ بِذَلِكَ ، فَقَالَ لِكَاتِبِهِ اكْتُبْ إِلَيْهِ إِنَّ صَاحِبَ سِجْنِكَ ذَكَرَ أَنَّكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَزِيدَنِي قَيْدًا ، فَإِنْ كَانَ أَمْرًا فَوْقَكَ فَسَمْعًا وَطَاعَةً ، وَإِنْ كَانَ رَأْيًا رَأَيْتَهُ فَسَيْرُكَ الْحَقْحَقَةِ! |
| وَهِيَ أَشَدُّ السِّيَرِ ، وَتَمَثَّلَ فَإِمَّا تَثْقَفُونِي فَاقْتُلُونِي... |
| وَمَنْ يُثَقَفْ فَلَيْسَ لَهُ خُلُودُ هُمُ الْأَعْدَاءُ إِنْ شَهِدُوا وَغَابُوا... |
| أُولُوا الْأَحْقَادِ وَالْأَكْبَادُ سُودُ فَلَمَّا هَرَبَ ابْنُ هُبَيْرَةَ عَنِ الْعِرَاقِ أَرْسَلَ خَالِدٌ الْقَسْرِيُّ فِي طَلَبِ الْحَرَشِيِّ ، فَأَدْرَكَهُ عَلَى الْفُرَاتِ ، فَقَالَ مَا ظَنُّكَ بِي ؟ |
| قَالَ ظَنِّي بِكَ أَنَّكَ لَا تَدْفَعُ رَجُلًا مِنْ قَوْمِكَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قَيْسٍ. |
| فَقَالَ هُوَ ذَاكَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّضْرِيُّ. |
| وَعَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ. |
| وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ حُسَيْنُ بْنُ حَسَنٍ الْكِنْدِيُّ. |
| وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ يَعْلَى. |
| الوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو قِلَابَةَ الْجَرْمِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَةٍ. |
| وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ. |
| وَعُمَيْرٌ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يُكَنَّى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. |
| وَخَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي كَرْبٍ الْكُلَاعِيُّ ، سَكَنَ الشَّامَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَمِائَةٍ ذِكْرُ خُرُوجِ عُقْفَانَ فِي أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ خَرَجَ حَرُورِيٌّ اسْمُهُ عُقْفَانُ فِي ثَمَانِينَ رَجُلًا ، فَأَرَادَ يَزِيدُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ جُنْدًا يُقَاتِلُونَهُ فَقِيلَ لَهُ إِنْ قُتِلَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ اتَّخَذَهَا الْخَوَارِجُ دَارَ هِجْرَةٍ ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَبْعَثَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ يُكَلِّمُهُ وَيَرُدُّهُ. |
| فَفَعَلَ ذَلِكَ. |
| فَقَالَ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ إِنَّا نَخَافُ أَنْ نُؤْخَذَ بِكُمْ. |
| وَأُومِنُوا وَبَقِيَ عُقْفَانُ وَحْدَهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَزِيدُ أَخَاهُ ، فَاسْتَعْطَفَهُ ، فَرَدَّهُ ، فَلَمَّا وَلِيَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَّاهُ أَمْرَ الْعُصَاةِ ، فَقَدِمَ ابْنُهُ مِنْ خُرَاسَانَ غَاضِبًا ، فَشَدَّهُ وَثَاقًا وَبَعَثَ بِهِ إِلَى هِشَامٍ ، فَأَطْلَقَهُ لِأَبِيهِ وَقَالَ لَوْ خَانَنَا عُقْفَانُ لَكَتَمَ أَمْرَ ابْنِهِ. |
| وَاسْتَعْمَلَ عُقْفَانَ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَبَقِيَ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ هِشَامٌ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ مَسْعُودٍ الْعَبْدِيِّ وَخَرَجَ مَسْعُودُ بْنُ أَبِي زَيْنَبَ الْعَبْدِيُّ بِالْبَحْرَيْنِ عَلَى الْأَشْعَثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَارُودِ ، فَفَارَقَ الْأَشْعَثُ الْبَحْرَيْنِ ، وَسَارَ مَسْعُودٌ إِلَى الْيَمَامَةِ ، وَعَلَيْهَا سُفْيَانُ بْنُ عَمْرٍو الْعُقَيْلِيُّ ، وَلَّاهُ إِيَّاهَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سُفْيَانُ ، فَاقْتَتَلُوا بِالْخِضْرِمَةِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ مَسْعُودٌ ، وَقَامَ بِأَمْرِ الْخَوَارِجِ بَعْدَهُ هِلَالُ بْنُ مُدْلِجٍ فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُ كُلَّهُ ، فَقُتِلَ نَاسٌ مِنَ الْخَوَارِجِ وَقُتِلَتْ زَيْنَبُ أُخْتُ مَسْعُودٍ ، فَلَمَّا أَمْسَى هِلَالٌ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَبَقِيَ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، فَدَخَلَ قَصْرًا فَتَحَصَّنَ بِهِ ، فَنَصَبُوا عَلَيْهِ السَّلَالِيمَ ، وَصَعِدُوا إِلَيْهِ ، فَقَتَلُوهُ وَاسْتَأْمَنَ أَصْحَابُهُ فَآمَنَهُمْ ، وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي هَذَا الْيَوْمِ لَعَمْرِي لَقَدْ سَلَّتْ حَنِيفَةُ سَلَّةً... |
| سُيُوفًا أَبَتْ يَوْمَ الْوَغَى أَنْ تُغَيَّرَا تَرَكْنَ لِمَسْعُودٍ وَزَيْنَبَ أُخْتِهِ... |
| رِدَاءً وَسِرْبَالًا مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرَا أَرَيْنَ الْحَرُورِيَّيْنِ يَوْمَ لِقَائِهِمْ... |
| بِبُرْقَانَ يَوْمًا يَجْعَلُ الْمَوْتَ أَشْقَرَا وَقِيلَ إِنَّ مَسْعُودًا غَلَبَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى قَتَلَهُ سُفْيَانُ بْنُ عَمْرٍو الْعُقَيْلِيُّ. |
| الْخِضْرِمَةُ بِكَسْرِ الْخَاءِ وَسُكُونِ الضَّادِ الْمُعْجَمَتَيْنِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ . |
| ذِكْرُ مُصْعَبِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَالِبِيِّ كَانَ مُصْعَبٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْخَوَارِجِ ، وَطَلَبَهُ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَطَلَبَ مَعَهُ مَالِكَ بْنَ الصَّعْبِ ، وَجَابِرَ بْنَ سَعْدٍ ، فَخَرَجُوا وَاجْتَمَعُوا بِالْخَوَرْنَقِ ، وَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ مُصْعَبًا ، وَمَعَهُ أُخْتُهُ آمِنَةُ ، وَسَارُوا عَنْهُ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْعِرَاقِ خَالِدًا الْقَسْرِيَّ سَيَّرَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا ، وَكَانُوا قَدْ صَارُوا بِحَزَّةَ مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ الْخَوَارِجُ ، وَقِيلَ كَانَ قَتْلُهُمْ آخِرَ أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ فِيهِمُ الشُّعَرَاءُ فِتْيَةٌ تَعْرِفُ التَّخَشُّعَ فِيهِمْ... |
| كُلُّهُمْ أَحْكَمَ الْقُرَانَ إِمَامًا قَدْ بَرَى لَحْمَهُ التَّهَجُّدُ حَتَّى... |
| عَادَ جِلْدًا مُصَفَّرًا وَعِظَامَا غَادَرُوهُمْ بِقَاعِ حَزَّةَ صَرْعَى... |
| فَسَقَى الْغَيْثُ أَرْضَهُمْ يَا إِمَامَا ذِكْرُ مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ ، وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ وَشَهْرًا وَأَيَّامًا ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو خَالِدٍ ، وَكَانَ مَرَضُهُ السُّلُّ. |
| وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّ حَبَابَةَ لَمَّا مَاتَتْ وَجَدَ عَلَيْهَا وَجْدًا شَدِيدًا ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَخَرَجَ مُشَيِّعًا لِجِنَازَتِهَا وَمَعَهُ أَخُوهُ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِيُسَلِّيَهُ وَيُعَزِّيَهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ بِكَلِمَةٍ ، وَقِيلَ إِنَّ يَزِيدَ لَمْ يُطِقِ الرُّكُوبَ مِنَ الْجَزَعِ ، وَعَجَزَ عَنِ الْمَشْيِ ، فَأَمَرَ مَسْلَمَةَ فَصَلَّى عَلَيْهَا ، وَقِيلَ مَنَعَهُ مَسْلَمَةُ عَنْ ذَلِكَ لِئَلَّا يَرَى النَّاسُ مِنْهُ مَا يَعِيبُونَهُ بِهِ. |
| فَلَمَّا دُفِنَتْ بَقِيَ بَعْدَهَا خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَمَاتَ وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِهَا ، وَقِيلَ بَقِيَ بَعْدَهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَلَمَّا مَاتَ صَلَّى عَلَيْهِ أَخُوهُ مَسْلَمَةُ ، وَقِيلَ ابْنُهُ الْوَلِيدُ ، وَكَانَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِحِمْصَ. |
| ذِكْرُ بَعْضِ سِيرَتِهِ كَانَ يَزِيدُ مِنْ فِتْيَانِهِمْ ، فَقَالَ يَوْمًا وَقَدْ طَرِبَ وَعِنْدَهُ حَبَابَةُ وَسَلَّامَةُ الْقَسِّ دَعُونِي أَطِيرُ. |
| قَالَتْ حَبَابَةُ عَلَى مَنْ تَدَعُ الْأُمَّةَ ؟ |
| قَالَ عَلَيْكِ ، قِيلَ وَغَنَّتْهُ يَوْمًا وَبَيْنَ التَّرَاقِي وَاللَّهَاةِ حَرَارَةٌ... |
| مَا تَطْمَئِنُّ وَمَا تَسُوغُ فَتَبْرُدَا فَأَهْوَى لِيَطِيرَ ، فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ لَنَا فِيكَ حَاجَةً. |
| فَقَالَ وَاللَّهِ لَأَطِيرَنَّ! |
| فَقَالَتْ عَلَى مَنْ تُخَلِّفُ الْأُمَّةَ وَالْمُلْكَ ؟ |
| قَالَ عَلَيْكِ وَاللَّهِ! |
| وَقَبَّلَ يَدَهَا ، فَخَرَجَ بَعْضُ خَدَمِهِ وَهُوَ يَقُولُ سَخِنَتْ عَيْنُكَ فَمَا أَسْخَفَكَ! |
| وَخَرَجَتْ مَعَهُ إِلَى نَاحِيَةِ الْأُرْدُنِّ يَتَنَزَّهَانِ ، فَرَمَاهَا بِحَبَّةِ عِنَبٍ ، فَدَخَلَتْ حَلْقَهَا ، فَشَرِقَتْ وَمَرِضَتْ وَمَاتَتْ ، فَتَرَكَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَدْفِنْهَا ، حَتَّى أَنْتَنَتْ وَهُوَ يَشُمُّهَا وَيُقَبِلُهَا وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا وَيَبْكِي ، فَكُلِّمَ فِي أَمْرِهَا حَتَّى أَذِنَ فِي دَفْنِهَا ، وَعَادَ إِلَى قَصْرِهِ كَئِيبًا حَزِينًا ، وَسَمِعَ جَارِيَةً لَهُ تَتَمَثَّلُ بَعْدَهَا كَفَى حَزَنًا بِالْهَائِمِ الصَّبِّ أَنْ يَرَى... |
| مَنَازِلَ مَنْ يَهْوَى مُعَطَّلَةً قَفْرَا فَبَكَى ، وَبَقِيَ يَزِيدُ بَعْدَ مَوْتِهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ ، أَشَارَ عَلَيْهِ مَسْلَمَةُ بِذَلِكَ ، وَخَافَ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ مَا يُسَفِّهُهُ عِنْدَهُمْ. |
| وَكَانَ يَزِيدُ قَدْ حَجَّ أَيَّامَ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ ، فَاشْتَرَى حَبَابَةَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَكَانَ اسْمُهَا الْعَالِيَةَ ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَحْجُرَ عَلَى يَزِيدَ ، فَرَدَّهَا يَزِيدُ ، فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، فَلَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى يَزِيدَ قَالَتِ امْرَأَتُهُ سُعْدَةُ هَلْ بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ تَتَمَنَّاهُ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، حَبَابَةُ. |
| فَأَرْسَلَتْ فَاشْتَرَتْهَا ، ثُمَّ صَيَّغَتْهَا ، وَأَتَتْ بِهَا يَزِيدَ ، فَأَجْلَسَتْهَا مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ ، وَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ بَقِيَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ تَتَمَنَّاهُ ؟ |
| قَالَ قَدْ أَعْلَمْتُكِ. |
| فَرَفَعَتِ السِّتْرَ وَقَالَتْ هَذِهِ حَبَابَةُ ، وَقَامَتْ وَتَرَكَتْهَا عِنْدَهُ ، فَحَظِيَتْ سُعْدَةُ عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهَا. |
| وَسُعْدَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ. |
| وَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ لَمْ يُعْلَمْ بِمَوْتِهِ حَتَّى نَاحَتْ سَلَّامَةُ فَقَالَتْ لَا تَلُمْنَا إِنْ خَشَعْنَا أَوْ هَمَمْنَا بِخُشُوعِ... |
| قَدْ لَعَمْرِي بِتُّ لَيْلِي كَأَخِي الدَّاءِ الْوَجِيعِ ثُمَّ بَاتَ الْهَمُّ مِنِّي دُونَ مَنْ لِي بِضَجِيعِ... |
| لِلَّذِي حَلَّ بِنَا الْيَوْمَ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ كُلَّمَا أَبْصَرْتُ رَبْعًا خَالِيًا فَاضَتْ دُمُوعِي... |
| قَدْ خَلَا مِنْ سَيِّدٍ كَانَ لَنَا غَيْرُ مُضِيعِ ثُمَّ نَادَتْ وَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَاهْ! |
| فَعَلِمُوا بِمَوْتِهِ. |
| وَالشِّعْرُ لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ. |
| وَأَخْبَارُ يَزِيدَ مَعَ سَلَّامَةَ وَحَبَابَةَ كَثِيرَةٌ ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهَا. |
| وَإِنَّمَا قِيلَ لِسَلَّامَةَ سَلَّامَةُ الْقَسِّ ، لِأَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ أَحَدَ بَنِي جُشَمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بُكَيْرٍ كَانَ فَقِيهًا عَابِدًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ ، وَكَانَ يُسَمَّى الْقَسَّ لِعِبَادَتِهِ ، مَرَّ يَوْمًا بِمَنْزِلِ مَوْلَاهَا ، فَسَمِعَ غِنَاءَهَا ، فَوَقَفَ يَسْمَعُهُ ، فَرَآهُ مَوْلَاهَا ، فَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ أَنْ تَنْظُرَ وَتَسْمَعَ ؟ |
| فَأَبَى ، فَقَالَ أَنَا أُقْعِدُهَا بِمَكَانٍ لَا تَرَاهَا ، وَتَسْمَعُ غِنَاءَهَا ، فَدَخَلَ مَعَهُ فَغَنَّتْهُ ، فَأَعْجَبَهُ غِنَاؤُهَا ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا مَوْلَاهَا إِلَيْهِ ، فَشُغِفَ بِهَا وَأَحَبَّهَا ، وَأَحَبَّتْهُ هِيَ أَيْضًا ، وَكَانَ شَابًّا جَمِيلًا. |
| فَقَالَتْ لَهُ يَوْمًا عَلَى خَلْوَةٍ أَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ! |
| قَالَ وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكِ! |
| قَالَتْ وَأُحِبُّ أَنْ أُقَبِّلَكَ! |
| قَالَ وَأَنَا وَاللَّهِ! |
| قَالَتْ وَأُحِبُّ أَنْ أَضَعَ بَطْنِي عَلَى بَطْنِكَ! |
| قَالَ وَأَنَا وَاللَّهِ! |
| قَالَتْ فَمَا يَمْنَعُكَ ؟ |
| قَالَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ الزخرف وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَؤُولَ خُلَّتُنَا إِلَى عَدَاوَةٍ ، ثُمَّ قَامَ ، وَانْصَرَفَ عَنْهَا ، وَعَادَ إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَلَهُ فِيهَا أَشْعَارٌ ، مِنْهَا أَلَمْ تَرَهَا لَا يُبْعِدُ اللَّهُ دَارَهَا... |
| إِذَا طَرَّبَتْ فِي صَوْتِهَا كَيْفَ تَصْنَعُ تَمُدُّ نِظَامَ الْقَوْلِ ثُمَّ تَرُدُّهُ... |
| إِلَى صَلْصَلٍ مِنْ صَوْتِهَا يَتَرَجَّعُ وَلَهُ فِيهَا أَلَا قُلْ لِهَذَا الْقَلْبِ هَلْ أَنْتَ مُبْصِرُ... |
| وَهَلْ أَنْتَ عَنْ سَلَّامَةَ الْيَوْمَ مُقْصِرُ أَلَا لَيْتَ أَنِّي حَيْثُ صَارَتْ بِهَا النَّوَى... |
| جَلِيسٌ لِسَلْمَى كُلَّمَا عَجَّ مِزْهَرُ إِذَا أَخَذَتْ فِي الصَّوْتِ كَادَ جَلِيسُهَا... |
| يَطِيرُ إِلَيْهَا قَلْبُهُ حِينَ يَنْظُرُ فَقِيلَ لَهَا سَلَّامَةُ الْقَسِّ لِذَلِكَ. |
| سَلَّامَةُ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ ، وَحَبَابَةُ بِتَخْفِيفِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ . |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتُخْلِفَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِلَيَالٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ ، وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَ اسْتُخْلِفَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَشْهُرًا ، وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ عَامَ قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، فَسَمَّاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ مَنْصُورًا ، وَسَمَّتْهُ أُمُّهُ بِاسْمِ أَبِيهَا هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ ، فَلَمْ يُنْكِرْ عَبْدُ الْمَلِكِ ذَلِكَ. |
| وَكَانَتْ أُمُّهُ عَائِشَةُ بِنْتُ هِشَامٍ حَمْقَاءَ ، فَطَلَّقَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ. |
| وَكَانَتْ كُنْيَةُ هِشَامٍ أَبَا الْوَلِيدِ ، وَأَتَتْهُ الْخِلَافَةُ وَهُوَ بِالرُّصَافَةِ ، أَتَاهُ الْبَرِيدُ بِالْخَاتَمِ وَالْقَضِيبِ ، وَسُلِّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، فَرَكِبَ مِنْهَا حَتَّى أَتَى دِمَشْقَ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ خَالِدٍ الْقَسْرِيِّ الْعِرَاقَ فِيهَا عَزَلَ هِشَامٌ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ عَنِ الْعِرَاقِ ، وَاسْتَعْمَلَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ فِي شَوَّالٍ. |
| قَالَ عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عُمَيْرٍ الْأُسَيِّدِيُّ دَخَلْتُ عَلَى هِشَامٍ وَخَالِدٌ عِنْدَهُ ، وَهُوَ يَذْكُرُ طَاعَةَ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ هَكَذَا خَطَأً وَخَطَلًا ، وَاللَّهِ مَا فُتِحَتْ فِتْنَةٌ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا بِأَهْلِ الْيَمَنِ ، هُمْ قَتَلُوا عُثْمَانَ ، وَهُمْ خَلَعُوا عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَإِنَّ سُيُوفَنَا لَتَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ أَهْلِ الْمُهَلَّبِ. |
| قَالَ فَلَمَّا قُمْتُ تَبِعَنِي رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ وَرَتْ بِكَ زِنَادِي ، قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَلَّى خَالِدًا الْعِرَاقَ ، وَلَيْسَتْ لَكَ بِدَارٍ! |
| فَسَارَ خَالِدٌ إِلَى الْعِرَاقِ مِنْ يَوْمِهِ. |
| الْأُسَيِّدِيُّ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ ، وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ ، هَكَذَا يَقُولُهُ الْمُحَدِّثُونَ ، وَأَمَّا النُّحَاةُ فَإِنَّهُمْ يُخَفِّفُونَ الْيَاءَ ، وَهِيَ عِنْدُ الْجَمِيعِ نِسْبَةٌ إِلَى أُسَيِّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ، بِضَمِّ الْهَمْزَةِ ، وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ . |
| ذِكْرُ دُعَاةِ بَنِي عَبَّاسٍ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ بُكَيْرُ بْنُ مَاهَانَ مِنَ السِّنْدِ ، وَكَانَ بِهَا مَعَ الْجُنَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. |
| فَلَمَّا عُزِلَ الْجُنَيْدُ قَدِمَ بُكَيْرٌ الْكُوفَةَ ، وَمَعَهُ أَرْبَعُ لَبِنَاتٍ مِنْ فِضَّةٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبَ ، فَلَقِيَ أَبَا عِكْرِمَةَ الصَّادِقَ وَمَيْسَرَةَ وَمُحَمَّدَ بْنَ خُنَيْسٍ ، وَسَالِمًا الْأَعْيَنَ ، وَأَبَا يَحْيَى مَوْلَى بَنِي سَلِمَةَ ، فَذَكَرُوا لَهُ أَمْرَ دَعْوَةِ بَنِي هَاشِمٍ ، فَقَبِل ذَلِكَ وَرَضِيَهُ وَأَنْفَقَ مَا مَعَهُ عَلَيْهِمْ ، وَدَخَلَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَمَاتَ مَيْسَرَةُ فَأَقَامَهُ مَقَامَهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْجَرَّاحُ الْحَكَمِيُّ اللَّانَ حَتَّى جَازَ ذَلِكَ إِلَى مَدَائِنَ وَحُصُونٍ وَرَاءَ بَلَنْجَرَ ، فَفَتَحَ بَعْضَ ذَلِكَ ، وَأَصَابَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً. |
| وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرْضَ الرُّومِ ، فَبَعَثَ سَرِيَّةً فِي نَحْوِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ فَأُصِيبُوا جَمِيعًا. |
| وَفِيهَا غَزَا مُسْلِمُ بْنُ سَعِيدٍ الْكِلَابِيُّ أَمِيرُ خُرَاسَانَ التُّرْكَ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، فَلَمْ يَفْتَحْ شَيْئًا وَقَفَلَ ، فَتَبِعَهُ التُّرْكُ ، فَلَحِقُوهُ وَالنَّاسُ يَعْبُرُونَ جَيْحُونَ ، وَعَلَى السَّاقَةِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ حَيَّانَ عَلَى خَيْلِ تَمِيمٍ ، فَحَامُوا حَتَّى عَبَرَ النَّاسُ. |
| وَغَزَا مَسْلَمَةُ أَفْشِينَ ، فَصَالَحَ أَهْلَهَا عَلَى سِتَّةِ آلَافِ رَأْسٍ ، وَدُفِعَ إِلَيْهِ الْقَلْعَةُ ، وَذَلِكَ لِتَمَامِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَفِيهَا غَزَا مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّائِفَةَ الْيُمْنَى ، فَافْتَتَحَ قُونِيَةَ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ وَكُمْخَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ خَالُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَطَاءٍ مَتَى أَخْطُبُ ؟ |
| قَالَ بَعْدَ الظُّهْرِ قَبْلَ التَّرْوِيَةِ بِيَوْمٍ ، فَخَطَبَ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَقَالَ أَخْبَرَنِي رَسُولِي عَنْ عَطَاءٍ ، فَقَالَ عَطَاءٌ مَا أَمَرْتُهُ إِلَّا بَعْدَ الظُّهْرِ ، فَاسْتَحْيَا. |
| وَكَانَ هَذِهِ السَّنَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ عَبْدُ الْوَاحِدِ النَّضْرِيُّ. |
| وَكَانَ عَلَى الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ. |
| وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ حُسَيْنُ بْنُ حَسَنٍ الْكِنْدِيُّ. |
| وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ. |
| الوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ. |
| وَعِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ عِكْرِمَةُ زَوْجَ أُمِّ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ. |
| وَفِيهَا مَاتَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عُبَيْدُ بْنُ حُنَيْنٍ ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَأَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ ، وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبِ بْنِ رَبِيعَةَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أُمُّهُ صَفِيَّةُ أُخْتُ الْمُخْتَارِ ، وَأَوْصَى إِلَيْهِ أَبُوهُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَخُوهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَهُوَ أَخُو سَالِمٍ لِأُمِّهِ ، أُمُّهُمَا أُمُّ وَلَدٍ. |
| فِي أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ تُوُفِّيَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَكَانَ قَدْ فُلِجَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عُمَارَةُ بْنُ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَلَهُ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. |
| وَفِي أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ. |
| وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ الْجُنْدَعِيُّ اللَّيْثِيُّ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ ، سَكَنَ الشَّامَ ، الْجُنْدَعِيُّ بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَالنُّونِ . |
| وَعِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ الْغِفَارِيُّ وَالِدُ خَيْثَمَ بْنِ عِرَاكَ. |
| وَمُوَرِّقٌ الْعِجْلِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَمِائَةٍ ذَكَّرَ الْوَقْعَةِ بَيْنَ مُضَرَ وَالْيَمَنِ بِخُرَاسَانَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتِ الْوَقْعَةُ بَيْنَ الْمُضَرِيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ بِالْبَرُوقَانِ مِنْ أَرْضِ بَلْخٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ زُرْعَةَ غَزَا ، فَتَبَطَّأَ النَّاسُ عَنْهُ ، وَكَانَ مِمَّنْ تَبَطَّأَ عَنْهُ الْبَخْتَرِيُّ بْنُ دِرْهَمٍ ، فَرَدَّ مُسْلِمٌ نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ ، وَبَلْعَاءَ بْنَ مُجَاهِدٍ ، وَغَيْرَهُمَا إِلَى بَلْخٍ ، فَأَمَرَهُمَا أَنْ يُخْرِجُوا النَّاسَ ، فَأَحْرَقَ نَصْرُ بَابَ الْبَخْتَرِيِّ ، وَزِيَادِ بْنِ طَرِيفٍ الْبَاهِلِيِّ ، فَمَنَعَهُمْ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ أَخُو قُتَيْبَةَ دُخُولَ بَلْخٍ وَكَانَ عَلَيْهَا ، وَقَطَعَ مُسْلِمُ بْنُ سَعِيدٍ النَّهْرَ ، وَنَزَلَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ الْبَرُوقَانِ ، وَأَتَاهُ أَهْلُ الصَّغَانَيَانِ ، وَمَسْلَمَةُ التَّمِيمِيُّ ، وَحَسَّانُ بْنُ خَالِدٍ الْأَسَدِيُّ ، وَغَيْرُهُمَا ، وَتَجَمَّعَتْ رَبِيعَةُ وَالْأَزْدُ بِالْبَرُوقَانِ ، عَلَى نِصْفِ فَرْسَخٍ مِنْ نَصْرٍ ، وَخَرَجَتْ مُضَرُ إِلَى نَصْرٍ ، وَخَرَجَتْ رَبِيعَةُ وَالْأَزْدُ إِلَى عَمْرِو بْنِ مُسْلِمِ بْنِ عَمْرٍو ، وَأَرْسَلَتْ تَغْلِبُ إِلَى عَمْرِو بْنِ مُسْلِمٍ إِنَّكَ مِنَّا ، وَأَنْشَدُوهُ شِعْرًا قَالَهُ رَجُلٌ عَزَا بَاهِلَةَ إِلَى تَغْلِبَ ، وَكَانَ بَنُو قُتَيْبَةَ مِنْ بَاهِلَةَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ عَمْرُو ذَلِكَ. |
| وَسَفَرَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ الْحُدَّانِيُّ فِي الصُّلْحِ ، وَكَلَّمَا نَصْرًا ، فَانْصَرَفَ ، فَحَمَلَ أَصْحَابُ عَمْرِو بْنِ مُسْلِمٍ وَالْبَخْتَرِيِّ عَلَى نَصْرٍ ، وَكَرَّ نَصْرُ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ مِنْ أَصْحَابِ عَمْرِو بْنِ مُسْلِمٍ فِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَانْهَزَمَ عَمْرٌو ، وَأَرْسَلَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ مِنْ نَصْرٍ ، فَآمَنُهُ ، وَقِيلَ أَصَابُوا عَمْرًا فِي طَاحُونَةٍ ، فَأَتَوْا بِهِ نَصْرًا وَفِي عُنُقِهِ حَبْلٌ ، فَآمَنَهُ وَضَرَبَهُ مِائَةً ، وَضَرَبَ الْبَخْتَرِيَّ وَزِيَادَ بْنَ طَرِيفٍ مِائَةً مِائَةً ، وَحَلَقَ رُءُوسَهُمْ وَلِحَاهُمْ ، وَأَلْبَسَهُمُ الْمُسُوحَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْهَزِيمَةَ كَانَتْ أَوَّلًا عَلَى نَصْرٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ مُضَرَ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ لِرَجُلٍ مَعَهُ مِنْ تَمِيمٍ كَيْفَ تَرَى أَسْتَاهُ قَوْمِكَ يَا أَخَا تَمِيمٍ ؟ |
| يُعَيِّرُهُ بِذَلِكَ. |
| ثُمَّ كَرَّتْ تَمِيمٌ فَهَزَمَتْ أَصْحَابَ عَمْرٍو ، فَقَالَ التَّمِيمِيُّ لِعَمْرٍو هَذِهِ أَسْتَاهُ قَوْمِي. |
| وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ انْهِزَامِ عَمْرٍو أَنَّ رَبِيعَةَ كَانَتْ مَعَ عَمْرٍو ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ وَمِنَ الْأَزْدِ جَمَاعَةٌ ، فَقَالَتْ رَبِيعَةُ عَلَامَ نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا وَأَمِيرَنَا ، وَقَدْ تَقَرَّبْنَا إِلَى عَمْرٍو فَأَنْكَرَ قَرَابَتَنَا ؟ |
| فَاعْتَزَلُوا ، فَانْهَزَمَتِ الْأَزْدُ وَعَمْرٌو ، ثُمَّ آمَنَهُمْ نَصْرٌ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَلْحَقُوا مُسْلِمَ بْنَ سَعِيدٍ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ مُسْلِمٍ التُّرْكَ ثُمَّ قَطَعَ مُسْلِمٌ النَّهْرَ ، وَلَحِقَ بِهِ مَنْ لَحِقَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ بُخَارَى أَتَاهُ كِتَابُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِوِلَايَتِهِ الْعِرَاقَ ، وَيَأْمُرُهُ بِإِتْمَامِ غَزَاتِهِ. |
| فَسَارَ إِلَى فَرْغَانَةَ ، فَلَمَّا وَصَلَهَا بَلَغَهُ أَنَّ خَاقَانَ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ فِي مَوْضِعٍ ذَكَرُوهُ ، فَارْتَحَلَ ، فَسَارَ ثَلَاثَ مَرَاحِلَ فِي يَوْمٍ ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ خَاقَانُ ، فَلَقِيَ طَائِفَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَصَابَ دَوَابَّ لِمُسْلِمٍ ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقُتِلَ الْمُسَيَّبُ بْنُ بِشْرٍ الرِّيَاحَيُّ ، وَالْبَرَاءُ ، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانِ الْمُهَلَّبِ ، وَقُتِلَ أَخُو غَوْزَكَ ، وَثَارَ النَّاسُ فِي وُجُوهِهِمْ فَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَرَحَلَ مُسْلِمٌ بِالنَّاسِ ، فَسَارَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ وَهُمْ مُطِيفُونَ بِهِمْ ، فَلَمَّا كَانَتِ التَّاسِعَةُ أَرَادُوا النُّزُولَ ، فَشَاوَرُوا النَّاسَ ، فَأَشَارَ بِهِ وَقَالُوا إِذَا أَصْبَحْنَا وَرْدَنَا الْمَاءَ وَالْمَاءُ مِنَّا غَيْرُ بَعِيدٍ. |
| فَنَزَلُوا وَلَمْ يَرْفَعُوا بِنَاءً فِي الْعَسْكَرِ ، وَأَحْرَقَ النَّاسُ مَا ثَقُلَ مِنَ الْآنِيَةِ وَالْأَمْتِعَةِ ، فَحَرَقُوا مَا قِيمَتُهُ أَلْفُ أَلْفٍ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ ، فَسَارُوا ، فَوَرَدُوا النَّهْرَ ، وَأَهْلُ فَرْغَانَةَ وَالشَّاشِ دُونَهُ ، فَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ سَعِيدٍ أَعْزِمُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ إِلَّا اخْتَرَطَ سَيْفَهُ ، فَفَعَلُوا وَصَارَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا سُيُوفًا ، فَتَرَكُوا الْمَاءَ وَعَبَرُوا. |
| فَأَقَامَ يَوْمًا ، ثُمَّ قَطَعَ مِنْ غَدٍ ، وَاتَّبَعَهُمُ ابْنٌ لِخَاقَانَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ عَلَى السَّاقَةِ قِفْ لِي فَإِنَّ خَلْفِي مِائَتَيْ رَجُلٍ مِنَ التُّرْكِ حَتَّى أُقَاتِلَهُمْ ، وَهُوَ مُثْقَلٌ جِرَاحَةً ، فَوَقَفَ النَّاسُ ، وَعَطَفَ عَلَى التُّرْكِ ، فَقَاتَلَهُمْ ، وَأُسِرَ أَهْلُ الصُّغْدِ وَقَائِدُهُمْ وَقَائِدُ التُّرْكِ فِي سَبْعَةٍ ، وَمَضَى الْبَقِيَّةُ ، وَرَجَعَ حُمَيْدٌ ، فَرُمِيَ بِنُشَّابَةٍ فِي رُكْبَتِهِ ، فَمَاتَ. |
| وَعَطِشَ النَّاسُ ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَامِرِيُّ حَمَلَ عِشْرِينَ قِرْبَةً عَلَى إِبِلِهِ ، فَسَقَاهَا النَّاسَ جُرَعًا جُرَعًا ، وَاسْتَسْقَى مُسْلِمُ بْنُ سَعِيدٍ ، فَأَتَوْهُ بِإِنَاءٍ ، فَأَخَذَهُ جَابِرٌ أَوْ حَارِثَةُ بْنُ كَثِيرٍ أَخُو سُلَيْمَانَ بْنِ كَثِيرٍ مِنْ فِيهِ ، فَقَالَ مُسْلِمٌ دَعُوهُ فَمَا نَازَعَنِي شَرْبَتِي إِلَّا مِنْ حَرٍّ دَخَلَهُ. |
| وَأَتَوْا خُجَنْدَةَ ، وَقَدْ أَصَابَهُمْ مَجَاعَةٌ وَجَهْدٌ ، فَانْتَشَرَ النَّاسُ ، فَإِذَا فَارِسَانِ يَسْأَلَانِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نُعَيْمٍ ، فَأَتَيَاهُ بِعَهْدِهِ عَلَى خُرَاسَانَ مِنْ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخِي خَالِدٍ ، فَأَقْرَأَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُسْلِمًا ، فَقَالَ سَمْعًا وَطَاعَةً. |
| وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَوَّلَ مَنِ اتَّخَذَ الْخِيَامَ فِي مَفَازَةِ آمُلَ. |
| قَالَ الْخَزْرَجُ التَّغْلَبِيُّ قَاتَلْنَا التُّرْكَ ، فَأَحَاطُوا بِنَا حَتَّى أَيْقَنَّا بِالْهَلَاكِ ، فَحَمَلَ حَوْثَرَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْحُرِّ بْنِ الْخُنَيْفِ عَلَى التُّرْكِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَقَاتَلَهُمْ سَاعَةً ثُمَّ رَجَعَ ، وَأَقْبَلَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي ثَلَاثِينَ فَارِسًا ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى أَزَالَهُمْ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ ، فَانْهَزَمَ التُّرْكُ ، وَحَوْثَرَةُ وَهُوَ ابْنُ أَخِي رَقَبَةَ بْنِ الْحُرِّ. |
| قِيلَ وَكَانَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ قَالَ لِمُسْلِمِ بْنِ سَعِيدٍ حِينَ وَلَّاهُ لِيَكُنْ حَاجِبُكَ مِنْ صَالِحِ مُوَالِيكَ ، فَإِنَّهُ لِسَانُكَ وَالْمُعَبِّرُ عَنْكَ ، وَعَلَيْكَ بِعُمَّالِ الْعُذْرِ. |
| قَالَ وَمَا عُمَّالُ الْعُذْرِ ؟ |
| قَالَ تَأْمُرُ أَهْلَ كُلِّ بَلَدٍ أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَ لَكَ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ لَهُمْ دُونَكَ ، وَكُنْتَ مَعْذُورًا. |
| وَكَانَ عَلَى خَاتَمِ مُسْلِمِ بْنِ سَعِيدٍ تَوْبَةُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ ، فَلَمَّا وَلِيَ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خُرَاسَانَ جَعَلَهُ عَلَى خَاتَمِهِ أَيْضًا. |
| ذِكْرُ حَجِّ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَتَبَ لَهُ أَبُو الزِّنَادِ سُنَنَ الْحَجِّ. |
| قَالَ أَبُو الزِّنَادِ لَقِيتُ هِشَامًا ، فَإِنِّي لَفِي الْمَوْكِبِ إِذْ لَقِيَهُ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَسَارَ إِلَى جَنْبِهِ ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ يُنْعِمُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَنْصُرُ خَلِيفَتَهُ الْمَظْلُومَ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَلْعَنُونَ فِي هَذِهِ الْمُوَاطِنِ أَبَا تُرَابٍ! |
| فَإِنَّهَا مَوَاطِنُ صَالِحَةٌ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْعَنَهُ فِيهَا. |
| فَشَقَّ عَلَى هِشَامٍ قَوْلُهُ وَقَالَ مَا قَدِمْنَا لِشَتْمِ أَحَدٍ وَلَا لِلَعْنِهِ ، قَدِمْنَا حُجَّاجًا ، ثُمَّ قَطَعَ كَلَامَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَسَأَلَنِي عَنِ الْحَجِّ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا كَتَبْتُ لَهُ ، قَالَ وَشَقَّ عَلَى سَعِيدٍ أَنِّي سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِذَلِكَ ، وَكَانَ مُنْكَسِرًا كُلَّمَا رَآنِي. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ أَسَدٍ خُرَاسَانَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخَاهُ أَسَدًا عَلَى خُرَاسَانَ ، فَقَدِمَهَا وَمُسْلِمُ بْنُ سَعِيدٍ غَازٍ بِفَرْغَانَةَ ، فَلَمَّا أَتَى أَسَدٌ النَّهْرَ لِيَقْطَعَهُ مَنْعَهُ الْأَشْهَبُ بْنُ عُبَيْدٍ التَّمِيمِيُّ ، وَكَانَ عَلَى السُّفُنِ بِآمُلَ ، وَقَالَ قَدْ نُهِيتُ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَعْطَاهُ وَلَاطَفَهُ ، فَأَبَى ، قَالَ فَإِنِّي أَمِيرٌ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَالَ أَسَدٌ اعْرِفُوا هَذَا حَتَّى نَشْكُرَهُ فِي أَمَانَتِنَا. |
| وَأَتَى الصُّغْدَ فَنَزَلَ بِالْمَرَجِ ، وَعَلَى سَمَرْقَنْدَ هَانِئُ بْنُ هَانِئٍ ، فَخَرَجَ فِي النَّاسِ يَلْقَى أَسَدًا ، فَرَآهُ عَلَى حَجَرٍ ، فَتَفَاءَلَ النَّاسُ ، وَقَالُوا مَا عِنْدَ هَذَا خَيْرٌ ، أَسَدٌ عَلَى حَجَرٍ. |
| وَدَخَلَ سَمَرْقَنْدَ وَبَعَثَ رَجُلَيْنِ مَعَهُمَا عَهْدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نُعَيْمٍ عَلَى الْجُنْدِ ، فَقَدِمَا وَسَأَلَا عَنْهُ وَسَلَّمَا إِلَيْهِ الْعَهْدَ ، فَأَتَى بِهِ مُسْلِمًا فَقَالَ سَمْعًا وَطَاعَةً. |
| وَقَفَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِالنَّاسِ وَمَعَهُ مُسْلِمٌ ، فَقَدِمُوا عَلَى أَسَدٍ بِسَمَرْقَنْدَ ، فَعَزَلَ هَانِئًا عَنْهَا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الْعَمَرَّطَةِ الْكِنْدِيَّ. |
| وَقِيلَ لِلْحَسَنِ إِنَّ الْأَتْرَاكَ قَدْ أَتَوْكَ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ. |
| فَقَالَ مَا أَتَوْنَا ، نَحْنُ أَتَيْنَاهُمْ وَغَلَبْنَاهُمْ عَلَى بِلَادِهِمْ وَاسْتَعْبَدْنَاهُمْ ، وَمَعَ هَذَا فَلَأُدْنِيَنَّ بَعْضَكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَلَأُقْرِنَنَّ نَوَاصِيَ خَيْلِكُمْ بِخَيْلِهِمْ ، ثُمَّ سَبَّهُمْ وَدَعَا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ مُتَبَاطِئًا ، فَأَغَارُوا وَرَجَعُوا سَالِمِينَ. |
| وَاسْتَخْلَفَ عَلَى سَمَرْقَنْدَ ثَابِتَ قُطْنَةَ ، فَخَطَبَ النَّاسَ ، فَأُرْتِجَ عَلَيْهِ وَقَالَ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ، فَسَكَتَ وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ ، وَقَالَ إِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنَّنِي بِسَيْفِي إِذَا جَدَّ الْوَغَى لَخَطِيبُ فَقِيلَ لَهُ لَوْ قُلْتَ هَذَا عَلَى الْمِنْبَرِ لَكُنْتَ أَخْطَبَ النَّاسِ ، فَقَالَ حَاجِبُ الْفِيلِ الْيَشْكُرِيُّ يُعَيِّرُهُ حَصْرَهُ أَبَا الْعَلَاءِ لَقَدْ لَاقَيْتَ مُعْضِلَةً... |
| يَوْمَ الْعُرُوبَةِ مِنْ كَرْبٍ وَتَخْنِيقِ تَلْوِي اللِّسَانَ إِذَا رُمْتَ الْكَلَامَ بِهِ... |
| كَمَا هَوَى زَلَقٌ مِنْ شَاهِقِ النِّيقِ لَمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ النَّاسِ صَاحِيَةً... |
| أَنْشَأَتْ تَجْرَضُ لَمَّا قُمْتَ بِالرِّيقِ أَمَّا الْقُرَانُ فَلَا تُهْدَى لِمُحْكَمَةٍ... |
| مِنَ الْقُرَانِ وَلَا تُهْدَى لِتَوْفِيقِ ذِكْرُ اسْتِعْمَالِ الْحُرِّ عَلَى الْمَوْصِلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ هِشَامٌ الْحُرَّ بْنَ يُوسُفَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ عَلَى الْمَوْصِلِ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْمَنْقُوشَةَ دَارًا يَسْكُنُهَا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الْمَنْقُوشَةَ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَنْقُوشَةً بِالسَّاجِ وَالرُّخَامِ وَالْفُصُوصِ الْمُلَوَّنَةِ وَمَا شَاكَلَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَ سُوقِ الْقَتَّابِينَ وَالشَّعَّارِينَ وَسُوقِ الْأَرْبِعَاءَ ، وَأَمَّا الْآنُ فَهِيَ خَرِبَةٌ تُجَاوِرُ سُوقَ الْأَرْبِعَاءَ. |
| وَهَذَا الْحُرُّ الَّذِي عَمِلَ النَّهْرَ الَّذِي كَانَ بِالْمَوْصِلِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى امْرَأَةً تَحْمِلُ جَرَّةَ مَاءٍ ، وَهِيَ تَحْمِلُهَا قَلِيلًا ، ثُمَّ تَسْتَرِيحُ قَلِيلًا; لِبُعْدِ الْمَاءِ ، فَكَتَبَ إِلَى هِشَامٍ بِذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِحَفْرِ نَهْرٍ إِلَى الْبَلَدِ ، فَحَفَرَهُ ، فَكَانَ أَكْثَرُ شُرْبِ أَهْلِ الْبَلَدِ مِنْهُ ، وَعَلَيْهِ كَانَ الشَّارِعُ الْمَعْرُوفُ بِشَارِعِ النَّهْرِ ، وَبَقِيَ الْعَمَلُ فِيهِ عِدَّةَ سِنِينَ ، وَمَاتَ الْحُرُّ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَلَّمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ فِي الْحِجْرِ ، فَقَالَ لَهُ أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَبِحُرْمَةِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي خَرَجْتَ مُعَظِّمًا لَهُ إِلَّا رَدَدْتَ عَلَيَّ ظُلَامَتِي. |
| قَالَ أَيُّ ظُلَامَةٍ ؟ |
| قَالَ دَارِي. |
| قَالَ فَأَيْنَ كُنْتَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ |
| قَالَ ظَلَمَنِي. |
| قَالَ فَالْوَلِيدُ وَسُلَيْمَانُ ؟ |
| قَالَ ظَلَمَانِي. |
| قَالَ فَعُمَرُ ؟ |
| قَالَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ ، رَدَّهَا عَلَيَّ. |
| قَالَ فَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ |
| قَالَ ظَلَمَنِي وَقَبَضَهَا مِنِّي بَعْدَ قَبْضِي لَهَا ، وَهِيَ فِي يَدِكَ. |
| فَقَالَ هِشَامٌ لَوْ كَانَ فِيكَ ضَرْبٌ لَضَرَبْتُكَ. |
| فَقَالَ فِي وَاللَّهِ ضَرْبٌ بِالسَّيْفِ وَالسَّوْطِ. |
| فَانْصَرَفَ هِشَامٌ وَالْأَبْرَشُ خَلْفَهُ فَقَالَ أَبَا مُجَاشِعٍ كَيْفَ سَمِعْتَ هَذَا الْإِنْسَانَ ؟ |
| قَالَ مَا أَجْوَدَهُ! |
| قَالَ هِيَ قُرَيْشٌ وَأَلْسِنَتُهَا ، وَلَا يَزَالُ فِي النَّاسِ بَقَايَا مَا رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا. |
| وَفِيهَا عَزَلَ هِشَامٌ عَبْدَ الْوَاحِدِ النَّضْرِيَّ عَنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ ، وَوَلَّى ذَلِكَ خَالَهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَكَانَتْ وِلَايَةُ النَّضْرِيِّ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ. |
| وَفِيهَا غَزَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الصَّائِفَةَ. |
| وَفِيهَا غَزَا الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّانَ ، فَصَالَحَ أَهْلَهَا فَأَدَّوُا الْجِزْيَةَ. |
| وَفِيهَا وُلِدَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي رَجَبٍ. |
| وَفِيهَا اسْتَقْضَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدَ بْنَ صَفْوَانَ الْجُمَحِيَّ ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَاسْتَقْضَى الصَّلْتَ الْكِنْدِيَّ. |
| وَكَانَ الْعَامِلُ عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ ، وَكَانَ عَلَى الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ الْبَجَلِيُّ ، وَكَانَ عَامِلُ خَالِدٍ عَلَى صَلَاةِ الْبَصْرَةِ عُقْبَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَعْلَى ، وَعَلَى شُرْطَتِهَا مَالِكَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ ، وَعَلَى قَضَائِهَا ثُمَامَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| الوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ يُوسُفُ بْنُ مَالِكٍ مَوْلَى الْحَضْرَمِيِّينَ ، وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَمِائَةٍ ذِكْرُ مُلْكِ الْجُنَيْدِ بَعْضَ بِلَادِ السِّنْدِ وَقَتْلِ صَاحِبِهِ جَيْشَبَهْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ خَالِدٌ الْقَسْرِيُّ الْجُنَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى السِّنْدِ فَنَزَلَ شَطَّ مِهْرَانَ ، فَمَنَعَهُ جَيْشَبَهْ بْنُ ذَاهِرَ الْعُبُورَ ، وَقَالَ إِنَّنَا مُسْلِمُونَ ، فَقَدِ اسْتَعْمَلَنِي الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَلَى بِلَادِي وَلَسْتُ آمَنُكَ ، فَأَعْطَاهُ رَهْنًا وَأَخَذَ مِنْهُ رَهْنًا بِمَا عَلَى بِلَادِهِ مِنَ الْخَرَاجِ ، ثُمَّ إِنَّهُمَا تَرَادَّا الرَّهْنَ وَكَفَرَ جَيْشَبَهْ وَحَارَبَهُ ، وَقِيلَ لَمْ يُحَارِبْهُ ، وَلَكِنَّ الْجُنَيْدَ تَجَنَّى عَلَيْهِ ، فَأَتَى الْهِنْدَ ، فَجَمَعَ وَأَخَذَ السُّفُنَ ، وَاسْتَعَدَّ لِلْحَرْبِ ، فَسَارَ الْجُنَيْدُ إِلَيْهِ فِي السُّفُنِ أَيْضًا ، فَالْتَقَوْا ، فَأُخِذَ جَيْشَبَهْ أَسِيرًا ، وَقَدْ جَنَحَتْ سَفِينَتُهُ ، فَقَتَلَهُ ، وَهَرَبَ أَخُوهُ صَصَّةَ إِلَى الْعِرَاقِ لِيَشْكُوَ غَدْرَ الْجُنَيْدِ ، فَخَدَعَهُ الْجُنَيْدُ حَتَّى جَاءَ إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ. |
| وَغَزَا الْجُنَيْدُ الْكَيْرَجَ ، وَكَانُوا قَدْ نَقَضُوا ، فَفَتَحَهَا عَنْوَةً ، وَفَتَحَ أَرَزِينَ ، وَالْمَالِيَّةَ ، وَغَيْرَهُمَا مِنْ ذَلِكَ الثَّغْرِ. |
| ذِكْرُ غَزْوَةِ عَنْبَسَةَ الْفِرِنْجَ بِالْأَنْدَلُسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا عَنْبَسَةُ بْنُ سُحَيْمٍ الْكَلْبِيُّ عَامِلُ الْأَنْدَلُسِ بَلَدَ الْفِرِنْجِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَنَازَلَ مَدِينَةَ قَرْقَسُونَةَ وَحَصَرَ أَهْلَهَا ، فَصَالَحُوهُ عَلَى نِصْفِ أَعْمَالِهَا ، وَعَلَى جَمِيعِ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ وَأَسْلَابِهِمْ ، وَأَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ، وَيَلْتَزِمُوا بِأَحْكَامِ الذِّمَّةِ مِنْ مُحَارَبَةِ مَنْ حَارَبَهُ الْمُسْلِمُونَ ، وَمُسَالِمَةِ مَنْ سَالَمُوهُ ، فَعَادَ عَنْهُمْ عَنْبَسَةُ ، وَتُوُفِّيَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَةٍ أَيْضًا ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَلَمَّا مَاتَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ بِشْرُ بْنُ صَفْوَانَ يَحْيَى بْنَ سَلَمَةَ الْكَلْبِيَّ فِي ذِي الْقِعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ أَيْضًا. |
| ذِكْرُ حَالِ الدُّعَاةِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ قِيلَ وَفِيهَا وَجَّهَ بُكَيْرُ بْنُ مَاهَانَ أَبَا عِكْرِمَةَ ، وَأَبَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ خُنَيْسٍ ، وَعَمَّارًا الْعَبَّادِيَّ ، وَزِيَادًا خَالَ الْوَلِيدِ الْأَزْرَقِ ، فِي عِدَّةٍ مِنْ شِيعَتِهِمْ دُعَاةً إِلَى خُرَاسَانَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَوَشَى بِهِمْ إِلَيْهِ ، فَأُتِيَ بِأَبِي عِكْرِمَةَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ خُنَيْسٍ ، وَعَامَّةِ أَصْحَابِهِ ، وَنَجَا عَمَّارٌ ، فَقَطَعَ أَسَدٌ أَيْدِي مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ وَصَلَبَهُمْ ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ إِلَى بُكَيْرِ بْنِ مَاهَانَ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بِذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّقَ دَعْوَتَكُمْ وَمَقَالَتَكُمْ ، وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْكُمْ قَتْلَى ، سَتُقْتَلُ. |
| وَفِيهَا قَدِمَ مُسْلِمُ بْنُ سَعِيدٍ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَكَانَ أَسَدٌ يُكْرِمُهُ بِخُرَاسَانَ وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ ، فَقَدِمَ مُسْلِمٌ وَابْنُ هُبَيْرَةَ يُرِيدُ الْهَرَبَ ، فَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ إِنِ الْقَوْمَ فِينَا أَحْسَنُ رَأْيًا مِنْكُمْ فِيهِمْ. |
| وَفِيهَا غَزَا أَسَدٌ جِبَالَ نَمِرُونَ مَلِكِ غَرْشِسْتَانَ مِمَّا يَلِي جِبَالَ الطَّالْقَانِ ، فَصَالَحَهُ نَمِرُونَ وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ ، وَهُمُ الْيَوْمَ يَتَوَلَّوْنَ الْيَمَنَ. |
| ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْ غَزْوَةِ الْغُورِ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا أَسَدٌ الْغُورَ ، وَهِيَ جِبَالُ هَرَاةَ ، فَعَمَدَ أَهْلُهَا إِلَى أَثْقَالِهِمْ فَصَيَّرُوهَا فِي كَهْفٍ لَيْسَ إِلَيْهِ طَرِيقٌ ، فَأَمَرَ أَسَدٌ بِاتِّخَاذِ تَوَابِيتَ ، وَوَضَعَ فِيهَا الرِّجَالَ ، وَدَلَّاهَا بِسَلَاسِلَ ، فَاسْتَخْرَجُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ هِشَامٌ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيَّ عَنْ أَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَخَاهُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا مَسْلَمَةُ الْحَارِثَ بْنَ عَمْرٍو الطَّائِيَّ ، فَافْتَتَحَ مِنْ بَلَدِ التُّرْكِ رُسْتَاقًا وَقُرًى كَثِيرَةً ، وَأَثَّرَ فِيهَا أَثَرًا حَسَنًا. |
| وَفِيهَا نَقَلَ أَسَدٌ مَنْ كَانَ بِالْبَرُوقَانِ إِلَى بَلْخٍ مِنَ الْجُنْدِ ، وَأَقْطَعَ كُلَّ مَنْ كَانَ لَهُ بِالْبَرُوقَانِ بِقَدْرِ مَسْكَنِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْكَنٌ أَقْطَعَهُ مَسْكَنًا ، وَأَرَادَ أَنْ يُنْزِلَهُمْ عَلَى الْأَخْمَاسِ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ يَتَعَصَّبُونَ ، فَخَلَطَ بَيْنَهُمْ. |
| وَتَوَلَّى بِنَاءَ مَدِينَةِ بَلْخٍ بَرْمَكُ أَبُو خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَرُوقَانِ فَرْسَخَانِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ ، وَكَانَ عُمَّالُ الْأَمْصَارِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ فِي السَّنَةِ قَبْلَهَا. |
| الوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ ، وَلَهُ ثَمَانٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ وَفَاتِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَةٍ . |
| يَسَارٌ بِالْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتَ ، وَبِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَمِائَةٍ ذِكْرُ غَزْوَةِ الْخُتَّلِ وَالْغُورِ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَطَعَ أَسَدٌ النَّهْرَ ، وَأَتَاهُ خَاقَانُ ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا قِتَالٌ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ ، وَقِيلَ عَادَ مَهْزُومًا مِنَ الْخُتَّلِ ، وَكَانَ أَسَدٌ قَدْ أَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَشْتُوَ بِسُرْخَ دَرَهْ ، فَأَمْرَ النَّاسَ فَارْتَحَلُوا ، وَوَجَّهَ رَايَاتِهِ ، وَسَارَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ إِلَى سُرْخَ دَرَهْ ، فَكَبَّرَ النَّاسُ ، فَقَالَ مَا لَهُمْ ؟ |
| فَقَالُوا هَذِهِ عَلَامَتُهُمْ إِذَا قَفَلُوا. |
| فَقَالَ لِلْمُنَادِي نَادِ إِنَّ الْأَمِيرَ يُرِيدُ غُورِيِّينَ ، فَمَضَى إِلَيْهِمْ ، فَقَاتَلُوهُمْ يَوْمًا وَصَبَرُوا لَهُمْ. |
| وَبَرَزَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ ، فَقَالَ سَالِمُ بْنُ أَحْوَزَ لِنَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ أَنَا حَامِلٌ عَلَى هَذَا الْعِلْجِ ، فَلَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَيَرْضَى أَسَدٌ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ ، وَرَجَعَ سَالِمٌ ، فَوَقَفَ ثُمَّ قَالَ لِنَصْرٍ أَنَا حَامِلٌ حَمْلَةً أُخْرَى ، فَحَمَلَ فَقَتَلَ رَجُلًا آخَرَ ، وَجُرِحَ سَالِمٌ ، فَقَالَ نَصْرٌ لِسَالِمٍ قِفْ حَتَّى أَحْمِلَ عَلَيْهِمْ ، فَحَمَلَ حَتَّى خَالَطَ الْعَدُوَّ ، فَصَرَعَ رَجُلَيْنِ ، وَرَجَعَ جَرِيحًا ، وَقَالَ أَتَرَى مَا صَنَعْنَا يُرْضِيهِ ؟ |
| لَا أَرْضَاهُ اللَّهُ! |
| قَالَ لَا وَاللَّهِ. |
| قَالَ وَأَتَاهُمَا رَسُولُ أَسَدٍ فَقَالَ يَقُولُ لَكُمَا الْأَمِيرُ قَدْ رَأَيْتُ مَوْقِفَكُمَا وَقِلَّةَ غَنَائِكُمَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، لَعَنَكُمَا اللَّهُ. |
| فَقَالَ آمِينَ إِنْ عُدْنَا لِمِثْلِ هَذَا! |
| وَتَحَاجَزُوا. |
| ثُمَّ عَادُوا مِنَ الْغَدِ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، وَحَوَى الْمُسْلِمُونَ عَسْكَرَهُمْ ، وَظَهَرُوا عَلَى الْبِلَادِ ، وَأَسَرُوا وَسَبَوْا وَغَنِمُوا. |
| وَقَدْ كَانَ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ بِالْخُتَّلِ ، فَبَعَثَ أَسَدٌ بِكَبْشَيْنِ مَعَ غُلَامٍ لَهُ وَقَالَ بِعْهُمَا بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ. |
| فَلَمَّا مَضَى الْغُلَامُ ، قَالَ أَسَدٌ لَا يَشْتَرِيهُمَا إِلَّا ابْنُ الشِّخِّيرِ ، وَكَانَ فِي الْمَسَلَحَةِ ، فَدَخَلَ حِينَ أَمْسَى فَرَأَى الشَّاتَيْنِ فِي السُّوقِ ، فَاشْتَرَاهُمَا بِخَمْسِمِائَةٍ ، فَذَبَحَ إِحْدَاهُمَا ، وَبَعَثَ بِالْأُخْرَى إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ ، فَلَمَّا أَخْبَرَ الْغُلَامُ أَسَدًا بِالْقِصَّةِ بَعَثَ إِلَى ابْنِ الشِّخِّيرِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَهُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ أَبُو مُطَرِّفٍ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الرُّومَ مِمَّا يَلِي الْجَزِيرَةَ فَفَتَحَ قَيْسَارِيَّةَ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ. |
| وَفِيهَا أَيْضًا غَزَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ فَفَتَحَ حِصْنًا مِنْ حُصُونِ الرُّومِ. |
| وَفِيهَا وَجَّهَ بُكَيْرُ بْنُ مَاهَانَ إِلَى خُرَاسَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ شِيعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، مِنْهُمْ عَمَّارٌ الْعَبَّادِيُّ ، فَسَعَى بِهِمْ رَجُلٌ إِلَى أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ خُرَاسَانَ ، فَأَخَذَ عَمَّارًا فَقَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَنَجَا أَصْحَابُهُ فَوَصَلُوا إِلَى بُكَيْرٍ ، فَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، فَأَجَابَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّقَ دَعْوَتَكُمْ وَنَجَّى شِيعَتَكُمْ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَةٍ ذِكْرُ هَذِهِ الْقِصَّةِ. |
| وَفِيهَا أَنَّ عَمَّارًا نَجَا ، وَفِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّ عَمَّارًا قُطِعَ ، فَلِهَذَا أَعَدْنَا ذِكْرَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. |
| وَفِيهَا وَقَعَ الْحَرِيقُ بِدَابِقٍ فَاحْتَرَقَ الْمَرْعَى وَالدَّوَابُّ وَالرِّحَالُ. |
| وَفِيهَا سَارَ ابْنُ خَاقَانَ مَلِكُ التُّرْكِ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، فَحَصَرَ بَعْضَ مُدُنِهَا ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو الطَّائِيُّ ، فَالْتَقَوْا ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ التُّرْكُ ، وَتَبِعَهُمُ الْحَارِثُ حَتَّى عَبَرَ نَهْرَ أُرْسٍ ، فَعَادَ إِلَيْهِ ابْنُ خَاقَانَ ، فَعَاوَدَ الْحَرْبَ أَيْضًا ، فَانْهَزَمَ ابْنُ خَاقَانَ ، وَقُتِلَ مِنَ التُّرْكِ خَلْقٌ كَثِيرٌ. |
| وَفِيهَا خَرَجَ عِبَادٌ الرُّعَيْنِيُّ بِالْيَمَنِ مُحَكِّمًا ، فَقَتَلَهُ أَمِيرُهَا يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ ، وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ. |
| وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ. |
| وَفِيهَا غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَمَعَهُ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَطَعُوا الْبَحْرَ إِلَى قُبْرُسَ ، وَغَزَا فِي الْبَرِّ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. |
| وَفِيهَا كَانَ بِالشَّامِ طَاعُونٌ شَدِيدٌ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ وَهُوَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ. |
| وَكَانَ الْعُمَّالُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ فِي السَّنَةِ قَبْلَهَا. |
| الوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْطِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ وُلِدَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَالِدُ عِيسَى بِبِلَادِ الرُّومِ غَازِيًا ، وَكَانَ عُمُرُهُ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا مَاتَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَكَانَ عُمُرُهُ سَبْعِينَ سَنَةٍ ، وَقِيلَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ قَدْ عَمِيَ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْمُتَوَكِّلِ عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ النَّاجِيُّ. |
| وَأَبُو الصِّدِّيقِ النَّاجِيُّ أَيْضًا ، وَاسْمُهُ بَكْرُ بْنُ قَيْسٍ النَّاجِيُّ ، النَّاجِيُّ بِالنُّونِ وَالْجِيمِ . |
| وَأَبُو نَضْرَةَ الْمُنْذِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ قُطْعَةَ النَّضْرِيُّ ، نَضْرَةُ بِالنُّونِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ . |
| وَمُحَارِبُ بْنُ دِثَارٍ الْكُوفِيُّ قَاضِيهَا ، دِثَارٌ بِكَسْرِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَمِائَةٍ ذِكْرُ عَزْلِ خَالِدٍ وَأَخِيهِ أَسَدٍ عَنْ خُرَاسَانَ وَوِلَايَةِ أَشْرَسَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَخَاهُ عَنْ خُرَاسَانَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَسَدًا تَعَصَّبَ حَتَّى أَفْسَدَ النَّاسَ ، وَضَرَبَ نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ وَنَفَرًا مَعَهُ بِالسِّيَاطِ ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نُعَيْمٍ ، وَسَوْرَةُ بْنُ الْحُرِّ ، وَالْبَخْتَرِيُّ بْنُ أَبِي دِرْهَمٍ ، وَعَامِرُ بْنُ مَالِكٍ الْحِمَّانِيُّ ، وَحَلَقَهُمْ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى أَخِيهِ خَالِدٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنَّهُمْ أَرَادُوا الْوُثُوبَ بِي. |
| فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى خَالِدٍ لَامَ أَسَدًا ، وَعَنَّفَهُ ، وَقَالَ أَلَا بَعَثَ إِلَيَّ بِرُءُوسِهِمْ ؟ |
| فَقَالَ نَصْرٌ بَعَثْتَ بِالْعِتَابِ فِي غَيْرِ ذَنْبٍ... |
| فِي كِتَابٍ تَلُومُ أُمُّ تَمِيمِ إِنْ أَكُنْ مُوَثَّقًا أَسِيرًا لَدَيْهِمْ... |
| فِي هُمُومٍ وَكُرْبَةٍ وَسُهُومِ رَهْنَ قَسْرٍ فَمَا وَجَدْتُ بَلَاءً... |
| كَإِسَارِ الْكِرَامِ عِنْدَ اللَّئِيمِ أَبْلِغِ الْمُدَّعِينَ قَسْرًا وَقَسْرٌ... |
| أَهْلُ عُودِ الْقَنَاةِ ذَاتِ الْوُصُومِ هَلْ فُطِمْتُمْ عَنِ الْخِيَانَةِ وَالْغَدْ رِ... |
| أَمْ أَنْتُمْ كَالْحَاكِرِ الْمُسْتَدِيمِ وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ أَخَالِدُ لَوْلَا اللَّهُ لَمْ تُعْطَ طَاعَةً... |
| وَلَوْلَا بَنُو مَرْوَانَ لَمْ يُوثِقُوا نَصْرَا إِذًا لَلَقِيتُمْ عِنْدَ شَدِّ وَثَاقِهِ... |
| بَنِي الْحَرْبِ لَا كُشْفَ اللِّقَاءِ وَلَا ضَجْرَا وَخَطَبَ يَوْمًا أَسَدٌ ، فَقَالَ قَبَّحَ اللَّهُ هَذِهِ الْوُجُوهَ ، وُجُوهَ أَهْلِ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَالشَّغْبِ وَالْفَسَادِ! |
| اللَّهُمَّ فَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، وَأَخْرِجْنِي إِلَى مُهَاجَرِي وَوَطَنِي. |
| فَبَلَغَ فِعْلُهُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَكَتَبَ إِلَى خَالِدٍ اعْزِلْ أَخَاكَ ، فَعَزَلَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى الْعِرَاقِ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَمِائَةٍ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى خُرَاسَانَ الْحَكَمَ بْنَ عَوَانَةَ الْكَلْبِيَّ ، فَأَقَامَ الْحَكَمُ صَيْفِيَّةً فَلَمْ يَغْزُ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ هِشَامٌ أَشْرَسَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيَّ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَاتِبَ خَالِدًا. |
| وَكَانَ أَشْرَسُ فَاضِلًا خَيِّرًا ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ الْكَامِلَ لِفَضْلِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ خُرَاسَانَ فَرِحُوا بِهِ ، وَاسْتَقْضَى أَبَا الْمُنَازِلِ الْكِنْدِيَّ ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَاسْتَقْضَى مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ. |
| ذِكْرُ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ قِيلَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ خُرَاسَانَ مِنْ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ زِيَادٌ أَبُو مُحَمَّدٍ مَوْلَى هَمْدَانَ فِي وِلَايَةِ أَسَدٍ ، بَعَثَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَالَ لَهُ انْزِلْ فِي الْيَمَنِ وَأَلْطُفْ مُضَرَ ، وَنَهَاهُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ نَيْسَابُورَ ، يُقَالُ لَهُ غَالِبٌ لِأَنَّهُ كَانَ مُفْرِطًا فِي حُبِّ بَنِي فَاطِمَةَ ، وَيُقَالُ أَوَّلُ مَنْ أَتَى خُرَاسَانَ بِكِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ حَرْبُ بْنُ عُثْمَانَ مَوْلَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ أَهْلِ بَلْخٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ زِيَادٌ دَعَا إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَذَكَرَ سِيرَةَ بَنِي أُمَيَّةَ وَظُلْمَهُمْ ، وَأَطْعَمَ النَّاسَ الطَّعَامَ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ غَالِبٌ ، وَتَنَاظَرَا فِي تَفْضِيلِ آلِ عَلِيٍّ وَآلِ الْعَبَّاسِ ، وَافْتَرَقَا ، وَأَقَامَ زِيَادٌ بِمُرْوٍ شَتْوَةً وَ كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهَا يَحْيَى بْنُ عُقَيْلٍ الْخُزَاعِيُّ ، وَغَيْرُهُ. |
| فَأُخْبِرَ بِهِ أَسَدٌ ، فَدَعَاهُ ، وَقَالَ لَهُ مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ ؟ |
| قَالَ الْبَاطِلُ ، إِنَّمَا قَدِمْتُ إِلَى تِجَارَةٍ وَقَدْ فَرَّقْتُ مَالِي عَلَى النَّاسِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ خَرَجْتُ. |
| فَقَالَ لَهُ أَسَدٌ اخْرُجْ عَنْ بِلَادِي. |
| فَانْصَرَفَ ، فَعَادَ إِلَى أَمْرِهِ ، فَرُفِعَ أَمَرُهُ إِلَى أَسَدٍ ، وَخُوِّفَ مِنْ جَانِبِهِ ، فَأَحْضَرَهُ ، وَقَتَلَهُ ، وَقَتَلَ مَعَهُ عَشَرَةً مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا غُلَامَانِ اسْتَصْغَرَهُمَا ، وَقِيلَ بَلْ أَمَرَ بِزِيَادٍ أَنْ يُوَسَّطَ بِالسَّيْفِ ، فَضَرَبُوهُ بِالسَّيْفِ فَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ ، فَكَبَّرَ النَّاسُ ، فَقَالَ أَسَدٌ مَا هَذَا ؟ |
| قِيلَ نَبَا السَّيْفُ عَنْهُ ، ثُمَّ ضُرِبَ أُخْرَى فَنَبَا السَّيْفُ عَنْهُ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ الثَّالِثَةَ فَقَطَعَهُ بِاثْنَتَيْنِ ، وَعَرَضَ الْبَرَاءَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَمَنْ تَبَرَّأَ خَلَّى سَبِيلَهُ ، فَتَبَرَّأَ اثْنَانِ ، فَتُرِكَا ، وَأَبَى الْبَرَاءَةُ ثَمَانِيَةٌ ، فَقُتِلُوا. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَقْبَلَ أَحَدُهُمَا إِلَى أَسَدٍ ، فَقَالَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُلْحِقَنِي بِأَصْحَابِي ، فَقَتَلَهُ ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْأَضْحَى بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يُسَمَّى كَثِيرًا ، فَنَزَلَ عَلَى أَبِي النَّجْمِ ، وَكَانَ يَأْتِيهِ الَّذِينَ لَقُوا زِيَادًا ، فَكَانَ عَلَى ذَلِكَ سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ ، وَكَانَ أُمِّيًّا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ خِدَاشٌ ، وَاسْمُهُ عُمَارَةُ غَلَبَ عَلَيْهِ خِدَاشٌ ، فَغَلَّبَ كَثِيرًا عَلَى أَمْرِهِ. |
| وَقِيلَ فِي أَمْرِ الدُّعَاةِ مَا تَقَدَّمَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُقْبَةَ الْفِهْرِيُّ فِي الْبَحْرِ ، وَغَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ أَرْضَ الرُّومِ ، فَفَتَحَ حِصْنًا يُقَالُ لَهُ طِيبَةُ ، فَأُصِيبَ مَعَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ أَنْطَاكِيَّةَ. |
| وَفِيهَا قُتِلَ عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ الْأُسَيَّدِيُّ ، قَتَلَهُ مَالِكُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ ، وَسَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ أَبْلَى فِي قِتَالِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا رَجُلُ الْعِرَاقِ. |
| فَغَاظَ ذَلِكَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَمَرَ مَالِكَ بْنَ الْمُنْذِرَ ، وَهُوَ عَلَى شُرَطِ الْبَصْرَةِ ، أَنْ يُعَظِّمَهُ وَلَا يَعْصِيَ لَهُ أَمْرًا ، وَأَقْبَلَ يَطْلُبُ لَهُ عَثْرَةً يَقْتُلُهُ بِهَا ، فَذَكَرَ مَالِكُ بْنُ الْمُنْذِرِ عَبْدَ الْأَعْلَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ، فَافْتَرَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ لَا تَفْتَرِ عَلَى مِثْلِ عَبْدِ الْأَعْلَى. |
| فَأَغْلَظَ لَهُ مَالِكٌ ، وَضَرَبَهُ بِالسِّيَاطِ حَتَّى قَتَلَهُ. |
| الْأُسَيَّدِيُّ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ ، وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ . |
| وَفِيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ التُّرْكَ مِنْ نَاحِيَةِ أَذْرَبِيجَانَ ، فَغَنِمَ وَسَبَى وَعَادَ سَالِمًا. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ ، فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ اسْأَلُونِي فَإِنَّكُمْ لَا تَسْأَلُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي. |
| فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَنِ الْأُضْحِيَّةِ أَوَاجِبَةٌ هِيَ ؟ |
| فَمَا دَرَى مَا يَقُولُ ، فَنَزَلَ ، وَكَانَ هُوَ الْعَامِلُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، وَكَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الصَّلَاةِ بِالْبَصْرَةِ أَبَانَ بْنَ ضُبَارَةَ الْيَزَبِيَّ ، وَعَلَى الشُّرْطَةِ بِهَا بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ ، وَعَلَى قَضَائِهَا ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ أَشْرَسُ. |
| الوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ أَبُو مِجْلَزٍ لَاحِقُ بْنُ حُمَيْدٍ الْبَصْرِيُّ ، وَفِيهَا غَزَا بِشْرُ بْنُ صَفْوَانَ عَامِلُ إِفْرِيقِيَّةَ جَزِيرَةَ صِقِلِّيَةَ ، فَغَنِمَ شَيْئًا كَثِيرًا ثُمَّ رَجَعَ مِنْ غَزَاتِهِ إِلَى الْقَيْرَوَانِ وَتُوُفِّيَ بِهَا مِنْ سَنَتِهَا ، فَاسْتَعْمَلَ هِشَامٌ بَعْدَهُ عُبَيْدَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْأَغَرِّ السُّلَمِيَّ ، فَعَزَلَ عُبَيْدَةُ يَحْيَى بْنَ سَلَمَةَ الْكَلْبِيَّ عَنِ الْأَنْدَلُسِ ، وَاسْتَعْمَلَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْأَحْوَصِ الْأَشْجَعِيَّ ، فَقَدِمَ الْأَنْدَلُسَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ ، فَبَقِيَ وَالِيًا عَلَيْهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ عُزِلَ ، وَوَلِيَهَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي نِسْعَةَ الْخَثْعَمِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عَشْرٍ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عَشْرٍ وَمِائَةٍ ذِكْرُ مَا جَرَى لِأَشْرَسَ مَعَ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ وَغَيْرِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَرْسَلَ أَشْرَسُ إِلَى أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، عَلَى أَنْ تُوضَعَ عَنْهُمُ الْجِزْيَةُ ، وَأَرْسَلَ فِي ذَلِكَ أَبَا الصَّيْدَاءِ صَالِحَ بْنَ طَرِيفٍ مَوْلَى بَنِي ضَبَّةَ ، وَالرَّبِيعَ بْنَ عِمْرَانَ التَّمِيمِيَّ. |
| فَقَالَ أَبُو الصَّيْدَاءِ إِنَّمَا أَخْرُجُ عَلَى شَرِيطَةِ أَنَّ مَنْ أَسْلَمَ لَا تُؤْخَذُ مِنْهُ الْجِزْيَةُ ، وَإِنَّمَا خَرَاجُ خُرَاسَانَ عَلَى رُءُوسِ الرِّجَالِ. |
| فَقَالَ أَشْرَسُ نَعَمْ. |
| فَقَالَ أَبُو الصَّيْدَاءِ لِأَصْحَابِهِ فَإِنِّي أَخْرُجُ ، فَإِنْ لَمْ يَفِ الْعُمَّالُ أَعَنْتُمُونِي عَلَيْهِمْ ؟ |
| قَالُوا نَعَمْ. |
| فَشَخَصَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ وَعَلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْعَمَرَّطَةِ الْكِنْدِيُّ عَلَى حَرْبِهَا وَخَرَاجِهَا ، فَدَعَا أَبُو الصَّيْدَاءِ أَهْلَ سَمَرْقَنْدَ وَمَنْ حَوْلَهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، عَلَى أَنْ تُوضَعَ عَنْهُمُ الْجِزْيَةُ ، فَسَارَعَ النَّاسُ ، فَكَتَبَ غَوْزَكُ إِلَى أَشْرَسَ أَنَّ الْخَرَاجَ قَدِ انْكَسَرَ. |
| فَكَتَبَ أَشْرَسُ إِلَى ابْنِ أَبِي الْعَمَرَّطَةَ إِنَّ فِي الْخَرَاجِ قُوَّةً لِلْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَهْلَ الصُّغْدِ وَأَشْبَاهِهِمْ لَمْ يُسْلِمُوا رَغْبَةً ، إِنَّمَا أَسْلَمُوا تَعَوُّذًا مِنَ الْجِزْيَةِ ، فَانْظُرْ مَنِ اخْتَتَنَ ، وَأَقَامَ الْفَرَائِضَ ، وَقَرَأَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ، فَارْفَعْ خَرَاجَهُ. |
| ثُمَّ عَزَلَ أَشْرَسُ ابْنَ أَبِي الْعَمَرَّطَةِ عَنِ الْخَرَاجِ ، وَصَيَّرَهُ إِلَى هَانِئِ بْنِ هَانِئٍ ، فَمَنَعَهُمْ أَبُو الصَّيْدَاءِ مِنْ أَخْذِ الْجِزْيَةِ مِمَّنْ أَسْلَمَ ، فَكَتَبَ هَانِئٌ إِلَى أَشْرَسَ إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا وَبَنَوُا الْمَسَاجِدَ. |
| فَكَتَبَ أَشْرَسُ إِلَيْهِ وَإِلَى الْعُمَّالِ خُذُوا الْخَرَاجَ مِمَّنْ كُنْتُمْ تَأْخُذُونَهُ مِنْهُ. |
| فَأَعَادُوا الْجِزْيَةَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ. |
| فَامْتَنَعُوا وَاعْتَزَلُوا فِي سَبْعَةِ آلَافٍ ، عَلَى عِدَّةِ فَرَاسِخَ مِنْ سَمَرْقَنْدَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو الصَّيْدَاءِ ، وَرَبِيعُ بْنُ عِمْرَانَ التَّمِيمِيُّ ، وَالْهَيْثَمُ الشَّيْبَانِيُّ ، وَأَبُو فَاطِمَةَ الْأَزْدِيُّ ، وَعَامِرُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وَبَحِيرُ الْخُجَنْدِيُّ ، وَبَنَانُ الْعَنْبَرِيُّ ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ عُقْبَةَ لِيَنْصُرُوهُمْ ، فَعَزَلَ أَشْرَسُ بْنُ أَبِي الْعَمَرَّطَةِ عَنِ الْحَرْبِ ، وَاسْتَعْمَلَ مَكَانَهُ الْمُجَشِّرَ بْنَ مُزَاحِمٍ السُّلَمِيَّ عَلَى الْحَرْبِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ عُمَيْرَةُ بْنُ سَعْدٍ الشَّيْبَانِيُّ. |
| فَلَمَّا قَدِمَ الْمُجَشِّرُ كَتَبَ إِلَى أَبِي الصَّيْدَاءِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَقَدِمَ أَبُو الصَّيْدَاءِ وَثَابَتُ قُطْنَةَ ، فَحَبَسَهُمَا ، فَقَالَ أَبُو الصَّيْدَاءِ غَدَرْتُمْ وَرَجَعْتُمْ عَمَّا قُلْتُمْ. |
| فَقَالَ هَانِئٌ لَيْسَ بِغَدْرٍ مَا كَانَ فِيهِ حَقْنُ الدِّمَاءِ ، ثُمَّ سَيَّرُوهُ إِلَى أَشْرَسَ ، وَاجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ وَوَلَّوْا أَمْرَهُمْ أَبَا فَاطِمَةَ لِيُقَاتِلُوا هَانِئًا ، فَقَالَ لَهُمْ كُفُّوا حَتَّى نَكْتُبَ إِلَى أَشْرَسَ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ أَشْرَسُ ضَعُوا عَلَيْهِمُ الْخَرَاجَ ، فَرَجَعَ أَصْحَابُ أَبِي الصَّيْدَاءِ وَضَعُفَ أَمْرُهُمْ ، فَتَتَبَّعَ الرُّؤَسَاءَ ، فَأُخِذُوا وَحُمِلُوا إِلَى مَرْوَ ، وَبَقِيَ ثَابِتٌ مَحْبُوسًا ، فَأَلَحَّ هَانِئٌ فِي الْخَرَاجِ ، وَاسْتَخَفُّوا بِعُظَمَاءِ الْعَجَمِ وَالدَّهَاقِينِ ، وَأُقِيمُوا وَخُرِّقَتْ ثِيَابُهُمْ ، وَأَلْقِيَتْ مَنَاطِقُهُمْ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَأَخَذُوا الْجِزْيَةَ مِمَّنْ أَسَلَمَ مِنَ الضُّعَفَاءِ ، فَكَفَرَتِ الصُّغْدُ وَبُخَارَى ، وَاسْتَجَاشُوا التُّرْكَ. |
| وَلَمْ يَزَلْ ثَابِتُ قُطْنَةَ فِي حَبْسِ الْمُجَشِّرِ حَتَّى قَدِمَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ إِلَى الْمُجَشِّرِ وَالِيًا ، فَحَمَلَهُ إِلَى أَشْرَسَ فَحَبَسَهُ ، وَكَانَ نَصْرٌ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ ثَابِتٌ يَمْدَحْهُ بِأَبْيَاتٍ يَقُولُ فِيهَا مَا هَاجَ شَوْقُكَ مِنْ نُؤْيٍ وَأَحْجَارِ... |
| وَمِنْ رُسُومٍ عَفَاهَا صَوْبُ أَمْطَارِ إِنْ كَانَ ظَنِّي بِنَصْرٍ صَادِقًا أَبَدًا... |
| فِيمَا أُدَبِّرُ مِنْ نَقْضِي وَإِمْرَارِي لَا يَصْرِفُ الْجُنْدَ حَتَّى يَسْتَفِيءَ بِهِمْ... |
| نَهْبًا عَظِيمًا وَيَحْوِيَ مُلْكَ جَبَّارِ إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ جَذْمِ الَّذِي نَضُرَتْ... |
| مِنْهُ الْفُرُوعُ وَزَنْدِي الثَّاقِبُ الْوَارِي لَذَاكِرٌ مِنْكَ أَمْرًا قَدْ سَبَقْتَ بِهِ... |
| مَنْ كَانَ قَبْلَكَ يَا نَصْرُ بْنُ سَيَّارِ نَاضَلْتَ عَنِّي نِضَالَ الْحُرِّ إِذْ قَصُرَتْ... |
| دُونِي الْعَشِيرَةُ وَاسْتَبْطَأْتُ أَنْصَارِي وَصَارَ كُلُّ صِدِّيقٍ كُنْتُ آمُلُهُ... |
| أَلْبًا عَلَي وَرَثَّ الْحَبْلُ مِنْ جَارِي وَمَا تَلَبَّسْتُ بِالْأَمْرِ الَّذِي وَقَعُوا... |
| بِهِ عَلَيَّ وَلَا دَنَّسْتُ أَطَمَارِي وَلَا عَصَيْتُ إِمَامًا كَانَ طَاعَتُهُ حَقًا عَلِيَّ وَلَا قَارَفْتُ مِنْ عَارِ وَخَرَجَ أَشْرَسُ غَازِيًا ، فَنَزَلَ آمُلَ ، فَأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. |
| وَقَدَّمَ قَطَنَ بْنَ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، فَعَبَرَ النَّهْرَ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ ، فَأَقْبَلَ أَهْلُ الصُّغْدِ وَبُخَارَى مَعَهُمْ خَاقَانُ وَالتُّرْكُ ، فَحَصَرُوا قَطَنًا فِي خَنْدَقِهِ ، فَأَرْسَلَ خَاقَانُ مَنْ أَغَارَ عَلَى مَسْرَحِ النَّاسِ ، فَأَخْرَجَ أَشْرَسُ ثَابِتَ قُطْنَةَ بِكَفَالَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بِسْطَامِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو ، فَوَجَّهَهُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بِسْطَامٍ فِي خَيْلٍ ، فَقَاتَلُوا التُّرْكَ بِآمُلَ حَتَّى اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ ، وَرَجَعَ التُّرْكُ. |
| ثُمَّ عَبَرَ أَشْرَسُ بِالنَّاسِ إِلَى قَطَنٍ ، وَبَعْثَ أَشْرَسُ سَرِيَّةً مَعَ مَسْعُودٍ أَحَدِ بَنِي حَيَّانَ ، فَلَقِيَهُمُ الْعَدُوُّ فَقَاتَلُوهُمْ ، فَقُتِلَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهُزِمَ مَسْعُودٌ ، فَرَجَعَ أَشْرَسُ ، وَأَقْبَلَ الْعَدُوُّ ، فَلَقِيَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَجَالُوا جَوْلَةً ، فَقُتِلَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ رَجَعَ الْمُسْلِمُونَ وَصَبَرُوا فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، وَسَارَ أَشْرَسُ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِيكَنْدَ ، فَقَطَعَ الْعَدُوُّ عَنْهُمُ الْمَاءَ ، وَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَعَطِشُوا ، فَرَحَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي قَطَعَ الْعَدُوُّ الْمِيَاهَ مِنْهَا ، وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ قَطَنُ بْنُ قُتَيْبَةَ ، فَلَقِيَهُمُ الْعَدُوُّ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَجَهِدُوا مِنَ الْعَطَشِ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُمِائَةٍ ، فَعَجَزَ النَّاسُ عَنِ الْقِتَالِ ، فَحَرَّضَ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ النَّاسَ ، فَقَالَ الْقَتْلُ بِالسَّيْفِ أَكْرَمُ فِي الدُّنْيَا وَأَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمَوْتِ عَطَشًا. |
| وَتَقَدَّمَ الْحَارِثُ وَقَطَنٌ فِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى أَزَالُوا التُّرْكَ عَنِ الْمَاءِ ، فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ فَشَرِبُوا وَاسْتَقَوْا. |
| ثُمَّ مَرَّ ثَابِتُ قُطْنَةَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ دِثَارٍ الْبَاهِلِيِّ ، فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي الْجِهَادِ ؟ |
| فَقَالَ أَمْهِلْنِي حَتَّى أَغْتَسِلَ وَأَتَحَنَّطَ. |
| فَوَقَفَ لَهُ حَتَّى اغْتَسَلَ ثُمَّ مَضَيَا ، وَقَالَ ثَابِتٌ لِأَصْحَابِهِ أَنَا أَعْلَمُ بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ مِنْكُمْ ، وَحَرَّضَهُمْ ، فَحَمَلُوا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَقَالَ ثَابِتُ قُطْنَةَ اللَّهُمَّ إِنِّي كَنْتُ ضَيْفَ ابْنِ بِسْطَامٍ الْبَارِحَةَ ، فَاجْعَلْنِي ضَيْفَكَ اللَّيْلَةَ ، وَاللَّهِ لَا يَنْظُرُ إِلَيَّ بَنُو أُمَيَّةَ مَشْدُودًا فِي الْحَدِيدِ. |
| فَحَمَلَ وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ ، فَرَجَعَ أَصْحَابُهُ وَثَبَتَ هُوَ ، فَرُمِيَ بِرْذَوْنُهُ فَشَبَّ ، وَضَرَبَهُ فَأَقْدَمَ ، وَضُرِبَ ثَابِتٌ ، فَارْتُثَّ ، فَقَالَ وَهُوَ صَرِيعٌ اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ ضَيْفًا لِابْنِ بِسْطَامٍ وَأَمْسَيْتُ ضَيْفَكَ! |
| فَاجْعَلْ قِرَايَ مِنْكَ الْجَنَّةَ! |
| فَقَتَلُوهُ وَقَتَلُوا مَعَهُ عِدَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْهُمْ صَخْرُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ النُّعْمَانِ الْعَبْدِيُّ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ دِثَارٍ الْبَاهِلِيُّ ، وَغَيْرُهُمَا ، وَجَمَعَ قَطَنٌ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حِبَّانَ خَيْلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَبَايَعُوا عَلَى الْمَوْتِ ، فَحَمَلُوا عَلَى الْعَدُوِّ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَكَشَفُوهُمْ ، وَرَكِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ حَتَّى حَجَزَهُمُ اللَّيْلُ ، وَتَفَرَّقَ الْعَدُوُّ ، وَأَتَى أَشْرَسُ بُخَارَى فَحَصَرَ أَهْلَهَا. |
| الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَالْجِيمِ . |
| ذِكْرُ وَقْعَةِ كَمَرْجَهْ ثُمَّ إِنَّ خَاقَانَ حَصَرَ كَمَرْجَهْ ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ بُلْدَانِ خُرَاسَانَ ، وَبِهَا جَمْعٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَعَ خَاقَانَ أَهْلُ فَرْغَانَةَ وَأَفْشِينَةَ وَنَسَفَ وَطَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ بُخَارَى ، فَأَغْلَقَ الْمُسْلِمُونَ الْبَابَ ، وَقَطَعُوا الْقَنْطَرَةَ الَّتِي عَلَى الْخَنْدَقِ. |
| فَأَتَاهُمُ ابْنُ خِسْرُو بْنِ يَزْدِجَرْدَ ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لِمَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ؟ |
| أَنَا الَّذِي جِئْتُ بِخَاقَانَ لِيَرُدَّ عَلَيَّ مَمْلَكَتِي ، وَأَنَا آخِذٌ لَكُمُ الْأَمَانَ. |
| فَشَتَمُوهُ. |
| وَأَتَاهُمْ بَازَغْرَى فِي مِائَتَيْنِ ، وَكَانَ دَاهِيَةً ، وَكَانَ خَاقَانُ لَا يُخَالِفُهُ ، فَدَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَمَانٍ ، وَقَالَ لِيَنْزِلَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ أُكَلِّمُهُ بِمَا أَرْسَلَنِي بِهِ خَاقَانُ. |
| فَأَحْدَرُوا يَزِيدَ بْنَ سَعِيدٍ الْبَاهِلِيَّ ، وَكَانَ يَفْهَمُ بِالتُّرْكِيَّةِ يَسِيرًا ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ خَاقَانَ أَرْسَلَنِي ، وَهُوَ يَقُولُ إِنِّي أَجْعَلُ مَنْ عَطَاؤُهُ مِنْكُمْ سِتُّمِائَةٍ أَلْفًا ، وَمِنْ عَطَاؤُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ سِتَّمِائَةٍ ، وَهُوَ يُحْسِنُ إِلَيْكُمْ. |
| فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ كَيْفَ تَكُونُ الْعَرَبُ وَهُمْ ذِئَابٌ مَعَ التُّرْكِ وَهُمْ شَاءٌ! |
| لَا يَكُونُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ صُلْحٌ. |
| فَغَضِبَ بَازَغْرَى ، وَكَانَ مَعَهُ تُرْكِيَّانِ ، فَقَالَا أَلَا تَضْرِبُ عُنُقَهُ ؟ |
| فَقَالَ إِنَّهُ نَزَلَ بِأَمَانٍ. |
| وَفَهِمَ يَزِيدُ مَا قَالَا ، فَخَافَ ، فَقَالَ بَلَى إِنَّمَا تَجْعَلُونَنَا نِصْفَيْنِ ، فَيَكُونُ نَصْفُنَا مَعَ أَثْقَالِنَا ، وَيَسِيرُ النِّصْفُ مَعَكُمْ ، فَإِنْ ظَفِرْتُمْ فَنَحْنُ مَعَكُمْ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ كُنَّا كَسَائِرِ مَدَائِنِ الصُّغْدِ. |
| فَرَضُوا بِذَلِكَ ، وَقَالَ أَعْرِضُ عَلَى أَصْحَابِي هَذَا. |
| وَصَعِدَ فِي الْحَبْلِ ، فَلَمَّا صَارَ عَلَى السُّورِ نَادَى يَا أَهْلَ كَمْرَجَهْ ، اجْتَمِعُوا ، فَقَدْ جَاءَكُمْ قَوْمٌ يَدْعُونَكُمْ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، فَمَا تَرَوْنَ ؟ |
| قَالُوا لَا نُجِيبُ وَلَا نَرْضَى. |
| قَالَ يَدْعُونَكُمْ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ. |
| قَالُوا نَمُوتُ قَبْلَ ذَلِكَ. |
| فَرُدَّ بَازَغْرَى. |
| ثُمَّ أَمَرَ خَاقَانُ بِقَطْعِ الْخَنْدَقِ ، فَجَعَلُوا يُلْقُونَ الْحَطَبَ الرَّطْبَ ، وَيُلْقِي الْمُسْلِمُونَ الْحَطَبَ الْيَابِسَ ، حَتَّى سُوِّيَ الْخَنْدَقُ ، فَأَشْعَلُوا فِيهِ النِّيرَانَ ، وَهَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ صُنْعًا مِنَ اللَّهِ ، فَاحْتَرَقَ الْحَطَبُ ، وَكَانُوا جَمَعُوهُ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. |
| ثُمَّ فَرَّقَ خَاقَانُ عَلَى التُّرْكِ أَغْنَامًا ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا لَحْمَهَا ، وَيَحْشُوا جُلُودَهَا تُرَابًا ، وَيَكْبِسُوا خَنْدَقَهَا ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ سَحَابَةً فَمَطَرَتْ مَطَرًا شَدِيدًا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ مَا فِي الْخَنْدَقِ ، وَأَلْقَاهُ فِي النَّهْرِ الْأَعْظَمِ. |
| وَرَمَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِالسِّهَامِ ، فَأَصَابَتْ بَازَغْرَى نُشَّابَةٌ فِي سُرَّتِهِ فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ بِمَوْتِهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ. |
| فَلَمَّا امْتَدَّ النَّهَارُ جَاءُوا بِالْأَسْرَى الَّتِي عِنْدَهُمْ ، وَهُمْ مِائَةٌ ، فِيهِمْ أَبُو الْعَوْجَاءِ الْعَتَكِيُّ ، وَالْحَجَّاجُ بْنُ حُمَيْدٍ النَّضْرِيُّ ، فَقَتَلُوهُمْ وَرَمَوْا بِرَأْسِ الْحَجَّاجِ ، وَكَانَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مِائَتَانِ مِنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ رَهَائِنَ ، فَقَتَلُوهُمْ وَاسْتَمَاتُوا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ. |
| وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ كَمَرْجَهْ كَذَلِكَ حَتَّى أَقْبَلَتْ جُنُودُ الْعَرَبِ فَنَزَلَتْ فَرْغَانَةَ ، فَعَيَّرَ خَاقَانُ أَهْلَ الصُّغْدِ ، وَفَرْغَانَةَ ، وَالشَّاشِ ، وَالدَّهَاقِينَ ، وَقَالَ زَعَمْتُمْ أَنَّ فِي هَذِهِ خَمْسِينَ حِمَارًا ، وَأَنَّا نَفْتَحُهَا فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ ، فَصَارَتِ الْخَمْسَةُ شَهْرَيْنِ. |
| وَأَمَرَهُمْ بِالرَّحِيلِ وَشَتَمَهُمْ ، فَقَالُوا مَا نَدَعُ جُهْدًا ، فَأَحْضِرْنَا غَدًا ، وَانْظُرْ مَا نَصْنَعُ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ وَقَفَ خَاقَانُ ، وَتَقَدَّمَ الطَّارْبَنْدُ ، فَقَاتَلَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةً ، وَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى ثُلْمَةٍ إِلَى جَنْبِ بَيْتٍ فِيهِ مَرِيضٌ مِنْ تَمِيمٍ ، فَرَمَاهُ التَّمِيمِيُّ بِكَلُّوبٍ ، فَتَعَلَّقَ بِدِرْعِهِ ، ثُمَّ نَادَى النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ ، فَجَذَبُوهُ فَسَقَطَ لِوَجْهِهِ ، وَرَمَاهُ رَجُلٌ بِحَجَرٍ ، فَأَصَابَ أَصْلَ أُذُنِهِ ، فَصُرِعَ ، وَطَعَنَهُ آخَرُ ، فَقَتَلَهُ ، فَاشْتَدَّ قَتْلُهُ عَلَى التُّرْكِ. |
| وَأَرْسَلَ خَاقَانُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ رَأْيِنَا أَنْ نَرْتَحِلَ عَنْ مَدِينَةٍ نُحَاصِرُهَا دُونَ افْتِتَاحِهَا ، أَوْ تَرَحُّلِهِمْ عَنْهَا. |
| فَقَالُوا لَهُ لَيْسَ مِنْ دِينِنَا أَنْ نُعْطِيَ بِأَيْدِينَا حَتَّى نُقْتَلَ ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ. |
| فَأَعْطَاهُمُ التُّرْكُ الْأَمَانَ أَنْ يَرْحَلَ خَاقَانُ عَنْهُمْ وَيَرْحَلُوا هُمْ عَنْهَا إِلَى سَمَرْقَنْدَ أَوِ الدَّبُّوسِيَّةَ ، فَرَأَى أَهْلُ كَمَرْجَهْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحِصَارِ ، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ ، فَأَخَذُوا مِنَ التُّرْكِ رَهَائِنَ أَنْ لَا يَعْرِضُوا لَهُمْ ، وَطَلَبُوا أَنَّ كُورُصُولَ التُّرْكِيَّ يَكُونُ مَعَهُمْ فِي جَمَاعَةٍ لِيَمْنَعَهُمْ إِلَى الدَّبُّوسِيَّةِ ، فَسَلَّمُوا إِلَيْهِمُ الرَّهَائِنَ وَأَخَذُوا أَيْضًا هُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَهَائِنَ ، وَارْتَحَلَ خَاقَانُ عَنْهُمْ ، ثُمَّ رَحَلُوا هُمْ بَعْدَهُ ، فَقَالَ الْأَتْرَاكُ الَّذِينَ مَعَ كُورُصُولَ إِنَّ بِالدَّبُّوسِيَّةِ عَشْرَةَ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، وَلَا نَأْمَنُ أَنْ يَخْرُجُوا عَلَيْنَا. |
| فَقَالَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ إِنْ قَاتَلُوكُمْ قَاتَلْنَاهُمْ مَعَكُمْ. |
| فَسَارُوا ، فَلَمَّا صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الدَّبُّوسِيَّةِ فَرْسَخٌ نَظَرَ أَهْلُهَا إِلَى الْفُرْسَانِ فَظَنُّوا أَنَّ كَمَرْجَهْ فُتِحَتْ ، وَأَنَّ خَاقَانَ قَدْ قَصَدَهُمْ ، فَتَأَهَّبُوا لِلْحَرْبِ ، فَأَرْسَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِمْ يُخْبِرُونَهُمْ خَبَرَهُمْ ، فَالْتَقَوْهُمْ وَحَمَلُوا مَنْ كَانَ يَضْعُفُ عَنِ الْمَشْيِ وَمَنْ كَانَ مَجْرُوحًا. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْمُسْلِمُونَ الدَّبُّوسِيَّةَ أَرْسَلُوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الرَّهَائِنُ يُعْلِمُونَهُ بِوُصُولِهِمْ ، وَيَأْمُرُونَهُ بِإِطْلَاقِهِمْ ، فَجَعَلَتِ الْعَرَبُ تُطْلِقُ رَجُلًا مِنَ الرَّهْنِ وَالتُّرْكُ رَجُلًا ، حَتَّى بَقِيَ سِبَاعُ بْنُ النُّعْمَانِ مَعَ التُّرْكِ ، وَرَجُلٌ مِنَ التُّرْكِ عِنْدَ الْعَرَبِ ، وَجَعَلَ كُلُّ فَرِيقٍ يَخَافُ مِنْ صَاحِبِهِ الْغَدْرَ ، فَقَالَ سِبَاعٌ خَلُّوا رَهِينَةَ التُّرْكِ ، فَخَلَّوْهُ ، وَبَقِيَ سِبَاعٌ مَعَ التُّرْكِ ، فَقَالَ لَهُ كُورْصُولُ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ |
| قَالَ وَثِقْتُ بِكَ وَقُلْتُ تَرْفَعُ نَفْسَكَ عَنِ الْغَدْرِ ، فَوَصَلَهُ كُورْصُولُ وَأَعْطَاهُ سِلَاحَهُ وَبِرْذَوْنًا وَأَطْلَقَهُ. |
| وَكَانَتْ مُدَّةُ حِصَارِ كَمَرْجَهْ ثَمَانِيَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا ، فَيُقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَسْقُوا إِبِلَهُمْ خَمْسَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا. |
| ذِكْرُ رِدَّةِ أَهْلِ كَرْدَرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ارْتَدَّ أَهْلُ كَرْدَرَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَشْرَسُ جُنْدًا فَظَفِرُوا بِهِمْ ، فَقَالَ عَرْفَجَةُ وَنَحْنُ كَفَيْنَا أَهْلَ مَرْوٍ وَغَيْرَهُمْ وَنَحْنُ نَفَيْنَا التُّرْكَ عَنْ أَهْلِ كَرْدَرِ فَإِنْ تَجْعَلُوا مَا قَدْ غَنِمْنَا لِغَيْرِنَا فَقَدْ يُظْلَمُ الْمَرْءُ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَمَعَ خَالِدٌ الْقَسْرِيُّ الصَّلَاةَ وَالْأَحْدَاثَ وَالشُّرَطَ وَالْقَضَاءَ بِالْبَصْرَةِ لِبِلَالِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، وَعَزَلَ ثُمَامَةَ عَنِ الْقَضَاءِ. |
| وَفِيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ التُّرْكَ مِنْ بَابِ اللَّانِ ، فَلَقِيَ خَاقَانَ فِي جُمُوعِهِ ، فَاقْتَتَلُوا قَرِيبًا مَنْ شَهْرٍ وَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ شَدِيدٌ ، فَانْهَزَمَ خَاقَانُ وَانْصَرَفَ ، وَرَجَعَ مَسْلَمَةُ فَسَلَكَ عَلَى مَسْلَكِ ذِي الْقَرْنَيْنِ. |
| وَفِيهَا غَزَا مُعَاوِيَةُ الرُّومَ فَفَتَحَ صِمْلَةَ. |
| وَفِيهَا غَزَا الصَّائِفَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُقْبَةَ الْفِهْرِيُّ ، وَكَانَ عَلَى جَيْشِ الْبَحْرِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ ، بِضَمِّ الْحَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ الْمُهْمَلَتَيْنِ . |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ. |
| فَكَانَ الْعُمَّالُ عَلَى الْبِلَادِ هَذِهِ السَّنَةَ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً. |
| وَمُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا ، أَعْنِي سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ ، مَاتَ الْفَرَزْدَقُ الشَّاعِرُ وَلَهُ إِحْدَى وَتِسْعُونَ سَنَةً. |
| وَجَرِيرُ بْنُ الْخَطَفَى الشَّاعِرُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ذِكْرُ عَزْلِ أَشْرَسَ عَنْ خُرَاسَانَ وَاسْتِعْمَالِ الْجُنَيْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ هِشَامٌ أَشْرَسَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ خُرَاسَانَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ شَدَّادَ بْنَ خُلَيْدٍ الْبَاهِلِيَّ شَكَاهُ إِلَى هِشَامٍ ، فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ الْجُنَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَهُوَ الْجُنَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ سِنَانِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيُّ. |
| وَكَانَ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهِ أَنَّهُ أَهْدَى لِأُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ يَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ امْرَأَةِ هِشَامٍ قِلَادَةً فِي جَوْهَرٍ ، فَأَعْجَبَتْ هِشَامًا ، فَأَهْدَى لِهِشَامٍ قِلَادَةً أُخْرَى ، فَاسْتَعْمَلَهُ وَحَمَلَهُ عَلَى ثَمَانِيَةٍ مِنَ الْبَرِيدِ ، فَقَدِمَ خُرَاسَانَ فِي خَمْسِمِائَةٍ وَسَارَ إِلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَسَارَ مَعَهُ حَطَّابُ بْنُ مُحْرِزٍ السُّلَمِيُّ خَلِيفَةُ أَشْرَسَ بِخُرَاسَانَ وَقَطَعَا النَّهْرَ. |
| وَأَرْسَلَ الْجُنَيْدُ إِلَى أَشْرَسَ وَهُوَ يُقَاتِلُ أَهْلَ بُخَارَى وَالصُّغْدِ أَنْ أَمِدَّنِي بَخَيْلٍ ، وَخَافَ أَنْ يَقْتَطِعَ دُونَهُ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَشْرَسُ عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ الْحِمَّانِيَّ ، فَلَمَّا كَانَ عَامِرٌ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَرَضَ لَهُ التُّرْكُ وَالصُّغْدُ ، فَدَخَلَ حَائِطًا حَصِينًا وَقَاتَلَهُمْ عَلَى الثُّلْمَةِ ، وَمَعَهُ وَرْدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَدْهَمَ بْنِ كُلْثُومٍ ابْنِ أَخِي الْأَسْوَدِ بْنِ كُلْثُومٍ وَوَاصِلُ بْنُ عَمْرٍو الْقَيْسِيُّ. |
| فَخَرَجَ وَاصِلٌ وَعَاصِمُ بْنُ عُمَيْرٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَمَعَهُمَا غَيْرُهُمَا ، فَاسْتَدَارُوا حَتَّى صَارُوا مِنْ وَرَاءِ الْمَاءِ الَّذِي هُنَاكَ. |
| ثُمَّ جَمَعُوا قَصَبًا وَخَشَبًا وَعَبَرُوا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ خَاقَانُ إِلَّا وَالتَّكْبِيرُ مِنْ خَلْفِهِ ، وَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى التُّرْكِ ، فَقَاتَلُوهُمْ فَقَتَلُوا عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ وَانْهَزَمَ التُّرْكُ ، وَسَارَ عَامِرٌ إِلَى الْجُنَيْدِ ، فَلَقِيَهُ وَأَقْبَلَ مَعَهُ ، وَعَلَى مُقَدِّمَةِ الْجُنَيْدِ عُمَارَةُ بْنُ حُرَيْمٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْ بِيكَنْدَ تَلَقَّتْهُ خَيْلُ التُّرْكِ فَقَاتَلَهُمْ ، فَكَادَ الْجُنَيْدُ يَهْلِكُ وَمَنْ مَعَهُ ، ثُمَّ أَظْهَرَهُ اللَّهُ وَسَارَ حَتَّى قَدِمَ الْعَسْكَرَ ، فَظَفِرَ الْجُنَيْدُ وَقَتَلَ التُّرْكَ ، وَزَحَفَ إِلَيْهِ خَاقَانُ ، فَالْتَقَوْا دُونَ رُزْمَانَ مِنْ بِلَادِ سَمَرْقَنْدَ ، وَقَطَنُ بْنُ قُتَيْبَةَ عَلَى سَاقَةِ الْجُنَيْدِ. |
| فَأَسَرَ الْجُنَيْدُ مِنَ التُّرْكِ ابْنَ أَخِي خَاقَانَ فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى هِشَامٍ. |
| وَكَانَ الْجُنَيْدُ قَدِ اسْتَخْلَفَ فِي غَزْوَتِهِ هَذِهِ مُجَشِّرَ بْنَ مُزَاحِمٍ السُّلَمِيَّ عَلَى مَرْوَ ، وَوَلَّى سَوْرَةَ بْنَ الْحُرِّ التَّمِيمِيَّ بَلْخًا ، وَأَوْفَدَ لَمَّا أَصَابَ فِي وَجْهِهِ هَذَا وَفْدًا إِلَى هِشَامٍ ، وَرَجَعَ الْجُنَيْدُ إِلَى مَرْوَ وَقَدْ ظَفِرَ ، فَقَالَ خَاقَانُ هَذَا غُلَامٌ مُتْرَفٌ هَزَمَنِيَ الْعَامَ وَأَنَا مُهْلِكُهُ فِي قَابِلٍ. |
| وَاسْتَعْمَلَ الْجُنَيْدُ عُمَّالَهُ وَلَمْ يَسْتَعْمِلْ إِلَّا مُضَرِيًّا ، اسْتَعْمَلَ قَطَنَ بْنَ قُتَيْبَةَ عَلَى بُخَارَى ، وَالْوَلِيدَ بْنَ الْقَعْقَاعِ الْعَبْسِيَّ عَلَى هَرَاةَ ، وَحَبِيبَ بْنَ مُرَّةَ الْعَبْسِيَّ عَلَى شُرَطِهِ ، وَعَلَى بَلْخٍ مُسْلِمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَاهِلِيَّ ، وَكَانَ عَلَيْهَا نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ ، وَكَانَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَاهِلِيِّينَ مُتَبَاعِدًا لِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ بِالْبَرُوقَانِ ، وَأَرْسَلَ مُسْلِمٌ إِلَى نَصْرٍ فَصَادَفُوهُ نَائِمًا ، فَجَاءُوا بِهِ فِي قَمِيصٍ لَيْسَ عَلَيْهِ سَرَاوِيلُ مُلَبَّبًا ، فَقَالَ شَيْخٌ مِنْ مُضَرَ جِئْتُمْ بِهِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ! |
| فَعَزَلَ الْجُنَيْدُ مُسْلِمًا عَنْ بَلْخٍ وَاسْتَعْمَلَ يَحْيَى بْنَ ضُبَيْعَةَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى خَرَاجِ سَمَرْقَنْدَ شَدَّادَ بْنَ خُلَيْدٍ الْبَاهِلِيَّ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُسْرَى ، وَغَزَا سَعِيدُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُمْنَى حَتَّى أَتَى قَيْسَارِيَّةَ ، وَغَزَا فِي الْبَحْرِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ. |
| وَاسْتَعْمَلَ هِشَامٌ عَلَى عَامَّةِ النَّاسِ مِنَ الشَّامِ وَمِصْرَ الْحَكَمَ بْنَ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ. |
| وَفِيهَا سَارَتِ التُّرْكُ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ فَلَقِيَهُمُ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو فَهَزَمَهُمْ. |
| وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ هِشَامٌ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيَّ عَلَى إِرْمِينِيَّةَ ، وَعَزَلَ أَخَاهُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَدَخَلَ بِلَادَ الْخَزَرِ مِنْ نَاحِيَةِ تَفْلِيسَ ، فَفَتَحَ مَدِينَتَهُمُ الْبَيْضَاءَ وَانْصَرَفَ سَالِمًا ، فَجُمِعَتِ الْخَزَرُ وَحُشِدَتْ ، وَسَارَتْ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِ الْجَرَّاحِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| وَفِيهَا عَزَلَ عُبَيْدَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَامِلُ إِفْرِيقِيَّةَ ، عُثْمَانَ بْنَ نِسْعَةَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ ، وَاسْتَعْمَلَ بَعْدَهُ الْهَيْثَمَ بْنَ عُبَيْدٍ الْكِنَانِيَّ ، وَقَدِمَهَا فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ عَشَرَةَ أَشْهُرٍ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ ، فَكَانَ الْعُمَّالُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ إِلَّا خُرَاسَانَ كَانَ بِهَا الْجُنَيْدُ ، وَكَانَ بِإِرْمِينِيَّةَ الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ الْجَرَّاحِ الْحَكَمِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيُّ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ مِنْ دُخُولِهِ بِلَادَ الْخَزَرِ وَانْهِزَامِهِمْ ، فَلَمَّا هَزَمَهُمُ اجْتَمَعَ الْخَزَرُ وَالتُّرْكُ مِنْ نَاحِيَةِ اللَّانِ ، فَلَقِيَهُمُ الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ رَآهُ النَّاسُ ، فَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ ، وَتَكَاثَرَتِ الْخَزَرُ وَالتُّرْكُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتُشْهِدَ الْجَرَّاحُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بِمَرْجِ أَرْدَبِيلَ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَخْلَفَ أَخَاهُ الْحَجَّاجَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى إِرْمِينِيَّةَ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ الْجَرَّاحُ طَمِعَ الْخَزَرُ وَأَوْغَلُوا فِي الْبِلَادِ حَتَّى قَارَبُوا الْمَوْصِلَ ، وَعَظُمَ الْخَطْبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. |
| وَكَانَ الْجَرَّاحُ خَيِّرًا فَاضِلًا مِنْ عُمَّالِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَرَثَاهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ. |
| وَقِيلَ كَانَ قَتْلُهُ بِبَلَنْجَرَ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ هِشَامًا خَبَرُهُ دَعَا سَعِيدًا الْحَرَشِيَّ فَقَالَ لَهُ بَلَغَنِي أَنَّ الْجَرَّاحَ قَدِ انْحَازَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. |
| قَالَ كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْجَرَّاحُ أَعْرَفُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَنْهَزِمَ ، وَلَكِنَّهُ قُتِلَ. |
| قَالَ فَمَا رَأْيُكَ ؟ |
| قَالَ تَبْعَثُنِي عَلَى أَرْبَعِينَ دَابَّةً مِنْ دَوَابِّ الْبَرِيدِ ، ثُمَّ تَبْعَثُ إِلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، ثُمَّ اكْتُبْ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ يُوَافُونِي. |
| فَفَعَلَ ذَلِكَ هِشَامٌ ، وَسَارَ الْحَرَشِيُّ ، فَكَّانِ لَا يَمُرُّ بِمَدِينَةٍ إِلَّا وَيَسْتَنْهِضُ أَهْلَهَا فَيُجِيبُهُ مَنْ يُرِيدُ الْجِهَادَ ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ أَرْزَنَ ، فَلَقِيَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْجَرَّاحِ ، وَبَكَوْا وَبَكَى لِبُكَائِهِمْ وَفَرَّقَ فِيهِمْ نَفَقَةً وَرَدَّهُمْ مَعَهُ ، وَجَعَلَ لَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْجَرَّاحِ إِلَّا رَدَّهُ مَعَهُ ، وَوَصَلَ إِلَى خِلَاطٍ ، وَهِيَ مُمْتَنِعَةٌ عَلَيْهِ ، فَحَصَرَهَا أَيْضًا وَفَتَحَهَا وَقَسَّمَ غَنَائِمَهَا فِي أَصْحَابِهِ. |
| ثُمَّ سَارَ عَنْ خِلَاطٍ وَفَتَحَ الْحُصُونَ وَالْقِلَاعَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَرْذَعَةَ فَنَزَلَهَا. |
| وَكَانَ ابْنُ خَاقَانَ يَوْمَئِذٍ بِأَذْرَبِيجَانَ يُغِيرُ وَيَنْهَبُ وَيَسْبِي وَيَقْتُلُ ، وَهُوَ مُحَاصِرٌ مَدِينَةَ وَرْثَانَ ، فَخَافَ الْحَرَشِيُّ أَنْ يَمْلِكَهَا ، فَأَرْسَلَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ إِلَى أَهْلِ وَرْثَانَ سِرًّا يُعَرِّفُهُمْ وُصُولَهُمْ وَيَأْمُرُهُمْ بِالصَّبْرِ ، فَسَارَ الْقَاصِدُ ، وَلَقِيَهُ بَعْضُ الْخَزَرِ فَأَخَذُوهُ وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، فَأَخْبَرَهُمْ وَصَدَقَهُمْ ، فَقَالُوا لَهُ إِنْ فَعَلْتَ مَا نَأْمُرُكَ بِهِ أَحْسَنَّا إِلَيْكَ وَأَطْلَقْنَاكَ وَإِلَّا قَتَلْنَاكَ. |
| قَالَ فَمَا الَّذِي تُرِيدُونَ ؟ |
| قَالُوا تَقُولُ لَأَهْلِ وَرْثَانَ إِنَّكُمْ لَيْسَ لَكُمْ مَدَدٌ وَلَا مَنْ يَكْشِفُ مَا بِكُمْ ، وَتَأْمُرُهُمْ بِتَسْلِيمِ الْبَلَدِ إِلَيْنَا. |
| فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا قَارَبَ الْمَدِينَةَ وَقَفَ بِحَيْثُ يَسْمَعُ أَهْلُهَا كَلَامَهُ فَقَالَ لَهُمْ أَتَعْرِفُونِي ؟ |
| قَالُوا نَعَمْ أَنْتَ فُلَانٌ. |
| قَالَ فَإِنَّ الْحَرَشِيُّ قَدْ وَصَلَ إِلَى مَكَانِ كَذَا فِي عَسَاكِرَ كَثِيرَةٍ ، وَهُوَ يَأْمُرُكُمْ بِحِفْظِ الْبَلَدِ وَالصَّبْرِ ، فَفِي هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ يَصِلُ إِلَيْكُمْ. |
| فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ. |
| وَقَتَلَتِ الْخَزَرُ ذَلِكَ الرَّجُلَ وَرَحَلُوا عَنْ مَدِينَةِ وَرْثَانَ ، فَوَصَلَهَا الْحَرَشِيُّ فِي الْعَسَاكِرِ وَلَيْسَ عِنْدَهَا أَحَدٌ. |
| فَارْتَحَلَ يَطْلُبُ الْخَزَرَ إِلَى أَرْدَبِيلَ ، فَسَارَ الْخَزَرُ عَنْهَا وَنَزَلَ الْحَرَشِيُّ بَاجَرْوَانَ ، فَأَتَاهُ فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ أَبْيَضَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فِي الْجِهَادِ وَالْغَنِيمَةِ ؟ |
| قَالَ كَيْفَ لِي بِذَلِكَ ؟ |
| قَالَ هَذَا عَسْكَرُ الْخَزَرِ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ ، وَمَعَهُمْ خَمْسَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُسَارَى أَوْ سَبَايَا ، وَقَدْ نَزَلُوا عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ. |
| فَسَارَ الْحَرَشِيُّ لَيْلًا فَوَافَاهُمْ آخِرَ اللَّيْلِ وَهُمْ نِيَامٌ ، فَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ فِي أَرْبَعِ جِهَاتٍ فَكَبَسَهُمْ مَعَ الْفَجْرِ ، وَوَضَعَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمُ السَّيْفَ ، فَمَا بَزَغَتِ الشَّمْسُ حَتَّى قُتِلُوا أَجْمَعِينَ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَأَطْلَقَ الْحَرَشِيُّ مَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَخَذَهُمْ إِلَى بَاجَرْوَانَ ، فَلَمَّا دَخَلَهَا أَتَاهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ صَاحِبُ الْفَرَسِ الْأَبْيَضِ فَسَلَّمَ وَقَالَ هَذَا جَيْشٌ لِلْخَزَرِ وَمَعَهُمْ أَمْوَالٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَحُرَمُ الْجَرَّاحِ وَأَوْلَادُهُ بِمَكَانِ كَذَا. |
| فَسَارَ الْحَرَشِيُّ إِلَيْهِمْ ، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُمْ ، فَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّيْفَ فَقَتَلُوهُمْ كَيْفَ شَاءُوا ، وَلَمْ يُفْلِتْ مِنَ الْخَزَرِ إِلَّا الشَّرِيدُ ، وَاسْتَنْقَذُوا مَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ ، وَأَخَذَ أَوْلَادَ الْجَرَّاحِ فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَحَمَلَ الْجَمِيعَ إِلَى بَاجَرْوَانَ. |
| وَبَلَغَ خَبَرُ مَا فَعَلَهُ الْحَرَشِيُّ بِعَسَاكِرِ الْخَزَرِ ابْنَ مَلِكِهِمْ ، فَوَبَّخَ عَسَاكِرَهُ وَذَمَّهُمْ وَنَسَبَهُمْ إِلَى الْعَجْزِ وَالْوَهَنِ ، فَحَرَّضَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِجَمْعِ أَصْحَابِهِ وَالْعَوْدِ إِلَى قِتَالِ الْحَرَشِيِّ. |
| فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ مِنْ نَوَاحِي أَذْرَبِيجَانَ ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُ عَسَاكِرُ كَثِيرَةٌ ، وَسَارَ الْحَرَشِيُّ إِلَيْهِ فَالْتَقَيَا بِأَرْضِ بَرْزَنْدَ ، وَاقْتَتَلَ النَّاسُ أَشَدَّ قِتَالٍ وَأَعْظَمَهُ ، فَانْحَازَ الْمُسْلِمُونَ يَسِيرًا ، فَحَرَّضَهُمُ الْحَرَشِيُّ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ فَعَادُوا إِلَى الْقِتَالِ وَصَدَقُوهُمُ الْحَمْلَةَ ، وَاسْتَغَاثَ مَنْ مَعَ الْخَزَرِ مِنَ الْأُسَارَى وَنَادَوْا بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالدُّعَاءِ ، فَعِنْدَهَا حَرَّضَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا وَبَكَى رَحْمَةً لِلْأَسْرَى ، وَاشْتَدَّتْ نِكَايَتُهُمْ فِي الْعَدُوِّ ، فَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ مُنْهَزِمِينَ ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى بَلَغُوا بِهِمْ نَهْرَ أُرْسٍ ، وَعَادُوا عَنْهُمْ وَحَوَوْا مَا فِي عَسَاكِرِهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْغَنَائِمِ ، وَأَطْلَقُوا الْأَسْرَى وَالسَّبَايَا وَحَمَلُوا الْجَمِيعَ إِلَى بَاجَرْوَانَ. |
| ثُمَّ إِنَّ ابْنَ مَلِكِ الْخَزَرِ جَمَعَ مَنْ لَحِقَ بِهِ مِنْ عَسَاكِرِهِ وَعَادَ بِهِمْ نَحْوَ الْحَرَشِيِّ ، فَنَزَلَ عَلَى نَهْرِ الْبَيْلَقَانِ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْحَرَشِيِّ فَسَارَ نَحْوَهُ فِي عَسَاكِرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَوَافَاهُمْ وَهُمْ عَلَى نَهْرِ الْبَيْلَقَانِ ، فَالْتَقَوْا هُنَاكَ ، فَصَاحَ الْحَرَشِيُّ بِالنَّاسِ ، فَحَمَلُوا حَمْلَةً صَادِقَةً ضَعْضَعُوا صُفُوفَ الْخَزَرِ ، وَتَابَعَ الْحَمَلَاتِ وَصَبَرَ الْخَزَرُ صَبْرًا عَظِيمًا ، ثُمَّ كَانَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِمْ ، فَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ مُنْهَزِمِينَ ، وَكَانَ مَنْ غَرِقَ مِنْهُمْ فِي النَّهْرِ أَكْثَرَ مِمَّنْ قُتِلَ. |
| وَجَمَعَ الْحَرَشِيُّ الْغَنَائِمَ وَعَادَ إِلَى بَاجَرْوَانَ فَقَسَّمَهَا ، وَأَرْسَلَ الْخُمْسَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعَرَّفَهُ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامٌ يَشْكُرُهُ. |
| وَأَقَامَ بِبَاجَرْوَانَ ، فَأَتَاهُ كِتَابُ هِشَامٍ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، وَاسْتَعْمَلَ أَخَاهُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ ، فَوَصَلَ إِلَى الْبِلَادِ وَسَارَ إِلَى التُّرْكِ فِي شِتَاءٍ شَدِيدٍ حَتَّى جَازَ الْبَابَ فِي آثَارِهِمْ. |
| ذِكْرُ وَقْعَةِ الْجُنَيْدِ بِالشِّعْبِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ الْجُنَيْدُ غَازِيًا يُرِيدُ طَخَارِسْتَانَ ، فَوَجَّهَ عُمَارَةَ بْنَ حُرَيْمٍ إِلَى طَخَارِسْتَانَ فِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَوَجَّهَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ بَسَّامٍ اللَّيْثِيَّ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ إِلَى وَجْهٍ آخَرَ ، وَجَاشَتِ التُّرْكُ فَأَتَوْا سَمَرْقَنْدَ وَعَلَيْهَا سَوْرَةُ بْنُ الْحُرِّ ، فَكَتَبَ سَوْرَةُ إِلَى الْجُنَيْدِ إِنَّ خَاقَانَ جَاشَ التُّرْكَ ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَلَمْ أُطِقْ أَنْ أَمْنَعَ حَائِطَ سَمَرْقَنْدَ ، فَالْغَوْثَ الْغَوْثَ! |
| فَأَمَرَ الْجُنَيْدُ النَّاسَ بِعُبُورِ النَّهْرِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ الْمُجَشِّرُ بْنُ مُزَاحِمٍ السُّلَمِيُّ وَابْنُ بِسْطَامٍ الْأَزْدِيُّ وَغَيْرُهُمَا وَقَالُوا إِنَّ التُّرْكَ لَيْسُوا كَغَيْرِهِمْ لَا يَلْقَوْنَكَ صَفًّا وَلَا زَحْفًا وَقَدْ فَرَّقْتَ جُنْدَكَ ، فَمُسْلِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالْبَيْرُوذِ ، وَالْبَخْتَرِيُّ بِهَرَاةَ ، وَعُمَارَةُ بْنُ حُرَيْمٍ غَائِبٌ بِطَخَارِسْتَانَ ، وَصَاحِبُ خُرَاسَانَ لَا يَعْبُرُ النَّهْرَ فِي أَقَلَّ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا ، فَاكْتُبْ إِلَى عُمَارَةَ فَلْيَأْتِكَ وَأَمْهِلْ وَلَا تَعْجَلْ. |
| قَالَ فَكَيْفَ بِسَوْرَةَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ |
| لَوْ لَمْ أَكُنْ إِلَّا فِي بَنِي مُرَّةَ أَوْ مَنْ طَلَعَ مَعِي مِنَ الشَّامِ لَعَبَرْتُ ، وَقَالَ شِعْرًا أَلَيْسَ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يَشْهَدَ الْوَغَى... |
| وَأَنْ يَقْتُلَ الْأَبْطَالَ ضَخْمًا عَلَى ضَخْمِ وَقَالَ مَا عِلَّتِي مَا عِلَّتِي مَا عِلَّتِي... |
| إِنْ لَمْ أُقَتِّلْهُمْ فَجُزُّوا لُمَّتِي وَعَبَرَ الْجُنَيْدُ فَنَزَلَ كَشَّ وَتَأَهَّبَ لِلْمَسِيرِ ، وَبَلَغَ التُّرْكَ فَعَوَّرُوا الْآبَارَ الَّتِي فِي طَرِيقِ كَشٍّ ، فَقَالَ الْجُنَيْدُ أَيُّ طَرِيقٍ إِلَى سَمَرْقَنْدَ أَصْلَحُ ؟ |
| فَقَالُوا طَرِيقُ الْمُحْتَرِقَةِ. |
| فَقَالَ الْمُجَشِّرُ الْقَتْلُ بِالسَّيْفِ أَصْلَحُ مِنَ الْقَتْلِ بِالنَّارِ ، طَرِيقُ الْمُحْتَرِقَةِ كَثِيرُ الشَّجَرِ وَالْحَشِيشِ وَلَمْ يُزْرَعْ مُنْذُ سِنِينَ ، فَإِنْ لَقِينَا خَاقَانَ أَحْرَقَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَقَتَلَنَا بِالنَّارِ وَالدُّخَانِ ، وَلَكِنْ خُذْ طَرِيقَ الْعَقَبَةِ فَهُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَوَاءٌ. |
| فَأَخَذَ الْجُنَيْدُ طَرِيقَ الْعَقَبَةِ فَارْتَقَى فِي الْجَبَلِ ، فَأَخَذَ الْمُجَشِّرُ بِعِنَانِ دَابَّتِهِ وَقَالَ إِنَّهُ كَانَ يُقَالُ إِنَّ رَجُلًا مُتْرَفًا مِنْ قَيْسٍ يَهْلِكُ عَلَى يَدَيْهِ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ خُرَاسَانَ وَقَدْ خِفْنَا أَنْ تَكُونَهُ. |
| قَالَ لِيُفْرِخْ رَوْعُكَ. |
| قَالَ أَمَّا مَا كَانَ بَيْنَنَا مِثْلُكَ فَلَا. |
| فَبَاتَ فِي أَصْلِ الْعَقَبَةِ ، ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ حَتَّى صَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَمَرْقَنْدَ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ وَدَخَلَ الشِّعْبَ ، فَصَبَّحَهُ خَاقَانُ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ ، وَزَحَفَ إِلَيْهِ أَهْلُ الصُّغْدِ وَفَرْغَانَةَ وَالشَّاشِ وَطَائِفَةٌ مِنَ التُّرْكِ ، فَحَمَلَ خَاقَانُ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ ، وَعَلَيْهَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، فَرَجَعُوا إِلَى الْعَسْكَرِ وَالتُّرْكُ تَتْبَعُهُمْ وَجَاءُوهُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، فَجَعَلَ الْجُنَيْدُ تَمِيمًا وَالْأَزْدَ فِي الْمَيْمَنَةِ ، وَرَبِيعَةَ فِي الْمَيْسَرَةِ مِمَّا يَلِي الْجَبَلَ ، وَعَلَى مُجَفَّفَةِ خَيْلِ بَنِي تَمِيمٍ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زُهَيْرِ بْنِ حَيَّانَ ، وَعَلَى الْمُجَرَّدَةِ عَمْرَو بْنَ جِرْقَاشٍ الْمِنْقَرِيَّ ، وَعَلَى جَمَاعَةِ بَنِي تَمِيمٍ عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ الْحِمَّانِيَّ ، وَعَلَى الْأَزْدِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بِسْطَامِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو ، وَعَلَى الْمُجَفَّفَةِ وَالْمُجَرَّدَةِ فُضَيْلَ بْنَ هَنَّادٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَوْذَانَ. |
| فَالْتَقَوْا ، وَقَصَدَ الْعَدُوُّ الْمَيْمَنَةَ لِضِيقِ الْمَيْسَرَةِ ، فَتَرَجَّلَ حَسَّانُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زُهَيْرٍ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ ، فَأَمَرَهُ أَبُوهُ بِالرُّكُوبِ ، فَرَكِبَ ، وَأَحَاطَ الْعَدُوَّ بِالْمَيْمَنَةِ ، فَأَمَدَّهُمُ الْجُنَيْدُ بِنَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ ، فَشَدَّ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى الْعَدُوِّ فَكَشَفُوهُمْ ، ثُمَّ كَرُّوا عَلَيْهِمْ وَقَتَلُوا عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زُهَيْرٍ وَابْنَ جِرْقَاشَ وَالْفُضَيْلَ بْنَ هَنَّادٍ ، وَجَالَتِ الْمَيْمَنَةُ وَالْجُنَيْدُ وَاقِفٌ فِي الْقَلْبِ ، فَأَقْبَلَ إِلَى الْمَيْمَنَةِ وَوَقَفَ تَحْتَ رَايَةِ الْأَزْدِ ، وَكَانَ قَدْ جَفَاهُمْ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الرَّايَةِ مَا هَلَكْنَا لِتُكْرِمَنَا ، وَلَكِنَّكَ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يُوصَلُ إِلَيْكَ وَمِنَّا رَجُلٌ حَيٌّ ، فَإِنْ ظَفِرْنَا كَانَ لَكَ ، وَإِنْ هَلَكْنَا لَمْ تَبْكِ عَلَيْنَا. |
| وَتَقَدَّمَ فَقُتِلَ ، وَأَخَذَ الرَّايَةَ ابْنُ مُجَّاعَةَ فَقُتِلَ ، وَتَدَاوَلَهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَقُتِلُوا ، وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْأَزْدِ ثَمَانُونَ رَجُلًا. |
| وَصَبَرَ النَّاسُ يُقَاتِلُونَ حَتَّى أُعْيُوا ، فَكَانَتِ السُّيُوفُ لَا تَقْطَعُ شَيْئًا ، فَقَطَعَ عَبِيدُهُمُ الْخَشَبَ يُقَاتِلُونَ بِهِ حَتَّى مَلَّ الْفَرِيقَانِ ، فَكَانَتِ الْمُعَانَقَةُ ثُمَّ تَحَاجَزُوا. |
| وَقُتِلَ مِنَ الْأَزْدِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بِسْطَامٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوْذَانَ ، وَالْحَسَنُ بْنُ شَيْخٍ ، وَالْفُضَيْلُ صَاحِبُ الْخَيْلِ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْفَضْلِ الْحِدَّانِيُّ ، وَكَانَ قَدْ حَجَّ فَأَنْفَقَ فِي حَجَّتِهِ ثَمَانِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ ، وَقَالَ لِأُمِّهِ ادْعِي اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ ، فَدَعَتْ لَهُ وَغُشِيَ عَلَيْهَا ، فَاسْتُشْهِدَ بَعْدَ مَقْدِمِهِ مِنَ الْحَجِّ بِثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَقُتِلَ النَّضْرُ بْنُ رَاشِدٍ الْعَبْدِيُّ ، وَكَانَ قَدْ دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ فَقَالَ لَهَا كَيْفَ أَنْتِ إِذَا أُتِيتِ بِأَبِي ضَمْرَةَ فِي لِبْدٍ مُضَرَّجًا بِالدَّمِ ؟ |
| فَشَقَّتْ جَيْبَهَا وَدَعَتْ بِالْوَيْلِ ، فَقَالَ لَهَا حَسْبُكِ ، لَوْ أَعْوَلَتْ عَلَيَّ كُلُّ أُنْثَى لَعَصَيْتُهَا شَوْقًا إِلَى الْحُورِ الْعِينِ! |
| فَرَجَعَ وَقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ. |
| فَبَيْنَا النَّاسُ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ رَهَجٌ وَطَلَعَتْ فُرْسَانٌ ، فَنَادَى مُنَادِي الْجُنَيْدِ الْأَرْضَ الْأَرْضَ! |
| فَتَرَجَّلَ وَتَرَجَّلَ النَّاسُ ، ثُمَّ نَادَى لِيُخَنْدِقْ كُلُّ قَائِدٍ عَلَى حِيَالِهِ ، فَخَنْدَقُوا وَتَحَاجَزُوا ، وَقَدْ أُصِيبَ مِنَ الْأَزْدِ مِائَةٌ وَتِسْعُونَ رَجُلًا. |
| وَكَانَ قِتَالُهُمْ يَوْمَ الْجُمْعَةِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ قَصَدَهُمْ خَاقَانُ وَقْتَ الظُّهْرِ فَلَمْ يَرَ مَوْضِعًا لِلْقِتَالِ أَسْهَلَ مِنْ مَوْضِعِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَعَلَيْهِمْ زِيَادُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَقَصَدَهُمْ ، فَلَمَّا قَرُبُوا حَمَلَتْ بَكْرٌ عَلَيْهِمْ فَأَفْرَجُوا لَهُمْ ، فَسَجَدَ الْجُنَيْدُ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ. |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ سَوْرَةَ بْنِ الْحُرِّ فَلَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ وَرَأَى الْجُنَيْدُ شِدَّةَ الْأَمْرِ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ اخْتَرْ إِمَّا أَنْ تَهْلِكَ أَنْتَ أَوْ سَوْرَةُ بْنُ الْحُرِّ. |
| قَالَ هَلَاكُ سَوْرَةَ أَهْوَنُ عَلَيَّ. |
| قَالَ فَاكْتُبْ إِلَيْهِ فَلْيَأْتِكَ فِي أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ ، فَإِنَّهُ إِذَا بَلَغَ التُّرْكَ إِقْبَالُهُ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ فَقَاتَلُوهُ . |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْجُنَيْدُ يَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ. |
| وَقَالَ حُلَيْسُ بْنُ غَالِبٍ الشَّيْبَانِيُّ إِنَّ التُّرْكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْجُنَيْدِ ، فَإِنْ خَرَجْتَ كَرُّوا عَلَيْكَ فَاخْتَطَفُوكَ. |
| فَكَتَبَ إِلَى الْجُنَيْدِ إِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْجُنَيْدُ يَابْنَ اللَّخْنَاءِ تَخْرُجُ ، وَإِلَّا وَجَّهْتُ إِلَيْكَ شَدَّادَ بْنَ خُلَيْدٍ الْبَاهِلِيَّ ، وَكَانَ عَدُوَّهُ ، فَاخْرُجِ الْزَمِ الْمَاءَ وَلَا تُفَارِقْهُ ، فَأَجْمَعَ عَلَى الْمَسِيرِ وَقَالَ إِذَا سِرْتُ عَلَى النَّهْرِ لَا أَصِلُ فِي يَوْمَيْنِ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي هَذَا الْوَجْهِ لَيْلَةٌ ، فَإِذَا سَكَتَ الرَّجُلُ سِرْتُ. |
| فَجَاءَتْ عُيُونُ الْأَتْرَاكِ فَأَخْبَرُوهُمْ بِمَقَالَةِ سَوْرَةَ ، وَرَحَلَ سَوْرَةُ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى سَمَرْقَنْدَ مُوسَى بْنَ أَسْوَدَ الْحَنْظَلِيَّ ، وَسَارَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، فَأَصْبَحَ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ ، فَتَلَقَّاهُ خَاقَانُ حِينَ أَصْبَحَ ، وَقَدْ سَارَ ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُنَيْدِ فَرْسَخٌ فَقَاتَلَهُمْ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَصَبَرُوا. |
| فَقَالَ غُوزَكُ لِخَاقَانَ الْيَوْمَ حَارٌّ فَلَا نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَحْمَى عَلَيْهِمُ السِّلَاحُ ، فَوَافَقَهُمْ وَأَشْعَلَ النَّارَ فِي الْحَشِيشِ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَاءِ ، فَقَالَ سَوْرَةُ لِعُبَادَةَ مَا تَرَى يَا أَبَا سُلَيْمٍ ؟ |
| فَقَالَ أَرَى أَنَّ التُّرْكَ يُرِيدُونَ الْغَنِيمَةَ ، فَاعْقِرِ الدَّوَابَّ وَأَحْرِقِ الْمَتَاعَ وَجَرِّدِ السَّيْفَ ، فَإِنَّهُمْ يُخَلُّونَ لَنَا الطَّرِيقَ ، وَإِنْ مَنَعُونَا شَرَعْنَا الرِّمَاحَ وَنَزْحَفُ زَحْفًا ، وَإِنَّمَا هُوَ فَرْسَخٌ حَتَّى نَصِلَ إِلَى الْعَسْكَرِ. |
| فَقَالَ لَا أَقْوَى عَلَى هَذَا وَلَا فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، وَعَدَّ رِجَالًا ، وَلَكِنْ أَجْمَعُ الْخَيْلَ فَأَصُكُّهُمْ بِهَا سَلِمْتُ أَمْ عَطِبْتُ.. |
| وَجَمَعَ النَّاسَ وَحَمَلُوا ، فَانْكَشَفَ التُّرْكُ وَثَارَ الْغُبَارُ فَلَمْ يُبْصِرُوا ، وَمِنْ وَرَاءِ التُّرْكِ لَهِيبٌ فَسَقَطُوا فِيهِ ، وَسَقَطَ الْعَدُوُّ وَالْمُسْلِمُونَ وَسَقَطَ سَوْرَةُ فَانْدَقَّتْ فَخِذُهُ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ ، فَقَتَلَهُمُ التُّرْكُ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ غَيْرَ أَلْفَيْنِ ، وَيُقَالُ أَلْفٌ ، وَكَانَ مِمَّنْ نَجَا مِنْهُمْ عَاصِمُ بْنُ عُمَيْرٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، وَاسْتُشْهِدَ حُلَيْسُ بْنُ غَالِبٍ الشَّيْبَانِيُّ ، وَانْحَازَ الْمُهَلَّبُ بْنُ زِيَادٍ الْعِجْلِيُّ فِي سَبْعِمِائَةٍ إِلَى رُسْتَاقَ يُسَمَّى الْمَرْغَابُ فَنَزَلُوا قَصْرًا هُنَاكَ ، فَأَتَاهُمُ الْأَشْكَنْدُ صَاحِبُ نَسَفَ فِي خَيْلٍ وَمَعَهُ غَوْزَكُ ، فَأَعْطَاهُمْ غَوْزَكُ الْأَمَانَ. |
| فَقَالَ قُرَيْشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَبْدِيُّ لَا تَثِقُوا بِهِمْ ، وَلَكِنْ إِذَا جَنَّنَا اللَّيْلُ خَرَجْنَا عَلَيْهِمْ حَتَّى نَأْتِيَ سَمَرْقَنْدَ. |
| فَعَصَوْهُ فَنَزَلُوا بِالْأَمَانِ ، فَسَاقَهُمْ إِلَى خَاقَانَ فَقَالَ لَا أُجِيزُ أَمَانَ غَوْزَكَ ، فَقَاتَلَهُمُ الْوَجْفُ بْنُ خَالِدٍ وَالْمُسْلِمُونَ فَأُصِيبُوا غَيْرَ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَقُتِلُوا غَيْرَ ثَلَاثَةٍ. |
| وَقُتِلَ سَوْرَةُ فِي اللَّهَبِ ، فَلَمَّا قُتِلَ خَرَجَ الْجُنَيْدُ مِنَ الشِّعْبِ يُرِيدُ سَمَرْقَنْدَ مُبَادِرًا ، فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ سِرْ وَأَسْرِعْ. |
| فَقَالَ لَهُ الْمُجَشِّرُ انْزِلْ وَخُذْ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ ، فَنَزَلَ وَنَزَلَ النَّاسُ مَعَهُ ، فَلَمْ يَسْتَتِمَّ نُزُولُهُمْ حَتَّى طَلَعَ التُّرْكُ ، فَقَالَ الْمُجَشِّرُ لَهُ لَوْ لَاقَوْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ أَلَمْ يُهْلِكُونَا ؟ |
| فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَنَاهَضُوا فَجَالَ النَّاسُ ، فَقَالَ الْجُنَيْدُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهَا النَّارُ ، فَرَجَعُوا ، وَنَادَى الْجُنَيْدُ أَيُّ عَبْدٍ قَاتَلَ فَهُوَ حُرٌّ. |
| فَقَاتَلَ الْعَبِيدُ قِتَالًا عَجِبَ مِنْهُ النَّاسُ ، فَسُرُّوا بِمَا رَأَوْا مِنْ صَبْرِهِمْ ، وَصَبَرَ النَّاسُ حَتَّى انْهَزَمَ الْعَدُوُّ وَمَضَوْا ، فَقَالَ مُوسَى ابْنُ التَّعْرَاءِ لِلنَّاسِ تَفْرَحُونَ بِمَا رَأَيْتُمْ مِنَ الْعَبِيدِ! |
| إِنَّ لَكُمْ مِنْهُمْ لَيَوْمًا أَرُوزْبَانَ. |
| وَمَضَى الْجُنَيْدُ إِلَى سَمَرْقَنْدَ فَحَمَلَ عِيَالَ مَنْ كَانَ مَعَ سَوْرَةَ إِلَى مَرْوَ ، وَأَقَامَ بِالصُّغْدِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. |
| وَكَانَ صَاحِبُ رَأْيِ خُرَاسَانَ فِي الْحَرْبِ الْمُجَشِّرُ بْنُ مُزَاحِمٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صُبْحٍ الْخَرَقِيُّ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ الْهَجَرِيُّ ، وَكَانَ الْمُجَشِّرُ يُنْزِلُ النَّاسَ عَلَى رَايَاتِهِمْ وَيَضَعُ الْمَسَالِحَ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِثْلُ رَأْيِهِ فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِذَا نَزَلَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ فِي الْحَرْبِ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِثْلُ رَأْيِهِ ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَى تَعْبِيَةِ الْقِتَالِ. |
| وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمَوَالِي مِثْلَ هَؤُلَاءِ فِي الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ وَالْعِلْمِ بِالْحَرْبِ ، فَمِنْهُمْ الْفَضْلُ بْنُ بَسَّامٍ ، مَوْلَى لَيْثٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، مَوْلَى سُلَيْمٍ ، وَالْبَخْتَرِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ ، مَوْلَى شَيْبَانَ. |
| فَلَمَّا انْصَرَفَ التُّرْكُ بَعَثَ الْجُنَيْدُ نَهَارَ بْنَ تَوْسِعَةَ ، أَحَدَ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ ، وَزِبْلَ بْنَ سُوَيْدٍ الْمُرِّيَّ إِلَى هِشَامٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنَّ سَوْرَةَ عَصَانِي ، أَمَرْتُهُ بِلُزُومِ الْمَاءِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، فَأَتَتْنِي طَائِفَةٌ إِلَى كَشٍّ ، وَطَائِفَةٌ إِلَى نَسَفَ ، وَطَائِفَةٌ إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، وَأُصِيبَ سَوْرَةُ فِي بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ. |
| فَسَأَلَ هِشَامٌ نَهَارَ بْنَ تَوْسِعَةَ عَنِ الْخَبَرِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا شَهِدَ ، فَكَتَبَ هِشَامٌ إِلَى الْجُنَيْدِ قَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ عَشَرَةَ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَعَشَرَةَ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَمِنَ السِّلَاحِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ رُمْحٍ ، وَمِثْلُهَا تِرَسَةٌ ، فَافْرِضْ فَلَا غَايَةَ لَكَ فِي الْفَرِيضَةِ لِخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا. |
| فَلَمَّا سَمِعَ هِشَامٌ مُصَابَ سَوْرَةَ قَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مُصَابُ سَوْرَةَ بِخُرَاسَانَ وَمُصَابُ الْجَرَّاحِ بِالْبَابِ. |
| وَأَبْلَى نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ يَوْمَئِذٍ بَلَاءً حَسَنًا. |
| وَأَرْسَلَ الْجُنَيْدُ لَيْلَةً بِالشِّعْبِ رَجُلًا وَقَالَ لَهُ تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ وَكَيْفَ حَالُهُمْ. |
| فَفَعَلَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ رَأَيْتُهُمْ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ ، يَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ. |
| فَسَرَّهُ ذَلِكَ. |
| قَالَ عُبَيْدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ النُّعْمَانِ رَأَيْتُ فَسَاطِيطَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا ؟ |
| فَقَالُوا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ بِسْطَامٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَقُتِلُوا فِي غَدٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ مَرَرْتُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِينٍ ، فَشَمَمْتُ رَائِحَةَ الْمِسْكِ. |
| وَأَقَامَ الْجُنَيْدُ بِسَمَرْقَنْدَ ، وَتَوَجَّهُ الْخَاقَانُ إِلَى بُخَارَى وَعَلَيْهَا قَطَنُ بْنُ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، فَخَافَ الْجُنَيْدُ التُّرْكَ عَلَى قَطَنِ بْنِ قُتَيْبَةَ ، فَشَاوَرَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ قَوْمٌ نَلْزَمُ سَمَرْقَنْدَ. |
| وَقَالَ قَوْمٌ نَسِيرُ مِنْهَا فَنَأْتِي رَبِنْجَنَ ، ثُمَّ كَشَّ ، ثُمَّ إِلَى نَسَفَ ، فَنَتَّصِلُ مِنْهَا إِلَى أَرْضِ زُمَّ ، وَنَقْطَعُ النَّهْرَ وَنَنْزِلُ آمُلَ فَنَأْخُذُ عَلَيْهِ بِالطَّرِيقِ. |
| فَاسْتَشَارَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي سُلَيْمٍ ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالُوا ، فَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُخَالِفَهُ فِيمَا يُشِيرُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ ارْتِحَالٍ وَنُزُولٍ وَقِتَالٍ ، قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ فَإِنِّي أَطْلُبُ إِلَيْكَ خِصَالًا. |
| قَالَ وَمَا هِيَ ؟ |
| قَالَ تَخَنْدَقْ حَيْثُمَا نَزَلْتَ ، فَلَا يَفُوتَنَّكَ حَمْلُ الْمَاءِ ، وَلَوْ كُنْتَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ ، وَأَنْ تُطِيعَنِي فِي نُزُولِكَ وَارْتِحَالِكَ. |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ أَمَّا مَا أَشَارُوا عَلَيْكَ فِي مُقَامِكَ بِسَمَرْقَنْدَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْغِيَاثُ ، فَالْغِيَاثُ يُبْطِئُ عَنْكَ ، وَأَمَّا مَا أَشَارُوا مِنْ طَرِيقِ كَشٍّ وَنَسَفَ ، فَإِنَّكَ إِنْ سِرْتَ بِالنَّاسِ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ ، فَتَتَّ فِي أَعْضَادِهِمْ ، وَانْكَسَرُوا عَنْ عَدُوِّهِمْ ، وَاجْتَرَأَ عَلَيْكَ خَاقَانُ ، وَهُوَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفْتَحَ بُخَارَى فَلَمْ يَفْتَحُوا لَهُ ، فَإِنْ أَخَذْتَ غَيْرَ الطَّرِيقِ بَلَغَ أَهْلُ بُخَارَى مَا فَعَلْتَ فَيَسْتَسْلِمُوا لِعَدُوِّهِمْ ، وَإِنْ أَخَذْتَ الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ هَابَكَ الْعَدُوُّ ، وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَأْخُذَ عِيَالَ مَنْ قُتِلَ مَعَ سَوْرَةَ فَتُقَسِّمَهُمْ عَلَى عَشَائِرِهِمْ وَتَحْمِلَهُمْ مَعَكَ ، فَإِنِّي أَرْجُو بِذَلِكَ أَنْ يَنْصُرَكَ اللَّهُ عَلَى عَدُوِّكَ ، وَتُعْطِيَ كُلَّ رَجُلٍ تَخَلَّفَ بِسَمَرْقَنْدَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَفَرَسًا. |
| فَأَخَذَ بِرَأْيِهِ وَخَلَّفَ بِسَمَرْقَنْدَ عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ فِي أَرْبَعِمِائَةِ فَارِسٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ رَاجِلٍ. |
| فَشَتَمَ النَّاسُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ وَقَالُوا مَا أَرَادَ إِلَّا هَلَاكَنَا. |
| فَخَرَجَ الْجُنَيْدُ وَحَمَلَ الْعِيَالَ مَعَهُ ، وَسَرَّحَ الْأَشْحَبَ بْنَ عُبَيْدٍ الْحَنْظَلِيَّ وَمَعَهُ عَشَرَةٌ مِنَ الطَّلَائِعِ وَقَالَ كُلَّمَا مَضَتْ مَرْحَلَةٌ تُسَرِّحُ إِلَيَّ رَجُلًا يُعْلِمُنِي الْخَبَرَ. |
| وَسَارَ الْجُنَيْدُ فَأَسْرَعَ السَّيْرَ ، فَقَالَ لَهُ عَطَاءٌ الدَّبُّوسِيُّ انْظُرْ أَضْعَفَ شَيْخٍ فِي الْعَسْكَرِ فَسَلِّحْهُ سِلَاحًا تَامًّا بِسَيْفِهِ وَرُمْحِهِ وَتُرْسِهِ وَجَعْبَتِهِ ، ثُمَّ سِرْ عَلَى قَدْرِ مَشْيِهِ ، فَإِنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى سُرْعَةِ الْمَسِيرِ وَالْقِتَالِ وَنَحْنُ رَجَّالَةٌ. |
| فَفَعَلَ الْجُنَيْدُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَعْرِضْ لِلنَّاسِ عَارِضٌ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الْأَمَاكِنِ الْمُخَوِّفَةِ ، وَدَنَا مِنَ الطَّوَاوِيسِ ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ خَاقَانُ بِكَرْمِينِيَةَ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ وَاقْتَتَلُوا ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ الْجُنَيْدُ لَيْسَ هَذَا يَوْمَ ضَحِكٍ. |
| قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلْقَكَ هَؤُلَاءِ فِي جِبَالٍ مُعَطَّشَةٍ وَعَلَى ظُهْرٍ ، إِنَّمَا أَتَوْكَ وَأَنْتَ مُخَنْدِقٌ آخِرَ النَّهَارِ كَالِّينِ وَأَنْتَ مَعَكَ الزَّادُ ، فَقَاتَلُوا قَلِيلًا ثُمَّ رَجَعُوا. |
| ثُمَّ قَالَ لِلْجُنَيْدِ ارْتَحِلْ فَإِنَّ خَاقَانَ وَدَّ أَنَّكَ تُقِيمُ فَيَنْطَوِي عَلَيْكَ إِذَا شَاءَ. |
| فَسَارَ وَعَبْدَ اللَّهِ عَلَى السَّاقَةِ ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالنُّزُولِ فَنَزَلَ ، وَاسْتَقَى النَّاسُ وَبَاتُوا ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ارْتَحَلُوا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ إِنِّي أَتَوَقَّعُ أَنَّ خَاقَانَ يَصْدِمُ السَّاقَةَ الْيَوْمَ فَشَدُّوهَا بِالرِّجَالِ ، فَقَوَّاهُمُ الْجُنَيْدُ ، وَجَاءَتِ التُّرْكُ فَمَالَتْ عَلَى السَّاقَةِ فَاقْتَتَلُوا ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَقَتَلَ مُسْلِمُ بْنُ أَحْوَزَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَاءَ التُّرْكِ ، فَتَطَيَّرُوا مِنْ ذَلِكَ وَانْصَرَفُوا مِنَ الطَّوَاوِيسِ. |
| وَسَارَ الْمُسْلِمُونَ فَدَخَلُوا بُخَارَى يَوْمَ الْمِهْرَجَانِ ، فَتَلَقَّوْهُمْ بِالدَّرَاهِمِ الْبُخَارِيَّةِ ، فَأَعْطَاهُمْ عَشَرَةً عَشَرَةً. |
| قَالَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَالِدٍ رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَقَالَ حَدَّثَ النَّاسُ عَنِّي بِرَأْيِي يَوْمَ الشِّعْبِ. |
| وَكَانَ الْجُنَيْدُ يَذْكُرُ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَيَقُولُ زُبْدَةٌ مِنَ الزُّبْدِ ، صُنْبُورٌ مِنْ صُنْبُورٍ ، قُلٌّ مَنْ قُلٍّ ، هَيْفَةٌ مِنَ الْهِيفِ. |
| وَالْهَيْفَةُ الضَّبُعُ ، وَالْقُلُّ الْفَرْدُ ، وَالصُّنْبُورُ الَّذِي لَا أَخَ لَهُ ، وَقِيلَ الْمُلْصَقُ . |
| وَقَدِمَتِ الْجُنُودُ مِنَ الْكُوفَةِ عَلَى الْجُنَيْدِ ، فَسَرَّحَ مَعَهُمْ حَوْثَرَةَ بْنَ زَيْدٍ الْعَنْبَرِيَّ فِيمَنِ انْتَدَبَ مَعَهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ وَقْعَةَ الشِّعْبِ كَانَتْ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ يَذْكُرُ يَوْمَ الشِّعْبِ إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسَّادِي ذَوُو عَدَدٍ... |
| يَا ذَا الْمَعَارِجِ لَا تُنْقِصْ لَهُمْ عَدَدًا إِنْ تَحْسُدُونِي عَلَى مِثْلِ الْبَلَاءِ لَكُمْ... |
| يَوْمًا فَمِثْلُ بَلَائِي جَرَّ لِي الْحَسَدَا يَأْبَى الْإِلَهُ الَّذِي أَعْلَى بِقُدْرَتِهِ كَعْبِي... |
| عَلَيْكُمْ وَأَعْطَى فَوْقَكُمْ عَدَدًا أَرْمِي الْعُدَاةَ بِأَفْرَاسٍ مُكَلَّمَةٍ... |
| حَتَّى اتَّخَذْنَ عَلَى حُسَّادِهِنَّ يَدَا مَنْ ذَا الَّذِي مِنْكُمْ فِي الشِّعْبِ إِذْ وَرَدُوا... |
| لَمْ يَتَّخِذْ حَوْمَةَ الْأَثْقَالِ مُعْتَمَدًا هَلَّا شَهِدْتُمْ دِفَاعِي عَنْ جُنَيْدِكُمُ... |
| وَقْعَ الْقَنَا وَشِهَابُ الْحَرْبِ قَدْ وُقِدَا وَقَالَ ابْنُ عُرْسٍ يَمْدَحُ نَصْرًا يَا نَصْرُ أَنْتَ فَتَى نِزَارٍ كُلِّهَا... |
| فَلَكَ الْمَآثِرُ وَالْفَعَالُ الْأَرْفَعُ فَرَّجْتَ عَنْ كُلِّ الْقَبَائِلِ كُرْبَةً... |
| بِالشِّعْبِ حِينَ تَخَاضَعُوا وَتَضَعْضَعُوا يَوْمَ الْجُنَيْدِ إِذِ الْقَنَا مُتَشَاجِرٌ... |
| وَالنَّحْرُ دَامٍ وَالْخَوَافِقُ تَلْمَعُ مَا زِلْتَ تَرْمِيهِمْ بِنَفْسٍ حُرَّةٍ... |
| حَتَّى تَفَرَّجَ جَمْعُهُمْ وَتَصَدَّعُوا فَالنَّاسُ كُلٌّ بَعْدَهَا عُتَقَاؤُكُمْ... |
| وَلَكَ الْمَكَارِمُ وَالْمَعَالِي أَجْمَعُ ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ ، فَافْتَتَحَ خَرْشَنَةَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ ، وَقِيلَ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ مَوْتِ الْهَيْثَمِ أَمِيرَهُمْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَشْجَعِيَّ ، فَبَقِيَ شَهْرَيْنِ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْغَافِقِيُّ . |
| وَكَانَ عُمَّالُ الْأَمْصَارِ هَذِهِ السَّنَةَ مَنْ ذَكَرْنَاهُمْ فِي السَّنَةِ قَبْلَهَا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ بِقُسِّينَ ، حَيْوَةُ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتُ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مَكْحُولٌ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِيُّ الْفَقِيهُ. |
| وَعَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ وَائِلِ بْنِ حَجَرٍ الْحَضْرَمِيُّ ، وَمَاتَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ حَامِلٌ بِهِ ، فَكُلُّ مَا يَرْوُونَهُ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ مُنْقَطِعٌ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ بُخْتٍ ، وَكَانَ قَدْ غَزَا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَطَّالِ أَرْضَ الرُّومِ ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ الْبَطَّالِ ، فَحَمَلَ عَبْدُ الْوَهَّابِ وَهُوَ يَقُولُ مَا رَأَيْتُ فَرَسًا أَجْبَنَ مِنْكَ ، سَفَكَ اللَّهُ دَمِي إِنْ لَمْ أَسْفِكْ دَمَكَ! |
| ثُمَّ أَلْقَى بَيْضَتَهُ عَنْ رَأْسِهِ وَصَاحَ أَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ بُخْتٍ! |
| أَمِنَ الْجَنَّةِ تَفِرُّونَ ؟ ثُمَّ تَقَدَّمَ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ يَقُولُ وَاعَطَشَاهُ! |
| فَقَالَ تَقَدَّمْ ، الرِّيُّ أَمَامَكَ. |
| فَخَالَطَ الْقَوْمَ فَقُتِلَ وَقُتِلَ فَرَسُهُ. |
| ذِكْرُ غَزْوَةِ مَسْلَمَةَ وَعَوْدِهِ وَفِيهَا فَرَّقَ مَسْلَمَةُ الْجُيُوشَ بِبِلَادِ خَاقَانَ ، فَفُتِحَتْ مَدَائِنُ وَحُصُونٌ عَلَى يَدَيْهِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَسَرَ وَسَبَى وَأَحْرَقَ ، وَدَانَ لَهُ مَنْ وَرَاءَ جِبَالِ بَلَنْجَرَ ، وَقُتِلَ ابْنُ خَاقَانَ ، فَاجْتَمَعَتْ تِلْكَ الْأُمَمُ جَمِيعُهَا ، الْخَزَرُ وَغَيْرُهُمْ عَلَيْهِ فِي جَمْعٍ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَدْ جَازَ مَسْلَمَةُ بَلَنْجَرَ فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُهُمْ أَمَرَ أَصْحَابَهُ ، فَأَوْقَدُوا النِّيرَانَ ثُمَّ تَرَكَ خِيَامَهُمْ وَأَثْقَالَهُمْ وَعَادَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ جَرِيدَةَ ، وَقَدَّمَ الضُّعَفَاءَ وَأَخَّرَ الشُّجْعَانَ ، وَطَوَوُا الْمَرَاحِلَ كُلَّ مَرْحَلَتَيْنِ فِي مَرْحَلَةٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْبَابِ وَالْأَبْوَابِ فِي آخِرِ رَمَقٍ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ وَوِلَايَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَهِيَ سَنَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ، غَزَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْغَافِقِيُّ أَمِيرَ الْأَنْدَلُسِ مِنْ قِبَلِ عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ ، وَكَانَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ اسْتَعْمَلَ عُبَيْدَةَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَالْأَنْدَلُسِ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ إِفْرِيقِيَّةَ رَأَى الْمُسْتَنِيرَ بْنَ الْحَارِثِ الْحُرَيْثِيَّ غَازِيًا بِصِقِلِّيَّةَ ، وَأَقَامَ هُنَاكَ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ الشِّتَاءُ ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعًا ، فَغَرِقَ مَنْ مَعَهُ وَسَلِمَ الْمُسْتَنِيرُ فِي مَرْكَبِهِ ، فَحَبَسَهُ عُبَيْدَةُ عُقُوبَةً لَهُ وَجَلَدَهُ وَشَهَّرَهُ بِالْقَيْرَوَانِ. |
| ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَةَ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَغَزَا إِفْرِنْجَةَ وَأَوْغَلَ فِي أَرْضِهِمْ وَغَنِمَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، وَكَانَ فِيمَا أَصَابَ رِجْلٌ مِنْ ذَهَبٍ مُفَصَّصَةٌ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُّدِ ، فَكَسَرَهَا وَقَسَّمَهَا فِي النَّاسِ. |
| فَبَلَغَ ذَلِكَ عُبَيْدَةُ ، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَتَهَدَّدُهُ ، فَأَجَابَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَوْ كَانَتْ رَتْقًا لَجَعَلَ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ مِنْهَا مَخْرَجًا. |
| ثُمَّ خَرَجَ غَازِيًا بِبِلَادِ الْفِرِنْجِ هَذِهِ السَّنَةَ ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ ، فَقُتِلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ شُهَدَاءَ. |
| ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَةَ سَارَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ مِنَ الْهَدَايَا وَالْإِمَاءِ وَالْعَبِيدِ وَالدَّوَابِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، وَاسْتَعْفَى هِشَامًا ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَعَزَلَهُ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ قَتْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ قَطَنٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ هِشَامًا اسْتَعْمَلَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ بَعْدَ عُبَيْدَةَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَبْحَابِ ، وَكَانَ عَلَى مِصْرَ ، فَسَارَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ فَأَخْرَجَ الْمُسْتَنِيرَ مِنَ الْحَبْسِ وَوَلَّاهُ تُونُسَ. |
| ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ جَهَّزَ جَيْشًا مَعَ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى أَرْضِ السُّودَانِ ، فَظَفِرَ بِهِمْ ظَفَرًا لَمْ يَظْفَرْ أَحَدٌ مِثْلَهُ وَأَصَابَ مَا شَاءَ ، ثُمَّ غَزَا الْبَحْرَ ثُمَّ انْصَرَفَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ. |
| وَمُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ بْنِ إِيَاسٍ الْمُزَنِيُّ ، وَالِدُ إِيَاسٍ قَاضِي الْبَصْرَةِ الَّذِي يُضْرَبُ بِذَكَائِهِ الْمَثَلُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ حَرَامُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مُحَيِّصَةَ أَبُو سَعِيدٍ ، وَعُمْرُهُ سَبْعُونَ سَنَةً ، حَرَامٌ بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَبِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ. |
| وَمُحَيِّصَةَ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتُ ، وَبِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ الْإِيَامِيُّ. |
| وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيُّ. |
| وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، وَيُكَنَّى أَبَا جَعْفَرٍ ، وَعُمْرُهُ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. |
| وَوَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ الصَّنْعَانِيُّ ، وَكَانَ أَصْغَرَ مِنْ أَخِيهِ هَمَّامٍ ، وَكَانُوا خَمْسَةَ إِخْوَةٍ هَمَّامٌ وَوَهْبٌ وَغَيْلَانُ وَعَقِيلٌ وَمَعْقِلٌ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْحُرُّ بْنُ يُوسُفَ أَمِيرُ الْمَوْصِلِ وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ قُرَيْشٍ بِالْمَوْصِلِ ، وَكَانَتْ بِإِزَاءِ دَارِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْمَنْقُوشَةِ ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَاسْتَعْمَلَ هِشَامٌ مَكَانَهُ الْوَلِيدَ بْنَ تَلِيدٍ الْعَبْسِيَّ ، وَأَمَرَهُ بِالْجِدِّ فِي إِتْمَامِ حَفْرِ النَّهْرِ فِي الْبَلَدِ ، فَشَرَعَ فِيهِ وَاهْتَمَّ بِعَمَلِهِ. |
| وَفِيهَا غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ أَرْضَ الرُّومِ ، فَرَابَطَ مِنْ نَاحِيَةِ مَرْعَشٍ ثُمَّ رَجَعَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ جَمَاعَةٌ مِنْ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَأَخَذَ الْجُنَيْدُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ وَقَالَ مَنْ أَصَبْتُ مِنْهُمْ فَدَمُهُ هَدَرٌ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقِيلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيُّ ، وَكَانَ الْعُمَّالُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ذِكْرُ وِلَايَةِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ ، عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَذْرَبِيجَانَ وَإِرْمِينِيَّةَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِي عَسْكَرِ مَسْلَمَةَ بِإِرْمِينِيَّةَ حِينَ غَزَا الْخَزَرُ ، فَلَمَّا عَادَ مَسْلَمَةُ سَارَ مَرْوَانُ إِلَى هِشَامٍ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ قُدُومِهِ فَقَالَ ضِقْتُ ذَرْعًا بِمَا أَذْكُرُهُ ، وَلَمْ أَرَ مَنْ يَحْمِلُهُ غَيْرِي! |
| قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ مَرْوَانُ قَدْ كَانَ مِنْ دُخُولِ الْخَزَرِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَقَتْلِ الْجَرَّاحِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا دَخَلَ بِهِ الْوَهْنُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَجِّهَ أَخَاهُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَيْهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا وَطِئَ مِنْ بِلَادِهِمْ إِلَّا أَدْنَاهَا ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا رَأَى كَثْرَةَ جَمْعِهِ أَعْجَبَهُ ذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَى الْخَزَرِ يُؤْذِنُهُمْ بِالْحَرْبِ ، وَأَقَامَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، فَاسْتَعَدَّ الْقَوْمُ وَحَشَدُوا ، فَلَمَّا دَخَلَ بِلَادَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِمْ نِكَايَةٌ ، وَكَانَ قُصَارَاهُ السَّلَامَةُ ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَأْذَنَ لِي فِي غَزْوَةٍ أُذْهِبُ بِهَا عَنَّا الْعَارَ ، وَأَنْتَقِمُ مِنَ الْعَدُوِّ. |
| قَالَ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ. |
| قَالَ وَتُمِدُّنِي بِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ؟ |
| قَالَ قَدْ فَعَلْتُ. |
| قَالَ وَتَكْتُمُ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ ؟ |
| قَالَ قَدْ فَعَلْتُ ، وَقَدِ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى إِرْمِينِيَّةَ. |
| فَوَدَّعَهُ وَسَارَ إِلَى إِرْمِينِيَّةَ وَالِيًا عَلَيْهَا ، وَسَيَّرَ هِشَامٌ الْجُنُودَ مِنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةِ ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنَ الْجُنُودِ وَالْمُتَطَوِّعَةِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا ، فَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ غَزْوَ اللَّانِ وَقَصَدَ بِلَادَهُمْ ، وَأَرْسَلَ إِلَى مَلِكِ الْخَزَرِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْمُهَادَنَةَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يُقَرِّرُ الصُّلْحَ ، فَأَمْسَكَ الرَّسُولَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ فَرَغَ مِنْ جَهَازِهِ وَمَا يُرِيدُ ، ثُمَّ أَغْلَظَ لَهُمُ الْقَوْلَ وَآذَنَهُمْ بِالْحَرْبِ ، وَسَيَّرَ الرَّسُولَ إِلَى صَاحِبِهِ بِذَلِكَ ، وَوَكَّلَ بِهِ مَنْ يُسَيِّرُهُ عَلَى طَرِيقٍ فِيهِ بُعْدٌ ، وَسَارَ هُوَ فِي أَقْرَبِ الطُّرُقِ ، فَمَا وَصَلَ الرَّسُولُ إِلَى صَاحِبِهِ إِلَّا وَمَرْوَانُ قَدْ وَافَاهُمْ ، فَأَعْلَمَ صَاحِبَهُ الْخَبَرَ وَأَخْبَرَهُ بِمَا جَمَعَ لَهُ مَرْوَانُ وَحَشَدَ وَاسْتَعَدَّ. |
| فَاسْتَشَارَ مَلِكُ الْخَزَرِ أَصْحَابَهُ ، فَقَالُوا إِنَّ هَذَا قَدِ اغْتَرَّكَ وَدَخَلَ بِلَادَكَ ، فَإِنْ أَقَمْتَ إِلَى أَنْ تَجْمَعَ لَمْ يَجْتَمِعْ عِنْدَكَ إِلَى مُدَّةٍ فَيَبْلُغُ مِنْكَ مَا يُرِيدُ ، وَإِنْ أَنْتَ لَقِيتَهُ عَلَى حَالِكَ هَذِهِ هَزَمَكَ وَظَفِرَ بِكَ ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَتَأَخَّرَ إِلَى أَقْصَى بِلَادِكَ وَتَدَعَهُ وَمَا يُرِيدُ. |
| فَقَبِلَ رَأْيَهُمْ وَسَارَ حَيْثُ أَمَرُوهُ. |
| وَدَخَلَ مَرْوَانُ الْبِلَادَ وَأَوْغَلَ فِيهَا وَأَخْرَبَهَا وَغَنِمَ وَسَبَى وَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا ، وَأَقَامَ فِيهَا عِدَّةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَذَلَّهُمْ وَانْتَقَمَ مِنْهُمْ ، وَدَخَلَ بِلَادَ مَلِكِ السَّرِيرِ فَأَوْقَعَ بِأَهْلِهِ ، وَفَتَحَ قِلَاعًا ، وَدَانَ لَهُ الْمَلِكُ وَصَالَحَهُ عَلَى أَلْفِ رَأْسٍ وَخَمْسِمِائَةِ غُلَامٍ وَخَمْسِمِائَةِ جَارِيَةٍ سُودِ الشُّعُورِ وَمِائَةِ أَلْفِ مُدْيٍ تُحْمَلُ إِلَى الْبَابِ ، وَصَالَحَ مَرْوَانُ أَهْلَ تُومَانَ عَلَى مِائَةِ رَأْسٍ نِصْفَيْنِ ، وَعِشْرِينَ أَلْفَ مُدْيٍ ، ثُمَّ دَخَلَ أَرْضَ زِرِيكِرَانَ ، فَصَالَحَهُ مَلِكُهَا ، ثُمَّ أَتَى إِلَى أَرْضِ حَمْزِينَ ، فَأَبَى حَمْزِينُ أَنْ يُصَالِحَهُ ، فَحَصَرَهُمْ فَافْتَتَحَ حِصْنَهُمْ ، ثُمَّ أَتَى سُغْدَانَ فَافْتَتَحَهَا صُلْحًا ، وَوَظَّفَ عَلَى طَيْرِ شَانْشَاهَ عَشَرَةَ آلَافِ مُدْيٍ كُلَّ سَنَةٍ تُحْمَلُ إِلَى الْبَابِ ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى قَلْعَةِ صَاحِبِ اللَّكْزِ ، وَقَدِ امْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ الْوَظِيفَةِ ، فَخَرَجَ مَلِكُ اللَّكْزِ يُرِيدُ مَلِكُ الْخَزَرِ ، فَقَتَلَهُ رَاعٍ بِسَهْمٍ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، فَصَالَحَ أَهْلُ اللَّكْزِ مَرْوَانَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَامِلًا ، وَسَارَ إِلَى قَلْعَةِ شَرْوَانَ ، وَهِيَ عَلَى الْبَحْرِ ، فَأَذْعَنَ بِالطَّاعَةِ ، وَسَارَ إِلَى الدُّودَانِيَّةِ فَأَوْقَعَ بِهِمْ ثُمَّ عَادَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُسْرَى ، فَأَصَابَ رَبَضَ أَقْرَنَ ، وَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ الْبَطَّالَ الْتَقَى هُوَ وَقُسْطَنْطِينُ فِي جَمْعٍ ، فَهَزَمَهُمُ الْبَطَّالُ وَأَسَرَ قُسْطَنْطِينَ. |
| وَفِيهَا غَزَا سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُمْنَى ، فَبَلَغَ قَيْسَارِيَّةَ . |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيَّ عَنِ الْمَدِينَةِ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا خَالِدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَتْ إِمْرَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَ سِنِينَ ، وَعَزَلَ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمَا مُحَمَّدَ بْنَ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيَّ ، وَقِيلَ بَلْ وَلَّى مُحَمَّدًا سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، فَلَمَّا عَزَلَ إِبْرَاهِيمَ أَقَرَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهَا. |
| وَفِيهَا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِوَاسِطٍ. |
| وَفِيهَا أَقْبَلَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَمَا هَزَمَ خَاقَانَ ، وَأَحْكَمَ مَا هُنَاكَ وَبَنَى الْبَابَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَقِيلَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ. |
| وَكَانَ الْعُمَّالُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ فِي السَّنَةِ قَبْلَهَا ، غَيْرَ أَنَّ الْمَدِينَةَ كَانَ عَامِلُهَا خَالِدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَامِلُ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ مُحَمَّدَ بْنَ هِشَامٍ ، وَعَامِلُ إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ ، وَعُمْرُهُ ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَقِيلَ مِائَةُ سَنَةٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَاقِرُ ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ ، وَكَانَ عُمْرُهُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ ثَمَانِيًا وَخَمْسِينَ سَنَةً. |
| وَالْحَكَمُ بْنُ عُتَيْبَةَ بْنِ النَّهَّاسِ أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ مَوْلَى امْرَأَةٍ مِنْ كِنْدَةَ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسِينَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيُّ قَاضِي مَرْوَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ لِثَلَاثِ سِنِينَ مَضَتْ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. |
| عُتَيْبَةُ بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ التَّاءِ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ ، وَبَعْدَهَا يَاءٌ مُثَنَّاةٌ مِنْ تَحْتِهَا ، وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ. |
| وَبُرَيْدَةُ بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ. |
| وَالْحُصَيْبُ بِضَمِّ الْحَاءِ وَفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَتَيْنِ ، وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ أَرْضَ الرُّومِ. |
| وَفِيهَا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِالشَّامِ. |
| وَفِيهَا وَقَعَ بِخُرَاسَانَ قَحْطٌ شَدِيدٌ ، فَكَتَبَ الْجُنَيْدُ إِلَى الْكُوَرِ بِحَمْلِ الطَّعَامِ إِلَى مَرْوَ ، فَأَعْطَى الْجُنَيْدُ رَجُلًا دِرْهَمًا فَاشْتَرَى بِهِ رَغِيفًا ، فَقَالَ لَهُمْ أَتَشْكُونَ الْجُوعَ وَرَغِيفٌ بِدِرْهَمٍ ؟ |
| لَقَدْ رَأَيْتُنِي بِالْهِنْدِ وَإِنَّ الْحَبَّةَ مِنَ الْحُبُوبِ لَتُبَاعُ عَدَدًا بِدِرْهَمٍ. |
| قَالَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ. |
| وَكَانَ الْأَمِيرُ بِخُرَاسَانَ الْجُنَيْدُ ، وَقِيلَ بَلْ كَانَ قَدْ مَاتَ الْجُنَيْدُ وَاسْتَخْلَفَ عُمَارَةَ بْنَ حُرَيْمٍ الْمُرِّيَّ ، وَقِيلَ بَلْ كَانَ مَوْتُ الْجُنَيْدِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ. |
| وَفِيهَا غَزَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَطَنٍ عَامِلُ الْأَنْدَلُسِ أَرْضَ الْبَشْكَنْسِ وَعَادَ سَالِمًا . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتَّةَ عَشْرَةَ وَمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتَّةَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرْضَ الرُّومِ الصَّائِفَةَ. |
| وَفِيهَا كَانَ طَاعُونٌ شَدِيدٌ بِالْعِرَاقِ وَالشَّامِ ، وَكَانَ أَشَدَّ بِوَاسِطٍ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ الْجُنَيْدِ وَوَفَاتِهِ وَوِلَايَةِ عَاصِمٍ خُرَاسَانَ وَفِيهَا عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجُنَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرِّيَّ عَنْ خُرَاسَانَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَاصِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْهِلَالِيَّ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْجُنَيْدَ تَزَوَّجَ الْفَاضِلَةَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، فَغَضِبَ هِشَامٌ فَوَلَّى عَاصِمًا خُرَاسَانَ ، وَكَانَ الْجُنَيْدُ قَدْ سُقِيَ بَطْنُهُ ، فَقَالَ هِشَامٌ لِعَاصِمٍ إِنْ أَدْرَكْتَهُ وَبِهِ رَمَقٌ فَأَزْهِقْ نَفْسَهُ. |
| فَقَدِمَ عَاصِمٌ وَقَدْ مَاتَ الْجُنَيْدُ ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا عَدَاوَةٌ ، فَأَخَذَ عُمَارَةَ بْنَ حُرَيْمٍ ، وَكَانَ الْجُنَيْدُ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ ، فَعَذَّبَهُ عَاصِمٌ وَعَذَّبَ عُمَّالَ الْجُنَيْدِ. |
| وَعُمَارَةُ هَذَا جَدُّ أَبِي الْهَيْذَامِ صَاحِبِ الْعَصَبِيَّةِ بِالشَّامِ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. |
| وَكَانَ مَوْتُ الْجُنَيْدِ بِمَرْوَ ، وَكَانَ مِنَ الْأَجْوَادِ الْمَمْدُوحِينَ غَيْرَ مَحْمُودٍ فِي حُرُوبِهِ. |
| ذِكْرُ خَلْعِ الْحَارِثِ بْنِ سُرَيْجٍ بِخُرَاسَانَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خُلِعَ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ ، وَأَقْبَلَ إِلَى الْفَارِيَابِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَاصِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رُسُلًا فِيهِمْ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ النَّبَطِيُّ وَحَطَّابُ بْنُ مُحْرِزٍ السُّلَمِيُّ فَقَالَا لِمَنْ مَعَهُمَا لَا نَلْقَى الْحَارِثَ إِلَّا بِأَمَانٍ. |
| فَأَبَى الْقَوْمُ عَلَيْهِمَا ، فَأَخَذَهُمُ الْحَارِثُ وَحَبَسَهُمْ وَوَكَّلَ بِهِمْ رَجُلًا ، فَأَوْثَقُوهُ وَخَرَجُوا مِنَ السِّجْنِ فَرَكِبُوا وَعَادُوا إِلَى عَاصِمٍ ، فَأَمَرَهُمْ ، فَخَطَبُوا وَذَمُّوا الْحَارِثَ وَذَكَرُوا خُبْثَ سِيرَتِهِ وَغَدْرَهُ. |
| وَكَانَ الْحَارِثُ قَدْ لَبِسَ السَّوَادَ وَدَعَا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَالْبَيْعَةِ لِلرِّضَا ، فَسَارَ مِنَ الْفَارِيَابِ فَأَتَى بَلْخًا وَعَلَيْهَا نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ وَ التُّجِيبِيُّ ابْنُ ضُبَيْعَةَ الْمُرِّيُّ ، فَلَقِيَا الْحَارِثَ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ وَالْحَارِثُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ فَقَاتَلَهُمَا وَمَنْ مَعَهُمَا ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ بَلْخٍ وَتَبِعَهُمُ الْحَارِثُ ، فَدَخَلَ مَدِينَةَ بَلْخٍ ، وَخَرَجَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ مِنْهَا ، وَأَمَرَ الْحَارِثَ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ ، وَسَارَ إِلَى الْجُوزَجَانِ فَغُلِبَ عَلَيْهَا وَعَلَى الطَّالَقَانِ وَمَرْوِ الرُّوذِ. |
| فَلَمَّا كَانَ بِالْجُوزَجَانِ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي أَيِّ بَلَدٍ يَقْصِدُ ، فَقِيلَ لَهُ مَرْوُ بَيْضَةُ خُرَاسَانَ وَفُرْسَانُهُمْ كَثِيرٌ ، وَلَوْ لَمْ يَلْقَوْكَ إِلَّا بِعَبِيدِهِمْ لَانْتَصَفُوا مِنْكَ ، فَأَقِمْ فَإِنْ أَتَوْكَ قَاتَلْتَهُمْ ، وَإِنْ أَقَامُوا قَطَعْتَ الْمَادَّةَ عَنْهُمْ. |
| قَالَ لَا أَرَى ذَلِكَ ، وَسَارَ إِلَى مَرْوَ فَقَالَ لِأَهْلِ الرَّأْيِ مِنْ مَرْوَ إِنْ أَتَى نَيْسَابُورَ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَإِنْ أَتَانَا نُكِبَ. |
| وَبَلَغَ عَاصِمًا أَنَّ أَهْلَ مَرْوَ يُكَاتِبُونَ الْحَارِثَ فَقَالَ يَا أَهْلَ مَرْوَ قَدْ كَاتَبْتُمُ الْحَارِثَ ، لَا يَقْصِدُ الْمَدِينَةَ إِلَّا تَرَكْتُمُوهَا لَهُ ، وَإِنِّي لَاحِقٌ بِنَيْسَابُورَ ، وَأُكَاتِبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يُمِدَّنِي بِعَشَرَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. |
| فَقَالَ لَهُ الْمُجَشِّرُ بْنُ مُزَاحِمٍ إِنْ أَعْطَوْكَ بَيْعَتَهُمْ بِالطَّلَاقِ وَالْعَتَاقِ عَلَى الْقِتَالِ مَعَكَ وَالْمُنَاصَحَةِ لَكَ فَلَا تُفَارِقْهُمْ . |
| وَأَقْبَلَ الْحَارِثُ إِلَى مَرْوَ يُقَالُ فِي سِتِّينَ أَلْفًا وَمَعَهُ فُرْسَانُ الْأَزْدِ وَتَمِيمٍ ، وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَحَمَّادُ بْنُ عَامِرٍ الْحِمَّانِيُّ ، وَدَاوُدُ الْأَعْسَرُ ، وَبِشْرُ بْنُ أُنَيْفٍ الرِّيَاحِيُّ ، وَعَطَاءٌ الدَّبُّوسِيُّ ، وَمِنَ الدَّهَاقِينِ دِهْقَانُ الْجُوزَجَانِ وَدِهْقَانُ الْفَارِيَابِ وَمَلِكُ الطَّالَقَانِ وَدِهْقَانُ مَرْوِ الرُّوذِ فِي أَشْبَاهِهِمْ ، وَخَرَجَ عَاصِمٌ فِي أَهْلِ مَرْوَ وَغَيْرِهِمْ فَعَسْكَرَ ، وَقَطَعَ عَاصِمٌ الْقَنَاطِرَ ، وَأَقْبَلَ أَصْحَابُ الْحَارِثِ فَأَصْلَحُوا الْقَنَاطِرَ ، فَمَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْفَرَاهِيذِيُّ الْأَزْدِيُّ إِلَى عَاصِمٍ فِي أَلْفَيْنِ فَأَتَى الْأَزْدَ ، وَمَالَ حَمَّادُ بْنُ عَامِرٍ الْحِمَّانِيُّ إِلَى عَاصِمٍ فَأَتَى بَنِي تَمِيمٍ ، وَالْتَقَى الْحَارِثُ وَعَاصِمٌ ، وَعَلَى مَيْمَنَةِ الْحَارِثِ وَابِضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُرَارَةَ التَّغْلِبِيُّ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْحَارِثِ فَغَرِقَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ فِي أَنْهَارِ مَرْوَ وَفِي النَّهْرِ الْأَعْظَمِ ، وَمَضَتِ الدَّهَاقِينُ إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَغَرِقَ خَازِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ ، وَكَانَ مَعَ الْحَارِثِ ، وَقُتِلَ أَصْحَابُ الْحَارِثِ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَقَطَعَ الْحَارِثُ وَادِي مَرْوَ ، فَضَرَبَ رِوَاقًا عِنْدَ مَنَازِلِ الرُّهْبَانِ ، وَكَفَّ عَنْهُ عَاصِمٌ ، وَاجْتَمَعَ إِلَى الْحَارِثِ زُهَاءَ ثَلَاثَةِ آلَافٍ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا عَزَلَ هِشَامٌ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَبْحَابِ الْمَوْصِلِيَّ عَنْ وِلَايَةِ مِصْرَ ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا. |
| وَفِيهَا سَيَّرَ ابْنُ الْحَبْحَابِ جَيْشًا إِلَى صِقِلِّيَّةَ ، فَلَقِيَهُمْ مَرَاكِبُ الرُّومِ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَتِ الرُّومُ ، وَكَانُوا قَدْ أَسَرُوا جَمَاعَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادٍ ، فَبَقِيَ أَسِيرًا إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ. |
| وَفِيهَا سَيَّرَ ابْنُ الْحَبْحَابِ أَيْضًا جَيْشًا إِلَى السُّوسِ وَأَرْضِ السُّودَانِ ، فَغَنِمُوا وَظَفِرُوا وَعَادُوا. |
| وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَبْحَابِ عَطِيَّةَ بْنَ الْحَجَّاجِ الْقَيْسِيَّ عَلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَوَلِيَهَا فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَعَزَلَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ قَطَنٍ ، وَكَانَ لَهُ كُلَّ سَنَةٍ غَزَاةٌ ، وَهُوَ الَّذِي افْتَتَحَ جِلِّيقِيَّةَ وَالْبَتَّةَ وَغَيْرَهُمَا. |
| وَقِيلَ بَلْ وَلِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَبْحَابِ إِفْرِيقِيَّةَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ ، وَسَتَرِدُ أَخْبَارُهُ هُنَاكَ ، وَهَذَا أَصَحُّ . |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدٍ. |
| وَكَانَ الْعُمَّالُ عَلَى الْأَمْصَارِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ إِلَّا خُرَاسَانَ ، فَكَانَ عَامِلَهَا عَاصِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُسْرَى ، وَغَزَا سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُمْنَى مِنْ نَحْوِ الْجَزِيرَةِ ، وَفَرَّقَ سَرَايَاهُ فِي أَرْضِ الرُّومِ. |
| وَفِيهَا بَعَثَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ عَلَى إِرْمِينِيَّةَ ، بَعْثَيْنِ ، وَافْتَتَحَ أَحَدُهُمَا حُصُونًا ثَلَاثَةً مِنَ اللَّانِ ، وَنَزَلَ الْآخَرُ عَلَى تُومَانْشَاهْ ، فَنَزَلَ أَهْلُهَا عَلَى الصُّلْحِ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ عَاصِمٍ عَنْ خُرَاسَانَ وَوِلَايَةِ أَسَدٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَاصِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ خُرَاسَانَ ، وَوَلَّاهَا خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ ، فَاسْتَخْلَفَ خَالِدٌ عَلَيْهَا أَخَاهُ أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَاصِمًا كَتَبَ إِلَى هِشَامٍ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَإِنَّ خُرَاسَانَ لَا تَصِحُّ إِلَّا أَنْ تُضَمَّ إِلَى صَاحِبِ الْعِرَاقِ ، فَتَكُونَ مَوَادُّهَا وَمَعُونَتُهَا مِنْ قَرِيبٍ لِتَبَاعُدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهَا وَتَبَاطُؤِ غِيَاثِهِ. |
| فَضَمَّ هِشَامٌ خُرَاسَانَ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْعَثْ أَخَاكَ يُصْلِحْ مَا أَفْسَدَ ، فَإِنْ كَانَ رَجِيَّةً كَانَتْ بِهِ. |
| فَسَيَّرَ خَالِدٌ إِلَيْهَا أَخَاهُ أَسَدًا. |
| فَلَمَّا بَلَغَ عَاصِمًا إِقْبَالُ أَسَدٍ ، وَأَنَّهُ قَدْ سَيَّرَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ مُحَمَّدَ بْنَ مَالِكٍ الْهَمْدَانِيَّ صَالَحَ الْحَارِثَ بْنَ سُرَيْجٍ ، وَكَتَبَا بَيْنَهُمَا كِتَابًا عَلَى أَنْ يَنْزِلَ الْحَارِثُ أَيَّ كُوَرِ خُرَاسَانَ شَاءَ ، وَأَنْ يَكْتُبَا جَمِيعًا إِلَى هِشَامٍ يَسْأَلَانِهِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ أَبَى اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، فَخَتَمَ الْكِتَابَ بَعْضُ الرُّؤَسَاءِ ، وَأَبَى يَحْيَى بْنُ حُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ أَنْ يَخْتِمَ وَقَالَ هَذَا خَلْعٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَانْفَسَخَ ذَلِكَ. |
| وَكَانَ عَاصِمٌ بِقَرْيَةٍ بِأَعْلَى مَرْوَ ، وَأَتَاهُ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ الْحَارِثُ وَأُسِرَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَسْرَى كَثِيرَةٌ ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو الْمَازِنِيُّ رَأْسُ أَهْلِ مَرْوِ الرُّوذِ ، فَقَتَلَ عَاصِمٌ الْأَسْرَى ، وَكَانَ فَرَسُ الْحَارِثِ قَدْ رُمِيَ بِسَهْمٍ فَنَزَعَهُ الْحَارِثُ ، وَأَلَحَّ عَلَى الْفَرَسِ بِالضَّرْبِ وَالْحُضْرِ لِيَشْغَلَهُ عَنْ أَثَرِ الْجِرَاحَةِ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ مَالَ الْحَارِثُ عَنْ فَرَسِهِ ثُمَّ اتَّبَعَ الشَّامِيَّ فَقَالَ لَهُ أَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ الْإِسْلَامِ فِي دَمِي! |
| فَقَالَ انْزِلْ عَنْ فَرَسِكَ. |
| فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ ، فَرَكِبَهُ الْحَارِثُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فِي ذَلِكَ تَوَلَّتْ قُرَيْشٌ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَاتَّقَتْ... |
| بِنَا كُلَّ فَجٍّ مِنْ خُرَاسَانَ أَغْبَرَا فَلَيْتَ قُرَيْشًا أَصْبَحُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ... |
| يَعُومُونَ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ أَخْضَرَا وَعَظَّمَ أَهْلُ الشَّامِ يَحْيَى بْنَ حُضَيْنٍ لِمَا صَنَعَ فِي نَقْضِ الْكِتَابِ ، وَكَتَبُوا كِتَابًا بِمَا كَانَ وَبِهَزِيمَةِ الْحَارِثِ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الْعَنْبَرِيِّ. |
| فَلَقِيَ أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بِالرَّيِّ ، وَقِيلَ بِبَيْهَقَ ، فَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ يَنْتَحِلُ أَنَّهُ هَزَمَ الْحَارِثَ وَيُخْبِرُهُ بِأَمْرِ يَحْيَى ، فَأَجَازَ خَالِدٌ يَحْيَى بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَ كَسَاهُ مِائَةَ حُلَّةٍ. |
| وَكَانَتْ وِلَايَةُ عَاصِمٍ أَقَلَّ مِنْ سَنَةٍ ، فَحَبَسَهُ أَسَدٌ وَحَاسَبَهُ ، وَطَلَبَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَقَالَ إِنَّكَ لَمْ تَفُزْ ، وَأَطْلَقَ عُمَارَةَ بْنَ حُرَيْمٍ وَعُمَّالَ الْجُنَيْدِ. |
| فَلَمَّا قَدِمَ أَسَدٌ لَمْ يَكُنْ لِعَاصِمٍ إِلَّا مَرْوُ وَنَيْسَابُورُ ، وَالْحَارِثُ بِمَرْوِ الرُّوذِ ، وَخَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَجَرِيُّ بِآمُلَ مُوَافِقٌ لِلْحَارِثِ ، فَخَافَ أَسَدٌ إِنْ قَصَدَ الْحَارِثَ بِمَرْوِ الرُّوذِ أَنْ يَأْتِيَ الْهَجَرِيُّ مِنْ قِبَلِ آمُلَ ، وَإِنْ قَصَدَ الْهَجَرِيَّ قَصَدَ الْحَارِثُ مَرْوَ مِنْ قِبَلِ مَرْوِ الرُّوذِ. |
| فَأَجْمَعَ عَلَى تَوْجِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نُعَيْمٍ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ إِلَى الْحَارِثِ بِمَرْوِ الرُّوذِ ، وَسَارَ أَسَدٌ بِالنَّاسِ إِلَى آمُلَ ، فَلَقِيَهُ خَيْلُ آمُلَ عَلَيْهِمْ زِيَادٌ الْقُرَشِيُّ مَوْلَى حَيَّانَ النَّبَطِيِّ وَغَيْرُهُ ، فَهُزِمُوا حَتَّى رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَحَصَرَهُمْ أَسَدٌ وَنَصَبَ عَلَيْهِمُ الْمَجَانِيقَ وَعَلَيْهِمُ الْهَجَرِيُّ مِنْ أَصْحَابِ الْحَارِثِ ، فَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَسَدٌ مَا تَطْلُبُونَ ؟ |
| قَالُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْ لَا تَأْخُذَ أَهْلَ الْمُدُنِ بِجِنَايَتِنَا. |
| فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ يَحْيَى بْنَ نُعَيْمِ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيَّ وَسَارَ يُرِيدُ بَلْخًا ، فَأُخْبِرَ أَنَّ أَهْلَهَا قَدْ بَايَعُوا سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ ، فَسَارَ حَتَّى قَدِمَهَا وَاتَّخَذَ سُفُنًا وَسَارَ مِنْهَا إِلَى تِرْمِذَ ، فَوَجَدَ الْحَارِثَ مُحَاصِرًا لَهَا ، وَبِهَا سِنَانٌ الْأَعْرَابِيُّ ، فَنَزَلَ أَسَدٌ دُونَ النَّهْرِ وَلَمْ يُطِقِ الْعُبُورَ إِلَيْهِمْ وَلَا يُمِدُّهُمْ ، وَخَرَجَ أَهْلُ تِرْمِذَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَاتَلُوا الْحَارِثَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَاسْتَطْرَدَ الْحَارِثُ لَهُمْ ، وَكَانَ قَدْ وَضَعَ كَمِينًا ، فَتَبِعُوهُ ، وَنَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ مَعَ أَسَدٍ جَالِسٌ يَنْظُرُ ، فَأَظْهَرَ الْكَرَاهِيَةَ ، وَعَرَفَ أَنَّ الْحَارِثَ قَدْ كَادَهُمْ ، وَظَنَّ أَسَدٌ أَنَّمَا ذَلِكَ شَفَقَةٌ عَلَى الْحَارِثِ حِينَ وَلِيَ ، وَأَرَادَ مُعَاتَبَةَ نَصْرٍ ، وَإِذَا الْكَمِينُ قَدْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا. |
| ثُمَّ ارْتَحَلَ أَسَدٌ إِلَى بَلْخٍ ، وَخَرَجَ أَهْلُ تِرْمِذَ إِلَى الْحَارِثِ فَهَزَمُوهُ وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ ، مِنْهُمْ عِكْرِمَةُ وَأَبُو فَاطِمَةَ. |
| ثُمَّ سَارَ أَسَدٌ إِلَى سَمَرْقَنْدَ فِي طَرِيقِ زُمَّ ، فَلَمَّا قَدِمَ زُمَّ بَعَثَ إِلَى الْهَيْثَمِ الشَّيْبَانِيِّ ، وَهُوَ فِي حِصْنٍ مِنْ حُصُونِهَا ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَارِثِ ، فَقَالَ لَهُ أَسَدٌ إِنَّمَا أَنْكَرْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ مَا كَانَ مِنْ سُوءِ السِّيرَةِ ، وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ السَّبْيَ وَاسْتِحْلَالَ الْفُرُوجِ وَلَا غَلَبَةَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى مِثْلِ سَمَرْقَنْدَ ، وَأَنَا أُرِيدُ سَمَرْقَنْدَ ، وَلَكَ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَّتُهُ أَنْ لَا يَنَالَكَ مِنِّي شَرٌّ ، وَلَكَ الْمُوَاسَاةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْأَمَانُ وَلِمَنْ مَعَكَ ، وَإِنْ أَبَيْتَ مَا دَعَوْتُكَ إِلَيْهِ فَعَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ رُمِيتَ بِسَهْمٍ أَنْ لَا أُؤَمِّنَكَ بَعْدَهُ ، وَإِنْ جَعَلْتُ لَكَ أَلْفَ أَمَانٍ لَا أَفِي لَكَ بِهِ. |
| فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلَى الْأَمَانِ ، وَسَارَ مَعَهُ إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ إِلَى وَرَغْسَرَ ، وَمَاءِ سَمَرْقَنْدَ مِنْهَا ، فَسَكَّرَ الْوَادِيَ وَصَرَفَهُ عَنْ سَمَرْقَنْدَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَلْخٍ. |
| وَقِيلَ إِنَّ أَمْرَ أَسَدٍ وَأَصْحَابِ الْحَارِثِ كَانَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ. |
| ذِكْرُ حَالِ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَخَذَ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَمَاعَةً مِنْ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِخُرَاسَانَ ، فَقَتَلَ بَعْضَهُمْ وَمَثَّلَ بِبَعْضِهِمْ وَحَبَسَ بَعْضَهُمْ ، وَكَانَ فِيمَنْ أَخَذَ سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ ، وَمَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ ، وَمُوسَى بْنُ كَعْبٍ ، وَلَاهِزُ بْنُ قُرَيْظٍ ، وَخَالِدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَطَلْحَةُ بْنُ زُرَيْقٍ ، فَأُتِيَ بِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ يَا فَسَقَةُ ، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَعَالَى عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ المائدة ؟ |
| فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ نَحْنُ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ... |
| كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي صِيدَتْ وَاللَّهِ الْعَقَارِبُ بِيَدَيْكَ! |
| إِنَّا نَاسٌ مِنْ قَوْمِكَ! |
| وَإِنَّ الْمُضَرِيَّةَ رَفَعُوا إِلَيْكَ هَذَا لِأَنَّا كُنَّا أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ فَطَلَبُوا بِثَأْرِهِمْ. |
| فَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى الْحَبْسِ ، ثُمَّ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نُعَيْمٍ مَا تَرَى ؟ |
| قَالَ أَرَى أَنْ تَمُنَّ بِهِمْ عَلَى عَشَائِرِهِمْ. |
| قَالَ لَا أَفْعَلُ ، فَأَطْلَقَ مَنْ كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ لِأَنَّهُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ رَبِيعَةَ أَطْلَقَهُ أَيْضًا لِحِلْفِهِمْ مَعَ الْيَمَنِ ، وَأَرَادَ قَتْلَ مَنْ كَانَ مِنْ مُضَرَ ، فَدَعَا مُوسَى بْنَ كَعْبٍ ، وَأَلْجَمَهُ بِلِجَامِ حِمَارٍ ، جَذَبَ اللِّجَامَ فَتَحَطَّمَتْ أَسْنَانُهُ وَدَقَّ وَجْهَهُ وَأَنْفَهُ ، وَدَعَا لَاهِزَ بْنَ قُرَيْظٍ فَقَالَ لَهُ مَا هَذَا بِحَقٍّ ، تَصْنَعُ بِنَا هَذَا وَتَتْرُكُ الْيَمَانِيِّينَ وَالرَّبِيعِيِّينَ ؟ |
| فَضَرَبَهُ ثَلَاثَمِائَةِ سَوْطٍ ، فَشَهِدَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ الْأَزْدِيُّ بِالْبَرَاءَةِ وَلِأَصْحَابِهِ فَتَرَكَهُمْ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَبْحَابِ إِفْرِيقِيَّةَ وَالْأَنْدَلُسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَالْأَنْدَلُسِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَبْحَابِ وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهَا ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَى مِصْرَ ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا وَلَدَهُ وَسَارَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ عُقْبَةَ بْنَ الْحَجَّاجِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى طَنْجَةَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ ، وَبَعَثَ حَبِيبَ بْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ غَازِيًا إِلَى الْمَغْرِبِ ، فَبَلَغَ السُّوسَ الْأَقْصَى وَأَرْضَ السُّودَانِ ، فَلَمْ يُقَاتِلْهُ أَحَدٌ إِلَّا ظَهَرَ عَلَيْهِ ، وَأَصَابَ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالسَّبْيِ أَمْرًا عَظِيمًا ، فَمُلِئَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ مِنْهُ رُعْبًا ، وَأَصَابَ بِالسَّبْيِ جَارِيَتَيْنِ مِنَ الْبَرْبَرِ لَيْسَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غَيْرُ ثَدْيٍ وَاحِدٍ ، وَرَجَعَ سَالِمًا. |
| وَسَيَّرَ جَيْشًا فِي الْبَحْرِ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ إِلَى جَزِيرَةِ السَّرْدَانِيَّةِ ، فَفَتَحُوا مِنْهَا وَنَهَبُوا وَعَادُوا. |
| ثُمَّ سَيَّرَهُ غَازِيًا إِلَى جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَمِائَةٍ وَمَعَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبٍ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِأَرْضِهَا وَجَّهَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَلَى الْخَيْلِ ، فَلَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا هَزَمَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَظَفِرَ ظَفَرًا لَمْ يُرَ مِثْلُهُ ، حَتَّى نَزَلَ عَلَى مَدِينَةِ سَرَقُوسَةَ ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ صِقِلِّيَّةَ ، فَقَاتَلُوهُ فَهَزَمَهُمْ وَحَصَرَهُمْ ، فَصَالَحُوهُ عَلَى الْجِزْيَةِ ، وَعَادَ إِلَى أَبِيهِ ، وَعَزَمَ حَبِيبٌ عَلَى الْمُقَامِ بِصِقِلِّيَةَ إِلَى أَنْ يَمْلِكَهَا جَمِيعًا ، فَأَتَاهُ كِتَابُ ابْنِ الْحَبْحَابِ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ عَلَى طَنْجَةَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ ، وَجَعَلَ مَعَهُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَادِيَّ ، فَأَسَاءَ السِّيرَةَ وَتَعَدَّى ، وَأَرَادَ أَنْ يُخَمِّسَ مُسْلِمِي الْبَرْبَرِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُمْ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ يَرْتَكِبْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْبَرْبَرُ بِمَسِيرِ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدَةَ إِلَى صِقِلِّيَّةَ بِالْعَسَاكِرِ طَمِعُوا وَنَقَضُوا الصُّلْحَ عَلَى ابْنِ الْحَبْحَابِ ، وَتَدَاعَتْ عَلَيْهِ بِأَسْرِهَا مُسْلِمُهَا وَكَافِرُهَا ، وَعَظُمَ الْبَلَاءُ ، وَقَدَّمَ مَنْ بِطَنْجَةَ مِنَ الْبَرْبَرِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَيْسَرَةَ السَّقَّاءَ ثُمَّ الْمَدْغُورِيَّ ، وَكَانَ خَارِجِيًّا صُفَرِيًّا وَسَقَّاءً ، وَقَصَدُوا طَنْجَةَ ، فَقَاتَلَهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَتَلُوهُ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى طَنْجَةَ ، وَبَايَعُوا مَيْسَرَةَ بِالْخِلَافَةِ وَخُوطِبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ مِنَ الْبَرْبَرِ ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ بِنَوَاحِي طَنْجَةَ. |
| وَظَهَرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ جَمَاعَةٌ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، فَأَظْهَرُوا مَقَالَةَ الْخَوَارِجِ ، فَأَرْسَلَ ابْنُ الْحَبْحَابِ إِلَى حَبِيبٍ وَهُوَ بِصِقِلِّيَّةَ يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ لِقِتَالِ مَيْسَرَةَ السَّقَّاءِ ، لِأَنَّ أَمْرَهُ كَانَ قَدْ عَظُمَ ، فَعَادَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ. |
| وَكَانَ ابْنُ الْحَبْحَابِ قَدْ سَيَّرَ خَالِدَ بْنَ حَبِيبٍ فِي جَيْشٍ إِلَى مَيْسَرَةَ ، فَلَمَّا وَصَلَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ سَيَّرَهُ فِي أَثَرِهِ ، وَالْتَقَى خَالِدٌ وَمَيْسَرَةُ بِنَوَاحِي طَنْجَةَ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، وَعَادَ مَيْسَرَةُ إِلَى طَنْجَةَ ، فَأَنْكَرَتِ الْبَرْبَرُ سِيرَتَهُ ، وَكَانُوا بَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ ، فَقَتَلُوهُ وَوَلَّوْا أَمْرَهُمْ خَالِدَ بْنَ حُمَيْدٍ الزَّنَاتِيَّ ، ثُمَّ الْتَقَى خَالِدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَمَعَهُ الْبَرْبَرُ بِخَالِدِ بْنِ حَبِيبٍ وَمَعَهُ الْعَرَبُ وَعَسْكَرُ هِشَامٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ صَبَرَتْ فِيهِ الْعَرَبُ ، وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ كَمِينٌ مِنَ الْبَرْبَرِ فَانْهَزَمُوا ، وَكَرِهَ خَالِدُ بْنُ حَبِيبٍ أَنْ يَنْهَزِمَ مِنَ الْبَرْبَرِ فَصَبَرُوا مَعَهُ فَقُتِلُوا جَمِيعُهُمْ. |
| وَقُتِلَ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ حُمَاةُ الْعَرَبِ وَفُرْسَانُهَا ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ الْأَشْرَافِ ، وَانْتَقَضَتِ الْبِلَادُ ، وَخَرَجَ أَمْرُ النَّاسِ ، وَبَلَغَ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ الْخَبَرُ فَثَارُوا بِأَمِيرِهِمْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ فَعَزَلُوهُ وَوَلَّوْا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ قَطَنٍ ، فَاخْتَلَطَتِ الْأُمُورُ عَلَى ابْنِ الْحَبْحَابِ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَأَغْضَبَنَّ لِلْعَرَبِ غَضْبَةً ، وَأُسَيِّرُ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُمْ عِنْدَهُمْ وَآخِرُهُمْ عِنْدِي ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى ابْنِ الْحَبْحَابِ يَأْمُرُهُ بِالْحُضُورِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي جُمَادَى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، وَاسْتَعْمَلَ هِشَامٌ عِوَضَهُ كُلْثُومَ بْنَ عِيَاضٍ الْقُشَيْرِيَّ وَسَيَّرَ مَعَهُ جَيْشًا كَثِيفًا ، وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ الَّتِي عَلَى طَرِيقِهِ بِالْمَسِيرِ مَعَهُ ، فَوَصَلَ إِفْرِيقِيَّةَ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ بَلْجُ بْنُ بِشْرٍ ، فَوَصَلَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ وَلَقِيَ أَهْلَهَا بِالْجَفَاءِ وَالتَّكَبُّرِ عَلَيْهِمْ ، وَأَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ الْعَسْكَرَ الَّذِي مَعَهُ فِي مَنَازِلِهِمْ ، فَكَتَبَ أَهْلُهَا إِلَى حَبِيبِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَهُوَ بِتِلْمِسَانَ مَوَاقِفِ الْبَرْبَرِ ، يَشْكُونَ إِلَيْهِ بَلْجًا وَكُلْثُومًا ، فَكَتَبَ حَبِيبٌ إِلَى كُلْثُومٍ يَقُولُ لَهُ إِنَّ بَلْجًا فَعَلَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَارْحَلْ عَنِ الْبَلَدِ وَإِلَّا رَدَدْنَا أَعِنَّةَ الْخَيْلِ إِلَيْكَ. |
| فَاعْتَذَرَ كُلْثُومٌ وَسَارَ إِلَى حَبِيبٍ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ بَلْجُ بْنُ بِشْرٍ ، فَاسْتَخَفَّ بِحَبِيبٍ وَسَبَّهُ ، وَجَرَى بَيْنَهُمَا مُنَازَعَةٌ ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا وَاجْتَمَعُوا عَلَى قِتَالِ الْبَرْبَرِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمُ الْبَرْبَرُ مِنْ طَنْجَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ حَبِيبٌ اجْعَلُوا الرَّجَّالَةَ لِلرَّجَّالَةِ وَالْخَيَّالَةَ لِلْخَيَّالَةِ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَتَقَدَّمَ كُلْثُومٌ بِالْخَيْلِ ، فَقَاتَلَهُ رَجَّالَةُ الْبَرْبَرِ فَهَزَمُوهُ ، فَعَادَ إِلَى كُلْثُومٍ مُنْهَزِمًا ، وَوَهَّنَ النَّاسَ ذَلِكَ وَنَشِبَ الْقِتَالُ ، وَانْكَشَفَتْ خَيَّالَةُ الْبَرْبَرِ وَثَبَتَتْ رَجَّالَتُهَا وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَكَثُرَ الْبَرْبَرُ عَلَيْهِمْ ، فَقُتِلَ كُلْثُومُ بْنُ عِيَاضٍ وَحَبِيبُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ وَوُجُوهُ الْعَرَبِ ، وَانْهَزَمَتِ الْعَرَبُ وَتَفَرَّقُوا. |
| فَمَضَى أَهْلُ الشَّامِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَمَعَهُمْ بَلْجُ بْنُ بِشْرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَعَادَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْقَيْرَوَانِ. |
| فَلَمَّا ضَعُفَتِ الْعَرَبُ بِهَذِهِ الْوَقْعَةِ ظَهَرَ إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ عُكَّاشَةُ بْنُ أَيُّوبَ الْفَزَارِيُّ بِمَدِينَةِ قَابِسَ ، وَهُوَ عَلَى رَأْيِ الْخَوَارِجِ الصُّفْرِيَّةِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ جَيْشٌ مِنَ الْقَيْرَوَانِ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْقَيْرَوَانِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَسْكَرٌ آخَرُ فَانْهَزَمَ عُكَّاشَةُ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَحِقَ عُكَّاشَةُ بِبِلَادِ الرَّمْلِ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَتْلُ كُلْثُومٍ بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ حَنْظَلَةَ بْنَ صَفْوَانَ الْكَلْبِيَّ ، فَوَصَلَهَا فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، فَلَمْ يَمْكُثْ بِالْقَيْرَوَانِ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى زَحَفَ إِلَيْهِ عُكَّاشَةُ الْخَارِجِيُّ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ الْبَرْبَرِ ، وَكَانَ حِينَ انْهَزَمَ حَشَدَهُمْ لِيَأْخُذَ بِثَأْرِهِ وَأَعَانَهُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ يَزِيدَ الْهَوَّارِيُّ ثُمَّ الْمُدْغَمِيُّ ، وَكَانَ صُفْرِيًّا ، فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ وَافْتَرَقَا لِيَقْصِدَا الْقَيْرَوَانَ مِنْ جِهَتَيْنِ ، فَلَمَّا قَرُبَ عُكَّاشَةُ خَرَجَ إِلَيْهِ حَنْظَلَةُ وَلَقِيَهُ مُنْفَرِدًا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْهَزَمَ عُكَّاشَةُ وَقُتِلَ مِنَ الْبَرْبَرِ مَا لَا يُحْصَى ، وَعَادَ حَنْظَلَةُ إِلَى الْقَيْرَوَانِ خَوْفًا عَلَيْهَا مِنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا عُدَّتُهُمْ أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، فَسَارُوا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَارَبُوهُ لَمْ يَجِدُوا شَعِيرًا يُطْعِمُونَهُ دَوَابَّهُمْ فَأَطْعَمُوهَا حِنْطَةً ، ثُمَّ لَقُوهُ مِنَ الْغَدِ فَانْهَزَمُوا مِنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَعَادُوا إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، وَهَلَكَتْ دَوَابُّهُمْ بِسَبَبِ الْحِنْطَةِ. |
| فَلَمَّا وَصَلُوهَا نَظَرُوا وَإِذَا قَدْ هَلَكَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفَ فَرَسٍ ، وَسَارَ عَبْدُ الْوَاحِدِ فَنَزَلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْقَيْرَوَانِ بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالْأَصْنَامِ ، وَقَدِ اجْتَمَعَ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، فَحَشَدَ حَنْظَلَةُ كُلَّ مَنْ بِالْقَيْرَوَانِ وَفَرَّقَ فِيهِمُ السِّلَاحَ وَالْمَالَ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ ، فَلَمَّا دَنَا الْخَوَارِجُ مَعَ عَبْدِ الْوَاحِدِ خَرَجَ إِلَيْهِمْ حَنْظَلَةُ مِنَ الْقَيْرَوَانِ وَاصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ ، وَقَامَ الْعُلَمَاءُ فِي أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ يَحُثُّونَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ وَقِتَالِ الْخَوَارِجِ وَيُذَكِّرُونَهُمْ مَا يَفْعَلُونَهُ بِالنِّسَاءِ مِنَ السَّبْيِ وَبِالْأَبْنَاءِ مِنَ الِاسْتِرْقَاقِ وَبِالرِّجَالِ مِنَ الْقَتْلِ ، فَكَسَرَ النَّاسُ أَجْفَانَ سُيُوفِهِمْ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ نِسَاؤُهُمْ يُحَرِّضْنَهُمْ ، فَحَمِيَ النَّاسُ وَحَمَلُوا عَلَى الْخَوَارِجِ حَمْلَةً وَاحِدَةً وَثَبَتَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، فَاشْتَدَّ اللِّزَامُ وَكَثُرَ الزِّحَامُ وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هَزَمَ الْخَوَارِجَ وَالْبَرْبَرَ وَنَصَرَ الْعَرَبَ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي الْبَرْبَرِ وَتَبِعُوهُمْ إِلَى جَلُولَاءَ يَقْتُلُونَ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ عَبْدَ الْوَاحِدِ قَدْ قُتِلَ حَتَّى حُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى حَنْظَلَةَ ، فَخَرَّ النَّاسُ لِلَّهِ سُجَّدًا. |
| فَقِيلَ لَمْ يُقْتَلْ بِالْمَغْرِبِ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ الْقَتْلَةِ ، فَإِنَّ حَنْظَلَةَ أَمَرَ بِإِحْصَاءِ الْقَتْلَى ، فَعَجَزَ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى عَدُّوهُمْ بِالْقَصَبِ ، فَكَانَتْ عِدَّةُ الْقَتْلَى مِائَةَ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفًا ، ثُمَّ أُسِرَ عُكَّاشَةُ مَعَ طَائِفَةٍ أُخْرَى بِمَكَانٍ آخَرَ وَحُمِلَ إِلَى حَنْظَلَةَ فَقَتَلَهُ ، وَكَتَبَ حَنْظَلَةُ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْفَتْحِ ، وَكَانَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ يَقُولُ مَا غَزْوَةٌ إِلَى الْآنَ أَشَدُّ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ مِنْ غَزْوَةِ الْعَرَبِ بِالْأَصْنَامِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُسْرَى ، وَغَزَا سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُمْنَى مِنْ نَحْوِ الْجَزِيرَةِ ، وَفَرَّقَ سَرَايَاهُ فِي أَرْضِ الرُّومِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَكَانَ الْعَامِلُ عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ مُحَمَّدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيَّ ، وَعَلَى إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. |
| وَسُكَيْنَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هُرْمُزَ الْأَعْرَجُ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ. |
| وَأَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ. |
| وَأَبُو شَاكِرٍ مَسْلَمَةُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ الْفَقِيهُ ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ نَافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ ، وَقِيلَ سَنَةَ عِشْرِينَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ عِشْرِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ. |
| وَفِيهَا مَاتَتْ عَائِشَةُ ابْنَةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ. |
| وَسَعِيدُ بْنُ يَسَارٍ. |
| وَقَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ الْبَصْرِيُّ ، وَكَانَ ضَرِيرًا ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتِّينَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مُعَاوِيَةُ وَسُلَيْمَانُ ابْنَا هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرْضَ الرُّومِ. |
| ذِكْرُ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَ بُكَيْرُ بْنُ مَاهَانَ عَمَّارَ بْنَ يَزِيدَ إِلَى خُرَاسَانَ وَالِيًا عَلَى شِيعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَنَزَلَ مَرْوَ وَغَيَّرَ اسْمَهُ وَتَسَمَّى بِخِدَاشٍ ، وَدَعَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَسَارَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَأَطَاعُوهُ ، ثُمَّ غَيَّرَ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَتَكَذَّبَ وَأَظْهَرَ دِينَ الْخُرَّمِيَّةِ وَدَعَا إِلَيْهِ ، وَرَخَّصَ لِبَعْضِهِمْ فِي نِسَاءِ بَعْضٍ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ لَا صَوْمَ وَلَا صَلَاةَ وَلَا حَجَّ ، وَإِنَّ تَأْوِيلَ الصَّوْمِ أَنْ يُصَامَ عَنْ ذِكْرِ الْإِمَامِ فَلَا يُبَاحُ بِاسْمِهِ ، وَالصَّلَاةُ الدُّعَاءُ لَهُ ، وَالْحَجُّ الْقَصْدُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ يَتَأَوَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلَهُ تَعَالَى لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ المائدة . |
| وَكَانَ خِدَاشٌ نَصْرَانِيًّا بِالْكُوفَةِ فَأَسْلَمَ وَلَحِقَ بِخُرَاسَانَ. |
| وَكَانَ مِمَّنِ اتَّبَعَهُ عَلَى مَقَالَتِهِ مَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ ، وَالْحَرِيشُ بْنُ سُلَيْمٍ الْأَعْجَمِيُّ وَغَيْرُهُمَا ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ أَمَرَ بِذَلِكَ. |
| فَبَلَغَ خَبَرُهُ أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَظَفِرَ بِهِ ، فَأَغْلَظَ الْقَوْلَ لِأَسَدٍ ، فَقَطَعَ لِسَانَهُ وَسَمَلَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْتَقَمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْكَ! |
| وَأَمَرَ يَحْيَى بْنَ نُعَيْمٍ الشَّيْبَانِيَّ فَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ بِآمُلَ ، وَأُتِيَ أَسَدٌ بِجَزُورٍ مَوْلَى الْمُهَاجِرِ بْنِ دَارَةَ الضَّبِّيِّ فَضَرَبَ عُنُقَهُ بِشَاطِئِ النَّهْرِ. |
| ذِكْرُ مَا كَانَ مِنَ الْحَارِثِ وَأَصْحَابِهِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ نَزَلَ أَسَدٌ بَلْخًا ، وَسَرَّحَ جُدَيْعًا الْكَرْمَانِيَّ إِلَى الْقَلْعَةِ الَّتِي فِيهَا أَهْلُ الْحَارِثِ وَأَصْحَابُهُ ، وَاسْمُهَا التُّبُوشْكَانُ مِنْ طَخَارِسْتَانَ الْعُلْيَا ، وَفِيهَا بَنُو بَرْزَى التَّغْلِبِيُّونَ أَصْهَارُ الْحَارِثِ ، فَحَصَرَهُمُ الْكَرْمَانِيُّ حَتَّى فَتَحَهَا ، فَقَتَلَ بَنِي بَرْزَى ، وَسَبَى عَامَّةَ أَهْلِهَا مِنَ الْعَرَبِ وَالْمُوَالِي وَالذَّرَارِي ، وَبَاعَهُمْ فِيمَنْ يَزِيدُ فِي سُوقِ بَلْخٍ ، وَنَقَمَ عَلَى الْحَارِثِ أَرْبَعُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ رَئِيسُهُمْ جَرِيرَ بْنَ مَيْمُونٍ الْقَاضِي ، فَقَالَ لَهُمُ الْحَارِثُ إِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ مُفَارِقِيَّ فَاطْلُبُوا الْأَمَانَ وَأَنَا شَاهِدٌ فَإِنَّهُمْ يُجِيبُونَكُمْ ، وَإِنِ ارْتَحَلْتُ قَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يُعْطُوا الْأَمَانَ. |
| فَقَالُوا ارْتَحِلْ أَنْتَ وَخَلِّنَا. |
| وَأَرْسَلُوا يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ ، فَأُخْبِرَ أَسَدٌ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ وَلَا مَاءٌ ، فَسَرَّحَ إِلَيْهِمْ أَسَدٌ جُدَيْعًا الْكَرْمَانِيَّ فِي سِتَّةِ آلَافٍ ، فَحَصَرَهُمْ فِي الْقَلْعَةِ وَقَدْ عَطِشَ أَهْلُهَا وَجَاعُوا ، فَسَأَلُوا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى الْحُكْمِ وَيَتْرُكَ لَهُمْ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ ، فَأَجَابَهُمْ ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ أَسَدٍ فَأَرْسَلَ إِلَى الْكَرْمَانِيِّ يَأْمُرُهُ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ وُجُوهِهِمْ فِيهِمُ الْمُهَاجِرُ بْنُ مَيْمُونٍ ، فَحُمِلُوا إِلَيْهِ ، فَقَتَلَهُمْ وَكَتَبَ إِلَى الْكَرْمَانِيِّ أَنْ يَجْعَلَ الَّذِينَ بَقُوا عِنْدَهُ أَثْلَاثًا ، فَثُلُثٌ يَقْتُلُهُمْ ، وَثُلُثٌ يَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَثُلُثٌ يَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ الْكَرْمَانِيُّ وَأَخْرَجَ أَثْقَالَهُمْ فَبَاعَهَا. |
| وَاتَّخَذَ أَسَدٌ مَدِينَةَ بَلْخٍ دَارًا ، وَنَقَلَ إِلَيْهَا الدَّوَاوِينَ ، ثُمَّ غَزَا طَخَارِسْتَانَ ثُمَّ أَرْضَ جَبْغَوَيْهِ فَغَنِمَ وَسَبَى. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ هِشَامٌ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا خَالَهُ مُحَمَّدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ. |
| وَفِيهَا غَزَا مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ مِنْ إِرْمِينِيَّةَ ، وَدَخَلَ أَرْضَ وَرْتَنِيسَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ ، فَهَرَبَ مِنْهُ وَرْتَنِيسُ إِلَى الْخَزَرِ وَنَزَلَ حِصْنَهُ ، فَحَصَرَهُ مَرْوَانُ وَنَصَبَ عَلَيْهِ الْمَجَانِيقَ ، فَقُتِلَ وَرْتَنِيسُ ، قَتَلَهُ بَعْضُ مَنِ اجْتَازَ بِهِ وَأَرْسَلَ رَأْسَهُ إِلَى مَرْوَانَ ، فَنَصَبَهُ لِأَهْلِ حِصْنِهِ ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ ، فَقَتَلَ الْقَاتِلَةَ وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِالْحُمَيْمَةِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ إِنَّهُ وُلِدَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَسَمَّاهُ أَبُوهُ عَلِيًّا ، وَقَالَ سَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَكَنَّاهُ أَبَا الْحَسَنِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَكْرَمَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ وَسَأَلَهُ عَنْ كُنْيَتِهِ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَا يَجْتَمِعُ فِي عَسْكَرِي هَذَا الِاسْمُ وَالْكُنْيَةُ لِأَحَدٍ ، وَسَأَلَهُ هَلْ وُلِدَ لَكَ وَلَدٌ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، وَقَدْ سَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا. |
| قَالَ فَأَنْتَ أَبُو مُحَمَّدٍ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَكَانَ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ ، وَقِيلَ كَانَ هَذِهِ السَّنَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ عَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ كُلِّهِ خَالِدٌ الْقَسْرِيُّ ، وَعَامِلُهُ عَلَى خُرَاسَانَ أَخُوهُ أَسَدٌ ، وَعَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ ، وَكَانَ عَلَى إِرْمِينِيَّةَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عُبَادَةُ بْنُ نُسَيٍّ قَاضِي الْأُرْدُنِّ. |
| وَعَمْرُو بْنُ شُعَيْبِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَمَاتَ بِالطَّائِفِ. |
| وَأَبُو صَخْرَةَ جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ. |
| وَأَبُو عُشَّانَةَ الْمَعَافِرَيُّ. |
| وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَابِطٍ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعَ عَشْرَةَ وَمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ خَاقَانَ لَمَّا دَخَلَ أَسَدٌ الْخُتُّلِ كَتَبَ ابْنُ السَايِجِيِّ إِلَى خَاقَانَ ، وَهُوَ بِنَوَاكِثَ ، يُعْلِمُهُ دُخُولَ أَسَدٍ الْخُتُّلَ ، وَتَفَرُّقَ جُنُودِهِ فِيهَا ، وَأَنَّهُ بِحَالٍ مُضَيَّعَةٍ ، فَلَمَّا أَتَاهُ كِتَابُهُ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْجِهَازِ وَسَارَ ، فَلَمَّا أَحَسَّ ابْنُ السَايِجِيِّ بِمَجِيءِ خَاقَانَ بَعَثَ إِلَى أَسَدٍ اخْرُجْ عَنِ الْخُتُّلِ فَإِنَّ خَاقَانَ قَدْ أَظَلَّكَ. |
| فَشَتَمَ الرَّسُولَ وَلَمْ يُصَدِّقْهُ. |
| فَبَعَثَ ابْنُ السَّايِجِيِّ إِنِّي لَمْ أُكَذِّبْكَ ، وَأَنَا الَّذِي أَعْلَمْتُهُ دُخُولَكَ وَتَفَرُّقَ عَسْكَرِكَ ، وَأَنَّهَا فُرْصَةٌ لَهُ ، وَسَأَلْتُهُ الْمَدَدَ ، فَإِنْ لَقِيَكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ظَفِرَ بِكَ ، وَعَادَتْنِي الْعَرَبُ أَبَدًا مَا بَقِيتُ ، وَاسْتَطَالَ عَلَيَّ خَاقَانُ وَاشْتَدَّتْ مَئُونَتُهُ ، وَقَالَ أَخْرَجْتُ الْعَرَبَ مِنْ بِلَادِكَ ، وَرَدَدْتُ عَلَيْكَ مُلْكَكَ. |
| فَعَرَفَ أَسَدٌ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَهُ ، فَأَمَرَ بِالْأَثْقَالِ أَنْ تُقَدَّمَ ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَاصِمٍ الْعُقَيْلِيَّ وَأَخْرَجَ مَعَهُ الْمَشْيَخَةَ ، فَسَارَتِ الْأَثْقَالُ وَمَعَهَا أَهْلُ الصَّغَانِيَانِ وَصَغَانُ خُذَاهْ ، وَأَقْبَلَ أَسَدٌ مِنَ الْخُتُّلِ نَحْوَ جَبَلِ الْمِلْحِ يُرِيدُ أَنْ يَخُوضَ نَهْرَ بَلْخٍ ، وَقَدْ قَطَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَاصِمٍ بِالسَّبْيِ وَمَا أَصَابُوا ، وَأَشْرَفَ أَسَدٌ عَلَى النَّهْرِ فَأَقَامَ يَوْمَهُ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ عَبَرَ النَّهْرَ فِي مَخَاضَةٍ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَعْبُرُونَ ، فَأَدْرَكَهُمْ خَاقَانُ فَقَتَلَ مَنْ لَمْ يَقْطَعِ النَّهْرَ ، وَكَانَتِ الْمَسْلَحَةُ عَلَى الْأَزْدِ وَتَمِيمٍ ، فَقَاتَلُوا خَاقَانَ وَانْكَشَفُوا. |
| وَأَقْبَلَ خَاقَانُ وَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ لَا يَعْبُرُ إِلَيْهِمُ النَّهْرَ ، فَلَمَّا نَظَرَ خَاقَانُ إِلَى النَّهْرِ أَمَرَ التُّرْكَ بِعُبُورِهِ ، فَعَبَرُوهُ ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ عَسْكَرَهُمْ وَأَخَذَ التُّرْكُ مَا رَأَوْهُ خَارِجًا ، وَخَرَجَ الْغِلْمَانُ فَضَارَبُوهُمْ بِالْعُمُدِ فَعَادُوا ، وَبَاتَ أَسَدٌ وَالْمُسْلِمُونَ وَعَبَّأَ أَصْحَابَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ لَمْ يَرَ خَاقَانَ ، فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ ، فَقَالُوا لَهُ اقْبَلِ الْعَافِيَةَ. |
| قَالَ مَا هَذِهِ عَافِيَةٌ! |
| هَذِهِ بَلِيَّةٌ! |
| إِنَّ خَاقَانَ أَصَابَ أَمْسِ مِنَ الْجُنْدِ وَالسِّلَاحِ وَمَا مَنَعَهُ الْيَوْمَ مِنَّا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَهُ بَعْضُ مَنْ أَخْذَهُ مِنَ الْأَسْرَى بِمَوْضِعِ الْأَثْقَالِ أَمَامَنَا فَسَارَ طَمَعًا فِيهَا. |
| فَارْتَحَلَ وَبَعَثَ الطَّلَائِعَ ، فَلَمَّا أَمْسَى اسْتَشَارَ النَّاسَ فِي النُّزُولِ أَوِ الْمَسِيرِ ، فَقَالَ النَّاسُ اقْبَلِ الْعَافِيَةَ ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ ذَهَابُ الْأَمْوَالِ بِعَافِيَتِنَا وَعَافِيَةِ أَهْلِ خُرَاسَانَ! |
| وَنَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ مُطْرِقٌ. |
| فَقَالَ لَهُ أَسَدٌ مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟ |
| قَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ خُلَّتَانِ كِلْتَاهُمَا لَكَ ، إِنْ تَسِرْ تُغِثْ مَنْ مَعَ الْأَثْقَالِ وَتُخَلِّصْهُمْ ، فَإِنِ انْتَهَيْتَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ هَلَكُوا فَقَدْ قَطَعْتَ مَشَقَّةً لَا بُدَّ مِنْ قَطْعِهَا. |
| فَقَبِلَ رَأْيَهُ وَسَارَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، وَدَعَا أَسَدٌ سَعِيدًا الصَّغِيرَ مَوْلَى بَاهِلَةَ ، وَكَانَ فَارِسًا بِأَرْضِ الْخُتُّلِ ، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَأْمُرُهُ بِالِاسْتِعْدَادِ وَيُخْبِرُهُ بِمَسِيرِ خَاقَانَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ لِتُجِدَّ السَّيْرَ. |
| فَطَلَبَ مِنْهُ فَرَسَهُ الذَّبُوبَ ، فَقَالَ أَسَدٌ لَعَمْرِي لَئِنْ جُدْتَ بِنَفْسِكَ وَبَخِلْتُ عَلَيْكَ بِالْفَرَسِ إِنِّي إِذًا لَلَئِيمٌ. |
| فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ مَعَهُ جَنِيبًا وَسَارَ. |
| فَلَمَّا حَاذَى التُّرْكَ وَقَدْ سَارُوا نَحْوَ الْأَثْقَالِ طَلَبَتْهُ طَلَائِعُهُمْ فَرَكِبَ الذَّبُوبَ فَلَمْ يَلْحَقُوهُ ، فَأَتَى إِبْرَاهِيمَ بِالْكِتَابِ. |
| وَسَارَ خَاقَانُ إِلَى الْأَثْقَالِ ، وَقَدْ خَنْدَقَ إِبْرَاهِيمُ خَنْدَقًا ، فَأَتَاهُمْ وَهُمْ قِيَامٌ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ الصُّغْدَ بِقِتَالِهِمْ فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَصَعِدَ خَاقَانُ تَلًّا فَجَعَلَ يَنْظُرُ لِيَرَى عَوْرَةً يَأْتِي مِنْهَا ، وَهَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ ، فَلَمَّا صَعِدَ التَّلَّ رَأَى خَلْفَ الْعَسْكَرِ جَزِيرَةً دُونَهَا مَخَاضَةٌ فَدَعَا بَعْضَ قُوَّادِ التُّرْكِ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْطَعُوا فَوْقَ الْعَسْكَرِ حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ ، ثُمَّ يَنْحَدِرُوا حَتَّى يَأْتُوا عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خَلْفِهِمْ ، وَأَنْ يَبْدَءُوا بِالْأَعَاجِمِ وَأَهْلِ الصَّغَانِيَانِ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنْ رَجَعُوا إِلَيْكُمْ دَخَلْنَا نَحْنُ. |
| فَفَعَلُوا وَدَخَلُوا مِنْ نَاحِيَةِ الْأَعَاجِمِ فَقَتَلُوا صَغَانَ خُذَاهْ وَعَامَّةَ أَصْحَابِهِ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ ، وَدَخَلُوا عَسْكَرَ إِبْرَاهِيمَ فَأَخَذُوا جَمِيعَ مَا فِيهِ ، وَتَرَكَ الْمُسْلِمُونَ التَّعْبِيَةَ وَاجْتَمَعُوا فِي مَوْضِعٍ وَأَحَسُّوا بِالْهَلَاكِ ، وَإِذَا رَهَجٌ قَدِ ارْتَفَعَ ، وَإِذَا أَسَدٌ فِي جُنْدِهِ قَدْ أَتَاهُمْ ، فَارْتَفَعَتِ التُّرْكُ عَنْهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ خَاقَانُ ، وَإِبْرَاهِيمُ يَعْجَبُ مِنْ كَفِّهِمْ وَقَدْ ظَفِرُوا وَقَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا وَهُوَ لَا يَطْمَعُ فِي أَسَدٍ ، وَكَانَ أَسَدٌ قَدْ أَغَذَّ الْمَسِيرَ وَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى التَّلِّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ خَاقَانُ ، وَتَنَحَّى خَاقَانُ إِلَى نَاحِيَةِ الْجَبَلِ ، فَخَرَجَ إِلَى أَسَدٍ مَنْ كَانَ بَقِيَ مَعَ الْأَثْقَالِ وَقَدْ قَتَلَ مِنْهُمْ بَشَرًا كَثِيرًا. |
| وَمَضَى خَاقَانُ بِالْأَسْرَى وَالْجِمَالِ الْمُوَقَرَةِ وَالْجَوَارِي ، وَأَمَرَ خَاقَانُ رَجُلًا كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْحَارِثِ بْنِ سُرَيْجٍ فَنَادَى أَسَدًا قَدْ كَانَ لَكَ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ مَغْزًى ، إِنَّكَ لَشَدِيدُ الْحِرْصِ ، وَقَدْ كَانَ عَنِ الْخُتُّلِ مَنْدُوحَةٌ وَهِيَ أَرْضُ آبَائِي وَأَجْدَادِي. |
| فَقَالَ أَسَدٌ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْكَ. |
| وَسَارَ أَسَدٌ إِلَى بَلْخٍ فَعَسْكَرَ فِي مَرْجِهَا حَتَّى أَتَى الشِّتَاءُ ، ثُمَّ فَرَّقَ النَّاسَ فِي الدُّورِ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ بِنَاحِيَةِ طَخَارِسْتَانَ فَانْضَمَّ إِلَى خَاقَانَ. |
| فَلَمَّا كَانَ وَسَطُ الشِّتَاءِ أَقْبَلَ خَاقَانُ ، وَكَانَ لَمَّا فَارَقَ أَسَدٌ أَتَى طَخَارِسْتَانَ فَأَقَامَ عِنْدَ جَبْغَوَيْهِ ، فَأَقْبَلَ فَأَتَى الْجُوزَجَانَ وَبَثَّ الْغَارَاتِ. |
| وَسَبَبُ مَجِيئِهِ أَنَّ الْحَارِثَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَا نُهُوضَ بِأَسَدٍ فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ كَثِيرُ جُنْدٍ وَنَزَلَ جَزَّةَ ، فَأَتَى الْخَبَرُ إِلَى أَسَدٍ بِنُزُولِ خَاقَانَ بِجَزَّةَ ، فَأَمَرَ بِالنِّيرَانِ فَرُفِعَتْ بِالْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنَ الرَّسَاتِيقِ إِلَيْهَا ، فَأَصْبَحَ أَسَدٌ وَصَلَّى صَلَاةَ الْعِيدِ ، عِيدِ الْأَضْحَى ، وَخَطَبَ النَّاسَ ، وَقَالَ إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الْحَارِثَ اسْتَجْلَبَ الطَّاغِيَةَ لِيُطْفِئَ نُورَ اللَّهِ وَيُبَدِّلَ دِينَهُ ، وَاللَّهُ مُذِلُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَإِنَّ عَدُوَّكُمْ قَدْ أَصَابَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ مَنْ أَصَابَ ، وَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ نَصْرَكُمْ لَمْ يَضُرَّكُمْ قِلَّتُكُمْ وَكَثْرَتُهُمْ ، فَاسْتَنْصِرُوا اللَّهَ ، وَإِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ إِذَا وَضَعَ جَبْهَتَهُ لَهُ ، وَإِنِّي نَازِلٌ وَوَاضِعٌ جَبْهَتِي ، فَاسْجُدُوا لَهُ وَادْعُوا مُخْلِصِينَ. |
| فَفَعَلُوا وَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ وَلَا يَشُكُّونَ فِي الْفَتْحِ ، ثُمَّ نَزَلَ وَضَحَّى وَشَاوَرَ النَّاسَ فِي الْمَسِيرِ إِلَى خَاقَانَ ، قَالَ قَوْمٌ تَحْفَظُ مَدِينَةَ بَلْخٍ وَتَكْتُبُ إِلَى خَالِدٍ وَالْخَلِيفَةِ تَسْتَمِدُّهُ. |
| وَقَالَ قَوْمٌ تَأْخُذُ فِي طَرِيقِ زُمَّ فَتَسْبِقُ خَاقَانَ إِلَى مَرْوَ. |
| وَقَالَ قَوْمٌ بَلْ تَخْرُجُ إِلَيْهِمْ. |
| فَوَافَقَ هَذَا رَأْيَ أَسَدٍ ، وَكَانَ عَزَمَ عَلَى لِقَائِهِمْ ، فَخَرَجَ بِالنَّاسِ وَهُوَ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَالشَّامِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى بَلْخٍ الْكَرْمَانِيَّ بْنَ عَلِيٍّ ، وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَدَعَ أَحَدًا يَخْرُجُ مِنْ مَدِينَتِهَا وَإِنْ ضَرَبَ التُّرْكُ بَابَهَا. |
| وَنَزَلَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ بَلْخٍ ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ رَكْعَتَيْنِ طَوَّلَهُمَا ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَنَادَى فِي النَّاسِ ادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَطَالَ الدُّعَاءَ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ نُصِرْتُمْ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى! |
| ثُمَّ سَارَ ، فَلَمَّا جَازَ قَنْطَرَةَ عَطَاءٍ نَزَلَ ، وَأَرَادَ الْمُقَامَ حَتَّى يَتَلَاحَقَ بِهِ النَّاسُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّحِيلِ وَقَالَ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى الْمُتَخَلِّفِينَ. |
| ثُمَّ ارْتَحَلَ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ سَالِمُ بْنُ مَنْصُورٍ الْبَجَلِيُّ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَلَقِيَ ثَلَاثَمِائَةٍ مِنَ التُّرْكِ طَلِيعَةً لِخَاقَانَ ، فَأَسَرَ قَائِدَهُمْ وَسَبْعَةً مَعَهُ ، وَهَرَبَ بَقِيَّتُهُمْ ، فَأُتِيَ بِهِ أَسَدٌ فَبَكَى التُّرْكِيُّ ، فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ ؟ |
| قَالَ لَسْتُ أَبْكِي لِنَفْسِي وَلَكِنِّي أَبْكِي لِهَلَاكِ خَاقَانَ ، إِنَّهُ قَدْ فَرَّقَ جُنُودَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَرْوَ. |
| فَسَارَ أَسَدٌ حَتَّى شَارَفَ مَدِينَةَ الْجُوزَجَانِ فَنَزَلَ عَلَيْهَا عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْ خَاقَانَ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَبَاحَهَا خَاقَانُ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَرَاءَى الْعَسْكَرَانِ ، فَقَالَ خَاقَانُ لِلْحَارِثِ بْنِ سُرَيْجٍ أَلَمْ تَكُنْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّ أَسَدًا لَا حَرَاكَ بِهِ وَهَذِهِ الْعَسَاكِرُ قَدْ أَقْبَلَتْ ، مَنْ هَذَا ؟ |
| قَالَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَرَايَتُهُ. |
| فَبَعَثَ خَاقَانُ طَلِيعَةً وَقَالَ انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ عَلَى الْإِبِلِ سَرِيرًا وَكَرَاسِيَّ ؟ |
| فَعَادُوا إِلَيْهِ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ، فَقَالَ خَاقَانُ هَذَا أَسَدٌ. |
| وَسَارَ أَسَدٌ قَدْرَ غَلْوَةٍ ، فَلَقِيَهُ سَالِمُ بْنُ جَنَاحٍ فَقَالَ أَبْشِرْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ قَدْ حَزَرْتُمْ وَلَا يَبْلُغُونَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَاقَانُ عَقِيرَةَ اللَّهِ. |
| فَصَفَّ أَسَدٌ أَصْحَابَهُ ، وَعَبَّى خَاقَانُ أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا الْتَقَوْا حَمَلَ الْحَارِثُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصُّغْدِ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانُوا مَيْمَنَةَ خَاقَانَ عَلَى مَيْسَرَةِ أَسَدٍ ، فَهَزَمَهُمْ فَلَمْ يَرُدَّهُمْ شَيْءٌ دُونَ رِوَاقِ أَسَدٍ ، وَحَمَلَتْ مَيْمَنَةُ أَسَدٍ وَهُمُ الْجُوزَجَانُ وَالْأَزْدُ وَتَمِيمٌ عَلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمَ الْحَارِثُ وَمَنْ مَعَهُ وَانْهَزَمَتِ التُّرْكُ جَمِيعُهَا ، وَحَمَلَ النَّاسُ جَمِيعًا فَتَفَرَّقَ التُّرْكُ فِي الْأَرْضِ لَا يَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ، فَتَبِعَهُمُ النَّاسُ مِقْدَارَ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ يَقْتُلُونَ مَنْ يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى أَغْنَامِهِمْ وَأَخَذُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ رَأْسٍ وَدَوَابَّ كَثِيرَةً. |
| وَأَخَذَ خَاقَانُ طَرِيقًا فِي الْجَبَلِ وَالْحَارِثُ يَحْمِيهِ ، وَسَارَ مُنْهَزِمًا ، فَقَالَ الْجُوزَجَانِيُّ لِعُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ إِنِّي لَأَعْلَمُ بِبِلَادِي وَبِطُرُقِهَا ، فَهَلْ تَتْبَعُنِي لَعَلَّنَا نُهْلِكُ خَاقَانَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، فَأَخَذَا طَرِيقًا وَسَارَا وَمَنْ مَعَهُمَا حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَى خَاقَانَ فَأَوْقَعُوا بِهِ ، فَوَلَّى مُنْهَزِمًا ، فَحَوَى الْمُسْلِمُونَ عَسْكَرَ التُّرْكِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَوَجَدُوا فِيهِ مِنْ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَالْمُوَلِّيَاتِ مِنْ نِسَاءِ التُّرْكِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. |
| وَوَحِلَ بِخَاقَانَ بِرْذَوْنُهُ فَحَمَاهُ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ ، وَلَمْ يُعْلِمِ النَّاسَ أَنَّهُ خَاقَانُ ، وَأَرَادَ الْخَصِيُّ الَّذِي لِخَاقَانَ أَنْ يَحْمِلَ امْرَأَةَ خَاقَانَ فَأَعْجَلُوهُ فَقَتَلَهَا ، وَاسْتَنْقَذُوا مَنْ كَانَ مَعَ خَاقَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. |
| وَتَتَبَّعَ أَسَدٌ خَيْلَ التُّرْكِ الَّتِي فَرَّقَهَا فِي الْغَارَةِ إِلَى مَرْوِ الرُّوذِ وَغَيْرِهَا فَقَتَلَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ غَيْرُ الْقَلِيلِ ، وَرَجَعَ إِلَى بَلْخٍ. |
| وَكَانَ بِشْرٌ الْكَرْمَانِيُّ فِي السَّرَايَا فَيُصِيبُونَ مِنَ التُّرْكِ الرَّجُلَ وَالرَّجُلَيْنِ وَأَكْثَرَ. |
| وَمَضَى خَاقَانُ إِلَى طَخَارِسْتَانَ وَأَقَامَ عِنْدَ جَبْغَوَيْهِ الْخَزْلَجِيِّ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَلَمَّا وَرَدَ أُشْرُوسَنَةَ تَلَقَّاهُ خَرَابُغْرَهْ أَبُو خَانَاجِزَهْ جَدُّ كَاوُوسَ أَبِي أَفْشِينَ بِكُلِّ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ مَا بَيْنَهُمَا مُتَبَاعِدًا ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَتَّخِذَ عِنْدَهُ يَدًا. |
| ثُمَّ أَتَى خَاقَانُ بِلَادَهُ وَاسْتَعَدَّ لِلْحَرْبِ وَمُحَاصَرَةِ سَمَرْقَنْدَ ، وَحَمَلَ الْحَارِثَ وَأَصْحَابَهُ عَلَى خَمْسَةِ آلَافِ بِرْذَوْنٍ. |
| فَلَاعَبَ خَاقَانُ يَوْمًا كُورْصُولَ بِالنَّرْدِ عَلَى خَطَرٍ ، فَتَنَازَعَا ، فَضَرَبَ كُورْصُولُ يَدَ خَاقَانَ وَكَسَرَهَا ، وَتَنَحَّى وَجَمَعَ جَمْعًا ، وَبَلَغَهُ أَنَّ خَاقَانَ قَدْ حَلَفَ لَيَكْسِرَنَّ يَدَهُ ، فَبَيَّتَ خَاقَانَ فَقَتَلَهُ ، وَتَفَرَّقَتِ التُّرْكُ وَتَرَكُوهُ مُجَرَّدًا ، فَأَتَاهُ نَفَرٌ مِنَ التُّرْكِ فَدَفَنُوهُ. |
| وَاشْتَغَلَتِ التُّرْكُ يُغِيرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ طَمِعَ أَهْلُ الصُّغْدِ فِي الرَّجْعَةِ إِلَيْهَا. |
| وَأَرْسَلَ أَسَدٌ مُبَشِّرًا إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَبِقَتْلِ خَاقَانَ ، فَلَمْ يُصَدِّقْهُ وَقَالَ لِلرَّبِيعِ حَاجِبِهِ لَا أَظُنُّ هَذَا صَادِقًا ، اذْهَبْ فَعُدْهُ ثُمَّ سَلْهُ عَمَّا يَقُولُ ، فَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ هِشَامًا ، ثُمَّ أَرْسَلَ أَسَدٌ مُبَشِّرًا آخَرَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ هِشَامٍ وَكَبَّرَ ، فَأَجَابَهُ هِشَامٌ بِالتَّكْبِيرِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ أَخْبَرَهُ بِالْفَتْحِ ، فَسَجَدَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى ، فَحَسَدَتِ الْقَيْسِيَّةُ أَسَدًا وَقَالُوا لِهِشَامٍ اكْتُبْ بِطَلَبِ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ النَّبَطِيِّ ، فَسَيَّرَهُ أَسَدٌ إِلَى هِشَامٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ ، فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ حَاجَتُكَ ؟ |
| قَالَ إِنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ أَخَذَ مِنْ أَبِي مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ فَاسْتَحْلَفَهُ عَلَى ذَلِكَ. |
| فَكَتَبَ إِلَى أَسَدٍ ، فَرَدَّهَا عَلَيْهِ ، وَقَسَّمَهَا مُقَاتِلٌ بَيْنَ وَرَثَةِ حَيَّانَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. |
| قَالَ أَبُو الْهِنْدِيِّ يَذْكُرُ هَذِهِ الْوَقْعَةَ أَبَا مُنْذِرٍ رُمْتَ الْأُمُورَ وَقِسْتَهَا... |
| وَسَاءَلْتَ عَنْهَا كَالْحَرِيصِ الْمُسَاوِمِ فَمَا كَانَ ذُو رَأْيٍ مِنَ النَّاسِ قِسْتَهُ... |
| بِرَأْيِكَ إِلَّا مِثْلَ رَأْيِ الْبَهَائِمِ أَبَا مُنْذِرٍ لَوْلَا مَسِيرُكَ لَمْ يَكُنْ... |
| عِرَاقٌ وَلَا انْقَادَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ وَلَا حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مَنْ حَجَّ رَاكِبًا... |
| وَلَا عَمَرَ الْبَطْحَاءَ بَعْدَ الْمَوَاسِمِ وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ بَيْنَ سَانٍ وَجَزَّةٍ... |
| كَسِيرَ الْأَيَادِي مِنْ مُلُوكٍ قَمَاقِمِ تَرَكْتَ بِأَرْضِ الْجُوزَجَانِ تَزُورُهُ سِبَاعٌ وَعِقْبَانٌ لَحَزِّ الْغَلَاصِمِ... |
| وَذِي سُوقَةٍ فِيهِ مِنَ السَّيْفِ خَبْطَةٌ بِهِ رَمَقٌ مُلْقًى لِحَوْمِ الْحَوَائِمِ... |
| فَمِنْ هَارِبٍ مِنَّا وَمِنْ دَائِنٍ لَنَا أَسِيرٍ يُقَاسِي مُبْهَمَاتِ الْأَدَاهِمِ... |
| فَدَتْكَ نُفُوسٌ مِنْ تَمِيمٍ وَعَامِرٍ وَمِنْ مُضَرَ الْحَمْرَاءِ عِنْدَ الْمَآزِمِ... |
| هُمْ أَطْمَعُوا خَاقَانَ فِينَا فَأَصْبَحَتْ حَلَائِبُهُ تَرْجُو خُلُوَّ الْمَغَانِمِ وَكَانَ ابْنُ السَّايِجِيِّ الَّذِي أَخْبَرَ أَسَدًا بِمَجِيءِ خَاقَانَ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ السَّبْلُ عَلَى مَمْلَكَتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، وَأَوْصَاهُ بِثَلَاثِ خِصَالٍ ، قَالَ لَا تَسْتَطِلْ عَلَى أَهْلِ الْخُتُّلِ اسْتِطَالَتِي عَلَيْهِمْ ، فَإِنِّي مَلِكٌ وَأَنْتَ لَسْتَ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، وَقَالَ لَهُ اطْلُبِ الْحُنَيْشَ حَتَّى تَرُدَّهُ إِلَى بِلَادِكُمْ ، فَإِنَّهُ الْمَلِكُ بَعْدِي ، وَكَانَ الْحُنَيْشُ قَدْ هَرَبَ إِلَى الصِّينِ ، وَقَالَ لَهُ لَا تُحَارِبُوا الْعَرَبَ وَادْفَعُوهَا عَنْكُمْ بِكُلِّ حِيلَةٍ. |
| فَقَالَ لَهُ ابْنُ السَّايِجِيِّ أَمَّا تَرْكِي الِاسْتِطَالَةَ عَلَيْهِمْ وَرَدِّي الْحُنَيْشَ فَهُوَ الرَّأْيُ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ لَا تُحَارِبُوا الْعَرَبَ ، فَكَيْفَ وَقَدْ كُنْتَ أَكْثَرَ الْمُلُوكِ مُحَارَبَةً لَهُمْ ؟ |
| قَالَ السَّبْلُ قَدْ جَرَّبْتُ قُوَّتَكُمْ بِقُوَّتِي فَمَا رَأَيْتُكُمْ تَقَعُونَ مِنِّي مَوْقِعًا ، وَكُنْتُ إِذَا حَارَبْتُهُمْ لَمْ أُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا جَرِيضًا ، وَإِنَّكُمْ إِذَا حَارَبْتُمُوهُمْ هَلَكْتُمْ. |
| فَهَذَا الَّذِي كَرَّهَ إِلَى ابْنِ السَّايِجِيِّ مُحَارِبَةَ الْعَرَبِ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعِيدٍ وَبَيَانٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ الْمُغِيرَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَبَيَانٌ فِي سِتَّةِ نَفَرٍ ، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الْوُصَفَاءَ ، وَكَانَ الْمُغِيرَةُ سَاحِرًا ، وَكَانَ يَقُولُ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُحْيِيَ عَادًا وَثَمُودَ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرَةً لَفَعَلْتُ. |
| وَبَلَغَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ خُرُوجُهُمْ بِظَهْرِ الْكُوفَةِ وَهُوَ يَخْطُبُ فَقَالَ أَطْعِمُونِي مَاءً ، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ نَوْفَلَ فِي ذَلِكَ أَخَالِدُ لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا... |
| وَأَيْرٌ فِي حِرِّ أُمِّكَ مِنْ أَمِيرِ وَكُنْتَ لَدَى الْمُغِيرَةِ عَبْدَ سَوْءٍ... |
| تَبُولُ مِنَ الْمَخَافَةِ لِلزَّئِيرِ وَقُلْتَ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعِمُونِي... |
| شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ لِأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخٍ... |
| كَبِيرِ السِّنِّ لَيْسَ بِذِي نَصِيرِ فَأَرْسَلَ خَالِدٌ فَأَخَذَهُمْ ، وَأَمَرَ بِسَرِيرِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، وَأَمَرَ بِالْقَصَبِ وَالنِّفْطِ فَأُحْضِرَا فَأَحْرَقَهُمْ ، وَأَرْسَلَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَعْيَنَ الْجَرْمِيِّ فَسَأَلَهُ ، فَصَدَقَهُ ، فَتَرَكَهُ. |
| وَكَانَ رَأْيُ الْمُغِيرَةِ التَّجْسِيمَ ، يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ ، وَإِنَّ أَعْضَاءَهُ عَلَى عَدَدِ حُرُوفِ الْهِجَاءِ وَيَقُولُ مَا لَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانٌ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ تَكَلَّمَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ فَطَارَ فَوَقَعَ عَلَى تَاجِهِ ، ثُمَّ كَتَبَ بِإِصْبَعِهِ عَلَى كَفِّهِ أَعْمَالَ عِبَادِهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالطَّاعَاتِ ، فَلَمَّا رَأَى الْمَعَاصِيَ ارْفَضَّ عَرَقًا ، فَاجْتَمَعَ مِنْ عَرَقِهِ بَحْرَانِ أَحَدُهُمَا مِلْحٌ مُظْلِمٌ وَالْآخَرُ عَذْبٌ نَيِّرٌ ، ثُمَّ اطَّلَعَ فِي الْبَحْرِ فَرَأَى ظِلَّهُ فَذَهَبَ لِيَأْخُذَهُ فَطَارَ فَأَدْرَكَهُ ، فَقَلَعَ عَيْنَيْ ذَلِكَ الظِّلِّ وَمَحَقَهُ ، فَخَلَقَ مِنْ عَيْنَيْهِ الشَّمْسَ وَسَمَاءً أُخْرَى ، وَخَلَقَ مِنَ الْبَحْرِ الْمِلْحِ الْكُفَّارَ ، وَمِنَ الْبَحْرِ الْعَذْبِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانَ يَقُولُ بِإِلَهِيَّةِ عَلِيٍّ وَتَكْفِيرِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ إِلَّا مَنْ ثَبَتَ مَعَ عَلِيٍّ ، وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي شَيْءٍ مِنَ الشَّرَائِعِ ، وَكَانَ يَقُولُ بِتَحْرِيمِ مَاءِ الْفُرَاتِ وَكُلِّ نَهْرٍ أَوْ عَيْنٍ أَوْ بِئْرٍ وَقَعَتْ فِيهِ نَجَاسَةٌ ، وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَيَتَكَلَّمُ فَيُرَى أَمْثَالُ الْجَرَادِ عَلَى الْقُبُورِ. |
| وَجَاءَ الْمُغِيرَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ فَقَالَ لَهُ أَقْرِرْ أَنَّكَ تَعْلَمُ الْغَيْبَ حَتَّى أَجْبِيَ لَكَ الْعِرَاقَ. |
| فَنَهَرَهُ وَطَرَدَهُ. |
| وَجَاءَ إِلَى ابْنِهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ! |
| وَكَانَ الشَّعْبِيُّ يَقُولُ لِلْمُغِيرَةِ مَا فَعَلَ الْإِمَامُ ؟ |
| فَيَقُولُ أَتَتَهَزَّأُ بِهِ ؟ |
| فَيَقُولُ لَا إِنَّمَا أَتَهَزَّأُ بِكَ. |
| وَأَمَّا بَيَانٌ فَإِنَّهُ يَقُولُ بِإِلَهِيَّةِ عَلِيٍّ ، وَإِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ إِلَهَانِ ، وَمُحَمَّدَ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ بَعْدَهُمْ ، ثُمَّ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو هَاشِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِنَوْعٍ مِنَ التَّنَاسُخِ ، وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْنَى جَمِيعُهُ إِلَّا وَجْهَهُ ، وَيَحْتَجُّ بِقَوْلِهِ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الرحمن . |
| تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. |
| وَادَّعَى النُّبُوَّةَ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ آل عمران . |
| ذِكْرُ خَبَرِ الْخَوَارِجِ هَذِهِ السَّنَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ بُهْلُولُ بْنُ بِشْرٍ الْمُلَقَّبُ كُثَارَةُ ، وَهُوَ مِنَ الْمَوْصِلِ مِنْ شَيْبَانَ. |
| فَقِيلَ وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ أَنَّهُ خَرَجَ يُرِيدُ الْحَجَّ ، فَأَمَرَ غُلَامَهُ يَبْتَاعُ لَهُ خَلًّا بِدِرْهَمٍ ، فَأَتَاهُ بِخَمْرٍ ، فَأَمَرَهُ بَرَدِّهَا وَأَخَذَ الدِّرْهَمَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ صَاحِبُ الْخَمْرِ إِلَى ذَلِكَ ، فَجَاءَ بُهْلُولٌ إِلَى عَامِلِ الْقَرْيَةِ ، وَهِيَ مِنَ السَّوَادِ ، فَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ الْعَامِلُ الْخَمْرُ خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْ قَوْلِكَ. |
| فَمَضَى فِي حَجِّهِ وَقَدْ عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ ، فَلَقِيَ بِمَكَّةَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ ، فَاتَّعَدُوا قَرْيَةً مِنْ قُرَى الْمَوْصِلِ ، فَاجْتَمَعُوا بِهَا ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، وَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ بُهْلُولًا ، وَكَتَمُوا أَمْرَهُمْ وَجَعَلُوا لَا يَمُرُّونَ بِعَامِلٍ إِلَّا أَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدِمُوا مِنْ عِنْدِ هِشَامٍ عَلَى بَعْضِ الْأَعْمَالِ ، وَأَخَذُوا دَوَابَّ الْبَرِيدِ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي ابْتَاعَ الْغُلَامُ بِهَا الْخَمْرَ قَالَ بُهْلُولٌ نَبْدَأُ بِهَذَا الْعَامِلِ فَنَقْتُلُهُ. |
| فَقَالَ أَصْحَابُهُ نَحْنُ نُرِيدُ قَتْلَ خَالِدٍ ، فَإِنْ بَدَأْنَا بِهَذَا شُهِرَ أَمْرُنَا وَحَذِرَنَا خَالِدٌ وَغَيْرُهُ ، فَنَشَدْنَاكَ اللَّهَ أَنْ نَقْتُلَ هَذَا فَيُفْلِتُ مِنَّا خَالِدٌ الَّذِي يَهْدِمُ الْمَسَاجِدَ ، وَيَبْنِي الْبِيَعَ وَالْكَنَائِسَ ، وَيُوَلِّي الْمَجُوسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَيُنْكِحُ أَهْلَ الذِّمَّةِ الْمُسْلِمَاتِ ، لَعَلَّنَا نَقْتُلُهُ فَيُرِيحُ اللَّهُ مِنْهُ. |
| قَالَ وَاللَّهِ لَا أَدَعُ مَا يَلْزَمُنِي لِمَا بَعْدَهُ ، وَأَرْجُو أَنْ أَقْتُلَ هَذَا وَخَالِدًا ، فَقَتَلَهُ ، فَعَلِمَ بِهِمُ النَّاسُ أَنَّهُمْ خَوَارِجُ ، وَهَرَبُوا ، وَخَرَجَتِ الْبَرِيدُ إِلَى خَالِدٍ فَأَعْلَمُوهُ بِهِمْ ، وَلَا يَدْرُونَ مَنْ رَئِيسُهُمْ. |
| فَخَرَجَ خَالِدٌ مِنْ وَاسِطٍ وَأَتَى الْحِيرَةَ ، وَكَانَ بِهَا جُنْدٌ قَدْ قَدِمُوا مِنَ الشَّامِ مَدَدًا لِعَامِلِ الْهِنْدِ ، فَأَمَرَهُمْ خَالِدٌ بِقِتَالِهِ وَقَالَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا أَعْطَيْتُهُ عَطَاءً سِوَى مَا أَخَذَ فِي الشَّامِ ، وَأَعْفَيْتُهُ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْهِنْدِ. |
| فَسَارَعُوا إِلَى ذَلِكَ ، فَتَوَجَّهَ مُقَدِّمُهُمْ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ ، وَمَعَهُ سِتُّمِائَةٍ مِنْهُمْ ، فَضَمَّ إِلَيْهِ خَالِدٌ مِائَتَيْنِ مِنَ الشُّرَطِ ، فَالْتَقَوْا عَلَى الْفُرَاتِ ، فَقَالَ الْقَيْنِيُّ لِمَنْ مَعَهُ مِنَ الشُّرَطِ لَا تَكُونُوا مَعَنَا لِيَكُونَ الظَّفَرُ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ. |
| وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَحَمَلَ عَلَى الْقَيْنِيِّ فَأَنْفَذَهُ ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ وَالشُّرَطِ ، وَتَبِعَهُمْ بُهْلُولٌ وَأَصْحَابُهُ يَقْتُلُونَهُمْ حَتَّى بَلَغُوا الْكُوفَةَ. |
| فَأَمَّا أَهْلُ الشَّامِ فَكَانُوا عَلَى خَيْلٍ جِيَادٍ فَفَاتُوهُ ، وَأَمَّا شُرَطُ الْكُوفَةِ فَأَدْرَكَهُمْ ، فَقَالُوا اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّا مُكْرَهُونَ مَقْهُورُونَ ، فَجَعَلَ يَقْرَعُ رُءُوسَهُمْ بِالرُّمْحِ وَيَقُولُ النَّجَاءَ النَّجَاءَ. |
| فَوَجَدَ بُهْلُولٌ مَعَ الْقَيْنِيِّ بَدْرَةً فَأَخَذَهَا. |
| وَكَانَ فِي الْكُوفَةِ سِتَّةٌ يَرَوْنَ رَأْيَ بُهْلُولٍ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ فَقُتِلُوا بِصَرِيفِينَ ، فَخَرَجَ بُهْلُولٌ وَمَعَهُ الْبَدْرَةُ قَالَ مَنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ حَتَّى أُعْطِيَهُ هَذِهِ الْبَدْرَةَ ؟ |
| فَجَاءَ قَوْمٌ فَقَالُوا نَحْنُ قَتَلْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَظُنُّونَهُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ ، فَقَالَ بُهْلُولٌ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ أَصَدَقَ هَؤُلَاءِ ؟ |
| قَالُوا نَعَمْ ، فَقَتَلَهُمْ وَتَرَكَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ. |
| وَبَلَغَتِ الْهَزِيمَةُ خَالِدًا وَمَا فَعَلَ بِصَرِيفِينَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ قَائِدًا مِنْ شَيْبَانَ أَحَدَ بَنِي حَوْشَبِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رُوَيْمٍ ، فَلَقِيَهُ فِيمَا بَيْنَ الْمَوْصِلِ وَالْكُوفَةِ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَأَتَوْا خَالِدًا. |
| فَارْتَحَلَ بُهْلُولٌ مِنْ يَوْمِهِ يُرِيدُ الْمَوْصِلَ ، فَكَتَبَ عَامِلُ الْمَوْصِلِ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يُخْبِرُهُ بِهِمْ وَيَسْأَلُهُ جُنْدًا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامٌ وَجِّهْ إِلَيْهِ كُثَارَةَ بْنَ بِشْرٍ. |
| وَكَانَ هِشَامٌ لَا يَعْرِفُ بُهْلُولًا إِلَّا بِلَقَبِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْعَامِلُ أَنَّ الْخَارِجَ هُوَ كُثَارَةُ. |
| ثُمَّ قَالَ بُهْلُولٌ لِأَصْحَابِهِ إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَصْنَعُ بِابْنِ النَّصْرَانِيَّةِ شَيْئًا ، يَعْنِي خَالِدًا ، فَلِمَ لَا نَطْلُبُ الرَّأْسَ الَّذِي سَلَّطَ خَالِدًا ؟ |
| فَسَارَ يُرِيدُ هِشَامًا بِالشَّامِ ، فَخَافَ عُمَّالُ هِشَامٍ مِنْ هِشَامٍ إِنْ تَرَكُوهُ يَجُوزُ إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَسَيَّرَ خَالِدٌ جُنْدًا مِنَ الْعِرَاقِ ، وَسَيَّرَ عَامِلُ الْجَزِيرَةِ جُنْدًا مِنَ الْجَزِيرَةِ ، وَوَجَّهَ هِشَامٌ جُنْدًا مِنَ الشَّامِ ، وَاجْتَمَعُوا بِدَيْرٍ بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ ، وَأَقْبَلَ بُهْلُولٌ إِلَيْهِمْ ، وَقِيلَ الْتَقَوْا بِكُحَيْلٍ دُونَ الْمَوْصِلِ ، فَنَزَلَ بُهْلُولٌ عَلَى بَابِ الدَّيْرِ وَهُوَ فِي سَبْعِينَ وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَفَرًا وَقَاتَلَهُمْ عَامَّةَ نَهَارِهِ ، وَكَانُوا عِشْرِينَ أَلْفًا ، فَأَكْثَرَ فِيهِمُ الْقَتْلَ وَالْجِرَاحَ ، ثُمَّ إِنَّ بُهْلُولًا وَأَصْحَابَهُ عَقَرُوا دَوَابَّهُمْ وَتَرَجَّلُوا فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ بُهْلُولٍ ، فَطُعِنَ بُهْلُولٌ فَصُرِعَ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ وَلِّ أَمْرَنَا. |
| فَقَالَ إِنْ هَلَكْتُ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ دِعَامَةُ الشَّيْبَانِيُّ ، وَإِنْ هَلَكَ فَأَمِّرُوا الْيَشْكُرِيَّ. |
| وَمَاتَ بُهْلُولٌ مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا هَرَبَ دِعَامَةُ وَخَلَّاهُمْ. |
| فَقَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ يَرْثِي بُهْلُولًا بُدِّلْتُ بَعْدَ أَبِي بِشْرٍ وَصُحْبَتِهِ... |
| قَوْمًا عَلَيَّ مَعَ الْأَحْزَابِ أَعْوَانًا كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ صَحَابَتِنَا... |
| وَلَمْ يَكُونُوا لَنَا بِالْأَمْسِ خِلَّانَا يَا عَيْنُ أَذْرِي دُمُوعًا مِنْكِ تَهْتَانًا... |
| وَابْكِي لَنَا صُحْبَةً بَانُوا وَإِخْوَانَا خَلَّوْا لَنَا ظَاهِرَ الدُّنْيَا وَبَاطِنَهَا... |
| وَأَصْبَحُوا فِي جِنَانِ الْخُلْدِ جِيرَانَا فَلَمَّا قُتِلَ بُهْلُولٌ خَرَجَ عَمْرٌو الْيَشْكُرِيُّ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قُتِلَ. |
| وَخَرَجَ الْبَخْتَرِيُّ صَاحِبُ الْأَشْهَبِ ، وَبِهَذَا كَانَ يُعْرَفُ ، عَلَى خَالِدٍ فِي سِتِّينَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ خَالِدٌ السِّمْطَ بْنَ مُسْلِمٍ الْبَجَلِيَّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَالْتَقَوْا بِنَاحِيَةِ الْفُرَاتِ ، فَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ ، فَتَلَقَّاهُمْ عَبِيدُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَسِفْلَتُهُمْ فَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُمْ. |
| ثُمَّ خَرَجَ وَزِيرُ السِّخْتِيَانِيِّ عَلَى خَالِدٍ بِالْحِيرَةِ فِي نَفَرٍ ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِقَرْيَةٍ إِلَّا أَحْرَقَهَا ، وَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ ، وَغَلَبَ عَلَى مَا هُنَالِكَ وَعَلَى بَيْتِ الْمَالِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ خَالِدٌ جُنْدًا فَقَاتَلُوا عَامَّةَ أَصْحَابِهِ وَأُثْخِنَ بِالْجِرَاحِ ، وَأُتِيَ بِهِ خَالِدٌ ، وَأَقْبَلَ عَلَى خَالِدٍ فَوَعَظَهُ ، فَأَعْجَبَ خَالِدًا مَا سَمِعَ مِنْهُ فَلَمْ يَقْتُلْهُ وَحَبَسَهُ عِنْدَهُ ، وَكَانَ يُؤْتَى بِهِ فِي اللَّيْلِ فَيُحَادِثُهُ. |
| فَسُعِيَ بِخَالِدٍ إِلَى هِشَامٍ وَقِيلَ أَخَذَ حَرُورِيًّا قَدْ قَتَلَ وَحَرَّقَ وَأَبَاحَ الْأَمْوَالَ فَجَعَلَهُ سَمِيرًا ، فَغَضِبَ هِشَامٌ وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِقَتْلِهِ ، وَكَانَ خَالِدٌ يَقُولُ إِنِّي أَنْفَسُ بِهِ عَنِ الْمَوْتِ ، فَأَخَّرَ قَتْلَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامٌ ثَانِيًا يَذُمُّهُ وَيَأْمُرُهُ بِقَتْلِهِ وَإِحْرَاقِهِ ، فَقَتَلَهُ وَأَحْرَقَهُ وَنَفَرًا مَعَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتْلُو الْقُرْآنَ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ يَقْرَأُ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ التوبة . |
| ذِكْرُ خُرُوجِ الصَّحَارِيِّ بْنِ شَبِيبٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ الصَّحَارِيُّ بْنُ شَبِيبِ بْنِ يَزِيدَ بِنَاحِيَةِ حُبَلَ ، وَكَانَ قَدْ أَتَى خَالِدًا يَسْأَلُهُ الْفَرِيضَةَ ، فَقَالَ خَالِدٌ وَمَا يَصْنَعُ ابْنُ شَبِيبٍ بِالْفَرِيضَةِ ؟ |
| فَمَضَى ، وَنَدِمَ خَالِدٌ وَخَافَ أَنْ يَفْتِقَ عَلَيْهِ فَتْقًا ، فَطَلَبَهُ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ ، وَسَارَ حَتَّى أَتَى حُبَلَ ، وَبِهَا نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَأَخْبَرَهُمْ ، فَقَالُوا وَمَا تَرْجُو مِنِ ابْنِ النَّصْرَانِيَّةِ ؟ |
| كُنْتَ أَوْلَى أَنْ تَسِيرَ إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ فَتَضْرِبَهُ بِهِ. |
| فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ الْفَرِيضَةَ ، وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ لِئَلَّا يُنْكِرَنِي ثُمَّ أَقْتُلَهُ بِفُلَانٍ ، يَعْنِي بِفُلَانٍ رَجُلًا مِنْ قَعَدَةِ الصُّفْرِيَّةِ ، وَكَانَ خَالِدٌ قَتَلَهُ صَبْرًا ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ ، فَتَبِعَهُ مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا وَخَرَجَ بِهِمْ ، فَبَلَغَ خَبَرُهُ خَالِدًا وَقَالَ قَدْ كُنْتُ خِفْتُهَا مِنْهُ ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيْهِ خَالِدٌ جُنْدًا ، فَلَقُوهُ بِنَاحِيَةِ الْمَنَاذِرِ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا فَقَتَلُوهُ وَجَمِيعَ أَصْحَابِهِ. |
| ذِكْرُ غَزْوَةِ أَسَدٍ الْخُتُّلَ وَفِيهَا غَزَا أَسَدٌ الْخُتُّلَ ، فَوَجَّهَ مُصْعَبَ بْنَ عَمْرٍو الْخُزَاعِيَّ إِلَيْهَا ، فَسَارَ فَنَزَلَ بِقُرْبِ بَدْرِ طَرْخَانَ فَطَلَبَ الْأَمَانَ لِيَخْرُجَ إِلَى أَسَدٍ ، فَآمَنَهُ مُصْعَبٌ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى أَسَدٍ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَأَبَى أَسَدٌ وَقَالَ إِنَّكَ دَخَلْتَهَا وَأَنْتَ غَرِيبٌ مِنْ أَهْلِ الْبَامْيَانِ ، اخْرُجْ مِنَ الْخُتُّلِ كَمَا دَخَلْتَ. |
| قَالَ بَدَرْطَرْخَانِ فَأَنْتَ دَخَلْتَ إِلَى خُرَاسَانَ عَلَى عَشَرَةٍ مِنَ الدَّوَابِّ وَلَوْ خَرَجْتَ مِنْهَا لَمْ تُحْتَمَلْ عَلَى خَمْسِمِائَةِ بَعِيرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، إِنِّي دَخَلْتُ الْخُتُّلَ شَابًّا ، فَارْدُدْ عَلَيَّ شَبَابِي ، وَخُذْ مَا كَسَبْتُ مِنْهَا. |
| فَغَضِبَ أَسَدٌ وَرَدَّهُ إِلَى مُصْعَبٍ لِيُمَكِّنَهُ مِنَ الْعَوْدِ إِلَى حِصْنِهِ ، فَوَصَلَ بَدَرْطَرْخَانَ مَعَ مَوْلًى لِأَسَدٍ إِلَى مُصْعَبٍ ، فَأَخَذَهُ سَلَمَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ مِنَ الْمَوَالِي ، وَقَالَ إِنَّ الْأَمِيرَ يَنْدَمُ عَلَى تَرْكِهِ وَحَبْسِهِ عِنْدَهُ. |
| وَأَقْبَلَ أَسَدٌ بِالنَّاسِ ، فَقَالَ لِمُجَشِّرِ بْنِ مُزَاحِمٍ كَيْفَ أَنْتَ ؟ |
| قَالَ مُجَشِّرٌ كُنْتُ أَمْسِ أَحْسَنَ حَالًا مِنِّي الْيَوْمَ ، كَانَ بَدَرْطَرْخَانُ فِي أَيْدِينَا وَعَرَضَ مَا عَرَضَ ، فَلَا الْأَمِيرُ قَبِلَ مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِ ، وَلَا هُوَ شَدَّ يَدَهُ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ خَلَّى سَبِيلَهُ ، وَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ حِصْنَهُ. |
| فَنَدِمَ أَسَدٌ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَرْسَلَ إِلَى مُصْعَبٍ يَسْأَلُهُ هَلْ دَخَلَ بَدَرْطَرْخَانُ حِصْنَهُ أَمْ لَا ؟ |
| فَجَاءَ الرَّسُولُ فَوَجَدَهُ عِنْدَ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَحَوَّلَهُ أَسَدٌ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ فَقُطِعَتْ يَدُهُ ، وَقَالَ مَنْ هَاهُنَا مِنْ أَوْلِيَاءَ أَبِي فُدَيْكٍ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ كَانَ بَدَرْطَرْخَانُ قَدْ قَتَلَهُ ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَ أَنَا. |
| فَقَالَ اضْرِبْ عُنُقَهُ ، فَفَعَلَ. |
| وَغَلَبَ أَسَدٌ عَلَى الْقَلْعَةِ الْعُظْمَى ، وَبَقِيَتْ قَلْعَةٌ فَوْقَهَا صَغِيرَةٌ وَفِيهَا وَلَدُهُ وَأَمْوَالُهُ فَلَمْ يُوصَلْ إِلَيْهَا. |
| وَفَرَّقَ أَسَدٌ الْعَسْكَرَ فِي أَوْدِيَةِ الْخُتُّلِ فَمَلَأَ أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالسَّبْيِ ، وَهَرَبَ أَهْلُهُ إِلَى الصِّينِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْوَلِيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ أَرْضَ الرُّومِ . |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ أَبُو شَاكِرٍ مَسْلَمَةُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَحَجَّ مَعَهُ ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ . |
| وَكَانَ الْعَامِلَ عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ ، وَعَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ كُلِّهِ خَالِدٌ الْقَسْرِيُّ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ أَخُوهُ أَسَدٌ ، وَقِيلَ كَانَ أَسَدٌ قَدْ هَلَكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا جَعْفَرَ بْنَ حَنْظَلَةَ الْبَهْرَانِيَّ. |
| وَقِيلَ إِنَّمَا هَلَكَ أَسَدٌ سَنَةَ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| وَفِيهَا غَزَا مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِرْمِينِيَّةَ ، فَدَخَلَ بِلَادَ اللَّانِ ، وَسَارَ فِيهَا حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ الْخَزَرِ ، فَمَرَّ بِبَلَنْجَرَ وَسَمَنْدَرَ وَانْتَهَى إِلَى الْبَيْضَاءِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا خَاقَانُ ، فَهَرَبَ خَاقَانُ مِنْهُ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ. |
| وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ يَرْبُوعٍ الْمَخْزُومِيُّ. |
| وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ الْمَكِّيُّ. |
| وَسُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى الْأَشْدَقُ. |
| وَإِيَاسُ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ ذِكْرُ وَفَاةِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ تُوُفِّيَ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ بِمَدِينَةِ بَلْخٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ كَانَ بِهِ دُبَيْلَةٌ فِي جَوْفِهِ فَأَصَابَهُ مَرَضٌ ، ثُمَّ أَفَاقَ مِنْهُ ، فَخَرَجَ يَوْمًا فَأُتِيَ بِكُمَّثْرَى أَوَّلَ مَا جَاءَ ، فَأَطْعَمَ النَّاسَ مِنْهُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، وَأَخَذَ كُمَّثْرَاةً فَرَمَى بِهَا إِلَى خُرَاسَانَ دِهْقَانَ هَرَاةَ فَانْقَطَعَتِ الدُّبَيْلَةُ فَهَلَكَ ، وَاسْتَخْلَفَ جَعْفَرَ بْنَ حَنْظَلَةَ الْبَهْرَانِيَّ ، فَعَمِلَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ جَاءَ عَهْدُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ بِالْعَمَلِ فِي رَجَبٍ. |
| وَكَانَ هَذَا خُرَاسَانَ دِهْقَانِ هَرَاةَ خِصِّيصًا بِأَسَدٍ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي الْمِهْرَجَانِ وَمَعَهُ مِنَ الْهَدَايَا وَالتُّحَفِ مَا لَمْ يَحْمِلْ غَيْرُهُ مِثْلَهُ ، وَكَانَتْ قِيمَةُ الْهَدِيَّةِ أَلْفَ أَلْفٍ. |
| وَقَالَ لِأَسَدٍ إِنَّا مَعْشَرَ الْعَجَمِ أَكَلْنَا الدُّنْيَا أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ بِالْحِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْوَقَارِ ، وَكَانَ الرِّجَالُ فِينَا ثَلَاثَةً مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ ، أَيْنَمَا تَوَجَّهَ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالَّذِي يَلِيهِ رَجُلٌ تَمَّتْ مُرُوَّتُهُ فِي بَيْتٍ ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ رَحَّبَ وَحَيَّا ، وَرَجُلٌ رَحُبَ صَدْرُهُ وَبَسَطَ يَدَهُ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ قَدَّمَ وَقَوَّدَ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ صِفَاتِ هَؤُلَاءِ فِيكَ ، فَمَا نَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَتَمُّ كَتْخُدَانِيَّةً مِنْكَ ، إِنَّكَ عَزِيزٌ ، ضَابِطٌ أَهْلَ بَيْتِكَ وَحَشَمَكَ وَمَوَالِيَكَ ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَى صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ ، ثُمَّ بَنَيْتَ الْإِيوَانَاتِ فِي الْمَفَاوِزِ مِنْ أَحْسَنِ مَا عُمِلَ ، وَمِنْ يُمْنِ نَقِيبَتِكَ أَنَّكَ لَقِيتَ خَاقَانَ وَهُوَ فِي مِائَةِ أَلْفٍ ، وَمَعَهُ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ فَهَزَمْتَهُ وَفَلَلْتَهُ وَقَتَلَتْ أَصْحَابَهُ وَأَبَحْتَ عَسْكَرَهُ ، وَأَمَّا رُحْبُ صَدْرِكَ وَبَسْطُ يَدِكَ فَإِنَّا لَا نَدْرِي أَيُّ الْمَالَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ، أَمَالٌ قَدِمَ عَلَيْكَ أَمْ مَالٌ خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ ؟ |
| بَلْ أَنْتَ بِمَا خَرَجَ أَقَرُّ عَيْنًا. |
| فَضَحِكَ أَسَدٌ وَقَالَ أَنْتَ خَيْرُ دَهَاقِينِنَا ، وَفَرَّقَ جَمِيعَ الْهَدِيَّةِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ. |
| وَلَمَّا مَاتَ أَسَدٌ رَثَاهُ ابْنُ عُرْسٍ الْعَبْدِيُّ فَقَالَ نَعَى أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ نَاعِ... |
| فَرِيعَ الْقَلْبُ لِلْمَلِكِ الْمُطَاعِ بِبَلْخٍ وَافَقَ الْمِقْدَارُ يُسْرِي... |
| وَمَا لِقَضَاءِ رَبِّكَ مِنْ دِفَاعِ فَجُودِي عَيْنُ بِالْعَبَرَاتِ سَحًّا... |
| أَلَمْ يُحْزِنْكِ تَفْرِيقُ الْجِمَاعِ فِي أَبْيَاتٍ غَيْرِهَا. |
| وَلَمَّا مَاتَ أَسَدٌ كَتَبَ مَسْلَمَةُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَهُوَ أَبُو شَاكِرٍ ، إِلَى خَالِدٍ الْقَسْرِيِّ أَرَاحَ مِنْ خَالِدٍ فَأَهْلَكَهُ... |
| رَبٌّ أَرَاحَ الْعِبَادَ مِنْ أَسَدِ أَمَّا أَبُوهُ فَكَانَ مُؤْتَشِبًا... |
| عَبْدًا لَئِيمًا لِأَعْبُدٍ فَقَدِ يَرَى الزِّنَى وَالصَّلِيبَ وَالْخَمْرَ... |
| وَالْخِنْزِيرَ حِلًّا وَالْغَيَّ كَالرَّشَدِ وَأُمُّهُ هَمُّهَا وَبُغْيَتُهَا... |
| هَمُّ الْإِمَاءِ الْعَوَاهِرِ الشُّرَدِ كَافِرَةٌ بِالنَّبِيِّ مُؤْمِنَةٌ... |
| بِقَسِّهَا وَالصَّلِيبِ وَالْعُمَدِ يَعْنِي الْمَعْمُودِيَّةَ. |
| فَلَمَّا قَرَأَ خَالِدٌ الْكِتَابَ قَالَ يَا عِبَادَ اللَّهِ مَنْ رَأَى كَهَذِهِ تَعْزِيَةَ رَجُلٍ مِنْ أَخِيهِ ؟ |
| وَكَانَ مَا بَيْنَ خَالِدٍ وَأَبِي شَاكِرٍ مُبَاعَدَةٌ ، وَسَبَبُهَا أَنَّ هِشَامًا يُرَشِّحُ ابْنَهُ أَبَا شَاكِرٍ لِلْخِلَافَةِ ، فَقَالَ الْكُمَيْتُ إِنَّ الْخِلَافَةَ كَائِنٌ أَوْتَادُهَا... |
| بَعْدَ الْوَلِيدِ إِلَى ابْنِ أُمِّ حَكِيمِ يَعْنِي أَبَا شَاكِرٍ ، وَأُمَّهُ أُمَّ حَكِيمٍ ، فَبَلَغَ الشِّعْرُ خَالِدًا فَقَالَ أَنَا كَافِرٌ بِكُلِّ خَلِيفَةٍ يُكَنَّى أَبَا شَاكِرٍ ، فَسَمِعَهَا أَبُو شَاكِرٍ فَحَقَدَهَا عَلَيْهِ. |
| ذِكْرُ شِيعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِخُرَاسَانَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَتْ شِيعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ بِخُرَاسَانَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ سُلَيْمَانَ بْنَ كَثِيرٍ لِيُعْلِمَهُ أَمْرَهُمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدًا تَرَكَ مُكَاتَبَتَهُمْ وَمُرَاسَلَتَهُمْ بِطَاعَتِهِمُ الَّتِي كَانَتْ لِخِدَاشٍ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَقَبُولِهِمْ مِنْهُ مَا رُوِيَ عَنْهُ مِنَ الْكَذِبِ. |
| فَلَمَّا أَبْطَأَتْ كُتُبُهُ وَرُسُلُهُ عَلَيْهِمْ أَرْسَلُوا سُلَيْمَانَ لِيَعْلَمَ الْخَبَرَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَعَنَّفَهُ مُحَمَّدٌ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ صَرَفَ سُلَيْمَانَ إِلَى خُرَاسَانَ وَمَعَهُ كِتَابٌ مَخْتُومٌ ، فَفَضُّوهُ فَلَمْ يَرَ فِيهِ " إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَعَلِمُوا مُخَالَفَةَ خِدَاشٍ لِأَمْرِهِ ، ثُمَّ وَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَيْهِمْ بُكَيْرَ بْنَ مَاهَانَ بَعْدَ عَوْدِ سُلَيْمَانَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَيْهِمْ يُعْلِمُهُمْ كَذِبَ خِدَاشٍ ، فَلَمْ يُصَدِّقُوهُ وَاسْتَخَفُّوا بِهِ ، فَانْصَرَفَ بُكَيْرٌ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَبَعَثَ مَعَهُ بِعِصِيٍّ مُضَبَّبَةٍ بَعْضُهَا بِحَدِيدٍ وَبَعْضُهَا بِنُحَاسٍ ، فَجَمَعَ بُكَيْرٌ النُّقَبَاءَ وَالشِّيعَةَ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَصًا ، فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مُخَالِفُونَ لِسِيرَتِهِ فَتَابُوا وَرَجَعُوا. |
| ذِكْرُ عَزْلِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ وَوِلَايَةِ يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ الثَّقَفِيِّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ خَالِدًا عَنْ أَعْمَالِهِ جَمِيعِهَا ، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ وَسَبَبِهِ. |
| قِيلَ إِنَّ فَرُّوخَ أَبَا الْمُثَنَّى كَانَ عَلَى ضِيَاعِ هِشَامٍ بِنَهْرِ الرُّمَّانِ ، فَثَقُلَ مَكَانُهُ عَلَى خَالِدٍ ، فَقَالَ خَالِدٌ لَحَيَّانَ النَّبَطِيِّ اخْرُجْ إِلَى هِشَامٍ وَزِدْ عَلَى فَرُّوخٍ ، فَفَعَلَ حَيَّانُ ذَلِكَ وَتَوَلَّاهَا ، فَصَارَ حَيَّانُ أَثْقَلَ عَلَى خَالِدٍ مِنْ فَرُّوخٍ ، فَجَعَلَ يُؤْذِيهِ ، فَيَقُولُ حَيَّانُ لَا تُؤْذِنِي وَأَنَا صَنِيعَتُكَ ، فَأَبَى إِلَّا أَذَاهُ. |
| فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ بَثَقَ الْبُثُوقَ عَلَى الضِّيَاعِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى هِشَامٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّ خَالِدًا بَثَقَ الْبُثُوقَ عَلَى ضِيَاعِكَ. |
| فَوَجَّهَ هِشَامٌ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا. |
| فَقَالَ حَيَّانُ لِخَادِمٍ مِنْ خَدَمِ هِشَامٍ إِنْ تَكَلَّمْتَ بِكَلِمَةٍ أَقُولُهَا لَكَ حَيْثُ يَسْمَعُ هِشَامٌ فَلَكَ أَلْفُ دِينَارٍ. |
| قَالَ فَعَجِّلْهَا وَأَقُولُ مَا شِئْتَ ، فَأَعْطَاهُ أَلْفًا وَقَالَ لَهُ تُبْكِي صَبِيًّا مِنْ صِبْيَانِ هِشَامٍ ، فَإِذَا بَكَى فَقُلْ لَهُ اسْكُتْ وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ ابْنُ خَالِدٍ الْقَسْرِيُّ الَّذِي غَلَّتُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفِ أَلْفٍ. |
| فَفَعَلَ الْخَادِمُ ، فَسَمِعَهَا هِشَامٌ ، فَسَأَلَ حَيَّانَ عَنْ غَلَّةِ خَالِدٍ ، فَقَالَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ ، فَوَقَرَتْ فِي نَفْسِ هِشَامٍ. |
| وَقِيلَ كَانَتْ غَلَّتُهُ عِشْرِينَ أَلْفًا ، وَإِنَّهُ حَفَرَ بِالْعِرَاقِ الْأَنْهَارَ ، مِنْهَا نَهْرُ خَالِدٍ ، وَبَاجِرَى ، وَتَارْمَانَا ، وَالْمُبَارَكُ ، وَالْجَامِعُ ، وَكُورَةُ سَابُورَ ، وَالصِّلْحُ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ إِنِّي مَظْلُومٌ ، مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ شَيْءٌ إِلَّا هُوَ لِي ، يَعْنِي أَنَّ عُمَرَ جَعَلَ لِبَجِيلَةَ رُبْعَ السَّوَادِ. |
| وَأَشَارَ عَلَيْهِ الْعُرْيَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ وَبِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ بِعَرْضِ أَمْلَاكِهِ عَلَى هِشَامٍ ، لِيَأْخُذَ مِنْهَا مَا أَرَادَ ، وَيَضْمَنَانِ لَهُ الرِّضَا ، فَإِنَّهُمَا قَدْ بَلَغَهُمَا تَغَيُّرُ هِشَامٍ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ وَلَمْ يُجِبْهُمَا إِلَى شَيْءٍ. |
| وَقِيلَ لِهِشَامٍ إِنَّ خَالِدًا قَالَ لِوَلَدِهِ مَا أَنْتَ بِدُونِ مَسْلَمَةَ بْنِ هِشَامٍ! |
| وَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ آلِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَلَى خَالِدٍ فِي مَجْلِسِهِ ، فَأَغْلَظَ لَهُ فِي الْقَوْلِ ، فَكَتَبَ إِلَى هِشَامٍ يَشْكُو خَالِدًا ، فَكَتَبَ هِشَامٌ إِلَى خَالِدٍ يَذُمُّهُ وَيَلُومُهُ وَيُوَبِّخُهُ وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَمْشِيَ رَاجِلًا إِلَى بَابِهِ وَيَتَرَضَّاهُ ، فَقَدْ جَعَلَ عَزْلَهُ وَوِلَايَتَهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ يَذْكُرُ هِشَامًا فَيَقُولُ ابْنُ الْحَمْقَاءِ ، وَكَانَ خَالِدٌ يَخْطُبُ فَيَقُولُ زَعَمْتُمْ أَنِّي أُغْلِي أَسْعَارَكُمْ ، فَعَلَى مَنْ يُغْلِيهَا لَعْنَةُ اللَّهِ! |
| وَكَانَ هِشَامٌ كَتَبَ إِلَيْهِ أَلَّا تَبِيعَنَّ مِنَ الْغَلَّاتِ شَيْئًا حَتَّى تُبَاعَ غَلَّاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبَلَغَتْ كَيْلَهَا دَرَاهِمَ. |
| وَكَانَ يَقُولُ لِابْنِهِ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا احْتَاجَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| فَبَلَغَ هَذَا جَمِيعُهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامًا فَتَنَكَّرَ لَهُ. |
| وَبَلَغَهُ أَيْضًا أَنَّهُ يَسْتَقِلُّ وِلَايَةَ الْعِرَاقِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامٌ يَابْنَ أُمِّ خَالِدٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ مَا وِلَايَةُ الْعِرَاقِ لِي بِشَرَفٍ. |
| يَابْنَ اللَّخْنَاءِ ، كَيْفَ لَا تَكُونُ إِمْرَةُ الْعِرَاقِ لَكَ شَرَفًا ، وَأَنْتَ مِنْ بَجِيلَةَ الْقَلِيلَةِ الذَّلِيلَةِ ؟ |
| أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَأْتِيكَ صَغِيرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَشُدُّ يَدَيْكَ إِلَى عُنُقِكَ. |
| وَلَمْ يَزَلْ يَبْلُغُهُ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ ، فَعَزَمَ عَلَى عَزْلِهِ ، فَكَتَمَ ذَلِكَ وَكَتَبَ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ ، وَهُوَ بِالْيَمَنِ ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَقْدَمَ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْعِرَاقِ فَقَدْ وَلَّاهُ ذَلِكَ ، فَسَارَ يُوسُفُ إِلَى الْكُوفَةِ فَعَرَّسَ قَرِيبًا مِنْهَا ، وَقَدْ خَتَنَ طَارِقٌ خَلِيفَةُ خَالِدٍ بِالْكُوفَةِ وَلَدَهُ ، فَأَهْدَى إِلَيْهِ أَلْفَ وَصِيفٍ وَوَصِيفَةٍ سِوَى الْأَمْوَالِ وَالثِّيَابِ ، فَمَرَّ بِيُوسُفَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَسَأَلُوهُ مَا أَنْتُمْ وَأَيْنَ تُرِيدُونَ ؟ |
| قَالُوا بَعْضَ الْمَوَاضِعِ. |
| فَأَتَوْا طَارِقًا فَأَخْبَرُوهُ خَبَرَهُمْ وَأَمَرُوهُ بِقَتْلِهِمْ وَقَالُوا إِنَّهُمْ خَوَارِجُ. |
| فَسَارَ يُوسُفُ إِلَى دُورِ ثَقِيفٍ ، فَقِيلَ لَهُمْ مَا أَنْتُمْ ؟ |
| فَكَتَمُوا حَالَهُمْ وَأَمْرَ يُوسُفَ ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ هُنَاكَ مِنْ مُضَرَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا دَخَلَ الْمَسْجِدَ مَعَ الْفَجْرِ وَأَمَرَ الْمُؤَذِّنَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى ، وَأَرْسَلَ إِلَى طَارِقٍ وَخَالِدٍ فَأَخَذَهُمَا وَإِنَّ الْقُدُورَ لَتَغْلِي. |
| وَقِيلَ لَمَّا أَرَادَ هِشَامٌ أَنْ يُوَلِّيَ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ الْعِرَاقَ كَتَمَ ذَلِكَ ، فَقَدِمَ جُنْدُبٌ مَوْلَى يُوسُفَ بِكِتَابِ يُوسُفَ إِلَى هِشَامٍ ، فَقَرَأَهُ ثُمَّ قَالَ لِسَالِمِ بْنِ عَنْبَسَةَ وَهُوَ عَلَى الدِّيوَانِ أَنْ أَجِبْهُ عَنْ لِسَانِكَ وَأْتِنِي بِالْكِتَابِ. |
| وَكَتَبَ هِشَامٌ بِخَطِّهِ كِتَابًا صَغِيرًا إِلَى يُوسُفَ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَكَتَبَ سَالِمٌ الْكِتَابَ وَأَتَى بِهِ هِشَامًا ، فَجَعَلَ كِتَابَهُ فِي وَسَطِهِ وَخَتَمَهُ ، ثُمَّ دَعَا رَسُولَ يُوسُفَ فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ وَمُزِّقَتْ ثِيَابَهُ ، وَدَفَعَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ فَسَارَ. |
| فَارْتَابَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، وَكَانَ خَلِيفَةَ سَالِمٍ ، فَقَالَ هَذِهِ حِيلَةٌ ، وَقَدْ وَلَّى يُوسُفَ الْعِرَاقَ ، فَكَتَبَ إِلَى عِيَاضٍ ، وَهُوَ نَائِبُ سَالِمٍ بِالْعِرَاقِ إِنَّ أَهْلَكَ قَدْ بَعَثُوا إِلَيْكَ بِالثَّوْبِ الْيَمَانِيِّ ، فَإِذَا أَتَاكَ فَالْبَسْهُ ، وَاحَمْدِ اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَعْلِمْ ذَلِكَ طَارِقًا . |
| فَأَعْلَمَ عِيَاضٌ طَارِقَ بْنَ أَبِي زِيَادٍ بِالْكِتَابِ لَهُ. |
| ثُمَّ نَدِمَ بَشِيرٌ عَلَى كِتَابِهِ ، فَكَتَبَ إِلَى عِيَاضٍ إِنَّ أَهْلَكَ قَدْ بَدَا لَهُمْ فِي إِمْسَاكِ الثَّوْبِ. |
| فَأَتَى عِيَاضٌ بِالْكِتَابِ الثَّانِي إِلَى طَارِقٍ ، فَقَالَ طَارِقٌ الْخَبَرُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، وَلَكِنَّ بَشِيرًا نَدِمَ وَخَافَ أَنْ يَظْهَرَ الْخَبَرُ. |
| وَرَكِبَ طَارِقٌ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى خَالِدٍ وَهُوَ بِوَاسِطٍ ، فَرَآهُ دَاوُدُ الْبَرِيدِيُّ ، وَكَانَ عَلَى حِجَابَةِ خَالِدٍ وَدِيوَانِهِ ، فَأَعْلَمَ خَالِدًا ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ مَا أَقْدَمَكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ ؟ |
| قَالَ أَمْرٌ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فِيهِ ، كُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْأَمِيرِ أُعَزِّيهِ بِأَخِيهِ أَسَدٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَجِبُ أَنْ آتِيَهُ مَاشِيًا. |
| فَرَقَّ خَالِدٌ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ ارْجِعْ إِلَى عَمَلِكَ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ لَمَّا غَابَ دَاوُدُ ، قَالَ مَا الرَّأْيُ ؟ |
| قَالَ تَرْكَبُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِمَّا بَلَغَهُ عَنْكَ. |
| قَالَ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ. |
| قَالَ فَتُرْسِلُنِي إِلَيْهِ حَتَّى آتِيَكَ بِإِذْنِهِ. |
| قَالَ وَلَا هَذَا. |
| قَالَ فَأَذْهَبُ فَأَضْمَنُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعَ مَا انْكَسَرَ فِي هَذِهِ السِّنِينَ وَآتِيكَ بِعَهْدِهِ. |
| قَالَ وَكَمْ مَبْلَغُهُ ؟ |
| قَالَ مِائَةُ أَلْفِ أَلْفٍ. |
| قَالَ وَمِنْ أَيْنَ آخُذُهَا ؟ |
| وَاللَّهِ مَا أَجِدُ عَشَرَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ! |
| قَالَ أَتَحَمَّلُ أَنَا وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ. |
| قَالَ إِنِّي إِذًا لَلَئِيمٌ إِنْ كُنْتُ أَعْطَيْتُهُمْ شَيْئًا وَأَعُودُ فِيهِ. |
| فَقَالَ طَارِقٌ إِنَّمَا نَفْدِيكَ وَنَفْدِي أَنْفُسَنَا بِأَمْوَالِنَا وَتُسْتَأْنَفُ الدُّنْيَا ، وَتَبْقَى النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجِيءَ مَنْ يُطَالِبُنَا بِالْأَمْوَالِ وَهِيَ عِنْدَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَيَتَرَبَّصُونَ فَنُقْتَلُ وَيَأْكُلُونَ تِلْكَ الْأَمْوَالَ . |
| فَأَبَى خَالِدٌ. |
| فَوَدَّعَهُ طَارِقٌ وَبَكَى وَقَالَ هَذَا آخِرُ مَا نَلْتَقِي فِي الدُّنْيَا. |
| وَمَضَى إِلَى الْكُوفَةِ وَخَرَجَ خَالِدٌ إِلَى الْجَمَّةِ. |
| وَقَدِمَ رَسُولُ يُوسُفَ عَلَيْهِ الْيَمَنَ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَاخِطٌ ، وَقَدْ ضَرَبَنِي وَلَمْ يَكْتُبْ جَوَابَ كِتَابِكَ ، وَهَذَا كِتَابُ سَالِمٍ صَاحِبِ الدِّيوَانِ. |
| فَقَرَأَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ قَرَأَ كِتَابَ هِشَامٍ بِخَطِّهِ وَوِلَايَةِ الْعِرَاقِ ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَأْخُذَ ابْنَ النَّصْرَانِيَّةِ ، يَعْنِي خَالِدًا ، وَعُمَّالَهُ وَيُعَذِّبَهُمْ حَتَّى يَشْتَفِيَ. |
| فَأَخَذَ دَلِيلًا وَسَارَ مِنْ يَوْمِهِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْيَمَنِ ابْنَهُ الصَّلْتَ ، فَقَدِمَ الْكُوفَةَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ فَنَزَلَ النَّجَفَ ، وَأَرْسَلَ مَوْلَاهُ كَيْسَانَ وَقَالَ انْطَلِقْ فَأْتِنِي بِطَارِقٍ ، فَإِنْ أَقْبَلَ فَاحْمِلْهُ عَلَى إِكَافٍ ، وَإِنْ لَمْ يُقْبِلْ فَأْتِ بِهِ سَحْبًا. |
| فَأَتَى كَيْسَانُ الْحِيرَةَ فَأَخَذَ مَعَهُ عَبْدَ الْمَسِيحِ سَيِّدَ أَهْلِهَا إِلَى طَارِقٍ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ يُوسُفَ قَدْ قَدِمَ عَلَى الْعِرَاقِ وَهُوَ يَسْتَدْعِيكَ. |
| فَقَالَ طَارِقٌ لَكَيْسَانَ إِنْ أَرَادَ الْأَمِيرُ الْمَالَ أَعْطَيْتُهُ مَا سَأَلَ. |
| وَأَقْبَلُوا بِهِ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ فَتَوَافَوْا بِالْحِيرَةِ ، فَضَرَبَهُ ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، يُقَالُ خَمْسُمِائَةِ سَوْطٍ ، وَدَخَلَ الْكُوفَةَ ، وَأَرْسَلَ عَطَاءَ بْنَ مُقَدِّمٍ إِلَى خَالِدٍ بِالْجَمَّةِ ، فَأَتَى الرَّسُولُ حَاجِبَهُ وَقَالَ اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى أَبِي الْهَيْثَمِ ، فَدَخَلَ عَلَى خَالِدٍ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ، فَقَالَ خَالِدٌ مَا لَكَ ؟ |
| قَالَ خَيْرٌ. |
| قَالَ مَا عِنْدَكَ خَيْرٌ! |
| قَالَ عَطَاءٌ قَالَ اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى أَبِي الْهَيْثَمِ. |
| فَقَالَ ايذَنْ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ وَيْلُ أُمِّهَا سَخْطَةٌ! |
| ثُمَّ أَخَذَهُ فَحَبَسَهُ ، وَصَالَحَهُ عَنْهُ أَبَانُ بْنُ الْوَلِيدِ وَأَصْحَابُهُ عَلَى تِسْعَةِ آلَافِ أَلْفٍ ، فَقِيلَ لِيُوسُفَ لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَأَخَذْتَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ أَلْفٍ ، فَنَدِمَ وَقَالَ قَدْ رَهَنْتُ لِسَانِي مَعَهُ وَلَا آمَنُ وَلَا أَرْجِعُ. |
| وَأَخْبَرَ أَصْحَابُ خَالِدٍ خَالِدًا فَقَالَ قَدْ أَخْطَأْتُمْ وَلَا آمَنُ أَنْ يَأْخُذَهَا ثُمَّ يَعُودُ ، ارْجِعُوا ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ خَالِدًا لَمْ يَرْضَ ، فَقَالَ قَدْ رَجَعْتُمْ ؟ |
| قَالُوا نَعَمْ. |
| قَالَ وَاللَّهِ لَا أَرْضَى بِمِثْلِهَا وَلَا مِثْلَيْهَا ، فَأَخَذَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقِيلَ أَخَذَ مِائَةَ أَلْفٍ. |
| فَأَرْسَلَ يُوسُفَ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ ، فَقَبَضَهُ ، وَكَانَ قَدِ اتَّخَذَ بِلَالٌ بِالْكُوفَةِ دَارًا لَمْ يَنْزِلْهَا ، فَأَحْضَرَهُ يُوسُفُ مُقَيَّدًا فَأَنْزَلَهُ الدَّارَ ، ثُمَّ جُعِلَتْ سِجْنًا. |
| وَكَانَ خَالِدٌ يَصِلُ الْهَاشِمِيِّينَ وَيَبَرُّهُمْ ، فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ لِيَسْتَحْمِيَهُ فَلَمْ يَرَ مِنْهُ مَا يُحِبُّ ، فَقَالَ أَمَّا الصِّلَةُ فَلِلْهَاشِمِيِّينَ ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ يَلْعَنُ عَلِيًّا ، فَبَلَغَتْ خَالِدًا فَقَالَ إِنْ أَحَبَّ نِلْنَا عُثْمَانَ بِشَيْءٍ. |
| وَكَانَ خَالِدٌ مَعَ هَذَا يُبَالِغُ فِي سَبِّ عَلِيٍّ ، فَقِيلَ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ نَفْيًا لِلتُّهْمَةِ ، وَتَقَرُّبًا إِلَى الْقَوْمِ. |
| وَكَانَتْ وِلَايَةُ خَالِدٍ الْعِرَاقَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَةٍ ، وَعُزِلَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، وَلَمَّا وَلِيَ يُوسُفُ الْعِرَاقَ كَانَ الْإِسْلَامُ ذَلِيلًا وَالْحُكْمُ فِيهِ إِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ نَوْفَلَ فِيهِ أَتَانَا وَأَهْلُ الشِّرْكِ أَهْلُ زَكَاتِنَا... |
| وَحُكَّامُنَا فِيمَا نُسِرُّ وَنَجْهَرُ فَلَمَّا أَتَانَا يُوسُفُ الْخَيْرِ أَشْرَقَتْ... |
| لَهُ الْأَرْضُ حَتَّى كُلُّ وَادٍ مُنَوَّرُ وَحَتَّى رَأَيْنَا الْعَدْلَ فِي النَّاسِ ظَاهِرًا... |
| وَمَا كَانَ مِنْ قِبَلِ الْعُقَيْلِيِّ يَظْهَرُ فِي أَبْيَاتٍ. |
| ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ أَرَانَا وَالْخَلِيفَةُ إِذْ رَمَانَا... |
| مَعَ الْإِخْلَاصِ بِالرَّجُلِ الْجَدِيدِ كَأَهْلِ النَّارِ حِينَ دَعَوْا أُغِيثُوا... |
| جَمِيعًا بِالْحَمِيمِ وَبِالصَّدِيدِ وَكَانَ فِي يُوسُفَ أَشْيَاءُ مُتَبَايِنَةٌ مُتَنَاقِضَةٌ ، كَانَ طَوِيلَ الصَّلَاةِ ، مُلَازِمًا لِلْمَسْجِدِ ، ضَابِطًا لِحَشَمِهِ وَأَهْلِهِ عَنِ النَّاسِ ، لَيِّنَ الْكَلَامِ ، مُتَوَاضِعًا ، حَسَنَ الْمَلَكَةِ ، كَثِيرَ التَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ ، فَكَانَ يُصَلِّي الصُّبْحَ وَلَا يُكَلِّمُ أَحَدًا حَتَّى يُصَلِّيَ الضُّحَى ، يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَضَرَّعُ ، وَكَانَ بَصِيرًا بِالشِّعْرِ وَالْأَدَبِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْعُقُوبَةِ مُسْرِفًا فِي ضَرْبِ الْأَبْشَارِ ، فَكَانَ يَأْخُذُ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ فَيُمِرُّ ظُفْرَهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ تَعَلَّقَ بِهِ طَاقُهُ ضَرَبَ صَاحِبَهُ وَرُبَّمَا قَطَعَ يَدَهُ. |
| وَكَانَ أَحْمَقَ ، أُتِيَ يَوْمًا بِثَوْبٍ فَقَالَ لِكَاتِبِهِ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الثَّوْبِ ؟ |
| فَقَالَ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ بُيُوتُهُ أَصْغَرَ مِمَّا هِيَ. |
| فَقَالَ لِلْحَائِكِ صَدَقَ يَابْنَ اللَّخْنَاءِ! |
| فَقَالَ الْحَائِكُ نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَذَا. |
| فَقَالَ لِكَاتِبِهِ صَدَقَ يَابْنَ اللَّخْنَاءِ. |
| فَقَالَ الْكَاتِبُ هَذَا يَعْمَلُ فِي السَّنَةِ ثَوْبًا أَوْ ثَوْبَيْنِ ، وَأَنَا يَمُرُّ عَلَى يَدَيَّ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةُ ثَوْبٍ مِثْلَ هَذَا. |
| فَقَالَ لِلْحَائِكِ صَدَقَ يَابْنَ اللَّخْنَاءِ! |
| فَلَمْ يَزَلْ يُكَذِّبُ هَذَا مَرَّةً وَهَذَا مَرَّةً حَتَّى عَدَّ أَبْيَاتَ الثَّوْبِ فَوَجَدَهَا تَنْقُصُ بَيْتًا مِنْ أَحَدِ جَانِبَيِ الثَّوْبِ ، فَضَرَبَ الْحَائِكَ مِائَةَ سَوْطٍ. |
| وَقِيلَ إِنَّ يُوسُفَ أَرَادَ السَّفَرَ فَدَعَا جَوَارِيَهُ فَقَالَ لِإِحْدَاهُنَّ تَخْرُجِينَ مَعِي ؟ |
| قَالَتْ نَعَمْ. |
| قَالَ يَا خَبِيثَةُ كُلُّ هَذَا مِنْ حُبِّ النِّكَاحِ ، يَا خَادِمُ اضْرِبْ رَأْسَهَا. |
| وَقَالَ لِأُخْرَى مَا تَقُولِينَ ؟ |
| فَقَالَتْ أُقِيمُ عَلَى وَلَدِي. |
| فَقَالَ يَا خَبِيثَةُ أَكُلُّ هَذَا زَهَادَةٌ فِيَّ ؟ |
| اضْرِبْ رَأْسَهَا. |
| وَقَالَ لِثَالِثَةٍ مَا تَقُولِينَ ؟ |
| قَالَتْ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ ، إِنْ قُلْتُ مَا قَالَتْ إِحْدَاهُمَا لَمْ آمَنْ عُقُوبَتَكَ. |
| فَقَالَ يَا لَخْنَاءُ أَوَتُنَاقِضِينَ وَتَحْتَجِّينَ ؟ |
| اضْرِبْ رَأْسَهَا. |
| فَضَرَبَ الْجَمِيعَ. |
| وَكَانَ قَصِيرًا عَظِيمَ اللِّحْيَةِ ، وَكَانَ يُحْضِرُ الثَّوْبَ الطَّوِيلَ لِيُفَصِّلَهُ لِيَلْبَسَهُ ، فَإِنْ قَالَ الْخَيَّاطُ إِنَّهُ يُفَصِّلُ مِنْهُ ضَرَبَهُ ، فَإِنْ قَالَ لَهُ الْخَيَّاطُ لَا يَكْفِينَا إِلَّا بَعْدَ التَّصَرُّفِ فِي التَّفْصِيلِ ، سَرَّهُ ، فَكَانُوا يُفَصِّلُونَ لَهُ ثِيَابًا طِوَالًا وَيَأْخُذُونَ مَا يَنْبَغِي مِنَ الثَّوْبِ يُوهِمُونَهُ أَنَّ الثَّوْبَ لَمْ يَكْفِهِ فَيَرْضَى بِذَلِكَ. |
| وَلَهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَشْيَاءُ نَوَادِرُ ، مِنْهَا أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِكَاتِبٍ لَهُ مَا حَبَسَكَ ؟ |
| قَالَ اشْتَكَيْتُ ضِرْسِي ، فَدَعَا بِحَجَّامٍ يَقْلَعُهُ وَمَعَهُ ضِرْسٌ آخَرُ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ الْكِنَانِيِّ خُرَاسَانَ لَمَّا مَاتَ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اسْتَشَارَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنَ سُلَيْطٍ الْحَنَفِيَّ ، وَكَانَ عَالِمًا بِخُرَاسَانَ ، فِيمَنْ يُوَلِّيهِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّا رَجُلُ خُرَاسَانَ حَزْمًا وَنَجْدَةً فَالْكَرْمَانِيُّ. |
| فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَقَالَ مَا اسْمُهُ ؟ |
| قَالَ جُدَيْعُ بْنُ عَلِيٍّ. |
| قَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَتَطَيَّرَ ، قَالَ فَالْمُسِنُّ الْمُجَرِّبُ يَحْيَى بْنُ نُعَيْمِ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيُّ. |
| قَالَ رَبِيعَةُ لَا تُسَدُّ بِهَا الثُّغُورُ. |
| قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي كَرِهَ رَبِيعَةَ وَالْيَمَنَ فَأَرْمِيهِ بِمُضَرَ ، فَقُلْتُ عَقِيلُ بْنُ مَعْقِلٍ اللِّيثِيُّ إِنْ غَفَرْتَ هَنَةً. |
| قَالَ مَا هِيَ ؟ |
| قُلْتُ لَيْسَ بِالْعَفِيفِ. |
| قَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ. |
| قُلْتُ مَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْخَرْقَاءِ السُّلَمِيُّ إِنْ غَفَرْتَ نُكْرَهُ فَإِنَّهُ مَشْئُومٌ. |
| قَالَ غَيْرُهُ. |
| قُلْتُ فَالْمُجَشِّرُ بْنُ مُزَاحِمٍ السُّلَمِيُّ; عَاقِلٌ شُجَاعٌ لَهُ رَأْيٌ مَعَ كَذِبٍ فِيهِ. |
| قَالَ لَا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ. |
| قُلْتُ يَحْيَى بْنُ الْحُضَيْنِ. |
| قَالَ أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ رَبِيعَةَ لَا تُسَدُّ بِهَا الثُّغُورُ ؟ |
| قَالَ فَقُلْتُ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ. |
| قَالَ هُوَ لَهَا. |
| قُلْتُ إِنْ غَفَرْتَ وَاحِدَةً ، فَإِنَّهُ عَفِيفٌ مُجَرِّبٌ عَاقِلٌ. |
| قَالَ مَا هِيَ ؟ |
| قُلْتُ عَشِيرَتُهُ بِهَا قَلِيلَةٌ. |
| قَالَ لَا أَبَا لَكَ! |
| أَتُرِيدُ عَشِيرَةً أَكْثَرَ مِنِّي ؟ |
| أَنَا عَشِيرَتُهُ. |
| فَكَتَبَ عَهْدَهُ وَبَعَثَهُ مَعَ عَبْدِ الْكَرِيمِ. |
| وَقَدْ قِيلَ عُرِضَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ الشِّخِّيرِ ، وَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ صَاحِبُ شَرَابٍ ، وَقِيلَ لَهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحُضَيْنِ إِنَّهُ كَثِيرُ التِّيهِ ، وَقِيلَ لَهُ عَنْ قَطَنِ بْنِ قُتَيْبَةَ إِنَّهُ مَوْتُورٌ ، فَلَمْ يُوَلِّهِمْ فَاسْتَعْمَلَ نَصْرًا. |
| وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ حَنْظَلَةَ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ أَسَدٌ عَلَى خُرَاسَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ قَدْ عَرَضَ عَلَى نَصْرٍ أَنْ يُوَلِّيَهُ بُخَارَى ، فَاسْتَشَارَ الْبَخْتَرِيَّ بْنَ مُجَاهِدٍ مَوْلَى بَنِي شَيْبَانَ ، فَقَالَ لَهُ لَا تَقْبَلْهَا لِأَنَّكَ شَيْخُ مُضَرَ بِخُرَاسَانَ ، وَكَأَنَّكَ بِعَهْدِكَ قَدْ جَاءَ عَلَى خُرَاسَانَ كُلِّهَا. |
| فَلَمَّا أَتَاهُ عَهْدُهُ بَعَثَ إِلَى الْبَخْتَرِيِّ لِيَأْتِيَهُ ، فَقَالَ الْبَخْتَرِيُّ لِأَصْحَابِهِ قَدْ وَلِيَ نَصْرٌ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا أَتَاهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ ، فَقَالَ لَهُ مَنْ أَيْنَ عَلِمْتَ ؟ |
| قَالَ كُنْتَ تَأْتِينِي ، فَلَمَّا بَعَثْتَ إِلَيَّ عَلِمْتُ أَنَّكَ قَدْ وَلِيتَ. |
| وَأَعْطَى نَصْرٌ عَبْدَ الْكَرِيمِ لَمَّا أَتَاهُ بِعَهْدِهِ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى بَلْخٍ مُسْلِمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى مَرْوِ الرُّوذِ وَسَّاجَ بْنَ بُكَيْرِ بْنِ وَسَّاجٍ ، وَعَلَى هَرَاةَ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَشْرَجِ ، وَعَلَى نَيْسَابُورَ زِيَادَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُشَيْرِيَّ ، وَعَلَى خَوَارِزْمَ أَبَا حَفْصِ بْنَ عَلِيٍّ خَتَنَهُ ، وَعَلَى الصُّغْدِ قَطَنَ بْنَ قُتَيْبَةَ. |
| قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَانِيَّةِ مَا رَأَيْتُ عَصَبِيَّةً مِثْلَ هَذَا. |
| قَالَ بَلَى ، الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا ، فَلَمْ يَسْتَعْمِلْ أَرْبَعَ سِنِينَ إِلَّا مُضَرِيًّا. |
| وَعُمِرَتْ خُرَاسَانُ عِمَارَةً لَمْ تُعْمَرْ قَبْلَهَا ، وَأَحْسَنَ الْوِلَايَةَ وَالْجِبَايَةَ ، فَقَالَ سَوَّارُ بْنُ الْأَشْعَرِ أَضْحَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَ الْخَوْفِ آمِنَةً... |
| مِنْ ظُلْمِ كُلِّ غَشُومِ الْحُكْمِ جَبَّارِ لَمَّا أَتَى يُوسُفًا أَخْبَارُ مَا لَقِيَتْ... |
| اخْتَارَ نَصْرًا لَهَا نَصْرَ بْنَ سَيَّارِ وَأَتَى نَصْرًا عَهْدَهُ فِي رَجَبٍ سَنَةَ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الصَّائِفَةَ ، وَافْتَتَحَ سَنْدَرَةَ. |
| وَفِيهَا غَزَا إِسْحَاقُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعُقَيْلِيُّ تُومَانْشَاهْ ، وَافْتَتَحَ قِلَاعَهَا وَخَرَّبَ أَرْضَهَا. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيُّ ، وَقِيلَ حَجَّ بِهِمْ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقِيلَ أَخُوهُ يَزِيدُ بْنُ هِشَامٍ. |
| وَكَانَ الْعَامِلَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ ، وَعَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ ، وَقَدْ أَمَرَهُ هِشَامٌ أَنْ يُكَاتِبَ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ ، وَقِيلَ كَانَ عَلَيْهَا جَعْفَرُ بْنُ حَنْظَلَةَ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيُّ ، اسْتَعْمَلَهُ يُوسُفُ ، وَعَلَى قَضَائِهَا عَامِرُ بْنُ عُبَيْدَةَ ، وَعَلَى إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ ابْنُ شُبْرُمَةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ فِي أَصَحِّ الْأَقْوَالِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقِيلَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ بِالشَّامِ . |
| وَفِيهَا مَاتَ قَيْسُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ. |
| وَحَمَّادُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْفَقِيهُ ، وَوَاقِدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ مُدْرِكٍ النَّخَعِيُّ الْكُوفِيُّ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ الْكُوفِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَةً ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَةً ذِكْرُ ظُهُورِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ الرُّومَ فَافْتَتَحَ بِهَا مَطَامِيرَ. |
| قِيلَ إِنَّ زَيْدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قُتِلَ هَذِهِ السَّنَةَ ، وَقِيلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْآنَ سَبَبَ خِلَافِهِ عَلَى هِشَامٍ وَبَيْعَتِهِ ، وَنَذْكُرُ قَتْلَهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ. |
| قَدِ اخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ خِلَافِهِ ، فَقِيلَ إِنَّ زَيْدًا وَدَاوُدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَدِمُوا عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ بِالْعِرَاقِ فَأَجَازَهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا وَلِيَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى هِشَامٍ بِذَلِكَ ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّ خَالِدًا ابْتَاعَ مِنْ زَيْدٍ أَرْضًا بِالْمَدِينَةِ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، ثُمَّ رَدَّ الْأَرْضَ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ هِشَامٌ إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ إِلَيْهِ فَفَعَلَ ، فَسَأَلَهُمْ هِشَامٌ عَنْ ذَلِكَ فَأَقَرُّوا بِالْجَائِزَةِ ، وَأَنْكَرُوا مَا سِوَى ذَلِكَ وَحَلَفُوا ، فَصَدَّقَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ لِيُقَابِلُوا خَالِدًا ، فَسَارُوا عَلَى كُرْهٍ وَقَابَلُوا خَالِدًا ، فَصَدَّقَهُمْ ، فَعَادَوْا نَحْوَ الْمَدِينَةِ. |
| فَلَمَّا نَزَلُوا الْقَادِسِيَّةَ رَاسَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ زَيْدًا فَعَادَ إِلَيْهِمْ. |
| وَقِيلَ بَلِ ادَّعَى خَالِدٌ الْقَسْرِيُّ أَنَّهُ أَوْدَعَ زَيْدًا وَدَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ وَنَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ مَالًا ، فَكَتَبَ يُوسُفُ بِذَلِكَ إِلَى هِشَامٍ ، فَأَحْضَرَهُمْ هِشَامٌ مِنَ الْمَدِينَةِ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى يُوسُفَ لِيَجْمَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَالِدٍ فَقَدِمُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ يُوسُفُ لِزَيْدٍ إِنَّ خَالِدًا زَعَمَ أَنَّهُ أَوْدَعَكَ. |
| قَالَ كَيْفَ يُودِعُنِي وَهُوَ يَشْتُمُ آبَائِي عَلَى مِنْبَرِهِ! |
| فَأَرْسَلَ إِلَى خَالِدٍ فَأَحْضَرَهُ فِي عَبَاءَةٍ ، فَقَالَ هَذَا زَيْدٌ قَدْ أَنْكَرَ أَنَّكَ قَدْ أَوْدَعْتَهُ شَيْئًا. |
| فَنَظَرَ خَالِدٌ إِلَيْهِ وَإِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لِيُوسُفَ أَتُرِيدُ أَنْ تَجْمَعَ مَعَ إِثْمِكَ فِيَّ إِثْمًا فِي هَذَا ؟ |
| كَيْفَ أُودِعُهُ وَأَنَا أَشْتُمُهُ وَأَشْتُمُ آبَاءَهُ عَلَى الْمِنْبَرِ! |
| فَقَالُوا لِخَالِدٍ مَا دَعَاكَ إِلَى مَا صَنَعْتَ ؟ |
| قَالَ شَدَّدَ عَلَيَّ الْعَذَابَ فَادَّعَيْتُ ذَلِكَ ، وَأَمَلْتُ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ بِفَرَجٍ قَبْلَ قُدُومِكُمْ. |
| فَرَجَعُوا وَأَقَامَ زَيْدٌ وَدَاوُدُ بِالْكُوفَةِ. |
| قِيلَ إِنَّ يَزِيدَ بْنَ خَالِدٍ الْقَسْرِيَّ هُوَ الَّذِي ادَّعَى الْمَالَ وَدِيعَةً عِنْدَ زَيْدٍ. |
| فَلَمَّا أَمَرَهُمْ هِشَامٌ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ إِلَى يُوسُفَ اسْتَقَالُوهُ خَوْفًا مِنْ شَرِّ يُوسُفَ وَظُلْمِهِ ، فَقَالَ أَنَا أَكْتُبُ إِلَيْهِ بِالْكَفِّ عَنْكُمْ ، وَأُلْزِمُهُمْ بِذَلِكَ ، فَسَارُوا عَلَى كُرْهٍ. |
| وَجَمَعَ يُوسُفُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَزِيدَ ، فَقَالَ يَزِيدُ مَا لِي عِنْدَهُمْ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ. |
| قَالَ يُوسُفُ أَبِي تَهْزَأُ أَمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| فَعَذَّبَهُ يَوْمَئِذٍ عَذَابًا كَادَ يُهْلِكُهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْفِرَّاشِينَ فَضُرِبُوا وَتَرَكَ زَيْدًا. |
| ثُمَّ اسْتَحْلَفَهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ ، فَلَحِقُوا بِالْمَدِينَةِ ، وَأَقَامَ زَيْدٌ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ زَيْدٌ قَدْ قَالَ لِهِشَامٍ لَمَّا أَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى يُوسُفَ مَا آمَنُ إِنْ بَعَثْتَنِي إِلَيْهِ أَنْ لَا نَجْتَمِعَ أَنَا وَأَنْتَ حَيَّيْنِ أَبَدًا. |
| قَالَ لَا بُدَّ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ. |
| وَقِيلَ كَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ زَيْدًا كَانَ يُخَاصِمُ ابْنَ عَمِّهِ جَعْفَرَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي وِلَايَةِ وُقُوفِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ زَيْدٌ يُخَاصِمُ عَنْ بَنِي الْحُسَيْنِ ، وَجَعْفَرٌ يُخَاصِمُ عَنْ بَنِي الْحَسَنِ ، فَكَانَا يَتَبَالَغَانِ بَيْنَ يَدَيِ الْوَالِي إِلَى كُلِّ غَايَةٍ وَيَقُومَانِ فَلَا يُعِيدَانِ مِمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا حَرْفًا. |
| فَلَمَّا مَاتَ جَعْفَرٌ نَازَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ ، فَتَنَازَعَا يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْحَارِثِ بِالْمَدِينَةِ ، فَأَغْلَظَ عَبْدُ اللَّهِ لِزَيْدٍ وَقَالَ يَابْنَ السِّنْدِيَّةِ! |
| فَضَحِكَ زَيْدٌ وَقَالَ قَدْ كَانَ إِسْمَاعِيلُ لِأَمَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ صَبَرَتْ بَعْدَ وَفَاةِ سَيِّدِهَا إِذْ لَمْ يَصْبِرْ غَيْرُهَا يَعْنِي فَاطِمَةَ ابْنَةَ الْحُسَيْنِ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّهَا تَزَوَّجَتْ بَعْدَ أَبِيهِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ ، ثُمَّ نَدِمَ زَيْدٌ وَاسْتَحْيَا مِنْ فَاطِمَةَ ، وَهِيَ عَمَّتُهُ ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهَا زَمَانًا ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ يَابْنَ أَخِي إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ أُمَّكَ عِنْدَكَ كَأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَهُ. |
| وَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بِئْسَ مَا قُلْتَ لِأُمِّ زَيْدٍ! |
| أَمَا وَاللَّهِ لَنِعْمَ دَخِيلَةُ الْقَوْمِ كَانَتْ! |
| قَالَ فَذَكَرَ أَنَّ خَالِدًا قَالَ لَهُمَا اغْدُوَا عَلَيْنَا غَدًا ، فَلَسْتُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ إِنْ لَمْ أَفْصِلْ بَيْنَكُمَا. |
| فَبَاتَتِ الْمَدِينَةُ تَغْلِي كَالْمِرْجَلِ ، يَقُولُ قَائِلٌ قَالَ زَيْدٌ كَذَا ، وَيَقُولُ قَائِلٌ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كَذَا. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ جَلَسَ خَالِدٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَمِنْ بَيْنَ شَامِتٍ وَمَهْمُومٍ ، فَدَعَا بِهِمَا خَالِدٌ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَتَشَاتَمَا ، فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ زَيْدٌ لَا تَعْجَلْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَعْتَقَ زَيْدٌ مَا يَمْلِكُ إِنْ خَاصَمَكَ إِلَى خَالِدٍ أَبَدًا. |
| ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى خَالِدٍ فَقَالَ جَمَعْتَ ذُرِّيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَمْرٍ مَا كَانَ يَجْمَعُهُمْ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ! |
| فَقَالَ خَالِدٌ أَمَا لِهَذَا السَّفِيهِ أَحَدٌ ؟ |
| فَتَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ آلِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فَقَالَ يَابْنَ أَبِي تُرَابٍ وَابْنَ حُسَيْنٍ السَّفِيهَ! |
| أَمَا تَرَى لِلْوَالِي عَلَيْكَ حَقًّا وَلَا طَاعَةً ؟ |
| فَقَالَ زَيْدٌ اسْكُتْ أَيُّهَا الْقَحْطَانِيُّ فَإِنَّا لَا نُجِيبُ مِثْلَكَ. |
| قَالَ وَلِمَ تَرْغَبُ عَنِّي ؟ |
| فَوَاللَّهِ إِنِّي لَخَيْرٌ مِنْكَ ، وَأَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ ، وَأُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمِّكَ. |
| فَتَضَاحَكَ زَيْدٌ وَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَذَا الدِّينُ قَدْ ذَهَبَ فَذَهَبَتِ الْأَحْسَابُ ، فَوَاللَّهِ لَيَذْهَبُ دِينُ الْقَوْمِ وَمَا تَذْهَبُ أَحْسَابُهُمْ. |
| فَتَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَاقِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ كَذَبْتَ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْقَحْطَانِيُّ! |
| فَوَاللَّهِ لَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا وَأُمًّا وَأَبًا وَمَحْتِدًا! |
| وَتَنَاوَلَهُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ ، وَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ وَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا لَنَا عَلَى هَذَا مِنْ صَبْرٍ. |
| وَشَخَصَ زَيْدٌ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَعَلَ هِشَامٌ لَا يَأْذَنُ لَهُ ، فَيَرْفَعُ إِلَيْهِ الْقِصَصَ ، فَكُلَّمَا رَفَعَ قِصَّةً يَكْتُبُ هِشَامٌ فِي أَسْفَلِهَا ارْجِعْ إِلَى أَمِيرِكَ. |
| فَيَقُولُ زَيْدٌ وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَى خَالِدٍ أَبَدًا. |
| ثُمَّ أَذِنَ لَهُ يَوْمًا بَعْدَ طُولِ حَبْسٍ ، وَرَقِيَ عَلِّيَّةً طَوِيلَةً ، وَأَمَرَ خَادِمًا أَنْ يَتْبَعَهُ بِحَيْثُ لَا يَرَاهُ زَيْدٌ وَيَسْمَعَ مَا يَقُولُ ، فَصَعِدَ زَيْدٌ ، وَكَانَ بَدِينًا ، فَوَقَفَ فِي بَعْضِ الدَّرَجَةِ ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ وَاللَّهِ لَا يُحِبُّ الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا ذَلَّ. |
| ثُمَّ صَعِدَ إِلَى هِشَامٍ فَحَلَفَ لَهُ عَلَى شَيْءٍ ، فَقَالَ لَا أُصَدِّقُكَ. |
| فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدًا عَنْ أَنْ يَرْضَى بِاللَّهِ ، وَلَمْ يَضَعْ أَحَدًا عَنْ أَلَّا يَرْضَى بِذَلِكَ مِنْهُ. |
| فَقَالَ هِشَامٌ لَقَدْ بَلَغَنِي يَا زَيْدُ أَنَّكَ تَذْكُرُ الْخِلَافَةَ وَتَتَمَنَّاهَا ، وَلَسْتَ هُنَالِكَ وَأَنْتَ ابْنُ أَمَةٍ. |
| قَالَ زَيْدٌ إِنَّ لَكَ جَوَابًا. |
| قَالَ فَتَكَلَّمْ. |
| قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَوْلَى بِاللَّهِ ، وَلَا أَرْفَعَ دَرَجَةً عِنْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ ابْتَعَثَهُ ، وَقَدْ كَانَ إِسْمَاعِيلُ ابْنَ أَمَةٍ ، وَأَخُوهُ ابْنَ صَرِيحَةٍ فَاخْتَارَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَخْرَجَ مِنْهُ خَيْرَ الْبَشَرِ ، وَمَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ ذَلِكَ إِذْ كَانَ جَدُّهُ رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَبُوهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ مَا كَانَتْ أُمُّهُ أَمَةً. |
| قَالَ لَهُ هِشَامٌ اخْرُجْ. |
| قَالَ أَخْرُجُ ثُمَّ لَا أَكُونُ إِلَّا بِحَيْثُ تَكْرَهُ. |
| فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ يَا أَبَا الْحُسَيْنِ لَا تُظْهِرَنَّ هَذَا مِنْكَ. |
| فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَسَارَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أُذَكِّرُكَ اللَّهَ يَا زَيْدُ لَمَّا لَحِقْتَ بِأَهْلِكَ وَلَا تَأْتِ أَهْلَ الْكُوفَةِ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَفُونَ لَكَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ. |
| فَقَالَ لَهُ خَرَجَ بِنَا أُسَرَاءُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ مِنِ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، ثُمَّ إِلَى الْعِرَاقِ إِلَى قَيْسِ ثَقِيفٍ يَلْعَبُ بِنَا ، وَقَالَ بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الْحُتُوفَ كَأَنَّنِي... |
| أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الْحَيَاةِ بِمَعْزِلِ فَأَجَبْتُهَا إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْهَلٌ... |
| لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنْهَلِ إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ... |
| مِثْلَى إِذَا نَزَلُوا بِضَيْقِ الْمَنْزِلِ فَاقْنَيْ حَيَاءَكِ لَا أَبَا لَكِ وَاعْلَمِي... |
| أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ أَسَتُودِعُكَ اللَّهَ وَإِنِّي أُعْطِي اللَّهَ عَهْدًا إِنْ دَخَلَتْ يَدٌ فِي طَاعَةِ هَؤُلَاءِ مَا عِشْتُ. |
| وَفَارَقَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَأَقَامَ بِهَا مُسْتَخْفِيًا يَتَنَقَّلُ فِي الْمَنَازِلِ ، وَأَقْبَلَتِ الشِّيعَةُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ تُبَايِعُهُ ، فَبَايَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ ، وَنَصْرُ بْنُ خُزَيْمَةَ الْعَبْسِيُّ ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَنَاسٌ مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَتْ بَيْعَتُهُ إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجِهَادِ الظَّالِمِينَ ، وَالدَّفْعِ عَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَإِعْطَاءِ الْمَحْرُومِينَ ، وَقَسْمِ هَذَا الْفَيْءِ بَيْنَ أَهْلِهِ بِالسَّوَاءِ ، وَرَدِّ الْمَظَالِمِ ، وَنَصْرِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، أَتُبَايِعُونَ عَلَى ذَلِكَ ؟ |
| فَإِذَا قَالُوا نَعَمْ ، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَيَقُولُ عَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّتُهُ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَفِيَنَّ بِبَيْعَتِي ، وَلَتُقَاتِلَنَّ عَدُوِّي ، وَلَتَنْصَحَنَّ لِي فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِذَا قَالَ نَعَمْ ، مَسَحَ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ. |
| فَبَايَعَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَقِيلَ أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالِاسْتِعْدَادِ ، فَأَقْبَلَ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَفِيَ لَهُ وَيَخْرُجَ مَعَهُ وَيَسْتَعِدَّ وَيَتَهَيَّأَ ، فَشَاعَ أَمْرُهُ فِي النَّاسِ. |
| هَذَا عَلَى قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَتَى الْكُوفَةَ مِنَ الشَّامِ ، وَاخْتَفَى بِهَا يُبَايِعُ النَّاسَ ، وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَتَى إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ لِمُوَافَقَةِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ أَوِ ابْنِهِ يَزِيدَ بْنِ خَالِدٍ ، فَإِنَّ زَيْدًا أَقَامَ بِالْكُوفَةِ ظَاهِرًا وَمَعَهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَقْبَلَتِ الشِّيعَةُ تَخْتَلِفُ إِلَى زَيْدٍ وَتَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرْجُوَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمَنْصُورُ ، وَإِنَّ هَذَا الزَّمَانَ هُوَ الَّذِي تَهْلِكُ فِيهِ بَنُو أُمَيَّةَ. |
| فَأَقَامَ بِالْكُوفَةِ ، وَجَعَلَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ يَسْأَلُ عَنْهُ فَيُقَالُ هُوَ هَاهُنَا ، وَيَبْعَثُ إِلَيْهِ لِيَسِيرَ فَيَقُولُ نَعَمْ ، وَيَعْتَلُّ بِالْوَجَعِ ، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ. |
| ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يُوسُفُ لِيَسِيرَ ، فَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ يَبْتَاعُ أَشْيَاءَ يُرِيدُهَا. |
| ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يُوسُفُ بِالْمَسِيرِ عَنِ الْكُوفَةِ ، فَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ يُحَاكِمُ بَعْضَ آلِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بِمُلْكٍ بَيْنَهُمَا بِالْمَدِينَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ لِيُوَكِّلَ وَكِيلًا وَيَرْحَلَ عَنْهَا. |
| فَلَمَّا رَأَى جِدَّ يُوسُفَ فِي أَمْرِهِ سَارَ حَتَّى أَتَى الْقَادِسِيَّةَ ، وَقِيلَ الثَّعْلَبِيَّةَ ، فَتَبِعَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَقَالُوا لَهُ نَحْنُ أَرْبَعُونَ أَلْفًا لَمْ يَخْتَلِفْ عَنْكَ أَحَدٌ نَضْرِبُ عَنْكَ بِأَسْيَافِنَا ، وَلَيْسَ هَاهُنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَّا عِدَّةٌ يَسِيرَةٌ ، بَعْضُ قَبَائِلِنَا يَكْفِيكَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَحَلَفُوا لَهُ بِالْأَيْمَانِ الْمُغَلَّظَةِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَخْذُلُونِي وَتُسْلِمُونِي كَفِعْلِكُمْ بِأَبِي وَجَدِّي ، فَيَحْلِفُونَ لَهُ. |
| فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ يَابْنَ عَمِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَغُرُّونَكَ مِنْ نَفْسِكَ ، أَلَيْسَ قَدْ خَذَلُوا مَنْ كَانَ أَعَزَّ عَلَيْهِمْ مِنْكَ ، جَدَّكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى قُتِلَ ؟ |
| وَالْحَسَنَ مِنْ بَعْدِهِ بَايَعُوهُ ، ثُمَّ وَثَبُوا عَلَيْهِ ، فَانْتَزَعُوا رِدَاءَهُ وَجَرَحُوهُ ؟ |
| أَوَلَيْسَ قَدْ أَخْرَجُوا جَدَّكَ الْحُسَيْنَ ، وَحَلَفُوا لَهُ وَخَذَلُوهُ وَأَسْلَمُوهُ ، وَلَمْ يَرْضَوْا بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلُوهُ ؟ |
| فَلَا تَرْجِعْ مَعَهُمْ. |
| فَقَالُوا إِنَّ هَذَا لَا يُرِيدُ أَنْ تَظْهَرَ أَنْتَ ، وَيَزْعُمَ أَنَّهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ. |
| فَقَالَ زَيْدٌ لِدَاوُدَ إِنَّ عَلِيًّا كَانَ يُقَاتِلُهُ مُعَاوِيَةُ بِدَهَائِهِ وَنَكْرَائِهِ بِأَهْلِ الشَّامِ ، وَإِنَّ الْحُسَيْنَ قَاتَلَهُ يَزِيدُ وَالْأَمْرُ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمْ. |
| فَقَالَ دَاوُدُ إِنِّي خَائِفٌ إِنْ رَجَعْتَ مَعَهُمْ أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْهُمْ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ. |
| وَمَضَى دَاوُدُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَرَجَعَ زَيْدٌ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا رَجَعَ زَيْدٌ أَتَاهُ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ ، فَذَكَرَ لَهُ قَرَابَتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَقَّهُ ، فَأَحْسَنَ ثُمَّ قَالَ لَهُ نَنْشُدُكَ اللَّهَ كَمْ بَايَعَكَ ؟ |
| قَالَ أَرْبَعُونَ أَلْفًا. |
| قَالَ فَكَمْ بَايَعَ جَدَّكَ ؟ |
| قَالَ ثَمَانُونَ أَلْفًا. |
| قَالَ فَكَمْ حَصَلَ مَعَهُ ؟ |
| قَالَ ثَلَاثُمِائَةٍ. |
| قَالَ نَشَدْتُكَ اللَّهَ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ جَدُّكَ ؟ |
| قَالَ جَدِّي. |
| قَالَ فَهَذَا الْقَرْنُ خَيْرٌ أَمْ ذَلِكَ الْقَرْنُ ؟ |
| قَالَ ذَلِكَ الْقَرْنُ. |
| قَالَ أَفَتَطْمَعُ أَنْ يَفِيَ لَكَ هَؤُلَاءِ ، وَقَدْ غَدَرَ أُولَئِكَ بِجَدِّكَ ؟ |
| قَالَ قَدْ بَايَعُونِي وَوَجَبَتِ الْبَيْعَةُ فِي عُنُقِي وَأَعْنَاقِهِمْ. |
| قَالَ أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ ؟ |
| فَلَا آمَنُ أَنْ يَحْدُثَ حَدَثٌ فَلَا أَمْلِكُ نَفْسِي. |
| فَأَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ إِلَى الْيَمَامَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ مُبَايَعَةِ سَلَمَةَ. |
| وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ إِلَى زَيْدٍ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ نَفْخُ الْعَلَانِيَةِ ، خَوَرُ السَّرِيرَةِ ، هَرَجٌ فِي الرَّخَاءِ ، جَزَعٌ فِي اللِّقَاءِ ، تَقَدَمُهُمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَلَا تُشَايِعُهُمْ قُلُوبُهُمْ ، وَلَقَدْ تَوَاتَرَتْ إِلَيَّ كُتُبُهُمْ بِدَعْوَتِهِمْ ، فَصَمَمْتُ عَنْ نِدَائِهِمْ ، وَأَلْبَسْتُ قَلْبِي غِشَاءً عَنْ ذِكْرِهِمْ يَأْسًا مِنْهُمْ وَاطِّرَاحًا لَهُمْ ، وَمَا لَهُمْ مَثَلٌ إِلَّا مَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ " إِنْ أُهْمِلْتُمْ خُضْتُمْ ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خِرْتُمْ ، وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى مَشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ ". |
| فَلَمْ يُصْغِ زَيْدٌ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَقَامَ عَلَى حَالِهِ يُبَايِعُ النَّاسَ وَيَتَجَهَّزُ لِلْخُرُوجِ ، وَتَزَوَّجَ بِالْكُوفَةِ ابْنَةَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيِّ ، وَتَزَوَّجَ أَيْضًا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْعَنْبَسِيِّ الْأَزْدِيِّ. |
| وَكَانَ سَبَبُ تَزَوُّجِهِ إِيَّاهَا أَنَّ أُمَّهَا أُمَّ عَمْرٍو بِنْتَ الصَّلْتِ كَانَتْ تَتَشَيَّعُ ، فَأَتَتْ زَيْدًا تُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً حَسْنَاءَ قَدْ دَخَلَتْ فِي السِّنِّ وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهَا ، فَخَطَبَهَا زَيْدٌ إِلَى نَفْسِهَا ، فَاعْتَذَرَتْ بِالسِّنِّ وَقَالَتْ لَهُ لِيَ ابْنَةٌ هِيَ أَجْمَلُ مِنِّي وَأَبْيَضُ وَأَحْسَنُ دَلًّا وَشَكْلًا. |
| فَضَحِكَ زِيدٌ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا. |
| وَكَانَ يَتَنَقَّلُ بِالْكُوفَةِ تَارَةً عِنْدَهَا ، وَتَارَةً عِنْدَ زَوْجِهِ الْأُخْرَى ، وَتَارَةً فِي بَنِي عَبْسٍ ، وَتَارَةً فِي بَنِي هِنْدٍ ، وَتَارَةً فِي بَنِي تَغْلِبَ وَغَيْرِهِمْ إِلَى أَنْ ظَهَرَ. |
| ذِكْرُ غَزَوَاتِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ مَرَّتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا مِنْ نَحْوِ الْبَابِ الْجَدِيدِ ، فَسَارَ مِنْ بَلْخٍ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَرْوَ فَخَطَبَ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَدْ أَقَامَ مَنْصُورَ بْنَ عُمَرَ بْنِ أَبِي الْخَرْقَاءِ عَلَى كَشْفِ الْمَظَالِمِ ، وَأَنَّهُ قَدْ وَضَعَ الْجِزْيَةَ عَمَّنْ قَدْ أَسْلَمَ ، وَجَعَلَهَا عَلَى مَنْ كَانَ يُخَفِّفُ عَنْهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. |
| فَلَمْ تَمْضِ جُمْعَةٌ حَتَّى أَتَاهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ مُسْلِمٍ كَانُوا يُؤَدُّونَ الْجِزْيَةَ عَنْ رُءُوسِهِمْ ، وَثَمَانُونَ أَلْفًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَانَتْ قَدْ أُلْقِيَتْ عَنْهُمْ ، فَحَوَّلَ مَا كَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ وَوَضَعَهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ صَنَّفَ الْخَرَاجَ وَوَضَعَهُ مَوَاضِعَهُ. |
| ثُمَّ غَزَا الثَّانِيَةَ إِلَى وَرَغْسَرَ وَسَمَرْقَنْدَ ثُمَّ رَجَعَ. |
| ثُمَّ غَزَا الثَّالِثَةَ إِلَى الشَّاشِ مِنْ مَرْوَ ، فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُبُورِ نَهْرِ الشَّاشِ كُورْصُولُ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَكَانَ مَعَهُمُ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ ، وَعَبَرَ كُورْصُولُ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَبَيَّتَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ ، وَمَعَ نَصْرٍ بُخَارَاخُذَاهْ فِي أَهْلِ بُخَارَى ، وَمَعَهُ أَهْلُ سَمَرْقَنْدَ وَكَشٍّ وَنَسَفَ ، وَهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا ، فَنَادَى نَصْرٌ أَلَّا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ وَاثْبُتُوا عَلَى مَوَاضِعِكُمْ. |
| فَخَرَجَ عَاصِمُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَهُوَ عَلَى جُنْدِ سَمَرْقَنْدَ ، فَمَرَّتْ بِهِ خَيْلُ التُّرْكِ ، فَحَمَلَ عَلَى رَجُلٍ فِي آخِرِهِمْ فَأَسَرَهُ ، فَإِذَا هُوَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِهِمْ صَاحِبُ أَرْبَعَةِ آلَافِ قُبَّةٍ ، فَأَتَى بِهِ إِلَى نَصْرٍ ، فَقَالَ لَهُ نَصْرٌ مَنْ أَنْتَ ؟ |
| قَالَ كُورْصُولُ. |
| فَقَالَ نَصْرٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ. |
| قَالَ مَا تَرْجُو مِنْ قَتْلِ شَيْخٍ ؟ |
| وَأَنَا أُعْطِيكَ أَرْبَعَةَ آلَافِ بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِ التُّرْكِ وَأَلْفَ بِرْذَوْنٍ تُقَوِّي بِهَا جُنْدَكَ وَتُطْلِقُ سَبِيلِي. |
| فَاسْتَشَارَ نَصْرٌ أَصْحَابَهُ ، فَأَشَارُوا بِإِطْلَاقِهِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ عُمْرِهِ ، قَالَ لَا أَدْرِي. |
| قَالَ كَمْ غَزَوْتَ ؟ |
| قَالَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ غَزْوَةً. |
| قَالَ أَشْهِدْتَ يَوْمَ الْعَطَشِ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ لَوْ أَعْطَيْتَنِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ مَا أَفْلَتَّ مِنْ يَدِي بَعْدَ مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَشَاهِدِكَ. |
| وَقَالَ لِعَاصِمِ بْنِ عُمَيْرٍ السَّعْدِيِّ قُمْ إِلَى سَلَبِهِ فَخُذْهُ. |
| فَقَالَ مَنْ أَسَرَنِي ؟ |
| قَالَ نَصْرٌ ، وَهُوَ يَضْحَكُ أَسَرَكَ يَزِيدُ بْنُ قِرَانٍ الْحَنْظَلِيُّ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ. |
| قَالَ هَذَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَغْسِلَ اسْتَهُ ، أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُتِمَّ لَهُ بَوْلَهُ فَكَيْفَ يَأْسِرُنِي ؟ |
| أَخْبِرْنِي مَنْ أَسَرَنِي ؟ |
| قَالَ أَسَرَكَ عَاصِمُ بْنُ عُمَيْرٍ. |
| قَالَ لَسْتُ أَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِذَا كَانَ أَسَرَنِي فَارِسٌ مِنْ فُرْسَانِ الْعَرَبِ. |
| فَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ. |
| وَعَاصِمُ بْنُ عُمَيْرٍ هُوَ الْهَزَارْمَرْدُ ، قُتِلَ بِنَهَاوَنْدَ أَيَّامَ قَحْطَبَةَ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ كُورْصُولُ أَحْرَقَتِ التُّرْكُ أَبْنِيَتَهُ وَقَطَعُوا آذَانَهُمْ وَقَصُّوا شُعُورَهُمْ وَأَذْنَابَ خَيْلِهِمْ. |
| فَلَمَّا أَرَادَ نَصْرٌ الرُّجُوعَ أَحْرَقَهُ لِئَلَّا يَحْمِلُوا عِظَامَهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِهِ ، وَارْتَفَعَ إِلَى فَرْغَانَةَ فَسَبَى بِهَا أَلْفَ رَأْسٍ. |
| وَكَتَبَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ إِلَى نَصْرٍ سِرْ إِلَى هَذَا الْغَارِزِ ذَنَبَهُ فِي الشَّاشِ ، يَعْنِي الْحَارِثَ بْنَ سُرَيْجٍ ، فَإِنْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ بِهِ وَبِأَهْلِ الشَّاشِ فَخَرِّبْ بِلَادَهُمْ وَاسْبِ ذَرَارِيَهُمْ ، إِيَّاكَ وَوَرْطَةَ الْمُسْلِمِينَ. |
| فَقَرَأَ الْكِتَابَ عَلَى النَّاسِ وَاسْتَشَارَهُمْ ، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ الْحُضَيْنِ امْضِ لِأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرِ الْأَمِيرِ . |
| فَقَالَ نَصْرٌ يَا يَحْيَى تَكَلَّمْتَ بِكَلِمَةٍ أَيَّامَ عَاصِمٍ بَلَغَتِ الْخَلِيفَةَ فَحَظِيتَ بِهَا وَبَلَغْتَ الدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ ، فَقُلْتَ أَقُولُ مِثْلَهَا ، سِرْ يَا يَحْيَى قَدْ وَلَّيْتُكَ مُقَدِّمَتِي. |
| فَلَامَ النَّاسُ يَحْيَى ، فَسَارَ إِلَى الشَّاشِ ، فَأَتَاهُمُ الْحَارِثُ فَنَصَبَ عَلَيْهِمْ عَرَّادَتَيْنِ ، وَأَغَارَ الْأَخْرَمُ ، وَهُوَ فَارِسُ التُّرْكِ ، عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلُوهُ وَأَلْقَوْا رَأْسَهُ إِلَى التُّرْكِ ، فَصَاحُوا وَانْهَزَمُوا. |
| وَسَارَ نَصْرٌ إِلَى الشَّاشِ ، فَتَلَقَّاهُ مَلِكُهَا بِالصُّلْحِ وَالْهَدِيَّةِ وَالرَّهْنِ ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ نَصْرٌ إِخْرَاجَ الْحَارِثِ بْنِ سُرَيْجٍ عَنْ بَلَدِهِ ، فَأَخْرَجَهُ إِلَى فَارَابَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الشَّاشِ نَيْزَكَ بْنَ صَالِحٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ قُبَا مِنْ أَرْضِ فَرْغَانَةَ ، وَكَانُوا أَحَسُّوا بِمَجِيئِهِ فَأَحْرَقُوا الْحَشِيشَ وَقَطَعُوا الْمِيرَةَ ، فَوَجَّهَ نَصْرٌ إِلَى وَلِيِّ عَهْدِ صَاحِبِ فَرْغَانَةَ فَحَاصَرَهُ فِي حِصْنٍ ، وَغَفَلُوا عَنْهُ فَخَرَجَ وَغَنِمَ دَوَابَّ الْمُسْلِمِينَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ نَصْرٌ رِجَالًا مِنْ تَمِيمٍ وَمَعَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ وَدَوَابُّهُمْ كَمَنُوا لَهُمْ ، فَخَرَجُوا وَاسْتَاقُوا بَعْضَهَا ، وَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوا الدِّهْقَانَ ، وَأَسَرُوا مِنْهُمْ وَأَسَرُوا ابْنَ الدِّهْقَانِ فَقَتَلَهُ نَصْرٌ ، وَأَرْسَلَ نَصْرٌ سُلَيْمَانَ بْنَ صُولٍ بِكِتَابِ الصُّلْحِ إِلَى صَاحِبِ فَرْغَانَةَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُدْخِلَ الْخَزَائِنَ لِيَرَاهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ كَيْفَ رَأَيْتَ الطَّرِيقَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ؟ |
| قَالَ سَهْلًا كَثِيرَ الْمَاءِ وَالْمَرَاعِي ، فَكَرِهَ ذَلِكَ وَقَالَ مَا عِلْمُكَ ؟ |
| فَقَالَ سُلَيْمَانُ قَدْ غَزَوْتُ غَرْشِسْتَانَ وَغُورَ وَالْخُتُّلَ وَطَبَرِسْتَانَ فَكَيْفَ لَا أَعْلَمُ ؟ |
| قَالَ فَكَيْفَ رَأَيْتَ مَا أَعْدَدْنَا ؟ |
| قَالَ عُدَّةٌ حَسَنَةٌ ، وَلَكِنْ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ صَاحِبَ الْحِصَارِ لَا يَسْلَمُ مِنْ خِصَالٍ ، لَا يَأْمَنُ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَوْثَقَهُمْ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَثِبَ بِهِ يَطْلُبُ مَرْتَبَتَهُ وَيَتَقَرَّبُ بِذَلِكَ ، أَوْ يُفْنِيَ مَا قَدْ جَمَعَ فَيَسْلَمُ بِرُمَّتِهِ ، أَوْ يُصِيبُهُ دَاءٌ فَيَمُوتُ. |
| فَكَرِهَ مَا قَالَ لَهُ وَأَمَرَهُ فَأُحْضِرَ كِتَابُ الصُّلْحِ ، فَأَجَابَ إِلَيْهِ وَسَيَّرَ أُمَّهُ مَعَهُ ، وَكَانَتْ صَاحِبَةُ أَمْرِهِ ، فَقَدِمَتْ عَلَى نَصْرٍ ، فَأَذِنَ لَهَا وَجَعَلَ يُكَلِّمُهَا ، وَكَانَ مِمَّا قَالَتْ لَهُ كُلُّ مَلِكٍ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ سِتَّةُ أَشْيَاءَ فَلَيْسَ بِمَلِكٍ ، وَزِيرٌ يَبُثُّ إِلَيْهِ مَا فِي نَفْسِهِ وَيُشَاوِرُهُ وَيَثِقُ بِنَصِيحَتِهِ ، وَطَبَّاخٌ إِذَا لَمْ يَشْتَهِ الطَّعَامَ اتَّخَذَ لَهُ مَا يَشْتَهِي ، وَزَوْجَةٌ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا مُغْتَمًّا فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهَا زَالَ غَمُّهُ ، وَحِصْنٌ إِذَا فَزِعَ أَتَاهُ فَأَنْجَاهُ ، تَعْنِي الْبِرْذَوْنَ ، وَسَيْفٌ إِذَا قَاتَلَ لَا يَخْشَى خِيَانَتَهُ ، وَذَخِيرَةٌ إِذَا حَمَلَهَا عَاشَ بِهَا أَيْنَ كَانَ مِنَ الْأَرْضِ. |
| ثُمَّ دَخَلَ تَمِيمُ بْنُ نَصْرٍ فِي جَمَاعَةٍ فَقَالَتْ مَنْ هَذَا ؟ |
| قَالُوا هَذَا فَتَى خُرَاسَانَ تَمِيمُ بْنُ نَصْرٍ. |
| قَالَتْ مَا لَهُ نُبْلُ الْكَبِيرِ وَلَا حَلَاوَةُ الصَّغِيرِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْحَجَّاجُ بْنُ قُتَيْبَةَ فَقَالَتْ مَنْ هَذَا ؟ |
| فَقَالُوا الْحَجَّاجُ بْنُ قُتَيْبَةَ ، فَحَيَّتْهُ وَسَأَلَتْ عَنْهُ وَقَالَتْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ مَا لَكُمْ وَفَاءٌ وَلَا يُصْلِحُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. |
| قُتَيْبَةُ الَّذِي ذَلَّلَ لَكُمْ مَا أَرَى ، وَهَذَا ابْنُهُ تُقْعِدُهُ دُونَكَ فَحَقُّهُ أَنْ تُجْلِسَهُ أَنْتَ هَذَا الْمَجْلِسَ وَتَجْلِسَ أَنْتَ مَجْلِسَهُ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ غَزَا مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ إِرْمِينِيَّةَ وَهُوَ وَالِيهَا ، فَأَتَى قَلْعَةَ بَيْتِ السَّرِيرِ فَقَتَلَ وَسَبَى ، ثُمَّ أَتَى قَلْعَةً ثَانِيَةً فَقَتَلَ وَسَبَى ، وَدَخَلَ غُومِيكَ وَهُوَ حِصْنٌ فِيهِ بَيْتُ الْمَلِكِ وَسَرِيرُهُ ، فَهَرَبَ الْمَلِكُ مِنْهُ حَتَّى أَتَى حِصْنًا يُقَالُ لَهُ خَيْزَجُ فِيهِ السَّرِيرُ الذَّهَبُ ، فَسَارَ إِلَيْهِ مَرْوَانُ وَنَازَلَهُ صَيْفِيَّتَهُ وَشِتْوِيَّتَهُ ، فَصَالَحَ الْمَلِكَ عَلَى أَلْفِ رَأْسٍ كُلَّ سَنَةٍ وَمِائَةِ أَلْفِ مُدْيٍ ، وَسَارَ مَرْوَانُ فَدَخَلَ أَرْضَ ازْرُوبَطْرَانَ ، فَصَالَحَهُ مَلِكُهَا ، ثُمَّ سَارَ فِي أَرْضِ تُومَانَ فَصَالَحَهُ ، وَسَارَ حَتَّى أَتَى حَمْزِينَ فَأَخْرَبَ بِلَادَهُ وَحَصَرَ حِصْنًا لَهُ شَهْرًا فَصَالَحَهُ ، ثُمَّ أَتَى مَرْوَانُ أَرْضَ مَسْدَازَ فَافْتَتَحَهَا عَلَى صُلْحٍ ، ثُمَّ نَزَلَ مَرْوَانُ كِيرَانَ فَصَالَحَهُ طَبَرِسْرَانَ وَفِيلَانَ ، وَكُلُّ هَذِهِ الْوِلَايَاتِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ مِنْ إِرْمِينِيَّةَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ الرُّومَ فَافْتَتَحَ بِهَا مَطَامِيرَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيُّ ، وَهُوَ كَانَ عَامِلَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ. |
| وَعَلَى الْعِرَاقِ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ ، وَعَلَى إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ عَامِرُ بْنُ عُبَيْدَةَ ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ ابْنُ شُبْرُمَةَ. |
| وَفِيهَا فَرَغَ الْوَلِيدُ بْنُ بُكَيْرٍ عَامِلُ الْمَوْصِلِ مِنْ حَفْرِ النَّهْرِ الَّذِي أَدْخَلَهُ الْبَلَدَ ، وَكَانَ مَبْلَغُ النَّفَقَةِ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةَ أَحْجَارٍ تَطْحَنُ ، وَوَقَفَ هِشَامٌ هَذِهِ الْأَرْحَاءَ عَلَى عَمَلِ النَّهْرِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ سَلَمَةُ بْنُ سُهَيْلٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَقِيلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ بِالشَّامِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً بِالْمَدِينَةِ ، حَبَّانُ بِفَتْحِ الْحَاءِ ، وَبِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ . |
| وَقُتِلَ يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشَجِّ شَهِيدًا بِأَرْضِ الرُّومِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً ذِكْرُ مَقْتَلِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ زَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَدْ ذُكِرَ سَبَبُ مُقَامِهِ بِالْكُوفَةِ وَبَيْعَتُهُ بِهَا. |
| فَلَمَّا أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالِاسْتِعْدَادِ لِلْخُرُوجِ ، وَأَخَذَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْوَفَاءَ لَهُ بِالْبَيْعَةِ يَتَجَهَّزُ ، انْطَلَقَ سُلَيْمَانُ بْنُ سُرَاقَةَ الْبَارِقِيُّ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ ، فَبَعَثَ يُوسُفُ فِي طَلَبِ زَيْدٍ فَلَمْ يُوجَدْ ، وَخَافَ زَيْدٌ أَنْ يُؤْخَذَ فَيَتَعَجَّلَ قَبْلَ الْأَجَلِ الَّذِي جَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ يَوْمَئِذٍ الْحَكَمُ بْنُ الصَّلْتِ ، وَعَلَى شُرْطَتِهِ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ الْقَارَةِ وَمَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الْكِنْدِيُّ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَيُوسُفُ بْنُ عُمَرَ بِالْحِيرَةِ ، قَالَ فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُ أَمْرُهُ ، وَأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ أَمْرِهِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رُءُوسِهِمْ وَقَالُوا رَحِمَكَ اللَّهُ ، مَا قَوْلُكَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ؟ |
| قَالَ زَيْدٌ رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُمَا ، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَقُولُ فِيهِمَا إِلَّا خَيْرًا ، وَإِنَّ أَشَدَّ مَا أَقُولُ فِيمَا ذَكَرْتُمْ أَنَّا كُنَّا أَحَقَّ بِسُلْطَانِ مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، فَدَفَعُونَا عَنْهُ وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ عِنْدَنَا بِهِمْ كُفْرًا ، وَقَدْ وُلُّوا فَعَدَلُوا فِي النَّاسِ وَعَمِلُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. |
| قَالُوا فَلِمَ يَظْلِمُكَ هَؤُلَاءِ إِذَا كَانَ أُولَئِكَ لَمْ يَظْلِمُوكَ ، فَلِمَ تَدْعُو إِلَى قِتَالِهِمْ ؟ |
| فَقَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا كَأُولَئِكَ ، هَؤُلَاءِ ظَالِمُونَ لِي وَلَكُمْ وَلِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِنَّمَا نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى السُّنَنِ أَنْ تُحْيَا ، وَإِلَى الْبِدَعِ أَنْ تُطْفَأَ ، فَإِنْ أَجَبْتُمُونَا سَعِدْتُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. |
| فَفَارَقُوهُ وَنَكَثُوا بَيْعَتَهُ وَقَالُوا سَبَقَ الْإِمَامُ ، يَعْنُونَ مُحَمَّدًا الْبَاقِرَ ، وَكَانَ قَدْ مَاتَ ، وَقَالُوا جَعْفَرٌ ابْنُهُ إِمَامُنَا الْيَوْمَ بَعْدَ أَبِيهِ ، فَسَمَّاهُمْ زَيْدٌ الرَّافِضَةَ ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمُغِيرَةَ سَمَّاهُمُ الرَّافِضَةَ حَيْثُ فَارَقُوهُ. |
| وَكَانَتْ طَائِفَةٌ أَتَتْ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ قَبْلَ خُرُوجِ زَيْدٍ ، فَأَخْبَرُوهُ بِبَيْعَةَ زَيْدٍ ، فَقَالَ بَايِعُوهُ فَهُوَ وَاللَّهِ أَفْضَلُنَا وَسَيِّدُنَا ، فَعَادُوا وَكَتَمُوا ذَلِكَ. |
| وَكَانَ زَيْدٌ وَاعَدَ أَصْحَابَهُ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ صَفَرٍ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ ، فَبَعَثَ إِلَى الْحَكَمِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ الْكُوفَةِ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ يَحْصُرُهُمْ فِيهِ ، فَجَمَعَهُمْ فِيهِ ، وَطَلَبُوا زَيْدًا فِي دَارِ مُعَاوِيَةَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، فَخَرَجَ مِنْهَا لَيْلًا ، وَرَفَعُوا الْهَرَادِيَّ فِيهَا النِّيرَانُ وَنَادَوْا يَا مَنْصُورُ أَمِتْ أَمِتْ ، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا بَعْثَ زَيْدٌ الْقَاسِمَ التُّبَّعِيَّ ثُمَّ الْحَضْرَمِيَّ وَآخَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ يُنَادِيَانِ بِشِعَارِهِمَا ، فَلَمَّا كَانَا بِصَحْرَاءِ عَبْدِ الْقَيْسِ لَقِيَهُمَا جَعْفَرُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْكِنْدِيُّ فَحَمَلَا عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَتَلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْقَاسِمِ التُّبَّعِيِّ وَارْتُثَّ الْقَاسِمُ وَأُتِيَ بِهِ الْحَكَمُ ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ ، فَكَانَا أَوَّلَ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ زَيْدٍ. |
| وَأَغْلَقَ الْحَكَمُ دُرُوبَ السُّوقِ وَأَبْوَابَ الْمَسْجِدِ عَلَى النَّاسِ. |
| وَبَعَثَ الْحَكَمُ إِلَى يُوسُفَ بِالْحِيرَةِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَأَرْسَلَ جَعْفَرَ بْنَ الْعَبَّاسِ لِيَأْتِيَهُ بِالْخَبَرِ ، فَسَارَ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا حَتَّى بَلَغَ جَبَّانَةَ سَالِمٍ فَسَأَلَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى يُوسُفَ فَأَخْبَرَهُ ، فَسَارَ يُوسُفُ إِلَى تَلٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْحِيرَةِ فَنَزَلَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ ، فَبَعَثَ الرَّيَّانَ بْنَ سَلَمَةَ الْأَرَّانِيَّ فِي أَلْفَيْنِ وَمَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ مِنَ الْقِيقَانِيَّةِ رَجَّالَةً مَعَهُمُ النَّشَّابُ. |
| وَأَصْبَحَ زَيْدٌ فَكَانَ جَمِيعُ مَنْ وَافَاهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِائَتَيْ رَجُلٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَقَالَ زَيْدٌ سُبْحَانَ اللَّهِ أَيْنَ النَّاسُ ؟ |
| فَقِيلَ إِنَّهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مَحْصُورُونَ. |
| فَقَالَ وَاللَّهِ مَا هَذَا بِعُذْرٍ لِمَنْ بَايَعَنَا! |
| وَسَمِعَ نَصْرُ بْنُ خُزَيْمَةَ الْعَبْسِيُّ النِّدَاءَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ، فَلَقِيَ عَمْرَو بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبَ شُرْطَةِ الْحَكَمِ فِي خَيْلِهِ مِنْ جُهَيْنَةَ فِي الطَّرِيقِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ نَصْرٌ وَأَصْحَابُهُ ، فَقُتِلَ عَمْرٌو وَانْهَزَمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، وَأَقْبَلَ زَيْدٌ عَلَى جَبَّانَةِ سَالِمٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى جَبَّانَةِ الصَّائِدِينَ وَبِهَا خَمْسُمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدٌ فِيمَنْ مَعَهُ وَهَزَمَهُمْ ، فَانْتَهَى زَيْدٌ إِلَى دَارِ أَنَسِ بْنِ عَمْرٍو الْأَزْدِيِّ ، وَكَانَ فِيمَنْ بَايَعَهُ وَهُوَ فِي الدَّارِ ، فَنُودِيَ فَلَمْ يُجِبْهُمْ ، وَنَادَاهُ زَيْدٌ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ زَيْدٌ مَا أَخْلَفَكُمْ ؟ |
| قَدْ فَعَلْتُمُوهَا ، اللَّهُ حَسِيبُكُمْ ، ثُمَّ انْتَهَى زَيْدٌ إِلَى الْكُنَاسَةِ فَحَمَلَ عَلَى مَنْ بِهَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَهَزَمَهُمْ ، ثُمَّ سَارَ زَيْدٌ وَيُوسُفُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ ، فَلَوْ قَصَدَهُ لَقَتَلَهُ ، وَالرَّيَّانُ يَتْبَعُ أَثَرَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَخَذَ زَيْدٌ عَلَى مُصَلَّى خَالِدٍ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ ، وَسَارَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ نَحْوَ جَبَّانَةِ مِخْنَفِ بْنِ سُلَيْمٍ ، فَلَقَوْا أَهْلَ الشَّامِ فَقَاتَلُوهُمْ ، فَأَسَرَ أَهْلُ الشَّامِ مِنْهُمْ رَجُلًا ، فَأَمَرَ بِهِ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ فَقُتِلَ. |
| فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ خِذْلَانَ النَّاسِ إِيَّاهُ قَالَ يَا نَصْرُ بْنَ خُزَيْمَةَ أَنَا أَخَافُ أَنْ يَكُونُوا قَدْ فَعَلُوهَا حُسَيْنِيَّةً. |
| قَالَ أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَعَكَ حَتَّى أَمُوتَ ، وَإِنَّ النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ فَامْضِ بِنَا نَحْوَهُمْ. |
| فَلَقِيَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الْكِنْدِيُّ عِنْدَ دَارِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ ، وَجَاءَ زَيْدٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يُدْخِلُونَ رَايَاتِهِمْ مِنْ فَوْقِ الْأَبْوَابِ وَيَقُولُونَ يَا أَهْلَ الْمَسْجِدِ اخْرُجُوا مِنَ الذُّلِّ إِلَى الْعِزِّ ، اخْرُجُوا إِلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَإِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا. |
| فَرَمَاهُمْ أَهْلُ الشَّامِ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِ الْمَسْجِدِ. |
| وَانْصَرَفَ الرَّيَّانُ عِنْدَ الْمَسَاءِ إِلَى الْحِيرَةِ ، وَانْصَرَفَ زَيْدٌ فِيمَنْ مَعَهُ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَنَزَلَ دَارَ الرِّزْقِ ، فَأَتَاهُ الرَّيَّانُ بْنُ سَلَمَةَ فَقَاتَلَهُ عِنْدَ دَارِ الرِّزْقِ وَجُرِحَ أَهْلُ الشَّامِ وَمَعَهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ ، وَرَجَعَ أَهْلُ الشَّامِ مَسَاءَ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ أَسْوَأَ شَيْءٍ ظَنًّا. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَرْسَلَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ الْعَبَّاسَ بْنَ سَعِيدٍ الْمُزَنِيَّ فِي أَهْلِ الشَّامِ فَانْتَهَى إِلَى زَيْدٍ فِي دَارِ الرِّزْقِ ، فَلَقِيَهُ زَيْدٌ وَعَلَى مُجَنَّبَتِهِ نَصْرُ بْنُ خُزَيْمَةَ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَمَلَ نَابِلُ بْنُ فَرْوَةَ الْعَبْسِيُّ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى نَصْرِ بْنِ خُزَيْمَةَ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَ فَخِذَهُ ، وَضَرَبَهُ نَصْرٌ فَقَتَلَهُ ، وَلَمْ يَلْبَثْ نَصْرٌ أَنْ مَاتَ وَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْعَبَّاسِ وَقُتِلَ مِنْهُمْ نَحْوٌ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا. |
| فَلَمَّا كَانَ الْعِشَاءُ عَبَّأَهُمْ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ ثُمَّ سَرَّحَهُمْ ، فَالْتَقَوْا هُمْ وَأَصْحَابُ زَيْدٍ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ زِيدٌ فِي أَصْحَابِهِ فَكَشَفَهُمْ وَتَبِعَهُمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ إِلَى السَّبْخَةِ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ بِالسَّبْخَةِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ ، وَجَعَلَتْ خَيْلُهُمْ لَا تَثْبُتُ لِخَيْلِهِ ، فَبَعَثَ الْعَبَّاسُ إِلَى يُوسُفَ يُعْلِمُهُ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ ابْعَثْ إِلَيَّ النَّاشِبِيَّةَ ، فَبَعَثَهُمْ إِلَيْهِ ، فَجَعَلُوا يَرْمُونَ أَصْحَابَ زَيْدٍ ، فَقَاتَلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَنْصَارِيُّ بَيْنَ يَدَيْ زَيْدٍ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ وَثَبَتَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى اللَّيْلِ ، فَرُمِيَ زَيْدٌ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ جَانِبَ جَبْهَتِهِ الْيُسْرَى فَثَبَتَ فِي دِمَاغِهِ ، وَرَجَعَ أَصْحَابُهُ وَلَا يَظُنُّ أَهْلُ الشَّامِ أَنَّهُمْ رَجَعُوا إِلَّا لِلْمَسَاءِ وَاللَّيْلِ ، وَنَزَلَ زَيْدٌ فِي دَارٍ مِنْ دُورِ أَرْحَبَ ، وَأَحْضَرَ أَصْحَابُهُ طَبِيبًا ، فَانْتَزَعَ النَّصْلَ ، فَضَجَّ زَيْدٌ ، فَلَمَّا نَزَعَ النَّصْلَ مَاتَ زَيْدٌ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ أَيْنَ نَدْفِنُهُ ؟ |
| قَالَ بَعْضُهُمْ نَطْرَحُهُ فِي الْمَاءِ. |
| وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نَحْتَزُّ رَأْسَهُ وَنُلْقِيهِ فِي الْقَتْلَى. |
| فَقَالَ ابْنُهُ يَحْيَى وَاللَّهِ لَا تَأْكُلُ لَحْمَ أَبِي الْكِلَابُ. |
| وَقَالَ بَعْضُهُمْ نَدْفِنُهُ فِي الْحُفْرَةِ الَّتِي يُؤْخَذُ مِنْهَا الطِّينُ وَنَجْعَلُ عَلَيْهِ الْمَاءَ ، فَفَعَلُوا ، فَلَمَّا دَفَنُوهُ أَجْرَوْا عَلَيْهِ الْمَاءَ ، وَقِيلَ دُفِنَ بِنَهْرِ يَعْقُوبَ ، سَكَّرَ أَصْحَابُهُ الْمَاءَ وَدَفَنُوهُ وَأَجْرَوُا الْمَاءَ ، وَكَانَ مَعَهُمْ مَوْلًى لِزَيْدٍ سِنْدِيٌّ ، وَقِيلَ رَآهُمْ فَسَارَ فَدَلَّ عَلَيْهِ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ ، وَسَارَ ابْنُهُ يَحْيَى نَحْوَ كَرْبَلَاءَ فَنَزَلَ بِنِينَوَى عَلَى سَابِقٍ مَوْلَى بِشْرِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بِشْرٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ تَتَبَّعَ الْجَرْحَى فِي الدُّورِ ، فَدَلَّهُ السِّنْدِيُّ مَوْلَى زَيْدٍ يَوْمَ الْجُمْعَةِ عَلَى زَيْدٍ ، فَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ قَبْرِهِ وَقَطَعَ رَأْسَهُ وَسُيِّرَ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ بِالْحِيرَةِ ، سَيَّرَهُ الْحَكَمُ بْنُ الصَّلْتِ ، فَأَمَرَ يُوسُفُ أَنْ يُصْلَبَ زَيْدٌ بِالْكُنَاسَةِ هُوَ وَنَصْرُ بْنُ خُزَيْمَةَ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ إِسْحَاقَ وَزِيَادٌ النَّهْدِيُّ ، وَأَمَرَ بِحِرَاسَتِهِمْ ، وَبَعَثَ الرَّأْسَ إِلَى هِشَامٍ ، فَصُلِبَ عَلَى بَابِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَقِيَ الْبَدَنُ مَصْلُوبًا إِلَى أَنْ مَاتَ هِشَامٌ وَوَلِيَ الْوَلِيدُ فَأَمَرَ بِإِنْزَالِهِ وَإِحْرَاقِهِ. |
| وَقِيلَ كَانَ خِرَاشُ بْنُ حَوْشَبِ بْنِ يَزِيدَ الشَّيْبَانِيُّ عَلَى شُرْطَةِ زَيْدٍ ، وَهُوَ الَّذِي نَبَشَ زَيْدًا وَصَلَبَهُ ، فَقَالَ السَّيِّدُ الْحَمَوِيُّ بِتُّ لَيْلًا مُسَهَّدًا... |
| سَاهِرَ الْعَيْنِ مُقْصَدًا وَلَقَدْ قُلْتُ قَوْلَةً... |
| وَأَطَلْتُ التَّبَلُّدَا لَعَنَ اللَّهُ حَوْشَبًا... |
| وَخِرَاشًا وَمَزْيَدَا وَيَزِيدًا فَإِنَّهُ... |
| كَانَ أَعْتَى وَأَعْنَدَا أَلْفُ أَلْفٍ وَأَلْفُ أَلْ... |
| مِنَ اللَّعْنِ سَرْمَدَا إِنَّهُمْ حَارَبُوا الْإِلَ... |
| وَآذَوْا مُحَمَّدَا شَرِكُوا فِي دَمِ الْمُطَهَّ ِ زَيْدٍ تَعَنُّدَا... |
| ثُمَّ عَالَوْهُ فَوْقَ جِذْ عٍ صَرِيعًا مُجَرَّدَا... |
| يَا خِرَاشُ بْنَ حَوْشَبٍ أَنْتَ أَشْقَى الْوَرَى غَدَا وَقِيلَ فِي أَمْرِ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا لَمَّا قُتِلَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ إِنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ لَكُمْ شِيعَةٌ ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهَا. |
| قَالَ وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ ؟ |
| قَالَ تَتَوَارَى حَتَّى يَسْكُنَ عَنْكَ الطَّلَبُ ثُمَّ تَخْرُجَ. |
| فَوَارَاهُ عِنْدَهُ لَيْلَةً ، ثُمَّ خَافَ فَأَتَى بِهِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ لَهُ إِنَّ قَرَابَةَ زَيْدٍ بِكَ قَرِيبَةٌ وَحَقَّهُ عَلَيْكَ وَاجِبٌ. |
| قَالَ أَجَلْ وَلَقَدْ كَانَ الْعَفْوُ عَنْهُ أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى. |
| قَالَ فَقَدْ قُتِلَ وَهَذَا ابْنُهُ غُلَامٌ حَدَثٌ لَا ذَنْبَ لَهُ ، فَإِنْ عَلِمَ يُوسُفُ بِهِ قَتَلَهُ ، أَفَتُجِيرُهُ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، فَأَتَاهُ بِهِ فَأَقَامَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا سَكَنَ الطَّلَبُ سَارَ فِي نَفَرٍ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ إِلَى خُرَاسَانَ. |
| فَغَضِبَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ بَعْدَ قَتْلِ زِيدٍ فَقَالَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، إِنَّ يَحْيَى بْنَ زَيْدٍ يَنْتَقِلُ فِي حِجَالِ نِسَائِكُمْ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُوهُ ، وَاللَّهِ لَوْ بَدَا لِي لَعَرَقْتُ خِصْيَيْهِ كَمَا عَرَقْتُ خِصْيَيْ أَبِيهِ ! |
| وَتَهَدَّدَهُمْ وَذَمَّهُمْ وَتُرِكَ. |
| ذَكْرُ قَتْلِ الْبَطَّالِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ الْبَطَّالُ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْأَنْطَاكِيُّ ، فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِ الرُّومِ ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْغَزَاةِ إِلَى الرُّومِ وَالْإِغَارَةِ عَلَى بِلَادِهِمْ ، وَلَهُ عِنْدَهُمْ ذِكْرٌ عَظِيمٌ وَخَوْفٌ شَدِيدٌ. |
| حُكِيَ أَنَّهُ دَخَلَ بِلَادَهُمْ فِي بَعْضِ غَزَاتِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَدَخَلَ قَرْيَةً لَهُمْ لَيْلًا وَامْرَأَةٌ تَقُولُ لِصَغِيرٍ لَهَا يَبْكِي تَسْكُتُ وَإِلَّا سَلَّمْتُكَ إِلَى الْبَطَّالِ! |
| ثُمَّ رَفَعَتْهُ بِيَدِهَا وَقَالَتْ خُذْهُ يَا بَطَّالُ! |
| فَتَنَاوَلَهُ مِنْ يَدِهَا. |
| وَسَيَّرَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ مَعَ ابْنِهِ مَسْلَمَةَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، وَأَمَّرَهُ عَلَى رُؤَسَاءِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ ، وَأَمَرَ ابْنَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ وَطَلَائِعِهِ ، وَقَالَ إِنَّهُ ثِقَةٌ شُجَاعٌ مِقْدَامٌ ، فَجَعَلَهُ مَسْلَمَةُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، فَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّومِ ، وَكَانَ الْعَلَّافَةُ وَالسَّابِلَةُ يَسِيرُونَ آمِنِينَ. |
| وَسَارَ مَرَّةً مَعَ عَسْكَرٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا صَارَ بِأَطْرَافِ الرُّومِ سَارَ وَحْدَهُ فَدَخَلَ بِلَادَهُمْ ، فَرَأَى مُبْقِلَةً فَنَزَلَ فَأَكَلَ مِنْ ذَلِكَ الْبَقْلِ ، فَجَاءَتْ جَوْفُهُ وَكَثُرَ إِسْهَالُهُ ، فَخَافَ أَنْ يَضْعُفَ عَنِ الرُّكُوبِ فَرَكِبَ ، وَصَارَ تَجِيءُ جَوْفُهُ فِي سَرْجِهِ وَلَا يَجْسُرُ يَنْزِلُ لِئَلَّا يَضْعُفَ عَنِ الرُّكُوبِ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ الضَّعْفُ ، فَاعْتَنَقَ رَقَبَةَ فَرَسِهِ وَسَارَ عَلَيْهِ وَلَا يَعْلَمُ أَيْنَ هُوَ ، فَفَتَحَ عَيْنَهُ فَإِذَا هُوَ فِي دَيْرٍ فِيهِ نِسَاءٌ ، فَاجْتَمَعْنَ عَلَيْهِ وَأَنْزَلَتْهُ إِحْدَاهُنَّ عَنْ فَرَسِهِ وَغَسَّلَتْهُ وَسَقَتْهُ دَوَاءً فَانْقَطَعَ عَنْهُ مَا بِهِ ، وَأَقَامَ فِي الدَّيْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ إِنَّ بِطْرِيقًا حَضَرَ الدَّيْرَ فَخَطَبَ تِلْكَ الْمَرْأَةَ وَبَلَغَهُ خَبَرُ الْبَطَّالِ ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ قَدْ جَعَلَتْهُ فِي بَيْتٍ مُخْتَفِيًا فَمَنَعَتْهُ مِنْهُ ، ثُمَّ سَارَ الْبِطْرِيقُ عَنِ الدَّيْرِ ، فَرَكِبَ الْبَطَّالُ وَتَبِعَهُ فَقَتَلَهُ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْبِطْرِيقِ ، وَعَادَ إِلَى الدَّيْرِ وَأَلْقَى الرَّأْسَ إِلَى النِّسَاءِ وَأَخَذَهُنَّ وَسَاقَهُنَّ إِلَى الْعَسْكَرِ ، فَنَقَلَ أَمِيرُ الْعَسْكَرِ تِلْكَ الْمَرْأَةَ ، فَهِيَ أُمُّ أَوْلَادِ الْبَطَّالِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ كُلْثُومُ بْنُ عِيَاضٍ الْقُشَيْرِيُّ الَّذِي كَانَ هِشَامٌ بَعَثَهُ فِي أَهْلِ الشَّامِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ حَيْثُ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِالْبَرْبَرِ. |
| وَفِيهَا وُلِدَ الْفَضْلُ بْنُ صَالِحٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ. |
| وَفِيهَا وَجَّهَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ ابْنَ شُبْرُمَةَ عَلَى سِجِسْتَانَ فَاسْتَقْضَى مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ ، وَكَانَ عُمَّالُ الْأَمْصَارِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ ، قِيلَ وَكَانَ عَلَى الْمَوْصِلِ أَبُو قُحَافَةَ ابْنُ أَخِي الْوَلِيدِ بْنِ تَلِيدٍ الْعَبْسِيِّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قَاضِي الْبَصْرَةِ ، وَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِالذَّكَاءِ ، وَزَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ الْيَامِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو بَكْرٍ التَّيْمِيُّ ، تَيْمُ قُرَيْشٍ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ ، وَقِيلَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قِسْطٍ ، وَيَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشَجِّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ذِكْرُ صُلْحِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ مَعَ الصُّغْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ صَالَحَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ الصُّغْدَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ خَاقَانَ لَمَّا قُتِلَ فِي وِلَايَةِ أَسَدٍ تَفَرَّقَتِ التُّرْكُ فِي غَارَةِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَطَمِعَ أَهْلُ الصُّغْدِ فِي الرَّجْعَةِ إِلَيْهَا ، وَانْحَازَ قَوْمٌ مِنْهُمْ إِلَى الشَّاشِ ، فَلَمَّا وَلِيَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَعْطَاهُمْ مَا أَرَادُوا ، وَكَانُوا يَنَالُونَ شُرُوطًا أَنْكَرَهَا أُمَرَاءُ خُرَاسَانَ ، مِنْهَا أَنْ لَا يُعَاقَبَ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا يُعَدَّى عَلَيْهِمْ فِي دَيْنٍ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَلَا يُؤْخَذُ أُسَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا بِقَضِيَّةِ قَاضٍ وَشَهَادَةِ عُدُولٍ. |
| فَعَابَ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ وَقَالُوا لَهُ فِيهِ ، فَقَالَ لَوْ عَايَنْتُمْ شَوْكَتَهُمْ فِي الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ مَا عَايَنْتُ مَا أَنْكَرْتُمْ ذَلِكَ. |
| وَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي ذَلِكَ فَأَجَابَهُ إِلَيْهِ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ عُقْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ وَدُخُولِ بَلْجٍ الْأَنْدَلُسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ عُقْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ السَّلُولِيُّ أَمِيرُ الْأَنْدَلُسِ ، فَقِيلَ بَلْ ثَارَ بِهِ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَخَلَعُوهُ وَوَلَّوْا بَعْدَهُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ قَطَنٍ ، وَهِيَ وِلَايَتُهُ الثَّانِيَةُ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ فِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكَانَتِ الْبَرْبَرُ قَدْ فَعَلَتْ بِإِفْرِيقِيَّةَ مَا ذَكَرْنَاهُ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ، وَقَدْ حَصَرُوا بَلْجَ بْنَ بِشْرٍ الْعَبْسِيَّ حَتَّى ضَاقَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ مَعَهُ الْأَمْرُ وَاشْتَدَّ الْحَصْرُ ، وَهُمْ صَابِرُونَ إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنٍ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرَاكِبَ يَجُوزُ فِيهَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَذَكَرَ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الشِّدَّةِ وَأَنَّهُمْ أَكَلُوا دَوَابَّهُمْ. |
| فَامْتَنَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ إِدْخَالِهِمُ الْأَنْدَلُسِ وَوَعَدَهُمْ بِإِرْسَالِ الْمَدَدِ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَفْعَلْ. |
| فَاتَّفَقَ أَنَّ الْبَرْبَرَ قَوِيَتْ بِالْأَنْدَلُسِ ، فَاضْطُرَّ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى إِدْخَالِ بَلْجٍ وَمَنْ مَعَهُ ، وَقِيلَ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي جَوَازِ بَلْجٍ فَخَوَّفُوهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَخَافُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولَ أَهْلَكْتَ جُنْدِي ، فَأَجَازَهُمْ وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُقِيمُوا سَنَةً وَيَرْجِعُوا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَخَذَ رَهَائِنَهُمْ وَأَجَازَهُمْ. |
| فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ رَأَى هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ مَا بِهِمْ مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَالْفَقْرِ وَالْعُرْيِ لِشِدَّةِ الْحِصَارِ عَلَيْهِمْ ، فَكَسَوْهُمْ وَأَحْسَنُوا إِلَيْهِمْ ، وَقَصَدُوا جَمْعًا مِنَ الْبَرْبَرِ بِشَدُونَةَ فَقَاتَلُوهُمْ فَظَفِرُوا بِالْبَرْبَرِ فَأَهْلَكُوهُمْ وَغَنِمُوا مَالَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ وَسِلَاحَهُمْ ، فَصَلُحَتْ أَحْوَالُ أَصْحَابِ بَلْجٍ وَصَارَ لَهُمْ دَوَابٌّ يَرْكَبُونَهَا. |
| وَرَجَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَطَنٍ إِلَى قُرْطُبَةَ وَقَالَ لِبَلْجٍ وَمَنْ مَعَهُ لِيَخْرُجُوا مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَطَلَبُوا مِنْهُ مَرَاكِبَ يَسِيرُونَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ لِئَلَّا يَلْقَوُا الْبَرَابِرَ الَّذِينَ حَصَرُوهُمْ. |
| فَامْتَنَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ لَيْسَ لِي مَرَاكِبُ إِلَّا فِي الْجَزِيرَةِ. |
| فَقَالُوا إِنَّا لَا نَرْجِعُ نَتَعَرَّضُ إِلَى الْبَرْبَرِ وَلَا نَقْصِدُ الْجِهَةَ الَّتِي هُمْ فِيهَا لِأَنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَا فِي بِلَادِهِمْ. |
| فَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ فِي الْعَوْدِ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ ثَارُوا بِهِ وَقَاتَلُوهُ ، فَظَفِرُوا بِهِ وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْقَصْرِ ، وَذَلِكَ أَوَائِلَ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. |
| فَلَمَّا ظَفِرَ بَلْجٌ بِعَبْدِ الْمَلِكِ أَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِقَتْلِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ دَارِهِ وَكَأَنَّهُ فَرْخٌ لِكِبَرِ سِنِّهِ فَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ ، وَوَلِيَ الْأَنْدَلُسَ ، وَكَانَ عُمْرُ عَبْدِ الْمَلِكِ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَهَرَبَ ابْنَاهُ قَطَنٌ وَأُمَيَّةُ ، فَلَحِقَ أَحَدُهُمَا بِمَارِدَةَ وَالْآخَرُ بِسَرَقُسْطَةَ ، وَكَانَ هَرَبُهُمَا قَبْلَ قَتْلِ أَبِيهِمَا ، فَلَمَّا قُتِلَ فَعَلَا مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذَهِ السَّنَةِ أَوْفَدَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ الْحَكَمَ بْنَ الصَّلْتِ إِلَى هِشَامٍ يَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ خَبِيرٌ بِهَا ، وَأَنَّهُ عَمِلَ بِهَا الْأَعْمَالَ الْكَثِيرَةَ ، وَيَقَعُ فِي نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ ، فَوَجَّهَ هِشَامٌ إِلَى دَارِ الضِّيَافَةِ فَأَحْضَرَ مُقَاتِلَ بْنَ عَلِيٍّ السَّعْدِيَّ وَقَدْ قَدِمَ مِنْ خُرَاسَانَ وَمَعَهُ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ مِنَ التُّرْكِ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَكَمِ وَمَا وَلِيَ بِخُرَاسَانَ ، فَقَالَ وَلِيَ قَرْيَةً يُقَالُ لَهَا الْفَارِيَابَ سَبْعُونَ أَلْفًا خَرَاجُهَا ، فَأَسَرَهُ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ فَعَرَكَ أُذُنَهُ وَأَطْلَقَهُ وَقَالَ أَنْتَ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ أَقْتُلَكَ. |
| فَلَمْ يَعْزِلْ هِشَامٌ نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ عَنْ خُرَاسَانَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فَرْغَانَةَ غَزْوَتَهُ الثَّانِيَةَ ، فَأَوْفَدَ وَفْدًا إِلَى الْعِرَاقِ عَلَيْهِمْ مَعْنُ بْنُ أَحْمَرَ النُّمَيْرِيُّ ، ثُمَّ إِلَى هِشَامٍ ، فَاجْتَازَ بِيُوسُفَ بْنِ عُمَرَ وَقَالَ لَهُ يَابْنَ أَحْمَرَ أَيَغْلِبُكُمُ الْأَقْطَعُ عَلَى سُلْطَانِكُمْ يَا مَعْشَرَ قَيْسٍ! |
| قَالَ قَدْ كَانَ ذَاكَ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَعِيبَهُ عِنْدَ هِشَامٍ ، فَقَالَ كَيْفَ أَعِيبُهُ مَعَ بَلَائِهِ وَآثَارِهِ الْجَمِيلَةِ عِنْدِي وَعِنْدَ قَوْمِي ؟ |
| فَلَمْ يَزَلْ بِهِ ، قَالَ فَبِمَ أَعِيبُهُ ؟ |
| أَعِيبُ تَجْرِبَتَهُ أَمْ طَاعَتَهُ أَمْ يُمْنَ نَقِيبَتِهِ أَوْ سِيَاسَتِهِ ؟ |
| قَالَ عِبْهُ بِالْكِبَرِ. |
| فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى هِشَامٍ ذَكَرَ جُنْدَ خُرَاسَانَ وَنَجْدَتَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ ، فَقَالَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ قَائِدٌ. |
| قَالَ وَيْحَكَ! |
| فَمَا فَعَلَ الْكِنَانِيُّ ؟ |
| يَعْنِي نَصْرًا. |
| قَالَ لَهُ بَأْسٌ وَرَأْيٌ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الرَّجُلَ وَلَا يَسْمَعُ صَوْتَهُ حَتَّى يُدْنَى مِنْهُ ، وَمَا يَكَادُ يُفْهَمُ مِنْهُ مِنَ الضَّعْفِ لِأَجْلِ كِبَرِهِ ، فَقَالَ شُبَيْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَازِنِيُّ كَذِبٌ وَاللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ بِالشَّيْخِ يُخْشَى خَرَفُهُ ، وَلَا الشَّابِّ يُخْشَى سَفَهُهُ ، بَلْ هُوَ الْمُجَرِّبُ وَقَدْ وَلِيَ عَامَّةَ ثُغُورِ خُرَاسَانَ وَحُرُوبِهَا قَبْلَ وِلَايَتِهِ. |
| فَعَلِمَ هِشَامٌ أَنَّ قَوْلَ مَعْنٍ بِوَضْعِ يُوسُفَ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ. |
| فَرَجَعَ مَعْنٌ إِلَى يُوسُفَ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُحَوِّلَ ابْنَهُ عَنْ خُرَاسَانَ ، فَفَعَلَ ، فَأَرْسَلَ فَأَحْضَرَ أَهْلَهُ ، وَكَانَ نَصْرٌ لَمَّا قَدِمَ خُرَاسَانَ قَدْ آثَرَ مَعْنًا وَأَعْلَى مَنْزِلَتَهُ ، وَشَفَّعَهُ فِي حَوَائِجِهِ ، فَلَمَّا فَعَلَ هَذَا أَجْفَى الْقَيْسِيَّةَ فَحَضَرُوا عِنْدَهُ وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ يَزِيدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَكَانَ الْعُمَّالُ فِي الْأَمْصَارِ هُمُ الْعُمَّالُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ الْبَصْرِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ جَعْفَرُ بْنُ إِيَاسٍ ، وَفِيهَا مَاتَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَلَهُ سِتٌّ وَثَمَانُونَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيُّ ، وَاسْمُ أَبِي سَعِيدٍ كَيْسَانُ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ ، وَقِيلَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ. |
| وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ الزَّاهِدُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ذِكْرُ ابْتِدَاءِ أَمْرِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ قَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَبِي مُسْلِمٍ ، فَقِيلَ كَانَ حُرًّا ، وَاسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ بَشَّارِ بْنِ سَدُوسِ بْنِ جَوْدَزْدَهْ مِنْ وَلَدِ بُزُرْجُمِهْرَ ، وَيُكَنَّى أَبَا إِسْحَاقَ ، وُلِدَ بِأَصْبَهَانَ ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ أَبُوهُ أَوْصَى إِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى السَّرَّاجِ فَحَمَلَهُ إِلَى الْكُوفَةِ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ ، فَلَمَّا اتَّصَلَ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ الْإِمَامِ قَالَ لَهُ غَيِّرِ اسْمَكَ فَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ لَنَا الْأَمْرُ إِلَّا بِتَغَيِيرِ اسْمِكَ عَلَى مَا وَجَدْتُهُ فِي الْكُتُبِ ، فَسَمَّى نَفْسَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُسْلِمٍ ، وَيُكَنَّى أَبَا مُسْلِمٍ ، فَمَضَى لِشَأْنِهِ وَلَهُ ذُؤَابَةٌ وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ بِإِكَافٍ وَلَهُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَزَوَّجَهُ إِبْرَاهِيمُ الْإِمَامُ ابْنَةَ عِمْرَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الطَّائِيِّ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي النَّجْمِ ، وَهِيَ بِخُرَاسَانَ مَعَ أَبِيهَا ، فَبَنَى بِهَا أَبُو مُسْلِمٍ بِخُرَاسَانَ ، وَزَوَّجَ أَبُو مُسْلِمٍ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ مِنْ مُحْرِزِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَابْنَتَهُ الْأُخْرَى أَسْمَاءَ مِنْ فَهْمِ بْنِ مُحْرِزٍ ، فَأَعْقَبَتْ أَسْمَاءُ وَلَمْ تُعْقِبْ فَاطِمَةُ ، وَفَاطِمَةُ هِيَ الَّتِي تَذْكُرُهَا الْخُرَّمِيَّةُ. |
| ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ كَثِيرٍ وَمَالِكَ بْنَ الْهَيْثَمِ وَلَاهِزَ بْنَ قُرَيْظٍ وَقَحْطَبَةَ بْنَ شَبِيبٍ تَوَجَّهُوا مِنْ خُرَاسَانَ يُرِيدُونَ مَكَّةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، فَلَمَّا دَخَلُوا الْكُوفَةَ أَتَوْا عَاصِمَ بْنَ يُونُسَ الْعِجْلِيَّ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ ، قَدِ اتُّهِمَ بِالدُّعَاءِ إِلَى وَلَدِ الْعَبَّاسِ وَمَعَهُ عِيسَى وَإِدْرِيسُ ابْنَا مَعْقِلٍ الْعِجْلِيَّانِ ، وَهَذَا إِدْرِيسُ هُوَ جَدُّ أَبِي دُلَفٍ الْعِجْلِيِّ ، وَكَانَ حَبَسَهُمَا يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ مَعَ مَنْ حُبِسَ مِنْ عُمَّالِ خَالِدٍ الْقَسْرِيِّ وَمَعَهُمَا أَبُو مُسْلِمٍ يَخْدِمُهُمَا قَدِ اتَّصَلَ بِهِمَا ، فَرَأَوْا فِيهِ الْعَلَامَاتِ فَقَالُوا لِمَنْ هَذَا الْفَتَى ؟ |
| فَقَالَا غُلَامٌ مَعَنَا مِنَ السَّرَّاجِينَ يَخْدِمُنَا ، وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ يَسْمَعُ عِيسَى وَإِدْرِيسَ يَتَكَلَّمَانِ فِي هَذَا الرَّأْيِ ، فَإِذَا سَمِعَهُمَا بَكَى ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ مِنْهُ دَعَوْهُ إِلَى رَأْيِهِمْ فَأَجَابَ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ ضِيَاعِ بَنِي مَعْقِلٍ الْعِجْلِيَّةِ بِأَصْبَهَانَ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْجَبَلِ ، وَكَانَ اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَيُلَقَّبُ حَيْكَانَ ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَكَنَّاهُ أَبَا مُسْلِمٍ إِبْرَاهِيمُ الْإِمَامُ ، وَكَانَ مَعَ أَبِي مُوسَى السَّرَّاجِ صَاحِبِهِ يُخَرِّزُ الْأَعِنَّةَ وَيَعْمَلُ السُّرُوجَ ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِصِنَاعَةِ الْأُدُمِ وَالسُّرُوجِ ، فَكَانَ يَحْمِلُهَا إِلَى أَصْبَهَانَ وَالْجِبَالِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ وَنَصِيبِينَ وَآمِدَ وَغَيْرِهَا يَتَّجِرُ فِيهَا. |
| وَكَانَ عَاصِمُ بْنُ يُونُسَ الْعِجْلِيُّ وَإِدْرِيسُ وَعِيسَى ابْنَا مَعْقِلٍ مَحْبُوسِينَ ، فَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ يَخْدِمُهُمْ فِي الْحَبْسِ بِتِلْكَ الْعَلَامَةِ ، فَقَدِمَ سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ وَلَاهِزُ وَقَحْطَبَةُ الْكُوفَةَ فَدَخَلُوا عَلَى عَاصِمٍ ، فَرَأَوْا أَبَا مُسْلِمٍ عِنْدَهُ ، فَأَعْجَبَهُمْ ، فَأَخَذُوهُ ، وَكَتَبَ أَبُو مُوسَى السَّرَّاجُ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ ، فَلَقُوهُ بِمَكَّةَ ، فَأَخَذَ أَبَا مُسْلِمٍ فَكَانَ يَخْدِمُهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ النُّقَبَاءَ قَدِمُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ مَرَّةً أُخْرَى يَطْلُبُونَ رَجُلًا يَتَوَجَّهُ مَعَهُمْ إِلَى خُرَاسَانَ. |
| فَكَانَ هَذَا نَسَبُ أَبِي مُسْلِمٍ عَلَى قَوْلِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ حُرٌّ. |
| فَلَمَّا تَمَكَّنَ وَقَوِيَ أَمْرُهُ ادَّعَى أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ سَلِيطِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ. |
| وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ سَلِيطِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ مُوَلَّدَةٌ صَفْرَاءُ تَخْدِمُهُ ، فَوَاقَعَهَا مَرَّةً وَلَمْ يَطْلُبْ وَلَدَهَا ثُمَّ تَرَكَهَا دَهْرًا ، فَاغْتَنَمَتْ ذَلِكَ فَاسْتَنْكَحَتْ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِ الْمَدِينَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا ، فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَحَدَّهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَاسْتَعْبَدَ وَلَدَهَا وَسَمَّاهُ سَلِيطًا ، فَنَشَأَ جَلْدًا ظَرِيفًا يَخْدِمُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَنْزِلَةٌ ، فَادَّعَى أَنَّهُ وَلَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَوَضَعَهُ عَلَى أَمْرِ الْوَلِيدِ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأَمَرَهُ بِمُخَاصَمَةِ عَلِيٍّ ، فَخَاصَمَهُ وَاحْتَالَ فِي شُهُودٍ عَلَى إِقْرَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بِأَنَّهُ ابْنُهُ ، فَشَهِدُوا بِذَلِكَ عِنْدَ قَاضِي دِمَشْقَ ، فَتَحَامَلَ الْقَاضِي اتِّبَاعًا لِرَأْيِ الْوَلِيدِ فَأَثْبَتَ نَسَبَهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ سَلِيطًا خَاصَمَ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْمِيرَاثِ حَتَّى لَقِيَ مِنْهُ عَلِيٌّ أَذًى شَدِيدًا ، وَكَانَ مَعَ عَلِيٍّ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ يُقَالُ لَهُ عُمَرُ الدَّنُّ ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ يَوْمًا لَأَقْتُلَنَّ هَذَا الْكَلْبَ وَأُرِيحَكَ مِنْهُ ، فَنَهَاهُ عَلِيٌّ عَنْ ذَلِكَ وَتَهَدَّدَهُ بِالْقَطِيعَةِ وَرَفُقَ عَلَى سَلِيطٍ حَتَّى كَفَّ عَنْهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ سَلِيطًا دَخَلَ مَعَ عَلِيٍّ بُسْتَانًا لَهُ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ ، فَنَامَ عَلِيٌّ فَجَرَى بَيْنَ عُمَرَ الدَّنِّ وَسُلَيْطٍ كَلَامٌ ، فَقَتَلَهُ عُمَرُ وَدَفَنَهُ فِي الْبُسْتَانِ ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ مَوْلًى لِعَلِيٍّ وَهَرَبَا ، وَكَانَ لِسَلِيطٍ صَاحِبٌ قَدْ عَرَفَ دُخُولَهُ الْبُسْتَانَ فَفَقَدَهُ فَأَتَى أُمَّ سَلِيطٍ فَأَخْبَرَهَا ، وَفَقَدَ عَلِيٌّ أَيْضًا عُمَرَ الدَّنَّ وَمَوْلَاهُ ، فَسَأَلَ عَنْهُمَا وَعَنْ سَلِيطٍ فَلَمْ يُخْبِرْهُ أَحَدٌ ، وَغَدَتْ أُمُّ سَلِيطٍ إِلَى بَابِ الْوَلِيدِ فَاسْتَغَاثَتْ عَلَى عَلِيٍّ ، فَأَتَى الْوَلِيدُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحَبَّ ، فَأَحْضَرَ عَلِيًّا وَسَأَلَهُ عَنْ سَلِيطٍ ، فَحَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ خَبَرَهُ وَأَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ فِيهِ بِأَمْرٍ ، فَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِ عُمَرَ الدَّنِّ ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ مَوْضِعَهُ ، فَأَمَرَ الْوَلِيدُ بِإِرْسَالِ الْمَاءِ فِي أَرْضِ الْبُسْتَانِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى مَوْضِعِ الْحُفْرَةِ الَّتِي فِيهَا سَلِيطٌ انْخَسَفَتْ وَأُخْرِجَ مِنْهَا سَلِيطٌ ، فَأَمَرَ الْوَلِيدُ بِعَلِيٍّ فَضُرِبَ وَأُقِيمَ فِي الشَّمْسِ ، وَأُلْبِسَ جُبَّةَ صُوفٍ لِيُخْبِرَهُ خَبَرَ سَلِيطٍ وَيَدُلَّهُ عَلَى عُمَرَ الدَّنِّ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ ، ثُمَّ شَفَعَ فِيهِ عَبَّاسُ بْنُ زِيَادٍ فَأُخْرِجَ إِلَى الْحُمَيْمَةِ ، وَقِيلَ إِلَى الْحِجْرِ ، فَأَقَامَ بِهِ حَتَّى هَلَكَ الْوَلِيدُ وَوَلِيَ سُلَيْمَانُ ، فَرَدَّهُ إِلَى دِمَشْقَ. |
| وَكَانَ هَذَا مِمَّا عَدَّهُ الْمَنْصُورُ عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ حِينَ قَتَلَهُ ، وَقَالَ لَهُ زَعَمْتَ أَنَّكَ ابْنُ سَلِيطٍ وَلَمْ تَرْضَ حَتَّى نَسَبْتَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ غَيْرَ وَلَدِهِ ، لَقَدِ ارْتَقَيْتَ مُرْتَقًى صَعْبًا. |
| وَكَانَ سَبَبُ مَوْجِدَةِ الْوَلِيدِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ أَبَاهُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ أُمَّ ابْنِهَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَتَزَوَّجَهَا عَلِيٌّ ، فَتَغَيَّرَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ فِيهِ وَقَالَ إِنَّمَا صِلَاتُهُ رِيَاءٌ ، وَسَمِعَ الْوَلِيدُ ذَلِكَ مِنْ أَبِيهِ فَبَقِيَ فِي نَفْسِهِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ كَانَ عَبْدًا ، وَكَانَ سَبَبُ انْتِقَالِهِ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ أَنَّ بُكَيْرَ بْنَ مَاهَانَ كَانَ كَاتِبًا لِبَعْضِ عُمَّالِ السِّنْدِ فَقَدِمَ الْكُوفَةَ ، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَشِيعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَغَمَزَ بِهِمْ ، فَأُخِذُوا ، فَحُبِسَ بُكَيْرٌ وَخُلِّيَ عَنِ الْبَاقِينَ ، وَكَانَ فِي الْحَبْسِ يُونُسُ أَبُو عَاصِمٍ وَعِيسَى بْنُ مَعْقِلٍ الْعِجْلِيُّ وَمَعَهُ أَبُو مُسْلِمٍ يَخْدِمُهُ ، فَدَعَاهُمْ بُكَيْرٌ إِلَى رَأْيِهِ ، فَأَجَابُوهُ ، فَقَالَ لِعِيسَى بْنِ مَعْقِلٍ مَا هَذَا الْغُلَامُ مِنْكَ ؟ |
| قَالَ مَمْلُوكٌ. |
| قَالَ أَتَبِيعُهُ ؟ |
| قَالَ هُوَ لَكَ. |
| قَالَ أُحِبُّ أَنْ تَأْخُذَ ثَمَنَهُ. |
| قَالَ هُوَ لَكَ بِمَا شِئْتَ ، فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ السِّجْنِ ، فَبَعَثَ بِهِ بُكَيْرٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ ، فَدَفَعَهُ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَبِي مُوسَى السَّرَّاجِ ، فَسَمِعَ مِنْهُ وَحَفِظَ ثُمَّ سَارَ مُتَرَدِّدًا إِلَى خُرَاسَانَ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ لِبَعْضِ أَهْلِ هَرَاةَ أَوْ بُوشَنْجَ ، فَقَدِمَ مَوْلَاهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ وَأَبُو مُسْلِمٍ مَعَهُ ، فَأَعْجَبَهُ عَقْلُهُ فَابْتَاعَهُ مِنْهُ وَأَعْتَقَهُ وَمَكَثَ عِنْدَهُ عِدَّةَ سِنِينَ ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ بِكُتُبٍ إِلَى خُرَاسَانَ عَلَى حِمَارٍ لَهُ ، ثُمَّ وَجَّهَهُ أَمِيرًا عَلَى شِيعَتِهِمْ بِخُرَاسَانَ وَكَتَبَ إِلَى مَنْ بِهَا مِنْهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي سَلَمَةَ الْخَلَّالِ دَاعِيَتِهِمْ وَوَزِيرِهِمْ بِالْكُوفَةِ يُعْلِمُهُ أَنَّهُ قَدْ أَرْسَلَ أَبَا مُسْلِمٍ وَيَأْمُرُهُ بِإِنْفَاذِهِ إِلَى خُرَاسَانَ. |
| فَسَارَ إِلَيْهَا فَنَزَلَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ كَثِيرٍ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| وَقَدْ كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ رَأَى رُؤْيَا قَبْلَ ذَلِكَ اسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى مُلْكِ خُرَاسَانَ فَظَهَرَ أَمْرُهَا ، فَلَمَّا وَرَدَ نَيْسَابُورَ نَزَلَ بُونَابَاذَ ، وَكَانَتْ عَامِرَةً ، فَتَحَدَّثَ صَاحِبُ الْخَانِ الَّذِي نَزَلَهُ أَبُو مُسْلِمٍ بِذَلِكَ وَقَالَ إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَلِي خُرَاسَانَ. |
| فَخَرَجَ أَبُو مُسْلِمٍ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَعَمَدَ بَعْضُ الْمُجَّانِ فَقَطَعَ ذَنَبَ حِمَارِهِ ، فَلَمَّا عَادَ قَالَ لِصَاحِبِ الْخَانِ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِحِمَارِي ؟ |
| قَالَ لَا أَدْرِي! |
| قَالَ مَا اسْمُ هَذِهِ الْمَحِلَّةِ ؟ |
| قَالَ بُونَابَاذَ. |
| قَالَ إِنْ لَمْ أُصَيِّرْهَا كَنَدَابَاذَ فَلَسْتُ بِأَبِي مُسْلِمٍ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ خُرَاسَانَ أَخْرَبَهَا. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ بَلْجٍ وَابْنَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَوَفَاةِ بَلْجٍ وَوِلَايَةِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَلَامَةَ الْأَنْدَلُسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ بِالْأَنْدَلُسِ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ بَلْجٍ وَأُمَيَّةَ وَقَطَنِ ابْنَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنٍ ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّهُمَا لَمَّا هَرَبَا مِنْ قُرْطُبَةَ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُوهُمَا اسْتَنْجَدَا بِأَهْلِ الْبِلَادِ وَالْبَرْبَرِ ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُمَا جَمْعٌ كَثِيرٌ قِيلَ كَانُوا مِائَةَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، فَسَمِعَ بِهِمْ بَلْجٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَجُرِحَ بَلْجٌ جِرَاحَاتٍ ، ثُمَّ ظَفِرَ بِابْنَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْبَرْبَرِ وَمَنْ مَعَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ فَأَكْثَرَ ، وَعَادَ إِلَى قُرْطُبَةَ مُظَفَّرًا مَنْصُورًا ، فَبَقِيَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَمَاتَ مِنَ الْجِرَاحَاتِ الَّتِي فِيهِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا. |
| فَلَمَّا مَاتَ قَدِمَ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِمْ ثَعْلَبَةُ بْنُ سَلَامَةَ الْعِجْلِيُّ ، لِأَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَهِدَ إِلَيْهِمْ إِنْ حَدَثَ بِبَلْجٍ وَكُلْثُومٍ حَدَثٌ فَالْأَمِيرُ ثَعْلَبَةُ ، فَقَامَ بِالْأَمْرِ ، وَثَارَتْ فِي أَيَّامِهِ الْبَرْبَرُ بِنَاحِيَةِ مَارِدَةَ ، فَغَزَاهُمْ فَقَتَلَ فِيهِمْ فَأَكْثَرَ وَأَسَرَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَأَتَى بِهِمْ إِلَى قُرْطُبَةَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا غَزَا سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ ، فَلَقِيَ أَلْيُونَ مَلِكَ الرُّومِ فَغَنِمَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَوَصَّى إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ بِالْقِيَامِ بِأَمْرِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِمْ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسِينَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ذِكْرُ وَفَاةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَفِيهَا مَاتَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالرُّصَافَةِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، كَانَتْ خِلَافَتُهُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَوَاحِدًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَقِيلَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، وَكَانَ مَرَضُهُ الذِّبْحَةَ ، وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ سِتٌّ وَخَمْسُونَ سَنَةً ، فَلَمَّا مَاتَ طَلَبُوا قُمْقُمًا مِنْ بَعْضِ الْخُزَّانِ يُسَخِّنُ فِيهِ الْمَاءَ لِغُسْلِهِ ، فَمَا أَعْطَاهُمْ عِيَاضٌ كَاتِبُ الْوَلِيدِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، فَاسْتَعَارُوا قُمْقُمًا ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ مَسْلَمَةُ وَدُفِنَ بِالرُّصَافَةِ. |
| ذِكْرُ بَعْضِ سِيرَتِهِ قَالَ عَقَّالُ بْنُ شَبَّةَ دَخَلْتُ عَلَى هِشَامٍ وَعَلَيْهِ قَبَاءُ فَنَكٍ أَخْضَرُ ، فَوَجَّهَنِي إِلَى خُرَاسَانَ وَجَعَلَ يُوصِينِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْقَبَاءِ ، فَفَطِنَ فَقَالَ مَا لَكَ ؟ |
| فَقُلْتُ رَأَيْتُ عَلَيْكَ قَبْلَ أَنْ تَلِيَ الْخِلَافَةَ قَبَاءً مِثْلَ هَذَا فَجَعَلْتُ أَتَأَمَّلُ أَهُوَ هَذَا أَمْ غَيْرُهُ. |
| فَقَالَ هُوَ وَاللَّهِ ذَاكَ ، وَأَمَّا مَا تَرَوْنَ مِنْ جَمْعِيَ الْمَالَ وَصَوْنِهِ فَهُوَ لَكُمْ. |
| قَالَ وَكَانَ مَحْشُوًّا عَقْلًا. |
| وَقِيلَ وَضَرَبَ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ غُلَامًا لِمُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ فَشَجَّهُ ، فَذَهَبَ خَصِيٌّ لِمُحَمَّدٍ فَضَرَبَ النَّصْرَانِيَّ ، وَبَلَغَ هِشَامًا الْخَبَرُ وَطَلَبَ الْخَصِيَّ فَعَاذَ بِمُحَمَّدٍ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ أَلَمْ آمُرْكَ ؟ |
| فَقَالَ الْخَصِيُّ بَلَى وَاللَّهِ قَدْ أَمَرْتَنِي. |
| فَضَرَبَ هِشَامٌ الْخَصِيَّ وَشَتَمَ ابْنَهُ. |
| قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ جَمَعْتُ دَوَاوِينَ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَلَمْ أَرَ دِيوَانًا أَصَحَّ وَلَا أَصْلَحَ لِلْعَامَّةِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ دِيوَانِ هِشَامٍ. |
| وَقِيلَ وَأُتِيَ هِشَامٌ بِرَجُلٍ عِنْدَهُ قِيَانٌ وَخَمْرٌ وَبَرْبَطٌ ، فَقَالَ اكْسِرُوا الطُّنْبُورَ عَلَى رَأْسِهِ. |
| فَبَكَى الشَّيْخُ لَمَّا ضَرَبَهُ. |
| فَقَالَ عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ. |
| فَقَالَ أَتَرَانِي أَبْكِي لِلضَّرْبِ ؟ |
| إِنَّمَا أَبْكِي لِاحْتِقَارِهِ الْبَرْبَطَ إِذْ سَمَّاهُ طُنْبُورًا! |
| قَالَ وَأَغْلَظَ رَجُلٌ لِهِشَامٍ ، فَقَالَ لَهُ لَيْسَ لَكَ أَنْ تُغْلِظَ لِإِمَامِكَ. |
| قِيلَ وَتَفَقَّدَ هِشَامٌ بَعْضَ وَلَدِهِ فَلَمْ يَحْضُرِ الْجُمْعَةَ ، فَقَالَ مَا مَنَعَكَ مِنَ الصَّلَاةِ ؟ |
| قَالَ نَفَقَتْ دَابَّتِي. |
| قَالَ أَفَعَجَزْتَ عَنِ الْمَشْيِ ؟ |
| فَمَنَعَهُ الدَّابَّةَ سَنَةً. |
| قِيلَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ عُمَّالِهِ قَدْ بَعَثْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِسَلَّةِ دُرَّاقِنَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ قَدْ وَصَلَ الدُّرَّاقِنُ فَأَعْجَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَزِدْ مِنْهُ وَاسْتَوْثِقْ مِنَ الدُّعَاءِ. |
| وَكَتَبَ إِلَى عَامِلٍ لَهُ قَدْ بَعَثَ بِكَمْأَةٍ قَدْ وَصَلَتِ الْكَمْأَةُ وَهِيَ أَرْبَعُونَ ، وَقَدْ تَغَيَّرَ بَعْضُهَا مِنْ حَشْوِهَا ، فَإِذَا بَعَثْتَ شَيْئًا فَأَجِدْ حَشْوَهَا فِي الظَّرْفِ الَّذِي تَجْعَلُهَا فِيهِ بِالرَّمْلِ حَتَّى لَا تَضْطَرِبَ وَلَا يُصِيبَ بَعْضُهَا بَعْضًا. |
| وَقِيلَ لَهُ أَتَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ ؟ |
| فَأَنْتَ بَخِيلٌ جَبَانٌ! |
| قَالَ وَلِمَ لَا أَطْمَعُ فِيهَا وَأَنَا حَلِيمٌ عَفِيفٌ ؟ |
| قِيلَ وَكَانَ هِشَامٌ يَنْزِلُ الرُّصَافَةَ وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ قِنَّسْرِينَ ، وَكَانَ الْخُلَفَاءُ قَبْلَهُ وَأَبْنَاءُ الْخُلَفَاءِ يَنْتَبِذُونَ هَرَبًا مِنَ الطَّاعُونِ فَيَنْزِلُونَ الْبَرِّيَّةَ ، فَلَمَّا أَرَادَ هِشَامٌ أَنْ يَنْزِلَ الرُّصَافَةَ قِيلَ لَهُ لَا تَخْرُجْ فَإِنَّ الْخُلَفَاءَ لَا يُطْعَنُونَ وَلَمْ يُرَ خَلِيفَةٌ طُعِنَ. |
| قَالَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تُجَرِّبُوا فِيَّ ؟ |
| فَنَزَلَهَا ، وَهِيَ مَدِينَةٌ رُومِيَّةٌ. |
| قِيلَ إِنَّ الْجَعْدَ بْنَ دِرْهَمٍ أَظْهَرَ مَقَالَتَهُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَخَذَهُ هِشَامٌ وَأَرْسَلَهُ إِلَى خَالِدٍ الْقَسْرِيِّ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْعِرَاقِ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَحَبَسَهُ خَالِدٌ وَلَمْ يَقْتُلْهُ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ هِشَامًا ، فَكَتَبَ إِلَى خَالِدٍ يَلُومُهُ وَيَعْزِمُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَأَخْرَجَهُ خَالِدٌ مِنَ الْحَبْسِ فِي وَثَاقِهِ ، فَلَمَّا صَلَّى الْعِيدَ يَوْمَ الْأَضْحَى قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ انْصَرِفُوا وَضَحُّوا يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْكُمْ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُضَحِّيَ الْيَوْمَ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ مَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ، وَلَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، تَعَالَى اللَّهِ عَمَّا يَقُولُ الْجَعْدُ عُلُوًّا كَبِيرًا. |
| ثُمَّ نَزَلَ وَذَبَحَهُ. |
| قِيلَ إِنَّ غَيْلَانَ بْنَ يُونُسَ ، وَقِيلَ ابْنَ مُسْلِمٍ ، أَبَا مَرْوَانَ أَظْهَرَ الْقَوْلَ بِالْقَدَرِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَأَحْضَرَهُ عُمَرُ وَاسْتَتَابَهُ ، فَتَابَ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْكَلَامِ فِيهِ أَيَّامَ هِشَامٍ ، فَأَحْضَرَهُ مِنْ نَاصِرَةَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُطِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ. |
| قِيلَ وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى هِشَامٍ ، فَقَالَ لَيْسَ لَكَ عِنْدِي صِلَةٌ ، ثُمَّ قَالَ إِيَّاكَ أَنْ يَغُرَّكَ أَحَدٌ فَيَقُولُ لَمْ يَعْرِفْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي عَرَفْتُكَ ، أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ فَلَا تُقِيمَنَّ وَتُنْفِقُ مَا مَعَكَ ، فَلَيْسَ لَكَ عِنْدِي صِلَةٌ ، الْحَقْ بِأَهْلِكَ. |
| قَالَ مُجَمَّعُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَنْصَارِيُّ شَتَمَ هِشَامٌ رَجُلًا مِنَ الْأَشْرَافِ ، فَوَبَّخَهُ الرَّجُلُ وَقَالَ أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَشْتُمَنِي وَأَنْتَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ؟ |
| فَاسْتَحْيَا مِنْهُ وَقَالَ اقْتَصَّ مِنِّي. |
| قَالَ إِذًا أَنَا سَفِيهٌ مِثْلُكَ. |
| قَالَ فَخُذْ مِنِّي عِوَضًا مِنَ الْمَالِ. |
| قَالَ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ. |
| قَالَ فَهَبْهَا لِلَّهِ. |
| قَالَ هِيَ لِلَّهِ ثُمَّ لَكَ. |
| فَنَكَسَ هِشَامٌ رَأَسَهُ وَاسْتَحْيَا وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَعُودُ إِلَى مِثْلِهَا أَبَدًا. |
| ذِكْرُ بَيْعَةِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قِيلَ وَكَانَتْ بَيْعَتُهُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنَ السَّنَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ عَقْدُ أَبِيهِ وِلَايَةَ الْعَهْدِ لَهُ بَعْدَ أَخِيهِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ حِينَ جُعِلَ وَلِيَّ عَهْدٍ بَعْدَ هِشَامٍ ابْنَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ عَاشَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَبَلَغَ الْوَلِيدُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَكَانَ يَزِيدُ يَقُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ جَعَلَ هِشَامًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَلَمَّا وَلِيَ هِشَامٌ أَكْرَمَ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ حَتَّى ظَهَرَ مِنَ الْوَلِيدِ مُجُونٌ وَشُرْبُ الشَّرَابِ ، وَكَانَ يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى مُؤَدِّبُهُ ، وَاتَّخَذَ لَهُ نُدَمَاءَ ، فَأَرَادَ هِشَامٌ أَنْ يَقْطَعَهُمْ عَنْهُ فَوَلَّاهُ الْحَجَّ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ، فَحَمَلَ مَعَهُ كِلَابًا فِي صَنَادِيقَ وَعَمِلَ قُبَّةً عَلَى قَدْرِ الْكَعْبَةِ لِيَضَعَهَا عَلَى الْكَعْبَةِ ، وَحَمَلَ مَعَهُ الْخَمْرَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَنْصِبَ الْقُبَّةَ عَلَى الْكَعْبَةِ وَيَشْرَبَ فِيهَا الْخَمْرَ ، فَخَوَّفَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا لَا نَأْمَنُ النَّاسَ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا مَعَكَ. |
| فَلَمْ يَفْعَلْ. |
| وَظَهَرَ لِلنَّاسِ مِنْهُ تَهَاوُنٌ بِالدِّينِ وَاسْتِخْفَافٌ ، فَطَمِعَ هِشَامٌ فِي الْبَيْعَةِ لِابْنِهِ مَسْلَمَةَ وَخَلْعِ الْوَلِيدِ ، وَأَرَادَ الْوَلِيدَ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَبَى ، فَقَالَ لَهُ اجْعَلْهُ بَعْدَكَ ، فَأَبَى ، فَتَنَكَّرَ لَهُ هِشَامٌ وَأَضَرَّ بِهِ وَعَمِلَ سِرًّا فِي الْبَيْعَةِ لِابْنِهِ مَسْلَمَةَ ، فَأَجَابَهُ قَوْمٌ ، وَكَانَ مِمَّنْ أَجَابَهُ خَالَاهُ مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَا هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَبَنُو الْقَعْقَاعِ بْنِ خُلَيْدٍ الْعَبْسِيِّ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ خَاصَّتِهِ ، فَأَفْرَطَ الْوَلِيدُ فِي الشَّرَابِ وَطَلَبِ اللَّذَّاتِ ، فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ وَيْحَكَ يَا وَلِيدُ ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَعَلَى الْإِسْلَامِ أَنْتَ أَمْ لَا! |
| مَا تَدَعُ شَيْئًا مِنَ الْمُنْكَرِ إِلَّا أَتَيْتَهُ غَيْرَ مُتَحَاشٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا... |
| نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرِ نَشْرَبُهَا صِرْفًا وَمَمْزُوجَةً... |
| بِالسُّخْنِ أَحْيَانًا وَبِالْفَاتِرِ فَغَضِبَ هِشَامٌ عَلَى ابْنِهِ مَسْلَمَةَ ، وَكَانَ يُكَنَّى أَبَا شَاكِرٍ ، وَقَالَ لَهُ يُعَيِّرُنِي الْوَلِيدُ بِكَ وَأَنَا أُرَشِّحُكَ لِلْخِلَافَةِ! |
| فَأَلْزَمَهُ الْأَدَبَ وَأَحْضَرَهُ الْجَمَاعَةَ وَوَلَّاهُ الْمَوْسِمَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ، فَأَظْهَرَ النُّسُكَ وَاللِّينَ ، ثُمَّ إِنَّهُ قَسَّمَ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ أَمْوَالًا ، فَقَالَ مَوْلًى لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا... |
| نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرِ الْوَاهِبِ الْجُرْدَ بِأَرْسَانِهَا... |
| لَيْسَ بِزِنْدِيقٍ وَلَا كَافِرِ يُعَرِّضُ بِالْوَلِيدِ. |
| وَكَانَ هِشَامٌ يَعِيبُ الْوَلِيدَ وَيَنْتَقِصُهُ وَيُقَصِّرُ بِهِ ، فَخَرَجَ الْوَلِيدُ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ خَاصَّتِهِ وَمَوَالِيهِ فَنَزَلَ بِالْأَزْرَقِ عَلَى مَاءٍ لَهُ بِالْأُرْدُنِّ ، وَخَلَّفَ كَاتِبَهُ عِيَاضَ بْنَ مُسْلِمٍ عِنْدَ هِشَامٍ لِيُكَاتِبَهُ بِمَا عِنْدَهُمْ ، وَقَطَعَ هِشَامٌ عَنِ الْوَلِيدِ مَا كَانَ يُجْرَى عَلَيْهِ ، وَكَاتَبَهُ الْوَلِيدُ فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى رَدِّهِ ، وَأَمَرَهُ بِإِخْرَاجِ عَبْدِ الصَّمَدِ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَخْرَجَهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لِابْنِ سُهَيْلٍ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، فَضَرَبَ هِشَامٌ ابْنَ سُهَيْلٍ وَسَيَّرَهُ ، وَأَخَذَ عِيَاضَ بْنَ مُسْلِمٍ كَاتِبَ الْوَلِيدِ فَضَرَبَهُ وَحَبَسَهُ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ مَنْ يَثِقُ بِالنَّاسِ وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ! |
| هَذَا الْأَحْوَلُ الْمَشْئُومُ قَدَّمَهُ أَبِي عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَصَيَّرَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ ثُمَّ يَصْنَعُ بِي مَا تَرَوْنَ ؟ |
| لَا يَعْلَمُ أَنَّ لِي فِي أَحَدٍ هَوًى إِلَّا عَبِثَ بِهِ! |
| وَكَتَبَ إِلَى هِشَامٍ فِي ذَلِكَ يُعَاتِبُهُ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ كَاتِبَهُ ، فَلَمْ يَرُدَّهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ رَأَيْتُكَ تَبْنِي دَائِمًا فِي قَطِيعَتِي... |
| وَلَوْ كُنْتَ ذَا حَزْمٍ لَهَدَّمْتَ مَا تَبْنِي تُثِيرُ عَلَى الْبَاقِينَ مَجْنَى ضَغِينَةٍ... |
| فَوَيْلٌ لَهُمْ إِنْ مُتُّ مِنْ شَرِّ مَا تَجْنِي كَأَنِّي بِهِمْ وَاللَّيْتَ أَفْضَلُ قَوْلِهِمْ... |
| أَلَا لَيْتَنَا وَاللَّيْتَ إِذْ ذَاكَ لَا يُغْنِي كَفَرْتَ يَدًا مِنْ مُنْعِمٍ لَوْ شَكَرْتَهَا... |
| جَزَاكَ بِهَا الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ وَالْمَنِّ فَلَمْ يَزَلِ الْوَلِيدُ مُقِيمًا فِي تِلْكَ الْبَرِّيَّةِ حَتَّى مَاتَ هِشَامٌ ، فَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةُ الْيَوْمِ الَّذِي جَاءَتْهُ فِيهِ الْخِلَافَةُ قَالَ لِأَبِي الزُّبَيْرِ الْمُنْذِرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو مَا أَتَتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ عَقَلْتُ عَقْلِي أَطْوَلُ مِنْ هَذِهِ اللَّيْلَةِ! |
| عَرَضَتْ لِي هُمُومٌ وَحَدَّثْتُ نَفْسِي فِيهَا بِأُمُورٍ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ ، يَعْنِي هِشَامًا ، قَدْ أُولِعَ بِي ، فَارْكَبْ بِنَا نَتَنَفَّسْ. |
| فَرَكِبَا وَسَارَا مِيلَيْنِ ، وَوَقَفَ عَلَى كَثِيبٍ فَنَظَرَ إِلَى رَهْجٍ فَقَالَ هَؤُلَاءِ رُسُلُ هِشَامٍ ، نَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ خَيْرِهِمْ ، إِذْ بَدَا رَجُلَانِ عَلَى الْبَرِيدِ أَحَدُهُمَا مَوْلًى لِأَبِي مُحَمَّدٍ السُّفْيَانِيِّ وَالْآخَرُ جَرْدَبَةُ ، فَلَمَّا قَرُبَا نَزَلَا يَعْدُوَانِ حَتَّى دَنَوَا مِنْهُ فَسَلَّمَا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، فَوَجَمَ ثُمَّ قَالَ أَمَاتَ هِشَامٌ ؟ |
| قَالَا نَعَمْ ، وَالْكِتَابُ مَعَنَا مِنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبِ دِيوَانِ الرَّسَائِلِ. |
| فَقَرَأَهُ وَسَأَلَ مَوْلَى أَبِي مُحَمَّدٍ السُّفْيَانِيِّ عَنْ كَاتِبِهِ عِيَاضٍ ، فَقَالَ لَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى نَزَلَ بِهِشَامٍ الْمَوْتُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْخُزَّانِ وَقَالَ احْتَفِظُوا بِمَا فِي أَيْدِيكُمْ ، فَأَفَاقَ هِشَامٌ فَطَلَبَ شَيْئًا فَمَنَعُوهُ ، فَقَالَ إِنَّا لِلَّهِ ، كُنَّا خُزَّانًا لِلْوَلِيدِ! |
| وَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَخَرَجَ عِيَاضٌ مِنَ السِّجْنِ ، فَخَتَمَ أَبْوَابَ الْخَزَائِنِ وَأَنْزَلَ هِشَامًا عَنْ فَرْشِهِ ، وَمَا وَجَدُوا لَهُ قُمْقُمًا يُسَخَّنُ لَهُ فِيهِ الْمَاءُ حَتَّى اسْتَعَارُوهُ ، وَلَا وَجَدُوا كَفَنًا مِنَ الْخَزَائِنِ فَكَفَّنَهُ غَالِبٌ مَوْلَاهُ ، فَقَالَ هَلَكَ الْأَحْوَلُ الْمَشُو... |
| مُ فَقَدْ أُرْسِلَ الْمَطَرْ وَمَلَكْنَا مِنْ بَعْدِ ذَا... |
| كَ فَقَدْ أَوْرَقَ الشَّجَرْ فَاشْكُرُوا اللَّهَ إِنَّهُ... |
| زَائِدٌ كُلَّ مَنْ شَكَرْ وَقِيلَ إِنَّ هَذَا الشِّعْرَ لِغَيْرِ الْوَلِيدِ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ الْوَلِيدُ مَوْتَهُ كَتَبَ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَنْ يَأْتِيَ الرُّصَافَةَ ، فَيُحْصِيَ مَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالِ هِشَامٍ وَوَلَدِهِ ، وَيَأْخُذَ عُمَّالَهُ وَحَشَمَهُ إِلَّا مَسْلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ فَإِنَّهُ كَلَّمَ أَبَاهُ فِي الرِّفْقِ بِالْوَلِيدِ. |
| فَقَدِمَ الْعَبَّاسُ الرُّصَافَةَ فَفَعَلَ مَا كَتَبَ بِهِ الْوَلِيدُ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ بِهِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ لَيْتَ هِشَامًا كَانَ حَيًّا يَرَى... |
| مِحْلَبَهُ الْأَوْفَرَ قَدْ أُتْرِعَا وَيُرْوَى لَيْتَ هِشَامًا عَاشَ حَتَّى يَرَى... |
| مِكْيَالَهُ الْأَوْفَرَ قَدْ طُبِّعَا كِلْنَاهُ بِالصَّاعِ الَّذِي كَالَهُ... |
| وَمَا ظَلَمْنَاهُ بِهِ إِصْبَعَا وَمَا أَتَيْنَا ذَاكَ عَنْ بِدْعَةٍ أَحَلَّهُ الْفُرْقَانُ لِي أَجْمَعَا وَضَيَّقَ عَلَى أَهْلِ هِشَامٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَجَاءَ خَادِمٌ لِهِشَامٍ فَوَقَفَ عِنْدَ قَبْرِهِ وَبَكَى وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ رَأَيْتَ مَا يَصْنَعُ بِنَا الْوَلِيدُ. |
| فَقَالَ بَعْضُ مَنْ هُنَاكَ لَوْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ بِهِشَامٍ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي نِعْمَةٍ لَا تَقُومُ بِشُكْرِهَا! |
| إِنَّ هِشَامًا فِي شُغُلٍ مِمَّا هُوَ فِيهِ عَنْكُمْ. |
| وَاسْتَعْمَلَ الْوَلِيدُ الْعُمَّالَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْآفَاقِ بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ ، فَجَاءَتْهُ بَيْعَتُهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِبَيْعَتِهِ وَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ الْوَلِيدُ أَجْرَى عَلَى زَمْنَى أَهْلِ الشَّامِ وَعُمْيِهِمْ وَكَسَاهُمْ ، وَأَمَرَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِخَادِمٍ ، وَأَخْرَجَ لِعِيَالَاتِ النَّاسِ الطِّيبَ وَالْكُسْوَةَ وَزَادَهُمْ ، وَزَادَ النَّاسَ فِي الْعَطَاءِ عَشَرَاتٍ ، ثُمَّ زَادَ أَهْلَ الشَّامِ بَعْدَ الْعَشَرَاتِ عَشَرَةً عَشَرَةً ، وَزَادَ الْوُفُودَ ، وَلَمْ يَقُلْ فِي شَيْءٍ يُسْأَلُهُ لَا وَقَالَ ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَعُقْنِي عَوَائِقٌ... |
| بِأَنَّ سَمَاءَ الضُّرِّ عَنْكُمْ سَتُقْلِعُ سَيُوشِكُ إِلْحَاقٌ مَعًا وَزِيَادَةٌ... |
| وَأَعْطِيَةٌ مِنِّي عَلَيْكُمْ تَبَرَّعُ مُحَرَّمُكُمْ دِيوَانُكُمْ وَعَطَاؤُكُمْ... |
| بِهِ تَكْتُبُ الْكُتَّابُ شَهْرًا وَتَطْبَعُ قَالَ حُلْمُ الْوَادِي الْمُغَنِّي كُنَّا مَعَ الْوَلِيدِ وَأَتَاهُ خَبَرُ مَوْتِ هِشَامٍ وَهُنِّئَ بِوِلَايَةِ الْخِلَافَةِ ، وَأَتَاهُ الْقَضِيبُ وَالْخَاتَمُ ، ثُمَّ قَالَ فَأَمْسَكْنَا سَاعَةً وَنَظَرْنَا إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْخِلَافَةِ ، فَقَالَ غَنُّونِي طَابَ يَوْمِي وَلَذَّ شُرْبُ السُّلَافَهْ... |
| وَأَتَانَا نَعِيُّ مَنْ بِالرُّصَافَهْ وَأَتَانَا الْبَرِيدُ يَنْعِي هِشَامًا... |
| وَأَتَانَا بِخَاتَمٍ لِلْخِلَافَهْ فَاصْطَبَحْنَا مِنْ خَمْرِ عَانَةَ صِرْفًا... |
| وَلَهَوْنَا بِقَيْنَةٍ عَرَّافَهْ وَحَلَفَ أَنْ لَا يَبْرَحَ مِنْ مَوْضِعِهِ حَتَّى يُغَنَّى فِي هَذَا الشِّعْرُ وَيَشْرَبَ عَلَيْهِ فَفَعَلْنَا ذَلِكَ ، وَلَمْ نَزَلْ نُغَنِّي إِلَى اللَّيْلِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْوَلِيدَ هَذِهِ السَّنَةَ عَقَدَ لِابْنَيْهِ الْحَكَمِ وَعُثْمَانَ الْبَيْعَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَجَعَلَهُمَا وَلِيَّيْ عَهْدِهِ ، أَحَدُهُمَا بَعْدَ الْآخَرِ ، وَجَعَلَ الْحَكَمَ مُقَدَّمًا ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَمْصَارِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ خُرَاسَانَ لِلْوَلِيدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَّى الوليدُ نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ خُرَاسَانَ كُلَّهَا وَأَفْرَدَهُ بِهَا ، ثُمَّ وَفَدَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ عَلَى الْوَلِيدِ فَاشْتَرَى مِنْهُ نَصْرًا وَعُمَّالَهُ ، فَرَدَّ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ وِلَايَةَ خُرَاسَانَ ، وَكَتَبَ يُوسُفُ إِلَى نَصْرٍ يَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ ، وَيَحْمِلُ مَعَهُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَدَايَا وَالْأَمْوَالِ ، وَأَنْ يَقْدَمَ مَعَهُ بِعِيَالِهِ أَجْمَعِينَ ، وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى نَصْرٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَتَّخِذَ لَهُ بَرَابِطَ وَطَنَابِيرَ وَأَبَارِيقَ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَأَنْ يَجْمَعَ لَهُ كُلَّ صَنَّاجَةٍ بِخُرَاسَانَ ، وَكُلَّ بَازِيٍّ وَبِرْذَوْنٍ فَارِهٍ ، ثُمَّ يَسِيرُ بِكُلِّ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ فِي وُجُوهِ أَهْلِ خُرَاسَانَ. |
| وَكَانَ الْمُنَجِّمُونَ قَدْ أَخْبَرُوا نَصْرًا بِفِتْنَةٍ تَكُونُ ، وَأَلَحَّ يُوسُفُ عَلَى نَصْرٍ بِالْقُدُومِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولًا فِي ذَلِكَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَحِثَّهُ أَوْ يُنَادِيَ فِي النَّاسِ أَنَّهُ قَدْ خُلِعَ. |
| فَأَرْضَى نَصْرٌ الرَّسُولَ وَأَجَازَهُ ، فَلَمْ يَمْضِ لِذَلِكَ إِلَّا يَسِيرٌ حَتَّى وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ. |
| فَتَحَوَّلَ إِلَى قَصْرِهِ بِمَاجَانَ وَاسْتَخْلَفَ عِصْمَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيَّ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَمُوسَى بْنَ وَرْقَاءَ بِالشَّاشِ ، وَحَسَّانَ مِنْ أَهْلِ الصَّغَانِيَانِ بِسَمَرْقَنْدَ ، وَمُقَاتِلَ بْنَ عَلِيٍّ السُّغْدِيَّ بِآمُلَ ، وَأَمَرَهُمْ إِذَا بَلَغَهُمْ خُرُوجُهُ مِنْ مَرْوَ أَنْ يَسْتَجْلِبُوا التُّرْكَ لِيَعْبُرُوا عَلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ لِيَرْجِعَ إِلَيْهِمْ. |
| وَسَارَ إِلَى الْعِرَاقِ. |
| فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ إِلَى الْعِرَاقِ طَرَقَهُ مَوْلًى لِبَنِي لَيْثٍ وَأَعْلَمَهُ بِقَتْلِ الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَذِنَ لِلنَّاسِ ، وَأَحْضَرَ رُسُلَ الْوَلِيدِ وَقَالَ لَهُمْ قَدْ كَانَ مِنْ مَسِيرِي مَا عَلِمْتُمْ ، وَبَعْثِي بِالْهَدَايَا مَا رَأَيْتُمْ ، وَكَانَ قَدْ قَدَّمَ الْهَدَايَا فَبَلَغَتْ بَيْهَقَ ، وَطَرَقَنِي فُلَانٌ لَيْلًا فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الْوَلِيدَ قَدْ قُتِلَ ، وَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِالشَّامِ ، وَقَدِمَ مَنْصُورُ بْنُ جُمْهُورٍ الْعِرَاقَ ، وَهَرَبَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ ، وَنَحْنُ بِالْبِلَادِ الَّتِي قَدْ عَلِمْتُمْ حَالَهَا وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا. |
| فَقَالَ سَالِمُ بْنُ أَحْوَزَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّهُ بَعْضُ مَكَايِدِ قُرَيْشٍ ، أَرَادُوا تَهْجِينَ طَاعَتِكَ ، فَسِرْ وَلَا تَمْتَحِنَّا. |
| فَقَالَ يَا سَالِمٌ أَنْتَ رَجُلٌ لَكَ عِلْمٌ بِالْحَرْبِ وَحُسْنُ طَاعَةٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ ، فَأَمَّا مِثْلُ هَذِهِ الْأُمُورِ فَرَأْيُكَ فِيهَا رَأْيُ أَمَةٍ هَتْمَاءَ. |
| وَرَجَعَ بِالنَّاسِ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ يَحْيَى بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ يَحْيَى بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِخُرَاسَانَ. |
| وَسَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ سَارَ بَعْدَ قَتْلِ أَبِيهِ إِلَى خُرَاسَانَ ، كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ ، فَأَتَى بَلْخًا فَأَقَامَ بِهَا عِنْدَ الْحَرِيشِ بْنِ عَمْرِو بْنِ دَاوُدَ حَتَّى هَلَكَ هِشَامٌ وَوَلِيَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ. |
| فَكَتَبَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ إِلَى نَصْرٍ بِمَسِيرِ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ وَبِمَنْزِلِهِ عِنْدَ الْحَرِيشِ ، وَقَالَ لَهُ خُذْهُ أَشَدَّ الْأَخْذِ ، فَأَخَذَ نَصْرٌ الْحَرِيشَ ، فَطَالَبَهُ بِيَحْيَى ، فَقَالَ لَا عِلْمَ لِي بِهِ. |
| فَأَمَرَ فَجُلِدَ سِتُّمِائَةِ سَوْطٍ. |
| فَقَالَ الْحَرِيشُ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ تَحْتَ قَدَمِي مَا رَفَعْتُهَا عَنْهُ. |
| فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قُرَيْشُ بْنُ الْحَرِيشِ قَالَ مُحَمَّدٌ لَا تَقْتُلْ أَبِي وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى يَحْيَى ، فَدَلَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ نَصْرٌ وَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ يُخْبِرُهُ ، فَكَتَبَ الْوَلِيدُ يَأْمُرُهُ أَنْ يُؤَمِّنَهُ وَيُخَلِّيَ سَبِيلَهُ وَسَبِيلَ أَصْحَابِهِ. |
| فَأَطْلَقَهُ نَصْرٌ وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِالْوَلِيدِ وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفَيْ دِرْهَمٍ ، فَسَارَ إِلَى سَرْخَسَ فَأَقَامَ بِهَا ، فَكَتَبَ نَصْرٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يُسَيِّرَهُ عَنْهَا ، فَسَيَّرَهُ عَنْهَا ، فَسَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَيْهَقَ ، وَخَافَ أَنْ يَغْتَالَهُ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ فَعَادَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَبِهَا عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ ، وَكَانَ مَعَ يَحْيَى سَبْعُونَ رَجُلًا ، فَرَأَى يَحْيَى تُجَّارًا ، فَأَخَذَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ دَوَابَّهُمْ وَقَالُوا عَلَيْنَا أَثْمَانُهَا ، فَكَتَبَ عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ إِلَى نَصْرٍ يُخْبِرُهُ ، فَكَتَبَ نَصْرٌ يَأْمُرُهُ بِمُحَارَبَتِهِ ، فَقَاتَلَهُ عَمْرٌو ، وَهُوَ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ وَيَحْيَى فِي سَبْعِينَ رَجُلًا ، فَهَزَمَهُمْ يَحْيَى وَقَتَلَ عَمْرًا وَأَصَابَ دَوَابَّ كَثِيرَةً وَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِهَرَاةَ ، فَلَمْ يَعْرِضْ لِمَنْ بِهَا وَسَارَ عَنْهَا. |
| وَسَرَّحَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ سَالِمَ بْنَ أَحْوَزَ فِي طَلَبِ يَحْيَى ، فَلَحِقَهُ بِالْجُوزَجَانِ فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَرُمِيَ يَحْيَى بِسَهْمٍ فَأَصَابَ جَبْهَتَهُ ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ عَنَزَةَ يُقَالُ لَهُ عِيسَى ، فَقُتِلَ أَصْحَابُ يَحْيَى مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ ، وَأَخَذُوا رَأْسَ يَحْيَى وَسَلَبُوهُ قَمِيصَهُ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْوَلِيدَ قَتْلُ يَحْيَى كَتَبَ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ خُذْ عُجَيْلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَنْزِلْهُ مِنْ جِذْعِهِ ، يَعْنِي زَيْدًا ، وَأَحْرِقْهُ بِالنَّارِ ثُمَّ انْسِفْهُ بِالْيَمِّ نَسْفًا ، فَأَمَرَ يُوسُفُ بِهِ فَأُحْرِقَ ، ثُمَّ رَضَّهُ وَحَمَلَهُ فِي سَفِينَةٍ ثُمَّ ذَرَّاهُ فِي الْفُرَاتِ. |
| وَأَمَّا يَحْيَى فَإِنَّهُ لَمَّا قُتِلَ صُلِبَ بِالْجُوزَجَانِ ، فَلَمْ يَزَلْ مَصْلُوبًا حَتَّى ظَهَرَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَسَانِيُّ وَاسْتَوْلَى عَلَى خُرَاسَانَ فَأَنْزَلَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ ، وَأَمَرَ بِالنِّيَاحَةِ عَلَيْهِ فِي خُرَاسَانَ ، وَأَخَذَ أَبُو مُسْلِمٍ دِيوَانَ بَنِي أُمَيَّةَ وَعَرَفَ مِنْهُ أَسْمَاءَ مَنْ حَضَرَ قَتْلَ يَحْيَى ، فَمَنْ كَانَ حَيًّا قَتَلَهُ وَمَنْ كَانَ مَيِّتًا خَلَّفَهُ فِي أَهْلِهِ بِسُوءٍ ، وَكَانَتْ أُمُّ يَحْيَى رَيْطَةَ بِنْتَ أَبِي هَاشِمٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ. |
| عُبَادُ بِضَمِّ الْعَيْنِ ، وَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ الْمُخَفَّفَةِ . |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ حَنْظَلَةَ إِفْرِيقِيَّةَ وَأَبِي الْخَطَّارِ الْأَنْدَلُسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ أَبُو الْخَطَّارِ حُسَامُ بْنُ ضِرَارٍ الْكَلْبِيُّ الْأَنْدَلُسَ أَمِيرًا فِي رَجَبٍ ، وَكَانَ أَبُو الْخَطَّارِ لَمَّا تَبَايَعَ وُلَاةُ الْأَنْدَلُسِ مِنْ قَيْسٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا وَعَرَّضَ فِيهِ بِيَوْمِ مَرْجِ رَاهِطٍ ، وَمَا كَانَ مِنْ بَلَاءِ كَلْبٍ فِيهِ مَعَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَقِيَامِ الْقَيْسِيِّينَ مَعَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ الْفِهْرِيِّ عَلَى مَرْوَانَ ، وَمِنَ الشِّعْرِ أَفَادَتْ بَنُو مَرْوَانَ قَيْسًا دِمَاءَنَا... |
| وَفِي اللَّهِ إِنْ لَمْ يَعْدِلُوا حَكَمٌ عَدْلُ كَأَنَّكُمُ لَمْ تَشْهَدُوا مَرْجَ رَاهِطٍ وَلَمْ تَعْلَمُوا مَنْ كَانَ ثَمَّ لَهُ الْفَضْلُ... |
| وَقَيْنَاكُمْ حَرَّ الْقَنَا بِنُحُورِنَا وَلَيْسَ لَكُمْ خَيْلٌ تُعَدُّ وَلَا رَجْلُ فَلَمَّا بَلَغَ شِعْرُهُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ سَأَلَ عَنْهُ ، فَأُعْلِمَ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، وَكَانَ هِشَامٌ قَدِ اسْتَعْمَلَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ حَنْظَلَةَ بْنَ صَفْوَانَ الْكَلْبِيَّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامٌ أَنْ يُوَلِّيَ أَبَا الْخَطَّارِ الْأَنْدَلُسَ ، فَوَلَّاهُ وَسَيَّرَهُ إِلَيْهَا ، فَدَخَلَ قُرْطُبَةَ يَوْمَ جُمْعَةٍ فَرَأَى ثَعْلَبَةَ بْنَ سَلَامَةَ أَمِيرَهَا قَدْ أَحْضَرَ الْأُسَارَى الْأَلْفَ مِنَ الْبَرْبَرِ ، الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُ أَسْرِهِمْ ، لِيَقْتُلَهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو الْخَطَّارِ دَفَعَ الْأَسْرَى إِلَيْهِ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ سَبَبًا لِحَيَاتِهِمْ ، وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ الَّذِينَ بِالْأَنْدَلُسِ قَدْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ مَعَ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَلَامَةَ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو الْخَطَّارِ يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَمِيلُهُمْ حَتَّى أَقَامُوا ، فَأَنْزَلَ كُلَّ قَوْمٍ عَلَى شِبْهِ مَنَازِلِهِمْ بِالشَّامِ ، فَلَمَّا رَأَوْا بَلَدًا يُشْبِهُ بُلْدَانَهُمْ أَقَامُوا. |
| وَقِيلَ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ إِنَّمَا فَرَّقَهُمْ فِي الْبِلَادِ لِأَنَّ قُرْطُبَةَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ فَفَرَّقَهُمْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ أَخْبَارِهِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ خَالَهُ يُوسُفَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ وَالِيًا عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ مُحَمَّدًا وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيِّ مُوثَقَيْنِ فِي عَبَاءَتَيْنِ ، فَقَدِمَ بِهِمَا الْمَدِينَةَ فِي شَعْبَانَ فَأَقَامَهُمَا لِلنَّاسِ ، ثُمَّ حُمِلَا إِلَى الشَّامِ فَأُحْضِرُوا عِنْدَ الْوَلِيدِ ، فَأَمَرَ بِجَلْدِهِمْ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ أَسْأَلُكَ بِالْقَرَابَةِ! |
| قَالَ وَأَيُّ قُرَابَةٍ بَيْنَنَا ؟ |
| قَالَ فَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَرْبٍ بِسَوْطٍ إِلَّا فِي حَدٍّ. |
| قَالَ فَفِي حَدٍّ أَضْرِبُكَ وَقَوَدٍ ، أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ بِالْعَرْجِيِّ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ أَخَذَهُ وَقَيَّدَهُ ، وَأَقَامَهُ لِلنَّاسِ وَجَلَدَهُ وَسَجَنَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ بَعْدَ تِسْعِ سِنِينَ لِهِجَاءِ الْعَرْجِيِّ إِيَّاهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ الْوَلِيدُ فَجُلِدَ هُوَ وَأَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ ، ثُمَّ أَوْثَقَهُمَا حَدِيدًا وَأَمَرَ أَنْ يُبْعَثَ بِهِمَا إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ عَلَى الْعِرَاقِ ، فَلَمَّا قَدِمَ بِهِمَا عَذَّبَهُمَا حَتَّى مَاتَا. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ الْوَلِيدُ سَعْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنْ قَضَاءِ الْمَدِينَةِ وَوَلَّاهُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيَّ. |
| وَفِيهَا خَرَجَتِ الرُّومُ إِلَى زِبَطْرَةَ ، وَهُوَ حِصْنٌ قَدِيمٌ كَانَ افْتَتَحَهُ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيُّ ، فَأَخْرَبَتْهُ الرُّومُ الْآنَ ، فَبَنَى بِنَاءً غَيْرَ مُحْكَمٍ ، فَعَادَ الرُّومُ وَأَخْرَبُوهُ أَيَّامَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحِمَارِ ، ثُمَّ بَنَاهُ الرَّشِيدُ وَشَحَنَهُ بِالرِّجَالِ ، فَلَمَّا كَانَتْ خِلَافَةُ الْمَأْمُونِ طَرَقَهُ الرُّومُ فَشَعَّثُوهُ ، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِمَرَمَّتِهِ وَتَحْصِينِهِ ، ثُمَّ قَصَدَهُ الرُّومُ أَيَّامَ الْمُعْتَصِمِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| فَإِنَّمَا سُقْتُ خَبَرَهُ هَاهُنَا لِأَنِّي لَمْ أَعْلَمْ تَوَارِيخَ حَوَادِثِهِ. |
| وَفِيهَا أَغْزَى الْوَلِيدُ أَخَاهُ الْغَمْرَ بْنَ يَزِيدَ ، وَأَمَّرَ عَلَى جُيُوشِ الْبَحْرِ الْأَسْوَدَ بْنَ بِلَالٍ الْمُحَارِبِيَّ وَسَيَّرَهُ إِلَى قُبْرُصَ لِيُخَيِّرَ أَهْلَهَا بَيْنَ الْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ أَوْ إِلَى الرُّومِ ، فَاخْتَارَتْ طَائِفَةٌ جِوَارَ الْمُسْلِمِينَ ، فَسَيَّرَهُمْ إِلَى الشَّامِ ، وَاخْتَارَ آخَرُونَ الرُّومَ ، فَسَيَّرَهُمْ إِلَيْهِمْ. |
| وَفِيهَا قَدِمَ سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ وَمَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ وَلَاهِزُ بْنُ قُرَيْظٍ وَقَحْطَبَةُ بْنُ شَبِيبٍ مَكَّةَ ، فَلَقَوْا ، فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ السِّيَرِ ، مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرُوهُ بِقِصَّةِ أَبِي مُسْلِمٍ وَمَا رَأَوْا مِنْهُ ، فَقَالَ أَحُرٌّ هُوَ أَمْ عَبْدٌ ؟ |
| قَالُوا أَمَّا عِيسَى فَيَزْعُمُ أَنَّهُ عَبْدٌ ، وَأَمَّا هُوَ فَيَزْعُمُ أَنَّهُ حُرٌّ. |
| قَالَ فَاشْتَرَوْهُ وَأَعْتَقُوهُ وَأَعْطَوْا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَكُسْوَةً بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. |
| فَقَالَ لَهُمْ مَا أَظُنُّكُمْ تَلْقَوْنِي بَعْدَ عَامِي هَذَا ، فَإِنْ حَدَثَ بِي حَدَثٌ فَصَاحِبُكُمُ ابْنِي إِبْرَاهِيمُ فَإِنِّي أَثِقُ بِهِ ، وَأُوصِيكُمْ بِهِ خَيْرًا. |
| فَرَجَعُوا مِنْ عِنْدِهِ. |
| وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ بَيْنَ مَوْتِهِ وَمَوْتِ أَبِيهِ سَبْعُ سِنِينَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ. |
| وَفِيهَا غَزَا النُّعْمَانُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الصَّائِفَةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ أَبُو حَازِمٍ الْأَعْرَجُ ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ ، وَفِي آخِرِ أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ تُوُفِّيَ سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ ، وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَزَّةَ وَاسْمُ أَبِي بَزَّةَ يَسَارٌ ، وَهُوَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالْقِرَاءَةِ وَأَشْعَثُ بْنُ أَبِي الشَّعْثَاءِ سُلَيْمٌ بْنُ أَسْوَدَ الْمُحَارِبِيُّ. |
| وَزَيْدُ بْنُ أَبِي أُنَيْسَةَ الْجَزَرِيُّ ، مَوْلَى بَنِي كِلَابٍ ، وَقِيلَ مَوْلَى يَزِيدَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَقِيلَ مَوْلَى غَنِيٍّ ، وَكَانَ عُمْرُهُ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ فَقِيهًا عَابِدًا ، وَكَانَ لَهُ أَخٌ اسْمُهُ يَحْيَى ، كَانَ ضَعِيفًا فِي الْحَدِيثِ. |
| وَفِي أَيَّامِ هِشَامٍ مَاتَ الْعَرْجِيُّ الشَّاعِرُ فِي حَبْسِ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيِّ ، عَامِلِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَكَانَ سَبَبُ حَبْسِهِ أَنَّهُ هَجَاهُ فَتَتَبَّعَهُ حَتَّى بَلَغَهُ أَنَّهُ أَخَذَ مَوْلًى لَهُ فَضَرَبَهُ وَقَتَلَهُ ، وَأَمَرَ عَبِيدَهُ أَنْ يَطَئُوا امْرَأَةَ الْمَوْلَى الْمَقْتُولِ ، فَأَخَذَهُ مُحَمَّدٌ فَضَرَبَهُ وَأَقَامَهُ لِلنَّاسِ وَحَبَسَهُ تِسْعَ سِنِينَ فَمَاتَ فِي السِّجْنِ. |
| الْعَرْجِيُّ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ، وَآخِرُهُ جِيمٌ . |
| وَكَانَ عُمَّالُ الْأَمْصَارِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ عَزْلِهِ عَنِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ ، وَكَانَ عَمَلُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فِيمَا قِيلَ ، وَلَمَّا عَزَلَهُ هِشَامٌ قَدِمَ عَلَيْهِ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ وَاسِطًا فَحَبَسَهُ بِهَا ، ثُمَّ سَارَ يُوسُفُ إِلَى الْحِيرَةِ وَأَخَذَ خَالِدًا فَحَبَسَهُ بِهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا مَعَ أَخِيهِ إِسْمَاعِيلَ وَابْنِهِ يَزِيدَ بْنِ خَالِدٍ وَابْنِ أَخِيهِ الْمُنْذِرِ بْنِ أَسَدٍ. |
| اسْتَأْذَنَ يُوسُفُ هِشَامًا فِي تَعْذِيبِهِ فَأَذِنَ لَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَأَقْسَمَ لَئِنْ هَلَكَ لَيَقْتُلَنَّهُ ، فَعَذَّبَهُ يُوسُفُ ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى حَبْسِهِ. |
| وَقِيلَ بَلْ عَذَّبَهُ عَذَابًا كَثِيرًا ، وَكَتَبَ هِشَامٌ إِلَى يُوسُفَ يَأْمُرُهُ بِإِطْلَاقِهِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، فَأَطْلَقَهُ ، فَسَارَ فَأَتَى الْقَرْيَةَ الَّتِي بِإِزَاءِ الرُّصَافَةِ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى صَفَرٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ ، وَخَرَجَ زَيْدٌ فَقُتِلَ ، فَكَتَبَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ إِنَّ بَنِي هَاشِمٍ قَدْ كَانُوا هَلَكُوا جُوعًا فَكَانَتْ هِمَّةُ أَحَدِهِمْ قُوتَ عِيَالِهِ ، فَلَمَّا وَلِيَ خَالِدٌ الْعِرَاقَ أَعْطَاهُمُ الْأَمْوَالَ ، فَتَاقَتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَى الْخِلَافَةِ ، وَمَا خَرَجَ زَيْدٌ إِلَّا عَنْ رَأْيِ خَالِدٍ. |
| فَقَالَ هِشَامٌ كَذَبَ يُوسُفُ! |
| وَضَرَبَ رَسُولَهُ وَقَالَ لَسْنَا نَتَّهِمُ خَالِدًا فِي طَاعَةٍ. |
| وَسَمِعَ خَالِدٌ فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ دِمَشْقَ وَسَارَ إِلَى الصَّائِفَةِ. |
| وَكَانَ عَلَى دِمَشْقَ يَوْمَئِذٍ كُلْثُومُ بْنُ عِيَاضٍ الْقُشَيْرِيُّ ، وَكَانَ يُبْغِضُ خَالِدًا ، فَظَهَرَ فِي دُورِ دِمَشْقَ حَرِيقٌ كُلَّ لَيْلَةٍ يَفْعَلُهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَمَرَّسِ ، فَإِذَا وَقَعَ الْحَرِيقُ يَسْرِقُونَ ، وَكَانَ أَوْلَادُ خَالِدٍ وَإِخْوَتُهُ بِالسَّاحِلِ لَحَدَثٍ كَانَ مِنَ الرُّومِ ، فَكَتَبَ كُلْثُومٌ إِلَى هِشَامٍ يُخْبِرُهُ أَنَّ مَوَالِيَ خَالِدٍ يُرِيدُونَ الْوُثُوبَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ وَأَنَّهُمْ يُحْرِقُونَ الْبَلَدَ كُلَّ لَيْلَةٍ لِهَذَا الْفِعْلِ. |
| فَكَتَبَ إِلَى هِشَامٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَحْبِسَ آلَ خَالِدٍ الصَّغِيرَ مِنْهُمْ وَالْكَبِيرَ وَمَوَالِيَهُمْ ، فَأَنْفَذَ وَأَحْضَرَ أَوْلَادَ خَالِدٍ وَإِخْوَتَهُ مِنَ السَّاحِلِ فِي الْجَوَامِعِ وَمَعَهُمْ مَوَالِيهِمْ ، وَحَبَسَ بَنَاتِ خَالِدٍ وَالنِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ ، ثُمَّ ظَهَرَ عَلِيُّ بْنُ الْعَمَرَّسِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ ، فَكَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَامِلُ الْخَرَاجِ إِلَى هِشَامٍ يُخْبِرُهُ بِأَخْذِ ابْنِ الْعَمَرَّسِ وَأَصْحَابِهِ بِأَسْمَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِمْ أَحَدًا مِنْ مَوَالِي خَالِدٍ. |
| فَكَتَبَ هِشَامٌ إِلَى كُلْثُومٍ يَشْتُمُهُ وَيَأْمُرُهُ بِإِطْلَاقِ آلِ خَالِدٍ ، فَأَطْلَقَهُمْ وَتَرَكَ الْمَوَالِيَ رَجَاءَ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِمْ خَالِدٌ إِذَا قَدِمَ مِنَ الصَّائِفَةِ. |
| ثُمَّ قَدِمَ خَالِدٌ فَنَزَلَ مَنْزِلَهُ فِي دِمَشْقَ فَأَذِنَ لِلنَّاسِ ، فَقَامَ بَنَاتُهُ يَحْتَجِبْنَ ، فَقَالَ لَا تَحْتَجِبْنَ فَإِنَّ هِشَامًا كُلَّ يَوْمٍ يَسُوقُكُنَّ إِلَى الْحَبْسِ ، فَدَخَلَ النَّاسُ ، فَقَامَ أَوْلَادُهُ يَسْتُرُونَ النِّسَاءَ ، فَقَالَ خَالِدٌ خَرَجْتُ غَازِيًا سَامِعًا مُطِيعًا فَخُلِفْتُ فِي عَقِبِي وَأُخِذَ حُرَمِي وَأَهْلُ بَيْتِي فَحُبِسُوا مَعَ أَهْلِ الْجَرَائِمِ كَمَا يُفْعَلُ بِالْمُشْرِكِينَ ، فَمَا مَنَعَ عِصَابَةً مِنْكُمْ أَنْ تَقُولُوا عَلَامَ حُبِسَ حُرَمُ هَذَا السَّامِعِ الْمُطِيعِ ؟ |
| أَخِفْتُمْ أَنْ تُقْتَلُوا جَمِيعًا ؟ |
| أَخَافَكُمُ اللَّهُ! |
| ثُمَّ قَالَ مَا لِي وَلِهِشَامٍ ؟ |
| لَيَكُفُّنَّ عَنِّي أَوْ لَأَدْعُوَنَّ إِلَى عِرَاقِيِّ الْهَوَى ، شَامِيِّ الدَّارِ ، حِجَازِيِّ الْأَصْلِ ، يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ أَنْ تُبْلِغُوا هِشَامًا ، فَلَمَّا بَلَغَهُ قَالَ قَدْ خَرِفَ أَبُو الْهَيْثَمِ. |
| وَتَتَابَعَتْ كُتُبُ يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ إِلَى هِشَامٍ يَطْلُبُ مِنْهُ يَزِيدَبْنَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَرْسَلَ هِشَامٌ إِلَى كُلْثُومٍ يَأْمُرُهُ بِإِنْفَاذِ يَزِيدَبْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ ، فَطَلَبَهُ ، فَهَرَبَ ، فَاسْتَدْعَى خَالِدًا فَحَضَرَ عِنْدَهُ ، فَحَبَسَهُ ، فَسَمِعَ هِشَامٌ فَكَتَبَ إِلَى كُلْثُومٍ يَلُومُهُ وَيَأْمُرُهُ بِتَخْلِيَتِهِ ، فَأَطْلَقَهُ. |
| وَكَانَ هِشَامٌ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا أَمَرَ الْأَبْرَشَ الْكَلْبِيَّ فَكَتَبَ بِهِ إِلَى خَالِدٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْأَبْرَشُ إِنَّهُ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَكَ يَا خَالِدُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِعَشْرِ خِصَالٍ إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ وَأَنْتَ كَرِيمٌ ، وَاللَّهُ جَوَادٌ وَأَنْتَ جَوَادٌ ، وَاللَّهُ رَحِيمٌ وَأَنْتَ رَحِيمٌ ، حَتَّى عَدَّ عَشْرًا ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُقْسِمُ بِاللَّهِ لَئِنْ تَحَقَّقَ ذَلِكَ عِنْدَهُ لَيَقْتُلَنَّكَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ خَالِدٌ إِنَّ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ كَانَ أَكْثَرَ أَهْلًا مِنْ أَنْ يَجُوزَ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْفُجُورِ أَنْ يُحَرِّفَ مَا كَانَ فِيهِ ، إِنَّمَا قَالَ لِي يَا خَالِدُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِعَشْرِ خِصَالٍ إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ كُلَّ كَرِيمٍ ، وَاللَّهُ يُحِبُّكَ فَأَنَا أُحِبُّكَ ، حَتَّى عَدَّ عَشْرَ خِصَالٍ. |
| وَلَكِنْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ قِيَامُ ابْنِ شَقِيٍّ الْحِمْيَرِيِّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَلِيفَتُكَ فِي أَهْلِكَ أَكْرَمُ عَلَيْكَ أَمْ رَسُولُكَ فِي حَاجَتِكَ ؟ |
| فَقَالَ بَلْ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي. |
| فَقَالَ ابْنُ شَقِيٍّ فَأَنْتَ خَلِيفَةُ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ رَسُولُهُ ، وَضَلَالُ رَجُلٍ مِنْ بَجِيلَةَ ، يَعْنِي نَفْسَهُ ، أَهْوَنُ عَلَى الْعَامَّةِ مِنْ ضَلَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَلَمَّا قَرَأَ هِشَامٌ كِتَابَهُ قَالَ خَرِفَ أَبُو الْهَيْثَمِ! |
| فَأَقَامَ خَالِدٌ بِدِمَشْقَ حَتَّى هَلَكَ هِشَامٌ وَقَامَ الْوَلِيدُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ مَا حَالُ الْخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ الَّتِي تَعْلَمُ ؟ |
| فَاقْدَمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ وَهُوَ وَاقِفٌ بِبَابِ السُّرَادِقِ فَقَالَ يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنَ ابْنُكَ يَزِيدُ ؟ |
| فَقَالَ كَانَ هَرَبَ مِنْ هِشَامٍ وَكُنَّا نَرَاهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى اسْتَخْلَفَهُ اللَّهُ ، فَلَمَّا لَمْ نَرَهُ ظَنَنَّاهُ بِبِلَادِ قَوْمِهِ مِنَ السَّرَاةِ. |
| وَرَجَعَ الرَّسُولُ وَقَالَ لَا وَلَكِنَّكَ خَلَّفْتَهُ طَالِبًا لِلْفِتْنَةِ. |
| فَقَالَ قَدْ عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّا أَهْلُ بَيْتِ طَاعَةٍ. |
| فَرَجَعَ الرَّسُولُ فَقَالَ يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَتَأْتِيَنَّ بِهِ أَوْ لَأُرْهِقَنَّ نَفْسَكَ. |
| فَرَفَعَ خَالِدٌ صَوْتَهُ وَقَالَ قُلْ لَهُ هَذَا أَرَدْتُ ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ تَحْتَ قَدَمِي مَا رَفَعْتُهَا عَنْهُ. |
| فَأَمَرَ الْوَلِيدُ بِضَرْبِهِ ، فَضُرِبَ ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، فَحَبَسَهُ حَتَّى قَدِمَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ مِنَ الْعِرَاقِ بِالْأَمْوَالِ فَاشْتَرَاهُ مِنَ الْوَلِيدِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ ، فَأَرْسَلَ الْوَلِيدُ إِلَى خَالِدٍ إِنَّ يُوسُفَ يَشْتَرِيكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ ، فَإِنْ كُنْتَ تَضْمَنُهَا وَإِلَّا دَفَعْتُكَ إِلَيْهِ. |
| فَقَالَ خَالِدٌ مَا عَهِدْتُ الْعَرَبَ تُبَاعُ ، وَاللَّهِ لَوْ سَأَلْتَنِي أَنْ أَضْمَنَ عُودًا مَا ضَمِنْتُهُ. |
| فَدَفَعَهُ إِلَى يُوسُفَ ، فَنَزَعَ ثِيَابَهُ وَأَلْبَسَهُ عَبَاءَةً وَحَمَلَهُ فِي مَحْمَلٍ بِغَيْرٍ وَطَاءٍ وَعَذَّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا ، وَهُوَ لَا يُكَلِّمُهُ كَلِمَةً ، ثُمَّ حَمَلَهُ إِلَى الْكُوفَةِ فَعَذَّبَهُ ، ثُمَّ وَضَعَ الْمُضَرَّسَةَ عَلَى صَدْرِهِ فَقَتَلَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَدَفَنَهُ مِنْ وَقْتِهِ بِالْحِيرَةِ فِي عَبَاءَتِهِ الَّتِي كَانَ فِيهَا ، وَذَلِكَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ. |
| وَقِيلَ بَلْ أَمَرَ يُوسُفُ فَوُضِعَ عَلَى رِجْلَيْهِ عُودٌ وَقَامَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ قَدَمَاهُ وَمَا تَكَلَّمَ وَلَا عَبَسَ. |
| وَكَانَتْ أُمُّ خَالِدٍ نَصْرَانِيَّةً رُومِيَّةً ، ابْتَنَى بِهَا أَبُوهُ فِي بَعْضِ أَعْيَادِهِمْ فَأَوْلَدَهَا خَالِدًا وَأَسَدًا وَلَمْ تُسْلِمْ ، وَبَنَى لَهَا خَالِدٌ بِيعَةً ، فَذَمَّهُ النَّاسُ وَالشُّعَرَاءُ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ... |
| أَتَتْنَا تَهَادَى مِنْ دِمَشْقَ بِخَالِدِ فَكَيْفَ يَؤُمُّ النَّاسَ مَنْ كَانَتِ امُّهُ... |
| تَدِينُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِوَاحِدِ بَنَى بِيعَةً فِيهَا النَّصَارَى لِأُمِّهِ... |
| وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرٍ مَنَارَ الْمَسَاجِدِ وَكَانَ خَالِدٌ قَدْ أَمَرَ بِهَدْمِ مَنَارِ الْمَسَاجِدِ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ شَاعِرًا قَالَ لَيْتَنِي فِي الْمُؤَذِّنِينَ حَيَاتِي... |
| أَنَّهُمْ يُبْصِرُونَ مَنْ فِي السُّطُوحِ فَيُشِيرُونَ أَوْ تُشِيرُ إِلَيْهِمْ... |
| بِالْهَوَى كُلُّ ذَاتِ دَلٍّ مَلِيحِ فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا الشِّعْرَ أَمَرَ بِهَدْمِهَا ، وَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ النَّاسَ يَذُمُّونَهُ لِبِنَائِهِ الْبِيعَةَ لِأُمِّهِ قَامَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَعَنَ اللَّهُ دِينَهُمْ إِنْ كَانَ شَرًّا مِنْ دِينِكُمْ. |
| وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ خَلِيفَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ أَفْضَلُ مِنْ رَسُولِهِ فِي حَاجَتِهِ ، يَعْنِي أَنَّ الْخَلِيفَةَ هِشَامًا أَفْضَلُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ النَّاقِصُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ خَلَاعَتِهِ وَمَجَانَتِهِ ، فَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ لَمْ يَزِدْ مِنَ الَّذِي كَانَ فِيهِ مِنَ اللَّهْوِ وَاللَّذَّةِ وَالرُّكُوبِ لِلصَّيْدِ وَشُرْبِ النَّبِيذِ وَمُنَادَمَةِ الْفُسَّاقِ إِلَّا تَمَادِيًا ، فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى رَعِيَّتِهِ وَجُنْدِهِ وَكَرِهُوا أَمْرَهُ ، وَكَانَ أَعْظَمُهُ مَا جَنَى عَلَى نَفْسِهِ إِفْسَادَهُ بَنِي عَمَّيْهِ هِشَامٍ وَالْوَلِيدِ ، فَإِنَّهُ أَخَذَ سُلَيْمَانَ بْنَ هِشَامٍ ، فَضَرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ ، وَغَرَّبَهُ إِلَى عَمَّانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ فَحَبَسَهُ بِهَا ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى قُتِلَ الْوَلِيدُ ، فَأَخَذَ جَارِيَةً كَانَتْ لِآلِ الْوَلِيدِ ، فَكَلَّمَهُ عُثْمَانُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي رَدِّهَا ، فَقَالَ لَا أَرُدُّهَا. |
| فَقَالَ إِذَنْ تَكْثُرُ الصَّوَاهِلُ حَوْلَ عَسْكَرِكَ! |
| وَحَبَسَ الْأَفْقَمُ يَزِيدَ بْنَ هِشَامٍ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ رَوْحِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ وَحَبَسَ عِدَّةً مِنْ وَلَدِ الْوَلِيدِ ، فَرَمَاهُ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْوَلِيدِ بِالْكُفْرِ وَغِشْيَانِ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِ أَبِيهِ وَقَالُوا قَدِ اتَّخَذَ مِائَةً جَامِعَةً لِبَنِي أُمَيَّةَ. |
| وَكَانَ أَشَدُّهُمْ فِيهِ يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ النَّاسُ إِلَى قَوْلِهِ أَمْيَلَ لِأَنَّهُ كَانَ يُظْهِرُ النُّسُكَ وَيَتَوَاضَعُ ، وَكَانَ قَدْ نَهَاهُ سَعِيدُ بْنُ بَيْهَسِ بْنِ صُهَيْبٍ عَنِ الْبَيْعَةِ لِابْنَيْهِ الْحَكَمِ وَعُثْمَانَ لِصِغَرِهِمَا ، فَحَبَسَهُ حَتَّى مَاتَ فِي الْحَبْسِ. |
| وَأَرَادَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ عَلَى الْبَيْعَةِ لِابْنَيْهِ فَأَبَى ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ لَا تَخَافُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ كَيْفَ أُبَايِعُ مَنْ لَا أُصَلِّي خَلْفَهُ وَلَا أَقْبَلُ شَهَادَتَهُ ؟ |
| قَالُوا فَتَقْبَلُ شَهَادَةَ الْوَلِيدِ مَعَ فِسْقِهِ! |
| قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غَائِبٌ عَنِّي وَإِنَّمَا هِيَ أَخْبَارُ النَّاسِ. |
| فَفَسَدَتِ الْيَمَانِيَّةُ عَلَيْهِ وَفَسَدَتْ عَلَيْهِ قُضَاعَةُ ، وَهُمْ وَالْيَمَنُ أَكْثَرُ جُنْدِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَتَى حُرَيْثٌ وَشَبِيبُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ الْغَسَّانِيُّ وَمَنْصُورُ بْنُ جُمْهُورٍ الْكَلْبِيُّ وَابْنُ عَمِّهِ حِبَالُ بْنُ عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَحُمَيْدُ بْنُ مَنْصُورٍ اللَّخْمِيُّ وَالْأَصْبَغُ بْنُ ذُؤَالَةَ وَالطُّفَيْلُ بْنُ حَارِثَةَ وَالسَّرِيُّ زِيَادٌ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَدَفَعُوهُ إِلَى أَمْرِهِمْ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ. |
| وَأَرَادَ الْوَلِيدُ الْحَجَّ فَخَافَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلُوهُ فِي الطَّرِيقِ فَنَهَاهُ عَنِ الْحَجِّ ، فَقَالَ وَلِمَ ؟ |
| فَأَخْبَرَهُ فَحَبَسَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُطَالِبَ بِأَمْوَالِ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ اسْتَقْدَمَ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ مِنِ الْعِرَاقِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُحْضِرَ مَعَهُ الْأَمْوَالَ ، وَأَرَادَ عَزْلَهُ وَتَوْلِيَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ. |
| فَقَدِمَ يُوسُفُ بِأَمْوَالٍ لَمْ يُحْمَلْ مِنَ الْعِرَاقِ مِثْلُهَا ، فَلَقِيَهُ حَسَّانُ النَّبَطِيُّ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْوَلِيدَ يُرِيدُ أَنْ يُوَلِّيَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مُحَمَّدٍ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِلَ الرُّشَى إِلَى وُزَرَائِهِ ، فَفَرَّقَ فِيهِمْ خَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ ، وَقَالَ لَهُ حَسَّانُ اكْتُبْ عَلَى لِسَانِ خَلِيفَتِكَ بِالْعِرَاقِ كِتَابًا إِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَلَا أَمْلِكُ إِلَّا الْقَصْرَ ، وَادْخُلْ عَلَى الْوَلِيدِ وَالْكِتَابُ مَعَكَ مَخْتُومٌ وَاشْتَرِ مِنْهُ خَالِدًا ، فَفَعَلَ ، فَأَمَرَهُ الْوَلِيدُ بِالْعَوْدِ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَاشْتَرَى مِنْهُ خَالِدًا الْقَسْرِيَّ بِخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ مَعَهُ فِي مَحْمَلٍ بِغَيْرِ وَطَاءٍ إِلَى الْعِرَاقِ. |
| فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْيَمَنِ شِعْرًا عَلَى لِسَانِ الْوَلِيدِ يُحَرِّضُ عَلَيْهِ الْيَمَانِيَّةَ وَقِيلَ إِنَّهَا لِلْوَلِيدِ يُوَبِّخُ الْيَمَنَ عَلَى تَرْكِ نَصْرِ خَالِدٍ أَلَمْ تَهْتَجْ فَتَذَّكِرِ الْوِصَالَا... |
| وَحَبْلًا كَانَ مُتَّصِلًا فَزَالَا بَلَى فَالدَّمْعُ مِنْكَ إِلَى انْسِجَامٍ... |
| كَمَاءِ الْمُزْنِ يَنْسَجِلُ انْسِجَالًا فَدَعْ عَنْكَ ادِّكَارَكَ آلَ سُعْدَى... |
| فَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصًى وَمَالَا وَنَحْنُ الْمَالِكُونَ النَّاسَ قَسْرًا... |
| نَسُومُهُمُ الْمَذَلَّةَ وَالنَّكَالَا وَطْئِنَا الْأَشْعَرَيْنِ بِعِزِّ قَيْسٍ... |
| فَيَا لَكِ وَطْأَةً لَنْ تُسْتَقَالَا وَهَذَا خَالِدٌ فِينَا أَسِيرٌ... |
| أَلَا مَنَعُوهُ إِنْ كَانُوا رِجَالًا عَظِيمُهُمُ وَسَيِّدُهُمْ قَدِيمًا... |
| جَعَلْنَا الْمُخْزِيَاتِ لَهُ ظِلَالَا فَلَوْ كَانَتْ قَبَائِلَ ذَاتَ عِزٍّ... |
| لَمَا ذَهَبَتْ صَنَائِعُهُ ضَلَالًا وَلَا تَرَكُوهُ مَسْلُوبًا أَسِيرًا يُعَالِجُ مِنْ سَلَاسِلِنَا الثِّقَالَا... |
| وَكِنْدَةُ وَالسَّكُونُ فَمَا اسْتَقَالُوا وَلَا بَرِحَتْ خُيُولُهُمُ الرِّحَالَا... |
| بِهَا سُمْنَا الْبَرِيَّةَ كُلَّ خَسْفٍ وَهَدَّمْنَا السُّهُولَةَ وَالْجِبَالَا... |
| وَلَكِنَّ الْوَقَائِعَ ضَعْضَعَتْهُمْ وَجَذَّتْهُمْ وَرَدَّتْهُمْ شِلَالَا... |
| فَمَا زَالُوا لَنَا أَبَدًا عَبِيدًا نَسُومُهُمُ الْمَذَلَّةَ وَالسَّفَالَا... |
| فَأَصْبَحْتُ الْغَدَاةَ عَلَيَّ تَاجٌ لِمُلْكِ النَّاسِ مَا يَبْغِي انْتِقَالَا فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَسَعَوْا فِي قَتْلِهِ وَازْدَادُوا حَنَقًا ، وَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ بِيضٍ فِي الْوَلِيدِ وَصَلْتَ سَمَاءَ الضُّرِّ بِالضُّرِّ بَعْدَمَا... |
| زَعَمْتَ سَمَاءَ الضُّرِّ عَنَّا سَتُقْلِعُ فَلَيْتَ هِشَامًا كَانَ حَيًّا يَسُومُنَا... |
| وَكُنَّا كَمَا كُنَّا نُرَجِّي وَنَطْمَعُ وَقَالَ أَيْضًا يَا وَلِيدَ الْخَنَا تَرَكْتَ الطَّرِيقَا... |
| وَاضِحًا وَارْتَكَبْتَ فَجًّا عَمِيقَا وَتَمَادَيْتَ وَاعْتَدَيْتَ وَأَسْرَفْ... |
| تَ وَأَغْرَيْتَ وَانْبَعَثْتَ فُسُوقَا أَبَدًا هَاتِ ثُمَّ هَاتِ وَهَاتِي... |
| ثُمَّ هَاتِي حَتَّى تَخِرَّ صَعِيقَا أَنْتَ سَكْرَانُ مَا تُفِيقُ فَمَا تَرْ... |
| تِقُ فَتْقًا وَقَدْ فَتَقْتَ فُتُوقَا فَأَتَتِ الْيَمَانِيَّةُ يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَرَادُوهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ، فَشَاوَرَ عَمْرَو بْنَ يَزِيدَ الْحَكَمِيَّ ، فَقَالَ لَهُ لَا يُبَايِعُكَ النَّاسُ عَلَى هَذَا ، وَشَاوِرْ أَخَاكَ الْعَبَّاسَ فَإِنْ بَايَعَكَ لَمْ يُخَالِفْكَ أَحَدٌ ، وَإِنْ أَبَى كَانَ النَّاسُ لَهُ أَطْوَعَ ، فَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا الْمُضِيَّ عَلَى رَأْيِكَ فَأَظْهِرْ أَنَّ أَخَاكَ الْعَبَّاسَ قَدْ بَايَعَكَ. |
| وَكَانَ الشَّامُ وَبِيًّا ، فَخَرَجُوا إِلَى الْبَوَادِي ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ بِالْقَسْطَلِ وَيَزِيدُ بِالْبَادِيَةِ أَيْضًا بَيْنَهُمَا أَمْيَالٌ يَسِيرَةٌ ، فَأَتَى يَزِيدُ أَخَاهُ الْعَبَّاسَ فَاسْتَشَارَهُ ، فَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ وَبَايَعَ النَّاسَ سِرًّا وَبَثَّ دُعَاتَهُ ، فَدَعَوُا النَّاسَ ، ثُمَّ عَاوَدَ أَخَاهُ الْعَبَّاسَ فَاسْتَشَارَهُ وَدَعَاهُ إِلَى نَفْسِهِ ، فَزَبَرَهُ وَقَالَ إِنْ عُدْتَ لِمِثْلِ هَذَا لَأَشُدَّنَّكَ وَثَاقًا وَأَحْمِلَنَّكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ. |
| فَقَالَ الْعَبَّاسُ إِنِّي لَأَظُنُّهُ أَشْأَمَ مَوْلُودٍ فِي بَنِي مَرْوَانَ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِإِرْمِينِيَّةَ ، فَكَتَبَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَنْهَى النَّاسَ ، وَيَكُفَّهُمْ وَيُحَذِّرَهُمُ الْفِتْنَةَ ، وَيُخَوِّفَهُمْ خُرُوجَ الْأَمْرِ عَنْهُمْ ، فَأَعْظَمَ سَعِيدٌ ذَلِكَ وَبَعَثَ بِالْكِتَابِ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَاسْتَدْعَى الْعَبَّاسُ يَزِيدَ وَتَهَدَّدَهُ ، فَكَتَمَهُ يَزِيدُ أَمْرَهُ ، فَصَدَّقَهُ ، وَقَالَ الْعَبَّاسُ لِأَخِيهِ بِشْرِ بْنِ الْوَلِيدِ إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ فِي هَلَاكِكُمْ يَا بَنِي مَرْوَانَ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ إِنِّي أُعِيذُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ فِتَنٍ... |
| مِثْلِ الْجِبَالِ تَسَامَى ثُمَّ تَنْدَفِعُ إِنَّ الْبَرِيَّةَ قَدْ مَلَّتْ سِيَاسَتَكُمْ... |
| فَاسْتَمْسِكُوا بِعَمُودِ الدِّينِ وَارْتَدِعُوا لَا تُلْحِمُنَّ ذِئَابَ النَّاسِ أَنْفُسَكُمْ... |
| إِنَّ الذِّئَابَ إِذَا مَا أُلْحِمَتْ رَتَعُوا لَا تَبْقَرُنَّ بِأَيْدِيكُمْ بُطُونَكُمُ... |
| فَثَمَّ لَا حَسْرَةٌ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ فَلَمَّا اجْتَمَعَ لِيَزِيدَ أَمْرُهُ وَهُوَ مُتَبَدٍّ أَقْبَلَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ دِمَشْقَ أَرْبَعُ لَيَالٍ ، مُتَنَكِّرًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ عَلَى حَمِيرٍ ، فَنَزَلُوا بِجَرُودَ عَلَى مَرْحَلَةٍ مِنْ دِمَشْقَ ، ثُمَّ سَارَ فَدَخَلَ دِمَشْقَ وَقَدْ بَايَعَ لَهُ أَكْثَرُ أَهْلِهَا سِرًّا ، وَبَايَعَ أَهْلُ الْمِزَّةِ ، وَكَانَ عَلَى دِمَشْقَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّاجِ ، فَخَافَ الْوَبَاءَ فَخَرَجَ مِنْهَا فَنَزَلَ قَطَنَا وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ عَلَى دِمَشْقَ ، وَعَلَى شُرْطَتِهِ أَبُو الْعَاجِ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيُّ ، فَأَجْمَعَ يَزِيدُ عَلَى الظُّهُورِ ، فَقِيلَ لِلْعَامِلِ إِنَّ يَزِيدَ خَارِجٌ ، فَلَمْ يُصَدِّقْ. |
| وَرَاسَلَ يَزِيدُ أَصْحَابَهُ بَعْدَ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ الْجُمْعَةِ ، فَكَمَنُوا عِنْدَ بَابِ الْفَرَادِيسِ حَتَّى أُذِّنَ الْعِشَاءُ فَدَخَلُوا فَصَلُّوا ، وَلِلْمَسْجِدِ حَرَسٌ قَدْ وُكِّلُوا بِإِخْرَاجِ النَّاسِ مِنْهُ بِاللَّيْلِ ، فَلَمَّا صَلَّى النَّاسُ أَخْرَجَهُمُ الْحَرَسُ ، وَتَبَاطَأَ أَصْحَابُ يَزِيدَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرُ الْحَرَسِ وَأَصْحَابِ يَزِيدَ ، فَأَخَذُوا الْحَرَسَ ، وَمَضَى يَزِيدُ بْنُ عَنْبَسَةَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ فَأَعْلَمَهُ وَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ قُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْشِرْ بِنَصْرِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ. |
| فَقَامَ وَأَقْبَلَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ سُوقِ الْحُمُرِ لَقَوْا أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِمْ ، وَلَقِيَهُمْ زُهَاءُ مِائَتَيْ رَجُلٍ ، فَمَضَوْا إِلَى الْمَسْجِدِ فَدَخَلُوا وَأَخَذُوا بَابَ الْمَقْصُورَةِ فَضَرَبُوهُ فَقَالُوا رُسُلُ الْوَلِيدِ ، فَفَتَحَ لَهُمُ الْبَابَ خَادِمٌ ، فَأَخَذُوهُ وَدَخَلُوا فَأَخَذُوا أَبَا الْعَاجِ وَهُوَ سَكْرَانُ ، وَأَخَذُوا خُزَّانَ بَيْتِ الْمَالِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ مَنْ كَانَ يَحْذَرُهُ فَأُخِذَ ، وَقُبِضَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدَةَ ، وَهُوَ عَلَى بَعْلَبَكَّ ، وَأَرْسَلَ بَنِي عُذْرَةَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّاجِ فَأَخَذُوهُ. |
| وَكَانَ بِالْمَسْجِدِ سِلَاحٌ كَثِيرٌ فَأَخَذُوهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَاءَ أَهْلُ الْمِزَّةِ ، وَتَتَابَعَ النَّاسُ وَجَاءَتِ السَّكَاسِكُ ، وَأَقْبَلَ أَهْلُ دَارَيَّا وَيَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَانِئٍ الْعَبْسِيُّ ، وَأَقْبَلَ عِيسَى بْنُ شَبِيبٍ التَّغْلِبِيُّ فِي أَهْلِ دُومَةَ وَحَرَسْتَا ، وَأَقْبَلَ حُمَيْدُ بْنُ حَبِيبٍ النَّخَعِيُّ فِي أَهْلِ دَيْرِ مُرَّانَ وَالْأَرْزَةِ وَسَطْرَا ، وَأَقْبَلَ أَهْلُ جَرَشٍ وَأَهْلُ الْحَدِيثَةِ وَدَيْرُ زَكَّا ، وَأَقْبَلَ رِبْعِيُّ بْنُ هَاشِمٍ الْحَارِثِيُّ فِي الْجَمَاعَةِ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ وَسَلَامَانَ ، وَأَقْبَلَتْ جُهَيْنَةُ وَمَنْ وَالَاهُمْ. |
| ثُمَّ وَجَّهَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَصَادٍ فِي مِائَتَيْ فَارِسٍ لِيَأْخُذُوا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ مِنْ قَصْرِهِ ، فَأَخَذُوهُ بِأَمَانٍ ، وَأَصَابَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ خُرْجَيْنِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقِيلَ لَهُ خُذْ أَحَدَ هَذَيْنِ الْخُرْجَيْنِ. |
| فَقَالَ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ عَنِّي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ خَانَ فِي هَذَا الْأَمْرِ. |
| ثُمَّ جَهَّزَ يَزِيدُ جَيْشًا وَسَيَّرَهُمْ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ الْحَجَّاجِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَكَانَ يَزِيدُ لَمَّا ظَهَرَ بِدِمَشْقَ سَارَ مَوْلًى لِلْوَلِيدِ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ الْخَبَرَ وَهُوَ بِالْأَغْدَفِ مِنْ عَمَّانَ ، فَضَرَبَهُ الْوَلِيدُ وَحَبَسَهُ وَسَيَّرَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَسَارَ بَعْضَ الطَّرِيقِ فَأَقَامَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَصَادٍ ، فَسَأَلَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ ثُمَّ بَايَعَ لِيَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ. |
| وَلَمَّا أَتَى الْخَبَرُ إِلَى الْوَلِيدِ قَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ سِرْ حَتَّى تَنْزِلَ حِمْصَ فَإِنَّهَا حَصِينَةٌ ، وَوَجِّهِ الْخُيُولَ إِلَى يَزِيدَ فَيُقْتَلُ أَوْ يُؤْسَرُ. |
| فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَنْبَسَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ مَا يَنْبَغِي لِلْخَلِيفَةِ أَنْ يَدَعَ عَسْكَرَهُ وَنِسَاءَهُ قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلَ ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَنْصُرُهُ. |
| فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ خَالِدٍ وَمَا نَخَافُ عَلَى حُرَمِهِ ، وَإِنَّمَا أَتَاهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِنَّ. |
| فَأَخَذَ بِقَوْلِ ابْنِ عَنْبَسَةَ وَسَارَ حَتَّى أَتَى الْبَخْرَاءَ قَصْرَ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، وَسَارَ مَعَهُ مِنْ وَلَدِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا فَقَالُوا لَهُ لَيْسَ لَنَا سِلَاحٌ ، فَلَوْ أَمَرْتَ لَنَا بِسِلَاحٍ. |
| فَمَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا. |
| وَنَازَلَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَكَتَبَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْوَلِيدِ إِنِّي آتِيكَ. |
| فَقَالَ الْوَلِيدُ أَخْرِجُوا سَرِيرًا ، فَأَخْرَجُوهُ ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَانْتَظَرَ الْعَبَّاسَ. |
| فَقَاتَلَهُمْ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَمَعَهُ مَنْصُورُ بْنُ جُمْهُورٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ الْعَزِيزِ زِيَادَ بْنَ حُصَيْنٍ الْكَلْبِيَّ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، فَقَتَلَهُ أَصْحَابُ الْوَلِيدِ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَكَانَ الْوَلِيدُ قَدْ أَخْرَجَ لِوَاءَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ الَّذِي كَانَ عَقَدَهُ بِالْجَابِيَةِ. |
| وَبَلَغَ عَبْدَ الْعَزِيزِ مَسِيرُ الْعَبَّاسِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَأَرْسَلَ مَنْصُورَ بْنَ جُمْهُورٍ إِلَى طَرِيقِهِ فَأَخَذَهُ قَهْرًا وَأُتِيَ بِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ فَقَالَ لَهُ بَايِعْ لِأَخِيكَ يَزِيدَ. |
| فَبَايَعَ وَوَقَفَ ، وَنَصَبُوا رَايَةً وَقَالُوا هَذِهِ رَايَةُ الْعَبَّاسِ قَدْ بَايَعَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ. |
| فَقَالَ الْعَبَّاسُ إِنَّا لِلَّهِ ، خُدْعَةٌ مِنْ خُدَعِ الشَّيْطَانِ ، هَلَكَ بَنُو مَرْوَانَ. |
| فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنِ الْوَلِيدِ وَأَتَوُا الْعَبَّاسَ وَعَبْدَ الْعَزِيزِ. |
| وَأَرْسَلَ الْوَلِيدُ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ يَبْذُلُ لَهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَوِلَايَةَ حِمْصَ مَا بَقِيَ وَيُؤَمِّنُهُ مِنْ كُلِّ حَدَثٍ عَلَى أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْ قِتَالِهِ. |
| فَأَبَى وَلَمْ يُجِبْهُ. |
| فَظَاهَرَ الْوَلِيدُ بَيْنَ دِرْعَيْنِ ، وَأَتَوْهُ بِفَرَسَيْهِ السِّنْدِيِّ الزَّائِدِ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَنَادَاهُمْ رَجُلٌ اقْتُلُوا عَدُوَّ اللَّهِ قِتْلَةَ قَوْمِ لُوطٍ! |
| ارْجُمُوهُ بِالْحِجَارَةِ! |
| فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ دَخَلَ الْقَصْرَ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ الْبَابَ وَقَالَ دَعُوا لِيَ سُلَيْمَى وَالطِّلَاءَ وَقَيْنَةً... |
| وَكَأْسًا أَلَا حَسْبِي بِذَلِكَ مَالَا إِذَا مَا صَفَا عَيْشِي بِرَمْلَةِ عَالِجٍ... |
| وَعَانَقْتُ سَلْمَى مَا أُرِيدُ بِدَالَا خُذُوا مُلْكَكُمْ لَا ثَبَّتَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ ثَبَاتًا يُسَاوِي مَا حَيِيتُ عِقَالَا... |
| وَخَلُّوا عِنَانِي قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَى وَلَا تَحْسُدُونِي أَنْ أَمُوتَ هُزَالَا فَلَمَّا دَخَلَ الْقَصْرَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ أَحَاطَ بِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، فَدَنَا الْوَلِيدُ مِنَ الْبَابِ وَقَالَ أَمَا فِيكُمْ رَجُلٌ شَرِيفٌ لَهُ حَسَبٌ وَحَيَاءٌ أُكَلِّمُهُ ؟ |
| قَالَ يَزِيدُ بْنُ عَنْبَسَةَ السَّكْسَكِيُّ كَلِّمْنِي. |
| قَالَ يَا أَخَا السَّكَاسِكِ ، أَلَمْ أَزِدْ فِي أَعْطِيَاتِكُمْ ؟ |
| أَلَمْ أَرْفَعِ الْمُؤَنَ عَنْكُمْ ؟ |
| أَلَمْ أُعْطِ فُقَرَاءَكُمْ ؟ |
| أَلَمْ أَخْدِمْ زَمْنَاكُمْ ؟ |
| فَقَالَ إِنَّا مَا نَنْقِمُ عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِنَا ، إِنَّمَا نَنْقِمُ عَلَيْكَ فِي انْتِهَاكِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَنِكَاحِ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِ أَبِيكَ وَاسْتِخْفَافِكَ بِأَمْرِ اللَّهِ! |
| قَالَ حَسْبُكَ يَا أَخَا السَّكَاسِكِ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ أَكْثَرْتُ وَأَغْرَقْتُ ، وَإِنَّ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ سَعَةً عَمَّا ذَكَرْتَ. |
| وَرَجَعَ إِلَى الدَّارِ وَجَلَسَ وَأَخَذَ مُصْحَفًا فَنَشَرَهُ يَقْرَأُ فِيهِ وَقَالَ يَوْمٌ كَيَوْمِ عُثْمَانَ. |
| فَصَعِدُوا عَلَى الْحَائِطِ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ عَلَاهُ يَزِيدُ بْنُ عَنْبَسَةَ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ فَأَخْذَ بِيَدِهِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَحْبِسَهُ وَيُؤَامِرَ فِيهِ ، فَنَزَلَ مِنَ الْحَائِطِ عَشَرَةٌ ، مِنْهُمْ مَنْصُورُ بْنُ جُمْهُورٍ ، وَعَبْدُ السَّلَامِ اللَّخْمِيُّ ، فَضَرَبَهُ عَبْدُ السَّلَامِ عَلَى رَأْسِهِ وَضَرَبَهُ السَّرِيُّ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَبِي كَبْشَةَ فِي وَجْهِهِ وَاحْتَزُّوا رَأْسَهُ وَسَيَّرُوهُ إِلَى يَزِيدَ. |